

16 em Année No. 757

Lundi — 5 — 1 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧٥٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ صفر سنة ١٣٦٧ — ٥ يناير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فهرس العدد

المسلمون في معترك الخطوب



كان الحلفاء يوم عقدوا ألوية الحرب قد عقدوا غيب ضمائرهم على الغدر بأنفسهم وبالناس، فلم يكادوا ينفضون أيديهم من تراب هتلر وحليفيه حتى أخذ بعضهم بتلابيب بعض، يتصارعون على أسلاب الحرب ويتكالبون على جثث الضحايا؛ فهذا يريد أن يغرز أنيابه هنا، وذاك يحاول أن ينشب أظفاره هناك؛ واللحوم طعوم، والذبائح أجناس؛ فوقف كل وحش بإزاء منافسه يهدده بما يملك من أسباب الحياة وبما يعلم من أسرار الموت، حتى خشع المهيض، واستكان الضعيف، واستخذى الجبان، وأقرت الأمم بالضيم، واعترفت الدول بالرق، وانتهى النزاع على ملكوت الأرض إلى قوتين متعارضتين: قوة الرأسمالية في أمريكا، وقوة الشيوعية في روسيا، كلتاهما تريد أن تبسط سلطانها على

المستضعفين فى الأرض دون الأخرى ، والدولة التى كانت تنافسهما فى استرقاق الشعوب نتفت ريشها الحرب فتأخرت عن صفها وهبطت عن مستواها ، فتركت لهما تصريف الأمر وغفت فى ظلال السكينة ترجو لأجنحتها أن ترتاش ولجروحها أن تندمل ؛ فلم يبق فى العالم اليوم من يقف أمام هاتين القوتين العارمتين موقف الأبى الذى يتكرم عن الذل ويتجافى عن المهانة إلا قوة واحدة تستمد بأسها من رَوْح الله ، وتقتبس هديها من نور الحق ، هى قوة الإسلام . وبحسبك أن تسمع مذياعك فى أى ليلة ، أو تقرأ صحيفتك فى أى يوم ، لتعلم أن هذه القوى الثلاث هى التى تتصارع وتتقارع فى الغرب والشرق وما بينهما ، وسائر الأمم محتبون بهامش الميدان يشهدون هذا الصراع شهود المتفرج أو المهرج أو المراهن : فالروسيون يريدون أن يتدفقوا فى سهول الشرق لينسخوا بمبادئهم دياناته وفلسفاته ، والأمريكيون يقيمون من دونهم السدود ليظلوا مستأثرين وحدهم بخيراته ، والمسلمون فى تركية وإيران وباكستان وأفغانستان وإندونيسيا ، وفى أقطار العروبة من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى ، يجأرون بالشكوى ، ويصرخون من الظلم ، ويغضبون للكرامة ، ويثورون للحق ، وينادون بالجهاد ؛ ولكن أصواتهم الإنسانية اللينة تذهب فى عواء الذئاب ونباح الكلاب كما تذهب النسمة الرخية فى الأدغال الشواجن !

كأنما الحرب لم تخلف من المشكلات غير مشكلة الشرق الأوسط ! وكأنما المحروبون لم يتركوا من التراث غير تراث الإسلام ! وكأنما الأسرى فى نظام هيئة الأمم المتحدة هم المسلمون ! فمن لم يكن له وطن من شذاذ الأمم جعلوا له موطناً من أرض العرب ! ومن ضاقت عليه مذاهب العيش فى بلده وسموها عليه من أرزاق العرب ! ومن نقت ضفادع بطنه من المستعمرين لازدراد بقعة حرام سكّنوا جوفه المسعور بقطعة من أملاك العرب ! ومن نازع المسلمين أو العرب على شىء من ديارهم الموروثة فضوا النزاع على حساب المسلمين أو العرب ! فالروس تتحلب أشداقهم على ابتلاع تركية وإيران . والهندوس يجدون العطف الأوربى على عدوانهم الوحشى على أهل باكستان . وهولندة تحاول أن تمزق بحديد الأمم المتحدة إندونيسيا ، وهذه الدولة لا تزال تشعر بمسامير النعل الهتلرى الثقيلة تغوص فى ظهورها الوطيئة البضة . وانجلترة العجوز تريد أن تخلى لحاميتها أمريكا طريق الشرق فتقرر الجلاء عن فلسطين لتقتطع السودان من مصر ، وهو إنسان عينها ومهجة قلبها ، لتجعله نقطة ارتكازها فى أفريقيا ، وحقيقة مجازها إلى الشرق . وفرنسا المنحلة ما زالت تفرض الباقى من سلطانها على الشمال الأفريقى كله فتقيم بينه وبين أبويه الإسلام والعروبة حاجزاً من الظلام والحصر والرقابة والتجسس ، وترغمه على الاندماج بها والفناء فيها ، فيستظل بغير علمه ، ويتكلم بغير لغته ، ويؤمن بغير دينه . ولولا ممالأة الدول ومواطأة اللصوص ومناوأة الخطوب لما ثبتت هذه القدم الناعمة فى رمال الريف وصخور أطلس ! وأمريكا التاجرة الطموح تصمم على أن تحول بين الشيوعية وثروة الشرق فتجعل من الإنجليز واليهود سداً كسد ذى القرنين يأخذ السودان من مصر ، وفلسطين من العرب ، وبقية امتداده من الإسلام . ولولا هذه النية الخبيثة لما ساعدت انجلترةَ على مصر فى مجلس الأمن ، وعاونت اليهودَ على العرب فى جمعية الأمم المتحدة .

ها هى ذى تقسم فلسطين وبها إحدى القبلتين وثانى الحرمين قسمة ضيزى بين العرب الأصلاء واليهود الدخلاء ، وتحمل الصهيونيين على ضمائرها وبواخرها من أركان الأرض إلى فلسطين لينصبوا فيها الصليب للحق كما نصبوه من قبل لعيسى ، ويبذروا فى القدس الشقاق للناس كما بذروه فى يثرب لمحمد !

ليت شعرى ما جريرة العرب والمسلمين على الأمم الأوربيين والأمريكيين ؟ هل جريرتهم عليهم أنهم فتحوا العالم وطهروه ، وأعلنوا دين الله ونشروه ؟ قد يكون مع الفتح ثرة العنصرية ، ومع نشر الدين تعصب الكنيسة ، ولكن ثرة المقهور وتعصب الكاهن لم يكونا وحدهما السبب فى ذلك الاستخفاف الدولى بالإسلام والعروبة ؛ إنما السبب الأقوى فيما أعتقد أن المسلمين اعتمدوا على الحق دون القوة ، وعولوا على القول لا على الفعل ، واعتقدوا فى الشخص لا فى المبدأ ، ونسوا أن دينهم قرآن وسيف ، وتاريخهم فتح وحضارة ، وشرعهم دين ودنيا ، وحربهم جهاد وشهادة ، وزعامتهم خلافة وقيادة .

فهل آن لأبناء الأمة الوسطى ووراث الدعوة الكبرى أن يذكروا ما نسوا ، ويجددوا ما طمسوا ، ويعلموا أن الحق هو القوة ، وأن القوة هى الوحدة ، وأن وحدة العرب كانت معجزة دين التوحيد ، قام عليها تاريخهم القديم ولن يقوم على غيرها تاريخهم الجديد ؟ !

احمد حسن الزيات

في عالم الروح

للأستاذ عباس محمود العقاد



تلقيت من الأستاذ صاحب التوقيع رسالة جاء فيها : « أن العالم الطبيعي ادوين ريد تحدث مستخفاً برؤيا رآها في منامه وهي صليب كتب عليه اسمه ويليه أنه توفى في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠ ولم يحن ذلك اليوم حتى فارق الحياة وكتب على صليب قبره اسمه بذلك التاريخ

ثم نقل من كتاب الأرواح للشيخ طنطاوي جوهري كلاماً فحواه أن الدكتور جيبية رأى في منامه مكتبة عامرة لجاره لم يرها ولم يسمع بها من قبل ، وتصفح عناوين الكثير من كتبها ، ثم ذهب إلى الدار ليرى مبلغ صحة رؤياه ، فإذا تلك المكتبة بعينها والكتب بعناوينها حتى أثاثها كما شاهده في النوم بلا اختلاف .

ثم نقل عن الجزء الخامس من مجلد الهلال الخامس والخمسين حلماً فصله الكاتب الخطيب المبين الأستاذ محمد توفيق دياب بك وذكر أنه رآه بتفصيله في اليقظة بعد ذلك بيومين .

وأضاف الكاتب إلى ما تقدم خلاصة حلم رآه فقال : « ولى رؤيا عجيبة وهي أنني تحدثت مع صديق في أمور اجتماعية وإذا به يستشهد بمقطوعة من أرصن الشعر وأسلسه وأبلغه . حفظت بعضها مع العلم بأنني بطيء النظم لا أكثر من تعاطيه ، وكنت متوجهاً بكليتي للاستماع مع الإعجاب الشديد . ويقال أن ليس للانسان إلا عقله الباطن عند النوم ، وكان عقلي الباطن كما علمت متوجهاً للاصغاء وتتبع ما يلقى عليه لا غير ، ويقال إن الإنسان لا يفكر بشيئين في آن واحد ... تصور أنك تسمع خطيباً وأنت متتبع لأقواله بكل إعجاب : هل يجوز الادعاء بأن ما تسمعه من بنات أفكارك ؟ إذن من هو الناظم ؟ وهل هو أنا ؟ وقد برهنا على استحالة ذلك ؟ . . وكيف يتم صدق الرؤيا لحوادث المستقبل البعيدة عن المصادفات ، والتي لم تكن أصداء لماض قريب أو بعيد ولكنه تنبؤ بمستقبل مجهول ؟ . .

عبد الجبار محمود الوائلي

(بغداد) خان الشابندر الجديد

* * *

شيء واحد يمكن أن يقال على سبيل التحقيق في الجواب عن هذه الأسئلة : وهو أن الجزم بنفي هذه الروايات على اعتبار أنها مستحيلة الوقوع إنما يكون نفياً باطلا لا يعتمد على سند من العلم ولا من البراهين المنطقية .

فوقوع الأنباء على هذه الصورة ليس بالمستحيل .

ومن قال باستحالته وجب أن يثبت لنا أنه على علم تام بأسباب الاتصال بين كل نفس ونفس وكل مادة ومادة أو كل نفس ومادة في هذا العالم الذي نعيش فيه .

وليس في وسع أحد أن يزعم أنه على علم تام بأسباب الاتصال بين مادة ومادة في عالم المكان ، ودع عنك صلات النفوس والعقول التي لا تقع تحت الحصر ولا يحيط بها العيان .

ففي هذا الفضاء الشاسع أشعة من النور لا تراها العين وهي مع ذلك تنفذ في المعادن الصلاب وتؤثر في الأحياء وغير الأحياء؛ وبعض هذه الأشعة يعرف بالآلات وبعضها لا يعرف بغير التقدير والترجيح ، وكلها لا تغنينا شيئاً في بيان سبب التأثير الذي يقع من جرم على جرم آخر في أجواز الفضاء الرحيب . فما هي قوة الجذب ؟ وما هي قوة الدفع ؟ وما هي قوة الإشعاع ؟ ولماذا يكون الإشعاع حركة سارية تنطلق من الذرة المشطورة فتعصف بالقوى ؟ وما الذي يتحرك حين يحدث هذا الإشعاع ؟ هل الحركة هي القوة أو الحركة نتيجة القوة ؟ وكيف تحدث هذه أو تلك أو تنتقل بالمقدار الذي يرصده الراصدون ؟

كل هذه أسئلة لا يقطع المجيب عنها بجواب مفروغ منه متفق عليه ، وهى مع ذلك أسئلة من النور أى عن المثل الأعلى للوضوح والظهور فيما تقع عليه العين ويتمثل به اللسان .

فالذى يزعم لنا أن أسباب الاتصال بين نفس ونفس ، أو بين عقل وعقل ، محصورة محدودة يمتنع كل ما عداها ، فهو مدع بما ليس فى علمه ولا فى علم أحد من البشر ، ويلزمه دليل ما يدعيه ولا دليل هناك .

لكن هل يجوز لنا أن نبنى على هـذا أن تلك الأنباء قطعاً من إيحاء عقل لعقل أو رسالة روح إلى روح ؟

إن أسئلة كثيرة تلزمنا قبل أن نخلص إلى هذا القول على وجه التحقيق ، ولنضرب المثـل بما رواه صاحب الخطاب عن إدوين ريد .

فهل رأى إدوين ريد نبوءات أخرى غير النبوءة بيوم وفاته ؟ وهل رأى غيره نبوءات مثل نبوءته بيوم الوفاة ؟

إن كانت رؤيا إدوين ريد هى النبوءة الوحيدة التى صدقت فهناك محل للسـؤال : لِمَ لَمْ تتهيأ روحه لمعرفة الغيب إلا فى هذه الحالة ؟

وإن كانت هى واحدة من نبوءات كثيرات كذبت كلها ما عدا هذه النبوءة فاحتمال المصادفة هنا يخطر على البال إلى جانب الاحتمال الآخر : وهو تلقى الرسالة من عالم الروح . ويوم « ٧ نوفبر سنة ١٩١٠ » كأى يوم آخر فى أيام السنين ، لا موجب لاستثنائه ولا موجب للقطع بأن الإنباء به من توفيق المصادفات

وقد يجوز أن ألف إنسان غير إدوين ريد لاحت لهم فى الرؤيا تواريخ تنبىء عن يوم وفاتهم . فلماذا لم تسجل هذه التواريخ كما سجل تاريخ « ٧ نوفبر سنة ١٩١٠ » ؟

إن كانت صدقت كلها ولم تسجل كلها فهذا غريب مستبعد ؛ وإن كانت لم تسجل لأنها لم تصدق فإن احتمال المصادفة يزداد ، لأنه حالة واحدة بين مئات من الحالات .

وإنما تخرج هـذه الأنباء من عالم الغرائب والمصادفات إلى عالم الحقائق المتواترة إذا أمكن تطبيقها كما تطبق تجارب العلوم ؛ وليس هذا التطبيق باليسور فى مسائل العـقل والروح ، لأنك تستطيع أن تحكم بأن كل مادة كـكل مادة ، وأن التجربة فيها تتـكرر على منوال واحد أو مع اختـلاف جد يسير . ولـكنك لا تستطيع أن تحكم بأن كل عقل ككل عقل فى الخصائص والآثار . فيجوز أن روحاً تتلقى وروحاً أخرى لا تتلقى ، ويجوز أن حالة التلقى لا تطرد فى جميع التجارب على نمط واحد .

وههنا موضع الإعضال فى تعميم الحكم على مسائل العقول والأرواح .

فغاية ما ينتهى إليه اليقين فى هـذه المعضلة أن الاتصال بين العقول أو بين الأرواح غير مستحيل ، ولـكنه كذلك غير محتوم من الأمثلة التى تذكر فى هذا السياق ، وبخاصة إذا نحن أحضرنا أن الرواية عن المنام تتسع لـكثير من التحريف والانحراف ، لأن المنام بطبيعته غير مثبت للمراجعة والتأكد من الصور الغامضة التى تتلاحق فيه ، وقد يتممها الخيال بعد وقوع الحوادث التى تشبهه فى عالم اليقظة ، وإن تقاربت المسافة بين رؤية اليقظة ورؤيا المنام .

فيجوز أن الرؤى التى أشار إليها الـكاتب رسائل من روح إلى روح ، أو من العقل المحيط إلى عقول الآحاد . ولـكن الجزم لا تـكفى فيه هذه الرؤى ولا تلك الروايات .

***

أما نظم القصيدة فى المنام وتخيل الإصغاء إليها من صديق فهو ظاهرة مختلفة تـكفى التجارب النفسانية لتفسيرها ولا استحالة فيها على الإطلاق .

لأن نظم الشـعر فى النوم يحدث لغير قليل من الشعراء ، وقد روى عن كولردج الشاعر الإنجليزى أنه نظم قصيدة مطولة من أجود شعره وهو نائم ، ولست أستبعد ذلك . لأننى تتفق لى أبيات من الشعر أنظمها فى المنام وأنا مشـغول الذهن بالنظم أو غير مشغول ، وإن لم يتفق لى فى هذه الحالة نظم المطولات .

أما استحالة النظم والإصـغاء فى وقت واحد فليس بواقع . لأن الإصغاء تخيل لا حقيقة له فى الخارج ، وكل ما فيه أنه هو الصورة الرمزية التى اتخذها الوعى الباطن لظهور تلك الأبيات فيه

ومن طبيعة الأحلام أنها رمزية تتخيل المعانى والمؤثرات فى صورة المحسوسات . فيبدو للمكروب فى حلمه أن عدواً مطارداً يشدد عليه الخناق ، أو أن وحشاً مفترساً يبطش به فى مكان لا مهرب منه وهكذا يتخيل الوعى الباطن أنه يصغى إلى متـكلم وهو الذى ينظم ما يصغى إليه فى الخيال .

وبعد فلا استحالة — حتى أثناء اليقظة — فى تسجيل العقل الباطن شيئاً والتفاته مع الحس إلى شىء آخر .

فقد جربنا جميعاً أن نستغرق فى التفكير ويمر بنا إنسان نعرفه فلا نلتفت إليه . ثم نذكر أنه قد مر بنا بعد انتهاء حالة الاستغراق ، وقد نذكر أنه قد حيانا بكلمات نحفظها ونحسب أننا لم نسمعها حين فاه بها ، ونحن قد سمعناها وسجلناها على غير انتباه

ولا حاجة بنا فى هذه الظاهرة إلى فرض المصادفات ، لأن الواقع فى أمثال هذه الظاهرة متكرر متواتر يمكن القياس عليه . أما الإنباء بالمجهول فشاطىء الأمان فيه أنه لا إثبات بغير دليل يقبل التكرار والتواتر ، ولا إنكار بغير دليل كذلك الدليل . وقد نرجح الإثبات بغير دليل على الإنكار بغيره . لأن المنكر المتسف يغلق الباب على ما سيعلم فى المستقبل ، ولا يزيد المثبت المتسف على الخطأ فى الواقع كما رآه أو تخيل أنه رآه ...

عباس محمود العقاد

النساء فى القرآن الكريم

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمود شلتوت



كثر كلام الناس قديماً وحديثاً حول منزلة النساء فى الإسلام ، فمنهم من زعم جهلا أو تجاهلا أن الإسلام اهتضم حقوقهن ، وانتقص مكانتهن ، وأخذ يغرى المرأة بالثورة على الإسلام بحسب ما صوّر لهم من تعاليم نسبها إليه وأقنعها بأنها السبيل الذى رسمه لها ، والواقع أن الإسلام منح النساء كل خير وصانهن عن كل شر ، ولم يأب عليهن سوى ما دفعتهن إليه هذه المدنية الكاذبة من « حرية » جعلت الغربية من النساء إذا ما خلت إلى ضميرها الإنسانى تبكى دما على الكرامة المفقودة ، والعرض المبتذل ، والسعادة الضائعة . وسيعلم النساء متى ثُبْن إلى رشدهن أن لا منقذ لهن ، ولا حافظ لكرامتهن وحقوقهن سوى هـذه التعاليم الإلهية التى يحاول المغرضون والمخادعون لهن أن يصوروها فى أعينهن بصورة الأغلال التى تطوق الأعناق وتحول بينهن وبين ما لهن من حق فى الحياة .

وأرجو أن أقدم للنساء عامة وللمسلمات منهن خاصـة تحت هذا العنوان ، وعلى صفحات الرسالة الغراء ، خطوط هذه الجولات الواسعة التى رسمها القرآن الكريم فى سبيل الإرشاد إلى حقوقهن ، وبيان أحكامهن ومنزلتهن فى حياة الأسر التى تعتبر بحق اللبنات الأولى فى بناء الأمم ، والتى تخلع على الأمة ما لها من كيان قوى أو ضعيف .

والقرآن هو المصدر الأول للتشريع الإسلامى ، والحكم الأعلى الذى يحكم على غيره ولا يحكم الغير عليه .

***

قرأت القرآن وتتبعت أبرز مواقفه فى جانب النساء ، فوجدته خير ما يصور للناس عناية الإسلام بالنساء ، وحظوتهن فى تشريعه ، وليس بعد كلام الله كلام ، ولا بعد تشريعه تشريع .

عرض القرآن للنساء فى أكثر من عشر سور ، وكلها من المدنى الذى كان شأنه وقت التنزيل فرض الحقوق ، وبيان الواجبات ، وتنظيم الشئون ، والإرشاد إلى ما ينبغى فى شئون الأسر ، وشئون الأمم .

عرض لهن فى سورة البقرة فى ربعين عظيمين هما « يسألونك عن الخمر والميسر » ، « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » .

بين فيهما حكم تزوج المسلمة للمشرك الذى لا يؤمن بكتاب ولا رسول ، وأبطل بعض المعاملات الضارة التى كان يعتادها أهل الجاهلية مع النساء ، وبين الطلاق الذى يملك الرجل فيه رجعة الزوجة والذى لا يملك به الرجعة ، كما بين أن لها الحق فى افتداء نفسها من سوء العشرة بما تملك من مال ، وبين مساواتها

للرجل فيما لها وعليها من الحقوق الزوجية ، كما أمر بإمساكها بمعروف أو تسريحها بإحسان ، وحذر القوم من عضل النساء ومنعهن أن يتزوجن بمن يردن طمعاً فى مالهن وضراراً لهن ، ثم بين أن المرأة شريكة الرجل فى شأن الولد وإرضاعه ، وأنه لا يصح للرجل أن يبت فى هذا الشأن برأى دون «تراض منهما وتشاور» وبين فى هذا السياق الخطبة وأدبها كما بين حق المطلقات فى المتعة ، وهى ما يبذله الرجل للمرأة بعد طلاقها مما تتعزى به ويخفف عنها وقع الفراق ، « وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ».

وبين عدة المتوفى عنها زوجها ، وحث الأزواج على الإيصاء لهن بعد الوفاة بأكثر مما تستحق إحداهن بالعدة .

وعرض لهن فى سورة المائدة ، وبين حل تزوج المحصنات الكتابيات منهن، وسوى فى ذلك بينهن وبين المحصنات المؤمنات .

وعرض لهن فى سورة النور ، وبين ما يردعهن عن ارتكاب ما يزرى بالكرامة ويخل بالشرف والمكانة ، كما بين حكم من تعدى عليهن بالقذف زوجاً كان أو غير زوج ، وشرع الأدب الواجب حين الدخول عليهن فى بيوتهن ، وذلك حفظاً لهن من أن تقع عليهن الأنظار ، وهن فى حالة التبذل والقيام بالمصالح المنزلية . كما خص هؤلاء الذين نضبت وجوههم من ماء الحياء بشديد من التحذير مما اعتادوا فى إكراه الفتيات على البغاء تكسباً بعرضهن « لا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » .

وعرض لهن فى سورة الأحزاب وعالج كثيراً من المشاكل المنزلية وما يجب عليهن من آداب ، وقد اتخذت السورة زوجات الرسول مثالا حياً فيما ينبغى أن تتخذه الزوجة أساساً لحياتها المنزلية الفاضلة .

وعرض لهن فى سورة المجادلة فاستمع إلى رأى المرأة واحترمه ، وقرره مبدأ يسير عليه التشريع العام الخالد ، وبذلك كانت آيات الظهار التى بدئت بها السورة المذكورة أثراً من آثار الفكر النسائى ، وصفحة إلهية خالدة نلمح فيها على ممر الدهر صورة احترام الإسلام للمرأة وأن الإسلام ليس كما يظن أعداؤها يراها مخلوقاً يقاد بفكر الرجل ورأيه ، وإنما لها رأيها وللرأى قيمته ووزنه يقول أوس بن الصامت لزوجه خولة بنت ثعلبة « أنت على كظهر أمى » وكان المعروف فى الجاهلية أن الرجل إذا قالها لزوجته حرُمت عليه . ثم دعاها فأبت وقالت : والذى نفس خولة بيده لا تصل إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله . ثم أتت رسول الله فقالت : يا رسول الله . إن أوساً تزوجنى وأنا شابة مرغوب فى ، فلما خلا سنى ونثرت بطنى جعلنى كأمه وتركنى إلى غير أحد ، فإن كنت تجد لى رخصة يا رسول الله فحدثنى بها . فقال عليه السلام : ما أمرت فى شأنك بشىء حتى الآن ، وما أراك إلا قد حرمت عليه ، فأخذت تجادل رسول الله مراراً وتقول: إنه ما ذكر طلاقاً فكيف أحرم عليه ؟ إن لى منه صبية صغاراً إن ضممهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلى جاعوا . وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول : اللهم إنى أشكو إليك . وما برحت هكذا حتى نزلت الآيات « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ». نزلت الآيات تشنع على المظاهرين من نسائهم ، وتضع طريقاً للخلاص من الظهار ، وتبين أنه ليس طلاقاً ولا موجباً للفرقة ، كما كانت ترى خولة بنت ثعلبة .

وهذا أسمى ما تصبو إليه النساء فى احترام رأيهن متى صادف الحق والمصلحة . وليعتبر بهذا المرجفون المتمدون .

وعرض لهن فى سورة الممتحنة وبين حكم النساء يهاجرن مؤمنات من بلاد الأعداء إلى بلاد الإسلام ، وحكم حلهن لأزواجهن السابقين ، وحكم زواجهن بالمؤمنين ، وبينت حق النساء فى المبايعة على السمع والطاعة ، والقيام بحدود الشريعة وأحكامها ، وأنهن فى المبايعة كالرجال ، وقد روى المفسرون قصة هذه المبايعة التى شغلت مركز الرياسة فيها عن النساء « هند بنت عتبة » زوج أبى سفيان ، وهى قصة طريفة تملوها ظاهرة عظيمة من حرية الرأى فى النقاش والحوار . حرية لا يظفر بها الرجال عند أعظم ملوك الأرض ديمقراطية .

وعرض لهن فى سورة التحريم فى شأن جرى بين زوجات الرسول ، ويقع بين كل الزوجات فى كل زمان ومكان ، وفيها تقررت مسئولية المرأة عن نفسها مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل ، وأنه لا يؤثر عليها ، وهى صالحة ، فساد الرجل وطغيانه ، ولا ينفعها ، وهى طالحة ، صلاح الرجل وتقواه «وضرب الله مثلا

للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » . « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ».

وعرض القرآن الكريم بعد هذا للنساء فى سورتين : سورة النساء وسورة الطلاق ؛ وكثيراً ما يطلق على الأولى اسم « سورة النساء الكبرى » ويطلق على الثانية « سورة النساء الصغرى ».

وكم تنبض قلوب النساء فرحاً بتكريم الله لهن وعنايته بهن حينما يسمعن أو يعلمن أن فى القرآن سورتين سميتا باسمهن، وعالجتا كثيراً من شئونهن فى أطوار حياتهن كلها من عهد الطفولة إلى عهد الزوجية والأمومة ، وأن إحدى السورتين وهى الكبرى تبدأ بخطاب الناس جميعاً ، وأن الأخرى وهى الصغرى تبدأ بخطاب الرسول ، وفى هذا وذاك حث شديد للحاكم والمحكوم ، أو الرئيس والمرءوس على مراعاة ما يفرض بعد الخطاب فى أمر النساء من أحكام وارشادات . ولا ريب أن منزلة النساء من العاطفة ومركزهن الاجتماعى فى الأمة جديران أن تستأثر فى أمرهن عاطفة الرحمة التى يحملها وصف النبوة «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ووشيجة الرحم التى تجمع بين الناس ذكوراً وإناثاً « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » .

وهذا وضع يجدر بالذين يرمون الإسلام بأنه يحط من قدر النساء أن يلتفتوا إليه وأن يكفوا عن زعمهم أن الإسلام لم يمنح المرأة من العناية والاهتمام ما منحته لها الدنية .

هذا وقد عرضت سورة « الطلاق » لبيان الوقت الذى يجب على الرجل مراعاته إذا أراد أن يطلق زوجه إتقاء للاضرار بها ، كما عرضت لبيان أنواع عدة المطلقة وما يجب فيها من النفقة والسكنى .

أما سورة النساء الكبرى فقد عرضت لمبادىء هى أساس سعادة المرأة وهناءتها ، وبالتالى أساس السعادة الزوجية والحياة المنزلية ونستطيع أن نجملها فيما يلى :

١ — أعلنت سورة النساء أن المرأة أحد المنصرين اللذين تكاثر منهما الإنسان ، وجعلت ذلك نعمة توجب على الناس تقوى الله ومراقبته « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

٢ — وقررت مساواة النساء بالرجال فيما هو من خصائص الإنسانية فشرعت الكسب للنساء كالرجال ، وأرشدت كلا منهما إلى تحرى الفضل والخير من الأموال بالعمل دون التمنى والتشهى ، وأنه ليس للرجل أن يسلب المرأة من العمل الذى خلقت له ، كما أنه ليس للنساء أن يطمعن فيما وراء مؤهلاتهن الطبيعية وفى ذلك يقول الله : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » .

٣ — وقررت أن للنساء ثواب أعمالهن الصالحة كالرجال وفى ذلك يقول الله تعالى « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا » .

٤ — ورفعت شأن المرأة عن أن تكون متاعاً يورث كما تورث الأموال ، وفرضت لها حرية فى ذاتها وأموالها «يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » .

٥ — وشرعت نظاماً للزواج فيه تكريم للمرأة والأسرة ، فحظرت التزوج بأصناف حفظاً لروابط لا ينبغى أن تعرض بالزواج إلى الفساد : حظرت زواج الابن من زوجة الأب ، وزواج الأب من حليلة الابن ، وزواج الأمهات والبنات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت والمرضعات والأخوات من الرضاعة وأمهات النساء والربائب . وحظرت الجمع بين الأختين ، وزواج المتزوجات والمعتدات . وذلك كله فى قوله تعالى «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء» إلى قوله « والمحصنات من النساء ».

٦ — وأشارت إلى تخير الزوجات من وسط الحرائر المؤمنات وأنه لا يجوز العدول إلى غيرهن إلا عند العجز عنهن وخوف العنت ، وذلك شأن له قيمته فى إنجاب الولد ، واختيار البيئة الصالحة لتربيته ، وضمان التوافق والسعادة فى الحياة الزوجية ، وذلك فى قوله تعالى « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » .

ومن هنا أخذ الفقهاء أن الشريفة مقدمة فى الزواج على غير الشريفة ، وأن حسنة السمعة مقدمة على سيئة السمعة . وفى هذا إيحاء قوى إلى النساء بأن يعملن جهدهن على تحسين سمعتهن وتحليتهن بالأخلاق الفاضلة التى ترغب فيهن الأزواج ، ولعل ما اتخذته الفتاة لنفسها من حرية واسعة فى هذه الأيام كان له نصيب كبير فيما نرى من أزمة الزواج ، فعلى الفتاة أن تتدبر فى أمرها ، وعليها وحدها أن تحل تلك الأزمة إن أرادت لنفسها الخير والسعادة .

٧ — وأفرغت السورة على عقد الزواج صبغة كريمة أخرجته عن أن يكون عقد تمليك كعقد البيع والإجارة ، أو نوعاً من الاسترقاق والأسر كما كانت المرأة قبل الإسلام عند العرب وغيرهم وسمته « ميثاقاً غليظاً » ولهذا التعبير قيمته فى الإيحاء بمعانى الحفظ والرحمة والمودة ، فالزواج فى نظر القرآن عهد شريف وميثاق غليظ ترتبط به القلوب وتختلط به المصالح ، ويندمج به كل من الطرفين فى صاحبه فيتحد شعورهما ، وتلتقى رغباتهما ، وآمالهما ، هو علاقة دونها علاقة الصداقة والقرابة ، وعلاقة الأبوة والبنوة « هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن » .

٨ — وأوجبت على الرجل أن يبذل للزوجة ما لا سماه الله « صدُقة » ووصفه بأنه نحلة — والنحلة ما يمنح عن طيب نفس بدون مقابلة عوض — ولا ريب أن الصلة بين الزوجين أعلى وأشرف من أن يجعل عوضها دراهم معدودة ، فليس المهر ثمناً ولا فى مقابلة شىء فى المرأة كما يظن كثير من الناس ، وإنما هو آية من آيات المحبة والتقدير وأنه لذلك كان واجباً على الرجل ، وإن اتفق الزوجان على أن لا مهر للزوجة « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » . وقد كان المهر بذلك حقاً للزوجة لا يحل أن يأخذ الزوج منه شيئاً إلا بطيب نفسها . بذلك تقرر لها حق الملكية الصحيحة الخالصة من رقابة الزوج وهيمنته . وهذه درجة منحها الإسلام للمرأة منذ أربعة عشر قرناً فى حين أن النساء فى أوربا وفى القرن العشرين لا يتمتعن بهذا الحق الذى تتمتع به المرأة فى ظل الإسلام .

٩ — وبينت السورة الدرجة التى جعلها الله للرجال على النساء بعد تساويهما فى الحقوق والواجبات ، وأنها لا تعدو أن تكون درجة الإشراف والرعاية بحكم القدرة الطبيعية التى يمتاز بها الرجل عن المرأة ، وبحكم المال الذى ينفقه قياماً بما تحتاج إليه حتى تقوم بما عليها من حقوق الزوجية . وليست تلك الدرجة بدرجة الاستعباد والتسخير كما يصورها المخادعون المغرضون ، وذلك فى قوله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

١٠ — قد أرشدت السورة بعد هذا إلى أن النساء أمام هذه الرياسة منهن صالحات ، ومنهن غير صالحات ، وأن من شأن الصالحات القنوت وهو السكون ، والطاعة لله فيما أمر به ، ومنه القيام بحقوق الزوجية والرياسة المنزلية ، والاحتفاظ بالأسرار التى لا ينبغى أن يطلع عليها أحد غير الزوجين ، وأن هذا الصنف من الزوجات ليس للرجال عليهن شىء من سلطان التأديب .

أما غير الصالحات ، وهن اللاتى يحاولن الخروج على حقوق الزوجية ويحاولن الترفع والنشوز عن مركز الرياسة ، بل على ما تقتضيه فطرهن ، فيعرضن بذلك الحياة الزوجية للتدهور والانحلال — فقد وضعت السورة لردعهن وإصلاحهن وردهن إلى مكانتهن الطبيعية والمنزلية طريقين واضحين : وكلت أحدهما إلى الرجل بحكم الإشراف والرياسة ، وهو أن يعالجها بأنواع من العلاج لكل صنف من النساء ما يليق به ، ويكفى فى ردعه ، وهى الوعظ والهجر والضرب ، فالتى يكفيها الوعظ بالقول لا يستعمل معها الهجر والضرب ، والتى يصلحها الهجر لا يتهاون فى جانبها بالوقوف عند حد القول والوعظ ولا يسرف فيصل به الأمر إلى حد الضرب . وهناك صنف من النساء فى بعض البيئات لا تؤثر فيه الموعظة ولا يكترث بالهجران ولا يصلحه إلا نوع من التأديب المادى . وقد جعل الله الضرب آخر الوسائل التأديبية إشارة إلى أنه لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة ، وقد أساء المتحضرون من أبناء المسلمين أنفسهم فهم هذا النوع من التأديب وجعلوه نوعاً من الطغيان الذى لا يتفق وكرامة الزوجة ، وهم فى الواقع يتملقون عواطف المرأة ، ويتظاهرون بالحرص على مصلحتها وكرامتها ، ونحن نسائل المرأة العاقلة : أى الأمرين أحفظ لحياة الزوجة ؟ ألأن تنال بشىء من العقوبة

(البقية على صفحة ١٢)

من آثار الإسلام فى الهند

تاج محل

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض فى المملكة السعودية



ملنا عن الجادّة الكبرى فى أكراصوب الشرق فرأينا حُجُرات وقباباً متفرقة. ثم دخلنا ساحة واسعة فى جانبيها من الشرق والجنوب رواقان كبيران كأنهما أعدا لإيواء الزائرين والحرّاس. وإلى الشمال مدخل المزار وهو كالمداخل الأخرى، عَقْد رفيع تتصل به حجرات فى طبقتين. وهو أصغر من مدخل مزار جلال الدين أكبر الذى وصفناه قبلا؛ ولكن فيه من الضخامة والعلاء والجمال ما يؤهله أن يكون مطلعاً للقصيدة الرائعة التى وراءه.

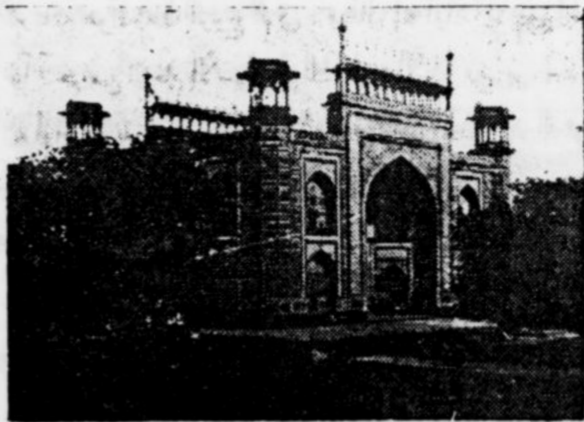
وعلى طاق المدخل الداخلى كتبت سور من القرآن: الضحى، وألم نشرح، والتين. وقد خطت الآيات بخط يختلف كِبَراً وصِغَراً على نسبة بُعده عن الناظر فيرى القارىء ما بَعُد منه وما قرُب بمقدار واحد.

فإذا التفت القارىء إلى الحديقة وأحواضها ونافوراتها وهذا الهيكل الجليل الماثل فى وسطها، ازدحمت على بصره وعقله وقلبه مناظر وأفكار وعواطف تقفه معجباً مرتاعاً.

حديقة فسيحة ناضرة يزدحم فيها الشجر، وتتشابك الأغصان والتاج فى الوسط، وفى أقصى الحديقة إلى اليمين والشمال بناءان تطفو قبابهما من بعيد على هذه اللجة الخضراء. وسنذكرهما بعد. ويشق الحديقة من مدخلها إلى التاج حوض مستطيل اصطفت فيها نافورات يخر ماؤها فى الحوض فتسمع وسوسة تخالها موسيق هذا الجمال أو قصيدة تصف هذا المزار يهمس بها شاعرها.

ويمتد على جانبى الحوض خندقان فيهما نبت وزهر تُناسب نضرتهما واهتزازهما صفاء الماء وترقرقه، ووراء هذين على الجانبين مَمْشَيَان عريضان.

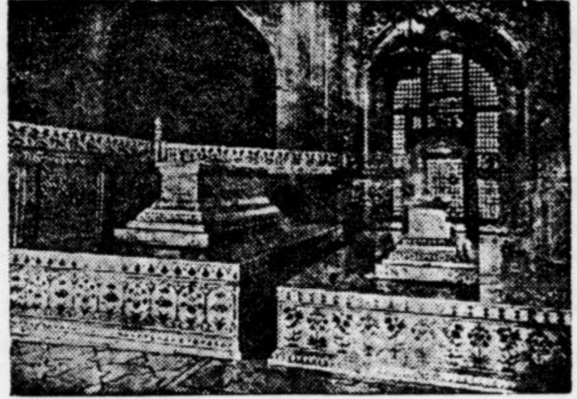
فإذا سار السائر على أحدهما وقفه فى نصف الطريق حوض عال من المرمر يصعد إليه خَمْسَ درجات فى جوانبه الأربعة. وله حافة واسعة يقف عليها الزائر أو يجلس على أحد المقاعد الرخامية الأربعة فى جوانبها فيتأمل فى هذه المرآة الرائعة صورة التاج. فيحار طرفه بين المنظرين، وينقسم إعجابه بين الصورتين. فإذا راقه هذا المنظر جلالا وجمالا وملأه روعة وإعجاباً، هبط إلى التاج، إلى حرم الجمال الماثل أمامه فينتهى المسير إلى دكّة فسيحة من الحجر الوردى تحيط بالبناء تعلو عن الحديقة خمس درجات يتقسمها أحواض الماء ومجار. وفوقها الدكة العليا الرخامية التى هى قاعدة هذا التمثال المسمى بالتاج، فيخلع نعليه إكباراً لهذا الجمال وإجلالا فيصعد إحدى وعشرين درجة إلى الساحة العليا فوق الدكة الرخامية الرائعة. وعلى زوايا هذه الدكة أربع منارات عالية ضخمة كلها من الرخام الأبيض وهى منفصلة عن البناء فى منظر متناسب متناظر، ثم يتقدم إلى الحرم الرائع فى جملته، المحير فى تفصيله؛ إذا نظرت إليه كله راعتك القبة البيضاء وحولها قباب صغيرة فى أركان البناء بينها منارات صغيرة فى جوانبه الأربعة ومنظر الباب والشبابيك الرخامية، أبدعت فيها الهندسة وتم فيها التناسب والتناسق.



مدخل الحديقة التى فيها تاج محل

وإذا تأملت تفصيله، رأيت من دقائق الصنعة فى النحت والتشكيل والتحلية والترصيع والكتابة والتصوير إبداع الصنعة وإعجاز الفن.

وتصعد أربع درجات أخرى ، وتقف أمام البـاب فتقرأ على الطاق العالى أول سورة يس كأنها تعويذة لهذا الجمال من العين ،



قبر ممتاز محل (إلى اليمين) وقبر شاهجهان

ولـكن جمـال الخط فى حاجة إلى التعويذ كذلك . وترى حول الباب سورة «إذا الشمس كورت» . وعلى الطاق من الداخل أول سورة تبارك . وتحتها : «كتبه الفقير الحقير أمانت خان الشيرازى سنة هزار وچهل وهشت هجرى مطابق دوازدهم سنة جلوس مبارك

وترجمة التاريخ :

«سنة ثمان وأربعين وألف هجرية المطابقة السنة الثانية عشرة من الجلوس المبارك» (يعنى جلوس شاه جهان) .

وتدخل وفى النفس ما فيها ، فتخطو خطوات إلى درج يهبط إلى حجرة واسعة فيها قبران . فى وسط الحجرة ضريح (ممتاز محل). ومن أجلها بنى زوجها شاه جهان هذا البناء كله ، وإلى جانبه قبر أكبر منه هو قبر هذا الزوج الوفى . ويقال إنه أراد أن يبنى لنفسه مزاراً آخر من الرخام الأسود على الشاطىء الآخر من نهر جمنه كأنه أراد أن يقوم مزاره أمام هذا التاج فى ثياب الحداد أبد الدهر . ولـكن ابنه وخليفته أورنك زيب (زينة العرش) وكان مقتصداً زاهداً آثر أن يدفن أباه بجانب زوجه .

وترجع إلى الدرج صاعداً لتدخل حجرة فوق الحجرة التى فيها القبران ، وفى الحجرة مقصورة من الرخام المخرم نفيسة المادة جميلة الصورة . كان لهـا باب من حجر اليشب نهب فيما نهب فى ثورة الجنـات .

وفى وسط المقصورة مثالان للقبرين ، وعلى هذين المثالين وجدر الحجرة من الأحجار الثمينة المنزلة فى الرخام على صور أزهار وأشجار ،

ومن الـكتابة الجميلة ، ما يود الزائر أن يقف أمامه لا يبرحه ، وأن يعود إليه عاجلا إذا برحه . وأما الخبراء بالصنعة فلا ينقضى عجبهم وإعجابهم بهذا الإعجاز .

وعلى قبر ممتاز محل هذه العبارة :

«مرقد منور أرجمند بيگـم مخاطب ممتاز محل توفيت سنة ١٠٤٠» (المرقد المنور للأميرة الفاضلة الملقبة ممتاز محل الخ) .

وعلى قبر شاه جهان :

«مرقد منور وروضة مطهر بادشاه رضوان استكاه . خلد آرامكاه أعليحضرت عليين مكانى ، فردوس آشيانى صاحب قران ثانى شاه جهان بادشاه غازى طاب ثراه وجعل الجنة مثواه . درشب بيست وششم شهر رجب سنة هزار وشست وهفت هجرى) وترجمتها :



منظر التاج على نهر جمنه وصورته فى الماء ويظهر المسجد إلى اليمين وجانب من البناء المناظر للمسجد إلى الشمال

(المرقد المنور والروضة المطهرة للسلطان ساكن الرضوان ، نزيل الخلد مَن مكانه عليون ، ومأواه الفردوس ، صاحب القران الثانى ، السلطان شاه جهان الغازى طاب ثراه وجعل الجنة مثواه . فى ليلة السادس والعشرين من شهر رجب سنة ١٠٦٧) .

وإذا ترك الزائر هـذا المقام الجليل وهبط على درجات الدكة الهائلة فتوجه نحو الشمال رأى نهر جمنـه ووراءه المُسَنَّاة(١) العظيمة التى بنيت على النهر لتدعم هذه الروضة وما فيها من أبنية ، ورأى درجاً داخل السور يهبط إلى الماء . وكم أعجب التاج بجماله فى هذا النهر وأولع المصورون بتصوير البناء وعكسه فى الماء .

(١) الأساس يبنى على جانب النهر .

وعلى النهر، فى منتهى الروضة إلى الغرب مسجد جميل أمامه ساحة فسيحة مرتفعة لهـا درج . وهو أسلوب آخر من إحكام الهندسة وإتقان الصنع والتصرف فى هـذا الحجر الوردى الذى بنى به . ولا أشق على القارىء بوصفه .

ويقابل هـذا المسجد على النهر فى الجهة الشرقية بنـاء آخر يشبه المسجد فى جملته وتتصل به أبراج ومنظرات مشرفة على النهر. وقد بنى مناظرة للمسجد ولهذا يسمونه « الجواب » . وهندسة الأبنية التيمورية كلها قائمة على التناظر والتشاكل فلم يجيزوا أن يبنى المسجد فى زاوية من الحديقة دون أن يناظره بناء فى الزاوية الأخرى .

زرت التاج ثلاث مرات فى يوم وليلة . وأود الآن أن أعود إليه فأقيم عنده أياماً . وقد وصفت بعض ما بقى فى الذاكرة منه ووراء هذا ما لا يستطيعه الوصف ، ولا يحيط به البيان . ولعل الصور التى مع هذا المقال تعين القارىء على تصوُّره

***

فى مقال (أكرا) من دائرة المعارف البريطانية :

« عظمة أكرا مستمدة من أجل أبنية العالم : البناء الشمرى تاج محل ... صُوِّرَ التاج ومُـثل أكثر من أى بناء آخر فى العالم . وصُوَره لا عدّ لها . وغاية ما يوصف به أنه حلم من الرخام .

وهو فى التلوين والرسم وصـناعة التحلية والتزيين يفوق كلّ عمارات العالم . ومظهره المتناسب إذا رئى مرة لا ينسى أبداً ولا تُنسَى رشاقة قبابه التى تعلو فى الهواء كفقاقيع من المرمر فى زرقة السماء .

يقول فرجسون فى كتابه تاريخ العمارة :

« هـذا البناء مثال من الترصيع بالأحجار الكريمة الذى صار من أكبر خصائص الفن المنولى بعد موت أكبر .

كل زوايا التاج وكل الأركان والأجزاء المهمة محلاة بالأحجار الكريمة .

إنه أجل وأنفس أسلوب من التزيين عرف فى فن العمارة .

وهذه الزينة مُـفَـاضَـةٌ على القبرين وعلى المقصورة المحيطة بهما ولـكن يُقتصَد فيها فى المسجد الذى يمثل أحـد جناحى التاج وعلى النافورات والأبنية المحيطة .

والمقدرة التى لاءمت بين هـذه الزينات فى الأجزاء المختلفة عظيمة كالزينة نفسها وتدل على مستوى عال فى الذوق والمهارة لصناع ذلك العصر .

ويقول اللورد روبرت فى كتابه « إحدى وعشرون سنة فى الهند » :

لا اللفظ ولا الريشة يستطيعان أن يوحيا لأوسع القراء خيالا أصغر الفكر عن الجمال والصفاء فى هذه الفكرة المجيدة .

وإنى أقول لمن لم يروه : « اذهبوا إلى الهند فالتاج وحده أهل لهذه الرحلة » .

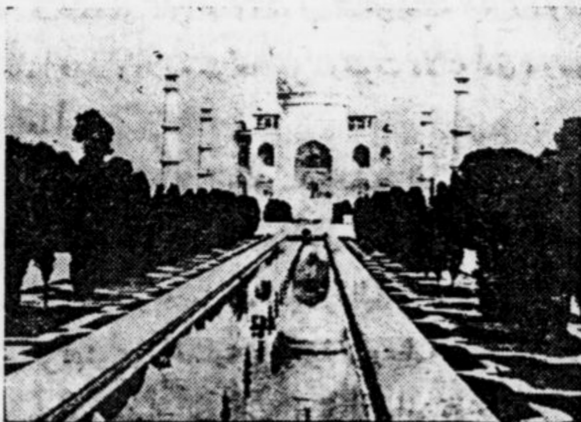
***

وأما أنا فقد سطرت الـكلمات التالية بعد أن زرت تاج محل وعدت إلى دهلى :

وقفة على تاج محل

كم تمنيت أن أقف هذا الموقف ، وكم تخيلت أنى أسرّح الطرف فى هذا المشهد ؛ وكم قرأت حديث التاج ، وسمعت قصة التاج ، ورأيت صورة التاج . فالآن فلـتَرَ العين جهرة ما شاقها إليه القراءة والسماع :

أشجار خضراء ناضرة ، تحيط بِبَـنِـيَّـةٍ بيضاء ناصـعة ، وتشق هذه الخضرة إلى هذا البياض طرق وأحواض ، وفى مطمح البصر إلى اليمين والشمال قباب عالية وردية مطلة على نهر جمنه .



منظر التاج من جهة المدخل

أما هذا البناء الأبيض المشرف وسط هذه الخضرة ، الذاهب فى الهواء بقبته الـكبيرة حولها قباب صغيرة ، وقد لاحت نوافذه

وشبابيكه وعقوده تتنازع العيون والقلوب وقامت حوله هذه المآذن الأربع العالية الجيلة — هذا البناء العجيب لا أدرى ما هو ! !

أقصيدة من الجمال معانيها ، ومن الرخام ألفاظها ، ومن دقائق الصنعة قوافيها وتفعيلاتها ؟ ما أجمل الشعر وما أبلغ الشاعر !

ألحان مجسَّمة ، وأنغام ممثلة ، وأغانيُّ مصورة ؟ ؟

ما أجمل الألحان وما أعذب الأنغام ، وما أحسن الغناء ! !

أماني أبدع فيها الخيـــال ، وآمال انفسح فيها المجـــال ، ثم استحالت حقائق ، وانقلبت هيا كل ؟! ما أبعد الأماني وأعظم الآمال ! وما أشد ما تحقق المحال ! !

أم تلك أحلام ، أم بدائع أوهام ؛ لبست أفانين الرخام .

وما هـذه الخطوط الجيلة ، والنقوش المحكمة الدقيقة التى تحاول أن تشغل العين عن هذا البناء الضخم؟ أهى تعاويذ ورُقَى أم هى محسنات البديع فى هذا الشعر البليغ !

وهذه الطرق التى يستبق فيها الماء والنبت إلى هذا البناء . وهذه المرايا التى تفرح بما تحوى من صور . وهذه المرآة الماجية المظيمة التى رفعت إلى هذا الوجه الجميل ليرى فيها جماله وسحره وفتنته .

ما تلك كلها فى فنون الشعر ؟ ما هى فى ضروب الموسيقى ؟ بل ما هى فى غرائب الأحلام ، وعجائب الآمال والأمانى ؟

***

إنما هـذا كله ، هـذا الذى تراه بناء ، أو لحناً أو غنـاء ، أو أحـلاماً أو أمانى أو أوهاماً — ظاهر باطنه أروع ، ولفظٌ معناه أجمل ، وعلانية سرّها أجمل ، وصوت دلالته أدق ، وصورة معناها أرق .

وإنما باطنه هذان القبران . قبر السيدة التى شيد لها كل هذا الفن ، وقبر الزوج المحب الوفى الذى ترجم عن حبه ووفائه بهذه الأشعار ، مصوغة من الأشجار والمياه والأحجار . ومثّل الفكر البشرى والحضارة الإنسانية ، وعظمة الدول الإسلامية فى بنـاء كعنوان الكتاب ، تقرأ وراءه تاريخاً وتاريخاً ، وقصصاً وعبراً ، على هذا البناء الذى بقى على الدهر تمثالا للجمال والحب والوفاء .

عبد الوهاب عزام

النساء في القرآن الكريم

(بقية المنشور على صفحة ٨)

عند نشوزها فيردها إلى صوابها ؟ أم تترك لتسترسل فى نشوزها فتهدم بيتها وسعادتها وتشرد أطفالها ؟ .

أما الطريق الثانى فهو التحكيم وجاءت آيته بعد آية الطريق الأول للاشارة إلى أنه إنما يكون فى حالة عجز الرجل عن العلاج وعند تطور الحالة من النشوز إلى الشقاق ، وفى حالة ما إذا كان النشوز واقعاً من الزوج نفسه ، وقد خاطب الله بهذا العلاج الأخير جماعة المسلمين تركيزاً لما يجب أن يكون بينهم من التكافل على حفظ الأسر والبيوت . وعلى الحكام أن يقوموا بمثل هذا الواجب نيابة عن جماعة المسلمين .

وطلبت الآية أن يكون الحكمان فى هذا الشأن من أهل الزوجين ؛ وذلك نظراً إلى أن الشأن فى الأهل أن يكونوا أدرى الناس بأحوال الزوجين وأحرصهم على سعادتهما ، وأقدرهم على التأثير فى نفوسهما ، وأحفظهم لما قد يجدون بينهما من أسرار .

وإنك لتجد كل هذا فى قوله تعالى من هذه السورة « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً ، وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا » .

وبعد : فهذه صفحات النسـاء فى القرآن الكريم أقدمها للقراء إجمالا وتفصيلا ، وهى صفحات كما نرى ويرى كل ناظر فيها ، بيضاء نقية تبسط ظل السعادة والهناءة على الحياة الزوجية ، وتكون أسرة قوية فاضلة ، وتبنى مجتمعاً صالحاً يخوض غمار الحياة بقواه الذاتية وشعوره النفسى الدقيق . ولقد كان بودى أن أبسط القول فى شرح تلك الصفحات الإلهية ولكن الإنسان فى هذه الحياة مسخر لسلطان الظروف ، وحسب من يريد الحق هذا الإرشاد ، وكتاب الله قائم بين أيدينا ميسر للذكر والنظر فليرجع إليه من شاء والله ولى التوفيق والهداية .

محمود شلتوت

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد فريد وجدى



منذ أن أعلن العلم الحرب على الدين فى القرن السادس عشر ، لم يَنِ عن مناوأته حيث ثقفه ، اعتقاداً منه أن الدين لا يقوم على أصل ثابت له علاقة بإيصال الإنسان إلى كماله ولكنه قائم على الأهواء التى يبعثها حب الذات فى النفوس ، وعلى الأوهام التى لايمكن أن يقام على وجودها دليل ، والتى يكفى فى دفع سحرها عن العقول نشر العلم الصحيح بين الناس ، والعلم قد بنى على أساس دستوره المعروف ، وهو أن لا يقام لمعقول وزن إلا إذا أيده دليل من الحس ، وأنّى للعقائد الدينية أن تجد دليلا محسوساً لتقيم عليه وجودها ؟

وقد وفق رجال العلم إلى جانب هذا لكشف الكثير من مساتير الوجود ، ودرسوا نواميسها ، وأقاموا عليها مخترعات ووسائل ذات أثر بالغ فى كل فرع من فروع المحاولات الإنسانية؛ فكما ترى أثر العلم فى المدن بادية فى مصنوعاتها ومنتجاتها المحيرة للعقل ، وفى علاجاتها وذرائعها المخففة للآلام ، المزيلة للأمراض ، ترى فى القرى فى آلات الحرث والرى والبذر والتسميد والحصاد والنقل الخ الخ ، فهذه المظاهر كلها أثرت فى العقلية الإنسانية ، وخاصة عقلية المتعلمين تأثيراً عظيما جعل للعلم فيها منزلة القوامة عليها ؛ فإذا بدا لهم مجهول ، أو أعوزهم ترجيح ، رجعوا فيه إلى العلم ، ووقفوا منه عند حكمه ، وقد علمت رأى العلم فى الدين ، فماذا تنتظر أن يكون عليه الناشئون بين حضنيه ، المعولون فى بناء أحكامهم عليه ؟

هذا الأرق لحظناه فى أنفسنا ونحن فى دور الدراسة ، وكابدنا للتوفيق بين عقيدتنا والعلم مشاقَّ مضنية ، وعملنا لنشر ثمرات ماحصلناه كتباً ، ولا نزال جادين فى هذا الطريق ثقة منا بأن مستقبل الإسلام بموافقته للعلم، وأن الذين لا يتطلبون هذه الموافقة ولا يتكلفون لإيجادها مثل ماتكلفناه ، تساورهم الشبهات والشكوك من كل مكان ، وينتهى بهم الأمر إلى الإلحاد .

إن أشد مايصادفه طالب الإيمان من طريق العلم هى مافى الأديان من شئون ما فوق الطبيعة ، فالعلم الرسمى لا يزال قائماً على ماكان عليه من نفيها نفياً باتاً ، وحسبان كل مايتعلق بها من بقايا الخرافات الساذجة ، فالتوفيق بين العلم والإيمان من المحالات البعيدة الوقوع ، لذلك يشيع الإلحاد فى طلبة العلوم الكونية وفى أساتذتهم ؛ ومن كان منهم يعطف على الإيمان بها ، يكون مقوداً إليه بعاطفة لا بدليل ، ولا يعتبر هذا إيماناً فى نظرنا .

فهل من مخرج من هذا المأزق ؟

نعم ، وقد وجد منذ مائة سنة وهوما كشفه العلماء العالميون من خصائص الروح الإنسانية وعلاقتها بعالم ما فوق الطبيعة بعد دراسات عميقة وجهود مضنية صرفوها فى تتبعها فى جميع حالاتها ودونت فى مئات من المؤلفات القيمة .

إن هذه الدراسات العلمية المحضة التى عاداها ولا يزال يعاديها ممثلو الأديان فى جميع الملل ، قد محصت تمحيصاً لم تنله العلوم الطبيعية ذاتها ، وذلك لغرابتها وشدة ما كانوا يكذبون بها . فقد أثبتت هذه الدراسات والتجارب العملية وجود عالم فوق الطبيعة متحكم فى عالمنا الأرضى ، ومصرف له على مقتضى النظام الخاص به . عالم تعلل بعوامله جميع ما عجز الفلاسفة والعلماء عن تعليله فى العالم الأرضى ، وتخيلوا له عللا وهمية أو سكتوا عنه حيرة وعجزا .

كانت الحاجة ماسة جداً فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلى هذا الفتح المظيم فى العلم ، فقد كانت المعلومات التى لم تقبل التعليل قد بلغت حداً مؤيسا ، واكتشف النقدة العلميون جهات ضعف فى العلم نفسه لايمكن الإغضاء عنها .

وقد بين هذا الأمر الأستاذ الكبير (جوستاف لوبون) بأوفى بيان فى كتابه القيم (تحول المادة) الذى ظهر فى سنة ١٩١٠ فقال :

« اذا اتفق أن فيلسوفا من المنصرفين إلى دراسة الموضوعات ذات الحدود المبهمة ، قرأ منذ عـدة سنين كتابا فى العلم الطبيعى كان يدهش من وضوح التحديدات فيه ، وصحة البراهين ، وضبط التجارب ، فكان لايسعه الا الانحناء أمام هذه النتائج الفخمة .

« دامت هذه العقيدة فى المقررات الـكبرى حافظة لقوتها فى العلم العصرى إلى أن حدثت فى الأيام الأخيرة مكتشفات غير منتظرة قضت على التفكير العلمى أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه أبد الأبيد . فان الصرح العلمى الذى كان لايرى صدوعه الا عدد محصور من العقول العالية ، تزعزع فجأة بشدة عظيمة ، وصارت التناقضات والمحالات التى فيـه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث يـكاد لاتبلغها الظنون . .

« وقد صدرت مؤلفات على مثـال الـكتاب الثمين المسمى (العلم والافتراض) لهنرى بوانكاريه ، تؤتينا بالبرهان على ما نقول فى كل صفحة من صفحاتها ، فلقد أرانا هـذا الرياضى المشهور أننا نعيش وسط الافتراضات والاتفاقات حتى فى مجال العلوم الرياضية .

« وقد كتب الأستاذ (لوسيان بوانكاريه) من جهته يقول: انه لاتوجد لدينا نظريات كبرى الآن يمكن قبولها قبولا تاماً ، ويجمع عليها المجربون إجماعاً عاماً ، ولـكن يسود اليوم العـلوم الطبيعية ضرب من الفوضى . . ولم يظهر أن ناموساً من النواميس الطبيعية يعتبر ضرورياً ضرورة مطلقة . والآراء التى كانت تظهر لمن سبقنا انها تأسست تأسساً ثابتاً صارت اليوم لدينا موضوعات تحت المناقشة .

وختم الأستاذ (جوستاف لوبون) الآراء التى أوردها لـكبار العلماء بقوله :

«من حسن الحظ لاشىء أكثر ملاءمة للرقى العلمى من هذه الفوضى ، فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها ، والحجاب الذى يحجبه عنا منسوج غالباً من الآراء الضالة أو الناقصة التى توجبها علينا تقاليد العلم الرسمى . . . الخ »

نقول وفى أثناء هـذه اليقظة من الغرور العلمى ظهر علم ما فوق الطبيعة ، ودرست ظواهره ، ومحصت تمحيصاً دقيقاً ، وتولاها رجال من ذوى الـكفايات الممتازة أوصلوها إلى غايات بعيدة ، وأقعدوها على أصول وطيدة ، بحيث صارت أهلا لأن تخصص لهـا دراسات فى بعض الجامعات الـكبرى كجامعات أكسفورد وكمبريدج ويورك ، وجامعات أمريكية أخرى .

هذه البحوث الروحية التى أمضت قرناً كاملا تحت فحص أعتى العقول البشرية ، وأشدهم شكيمة فى العقيدة المادية ، قد أثبتت وجود عالم روحانى ، وشاهدت حوادث من قبيل تحكم الروح فى المـــادة تحليلا وتركيباً ، وخرقاً للنواميس الطبيعية خرقاً لا هوادة فيه ، فانفسحت أمام أنظارهم منادح النظر العالى ، وأدركوا بالحس فساد النظرية الآلية التى كانوا يعللون بها وجود الـكون المـادى ونظامه واتساقه ، والحياة نفسها وما إليها ، وأصبحت النواميس الطبيعية فى نظرهم ليست بالقوى الأزلية الأبدية التى صاحبت الكائنات فى وجودها ، ولـكنها مظاهر لقوى مدبرة أرفع منها .

هذه المستكشفات الحديثة تفتح أمام العقل الإنسانى حقائق كانت فلسفة العلم المادى قد جعلتها من المحالات العقلية ، مثل وجود قدرة عالية تدبر الـكون والـكونيات ، ووجود روح فى جسم الإنسان مستقلة عنه تخلد بعد انحلاله ، ومثل بعثة أرواح عالية للأمم فى فترات من الدهر سموهم الناس بالرسل ليهدوهم إلى الخيور ، ويزعوهم عن الشرور ، ويمهدون لهم سبيل الارتقاء .

هذه البحوث لم تجتز عتبات الجامعات وتأخذ مكانها فى مصاف العلوم ، إلا لأنهـا قد جاوزت دور الفحص العلمى ، وأصبحت حقائق لا يمكن التمارى فيها .

فالسد الوحيد الذى أراه يقاوم تيار الإلحاد المندفع الذى يكتسح أمامه الأمم والشعوب ، ويلقى بها إلى مكان سحيق من الفوضى والفساد الخلق والتناحر ، هو أن يتضلع علماء الدين من هذا العلم الجديد ، ويستخدموه لحل شبهات المشتبهين ، وكبح جماح المستهترين . وما المانع لهم من ذلك وهو يزيد فى دعوتهم تأثيراً ، ويأتى على حججهم نوراً ، ويقدع من مماطس المتفلسفة الذين يتخيلون أنهم وحدهم الذين خلصوا من أوهام العقائد ، وكل من عداهم يرسف فى أغلالها ويتعثر فى أذيالها ، ويحمل عقله تصديق خيالات لا وجود لها .

هذا الموقف وحده يحفز المدافعين عن العقائد أن يحذقوه لـكم أفواه المتحذلقين من الماديين . فاظنك والضرورة أصبحت تقتضيه نعم تقتضيه لأن انتشار التعليم فى الأمة الإسلامية تتسرب

مرحبا بالتقسيم! مرحى للصهيونية

للأستاذ أحمد رمزى بك



جاء وعد بلفور ونحن فى غفلة من الزمن ، وجاء وعد التقسيم والعالم العربى يتحرك ويتذمر ، مر الأول ولم يشعر به أحد منا ، وجاء الثانى فإذا نحن فى يوم مظلم للصهيونية وساعة قاتمة عليها ، فبراءة من العهود والمواثيق والمعاهدات ، وأذان إلى الأمم العربية أن تقاتل فى سبيل الأرض المقدسة ، فرحباً بالتقسيم ومرحى للصهيونية !

إن يوم التقسيم يوم أسود عليها ، إنه يوم الفصل ، إذ فيه يبدأ الكفاح الحقيقى للعرب فى سبيل كيانهم ووحدتهم وتحقيق آمالهم فى نظام هذا العالم الجديد .

ولا يغرنكم أيها العرب ما ترون من فتور فإنى واثق من أن تسعة أعشار الإنسانية معنا وفى صفنا ، وإن الداء الذى نشكو منه ونئن ، يشكو ويئن منه ملايين من الخلق مثلنا وهم ليسوا بعرب ولا بمسلمين ولكنهم إما ذاقوا من اليهودية العالمية ما جعلهم أعداء الداء لها ، وإما أنهم فى وضع سياسى واقتصادى واجتماعى لا يختلف عن الوضع الذى نشكو منه فى كثير أو قليل فهم جميعاً لهذا السبب ولغيره من الأسباب حلفاء لنا . ولقد جاء التقسيم فكان خير دعاية لنا ، وجاء كفاح العرب ووقفتهم إزاءه لكى يشعر كل طرف من أطراف الإنسانية الواعية الراشدة أن هناك ظلماً يحيق بالعرب وأن هناك كفاحاً وقتالا فى سبيل الحق فرحباً بالتقسيم مرة أخرى !

وهناك أكثر من ذلك ، لقد أمضى أسلافنا وقتاً طويلاً وهم فى حالة ركود وإغماء عقلى لا يشعرون بما كان يحاك حولهم ، بل كانوا ينظرون إلى العالم الخارجى نظرة الرجل المطمئن إلى غده الواثق من جاره وصديقه ، القانع بالتسليم والرضى ، أما الآن فوداعاً أيتها النظرة المطمئنة الوادعة ، ووداعاً هذا التسليم والرضى ، لقد جاء التقسيم فأعلمنا أن هناك قوات تهيم فى الأرض ، أكثر تلاعباً بالألفاظ منا ، وأكثر مكراً وبطشاً وخديعة منا ، وأصبح حتما علينا تطليق النظريات الأولى والفلسفات الشرقية والجمود والخضوع ، والهدوء والرضا . أصبح حتما علينا مواجهة العالم بنظرة جادة وقوة متوثبة ، وعقل جديد ، وهذا من فضل التقسيم علينا إذ أعلمنا أن أى تراخ أو نكوص أو تراجع ، هو جناية منا فى حق أنفسنا ، لأن الأجيال القادمة ستحاسبنا على أى خطأ حساباً عسيراً ، فالويل لنا إذا لم نقف أمام التقسيم ونحاربه .

لقد عاش الشرق فى سنوات الفوضى والجمود والتخاذل ، فإذا بطارق غريب عليه استخف العرب بأمره فى بادىء ذى بدء ، وإذا هو أشد وطأة من حملة نابوليون وجنوده ، وأخطر من بريطانيا وجبروتها ، وأعمق من إيطاليا وجحافلها السوداء ، وأقوى من فرنسا وقوادها . لقد تشجع هذا الطارق فإذا به يدق الأبواب بشدة لم تعهدها آذان أهل المشرق منذ الاسكندر وقيصر ، ظناً منه أنه يرعب الشعوب التى وقفت تحارب أوربا ، وقضت على ملك الإغريق وبيزنطة ورومية ، وساقت الأسرى من الحروب الصليبية لتزين بهم قصور الهند وآسيا ، فإذا بالنائم يستيقظ وإذا بنا نبعث بعثاً من جديد ، وإذا بالطارق يدفعنا دفعاً ليحرك الجموع ويرتب الصفوف ويخلع علينا حلة جديدة من الكفاح ، فرحباً به !

إن النفوس التى وقفت تقارع الاستعمار الأوربى بأساليبه المختلفة تتقدم اليوم لتقارع الصهيونية بأساليب وأسلحة لم يكن يحلم بها

معه كثير من الشبهات القوية على وجود الروح والملأ الأعلى ، وهذه الأمور كلها أحاطها الماديون بشبهات لا يقوى على محقها إلا هذا النور الجديد ، الذى أشرق من صوب المباحث النفسية . فإذا أهملوا الاستفادة منه اضطروا للاقتصار فى دفاعهم عن الدين على استعمال الأسلحة القديمة وقد أصبحت لا تغنى حيالها شيئاً فيكونون قد رضوا لأنفسهم فى هذا الصراع المنيف بين الإسلام والإلحاد بهزيمة ساحقة .

محمد فريد وجدى

واضمو قرار التقسيم فأهلاً به .

لقد كنا نقنع بأن الأعمال التى تمت فى هذا الركن من العالم فى غضون هذه السنوات كافية ، وكنا نقارن أنفسنا بما كان عليه أسلافنا .

فنقول ها قد أصبحنا أكثر انطلاقاً منهم فى أشياء ، وها قد حقّقنا لبلادنا ما يشبه بعض ما تتمتع به المجموعات الراقية من مظاهر السيادة والقوة والسلطان ، فأصبح لنا دستور وجيش ونظام مالى . أما اليوم فلم نعد نقنع بالأقوال ولا بهذه المظاهر : إننا نصارح الدنيا والتاريخ ونقول :

إذا كانت حملة نابوليون بداية سيطرة أوربا علينا بنفوذها المادى ، فإن مجىء الصهيونية بداية الوثبة الكبرى ، بداية التطور المادى والعقلى معاً استعداداً لكسب معركة الشرق فى أرض فلسطين والتحرر النهائى من سيطرة أوروبا علينا .

إننا ذقنا طعم الانتصارات الحربية ولمع فيها اسم صلاح الدين وبيبرس ، وقدمنا الضحايا بالملايين فى مدى قرنين من الزمن ، وبرهنت المعارك أن الدماء التى تجرى فى عروق أبطالنا وشهدائنا أقوى وأشد من دماء فرسان أوربا ، ونحن على استعداد لخوض معارك جديدة ، وتقديم الضحايا بالسخاء الذى عرفته الحروب الماضية ، ولكننا نرحب مرة أخرى بالصهيونية ، ونقول لها مرحى ! لماذا ؟ لأن حكم الغرب وجبروته وسنوات الاستعمار لم تدفعنا إلى الأمام إلا فى الطريق المادى . أما الحرب القائمة الآن مع الصهيونية والمنظمات اليهودية العالمية فستدفعنا إلى ما هو أبعد وأقوى إلى تحطيم الجمود العقلى الذى فرض نفسه علينا . نعم لأجل فلسطين ولكى نكسب حربها ومعاركها سيسترد الشرق استقلاله الفكرى وحريته العقلية ، وسيخرج من ربقة الاستعمار الذهنى وهو بعقل أوروبى أكثر مضاء وتعمقاً مما يتوهم الأعداء ، نعم سينشىء ويبنى وينظّم ويقود لينتصر انتصاراً يهز العالمين : أوربا وأمريكا .

فقل للذين يشكون فى هذا أن يخرجوا أقلامهم وأوراقهم ويقيدوا ما أقول : لم تعد تبهرنا السياسة التى تصب لنا الأشياء فى القالب الذى يرضى الاستعمار وأهله وأذنابه وتقول لنا هذا من عند أنفسكم .

لم تعد تجدى معنا أساليب تحريك الأطماع والغرائز وتقديم أشباه الرجال ودعاة التفكك . لقد شببنا عن هذا الطوق !

ونهمس مرة أخرى فى آذانهم فنقول :

إذا كان الاستعمار الأوربى لم يجمل منا بعد مائة وخمسين عاماً رجال عقل وفكر وإرادة ، فقد تكفلت الصهيونية بهذا إذ نقلتنا نقلا من عالم أشباه الإنسان إلى عالم الإنسان ، وكان ذلك بمحض إرادتنا للتغلب عليها وإقصائها عن أوطاننا .

فإذا ترك الاستعمار بلاد الشرق فوضى وأهلها يحطمون بأيديهم ما بنوه واتهمنا بأنا نسير على غير هدى ونعمل تحت وحى تيارات الساعة ، ومصلحة الأحزاب وإيحاء صحافة هدامة ، فليطمئن دعاة الاستعمار وأذناب الصهيونية علينا : من هذا أو أكثر بعد اليوم .

ألا فليؤمنوا أن دروس الحقائق الكبرى التى ألقتها علينا الصهيونية فى فلسطين تعدل ألف درس مما ألقاه علينا الاستعمار الأوروبى . فإذا كنا لم نحطم الأصفاد والأغلال التى وضعتها أوربا يوماً فى أيدينا وأعناقنا فإن قضية فلسطين أصبحت جديرة بأن نكسبها ، وفى سبيل كسبها حطّمنا الأغلال والأصفاد ووثبنا الوثبة التى لا يمكن أن ترد .

أندرى ماذا علمتنا فلسطين ؟

علمنا الصهيونيون أن العلم قوة ثورية هائلة على الأرض ولهذا ملكتنا عقيدة الاقتدار والانتصار بالعلم .

نعم سيكون العلم فى حياتنا سلاحاً قاطعاً فيصلا لحل مشا كلنا مهمم .

لقد تعلمنا أن الظروف المحيطة بنا لا تُخلق حسب أهوائنا حتى تحل متاعبنا طوع إرادتنا ووفق أهوائنا . وعلمتنا فلسطين كيف ندرس كل حالة ونتعرفها ، وتعرّف الشىء تكييفه بناء على طريقة منظمة وتبعاً لمنهج منطقى تحليلى . فالفضل لكم يا أهل صهيون ولأطماعكم إن أصبح الشرق قوة يحسب لها حساب . لقد أخذنا عنكم أن المنهج هو القوة الوحيدة النهائية الفاصلة التى لا تحد والتى لا يمكن أن يثبت أمامها شىء فى الوجود أو تعترضها معضلة من غير أن تجد لها حلا ، لقد أخذتم عن الغرب روحه وعقله وأتيتم إلينا تطبقون هذا على أراضينا .

أما نحن فقد وقفنا نفكر علمياً ومنطقياً لندفع بالفكر العربى حتى يتعرف نفسه فى كل شىء ، وليبسط نفوذه ومضاءه وقوته

حتى نعيدكم إلى الأقطار التي جئتم منها :

إنكم دفعتم العرب إلى الثورة مرّات قبل اليوم وكنتم تنظرون إليهم نظرة المتفرج ، أما اليوم : فستكون الثورة الكبرى في هدوء ونظام تسير على برامج وتضبط في المعامل وتقرن بالأرقام

ستكون ثورتنا وليدة المصائب التي حلّت بنا ، وخاضعة للعقل الذي قيّد كلّ ما فرطنا فيه فوضع الخطط لسنوات قادمة ولأجيال مقبلة

ولذلك سنجعل لكل يوم عملا كما يناسبه ، ولكل شهر كفاحاً يتفق مع مراميه ، ولكل سنة حرباً تتطلبها تلك السنة .

لقد جربتم حظكم معنا في وقت لم نكن نفهم فيه أو ندرك شئون عالم يتطور . أما اليوم فاسمعوا وا كتبوا ما أقول :

إننا سنتبع التفكير بالمنهج ، والمنهج بالحركة ، وسنعرف كيف نسيطر على الظروف ، لا بل كيف نستبق الزمن ونلين الطبيعة ونتعرف قوانينها وعلاقاتها بالأشياء ، لأننا سنلاقيكم اليوم وغداً وبعد غد ، وسترون أننا في كل مرحلة سيكون التلاقي على صعيد أنسب لنا وأقرب إلى جعل النصر تحت متناول يدنا . وتلك سنة جديدة لنا لم تعهدوها في الماضي عنا .

لقد طالما سمعنا كم تُرددون : وماذا تصنع بلاد العرب التي تهدمها عوامل التفكك والانقسام ويؤخرها التشيع الذي يقتل جهودها ويقصي النافعين من أبنائها ، ألم تروا كيف تحكمت فيهم الأغراض والمساوىء: فأصبحت بلادهم ضعيفة مستأمنة خاضعة طائعة

ونحن الذين عانينا ما تقولون نؤكد لكم أن قتالكم فرض علينا ، وأن هذا القتال سيجعل من كل قطر عربي مجتمعاً منسجماً للوثوب ، فلن تنتابه بعد اليوم عوامل الهدم التي عهدتموها ثقوا أننا أخذنا أسلحتكم كما أخذتم عن الغرب أسلحته ، فالويل لكم منا بعد اليوم . إننا نسلّم بأن فيكم رجالا كانوا قادة وبناة من الطراز الأول ، وأن هذا الوطن الذي تحاولون إنشاءه على نهر من الدماء هو من صنع تفكيرهم .

ولكن حلمهم لن يتحقق ، ولن تقسم البلاد العربية إلى شطرين الشطر الإفريقي والشطر الأسيوي ، هذا لن يكون أبداً . لأن منا رجالا قد أخذوا على أنفسهم العهود والمواثيق لكي يحولوا دون ذلك ، وهم من مدرسة جديدة لن تجدوا لها قبيلا في منظماتكم . أتدرون كيف هم: إني آتيكم بنبأ عنهم : هم قوم فيهم التضحية إلى أقصى حدود التضحية ، ولكن بغير نفسية الاستجداء والضعف ؛ حماستهم ثبات وهدوء ، ووقفتهم في القتال رائعة ، سيقدمون البذل كفرض عليهم ، كما فرض المسلمون الأول الجهاد والتضحية والبذل على أنفسهم ولذلك لم يعرف عنهم أنهم ولوا الأدبار ؛ كذلك رجالنا .

نفوسهم عالية : يُعلّمون ويتعلمون ، يُدرّبون ويُدرَّبون ، يحاضرون الغير وينصتون للغير ، ويُلقون الدرس ويتلقونه عن الغير . فيهم قوة الملاحظة وهدوء الأعصاب ، تلمس اليقظة مع الوعي فيهم ، وقوة الارادة مع التواضع ، ولذلك يسيرون إلى الموت بالتهليل والتكبير والفرح والغبطة : إنهم الطليعة الأولى .

أعرفتم أيام الإسلام في فجره ؟ أعرفتم أنه بدأ غريباً وقامت قيامة الدنيا عليه ، فتغلب على الدنيا وقيامتها ، كذلك طلائعنا اليوم سنعيد أمجاد الطلائع الماضية : سيكون فيها المتحمسون والرواد والمحاربون والشهداء ، نعم نسير لننتصر ، ونموت لنحيا قلوبهم عامرة تشبه قلوب الطلائع الأولى ، ستأتي زرافات إليكم من الأرض والهواء والبر والبحر طلباً للشهادة في الأرض المقدسة التي وعدنا بها . أليست أرضنا وبلادنا ومنزل الوحي عندنا ؟ فأين أنتم منا ؟

أحمد رمزي

دين الله واحد

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى



إن جميع الرسالات الإلهية التى أرسل الله بها الرسل لهداية الناس إنما يقصد بها أمران :

أحدهما : تقرير الواقع فى شأن الألوهية وما يصدر عنها من إرسال الرسل ، وتنزيل الكتب ، والبعث والجزاء ...

والآخر : هو التدرج بالناس فى مدارج الكمال ، ومدهم بالأحكام التشريعية التى تصلح بها أحوالهم ، وتستقر بها سعادتهم ومن الطبيعى أن تتفق الرسالات كلها فى الأمر الأول لأنه رجوع بالبشر إلى شىء متقرر ثابت لا يختلف باختلاف العصور والأحوال ، وأن ينحصر الخلاف فى دائرة المناهج والشرع التفصيلية التى تتغير بتغير الزمان ، ويتدرج الإنسان فى مراتبها بحسب أطواره وبيئاته ودرجة رقيه فى العقل والتفكير . ولذلك كان « الدين » واحداً على لسان كل رسول بعث ، وكانت « الشرائع » مختلفة فى تفاصيل الأحكام والتعبدات « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »

وقضية اتحاد الدين على اختلاف الرسل قضية يقررها القرآن الكريم فى كثير من المواضع ، ويكررها على أساليب مختلفة ، لتستقر فى النفوس ، وتؤمن بها القلوب ، ويعلم الناس أنهم جميعاً على كلمة سواء ، وأنه لا مبرر للتفرق والتنازع والعصبيات .

يقول الله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » .

وهذه الآية تفيد أن أصول الدين ثلاثة :

١ — الإيمان بالله على وجهه الصحيح الذى بين فى آيات أخرى ، بأن يشهد الإنسان أن لا إله إلا الله ، ولا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يوالى ولا يعادى إلا فيه ، ولا يعمل إلا لوجهه ...

٢ — الإيمان باليوم الآخر ، بأن يعتقد أن الله سيبعث الناس من الأجداث ليحاسبهم على ما قدموا من خير أو شر فيكافىء المحسن على إحسانه ، ويجزى المسىء بإساءته .

٣ — العمل الصالح الذى من شأنه أن يسعد المجتمع البشرى ويزيل الشرور والفساد ، وينشر الطمأنينة والأمن ، ويمكن كل إنسان من أداء واجبه وأخذ حقه على وجه سليم لا يفضى إلى نزاع ، ولا يؤدى إلى ظلم .

هذه هى أصول الدين التى يتفرع منها كل ما سواها ، وقد تضافر رسل الله أجمعون على تبليغها ، وبذل كل واحد منهم فى سبيل تقريرها والتمكين لها ما ملكه الله من جهد وآتاه من عمر ، وتلقوها عهداً من الله يبشر فيه سابقهم بلاحقهم . ويؤيد لاحقهم سابقهم ، وفى ذلك يقول الله عز وجل « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

والقرآن الكريم يسوق لنا قصص الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى أقوامهم فنجد الرسالة التى جاءوا بها تكاد تتفق حتى فى الألفاظ التى تحدث بها كل رسول :

ففى سورة « هود » يقص الله علينا أن نوحا قال لقومه : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون » .

وأن صالحا قال لقومه : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » .

وأن شعيبا قال لقومه : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان » .

ويقص القرآن الكريم علينا مثل ذلك أيضاً فى سورة الشعراء : يذكر نوحا وقومه فيقول : « كذبت قوم نوح المرسلين إذا قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله

وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إنْ أجرى إلا على رب العالمين » .

ويذكر هودا وقومه فيقول : « كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين » .

ويذكر بهذا النص نفسه صالحا وقومه ، ولوطاً وقومه ، وشعيباً وقومه ، فيبين لنا أنه لا اختلاف حتى فى التعبير ، ولذلك يقول الله عز وجل : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة » .

وكما نجد هذه الوحدة فيما دعا إليه الرسل قد تناسقت حتى ظهرت فى الألفاظ والعبارات التى عُبر بها عنها ، نجد أقوام هؤلاء الرسل جميعاً يكادون يتفقون فى الرد على هؤلاء الرسل ومعارضتهم فى دعواهم ، وفى مقدمتهم السادة والكبراء :

فالملأ من قوم نوح يقولون : « ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادئ الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » .

ويصل الأمر بهم فى التحدى إلى أن يقولوا : « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين »

وعادٌ يقولون لنبيهم « يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » .

وقوم صالح يقولون له متهكمين : « يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ، أتنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب » .

وقوم شعيب يقولون ساخرين : « يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما كان يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ؟ إنك لأنت الحليم الرشيد » .

ويصل بهم الأمر إلى أن يقولوا له : يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز » .

وهكذا تشابهت قلوبهم ، وتوافقوا على رفض الدعوة بأسلوب واحد ومعنى واحد ، ولذلك يقول الله عز وجل : « وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون » ويقول : « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ، أتواصوا به بل هم قوم طاغون » .

ومالنا نذهب هذا المذهب والقرآن الكريم يعلن فى كثير من الآيات وحدة الدين على نحو قاطع إذ يقول : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

ويقول : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما » .

بل يذهب إلى أبعد من ذلك فى التحديد والتوحيد فيعلن أن دين الله منذ كان هو « الإسلام » ، ولن يقبل الله سواه ، وأن الذين اختلفوا فيه من أهل الكتاب إنما كان اختلافهم بغياً وتجاوزا وكفرا « إن الدين عند الله الإسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ، فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

والإســـلام فى الأصل معناه الانقياد والخضوع ، وقد استعمل بهذا المعنى فى القرآن الكريم ، فكل من « أسلم وجهه لله وهو محسن » أى استسلم لأمر الله ورضى به وعمل صالحاً ، فهو فى نظر القرآن مسلم ، ولذلك جعله الله مقابلا للشرك فى مثل قوله : « قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاء فى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين » وجعله مقابلا للكفر فى مثل قوله « أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » كما وازن بين المسلمين والمجرمين فى قوله : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » ووصف الدين القويم بقوله « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » والقول القويم بقوله « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين » وتحدث عن عباده المؤمنين الذين سيدخلهم الجنة يوم القيامة من سائر الأمم بقوله « يا عباد لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون » .

وقد جاء فى القرآن الكريم وصف كثير من الأنبياء، ومن أرسلوا إليهم « بالإسلام » : فنوح يقول : «وأمرت أن أكون من المسلمين » وإبراهيم وإسماعيل يدعوان ربهما قائلين « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » ، ويقول الله لإبراهيم : أسلم فيقول : « أسلمت لرب العالمين » ويصفه الله بأنه « كان حنيفاً مسلما » ، ويوسف يدعو ربه فيقول « أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » ، وسليمان يكتب إلى أهل سبأ « أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين » ويقول لقومه « أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين » وملكة سبأ تقول : « وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » وموسى يقول لقومه «يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين» وفرعون حين يدركه الغرق يقول « آمنت بالذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » وقد وصف الله قرية لوط بقوله « فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » وقص علينا فيما حكاه عن الجن أنهم يقولون : « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رَشداً » .

بهذا كله يتبين أن « الإسلام » على لسان هؤلاء جميعاً ، وفى هذه الاستعمالات كلها ، هو الانقياد لله والخضوع له فى العقيدة والعبادة والعمل خضوعاً لا يعرف الشرك ولا الواسطة ، ولهذا يعتبر الله جميع الأنبياء وجميع الذين أوتوا الكتاب مسلمين بهذا المعنى فيقول عن الأنبياء « يحكم بها النبيون الذين أسلموا» ويقول عن أهل الكتاب « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين» ويقول عن الذين كفروا بعيسى وزعموا أن ما جاء به من البينات سحر « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام » ...

ولهذا أيضاً يقول القرآن الكريم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم : « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين » .

ويأمر المسلمين أن يقولوا « آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

ويأمر بتوجيه الدعوة إلى أهل الكتاب على هذا النحو فيقول « قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

هذا هو دين الله الذى جاءت به كل الرسل ، ونزلت به كل الكتب ، وقد كان دين محمد صلى الله وسلم هو خاتمة هذه الرسالات كلها ، وهو الذى أثبتها ، ولولاه ما عرف أمر رسول عن طريق تطمئن إليه القلوب ، وهو الذى نقاها مما أضيف إليها ، ولولاه ماعرف صحيح من زائف ، وهو الذى أتى بالشرعة الصالحة المناسبة لما وصل إليه الإنسان من رقى فى العقل والتفكير والمعرفة ، ولولاه لظلت البشرية تتخبط فى ظلمات الأهواء والشهوات والعصبيات ، ولهذا كله تمحض معنى الخضوع لله والانقياد لأمره على ما رسم لعباده فى دين محمد صلى الله عليه وسلم فصار لفظ « الإسلام » علماً عليه ، وأنبأنا الله أنه هو الذى ارتضاه بقوله فى أواخر ما نزل على الرسول « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » فلم يعد لأحد من البشر بعد ذلك أن يرفضه زاعماً أنه مؤمن بسواه ، فإنه هو الدين وليس له « سوى » ، ومن آمن به فقد آمن برسالات الله كلها ، ومن رفضه فقد رفض رسالات الله كلها ، تلك هى الحقيقة ولن يستريح أهل الأرض حتى يؤمنوا بها ، ويبنوا حياتهم وعلاقاتهم على أساسها « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

محمد محمد المدنى
المدرس فى كلية الشريعة

ضاق هذا العدد عن طائفة من المقـــالات القيمة فاضطررنا إلي إرجائها للعـــدد المقبـل

ويحكم هبوا !

للأستاذ محمود محمد شاكر



أيها العرب !

أيها المسلمون !

إنكم لا تغلبون اليوم عن قلة ، ولئن كتب الله عليكم أن تغلبوا فإنما تغلبون بإثم ما اقترفت نفوسكم ، وما اجترحت أيديكم ، وما فرطت عقولكم ، وما نسيت قلوبكم ، وما أضعتم من حق تؤدونه لأنفسكم وأسلافكم وذريتكم ، ووالله ما أراكم تغلبون عن جهالة ، فقد وهبكم الله عقولا راجحة ، ونفوساً حرة ، وعزائم قد أذلت لكم أعناق الأمم منذ كان لكم في الأرض شأن يذكر .

وإن الله مبتليكم بمحنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة ، بل هي محنة لعامتكم وخاصتكم في نواحي الأرض ؛ فإن أحكمتم الرأي وصدقتم العزم ، وعرفتم عدوكم من صديقكم — ولا أرى لكم في هذه الدنيا صديقاً — فقد آن لكم أن تنهجوا للبشرية منهجاً مستقيما وصراطاً سوياً . فلا تقولوا إنما نحن ضعفاء ، فالضعيف من ظن في نفسه الضعف وإن كان أقوى الأقوياء ، ولا تقولوا إنما نحن جهلاء ، فالجاهل من استهزأ بالعلم وتهاون في طلبه وإن كان أعلم العلماء ، ولا تقولوا إنما نحن فقراء ، فالفقير من جهل أن الله قد آتاه العزم والجلد والعقل ، وإن كان أغنى الأغنياء . فاصدقوا أنفسكم وثقوا بالله الذي امتحنكم بهذه المحنة ، فإنه ناصركم على عدوكم ، ومخرج لكم من خبء أنفسكم خيراً كثيراً قد غاب عنكم وعن الناس دهراً طويلا . وإياكم والخوف ، فإنه الآفة الملتهمة ، وما استشعر الخوف عزيز إلا ذل ، ولا قوى إلا خار ، ولا أبي إلا تضرع لكل خسف يراد به .

انظروا ! فهذه فلسطين قد اجتمعت الأمم على أن تمكن فيها لأنذال يهود مكاناً يتبوأه طغاة المال وطواغيت الفجور وأبالسة الشر ، وقد أخذوا يمدونهم بالمال والسلاح ليقهروكم وتكون لهم الكبرياء في هذه الأرض .

وانظروا ! فهذه دولة الباكستان قد اجتمعت فيها كلمة المسلمين على أن يكونوا أمة عدتها مئة مليون ، فإذا عباد البد (بوذا) قد دمروا عليهم من كل مكان يذبحونهم ويقتلونهم ويفتكون بالنساء والأطفال ، ويهتكون أعراض الحرائر ، ويدخلون على المصلين في مساجدهم فيضعون السيوف في رقابهم والخناجر في ظهورهم ، ويغتالون الآلاف من الآمنين ، والدنيا كلها تسمع وتبصر ، فلا تجد فيهم منكراً ولا مستبشعاً ولا معترضاً على ضراوة عباد البد .

وانظروا ! فهذه أندونيسيا تجمع هيئة الأمم المتحدة على تركها فريسة للطغاة البغاة من شر ذمة الخلق الذين يسمون بالهولنديين . ويزعمون لكم أن مجلس الأمن قد أمر بوقف القتال ، فإذا هولندة تضرب صفحاً عن حكم هذا المجلس ، وتوغل في تقتيل هؤلاء المساكين بالنذالة المعهودة في المستعمرين الذين لا يفرقون شيئاً بين هؤلاء البشر وحيوان الغاب ، بل لعلهم بحيوان الغاب أرحم ، وعليه أحرص ، إبقاء على جلده أو فروه مما يرتفقون به في صناعة أو تجارة .

وانظروا ! هذه بلاد المغرب من حدود مصر إلى أطراف المغرب الأقصى قد ضربت عليها فرنسا بالأسداد ، وحمت عنها كل بارقة من خير ، وسامت أهلها عذاب التقتيل والاضطهاد ، وسلبتهم كل قوة تتيح لهؤلاء الأبطال الصناديد أن يعيشوا في بلادهم عيشة الكفاف ، وشردت كل من دعا قومه إلى المطالبة بالحق المغصوب ، وأرادت أن تجعل هذه البلاد الشريفة ذيلا ملحقاً بالجمهورية الفرنسية .

وانظروا ! فهذه مصر والسودان قد فغر لها الوحش البريطاني يريد أن يقضم السودان قضمة واحدة ليجعله قطعة من أوغندة وجنوب إفريقية ، ويدع مصر ترعة إن شاء منع عنها الماء حتى يقتل أهلها جوعاً وظمأ ، وقد قضى في ديارنا أكثر من خمس

وستين سنة حتى هدم كيانها . وسلط عليها لصوص الأجانب واليهود ، حتى ما تكاد تجد مصر حيلة فى سن القوانين التى تحمى بلادها من استبداد اللص الطارىء بصاحب البلد المقيم .

انظروا لكل بلد تنطق فيه العربية ، أو يذكر فيها اسم الله مقروناً باسم محمد صلى الله عليه وسلم ، تروا حرباً تشن على أهل العربية والإسلام بلا هوادة ، وبأوقح الأساليب وأخفاها :

أيها العرب ! أيها المسلمون !

إنها الحرب . إنها الذابح ! إنها الحالقة التى أجمعت أمم أوربة وأمريكا أن تستأصل بها قوتكم وتجعلكم عبيداً أذلاء فى أرض الله . إنها الفتن المظلمة التى أطبقت عليكم من كل مكان ، فجعلت فيكم رجالا ونساء وخلقاً كثيراً صاروا عدواً لأنفسهم وبلادهم وإخوانهم ، جهلا وعناداً وتقليداً وسوء رأى .

إنه لم يبتل قوم فى تاريخ هذه الدنيا بمثل ما ابتليتم به ، فقد مضت القرون وأنتم فى غفلة عن عدو قد استفحل أمره واستوت قوته واستمر مريره ، فدخل عليكم بلادكم فاستعبدكم فيها وحاربكم بعلمه وجهلكم ، وقوته وضعفكم ، واجتماع كلمته وتخاذلكم ، فلما أفقتم من الغفوات الطويلة لم تجدوا فى أيديكم مالاً ولا سلاحاً ولا علماً ، فليس لكم منذ اليوم إلا الشىء الذى هو أقوى من المال والسلاح والعلم : الإيمان بحقكم ، والصبر على لأواء هذه الحرب الضروس . فآمنوا واصبروا ، فإن قوة الإيمان وحدها تدمر حصون البغى ، وتدفعكم إلى طلب المال والسلاح والعلم ، وتطهر قلوبكم من كل ضعف ، ولا تأسوا على قتيل فى هذه الحرب ، فإن كل دم يراق من دمائكم إنما هو غيث تتناثون به يغسل عنكم أدرانكم ، ويسقى ثرى جف ، فينبت لكم أبطال الوغى وصناديد القتال فى كل ميدان من ميادين هذه الحرب .

أيها العرب ! أيها المسلمون !

اطلبوا المال من وجوهه ، ودبروا أمركم فى حياتكم ، فإن المال قوة غاشمة تصارع أقوى قوى الطبيعة التى لا يقف دونها شىء . واطلبوا السلاح من حيث استطعتم ، فإن السلاح ناصر من لا ناصر له إلا قوته ، فأنشئوا المصانع والمعامل وأخفوا أمركم حتى لا يطلع عليه العدو الذى يعيش بين ظهرانيكم من الأجانب واليهود . واطلبوا العلم حيث استطعتم ، فالعلم حياة ابن آدم ، لا حياة له بدونه ، وهو عون المال والسلاح والحافظ عليهما والقائم بأمرهما . وكل طالب علم فهو مجاهد فى سبيل الله وفى سبيل أهله وبلاده ، فلا تفتروا عن طلبه . وليعلم كل طالب علم أو مال أو سلاح أنه إنما يفعل ذلك لأمرين : أولهما تحقيق معنى الكرامة الإنسانية ، والآخر تحقيق الحرية لبلاده وأمته .

أيها العرب ! أيها المسلمون !

لست أكتب لكم لتقرأوا ، ولكنى أنذر قومى فى ساعة لا ينبغى للمرء فيها إلا أن يصدق أهله . أنذركم بعداوة الأمم لكم ولمجدكم وتاريخكم ، فربيوا لهم أضغانكم وغذوها وحوطوها ، ونشئوا صغاركم على بغض هذه الأمم التى حشدت لكم عصبية الجاهلية ، وعصبية الصليبية ، وعصبية الاستعمار ، وعصبية الألوان . أرضعوا كل مولود لبان الأضغان والأحقاد على هؤلاء الطغاة ، وأمروهم أن يعيشوا فى هذه الأرض لشىء واحد هو أن يقاتلوا أهل البغى والعصبية حتى تستأصلوا هذه الشأفة الخبيثة من أرض الله التى أورثهم إياها قائمين بالقسط والعدل والرحمة وإيتاء كل ذى حق حقه . وإنه لا ينجيكم من هذه البلية إلا أن تتمرسوا بصدق العداوة ، فهى التى توقظ فيكم كل عزيمة غافلة ، وتهديكم إلى مواطن الضعف فى نفوسكم ، وإلى مكامن الغدر فى نفوس أعدائكم ، ومن جهل مواطن الضعف فى نفسه كان خليقاً أن يصاب منها ، ومن عمى عن مكامن الغدر فى نفس عدوه كان قميناً أن يرتكس فى مهاويها . لقد فضح الصبح أعداءكم وأضاء لكم عن خبايا قلوبهم ، فلا يكن أمركم عليكم غمة ، فأنتم بين اثنتين : إما المكاشفة بالعداوة السافرة فى غير مداورة أو سياسة ، وإما أن ترضوا لأنفسكم أن تصيروا طعمة لهذه الأمم الباغية على الشر ذمة اللئيمة من إسرائيل . وما أظنكم ترضون الثانية ، فليس لكم إلا الأولى .

أيها العرب ! أيها المسلمون !

لقد انقضت دهور وأنتم تساقون إلى قدر لا يعلم غيبه إلا الله ، فاستبد بكم قوم أولى ضرار وبأس شديد ، فأفسدوا قلوب جمهرة من أبنائكم وذراريكم ، فنشأت تحت ظلال هؤلاء الطغاة ناشئة من أنفسكم تعاظم أمرها ، وصار لها فيكم مكانة تتبوأها ، وكل ذى مكانة أو سلطان أو ثروة فهو ملىء بأن يخدع الجماهير ، وهم أسرع إلى طاعته ومتابعته فيما يخدعهم به ، فاحرصوا على ألا تتبعوا الرجال على أسمائها بل اتبعوا الهدى وإن جاءكم على يد

المحتاج الراغب ، وتبينوا الدليل عليكم من الناصح لكم . ولا تقولوا هؤلاء سادتنا وكبراؤنا ، فما أضل البشر إلا سادتهم وكبراؤهم . ولا ترددوا إن رأيتم معوجاً أن تقوموه مهما بلغ من الشأن ، فإن تقويمكم إياه أبقى له وأجدى عليه . ولا تخروا على آراء السادة والكبراء صما وعمياناً ، بل اسمعوا نبضات القلوب ، فرب لسان ينطق بالخير وهو ينبض بما فيه فسادكم وفساد أمر بلادكم . وأبصروا وتبصروا ، فإن لا يعطى القيادة إلا السائمة التى تقودها عصا الراعى لا العقل والإدراك . احملوا سادتكم وكبراءكم على وضح الصراط ، فكل ضال منهم سوف يضل خلقاً منكم كثيراً ويورده موارد الهلاك .

أيتها العرب ! أيها المسلمون !

إنها ساعة فى تاريخكم ليس بعدها إلا النصر أو الهزيمة ، وكل امرئ منكم يحمل تبعة لا يسقطها عنه عذر ، ولا يعذره أداء حقها شيء . وأنتم أربعمئة مليون نسمة لا عصابة قليلة فى الأرض ، فإن كنتم صفاً واحداً وبنياناً مرصوصاً ، فاعلموا أنه لن يغلبكم شيء ، ولن تهد هذا البنيان قوة مهما بلغت على ظهر هذه الأرض ، فتماسكوا وتقاربوا وتعاونوا ، ولا تدعوا ثغرة يدخل منها عليكم عدوكم لينقض هذا البنيان الذى بناه آباؤكم وأسلافكم فى آلاف السنين ، وأنتم الأعلون إن شاء الله ، وليهود الذلة والمسكنة مضروبة عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أيتها العرب ! أيها المسلمون !

لا تهابوا أهل العصبية الصليبية فى أمريكا وأوربة ، ولا تثقوا بأحد منهم ، ولا تهادنوهم فى حقكم ، ولا تناصروهم كما ناصرتموهم من قبل فغدروا بكم وتألبوا عليكم وامتهنوكم وقابلوا حقكم بالازدراء والتحقير فى هيئة الأمم المتحدة ، وأنكروا كل يد أسديتموها إليهم ، ومزقوا أوطانكم ، وسلطوا عليكم فواجر أممهم ، وأرادوا أن يدمروا أوطانكم ، وأن ينشئوا لجرائم اليهود وكراً خبيثاً فى الأرض المقدسة فى سرارة بلادكم . فإن فعلتم فيومئذ يعلم هؤلاء الأخباث والأشرار أن العرب وأهل الإسلام وأهل دين المسيح فى الشرق ، كلهم على قلب رجل واحد يريدون أن يقيموا فى هذه الأرض شريعة الإنسان العادل لا شريعة الوحش الضارى فى ظلمات الأدغال والغابات .

يا ساسة العرب !

إياكم وخداع الناس ، ولا تخادعوا ربكم الرقيب عليكم ، فيوشك أن يحل عليكم غضب من ربكم ثم غضب الناس عليكم ، ولا تبيعوا تاريخكم وتاريخ آبائكم وذريتكم بعرض زائل ومجد مزيف ، واعلموا أن قومكم قد ثاروا من مضاجعهم ليطلبوا حقهم بحد السيف ، فلا تكونوا مخذلين ولا واعظين ولا متهاونين. واعلموا أنها الحرب ! شذاذ الأمم وصعاليك اليهود بين ظهرانيكم ، والبغاة الطغاة عن أيمانكم وعن شمائلكم يلتمسون الفرصة ليمحقوا العرب والمسلمين ويطحنوهم طحناً .

فهبوا جميعاً إلى الجهاد فمن نجا فقد فاز بالنصر ورضوان الله عليه ، ومن قتل فقد فاز بالشهادة وجنة الخلد والذكر الذى لا يفنى . « كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

محمود محمد شاكر

يا شرق !

للأستاذ محمود الخفيف

« مهداة إلى أديب العربية الكبير الصديق الكريم الأستاذ النشاشيبى »



ما شاء فليسخر بى الساخر   بالغرب ، ماعشت ، أنا الكافر
يزيدنى الحق جحوداً به   ما زوّر الحقّ به فاجرُ
إلا نجوماً فيه رجّافةً   يكاد يخفى لمحُها الحائر

ما غده ؟ هيهات يرجى غد   من أمسه مات الذى يُحمد
والحاضرُ الكاشرُ يا هوله   يا سوء ما يطغى وما يجحد
للشر فى الأرض على رحبها   فى كل ركن آمن مرصد

دنيا من المأكول والآكل   لا شيء من حق ولا باطل
الغابة اللفاء دينهمُ   فالعيش للفاتك والخاتل
يا ويحهم هذا الذى بشروا العصر به من بشر كامل !

الدينُ حيران الخطى هائب   مروَّعٌ فى بُرْدِهِ شاحبُ
والعلم شيطان سعى سعيه   مشمرٌ عن هوله دائب
والرحمة السمحة مذعورة   من كل صوب حولها ناعب

يا عجباً وهو ألد الخصام   يردد الإنسان لحن السلام
يهتف بالأمن وفى روحه   أنشودة الذرة تُلقى الهيام
والأرض أشلاءٌ تُرى هاهنا   وتلك أطلالٌ وهذا حطام !

مهزلة يلهو بها الأقوياء   يخجل منها اليوم حتى الرياء
حبالة القانص كم أوقعت   فى الشرك الأغفال والأذكياء
كم بشر الأرض بآماله   مُبشرٌ حتى جرت بالدماء

يا شرق كم غرتك بيض الوعود   ألفتها حتى ألفت القيود
تخطر فى القيد على ذلة   تلوك فى الأغلال مجد الجدود
إهنأ بماضيك وفاخر به   ولكنهُ يا مسكين حتى يعود !

يا ظامئاً يطلبُ ماء السراب   إشرب على الغلة مُرّ العذاب
يا حالماً أغراه طيب الكرى   أبشر مع الصبح بسوء المآب
يا لاهياً ويك أما تتقى   النابُ والمخلبُ طبعُ الذئاب

قومُك بالموت أعزوا الحياه   وأفزعوا بالبأس بغى الطغاه
فى السيف والمصحف برهانهم   تعنو له فى العالمين الجباه
لا السيف ظلاّمٌ عتىٌّ ولا   يُروِّعُ المصحف عات عصاه

فاوت بين الناس خوضُ الردى   يا شرق هل أصرخ أين الفدا ؟
رِدوا فقد جدّ بكمْ دهركم   أو فارتضوا الخسف لكم موردا
ما من قلوب ألفت قيدها   إلا غدت تعبُدُ من قيّدا

دين العلا إن كنت لا تعلم   دينك يا ابن الشرق يا مُسلمُ
دينك بين الناس سوى فما   بالك للطغيان تستسلم ؟
دينك إن عدْت لأحكامه   حكمت لا دنْتَ لمن يحكم

عقيدةٌ دينك لا تُغلب   لا تعرفُ البطش ولا ترهبُ
شريعةٌ خالدةٌ فُصلت   دستورها الخالدُ لا يُسلبُ
روحٌ من الله سماويةٌ   شرقيةُ المطلع ، لا تغربُ

يا شرق حتام تلوم القدر   ولا تنى ترنو إلى من غبر ؟
أنت الملوم اللائمُ المشتكى   كم صرخت حولك شتى العبرْ
رضيت ، لو أنكرت ما تشتكى   منه ، تهاوى عمره واحتضر

إلام يا شرق حياة الجسد   فى ذلها طال عليك الأمدْ
يا موطن الروح أما هزةٌ   تُشملُ من أرواحنا ما خمدْ ؟
ويحك يا عانى أما غضبةٌ   لشدّ ما تذعنُ إذ تضطهد !

يا أمةً تهضمُ أوطانها   ولا يني يمرحُ فتيانها

أترتضون الذلَّ ؟ ما خطبكم … ذات نفوس مات إيمانهــــا
تالله ما البعث سوى رجفةٍ … يُمحصُ الأنفسَ بركانهـا

وا أسفا كل حمى مستباح … هيض الحمى منذ فقدنا السلاح
يا فتيــــة الشرق ألا خالدٌ … وقد تداعى قومنا ، أو صلاح ؟
حِطِّينُ هذا وقتها فاحشدوا … أبطالـكم ، هذا أوان الطماح

أما يهـــز الشرق بغىٌ عتا … بعد خفاء ســـيفَـهُ أصلتا ؟
الطمع الغاصبُ بـــداً له … كلُّ فـــؤاد لؤمه أعنتا
متى أرى الشرق لظى حوله … ويلاه ! كم تلهبُ صدرى متى !

أيةُ نارٍ أوقد الطامــعُ … وأى بغى ذلك الدافــــعُ
ما أوضعَ الإنسانَ أن لم يعد … فى نفسه عن غِيلةٍ وازع
بيعت فلسطين فيا موطناً … فى عـلن غاصبــهُ البائع !

بيعت وما أعجب بيع الشعوب … فما وعى التاريخ أدهى الخطوب
سوق بها السواس كم زاولوا … نخاسةً هانت إليها الحروب
كم أعتم الغربُ وفى أفقـه … كم يبهر الأبصار برقٌ كذوب !

قائمةٌ من عهدها الأســـبق … حربُ الصليبيين فى المشرق
لم يفتر الغربُ ولم يألنــــا … من حربه أو كيـــده المرهق
لا تـــلم الغرب على بغيه … اللوم للمستسلم المـــوثق

اللـــوم للجـاثم فى كنِّه … فى ميمـة القوة من سنِّـه
يضنُّ بالمــــال على وفرة … ويرتضى الأغـلال فى ضنِّـه
إنْ شحَّ بالمال أما حفنةٌ … للغاصب الواغل من ضنته ؟

باع فلسطين حمـــاة الأمم … أهـــل المواثيق رعاة الذمم
الـكاشفون الضر عن أرضنا … حين تغشى الناسَ فيها الظلم
الـكارهون البغى من أنقذوا … بالنار حرياتهم والقــــلم !

بالذهب الباغى اشترتها يهود … وعصبةُ الأمن عليها شهود
للأمنُ ؟ ما الأمنُ سوى غاية … تُنمى إلى أحلامِ هذا الوجود
قل لرُعاة الأمن سُحقاً لـكم … النارُ لا تلقوا إليها الوقود !

عز يهوذا حول قبر المسيح … غداً له فى الشرق ملكٌ فسيح
آه من المـال به الباطل الـــجلجُ إذ يهوى مبينٌ فصيح
بالمال كم جادوا وكم آكل … للسحت فيهم أشعبىٌّ شحيح

فى الأرض ملعونون ما طوفوا … كم بخسوا الـكيل وكم طففوا
فى كلِّ رُكن للربا آكلٌ … باغٍ وفى كل حمى مصرف
تالله لن يفلح كيـــدٌ لهم … ما أشعلوا الفتنة أو أرجفوا

قل لبنى الشرق من واجد … يبكى ومن مستصرخ جاهد
قــــل لرعاة الشرق من علية … تشاوروا فى مجلس حاشـد
خوضوا المنايا الحمر أو فاقعدوا … ما من طريق غـيرها قاصد

صـبوا على النار هناك الدما … لا تبتغوا غــير الردى مغنما
جـد العدو اليوم فى بغيـه … فأطفئوا النـار التى أضرما
من دمكم إن صال أعداؤكم … وصمموا فالحر من صمما

يا ابن الـكماة الغر جـدَّ الزمن … واستصرخ اليوم بنيه الوطن
يا ابن الأولى النجدة كانت لهم … ديناً وكانوا عصبة فى المحن
أفق على الصيحة طال الـكرى … شرٌّ من الأحداث هذا الوسن

فى الأفق الشرق لون الدم … منورٌ بعـــد الدجى المعتم
أفق على الإصباح وانشد له … لحناً إلى مجـد الردى ينتمى
وانهض إلى الموت وخض لجه … مبتسما فى وجهــــه الأقتم

عبدالله بن عباس

للدكتور جواد علي

لم يكن في طبع عبد الله بن عباس ميل إلى السياسة . فلم يشترك في إدارة شؤون الدولة الإسلامية الحديثة ، ولم يترأس حزباً من الأحزاب السياسية ، ولم يتول منصباً من المناصب الكبرى خلا مرة واحدة تولى فيها منصب إمارة البصرة في عهد خلافة ابن عمه علي بن أبي طالب في سنة ٣٩ للهجرة — ولعله فعل ذلك إرضاءاً لابن عمه — غير أنه لم يبق في منصبه هذا غير عام ثم اعتزل السياسة وقفل راجعاً إلى الحجاز حيث اعتكف في « الطائف » لسبب لا زال موضع بحث في كتب التاريخ .

وقد عاش في الحجاز قرابة ثلاثين عاماً على غلة أملاكه الكثيرة حتى توفي بالطائف عام ٦٨ أو ٦٩ أو ٧٠ للهجرة(١) وقد زار في خلال هذه المدة بلاد الشام فوفد على معاوية وتحدث إليه(٢) ولكنه صرف أكثر هذه المدة في الحجاز في دراسة الموضوعات العلمية ولاسيما ما يختص بتفسير القرآن وأخبار الأوائل وأيام العرب(٣) . وقد بعثت هذه الدراسة نشاطاً عظيماً في عاصمة « الثقفيين » حولت إليه الأنظار . فجاءت إلى « الطائف » جماعات تلتمس العلم من « الحلقة » التي كونها ابن عم الرسول ومن المدرسة التي أنشأها في الطائف فغدت بعد مدة قصيرة أكبر مدرسة « للتفسير »(٤) .

ولم يشترك ابن عباس في العهد الأموي في الأحداث السياسية التي وقعت فيما بين الأمويين وخصومهم . ووقف من كل ما حدث موقف رجل محايد ناصح . فكان ينصح من تحدثه بالخروج على الأمويين بالتروي وعدم الاندفاع . ولما وقع الخلاف بين عبد الله ابن الزبير وعبد الملك بن مروان وجد الحكمة في العزلة والابتعاد عن الناس واتباع سياسة الصمت والسكوت فكان إذا سئل في موضوع سياسي يقول : يا لسان قل خيراً تغنم ، واسكت عن شر تسلم ، فإنك إن لم تفعل تندم(١) . وقد أوقعته هذه السياسة عند البعض في مواطن الشبهات فقالوا إنه كان على اتصال خفي بمعاوية الذي أغدق عليه الأموال وبالأمويين ؛ وأنه تفاهم معهم وأيد جانبهم بهذه السياسة(٢) . وقد صادفت هذه التهمة هوى في نفوس بعض المستشرقين فاتخذوها مغمزة للكيد للمسلمين .

والحقيقة أن هذه السياسة التي اتبعها عبد الله بن عباس تمثل وجهة نظر فريق أدرك أن من العبث مقاومة الأمويين وأن من الخطأ الانحراف في تيارات السياسة وفي الفتن التي ظهرت بعد وفاة الرسول ؛ فاتبعوا سياسة « العزلة » ورأوا فيها خير وسيلة من وسائل النجاة . وقد قويت هذه النظرية بعد المعارك الإسلامية التي وقعت فيما بين المسلمين فأصبحت مبدأ من المبادىء القوية ذوا قواعد وأحاديث وأتباع ورجال يدعون إليه ويبشرون .

ومن الذين فضلوا العزلة واجتنبوا الأحزاب سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ، وكان ينهى ابن الزبير عن طلب الخلافة والتعرض لها كما نهى آخرين عن الخوض في السياسية والانهماك بها ، إلا أنه لم يؤيد جانب الأمويين ولم يبد رأياً في سياسة(٣) فترك الأمور تجرى في مجاريها إلا ما كان يخص مبدأ من مبادىء الأخلاق أو الدين .

وقد كان من مصلحة الأمويين بالطبع إعراض الناس عن السياسة والانصراف عن التفكير في الملك ولا سيما إذا كان ذلك من الأسر الرفيعة والبيوتات ومن أهل الحرمين ؛ ولذلك حاول الأمويون مراراً بذل الأموال في المدينة ومكة وتعويد الناس على عيشة البذخ والراحة والتلذذ بملاذ الحياة الناعمة وفي ذلك ضمان في صرف السادات عن التفكير في الحكم . ولو أن هذه السياسة لم تنجح ولم يتمكن الأمويين مع ذلك من تحويل أهل المدينة عن التفكير في مصير الحق والناس .

ولقد كان من مصلحة الأمويين أيضاً أن يذاع فيما بين الناس بأن كل ما حدث إنما حدث بحكم الله وقضائه ، لأن في ذلك تثبيتاً لمركزهم وتأييداً لحجتهم ؛ فإذا كان الله قد قضى ذلك فلا مرد لحكمه

---

(١) . Ency of islam. Vol 1. P 20

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ج ٢ ص ٥٢ (طبعة المطبعة البهية) .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١١٩ — ١٢٤ ، ابن الإصابة ج ٢ ص ٨٠٢ — ٨١٣ ، النووي (طبعة وستنفلد) ص ٣٥١ — ٣٥٤ Nöldeke Gesch qoran Bd 2 s 134.

(٤) . Nöldeke qoran Bd 2 s 163

---

(١) ابن كثير الشامي ج ٨ ص ٣٠٤ .

(٢) . Nöldeke qoran Bd 2 s 164

(٣) العزلة للامام أبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٨٨ . ١٩٣٧ ص ١٨ وما بعد .

ولا قوة تمكن الناس من زحزحتهم عن الحكم . وإذا كان الله قد قضى أن يكونوا ملوكا فله حكمه وعلى الناس الصبر والانتظار.

على كل حال فقد أوجد عبدالله بن عباس فى مدينة الطائف جواً علمياً وكون مدرسة حقيقية بفضل هذه النزعة الفلسفية التى كان يميل إليها منذ صغره فكان « يجلس يوماً لايذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً لا يذكر فيه إلا التأويل ، ويوماً لا يذكر فيه إلا المغازى ، ويوماً الشعر ويوماً أيام العرب[1] » . وقد التفت حوله جماعة من طلاب العلم كانت تتلذذ بالاستماع إليه . فكان يجيبهم ويسألهم ومن هذه المناقشة العلمية يتولد منهج البحث .

ولم يجد عبد الله بن عباس شأن سائر علماء الصحابة غضاضة من الأخذ عن أهل الكتاب أو عمن أسلم منهم . مثل « كعب الأحبار » و « عبد الله بن سلام » وإن كان قد حذر منهم ونهى من لا علم له عن الأخذ عنهم لما اشتهر عنهم من الوضع والدس « لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء[2] » « الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم[3] » . ويظهر مما ورد فى الكتب أن ابن عباس كان قد سأل « كعب الأحبار » عن مسائل كثيرة منها ما يخص المسائل الإسرائيلية ، ومنها ما يخص القضايا الإنجيلية ، ومنها ما يخص مسائل تفسير القرآن الكريم[4] . وحتى فى القراءات[5] ، كالذى ورد من أن ابن عباس اختلف مع عمرو ابن العاص فى قراءة (لدَنِى — أو لدَنى) فذهبا إلى كعب الأحبار لتسوية ذلك الخلاف[6] .

وإذا دققنا هذه الأخبار والروايات التى ذكرها الرواة عن ملاقاة ابن عباس لكعب الأحبار تدقيقاً علمياً فإننا سنخرج من هذا البحث ونحن غير مطمئنين من وقوع هذه الملاقاة . ولا تستطيع أقوى رواية تأكيد رؤية عبد الله لكعب الأحبار[7] . وعلى الرغم من تأكيد الرواة من أن عبد الله وأمثاله من كبار المسلمين كانوا يلجئون إلى كعب وأمثاله فى مسائل كثيرة إلا أنى لا أستطيع أن أسلم بأكثر ما رووه وما ذكروه عن عبد الله بن

(١) ابن كثير ج ٨ ص ٣٠٥ ، الشعرانى طبقات ج ١ ص ٢ . Nöideke qorans Bd 2 P 164

(٢) البخارى ، شهادات ٢٩ ، الاعتصام ٢٦ ، المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن ترجمة على حسن عبد القادر ص ٦٦ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الطبرى ج ١ ص ١٧٧ (٥) المذاهب الإسلامية ص ٦٧ .

(٦) صحيح الترمذى ج ٢ ص ١٩٣ .

(٧) Nöldeke goran Bd 2 s 165 .

عباس وصلاته بمن أسلم من أهل الكتاب .

وقد زعم جماعة من المستشرقين استناداً على بعض الأخبار أن عبدالله ابن عباس كان يجالس يهود الحجاز ويتحدث إليهم ، وأنهم كانوا يزورونه فى بيته ، وأن ما رواه عن الخليقة والتكوين والأنبياء هو من وحى هذه المجالسات . وقد فاتهم أن الخليفة عمر ابن الخطاب كان قد أمر فى خلافته بإجلاء جميع أهل الكتاب لأنه لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب ؛ فكيف يمكن مجالسة اليهود لعبدالله بن عباس فى بيته بالطائف أو اجتماعه معهم فى الحجاز

والظاهر أن هذه الأخبار إنما دخلت على ابن عباس ، وأن الذين أسلموا من أهل الكتاب ، والذين اجتمعوا به قد استغلوا فرصة اجتماعهم به فأدخلوا ما أرادوا إدخاله باسم عبدالله بن عباس ، وقد وجدت أرضاً صالحة فى العهد العباسى لأسباب سياسية اقتضتها مصلحة الدعاية فى ذلك العهد ظناً من ساسة ذلك العهد أن فى رواج هذه الأخبار زيادة فى منزلة جدهم الذى كان يجادل أهل الكتاب وينتصر عليهم ويفسر لهم أخبار كتبهم وأمور دينهم ، ويروى لهم ما فى التوراة والإنجيل . وقد اقتضت مصلحة السياسة فى ذلك العهد وضع أحاديث كثيرة حتى على لسان الرسول فى الثناء على هذه الدولة وعلى أرض بغداد وفى التبشير بملامح بعض الخلفاء .

وقد تمكن من أسلم من أهل الكتاب من تكوين دعاية طويلة عريضة فصوروا فى الكتب الإسلامية على أحسن صورة . صوروا على أنهم أعلم أهل زمانهم ، وأنهم أفقه أبناء دينهم فى التوراة ، وأنهم « الأحبار » حقاً ، وأنهم كانوا يعرفون أصل التوراة وما احتواه من أسرار . ولهذا السبب قالوا عن أحدهم وهو « كعب » أنه « كعب الأحبار » وأنه « ملجأ العلماء »[1] ، وأنه درس عامر ابن عبد الله بن عبدالقيس الأنبارى الزاهد المعروف التوراة فى نصها الأول[2] وأنهم كانوا على جانب كبير من الزهد والتقوى ، وأنهم فوق التهمة والكذب[3] . ولكن جمهرة من المحققين ارتابت من هذا القول وشكت فى أكثره . والواقع أن أكثر ما روى عن هؤلاء من أخبار وأقوال يشير إلى أنهم لم يكونوا على نحو ما قيل

(١) الزرقانى ج ٤ ص ١١٠ طبعة القاهرة سنة ١٢٧٠هـ . المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن ص ٦٦ .

(٢) ابن سعد طبقات القسم الأول ص ٧٩ س ٥ (طبعة سخاو) . المذاهب الإسلامية ص ٦٦ .

(٣) المذاهب الإسلامية ص ٦٦ ، أحياء ج ٣ ص ٣٤٥ .

مصرع البغي

للأستاذ محمد سعيد العريان

قال الشيـخ لفتاه وهما يسلكان طريقهما في بعض أرباض الكوفة : مِلْ بنا يا بُنيّ عن هذا الطريق ؛ فليس يطيب لي يومي إذا وقعت عيناي على أنقاض تلك القلعة المهدمة ؛ كأنما يجثم وراء كل حجر من أحجارها المتناثرة نحسٌ يتربّص بكل عابر سبيل ...



قال الفتى منكراً : وَيْ ! كأنك تزعم يا أبتِ أن في بعض الجماد ما ينفع وما يضرّ ! . .

قال الشيخ وقد أخذ طريقاً آخر إلى الوجه الذي يقصده ، وقد أسند كفاً إلى كتف الفتى و كفاً إلى عصاه : إنما هو يا بنيّ ما قلت ، وإنه لا نافع ولا ضار إلا الله ؛ وأعوذ به من كفر بعد إيمان ؛ ولكن ذكريات تتراءى لي من هذه الخربة كلما نالتها عيناي فتتجسد لي في النوم واليقظة صوراً حمراء دامية ؛ لقد عُمِّر أبوك طويلا يا فتى ورأى ما لم تره ؛ ولعلك أن تُعمَّر مثل عمري فتتحدث إلى بنيك بما رأيتَ وما سمعتَ من أنباء هذه القلعة المشئومة ! . .

استشرفت نفس الفتى إلى جديد يقصه عليه أبوه من أنباء الماضي ، وإن أباه لراوية أخبار ومحدِّث تهفو النفوس إلى حديثه وبرهف السمع ؛ ولكن الشيخ مما أوهى الزمان منه لم تكن به قوة على حديث طويل وهو يمشي ؛ فلما بلغ داره وتخفف من ثيابه جلس إلى وسادته ليستأنف حديثه إلى ولده عن تلك القلعة . قال :

لقد رأيتها يا بنيّ منذ بضع وخمسين سنة ، وكنت يومئذ فتى في مثل سنك ، والمسلمون حديثو عهدٍ بهذا المصر ، وأميرهم فيه سعد بن أبي وقاص ، فلما مصَّر البلد وشرع طرائقه ونظم دواوينه أمر أن تنشأ هذه القلعة واتخذها داراً للحكم ؛ وقد كان سعد مستجاب الدعاء يا بني ؛ وكأني به حين حفر أساسها قد دعا الله أن يجعلها عصمة للمسلمين من عدوهم ؛ ولو أنه اطلع على الغيب لكانت دعوته إلى الله أن يجعلها عصمة للمسلمين من شر أنفسهم ؛ إذن لارتدت عنها شهوات المبطلين وعصمتْ أهل هذا المصر من أن يسفك بعضهم دماء بعض كما عصمتْهم من عدوهم ؛ فما طرق الكوفة عدوٌّ من أهل الشرك منذ مصَّرها سعد وأنشأها بها هذا الحصن أو يسفك بها كافرٌ دماً ؛ ولكن اتخذوها مَطْمَعَةً يسفك بها بعضهم دماء بعض ... قال الشيخ :

في هذه القلعة يا بنيّ ، شهدت رأس الحسين بعد أن قتله أهل البغي دون الفرات شهيداً مظلوماً وحالوا بينه وبين الماء ، لا يشرب من ظمأ ، ولا يجوزه إلى مأمن ، ولم يكفهم ما فعلوا به وبأهله وولده ، ففصلوا رأسه عن جسده وحملوه إلى عبيد الله بن زياد الدعي ، فكأنما أراه الساعة والرأس الشريف بين يديه المخضبتين بالدم لا يكاد يكتم فرحته بموته ؛ كأنْ قد ضمن به الخلود في الحياة حين ضمن به الخلود في إمارته !

ثم حمل الرأس إلى دمشق ليطيب يزيد بن معاوية نفساً بالنظر إليه ويطمئن بالا باستقرار الأمر له .

هل رأى قط واحد من أهل الكوفة أو من أهل هذه

عنهم من العلم ، وأنهم لم يكونوا أصحاب علم بالتوراة ، وأن ما أوردوه بثوب إسلامي لم يكن سوى أشباح ضعيفة لما ورد في بعض الأماكن من أسفار التوراة . وأنه كان في الواقع نوعاً من القصص الشعبي الإسرائيلي الذي كان شائعاً بين يهود اليمن والحجاز wolkslore ولنهم بيهوديتهم هذه يختلفون كثيراً عن يهود فلسطين مثلا أو العراق . وأنهم حاولوا إدخال « اليهوديات » في الإسلام وهو ما عرف فيما بعد باسم « الإسرائيليات » أو « القصص الاسرائيلية » (١) ، والتي حذر منها المفسرون . وأن بعضهم تآمر على الخلفاء ؛ بينما كان يتظاهر بخلاف ذلك .

جواد علي

(١) Fleischer-Festschrift Morgenlandi-sche forschungen Leipzig 1875 s 298 Lidzbarski De Propheticis legendis Arabicis Leipzig 1893 s 39.

القلعة رأس الحسين فى الطست بين يدى عبيد الله ثم غابت هذه الصورة عن خياله ؟ ... قال الشيخ :

ومضت يا بنىّ منذ ذلك اليوم سنوات ، ومضى يزيد إلى ربه بما حمل من أوزار الناس وأوزار نفسه ، وتعاقب على عرش بنى أمية فى الشام أمير بعد أمير ، وظن عبيد الله ابن مرجانة أن العيش قد طاب له ، وأحسبه قد نسى يوماً له بقلعة الكوفة وبين يديه رأس الحسين الشهيد ، ولكن الأقدار لا تنفل عن أهل البغى ؛ ولم ينس المؤمنون من شيعة بنى هاشم جناية بنى أمية وبنى سُمية على عترة النبى المصطفى من خير خلقه ؛ فمضت الدعوة إلى الثأر لهم تنتقل من فم إلى فم وتتقاذفها الفلوات والأمصار حتى نهض لها المختار بن أبى عبيد يهتف فى شيعة الحق : ياالثارات الحسين !

واجتمعت له الجموع وتكتبت الكتائب ودانت لدعوته البلدان ؛ وخرج ابن زياد ليلقاه ، أو ليلق حينه ؛ فالتقى بجيش المختار فى أرض الموصل على شاطئ نهر خازر ؛ ونالته ضربة سيف بأر فقدّته نصفين ، فيداه فى المشرق ورأسه فى المغرب ، وكما حمل رأس الحسين من حيث قُتل على الفرات إلى قلعة الكوفة — حُمل رأس عبيد الله من حيث هلك على شاطىء نهر خازر إلى قلعة الكوفة كذلك ...

وفى هذه القلعة يا بنى ، شهدت للمرة الثانية رأساً فى طست بين يدى أمير القلعة ؛ وكأنى يومئذ بالمختار بن أبى عبيد إلى رأس ابن مرجانة بين يديه وهو فى مجلسه ذاك من تلك القلعة وعلى شفتيه مثل تلك الابتسامة ! ...

ولعل كثيرين غيرى قد رأوا ما رأيت يومئذ وفى ذلك اليوم الآخر ، فانطبعت فى أنفسهم صورة الرأسين ومنظر الأميرين ؛ فنهم من نسى صورة بصورة ومنظراً بمنظر ؛ ولكننى لم أنس ! قال الشيخ :

ومضت يا بنىّ سنوات أخر ، وتقلبت الأحوال بالناس ما تقلبت ، وجدّت أمور بعد أمور ؛ ولكن رجلا من أصحاب الأمر لم ينس أن له ثأراً عند المختار بن أبى عبيد ؛ ذلك مصعب ابن الزبير يا بنىّ ، أمير تلك الجهات من قِبل أخيه عبد الله المتأمر بمكة ؛ فقد كان يرى المختار دعياً فى شيعة علىّ ، يتلصق بهم ليطلب لنفسه ملكا وإمارة ؛ وقد سبقت له بيعة لعبد الله ابن الزبير فى مكة على أمل يأمله ، فلما خاب أمله ذاك زعم أنه شيمة على والثأر لولده ، ليصل بذلك إلى مناوأة الأمويين والزبيريين جميعاً ؛ فنهد مصعب لحربه بالجيش اللجب ، تشايعه قبائل وبطون وجماعة من أهل الرأى وطائفة من أولى البأس فى الحرب ؛ والتقى الجيشان فى معارك ، ودارت الدائرة على المختار فلجأ إلى دار الإمارة بالكوفة معتصما فى طائفة قليلة من أصحابه لا قوة لهم على المقاومة ؛ وحصرهم جيش الزبيريين حتى لم يجدوا بداً من البروز لحربهم أو النجاة بأنفسهم ؛ ونالت المختار ضربة كانت فيها نفسه ، فاحتز رأسه وحمل إلى الأمير مصعب بن الزبير فى قلعة الكوفة .

وكما شهدتُ من قبلُ رأس الحسين ورأس ابن مرجانة بين يدى أمير القلعة ، شهدت رأس المختار ...

وكأنما هجس بنفسى وقتئذ هاجسٌ وأنا أنظر إلى مصعب بن الزبير وبين يديه رأس المختار وتمثلتْ لى صورة غير التى تراها عيناى فى تلك الساعة ؛ فكأنّ الذى فى الطست ليس هو رأس المختار بن عبيد ، ولا رأس ابن مرجانة ، ولا رأس الحسين ؛ ولكنه رأس مصعب نفسه ؛ وكأن الأمير الجالس على الكرسى رجلٌ آخر غيره ، ولكنه رجل لا أعرفه ، لأن عينى لم تقع عليه قطّ .

هذا منظر تكرر على عينىّ ثلاث مرات ، فى صورة واحدة ، ومكان واحد ، ولأسباب تكاد تتشابه ؛ فكأنما رأيت منظراً رابعاً لم يره أحدٌ بعد ، وكأن هاتفاً من وراء الغيب يهتف بصوت أكاد أحكى نبره : لكلِّ باغٍ يوم ! ...

واستقرت هذه الصور الأربع فى واعيتى لا أكاد أغفل عنها طرفة عين ؛ أما ثلاثٌ منها فرأيتها رأى العين ووعيتُها وعى اليقظة ؛ وأما الرابعة فكانت وهما تجسد حتى قارب أن يكون حقيقة مما يُدرك بالحس ! قال الشيخ :

لست أدرى يا بُنىّ أكانت هذه الصور الأربع فى واعيتى أنا وحدى أم كان غيرى يعيها ؛ ولكن الذى أرويه يقيناً هو أن رجلا واحداً من الذين شاركوا فى هذه الحوادث الدامية لم تخطر على باله قطُّ الصورةُ الرابعة ؛ ذلك هو مصعب بن الزبير نفسه !

وتوالت الأعوام يابنى وهذه الصور تتراءى لى فى يقظتى وفى منامى ، حتى حرّمتُ على نفسى أن أجوز ذلك الطريق حتى لا تقع عينى على تلك القلعة المشئومة فتجدّ لى ذكريات وتبعث تلك الصورَ البغيضة إلى نفسى ...

وكان عبد الملك بن مروان على عرش بنى أمية فى الشام ، وقد تفانى أعداؤه ومناوئوه طائفة بعد طائفة وأهلك بعضهم بعضاً فلم يبق ثمة من يخشى خطره غير ابن الزبير ؛ فهيأ جيشاً سيره نحو العراق لحرب مصعب ؛ وانضم إليه فلول من أصحاب المختار ابن عبيد ، لا يحملهم على الحرب معه إلا الرغبة فى الثأر من قاتل صاحبهم ...

والتقى جيش الزبيرين وجيش بنى أمية فى مسكن ، على نهر الدجيل ، عند دير الجاثليق ؛ ونشبت المعركة ، فشد على مصعب رجل من أصحاب المختار وهو يقول : يالثارات المختار ! وطعنه فأبلغه أجله ...

واحتزّ رأس مصعب وحمل إلى عبد الملك بن مروان فى قلعة الكوفة ...

وشهدت الصورة الرابعة عِياناً ، وكنت أراها رأى المتوهم منذ بضع سنين . ورأيتُ عبد الملك بن مروان جالساً على كرسيه وبين يديه الرأس فى الطست ...

وكان بين مصعب وعبد الملك مودة حين كانا فى المدينة قبل أن ينزغ بينهما الشيطان . . . وأحسبنى رأيت دمعة فى عين عبد الملك وهو يقول محزوناً وينظر إلى رأس مصعب : « متى تغذو قريش مثلك ! ؟ »

وغامت على عينىّ غائمة ، فقلت ولا أكاد أعى ما تلفظه شفتاى: « إنى رأيت بهــذه القلعة رأس الحسين أمام عبيد الله بن زياد ، ورأس ابن زياد أمام المختار ، ورأس المختار أمام مصعب ، ورأس مصعب أمام أمير المؤمنين ! .. »

وبلغت كلماتى أُذنَ الأمير ، فكأنما تَطيَّر مما سمع ، فأمر بنقض بنيان القلعة ؛ فهى من يومئذ أنقاض يابنىّ ! .

قال الفتى :

فما يفزعك منها يا أبتِ وقد صارت إلى ما ترى ؟ .

– قال الشيخ .

— لست أدرى يا بنىّ ؛ ولكنى أتوقع كلما وقعت عيناى على أنقاضها أن أحداثاً ستحدث فى هذا المكان ، وتزدحم علىّ ذكريات الماضى وصوره الحمراء الدامية ...

ثم صمت الشيخ وأطرق ، وسرحت خواطر الفتى إلى واد بعيد .

* * *

وتعاقبت السنون ، ومات الشيخ ، وأيفع الفتى ثم اكتهل وبرقت فى فوديه شعراتٌ بيض ؛ ونسى كل ما كان من حديث أبيه ؛ ونسى أهل الكوفة ما مرَّ بهم من أحداث وما وقع فى القلعة من حوادث ؛ ولكن أنقاض القلعة ظلت مركومة حيث كانت ...

(ومر الفتى ذات يوم بالمكان فتذكر ، ووقع فى وهمه أن شيئاً ما سيحدث ...

(ومضت أيام ، وحدث شىء ...

من وراء أنقاض القلعة المهدمة بالكوفة بدأت طلائع الزحف العباسى إلى دمشق ، لتحطيم عرش بنى مروان ! !

وتنفس الفتى نفساً عميقاً حين بلغه النبأ ، وقال فى ثقة واطمئنان : آمنتُ بأن لكل باغ مصرعاً . . !

محمد سعيد العريان

من خطايا التائهين

للأستاذ محمود حسن إسماعيل



من هؤلاء ؟ دوّخوا الترابا
وأشبعوا وجهَ الثرى عذابا
في كلّ يومٍ يطرُقون بابا
ويفجأون الزمن المنابا
فيمسخون الخُلد والشّبابا
ويُشكلون سِحرهُ الوثابا
سيّان إن هُم نادموا الأترابا
أو عاشرُوا الوُحوش والذّئابا
سيّان يلقون المنى قبابا
أو يرضعون حظها يبابا . . .
صار الوجودُ حولهم سرابا
وسحرهُ أضحى لهم عذابا
ونارهُ صُبّت لهم شرابا
فأينما حلُّوا رأوا خرابا
وصادفوا الهُموم والأوصابا
والغُمّةَ الهوجاء والضّبابا
ونقمةً لا تعرفُ المتابا
ولا تذوقُ الندم الصّخابا . . .
وأينما طافُوا رأوا حِجابا
وظُلمةً لا ترفعُ النّقابا
سدّت عليهم سدلها المُرتابا
وضيمت في قلبها المآبا . .
سُبحان من فرّقهم شعابا
وهشّهم في مُلكه ذُبابا
وقدّر التيهُ لهم عقابا

ويلي عليهم عبدُوا الترابا
وألّهُوا من الحصى أربابا
وقدّسوا من زيفه كتابا
وبعثروا صلاتهم أسرابا
في كلّ أرضٍ تنشد المحرابا
وترصدُ الدينار أين غابا
ولو طوت لمقته الشهابا
ودفنت في برقها السّحابا
العرضُ من أجسادهم تحابى
وقبّل الأبواب والأعتابا
وشقّ عن مزارهِ الأثوابا
ومسّهُ تيهُ الهوى فذابا

مدّت فلسطينُ لهم رحابا
وأفسحت لضيفهم جنابا
فأترعوا السمّ لها والصّابا
وحيّروا في أمرها الألبابا
أمضت إليهم سيفها انسلابا
فساقهم في نارها أحطابا
فليجعلوا التيه لهم ركابا
ويتركون الله والأعرابا

نملتان في الفلفل

للدكتور زكي نجيب محمود



جلس الشيخ في دكانه محزوناً؛ اعتمد رأسه على راحتيه وجعل يفكر: ما ذا أنا صانع يا رباه في جحافل النمل التي تهجم على سكري في ظلمة الليل؟ إنها لتأكلني أكلا إذ هي تأكل قوت عيالي، وإني لعائل أسرة أكاد أنوء بحملها الثقيل! لو كانت النمال مما يرعى مبادىء الأخلاق، لناشدتها الضمائر ألا تسطو على مِلك غيرها، لحرام عليها أن تستريح بياض النهار في أعشاشها، حتى إذا ما سترها الليل بعتمته، ملأت بطونها مما كدَّ غيرها في جمعه وكدح، حتى تندَّى منه بالعرق الجبين. لكن — وا أسفاه — ليس للنمل أخلاق يُراعيها.

وتحير الشيخ في أمر هذا النمل، كيف يعرف موضع السكر وإنه لخبيء في علبة محكمة الغطاء؛ وإن الشيخ ليغير مكان العلبة كل مساء، فيضعها على الرف مرة، وتحت النضد مرة، ويكسوها باللفائف تارة، ويعلقها في الهواء طوراً ... لكن النمل يعرف!!

ولمعت فكرة في رأس الشيخ كاد يثب لها في مقعده: أما والله إني لأحمق مأفون، أضع إصبعي في الفخ حتى إذا ما ضغط الفخ على إصبعي، صرخت من الألم! ألم أكتب على الصناديق بيدي هذه بطاقات، تعلن عما في بطونها فلمن كتبتَ

— يا أحمق — هذه البطاقات، إن لم تكن للنمل يقرؤها في الليل، وإنه لذو بصر حديد، فيعرف موضع السكر من الدكان في حندس الليل! لأنزعن من فوري هذه البطاقات عن آخرها، وكفاني من بلاهتي ما لقيت كفاني ... ونهض الرجل في حماسة لينزع ... لكن لا! لقد لمعت عيناه بفكرة أخرى، فكرة افترت لها شفتاه بابتسامة عريضة، ثم انفجرت بقهقهة عالية ... أأنا الرجل الذي يغلبه النمل على أمره، وإن عُد النمل بالألوف لا بآحاد وأفراد؟ أأنا الرجل الذي يغلبه النمل على أمره ثم لا ينتقم؟ فيم إذن كان مقامي في حلقات العلم أعواماً إن قصرت بي عن ختام العلم فقد دنت منه؟! ويحكِ الليلة مني يانمال!

ونزع الرجل في زهو الظافر بطاقة السكر ووضعها على علبة الفلفل وكتب الفلفل على علبة السكر.

— سيأتي النمل الليلة أسراباً كعهده، وسيقرأ العنوان فيظنه دالاً على مضمون الكتاب، وسيدخل علبة الفلفل وفي وهمه أنه سيجد حلاوة كل يوم، وما كلِ ما يتمنى المرء (يانمل) يدركه، تأتي الرياح (يانمل) بما لا تشتهي السفن ...

وأوشكت الخطة أن يصيبها الفشل، إذ جاء النمل ولم يقرأ، بل شم وانصرف، إلا نملتين حفظتا القراءة في مدرسة من مدارس الإلزام، فقرأتا وضحكتا من جهل الأخوات، وتسللتا إلى السكر الموهوم، فإذا داخل العلبة ديجور لم تعهداه فيما سلف من الليالي. وبينما هما تسعيان وراء الرزق، صدمت نملة منهما نملة في بعض الطريق:

— ما لك الليلة ماذا دهاك؟

— عتمة لم أعهدها ها هنا يا أختاه.

— لست أرى في الأمر اختلافاً عن المألوف.

— بل ألفتُ أن يتسرب من سماء هذا المكان شعاع ضئيل من الضوء يعكس شيئاً من بياض، وإذا الأمر كله الليلة في عيني سواد في سواد؛ ثم ألفت أن أسير على منبسط فسيح، فإذا بي الليلة أدور مع موطىء القدم حيث يدور، ثم ... لست أدري يا أختاه ماذا دهاني، لعله مرض في جوفي تغيرت معه طبيعة دنياي ثم ألِفت على اللسان حلاوة فإذا بالشيء يلسع الليلة لساني لسعاً أليماً، حتى ليكاد اللسان من حدة اللسع يحترق.

— لك الله يا مسكينة، ألا إن الأرض هي الأرض والسماء هي السماء، والمأكل كعهدنا طيب به حلو المذاق، غيري من جوفك تتغير الدنيا في عينيك.

— أواثقة أنت أننا فى علبة السكر .

— قرأت العنوان بعينى ، وأذوق الطعم الآن بلسانى ، وليس إلى الشك عندى من سبيل . وفيم الريبـة والسؤال ؟ دونك المكتوب فاقرئيه ، وليست الرحلة إليه بشاقة ولا عسيرة

— سأفعل ، لا ارتياباً فى صدق ما تقولين ، ولـكن ليطمئن قلبى .

وخرجت النملة إلى ظـاهر العلبة ثم عادت والتقت بأختها بعد تعثر فى الطريق وبحث فى الثنايا هنا وهناك .

— صدقت ، إنه السكر لا شك فيه .

— لا « يا أختاه » بل كل الشك فيه .

— وى ! ماذا تقولين ؟ ماذا تظنين ؟

— كأنه « يا أختاه » حبُّ فلفل ، إنى لأحس الآن ما تُحسين ؛ فسوادٌ شديد حالك يسـد علىّ مسالك الطريق ، وانبعاج فى الأرض لا يكاد يمكننى من السـير ، ثم طعم لاذع يذيب اللسان ويمزق الأحشاء .

— لـكنه السكر ، والبدال لا يخطىء الترقيم .

— نعم ، لابد أن يكون سكراً ، لأن البدال لا يخطىء الترقيم ؛ فصبراً جميلا ، حتى نملأ جوفينا مما رزقنا الله وإنه لحلو مستساغ ، وإن كره البصر واللسان والأحشاء جميعاً !

وأصبح الصباح وعاد النمل إلى عشـه ، لا لتستريح النملتان هذه المرة من عناء الليل ، بل لتتلويا من عذاب أليم كلما مغصت فى جوفيهما الأمعاء ، والتقت المسكينتان فى منبطح من العش :

— ليتنا ما أكلنا السكر .

— السكر ؟ !

— وماذا عساه فى ظنك أن يكون ؟

— اسمعى يا أختاه ، لقد ذهبت مع ظلمة الليل غفلتى ، وعادت إلىّ مع ضوء النهار حكمتى ، إن هؤلاء الناس لأصحاب خدعة فما فتئوا الدهر يخدعون ويُخدعون ، وإنى لأعلم من أمرهم ما لا تعلمين ، بل لعلى أعلم منه ما ليس يعلمون .

— ماذا تريدين ؟

— سأوضح لك الليلة ما أريد .

وجاء المساء وخرجت النملتان ، نملة تهـدى وأخرى تهتدى تعالىْ معى فادخلى خزانة الـكتب ، امسكى هذا الـكتاب ما عنوانه ؟

— فى الفلسفة الإسلامية .

— ومن كاتبه ؟

— شيخ جليل فى طليعة الشيوخ .

— دونك فاقرئيه ، ماذا ترين فيه ؟

— لست والله أطالع فيه إلا فقهاً وما إلى الفقه .

— نعم ، وسماه فلسفة ليدخل المريدون خلال العنوان إلى فلسفة ، فإذا بهم فى فقه يتقلبون ، كما دخلنا ليلة أمس على بطاقة من سكر ، فإذا الفلفل يمـلأ منا الأمعاء والبطون ... وهـذا الـكتاب الآخر ، ما عنوانه ؟

— خواطر أديب .

— ومن كاتبه ؟

— علَمٌ من أعلام القلم .

— دونك فاقرئيه ، ماذا ترين فيه ؟

— لست والله أرى فيه إلا خليطاً من معرفة لا هى إلى العلم فى دقته ولا إلى الأدب فى جماله وصورته .

— نعم ، وجعله الـكاتب أدباً ليتسرب إليه الراغبون فى أدب ، فإذا هم فى مرج آخر يمرحون ... اخرجى من بطون الـكتب وهيا بنا إلى الحياة العريضـة فى المنازل والشوارع ، انظرى هناك ، ماذا تبصرين ؟

— كومة من قمامة ... لا بل هو آدمى يتحرك .

— هذه القمامة البشرية يسمونها مدنية شرقية .

— كلا ، لا تمزحى ، بل ...

— وانظرى هناك ، ماذا تبصرين ؟

— شرطى يضرب إنساناً فى عرض الطريق .

— وهذا الطغيان السارى يسمونه مدنية شرقية .

— كلا لا تمزحى ، بل ...

— وانظرى هناك ، ماذا تبصرين ؟

— كأنى به مريض محموم أحاط به ذووه .

— وهذه الجهالة يسمونها مدنية شرقية .

— كلا لا تمزحى ، بل ...

— وادخلى هذه الدار فانظرى ، ثم ادخلى جماجم الرءوس وانظرى ، وسترين شيئاً عجباً يسمونه مدنية شرقية .

— كلا ، لا تمزحى ، بل المدنية الشرقية شىء غير هذا كله سمعتهم هكذا يقولون .

— وأنا سمعت آخرين يقولون إن المدنية لا تكون شرقية ولا غربية ، إنما هي علم يعلمه الإنسان أنى كان ، وفن يخلقه الإنسان أنى كان ؛ خيثما وجدت الجهالة والمرض ، وجدت ماذا ؟

— لكنهم يقولون ...

— ويحك من نملة حمقاء ، أفتنصتين بعد لما يقولون ؟ إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، ألا يكفيك ليلة واحدة تقضينها في علبة الفلفل ؟

زكي نجيب محمود

وامعتصماه!

للأستاذ عمر الدسوقي



عربية كريمة ، تنمى إلى أمة لم تألف الذل مرة ، ولكن رحب البيد أحكم عزها فما شئت من من قلب أبي ، ومنطق سليم ، وعقل أنضجته التجارب ، ونفس ترى الدنيا لديها رخيصة ، إذا كان في الدنيا هوان يشينها : إلى كل شهم أريحي تزينه ، خلال كروض الزهر طاب عبيرها :

إذا سيم ضيماً كان للضيم منكراً ... وكان لدى الهيجاء يخشى ويرهب

وإن صوت الداعي إلى الخير مرة ... أجاب لما يدعوله حين يكرب

أبى على هذه العربية جدُّها النَّكِد إلا أن ترسف في ذل الأسر غبَّ حرب من تلك الحروب الطويلة التي ظل أوارها مشتعلا حقباً مديدة بين العرب ، الذين حمَّلهم الله رسالة الإسلام ، لينقذوا بها البشرية الكليمة ، وبين الروم الذين أدال الله منهم ووضع أنوفهم في الرغام ، وإن لم ينسوا عزم الثابر ، فظلوا يغيرون على أطراف الدولة العربية الشاسعة كلما هبت عليهم نسمة من قوة ، أو غرتهم من المسلمين غفلة عارضة .

وفي ذات يوم لطمها سيدها الرومي على وجهها الحر الكريم فوخزها ألم الذل وخزة صاحت على إثرها تستنجد الخليفة العربي العظيم : وامعتصماه ! وامعتصماه ! فضحك العلج ملء شدقيه ونظر إليها نظرة الشامت الجبان ، وقال : وماذا عساه يفعل المعتصم؟ أيجيء على أبلق وينصرك ؟! إنك ذليلة كسيرة ، وقد كتبت عليك الشِّقوة ، وهيهات أن يستجيب لندائك الوقح هذا الذي تنادين! ثم أشبعها ضرباً ولطماً ، وهي تنادي وامعتصماه! وامعتصماه!

جاء رجل إلى المعتصم ، وبلغه نبأ هذه العربية الكريمة ، فانتفضت نفس الخليفة الجليل انتفاضة الألم ، وسأل الرجل : وأين هذه المرأة ؟ فأجاب : إنها في عمورية يا أمير المؤمنين ، فقال المعتصم : وفي أي جهة عمورية ؟ فأشار الرجل إلى جهتها ، فنادى المعتصم بأعلى صوته : لبيك يا ابنة الكرام ! لبيك ! ثم لبيك ! هذا المعتصم بالله أجابك !

وتجهز المعتصم من فوره إليها في اثني عشر ألف فرس أبلق تطوي سنابكها الأرض طياً لتغيث الملهوف وتستجيب للنداء الأبي

وكانت عمورية مدينة عاتية ، قد أحكم تحصينها ، وبها من جنود العدو تسعون ألفاً أو يزيدون ، فحاصرهم المعتصم ، وطال حصاره لها ، وأخبره المنجمون أنها لن تفتح إلا في الصيف حين ينضج التين والعنب ، وكان قدومه إليها في زمهرير الشتاء ، والأرض مسجاة في كفن أبيض من الثلج ، وقد صوَّح ما عليها من شجر ، وقل الماء والثمر ، وأجهد الجيش ، كما أجهد العدو العنيد . بيد أن المعتصم أبى أن يستمع لصوت المنجمين المثبطين الذين أنذروه شراً مستطيراً إن هو استجاب لرغبة فؤاده واقتحم أسوارها : وخوفوا الناس من دهياء مظلمة

إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

وشد على المدينة شدة بطل مغوار فدك أسوارها ، وأشعل النار فيها ، فذلت له وما ذلت قبل لأحد :

من عهد اسكندر أو قبل ذلك قد ... شابت نواصي الليالي وهي لم تشب

بكرٌ فما افترعتها كف حادثة ... ولا ترقت إليها همة النُّوَب

ودعا المعتصم بالرجل الذي بلغه حديث الجارية العربية المستغيثة فدله على الموضع الذي رآها فيه تذل وتهان ، وبحث عنها حتى وجدها ، وقال لها : هل أجابك المعتصم ؟! وصار سيدها الرومي

لها عبداً ذليلا وأفعم قلبها عزة وأنفة . ورحم الله أبا تمام حين مدح المعتصم إثر هذا الفتح المبين بقوله مستهزئاً بآراء المنجمين :

السيف أصــدق أنباء من الـكتب
في حده الحــد بين الجد واللعب
بيض الصــفائح لا سود الصحائف في
متونهن جــلاء الشــك والريب
أبقت بنى الأصــفر المراض كاسمهم
صــفر الوجوه وجَلّت أوجه العرب
تسعون ألفاً كآســاد الشرى نضجت
جلودهم قبــل نضج التين والعنب

واليوم ، وعلى مرأى منا ومسمع تنادى بلدة عربية كريمة ، وهى فلسطين الجريحة : وامعتصماه ! وامعتصماه ! . وقد أبى لها الجد العاثر إلا أن ترزأ بشرذمة من صماليك الأمم، وأفاق الأرض الذين لفظتهم ديارهم ، ومجهم مواطنوهم . يريدون أن يسلبوها عروبتها ويهدروا كرامتها ، وقد مالأهم من لا أخلاق لهم من تلك الدول التى باعت ضمائرها للشيطان ، وخنعت لصوت الذهب الرنان ، وصفعت الإنسانية المهيضة على وجهها دون حياء ، أو شعور بعظم الجريمة ، وتنكرت لـكل تعاليم الحضارة الحقة ، فلا شرف ، ولا ذمة ، ولا مروءة ، ولا عدالة . بل اتخذت شرعة الغاب ، وقانون الـكهوف لها إماماً ، فتباً لهم وخزياً ... !

أحقاً إننا أمة هازلة لا تدرك الخطر الداهم ، ولا تقدر الخطب الجاثم ، ولم تخبر العدو الظالم ؟ هل ستمثل مأساة الأندلس على مسرح التاريخ ثانية ، فيلقى بعرب فلسطين فى البحر ، كما ألقى عرب غرناطة من قبل . ويومئذ نجهش بالعويل والبكاء، وننتحب كما تنتحب النساء : نقلب الأكف أسفاً وندماً ، ونعض الشفاه حسرة وألماً ، فيقال لنا كما قيل لأولئك : مُلكاً لم تحافظوا عليه محافظة الرجال فابكوا عليه اليوم بكاء النساء . ألا تعساً لأمة هازلة وسحقاً ! .

إن الأمر جد ، فنصرة فلسطين لا تدعو إليها لحمة القرابة والنسب ، ولا صلات التاريخ والأدب ، ولا حرمة الجوار ونخوة العرب فحسب ، ولـكن تحثنا إليها فضلا عن كل ذلك — وما ذلك بالقليل — زعامة مدعاة ، ومصلحة مرجاة . فمصر اليوم تغص بالرجال والأموال ، وتتبوأ فى قلوب أبناء العروبة لمكانتها العلمية ، ونضجها الفكرى أسمى منزلة . ثم إن دولة يهودية فى فلسطين مؤيدة بأموال اليهود فى العالم ، وبخبرتهم العلمية وثقافتهم الواســعة لهى الوباء الذى يقضى على كل ما نفكر فيه مصر من مشروعات وإصلاحات ، وما نرجوه من تجارة عريضة دولية ، وصناعة ضخمة تغنيها عن سواها ، وأساطيل مدنية تجوب البحار وتجلب الخيرات ، وموانى تحتل مركز الصدارة على سيف البحر ، وغنى يكفل لبنيها الذين أرهقوا طوال حقب التاريخ نوعاً مقبولا من معيشة الأناسى ذوى الحضارة . كل هذا مهدد بكارثة على يد الصهيونية ودولتهم المنتظرة لا قدر الله !

ثم إن هؤلاء الأفاقين — وهم قلة وسط البلاد العربية — سيطلبون العون حتماً من حلفائهم الذين ناصروهم وستظل فلسطين على أيديهم مباءة للمستعمرين الغاصبين، يهددون الحريات ، ويمتصون دماء الأبرياء ، ويوقعون بين الأخوة من العرب العداوة والبغضاء

فدفاع مصر عن فلسطين دفاع عن أخ شقيق ، ودفاع عن مصلحة مشتركة ، ودفاع عن كسرة الخبز ، وموارد الحياة ، وأسباب العزة والحياة ،ودفاع عن الحرية والسلطان ، وعن كريم يهان ، وعزيز يذل، ومال يسلب، وعرض ينتهب، وتراث يغتصب

لتجد مصر بالمال غنيها وفقيرها ، صغيرها وكبيرها ، شبابها وكهولها ، رجالها ونساؤها ، فالمعركة فاصلة ، وقد عجم الغرب الغشوم عيداننا فإما وجدها صلبة قوية فارتد خاسئاً وهو حسير ، وإما وجدها لينة رخوة تحرص على المال ولا تحرص على الحرمة ، ولا الـكرامة ، ولا المستقبل ، فتمادى فى شرته وأفصح عن جبروته وسطوته ، وفى ذلك ذل الأبد لا قدر الله ! .

لتجد مصر برجالها وشبابها ، وفى ميدان فلسطين فرصة ذهبية لتدريب ذلك الشباب الذى فلت أظفاره سنى البغى والعسف والجهل ، فتخنث ونسى محتده الـكريم وتاريخه العظيم ، وتطرى وأمعن فى الهزء والحياة العابثة . إن هذا الشباب لو أحكمت مرّنه ميادين القتال ، وحياة الخشونة ، ومصارعة الأعداء ، لعاد بعد هذا الجهاد إلى مصر وحسب له أعداؤها ألف حساب .

إن فلسطين اليوم تنادى : ! وامعتصماه ! وامعتصماه !

فليـكن كل مصرى ، بل كل عربى — أين كان محله — معتصمها الذى تناديه ، وفارسها الذى ترجيه .

يتلقى النـدى بوجه حيى وصـدور القنا بوجه وقاح
هكذا هكذا تـكون المعالى طرق الجـد غير طُرْق المزاح

عمر الدسوقي

الجزار الشاعر

للأستاذ العباس خضر



نشأ بين الساطور والوضم ، يصيب المحز ويطبق المفصل فى اللحم وفى الشعر وكان ذلك فى مدينة الفسطاط ، وفى القرن السابع الهجرى ، فى فترة من الزمان انتقل فيها حكم الديار المصرية من الأيوبيين إلى المماليك ، وعاش شاعرنا الجزار (أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم) مخضرماً بين الدولتين ، آناً يطوف بالمدائح على الملوك والأمراء وحيناً ينطوى على نفسه لما يلقاه من إخفاق فيما يؤمل من هذا الطواف ، ولما يبلوه من أخلاق الناس ، ملتجئاً إلى حرفته راضياً عنها ، فهو أبداً بين كلاب : كلاب آدميين يقصدهم بمدحه لينال رفدهم ، وكلاب حقيقية من آل قطمير (١) تحوم حوله متطلعة إلى ما يلقى إليها من العظام ، وهو يؤثر حاله مع الثانية كما ترى فى قوله :

لا تعبنى بصنعة القصاب فهى أذكى من عنبر الآداب
كان فضلى على الكلاب فذ صر ت أديباً رجوت فضل الكلاب

كان أبوه وقومه قصابين بالفسطاط ، ونشأ بينهم محترفاً حرفتهم ، وقد دفعه شغفه بالأدب إلى التعلق به ، وأول ما عرف منه فى ذلك ، وهو صغير ، أنه نظم أبياتاً قلائل ، فأخذه أبوه وتوجه به إلى شاعر مشهور فى ذلك العصر ، هو ابن أبى الإصبع وقال له : يا سيدى ، هذا الولد قد نظم شعراً واشتهى أن يعرضه عليك . فقال : قل . فلما أنشده قال له : أحسنت ، والله إنك عوام مليح . فراح الوالد مسروراً بابنه الذى يوشك أن يغشى بشعره مجالس الملوك والكبراء . وأراد أن يعبر عن شكره لابن أبى الإصبع ، فصنع طعاماً وحمله إليه . ولكن ابن أبى الإصبع كان قد طابت له « التورية » التى كانت جُلَّ همِّ أدباء ذلك الزمان ، فقال له : لأى شىء فعلت ؟ فقال : لثنائك على ولدى . فقال : أنا ما أثنيت عليه . فقال : ألم تقل إنك عوام مليح ؟ فقال : ما أردت بذلك إلا أنه خرج من بحر إلى بحر !

ولكن الصبى الجزار دأب على قرض الشعر ، يضرب فى بحوره ويغوص على غرائب المعانى ، ويكسوها أصداف الألفاظ ، حتى استبان طريقه وتوضحت له الجادة .

كان يتطلع إلى حياة أخرى يتمتع فيها بلذات العيش غير حياة الجزارة التى يشقى فيها على غير طائل ، كما يقول :

أعمل فى اللحم للعشاء ولا أنال منه العشا فما ذنبى
خلا فؤادى وفى فمى وسخ كأننى فى جزارتى كلبى !

وكما يقول :

أصبحتُ لحاماً وفى البيت لا أعرفُ ما رائحة اللحم
واعتضت من فقرى ومن فاقتى عن التذاذ الطعم بالشحم
جهلته فقراً فكنت الذى أضلهُ اللهُ على علم !

لم يكن أمامه إلا أن يرتاد سوق المدائح ، فانتجع القصور ، وأنشد ساكنيها ، ولم يغفل — مع مدحهم — وصف حاله وما يعانيه من الحرمان ، قال فى آخر قصيدة مدح بها الملك الناصر ، وأنشده إياها فى يوم النحر :

كيف يبقى الجزار فى يوم عيد النـ حر دهر الإفلاس والعيد عيده
يتمنى لحم الأضاحى وعند النا س منه طريهُ وقديده
ولقد آن من لقائك أن تبـ يض أيامه ويخضر عوده

واتصل أيضاً بالملك الكامل والملك العادل ومدحهما كما مدح غيرهما من الحكام والأعيان . وأكثر من التنقل بين أقاليم القطر من الاسكندرية إلى أقصى الصعيد ، يقصد الممدوحين ، ويصف النيل وأسفاره فيه ومايلاقى بها من العناء ، ويقدم ذلك فى مطالع القصائد بين أيدى المدائح ، قال من قصيدة فى مدح ناظر الاسكندرية يصف رحلته فى النيل :

لا تسلنى عما لقيت من البيـ ن لحال الغريب حال ذميم
كنت فى كسكة تطير بقلع وهى طوراً على الثنايا تحوم
أنظر الموج حولها فإخال الـ جيم تاه لخيفتى وهى جيم
لم أجد لى فيها صديقاً حميما غير أنى بالماء فيها حميم

(١) قطمير : اسم كلب أهل الكهف .

شنقوا قلمها مراراً على الريـ ـح ولا شك أنه مظلوم
وإذا ما دنت إلى البر أمسى عندنا منه مقـعد ومقيم
يسجد الجرف كلما ركع المو ج فـدأبى هنالك التسليم
وقبيح على أن أشتكى براً وبحراً وأنت بر رحيم

ويقول فيه صاحب كتاب (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى) إنه كان « بديع النظم ، عذب التراكيب ، غواصاً على المعانى ، فصيح الألفاظ ، حلو النادرة ، وكان صاحب مجون ولطافة »

وقد رأيت حقاً أنه يمتاز بالغوص على المعانى ، من شعراء عصره المتهالكين على التصنيع فى الألفاظ ، ومكانه بينهم يشبه مكان ابن الرومى بين شعراء عصره ، مع ملاحظة الفارق الكبير بين الشاعرين وبين العصرين .

ولكنا نريد أن نتصفح أبا الحسين الجزار من وجه آخر وهو طبيعة شاعريته ، ومدى صدقه الفنى فيما قاله من الشعر . وأرانى مضطراً هنا فى هذا المقام المحدود الذى يجمل فيه القصد إلى الأهم ، إلى أن أضرب صفحاً عن القصائد الطويلة الكثيرة التى أنشأها فى المدح بدافع الرغبة الملحة فى رفع مستوى عيشه وهى لا تختلف كثيراً عن أمثالها مما تحشد فيها صفات المدح حشداً للممدوحين ؛ وهذه القصائد وإن كانت كذلك إلا أننا لا نعدم فيها أبياتاً هنا وهناك تظهر فيها ظلال الشاعر وأثر شخصيته ، وهى التى يصف فيها حاله وسوء عيشه .

وإذا أردنا أن ننتقل إلى الميدان الذى كان يركض فيه مجلياً فإننا نضم تلك الأبيات إلى شعر كثير آخر قاله فى التعبير عن مشاعره وتصوير ما يحيط به ، ولست أدرى أكان من حسن الحظ أم من سوئه أن السوق التى راجت فيها مدائحه لم تدم ، إذ انتهى العصر الأيوبى فى أواسط عمره ، ولم يعد يلقى من حكام المماليك ما كان يظفر به من صلات الملوك الأيوبيين التى لم يبق تبذيره على شىء منها ولما عانى من كساد مدحه وجفاف أيدى الممدوحين ما عانى جعل يندب حظه الذى ضاع بين الشعراء والجزارة فيقول :

واللحم يقبح أن أعو د لبيعه والشعر بائر
يا ليتنى لا كنت جزاراً ولا أصبحت شاعر

ولكنه حزم أمره ورجع إلى الجزارة ، وجلس بدكانه للكلاب ، كما كان يجلس الممدوحون له ولأمثاله من الشعراء وهو يقول فى خطاب من يدعى (شرف الدين) وقد لامه على العودة إلى الجزارة :

لا تلمنى يا سيدى شرف الد ين إذا ما رأيتنى قصابا
كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ ـت حفاظاً وأرفض الآدابا
وبها أضحت الكلاب ترجيـ ـنى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وراح يفاخر بحرفته ، ويمزج المفاخرة بالظرف والفكاهة فيقول :

ألا قل للـــذى يسـأ ل عن قومى وعن أهلى
لقـد تسأل عن قوم كرام الفرع والأصـل
ترجيهـم بنـو كلب وتخشاهم بنو عجـل

ويقول :

إنى لمن معشر سفك الدماء لهم دأب وسل عنهم إن رمت تصديق
تضىء بالدم إشراقاً عراصهم فكل أيامهم أيام تشريق

واستخدم الشاعر الجزار صناعته فى معانيه وتورياته ، فرق وظرف ، ومن ذلك غير ما تقدم ما قاله فى الذم :

لا تلمنى إذا سطوت عليـه فهـو تيس يهينـه جزاره

وما قاله فى التطاول على المتنبى :

تعاظم قدرى على ابن الحسين فذهنى كالعـارض الصيِّب
وكم مرة قد تحكمت فيـه لأن الخروف أبو الطيب

وقد نهج هذا النهج فى استخدام الحرفة فى الشعر شاعران آخران كانا معاصرين للجزار وصديقين له ، هما السراج الوراق والنصير الحمامى ، وقد برع الثلاثة فى التورية بحرفهم ، وبلغ « فن التورية » على أيديهم غاية الإجادة التى انحسر عنها فى الأزمان التالية ، قال الحموى فى (خزانة الأدب) : « ولم يزل ابن سنا الملك يتلاعب فى التورية باختراعاته ويسكنها فى عامر أبياته ، إلى أن ظهر بعده السراج فجلا غياهبها بنور مشكاته ، وتعاصر هو وأبو الحسين الجزار والنصير الحمامى وتطارحوا كثيراً وساعدتهم صنائعهم وألقابهم فى نظم التورية حتى أنه قيل للسراج الوراق لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك » .

ولئن جازت الاستهانة بالتورية باعتبارها إيغالا فى التصنيع لقد كان لها شأن آخر فى شعر هؤلاء ، فقد أكسبتها حرفهم طلاوة وروتها بماء الظرف ، قال الوراق :

يا خجلتى وصحائفى سود غدت وصحائف الأبرار فى إشراق
وموبخ لى فى القيامة قال لى أكذا تكون صحائف الوراق

وكتب الحمامى الى الجزار :

ومذ لزمت الحمام صرت به خلا يدارى من لا يداريه

أعرف حر الأشيا وباردها وآخذ الماء من مجاريه

فأجابه الجزار بقوله :

حُسن التأنى مما يعينُ على رزق الفتى والحظوظ تختلف

والعبد مذ صار فى جزارته يعرف من أين تؤكل الكتف

وقد كان الجزار مطبوعاً على المرح ، وشعره يزخر بالملح والفكاهات وخاصة فى (قافية الجزارة) كما يعبر (أولاد البلد) فى مصر ، وهو فى ذلك وفى طريقة دعابته بالسخرية من سوء أحواله فى ملبسه ومطعمه ومسكنه وبعض أفراد أسرته وفى مجونه واستعمال التورية فى كل ذلك يمثل الروح المصرية التى لا نزال نلقاها فى القاهرة لدى (أولاد البلد) وأصحاب الحرف ، قال يصف نصفية له :

لى نصـفية تعد من العمـ ـر سنيناً غسلتها ألف غسلة

ظلمتها الأيام حكماً فأضحت فى العذاب الأليم من غير زلة

كل يوم يحوطها العصر والدق مراراً وما تقر بعـــملة

وفى البيت الأخير إشارة إلى ما كان فى عصره من ضرب الناس وتعذيبهم « فى جباية الضرائب » ليقروا بما عندهم من « العملة » فهو يقول إن نصفيته تعصر وتدق على الحجر عند غسلها وهى مع ذلك لا تقر بأن لديها نقوداً ... !

وقال يصف داره :

ودار خراب بها قد نزلت ولـكن نزلت الى السابعة

طريق من الطرق مسلوكة محجتهـا للورى شاسعة

فلا فرق ما بين أنى أكون بها أو أكون على القارعة

تسـاورها هفوات النسـيم فتصغى بلا أذن سامعة

وأخشى بها أن أقيم الصـلاة فتسـجد حيطانها الراكعة

إذا ما قرأت إذا زلزلت خشيت بأن تقرأ الواقعة

وفى الأبيات التالية صورة للفكاهة المصرية الأصيلة :

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر

وجاد عليهـــا سكر دائم الدر

وتباً لأوقات المخلل إنهـــا تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

ولى زوجة إن تشتهى قاهرية أقول لها ما القاهرية فى مصر

وقد بلغ غاية الظرف فى قوله يهجو زوج أبيه :

تزوج الشيخ أبى شيخة ليس لها عقل ولا ذهن

لو برزت صورتها فى الدجى ما جسرت تبصرها الجن

كأنها فى فرشهـا رمة وشعرها من حولها قطن

وقائل قال فمـا سنها فقلت ما فى فمهـا سن

ومن نوادره ذات الموضوع أنه كان مع جماعة من أصحابه ، فرغبوا إليه أن يشترى لهم لحماً من أحد الجزارين رجاء أن يكرمه بحق الزمالة ، فذهب وعاد إليهم بلحم ردىء ، فلما سألوه فى ذلك قال لهم : إن الجزار حلف على أن أقطع اللحم بيدى كما أريد ،بالغة فى إكرامى ، فلما أمسكت بالسكين ووقفت بإزاء اللحم « أدركنى لؤم الجزار ! »

وقد كان التصنيع طابع الشعر وهم الشعراء فى ذلك العصر ، ولم يكن للجزار فكاك منه ، ولـكنه كان مستظرفاً فى صناعته لم يسف فيها ولم يبرد كما أسف وبرد غيره وخصوصاً من أتى بعده فى العصور التالية . وكان مع ذلك ينطلق محلقاً مستجيباً لشاعريته عند ما كان يصور حياته الخاصة ويتحدث عن حرفته وملابساتها ويلذع من يعرض به من أجلها ، ويداعب إخوانه ، ويرسل فكاهاته ؛ فقد كان يبلغ فى هذه الموضوعات ما يريد ، وما يقتضيه فن الشـعر ، من تصوير ما يحيط به والتعبير عن ذات نفسه المطبوعة على المرح المحبة للهو ، ولعله كان يبدد بفكاهته ما يتكاثف فى سمائه من سحب الهموم والأكدار فى بعض الأحيان .

العباسى خضر

مبادئ ومبادئ

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن



بانت تباشيرُ الصباح المنجلى   ألق الستار على الظلام وأسدِل

يا مطلع الشمس المضيئة بالهدى   يكفى رقادُك بعد ليلٍ أليل

كنتَ الدليل على صباح مشرق   للحائرين ، ونور فجرٍ مقبل

حررتَ عُبدان النفوس فأنزلوا   من قمة الأيام أكرم منزل

ومشوْا على هام الليالى هامة   تطأ السماء كبدرها المتهلل

ومضوْا بأرواح كرام لا تنى   عند اللقاء وأنفس لا تأتلى

إيمانهم بالله غـيرُ مزعزع   وضميرهم فى الله غـير مزلزل

الحـق فى يدهم وضىء الملتقى   والسيف فى يدهم حديد المنصل

قحموا على الرومان أحصن دارة   وعلى ملوك الفرس أمنع معقل

قد أرخصوا فى الله كل عزيزة   ثم استقلوا فيـه كل مدلل

حلوا القلوب على السيوف وأمنوا   فى حملهن على الرِّماح الذبَّل

كانوا على الأعداء أشأل قلة   لـكنها عزّت فـلم تتقلّل

هم حرروا الإنسان من أصفاده   واستنقذوه من المحل المهمل

أعلوا مكانته وكان محله   فى ذلك الدَّرْك الدنىء الأسفل

حكموا فـكان العدل شرعة حكمهم

ما الحكم ؟ ما السلطان إن لم تعدل ؟ ؟ .

سارت مبادئهم وسارت خلفها   أفعالهم فى موكب متمثل

ليست مبادئهم حديث منمـّق   زيف اللسان ولا كلام مجمَّل

لم يخـدعوا بالقول كل محـيَّر   أو يخلبوا باللفظ كل مؤمِّـل

قل للسياسيين دينُ محمـد   فيـه مبادئ حرة لم تنكل

تلك الوعود المسرفاتُ بعهدكم   لا تمنع الإشكال إن لم تشكل ...

غنيتمو بالسـلم وهى خديعة   فالحرب بالأبواب قيـد الأنمل

ووضـعتمو (الميثاق) فوق محيطكم

ورميتموه بمـائه المتحول . . .

غسلَـتْه أمواج المحيط وكفنت   أوراقه فى مهـدهن الأول

واحسرتاه لوعده المطول ... أو   واضيعتاه لنصـه المتبدل ! !

المسلمون اليـوم صح مُرادهم   قل للمريد على مرادك أقبل

هذا صراع ليس فيـه موضعٌ   لمؤمِّـل أو مـنزل لممثل ...

يكفى البكاء على تراث ضائع   يكفى الفخار بذاهب متنقل

والمجد لا يشرى بقول كاذب   إن كنت تبغى المجد يوماً فافعل !

ماذا ادخرتم من جهود فى غد   ماذا صنعتم منه للمستقبل ؟

النصر لم ينزل على متخاذل   والرزق لم يبعث إلى متوكل

فانزع لواءك من يد المستقتل   وانزع طعامك من يد المتطفل

واطلب محلك بالسيوف فإنه   بالسيف تنجاب النهار وتنجلى

إنا سئمنا من كلام باطل   إنا شبعنا من لسان مِـقول ..

الشرق علتـه القـديمة أنه   وسنان بين تصوف وتأمل ...

غرقان فى الأوهام نعسان المنى   متقيد الأيدى عثور الأرجل

الجهل آفتـه ، ورب جهالة   شر من الداء العياء المعضـل

لا تستعيروا السيف من يد غيركم   بل فاصنعوه بكف أروع صيقل

والسيف تصنعه بكفك يتـقى   ويصيب فى الأعداء أسوأ مقتل

محمود حسن إسمـاعيل

الاستيراد والتصدير في النظم الإسلامية

للأستاذ لبيب السعيد



الاستيراد والتصدير من أهم ما يشغل بلدان العالم فى السنوات الحاضرة وأزماتهما « لا ريب » من أشد الأزمات التى تواجهها الحكومات والشعوب ، فما يطامن من شدتها إلا الكثير من حكمة السياسة وسلامة الوطنية

وهؤلاء الأسلاف من رجال الأمة الإسلامية مدوا بأبصارهم فى هذه الناحية أيضاً إلى آفاق بعيدة ، فبلغوا فى نور شريعتهم المادية وفى ظل هممهم العالية مجداً تجارياً لو أدخلنا فى الاعتبار ملابسات زمانه لحق لنا أن نضعه غير متهيبين بجانب ما بلغته أرقى الدول الحديثة من نجاح تجارى عظيم .

عنى هؤلاء الأسلاف بالاستيراد والتصدير عناية أوفوا بها فى زمانهم على الغاية . ولعل من أجل آيات هذه العناية أن يتناولها التأليف الإسلامى تناولا فيه تفصيل نافع ومعرفة مشرّفة .

فالجاحظ يفرد فى كتابه « التبصر بالتجارة » باباً لـ « ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجوارى والأحجار وغير ذلك »(١)

وأبو الفضل جعفر بن على الدمشقى الذى عاش فى القرنين الخامس والسادس الهجريين يضع كتاباً اسمه « الإشارة إلى محاسن التجارة » يوضح فيه ما يجب على أنواع التجار مراعاته ، فيذكر أنّ على المستورد الذى يبيع بالجملة — واسمه فى مصطلح

(١) ص ٢٥ — ٣٤ .

ذلك العهد : الخزان — تقديم المعرفة بأحوال البضائع فى بلادها وانقطاع الطريق أو أمنها ، وعليه تقسيم شراء الصفقات الكبيرة فى أربع دفعات توقياً من الخسارة ، وعليه تأمل أحوال السلطان الذى هو فى كنفه ... الخ ، أما المصدّر — واسمه وقتئذ المجهز — فعليه أن يعين وكلاء له فى البلاد التى يصدر إليها ليبيعوا بضاعته ويشتروا الأعواض عنها ، وذلك مقابل حصة فى الربح . ويناقش أبو الفضل مسائل الاقتصاد النظرية كتحديد أسعار السوق ومتوسط السعر مما يدل على معرفة بالاقتصاد عريضة . (١)

وابن خلدون يعقد لموضوعات التجارة عدة فصول فى مقدمته يضمنها توجيهات حصيفة ، ومن هذه الفصول فصل فى نقل السلع دعا فيه المستوردين إلى تحرى جهدهم فى استيراد المواد الوسط التى يحتاج إليها الغنى والفقير ، وأوضح كيف أن السلع التى ترد من البلد البعيد المسافة أو شديد خطر الطرقات أعظم ربحاً (٢)

وظاهر أن لفتات الدمشقى وابن خلدون هى إلى اليوم بعض سنّة المستوردين والمصدرين ، بل إن روح ابن خلدون إذ يرغّب فى استيراد ما ينفع الطبقات جميعها هى نفس الروح التى ينزع عنها الحذاق من موجهى سياسة الاستيراد فى أيامنا هذه .

ومن مظاهر عناية المسلمين الصادقة بالتجارة الخارجية أنهم سهلوا طرقها ، فهيأوا الآبار حيث تسير القوافل ، وفى الثغور أقاموا المنائر . والأساطيل بنوها لحماية السواحل من إغارات لصوص البحار ، فلا غرو إذا كانت تجارة المسلمين حقبة طويلة سيدة التجارات ، ولا غرو إذا أضحى للاسكندرية وبغداد من الشأن ما جعلها وقتئذ تحددان أسعار البضائع فى الدنيا (٣)

وكان أهل البصرة ممن اشتهروا قديماً بالأسفار التجارية . ومن الأمثال التى عرفت : « أبعد الناس نجعة فى الكسب بصرى وخوزى (نسبة إلى خوزستان) ، ومن دخل فرغانة (فى أقصى الشرق) والسوس (فى أقصى الغرب) فلابد أن يرى بها بصرياً أو خوزياً أوحيرياً (٤)

(١) راجع دائرة المعارف العمومية ص ٥٨٨ وما بعدها.

(٢) راجع المقدمة ص ٤٤٣ .

(٣) راجع « تاريخ الاسلام السياسى » لحسن ابراهيم حسن ج ٢ ص ٢٣١ .

(٤) ابن الفقيه ص ١٩١

وكان في « سيراف » مستوردون ومصدرون واسمو الثراء يجوز مال أحدهم ستين مليوناً من الدراهم اكتسبها من تجارة البحر من العود والكافور والعنبر والجواهر والخيزران والعاج والأبنوس والفلفل وغيرها .(١)

ومن نماذج النشاط الكبير في التصدير أن تنيس « من بلاد مصر » كانت تصدر من الثياب الدبيقية إلى العراق وحدها ما تتراوح قيمته سنوياً بين عشرين ألفاً وثلاثين ألفاً من الدنانير (٢)

وكانت مدينة كابل مشتهرة بنسج القطن الذي كانت تصدره إلى الصين (٣)

ومن التجار من كانوا ينقلون من بلاد الروس الشمالية إلى بلاد المسلمين جلود الخز وجلود الثعالب والسيوف والشمع والعسل (٤)

وكانت البذور تستورد من مختلف البلاد ، فقد استورد عبد الله بن طاهر حاكم مصر في عهد المأمون بذور البطيخ (العبد اللاوي) من خراسان (٥)

وكان عضد الدولة ينقل إلى بلاده ما لا يوجد بها من الأصناف ، ومما نقله إلى كرمان حب النيل (٦)

وفي عهده استوردت إلى بغداد الغروس من فارس (٧)

وقد حمل الأترج من الهند بعد سنة ٣٠٠ هـ ، فزرع بعمان ، ثم نقل إلى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وأنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر (٨)

وكان التمر في العراق وشمال أفريقية ينتج بكميات كبيرة ، فكان يجفف ثم يصدر إلى البلاد الأخرى (٩)

ومن الحقائق المعروفة أن العرب أدخلوا إلى أوربة أنواعاً شتى من الحاصلات كالحنطة والقنب والتوت والأرز والزعفران والليمون والبرتقال والبن والقطن والأزهار ... الخ

(١) الاصطخري ص ١٥٤ .
(٢) خطط المقريزي ج ١ ص ٢٢٦ .
(٣) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز ج ٢ ص ٢٨١
(٤) المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ١٥٤ .
(٥) تجارب الأمم لمسكويه ج ٢ ص ١٩٣ .
(٦) نفس المصدر ص ٥٠٨ .
(٧) آدم متز ج ١ ص ٤٤ .
(٨) مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ٢٣٤ .
(٩) مسكويه ج ٢ ص ١٩٣ .

واختصت مدينة جور باستخراج ماء الورد وتصديره إلى الصين والهند واليمن ومصر والمغرب والأندلس (١)

وكان الانتاج الحيواني أيضاً موضع استيراد وتصدير ، فمصر كانت تستورد من برقة الكثير من الماشية للذبح كما تفعل الآن ، والعراق كانت تستورد الخيل من بلاد العرب ، وخاصة اقليم الحسا (٢) ، كما كانت تستورد الجاموس من الهند في القرن الرابع الهجري (٣)

وكانت مصر سنوياً تبيع إلى بلاد الروم من الشب ما تتراوح قيمته بين ثمانية وأربعين ألفاً واثنين وسبعين ألفاً من الدنانير (٤)

وقد أثبتت النظم الإسلامية في سياسة التصدير حذقاً اقتصادياً لا نحسبه مسبوقاً ، ففي كرمان كثر التمر كثرة كانت أكبر من أن يواجهها التصدير العادي ، فعمد السلطان إلى تشجيع التصدير بمنح المصدرين جوائز كانت تبلغ في العام نحو مائة ألف دينار (٥)

والفقه الإسلامي في رشده ويقظته يوجب مراقبة المواضع التي تنفذ إلى بلاد الأعداء ، فالفقهاء على أنه « ينبغي أن يكون للامام مسالح على المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك ، فيفتشون من يمر بهم من التجار ، فمن كان معه سلاح أُخذ منه ورُدّ ، ومن كان معه رقيق رد ، ومن كان معه كتب قرئت كتبه ، فإن كان فيها خبر من أخبار المسلمين قد كتب به أُخذ الذي أصيب معه الكتاب ، وبعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه » (٦)

وقد حكى « المقدسي » أن المراكب في فرض مصر كانت تفتش عند إقلاعها (٧) .

والصادرات خاضعة في النظم الإسلامية للضرائب . وفي جنوب جزيرة العرب كان لا يؤخذ بمدينة (عثر) إلا عما يخرج (٨)

وكافح النظام الإسلامي تهريب الواردات من التفتيش . وقد

(١) المسالك والممالك لابن حوقل ص ١٢٣ .
(٢) آدم متز ج ٢ ص ٢٨١ — ٢٩٤ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) خطط المقريزي ج ١ ص ١٠٩ .
(٥) المقدسي ص ٤٦٩ .
(٦) الخراج لأبي يوسف ص ١١٧ .
(٧) المقدسي ص ٢١٣ .
(٨) المقدسي ص ١٠٤ .

روى ابن جبير الأندلسى ما شاهده من دقة متناهية فى تفتيش بعض القادمين إلى الإسكندرية ، حيث « أدخلت الأيدى إلى أوساطهم ، بحثاً عما عسى أن يكون فيها ، ثم استحلفوا بعد ذلك هل عندهم غير ما وجدوا لهم أم لا »[(١)] .

وقد عرفت النظم الإسلامية نظام تراخيص التصدير ، ولكن فى نطاق ضيّق بالطبع ، ففى (ما وراء النهر) لم يكن يكتفى بتقاضى ضريبة الصادر عن الرقيق الذين كانوا يعبرون نهر جيحون ، بل كان لابدّ لهم – باستثناء الجوارى التركيات – من جواز من السلطان[(٢)] .

والشريعة الإسلامية يعنيها أن تتوفر فى بلاد المسلمين حاجياتها من الحاصلات الخارجية ، فمع أن العشور وهى – فى مصطلح عصرنا – الضرائب الجركية تبلغ العشر عادة ، بل تجاوزه أحياناً بالنسبة لبعض الأصناف ، فإن للامام « عند الشافعية » أن ينقصها إلى نصف العشر ، بل له أن يرفعها كلها إذا رأى المصلحة فى شىء من ذلك . وقد كانت التعريفة الجركية تتفاوت من بلد عن بلد ، فهى فى جُدّة مثلا غيرها فى الإسكندرية ، غيرها فى البصرة ، غيرها فى الموانى الإسلامية الأخرى ، كما كانت هذه التعريفة تتفاوت بحسب البلد الواردة منه البضاعة ، فبضائع الهند مثلا غير بضائع السند ، وهكذا[(٣)] .

والشريعة لا تغفل عما يتبع كثرة العشور من نقص فى واردات المسلمين يمسهم بالضر ، ولذلك ترى أن لا يزيد أخذ العشور من كل قادم بالتجارة على مرة واحدة فى كل سنة ولو تكرر قدومه ، إلا أن يقع التراضى على غير هذا .

على أن الشريعة تأبى تشجيع استيراد مالا ينفع الناس ، فهى بصدد الخمر مثلا تتمسك بالعشر .

ومما يجدر ذكره أن نظام العلامات التجارية بالنسبة للصادرات وجد بصورة ما عند المسلمين ، فالمقدسى يروى أن أسفاط الثياب الشطوية التى كانت تصنع بمصر كانت توضع عليها فى الموانى علامات المصدّرين[(٤)] .

(١) رحلة ابن جبير الأندلسى ط ليدن ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) المقدسى ص ٣٤٨ .
(٣) راجع الخراج ليحى بن آدم ص ٥١ .
(٤) المقدسى ص ٢١٣ .

ويتردد الآن كثيراً أن أغلب المستوردين والمصدرين هم من اليهود ، ومن يخط فى أغوار الماضى ير أن اليهود كانوا فى القديم أيضاً مبرّزين فى ذلك الميدان ، فقد كانوا لا ينفكون ينتقلون بالتجارات شرقاً ومغرباً ، فكانوا يجلبون من الغرب الجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور[(١)] ، وكانوا فى عودتهم من الهند والصين يحملون سلع الشرق كالمسك والعود والكافور والدارصينى[(٢)] .

وقد كان لهم بمدينة أصبهان حى يسمى باليهودية ، وكانوا هم أغلب تجار مدينة تستر بخوزستان ، وكانوا يشرفون على تجارة اللؤلؤ الذى يستخرج من خليج فارس[(٣)] .

وكان المسلمون يتعاملون بالدينار ، وهو يساوى أربعة عشر درهماً ، ولكن قيمته كانت تختلف من حين إلى حين ، ومن بلد إلى بلد ، فهو تارة يعادل عشرة دراهم وتارة ثلاثة عشر درهماً وتارة أخرى خمسة عشر درهماً .

ومن وسائل التعامل وقتئذ الصكوك (الشيكات) والمقايضة.

ولقد واجه المسلمون فى عهد عبد الملك بن مروان مشكلة نقدية تستحق الذكر ، فقد رأى عبد الملك أن تكتب على رؤوس الطوامير (الصحف) عبارات إسلامية ساءت الروم ، وسدى ما حاولوا ثنيه عنها ، فهددوا بأن يأتى المسلمين فى الدنانير من ذكر نبيهم ما يكرهون ، وصدفوا عن شراء الورق من العرب ، ومن ثمّ انقطعت الملاقات التجارية بين الدولتين . وكانت الدنانير البيزنطية والدراهم الفارسية مستعملة لدى العرب ، فسحبها عبد الملك ، وسكّ بدلها عملة جديدة تحمل بعض آى القرآن ، فلما أديت هذه العملة إلى الروم غضبوا ، وفسد ما بينهم وبين العرب ، مما أدى إلى وقوع الحرب[(٤)] .

وبعد ، فقد انعقد للمسلمين لواء الزعامة التجارية فى العالم حيناً من الدهر غير قصير ، كان فيه الغرب حميلة على الشرق . لم يسترح المسلمون وقتئذ إلى الهيّن من المقاصد ، ولم يثقل عليهم الكدح الدائب ، ولكن مضوا فى سبيلهم إلى السيادة والمجد فى

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ١٥٣ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٤ .
(٣) تجارب الأمم لمسكويه جـ ١ ص ٢٥٦ .
(٤) أنظر النظم الاسلامية ص ٢١٩ ، ٢٢١ .

عزم وجلد ، وعلى بصيرة واستواء . . . يحكى ابن خلدون أن ما كان يقال فى عهده عن أهل الشرق الأقصى من عراق العجم والهند والصين فى باب الغنى غرائب تسير الركبان بحديثها ، وربما تتلقى بالإنكار فى غالب الأمر ! وبعى التاريخ أن أحد تجار البصرة فى القرن السادس الهجرى ، واسمه حسن بن العباس كانت له مراكب تسافر إلى أقصى الهند والصين . وقد بلغ مقدار ما يؤخذ من ضرائبها مائة ألف دينار ! .

ألا إن لنا فى ميدان الاقتصاد كما لنا فى ميادين الحضارة الأخرى ماضياً يستحق أن نأسى عليه ، فهل يكون لنا المستقبل الذى نتشوف إليه ؟ .

لبيب السعيد
رئيس قسم المنسوجات بالمراقبة العامة للاستيراد

الطريقة العلمية فى تحرى الأحاديث النبوية

للأستاذ قدرى حافظ طوقان



حين رأى العرب أن من الناس من يستبيح لنفسه وضع الأحاديث ونسبتها كذباً إلى رسول الله ، ولما كان الحديث من أغزر المنابع للتشريع الإسلامى فى العبادات والمسائل الدينية والجنائية ، لهذا ودفعاً لكل فوضى فى وضع الأحاديث فقد وضع جماعة من العلماء الصادقين طرقاً لتنقية الحديث مما ألم به وتمييز صحيحه من موضوعه . وقد سلكوا فى ذلك طرقاً دقيقة علمية يصعب معها التلاعب أو الاختلاق كما وضعوا قواعد للتوصل إلى الحقيقة فى الحديث « تتفق فى جوهرها واتجاهها والأنظمة التى كشفها علماء أوربا فيما بعد فى بناء علم الميثودولوجية ... » .

قال علماء الحديث بالأمانة فى نقل الحديث وفرضوا وجوب تحرى النص لأجل الوقوف على اللفظ الأصلى . ولقد وضع القاضى عياض رسالة فى علم المصطلح هى أنفس ما صنف فى مجموعها « وقد سما بها القاضى إلى أعلى درجات العلم والتدقيق ... » ويعترف الدكتور أسد رستم بفضلها فيقول « ... وعلى الرغم من مرور سبعة قرون عليها فإنه ليس بإمكان رجال التاريخ فى أوروبا وأمريكا أن يكتبوا أحسن منها فى بعض نواحيها . وأن ما جاء فيها من مظاهر الدقة فى التفكير والاستنتاج تحت عنوان تحرى الرواية والمجىء باللفظ يضاهى أدق ما ورد فى الموضوع نفسه فى أهم كتب الإفرنج فى ألمانيا وفرنسا وأمريكا وانكلترا ... » .

وطالب علماء الحديث بتعيين رواة الحديث والتدقيق فى معرفة قيمة المحدث ووضعوا قواعد لتجريحه وتعديله . فلقد جاء فى بعض مصنفاتهم ما يلى : قال الإمام مالك بن أنس ، وكان ذلك قبل اثنى عشر قرناً : « ... لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك : لا يؤخذ من سفيه ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من كذاب يكذب فى أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على أحاديث الرسول ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به ... » .

وهناك أقوال لغير هؤلاء تبين القواعد التى على أساسها يؤخذ الحديث وتوضح الصفات التى يجب أن يتحلى بها الراوى لقبول روايته . وقسم العلماء الحديث بحسب قوته والأخذ به إلى أقسام وأطلقوا على كل قسم إسماً فقسموه إلى متواتر وآحاد . فالمتواتر ما رواه جماعة يؤمن من تواطئهم على الكذب عن جماعة كذلك إلى رسول الله . والآحاد هى الأحاديث غير المتواترة وقد قسموها أيضاً بحسب قوتها . وهكذا صار العرب والمسلمون فى الحديث . ومنهم من كان يتركه إذا عارض القياس . ومنهم من كان يتركه إذا خالف المعقول .

وكان للحديث أثر كبير فى أسلوب العرب وتفكيرهم ، فهو من أكبر العوامل فى نشر الثقافة فى العالم الإسلامى . أقبل عليه الناس يتدارسونه ودارت عليه حركة الأمصار العلمية ولا سيما فى صدر الاسلام ، وعن طريقه انتشرت فى العالم الإسلامى أنواع من

الثقافة عدة ... « فالتاريخ الإسلامي بدأ بشكل حديث كالذى ترى فى كتب الحديث من مغاز وفضائل أشخاص وفضائل أمم . ثم تطور التاريخ إلى أن صار كتباً قائمة بنفسها . ودليلنا على ذلك أن كتب التاريخ الأولى كسيرة ابن هشام وما يروى ابن جرير عن ابن إسحاق ، والبلاذرى فى فتوح البلدان يكاد يكون نمطها وأسلوبها نمط حديث وأسلوب حديث . وقصص الأنبياء وما إليهم جاءت فى القرآن وتوسع فيها الحديث ثم توسع القصاص . فكان القصص ... » .

وفوق ذلك فقد ثبت أن المسلك الذى اتبعه العرب فى تنقية الحديث وتمييز صحيحه من موضوعه قد أثر إلى حد فى أساليب العلماء إذ أبان لهم أهمية اتباع الطرق التى تؤدى إلى الحق كما أوضح لهم منهاجاً دقيقاً للسير بموجبه للوصول إلى الحقيقة وإلى الصحيح من الوقائع والأخبار والأقوال . وكذلك كان للأساليب التى اتبعها علماء الحديث فضل كبير على التاريخ « وأصبحت القواعد التى ساروا عليها فى تحرى الحقيقة هى المعول عليها لدى المؤرخين المعاصرين » ومحل تقديرهم وإعجابهم .

ولقد كان لعلماء الحديث فضل على التاريخ وأثر على الأسلوب الذى يسير عليه المؤرخون المعاصرون ، وكذلك كان لعلماء التفسير فضل وأثر لا سيما وأن الأسس التى اتبعوها فى أصول التفسير علمية وصحيحة ، يتجلى ذلك فى رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية فى أصول التفسير وفى تفسير الزمخشرى . ولولا الخوف من الإطالة لأتينا على بعض نصوص تؤيد ما ذهبنا إليه .

ووضع العرب مصنفات فى علوم الدين سار بعضهم فيها على منهج علمى . وكان الشافعى أول من وضع مصنفاً فى أصول الفقه على أسس علمية . قال مصطفى عبد الرازق : « إذا كان الشافعى هو أول من وجه الدراسات الفقهية إلى ناحية علمية فهو أيضاً أول من وضع مصنفاً فى العلوم الدينية على منهج علمى بتصنيفه فى أصول الفقه ... » واعترف الرازى بفضل الشافعى فقال ... « اتفق الناس على أن أول من صنف فى هذا العلم رأى أصول الفقه — الشافعى . وهو الذى رتب أبوابه وميز بعض أقسامه من بعض وشرح مراتبها فى القوة والضعف ... » ويقول جولد زيهر : « وأظهر مزايا الشافعى أنه وضع نظام الاستنباط الشرعى فى أصول الفقه ، وحدد مجال كل أصل من هذه الأصول .

وقد ابتدع فى رسالته نظاماً للقياس العقلى الذى ينبغى الرجوع إليه فى التشريع من غير إخلال بما للكتاب والسنة من الشأن المقدم . رتب الاستنباط من هذه الأصول ووضع القواعد لاستعمالها بعد أن كان جزافاً ... »

ويتجلى أسلوب الشافعى العلمى فى رسالته فهو يسلك فى سرد المباحث وترتيب الأبواب نسقاً مقرراً فى ذهن مؤلفها « وقد يختل اطراده أحياناً ويخفى وجه التتابع فيه ، ويعرض له الاستطراد ويلحقه التكرار والغموض ولكنه على ذلك كله بداية قوية للتأليف العلمى المنظم ، فى فن يجمع الشافعى لأول مرة عناصره الأولى » ...

وتتجه الرسالة اتجاهاً منطقياً إلى وضع الحدود والتعاريف أولا ثم الأخذ بالتقسيم مع التمثيل والاستشهاد لكل قسم . «وقد يعرض الشافعى لسرد التعاريف المختلفة ليقارن بينها وينتهى به التمحيص إلى تخير ما يرتضيه منها ... »

وكذلك تمتاز الرسالة بالأسلوب الذى اتبعه فى « الحوار الجدلى المشبع بصور المنطق ومعانيه حتى لتكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث ولطف الفهم وحسن التصرف فى الاستدلال والنقض ومراعاة النظام المنطقى حواراً فلسفياً على رغم اعتماده على النقل أولا بالذات واتصاله بأمور شرعية خالصة » .

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

مطبعة الرسالة



العدد ٧٥٨ — الاثنين ١٢ يناير ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٤

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 758

Lundi — 12 — 1 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٧٥٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ صفر سنة ١٣٦٧ — ١٢ يناير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

لا تَغْلُوا

للأستاذ محمود محمد شاكر

شدَّ ما فزعتُ حين قرأتُ فى صدر الأهرام (الاثنين ٥ يناير ١٩٤٨) نبأ تلك المحاولة الجديدة للتوفيق بين فرنسا والمغرب (أى مراكش) . وقد آثر الوحى بهذا المقال أن يسمى هذا الأمر « محاولة جديدة » ولكنى أعلم أنها ليست سوى « حيلة » أخشى أن تغرر بكثير من قراء العربية ، لقلة اطلاعهم على أنباء هذا الشعب الأبى السجين الذى ضربت عليه فرنسا نطاقاً من الكتمان والصمت ، لم يضرب على شعب قط فى هذه الدنيا ، ولا فى بلاد السوفيت . وأنا أحب أن أكشف الغطاء عن هذه « الحيلة » التى يُرادُ بها تضليل الناس عن حقائق كالشمس ظاهرة لكل من متعه الله بنعمة البصر . وأحب أن أصفى هذا الكلام لقرَّاء « الرسالة » لأنهم همُ الفئة الحية التى تقرأ لتعلم وتعمل بما تعلم .

فهذا الشىء الذى سماهُ بعضهم « محاولة جديدة للتوفيق بين فرنسا والمغرب » ، ليس شيئاً سوى محاولة من فرد واحد يعاونه قليلٌ من الناس على إحداث خرق فى إجماع أمة كاملة ، وصدع بنيان مرصوص لم أعلم فيه إلا خيراً وتماسكا وبقاء على كلمة الحق التى لا تزول ، وهى « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » إن كان ثمة حاجة إلى مفاوضة أو معاهدة .

وبلاد المغرب ثلاثة : تونس ، والجزائر ، ومراكش ، وفى كل قطر من هذه الأقطار الثلاثة حزبٌ له الكثرة الساحقة ، بل لا يكادُ يوجد فيه أقلية حتى نقول إن لهذا الحزب كثرة ساحقة ، بل الحزبُ هو الأمة ، وهو التعبير الصادق عنها .

وهذه الأحزابُ لا يمكن أن تسمى أحزاباً بالمعنى المعروف فى مصر والذى كان وليد الاحتلال البريطانى الذى فرَّق الكلمة وباغض بين القلوب .

ففى تونس الحزبُ الدستورى ، ورئيسه الحبيب بورقيبة . وفى الجزائر حزبُ الشعب ، ورئيسه أحمد مصالى الحاج ، ومندوبه فى مصر والسودان هو الشاذلى المكى . وفى مراكش حزبُ الاستقلال ورئيسه محمد علال الفاسى . وفى المنطقة الخليفية عن مراكش حزبُ الإصلاح ورئيسه عبد الخالق الطريس . وهذه الأحزابُ هى المعبرة عن بلاد المغرب كلها ، ورؤساؤها جميعاً مقيمون الآن فى مصر ، وجميعهم على رأى واحد قد أذاعوه فى كل وقت وفى كل بلد ، وهو « لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال » وهم جميعاً لا يزالون إلى هذه الساعة على هذا الرأى لم يتحوَّل عنه أحدٌ منهم ، ولن يتحوَّل بإذن الله . وإجماعُ هؤلاء الرجال هو إجماع أمم المغرب كلها ، شعوباً وأفراداً . وهؤلاء الرجال هم الذين شرَّدتهم فرنسا أو إسبانيا وَسجنتهم ونفتهمْ واضطهدتهم ، وباعدَت بينهم وبين أهليهم وحلائلهم وأبنائهم ، وأرادت أن تقصم أعوادهم فلم تجد إلا بأساً ومضاء ومصابرة وجهاداً فى سبيل

الحق الأول لكل شعب وهو الحرية والاستقلال . وهؤلاء الرجال هم الذين بقوا إلى اليوم لا ينخدعون بما انخدعت به أمم من قبلهم من مفاوضات ومعاهدات ومحادثات ، وسياسات خربة خراب ذمم اليهود . ومن هؤلاء الرجال وحدهم يؤخذ حديث مابين فرنسا والمغرب ، وعلى هؤلاء الرجال وحدهم يعتمد ، وإلى هؤلاء الرجال وحدهم تلق شعوب تونس والجزائر ومراكش بالقيادة ، بعد أن جرَّبتهم وعرَفتهم واطمأن قلبها إليهم وإلى ما يأتون ومايذرون . وهم قوم لا يفتات عليهم ، ولا يقضى على شعوبهم وهم غُيُب . وهم رجال يعملون ولا يدَّعون ولا يتظاهرون ، ولا يخادعون الناس بشيء لم يكن ، أو بسلطان لهم لم ترضه بلادهم وشعوبهم ، وهم قائمون على الدعوة إلى تحرير بلادهم ، ولهم مكاتب فى مصر والشام ، وفى فرنسا وإنجلترا وأمريكا ، لم تزل تتكلم بالكلمة الواحدة التى لاحِوَلَ عنها وهى: «لامفاوضة إلابعد الاستقلال» .

فما هو إذن « حزبُ الشورى والاستقلال » الذى اتخذ لنفسه رئاسته محمد بن الحسن الوزانى هداه الله ، واحتمل ثقل النيابة عنه محمد العلمى العربى سدَّد الله خطاه . إنه حزب كما تسمى الأحزاب ، ولكنى أعلم ويعلم كل من وقف على حقيقة النبأ فى بلاد المغرب ، أنه حزب لا يتبعه من شعب مرَّاكش أحد إلا من شذ عن إجماع أمة قد جاهدت منذ سنة ١٩١٢ وظلت تقاتل فرنسا وإسبانيا إلى سنة ١٩٣٣ ، لم تضع السلاح إلا بعد أن فنيت صفوة المجاهدين ، وقلَّ الزاد وعزَّ السلاح وحوصروا حصاراً شديداً أكثر من إحدى وعشرين سنة كاملة .

وما أظن أحداً نسى جهاد البطل الذى أذلَّ هامات الإسبان والفرنسيس حتى خدعوه وأمّنوه ثم غدروا به ، وهو الأمير محمد ابن عبد الكريم الخطابى .

إن هذا الحزب الذى قدَّم إلى المقيم الفرنسى الباغى الجنرال جوان « مذكرة ضافية لتعمل حكومة باريس على تحقيق ما ورد فيها بما يحفظ حسن العلاقات مع فرنسا » لا يعبر ألبتة عن عزيمة شعب مراكش ، بل يعبر عن رأى رئيس الحزب ونائبه وحدهما ؛ فنحنُ نعلم علم اليقين أن حزب الاستقلال ، وحزب الإصلاح فى مراكش ، هما صاحبا الرأى الأول والأخير فى هذا الأمر الذى يتعلق بإجماع الشعب المراكشى ، وأن الأمة المراكشية كلها من وراء بكلمتها : « لامفاوضة إلا بعد الاستقلال » ، ونحن نعلم أن جلالة محمد الخامس ملك مراكش يعلم أن الشعب مجمع على أن لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال ، وأنه هو نفسه الذى يتولى قيادة الدعوة إلى أن لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال .

وقد استطاع نائب حزب الشورى هذا ، أعنى الأستاذ العلمى ، أن يوجه نظر الصحافة المصرية إلى هذه البدعة التى مضت عليها شهور منذ قام محمد بن الحسن الوزانى داعياً إلى الاتفاق مع فرنسا ، أو على الأصح مظهراً رغبته فى الاتفاق مع فرنسا ، بعد ابتعاده عن حزبه الذى نشأ فيه ، وهو حزبُ الاستقلال الذى يرأسه محمد علال الفاسى . وقد نجح الأستاذ العلمى مرتين ، ولكنَّ هذه الأخيرة هى أشدهما خطراً . ولو علمت الصحافة المصرية أن شأن حزب الشورى الذى ذكرناه ، لا يكاد يكون شيئاً فى بلاد مراكش ، لطوت هذه الصحيفة مرة واحدة ، ولرجعت فى حديثها عن شأن مراكش إلى رؤساء حزب الاستقلال وحزب الإصلاح وسائر الأحزاب المغربية فى تونس والجزائر ، ولو فعلت لعلمت أن هذه « المحاولة الجديدة » ليست سوى محاولة رجل فرد زعيم حزب ، نعم ، ولكن بغير شعب .

وكان حقاً على هذه الصحف المصرية أن ترجع إلى مكتب المغرب العربى لتقف منه على حقيقة ما تقول ؛ وكان حقاً عليها أن تعتبر هذا الحزب بأشباهه عندنا من الأحزاب التى لا شعب لها إلا رئيسها ، وكان حقاً على هذه الصحف أن نعرف أن سائر رؤساء أحزاب المغرب مقيمون فى مصر منفيون عن بلادهم ، فكان لزاماً أن ترجع إليهم قبل أن تنشر أشياءَ تمزق إجماع أصحاب الحق على أن لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال . وكان حقاً عليها أيضاً ، إذ نسيت أن تفعل هذا ، أن تفكر فى شأن رئيس حزب الشورى المفاوض الجديد ، فهو مقيم تحت ظل السلطان الفرنسى هناك فى مراكش ، وهؤلاء سائر رؤساء الأحزاب المغربية مشردون منفيون مهاجرون إلى مصر ، لكى يخدموا بلادهم ويجاهدوا فى سبيلها وهم بنجوة من سلطان فرنسا . فأى هذين أولى بأن يكون هو المطالب بحق بلاده ؟ وأيهما أولى بأن يؤذن له ويُستمع ؟ وأيهما أصدق تعبيراً عن رغبة الشعب الذى ظل إحدى وعشرين سنة يقاتل فى كل بقعة

من بقاع المغرب وحيداً مجهولا حتى تفانى شيوخه وهلك كهوله وذبح فتيانه ، وورَّثوا أبناءهم أحقاداً لا تموت على فرنسا وعلى الطغاة من أشباهها .

وهؤلاء الزعماء الذين ذكرناهم آنفاً هم بقية السيف ، وهم المشردون المعذبون ، وهم العاملون الصادقون الذين آثروا الجهاد على أموالهم وأنفسهم وأهليهم وذراريهم ، وخرجوا يطوفون فى الدنيا ليؤلبوا العالم كله على بغى فرنسا وطغيانها وعدوانها وظلمها ، وقد تركوا وراءهم شعوباً تدين لهم بالطاعة ، ولا ترضى أن تدين لأحد سواهم ، لأنهم إنما يعبرون عن سر عزائمها ونياتها ، أى عن الجهاد فى سبيل بلادهم بلاهوادة ، وإلى أن ينالوا حقهم كاملا لم تتخوَّنه مكايد الاستعمار وخُدعه . وقد امتط هؤلاء الأبطال الصناديد بما لقى بعض إخوانهم من أمم الشرق ، حين زلِقَت أقدامهم فزلّوا فى المهاوى المظلمة المتشعبة التى تسل القوى من نفس سالكها ، ألا وهى هوّة المفاوضات والمعاهدات والمحادثات ، التى ابتدعتها شياطين الاستعمار الذين يعرفون باسم ساسة بريطانيا ، ففرقوا بين الأخوين ، وباعدوا بين المشيرتين ، ومدوا المطامع لخائنة الأعين ، فهب فريق من هنا يقاتل فريقاً من أهله هناك ، ووقفت بريطانيا بينهما تنظر وتضحك وتسخر ، وتحرك هذه الدمى إلى أن تنقطع الحبال فتهوى فى الهوة السحيقة الملعونة ، هوّة المفاوضات والمعاهدات والمحادثات . لقد عرفوا ذلك فأبوا أن يكونوا طعاماً لمستعمر جبار يريد أن يتلعّب بهم ، فاختاروا ما هو أهدى لأممهم وأبقى على وحدتها ، وأشد لقوتها ، وأنأى بها عن العداوات بين بعض الشعب وبعض . لقد عرفوا أن قيادة الثُّوارّ ، تقضى عليهم أن ينظروا إلى خير هؤلاء الثوار قبل أن ينظروا إلى خير أنفسهم ، وعرفوا أن الذى هم مقدمون عليه هو الجهاد الذى لا ينتهى حتى ينتهى هذا الاستعمار البغيض ، وأن الأمم المجاهدة فى سبيل حقها ينبغى أن تظل مجاهدة حتى تنال حقها ، وأنه ينبغى أن ينشأ الجيل من شباب الأمة بعد الجيل ، وهو يرى أمامه مجاهدين لا يفترون ولا يضعون السلاح ، فذلك أحرى أن يملأ قلب الجيل حميّة وأنفة ورغبة فى بلوغ الكمال فى العلم والمال والسلاح ، حتى يجاهدوا كما جاهد آباؤهم وإخوانهم من قبل . وعرفوا أن المهادنة فى مثل هذا إنما هى مهادنة تورث الشعب ضعفاً ، وتمكن للدساسين والخبثاء أن يتخافتوا بينهم فى الدعوة إلى ما يفت القوى ويضعضع العزائم ، فلا يلبث أن ينفض عن المجاهدين من تخاذل وآثر الراحة على لأواء الجهاد . وعرفوا أيضاً أن الشعب الثائر غير الشعب الذى يتبحبح فى مسارح السلم ، فأولها ينبغى أن يظل ثائراً لا يعرف اللين أو التسليم أو الأخذ بيد والإعطاء بالأخرى . وفيم يلين أو يسلم أو يأخذ بيد ويعطى بأخرى ؟ أفى الحرية والاستقلال والكرامة الإنسانية ؟ أنبئونى أى شىء من هذه الثلاثة يتجزَّأ حتى يقبل اللين أو التسليم أو الأخذ بيد والإعطاء بأخرى ، وهو جوهر المفاوضات والمعاهدات والمحادثات.

لقد عرف هؤلاء النفر الذين رضى الله عنهم ورضيت عنهم أممهم ، أن الذى بينهم وبين فرنسا هو الحرية والاستقلال والكرامة الإنسانية ، فعلى فرنسا أن تسلم وأن تلين وأن تعطى بيد ولا تأخذ شيئاً ، لأنها لن تأخذ إذا أخذت إلا ذلك الذى أعطت. وهذا بداهة العقل ، وبداهة النفس الطيبة ، وبداهة الفطرة الإنسانية التى لا تنخدع بزيف الكلام ومزوَّقه . إما الحرية والاستقلال ، وإما الصراع فى سبيل الحرية والاستقلال ، ولا مفاوضة على شىء ينبغى أن يتم جميعاً أو لا يتم البتة على نقصان وتخوُّن وتمزيق ، ولا معاهدة لحرّ على ترك شىء من حريته لغاصبه وسالبه والمهيمن عليه بالطغيان والجبروت ، فهو إن شاء منع وإن شاء أعطى .

كلا ، إنه الحق فلا معاهدة ولا مفاوضة ولا محادثة إلا بعد الاستقلال وجلاء آخر جندى فرنسى وإسبانى عن أرض المغرب كله : تونس والجزائر ومراكش . وإن فى البلاء الذى ابتليت به مصر والسودان والعراق وشرق الأردن وسواها من البلاد ، لعظة لكل امرىء أضاء فى قلبه الإيمان بالحرية والكرامة الإنسانية .

وما الذى يريده حزب الشورى الجديد فى مراكش ؟ أيريد أن تلقى بلاد المغرب على يده ما لقينا من بلبلة وضياع وهلاك وضعف ؟ أيريد أن يرى الشعب المراكشى أحزاباً يأكل بعضها بعضا ، ويتشاحن ضعيفها وقويها على مناصب الحكم ؟ أيريد أن يرى كل أسرة فى بلاد المغرب قد مزقتها الأهواء وعصفت بها عواصف الشهوات الخفية إلى متاع قليل من متاع هذه الدنيا من

ذكريات وخواطر :

على عتبة الأربعين

للأستاذ علي الطنطاوي

نزعت رجلي من الركاب ، وطردت من ذهني همّ السفر ، ونفضت ما علق بذاكرتي من غبار الحاضر ، ثم نفذت إلى ما احتوت من كنوز الماضي ، من معجزات البطولة والنبل ، من تاريخنا الواقع ، الذي لا يصل إليه خيال غيرنا ، ولا يتعلق به وهمهم ، وحاولت أن أكتب للعدد الممتاز من الرسالة فما سرت في الفصل غير بعيد ، حتى تباطأ قلمي ، ثم تعثر ، ثم وقف ... وأحسست في نفسي بهذا الضيق الذي ما انفك يلازمني منذ أكثر من عشر سنين ، فيطفئ وقدة حماستي ، ويعقل نشاطي ، ويغلق أبواب الإلهام دوني ، فلا أكتب ما أكتب إلا لملء الفراغ ، وتزجية الوقت ، كالذي يمشي المشية يجر نفسه جراً ، لا يسوقه مقصد ، ولا تجذبه غاية ...

ونظرت فإذا أنا بعد شهرين ، أتم الأربعين ، أربعين سنة قمرية ، درت فيها مع الفلك ، وسايرت الشمس ، واستقبلت السنين ، ثم ودعتها كما استقبلتها ، واستولدت الآمال ، ثم دفنتها كما استولدتها ، ورأيت أفراحاً ورأيت أتراحاً ، وصادقت وعاديت ، وأحسنت وأسأت ، فما الذي خرجت به من ذلك كله ؟

لقد قطعت في هذه السنين الأربعين أكثر الطريق ، ولكن لم أعرف بعد إلى أين المسير ! ومشيت أكثر من أربعة عشر ألف يوم تباعاً ، ولكن لم أدر إلى أين أمشي !

إنني أصحو كل يوم ، فأكلم أهلي ، وآكل طعامي ، وأذهب إلى عملي ، ثم أعود إلى داري ، فأكتب مقالتي ، أو أنظر في كتابي ، أو أزور أصحابي ، أو ألهو بما يلهو به مثلي ، ثم أنام لأصحو من الغد ، فأعيد الفصل ذاته ... والأيام تكر ، والسنون تطوى ، والعمر ينصرم ، وأنا (أمثل الرواية) الأبدية : صحو ومنام ، وشراب وطعام ، وصمت وكلام ، ووداد وخصام . أما أن أعرف نفسي ، وأخلو بها ساعة كل يوم ، وأسأل من هي ، ومن أين جاءت ، وفيم وجدت ، وإلى أين تمضي ، فهذا ما لم أفعله إلى اليوم . بل إني لأفر منها فراراً ، وأخاف أن أخلو بها ،

مال أو سلطان؟ أيريد أن يرى الشعب يتلهف تلهف البائس المسكين على فتات ما تجود به عليه فرنسا في معاهدة يقال له اليوم إنها « معاهدة الشرف والاستقلال » ثم يقال له بعد غد إن هذه المعاهدة نفسها « حماية بالثلث » ؟ أيريد أن يرى بعد قليل شباب بلاده وهم يتطاحنون على أسماء رجال لو انكشف الغطاء عنهم لكانوا سوأة في كيان الشعب لو عقل لسترها كما كان يئد أهل الجاهلية بناتهم خشية الخزي والعار ؟ أم يريد أن يرى هؤلاء الشباب وهم لا يثقون بأحد من رجالهم بعد كشف الغطاء عن فضائحهم ، فيكونون حرباً على بلادهم يطعنون أنفسهم بكل طعنة نجلاء بقولهم : « إننا شعب لا يصلح للاستقلال » ؟ أيريد هذا الذي لقيته أمم من قبلهم فاوضت وحادثت وماهدت ، فخرجت من ذلك كله منهوكة مجرحة معذبة تمتهن أشرف شرفها بأخس قول وأرذله ؟ . .

حاشا لله أن يريد حزب الشورى لبلاده مثل هذا . وأنا أعرف الوزاني منذ أكثر من عشرين سنة ، فأنا أسأله بالعهد الوثيق أن يفيء إلى ما فيه مرضاة الله ، وما فيه خير بلاده وخير أمته ، وأن يدع فرنسا بشرِّ النظرين ، لا يقربها إلا مقاتلا مجاهداً رافعاً باسم بلاده وحريتها واستقلالها وكرامتها . وما خُلِق الإنسان إلا للجهاد في هذه الحياة حرًّا كريماً ، فإذا سلب الحرية وذيد عن الكرامة ، فعليه أن يجاهد في سبيلهما جهاداً متطاولا هو وأبناؤه وذراريه لا تداخلهم سآمة ولا ضجر ولا ملل . مستعيناً بالله الذي ينصر المستضعفين في الأرض وينصر الذين لم يملوا الجهاد فيلجأوا إلى المهادنة أو المفاوضة .

أيها الإخوان الصناديد ! جاهدوا وصابروا ورابطوا ولا تملوا حتى يأتيكم نصر الله ، ولا تعجلوا على ربكم فإن الله لا يمل حتى تملوا ، فإذا مللتم فيومئذ يحيق بكم ما حاق بكل من هادن في حقوق بلاده .

محمود محمد شاكر

فأتشاغل عنها بحديث تافه ، أو كتاب سخيف ، أو لهو باطل ، وإذا أنا أُلزمت صحبتها ، وعدمت الشواغل عنها ، ضقت بنفسي ، وضجرت وأحسست كأني سأجنّ !

وأنا أصرف العمر في قطع العمر ، وأجعلي أكبر همي إضاعة يومي ، كأني أعطيت الحياة لأعمل على تبديدها ، فإذا لم أجد ما أمزق به الوقت ، واضطررت إلى مواجهة الزمان ، في ساعة كساعات الانتظار ، ضقت بعمري ، وضجرت ، وأحسست كأني سأجنّ !

إني أركض أبداً وراء المستقبل ، ففي المستقبل أبلغ آمالي ، وفيه أصلح نفسي ، وفيه أنيب إلى ربي ، وفيه أكتب تلك المعاني التي طالما جاشت بها نفسي ، ولم يجر بها قلمي ، وفيه أؤلف الكتب الكبار التي طالما أزمعت تأليفها ، وفيه أصنع كل شيء . ولكن المستقبل لن يأتي أبداً ، وحين يأتي يصير (حاضراً) وأذهب أفتش عن (مستقبل) آخر ، فأنا كالفرس الذي يعدو ويشتد ، ويكد نفسه ليدرك حزمة الحشيش ، والحزمة معلقة في عنقه ، يبصرها أبداً أمامه ، ولا يصل إليها ، فلا يزال يسعى حتى يدركه الكلال ، فيقع ، أو تعترضه حفرة فيسقط فيها ... ولكن الحفرة التي أسقط فيها أنا لا قيام منها ، ولا مناص من ورودها ، ولا يستطيع أن يجتنبها كبير ولا صغير ، ولا غني ولا فقير ، ولا أمير ولا أجير ...

وإذا أنا وصلت إلى الأمل الضخم ، هان عليّ ، وذهب بهاؤه ، وامّحت روعته ، كأن الآمال سراب لا يلمع إلا من بعيد .

لقد كان أكبر أملي يوم كنت في الابتدائية أن أكون معلماً ، وكنت أتوهم حياة المعلم فأجدها جنة أزلفت الأرض ، فيها ما تشتهي الأنفس ... أليس المعلم يأمر فيطاع أمره ، وينهى فيجتنب نهيه ، ويوفى التبجيل ، وينال الإكبار ؟ فلما صرت معلماً ، لم أجد من تلك الجنة إلا الذي تجده من الغوطة في الشتاء ، أرضاً موحلة ما فيها إلا الشوك ، وأشجاراً يابسة ، ما فيها إلا الحطب ، ورأيت مدرس الثانوية أعلى قدراً ، وأقل عملا ، وأكبر مرتباً ، وأوسع جاهاً ، فأملت أن أكونه ، وأملت أن أكون كاتباً ، وأن أكون قاضياً ، وأن أكون خطيباً ، وأن أسيح في البلاد ... فلم أجد في الأمل إلا الألم لانتظاره ، ثم الملل من بقائه ، فتيقنت الآن أني لو صرت رئيس الجمهورية ، أو صاحب (الأهرام) ، أو كان لي مال (عبود) ، لذهبت الأيام بلذة ذلك كله ، وهونه الاعتياد ، فلم أستفد منه ، إلا حسد الحساد عليه ، والحسرة ، إن فقد ، لفقده ...

وأن متع الدنيا أوهام ، من لم ينلها تشوق إليها وحسد عليها ، ومن نالها ملّها وتمنى غيرها : المتزوج يتمنى العزوبة ، والعزب يشتهي الزواج ، والمقيم يرجو السفر ، والمسافر يطلب المعاد ، والريفي يحن إلى المدينة ، والمدني يتشهى الريف ، ونحن كلنا أطفال ... تشترى للطفل اللعبة النفيسة فيفرح بها ، ويهش لها ، ثم يلقيها ويطلب غيرها ، ولو كان دونها . ثم إن الآمال لا تنتهي ... فمن أعطى المليون ابتغى المليونين ، ومن رفع في الوظيفة درجة طلب درجتين ، فلا يزال في شقاءين ، شقاء بالحاضر الذي لا يقنع به ، وبالآتي الذي لا يصل إليه . . .

أفلهذا وجدت وسعيت أربعين سنة ؟ أسعيت لأدرك السراب ؟

وتتالت عليّ الفكر ، وعاودني الضيق الذي طالما كاد يدفعني (لولا خوف الله) إلى طلب الموت من سنين ، وما أشكو المرض فصحتي جيدة ، ولا أشكو الفقر فما أجد من المال يكفيني ، وإنما أشكو فراغاً في النفس لا أعرف مأتاه ، وقوى فيّ لا أجد لها مصرفاً ، وحنيناً إلى شيء غامض لا أدري ما هو على التحقيق ...

* * *

وتركت القلم والورق ، وقمت أدور في الغرفة فوجدت على نضد إبريقاً من البلور الصافي ، طويل العنق ، واسع البطن ، فيه نحلة قد دخلت ولم تستطع الخروج ، فهي تتحفز وتتجمع ، وتثب مقدمة بقوة وبأس ، فيضرب الزجاج رأسها ويردها ، فتعاود الكرة ، وهي لا تبصر الجدار ، وإنما تبصر ما وراءه فتحسب أنه ليس بينها وبين الفضاء حجاب ، فجعلت أنظر إليها وهي تعمل دائبة ، كلما ضربت مرة عادت تحاول أخرى ، لا تقف ولا تستريح ، حتى عددت عليها أكثر من أربعين مرة ، تجد الصدمة كل مرة فلا تعتبر ولا تدرك الحقيقة ، ولا ترفع رأسها لتبصر الطريق ، وتعلم أن سبيل الفضاء ، وباب الحرية ، هو من (فوق) لا عن يمين ولا عن شمال . . .

فتعلمت من هذه النحلة ما كان خافياً عني : تعلمت أننا مثل هذه النحلة نحسب أن الانطلاق إنما يكون على الأرض فنتقدم ، فتضرب العوائق وجوهنا وتردنا ، فنقعد يائسين ، أو

نعاود الكرة مستميتين ، نحسب الانطلاق فى الشهرة أو فى المال ، أو فى متع الجمال ، وهيهات . . وهاهم أولاء السياسيون والممثلون والمغنون ، تطبق الأرض بأحاديثهم ، ويشتغل الناس بأخبارهم ، ويرون صورهم ، ويسمعون أصواتهم ، فما الذى يحصل من ذلك فى أيديهم ، وماذا ينفعك أن يكون الناس كلهم يمدحونك إذا كنت منفرداً فى غرفتك مبتئساً ، تعس النفس ، محزون القلب ؟ وها هم أولاء الشباب الأغنياء ، يؤمون كل ملهى ، ويستمتعون كل يوم بجمال جديد ، فهل ذهب ظمأ قلوبهم إلى ارتياد منابع الجمال ؟ هل شبعت شهواتهم ؟ أم أن ذلك كالماء الملح كلما شربته جدّد لك ظمأ ؟

وها هم أولاء المحبون المدنفون ، يعانقون من يحبون ، والنفس لا تزال بعد مشوقة ليس يرويها عناق ولا اقتراب ، ولا يشبعها شىء من متع الجسد .

وها هم أولاء (الملايرة[1]) المؤلفون ، هل أشبعت ملايينهم نفوسهم ، ورزقتهم القناعة والاطمئنان ؟

فما هذا طريق السعادة ، إن الطريق على الأرض مسدود ، والفضاء من حولك له حدود ، وماطريق الفضاء ، وسبيل الانطلاق إلا من (فوق) ، هناك عالم النفس تنشط النفس كلما برقت لها منه بارقة ، أو لاح علم : كلما سمعت نغمة سحرية فيها رنّة من ذلك العالم ، أو قرأت قصة عبقرية فيها إشارة إلى ذلك المجهول ، أو وعت موعظة علوية فيها قطرة من ذلك الينبوع .

الآن عرفت ، فيا ضيعة هذه السنين الأربعين !

***

لا تقولوا ، إنك تكتب فى الدين وفى الفضيلة ، وإنك تدعو إلى الخير ، لأنى عزمت على أن أقول الليلة الحق ، ولو كان على نفسى .

الحق يا سادة ، أن الدعاة اليوم إلى الله ، لا أستثنى واحداً ممن أعرف منهم ، كلهم ممثلون ، يلبسون فى المجلة أو على المنبر ثياب المسرح ، فيبدون بالجبة والعمامة ، فإذا انقضى (الفصل) خلعوها ، وعادوا إلى بيوتهم ، فعكف عابد الدينار منهم على معبوده ، ماله إلا جمع المال همّ ، وعابد الشهوة عليها ، وعابد الجاه ، وعابد المنصب . تعددت الأصنام والشرك واحد !

إنهم ممثلون وأنا أول الممثلين .

ولو كنت صادقاً لما ألفت فى سيرة أبى بكر وعمر ، ثم عدلت عن سنتهما ، وسرت غير سيرتهما ، ولو كنت صادقاً إذ أدعو إلى الإسلام ، لكنت فى سرى وجهرى وفى لسانى ويدى ، واقفاً عند أمر الإسلام ونهيه ، ولو كنت صادقاً لما انغمست فى حمأة هذه الحياة التى سال علينا سيلها من الغرب ، ولو كنت ، وكان عشرة مثلى ، صادقين ، لما بقى فى الأرض فساد . ولقد طهر الأرض من أوضارها منبر واحد من الخشب ، ثلاث درجات ليس لها درابزين ، ولا عليها قبة ، ولا لها باب ، فلم لا تطهر الأرض مائة ألف منبر مزخرفة منقوشة محلاة لها أبواب جميلة وقباب ؟

ألأن الناس فسدت طباعهم ؟ ألأن الزمان قد دنا آخره ؟

لا . بل لأن القائمين عليها وعاظ من خشب ، يحملون سيوفاً من خشب !

***

أما إن الحق ، الذى لا بد الليلة من الصدع به ... إنه ... لا هذه المواعظ ، ولا هذه المقالات ، هى التى توصل إلى الله ، ولكن يوصل إليه ، أن يعود كل إلى نفسه ، فيسأل ، من أين جاءت ، وفيم خلقت ، وإلى أين المصير ؟

وأن يعلم كل أن الطريق من (فوق) ، فيرفع رأسه ليرى الطريق . ومن منا يرفع اليوم رأسه ، ونحن كالنحلة لا تمشى إلا على الأرض ؟ بل إن منا من هو كالفراشة ، تسعى إلى النار ، يحسبها هى باب الانطلاق !

إن المسيحيين يصلون لربهم قبل الطعام على المائدة ، وقبل الدرس فى المدرسة ، ويوم الأحد فى الكنيسة ، فتعلم أنهم مسيحيون ، فما يصنع كثير من المسلمين ، وأى علامة تدل على أنهم مسلمون ، من ساعة يصبحون إلى ساعة يمسون !

لا صلاة ، ولا ذكر ، ولا تمييز لحلال من حرام ، إن عملوا فضيلة فباسم الأخلاق والفضيلة والصحة ، لا باسم الإسلام .

فما الفرق بينهم وبين غيرهم ؟

يقولون إن الدين المعاملة والصدق والقصد والاعتدال ، وأن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك .

---

(١) جمع مليونير

الكندي ورجال الدين

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

بين الفلسفة والدين ، وبين الفلاسفة ورجال الدين ، خصومة قديمة تذهب إلى أبعد العصور ، ولا تزال سارية حتى اليوم . فقد كانت التهمة التي وجهت إلى سقراط أنه أنكر آلهة اليونان ، ومن أجل ذلك حكموا عليه بالإعدام . وتاريخ الحضارة الإسلامية يسجل صراعاً مستمراً حاداً بين الفلاسفة ورجال الدين ، اشتهر بعضه ، وخفي عنا بعضه الآخر . وأظنك لا تجهل كيف نهض الغزالي يهاجم الفلاسفة هجوماً عنيفاً في كتابه تهافت الفلاسفة ، وانبرى له ابن رشد يفند أقواله في « تهافت التهافت » كما ألف في التوفيق بين الفلسفة والدين ، ويدعو إلى رفع الخلاف عنهما كتاب « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » .

ولا نحب أن نستعرض كل ما وقع في تاريخ الفكر ، فالخصومة أشهر من الاستعراض ، ولا تحتاج إلى استرسال . غير أنا نحب أن ننشر صفحة طواها التاريخ أجيالا ، وسعى الباحثون عنها فلم يجدوا إلا ظلا وخيالا ، تلك هي صفحة الكندي ، فيلسوف العرب ، الذي ضاعت كتبه ، وطويت في بطون المخطوطات ، حتى كشف حديثاً عن جملة من رسائله ، تفصح عن فلسفته ، وتلقي الضوء على مذهبه .

وسوف نحدثك في هذه الكلمة عن جانب واحد من جوانب فكره : هو موقفه من الدين ورجاله ، فنذكر طرفاً من احتجاجه وجداله .

فقد شاع عن الكندي أنه ينتسب إلى يونان ، وأنه كفر بعد اصطناع آرائهم في الفلسفة ، كما روى المسعودي في مروج الذهب فقال : «وقد كان يعقوب الكندي يذهب في نسب يونان إلى ما ذكرنا : أنه أخ لقحطان ، ويحتج لذلك بأخبار يذكرها في بدء الأشياء ... وقد رد عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة له طويلة ، ووكد خلطه نسب يونان بقحطان على حسب ما ذكرنا آنفاً في صدد هذا الباب ، فقال :

أبا يوسف إني نظرت فلم أجد على الفحص رأياً صح منك ولا عقدا
وصرت حكيما عند قوم إذا امرؤ بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عندا
أتقرن إلحاداً بدين محمد لقد جئت فينا يا أخا كندة إدا
وتخلط يونان بقحطان ضلة لعمري لقد باعدت بينهما جدا

ونحن نرى أن الكندي بريء من التهمتين جميعاً : تهمة الانتساب إلى اليونان ، وتهمة الإلحاد . وإنما شاع ما شاع عنه بدافع إغراء الحساد والمنافسين . ذكر ابن النديم في الفهرست عند الكلام على أبي معشر المنجم « أنه كان أولا من أصحاب الحديث . وكان يضاغن الكندي ، ويغرى به العامة ، ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة » .

وأنصفه المغفور له مصطفى عبد الرازق في بحث له عن الكندي فقال : « هكذا يبلغ العبث بالتاريخ حداً يشوه من خلق الكندي ومن عقله ، وقد كان الرجل في خلقه وفي عقله

صحيح ، ولكن هذا من الدين ، وليس هو الدين !

وهذا شأن كل شريف ، يستوي فيه الشرفاء جميعاً ، فما معنى تفريقهم إلى مؤمنين وملحدين وعباد وثن ؟

وهذا كله للحياة الدنيا ، فما الذين نعمله للحياة الأخرى ؟

لا ، بل الدين ، أن تتصل بالعالم العلوي ، وأن تراقب الله ، وأن تعلم أنه مطلع عليك أبداً ، وأنه يرعاك بعينه فترعاه بقلبك وتطيعه بجوارحك .

هذه غاية الخلق ، وهذا سرّ الوجود ، ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، لا عبادة عادة ، وصلاة رياضة ، وصوم استشفاء ، وحج سياحة ؛ بل العبادة التي يحسّ بها القلب حلاوة الإيمان ، ويذوق فيها لذة العبودية ، ويستشعر فيها القيام بين يدي الله . ولتتفاني مع ذلك في ميدان الحياة ، ولتقتحم لجّها ، ولتأخذ أوفر قسط من طيباتها ، ومن علومها ومن فنونها ، ولتكن قوياً ، ولتكن غنياً .

هذي حقيقة الدين ، وهذي غاية الحياة ، فهل يصل إلى الغاية من مشى أربعين سنة مائلا عنها ، ضالا طريقها ؟

ألا يا ضيعة هذه السنين الأربعين !

(دمشق ص . ب ١٩) **علي الطنطاوي**

من أعظم ما عرف البشر » .

وأكبر الظن أن المعاصرين للكندى أضافوا إليه القول بالانتساب إلى يونان ، لما رأوه من انصرافه إلى البحث فى الفلسفة اليونانية ، ونقل آراء الفلاسفة وكتبهم إلى العربية ، مع تحبيذ هذه الآراء والدفاع عنها . ذكر القفطى فى أخبار الحكماء أن الكندى هو المشتهر فى الملة الإسلامية بالتبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية » . وقال ابن أبى أصيبعة صاحب طبقات الأطباء « حذّاق الترجمة فى الإسلام أربعة : حنين بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق الكندى، وثابت بن قرة الحرانى، وعمر بن الفرخان الطبرى » .

كان الكندى إذن من حذاق المترجمين عن اليونانية ، وله فى الدفاع عن الفلسفة اليونانية حجة لطيفة خلاصتها أن الفرد الواحد لا يستطيع بلوغ الحق وحده ، فلا بد من التعاون فى الفكر والأخذ عن المتقدمين إلى أن قال : [(١)] « وغير ممكن أن يجتمع فى زمن المرء الواحد وإن اتسعت مدته ، واشتد بحثه ، ولطف نظره ، وآثر الدأب ، ما اجتمع بمثل ذلك من شدة البحث ، وإلطاف النظر وإيثار الدأب فى أضعاف ذلك من الزمان الأضعاف الكثيرة . فأما أرسطوطاليس ، مبرز اليونانيين فى الفلسفة فقال : ينبغى لنا أن نشكر آباء الذين أتوا بشىء من الحق ، إذ كانوا سبب كونهم ، فضلا عن أنهم سبب لهم . وإذ هم سبب لنا إلى نيل الحق ، فما أحسن ما قال فى ذلك » .

ثم أضاف بعد ذلك : وينبغى لنا ألا نستحى من استحسان الحق ، واقتناء الحق من أين أتى ، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة ... »

ولسنا ندرى هل كان الكندى هو الذى بدأ الهجوم على رجال الدين ، أم كان يدفع عن نفسه هجماتهم . ذلك أن الفلسفة لم تكن قد أوغلت فى الحضارة الإسلامية ، ولم يكن العهد بينه وبين عصر المأمون بعيداً ، والمأمون كما نعرف هو الذى شجع حركة النقل وأنشأ فى بغداد دار الحكمة ، وبعث فى طلب كتب الطب والفلسفة وأجرى الأرزاق على المترجمين ، وكان أغلبهم من السريان . والراجح أن الكندى هو أول فيلسوف عربى ، وأول ناقل عربى ، ولهذا قالوا عنه « فيلسوف العرب » .

وكانت ألسنة رجال الدين حادة عنيفة ترمى المشتغلين بالفلسفة بالكفر ، على الرغم من دفاع الخلفاء عنهم فى صدر حركة النقل .

وهذا هو السبب الذى دعا الكندى إلى الحذر فى نقل جميع آراء أرسطو ، وفى ذلك يقول : « توقيا سوء تأويل كثير من المتسمين بالنظر فى دهرنا من أهل الغربة عن الحق ، وإن تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق ؛ لضيق فطنتهم عن أساليب الحق ، وقلة معرفتهم بما يستحق ذوو الجلالة فى الرأى والاجتهاد فى الأنفاع العامة الشاملة ، ولدرانة الحسد المتمكن من أنفسهم البهيمية ، والحاجب بسدف سجونه أبصار فكرهم عن نور الحق ووضعهم ذوى الفضائل الإنسانية — التى قصروا عن نيلها ، وكانوا منها فى الأطراف الشاسعة — لموضع الأعداء ، ذباً عن كراسيهم المزورة التى نصبوها من غير استحقاق ، بل للترؤس والتجارة بالدين ، وهم عدماء الدين ؛ لأن من تجر بشىء باعه ، ومن باع شيئاً لم يكن له ، فمن تجر بالدين لم يكن له دين .

ويحق أن يتعرى من الدين مَن عاند قنية علم الأشياء بحقائقها وسماها كفراً ؛ لأن فى علم الأشياء بحقائقها علم الربوبية ، وعلم الوحدانية ، وعلم الفضيلة .

وجملة كل علم نافع والسبيل إليه ، والبعد عن كل ضار والاحتراس منه ، واقتناء هذه جميعاً هو الذى أتت به الرسل الصادقة عن الله جل ثناؤه ؛ فإن الرسل الصادقة ، صلوات الله عليها ، إنما أتت بالإقرار بربوبية الله وحده ، وبلزوم الفضائل المرتضاة عنده ، وترك الرذائل المضادة للفضائل فى ذواتها وإيثارها »

فأنت ترى أن الخصومة كانت عنيفة بين الطرفين ؛ فرجال الدين يرمون الكندى بالكفر والإلحاد ، ويذهبون إلى أنه يجعل يونان أخا قحطان ، والكندى يرمى رجال الدين بأنهم يتجرون بالدين وهم عدماء الدين ، ويطلب منهم الحجة إن كان عندهم برهان أو دليل .

يقول عنهم إنهم يتسمون بالنظر وهم أهل غربة عن الحق، وأنهم يتتوجون بتيجان الحق بغير استحقاق ، يحجب الحسد أبصارهم عن نور الحق ، ويتربعون على كراسى الدين طلباً للرئاسة وذباً عنها

ثم يبين الكندى الصلة بين الحكمة والشريعة ، بل يذهب إلى أن الدين من الفلسفة ، فهى قنية علم الأشياء بحقائقها وفى ذلك علم الربوبية والوحدانية والفضيلة . فالفلسفة توافق الدين ؛ لأن الرسل الصادقة أتت بالإقرار بربوبية الله وحده .

ثم يحتج الكندى لرجال الدين بحجة عقلية تضيق عليهم

(١) كتاب الكندى إلى المعتصم بالله فى الفلسفة الأولى.

موقف اليهود فى مصر

للأســتاذ نقولا الحداد

يدَّعى اليهود المقيمون فى مصر أنهم مصريون وطنيون فمن الظلم أن يُطلب منهم أن يحاربوا إخوانهم الصهيونيين .

وإذ كانوا مصريين وطنيين بكل معنى الكلمة كما يزعمون فعليهم ما على المصريين كما أن لهم ما للمصريين . فهم يرتزقون فى مصر ويثرون بل يستغلون جميع مرافق البلاد أكثر من غيرهم ، فإذاً يجب أن يكون عليهم ما على المصريين .

إن المصريين كسائر العرب فى جميع البلاد العربية يعتبرون فلسطين قطعة من البلاد العربية بل هى مركز العروبة . ولذلك قرر العرب فى مصر وغير مصر أن يدافعوا عن فلسطين بالمهج والأموال ، وقرروا أن تبقى فلسطين عربية إلى الأبد ، وأنهم يضحون كل غال ونفيس وبقائها لأجل استقلالها عربية لا قطرة دم أجنبية فيها .

ولهذا السبب جمل المصريون كاخوانهم العرب فى جميع البلاد العربية يتبرعون بالمال ويتطوعون بالرجال ويقتنون العتاد لتحرير فلسطين من الصهيونيين . فإذا كان يهود مصر مصريين وطنيين كما يزعمون ، فيجب أن يتبرعوا ويتطوعوا كإخوانهم المصريين . وإن كانوا صهيونيين فهم إذاً أعداء العرب فى قلب بلاد عربية ، وبالتالى فهم أعداء مصر نفسها . وحكمهم فى هذه الآونة الحاضرة حكم الأجانب الأعداء فى مدة الحرب الأخيرة فيجب أن يعتقل الطابور الخامس منهم وكل من يشتبه بأنه معاون للصهيونيين وأن تصادر أموالهم كما فعلت مصر بأعداء الحلفاء . وأما أن يبقوا فى البلاد يستغلونها ويترعرعون فيها ثم يمشون بالأموال وبالمؤونة والعتاد إلى تل أبيب وكر الصهيونية فإن هذا العمل خيانة لمصر ولجميع العرب .

وإما أن يقولوا أو يقول من يدافع عنهم انه لظلم أن نطلب منهم أن يحاربوا إخوانهم فى الدين ، أى الصهيونيين ، فهذا أمر لا يحتمله الطبع البشرى .

ولكن ليعلم اليهود فى كل العالم وليعلم أنصار اليهود أن هذه الحرب المبتدئة الآن فى فلسطين ليست حرباً دينية وليست حرباً بين يهود ومسلمين ونصارى ؛ إنما هى حرب قومية بين صهونيين وعرب ؛ فإذا كان يهود مصر المقيمون فى مصر من زمان طويل صهيونيين فليخرجوا من البلاد لأنهم يعدون أعداء ؛ وإن كانوا مصريين فعليهم أن يشاركوا المصريين فى الدفاع عن فلسطين .

وأما أن يقولوا لا يصح أن نحارب إخواننا فى الدين فهو عذر غير مقبول . لما كان إيزنهور يقود الجيوش الأميركية فى الحرب المنصرمة لمقاتلة الألمان لم يقل إنى من أصل ألمانى ودياتنى كديانة الألمان فلا يصح أن أحارب الألمان ، بل قال إن أميركا تحارب ألمانيا وأنا أميركى فيجب أن أسحق ألمانيا . وهكذا فعل .

وحين كان جورج وشنطون يقود الجنود الأميركان ضد الجنود الإنكليز لكى يحرر أميركا من نير بريطانيا ، لم يقل إن هؤلاء الجنود البريطانيين إنكليز مثلنا ودمنا من دمهم ولغتنا لغتهم وديننا دينهم فلا يجوز أن نحاربهم ، بل كان يقول : بريطانيا محتلة أميركا ، وأميركا تريد أن تستقل ، فيجب أن نحاربها حتى نطردها من البلاد . وهكذا كان .

فيا أيها الإخوان اليهود ! إن كنتم إخواننا فى الجنسية والوطنية فاشتركوا معنا فى قتل الصهيونية . وإن كنتم صهيونيين فاخرجوا من البلاد لأنكم أعداء البلاد فاختاروا أحد هذين الموقفين

نقولا الحداد

الخناق ، فيقول : إن اقتناء الفلسفة « يجب أو لا يجب ، فإن قالوا يجب وجب عليهم طلبها ؛ وإن قالوا إنها لا تجب ، وجب عليهم أن يحصروا علة ذلك ، وأن يعطوا على ذلك برهاناً ، وإعطاء العلة والبرهان من قنية علم الأشياء بحقائقها . فواجب إذن طلب هذه القنية بألسنتهم والتمسك بها اضطرار عليهم » .

غير أن النصر فى هذه المعركة كان لرجال الدين إذ شوهوا آثار فيلسوف العرب ، وصرفوا عن قراءتها أغلب الناس . ويبدو كذلك أنهم أوغروا عليه صدر زعيم من أئمة الأدب فى ذلك العصر هو الجاحظ ، الذى تناوله بالنقد والتجريح والسخرية اللاذعة فى أكثر من كتاب ، فى الحيوان والبيان والتبيين والبخلاء .

ومن التهم التى رمى بها الكندى فساد الذوق الأدبى ، وضعف الأسلوب ، والبعد عن البلاغة ، وهى تهمة لصقت به ، لا نستطيع أن نحقق فيها إلا إذا تناولنا أسلوبه بناء على ما ظهر له من نصوص .

أحمد فؤاد الأهوانى

من رسائل الشيخ شامل

« على هامش الثقافة العربية فى الاتحاد السوفيتى »

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

فى شهر يونيو من سنة ١٩٤٣ أذاع الأستاذ أغناطيوس كراتشكوفسكى محاضرة عن الثقافة العربية فى الاتحاد السوفيتى جاء فيها ما يأتى : « ولا يزال بعض سكان داغستان يتكلمون بلغة عربية قديمة إلى جانب لغتهم الأصلية ، ويستخدمونها فى التخاطب والكتابة ، وحتى فى نظم الشعر وفق الأوزان العربية القديمة الخ » .

ونشرت خلاصة تلك المحاضرة فى بعض الصحف المصرية يومئذ ، فقام أحد كبار الكتاب المعنيين بالشئون القوقازية ، وكتب مقالا فى إحدى الصحف اليومية الكبيرة حاول فيه التشكيك فيما قاله المحاضر عن ذيوع اللغة العربية فى بعض جهات الداغستان ، وكتبت فى ذلك الحين مقالا طويلا شرحت فيه مكان اللغة العربية فى القوقاز وبينت أنها عماد الثقافة العامة فى الداغستان من أمد بعيد . وقد تفضلت الرسالة الغراء فنشرت ذلك المقال فى العدد الأول من سنتها الثانية عشرة (يناير سنة ١٩٤٤) .

هذه كلمة وجيزة أردت بها التمهيد قبل نشر بعض الرسائل التى عثرت عليها مما كتبه الشيخ شامل نفسه فى شئون مختلفة بلغة عربية سليمة ، فيها سلاسة العبارة ، ووضوح الفكرة .

وهى أربع رسائل عثرت عليها اتفاقاً عند أحد شيوخ الداغستانيين فى حمص — سورية — فى الصيف الماضى (١) .

وهذه الرسائل تفيدنا أن شاملا كان يدعو نفسه — كما كان يدعوه أصحابه وأتباعه فى القوقاز — أمير المؤمنين .

كما نعرف منها أن اسمه المعروف به هناك هو « شمويل » وإن اشتهر فى خارج بلاد القوقاز باسم الشيخ شامل .

وهذه هى الرسائل :

(١) هو الحاج محمد الأقوشى الداغستانى فى يوم الجمعة ١١/٧/١٩٤٧ م

— ١ —

من أمير المؤمنين شمويل إلى والده الأعز جمال الدين وإلى أخويه الكريمين الحاج على العسكرى والقاضى حجيو وإلى أهل بيته ، فإلى كافة جماعة القريتين .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد . فلقد وقع بيننا وبين الكفار وقائع وحروب بحيث لم يقع مثلها إلى الآن فى ديار « ججان » (١) ، بل فى ديار داغستان . يومى الأحد والإثنين ، بالمدافع الكبار والصغار والسيوف الصوارم ، ونصرنا الله تعالى وأيدنا تأييد النبى المختار محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وخذل أولئكم اللاعين أينما توجهوا ، ورجعوا من أمام باب شميب إلى قلعة « أى سُنْقُر » مقهورين منهزمين بحيث لا يرجمون إلى ديارنا بعد ، فحمدنا الله تعالى وشكرناه على أياديه العظام ، وإعانته لنا . وهذا بشرى لكم أيها الكرام ، ولعل هذا التأييد بسبب بركات دعواتكم ، وخشوعكم وتضرعكم .

ونحن نرجع إلى الأوطان بلا طول فصل ، إن شاء الله تعالى . والباقى يخبركم الحامل بالتفصيل التام . هذا . والسلام .

— ٢ —

من الكاتب الفقير شمويل إلى إخوانه الكرام قاضى وعلماء وجميع جماعة « بِنْ » (٢) :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وصانكم الله تعالى من كل آفة . ما ظهر منها وما بطن آمين . أما بعد .

فاعلموا — يا إخوانى — إنى تركت أخذ مكافلكم للرهن ثقة بكم أن لا تخونوا دين الله تعالى ورجاء أن يكون ذلكم الترك سبباً لزوال الكدورة من بينكم ، وزيادة الألفة والمحبة فيكم ، فلا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ، ولا يقصد بعضكم ضر بعض ، ولا تكونوا جواسيس « أنصال » (٣) لإيصال المضرة إلى بعضكم ، وكونوا عباد الله إخواناً .

(١) مقاطعة فى شمالى الداغستان كانت ميدان معارك كثيرة بين شامل وبين الروس

(٢) اسم قرية

(٣) اسم أحد الخارجين على الشيخ شامل المتعاونين مع الروس .

هذه نصيحة من الفقير ، فمن لم يقبلها ولم يعبأ بها ، وسعى بمخالفتها . فإن أصابه منا تعزير بليغ — ولا شك أنه يصل إن شاء الله تعالى بعونه وقوته إما بالقتل أو ما هو أيسر منه — فلا يلومن إلا نفسه ، والباقي يخبركم الحامل بأوضح بيان ، بالمشافهة واللسان . والسلام .

— ٣ —

من أمير المؤمنين شمويل إلى خادم الكفار — ومحارب القهار ، وخليل الشيطان الفرار « أغلار »(١) .

سلام على من اتبع الهدى ، ونهى النفس عن موادّات الهدى . أما بعد .

فإن هذا النصراني قد اختار دين الإسلام ، من خدمة عبدة الأوثان والأصنام ، وإن اخترتم المكس . هذا .

— ٤ —

من أمير المؤمنين شمويل إلى أخيه النائب أبي بكر . سلام كثير . فالذي يقوله هؤلاء الحاملون من أخذ مزارع البنات المتزوجة إلى الأخرى مما لا يقبله العقل والنقل ، فاحذر منه ، فالسلام .

يوم السبت ٣ من جمادى الأولى سنة ١٢٧١ هـ

***

هذا هو نص الرسائل التي عثرت عليها وهي — كما رأى القارىء — رسائل عربية الأهاب واضحة الأسلوب مع مراعاة أنها كتبت قبل نحو مائة سنة ، وأن كاتبها رجل لم يغادر بلاده إلى بلاد عربية فضلا عن أنه كان مدى ثلاثين سنة متواصلة في حرب مستعرة مع عدو قوي جبار .

والرسائل الثلاث الأولى كتبت في إبان الثورة وفي شئون متصلة بها أشد اتصال . والرسالة الرابعة كتبت رداً على استفتاء في شأن من شئون الحياة . وتمتاز عن بقية الرسائل بأنها مذيلة بتاريخ وهو يوم السبت الثالث من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف من الهجرة . أي قبل استسلام شامل بنحو خمسة أعوام ، فقد اضطر إلى التسليم في صفر سنة ست وسبعين ومائتين وألف .

والشيخ شامل كان لا يعرف اللغة الروسية مع أنه عاش في بلاد كان نفوذ الروس فيها عاماً شاملا في كثير من الأوقات ، بل كان لا يعرف إلى جانب لغته الأصلية إلا اللغة العربية التي كان يحسنها إحساناً . فقد ذكر الفيكونت فيليب دي طرازي في تاريخ الصحافة . (ج ٢ ص ١٧٣) عند كلامه عن سليم دي نوفل واستدعائه سنة ١٨٦١ م لتدريس اللغة العربية في جامعة بترسبورغ — ما يأتي . « واتفق أن شاملا المشهور الذي حارب روسيا مدة ٣٢ سنة خضع وسلم لها في ذلك الزمن ، وكان لا يحسن اللغة الروسية ، بل العربية ، فكان سليم ترجماناً بينه وبين القيصر اسكندر الثاني » .

وعلى ذكر القيصر اسكندر الثاني أقول : ذكر الفريق محمد فاضل باشا الداغستاني الذي كان أسيراً لدى الروسيين مع الشيخ شامل — هذه الحادثة :

كان الشيخ شامل مدعواً إلى إحدى الحفلات المقامة في قصر الامبراطور اسكندر الثاني ، وبينما كان جالساً بجانب القيصر اسكندر الثاني على المائدة التفت إليه القيصر ، وأظهر له عظيم الاحترام والتقدير وقال له :

« إنني فخور جداً أن أرى في مثل هذا اليوم السعيد رجلا عظيما مثلكم في ضيافتي » .

فلم يترك شامل هذه التحية تمر بسلام ، فالتفت إلى القيصر وأجاب بهدوء :

« لو أن شخصكم الكريم كان في أسري وضيافتي لكان سروري أعظم ، وافتخاري بذلك أجل ! » .

رحم الله شاملا وبرد ثراه ، فقد عاش كريماً يناضل في سبيل دينه ووطنه أكثر من ثلاثين عاماً ، حتى إذا اضطر إلى إلقاء السلاح والاستسلام إلى عدوه لم تفارقه روح الرجل المسلم المناضل الحر ، ولو كان جليسه امبراطور روسيا القيصر اسكندر الثاني .

برهان الدين الداغستاني

(١) إغلار خان من أعوان الروس الخارجين على شامل . والرسالة قاسية فيها بعض غموض

الفتوة الإسلامية

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

عرفوا الفتوة فى اللغة بأنها : الكرم والسخاء ، والشجاعة والمروءة ، فإذا عرفنا أن هذه الفضائل الخلقية كانت جماع الشرف والحمد فى البيئة العربية أدركنا أن « الفتوة » كانت دلالة النبل والسمو فى تلك البيئة . ولقد قالوا « لا فتى إلا علىّ » ، يعنون أنه كرم الله وجهه كان غاية فى إدراك هذه الفضائل والشمائل ، على أننا نجد معنى « الفتوة » فيما بعد الصدر الأول للإسلام قد اتسع فى دلالته فأصبح يضم إلى ما سلف من الفضائل الخلقية فضيلة الإيثار والتضحية وإنكار الذات ، وبهذا انتقلت « الفتوة » من طور إلى طور ، فالفتى فى الطور الأول كان فرداً غايته أن يفعل ما يكسبه الحمد فى قومه ، وأن يحافظ على شرفه الذى هو شرف قبيلته ، أما فى الطور الثانى فإنه أصبح فرداً يعيش لغيره ويؤثره على نفسه ، أو كما نقول فى اصطلاح العصر : فرداً يعيش للجماعة ، وقد حدد الشاعر العربى هذا المعنى إذ يقول :

فإن فتى الفتيان من راح واغتدى لضر عدو أو لنفع صديق

ويظهر أن « الفتوة » قد ابتدأت تتميز فى البيئة الإسلامية كظاهرة من ظواهر المجاهدة ، وكرحلة من مراحل التصوف ، على عهد الحسن البصرى ، ومما يؤثر عن الحسن قوله : « كان الفتى إذا نسك لم نعرفه بمنطقه وإنما نعرفه بعمله » ، وبهذا المعنى تكلم فى « الفتوة » جعفر الصادق ، ثم الفضيل ، ثم الإمام أحمد ، ثم سهل ، فالجنيد ، وأضرابهم من الصوفية . قال على بن أبى بكر الأهوازى « إن أصل الفتوة ألا ترى لنفسك فضلا واحداً » ، وقال القشيرى : « أصل الفتوة أن يكون العبد أبداً فى أمر غيره » ، وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم » إن الفتوة هى كسر إبراهيم للصنم ، وصنم كل إنسان نفسه ، فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة .. وهكذا نجد « الفتوة قد اتخذت فى البيئة الصوفية مظهراً يلائم تلك البيئة فى اتجاهاتها وفى أهدافها..

والكلام على ما كان من نظام « الفتوة » فى محيط الصوفية يحتاج إلى حيّز كبير ، وقد يقتضى ذلك كتاباً برمته ، فحسبنا تلك الإشارة العابرة ، لأننا نقصد فى هذا المقال إلى الكلام عن « الفتوة » إذ تمثلت فى المجتمع الإسلامى نظاماً له أهدافه السياسية والاجتماعية والخلقية ، وقد كان ذلك على عهد الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، فهو الذى فرغ لهذا الأمر وتولى تدبيره بنفسه ، فأهدر ما كان من أوضاع الفتوة السابقة ووضع لها نظاماً عاماً ينتظم الأكابر والأصاغر والخاصة والعامة ، وجعل نفسه القبلة فى هذا والمرجع ، وأرسل إلى الملوك والأمراء على أن يأخذوا بهذا النظام ، قال « أبو الفداء » فى حوادث سنة سبع وستمائة : « وفى تلك السنة وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة [1] ، ويلبسوا له سراويلها ، وأن ينتسبوا إليه فى رمى البندق ويجعلوه قدوتهم ... » ، ويقول أبو المحاسن ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة : « وفى أيام الناصر لدين الله ظهرت الفتوة ببغداد ورمى البندق ولعب الحمام المناسيب ، وافتتن الناس فى ذلك ، ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك ، فألبسوا الملك العادل ثم أولاده سراويل الفتوة ، ولبسها أيضاً الملك شهاب الدين صاحب غزنة والهند من الخليفة الناصر لدين الله ، ولبسها جماعة أخر من الملوك . . »

ولعل ابن الساعى هو المؤرخ الوحيد الذى فصل ما كان من عمل الناصر فى ذلك ، ولقد حفظ لنا هذا المؤرخ العظيم صورة من العهد الذى أذاعه هذا الخليفة على رؤساء الأحزاب بتعاليم الفتوة وما حددّ لها من التقاليد والأوضاع حتى لا يتعدوها فيما بينهم وبين أنفسهم ، وفيما بينهم وبين الناس [2] ، وقد كان من خير ذلك العهد أن الفاخر العلوى كان رفيقاً للوزير ناصر ابن مهدى ، وكان له رفقاء ، فاختصم أحد رفقائه مع رفيق لعز الدين نجاح الشرابى ، ووقعت بذلك فتنة عظيمة بين الفريقين ، حتى تجالدوا بالسيوف ، فانتهى هذا إلى الخليفة الناصر فأنكره ، وتقدم إلى الوزير بجمع رؤوس الأحزاب ، وأن يكتب فى ذلك كتاب يؤمرون فيه بالمعروف والألفة ، وينهون عن التضاغن

---

(١) هو كما نقول فى هذه الأيام يشربون نخب فلان .

(٢) لم يصلنا من تاريخ ابن الساعى إلا قطعة مخطوطة جمعها المغفور له أحمد تيمور باشا وهى تبدأ من حوادث سنة ٥٩٥ هـ وتنتهى بحوادث سنة ٦٠٦ هـ وعليها اعتمدنا فى نقل تلك النصوص .

والتباغض ، ويقرأ بمحضر منهم ، ويشهد عليهم بما يتضمنه ، فمن خالفه أخذت سراويله ، وأبطلت فتوته ، وعوقب بما يستحق، ويعتبر هذا المهد وثيقة نادرة تكشف لنا عن الحدود التي رسمها الخليفة الناصر لنظام « الفتوة » الذي أقامه ، وتبين لنا ما وضع لهذا النظام من هدف وغاية ، ففي ديباجة هذا المهد يشير إلى شيء من تاريخ الفتوة ومرجعها وأصلها فيقول : « من المعلوم الذي لا يتمارى في صحته ، ولا يرتاب في وضوح براهينه وأدلته ، أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو أصل الفتوة ومنبعها ، ومنجم أوصافها الشريفة ومطلعها ، وعنه تروى محاسنها وآدابها ، ومنه تشعبت قبائلها وأحزابها ، وإليه دون غيره ينسب الفتيان ، وعلى منوال مؤاخاته الشريفة النبوية نسج الرفقاء والإخوان ، وأنه كان عليه السلام مع كمال فتوته ووفور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها ، ويستوفيها من أصناف الجناة على تباين جناياتها ، ومللها ومذاهبها ، غير مقصر عما أمر به الشرع المطهر وقدره ، ولا مراقب فيما رتبه من الحدود وقرره ، امتثالا لأمر الله تعالى في إقامة حدوده ، وحفظاً لمناظم الشرع وتقويم عموده ، فإنه عليه السلام فعل ذلك بمرأى من السلف الصالح ومسمع ، ومشهد من أخبار الصحابة ومجمع ، فلم يسمع أن أحداً من الأمة لامه ، ولا طعن عليه طاعن في حد أقامه ، وحقيق بمن أورثه الله مقامه ، وناط به شرائع الدين وأحكامه ، وانتمى إليه عليه السلام في فتوته ، واقتفى شريف شيمته ، وكريم سجيته ، أن يقتدى به عليه السلام في أفعاله ، ويحتذى فيما استرعاه الله تعالى واضح مثاله ، غير ملوم فيما يأتيه من ذلك ، ولا معارض فتوة وشرعاً فيما يورده ويصدره »

ثم يشير المهد إلى المراسم المفروضة « على كل من تشرف بالفتوة برفاقة الخدمة الشريفة المقدسة المعظمة الممجدة الطاهرة الزكية الأمامية الناصرة لدين الله تعالى » ، وكل هـذه المراسم دعوة إلى الألفة والمحبة ، وإلى أن يكون الرفاق في عون بعضهم بعضا ، فمن كان له رفيق قتل نفساً زكية بغير إثم بادر بالخروج من رفقته ، لأنه بهذا الإثم خرج عن دائرة الفتوة ، ومن حمى قاتلا وأخفاه وساعده على أمره تنزل عنه كبيره وتبرأ منه ، ومن حوى ذا عيب فقد عاب وغوى ، ومن آوى طريد الشرع فقد ضل وهوى ، وإذا قتل الفتى فتىً من حزبه سقطت فتوته ، ووجب أن يؤخذ منه القصاص عملا بقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » ، فإذا قتل غيرُ فتى رفيقاً من الرفاق أو عوناً من الأعوان ، أو منتسباً إلى ديوان في بلد الخليفة المفترض الطاعة على كافة الأنام ، فقدعيب هذا القاتل بالقتل وواجب القصاص منه على كل فتى راجح . .

وفي الختام يشير المهد إلى ما يجب على الرفقة من العمل بموجبه والجري على مقتضى المأمور به والوقوف عنـد المحدود فيـه ، قال ابن الساعي « وقد سلم إلى كل واحد من رؤساء الأحزاب منشور بهذا المثال فيـه شهادة ثلاثين من العدول ، ثم كتب تحت كل مرسوم ومنشور ما صورته : قابل العبد بما تضمنه هـذا المرسوم المطاع ، وقابله بما يجب عليه من الانقياد والامتثال والاتباع ، وهو الذي يجب العمل به فتوة وشرعاً ، وهذا المعروف من سيرة الفتيان نقلا وسمعاً ، وقد ألزمت نفسي إجراء الأمر على ما تضمنه هـذا المرسوم الأشرف ، فمتى جرى ما ينافي المأمور به والمحدود فيه كان الدرك لازماً لي والمؤاخـذة مستحقة على ما يراه صاحب الحرب ثبت الله دولته وأعلى كلمته ... » .

لم تكشف لنا النصوص الواردة عن حقيقة القصد الذي كان يهدف إليه الناصر من إنشاء هـذا النظام للفتوة ، أو على الأصح من إنشاء هذه الجمعية التي كانت في نظامها أشبه ما تكون بالجمعيات السياسية والحربية ، ولهذا يرجح الباحثون أن الناصر كان يقصد بذلك إلى إحياء الروح الحربية في النفوس ، وإقامة قوة يمكن أن يقف بها في وجه أولئك الأعاجم الذين أخذوا يتخطفون الامبراطورية العربية من كل جانب ، ويعملون على إزالة معالم الخلافة الإسلامية .

غير أنا نرى جميع المؤرخين القدماء الذين كتبوا في سيرة الناصر وأعماله قد عابوه بالانصراف إلى هذا الأمر ، حتى يقول أبو الفداء إنه « كان قبيح السيرة منصرف الهمة إلى رمي البندق والطيور المناسيب ولبس سراويلات الفتوة » ، وإنهم ليذكرون عنه في ذلك حكايات تصوره مثـلا أعلى في اللهو وسقوط الهمـة والانصراف عن مهمات الأمور . والمؤرخون القـدماء لا شك معذورون في هذا التقدير ، لأنهم تعودوا أن يروا الخليفة مثالا للارستقراطية المتعالية ، فهو شخص لا عمل له إلا أن يجلس

فى صدر الديوان يأمر وينهى ، ويمنع ويمنح ، فكان من الغريب فى تقديرهم أن ينصرف الناصر إلى هذا التدبير ، وأن يبذل له كل هذه العناية ، وأن يعنى بتعميم ذلك النظام الحربى الرياضى بين الطبقات ! !

على أى حال نستطيع أن نقول إن الناصر قد وضع نظاماً للفتوة الإسلامية كان فى الإمكان أن يجدد شباب الدولة العربية وأن ينهض بها من عوامل الانحلال التى تسربت إلى جسمها ، ولكن يظهر أن أحداث الزمن فى تلك الأيام كانت أعنف وأغلب . على أن هذا النظام قد امتدت أصوله فى البيئات الإسلامية ، وعمت آثاره آماداً من السنين ، فأننا نجد الرحالة ابن بطوطة بعد عهد الناصر بقرنين ، أى فى القرن الثامن الهجرى يتحدث عن جميات الفتوة وانتشارها فى بلاد الأناضول ، ويثنى عليها ثناء مستطاباً ، وكانوا يسمون بالأخية الفتيان [1] ، قال ابن بطوطة « وهم بجميع البلاد التركمانية والرومية ، فى كل بلد ومدينة وقرية ، ولا يوجد فى الدنيا مثلهم أشد احتفالا بالغرباء من الناس وأسرع إلى إطعام الطعام وقضاء الحوائج والأخذ على أيدى الظلمة وقتل الشرط ومن لحق بهم من أهل الشر ، والأخى عندهم رجل يجتمع أهل صناعة وغيرهم من الشبان الأعزاب والمتجردين ويقدمونه على أنفسهم ، وتلك هى الفتوة أيضاً ، ويبنى زاوية ويجعل فيها الفرش والسرج وما يحتاج إليه من الآلات ويخدم أصحابه بالنهار فى طلب معايشهم ويأتون إليه بعد العصر بما يجتمع لهم ، فيشترون به الفواكه والطعام إلى غير ذلك مما ينفق فى الزاوية ، فان ورد فى ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم وكان ذلك ضيافة لديهم ولا يزال عندهم حتى ينصرف ، وإن لم يرد وارد اجتمعوا على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا إلى صناعتهم بالغدو ، وأتوا بعد العصر الى مقدمهم بما اجتمع لهم ، ويسمون بالفتيان ، ويسمى مقدمهم كما ذكرنا الأخى ، ولم أر فى الدنيا أجمل أفعالا منهم ، ويشبههم فى أفعالهم أهل شيراز وأصفهان ، إلا أن هؤلاء أحب فى الوارد والصادر ، وأعظمهم إكراماً له وشفقة عليه .. »

ومن ثم نرى أن الفتوة الإسلامية قد تطورت إلى نظام اجتماعى إنسانى أشبه ما يكون بنظام الماسونية من جهة ، وبنظام التعاون الاجتماعى من جهة أخرى ، كما نرى أن الفتوة الإسلامية قد تغلغلت فى البلاد الأسلامية وانتشرت بين الطبقات ، ولو كان هناك القائد المنظم الذى يعمل لاستغلال تلك الجماعات على وضع محدد الهدف والغاية لأجدت كثيراً من الخير على العالم الإسلامى ، ولكنها انتهت فى آخر الأمر إلى مايشبه نظام الزوايا الذى وضعه الصوفية ، ويظهر أنها تلاشت فى هذ النظام على مر السنين .

على أننا نرى فى العصور المتأخرة نظاماً شاع بين الطبقات ، وهو الذى عرف فى البلاد العربية « بمشيخة فتوة » وهو نظام كان يقوم على قوة الساعد والعضل ومزاولة بعض الأعمال الرياضية والفروسية .

وبعد ، فهذه صفحة من تاريخ الفتوة الإسلامية ، عرضناها على القراء مجملة ، لأن المقام لايحتمل الشرح والتفصيل ، ولعلنا نعود فى فرصة أخرى إلى تجلية بعض النواحى فى هذا الموضوع الذى عنى به المستشرقون أكثر مما عنى به أبناء العروبة .

محمد فهمى عبد اللطيف

(١) واحد الأخية أخى على لفظ الأخ إذا أضافه المتكلم الى نفسه .

اللغة العربية تصـــارع [1]

للأســـتاذ وديع فلسطين

في مفتتح هذا القرن كان النشء يلحقون في معاهد مصرية خاضعة لوزارة المعارف المصرية (أو نظارة المعارف كما كانت تسمى) فلا يدرسون العلوم والرياضيات إلا بلغة أجنبية تلبية لرغبة المستعمرين ووكيلهم الداهية دنلوب .

بيد أن سعد زغلول باشا لم يكد يتقلد مهام وزارة المعارف في العام السادس من القرن العشرين حتى هبّ هبّته المدوّية ، وأعلن ثورته وعصيانه على أساليب التربية ولا سيما تدريس العلوم باللغة الإنجليزية . وعلى حين غرّة طالع سعد بني وطنه بقراره الانقلابي ، وعمم لغة الضاد بين جدران المعاهد ، فأصبحت أداة التعبير والتلقين .

وليست هذه المهمة مُيسرة كما قد يخال البعض ، بل كانت تنطوي في تضاعيفها على تبعات شتى ، لعلّ أبرزها تبعة توفير عدد صالح من الأساتذة يعهد إليهم في شقّ الطريق واستحداث طائفة من الكتب باللغة العربية تخلف زميلاتها الإنجليزية ، وإعادة النظر في برامج التعليم على ضوء التجديد المستحدث .

فكانت هذه أول معركة ربحتها اللغة العربية في ساحة صراعها ، وعقد لواء الظفر فيها لزعيم سياسي مخلد الذكرى ، أبت عليه مصريته وأبت عليه قوة شكيمته أن يلين للبغاة ويدعهم يسممون الفكر ويسيئون التربية والإعداد .

* * *

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، أي في عام ١٨٧٥ تقرر في اللائحة الرسمية للمحاكم المختلطة استخدام اللغة العربية في المحاكم المختلطة بوصفها لغة رسمية مع قرينتين أخريين هما الفرنسية والإيطالية . ولكن عادة المحاكم جرت على اختيار اللغة الفرنسية لغة موحدة في مخاطباتها وإصدار أحكامها ، وغضّت الطرف عن سائر اللغات الأخرى .

ودرجت سفينة المحاكم المختلطة على السير في هذا المنوال حتى هلّ شهر فبراير من عام ١٩٣٤ وفيه عُين الأستاذ الدكتور عبد السلام ذهني بك مستشاراً في محكمة الاستئناف المختلطة .

وعزّ على القانوني المصري أن يرى لغة بلاده تهدر ويضرب عنها صفحاً ، فعمد عند كتابة أول حكم له إلى كتابته بالضاد وتقديمه بعد ذلك إلى رئيس الدائرة البلجيكي ليمضيه . فبهت القاضي واستعاذ بالله ، وقال إن مجد المحاكم المختلطة يؤذن بالأفول ونجمها في طريق الخبو . وكان لهذه الحادثة صدى مدوّ أفضى إلى أن يتعاضد الأجنبيون من رجال المحكمة معاً ويحولوا دون مضي الفقيه المصري فيما اختطه لنفسه من سبيل .

بيد أنه لم يحل عام ١٩٣٧ حتى شهد إمضاء اتفاق مونترو الذي قرر إلغاء الامتيازات وجعل العربية اللغة الرسمية القضائية المكفولة المقام ، ونطق الأحكام في الجلسات مشافهة بلغة يعرب وبلغة الفرنسيس .

فكانت هذه ثاني معركة صارعت فيها اللغة العربية على يد فقيه مقدام فكان التوفيق حليفها .

* * *

وقبل خمسة أعوام ، أي في شهر أغسطس من عام ١٩٤ كان على رأس وزارة الشئون الاجتماعية شاب كفء ذو جرأة فهاله ما رأى وما سمع عن امتهان لغة البلاد في الشركات ودور الصناعة الأجنبية في أديم مصر ، وصمم على رد الاعتبار للغة العرب وصون حقوقها ومقامها .

فاستصدر معاليه — وكان الأستاذ عبد الحميد عبد الحق — مشروع قانون لتعميم اللغة العربية في دور الشركات الأجنبية وجعلها اللغة الأصيلة وما عداها دخيلٌ لا يعوّل عليه . فكانت هذه الخطوة مثار تعليق متباين من الدوائر الأعجمية ، ولكنها أجمعت جميعها على استنكارها .

غير أن الوزير الشاب مضى متجلداً صوب هدفه حتى أقرّ مجلسا البرلمان القانون وأصبح واجب الاحترام مكفول النفاذ وتحدّث صاحب المشروع عنه قائلا « إنني أرى أن لا فضل لي في هذا القانون لا من حيث الفكرة ولا من حيث صدوره ... أما فيما يتعلق بالفكرة ، فهي فكرة كل مصري . وأما فيما يختص بصدوره فالفضل في ذلك إلى التمسك بحقوق البلاد »

(١) لأرد الفضل لصاحبه أقرر أن صاحب فكرة هذا المقال هو الأستاذ الصديق سيد قطب . (وديع)

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٥٧ – إنما سرقت مال ربي

في (رفع الإصر عن قضاة مصر) لابن حجر العسقلاني: حكي على بن سعيد في تاريخه أن رجلاً سرق قنديلاً من الجامع العتيق، فرفع للقاضي، فرفعه للحاكم، فقال له: ويلك! سرقت فضة الجامع؟

فقال: إنما سرقت مال ربي، وأنا فقير، ولي بنات جياع، والإنفاق عليهن أفضل من تعليق هذا في الجامع.

فدمعت عيناه، ورققه القاضي عليه، فأمره بإحضار بناته، فحضرن فأمر القاضي أن يجهزن بثلاثة آلاف دينار، وزوجن، وأعاد القنديل إلى الجامع.

٩٥٨ – ... فأمهلته إلى شوال

في (تتمة اليتيمة) لأبي منصور الثعالبي:

أنشدني الشيخ أبو بكر لأبي نصر كاتب ابن قحطان صاحب اليمن في محمد بن حوشب[١]، ولم أسمع في معناه أظرف منه:

قيـل لي: ما أفدت ممن إليـه صرت تحدو قلائص الآمال؟
قلت: جئناه في شهور شراف وهـو فيها بنسكه ذو اشتغال
والفتى لا يجود إلا على السكر (؟) فأمهلته إلى شــوال

٩٥٩ – الطبيعة إذا وجدت طريقاً استغنت به عن طريق ثانٍ

شرح النهج لابن أبي الحديد: اعلم أن الناس اختلفوا في ابتداء خلق البشر كيف كان، فذهب أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى إلى أن مبدأ البشر هو آدم الأب الأول، وذهب طوائف من الناس إلى غير ذلك، أما الفلاسفة فزعموا أنه لا أول لنوع البشر ولا لغيرهم من الأنواع، وأما الهند فمن كان منهم على رأي الفلاسفة فقوله ما ذكرناه، ومن لم يكن منهم على رأي الفلاسفة ويقول بحدوث الأجسام لا يثبت آدم، ويقول إن الله (تعالى) خلق الأفلاك وخلق فيها طباعاً محركة لها بذاتها، فلما تحركت وحشوها أجسام لاستحالة الخلاء كانت تلك الأجسام على طبيعة واحدة، فاختلفت طبائعها بالحركة الفلكية، فكان القريب من الفلك المتحرك أسخن وألطف، والبعيد أبرد وأكثف. ثم اختلطت العناصر، وتكونت منها المركبات. ومما تكون منها

(١) وردت « حوشب » في الطبعة بالسين وهي بالشين.

وبسن هذا القانون أضحت لغة العرب سيدة اللغات في مصر وأمكنها أن تصرع أترابها في الميادين الرسمية.

* * *

بيد أن العربيـة ما فتئت تتعثر في المجتمعات وفي الأندية ودور المرح وبيوت ذوي الأحساب والأنساب. ولا يزال عليها أن تواصل كفاحها بغير هوادة لتثبت أقدامها وتعزز مرتبتها.

فإذا جلست في فندق من فنادق الحاضرة المصرية، تناهت إلى أذنيك « بقايا » كلمـات عربية مختلطة بلهجات أجنبية، أو سمعت لغة فرنسية تتريث بين أوان وآخر لتزج بين ثناياها بكلمة عربية أو تعبير من تعبيرات السائغة.

وإذا زرت بعض البيوتات، رأيت الفتيات العذارى يؤثرن لغة أجنبية على لغة المهد، ويتراسلن بها في أحاديثهن في زهو وخيلاء

وإذا قصدت بعض الشركات الأجنبية ذات النفوذ القوي أو التي يسندها نفوذ قوي، رأيت اللغة العربية منزوية في ركن من الأركان لتفسح للغتين أو لثلاث من اللغات الأعجمية مجال المحادثة والمكاتبة والمحاسبة.

إن اللغة العربية تصارع صراعاً عنيفاً، تتعرض حيناً للبوار في بعض الدور، ولـكنها سرعان ما تنهض من كبوتها، وتحاول الأيام أن تنال من جاهها فتفلح آناً ولـكنها لا تفتأ حتى تسترد عزها

صراع مستمر كصراع الليل والنهار، ولـكننا إذا استشففنا من تجارب الماضي مآل اللغة العربية في المستقبل، بتنا مطمئنين إلى ظفرها في النهاية، وهي نهاية قريبة بإذن الله ...

وديع فلسطين

نوع البشر كما يتكون الدود فى الفاكهة واللحم، والبق[1] فى البطائح والمواضع العفنة، ثم تكوّن بعض البشر من بعض بالتوالد، وصار ذلك قانوناً مستمراً، ونسى التخليق[2] الأول الذى كان بالتولد. ومن الممكن أن يكون بعض البشر فى بعض الأراضى القاصية مخلوقاً بالتولد، وإنما انقطع بالتوالد لأن الطبيعة إذا وجدت طريقاً استغنت به عن طريق ثان.

٩٦٠ — أبو العتاهية . . .

الأغانى: محمد بن أبى العتاهية: قال: لما قال أبى فى عتبة:

كأن عُتّابة من حسنها ... دمية قس فتنت قسها
يا رب، لو أنسيتنيها بما ... فى جنة الفردوس لم أنسها

شنع عليه منصور بن عمار بالزندقة وقال: يتهاون بالجنة، ويبتذل ذكرها فى شعره بمثل هذا التهاون. وشنع عليه أيضاً بقوله:

إن المليك رآكِ أحـ ... ـسن خلقه ورأى جمالك
فحذا بقـدرة نفسه ... حور الجنان على مثالك

وقال أيضاً: أيصوّر الحور على مثال امرأة آدمية! والله لا يحتاج إلى مثال، وأوقعه هذا على ألسنة العامة، فلق منهم بلاء.

٩٦١ — ... وإلا فالطفل مسلم

فى (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكى: أبو عبيد بن حربونة كان يرى أن الطفل إذ أسلمت أمه دون أبيه لا يتبعها فى الإسلام، وإنما يتبع الأب، وهو رأى شيخه أبى ثور، فأسلمت امرأة ذمية، ولها ولد طفل، ولم يسلم الأب، ومات، فدس على أبى عبيد من يسأله، فتفطن إلى أنه إن فعل ذلك (أى إن حكم ببقاء كفر الطفل تبعاً لأبيه) قامت عليه الغوغاء. ونصحه أبو بكر (الإمام الجليل ابن الحداد المصرى) وقال له: لا تعمل بهذا، وإياك والخروج فيه عن مذهب الشافعى، فإنك إن فعلت ذلك نالك الأذى من الخاصة والعامة. وعلم أنه إن لم يفعل خرج عن معتقده. فلما جلس أبو عبيد فى الجامع اجتمع الخلق بهذا السبب الْبَيّت عليه بليل، وقام رجل على سبيل الاحتساب، وقال: أيد الله القاضى! هذه المرأة أسلمت ولها هذا الطفل، فيكون مسلماً أو على دين أبيه؟ فقال: أين أبوه؟ — وقد كان علم أنه مات — فقالوا: مات، فقال: شاهدين يشهدان أنه مات نصرانياً وإلا فالطفل مسلم. فكثر الدعاء له والضجيج من العامة، وستر عليه بفهمه . . .

٩٦٢ — من أحاديث الزهر

فى (الفصول والغايات) لأبى العلاء:

قالت البهارة لصاحبتها: ودعينى، فالبارحة طلت ولم أنتمش، ما أقربَ منى قدمَ واطىء أو كفٌ جان!

***

قالت الوردة لأختها: ما أشوقنى إلى الماء!

قالت: ورقك يهف، والنسيم راكد، ستروين ولو من أدمع كئيب . . .

٩٦٣ — إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فى (الموافقات) للشاطبى: حكى أبو عمرو الدانى فى طبقات القراء له عن أبى الحسن بن المنتاب قال: كنت يوماً عند القاضى أبى إسحاق إسماعيل بن إسحاق، فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضى: قال الله (عز وجل) فى أهل التوراة «بما استحفظوا من كتاب الله» فوكل الحفظ إليهم، فجاز التبديل عليهم. وقال فى القرآن: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» فلم يجز التبديل عليهم. قال على (أبو الحسن ابن المنتاب) فمضيت إلى أبى عبد الله المحاملى فذكرت له الحكاية، فقال: ما سمعت كلاماً أحسن من هذا[1].

---

(١) يعنى بالبق البعوض.

(٢) التخليق لفظة مولدة وردت فى تفسير الرازى ج ٢ ص ٣٤٧، وج ٣ ص ١٣ و ١٨٤: وأعلام الموقعين ج ٤ ص ٢٣١، وتفسير الألوسى ج ١ ص ١٩٢.

(١) قال الشاطبى فى الموافقات: أما القرآن الكريم فقد قيض الله له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر فضلا عن القراء الأكابر ... وبعث الله من عباده قراء أخذوا كتابه تلقياً من الصحابة، وعلموه لمن يأتى بعدهم حرصاً على موافقة الجماعة فى تأليفه فى المصاحف حتى يتوافق الجميع على شىء واحد، ولا يقع فى القرآن اختلاف من أحد من الناس.

من أناشيد الحرية :

إلى أبنـــاء الجنوب ...

للأستاذ محيي الدين صابر

مشى على القيد آباء وأبنـاء   في السجن ينفضهم برد وظلماء
والجوع يأكلهم والعرى يلبسهم   يضج في روحهم جهد وإعياء
والذل يدفن في جباتهم أمماً   راحوا إلى المجد غلابين أو جاءوا
ترتد أنفاسهم في القيد ضارعة   تكاد تنكر أن القـوم أحياء
مهدّمون مساكين الخطى مِزَق   كأنهم في يد الجلاد أشـلاء !
خمسون عاماً مشت فينا دقائقها   كالجيل فيه مصيبات وأرزاء !
تغلي الدماء على أحقادهن بها   وتستجيش من الثارات أحشاء
فاليوم حين يهد السجن مقتتل   ويحطم القيد ثوار ... أشداء
واليوم حين يفيض الفجر من دمنا   وحين تمتد آفاق وأجـواء
وحين نحشد في التاريخ مقدرة   لهـا إلى الخلد إسراء وإفضاء
وحين ينتقم الوادي لوحـدته   وحين يثأر في الساحات فدّاء
من يخطب المجد لا يبخل بتضحية   وإن تكن دمه فالمجد حسناء !

يا نيل شعبك ، أبطال وآلهة   لهم على الدهر شارات وسيماء
كم راية لك مثل الشمس ظافرة   سمى بها ظافر ، للنار مشاء ؟!
وكم هياكلٌ مثل الليل خاشعة   أطال فيهن سجّاد ودعّاء !
حبا عليك الزمان الطفل تنشئه   حتى نمت منه أحيان وآناء !
أما الحياة فكانت فكرة ومنًى   وأنت مجد وأحداث وأنباء !
أسميتها ! وفجرت الشوق في دمها   وقمت تحنو عليها وهي عذراء
يانيل ! ياساحر الوادي وساحره   كأنما أنت في الشطآن صهباء
على النخيل ابتهالات وأخيلة   وفي الخمـائل أنغام وأصداء !
وأنت حلم على الضفات مبتهج   وخاطر ملهم الابداع ... وشّاء
وشيتهن : لحقل مترف خضل   وجنة طلة الأفناء ... لفاء
استبق ماءك تهتز الظلال به   فاليوم ساعة لا ظل ولا ماء !
فأنت تنبت للزارعين ما بذروا   يغله لهم خصب ... وإنمـاء
والدم ينبت للفادين معجزة   وخير ما استنبتوا ، مجد وعلياء
ونحن نوشك أن نجني فقد رويت   حرية ضخمة الأعلام حمراء

تسع وعشرون مليوناً لو احتشدوا   لأعجزوا الموت والأقدار لو شاءوا
لنا إلى مهبط الوادي ومطلعه   من صحوة الشوق جنات وإصغاء
وللكفاح وراء البحر منسرب   تهزنا منه أقباس ... وأضواء
وإن تغرب منافي الدماء دم   فللقلوب مع الفادين ... إسراء
بني الجنوب ! وللإيمان غضبته   وللطواغيت ... إزباد . وإرغاء
وللحوادث شدات ومعسرة   فينا ... وللظلم تنكيل وإلواء
ماذا فعلتم وقد ألقى القناع لكم   وقد بدت منه أشياء وأشياء ؟
خمسون عاماً وفي السودان صفحته   دم ودمع وأحزان وبأســاء
ففي الجنوب عراة في كيانهم   ذل وجوع وآفات وأدواء
لا أظلم القوم قد أهدوا لهم صُلبا   يمشي بهن على الأهوال أنضاء
وفي الشمال ... جنايات تنظمها   يد تنكل بالأحرار ، نكراء
فقيد الفكر : لا صوت ولا قلم   حتى الصحافة فهي اليوم شلاء
ومد للدس والإرهاب ظلها   كأنما عهده : ليل ... وصحراء
فالسيف منصلت والسوط منجرد   والسجن متسع والحكم أهواء

أين الضرائب يجبيها مضاعفة   ولا رقيب له عد وإحصاء !
ما فاته في القرى نبت ولا شجر   وفي البداوة لا إبل ولا شاء
والشعب يصرخ ياجهدي ويا عرقي   وأذنه عن صراخ الشعب صماء
يا شعب ! مالك أجر الذل يأخذه   والذل ، يا شعب ، تسليم وإعطاء
ففي المصارف أوراق وأرصـدة   وفي القصور .. لذاذات ونعماء
ولست تملك إلا أن تقول له   « صدقت » إن قال تعميرٌ وإنشاء
سيقرأ الدهر للأجيال قصته   وأنها قصة سوداء .:. شنعاء .

بني الجنوب . فهذا حين محنتكم   وليس تغفر بعـد اليوم أخطاء
يلوي بحقكم السجان معتدياً   كأنه منحٌ منه . . وآلاءُ
يقلب القيد ، كالحاوي على يده   قالوا له : لعبة شمطاء خرقاء !
في كل يوم يسميه ويصقله   وليس للقيد ألوان وأسمـاء
فهو « الرفاهة » أحيـــاناً وآونة
هو « المصير » وإن ينصف « فاستفتاء » !
وبين ذلك « مشروع » « وسودنةٌ »
« ومجلسـان » وتلميح وإغراءُ !
فتلك رقصةُ مذبوح يحاولها   دعوه يسكن له حس وأعضاء
وليبن ما شاء من أوهام باطله   فلم يعد للنوايا السـود إخفاء
سيهدم الشعب أعلاه وأسفله   والشعب والشعب هدام وبناء

بني الجنوب؛ وقد أبلت طلائمنا   ولم ترعنا .. أعاصير .. وأنواء
ما حاكم جاءنا والسيف في يده   وفي جوانحه حقد وبغضاء
بأي منطق جبار يهددنا   كأننا (لماليه) . . أرقاء ؟ !
قولوا له : لن ترى ما بيننا رجلا   له على صفعة الجلاد إغضاء
فليس يجمل في التاريخ منزلة   إن قال : لي فيكم صحب وأعداء !
قولوا له: قال هذا الشعب قولته   وأنها قولة كالفجر . . بلقاء
هي الجلاء عن الوادي بلا أجل   ووحدة في ظلال التاج شماء

بني الجنوب. لقد أزرى العدو بنا   وما تزال له في الظلم . . غلواء
أنحن في كل حرب مرة عُدد   للعاجزين بدا والحرب هوجاء !
في « طبرق » دمنا يشكو وفي « كرن »
وفي الصحاري حشاشات وأحناء !
حتى إذا النصر واتى. قام يجحدنا   فيه حليف لنا بالأمس بكاء !
هل كان غاية هذا الجهد ما صنعوا   من مجلس هو ثارات وشحناء !
للناب خلف القناع الزيف صرصرة
وللمخالب . . . توجيه وإيحاء !
هي المطامع إن جاروا وإن عدلوا   وليس من آفة الأطماع أبراء
وليس في شرعهم للعدل ناحية   وللظلامة . والتطفيف إيحاء
كبيرهم فيه حنات ومغتصب   أما الصغير . فمغصوب .ووفاء !
قد ثار بينهم (محمود)[1] في يده   وثيقة من كفاح الشعب غراء
كأنما كل لفظ قام ... يرسله   كتيبة حرة الأبطال شهباء !
نادى بحرية الوادي فأنصفها   منه جرىء على العادين ، أباء
ينازل الخصم إيمانا ومقدرة   والخصم داهية في الأرض دهياء
وراح زار (إسماعيل[2]) مقتتلا   كأنه طعنة في الظلم نجلاء
وحوله من صميم الشعب كوكبة   حمس ، على نوب الأيام أكفاء
إن مال بالرأي ذو ضلع ومختلق   فما استلان لهم عزم وإمضاء
والشعب في شرف الأحرار يذكرهم
إن عد من حسنوا فيه ، ومن ساءوا !

بني الجنوب ، إذا الحرية اختلفت   شاراتها فهي تضليل وأغواء !
عدوكم واحد ، والقيد مشترك   إذن ، ففيم اتجاهات وآراء ؟
هو الدخيل ، فإن تحطم سلاسله   فقد تناصر في الوادي الأشقاء
الأمر ، ما بينهم شورى ومرحمة   كما يشاءون ، تخيير وإرضاء
حرية الشعب إيمان وتضحية   وقدرة والتزامات ... وأعباء

بني الجنوب ، وفي الفاروق معتصم
كأنه قدر ... بالخير ... مضاء
نذود عن عرش وادي النيل في شرف
فعرشه قمة في الشعب عصماء
فاروق كرمه بالعدل فانفسحت   منه ظلال رحيمات وأنداء
في عدوتي ملكه شعب يقدسه   حبا ويهديه رأى منه وضاء

(باريس)

محيي الدين صابر

عضو بعثة فاروق الأول للسودانيين بفرنسا

(١) النقراشي باشا رئيس وفد مصر الذي قدم القضية
(٢) إسماعيل الأزهري رئيس وفد السودان .

الأدب والفن في أسبوع

استقبال عضوين بالمجمع اللغوى :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الإثنين الماضى لاستقبال العضوين الجديدين : معالى الأستاذ على عبدالرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ؛ فنى الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم وفدَ على دار المجمع — عدا أعضائه — جمهور غفير من رجال العلم والأدب وبعض السيدات والآنسات . وبعد أن افتتح معالى رئيس المجمع جلسة الاستقبال بالترحيب بالعضوين ، وقف الشيخ عبد الوهاب خلاف عضو المجمع ليقدم الأستاذ على عبد الرازق فقال إنه تثقف فى الأزهر وتتلمذ على الشيخ محمد عبده الذى كان يبث فى تلاميذه إلى الدروس العلمية ، روح الحرية فى التفكير والإصلاح ، وإنه كان يتردد على الجامعة المصرية لتلقى المحاضرات عن كبار الأساتذة الأجانب والمصريين ، وكان إلى جانب ذلك يجتمع بالأعلام فى « ندوة آل عبد الرازق » فاجتمع له من كل ذلك مزيج من الثقافة الإسلامية والثقافة الحديثة . ثم تحدث عن جهوده فى الدراسات الإسلامية والأبحاث الأدبية واللغوية . وقد أفاض الأستاذ خلاف فى الحديث عن الإصلاح الدينى الذى دعا إليه الشيخ محمد عبده والذى صاحب إنشاء مدرسة القضاء الشرعى ومعهد الاسكندرية ، كما أفاض فى بعض المسائل الفقهية التى اهتم بها الأستاذ على عبد الرازق .

ثم نهض الأستاذ على عبد الرازق فقال إن أول ما يخطر على البال فى هذا المقام هو ذكرى سلفه الذى حلّ فى كرسيه وهو المرحوم الدكتور على إبراهيم باشا ، ورثاه رثاء موجزاً ، ثم توجه بالثناء إلى المجمع الذى حباه بعضويته ، وقال إنه يشعر بالانشراح لرجوعه بذلك إلى مرحلة سعيدة من حياته عقب تخرجه فى الأزهر حين أقبل على البحث فى اللغة العربية وآدابها إذ تصدى لتدريس علم البيان وآداب العربية فى الجامع الأزهر ، وقد جذبته الظروف بعد ذلك إلى أنواع أخرى من الدراسات . وقال إنه كانت تشغله فى تلك المرحلة مشكلات فى النحو وفى البلاغة ، إذ شعر بأن فى القواعد التى وضعها علماء النحو شيئاً من التكلف جعلها معقدة ومتعسرة ، وأنه لا يبعد على من يواصل البحث أن يهتدى إلى استنباط قواعد جديدة للنحو العربى . أما البلاغة فقال إنه وجد علماءها لا يختلفون فى أن الغرض الأول من علوم البلاغة إنما هو اكتشاف الوسائل التى بها يستطيع المتكلم أن يختار الطريقة التى تجعل كلامه فصيحاً بليغاً أى مطابقاً للغرض وحالاً فى موضعه اللائق به ، وذلك هو معنى قولهم فى تعريف البلاغة : إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال . ولكنا لاحظنا أن أولئك العلماء قد انصرفوا منذ العصور الأولى إلى البحث عن هذه الوسائل ، وتتابعت العصور فإذا مباحثهم قد انتهت إلى أن سر البلاغة قد وقف عند أبواب علم المعانى والبيان والبديع على ما انتهى إليه الجرجانى وما استحدث بعده من بعض أنواع البديع ومن بعض مباحث أخرى ، وكأنهم قد ظنوا أن الكلمة الأخيرة قد قيلت فى هذا الفن . وقال إنه لايشك فى أن بلاغة الكلام لا تنحصر أسرارها فى تلك الأبواب ، وساق شواهد دلل بها على أنهم كانوا كثيراً ما يقفون مبهوتين أمام بلاغتها وروعتها ، فيحاولون أن يردوها إلى باب من أبواب البلاغة المعروفة عندهم فلا يستقيم لهم ذلك إلا على ضرب من التعسف والالتواء .

ثم تلاه الأستاذ عباس محمود العقاد ، فألقى كلمته فى استقبال الأستاذ المازنى ، قال إنى لا أسميها كلمة تقديم فإن المازنى مقدم متقدم بأدبه إلى كل مكان تصل إليه لغة الضاد ، ولكنى أستطيع أن أقول شيئاً جديداً فيما يتصل بى وشيئاً طريفاً فيما يتصل بالمجمع، لأن صلة المازنى بالمجمع صلة سابقة من جهة أعماله وجهوده وإن طرأت عليها الطرافة من جهة انتظامه بين أعضائه . ثم تحدث الأستاذ العقاد عن صداقته للأستاذ المازنى منذ نيف وثلاثين سنة ، ومشاركتهما فى الأدب والصحافة والتدريس ، ثم عرض للجانب الذى يتصل بالمجمع من أعمال عضوه الجديد ، وهو جانب التمكن من اللغة فى الترجمة والتعبير ، فقال : ولست أغلو — ولا أحجم عن التحدى — إذا قلت إننى لا أعرف فيما عرفت من ترجمات للنظم والنثر ، أديباً واحداً يفوق المازنى فى الترجمة من لغة إلى لغة ، ويملك هذه القدرة شعراً كما يملكها نثراً ، ويجيد

منها اللفظ كما يجيد المعنى والنسق والطلاوة ، ومثل لذلك ببعض ما ترجمه المازني من رباعيات الخيام .

وعرض العقاد لبعض المباحث التي كتب فيها المازني كالحقيقة والمجاز ، والتجديد والتقليد . إلى أن قال : وقد طاب للمازني منذ سنوات أن يدأب على الاستخفاف بعمله وبجدواه ، فأنكر على نفسه الشاعرية وأنكر غناء ما يكتب وينظم ، وقد غالطته أحياناً فقلت له إن هذه البدعة منه ضرب من المكر الحسن ، كأنه أراد أن ينزل عن مكانه ليجلسه عليه الناس ، ولكنه قال في حصاد الهشيم : « واعلم أنك إذا أنزلت نفسك دون المنزلة التي تستحقها لم يرفعك الناس إليها ، بل أغلب الظن أنهم يدفعونك عما هو دونها أيضاً » فالأرجح أنني غالطته ، وأن حقيقة الأمر أن المازني يستخف بعمله وبغير عمله أحياناً لأنه يستصغر حياة الإنسان في جانب آماد الخلود ومصائر الأقدار ولأنه يقيس ما عمل بما أراد أن يعمل فإذا هو دون ما أراد وإن كان فوق ما أراده عاملون آخرون . وقد هون الخطب على نفسه بسليقة فيه ، وهي أنه استطاع أن يقسم « أنانيته » قسمين متلازمين ، يسخط أحدهما فيتناوله الآخر بالعبث والتعزية ، ويشمخ الشامخ منهما فيغض منه المطمئن الوادع .

ثم وقف الأستاذ المازني فقال إنني أشعر بما يشعر به الواقف على عتبة قصر لا عهد له بمثله فهو يطرقه متهيباً محاذراً ويدخله متردداً متلفتاً داعياً ربه في سره أن يستره ولا يفضحه وأن يعينه على أن يبدو لأهل القصر كأنه منهم وإليهم ، فبي حاجة إلى وقت حتى آلف مجمعكم الموقر .

وقال : أصارحكم بأني أشعر أني مظلوم ، لو كنتم قلتم اخترناك على عيوبك ولنافيك أمل لقلت قوم أحسنوا الظن وإن أسرفوا في الأمل فاستوجبوا مني أن أتحامل على نفسي حتى لا أخيب ظنهم ، أما أن أقوم مقام الشيخ أحمد إبراهيم بك ، عليه ألف رحمة ، فهذا هو المحال ، ثم أثنى على سلفه الشيخ أحمد إبراهيم وعلى جهوده العلمية والأدبية إلى أن قال : ليس يسعني إلا أن أهز رأسي آسفاً لأني وضعت في موضع سيظل خالياً وأنا فيه ..

ومما قاله الأستاذ المازني : إن مرحلة التطور الطبيعي السريع للغتنا قد انتهت من زمان طويل بعد أن صارت لها حروف تكتب بها وقواعد مضبوطة وقوالب مقررة وآداب وعلوم ، بل بعد أن نزل بها القرآن الكريم ودون وحفظ ؛ ومتى استقرت قواعد لغة من اللغات ودونت وصارت لها آداب ، وكتبت بها العلوم ، فإن من العسير تغيير شيء من قواعدها وأوضاعها ، وقد تختلف طريقة الكتابة والهجاء والنطق وتتسع الألفاظ للتعبير أو تضيق، غير أن طريقة تأليف الكلام على معاني النحو لا تتغير ، وكل ما يمكن أن يحدث هو أن يتسع نطاق اللغة أي أن يكثر محصولها اللفظي ، ويتوسع الناس في المجاز والاستعارة والاشتقاق تبعاً لدرجة الحضارة في الأمة ، ومن هنا تنشأ الحاجة إلى المجامع اللغوية لتتبع حركة الاتســــاع ومسايرتها وتزويدها بحاجاتها ومطالبها .

أيها الحارس ؟

أراد الأستاذ المازني أن يصطنع أسلوب التواضع إذ قال إنه يشعر بما يشعر به الواقف على عتبة قصر . . . الخ ، ولكني — بغض النظر عن هذا التواضع — أطمئنه وأبشره بما سيلقاه في القصر من الدعة والراحة .. ولعله يعلم أن المجمع استقبل في العام الماضي عشرة أعضاء جدد صار بهم أعضاؤه « العاملون » عشرين مخلداً . . . وقالوا يومذاك إن المجمع في حاجة إلى أولئك العشرة ليستعين بهم على إنجاز أعماله ومواجهة مسئولياته ، ولكن هؤلاء العشرة « عجمعوا » وأخذوا أماكنهم على تلك الكراسي الفخمة إلى جوار زملائهم القدماء . ثم ماذا فعل الأربعون في العام الأخير وعفا الله عما سلف ؟ ولكن عفو الله أوسع من أن يضيق بالعام الأخير وقد وسع ما قبله !

وعلى ذكر « الأربعين » أسوق الحقيقة التالية :

لاحظ الناس أن نشاط المجمع قل بعد وفاة الشيخ أحمد السكندري والشيخ حسين والي ، والمطلع على محاضر جلسات المجمع في حياة هذين المضوين يرى أن أكثر المقترحات من عملهما ، وبقية الأعضاء موافقون .. والمتتبع المحصي لما أنجزه من أعمال منذ نشأته إلى الآن يرى أن أغلبها من عمل ذينك الرجلين، وهما اثنان !

ولا نغض من أقدار الأعضاء الحاليين ، فهم أعلام مصر فى هذا العصر ، ولكن هل المجمع مقبرة لجهودهم فى داخله ..!

كثيراً ما نسمع من بعض الساخطين : لم هذا المجمع ؟ فيقال : إنه حارس على اللغة . ولكن الساخط يعود فيقول : إن هذا « الحارس » ينام ملء جفنيه ! ولا يبرر وجوده إلا بمجرد القول بأنه يحرس اللغة العربية ، فليت شعرى ، أيهما يحرس الآخر .. اللغة أم المجمع ؟ !

عضوان آخران :

وقد عقد المجمع جلسة خاصة فى مكتب الرئيس قبيل جلسة الاستقبال السابقة ، للنظر فى ترشيح أعضاء ينتخب من بينهم عضوان عن العراق وفلسطين . وقد اعتمد ترشيح أربعة ، هم الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى والأستاذ خليل سكاكينى (من فلسطين) والشيخ محمد رضا الشبيبى والأستاذ محمد بهجت الأثرى (من العراق) وقد تقرر أن يجرى انتخاب عضوين منهم واحد عن العراق وواحد عن فلسطين — فى جلسة تعقد يوم الأحد ١١ يناير الحالى .

ترخيص الأهرام :

نشرت الأهرام ، وهى فى مستهل عامها الرابع والسبعين ، نص الصيغة التى كتبت للترخيص بإصدارها سنة ١٨٧٥ ، وهو : « رخصت الخارجية لحضرة سليم تقلا باشا بإنشاء مطبعة تسمى (بالألف) الأهرام ، كائنة بجهة المنشية باسكندرية ، يطبع فيها جريدة تسمى الأهرام تشتمل على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية وكذا بعض كتب كمقامات الحريرى وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والأشياء التاريخية والحكمة والنوادر وما يماثل ذلك . وقد أمرت الخارجية محافظ الإسكندرية بعدم المعارضة للمذكور فى إنشاء المطبعة المحكى عنها »

ولا شك أن مقارنة هذا النص الذى كتب منذ نحو ثلاث وسبعين سنة ، بما يكتب الآن ، تقفنا على مدى التقدم الكبير فى أسلوب الكتابة . وقد اتفق أن قرأت هذا عقب ما كتبته عن محاضرة الدكتور طه حسين بك التى قال فيها إننا لم نتقدم فى حياتنا الأدبية عما يقابل ركوب الحمر فى حياتنا المادية ، وما أظن أحداً يشك فى أن المدى بين ما يكتبه الآن الدكتور طه مثلا وبين تلك الكتابة أبعد بكثير مما بين ركوب السيارات والطيارات وبين ركوب الحمر .

ولست أدرى لم خص كاتب ذلك الترخيص « مقامات الحريرى » . كأنى به أراد أن يذكر « الأدب » فى جملة ما ستطبعه « الأهرام » والكاتب النحرير يسمع أن مقامات الحريرى من كتب الأدب ، فعبر به عنه . ولكن هل نشرت الأهرام كتاب مقامات الحريرى ... ؟ لعلها لم تنشر عنه شيئاً فيما مضى من عمرها المبارك

الزهراء :

كنت قد قرأت فى العدد (٧٥٥) من الرسالة ما كتبه الأستاذ حبيب الزحلاوى فى مسرحية « الناصر » وقد استرعى انتباهى منه قوله فى صدد نقده للمسرحية من حيث ضعف الجانب العربى فيها وغلبة الشخصيات الأسبانية على الشخصيات العربية « ولم يسلم من الضعف من الشخصيات العربية سوى الزهراء زوج الناصر »

ولم تكن الزهراء زوج الناصر ، لا فى أصل التاريخ ولا فى المسرحية ، بل كانت جاريته ، وهى بحكم هذا ليست من الشخصيات العربية .

وإذن يستطيع الأستاذ الزحلاوى أن يقول : لم يسلم من الضعف أحد من الشخصيات العربية فى المسرحية ...

« العباس »



الفلســـــفة القرآنية

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

حين قرأت كتاب « الله » للأستاذ العقاد ، وقفت طويلا عند بحثه براهين وجود الله وبخاصة عند الأدلة القرآنية ؛ وذلك أنى رأيت العقاد فى أصالته وضلاعته وسعة أفقه قد أجاد أيما إجادة إذ تناول هذا الجانب القرآنى ، وتمنيت يومئذ لو تناول العقاد القرآن كله بالدرس على طريقته هذه ، وها هى ذى أمنيتى صارت حقيقة بهذا الكتاب الذى أقدمه للقارىء فى غبطة عظيمة .

هو « كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والاجتماعية التى وردت موضوعاتها فى آيات الكتاب الكريم » كما يطالعك بذلك عنوانه ، وقد أراد الأستاذ المؤلف أن يبرهن فيه « على صلاح العقيدة الإسلامية أو الفلسفة القرآنية لحياة الجماعات البشرية ، وأن الجماعات التى تدين بها تستمد منها حاجتها من الدين الذى لا غنى عنه ، ثم لا تفوتها منها حاجتها إلى العلم والحضارة ، ولا استمدادها لجارات الزمن حيثما اتجه بها مجراه » .

وفى رأى الأستاذ العقاد « أن القرآن الكريم يشتمل على مباحث فلسفية فى جملة المسائل التى عالجها الفلاسفة من قديم الزمن وأن هذه الفلسفة القرآنية تغنى الجماعة الإسلامية فى باب الاعتقاد ولا تصدها عن سبيل المعرفة والتقدم . وهى لذلك تحقق ضرورة الاعتقاد ، وتمنع الضرر الذى يبتلى به من تصدمهم عقائدهم عن حرية الفكر وحرية الضمير ... وليس للعلماء ولا للفلاسفة أن يطلبوا من الدين غير هذا »

بهذا الرأى وبهذه الروح كتب المؤلف كتابه ، وقد أحكم تبويبه لأن موضوعه كله كان قائماً فى ذهنه جملة قبل أن يسرد تفصيله ، لذلك لم يدع شيئاً « من جملة المسائل التى عالجها الفلاسفة من قديم الزمن » فبعد أن مهد للبحث بفصلين ممتعين بين فى أولهما نظرة القرآن إلى العلم وأورد الآيات التى تدل على أنه « يحث على التفكير ولا يتضمن حكما من الأحكام يشل حركة العقل فى تفكيره أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع حيثما استطاع . كالم يكفل قطاق كتاب من كتب الأديان » وبين فى الثانى « أن الحوادث كبيرها وصغيرها لا يمكن أن تحدث إلا بأمر الخلق المباشر من إرادة الله » أقول بعد ذلك تناول المجتمع عما فيه من الأسرة وشئونها والمرأة ومركزها والطبقات والحكم والأخلاق ، ثم تناول العلاقات الدولية ، ثم تجاوز الأرض وما عليها إلى البحث فى الإله الخالق وتعرض لمسألة الروح والقدر والعبادات ثم اختتم هذا البحث الجليل القدر بفصل فى التصوف وآخر فى الحياة الآخرة .

وبعد ، فهذا كتاب يجب أن تقرأه لتعرف مبلغه من الأهمية ومكانته بين ما ألف فى الفلسفة الإسلامية ، فما يغنى كلام مهما طال فى التعريف به ، ولا نقد مهما استفاض عن فصل واحد منه . وقصارانا أن نتقدم بالتحية للأستاذ الجليل الذى أسدى إلى الفكر الشرقى بكتابه « الله » وإلى الدين الإسلامى بكتابه هذا « الفلسفة القرآنية » صنيعين لا يقدم مثليهما إلا الأفذاذ ؛ وللمكتبة العربية أن تعتز بأمثال هذين البحثين اللذين ينفيان عنا تهمة التقصير .

وحسب المسلم أن يخرج من هذا الكتاب الذى أحدثه عنه ، وفى نفسه أنه « فى هذا العصر الذى تتصارع فيه معانى الحياة بين الإيمان والتعطيل وبين الروح والمادة ، وبين الأمل والقنوط ، تلوذ الجماعات الإسلامية بعقيدتها المثلى ولا تخطىء الملاذ ، لأنها عقيدة تعطيها كل ما يعطيه الدين من خير ، ولا تحرمها شيئاً من خيرات العلم والحضارة » وهذا ما بينه الأستاذ الجليل أحسن بيان فى هذا الكتاب .

الخفيف

أنات غريب

تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوى

شاءت صحيفة يومية أن تعرف كتاب « أنات غريب » فقالت إن مؤلفه الأستاذ حبيب الزحلاوى أودعه حنينه إلى وطنه وأشواقه إلى مغانيه ودياره ، وهذا طبعاً ما يوحيه عنوان الكتاب . وقد تساءلت بعد أن طالعت الأقاصيص التى يتألف منها ، ما معنى هذه التسمية ، لأن العادة قد جرت أن تطلق على مجموعات الأقاصيص عنوان أولها ، أو أبرزها ، أو عدد القصص التى تتألف

منها المجموعة . . ولكنى شئت أن ألتمس أسباب إطلاق عنوان « أنات غريب » على مجموعة قصص تجرى حوادث أكثرها بمصر ، والقليل منها ماينتقل بالقارىء إلى غير مصر من بلاد الله ، وخاصة سورية ولبنان ، فهل يجب أن نرى فى العنوان تلميحاً مجازياً إلى أن المؤلف غريب بروحه عن هذا المجتمع الذى يعيش فيه ، فهى أنات نفس معذبة كابدت آلاماً تتردد فيها « وجيبة مهذبة » .

ولعل للقارىء أن يتبرم بهذا الإلحاح فى البحث عن تفسير لعنوان شاء مؤلف أن يتوج به كتابه ، وأن يجد فى هذا البحث إرهاقاً له وللمؤلف ...

ولكننى فى بعض الأحيان أتعلق بأمور صغيرة أسعى للكشف عما يقصد بها ، فى حين تفوتنى أمور كثيرة ، أهم منها خطراً ، فلا أحاول فهم أغراضها .

وبعد ، فإن قراء العربية يعرفون الأستاذ حبيب الزحلاوى قاصاً له طريقته فى تأليف الأقاصيص، وأسلوبه فى سرد الحوادث ، ومذهبه فى وصف الشخصيات وتحليلها ، وأغراضه الاجتماعية التى يرمى إليها فى أكثر القصص التى يكتبها . وأذكر أنى قلت كل الخير الذى أعتقده فى أدب الأستاذ الزحلاوى القصصى عندما نشر المجموعة الأولى من أقاصيصه بعنوان « شعاب قلب » .

ويجد القراء فى هذه المجموعة القصصية الجديدة « أنات غريب »(1) .

تلك الطريقة نفسها فى سرد وشرح البواعث التى دفعت بأبطال الأقصوصة إلى إتيانها ، والتوسل بهذا الشرح لتحليل نفسية بطل القصة ، كل هذا فى حبكة قوية ، وربطة محكمة ، واسترسال قد يتعدى فى بعض الأحيان حد الأقصوصة .

ولا تخلو أقاصيص الأستاذ الزحلاوى من وصف لحياة المجتمع أو نقد لبعض عاداته ؛ وتستطيع أن تقرأ أية واحدة من هذه الأقاصيص التى تتألف منها هذه المجموعة ، فإنك واجد فيها غرضاً اجتماعياً بارزاً ، فهذه أقصوصة « لقيط » يصوّر فيها سرياً متزوجا خفية عن أهله بفتاة يونانية أنجبت له غلاماً ، ولكنها عندما كانت بالمستشفى تضع ابنها ، عرفت أنه تزوج بفتاة مصرية ، وانقطع من زوجته الأولى ، فاضطرت إلى العودة إلى أهلها ، بعد أن أودعت ابنها أحد ملاجىء أبناء السبيل .

وكذلك نجد مثل هذه الأغراض فى أقاصيص « بكارة » و « غاية المرأة » و « الغريق » و « يتيم » وفى أكثر هذه الأغراض نجده..

والأستاذ الزحلاوى فى أكثر هذه الأغراض التى يتوخاها ، ينحى ناحية إنسانية فى عاطفة سليمة وإحساس مستقيم .

ويجب أن نخص بالإشارة أقصوصة « ذكريات » التى وصف فيها بعض أبطال الثورة السورية الأولى ، وقد اجتمعوا بالقاهرة ، وأخذوا يستعيدون ذكريات بطولتهم الماضية ، وما تعرضوا له من أخطار .

ولا يقف أدب الأستاذ حبيب الزحلاوى عند التأليف القصصى ، فإنه نقادة أدبى ، ولعل النقد الأدبى كان أول ما عالجه من فنون الأدب ، إذ تقدم كتابه « أدباء معاصرون » غيره من الكتب . وقد ظهر ميله إلى النقد فى أقصوصة « الدميم » لأنه عرض فيها للحبكة ، والعرض ، والفكرة ، والوحدة ؛ وذكر أنه « ليست قيمة القصة فى المادة التى تتألف منها ، ولا فى كيفية ترتيب تلك المادة ، بل قيمتها فى الكيفية التى تؤدى بها ، وفى عرضها عرضاً خاصاً بمهارة فنية ، بالتشويق والترغيب ، وفى صدق الرواية عن الحياة . . . »

وقد اضطر لبيان ذلك ، إلى حشر أقصوصتين فى أقصوصة واحدة ، وهما لارابط بينهما غير فكرة العرض بمهارة وبغيرة مهارة ... وهى حبكة واهية ضعيفة تخرج بالأقصوصة عن جوها الضيق المحدود ، ناهيك عن أنها وسيلة مفتعلة لبيان فضل الأقصوصة الثانية عن الأولى .

تناول الأستاذ حبيب الزحلاوى النقد الأدبى فى شىء من الجرأة وكثير من العنف ، مما جعل له خصومات أدبية قديمة وحديثة كانت إحداها مع أديب له مقامه المرموق فى عالم البحث والأدب والشعر ، والتجديد الذى يحاوله هذا الأديب الفاضل لا يروق الأستاذ الزحلاوى ، وهو حر فى رأيه . وكنت أعتقد أن هذه الخصومة تقف عند حد النقد الأدبى ولا تتعداه إلى التعريض فى إحدى القصص بذلك الأديب . والحق أنى كنت

(1) يقع فى ١٨٥ صفحة من القطع المتوسط ويطلب من « دار التوزيع والنشر » بالقاهرة بشارع إبراهيم باشا رقم ٥٣ والثمن ١٨ قرشاً ؟

أجل صديقي الأستاذ الزحلاوي عن أن يستعمل مثل هذه الوسيلة لينال من أديب نابه لا يرضى هو عن أدبه . . .

ولعلني بعدت بهذا الاستطراد عن جو الأقاصيص التي ضمها كتاب « أنات غريب » وهو جو خليق بأن يتدبره القارىء

وإذا كان من الخطأ الشائع أن القصص تطالع لتزجية الوقت فإن أقاصيص « أنات غريب » قديرة على أن تساهم في تبديد هذا الخطأ ، لأنها تجمع بين المتعة والفائدة ، وتثير مسائل اجتماعية جديرة بأن يتناولها الناس بالتفكير والتدبير . وقيمة الكتاب من الناحيتين الأدبية والاجتماعية ، حرية بأن تلفت إليها أنظار القراء ، وتمنيه بالثناء والاطراء ...

(الأسكندرية) صديق شيبوب

على الأثـــير

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

« كان يقال : كلام ذاهب في الهواء ليقال أنه كلام لا يبلغ الآذان وأنه من باب أولى لا يسلك سبيله إلى الهواء في زماننا هذا أكثر وأيسر من كل كلام يتلقاه الناس على صفحة القرطاس » ...

عباس محمود العقاد

على الأثير :

أحاديث مختلفة نضدها العقاد في كتاب واحد وهي تختلف في الألوان ولكنها تتحد في عمق الفكرة وصدق المنطق وفي أنها كلمات ألقيت عبر الأثير لتنساب إلى الآذان وتبلغ الناس رسالة فكرية وتحل مشكلاتهم في أيسر سبيل .

تقلب صفحات الكتاب فتلمس علاجاً لمشاكل الثقافة والاجتماع والتاريخ والوجود والنفس ، وتلمح بعض المناسبات التي يتحدث فيها المسلمون بعضهم إلى بعض حديثاً تدعو إليه صلات الرحم وهذا الود الكريم الذي يؤلف بين القلوب ويوحد بين النفوس ويجعل الحياة إخاء ومودة ورحمة .

أرأيت إلى حديثه عن قادة ثلاثة من قادات الشرق وأعني بهم الحكيم جمال الدين الأفغاني والشيخ الإمام محمد عبده والزعيم الخالد سعد زغلول ؟ ولو قدر لك الاستماع إلى هذا الحديث أو قراءته خلال صفحات الكتاب لوجدت أن النقاد تسأل عن مكانة الأستاذ الإمام بين زميليه العظيمين اللذين يذكران معه كما ذكر. والرأي عند العقاد أن القيمة الحقيقية لكل منهم تختلف في التحديد فقد كان محمد عبده مصلحاً دينياً وجمال الدين داعياً عظيماً ، وسعد زغلول زعيماً خالداً ، فهم إذن يتفقون في بعض خصال وبعض مشارب ، ويختلفون في أساس الاستعداد .

وأنت ملاق في كتابه نوعاً جديداً من فلسفة الوجود ، صيغت في مقال سائغ مشرق الديباجة رصين الأسلوب وهذا في مقال له دعاه (طفولة الإنسانية) ، يقول فيه : « ما دام الإنسان يريد الخير فهو ينشده ويبذل فيه ثمنه وإن غلا ؛ وهو إذن رجل الروح والأخلاق . وما دام الإنسان يراد على الخير فهو لا ينشده إلا إذا عرف الجزاء عليه وهو إذن طفل الروح والأخلاق وإن جاوز السبعين والثمانين) ...

ولا شك أن هذه فكرة بنى عليها الوجود . وحل سائغ لهذا البناء .

ولننتقل الآن إلى النفس ، وهل هناك أقدر من العقاد على الكتابة عن النفس .

إنه يقول عن الأزمات النفسية التي تعصف بنفوس الأفراد ، وتطيح بهناء المجموع ، وتزلزل كيان الدول : « الأزمات النفسية سببها الحيرة وصعوبة الاتجاه في طريق دون طريق وعلاجها هو اليقين والإيمان » ...

وهو جد حريص ، يحتاط لما قد يقال ، بل يسرف في الإحاطة فيزعم نفسه ناقداً ويتخيل ما قد يلقى من أسئلة وما قد يثار من نقد .. فهو يقول إن هذا الحل ليس من اليسر بمكان بل إن فيه صعوبة شديدة ، فلن تستطيع أمة أن تعتنق الإيمان وتثير في نفسها الطمأنينة وتمضي إلى حيث الأمن والدعة .. بل إن هذا يحتاج إلى أجيال متعاقبة توحي إلى نفسها الثقة والاستقرار .. ولكني أقترح على أستاذنا الجليل أن يقدم كتاباً تدبجه يراعته يبحث في هذه المشكلة ، وإن كتاباً كهذا ، لا يحتاج إليه الشرق وحده ، بل العالم بأسره .

ولننتقل الآن إلى غصن رطيب آخر مما تحفل به الدوحة ذات الأرج المطر والعبير الفواح ..

إنه لحديث عن الاجتماع ، أو الإصلاح الاجتماعي بالتحديد ؟ والإصلاح الاجتماعي فى هـذا البلد كلمات ذات جرس موسيق ولـكنها كلمات فقط ، لا تذهب عن هذا فى كثير أو قليل .

وما دمنا بصدد الـكلمات ، فلنلمس رأى العقاد فيما يقول ، فنجد خلاصة حديثه ينتهى بنا إلى نتيجتين لا تضيع فى تحصيلهما الدقائق المعدودات ، أولى النتيجتين أن الناس يستسهلون الإصلاح بالمنع والتحريم ولا يفكرون كثيراً فى الإصلاح بالعمل والإنشاء ، أما النتيجة الثانيـة فهى أدعى إلى التسلية والراحة لأنها تخفف عنا شيئاً من أعباء الحياة ، وينتهى من هـذا أن مذاهب الإصلاح كورقة اليانصيب الخيرى ، إن أصابت فهى ثروة وإن أخطأت فهى إحسان ..

وكلامه هذا يعيد إلينا صورة من حياتنا النيابية ، ومن تلك المشـاريع الضخام التى تروح فى سبات عميق بين الملفات والقرارات . ومن تلك الخطب المسماة خطاب العرش التى تقـول وتقول وتقول .. حتى إذا قذف السهم بالوزارة وأطاح بالـكرسى المقدس ورحنا نلتمس مخلفات العهد فلا نجد إلا الأقوال والأقوال والأقوال ...

وهـذا غصن آخر ، فيه فـكرة وفيه منطق وفيه نفاثات من هذا العقل الـكبير .

تراه يحدثك عن معنى الثقافة ، فيدير اللفظ رأسك ويتخذ له مئات من المدلولات وعشرات من الإشعاعات والظلال والأضواء

وهل كانت للثقافة معان توضحها .. وهل كانت للثقافة ثقافة أخرى تشرحها .

إن العقاد يبتسم .. وأظنه يعرف أن النقاد سيقولون هذا القول ويأخذون عليه هذا المأخذ .. وإنه لقائل فى معنى الثقافة إنهـا تنقسم إلى ثلاثة عناوين . مطالب الحس ومطالب الحركة ومطالب التفـكير .

وينتهى من حديثه ، بخلاصة توضحها ، كما تعودنا أن نجد فى هذه الأحاديث : فنجده يقول :

« وصفوة القول أن الثقافة هى استحياء عناصر الحياة جميعها ولـكننا نستحييها بالمجهود الذى يلائمها فلا نزيد فى بذله عن القصد النافع والقدر الصالح ولا تنسى الفوارق بين الملـكات فى تقدير هذا المجهود .. »

هذه صورة مربعة من هذا السفر الحافل ، قد تعطيك فـكرة عن الـكتاب ، ولـكنها لا تعطيك كل ما تريد أن تعرفه فما فى مقال كهذا يمكننى أن أعطيك ما تشاء من فـكر وصور وآراء

صبحى شفيق



الأحمدون الثلاثة : المتنبي ، المعري ، شوقي :

— قال : يقول الدكتور زكي مبارك : شوقي أعظم من المتنبي .

— قال : الدكتور زكي مبارك « يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما »

قال : شوقي يقول :

ولي درر الأخلاق في المدح والهوى وللمتنبي درة وحصاة

وجاء في الشرح : يريد أن للمتنبي الجيد والردىء من الشعر أما هو فله الجيد دائماً .

— قال : هل قال ذلك في شبابه ، « إن الشباب جنون برؤه الكبر » .

— قال لذي الرئاستين [1] العلامة الدكتور محمد حسين هيكل باشا وقت المهرجان في أثناء الحديث عن الشعر والشعراء : شوقي بعد المتنبي .

قال : شوقي بعد أبي العلاء .

— قال : إذا نزعت (غير مجد)[2] من (سقط الزند)[3] فشوقي بعد المتنبي .

قال : لا أحذفها ، كيف أحذفها ؟ لم أحذفها ؟

— قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ! شوقي إذن بعد أبي العلاء .

(١) هي الرآسة ، وقالوا الرئاسة والرياسة فكسروا وهمزوا وخففوا ، في اللسان : إن الرياسة تنزل من السماء فيعصب بها رأس من لا يطلبها

(٢) قال لي الفيلسوف التركي المشهور الدكتور رضا توفيق : (لم يقل عربي ولا عجمي في الشرق والغرب في القديم والحديث في معنى هذه القصيدة مثلها) وأغلب الظن أن الدكتور استند في هذا الحكم إلى استقصاء باحثين في المراثي من العربانيين وإن كان فضل الدكتور لا ينكر ، وهو يعرف أكثر من ثماني لغات إلى علمه .

(٣) هذا ديوان شعره و (اللزوميات) شعر أو غير شعر أو هي فوق الشعر ، وديوانه في الألغاز شعر وغير شعر . قال صاحب (أوج التحري) : « كتاب الألغاز كبير الحجم ، رتبه على جميع حروف الهجاء ، مشتمل على كل بحور الشعر وأعاريضه وضروبه » .

إن الأحامد في القريض ثلاثة :

أحمد الأول (أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي) .

أحمد الثاني (أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري) .

أحمد الثالث (أبو علي أحمد شوقي المصري) .

ذلكم « قول الحق الذي فيه يمترون » واذكر في الكتاب مع الأحمدين حبيباً ، والوليد ، وعلي بن العباس[1] ، ومحمد بن هاني[2] ، وتمثل بقول أحمد الاول :

كُتبت في صحائف المجد بِسمٌ ثم قيس وبعد قيس السلام[3]

(س)

الألفاظ الاصطلاحية في النجوم الزاهرة :

تفضل الصديق الكريم الأستاذ محمد عبد الغني حسن فأبدى دهشته لورود كلمة « كريمة » بمعنى الأخت في سياق عبارة لصاحب النجوم الزاهرة معتقداً أن الكريمة هي البنت كما هو متعارف اليوم ...

والحقيقة أن الكريمة بمعنى الابنة والمخدوم للولد الذكر من اصطلاح الترك وأخذه العامة عنهم فقالوا : كريمة فلان أي ابنته ، وقالوا للولد الذكر مخدوم الخ ...

والكريمة في اللغة كل شيء يكرم عليك فهو كريمك وكريمتك كما في اللسان مادة كرم ج ١٥ ص ٤١٦ . والكريمة الأهل وقيل شقيقة الرجل كما في المستدرك على شرح القاموس ص ٤٤ من الجزء التاسع ...

ولما كان صاحب النجوم الزاهرة تركي الأصل فقد جمع بين العامي والفصيح معاً فسمى أخواته جميعاً كريمات شقيقات وغير شقيقات في كتابه المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ... ذكر أخته عائشة في ترجمة زوجها الاتابك اقبغا التمرازي الذي مات

(١) ابن الرومي .

(٢) الأندلسي ، متنبي الغرب .

(٣) رفع بسم لأنه أجرى الكلمة مع الباء بمنزلة كلمة واحدة فرفعها . ومن كسر السين في قيس حذف التنوين لاجتماع الساكنين ، ومن نصب ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها . ومن قول المتنبي :

ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

وينشد في هذا المقام : (ولا تبال بشعر بعد شعرهم) الخ . .



فينوس برانـــيزا

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأستاذ مناور عويس

لم يكن أحد في (برانيزا) كلها يجهل ذلك التلمودي. ولم يكن مرد تلك الشهرة الواسعة إلى حكمته وخوفه الله فحسب، بل كان لجمال امرأته نصيب كبير في تلك الشهرة إذ كانوا يلقبونها «فينوس برانيزا» وقد نالت هذا اللقب عن جدارة واستحقاق، فهي فضلا عن جمالها الباهر زوجة بحاثة في التلمود.

وزوجات الفلاسفة اليهود غالباً ما يكن دميمات أو ذوات عاهات جسدية، وكتاب التلمود يشرح تلك الظاهرة ويفسرها بما يأتي: «إن عقود الزواج تعقد في السماء، وحين ولادة مولود جديد يعلن صوت سماوي اسم زوجة ذلك المولود — أي زوجة المستقبل؛ وكما أن الأب الطيب يدع أدوات منزله الثمينة ولا يستعمل إلا الأدوات القديمة مع أولاده، فهكذا ينعم الله على الرجال التلموديين بنساء لم يأبه لهن الرجال الآخرون!

ولعل الله أراد أن يبدل من هذه القاعدة ويخفف من وطأتها، ليثبتها، فاختار لصاحبنا التلمودي «فينوسا» فيها من الجمال ما يزيد في نخر العروش ويرفع من قيمة تمثال قائم على قاعدته في متحف... كانت طويلة القامة، ممشوقة القد، جذابة الملامح، يقوم على كتفيها رأس بديع رائع، وتتدلى على ظهرها ضفيرتان سمراوان غزيرتان، وتحت أهدابها الطويلة تشع عينان ناعستان نجلاوان.. ويداها.. كأنهما قطعتان من العاج!..

وكأنما خلقت لتكون ذات سلطان لها رعاياها وعبيدها يسجدون عند قدميها، أو لتشغل ريشة فنان أو لتحرك قلم شاعر!.

لكنها عاشت عيشة زهرة جميلة نادرة في بيت خانق حار. زد على ذلك أنها كانت تجلس معظم نهارها ملتحفة فروها الثمين تراقب الشارع من نافذتها.

عنها بقوله: وقد سألت كريمتي زوجته الخ انظر المنهل الصافي ج ١ ص ٢٣٤. وذكر أخته فاطمة في ترجمة أبيه تغري بردي فقال: وكان الناصر فرج قد عقد عقده على ابنته أختي فاطمة الخ. انظر المنهل الصافي ج ١ ص ٣٩٣. وذكر فاطمة في ترجمة اينال النوروزي أمير سلاح فقال: وتزوج بكريمتي بعد موت زوجها الملك الناصر الخ انظر المنهل ج ١ ص ٢٩٥. وذكر أخته هاجر وهي شقيقته الوحيدة من أمه وأبيه في ج ١ ص ٣٩٥ فقال عنها في ترجمة أبيه أيضاً: ولدت سنة ٨٠٧ هـ وتزوجت قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقيني ومات عنها إلى أن قال: توفيت سنة ٨٤٦ هـ وهي التي عبر عنها بكريمتي في الموضع الذي أثار استغراب الأستاذ عبد الغني في النجوم الزاهرة.

وبعد فهذا التعبير عبّر به كثير من المؤرخين كصاحب صبح الأعشى في ج ٦ ص ١٧١ في كتاب لأخت الملك الناصر حسن، كما عبر به السخاوي وابن العماد في المواضع التي أشار إليها الأستاذ في كلمته، وكذلك قطب الدين في تاريخ البلد الحرام وغيرهم وغيرهم من اللغويين والكتاب...

ولعل الصديق الكريم يكون قد عرف موضع الصواب في استعمال هذا اللفظ الاصطلاحي والسلام.

أحمد لطفي السيد
مصحح النجوم الزاهرة

إلى طلاب التوجيهية:

سننشر ابتداء من العدد المقبل فصولا شارحة لما قرر في مسابقة الفلسفة على طلاب السنة التوجيهية للأستاذ كمال دسوقي المدرس بمدرسة المنصورة الثانوية، فنلفت أنظارهم إليه.

لم يكن لها أبناء . . . وكان زوجها الفيلسوف يجلس مصلياً أو مطالعاً من الصباح الباكر حتى منتصف الليل ولم تكن معبودته سوى « الجمال المقنع » كما يسميها كتاب التلمود .

ولم تكن تعبأ بشؤون المنزل فهي غنية . . وكان النظام سائداً مستتباً كنظام الساعة التي تديرها مرة كل أسبوع .

لم يزرها أحد ولم تخرج لزيارة أحد .. وكانت تجلس تفكر وكأنها تحلم . وكثيراً ما كانت تتثاءب ! . .

وهبت على المدينة ذات يوم عاصفة هوجاء وقصف الرعد وكأنه يلهب المدينة بسياط غضبه . أوى اليهود إلى منازلهم وفتحوا النوافذ ليستقبلوا مسيحهم الموعود !

وكانت فينوس اليهودية جالسة على كرسيها المريح لابسة فروها ترتجف ، وفجأة صوبت عينيها المتوهجتين نحو زوجها الجالس أمام كتابه وهو يتأرجح !

سألته قائلة : أخبرني متى يأتي المسيح ابن داود ؟

فأجابها : سيأتي عندما يصبح اليهود كلهم صالحين أو طالحين ، هذا ما يقوله التلمود .

— وهل تصدق أن اليهود يمكنهم أن يكونوا صالحين ؟

— وكيف يمكنني أن أصدق هذا ؟

— إذن سيأتي المسيح عندما يصبح اليهود كلهم طالحين .

وهز الفيلسوف كتفيه وتابع القراءة في كتاب التلمود ، ذلك الكتاب الذي لم يخرج من قراءته رجل صحيح العقل خلا رجلا واحداً !

وظلت المرأة الجميلة تنظر إلى قطرات المطر المنهمر بعينين حالمتين وهي تعبث بثوبها الأسود بأسنانها البيضاء .

وفي أحد الأيام غادر الفيلسوف اليهودي بيته إلى مدينة مجاورة ، إذ كان عليه أن يفصل في مسألة دينية . . ونظراً لعلمه الواسع فقد حُلت المشكلة بأسرع مما كان يتوقع . . . وعاد مع صديق له أقل منه علماً ! عاد في نفس اليوم بدلا من أن يعود في اليوم التالي كما كان مقرراً .

ترك العربة عند بيت صديقه وتوجه إلى بيته سيراً على الأقدام. لم يفاجأ حين شاهد نوافذ منزله مضاءة أو عندما رأى خادماً لضابط يدخن غليونه ببساطة أمام منزله . تقدم إلى الخادم وسأله بأدب ، وبشيء من الفضول : ماذا تصنع هنا ؟ أقوم بالحراسة لئلا يأتي زوج اليهودية الحسناء على غير انتظار .

— حقاً ! . حسناً ! . انتبه وراقب جيداً .

قال هذا وتظاهر بالذهاب ، لكنه ولج البيت من مدخل خافي . دخل الغرفة الأولى ورأى مائدة معدة لشخصين ، ولاحظ أن صاحبيها تركاها قبل لحظات . وكانت زوجته تجلس كعادتها متدثرة بفروها وكانت وجنتاها محمرتين مريبتين ، ولم تكن عيناها متعبتين ناعستين بل كانتا تحملقان بزوجها وفيهما ترتسم علائم السخرية والرضا ، وفجأة عثرت قدم الفيلسوف بشيء على الأرض أحدث صوتاً غريباً فانتفض وكان الذي عثر به مهمازا .

— من كان معك ؟

وهزت اليهودية كتفيها ولم تجب

— أأخبرك ؟ كان عندك قائد فرقة الخيالة

— ولمَ لا يكون مني ؟

— أخرجت يا امرأة عن صوابك ؟

— ما زلت مالكة لكل صوابي ، وارتسمت ابتسامة على شفتيها الساخرتين وقالت : ولكن أليس عليّ أن أقوم بدوري كيما يأتي المسيح فيخلصنا نحن اليهود المساكين ؟ !

يافا — مناور عويس



العدد ٧٥٩ - الاثنين ١٩ يناير ١٩٤٨ - السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 759

Lundi — 19 — 1 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧٥٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٧ — ١٩ يناير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

عقـــدة منحلة !

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى رأى الأستاذ نقولا الحداد أن فيثاغوراس لم يكن إلا مخرفاً سخيفاً حين قال إن الكون عدد ونغم !

وقد كان فيثاغوراس يقول ذلك يوم كانت المادة عند الأقدمين جسما محسوساً أو كتلة كثيفة ، ولم يكن معروفاً من تقسيم العناصر وقوانين الحركة شىء مما يعرفه العلماء الآن .

ثم عُرفت العناصر ، وعرف أنها كلها تركيبات من الكهارب ، وأنها تختلف بينها باختلاف أعداد الكهارب حول نواة كل عنصر ، وأن الكهارب نفسها إذا ردت إلى الإشعاع فهى عدد من الذبذبات ، كلما ميزتها بغير العدد جسما أو قوة أو طاقة عدت إلى العدد ، والتناسب بينه ، من جديد . . . لأن آخر الأمر فى القوة أنها حركة ، وآخر الأمر فى الحركة أنها عدد من الذبذبات .

لا جرم نرى أناساً من أكبر أقطاب العلوم الطبيعية فى هذا العصر — إن لم يكونوا أكبرهم جميعاً — أمثال مليكان Mellikan وادنجتون Eddington وجينز Jeans يقولون إن الطبيعة حساب ورياضة ، ويتحدث جينز خاصة عن « الله الرياضى » ... لأن قوانين الطبيعة مسائل ومعادلات .

فإذا كان الأستاذ نقولا الحداد لا يسخو على المسكين فيثاغوراس بأكثر من صفة التخريف والسخافة فليس معنى ذلك أن فيثاغوراس المسكين مخرف سخيف فيما قال عن العدد والنغم ، وإنما معناه أن الأستاذ نقولا الحداد لم يرزق بداهة فلسفية كبداهته ، ولم يرزق نظرة علمية إلى ماوراء الظواهر كالنظرة التى يؤثرها أمثال جينز وادنجتون ومليكان .

ولو أن الأستاذ نقولا الحداد رزق تلك البداهة لانحنى إجلالا لتلك العبقرية التى نفذت من وراء الكثافة المادية ، ومن وراء العصور المتطاولة ، إلى حقيقة مجردة يسمعها الأستاذ ولا يفقهها وهو يعيش فى عصر « العدد » الذى يصحب الوجود من أمواج الكهرباء والمغناطيس ، إلى أجزاء العناصر ونسب الكهارب وجلة ما فى الوجود بين الأرض والسماء .

والفرق بين تحية الإجلال الواجبة ، وبين تهمة السخافة الجائرة ، هو الفرق بين التقدير الصحيح والتقدير الخاطىء فى أمثال هذه الأمور .

* * *

على أن هذا التقدير الخاطىء قد تجلى فى حالة ألمع من هذه الحالة حين تصدى الأستاذ لموضوع كتابنا عن « الله » وتناول مشكلة العقل فقال عنها فى فصل من عدد المقتطف الأخير :

« إذا صرفنا النظر عن ذاتية العقل وحسبنا العقل عملا من أعمال خلايا الدماغ — الصنوبرية أو غير الصنوبرية — أو هو أهم

وظيفة لهذه الخلايا بل هو وظيفتها الرئيسية فى الأقنوم الإنسانى، انحلت العقدة حالا » .

وهـذه هى العقدة التى حلها الأستاذ حالا ... وبمثل هذه السرعة يستطيع ولاشك أن يحل كل عقدة من العقد بغير كثير أو قليل من العناء .

فأما أن يكون فى هذا الوجود شىء عجيب أو ليس فيه شىء عجيب على الإطلاق ، لأن وجوده فيـه ينفى عنه العجب ويغنيه عن التعليل .

فإن لم يكن فيه شىء عجيب فقد انتهينا وانحلت العقدة حالا ، بل لم توجد العقدة حتى تحتاج إلى حلول .

وإن كان فيه شىء عجيب فأى شىء هو هذا الذى يمكن أن يوصف بالعجب أعجب من ظهور الحياة فى المـادة ، فضلا عن ظهور العقل وهو أعجب من الحياة ! .

كيف كسبت الخلية الحية خصائص الحياة ؟ كيف انقسمت لتحفظ نوعها ! كيف تطور هـذا الانقسام إلى ذكورة بسيطة وأنوثة بسيطة ؟ كيف تجمعت هذه الخلايا فى أجساد تختلف فيما بينها اختلاف الأنواع والأجناس ؟ كيف نمت هـذه الأجسام وارتقت فارتفعت طباقاً فوق طباق ؟ كيف أصبحت كل خلية توافق كل خلية غـيرها فى البنية على العمل المشترك بين جميع الأعضاء ؟ كيف بلغت مبلغ الإنسان وظهر فيها عقل الإنسان ؟ كيف اتفق هذا التطور فى اتجاه واحد إلى هذا الاستعداد لظهور الحياة واستمرار أجيـال الأحياء ثم ظهور التفـكير فى أرق الأحياء ؟ .

أهو تدبير أم مصادفة عمياء ؟ .

إن كان تدبيراً فهذا هو العقل الذى ينـكره الأستاذ ! وإن كان مصادفة عمياء فأين هو العقل الذى يستريح عند ما يقال له : لا تعجب ولا تستفـسر فإن العقدة منحلة لا تحتاج إلى إيضاح ، وهل بعد المصادفة العمياء من حل تتطلع إليه العقول ؟ .

وهذا العقل نفسه كيف يقال إنه عنصر محدود فى الـكون بعقل الإنسان دون سواه ؟ .

ما هو الـكون ولا سيما الـكون فى نظر المـاديين ؟ .

إنه ليس بإقليم من الأقاليم أو قطر من الأقطار فيقال إن العقل من حاصلات هذا الإقليم دون ذلك الإقليم ، أو مزروعات هذا القطر دون ذلك القطر ! .

كلا . بل هو كل ما كان وما يكون من غير بداية وإلى غير نهاية ... فـكيف يستريح العقل حين يقال له إن عنصر العقل فى الـكون كله إن هو إلا فلتة من فلتات المصادفة وجد على سبيل الاتفاق بعد وجود الإنسان ؟ .

كيف نحل مشكلة العقل المجرد الذى عرف الحقائق الرياضية تامة ولا يزال « العقـل التجريبى » يتخبط فى علوم الحس والمشاهدة ؟ .

كيف نحـل مشـكلة العقل الذى يعظم كما تعظم العبقرية بالاختلال فى البنية لا بالاستواء المعهود فى التـكوين ؟ .

كيف نحل مشكلة العقل الذى ينتقل بغير الوسائل المـادية والصور المحسوسة من واعية إلى واعية ومن دماغ إلى دماغ ؟ .

إنك لا تستطيع أن تقول إن « المـكنات » الـكهربائيـة هى التى أوجدت الـكهرباء فى العالم . فـكيف تقول إن الدماغ البشرى هو الذى أوجد الفـكر فى الـكون كله بعد أن لم يكن له وجود ؟ .

وليس لك أن تزعم أنك قد عرفت الـكهرباء بعد أن عرفت المـكنات ، لأنك لا تعرف عن الـكهرباء أ كثر من فروض وتخمينات .

تزعم حيناً أنها أمواج فلماذا تتموج ولا تستقيم ؟ .

تقول إنها فى بحر من الأثير فـا هو الأثير إلا أنه فرض مزعوم ؟ .

تقيس سرعة النور فلماذا تحده بهذه السرعة وبماذا تعلل أنه لا ينقص أو يزيد ؟ .

تتـكلم عن اتجاه النور فإلى أين ينتهى بعد هـذا الاتجاه ؟ أيقف فما الذى يقفه ؟ أيسرى إلى غـير نهاية فأين هى مقاومة الأثير المزعوم ؟ .

تعود إذن إلى الأثير لتطلق عليه أوصافاً لا دليل لها ولا يزال تصديق كل وصف للآنه أهون من تصديقها .

هو جسم وليست له صفة واحدة من صفات الأجسام .

فإن لم يكن كذلك فهو عدم تفسر به جميع الموجودات !! .

وهكذا ترى أن المشكلة لم تنحل فى شأن المكنة التى تقتبس منها الضوء وتستمع منها إلى أصوات الإذاعة ، وتسميها بما شئت من الأسماء ، وتعللها بما شئت من أمواج أو غير أمواج ، وكهرباء أو غير كهرباء .

فكيف تنحل مشكلة العقل بكلمة واحدة : هى أنه موجود ولا وجود له فى غير الدماغ ؟ .

ولا فى الدماغ إذن يا أستاذ سامحك الله !! .

إن السلوكيين Behaviourists أصحاب القول بالعقل الدماغى لا يحسبون مسألة التفكير بهذه البساطة التى تنحل حالا على هذا المنوال ، لأنهم يسلمون أنها « مشكلة » ثم يحاولون أن يفسروها فيخيل إليهم أنهم قد فسروها بقولهم إن التفكير مستمد من الكلام .

وفيثاغوراس سخيف عندك يا أستاذ .

فأعطنا الحق الذى سمحت به لنفسك ، لتقول على حق أن هؤلاء السلوكيين سخفاء .

فالمعقول أن الإنسان تكلم لأنه فكر ، وليس بمعقول أنه يفكر لأنه يتكلم ؛ إذ كان الحيوان خليقاً أن يتكلم ثم يفكر كما فعل الإنسان .

أما إن قيل إن الإنسان قد تكلم بعد أن أصبح جهاز النطق فيه صالحاً للنطق وجهاز التفكير فيه صالحاً للتفكير — فهذا هو العجب وليس هذا هو الحل الذى يبطل التعجب .

المصادفة العمياء تتمم جهاز النطق ، والمصادفة العمياء تتمم جهاز التفكير ، ويمضى هذا فى الظلام ويمضى ذلك فى الظلام ، ليتلاقيا معاً فى الظلام ! ! .

وقد انحلت المشكلة حالا بغير إبطاء .

يا أستاذ

إن المشكلة معك هى أنك لا تضع السؤال ، ولا عقدة حينئذ ولا إشكال .

فإن شئت فضع السؤال أولا ثم فكر فى الجواب ، وأنت تعرف « حالا » أن الذين لم يسرعوا إلى الجواب مثل إسراعك يعرفون على الأقل ما هو السؤال ، وإن لم يعرفوا على التحقيق كل ما يستدعيه من جواب .

عباس محمود العقاد

فى السياسة المغربية

للأستـــاذ محمد العربى العلمى

كتب الأستاذ محمود شاكر فى العدد (٧٥٨) مقالا بعنوان « لا تملوا » تناول فيه قضية الاستعمار الفرنسى فى المغرب من بعض جوانبها ، فلم يتعمق البحث ، ولم يستقص الوقائع ، ولم يتتبع المقدمات إلى نتائجها ، فأدى به ذلك إلى بعض ما لا تحمد عاقبته وأثره فى الوطنيين من أهل المغرب ، على حين اتهم زعماءهم وأهل الرأى فيهم بالسفه والغفلة والتخاذل والتهاون فى حقوق البلاد ، أو ما يشبه ذلك من أنواع التهم ليتخلص من ذلك إلى الإشادة برجل أو رجال من أهل المغرب آثروا البقاء فى مصر مختارين فسماهم بذلك مجاهدين وأبطالا وقادة ، حينما رمى غيرهم من زعماء المغرب بما رمى من أنواع التهم لأنهم آثروا أن يبقوا فى مجال المعركة بين مواطنيهم يشدون عزائمهم ويقودونهم للكفاح

وقد كنت ممن تعرض لهم الأستاذ شاكر فى مقاله فحق لى بهذه الصفة أن أصحح بعض الوقائع التى ألقيت إليه فحكاها فى مقاله بلا تحقيق ولا روية .

ولست أتهم الأستاذ شاكرا فى عروبته ووطنيته وحذقه ، ولكنه قد رضى أن يدخل فى قضية ليس فى يده من أسبابها إلا حديث ألقى إليه فاعتقده كل الحق وأغفل ما وراءه من أسباب العلم إذ كان محدثه صديقاً غير متهم عنده بالهوى .

وللأستاذ شاكر موقف مثل هذا فى قضية المغرب نفسها منذ سنين وقد راجع فيه اليوم نفسه ؛ فقد كتب فى مجلة المقتطف منذ بضع عشرة سنة مقالا ضافياً يمجد فيه الشيخ عبدالحى ويصفه بما لم يوصف به الصديقون والشهداء والصالحون ، والشيخ يومئذ وإلى اليوم شوكة دامية فى جنوب الوطنيين . وقد عرف ذلك الأستاذ شاكر اليوم عن الزاهد العابد المحدث الراوية الذى وصفه بما وصف منذ بضع عشرة سنة بلا تحقيق ولا روية ؛ ثم انكشف له باطنه وقد كان حسبه هذا مثالا يحمله على ضرورة التروى قبل أن يكتب مقاله الأخير يصف به من يصف من المجاهدين بالغفلة والضعف ليضفى صفات البطولة والجد على القاعدين المترفين ويتحدث الأستاذ شـــاكر فى مقاله عن حزب الشورى

والاستقلال بالمغرب فيزعم أنه حزب بلا شعب لأنه رئيس ونائبه بلا أعضاء ولا أنصار ، إذ الأعضاء والأنصار والشعب المغربي كله لا يستمعون إلا لرأى الزعماء القاعدين فى القاهرة ؛ وهو يزعم إلى ذلك أن الزعيم محمد بن حسن الوزاني الذى يقود قضية المغرب اليوم كان فى سالف أيامه تبعاً من أتباع هؤلاء القاعدين ثم انشعب وأنشأ حزبه . ويزعم أن حزب الاستقلال الذى يرأسه علال الفاسي فى القاهرة هو الذى يمثل الرأى الحق حين ينادى من القاهرة بأن لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال ، وأنه صاحب رأى المغاربة لا يبرم أمر دونه . ويزعم أن زعماء تونس والجزائر وممثليهم فى القاهرة يرون رأى علال الفاسي فى القعود وعدم المفاوضة .

يزعم هذا وغيره ، وقد قلت إن ما ألقى إليه من ذلك غير الحق ، وأن الحديث عن هذه المزاعم من شأنه أن يفتح للقول أبواباً لعلها أن تفسد بين زعماء المغاربة وتضر قضية المغرب أكثر مما يفسد حديث المفاوضات وما يتوقع من منافسات الانتخاب وغير ذلك مما استوحاه الكاتب من الجو المصرى الذى يعيش فيه غير متفطن إلى أنه يتحدث عن بلاد لم يرها وليس له من أسباب العلم بها وبأهلها إلا القليل أو ما دون القليل .

أما زعمه أن حزب الشورى والاستقلال لا شعب له ولا أنصار فلست أستطيع أن أرد عليه رأيه فى ذلك ما دام بعيداً عن البلاد ؛ وهى على كل حال قضية حزبية ليس من حسن الرأى أن يشتغل بها قراء الرسالة ، إذ كان البرهان العملى فيها فى المغرب نفسه لا على صفحات جرائد القاهرة . وثمة برهان عملى آخر على مكانة حزب الشورى فى المغرب هو ما بذل من تضحيات ، وما لقى رئيسه وأعضاؤه من نفى وتشريد ، وما زهق من أرواح مجاهدين تحت سياط الفرنسيين فى صحراء المغرب ، ولم يرجع آخر أعضائه من المنافى والسجون منذ سنة ١٩٣٧ إلا فى سنة ١٩٤٦ . ولو علم الكاتب أن المعاهد العلمية الوطنية التى أنشأها هذا الحزب (مضافة إلى أنواع الجهاد الوطنى) تضم فى مختلف بلاد المغرب أكثر من ٣٥ ألف تلميذ وتلميذة لعرف ما فى اتهامه لهذا الحزب من التجنى والجحود .

أما أن حزب علال الفاسي يرى أن لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال فقول جديد لم نسمع به . وقد حاول علال نفسه أن يفاوض الفرنسيين فى العام الماضى ، ومضى فى هذه المحاولة خطوات واتصل ما بينه وبين القيم الفرنسى السابق قبل أن يأخذ حزب الشورى فى مباحثاته الجارية . ولسنا بهذا ننكر على علال أو غيره محاولته وإنما نريد أن نؤكد للكاتب أن فكرة لا مفاوضة هذه إنما نشأت منذ قريب لأسباب لا أجد داعياً لاشتغال قراء الرسالة بها .

وحزب الشورى وإن كان يمثل الأكثرية فى المغرب لا يريد أن يقطع السبيل على أحد من المجاهدين أو يبرم رأيا لا تقتضيه البلاد ملكا وشعباً . وإذا كان هناك من ينبغى أن ترجع إليه الصحف المصرية فى قضية مراكش فهو الأمير عبد الكريم الرجل الذى لا يدفع أحد فى الشرق ولا فى المغرب زعامته وإخلاصه ووطنيته التى ترتفع فوق الأهواء الحزبية المضللة . ولعلى لا أكون فضوليا ان زعمت أن الذين ذكرهم الأستاذ شاكر من زعماء تونس والجزائر ليسوا معه على الرأى الذى نسب إليهم . وأرى من حقى بعد ذلك على الرسالة وقرائها وعلى الأستاذ شاكر نفسه وهو عندى أرفع منزلة مما وضع نفسه أن أبين له ولهم أن إقحام المثقفين من قراء الرسالة فى قضية حزبية كهذه القضية التى نحن بصددها ليس من مصلحة المغرب ولا من مصلحة العرب ، وليس فيه شىء من الحكمة وأصالة الرأى وبخاصة فى هذا الوقت الذى اجتمعت فيه أحزاب المغرب جيعاً على رأى مشترك وهدف موحد فى لجنة التحرير التى أنشئت بالقاهرة منذ أيام بحسن رأى سمو الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم ورياسته ، فقد كان الأمل أن يحرص أبناء العروبة جميعاً على تدعيم هذا الائتلاف الوطنى المغربى الذى تمثله هذه الهيئة الناشئة لا أن يحاول كاتب ذو مكانة مثل الأستاذ شاكر أن يجعل فيه ثلمة ويلقى حوله بذرة من بذور الشقاق !

أما حديث المفاوضة قبل الجلاء أو بعد الجلاء فإننا نأمل أن لا يتأثر إخواننا فى مصر بالجو الذى يعيشون فيه حين يعرضون للحديث عنه وعن قضايا بلاد لا يعرفون على وجه التدقيق ولا التقريب عن جوها السياسى شيئاً . وحسبى هذا التلميح دون التصريح خدمة لقضية المغرب العربى . وأحب أن أؤكد للأستاذ شاكر أن ما يجرى الآن إنما هو مخابرات ، وأنه لن يُدخل فى أية مفاوضة إلا بعد إعلان استقلال البلاد .

محمد العربى العلمى

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (١ ، ٢)

١ – فيـــدون

للأســـتاذ كمال دسوقي

للمحاورة من المحاورات الأفلاطونية تاريخان : تاريخ حدوث وتاريخ تدوين ، وقد تكون الواحدة منها من أولى المحاورات وقوعاً وآخرها تدويناً — وقد تكون العكس — حسبما تصادف الرواية من ظروف الجدل على يد سقراط ، والكتابة على يد أفلاطون .

وفيدون آخر المحاورات السقراطية وقوعاً على التحقيق لأنها تنتهي بآخر مشهد من حياة سقراط ؛ بتجرعه السم وموته ، ولهذا يؤرخ لها بسنة تسع وتسعين وثلثمائة التي مات فيها سقراط على أرجح الآراء . ومع هذا فهي ليست من أوائل المحاورات تدويناً عند أفلاطون — لما يبدو فيها من العمق والمثالية التي هي أدنى إلى الأفلاطونية — مع أن المؤرخين يسلكونها في المرحلة الأولى من تأليف أفلاطون : أو طيفرون ، واحتجاج سقراط ، وأقريطون ، وفيدون — التي يسمونها المرحلة السقراطية لقرب عهدها به ؛ ولذلك فالمنتظر أن يكون فيدون قد روى هذه المحاورة — ودونها أفلاطون بالتالي ، بعد زمن طويل من وفاة سقراط .

والمحاورة قسمان غير متعادلين ، يفصل بينهما انصراف سقراط إلى ذكر شيء من تجربة — حين بلغ الشك مبلغه في نفس محدثيه ، وكان من قبل قد استطاع أن يزيل كل شك في نفسيهما ، أما هنا — فهو يتوقف عن الجدل مضطراً لكي يتحدث عن نفسه واشتغاله بالعلوم والمذاهب .

والقسم الأول هو إذن أكبر القسمين — ويتناول ، بعد شيء من المقدمات تتعلق بظروف المحاورة وشهودها وما انتابهم من شعور ، ثم زوجة سقراط — وفك أغلاله . الخ — تقول — يتناول الموت والانتحار وموقف الفيلسوف من كليهما ، والحديث عن الموت بوصفه « انفصال الروح عن الجسد » يستتبع الحديث عن الروح والبدن ، والتفرقة بين المحسوس والمثالي المطلق ، حيث ينتهي سقراط إلى أن سبيل المعرفة الأوحد أن تعود الروح إلى مفارقة البدن ، وإلى أن واجب الفيلسوف أن يعدّ نفسه للموت . ويثير هذا خوفاً على مصير الأرواح في نفس سيبيس Cebes — فيطمئنه سقراط على خلود الروح بأدلة ثلاثة يتبعها رابع — تثير مناقشتها مشكلات التذكر والتضاد وأزلية الروح وأبديتها ... وتناسقها وتناسخها .. الخ ...

ولنفصل القول بإيجاز في كل مشكلة من هذه .

١ — الموت والانتحار :

١ — الحكيم لا يهاب الموت ولا يحفله — بل ينشده ويرحب به — فهل معنى هذا أن ينتحر ؟ وهل له بدلا من أن ينتظر وقوع الموت ويستجديه من الآلهة أن يضع لحياته حداً ؟ لا — إن عليه أن يضع نفسه حيث وضعته الآلهة ، وألا يخلص روحه من سجن البدن إلا متى أرادت ، فالآلهة أدرى بخيره منه — وهو حين يخرج على إرادتهم بفعل هذه الجريمة — كالثور أو الحمار يعصى صاحبه — فقد ارتكب أكثر من نكر واحد :

(ا) فهو أولا قد ظن في نفسه القدرة على الموت والحياة . وهو خلو منها .

(ب) وافترض في نفسه حكمة أكثر من الآلهة — ومعرفة بخيره منهم ... وعناية بنفسه أكثر من عنايتهم ، حيث يكون الخير في الواقع ما أرادوه هم — ولو كان سجناً أو موتاً وهو الذي يفر من خيره في غير حكمة .

(ج) ثم هو يهب نفسه حرية واختياراً أن يفعل ما يشاء أكثر مما له في الحقيقة .

والنتيجة أن واجب الفيلسوف أن يرغب الموت ولا يرتكبه ، ولكن له أن يحاول فصل روحه عن بدنه وتعطيل حواسه عن فكره حتى يتهيأ له سبيل المعرفة الصحيح ، ووسيلة التطهير والخلاص . وعليه حتى حين الخلاص النهائي أن يعهد نفسه له ، وأن يعينها مرة ومرات ، فيمادي البدن ويتجنب كل ما يمت إليه بسبب ، حتى تحصل روحه الحكمة من العالم الآخر قبل أن تصل إليه ، وحتى تألف الموت فلا تفزع له أو تفرق منه ، وبهذا المران على تطهير الروح يصل إلى الاعتدال الذي لا تطرق معه في صفة من الصفات ، كما يصبح سعيه للحكمة وخلاص النفس وتطهيرها مقصوداً لذاته ، لا لمقايضة ومبادلة أو ترجيح للذة أو خير أبعد — بمعنى أن يتطبعوا بالحكمة لا ينوونها لنفع أو غرض

٢ — خلود الروح :

وهنا يسوق سيبيس على لسان العامة تشكيكاً فى مصير الروح بعد انفصالها عن الجسد ، وقولهم إنها تصبح هباء أو دخاناً تذروه الرياح — فيقدم له سقراط الأدلة على بقاء الروح فى العالم الأزلى — وسنسوقها بترتيب ورودها .

٢ — فأولاً يقدم سقراط دليلاً يبدو أنه يريد به نظرية تناسخ الأرواح Transmigration أى انتقالها من بدن إلى آخر بعد موته — وإلى هذا يرمز بقوله « المذهب القديم الذى كنت أتحدث عنه » أى الفيثاغورية ؛ وعلى هذا فلا بد أن نظل الروح باقية كيما يخرج الحى من الميت . ولا تقوم صحة هذا الدليل إلا إذا سلمنا بهذه النظرية الفيثاغورية ، بمعنى أنه إذا قام الدليل على أن الحى لا يولد إلا من الميت ، فقد صحت النظرية ، وثبت بالتالى خلود الروح وتناسخها ، وإذا لم يقم على ذلك دليل سقطت هذه الحجة

ب — ولكى يقدم سقراط دليلا آخر يبحث مسألة التضاد فيما بين الأشياء : الكبر والصغر . والعدل والظلم ، واليقظة والنوم ... الخ والفعل الذى به يتم الانتقال من الضد إلى الضد ذهاباً وجيئة ، وينتهى إلى أن الموت الذى نراه ، لا بد أن يكون ضده الحياة التى لا نراها موجودة — فأرواحنا لابد إذن موجودة فى العالم الأدنى — والحى لا بد أن يكون خروجه من الميت كذلك ، وإلا لا نعدم توالد الأشياء وأصبح مصيرها مصير « أنديميون » النائم أبداً — فهذا الدور أو التعاقب بين الأضداد هو الذى يؤكد لنا خلود الروح ... وهذا الدليل كما نرى وجودى فكرى أكثر منه حقيقياً ، فالتضاد بين الأشياء مقولة من مقولات الفكر ، ومن عمل العقل والمنطق — نحن ندرك النوم باليقظة — ونميز الصحة بالمرض ، ولكن ليس محتوما أن يتولد المرض من الصحة ولا النوم من اليقظة . حقاً إن الكون والفساد من نواميس الطبيعة — التى هى كما يقول — لا يفترض أنها تسير على ساق واحدة فحسب — وما لم نسلم بنظرية التناسخ السابقة — فإن هذه الحجة لا تدل وحدها على خلود الروح .

(ح) والحجة الثالثة هى نظرية التذكر ، ويقصد بها أن أرواحنا قد أقامت قبل حلولها فى البدن فى عالم آخر نتذكر الآن ما عرفته فيه من قبل ، ودليلها — كما فى محاورة مينون — الإجابة الصحيحة التى يدل بها شخص ما عن سؤال صحيح يوجه إليه — ويكون التذكر بالتلازم — كالمحبوب والقيثارة — وسيمياس وسيبيس — أو بالتشابه أو التضاد — كما فى الحجة السابقة ، أو بالتساوى الذى يوجد مثاله — كمثل المثل — فى عالم التجريد والذى نقيس عليه تساوى العصى أو الحجارة أو قطع الخشب — التى ليست فى حقيقتها متساوية — بل تنزع إلى التساوى الحق دون أن تبلغه — وهذه المثل نحن لم ندركها بالحواس ، بل الحواس هى التى تذكرنا بها فى عالم المثل . وقد ولدنا ومعنا هذه المعرفة — أى أننا قد حصلناها قبل أن نولد — وها نحن الآن نتذكرها بطريق الحواس ؛ وإلا فلو أننا قد حصلناها ساعة الميلاد أو بعده — فكيف سلبت منا بعد أن أعطيت لنا حتى ننساها ثم نعود فنتذكرها — وإذن فأرواحنا قد كانت موجودة قبل أن نولد ، وكذلك المثل المطلقة للخير والعدل والحق والتساوى ... الخ التى تذكرنا بها حواسنا الآن . وهذه الحجة تثبت أزلية الروح — ولا تثبت أبديتها — كما شك سيمياس ، وعليه رد سقراط بأنه من مجموع هذه الأدلة يقوم الدليل على خلود الروح .

(د) على أن أهم دليل يقدمه سقراط على خلود الروح — هو الحجة القائلة — بأنه إذا كان الجسم يفنى لأنه مركب يتحلل بالفساد — فالروح باقية لأنها بسيطة لا تتحلل ولا يجوز عليها التغير — لأنها ثابتة خفية يدركها العقل ولا تقف عليها أى الحواس ، وبذلك فهى أبدية خالدة شأن كل ما هو إلهى — حقاً أن المادة الجسمية تغشى بكثافتها على صفاء الروح وتدنسها بمخالطتها ، ولكن الفلسفة كما قلنا هى وسيلة تطهير البدن من هذا الجسم وإماتته مرات قبل أن يموت نهائياً — فإذا صح هذا التدرب على إماتة الجسد — رحلت الروح آخر الأمر نقية طاهرة ، ورفلت فى نعيم إلهى مقيم . أما إذا كانت الروح تجر وراءها دنس المادة وكدر الشهوة ، لم تزل تحوم حائرة حول المقابر — جزاء إثم أصحابها الفجار فى الحياة . وربما تقمصت هذه الأرواح الفاجرة الشريرة أجسام حمير أو ذئاب أو حدأ يزاولون فيها ميولهم وطباعهم ، ولذا كانت الفلسفة سبيلا لتحرر الفيلسوف ، واعتداله ، وتخلص روحه وخلودها سعيدة مع الآلهة . ولذلك أيضاً لم يكن سقراط أكثر اعتدالا أو هناءة أو تغريداً فى أى وقت من حياته منه ساعة إعدامه — وهو يشبه نفسه بطيور التم swans التى يزيد تغريدها قبيل موتها .

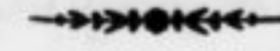
(يتبع)

كمال دسوقى
المدرس بالمنصورة الثانوية

حول رســائل

الصاحب بن عباد واعتزاله

للأستاذ محمد خليفه التونسى



قدم الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى إلى قراء « الرسالة » فى عددها ٧٥٥ رسائل الصاحب بن عباد التى حققها وقدم لها الدكتور عبد الوهاب عزام بك عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، والدكتور شوقى ضيف المدرس بها ، وكان مما عرض الدكتور الأهوانى — ومن قبله المحققان — نزعة الصاحب إلى الاعتزال ، فقرر أنه وقف طويلا عند قول المحققين للرسائل : « ونحن نجد فى الرسائل نزعة واضحة إلى القول بالاعتزال والدعوة إليه » وأشار إلى أن البحث فى الاعتزال والكلام وما يتصل بهما مما تهفو إليه نفسه ، وليس هذا بغريب منه وهو معنى بالفلسفة ، كما أشار إلى أنه كان يحب أن يجد فى الرسائل ما يشبع رغبته ويرى من نصوص الصاحب نفسه ما يؤيد قول ياقوت : إن الصاحب كان « مثل أبيه يذهب مذهب الاعتزال » وذكر أن ما اعتمد عليه المحققان فى نسبة الاعتزال إليه ثلاثة نصوص فى الرسائل نقلها الدكتور، وأشار إلى مواضعها من الرسائل ، أحدها فى الرسالة التاسعة من الباب العاشر وهو باب التعازى ، ذكر فيها تعديل الله ولطفه فى صنعه وصلاح فعله ، وثانيها فى الرسالة الثانية من الباب السابع عشر وهو باب الآداب والمواعظ ، ذكر فيها الصاحب بلداً كان مستغلقاً « على أهل عدل الله وتوحيده ، والتصديق بوعده ووعيده » وثالث النصوص فى الرسالة الثالثة من الباب العاشر أيضاً ، وهى رسالة إلى أهل الصيمرة وصفهم فيها بشهرتهم « بالذب عن توحيد الله وعدله ، وصدقه فى وعيده ووعده » وكان بلدكم من بين البلاد كغرة[1] أدهم ، وشهاب فى ليل مظلم ، وما فى النعم أجل موقعاً وأهنأ مشرعاً ، من النعمة فى القول بالحق والدعاء إليه ، والتدين به والبعث عليه ، ومهانة من شبه الله بخلقه فتتابع[1] فى جهده ، أو جوره فى فعله ، فشك فى حسن نظره وطوله »

وقد علق الدكتور الأهوانى على النص الثانى بقوله « وشهرة المعتزلة بأنهم أهل العدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، أعظم من شهرتهم بالتعديل[2] والصلاح » كما علق على النص الثالث بقوله « وهذا نص آخر أكثر فى الاعتزال بياناً ، فيه العدل والتوحيد والصدق فى الوعد والوعيد ، ونفى التشبيه ، وامتناع التجوير »

وقد وجد الدكتور فى هذه النصوص بعد أن وضحها على هذا النحو ما يكفى فى نسبة الاعتزال إلى الصاحب ، فعقب عليها بقوله « وهنا نستطيع أن نطمئن إلى ما ذكره عنه ياقوت من أنه كان يذهب مذهب الاعتزال » واستدرك على محققى الرسائل ترددهما فقال « ولكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا يطمئنان إلى أن الاعتزال « أكان هذا من عمله هو أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال . »

ولى أربع ملاحظات على ما سردته هنا من كلام الدكتور الأهوانى وما يتضمنه من كلام الدكتورين المحققين والعهدة عليه

(١) كتبت هذه الكلمة « كفرة » بالفاء وربما كان التصحيف من الرسالة .

(١) هكذا نقل الدكتور الأهوانى الجملة عن الرسائل ، وأرى أن فى الكلمة الأولى تصحيفاً وفى الأخيرة تحريفاً ، وأن صوابها « فتتابع فى حقه » مراعاة لمسجع الذى كان من سنن كتاب هذا العصر وآفاتهم ، وكان الصاحب مبتلى بهذه الآفة أكثر من غيره ، ونقل أبو حيان التوحيدى عن ابن المسيبى فى ذلك كلاماً طريفاً جداً يضيق عنه المقام (راجع معجم الأدباء ٦ / ٢٠٧ / ٨ ٢) ومعنى التتابع فى الشىء التهافت فيه والإسراع إليه ، قال صاحب لسان العرب « يقال تتابعوا فى الشر إذا تهافتوا وسارعوا إليه ، وفى حديثه صلى الله عليه وسلم : « ما يحملكم على أن تتابعوا فى الكذب كما يتتابع الفراش فى النار » . والتتابع الوقوع فى الشر من غير فكرة ولا روية ، والمتابعة عليه ولا يكون فى الخير ، ويقال فى التتابع إنه اللجاجة ... وقيل التتابع فى الشر كالتتايع فى الخير .. والتتابع هنا بكل معنى من معانيه مناسب ومعنى الجملة « فتهافت فى حق الله وأسرع إلى الوقوع فيه من غير فكرة ولا روية لأنه شبه الله بخلقه فجعله كبعض خلقه ، وهو من أجل ذلك استحق المهانة وكانت مهانة الإنسان إياه من النعم الجليلة الموقع ، الهنيئة المشرع » وهناك قراءة للنص دون هذه « ومهانة من شبه الله بخلقه فتتابع فى جهله ، أو جوره فى فعله فشك فى حسن نظره وطوله » والهاء فى جهله لمن شبه الله بخلقه ، والمعنى واضح ، والقراءة الأولى أفضل فيما أرى والمقام يضيق عن ذكر أسباب التفضيل :

(٢) يلاحظ أن معنى تعديل الله وصفه بالعدل فلا معنى للقول « وشهرة المعتزلة بأنهم أهل العدل أعظم من شهرتهم بالتعديل » فهما شىء واحد .

هو فيما نقلت عنهما وعن الرسائل إذ لم يتح لي حتى الآن الاطلاع عليها كما نشرها المحققان الفاضلان .

أولها : ما أشار إليه المحققان ، ونقله الدكتور الأهواني من نصوص الصاحب الثلاثة — المشار إليها قبل — ولا سيما ثالثها يحمل الباحث على الاطمئنان إلى أن الصاحب كان يقول بالتوحيد والعدل ، والوعد والوعيد ، وهذه — دون شك — أصول ثلاثة من أصول مذهب المعتزلة الكلامي ، ولا داعي للتشكك في نسبتها إلى الصاحب مع ورودها في نصوصه ، إذ ليس الباحث مطالباً ببينات أقوى ولا أكثر من هذه البينات ، وإن كان مما يرحب به وجود بينات نصية كذلك تكون أكثر تفصيلا ليضمها إلى ما لديه ، كما أنه ليس على الباحث أن ينبش عن قلب الرجل ليرى ما في سريرته ، ولا مبرر بعد ذلك للشك أو التردد حتى يثبت أن للصاحب نصوصاً تعارض هذه النصوص ، وهذا ما لم يثبت حتى الآن . والدكتور الأهواني لم يحد عن مسلك العالم حين اطمأن إلى نسبة هذه الأصول الثلاثة إلى الصاحب ، ولم يتابع المحققين في شكهما وترددهما ، وأنا أشاركه هذا الاطمئنان ، ولكني لا أذهب معه إلى أكثر من نسبة هذه الأصول إليه ، ولا أتعدى معه إلى القول باعتزال الصاحب على الإطلاق بهذه النصوص وحدها حسبما ذكر الدكتور اتباعاً لرأي ياقوت فيه ، وسأوضح هذا في الملاحظة الرابعة .

ثانيها : ومن أجل هذا الاطمئنان حقّ للدكتور أن يستدرك على المحققين ترددهما الذي لا مبرر له ، وعدم جوابهما على سؤالها « أكان هذا (أي الاعتزال) من عمله هو ، أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة — فيما يظهر — يذهب إلى الاعتزال »

والشك — كما يظهر من السؤال — لا مبرر له بعد النصوص السابقة — إلى ما ذكر ياقوت ونقل هنا — ولو لم يكن لدينا غيرها ، فضلا عما سنذكر في الملاحظة الثالثة ، كما أن السؤال لا موضع له على هذا النحو ، فماذا يطعن في اعتزال الصاحب إن كان من عمله هو أو من عمل الدولة ؟ لنفرض أبعد الفروض وهو أن الاعتزال كان من عمل الدولة لأنه كما ذكر المحققان — « قد كان عضد الدولة يذهب فيما يظهر — إلى الاعتزال » فهل يوهن ذلك من اعتزال الصاحب ويحملنا على الشك فيه ؟ ليكن أن « عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال »

أولا يكن ، فأي قيمة لاعتزال عضد الدولة في هذا الموضع لنزج به فيه ؟ أيطعن في إسلام ثابت لوزير أن يكون الملك الذي استوزره مسلماً ، وأن تكون دولته إسلامية ؟ ثم ما قيمة اعتزال عضد الدولة إن كان منتهى الثقة في القول به أنه — كما ذكر المحققان — فيما يظهر لهما ، لا فيما ثبت لهما ثبوتاً قاطعاً أو راجحاً ؟ ثم ما قيمته إذا لم يكن هناك دليل عليه ؟ بل ما قيمته إذا لم يثبت أن عضد الدولة كان يؤثر المعتزلة دون غيرهم بامتياز يدل على ميله إليهم فضلا عن ذهابه مذهبهم ؟

لقد قرأت مما كتب في تاريخ عضد الدولة — وما هو بالقليل — فلم أجد فيه ما يدل على أن عضد الدولة كان يؤثر مذهب الاعتزال أو المعتزلة بعطف خاص ؟ فمن أين هذا الذي ظهر للمحققين الفاضلين حين أشارا إلى اعتزاله ؟ وكيف ظهر لهما ؟

لا أزعم أني قرأت من تاريخ عضد الدولة أكثر مما قرأ المحققان ، فلعل عندهما علم ما لا أعلم منه ، وهما — دون شك — أكثر اطلاعاً وفهماً مني ، ولست أبغي من معرفة ما ظهر لهما من اعتزال الصاحب غير مصدره وكيفية ظهوره !

ومع هذا قد وقفت في دراستي لتاريخ الاعتزال على أن هذا المذهب كان ذائعاً قوياً في أيام عضد الدولة وفي دولته خاصة ، إذ ظهر فيها كثير من شيوخ الاعتزال ، وتولى بعضهم الأعمال لها ، ومنهم من كان على صلة بعضد الدولة نفسه ، وكانت الدولة تعرفهم وتعرف ميولهم واعتناقهم الاعتزال ، ومع ذلك لم تجد ما يدل من قريب ولا بعيد أن الدولة كانت تؤثرهم بعناية خاصة إلا في أيام الصاحب نفسه ، وهذا الإيثار كان من عمل الصاحب وحده لا من عمل الدولة ، ومن المعروف أن عضد الدولة — هذا الذي يرى المحققان فيما ظهر لهما أنه يذهب إلى الاعتزال — جاءته رسالة من ملك الروم فأجاب عنها في سنة ٣٧١ هـ ولم يختر لحمل جوابه عنها إلا أبا بكر محمد بن الطيب الأشعري المعروف بابن الباقلاني أو الباقلاني ، وابن الباقلاني كان — دون شك — متكلما على مذهب الأشعري شيخ أهل السنة ، وكان من أشد خصوم المعتزلة ، ألف الكتب للرد عليهم والحط من أقدارهم . ويروى أنه أبى أن يخضع لرسوم البلاط البويهي حين لقي عضد الدولة فلم يكفر له[1] في مدينته . أفلم يكن

(١) كان من رسم الرعية في مقابلة الملك أن تقبل الأرض بين يديه وهو المقصود هنا . (تاريخ بغداد ٥/٣٧٩) .

فى دولة عضد الدولة من رجال المعتزلة الذين تعرفهم الدولة وتعرف فضلهم من يحمل هـذا الجواب كما حمـله ابن الباقلانى السُّنّى خصم المعتزلة ؟

لو أن الدولة البويهية عطفت على المعتزلة وآثرتهم بعناية خاصة لكان هذا موافقاً لأصلها العام لأنها شيعية زيدية ، والزيدية فى كل زمان ومكان — منذ عهد زعيمهم زيد بن على تلميذ واصل بن عطاء شيخ المعتزلة — يدينون بالاعتزال أصـــوله كلها أو بعضها ، أو يعطفون عليه ، وكانت الفتن كثيرة فى عهد الدولة البويهية بين أهل السنة والشيعة ، وكانت الدولة دائماً تنصر الشيعة على أهل السنة ، بل كان بعض هذه الفتن يثير أهل السنة تمرداً على تشيع الدولة ، ومع ذلك لم نقرأ خبراً عن فتنة بين المعتزلة وأهل السنة نصرت الدولة فيها المعتزلة على أهل السنة كما نصرت الشيعة عليهم

لقد ظهر الصاحب فى عهد ركن الدولة وعضد الدولة ، ووزر لمؤيد الدولة ثم أخيه فخر الدولة ، فأما ركن الدولة فلا نعلم من أمر نظره إلى الاعتزال إلا خبراً واحداً مؤداه أنه أرســـل مرة إلى الصاحب عيناً من عيونه يشاكسه فى مجلسـه ويتحدى سلطانه ومذهبه الاعتزالى ويجـادله فى بعض تعليماته : وهو القول بخلق القرآن[1] . وأما عضد الدولة فقـد قدمنا مبلغ علمنا فى نظره إلى الاعتزال ، وأما مؤيد الدولة فلا أعرف من أخباره ما يدل على ولاء ولا عداء للاعتزال ، وأما فخر الدولة فلا نعرف فى نظره إلى الاعتزال غير خبر واحد ذكره الصاحب فى صدد علاقته واحتشامه فقال[2] : ما استؤذن لى على فخر الدولة وهو فى مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة فيأذن لى فيه ، وما أذكر أنه تبـذل بين يدى ومازح قط إلا مرة واحدة فإنه قال لى فى شجون الحديث : « بلغنى أنك تقول : المذهب مذهب الاعتزال ، والنيل[3] نيل الرجال »

(١) معجم الأدباء ٦/٢٠٩ — ٢١٣ نقلا عن كتاب أخلاق الوزيرين لأبى حيان التوحيدى الذى يحكى الخبر كما عاينه فى حضرة الصاحب ، ويبدو لى أن فى النص (ص ٢١٣) اضطراباً إذ أسند الجاسوس القول بخلق القرآن إلى خصم الصاحب ، مع أن القول بخلقه من مستلزمات التوحيد عند المعتزلة ، وما دام الصاحب يتدين بهذا المبدأ على طريقتهم فلا مناص من أنه كان يقول بخلق القرآن .

(٢) عن يتيمة الدهر للثعالبى ٣/١٧٩ — ١٨٠ ، وقد نقله عنها ياقوت مع تغيير طفيف (معجم الأدباء ٦/٢٨٤) وهو فى اليتيمة أخصر وأقوم .

(٣) الكلمتان فى المصدرين السابقين فاحشتان ، وقد اقتديت فى كتابتهما هكذا بما فعله المرحوم أحمد زكى باشا فى نشرته كتاب « التاج فى أخلاق الملوك » للجاحظ (ص ٧٩ منه) واقتدى هو فيـه بطابع كتاب « طراز المجالس » للشهاب الخفاجى ص ٧٩ .

فأظهرت الكراهة لانبساطه ، وقلت : « بنا من الجد ما لا نفرغ معه للهزل » ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إلى مراسلة حتى عاودت مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجرى مجرى الهزل والمرح[1] » وليس فى هذا الخبر ما يدل على أن فخر الدولة يشارك وزيره اعتزاله ، ولا أنه يرى للاعتزال امتيازاً على غيره ، وإلا لم يستدرك على الصاحب مَيْزَتَهُ الاعتزال بعنايته من سائر المذاهب الإسلامية الكلامية .

هـذا إلى أن فخر الدولة — كما يجب أن يعلم — كان يعرف خطر وزيره فى دولته ، وحاجته إليه فى تدبيرها بل فضله عليه إذ جمله هو وأعوانه على أملاك أخيه مؤيد الدولة فى أصفهان بعـد موته سنة ٣٧٣ هـ (٩٨٤ م) وأضاف إليهـا غيرها من حصون المتمردين عليها ، وكانت كلمته فوق كلمة ملكه فى دولته ، ولم يكن ينزل عن جلاله وكبريائه وحشمته معه .

ومن هذا العرض الموجز تنكشف علاقة ملوك الدولة البويهية الذين عاصرهم الصاحب جميعاً بالاعتزال والمعتزلة ، وليس فيه من قريب ولا بعيد أية دلالة على تحيز من الدولة أيام الصاحب إلى الاعتزال فضلا عن اعتناقه .

ومن ها هنا يتضح لنا أن لا موضع للسؤال الذى سأله المحققان الفاضلان كما نقله عنهما الدكتور الأهوانى فى استدراكه عليهما فقال « ... فقال ولكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا يطمئنان إلى أن الاعتزال « أكان من عمله هو (الصاحب) أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال

بل إن هذا السؤال الذى ترك المحققان الجواب عنه دون مبرر — يتضح من وضعه على هذا النحو أنه محاولة للافلات من القضاء بحكم مع هذه المقدمات الواضحة ، وهـذه المحاولة لم تحل الإشكال الأصيل بل خلقت إشكالا آخر لم يكن داع لخلقه ، وأقحمته فى غير موضعه ، ثم تركته دون حل كما تركت سابقه ، وأثارت شكا لا موضع له ولا حاجة إليه ، وكان حل الإشكالين ميسوراً .

(له بقية)

محمد خليفة التونسى

(١) الكلمة فى نص اليتيمة « المزح » ، ولا موضع لهـا ، ووردت مصحفة فى معجم الأدباء ، ويجوز أن تكون « المدح » فصحفت .

طرائف من العصر المملوكي :

الحـــركة العلمية

للأستـــاذ محمود رزق سليم

جميل بنا أن نعنى بدراسة تاريخ مصر ، ونتعرف إلى نواحيه المختلفة ، لنشهد ما قدمه بنوها فى أجيالهم المتعاقبة من جهود فى مضمار العلم والأدب ، ولنعرف مكاننا من المدنية ، وموقفنا من الحضارة الفكرية . فإن مصر فى عصورها المتعددة كانت تشترك باستمرار ورغبة ذاتية فى بناء المدنية والحضارة ، وتسعى دائبة لرفع لوائهما ونشر سلطانهما .

والعصر الذى نحن بصدده ، عصر فريد من عصور مصر ، وبخاصة فى اتجاهاته العلمية . وهو لذلك جدير بالبحث والتمحيص أكثر مما بحث ومحص . بل لا أغلو إذا قلت إن الغموض لايزال يكتنفه من نواح عدة . بل لا تزال الفكرة المركزة فى أذهان كثير من الأدباء عنه ، مشوهة ظالمة . ولذلك يتأبى بعضهم على البحث فيه وتمحيص نواحيه . مع أن أبناءه حملوا من أمانة العلم والأدب مايئود . ألقته المقادير على كواهلهم إلقاء ، فحملوا الأمانة وأدوا الرساله ، صابرين فى الحمل ، محسنين فى الأداء .

نهضت بغداد من قبل ، برسالة العلم والأدب زهاء خمسة قرون وكانت — فى الجملة — شمساً للبلاد الإسلامية شرقيها وغربيها تستضىء بهديهـــا ، وتسير على قبس منها . فلما دهمها التتار عام٦٥٦هـ ، وأزالوا خلافتها ، ونكلوا بأبنائها وعبثوا بمؤلفاتها ، ضاعت بذلك ثمار كثيرة من ثمار هذه القرون الخمسة ، ووقفت بها رحى العلوم والآداب إلا لماماً لماما . هنا لم تجد القاهرة بدا من الظهور فى الميدان ، أكثر مما كانت ظاهرة ، وتقدمت لحمل أمانة العلم والأدب برغبة وشجاعة . ولولا تقدمها لخبا الزناد وكبا الجواد ، وانقطعت سلسلة العلوم والآداب الإسلامية ، وتوارت عن الأنظار أمداً طويلا .

وقد هيأ الله للقاهرة من الأسباب ماعاونها على بلوغ غايتها . فقد كانت حينئذاك عاصمة لأقوى مملكة إسلامية ، ورزقت ملوكا أحسوا أن عليهم واجب حماية الدين والحرص على بلاد المسلمين . فدافعوا عنها أعداءها ، ووطئوا للعلماء أكتافهم ، ورحبوا بالقادمين منهم إلى مصر . وأغرى العلماء ما فى مصر من خير وكرم وحسن وفادة وطيب لقاء . فوفدوا إليها تباعا من كل فج ، واتخذها بعضهم دار مقام ، حتى أصبحت منتدى العرب ومحج المسلمين ، وقبلة علمائهم وطلاب العلم فيهم ، من كل بلد ومحلة .

وقد دعمت هذه الحياة بتجديد الخلافة الإسلامية منذ عصر الظاهر بيبرس . فأصبحت الخلافة — على علاتها — ذات قوة أدبية لها تأثيرها الروحى فى نشاط الحركة العلمية الإسلامية ، وعاونت مصر على أن تكون بيئة دينية صالحة جليلة القدر ، ينبت فيها ويفىء إليها علماء الدين على اختلاف مذاهبهم .

ولم يدخر السلاطين وسعاً — كما نوهنا — فى تبجيل العلماء وتعظيمهم أمام الخاصة والعامة ، حتى اطمأنت نفوسهم ، ولم يلههم عن الإنتاج العلمى شىء من جوع أو خوف . وحرصت أجيالهم الناشئة على متابعة جهودهم العلمية لتظل لهم هذه المنزلة السامية لدى السلاطين والشعب .

ونذكر منهم على سبيل المثال : عز الدين بن عبد السلام وكان يدعى بسلطان العلماء ، وكان الظاهر بيبرس يهابه ويقدر رأيه . وتقى الدين بن دقيق العيد ، كان السلطان لاجين يقبل يده . وعلاء الدين السيرامى فرش له السلطان برقوق السجادة بيده .

وإلى جانب هذا سرت فى السلاطين والأمراء ومن إليهم ، روح عجيبة قوية لإبقاء أثرهم وتخليد ذكرهم . واتخذوا إنشاء المساجد الجامعة فى مقدمة وسائل هذا الإبقاء والتخليد ، قربى إلى الله وزلفى ، وليتعبد فيها الناس وليتفقهوا فى دينهم . وقرروا فيها الدروس ، وعينوا لكل درس شيخاً ، ورصدوا لذلك الأوقاف الطائلة ، ليفيضوا لهذه المدارس بقاء طويلا ، وأجروا على الطلبة المنقطعين فيها لطلب العلم نفقات وأطعمة وأكسية ، وألحقوا بكل مدرسة دار كتب قيمة ، حشدوا إليها الآلاف من المؤلفات الثمينة .

ولم تكن هذه الجهود مقصورة على مدينة القاهرة وحدها . بل اشتهرت إلى جانبها مدن أخرى كثيرة كالاسكندرية وأسيوط وقوص ودمياط ومنفلوط وبوتيج واخميم وأسوان وبلبيس ، هذه فضلا عن المدن الشامية والحلبية والحجازية .

وبلغ عدد مدارس القاهرة نحو خمسين ، فوق ما أنشأه الأيوبيون والفاطميون من قبل . ولا يزال كثير منها ماثلا للعيان فى القاهرة حتى اليوم .

وفي مقدمة هذه المعاهد التعليمية مستشفى قلاوون . بناه عام ٦٨٢ هـ . وكان عبارة عن مدرسة للطب كبيرة . به قسم للحميات ، وقسم للرمد ، وقسم للجراحة ، وقسم للأمراض النسوية ، وغير ذلك . وجهز بمن يهيمن عليه من الأطباء والموظفين والممرضين والصيدلانيين . كما زود بأدوات العلاج والصيدليات . وأعدت به أسرة للمرضى ، وقسم للعلاج الخارجي وكل ذلك بالمجان . وهيئت به قاعة محاضرات تلقى بها دروس الطب ، كما زود بخزانة كتب جليلة القدر .

هذه العوامل جميعها من شأنها أن توقظ الهمة وتشحذ العزيمة ، وتهيء السبيل إلى الاشتغال الجدي بالعلم . وقد انتهز العلماء هذه الفرصة النادرة ، وتلك الموارد الشهية التي أتيحت لهم ، فنهلوا منهـا وعلوا . وكان لهم مما أصاب العرب والمسلمين في تراثهم الفكري ، ببغداد وغيرها خير حافز على النهوض بتدوين العلوم تدويناً جديداً ، وبالإضافة إليه كلما وجدوا مزيداً ، حتى يعوضوا اللغة والدين شيئاً مما فقداه في محنهما ، وحتى يبرئوا الذمة أمام الله والتاريخ ، ويبرهنوا أنهم حملوا العبء بقلب ثابت ونفس راضية

وقد كان لهذه الحركة العلمية مظاهر متعددة ، أهمها مظهران هما : الحركة التعليمية ، والحركة التأليفية .

أما الحركة التعليمية فقد انتعشت انتعاشاً محموداً . وكان بالبلاد نوعان من التعليم هما : التعليم العسكري ، والتعليم الشعبي .

أما العسكري فقد كان مقصوراً على طائفة المماليك ، محظوراً على أفراد الشعب . وهذه إحدى نقائصه في نظر المؤرخ الوطني . وكانت طباق القلعة المقر الرسمي لجنود الدولة منذ عصر قلاوون يجلبون إليها من الأسواق صغاراً ، ويقسمون فرقا حسب أجناسهم ويقيم في كل طبقة جنس ، يشرف عليه عدد من الزماميين «الأغوات» ويقوم هؤلاء الصغار بتمرينات رياضية سهلة مناسبة ويعلمون الكتابة والقراءة ، ويلقون آيات من الذكر الحكيم ، ويعودون الصلاة وبعض الفروض الدينية . ويحفظون شيئاً من الأدعية ، وتحبب إليهم الأخلاق الفاضلة والدفاع عن الدين والجهاد في سبيل الله . ثم إذا بلغوا الحلم يعلمون تمرينات رياضية أشد قسوة ، ويمرنون على السباحة واستعمال السيف والرمح ، وقذف الأطواق وركوب الخيل والمبارزة ورمي النشاب ولعب الكرة . وفي هذه المرحلة تنضج مواهب المملوك وتبرز خصائصه وتبدو مهارته وشجاعته . فإذا عرف فضله وشهد بلاؤه ، صار في عداد المحاربين ثم قد يدفع به حظه إلى العتق ثم الترقي في سلك الإمارة . وقد تسوق إليه المقادير في أعقاب ذلك سلطنة البلاد .

وقد عني السلاطين عناية بالغة بتنشئة مماليكهم تنشئة عسكرية صالحة ، كما عنوا بطعامهم وشرابهم وصحتهم ، فتخرجوا — كما قال المقريزي — « سادة يدبرون الممالك ، وقادة يجاهدون في سبيل الله ، وأهل سياسة يبالغون في إظهار الجميل » . وبتوالي الأيام تراخى السلاطين في بذل هذه العناية فاضطرب نظامهم شيئاً فشيئا ، وكان لذلك أثره السيء في أخلاقهم ، فانقسموا ، شيعا ، وتدخلوا في سياسة الدولة فأفسدوها ، وشغلوها بأطماعهم غير المشروعة وقعدوا عن الجهاد الصادق ، حتى صاروا كما قال المقريزي «أرذل الناس وأدناهم وأخسهم قدراً ، وأشحهم نفساً ، وأجهلهم بأمر الدنيا ، وأكثرهم إعراضاً عن الدين ، ما فيهم إلا من هو أزنى من قرد ، وألص من فارة ، وأفسد من ذئب » .

أما التعليم الشعبي فقد كان مقره المساجد وما شابهها ممـا أنشأه السلاطين والأمراء ومن لف لفهم — كما ذكرنا — ومهما قيل في سبب إنشائها ، فهي بلا شك كانت الدعامة الأولى من دعائم هذا التعليم . وقد كانت بمثابة جامعات علمية عظيمة الشأن ، بها من الجامعات الحديثة خصائصها ومميزاتها ، وإن افترقت عنها في الشكل والعرض . بل لعل التعليم بها كان ميسراً أكثر مما هو ميسر اليوم . وكان الطالب بها حراً يندمج في عداد من يشاء من الطلاب ويقعد أمام من يشاء من الأساتذة . ويضع جدول حصصه بنفسه ، ويطوف على كل مسجد إذا شاء ليقتطف منه أشهى ثمراته . ولا يتحمل في سبيل ذلك شيئاً من نفقات التعليم ، بل بالعكس كان يجد البر والمعونة من كثير من أهل الفضل . فإذا أتم إحدى مراحل تعليمه بقراءة كتاب في مادة ، أو بحفظ طائفة من الأحاديث أو نحو ذلك ، منحه شيخه إجازة يشهد له فيها بتمام هذه المرحلة .

وكان السلاطين يعنون عناية دقيقة باختيار الشيوخ المدرسين في مدارسهم ، ينتخبونهم من بين الأفذاذ المشهود لهم بالعلم والفضل والذين لا يبنون يجعلون العلم ونشره غايتهم الكبرى . وكان بعض هؤلاء الشيوخ يستمر في مدرسته طويلا ، ويلازمها ، حتى لنستطيع القول — جملة — إن كل مدرسة كان بها منهم هيئة تدريس خاصة بها . لكل مادة من المواد المقررة بها أستاذ . ونذكر على سبيل المثال شيوخ الجامع المؤيدي وهم : شهاب الدين بن حجر العسقلاني لفقه الشافعية . ويحيى بن محمد بن أحمد البجائي المغربي

لفقه المالكية . وعز الدين عبد العزيز بن على بن الفخر البغدادى لفقه الحنابلة . وبدر الدين محمود الميتنابى للحديث . وشمس الدين محمد بن يحيى للقراءات . وشمس الدين محمد بن الديرى لفقه الحنفية وشيخ للصوفية . وهكذا .

أما مواد التعليم فقد كان طبيعياً أن تكون العلوم الدينية فى مقدمتها ، بدافع من رد الفعل الذى أحدثته حوادث اغتيال العلماء ومؤلفاتهم فى بغداد وسواها من عواصم المسلمين . وبدافع ما أشرنا إليه من أن البيئة المصرية تحولت إلى حد ما بيئة دينية ألقيت عليها تبعات الذود عن الدين وعلومه وأهله . ويليها علوم اللغة للحاجة الماسة إليها فى درس العلوم الدينية وضبط شئون الدولة . ويليها غيرها من المواد لأنها تكمل التعلم وتؤهله لتركيز علمه . وكانت مواد التعليم هى الفقه بمذاهبه الأربعة ، وأصول الفقه ، والحديث والتفسير والقراءات والوعظ والكلام والتصوف ثم دروس النحو والصرف والأدب ، ثم الطب والفلك والهندسة والتاريخ والتقويم والرياضة .

وقبل أن يدرس الطالب هذه الدراسة ، يمر بأحد المكاتب المنشأة بجوار المساجد ، ليحفظ به القرآن الكريم ويتعلم مبادىء القراءة والكتابة .

ولم يكن لدور التعليم مناهج خاصة فى موادها المقررة . وأغلب الظن أن منهج المادة كان رهناً برغبة أستاذها . فهو وحده يختار الكتاب الذى يقرؤه فيها لطلابه . ومهما يكن من شىء فقد سمدت كتب خاصة باتخاذها مناهج لموادها المقررة . نعرف ذلك إذا اطلعنا على تراجم الأعلام من علماء العصر ؛ لذلك نستطيع القول إن من بين الكتب التى اتجهت العناية إليها لدراستها ما يلى : التنبيه . المنهاج الأصلى للنووى . الشاطبيتان فى القراءات . العمدة للحافظ النسفى فى الأصول . والكافية لابن الحاجب فى العربية . ومختصر القدورى فى الفقه . وجمع الجوامع . والأربعون حديثاً النووية وتلخيص المفتاح فى البلاغة ، والكنز فى فقه الأحناف . والمنار فى الأصول . وألفية ابن مالك فى النحو . والملحة . والمختار والمنظومة كلاهما للنسفى فى الفقه . ونظم قواعد الإعراب لابن الهائم . وإيساغوجى فى المنطق . وكتب الحديث الستة .

وقد امتلأت المساجد بطلاب العلم على اختلاف مذاهبهم ، واختلاف بلادهم ، ممن وفدوا على مصر يستظلون بظلها ويستمدون رفدها وينهلون من مواردها . حتى ضاق بهم بعضها على رحبه ، وكان منهم «المنتسبون» وهم الدائمون الذين قيدت أسماؤهم لينالوا شيئاً من الأوقاف بصفة مستمرة . أما غيرهم فأخلاط شتى من محبى العلم من الشعب

وأهم ما يوجه إلى هذا الضرب التعليمى من النقد — إذا نظرنا إليه نظرة حديثة — أنه لم يكن سياسة للدولة مرسومة ، بل كان نتيجة جهود فردية ، وأنه لم يؤد إلى الشعب باعتباره حقاً من حقوقه ، بل باعتباره منحة له وتفضلا عليه . وأن الأساتذة عنوا بنشر العلم فحسب ، ولم يتخذوه وسيلة إلى إيقاظ الشعب وتنبيهه إلى حقوقه وواجباته .

غير أنه — بلا شك — نظام قد أنجب . وأغلب نجبائه من رجال الدين . وبلغ بعضهم مرتبة الأئمة المجتهدين . وقاموا بحركة تأليفية مباركة ، هى حلقة فريدة من حلقات العلوم والآداب كان لا بد لحياة العلم والأدب من وجودها .

أما هذه الحركة التأليفية فكانت المظهر الخالد للحركة العلمية . وشجعها السلاطين ودعوا العلماء أحياناً إلى التأليف برسم الخزانات الشريفة . فمنهم المؤرخ أبو بكر بن أيبك ، ألف كتابه «كنز الدرر» للناصر بن قلاوون . والطبيب محمد القوصوى ألف للغورى كتاب «كمال الفرحة» فى الطب . وعماد الدين موسى بن محمد اليوسفى المصرى ألف كتابه «كشف الكروب فى معرفة الحروب» للسلطان جقمق .

على أن التأليف لم يكن وقفاً على تشجيع السلاطين أو سواهم ، بل كان غاية من غايات العلماء . لذلك نشطوا فى ميدانه نشاطاً هو مثار الدهشة والعجب ، لبلوغه حداً من الإعجاز . وتعددت مؤلفات بعضهم حتى عدت بالمئات ، وفى فنون شتى . واتسمت أحياناً حتى صارت موسوعات جامعة امتدت فيها آفاق العلم . وعنوا بعلوم الدين أولا ، ثم التاريخ وفنون العربية ، ثم غيرها . وحظى تاريخ الأعلام والخطط بنصيب كبير من العناية . وهكذا ترى أن مؤلفاتهم لا غنية عنها للفقيه والمؤرخ واللغوى والأديب والمحدث والنحوى والبلاغى وغيرهم . وبعضها يعد فريداً فى بابه منقطع النظير .

وأهم ما يوجهه الناقد إليها أن بعضها رسائل صغيرة ، وأن منها ما يشوبه الجمع والنقل ويندر فيه الابتكار . وأن منها المتون وشروحها ومختصرات شروحها . غير أن هذه النقدات يسهل الرد عليها وتعليلها فسياق العصر كان يدعو إليها إسراعاً إلى تدوين المحفوظ وعجلة إلى تسجيله حذراً من أن تعبث به يد الزمان

سؤال ينتظر الجواب

لمهندس كبير

تأتينا مياه النيل سنة بعد أخرى بطريقة منتظمة متكررة ، إلا أن مقدار ما يصلنا منها يختلف فى الأوقات المختلفة من السنة نفسها كما يختلف من سنة لأخرى . ولسنا هنا بصدد البحث فى أسباب هذه الاختلافات الموسمية أو السنوية أو معرفة النتائج التى ترتب عليها لأن هذا معناه دراسة نظم الرى بالقطر المصرى .

ولكننا بصدد أن نلفت النظر إلى ناحية واحدة من هذا الموضوع وهى المماطلة فى تنفيذ المشروع الذى يدفع خطر الفيضانات العالية.

إن الخسارة التى نتكبدها من جراء هذه الفيضانات العالية الخطرة ليست بالقدر اليسير الذى يمكن إهماله أو غض النظر عنه لأنها ليست قاصرة على ما يصيب هؤلاء الذين يطغى عليهم الفيضان فيكتسح زراعاتهم ويحرمهم أرزاقهم ويعدمهم أقواتهم ، بل إن الحكومة تخسر ما تحصله من أموال هذه الجهات المنكوبة كما تتحمل مصروفات أخرى كبيرة فيما تتخذه من إجراءات لدرء خطر هذه الفيضانات وهذا بجانب ما يستحوذ على الأمة من قلق واضطراب

إن مشروع اتقاء الفيضانات العالية تدرسه الجهات المختصة؛ وقد حصل الدارسون على معلومات وأبحاث كثيرة بدىء بدرسها ، ولكننا نتساءل ألم تكن هذه المدة كافية للوصول إلى نتيجة يصح أن تكون أساساً لقرار ينفذ ؟

إن هذه الفيضانات العالية الخطرة ليست خاصة بنيلنا وحده ، لأن هناك كثيراً من الأنهر فى البلدان الراقية تفيض على الأودية التى تجرى فيها وقد كانت فيما مضى سبباً فى نكبات ساحقة وكوارث ماحقة ، ولكنها عولجت على النحو الذى منع حدوثها أو حد من شدتها . وليس من الميسور أن نذكر هذه الطرق الفنية المختلفة التى تكيفت تبعاً لظروف كل حالة منها على حدة ، ولكننا نعلم أن وجهة النظر الفنية فى مصر تتجه إلى تصريف مياه الفيضان فى موقع منخفض قريب من مجرى النهر يتسع لاستيعاب هذه المقادير الكبيرة من مياه الفيضان؛ على أن تحفر قناة لتصل النهر بهذا المنخفض، فكيف لا يقرر إلى الآن أين يكون هذا المنخفض وصيانة القناة وغير ذلك وما هى النفقات التى يطلبها تنفيذ المشروع ؟

إننا لا نجد سبباً يبرر هذا التأخير غير ما سمعناه من أن ملفات هذا الموضوع تظهر وقت وقوع الكارثة حتى إذا ما مرت اختفت هذه الملفات لتظهر مرة أخرى عند حدوث الكارثة التالية . إن فى الولايات المتحدة حالة فى وادى التيس تشبه حالتنا ، قد كانت الأمطار الغزيرة والسيول المدمرة تكتسح الوادى من وقت لآخر فتهلك الزرع وتجرف معها تربة الأرض نفسها فتتركها جرداء لا تصلح للزراعة إلا بعد مشقة ، وتبع ذلك حتما أن عاش سكان هذا الوادى فى ذعر مستمر يحاربون الطبيعة ولا معين ، ويتلقون النكبات ولا منقذ ، إلى أن قام أولو الأمر فنفذوا المشروع المناسب لمواجهة هذه الحالة فحفروا القنوات لحصر جريان الماء حيث يريدون، وأقاموا الخزانات والسدود ،وأنشأوا الجسور فخلقوا من الذعر طمأنينة ، ومن البؤس والفقر سعادة وثراء ، وأصبحت هذه الجهات جنات خضراء يعيش أهلها الآن فى نعيم مستديم . وزيادة على ذلك فقد أمكن توليد القوة المحركة من مساقط المياه فيها فزادها رفاهية وخيراً عميما . أما نحن فسوف يأتينا الفيضان الخطر التالى ونحن كما تجدنا الآن ! فهل هذا يجوز ؟

إذا كان هناك من الأسباب ما يبرر هذا الإبطاء أو التأجيل فلينبئنا به أولو الأمر إذا كانت الصعوبة مالية أو فنية حتى لا تصبح عرضة للوم أو التنديد .

إننا نريد أن نثبت للشعب أن الرجال الذين يشرفون على شئونه ساهرون على مصلحته يعملون على إصلاح هذه الشئون . وهذه واحدة من عدة مسائل أخرى أرى ضرورة الكتابة عنها إذا ما أردنا الخير لهذه البلاد .

« مهندس »

ثم هيهات أن تقلل هذه النقدات من خطر تلك المؤلفات . وإلا . فأين فيما ألفه السابقون كتاب كالإتقان للسيوطى ، أو شرح البخارى ومقدمته لابن حجر، أو الفتاوى لابن تيمية ، أو المدارج لابن القيم أو المغنى لابن هشام ، أو المجموع للنووى ، أو تكملة للتقى السبكى ، أو الخطط للمقريزى . بل أين مثل ما كتبه مؤرخ مصر فى تاريخها وتاريخ أعلامها من أمثال الإدفوى وابن خلكان والتاج السبكى وصاحب الدرر ، وأبى المحاسن والصفدى ، وابن إياس والسخاوى . بل أين الموسمات التى تشابه موسمات القلقشندى والنويرى وابن منظور وابن فضل الله ؟

وبعد فهذا غيض من فيض ، وقل من كثر ، ولمحة خاطفة من شمس ضاحية ، وقبس عاجل من سراج وهاج .

(حلوان) محمود رزق سليم

٢ ـ فن المسرح (*)

(تحية للأستاذ الفاضل زكى طليمات)

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

المسرح وقيمته التصويرية:

ماذا يصور المسرح ؟ إنه يصور ما أودعه المؤلف فى مسرحيته من أفكار وتجارب . ولما كان لهذا الفن — كما لكل فن — أسلوب خاص فى التصوير كان من اللازم أن تكون تلك الأفكار والتجارب مما يمكن تصويره بهذا الأسلوب دون سواه .

والمفروض أن طريقة التأليف المسرحى تجرى — فينا — على النسق الآتى : يلتقط خيال المؤلف بعض احتمالات الحياة ويكوّن منها مجموعة مستقلة من الحوادث المتصلة تستحيل فى ذهنه إلى حوادث مرتبة ترتيباً معيناً (Plot) وهذه يعبر عنها بواسطة شخصيات (Characters) وهؤلاء يعبر عنهم شعورهم وتفكيرهم عن طريق ما يلفظون به من قول (diction) .

فإذا جاز لنا أن نقارن بين الفنون عامة من حيث أساليب التصوير فماذا يكون شأن المسرح ؟ .

المشاهد أن من الفنون ما يجنح للخيال المبهم ومنها ما يهبط إلى الواقع السطحى، بينما المسرح — فيما يبدو — يشكل التجارب والأفكار المجردة فى قوالب ملموسة دون أن يقلل من روعة ما كانت عليه « خيالا » أو يزرى بما صارت إليه « واقعاً » . يقول (آبر كرمبى) وهو يشرح رأى أرسطو بهذا الصدد ما مؤداه : « إن الفن المسرحى إنما وجد لكى يعطى صورة ومادة لضرب خاص من التنبه الخيالى . ووجود الفن يستلزم وجود التنبه الخيالى ... ومن الممكن أن نصور الحياة كما هى تماماً ولكن الأمر الذى يحرك الشعور هو أن نتصور الحياة كما يمكن أن تكون وهنا يصبح الخيال قوة قادرة على الإيحاء ... وربما كان عمل الخيال لا يعدو مجرد تقطير الأحداث الواقعية باستبعاد جميع نواحيها السخيفة ... » .

فهل لنا أن نتخذ من هذه الواقعية الفنية مبرراً قوياً لتفضيل الفن المسرحى على غيره ؟ المصطلح عليه أنه من الصعب — إن لم يكن من العبث — أن نفاضل بين الفنون بإخضاعها كلها لمقاييس جمالية واحدة بل ينبغى أن نراعى « الخامة » التى يستعملها كل فن على حدة . ومع هذا فقد نستطيع المقارنة بينها بالمقارنة بين هذه الخامات المختلفة وحينئذ يتبين لنا بجلاء أن خامة المسرح أغناها عنصراً وأقواها قدرة على التصوير الحىّ . فالمسرح بعناصره الثلاثة — أى التأليف والإخراج والتمثيل وأدواتها ووسائلها الخاصة المتآلفة — يمتاز على الفنون التى تصور « الجسم » — كالنحت — بالحياة والحركة ... ويمتاز على الفنون التى تصور « الشكل » — كالتصوير اليدوى والآلى — بأبعاده الثلاثة ... ويمتاز على الفنون التى تصور « الحركة » — كالرقص والبانتوميم والميم (١) — بالإفصاح الذى لا يغنى عنه الإيماء ... ويمتاز على الفنون التى تصور « الفعل » — كالشعر والقصة — بالتجسيد والتحديد ... أكثر من هذا فالمسرح يمتاز على الفنون جميعاً فى تصوير « اللحظات الفنية » التى هى مناط الاهتمام من كل فن . بيان ذلك أننا إذا أردنا — فرضاً — تصوير حقيقة كبرى كالموت — وليكن موت أحد الفنانين مثلا — بشتى الطرق الفنية فإن الفنون المكانية — أى التى تشغل من الوجود مكاناً ما كالنحت — ستتمثل اللحظة الفنية فى غمضة عينية ... والفنون الزمانية — أى التى تشغل من الدهر زماناً ما كالموسيقى — ستتمثل اللحظة الفنية فى صوته وهو يتهدج ويخفت قبيل موته .. أو نحو ذلك ... بينما المسرح سيتمثل اللحظة الفنية فى كل ما بينه وبين الحياة من صلة : فمشهد يظهر شعور تلاميذه وعارفيه بالألم . . . ومشهد يظهر احتفال الناس بآثاره . . . ومشهد يظهر ما ألم به من ظلم فى حياته . ومشهد يظهر ما صار إليه من مجد . وهكذا .

بمثل هذه المزايا التى لا تتوفر لفن آخر استأثر التصوير المسرحى دون غيره أو أكثر من غيره من الفنون بتصوير الطبيعة البشرية والدوافع الإنسانية على مدى العصور . فمن تصوير للنزعات المنيفة قديماً إلى تصوير للمثاليات فى عهود الرومانتيكية إلى

(*) راجع العدد : ٧٥

(١) البانتوميم والميم من فنون الرومان فى العصور القديمة يقومان على التمثيل الراقص بغير كلام إطلاقاً

تصوير للواقعية المجردة من الرياء أو العرف الاجتماعى ثم الكشف عن مكنونات العقل الباطن فى العصر الحديث .

ويمثل هذه المزايا كان للتصوير المسرحى دون غيره أو أكثر من غيره من الفنون فضل احتضان الآراء والنظريات الفلسفية والنقدية على مدى العصور . وليس أدل على ذلك من أن المسرح أمكنه حتى فى العصور الاستبدادية أن يردد — وحده — ما يشاء من الآراء بفضل قدرته البارعة على تصوير ما يشاء من الأجواء . ولنضرب مثالا واحداً لذلك بعهد الديكتاتورية الرومانية القديمة فقد استطاع بعض المسرحيين وقتذاك أن يصوروا كثيراً من الأجواء الحرة الطليقة — نقلا عن اليونان — بينما تشكلت سائر الفنون الأخرى قسراً بما يوائم سياسة تلك الديكتاتورية البغيضة .

كذلك انفرد التصوير المسرحى دون غيره أو أكثر من غيره من الفنون بالتوغل فى أعماق النفس البشرية وإظهار دفائنها التى لا نكاد نصدق بها أحياناً . من ذلك مثلا « عاطفة الكراهية » التى يقال إنها تتولد فى الخفاء بين الأب وابنه تمشياً مع قانون البقاء . فهذه العاطفة لم يكتشف مجرد احتمال وجودها إلا منذ بدأ فرويد وأتباعه فى القرن الماضى يهتدون إليها .. ومع هذا فالمسرح يصورها منذ مئات السنين ! فبالرغم مما يبدو فى المسرحيات — نقلا عن مظاهر الحياة — من توقير الأبناء لآبائهم وعطف الآباء على أبنائهم (أو ما يسمونه عقدة إلكترا وعقدة أوديب نسبة إلى تعلق الفتاة إلكترا بأبيها القائد أجاممنون وتعلق الملك أوديب بابنتيه أنتيجونا وإسمينا فى الأساطير والروايات الإغريقية) إلا أننا نجد بالاستقراء أن للآباء أوفى نصيب من السخرية والتحقير فى الروايات الهزلية كما نجد أن معظم الروايات — هزلية وغير هزلية — تدور حول شاب يحب فتاة ويقوم أبوها أو أبوه بدور (العاذل) أو ما شاكل ذلك . وربما لا نجد تفسيراً لهذا كله إلا عاطفة الكراهية التى أسلفنا الإشارة إليها .

ولكن ... قد يقال إن التصوير المسرحى مهما بلغت قيمته فى العصور السالفة ذات الطابع الهادىء فقد أصبح فى العصر الحديث ذى الأساليب الميكانيكية أقل قيمة من بعض الفنون الأخرى — والسينما على الأخص — لأسباب كثيرة منها : أنه يصور الحوادث تصويراً بطيئاً ، ويحصرها فى زمان معين ومكان معين ، ويجزىء الفكرة الواحدة إلى فصول متقطعة . . ويصطنع التقديم والتأخير فى ترتيب حوادثها والتضخيم فى تعبيره عنها لفظاً وحركة . وهذا فى مجموعه لا يطابق الواقع ولا المعقول بل لعله يتنافى معهما ! بينما السينما تعرض للناس ألواناً مجهولة لهم وتروح عن نفوسهم وتؤثر فيهم بواقعيتها ومنطقها المعقول .. الخ .

والحق أن الأمر — من الناحية الفنية على الأقل — ليس كذلك[1] .

فبطء التصوير ميزة للمسرح لأنه يهىء للمشاهد فرصة الانفعال فى كل مشهد بينما السينما لتتابع اللقطات — التى لا تعدو أن تكون مشاهد — تتابعاً فظيع السرعة لا تتيح حتى مهلة التأثر .

وأيضاً حصر القصة فى زمان معين ومكان معين ميزة للمسرح . إذ يضطر المؤلف إلى قصرها على أعظم حوادثها دلالة وإثارة ومغزى وبذلك تكون مركزة وخالصة من الشوائب فتزداد روعتها .

وكذلك تجزئة الفكرة الواحدة إلى فصول متقطعة ميزة للمسرح . فمن المعلوم أن المسرحية تتطور دائما فى مصطرع فكرى وعاطفى وفنى هو « الحبكة » لذلك فإن تجزئتها إلى فصول تتيح للجمهور شيئاً من الراحة واستعادة النشاط وتتيح للمؤلف — وهذا هو المهم فنياً — الانتقال من تيار إلى آخر واستئناف التصوير كلما وصل تطور الحوادث وتعقدها إلى ما يسميه الفنيون « الطريق المسدود » بعكس السينما التى تتخطى هذه الطرق المسدودة بالانتقالات المفاجئة فى قفزات آلية لا جمال فيها .

وأما ترتيب الحوادث ترتيباً يغاير الواقع بتقديم بعضها وتأخير البعض الآخر فميزة من ميزات المسرح الهامة لأنه لا يغاير الواقع على هذا النحو إلا تنظيما لحوادثه التى قد تقع كيفما اتفق وانتشالا لها من الفوضى والتماساً لتعليل حدوثها منطقياً وتهيئة لما يتوخى فى العمل الفنى من انسجام وتناسق .

وكذا التضخيم فى الإلقاء والأداء التمثيلى من ميزات المسرح التى يعتد بها لأن فى تضخيم الألفاظ والحركات — فى الحدود الفنية — إجلالا لما تدل عليه من مدلولات وإظهاراً لملامح الشخصيات ومواطن الانفعالات . تماماً كما ينحت النحات تمثاله

(١) عرض الأستاذ حسن محمود لهذا الموضوع فى مجلة الكاتب المصرى عدد ديسمبر الماضى من ناحية أخرى .

٣٠٥٧

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٦٤ — إن الله جميل يحب الجمال

فى « تيسير الوصول » وقد جمع « الأصول الستة » :

لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة فقال إن الله جميل يحب الجمال . الكبرُ بطرُ الحق[1] وغمصُ الناس[2] .

***

إن رجلا جميلا أتى النبى فقال : إنى أحب الجمال ، وقد أعطيت منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوقنى أحد بشراك نعل ، أفمن الكبر ذلك يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكن الكبر من بطر الحق ، وغمص الناس .

***

عن أبى قتادة قال : قلت يارسول الله ، إن لى جمة أفأرجِّلها[1] ؟ قال : نعم ، وأكرمها . فكان أبو قتادة ربما دهنها باليوم مرتين من أجل قوله . نعم وأكرمها .

***

أتى رجل النبى ثائر[2] الرأس واللحية فأشار إليه كأنه يأمره بإصلاح شعره . ففعل ثم رجع . فقال : أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ...

***

عن أبى الأحوص عن أبيه قال : أتيت النبى وعلىّ ثوب دون . فقال : ألك مال ؟ قلت : نعم . قال : من أى المال ؟ قلت : من كل

(١) هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقاً . وقيل هو أن يتكبر عند الحق فلا يقبله .

(٢) غمص الناس أى احتقرهم فلم يرهم شيئاً .

(١) « الترجيل » تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه .

(٢) « ثائر الرأس » منتشر شعر الرأس قائمه .

من مادة فخمة وكما يصبغ الرسام لوحاته بأصباغ فخمة وهكذا . بل إن هذا لا يعدو أن يكون مقارباً لما نفعله فى حياتنا المادية حين نقص نبأ نظنه هاماً فنتكىء على بعض الألفاظ ونتحرك حركات خاصة بقصد التفهيم والتأثير . المسرح على هذا النحو يعمل ما وسعه على التفهيم والتأثير لذلك يضفى بأساليبه جلالا على الحوادث يجعلها ذات وزن .

وقل مثل ذلك عما يأخذونه على الفن المسرحى من إيهام أو تخييل أو مبالغة لأن العبرة بمدى إحساسنا بالصورة النهائية التى يصورها لا سيما ونحن نعلم أن ما يجرى فوق المسرح إن هو إلا « تمثيل » بحت وليس واقعاً . فقد نشاهد فى نصف ساعة مشهداً يصور قروناً بأكملها . . وقد نسمع تهامس ممثلين ويجانبها مباشرة ثالث لهما (يمثل) أنه لا يسمعهما .. إلى غير ذلك دون أن نصدم بمخالفة الواقع أو دون أن نحس من هذه المخالفة بنفور أو شذوذ طالما أننا نعلم أن للمسرح « اصطلاحات » لا تحول دون التأثر النهائى المطلوب .

ولهذا يجوز أن نشاهد فى بعض الروايات سمات يكاد يستحيل وجودها بين البشر (كما فى : روميو وجوليت) أو حلول للمشكلات غير معهودة الحدوث فى دنيانا (كما فى : كريتون The Admirable Brichton) ولكننا ننتهى من المشاهدة متأثرين أعظم التأثر سواء بتصوير (شيكسبير) فى الرواية الأولى لقوة الحب الطاهر أو بتصوير (بارى J. M. Barrie) فى الرواية الثانية لمغزاها الرائع : « الظروف تغير الأحوال Circumstances Alte Cases »

***

وأياما كان الأمر فإن الدفاع عن فن ما لا يستلزم الزراية على فن آخر . ويكفينا من الفنون جميعاً أن تنهض بما تمارسه فى حدود قدرتها على هذه الممارسة . غير أن هذا لا يبرر الأخذ بظواهر الأمور فنفتتن بالسينما دون اعتبارات فنية ونجارى العامة وأوساط الناس فى نظرتهم المتواضعة إلى المسرح المظيم ...

« للبحث بقية » عبد الفتاح البارودى

المال قد أعطانى الله . قال : فإذا أتاك الله تعالى مالا فلير أثر نعمته عليك وكرامته .

٩٦٥ — لما تكلم فوقنا القدر

ابن هانىء الأندلسى :

ممـا دهانا أن حاضرنا	أجفاننا والغائب الفـكر
وإذا تدبرنا جوارحنا	فأكلهن العين والنظر
لو كان للألباب ممتحن	ماعدّ منها السمع والبصر
أىُّ الحياة ألذ عيشها	من بعد علمى أننا بشر ؟
خرست لعمر الله ألسننا	لـما تكلم فوقنا القـدر

٩٦٦ — يا أبا صالح احفظها

فى « تاريخ الولاة » للـكندى : لما ولى « مصر » أبو صالح يحيى بن داؤد من قبل المهدى ، وكان من أشد الناس سلطانا ، وأعظمهم هيبة — منع من غلق الأبواب بالليل ، ومنع أهل الحوانيت من غلقها حتى حطوا عليها شرائج[1] القصب تمنع الـكلاب منها . ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها . وقال : من ضاع له شىء فعلى أداؤه فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول : يا أبا صالح ، احفظها . فكانت الأمور على هذه مدة ولايته .

فى « تاريخ الولاة » للـكندى : ولى مصر عيسى بن منصور سنة (٢١٦) . فانتقضت أسفل الأرض كلها عربها وقبطها ، وأخرجوا العمال ، وخالفوا الطاعة ، وكان ذلك لسوء سيرة العمال فيهم . وقدم المأمون مصر سنة (٢١٧) فسخط على عيسى بن منصور ، وأمر بحل لوائه وبلباس البياض ، وقال : لم يكن هذا الحدث العظيم إلا عن فعلك وفعل عمالك : حملتم الناس مالا يطيقون وكتمتونى الخبر حتى تفاقم الأمر واضطرب البلد !

٩٦٧ — إن لانصاله حقا فى أموالنا لا فى أعراض الناس وأموالهم

فى « مواسم الأدب » :

قال : الربيع للمنصور : إن لفلان حقاً فإن رأيت أن تقضيه ، وتوليه ناحية فقال يا ربيع : إن لاتصاله حقاً فى أموالنا لا فى أعراض « الناس » وأموالهم . إنا لا نولى للحرمة والرعاية بل للاستحقاق والـكفاية . ولا نؤثر ذا النسب والقرابة على ذى الدّراية . فمن كان منكم كما وصفنا شاركناه فى أعمالنا . ومن كان عطلا لم يكن لنا عذر عند الناس فى توليتنا إياه ، وكان العذر فى تركنا له وفى خاص أموالنا ما يسع .

٩٦٨ — أدبنا الله قبل معرفتنا بحكمة أرسطاطاليس

قال أرسطو للاسكندر : ليكن ملكك فى البلاد بالتودد إلى أهلها لا كقهر الراعى غنمه بالعصا ، فإنك فى طاعة المودة أحمد بدءاً وعاقبة من طاعة القهر والاستطالة .

فحدث بهذا القول المأمون فقال : لقد حث على التودد فأحسن ، وقد أدبنا الله قبل معرفتنا بحكمة أرسطاطاليس : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

٩٦٩ — قصيدة مبيرة . . .

فى « نفح الطيب » :

لما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودى الشهير بابن نقولة ، وأعضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبو إسحاق الألبيرى قصيدته النونية المشهورة التى منها فى إغراء صنهاجة باليهود :

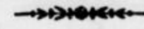
ألا قــل لصنهاجة أجمعين	بدور الزمان وأسد العرين
مقـالة ذى مقـة مشفق	صحيح النصيحة دنيـا ودين
لقــد زل سـيدكم زلة	أقر بها أعين الشـامتين
تخـير كاتبـه كافراً	ولو شاء كان من المؤمنين
فعـزّ اليهودُ به وانتموا	وسادوا وتاهوا على المسـلمين

فثارت إذ ذاك صنهاجة على اليهود ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . وفيهم الوزير المذكور . وعادة أهـل الأندلس أن الوزير هو الـكاتب .

(١) الشريجة : باب من قصب يعمل للدكاكين .



الزواج سنة ١٩٤٨



لعل هذه البدعة التي أنا محدثك عنها قد سلف بها الزمن، ولكنني لم أهتد إليها إلا أمس وأنا جالس في ركن من أركان مقهى هادىء جميل أحسب أن أصحابه أعدوه لمن ينشد الهدوء، وإن كان يقصده أكثر من يقصدونه طلباً لهذا الهدوء ولشيء آخر أظنه عندهم أحلى من الهدوء وأمتع..

جلست وحدي منكدر الخاطر بما ينعكس على ذهني من هذه الوحدة ... ودرت ببصري وفي عيني شيء من آرائهم، أدرأ السأم عن قلبي، وأنفض الخواطر الكابية عن ذهني، فانقلب إليّ البصر محزوناً؛ فما يخلو ركن من رفقة، وقلما رأيت شاباً إلا ومعه صاحبته أو زوجه، ولم يكن هناك من يجلس مثلي وحيداً إلا اثنان أو ثلاثة لعلهم كانوا ينتظرون من يؤنس هذه الوحدة ...

البهو هادىء على كظته، خال مما يحدث الضجيج والصخب من أدوات اللعب، والمقاعد منسقة تنسيقاً جميلاً، والندل يجيئون ويذهبون بما يشرب أو يؤكل في خفة وفي هيئة تغرى بطلب المزيد، والضحي دافىء ضاح، والوجوه كلها مستبشرة مطمئنة، وأنغام الموسيقى يصغى لها من يصغى ويصفق لها من يصفق ويلهو عنها بالحديث العذب من يلهو، وأنا وحدي على حالي من السأم والضيق وانكدار الخاطر.

وجاء رفقة من الشباب فتحلقوا حول منضدة غير بعيد مني، وأخذوا يتحدثون ويضحكون، وما فيهم فيما أرى من هو دون الثلاثين ولا من يزيد على الأربعين؛ وكان بينهم فتى يبدو لأول وهلة أنه روح الحلقة، ففي وجهه وإشاراته وحركاته ماينطق بخفة روحه، وفي ضحك رفاقه من كل كلمة يقولها مايدل على أنه فارسهم المعلم..

وتشقق الحديث بينهم في غير نظام حتى مال الكلام إلى الزواج فسأل واحد منهم: لم كانوا جميعاً أعزاب؟ وإلام يظلون على هذه الحال؟ ورد أحدهم قائلا في لهجة التحمس: « ينحصر ذلك في أمر واحد هو عندي علة العلل، فإن بعض أسرنا وبخاصة ما يسمونها الأسر الراقية وا أسفاه قد أخذت ببعض التقاليد الأوربية التي تنبو عن روحنا الشرقية، فاندفع بناتنا إلى ما يعد في الغرب من مألوف الأمور، وما يعد في الشرق مهما خادعنا أنفسنا من التدهور الخلق والفوضى والأباحية، ولما انطلقت الأوانس من بعض القيود أغراهن ذلك بما سمينه حرية فانزلق أكثرهن حتى وقفن على حافة الهاوية وسقط بعضهن فعلا، وأعرض الشباب أو أقدموا ثم ما لبثوا أن طلقوا ... »

وضاق فارس الحلقة بهذا الجد فقال لصاحبه: « دعنا من هذه الفلسفة: المسألة أن الزواج الآن زواج منفعة أيها العبيط؛ فأكثر الشباب يطلب الزوجة ومعها الدرجة، والدرجات أيها العبيط لا يملكها إلا الحزب الحاكم، وعلى ذلك فهذا يطلب عروساً وفدية إذا كان الوفد في الحكم، وآخر يطلبها سعدية إذا كان السعديون هم الحاكمين، ويحرص غير هذين وهو أمهر منهما أن يأتي بها وفدية الوالد سعدية العم دستورية الخال كتلية الأخ، وأمهر من هؤلاء من يأتي بها إنجليزية فتغني عن الجميع على قاعدة ألمانيا فوق الجميع، ومن هذا صعب اختيار الزوجة ياعبيط»

وضحك الرفاق وقال أحدهم « مثال ذلك أن فلاناً يطلب يد ابنة فلان باشا ولكنه يشترط على أبيها الدرجة الثالثة » ... وضحك الفارس وقال: « قل لأبيها أنا أقبل بالرابعة ».

وعاد الفيلسوف يقول: « أف لمن يطلب المال والدرجات! الجمال هو كل شيء » وقاطعه الفارس قائلا « والخلق يا حضرة الفيلسوف » وقال الفيلسوف « والخلق بالضرورة » فقال الفارس يقلد لهجته متهكما، يظهر أنك تصنع العروسة على يدك: جمال وخلق! وأين ذلك وقد وصفت العصر بما وصفت؟ ».

والتفت الرفاق والتفتُ إلى فتاة كالزهرة فتحها الربيع: فهي نضرة وفتنة وعطر وسحر وشمر ... وقد وضعت كتابها على المنضدة وأخرجت إبرتها وغزلها وأعملت أناملها، دون أن تنظر إلى أحد ... وسكن الشبان لحظة كأن على رءوسهم الطير ثم تخافتوا بينهم، وقال الفارس فيمايقرب الهمس: « أتزوج هذه ولو ذهبت درجتي ومالي ... بلا قيد ولا شرط» وقال الفيلسوف « أنا معك! أرأيت كيف يعلو الجمال على المال؟ ولكن ... يا خسارة! تأتي هكذا وحدها إلى المقهى ... من يدري؟ » وآمن الرفاق بالجمال وقالوا نقبلها ولو كان أبوها طريد الأحزاب كلها » إلا واحداً منهم لم يتكلم قبل أبداً، كان صهيوني الملامح والنظرة فهز رأسه مفكراً وقال « كلا لست معكم اوالله لن أقبلها إلا ومعها الدرجة»

الخفيف

من التراب:

ماضى شهيد!

للأستاذ محي الدين صابر

هكذا دارت حواليه ولفته الحياة
فارتمى فى السفح ، فى عينيه وحى وصلاه
وعلى المنهل قد أنكره حتى الرعاه
هو حلم ظلّ يسّاقط ليلاً فى ضحاه
ضلّ فى أعماقه ممناه وارتاب هُداه
وسوست أشواقه من أفق ليس يراه
صاعدات لضمير فى دم الغيب مداه
دمعت جبهتُه آه وكم تبكى الجباه
قال ، والذُّلُّ على عطفيه يا مجد إله
هكذا دارت حواليه ولفته الحياة

وتلوّى فى طريق سارب بين الشّعاب
ذاهلاً يدفنُ فى عينيه كوناً من عذاب
مهجةً مجروحة الأقدار تاهت فى ضباب
نشرت من شعره الريح وجاشت فى الثياب
قدماه فوق ناب الصخر موتٌ فى شباب
وهوَ سهوانُ كما يطردُ معنًى فى كتاب
يتملى صوراً تنشُرُ ما ضيه رطاب
قال فى قهقهة المجنون يا ذلّ التراب
ورأى فى وهمه الواثب فى السفح ، سراب
فتلوّى فى طريق سارب بين الشّعاب

وتهاوى تحت سرح شائخ الجذع عتيد
ظلّهُ الرّاعش ريحانٌ على البيد طريد
شد من لحيته يرقُبُ طيفاً من بعيد
من بعيد بين جنبيه رمادٌ وحصيد
واستوى يعزف للقمة لحناً من جديد
جحظت عيناهُ هذا الناىُ صمتٌ وجليد
ذهب الوحىُ جميعاً من يديه والنشيد
مصه الجدبُ امتصاصاً فهو بيد فوق بيد
قال فى حشرجة المذبوح يا قبر شهيد
وتهاوى تحت سرح شائخ الجذع عتيد

ومشت قافلةٌ تصمد من خلف السنين
فى هواديها غناء وعلى الخلف أنين
هى من أين ؟ إلى أين ؟ أظنٌ أم يقين
هى لا تعرفُ إلا أنها فى السائرين
عبرت مصرع إنسان على الذّكرى ، دفين
كبرياءٌ ردَّها الفكرُ حطاماً من حنين
فهو رأسٌ يقبُ الموتُ عليه وجبين
قال حاديها : غريبٌ قد دعانا منذ حين
فدعوهُ إن فى الماضى حياة الخالدين
ومشت قافلةٌ تغرقُ فى جوف السنين

(باريس) محيي الدين صابر

الأدب والفن في أسبوع

الأديب والسياسة :

هذا عنوان المحاضرة التى ألقاها الدكتور طه حسين بك فى مساء يوم الإثنين بقاعة الليسيه فرنسيه ، وقد بدأ بالتساؤل عن معنى الأدب والسياسة ، فانتهى إلى أن الكلام لا يكون أدباً إلا إذا زيد فيه على تأدية المعانى العادية الإمتاع الفنى الذى يتحقق من المعنى واللفظ وطريقة الأداء حين يريد الأديب أن يؤثر فى النفوس ويثير فيها العواطف المختلفة ، كما انتهى إلى أن السياسة أعم مما يفهم منها حين يراد بها العلاقة بين الحكومة والشعب ، أو بين البرلمان والحكومة وحين يراد بها النزاع بين الأحزاب على الحكم ونظمه ، لأن السياسة تشمل شئون الشعب من حيث علاقات أفراده وجماعاته وطبقاته بعضها ببعض كما تشمل علاقة الشعب بالشعوب الأخرى فى شتى نواحى الحياة ، أى أنها تشمل الحياة الاجتماعية كلها . وقال الدكتور : إن هذا هو المعنى الذى أفهمه للسياسة حين أتحدث إليكم فى العلاقة بين الأديب والسياسة .

وعلى هذا الوضع نستطيع أن نتبين هل يمكن للأديب أن يعيش فى عزلة عن المجتمع ؟ إن ذلك لا يمكن لأن الأدب ظاهرة اجتماعية والأديب أداة اجتماعية لا يستطيع أن يعيش بنفسه ولنفسه ، وساق حياة المعرى مثلا على العزلة الظاهرية التى تدل على عدم إمكان الانقطاع عن حياة الناس ؛ لأنه لزم داره حقاً ، ولكنه أنشأ أدبه فى شئون الناس ؛ ينتقد حياتهم ويسفه آراءهم ؛ فاعتزال الأديب غير ممكن ، وما مسألة البرج العاجى غير خداع وأوهام . وقال إنه عرف بعض الأدباء الذين يزعمون أنهم يعتصمون بالبرج العاجى من المصريين وغير المصريين فلم ير أحداً أشد منهم تهالكا على نشر آدابهم وحرصاً على رضا الناس عنهم وخوفاً من سخطهم على إنتاجهم .

فلندع إذن هذه المسألة الوهمية لننظر فيما يضطلع به الأديب ؛ فهو إما أن يكون مترفاً فى أدبه يخلص من مشاغل الحياة إلى إمتاع العقل والقلب بفن رفيع ، وهذا فى الحقيقة لا يتجنب مسائل الحياة ، وإنما يعالجها على نحو لا يدركه إلا الخاصة ، أو يكون الترف بالتلهية والتسلية كالذى يقصر الوقت بين الاستلقاء على الفراش والاستغراق فى النوم . أو يعمد الأديب إلى جد الحياة فيشارك فى التوجيه والتثقيف ويصور الآلام والآمال .

والأديب على كل حال من هذه الأحوال فرد فى المجتمع يعمل كما يعمل أفراده ويتحمل نصيباً من التبعات قل أو كثر ، حتى أديب التسلية فإنه يعين على التخفف من هذه التبعات فى بعض أوقات الفراغ .

وبعد أن استعرض الدكتور بعض العصور الماضية مبيناً أثر السياسة فى الأدب وانشغاله بها ، خلص إلى الوقت الحاضر فقال إن أدباءنا جميعاً — وأنا منهم — غارقون فى السياسة إلى الأذقان ؛ فهم جميعاً يتحدثون فى كتبهم وفى الفصول التى تنشرها لهم الصحف والمجلات ، عن شئون الحياة ومشاكل العصر ، ولو لم يفعلوا ذلك لكانوا طفيليين فى الحياة . وغاية ما فى الأمر أننا نستطيع أن نحدد ما ينفع وما لا ينفع ومن الثانى الاشتغال بخصومات الأشخاص وأغراضهم ومطامعهم ، وفى غير ذلك لا يجمل بالأديب أن يتجنب السياسة . ويحدث أن يلقانى بعض الناس أو يلقوا غيرى من الأدباء فيقولوا : لو تركت السياسة وخلصت للأدب ! وهؤلاء لا يفهمون السياسة ولا الأدب .

تعقيب :

رأيت أن الدكتور طه وسع معنى السياسة حتى جعلها تشمل كل شئون الحياة ، وليس هذا هو مدلولها الذى جرى الناس عليه وقد انساق فى هذا التوسيع — كما يخيل إلى — ليدخل السياسة فى اختصاص الأديب . ولكن هل هذا الفرض فى حاجة إلى التوصل إليه بذلك المزج ؟ إن الأديب يتناول كل شىء فى الحياة بطريقته الفنية ، فيكتب الأدب السياسى والأدب الاجتماعى وغيرهما ، وليس معنى هذا أن كل شئون الحياة اسمها سياسة ، وإلا فهل تعد القصة التى يكتبها الأديب مثلا ويدير فكرتها وحوادثها على زوجين لم يسعدا لاختلافهما فى العمر اختلافاً كبيراً هل يعد مثل هذا سياسة ؟

أما هل يكتب الأديب فى السياسة أو لا يكتب فيها ، فهذه مسألة أخرى ، وإن كان مما لا شك فيه أنه حين يكتب فى

السياسة فيمتع ويُشعر بجمال الفن ، لايبعد عن الأدب ، ولكن أدبه سياسي يختلف عن ألوان أخرى من الآداب .

مؤتمر المجمع اللغوى :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الإثنين بافتتاح مؤتمره السنوى أى الجلسات التى تنعقد بحضور الأعضاء الأجانب شرقيين وغربيين ، وقد جرى المجمع على أن يحتفل فى أولى هذه الجلسات بافتتاح هذا المؤتمر .

افتتح الحفل معالى رئيس المجمع أحمد لطفى السيد باشا ، ثم ألقى معالى وزير المعارف عبد الرزاق السنهورى باشا كلمة لا أحسبنى مغالياً إن قلت إنها ثورة لغوية .. فقد أشار إلى ماذكره فى خطاب العام الماضى من أن هناك علامتين لسلامة اللغة ، هما اقتراب لغة الخاصة من لغة العامة ، وابتعاد لغة الحاضر عن لغة الماضى . ثم قال إن لغتنا العربية فى الوقت الحاضر قد تطورت تطوراً كبيراً ، لأنها اليوم أقرب إلى لغة العامة وأبعد عن لغة الماضى إلى حد كبير ، فهى إذن لغة سليمة ، وليست اللغة السليمة هى التى نقرأها فى كتب القرون الماضية ، فهذه صورة تاريخية من صور تطور اللغة العربية ؛ والذين يقولون إن اللغة العربية قد دخل عليها الفساد وركبتها البدع يعتقدون أن اللغة العربية ليست إلا هذه الألفاظ والعبارات التى جرت بها الألسن فى القرون الأولى ودونتها الكتب والمعاجم فى العصور السالفة . ولكنا نذهب إلى غير رأيهم ، فلا تملك الأموات من هذه اللغة أكثر مما تملك الأحياء .

ووصلت الثورة إلى مداها عند ما قال معاليه : هأنذا أستعمل لفظ « التطور » وهو لفظ عربى لا إخال أنه يستند إلى نص أو قياس ، ولكنه لفظ أجمع عليه كتاب العربية فى عصرنا الحاضر ، فهل يجوز لأحد اليوم أن يخطئنى فى استعماله ؟ وقد أكون استعملت فى كلتى هذه أو فى غيرها ألفاظاً قد تكون منضبطة على القاموس أو غير منضبطة ، وقد تكون واردة فى المعاجم الأولى أو غير واردة ، فسواء كان هذا أو ذاك فإنها ألفاظ عربية سليمة متى انعقد عليها إجماعنا فى العصر الحاضر .

ونوه معاليه بأهمية الإجماع فى اللغة وتطورها وحياتها ، ثم نبه على أنه لا يقصد به الفوضى التى تأتى من استعمال ألفاظ بعيدة عن اصول اللغة وقواعدها .

وألقى الأستاذ عباس محمود العقاد بحثاً فى « موقف الأدب العربى من الآداب الأجنبية فى القديم والحديث » . فأوضح معالم الموضوع وبينه بياناً حسناً على اضطراره إلى الإيجاز فيه . قال إن الأدب العربى تأثر بمخالطة الأمم الأجنبية قديماً كما تأثر بها حديثاً ، غير أن تأثره بها فى القديم كان على أكثره — من ناحية الحضارة بملابسة الأمم فى أصول المعيشة وعادات المجتمع ، وأن تأثره بها حديثاً كان — على أكثره — من ناحية الثقافة بالاطلاع على آداب الأمم فى لغاتها والتوفر على دراستها .

قال الأستاذ فى بيان التأثر القديم : كان اعتزاز العرب بلغتهم صارفاً لهم عن تعلم اللغات الأجنبية منذ أيام الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أضاف الاعتزاز بالعقيدة إلى الاعتزاز باللسان ، لكنهم خالطوا الأمم فى حضارتها وإن لم يتكلموا بألسنتها فأثر ذلك فى أدبهم وظهر أثره فى أوزان القصيدة ومعانيه ، وفى الإسلام زاد الاتصال فدخل فى أغراض الشعر كثير من مظاهر الحضارات التى تجمعت فى بلاد الدولة الإسلامية كوصف المهرجانات والمواسم .

ثم قال فى بيان التأثر الحديث : إن موقف الأدب العربى من الأمم الأجنبية فى العصر الحديث هو — على الأغلب — موقفه من الأمم الأوروبية ، وصبغة الثقافة فيه أظهر من الحضارة على وجه التعميم ، ولقد كانت اللغتان الفرنسية والإنجليزية أقرب مسالك الثقافة الأوربية إلى البلاد العربية . واتفق أن كان هذا الاتصال فى عهد النهضة العلمية أو عهد التحقيق والتمحيص ، فقرأ أدباء العرب كتب القوم وهى تضيف مزايا التعبير العلمى إلى مزايا التعبير الأدبى فى أقلام البلغاء ، فكان من أثر ذلك دقة الأداء وتخصيص اللفظ بمعناه ، وكان من أثره اتساع أفق الكتابة والشعر ، وبخاصة ما كتب أو نظم فى تمثيل الجوانب النفسية وتحليل دواعى الحس والعاطفة

وألقى الشيخ عبد القادر المغربى كلمة عن « مجامعنا اللغوية وأوضاعها » تحدث فيها عن المحاولات الأولى فى إنشاء هذه المجامع ، فالمجمع الأول أنشىء سنة ١٨٩٢ برياسة السيد توفيق البكرى ، والمجمع الثانى أنشئ سنة ١٩١٧ برياسة الشيخ سليم البشرى وكان الأستاذ لطفى السيد (باشا) مقرراً له ، وقد أنتج هذان المجمعان نتاجاً لم يكد يولد حتى مات ؛ لأسباب منها مايرجع إلى طبيعة الألفاظ التى وضعت ، ومنها ما يرجع إلى التغافل عن

الطرق المؤدية إلى استعمال تلك الألفـاظ واستمالة أنظار الجمهور إليها . وعد الأستاذ المغربى من تلك المحاولات ما كان منه ومن المغفور له أحمد تيمور باشا إذا اتفقا على العمل على استعمال ألفاظ فصيحة بدلا من العامية والدخيلة ، وانتقى تيمور باشا عشرين كلمة من الفصيح ونشرها فى المؤيد سنة ١٩٠٨ ونصح الجمهور باستعمالها ، ثم كتب الشيخ المغربى تطبيقاً عليها مقالا فى المؤيد بعنوان « تمرين على الكلمات العشرين » .

ثم تحدث الأستاذ عن المجمع العربى بدمشق ومجمع فؤاد الأول بمصر وأثرهما فى اللغة وما يرجى منهما .

والقى الأستاذ محمد كرد على بحثا فى « عجائب اللهجات » بين فيه أثر اختلاط العرب بغيرهم وخاصة بعد الإســـلام فى تعدد اللهجات ، واستمر فى بحثه حتى وصل إلى العصر الحاضر فساق أمثلة كثيرة لاختلاف اللهجات فى الأمم العربية .

ووقف الأستاذ جب المستشرق الإنجليزى فاعتذر من عدم حضوره مؤتمر المجمع فى السنتين المـاضيتين لانشغاله مع زملائه أساتذة الثقافة الشرقية فى الجامعات الإنجليزية بتنظيم الدراسات الشرقية وقال إنهم ألفوا جمعية خاصة بهم فى السنة الماضية .

أعمال المجمع :

وقد ألقى الدكتور منصور فهمى باشا كاتب سر المجمع كلمة فى « أعمال المجمع خلال الدورة الماضية » وأرهفت الآذان لتلقى أنباء هذه الأعمال فإذا هى تتلخص فى إلقاء بحوث فى الجلسات من بعض الأعضاء ، وفى النظر فى بعض المصطلحات العلمية وتقرير تعريفها ، والنظر فى منهاج العمل بالمعجم الوسيط والمعجم الكبير ، وفى مواصلة اللجان أعمالها ، فلجنة الأدب أنجزت مسابقة الإنتاج الأدبى فى العام الماضى وتعمل فى مسابقة العام الحالى ، ولجنة الأصول أمامها مقترحات فى تيسير الكتابة العربية لا تزال تبحثها .

وكل تلك الأعمال عدا المسابقة الأدبية لم تظهر لأعين الناس بعد ، ولم يزل المجمع يتحدث عنها منذ سنين كما يتحدث عنها الآن حتى المجلة التى قالوا منذ أكثر من عام إنها على وشك الظهور لا تزال طى الخفاء . وقد فاتنى أن أذكر من أعمال المجمع أنه قرر نشر المجلة مرتين فى السنة

أشعر الشعراء :

كانت مجلة الهلال قد نشرت فى أكتوبر المـاضى استفتاء لقرائها عن الشعراء الخمسة الأول بين العرب الأحياء ، وعمن هو أجدرهم بلقب الإمارة الآن . وكنت قد عقبت على ذلك ببيان عدم الحاجة إلى هذه الإمارة ، وتفنيد طريقة استفتاء قراء أكثرهم ليس أهلا لمثل هذه الأحكام الأدبية .

وقد أحسنت الهلال إذ أعلنت فى هذا الشهر نتيجة الاستفتاء خالية من « أمير الشعراء » قاصرة على « الشعراء الخمسة الأول » واصطنعت اللباقة فى « دغم » مسـألة الإمارة ، إذ ذكرت أن المشتركين فى الاستفتاء « قالوا إن آثار كبار شعرائنا تكاد تكون فى مستوى واحد من القوة والإبداع ، ويكاد لا يوجد وجه لتقديم بعضهم على البعض الآخر » وهكذا خلصت إلى ما عرف عن دار الهلال من الاتزان وإرضاء الجميع . ثم أعلنت « أن الشعراء الخمسة الأول بين شعراء الأقطار العربية هم بالترتيب الذين حازوا أكثر الأصوات : خليل مطران بك . على الجارم بك . السيد بشـارة الخورى . الأستاذ على محمود طه . الأستاذ أحمد رامى »

وقد جاءت هذه النتيجة — كما ترى — وفقاً لمـا ينتظر من قراء يتوخون أكثر الأسماء شهرة فى المحيط العام دون التفات أو دراية بما تستحق من تقديم أو تأخير ... وأنت تعلم — كما أعلم — أن ثمة شعراء يرجحون بعض هؤلاء فى الموازين الأدبية . وقد نشرت المجلة تعقيباً على هـذا الاستفتاء للدكتور عبد الوهاب عزام بك قال فيه إن الناقد لا يستطيع أن يوازن بين جماعة من الشعراء « إلا أن يقرأ ديوان كل واحـد منها قراءة ناقد متثبت ، ويكون قد عنى بها وقرأها واستقر على رأى فيها على مر الزمان ... وليت شعرى من فعل هذا من النقاد ؟ » أقول : إذا كان هذا مستبعداً على النقاد فما بالك بالقراء ... ؟ .

ملك الشعراء :

ومما قاله الدكتور عزام بك فى ذلك التعقيب : « وإذا نظرنا فى تاريخ الآداب الشرقية ، وجدنا ألقاب الإمارة والملك معروفة بين شعراء إيران مثل ملك الشعراء معزى . وقد تلقب بلقب ملك آخرون من شعراء الفرس من بعده . وفى عصرنا هذا يعرف الشاعر الكبير بهار بلقب ملك الشعراء ، وهو أستاذ فى جامعة



أدب الملـــــيم المزيف

للأستاذ حبيب الزحلاوى

إلى صديقى الكريم الأستاذ صديق شيبوب :

يعسر على الكاتب فى النقد الأدبى ما يسهل على الكاتب المنشىء فى كتم خليقته وستر سريرة نفسه ، لأن النقد بيان وتفصيل ، ولئلا محيد للناقد عن التجرد الذاتى لينطلق حراً ، يقول الحق ويصور الحقيقة .

طهران ، وأما فى تاريخ الأدب العربى فلم تمهد هذه الألقاب ... وبعد فإن لم يكن بد من بيعة أحد الشعراء المعاصرين بالإمارة أو الملك فأيسر وسيلة لذلك أن يجتمع الشعراء وحدهم ويختاروا لأنفسهم ملكا أو أميراً عليهم . فإن فعلوا فليس بعد رأيهم مقال لقائل » . وأنا لا أرى أن هذه وسيلة يسيرة فضلا عن أن تكون أيسر وسيلة ، فمن يضمن لنا أن كلا من شعرائنا سينتخب غيره وأن سيكون لهذا الانتخاب نتيجة سوى أن يكون عدد الفائزين مساوياً لعدد الشعراء ... وخاصة إذا كان المطلوب صاحب جلالة فى الشعر لا أميراً فحسب .

ولم كل هذا وعندنا « ملك الشعراء » الدكتور زكى مبارك وقد كفى سائر الشعراء مشاق الاجتماع والنزاع والاختيار ، فأعلن نفسه ملكا عليهم ، ولعله كان قد انتظر أن يشعروا بأحقيته لهذا المنصب الخطير ، فلما رآهم مشغولين كل بنفسه ، وجد من حق نفسه هو أيضاً أن يتقدم إلى مكانه .

والدكتور زكى مبارك أو ملك الشعراء ، يفوق الشعراء جميعاً بالحرية التامة فى التعبير عما يريد ، فشعره صورة صادقة لنفسه ، ليس فيها مداجاة ولا تزوير . وهو رجل سليم الطوية لا يخشى — اذا ملك — أن يجور ، وفيم يجور ؟ !

« العباس »

الناقد المتجرد نمّام واش ، يشى بنفسه على نفسه ، ويعترف بما فى قرارتها من أسرار ، وينشر ما تنطوى عليه ضلوعه من سجايا وخلائق ومن كوامن دفينة أيضاً ، لأن طبيعة التجرد توجب ذلك ، ولأن التجرد والانطلاق صفتان بعيدتان كل البعد عن خلال المواربة والختل والمداورة والنفاق التى تعسر كل العسر على الكاتب فى النقد الأدبى .

قرأت ما كتب النقاد فى كتابى « أنات غريب » وأصغت بسمعى إلى ما ساقه البعض إلىّ من لوم وتجريح من ناحية ، وثناء وإطراء ومغالاة فى التقدير من البعض الآخر من ناحية ثانية ، فلم أقف طويلا عند واحد من أولئك المسرفين فى اللوم أو الإطراء ، ولكنى أشعر الآن بما يدفعنى إلى الوقوف طويلا — وجهاً لوجه — من صديقى الكريم الأستاذ صديق شيبوب ، الكاتب الهادىء النفس ، المنكر لذاته ، القانع بالقليل القليل من الشهرة وذيوع الصيت ، الدؤوب على المطالعة والدرس والتنقيب والتعقيب ، المثابر على نشر فصل فى « الحياة الأدبية » مرة واحدة فى كل أسبوع ، فى صحيفة يعبد أربابها المال ، ويروجون للمضاربة فى أسواق المال ، وقد لا يقرأها أديب واحد غير يوم الجمعة ، لأنه ليس فى الأدباء ممن أعرف غير يهودى واحد وجزويتى واحد يضاربان ليكسبا المال فى سهولة الكسول ومغامرة المقامر المضارب . فى هذه الصحيفة المالية يختبىء صديقى الكريم وراء حرفين متواضعين من حروف الهجاء « صاد شين » فبينا نراه فى فصل من فصوله الأسبوعية يدرس كتاباً فى تاريخ قدماء المصريين أو الرومان واليونان ، نجده فى بوادى الجاهلية وصحارى الإسلام يقارن ويوازن ، وينسق ويعادل هؤلاء بأولئك . وبينا نسمعه يروى أسطورة أو خرافة ، نراه ينشر قصة تصويرية لواقعة حال ، أو بحثاً تحليلياً لأديب جرى عليه النسيان ، أو يلخص كتاباً فى الأدب الفرنسى أو رواية عصرية ، وهو بين هذا وذاك يكتب فصولا بارعة فى دراسة الكتب التى تهدى إليه ، فيقرظها تقريظ المشجع أو المحبذ ، تقريظ الأديب الغيور الذى يدفع بالمؤلف إلى الاستزادة والإجادة ، ولكنى ما قرأت فى فصول صديقى الأستاذ صديق سوى بعض فصول فى النقد كان يخص بها الأصدقاء والمعارف من المؤلفين . ولعلى أنصف صديق شيبوب إذا قلت إن فصوله

فى النقد الأدبى هى المتفوقة فى قيمتها والمتقدمة فى شأنها على بقية فصول يكتبها « فى الحياة الأدبية » .

على هذا الأساس إذن أقف من صديقى الناقد البارع أساجله مساجلة الراغب فى بلوغ الحق، القاصد وجه الحقيقة: قال الأستاذ شيبوب فى العدد السابق من الرسالة :

« ... ولا يقف أدب الأستاذ حبيب الزحلاوى عند التأليف القصصى ، فإنه نقادة أدبى ، ولعل النقد الأدبى كان أول ما عالجه من فنون الأدب ، إذ تقدم كتابه « أدباء معاصرون » غيره من الكتب . وقد ظهر ميله إلى النقد فى أقصوصة « الدميم » لأنه عرض فيها للحبكة ، والعرض والفكرة ، والوحدة ؛ وذكر أنه « ليست قيمة القصة فى المادة التى تتألف منها ، ولا فى كيفية ترتيب تلك المادة ، بل قيمتها فى الكيفية التى تؤدى بها ، وفى عرضها عرضاً خاصاً بمهارة فنية ، بالتشويق والترغيب ، وفى صدق الرواية عن الحياة ... » .

« وقد اضطر لبيان ذلك ، إلى حشر أقصوصتين فى أقصوصة واحدة ، وهما لا رابط بينهما غير فكرة العرض بمهارة وبغير مهارة » .

يعلم صديقى ولا شك أن مجال القصة واسع سعة الفضاء الذى يضم الكون ، وأن القاص إذا قصر فى تجواله بأجوائه ، إنما يكون تقصيره نتيجة لضعف فى خوافيه وقوادمه ، وفقر إلى الخيال المنسرح والذهن المبتدع . وأن المجالات الضيقة التى رسمها نقاد القصة ليست فى الضيق إلى الحد الذى يصد المبتكر عن شرح درس فى بناء القصة وتعليم من لا يعلمون أنها تسع كل ضرب من ضروب العلوم والفنون ، وكل رسم وصورة للحياة بكامل ظواهرها وبواطنها فكيف تضيق القصة إذن بالنقد الأدبى ؟ .

أقول القاص المبتكر تمييزاً له عن أولئك « الملافيت » الذين يملأون الصحف « السوقية » بقصص فاجرة يضل القارىء فى مبتداها ومنتهاها ، ويتيه قاصّ الأثر البارع فى تتبع معالم وأغراض كاتبيها ، هذا إذا كانت لهم أغراض ومقاصد . ثم أى حرج على القاص وقد جعل بطل قصته معلماً حكيما يعلم تلامذته الأصول والقواعد ، ويهديهم سواء السبيل ؟ أيعاب عليه إبراز مثل ناطق يشهد على العشرات من القصصيين الذين يرتجلون القصة ارتجالا ولا غاية لهم سوى إثارة الغرائز وإلهاب الشهوات ! كيف ، بل لم تؤاخذنى ياصديقى على بيان « يميز بين قصة معروضة بمهارة ، وقصة لا مهارة فى عرضها ؟! » .

على هذا الأساس كتبت قصتى « الدميم » وبهذا الرباط ربطت بين القصتين ، قصة مرتجلة لا ضوابط لها ولا قواعد ، مرماها إثارة الشهوات الجنسية ، وقصة تتفاعل فيها عوامل الحياة الزاخرة بالصدق ، وهى معلومة الحدود والمعالم ، واضحة الطريقة والمذهب والغرض والأسلوب ، أيجوز لك يا صديقى ، بعد هذا أن تقول إن القصة مفتعلة لبيان فضل الأقصوصة الثانية على الأقصوصة الأولى ؟؟ .

لا أحسب أن هذا التجنى من صديقى الكريم جاء عفواً ، بل اعتقد أنه كان وسيلة لغاية ، لأن المقال الذى تفضل بكتابته عنى ، إنما كتب بروح من النقد ، والناقد كما علمنا نمام واش يشى على نفسه بنفسه : قال الأستاذ شيبوب :

« تناول الأستاذ حبيب الزحلاوى النقد الأدبى فى شىء من الجرأة ، وكثير من العنف ، مما جعل له خصومات أدبية قديمة وحديثة كانت إحداها مع أديب له مقامه المرموق فى عالم البحث والأدب والشعر ، والتجديد الذى يحاوله هذا الأديب الفاضل لا يروق الأستاذ الزحلاوى ، وهو حر فى رأيه . وكنت أعتقد أن هذه الخصومة تقف عند حد النقد الأدبى ولا تتعداه إلى التعريض فى إحدى القصص بذلك الأديب . والحق أنى كنت أجل صديقى الأستاذ الزحلاوى عن أن يستعمل مثل هذه الوسيلة لينال من أديب نابه لا يرضى هو عن أدبه » .

هنا مربط الفرس كما يقولون ، هنا يتجرد الناقد الذاتى المنطلق حراً فى القول والتصوير ، هنا تظهر وشاية النفس بالنفس ، هنا تبدو الكوامن وتطفو مخبآت السرائر ، وهنا أقف من صديقى الناقد وجهاً لوجه أسأله ، من هو ذلك الأديب صاحب المقام المرموق فى البحث والأدب والشعر والتجديد ؟ ما قيمة أدبه

وشعره وتجديده ، وكيف صحّ لصديقي الأستاذ شيبوب السكوت عن الإشادة بهذه الفضائل المطمورة تحت الأطلال والملقاة في الدمن ؟ هل استحى صديقي الناقد من ذكر اسم ذلك الأديب الشاعر المرموق؟ أيرضى صديقي الناقد أن أشفق على صاحبه فلا أذكر اسمه بل أرمز إليــه بالإشارة ؟ أليس ذلك الأديب المرموق هو الذي مات مختنقاً عند وصيد باب مجلة « المقتطف » ولم يرثه زجّال مأجور ؟ أليس هو الذي أضناني شعره فرصدت مبلغاً من المـال أغرى به أصحاب العقول السليمة على شرح شعره المضنى فلم يظفر بمالى أحد ؟

قد يعوزك الدليل يا صديقي تدحض به ما رميتُ به أديبك المرموق ، أما أنا فلا أعدم الحجة أستمدها من شاعرك المجدد لأزيد الطين بلة .

نشر الشاعر المجدد قطعة عنوانها « نهار وليل » قال فيها :

« بودى لو أنهض والنهار باسم ، فألمح إلى عجائب فأستملى ، ولـكنى أخو العجز ، لا أزال ظلا للنعاس المتثائب .

« ذات مساء إلى وليجة نفسى تحـدرت — بدوة من بدوات — هل أردت تصفح البستان لا ثمر فيـه ولا زهر ؟ تحدرت وما استطعت الصمود ، لوجهى صرعنى هول ما دريت ما يكون .

« الحب وحده كان بقوى أن يسعفنى فأصعد ، لـكنه جاء من بُعد ، من عل ، من مغيَّب البُعد ، أقبل عاجلا مترعاً بالضوء فيضىء غير مستحق ، شـدّ ما فتننى فذوّبته فى خاطرى ، وفى الخاطر ظللنا روحاً لصق روح ، كلانا جاثم مخفق .

« هل كان فى وسعى أن أدرك قبل أن أغفو وأذهب فى النفوة — يا له من سبات لطيف فى ضميره خصب ونشاط — هـل كان فى وسعى أن أحلمُ باليقظة الناعمة ، بالأعجوبة يعانقها النور ؟ .

« فى البدء داخل الليل نهارى وأسرف ، فغلظت العتمة ، ولـكنى أصررت على التبصر ، أحرُّ ، والآن الآن أذكر كيف لفت العتمة خاطرى ، يا لله ! يا ظلمـة تجرى الحذارق فى وليجة نفسى ، يا ظلمة أصبحت منبت مصير محير مصيرى الوهاج » .

ها هى ذى قطعة كتبها الأديب المرموق الذى تطوع للدفاع عنه صديقى الأستاذ صديق شيبوب أقدمها له راجياً منه أن يتفضل علينا بترجمتها إلى اللغة العربية التى يفهمها أمثالى من عباد الله المتواضعين .

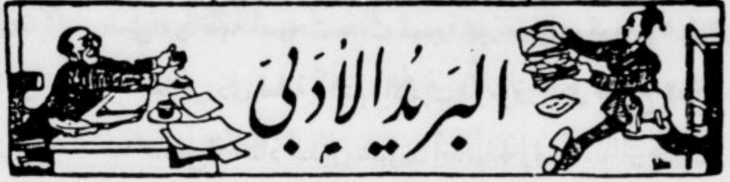
ليسمح لى صديقى الأستاذ شيبوب أن أذهب معه فى التسامح كل مذهب فى الافتراض الجـدلى فأسأله هل إذا اسـتطاع تذليل الصعاب ، وحل الطلاسم ، وفك الرموز ، هل فى مقدوره أن يرسم لنا صورة واضحة لمعانى هـذا الـكلام الذى قاله صديقه الشاعر المرموق ؟ هب أن المعانى كانت سامية حقاً ، ولـكن ماهى قيمة المعانى إذا صيغت صياغة متشابكة متضاربة متنافرة ؟ لنفرض جدلا أن لـكلمات هذه القطعة الفنية بمفردها وبمجموعها معان طيبة ودلالات إنسانية ولـكن ما هو أثرها الفعال فى النفس ، هل هزتها وأسرت الرعشة فيها ، وهل علق معنى واحد فى ذهن قارئها ؟ لنفرض جـدلا أنه قدم المتأخر من الـكلمات وأخر المتقدم ووضعها فى وضعها الصحيح وأقحمها على الذهن إقحاماً وحشرها فيه حشراً فـما هو قيمة هذا الأدب وما هو قدر هذا الـكاتب ؟ ولمَ هذا العناء المضنى ؟

أردت يا صديقى خصومة بين الأدباء لا عداوة ، ورفعت لواء هذه الخصومة عالياً فى كتابى « أدباء معاصرون » وما برح علمى يخفق فوق ساريته ليراه كل كاتب أو شاعر طمل يفاتك بالـكذب والشر على الأدب والفن فيسمي الهرف تجديداً واللوثة حصافة ، وأعيذك يا صديقى أن تكون طبيباً فى مصحة الأمراض العقلية .

تستوى عندى خصومة وعداوة من يعتدى على كرامة الأدب أو يحاول إلحاق الدنس الأدبى بنهضتنا التى لم يعرف تاريخ الأدب العربى لها ضريباً فى كل عصوره .

وليعلم صديقى الـكريم الأستاذ صـديق شيبوب أن أدب صديقه الشاعر المرموق لا يساوى فى سوق الناقدين المتجردين غير المتحيزين مليما زيّفه صراب خسيس .

حبيب الزحلاوى



١ — أنطون الجميل باشا :

رزئت الصحافة العربية هذا الأسبوع فى ركن من أركانها ، وخسر الأدب علماً من أعلامه ، وهو المغفور له الأستاذ أنطون الجميل باشا ، فكانت الفجيعة بفقده قاسية أليمة على أبناء العروبة عامة ، وعلى رجال الصحافة والأدب خاصة .

ولقد زاد فى هول الفجيعة به رحمه الله أن قضى بموت الفجاءة وهو فى ميدان العمل يناضل ويجاهد فى أداء واجبه ، حتى لقد خرجت « الأهرام » إلى أيدى قرائها وفيها آثار قلمه وتوجيهه ، ولكنها لم تدرك نعيه ، لأنه كان قد أتم عمله فيها ، وانصرف إلى داره متمتعاً بالعافية التامة ، وفى الصباح الباكر ليوم الثلاثاء الماضى وافته المنية ولم يشعر بأثر من مقدماتها إلا بضيق خفيف فى التنفس ، ثم كان السكون الأبدى ، وهكذا نفض الرجل يده من الحياة فى رفق وسهولة وهدوء ، وقد كانت هذه هى أظهر خلاله فى الحياة ودستوره فى العمل وفى صلاته بالناس .

لقد أمضى أنطون باشا فى الحياة نيفاً وستين عاماً ، أو قل على التحديد ثلاثة وستين عاماً ، ولكنه لم يأخذ من هذا العمر لنفسه وشخصيته شيئاً يذكر إلى جانب ما بذل فى سبيل المصلحة العامة ، وأنفق للخير والإنسانية ، وضحى لخدمة الشرق العربى والوطن العربى جميعه ، وإنه ليخرج من الدنيا وليس من ورائه زوج تندبه أو ولد يبكيه ، ولكنه لاشك قد ترك من ورائه مئات من الإخوان والتلاميذ الذين أضفى عليهم من روحه وطبعهم بطابعه ، وألوف بل ملايين من أبناء العروبة عاش ينشد لهم المجد والسعادة على مدى الأيام ، فهو فى نفوسهم ذكرى باقية وأثر خالد على كر السنين والأعوام .

وفد أنطون باشا وهو شاب فى ريعان العمر من لبنان على مصر ، ولقد خرج من وطنه الأول تبرماً بالجبروت السياسى الذى كان مسلطاً على الأحرار فى تلك البلاد ، وجاء إلى مصر وطنه الثانى لعله يتنسم نسيم الحرية ، ويجد مجالا فسيحاً لطموحه ، وكان أديباً موهوباً ، فحمل القلم ونزل إلى الميدان ، فأصدر مجلة « الزهور » لتكون حلقة اتصال بين أدباء العروبة فى جميع الأقطار والأمصار ، وماهى إلا جولة حتى برز إلى الطليعة ، وظهر فى الرعيل الأول وظل يصدر مجلته أربع سنوات ، ثم كان أن قامت الحرب العالمية الأولى ، وكان من قيودها ماحمله على وقف إصدار المجلة والدخول فى خدمة الحكومة ، ولقد صعد فى هذا المجال درجات ، وتبوأ مكانة مرموقة ، ولكن هذا لم يغلبه على طبعه ، إذ آثر اعتزال الخدمة والعودة إلى ميدان الأدب والصحافة ، وكان أن تولى رئاسة تحرير « الأهرام » ، وأسهم بجهده وبقلمه فى تشييد ذلك الصرح العظيم ، وكان إلى جانب ذلك أن أختير عضواً فى الشيوخ ، ثم عضواً فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، كما هو معروف فى الفترة الأخيرة من حياته . .

لقد كان أنطون باشا صحفياً عف القلم ، نزيه التعبير ، يرعى آداب اللباقة دائماً فيما يكتب ، ويعرف كيف يسيطر على أعصابه فى الموقف الحرج ، وكان هذا سر عظمته الصحفية ، قال لى فى مرة : حكم أخلاقك دائماً فيما تكتبه عن الناس ، واسأل نفسك وأنت تكتب عن غيرك ، هل تحتمل أن يقال عنك هذا الذى تقوله عن غيرك وحذار من طغيان القلم وأنت فى خلوتك بل تمثل أن أمامك من تكتب عنه وأنك تقرأ عليه ما تكتب .

وكان رحمة الله أديباً يمنح الأدب قلبه وعاطفته ، وكان فى بيانه يؤثر الأسلوب الأنيق ، والتعبير المشرق ، والديباجة الموسيقية ، وكان راوية ، يحفظ كثيراً من الشعر القديم ، كما كان يحفظ جميع شعر الشعراء المحدثين ، أمثال شوقى وحافظ ومطران واسماعيل صبرى وولى الدين يكن ، وكان لا يطرب لشىء مثل ما يطرب لسماع الشعر الجيد ، وكان لا يسر بشىء مثل ما يسر بشاب أديب يظهر فى أدبه مخايل النجابة والنبوغ ، فيتعهده كأنه ولده . قابلته رحمه الله قبل وفاته بيوم واحد ، وهو منصرف من احتفال المجمع اللغوى ، فسألته لماذا لم يتكلم فى الحفل ؟ فقال وكأنه كان ينعى نفسه : وماذا تريد أن أقول ، وقد أنهكتنا الأيام ومتاعب الحياة ؟ لقد قلنا كثيراً فقولوا أنتم ، فوالله إنه ليس أطيب إلى نفوسنا من أن نرا كم تقولون …

وبعد ، فليس اليوم مجال القول فى شخصية ذلك الرجل

العظيم ، ولكنها كلمة يجرى بها القلم من خلال الدمع ، فالى فرصة أخرى حتى نؤدى واجب الوفاء نحو فقيد الوفاء ، نضر الله قبره ، وأكرم مثواه ...

٢ — ادوار لامبير :

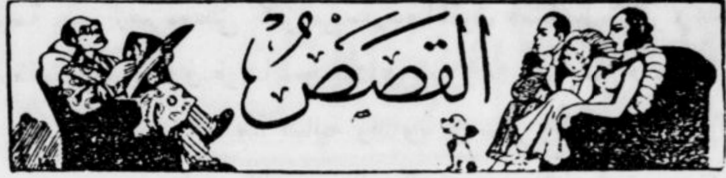
نعت الأنباء البرقية فى هذا الأسبوع العالم الفرنسى الأستاذ ادوار لامبير ، وإن فى مصر لكثيراً من رجال القانون وأعلام السياسة لا يزالون يحملون بين جوانحهم أطيب الذكرى لذلك الرجل الذى كان أستاذاً لهم والذى وقف فى وجه الطاغية « دنلوب » منتصراً للعلم والكرامة حتى لقد ضحى بمنصبه فى هذا السبيل ، وضيع على دولته فرنسا مركزاً علمياً كانت تستأثر به فى مصر .

ذلك أن مدرسة الحقوق فى مصر كان يتولى نظارتها عالم من أبناء فرنسا ، وكانت فرنسا تعتز بهذا المركز وتعتبره مظهر شرف لها إلى جانب ما كان قائماً من تسلط الإنجليز على التعليم فى مصر ، وحدث أن أسندت نظارة هذه المدرسة إلى رجل فرنسى يدعى « تستو » ، وكان هذا الرجل ينزع إلى حب السيطرة والتغلب ، وكان المسيطر على شئون التعليم فى مصر يومذاك الطاغية « دنلوب » ، ونزعته الاستعمارية معروفة مشهورة ، فتلاقى الرجلان فى اتجاه واحد ، وكان كل منهما أداة طغيان وبهتان . ومما يذكر أن « تستو » هذا هو الذى فصل الزعيم مصطفى كامل من مدرسة الحقوق فاضطر إلى السفر لإتمام دراسته فى فرنسا ، وحدث فى عام ١٨٩٦ أن اجتمع فريق من طلاب المعاهد العالية والثانوية فى مطعم بالأزبكية واحتفلوا بعيد جلوس الخديوى عباس الثانى . وصادف أن دخل « تستو » ليتناول العشاء فنقل أسماءهم إلى دنلوب ففصلهم جميعاً من مدارسهم .

ثم تولى « أدوار لامبير » نظارة مدرسة الحقوق وكان رجلا يعرف للعلم كرامته ويرتفع به عن تلك الأساليب الغاشمة ، فكان من الطبيعى أن تتسع الشقة بينه وبين « دنلوب » ، وكان من الطبيعى أن يتصدى « دنلوب » لهذا الرجل لا يجاريه فى إذلال المصريين ومسخ روحهم وتشويه ثقافتهم ، ولكن « لامبير » لم يخنع ولم يطأطىء رأسه وظل دائماً عند عقيدته واتجاهه ، فلما أعياه الأمر استقال وضحى بمنصبه وضيع نظارة مدرسة الحقوق المصرية على فرنسا ، إذ تولاها من بعده رجل إنجليزى يدعى « هيل » ، وكان رجلا لا يدرى من الحقوق شيئاً ، ولكن السياسة الإنجليزية شاءت ذلك فى تلك الأيام .

إنها ذكريات تحتل جانباً من تاريخنا الوطنى ، وهو جانب يجب أن يكتب ويروى ، ولعل نعى الأستاذ لامبير قد أثار ألواناً من هذه الذكريات فى نفوس أبناء الجيل السابق ممن كانوا من تلاميذه ومريديه ..

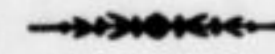
محمد فهمى عبد اللطيف



إنه ضــوء القمر

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأستاذ جمال الدين الحجازي



كانت مدام جولى روبير تنتظر أختها مدام هنرييت ليتورالتي عادت من سويسرا منذ خمسة أسابيع ، بعد أن سمحت لزوجها بالبقاء وحده في كالفادوس لإنجاز بعض الأعمال التي تتطلب وجوده ، وأتت لتقضي بعض أيام مع أختها في باريس للترويح عن أنفسها . وفي الصالون الهادىء ، جلست مدام روبير تقرأ وهي شاردة الذهن ، ترفع عينيها بين وقت وآخر كلما سمعت صوتاً .

وأخيراً سمعت دقاً على الباب ، فظهرت أختها حالاً وكانت تلبس معطف السفر . وفجأة وقبل التحية تعانقتا بشدة . ثم بدأ الحديث عن الصحة والعائلة وأشياء أخرى تجيدها النساء ...

كان الوقت مساء ، فأضاءت مدام روبير المصباح ، ولما رأت وجه أختها رغبت في عناقها مرة ثانية ، فاقتربت منها ، ولشد ما كانت دهشتها عندما رأت ضفيرتي أختها الطويلتين قد ابيضتا ، بينما كان القسم الآخر من شعرها أسود لامعاً وظهر شعرها الأبيض كالفضة تحوطه هالة من السواد .

كانت مدام هنرييت شابة لم تتجاوز الرابعة والعشرين من عمرها ، فما هو السر في ابيضاض شعرها ! إنها لم تره هكذا إلا بعد عودة أختها من سويسرا .

نظرت مدام روبير إلى أختها بدهشة والدمع يترقرق في مآقيها لأنها اعتقدت بأن حادثاً مخيفاً ألم بأختها فسألتها بابتسامة حزينة :

— ما ذا حصل لك يا هنرييت ؟

— لا شيء يا شقيقتي ... أكنت تنظرين إلى شعري الأبيض ؟

ولكن مدام روبير قبضت على ذراعيها بشدة وكررت عليها السؤال :

أخبريني ماذا حصل لك ... أخبريني بالحقيقة وإياك والكذب : ومكثتا برهة تنظر إحداهما إلى الأخرى وقد امتقع وجه هنرييت وكانت دمعتان تبللان وجنتيها فسألتها أختها بلطف :

ألا تودين إخباري بما ألم بك ؟

وفي صوت خافت قالت بعد أن أخفت جبهتها بين ذراعي شقيقتها :

لي ... لي حبيب ! !

وهناك على الكنبة جلست الأختان في أحد أركان الغرفة تتحادثان وقد وضعت الأخت الصغرى ذراعها على عنق أختها الكبرى بدلال وأخذت تنصت إلى حديثها :

إنك تعرفين زوجي وتعرفين كم أحبه ! فهو رقيق الشعور ، طيب ، باسم الثغر ، لطيف ومستقيم إلا أن به عيباً واحداً وهو أنه لا يستطيع أن يطري محاسن المرأة ! ولست أدري لما ذا ؟ آه كم كنت أغني أن يضمني بين ذراعيه بشدة ، ويقبلني قبلات حارة تمتزج بها أنفاسنا ! وكم تمنيت أن يكون ضعيفاً بين يدي فيحتاج إلى رقتي وعطفي ودموعي ! قد يظهر أن ما قلته لك تافه ولكننا نحن النساء جبلنا على هذا فما العمل ! ومع ذلك لم أفكر لحظة في خيانته حتى على شاطىء بحيرة لوكيرن !

هناك على شاطىء البحيرة ، كان القمر يرسل أشعته الفضية على الكون فيملأه بهجة وحبوراً ؛ وشعرت حينئذ بشيء لست أعرف كيف أفسره ! ففي الشهر الذي قضيناه نتنزه في سويسرا ونمتع أنفسنا بجمال تلك البلاد ، أثار زوجي إحساساتي بهدوئه وصمته وتركني وحدي سابحة أهيم في الحسن والجمال ! ألا يثير الجمال النفوس ويبعث فيها الحب ! ألا تثير ممرات الجبال الضيقة والأودية العميقة والغابات الواسعة والجداول الرقراقة والقرى الصغيرة الجميلة كل حب للجمال !

أجل لقد سحرتني هذه المناظر بجمالها فقلت لزوجي وقد ارتميت بين أحضانه : ما أجمل هذه المناظر يا حبيبي ... انظر

إلى القمر المنير والبحيرة الجميلة ... ألا تدعو هذه المناظر الساحرة المحبين للقبل ! ! قبلني الآن وفى هذا المكان قبلة حارة وامزج أنفاسك بقلبي المذاب ! ولكنه أجابني بابتسامة لطيفة باهتة : « لا يوجد سبب يدعو إلى القبل » فتأثرت جداً من كلماته .

غاظني زوجي بمسلكه هذا ، فقد منع تلك الخيالات الشعرية والسبحات الفكرية من أن تخرج إلى دنيا الجمال وأبقاها مكنونة فى نفسى عديمة الجدوى .

وفى إحدى الأمسيات ذهب روبير إلى فراشه بعد العشاء ، وكان قد أصابه صداع ؛ فذهبت فى نزهة على البحيرة . وهل لى غير البحيرة وشاطئها الجميل ؟

كانت الليلة مقمرة كتلك الليالى التى نقرأ عنها فى أساطير الخيال ؛ وكان القمر يزهو بأكمله فى كبد السماء ، ويحيى الأرض بأنواره الفضية ، فيكسبها جمالا وبهاء . وظهرت الجبال العالية بثلوجها البيضاء كملوك تلبس تيجاناً فضية ، ولمعت مياه البحيرة لمعاناً أخاذاً فى ضوء القمر الجميل ، وكان النسيم عليلا يهيج الذكريات ، ويبعث الشوق فى القلوب .

جلست على العشب ، ونظرت إلى البحيرة وقد استولى علىّ سحرها ، فمر بى طيف عابر ، وأحسست أن الحب قد تملكنى وأصبحت فى حاجة إليه . فتذكرت حياتى الأولى وما بها من سآمة ويأس فحزنت وتساءلت : ترى هل يبسم لى الزمان فأجد نفسى على شاطىء البحيرة فى ضوء القمر الساطع بين أحضان حبيب يلهبنى بقبلاته فأنتعش بتلك القبلات الحارة التى ينعم بها المشاق ! ! وعندها شعرت بحبات لؤلؤية تتساقط على وجنتى لم أدر سببها وسمعت من يقول : « لم هذا البكاء يا سيدتى ؟ خفف عنك ما تجدين ... فعلام الحزن وعلام البكاء » وكنت مضطربة فقلت إنى مريضة فسار إلى جانبي وكان طيب القلب وبدأ يحدثنى عما رأيناه فى رحلتنا من المناظر الجميلة وترجم كل ما أحسست به إلى كلمات جذابة ، وشعرت بأنه فهم إحساساتى وشعورى كل الفهم ، وفجأة أسمعنى بعض الأبيات الشعرية لألفرد دى موسيه فشعرت كأننى فى عالم غير عالمنا ، وخيل إلى أن الجبال والبحيرة وضوء القمر تغنى وتسبح مبدع هذه المناظر الجميلة الساحرة

وفى الصباح بينما أنا غارقة فى هذه النشوة تركنى هذا الحبيب واختفى بعد أن قدم إلى بطاقته ! وهنا تأوهت مدام ليتور وكادت تصيح . . .

فقالت مدام روبير وقد سرها ما سمعت :

« لتعلمى يا شقيقتى العزيزة أننا لا نحب الرجل دائماً ولا يستطيع أن يثير أشواقنا ؛ فلا غرو أن حبيبك الحقيق وأنيسك الذى سحرك بحلو ألفاظه ورقة شمائله وأثارك وبعث فيك الحب والغرام فى تلك الليلة وأنار لك السبيل هو ضوء القمر . . أجل أنه ضوء القمر ! »

جمال الدين الحجازى

مطبعة الرسالة



العدد ٧٦٠ — الاثنين ٢٦ يناير ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 760

Lundi — 26 — 1 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٧ — ٢٦ يناير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

بلاغة الرســـــول

كلفتني الإذاعة في احتفالها بذكرى مولد الرسول الكريم أن أكتب كلمة في بلاغته تذاع في عشر دقائق، وهذا تكليف بالمحال، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فإن عشر دقائق لا تتسع للحديث الموجز عن بلاغة كاتب وسط، فكيف تتسع للحديث عن بلاغة رسول اصطفاه الله لرسالته، واصطنعه لوحيه، وعلمه من علمه؟

إن بلاغة الرسول من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن قياسه؛ فنحن لا ندرك كنهه وإنما ندرك أثره، ونحن لا نعلم إنشاءه وإنما نعلم خبره. هل يدرك المرء من آثار الشمس غير الضوء والحرارة؟ وهل يعلم من أسرار الروض غير العطر والنضارة؟ وهل يجد في نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلالة والروعة؟ إن البلاغة النبوية هي المثل الأعلى للبلاغة العربية. وإذا كان كلام الله كتابَ البيان المعجز، فإن كلام الرسول سُنة هذا البيان. وإذا كان البلاغ صفة كل رسول، فإن البلاغة صفة محمد وحده. تجمعت فيه صلى الله عليه وسلم خصائص البلاغة بالفطرة، وتهيأت له أسباب الفصاحة بالضرورة، فقد ولد في بني هاشم، ونشأ في قريش، واسترضع في بني سعد، وتزوج من بني أسد، وهاجر إلى بني عمرو وهم الأوس والخزرج، وهذه القبائل التي تقلب فيها الرسول هي بالإجماع أخلص القبائل لساناً وأفصحها بياناً وأعذبها لهجة. والوسيلة الطبيعية لاكتساب اللغة والمنطق إنما هي المخالطة والمحاكاة. ثم تولى الله عز وجل تأديبه وتهذيبه، فكمله برجاحة العقل وسجاحة الخلق وصفاء الحس وقوة الطبع وثقوب الذهن وتمكن اللسان ومحض السليقة، ليكون لساناً لكلمته ومظهراً لنوره. ثم أخذ يتصرف في التجارة على عادة قومه، فضرب في الآفاق وتنقل في الأسواق، فرأى المناظر الجديدة، وسمع المناطق المختلفة، وحصّل المعارف العامة. والأسفار والأخطار والهجرة بعد توفيق الله تفتق الذهن وترفد العقل وتزيد المعرفة. ثم كان يخلى ذرعه من صوارف الدنيا الليالي الطوال فيعتكف في غار حراء يتعبد ويتأمل ويتجه بروحه الصافي اللطيف إلى الملأ الأعلى. ثم كان من طبعه أن يديم التفكير ويطيل السكوت، فإذا تكلم اختصر من اللفظ، واقتصر على الحاجة، وألقى الكلام بيناً فصْلاً يحفظه من جلس إليه، ولو عده العادّ لأحصاه، كما قالت السيدة عائشة. كل أولئك قد مكن للرسول من ناصية البلاغة، فأسلست له الألفاظ، وأسمحت له المعاني، فلم يندّ في لسانه لفظ، ولم يضطرب في أسلوبه عبارة، ولم يعزب عن علمه لغة، ولم ينبُ عن خاطره فكرة؛ حتى كان كلامه كما قال الجاحظ «هو الكلامَ الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة وتنزه عن التكلف. استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، وتنزه عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشُد بالتأييد ويُسر بالتوفيق، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل

ممنى ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح من معناه ، ولا أبين من فحواه ، من كلامه صلى الله عليه وسلم » لذلك قال وقوله الحق : « أنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر . وقد قال له صاحبه أبو بكر : لقد طفت في بلاد العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ قال : أدبني ربي فأحسن تأديبي » . ومن أولى بذلك كله ممن يخاطبه الله تعالى بقوله : وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ؟

إن أخص ما يميز الأسلوب النبوي الأصالة والإيجاز . فالأصالة وهي خصوصية اللفظ وطرافة العبارة تتجلى فيما كان ينهجه الرسول من المذاهب البيانية ، ويرتجله من الأوضاع التركيبية ، ويضمه من الألفاظ الاصطلاحية ، كقوله عليه الصلاة والسلام : مات حتف أنفه ، والآن حمي الوطيس ، وهدنة على دخن ؛ وقوله لحادي النساء : رويدك ! رفقاً بالقوارير . وقوله في يوم بدر : هذا يوم له مابعده . ولتمكن الأصالة فيه كان يقتضب ويتجوز ويشتق ويبتدع ، فيصبح ما أمضاه من ذلك حسنة من حسنات البيان ، وسراً من أسرار اللسان ، يزيد في ميراث اللغة ، ويرفع من قدر الأدب .

والإيجاز وهو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة غالب على أسلوب الرسول ، لأن الإيجاز قوة في التعبير ، وامتلاء في اللفظ ، وشدة في التماسك ؛ وهذه صفات تلازم قوة العقل وقوة الروح وقوة الشعور وقوة الذهن ، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه وأحاديثه حتى عُدَّت من خصائصه .

على أن الرسول عليه السلام كان يطيل إذا اقتضت الحال ذلك . فقد روى أبو سعيد الخُدري أنه خطب بعد العصر فقال : « ألا إن الدنيا خضرة حلوة ! ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون . اتقوا الدنيا ، واتقوا النساء . ألا لا يمنعن رجلا مخافةُ الناس أن يقول الحق إذا علمه ... قال أبو سعيد ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف ، فقال : « إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى » .

والمأثور من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم خطب وكتب وأحاديث ، وكلها تتسم بالإلهام والإبداع والعبقرية ، وتمتاز بالجزالة والجلالة والسبك . وهو في بعضها يستعمل الغريب ويلتزم السجع تبعاً لما جرى على ألسنة الوافدين عليه من مختلف القبائل . من ذلك حديثه مع طهفة بن أبي زهير النهدي ، ومع لقيط بن عامر بن المنتفق ، وذلك من حسن أدبه وسمو بلاغته وقوة تأثيره .

وللرسول قدرة عجيبة على التشبيه والتمثيل وإرسال الحكمة وإجادة الحوار . وتلك ميزة الرسل من قبل ، لأن المرسلين في مقام المعلمين ، وأنجح مايكون التعليم إذا كان على طريقة التمثيل والمحاورة ، كقوله عليه السلام : « إن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . المؤمن هين ليّن كالجمل الأنف إن قيد انقاد ، وإن أنيخ على صخرة استناخ . أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً . إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم . إياكم وخضراء الدمن : المرأة الحسناء في المنبت السوء . المرأة كالضلع إن رُمت قوامها كسرتها . الناس كلهم سواسية كأسنان المشط . جنة الرجل داره . ومن روائع تشبيهاته عليه السلام قوله : إن قوماً ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع . فنقر رجل منهم موضعه بفأس ؛ فقالوا له ما تصنع ؟ قال هو مكاني أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا .

والسفينة التي ضربها الرسول مثلا هي اليوم دنيا الإسلام والعروبة ، تقسمها الإخوان والبنون في عهود الضعف والانحلال فصار لكل منهم وطن ودولة ، ولكن هذه الأوطان المتعددة تجمعها دنيا واحدة ، كما تجمع السفينة مواضع الركاب ؛ فكل وطن وإن استقل بنفسه مرتبط في قوام حياته بغيره ؛ فهو حري ألا يوبق بحريته الوطن الجمع ؛ والوطن الجمع حري ألا يُغرق في عبابه الوطن المفرد . وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله من ألمعية الذهن وإشراق الروح كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، فضرب هذا المثل لجامعة الدول العربية لعلها تتذكر فتتدبر . وهذه هي بلاغة الإلهام والفيض ، تكشف الحجب بنور الله ، وتخترق الغيوب بنفاذ البصيرة ، وترسل الكلمة من فيض الخاطر وعفو البديهة فتكون حكمة الحاضر ونبوءة المستقبل !

صلى الله عليك يا رسول التوحيد والوحدة ، ونبي الحرية والديمقراطية ، وإمام السياسة والتشريع ، وأمير الفصاحة والبلاغة ، وداعية السلام والوئام والمحبة !

احمد حسن الزيات

كلمـــة أخرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

قرأت كلمة الأستاذ محمد العربى العلمى فى عدد الرسالة (٧٥٩) يردّ على ما كتبته فى قضية الاستقلال الذى تطالب به بلاد المغرب ، ومن حق الأستاذ أن يردّ ، ومن حقه أن يعلمنى ما أجهل ، ومن حقه أن يرشدنى إلى وجه الصواب فيما زعمت أو رأيت ، كلّ هذا من حقه ، ولكن ليس من حقه أن يخرج الكلام عن جادّته ، أو أن يستنبط منه أشياء ليست فيه كقوله إنى عرضت للوطنيين من أهل المغرب « فاتهمت زعماءهم وأهل الرأى فيهم بالسفه والغفلة والتخاذل والتهاون فى حقوق البلاد أو ما يشبه ذلك من أنواع التهم ». فهذا شىء مردُّه إلى ما كتبتُ لا إلى ما يقول به الأستاذ العلمى . والسفه والغفلة وما يشبه ذلك من أنواع التهم ! ! كلمات كبيرة لا يحلّ للأستاذ أن يدّعى أنى أردتها بغير برهان من نص كلامى الذى كتبته .

ثم كرر الأستاذ العلمى أن الذى جاء فى كلمتى إنما هى أشياء ألقيت إلى فحكيتها بلا تحقيق ولا روية ، أو ألقيت إلى فاعتقدتها كل الحقّ وأغفلت ما وراءها . وأظن أيضاً أن هذا شىء غير لائق به أن يقوله ، فضلا عن أن يكتبه . ولم أكن أظن أن الأستاذ العلمى يجترىء على أن يصفنى بأنى أذُن تصرفه عن الحق صداقة صديق أو عداوة عدو ، ولكنه فعل ، فلا أقل من أن أجزيه بالصفح عنه إكراماً لصديق الأستاذ محمد بن الحسن الوزّانى ، فهو رسوله وسفيره والنائب عنه .

ثم رأيت الأستاذ أكرمه الله يزعم أنى بما كتبت إنما كنت أحاول أن أحدث فى الائتلاف الوطنى المغربى « ثلمة » وأن ألقى حوله « بذرة من بذور الشقاق » . وهذا شىء كثير ، ولكنى أعود فأصفح عن الأستاذ ، لا لشىء إلا لأنى أترك الحكم فى هذا الأمر لمن يقرأ فيفهم ، وما أظن أحداً ممن يطلع على ما كتبت يستطيع أن يقول إنى « حاولت » هذا الذى زعمه الأستاذ .

ثم رأيت الأستاذ يقول : « ولعلى لا أكون فضولياً إن زعمت أن الذين ذكرهم الأستاذ شاكر من زعماء تونس والجزائر ليسوا معه على الرأى الذى نسب إليهم » ، وأنا لم أنسب إليهم شيئاً قالوه إلا قولهم « لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال » ، وليس يهمنى أن يكون الأستاذ العلمى فضولياً أو غير فضولى ، ولكن الذى يهمنى ويهمّ قراء الرسالة وسائر العرب والمسلمين هو أن الذى حكيت عن زعماء تونس والجزائر صحيح قد اتفقوا عليه وقيدوه بالكتابة كما جاء فى بيان سمو الأمير الجليل محمد بن عبد الكريم الخطابى الذى نشره فى صحيفة الأهرام . وقد جاء فيه أن الأمير أعزّه الله خابر جميع « رؤساء الأحزاب المغربية ومندوبيها » فاتفق رأيهم على تكوين « لجنة تحرير المغرب العربى » من كافة الأحزاب الاستقلالية فى كل من تونس والجزائر ومراكش على أساس مبادىء الميثاق التالى : ثم جاء فى نص هذا الميثاق « د — لا غاية يسمى لها قبل الاستقلال — هـ — لا مفاوضة مع المستعمر فى الجزئيات ضمن النظام الحاضر — و — لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال » وقد وقع هذا الميثاق جميع من ذكرتهم فى كلمتى ومن لم أذكرهم من رجال الأحزاب المغربية فى تونس والجزائر ومراكش ، ومن بينهم الأستاذ محمد العربى العلمى ، والأستاذ الناصر الكتانى نيابة عن حزب الشورى والاستقلال .

والعجيب الذى لا يقضى منه عجب هو أمر الأستاذ العلمى ، فقد كتبت كلمتى للرسالة بعد أن قرأت فى الأهرام (الاثنين ٥ يناير ١٩٤٨) تحت عنوان « محاولة جديدة للتوفيق بين فرنسا والمغرب » ، وقد جاء فى هذا النبأ ما نصه . « ويقول الحزب فى مذكرته إنه يعتزم تحقيق المطالب الوطنية وهى استقلال البلاد — فى نطاق وحدته الجغرافية والسياســـية ، وفى دائرة ملكية دستورية — من طريق المفاوضات ، والاتجاه بالمغرب فى مرحلة انتقال تسمح له بأن ينظم شئونه تنظيماً حراً وبأسرع الطرق إلى تحقيق سيادته التامة واستقلاله المضمونين بمعاهدة تحالف وصداقة تبرم فى ظل الحرية والمساواة بين المتحالفين . ويمكن تهيئة الجو السياسى الملائم لتحقيق ما تقدم ، بأن يعلن رسمياً باسم فرنسا حق الشعب المغربى فى تدبير شئونه فى وقت قريب ، وبأن تعتبر مصالح المغاربة ذات أسبقية فى بلادهم ، مع الصيانة التامة لسيادة البلاد واستقلالها الوطنى » .

هذا ما جاء فى المذكرة التى قدمها حزب الشورى والاستقلال

إلى الجنرال جوان المقيم الفرنسي ، وهو صريح في النص على تحقيق « استقلال البلاد من طريق المفاوضات » ، وهذا هو الذي دفعني إلى كتابة ما كتبت عن حزب الشورى والاستقلال، وهو الذي دفعني إلى أن أتوسل إلى الصديق محمد بن الحسن الوزاني « أن يفيء إلى ما فيه مرضاة الله ، وما فيه خير بلاده وخير أمته، وأن يدع فرنسا بشر النظرين ، لا يقربها إلا مقاتلا مجاهداً رافعاً باسم بلاده وحريتها وكرامتها واستقلالها » ، كما جاء في آخر كلامي . وقد تحدث الأستاذ العلمي إلى مندوب الأهرام بما يطابق هذا المبدأ ، بيد أني رأيته في اليوم الثاني يوقع على ميثاق لجنة التحرير الذي ينص نصاً صريحاً على أنه لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال . فهذا تناقض بين لا ينقضي منه العجب ، كما لا ينقضي عجب القارىء حين يقرأ كلمته في الرد علي فيراه يقول إني أزعم « أن زعماء تونس والجزائر في القاهرة يرون رأي علال الفاسي في القعود وعدم المفاوضة » ، ثم قوله إنه يؤكد لي « أن فكرة لا مفاوضة هذه إنما نشأت منذ قريب لا أجد داعياً لاشتغال قراء الرسالة بها » ، ومعنى ذلك أنه يرى أن عدم المفاوضة قعود عن الجهاد ، وأن كلمة « لا مفاوضة » كلمة مستحدثة لا عهد لحزب الاستقلال ولا لحزب الشورى والاستقلال بها ، ثم يختم مقاله بأن يؤكد لي بأنه « لن يدخل في أية مفاوضات إلا بعد إعلان الاستقلال » ! ! فهذا تناقض مُرٌّ شديد المرارة .

وأنا لا أكتب هذا لأرد على الأستاذ العلمي، فإن هذا التناقض العجيب المر الشديد المرارة ، جعلني أرى أن لا فائدة من الرد ، ولكني آثرت أن أعرض على القراء شيئاً كنت أخشى أن يفوتهم الاطلاع عليه ، وهم في حاجة إلى الاطلاع على مثله .

وأما ما جاء في كلامه من ذكر فلان وفلان من رجال المغرب، فلست أنبري ، ولا يحق لي أن أنبري ، للدفاع عنــه ، لأني كما قال الأستاذ : « غير متفطن إلى أني أتحدث عن بلاد لم أرها ، وليس لي من أسباب العلم بهــا وبأهلها إلا القليل أو ما دون القليل ! » .

بقي شيء واحد يشق على مثلي أن يرضى عنه ، وهو إقحام الأستاذ لأسد الريف الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في معرض هذا التناقض المر الشديد المرارة . فهذا البطل الذي نشأنا منذ الصغر ونحن نمجد اسمه ، ونسمو بأبصارنا إليه ، ونحوطه بقلوبنا وإيماننا ، ونجعله المثل الأعلى للعربي الأبي الذي لا يقبل ضيماً ولا يقيم على هوان ، هو نفسه الذي علمنا بفعله لا بلسانه أنه « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » . فقد هبَّ أسد الريف وانطلق يجاهد بالسيف ، وأبى أن يسلم للفرنسيس والإسبان شيئاً إلا سيفه بعد أن تقطعت أسباب الجهاد بالسيف ، وأعرض عن كل مهادنة بينه وبين الفرنسيس والإسبان ، واحتمل بلاء النفي والتعذيب صابراً راضياً مستعيناً بالله على أعدائه . أفلم يكن مما يرضي الفرنسيس والإسبان أن يهادنهم هذا الأسد ويفاوضهم ويأخذ منهم شيئاً ويسكت عن أشياء ؟ بلى ، لقد كان يرضيهم ولا شك ، ولكنه لم يفعل ، فمعنى ذلك كما فهمناه وكما فهمه الناس هو أن أسد الريف يرى رأياً واحداً هو أن « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » ، ولذلك احتمل ما احتمل ، وصبر صبر المؤمنين الذين لا يفتنهم عن الحق عذاب ولا نفي ولا تشريد. وإذا لم يكن الأستاذ العلمي قد فهم هذا من بطولة أسد الريف ، فليحدثنا إذن ماذا فهم ؟ وفيم كان صبر أسد الريف وبطل العرب على البلاء الغليظ عمراً طويلا تحيا فيه رجال وتموت رجال ؟ وفيم كان جهاده وقتاله واحتماله رؤية أبنائه وهم يسقطون في ميدان الوغى بين يديه ؟ أفعل كل ذلك ليفاوض ، فيأخذ شيئاً ويغضي عن أشياء ؟ حاشا لله .

أما الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني ، فأنا لم أرده بإساءة كما أراد الأستاذ العلمي أن يقول ، بل كان كل كلامي منصباً على المبدأ الذي جاء في المذكرة المرفوعة إلى المقيم الفرنسي الجنرال جوان ، وهو مبدأ المفاوضة في الاستقلال ، وهو مبدأ فاسد لن يسكت قلمي عن هدمه وتقويضه ، ولو قال به أعز الناس علي وأكرمهم في قلبي ، وهو عندي مذهب أقلية ، ولو قالت به أمة بأسرها . وسأبقى ما حييت أدعو الأمم التي ابتليت بالاستعمار إلى مبدأ واحد هو أن « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » ، فهو عندي مذهب أكثرية ، ولو لم يقل به إلا فرد واحد طريد شريد لا يجد في الأرض مكاناً يؤويه ، أو عشيرة تنصره ، أو أذناً تسمعه . وكل حزب يدعو إلى المفاوضة ، فهو عندي حزب بغير شعب ولو تبعته الجماهير المضللة ، وكل زعيم يدعو إليها فهو زعيم

في مستشفى الكلب

للأستاذ نقولا الحداد

قصدت بعد أن عضني الكلب إلى مستشفى الكلب المجاور للقصر العيني. وكان أول ما أنعش نفسي أن رأيت على باب المكتب الداخلي لوحة كُتب عليها ما مفاده: — أنشأ هذا المستشفى الدكتور محمد باشا شاهين لعهد وزارة دولة صدقي باشا، وقد افتتحه رسمياً المغفور له الملك فؤاد الأول في ابريل سنة ١٩٣٢. فقلت في نفسي: كم كانت لشاهين باشا غفر الله له من مآثر جمام في مصلحة الصحة قبل أن صارت وزارة! وكان أول وزير لها، ثم توفاه الله إلى جواره بعد بضعة أسابيع مأسوفاً عليه. (أقول هذا لأني كنت على صلة صداقة خالصة به كل حياته. وكنت أذيع مآثره في الجرائد والمجلات كما يعلم كثيرون من أصدقائه وأصدقائي)

قدمت نفسي إلى مدير المستشفى؛ وكم كانت دهشتي عظيمة حين علمت أن هذا المدير هو الدكتور إبراهيم بك شاهين نجل المغفور له مؤسس هذا المستشفى. وعجبت أن ملامحه الرضية وسماحة محياه ووداعته استظهرت في مخيلتي صورة أبيه محمد باشا — سبحان من خلق وسوّى.

وكان الدكتور إبراهيم يتوقع قدومي لأني رأيت أن نبأ عقر الكلب لي قد سبقني إلى المستشفى وسُجل في سجل «الحجاج» إليه. ورأيت فيه اسمي وعنواني وحادث الكلب نفسه الذي عقرني. فعجبت من هذه العناية والتدقيق في تناول المعلومات عن حوادث الكلب من مستشفى الكلاب في العباسية تلفونياً كل يوم. فقلت له: «هب أني لم آت إليكم للعلاج» قال «نطلبك أولا وثانياً فإن لم تأت كان ذنبك على جنبك»

قلت: وهب إني لم آت لظني أن الكلب سليم ثم ظهرت عليّ الأعراض، أفلا يخشى أن أعدى أحداً؟ قال: نعم يحتمل أن يتلوث شخص آخر بلعابك فيصاب. فقلت: وهل يجدى العلاج حينئذ؟ قال كلا. لا يجدى علاج بعد ظهور الأعراض. وما جنت إلا على نفسها براقش. ولكن ما من أحد اشتبه بعقر الكلب إياه إلا أسرع إلى المستشفى إذا لم يكن غبياً. وستزعج قليلا من الحقن بالمصل كل يوم مدة ١٥ يوماً. قلت أليس العذاب في سبيل الحياة خيراً من العذاب في سبيل الهلاك، العذاب الذي لا يطاق والذي لا يرجى منه إلا الموت.

بغير شعب، وإن استطاع أن يجمع الألوف تصرخ من ورائه مؤيدة وناصرة. وقد كتبت هذا مرات في قضية مصر والسودان، وفي قضية العراق، وفي قضية الهند. فكل ما جاء في كلامي عن حزب الشورى والاستقلال، فهو مبني على هذا الأصل، وأظن أن الأستاذ الوزاني يعرف هذا مما قرأه من كلامي منذ قديم، وأظن أنه فهم من كلامي عنه غير الذي فهم الأستاذ العلمي، وأظن أنه لم يغضب حين قرأ ما كتبت مثل الغضب الذي احتمل الأستاذ العلمي حتى كتب ما كتب، مما كان ينبغي أن ينزه عنه قلمه البليغ الجريء.

وأنا أختم هذه الكلمة بأن أدعو صديقي محمد بن الحسن الوزاني إلى صراط الحق، إلى أن «لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال»، وأتوسل إليه مرة أخرى أن ينسى نفسه، وأن يملأ قلبه إيماناً بالحق الأعظم، وهو حق شعبه وبلاده في الاستقلال والحرية والكرامة، ذلك الحق الذي لا يتجزأ ولا يقبل مفاوضة ولا مهادنة، وأدعوه إلى الجهاد الشديد في سبيل هذا الحق الذي لا تستطيع فرنسا ولا إسبانيا ولا بريطانيا ولا الدنيا كلها مجتمعة أن تمحو منه شيئاً أو تغير منه قليلا أو كثيراً.

أيها الزعماء، كونوا يداً واحدة، ولتكن دعوتكم واحدة، واصبروا في جهادكم، ولا تفاوضوا عدوكم في حق شعوبكم، ولا تخاذلوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا فتذهب ريحكم، واعلموا أن المفاوضة ليست سوى ملل من طول الجهاد ومشقته، وأن الملل من كواذب الأخلاق، وأن الزعيم لا يكون زعيماً إلا بأخلاقه، وقوام أخلاقه الصدق في كل شيء — في العداوة والصداقة، وفي الحب والبغض، وفي الرضى والغضب. سدد الله خطاكم، ومهد لكم سبيل الهدى، وطهر قلوبكم من كل كذب لا خير فيه.

محمود محمد شاكر

وجعلت أتردد كل يوم فى الميعاد المعين ١٥ يوماً إلى أن أمنت الداء وحصلت على مناعة سنة كاملة . وعلمت أن ذلك الكلب التعس نفق فى اليوم الثانى فى المستشفى .

قلت يوماً لمدير المكتب ، إن هذا المستشفى نعمة عظيمة للناس لا تقدَّر بمقدار . قال : ليت الناس كلهم يعرفون هذا . نأتى بكثير منهم بالوعد أو بالوعيد لكى نعالجهم مجاناً لوجه الله فلا يلبثون أن يهربوا . والذين يُجاء بهم من الأرياف ينزلون فى المستشفى فيعالجون من جراحهم ويحقنون بالمصل ويأكلون ويشربون وينامون مجاناً ومع ذلك لا يرضون !

قال لى أحد أطباء المستشفى وهو الدكتور عزمى توفيق إن فى المستشفى نحو ١٧٠ سريراً فى طابقين من البناء ، وإذا زاد عدد المصابين على عدد الأسرَّة دبرناهم بالتى هى أحسن . فنضع الطفل منهم مع شخص آخر فى سرير كبير مثلا ، وقد يكون عندنا فى وقت واحد نحو ٢٢٠ مصاباً أو أكثر . ومن كان له أقارب فى القاهرة ينزل عندهم ويتردد على المستشفى فيبقى محله لغيره .

قد يدهش القارىء إذا علم أن هذا المستشفى يعالج أكثر من عشرة آلاف مصاب فى السنة يعطيهم فيها نحو ١٥٠ ألف حقنة من اللقاح الذى يحضر فى المستشفى عدا معالجة الجراح . لا تكون الإصابات من عضة كلب فقط ، بل تكون من الحيوانات الأخرى كالحمار أو الجمل أو الحصان أو الدجاج . لأن هذه تسعر كالكلاب ويعدى بعضها بعضاً وتعدى الإنسان ، فإذا عقر الحيوان الكبير إنساناً فقد يكسر ساقه أو يسحق ذراعه أو كتفه . وهذه الجروح تستغرق وقتاً طويلا وعلاجاً متواصلا فضلا عن الحقن بالمصل .

والمصل يحضر فى معمل المستشفى فيُستعمل طازجاً فى اليوم الثالث من تحضيره النهائى . ويحضر اللقاح من مخ الأرنب أو دماغه . ويمكن أن يحضر من مخ أى حيوان مصاب . ولكن الأرنب أرخص الحيوانات ثمناً وأسهلها مراساً . ويستعمل لهذا الغرض كل يوم نحو ٥٠ أرنباً تقريباً يقدمها متعهدون للمستشفى .

وأما كيفية تحضير المصل فدراسة فكهة ، وهى أن تجرح جلدة قة رأس الأرنب جرحاً بقدر سنتيمترين وتقلب إلى الجانبين ليظهر من الجمجمة قدر القرش الصغير . ثم تثقب الجمجمة ثقباً صغيراً ، ثم يحقن النخاع بنقطة من سائل فيه ميكروب الكلب ، ثم يضمد الجرح ويعاد الأرنب إلى مأواه . وفى اليوم الرابع أو الخامس تظهر عليه أعراض الداء . يبدأ بشلل فى قوادمه ، ثم تتزايد الأعراض بضعة أيام إلى أن يدنو الموت فيذبح الأرنب ويؤخذ نخاع رأسه لتحضير المصل منه .

وبينما كانت هذه العملية تعمل أمامى قلت : مسكين هذا الأرنب ! ما ذنبه حتى تثقب جمجمته لكى تزرع فى دماغه جرثومة الكلب ثم يقاسى آلام الداء وأخيراً يُقتل .

فقال الدكتور عزمى توفيق الذى كان يربى سلسلة عمليات المصل : حقاً إنه لظلم . ولكن إذا علمت أن هذا الأرنب يفدى ثلاثة أو أربعة من المصابين بهذا الداء المقام لا يعود يصعب عليك أن يؤلم أرنب لكى يوقى أربعة أشخاص من آلام لا تطاق . ويظن أن الأرنب أقل إحساساً من الإنسان بالآلام .

يوضع خمسون جراماً من نخاع الأرانب فى هاون وتدهس دهساً شديداً حتى تصبح كالعجينة الرخوة . ثم تمرث بواسطة شاشة سميكة فى محلول من الملح النقى ٧ بالألف ، وعشرة بالألف من الفنبول . تمرث مرثاً دقيقاً حتى تخرج من الشاشة مستحلباً دقيقاً جداً ليس فيه كتل البتة ، ثم يصب فى زجاجة خاصة بسعة لتر وتكمل الزجاجة من المحلول الملحى نفسه . بعد ذلك تودع الزجاجات فى ثلاجة مدة ٢٤ ساعة . وفى أثناء ذلك تفحص « عيِّنة » منها فحصاً بكتيريولوجياً لئلا يكون قد تطرق إليها مكروب آخر أجنبى . ومتى ثبت أن ليس فيها مكروب ولا جراثيم حية يصبح المصل صالحاً للاستعمال .

قال الدكتور عزمى : ولكن فى جميع عملياتنا لم نجد المصل ولا مرة ملوثاً بأى مكروب . على أن عملية الفحص البكتيريولوجى لابد منها للاطمئنان على سلامة من نعالجهم .

فى هذا المصل مادة مولدة من نمو المكروب فى مخ الأرنب تسمى أنتيجن Antigen . هذه المادة تولد فى جسم الشخص المحقون مادة أخرى تسمى « ضد الجسيمات » Antibodies . ولها وظيفتان : الأولى أنها تتلف المادة السامة التى تولدت من مكروب الكلب بأنها تتحد معها فتتكتلان أو ترسبان ، وفى كلتا الحالتين تبطل قوتهما السامة والثانية أنها تحرض كريات الدم البيض على

التهام المكروب ، أو بالأحرى أنها تهيىء المكروب أو تطبخه ليكون غذاء لهذه الكريات التى تعتبر جنود الجسم المدافعة عنه فى مدة العلاج التى تتراوح بين عشرة وعشرين يوماً حسبما يتراءى للطبيب من ظروف الإصابة ، يهلك الميكروب وينعدم سمه وينجو المصاب من العذاب والموت ، وقاك الله .

مكروب الكلب لا يرى تحت المكروسكوب ولا تمنعه مصفاة باستور Bastour Filter ويقدر حجمه بنحو $\frac{1}{\cdot\cdot\cdot ١}$ من المليمتر فتأمل : ذرة لا ترى بمجهر (ميكروسكوب) ولا تفرز بمصفاة تفعل هذا الفعل الفظيع بهذا الإنسان الجبار ! تالله ما أضعف هذا الإنسان تجاه أحقر المخلوقات . فحتى متى هذه النفخة يا إنسان ! إن جرثومة صغيرة جداً كجرثومة الكلب أو الكولرا أو الملاريا تبيد من البشر إذا لم تتق أكثر مما تبيد القنبلة الذرية .

ليس فى القطر المصرى غير هذا المستشفى للكلب . وإنما توجد وحدة صغيرة فى الاسكندرية بإدارة الهلال الأحمر . وقد تقرر أن تتخذها وزارة الصحة وتجعلها مستشفى تاماً تحت إدارة مستشفى القاهرة . وسينشأ أيضاً مستشفى آخر فى أسيوط أو فى الأقصر ، وآخر فى بور سعيد أو السويس ويكونان بإدارة مستشفى القاهرة — فألف شكر للحكومة الجليلة !

وكنت أود أن أعيذ القارىء من تصديع خاطره بوصف أعراض هذا الداء الخبيث لولا أن البحث يبقى ناقصاً . فأوجز الوصف ما أمكن لكى يعرف الجمهور خطر هذا الداء المقام ويتخذ الحذر الشديد من التعرض له وتعريض الآخرين . وعند أقل شبهة فى كلب أو حيوان يجب أن يعرض الحيوان على الطبيب البيطرى ، والطبيب يضمه تحت المراقبة حتى إذا اشتدت الشبهة أعدمه .

ومن نكد الدنيا أن هذا المكروب اللئيم لا يتبوأ عرشه إلا فى دماغ فريسته ، فيجعل جميع الجهاز العصبى تحت سلطانه . وهذا هو سر ما ينجم عنه من الآلام ؛ لأن الجهاز العصبى مصدر اللذة والألم . وتكون العدوى بعقر المخلوق المعدى إنساناً أو حيوانا أو تلويث أى غشاء مخاطى فيه كالفم أو أى جرح أو خمش أو سحج بلعاب الحيوان المسعر (المسعور) . وفى بحر أسبوع إلى أسبوعين تظهر الأعراض وأحياناً نادرة تتأخر شهراً أو أشهراً

فى الإنسان تبتدىء الأعراض بهبوط عقلى وخوف شديد وهلع وترديد الكلام اللغو . ثم الهياج العصبى والاضطراب الجسدى . ثم تفقد الشهية للطعام ويستمر الأرق والصداع والشعور بحالا يطاق من الاضطراب الفظيع .

ثم يتعذر الازدراد بسبب شلل الحلقوم والبلعوم إلى أن يستحيل البلع ، فيكره المصاب السوائل ويخاف منها وينزعج من رؤية الماء ومن سماع خريره من صنبور . ويصبح حساساً جداً لكل باعث خارجى أو حركة أو صوت أو منظر .

ثم يتشنج ويتلوى ويمتد الشلل إلى أطرافه وأحياناً يشخر وينخر فيحسبه الشاهدون نابحاً أو عاوياً . وأحياناً يعض أى شىء ، ولكن لا يلبث أن يرتخى فكه الأسفل ويتدلى ، ويمتلىء فمه لعاباً كثيفاً لزجاً لا يستطيع أن ينفثه أو يبتلعه ، وبالطبع يشتد عطشه ، ولكنه لا يستطيع الشرب ولا المضغ ؛ وتطرأ عليه حمى عالية . ومتى بلغت هذه الأعراض أشدها تضعضع العقل وذهب الوجدان وأشرف المصاب على الموت الساعة بعد الساعة .

ولو كان فقد الوجدان يبتدىء مع الأعراض لكان المصاب قليل الشعور بالألم ثم عديمه . ولكن واأسفاه يبقى واعياً شاعراً متعذباً إلى أن يقترب ملاك الموت . وقد تدوم هذه الأعراض يومين أو ثلاثة أو أكثر قبل أن يرحمه الله ويريحه من هذا الجحيم بسل روحه من جسده — اللهم رفقاً بعبادك — ترى لو أعطى المصاب جرعات من المورفين فى العضل أما تخفف عنه هذه الآلام ؟

أما وقد عرف القراء عذاب هذا الداء وعجز أى دواء عن تخفيف آلامه أو عن شفائه ، أفلا يجدر بهم أن يأخذوا حذرهم من كلابهم المحبوبة ومن اختلاطها بكلاب أخرى ؛ أو ما يجب عليهم أن يقضوا عليها فى الحال بلا شفقة ولا أسف إذا ظهرت بعض الأعراض للطبيب البيطرى سواء كانت الأعراض مشككة أو مؤكدة لئلا يقع البلاء فى الأهل ؟ أو ما عليهم إذا لامسهم لعاب الكلب المصاب أن يسرعوا إلى هذا المستشفى الكريم لاتقاء المرض ؟

نقولا الحداد

في مراكش :

ذكرى الجهاد الوطني

للأستاذ عبد الكريم غلاب

تستقبل مراكش ذكرى جهادها الوطني وهي أشد ما تكون حماسة وأقوى ما تكون إيماناً بعدالة قضيتها ، وأحقيتها في أن تنال حريتها واستقلالها ، كاملا ناجزاً ، غير مشروط بقيود ، ولا مغلل بأغلال .

وتستعرض الأمة المراكشية في هذه الذكرى السنوات الأربع التي مرت منذ أن قدمت « وثيقة الاستقلال » في ١١ يناير من سنة ١٩٤٤ فتجدها حافلة بالكفاح المجيد من أجل حرية الوطن واستقلاله .

وتتلفت حول نفسها لترى ما قطعته من أشواط في سبيل هذا الكفاح فتجد نفسها وقد تقدمت قضيتها إلى الأمام ، حتى أصبحت من القضايا العربية الهامة في المحيط العربي ، والمحيط الدولي . كما أصبح مركزها في داخل البلاد أقوى من أن تقف فرنسا أمامه مكتوفة اليدين، تنظر إلى نفوذها يتحطم، ثم يتقلص ثم يصبح مهدداً بالزوال بين غمضة عين وانتباهتها .

أليس في ذلك كله ما يجعل مراكش تستقبل هذه الذكرى وقد تضاعف إيمانها بأن الحق سيتغلب وإن اعوزته القوة المادية ؛ وسينتصر وإن تغلبت عليه قوة الشر وطغيان الرجعية الاستعمارية، وتجمد عقلية المسيطرين على هذه البلاد .

لقد كانت الأمة المراكشية تكافح في صمت ، وتناضل في شجاعة ، وسيف المعتدين مصلت فوق رؤوس الأحرار ، وسياط الرجعيين تلهب ظهورهم، وأبواب السجون مفتحة في وجوههم ، والمنافي السحيقة ممدة لاستقبالهم ، والعالم كله في غفلة عما يجرى في هذه البلاد النائية من ظلم واضطهاد وقتل وتشريد ، وأبواق المعتدين تبشر العالم بما قدموه للانسانية وللحضارة البشرية وللديانة الإسلامية من خير وبركة في هذا البلد الذي أسعده الحظ فوقع تحت سيطرتهم ، وشملوه برعايتهم وحمايتهم .

ولكن مراكش الحية المكافحة تحدت كل هذه القوى — والحرب مشتعلة الأوار — وأعلنت عن مطالبها بالاستقلال التام ، واتحدت كلمة أبنائها حول هذه الغاية . فكانت الدهشة التي غمرت الفرنسيين ، وكان الانتقام الذي دفعتهم إليه جراحهم الدامية التي سببتها الهزيمة المنكرة . وكانت مدافعهم وعتادهم الحربي وجيوشهم — البيض منهم والسود — في خدمة الطغيان المنتقم ، وكانت المجازر البشرية الكبرى التي شهدتها فاس وسلا والرباط وغيرها من المدن والقرى المراكشية .

ولكن ذلك كله لم يكن غير وقود ألهب عزيمة المراكشيين وقوى إيمانهم . وكانت محنة امتحن بها صبر هذه الأمة المجاهدة المكافحة فاجتازت الامتحان وخرجت منه وهي أصلب عوداً وأقوى شكيمة وأشد مراساً .

ولم تكن المحنة التي ابتليت بها الأمة المراكشية محنة الشعب وحده ، ولكن جلالة ملكها الشاب كان أول من خفق قلبه لما يبيته الفرنسيون لشعبه ؛ فأعلن تأييده لوثيقة الاستقلال ، ووقف مع أمته يكافح لتحقيق الحرية والاستقلال ، ويتزعم الحركة بنفسه ، فيدفع عنها الأذى ، ويلتف الشعب من حوله فيعلن رئيسه الأعلى إرادة أمته في شجاعة وعزم وإيمان ، على رغم ما تعرض له جلالته من تهديد ، وما حف حول العرش العلوى من أخطار . ولكنه الإيمان — الذي امتلأ به قلبه الكبير — بحق بلاده في الحياة الحرة الكريمة دفع به إلى الميدان ، حيث واصل جلالته الكفاح إلى أن زار مدينة « طنجة » لا ليؤكد وحدة مراكش فحسب ، ولا ليتصل بشعبه في شمال البلاد فقط ؛ ولكن ليعلن للعالم كله أيضاً أن مراكش تريد أن تستقل ، وأنها بلاد عربية مسلمة سترتبط مصيرها بالبلاد العربية في الشرق ، وستعمل جاهدة على أن تنال حريتها وتحافظ على استقلالها . وبذلك تزعم المليك المحبوب الفكرة الاستقلالية . ويكفي أن يتزعم المليك الحركة لنضمن لها وسائل النجاح ولتسير على هدى وبصيرة إلى الغاية المقصودة .

وهكذا كانت الأمة المراكشية بزعامة ملكها تطلب شيئاً واحداً ، وتسمى لغاية واحدة ، هي الاستقلال التام الناجز . واليوم ومراكش تحيي ذكرى جهادها ، وتستعيد مراحل

هذا الجهاد أثناء السنين الماضية ، لتبتهج بما آلت إليه القضية المراكشية بعد هذا الكفاح الصادق الذى يقوم به أبناؤها المخلصون داخل البلاد وخارجها ، تحت راية الوطنى الأول جلالة الملك محمد الخامس . فقد كان من فضل هذا الجهاد أن آمن الشعب المراكشى بأن حياته لن تستقيم ما دام الأجنبى يسيطر على موارد هذه الحياة ، ويخنق فيها الحيوية المتدفقة ، ويميت فيها الشعور الحى . وكان من ذلك أن جند الشعب نفسه لمكافحة هذا الطغيان الأجنبى الذى يتشبث بأذيال مراكش تشبث الحريص ولمناهضة وسائله التى يتخذها حتى فشلت كلها ؛ برغم تغيير المشرفين عليها ، وبرغم الخطط التى اتبعها هؤلاء المشرفون وما أحاطوا به مشروعاتهم من ضمانات النجاح . ولأول مرة فى مراكش شعر الفرنسيون بأنهم فى حاجة إلى أساليب جديدة لمواجهة الشعور الوطنى ولمقاومة الفكرة الاستقلالية التى تمكنت من قلوب الشعب ، فأصبحت خطراً على كيانهم ووجودهم فى مراكش . ومن ثم بدأ المقيم العام يفكر فى تغيير معاهدة الحماية لا لتتخلص منها البلاد ، ولكن ليستطيع أن يحكم وهو فى حل من أية معاهدة تقيده ، ومن أية سلطة تعطيها هذه المعاهدة للملك ، وذلك هو الذى أوحى إليه بفكرة « فترة الانتقال » الذى وضع مشروعه الجديد على أساسها . وهكذا يحلم المقيم أن يحكم مراكش وقد تخلص من القيود التى تتمثل فى سلطة الملك العليا . ولكن الشعور القومى فى البلاد قد تنبه إلى هذه الألاعيب وأعلن (حزب الاستقلال) على لسان الشعب أن « لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال » وبذلك سقط المشروع الجديد الذى أراد المقيم الفرنسى أن يحكم البلاد على أساسه . وكانت الضربة القاضية التى ذهبت بالمشروع وأصحابه مذكرة جلالة الملك إلى رئيس الجمهورية الفرنسية التى أذيع خبرها أخيراً ، وارتجت لها الدوائر الفرنسية ؛ فقد شعر جلالة الملك بأن المقيم يريد أن يلعب لعبة يقضى بها على ما بقى لمراكش من كيان ، فأرسل جلالته مذكرته هذه يحتج على تصرفات المقيم ويؤكد مطالبته باستقلال بلاده . وهكذا تنهار السياسة الفرنسية فى مراكش أمام عزم المليك ، ويقظة الشعب ، وحرص الأمة على استقلالها التام الناجز .

وكان من فضل هذا الجهاد الوطنى أيضاً أن أصبحت قضية مراكش قضية البلاد العربية كلها ، وأصبح لها دوى فى الشرق العربى وفى أوربا وأمريكا . فقد كان الاستعمار من قبل يقوم باعتداءاته الصارخة دون أن يسمع لهذه البلاد صوت ، ودون أن يتردد صدى أنينها فى خارج البلاد ، وذلك بفضل النطاق الحديدى الذى ضربته فرنسا على بلاد المغرب العربى حتى تمكنت من كبت كل صوت يرتفع ، والقضاء على كل حركة تحررية . ولكن الحركة الاستقلالية فى المغرب العربى أخذت عدتها هذه المرة فأصبح لها مكاتب عدة فى الشرق العربى وفى أوربا وأمريكا . وقامت هذه المكاتب بفضح أعمال الاستعمار الفرنسى ، فأصبح صوتها مدوياً فى البلاد العربية ، وربطت قضية مراكش بالقضايا التى تكافح الجامعة من أجلها ، وأصبح صوتها أيضاً فى أوربا وأمريكا مسموعاً . وبذلك استحال على الإدارة الفرنسية أن تقضى على الحركة الاستقلالية ، أو أن تخلق فى البلاد اتجاهاً يرمى إلى الإصلاح بدل الاستقلال ، دون أن تثير عليها الأمة العربية جمعاء ودون أن يتردد صدى ذلك فى العالم كله .

وكان هذا سبباً فى انهيار المشروعات الاستعمارية التى طالما بيتتها الإدارة الفرنسية لبلاد المغرب العربى .

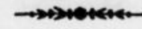
وهكذا أخذت الحركة الاستقلالية فى مراكش تضرب نطاقاً من حديد على الاستعمار الفرنسى فتحطم صروحه واحداً بعد الآخر ، وتعد البلاد المراكشية لتحمل أعباء الاستقلال والتحرر من طغيان الرجعية الاستعمارية .

وتحل ذكرى الجهاد الوطنى اليوم والمراكشيون منهمكون فى كفاحهم ، يقودهم ويبارك حركتهم مليكهم الذى تزعم الحركة الاستقلالية فدفع بها إلى الأمام ورسم خطتها ، فأصبحت تهدف إلى غاية واحدة

عبد الكريم غلاب

فاس عاصمة الأدارسة

للأستاذ مصطفى بعيو الطرابلسي



بقيام الخلافة العباسية تبدأ صفحة جديدة فى تاريخ العلويين تختلف تمام الاختلاف عما ألفناه فى عهد بنى أمية ؛ فهم فى هذه المرة يلجأون إلى وسيلة جديدة لمناهضة أعدائهم وتحقيق أغراضهم هذه الطريقة الجديدة هى الانتشار فى الأقطار الإسلامية بعيداً عن العاصمة وعيون الخلافة ومحاولة إنشاء خلافة علوية .

وربما كان العلويون فى ذلك قد اهتدوا بهدى العباسيين عندما بعثوا بدعاتهم الى البلاد الشرقية ولا سيما خراسان حيث نمت دعوتهم وترعرعت . وإذا كانت الخلافة العباسية قد وجدت من الظروف والملابسات ماساعدها على القيام فى المشرق فإن العلويين قد وجدوا فى بلاد المغرب ظروفاً أخرى مشابهة ساعدتهم على تحقيق أغراضهم؛ فهى بعيدة عن مركز الخلافة بعداً كافياً يساعدهم على العمل والحركة بالإضافة إلى ما كان يسود تلك الجهات من تذمر بين اهلها الذين رأوا الغبن ينزل بهم رغم ما أبدوه من مساعدة فعالة للعرب فى فتوحاتهم فى أسبانيا ، ولكنهم لم يقاسموهم الأغنام بل ولم يخفف الولاة ما كانوا يفرضونه عليهم من ضرائب . وبجانب هذا كله كانت النزعة الاستقلالية عند البربر فى شمال أفريقية ما زالت متحفزة تتحين الفرص لإظهار نفسها . وقد عانى العرب الكثير من جراء ذلك فى سبيل إخضاع هذا الإقليم . لذلك كان أهله على استعداد للترحيب بأى داع للخروج على الخلافة العباسية فى بغداد ، وهذا ما نستطيع أن نملل به انتشار مذهب الخوارج هناك وبالتالى المذهب الشيعى .

أما متى وكيف وصل الأدارسة إلى المغرب الأقصى وكيف استطاعوا إنشاء دولتهم هناك فهذا ما يمكن تلخيصه فى السطور التالية .

على أثر فشل الحركة التى قام بها الحسين بن على بن الحسن المثلث فى عهد الخليفة الهادى تفرق أتباعه ومن بينهم عمه إدريس ابن عبد الله الكامل الذى فر إلى مصر بصحبة مولاه وأمينه راشد ابن مرشد الزبيدى ومنها إلى شمال أفريقية بمساعدة الواضح صاحب بريد مصر الذى كان يبطن العقيدة الشيعية . وهناك أخذ يتنقل بين مدن المغرب الأقصى حتى انتهى به المطاف فى مدينة وليلى حيث أكرمه أميرها إسحاق بن محمد زعيم قبيلة أوربة البربرية وأكثرها عدداً (١) .

ولما علم إسحاق بحقيقة أمره وتأكد من صحة نسبه تنازل له عن إمارته وطلب من قبيلته وبقية القبائل الأخرى مبايعته فأجيب إلى طلبه .

وهنا يحق لنا أن نتساءل هل فعل إسحاق ذلك لاعتقاده أحقية إدريس فى الإمارة دونه فأقدم على هذه التضحية فى سبيل مبدئه ، أم فعل ذلك لأغراض سياسية ؟ ربما كان السبب الثانى أقوى للأخذ به ؛ ذلك أن مظهر التضحية فى سبيل العقيدة يتنافى مع ما كان عليه هذا الأمير من اعتناق لمذهب الخوارج فى أول الأمر ثم تحوله إلى المذهب الشيعى . والواقع أن هذا الأمير أراد بسلوكه هذا أن يكسب لقومه أكثر مما خسر؛ فهو يأمل أن تقام هناك دولة فى شمال أفريقية يكون له فيها ولأتباعه من البربر نفوذ كبير بعد أن يئسوا من إنصاف العرب لهم. فكأنهم كانوا يرمون إلى إنشاء دولة يكونون فيها العماد الرئيسى كما كان للفرس النفوذ الأكبر فى العصر الأول للدولة العباسية . ويمكننا أيضاً تعليل هذا النجاح الذى صادفه إدريس فى أول أمره بأنه كان قد اصطحب معه مولاه راشد بن مرشد الزبيدى وهو على ما قيل (٢) بربرى الأصل أسر أبوه فى إحدى غزوات موسى بن نصير ، فلما رجع مع ادريس إلى موطنه الأصلى كان خير مساعد له على بسط نفوذه هناك . هذا إلى ما كان عليه إدريس من ذكاء خارق وحسن سياسة ؛ يتجلى لنا ذلك عندما أراد أن يشغل أتباعه حتى يضمن ولاءهم له ، فخرج غازياً ناشراً الدين الإسلامى فى البقاع المجاورة التى لم ينتشر فيها بعد .

هكذا وضع إدريس النواة الأولى لدولة الأدارسة فى مدينة وليلى ، واستطاع أن يكتسب صداقة الحكم بن هشام أمير

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج ١ ص ٦٨ : السلاوى

(٢) الدرر السنية فى أخبار السلالة الإدريسية ص ٤٣ : السيد محمد السنوسي الأدريسي

الأندلس الذى أرسل إليه وفداً يهنئه بالإمارة الجديدة ويطلب إليه التحالف على من يناوئهما ؛ فقابل الوفد بالحفاوة والإجلال . ولا شك أن الأغراض السياسية هى التى وحدت بينهما وقاربت بين نظريهما .

خاف الرشيد استفحال خطر إدريس بالمغرب الأقصى فسمى للتخلص منه ؛ ولـكن كيف السبيل إلى ذلك وهو على بعد لا يساعده على إرسال الجيوش للقضاء عليه ؟ استشار فى ذلك يحيى بن خالد البرمكى فأشار عليه بإرسال من يستطيع قتله فلاقيت هذه الفكرة قبولا فى نفس الرشيد فعول على تنفيذها . وإذا كانت الروايات قد اختلفت فى طريقة دس السم لإدريس ، وهل أرسل إليه الرشيد مباشرة شخصاً لتنفيذ ذلك أو كلف إبراهيم بن الأغلب لإرسال من يقوم بهذه المهمة فإنها قد أجمعت كلها على وفاة إدريس مسموماً

وعلى أى حال لم ينقرض حكم الأدارسة بموت ادريس الأول على رغم أنه لم يترك من يخلفه ، وربما كان ذلك راجعاً لإخلاص البربر وحسن تدبير راشد السابق الذكر الذى استطاع أن يقنعهم بضرورة الانتظار حتى تضع كنزة جارية ادريس البربرية طفلها فإن كان ذكراً بايعوه ، وإن كان أنثى أجمعوا رأيهم على من ينتخبونه . وتحقق الأمر ووضعت كنزة طفلا هو ادريس الثانى الذى قضى عصر الوصاية كله فى فتن لما كان يظهره إبراهيم بن الأغلب من تحرش بأتباعه . ولما كبر ذاع اسمه وأتته الوفود من سائر البلاد . وكان ممن وفد عليه خمسمائة فارس من أفريقية والأندلس من القيسية والأزد والخزرج ومدلج وبنى يحصب . فأكرم الإمام وفادتهم وأجزل صلاتهم وقربهم ورفعهم وجعلهم بطانته دون البربر . وربما كان هذا راجعاً إلى أنه كان يرى نفسه وحيداً بين البربر . ولـكن الأمر ما لبث أن تطور إلى تفضيلهم علانية على البربر الذين انقلب عليهم فاستوزر رجلا من العرب هو عمير بن مصعب الأزدى بدل إسحاق بن محمد الذى أنزل به غضبه فقتله رغم ما أداه لوالده من جلائل الأعمال بحجة موالاته لإبراهيم ابن الأغلب . وربما كان إدريس فى عمله هذا غير محق ؛ فهو قد اعتمد على البربر وتأييدهم ولولاهم ما وصل أبوه ولا هو من بعده إلى هذا المركز . ثم هو أيضاً يمت بصلة القربى إلى القبائل البربرية من جهة أمه ، فتمرده عليه مظهر إن دل على شىء فهو يدل على حب التحرر من القيود والشعور بالخوف من البربر ؛ وليس هذا بغريب فى تاريخ قيام البيوت الإسلامية ؛ فالخلافة العباسية فى أول قيامها اعتمدت على العنصر الفارسى حتى إذا ما وثقت من نجاحها انقلبت عليه . وكذلك الحال فى الخلافة الفاطمية ؛ فالعوامل السياسية والأهواء الشخصية تتحكم كثيراً فى مجرى الحوادث التاريخية .

ولما رأى ادريس الثانى أن الأمر قد استقام له ، وأن مدينة وليلى لم تعد صالحة لأن تكون عاصمة لدولته عزم على الانتقال منها إلى مدينة يقوم بتخطيطها فيسكنها هو وخاصته و جنوده ووجوه أهل بيته. وربما كان ادريس فى بنائه لهذه المدينة الجديدة وأعنى بها مدينة فاس مدفوعاً بعامل آخر هو ما اعتدنا ملاحظته عند قيام أى خلافة أو دولة إسلامية جديدة حتى يكون التجديد عاماً شاملا. واختيار العواصم الجديدة ليس من الأمور السهلة ؛ فهو يحتاج إلى دراسة وخبرة بالأمكنة المختارة حتى تؤدى العاصمة الغرض من إنشائها

وقع بصره على جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه فأمر ببناء العاصمة فى سفحه . وبدأ العمل بسورها ، ولـكن ما لبث أن انحدر سيل من أعلى الجبل فهدم ما كان قد بناه من السور وحمل معه ما كان حوله من خيام العرب ، فاضطر أن يرحل عن هذا المكان فانتقل إلى وادى سبوا فأعجبه المكان ولـكنه خاف كثرة مياهه حتى لا تتكرر الحوادث . وأخيراً ترك أمر اختيار مكان عاصمته الجديدة لوزيره عمير بن مصعب الذى وفق كل التوفيق .

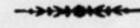
ذلك أن عميرا قد استمر يختبر البقاع حتى انتهى به المطاف إلى العيون التى ينبع منها نهر فاس ، فلفت نظره كثرة عددها وقد سالت مياهها فسار مع مسيل الوادى حتى وصل إلى موضع مدينة فاس فأعجبه المكان إذ هو فى وسط منبسط يفصل تلال الساحل عن جبال الأطلس الكبرى ، وعلى الطريق الرئيسى الذى يمر بهضاب الأطلس، وحيث تلتقى أهم طرق مراكش البرية ، وحيث يبدأ المخرج النهرى لهذه الناحية وأعنى به نهر سبوا الذى يصب فى المحيط الأطلسى والذى يعتبر أكبر أنهار مراكش . نظر عمير إلى ما بين الجبلين فإذا غيضة ملتفة الأشجار بها خيام من شعر لقبائل من زناتة يعرفون بزواغة وبنى يزغة فرجع إلى مولاه وأخبره بنتيجة بحثه فتفاءل إدريس باسم مالك هذه الجهة عندما عرف أنها ملك لقوم من زواغة يعرفون ببنى الخير فاشتراها منهم

(البقية فى العدد القادم)

مصطفى بعيو الطرابلسى
ليسانيه فى الآداب من جامعة فاروق الأول

معـــــاني الفلسفة

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى



تفضل صديق الأديب الشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فكتب عن كتاب « معانى الفلسفة » كلمة ، فلا يسعنى إلا أن أشكره على ذلك ، فقراءة الكتاب دليل على العناية ، ونقده أدل فى الرعاية .

وصديقنا يمتاز بخصلة حميدة هى التواضع ، فما كاد يقرأ الرأى الذى دعوت إليه من أن كل إنسان ما دام يفكر فهو صاحب فلسفة ، حتى نظر إلى نفسه فأدرك آخر الأمر أنه « ككل إنسان عادى ليس فيلسوفاً مشتغلا بالفلسفة . وأدرك أن نظرة كل إنسان إلى الحياة لا تسمى فلسفة ، ولا يسمى صاحبها فيلسوفاً » .

ولا شك عندى أن التواضع هو الذى صرف الأستاذ عبد الغنى عن الانتساب إلى الفلسفة ، والدخول فى زمرة الفلاسفة ، لأنه يقنع بصحبة الأدب والانتساب إلى الشعراء ؛ كأنه يريد أن يقول إن الشعر والفلسفة يتعارضان فلا يلتقيان ولا يجتمعان ، ولهذا ضرب المثل بشاعرين وقال « وإلا لكان زهير بن أبى سلمى الشاعر الحكيم فيلسوفاً بسبب هذه الحفنة من النظرات التى وضعها فى معلقته ، أو كان أبو العلاء المعرى فيلسوفاً بما له من وجهة نظر خاصة فى الحياة » .

الشعر لا يتنافى مع الفلسفة ، فقد عبر الفلاسفة الأقدمون عن آرائهم نظماً ، وفى اليونان كثير من الفلاسفة سجلوا فلسفتهم فى قصائد ، مثل اكسانوفان الذى دعا إلى الوحدانية ، وبارمنيدس صاحب الفلسفة المثالية . وإذا كان الأمر كذلك فلم يجد كثير من النقاد بأساً أن يسموا أبا العلاء المعرى فيلسوفاً ، حتى لقد اشتهر بفيلسوف المعرة ، وجرت هذه العبارة على الألسن وشاعت بين الأدباء .

وعندى أن النزعة الجديدة التى نجدها عند فلاسفة اليوم من الاتجاه نحو تعريف الفلسفة بمعناها الواسع ، فتشمل جميع الناس والخلاف بينهم فى الدرجة ، ومن الانصراف عن المعنى التقليدى الذى ساد فى العصور القديمة والوسطى ، هذه النزعة ترجع إلى قرنين من الزمان . ذلك أن ديكارت ، أبا الفلسفة الحديثة ، دعا فى القرن السابع عشر إلى أفكار جديدة ، كانت أساساً للحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والعقلية التى نحياها الآن . فهو يستهل أعظم كتبه أثراً ، مقال عن المنهج ، بقوله : « العقل السليم أكثر الأشياء توزعاً بين الناس بالتساوى » . وإنما يقع الخلاف بينهم فى المنهج الذى يسلكونه فى التفكير . ولقد أدت هذه الدعوة إلى المساواة القائمة على أساس من المساواة فى العقل ، إلى الثورة الفرنسية التى نشبت تطلب الحرية ، والإخاء ، والمساواة . ونجحت الثورة ، وأصبحت المساواة فى الحقوق السياسية وأمام القانون حقيقة ثابتة اعتنقتها جميع الدول ، وقامت عليها الدساتير .

أليس غريباً بعد ذلك أن نبيح الحقوق السياسية لجميع الناس ، ثم نقصر حق التفكير على بعض الناس دون بعضهم الآخر ، لأن التفكير هو النظر ومعرفة حقائق الأشياء ، فيترتب على ذلك سلوك كل إنسان فى الحياة بمقتضى تلك المعرفة ، ولا يهمنا أن يكون ما يعرفه زيد صحيحاً أو فاسداً ، وإنما يهمنا أنه يعتقد بما يعرف ، وأنه يزعم أنه يعرف .

وهل يوجد من هو معصوم من الخطأ ، أو يبلغ مرتبة الكمال فى التفكير ؟ .

ولقد كان هذا التعريف مقبولا عندما كانت الفلسفة تشمل كل فرع من فروع المعرفة ، أو بمعنى أصح عندما كانت العلوم فروعاً من شجرة الفلسفة . فلما بدأت العلوم تستقل وتنفصل واحداً عن الآخر ، لم يبق للفلسفة موضوع فى زعم بعض المفكرين ، وأن موضوعها عند البعض الآخر هو البحث فى العقل ، ذلك الذى يبحث فى العلوم نفسها وفى المسائل الإنسانية التى تتعلق بالسلوك وقيمته من خير وشر .

فإذا كان الأمر كذلك فقد ارتدت الفلسفة إلى ما كانت تبحث فيه أيام سقراط ، إذ انصرف عن البحث فى الطبيعة إلى

البحث فى الإنسان .

ولذا قيل إن سقراط هو الذى أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض . فإذا عرفنا ذلك لم نعجب إذا رأينا سقراط يعلم حكمته فى الأزقة والملاعب والأروقة وفى كل مكان ، ويلقيها على كل إنسان . ذلك أنه كان يعد المعرفة صادرة عن باطن النفس ، ولهذا يكفى أن ينعطف المرء على نفسه ويتأمل فيها ليصل إلى الحقيقة ؛ وهذا هو السبب الذى من أجله اتخذ الشعار المكتوب على معبد دلفى « اعرف شعار نفسك » شعاراً له .

فالفلسفة السقراطية لم تقصر هذا الفن على فئة دون فئة ، بل ذهبت إلى أنها حق مشاع لكل إنسان ، يهتدى إليها بالتفكير والنظر .

ولقد كانت الفلسفة فى عهد سقراط حية ، تدور على الألسنة وتصبغ حياة الناس فى أعمالهم .

وهذا هو الذى نريده ونرمى إليه : أن تكون الفلسفة حية تخرج من « الأبراج العاجية » حيث تنحصر فى اصطلاحات يعلم الله إذا كان أصحابها يفهمونها أو لا يفهمونها ، لتنزل إلى ميدان الحياة ، فإن كانت جديرة بالوقوف على أقدامها بحيث تقبلها « العقول السليمة » التى حكى عنها ديكارت ، كانت جديرة بالحياة

والرأى الذى أدعو إليـه الآن من إشاعة الفلسفة فى كل إنسان ، هو أجدر الآراء ملاءمة للعصر الذى نعيش فيه ، عصر الديمقراطية والحرية .

ومهما يكن من شىء فالمسألة مسألة خلاف بين القديم والجديد : رأى القدماء أن الفلسفة جماع الأفكار المنظمة عن الكون والإنسان ، ورأى كثير من المحدثين أنها الأفكار عن الكون والإنسان ، أما تنظيمها باصطلاحات خاصة وبشكل خاص فليس هذا ضروريا .

ذكر الأستاذ آدم نوكس ، أستاذ الأدب بجامعة اكسفورد فى مقدمة كتابه عن أفلاطون وكيف ينبغى أن نقرأ محاوراته ، يقول ما فحواه : إن الذين كانوا يقرءون أفلاطون كانوا يهدفون طول الوقت إلى استنباط قصده وفكره ، ويحملون النصوص فوق ما تطيق . وليست هذه الطريقة هى أجدر الطرق فى معالجة كبار المؤلفين . ولن تكون هذه الطريقة هى الطريقة المثلى لفهم شكسبير مثلا ، ولو أنه كان فيلسوفاً كبيراً على طريقته . ولكنه لم يكن الفيلسوف صاحب المذهب أو الفيلسوف قبل كل شىء »

« Though he was a great philos opher in his way too. But he was not systematieally or primarily a philosopher. »

فالأستاذ آدم ذوكس يعد شكسبير فيلسوفاً ، وفيلسوفاً على طريقته الخاصة ، وهى أن لكل إنسان نظرة فى الحياة . ولا يعده فيلسوفاً على المعنى الضيق المصطلح عليه .

وهو كذلك يعد أفلاطون فيلسوفاً حسب النزعة القديمة ، ويريد أن يجعل منه أديباً فناناً قبل أن يكون فيلسوفاً ، لأن محاوراته تمد من روائع الأدب والفن الرفيع .

وإنى أعتقد أن الأستاذ عبد الغنى لو عاد إلى نفسه وتأمل فيها على الطريقة السقراطية لتبين له أنه على هذا المعنى ، فيلسوف ... ولكن إلى حد ما

أحمد فؤاد الأهوانى

الوكر المهجور..!

للأستاذ عبد العزيز الكردانى

هذا العش الوادع الجيل لمن يا أخت تهجرين ؟! هذا الوكر الدافىء من يؤرث مسراته ومن يخمد جذوات أحزانه .. ؟ !

من يستقبل رواده ومن يشيع ضيفانه ومن يقف ببابه يهش لمقدم راعيه[1] ؟ !

من يرفع بأنامله الدقيقة ستائر منافذه الشفيفة ، ويطل من خلالها بعينين زائغتين لهيفتين ، تترقبان أوبة حاميه — والقلب واجف ، والدمع مهراق ..؟!

من يهون عليه رحلاته الجاهدة فى خضم الحياة ؟ من يبارك فتوته وينضد عقود أمانيه ؟..

من يكفكف عبرته ، من يضم رأسه المثقل العانى إلى صدره الرحيب الحانى ؟ من يزيل عن جبهته أو ضار الكلالة والسآمة والكمد ...

من ؟ من غيرك يا أخت ؟ !

***

هذا العش الوادع الجيل ، لمن يا أخت تهجرين ؟! من غيرك يدب فى أرجائه دبيب الروح فى الهيكل المبعوث؟ من غيرك يحيل « الكائنات » بين جدرانه الصماء كائنات حية ، تضفى على جاداته الحياة ، وتفيض على أحيائه الحيوية ، وتنسكب فى النفس بلسما للجراحات ، وتكون للمشاعر المضطربة والأهواء الحائرة مثابة ، وتكون للقلوب عن كل خطب داهم موجع سلوى وتعزية ؟

من ؟! من غيرك يا أخت ؟!

***

هذا الوكر الدافىء الجيل ـ يا أخت ـ هو « الطيف » الذى يغازل تهاويل الصبا المراهق .. هو « الفجر » الذى يعانق آمال الشباب الوضىء اليافع ، هو « الفكرة » اللمحة الخاطرة لذهن الرجولة الواعية العاقلة ، هو «العزاء» للكهولة الجاهدة الصابرة ، هو« الرحمة » الهابطة على حطام الشيخوخة العاجزة الفانية ، هو «الحلم» الذهبي السرمدى لكل عذراء استهدت فطرتها الكاملة !

هذا الوكر الدافىء الجيل — يا أخت — هو موضع السويداء من قلب الإنسانية ، هو جوهرها وحقيقتها الخفية ، هو الملاذ لها فى كل أحوالها ، هو الغطاء الساتر لضعفها ، هو النشيد المستحث لخطاها ، هو المحط الذى ترتد إليه بعد كل سعى دؤوب ، وإثر كل إخفاق أو فلاح ... !

فمَن غيرك — يا أخت -- يخلع على هذا الوكر معناه ؟ من غيرك يعطيه مغزاه ويهبه قداسته ؟ !

من ؟ من غيرك يا أخت ؟

***

هذه الأصوات الناعبة بالحرية المزعومة ، هى الشبح الذى يطارد هناءتك ، هى المعول الذى دك أنوثتك ، وأوهن بناء عزتك هى « الديدبان » الراصد لميزاتك وخصائصك ، يحصيها واحدة واحدة ، ليفنيها واحدة إثر واحدة ... !

هذه الأصوات الناعبة بالحرية الموهومة — يا أخت — هى ذلك « الساحر الخبيث » ، الذى ارتخص معدنك النفيس ... !

عبد العزيز الكردانى

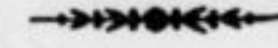
(١) المقصود مطلق معنى « راعى البيت » والقيم على شئونه من جنس الذكور . كالزوج أو الأب أو الأخ.

مسابقة لطلاب السنة التوجيهية (١، ٢)

فيـــدون

للأستاذ كمال دسوقي

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)



— وهنا — وبعد هذه الأدلة على خلود الروح التى قدمها سقراط — ما يزال بسيمياس وسيبيز بقية من شك تبدو فى تهامسهما — حتى إذا استوضحهما سقراط جلية رأيهما فى تدليله على خلود الروح تقدم سيمياس ، فشكك فى إمكان البحث عن حقيقة الروح ما دمنا فى هذه الحياة ، ورأى مع هذا أن البحث عن كنه الروح ومصيرها أمر لابد منه . — ثم قدم للتشكيك فى أدلة سقراط نظريتهم الفيثاغورية القائلة بأن الروح هى انسجام عناصر البدن واتساقه Harmony — والتى لو أخذنا بها لجاز أن تفنى الروح قبل فناء الجسد — على نحو ما يفنى النغم المنسجم الإلهى لمجرد تمزق أوتار القيثارة أو تحطمها مع بقاء مادتها .

وهنا يشاء سقراط أن يعارض فيثاغورية بفيثاغورى ، فيحث سيبيز على مناهضة زميله ، ويقول هذا إنه يؤمن بأزلية الروح فى عالمها الأول — ولكنه لا يعتقد بخلود الروح فى عالمها الآخر . وهو إذ ينكر عليها الخلود لا ينكر قوتها وسموها وبقاءها على ضعف البدن وخضوعه وفنائه ، وليس ينهض لديه دليلاً على هذا الامتياز للروح ما يقول به العامة من ضرورة بقاء النساج بعد موته زمناً أطول لأن آخر معطف قام بنسجه لم يزل باقيا . بل كل ما يدل عليه هذا التشبيه أن كل روح تفنى عدة أجساد كما أفنى النساج عدة أثواب — ومن يدرى — فلعلها لكثرة ما تعانى من إرهاق التولد والوفاة وتكررهما تفنى ذات مرة إلى الأبد . دون أن نحس بها أو يكون لنا بمصيرها علم — إذ لا قدرة لنا على تتبعها فى كل جسد جديد تحل فيه . وعلى هذا — فما لم نستوثق من خلود الروح إلى الأبد — لم نزل نرهب الموت .

ويأخذ هذا القول من نفس السامعين ، ومن نفس الذين يقص عليهم فيدون بعد — كل مأخذ — فيرتابون ويشكون فى كل ما قيل ، ويساودهم الجزع والإشفاق على مصير الروح ، ولكن سقراط يستجمع فطنته ولباقته ليستأنف الجدل أقوى مما كان . وليطمئن المجتمع على أن أرواحهم بعد الموت لن تذروها الرياح ، فيداعب خصلات شعر فيدون ، ثم يحذر من المغالاة فى كره المنطق ، وعدم الثقة بالناس نتيجة الجهل بالعالم ، وقلة الخبرة فى اختيارهم — وكون أكثرهم شريرين وأقلهم أخياراً — والحال كذلك فى البراهين والأدلة ، التى يظهر لنا كبار المجادلين أكثرها باطلاً وأقلها حقاً فيكرهون إلينا الأدلة فلا نثق بها أو نوقن بمعرفتها — ويحاول سقراط أن يبين لمحدثيه حقيقة موقفه من الجدل ، وبعدُه عن أن يخدعهما أو يخدع نفسه ، ثم يطالب إليهما أن يقوّماه إذا أخطأ ، وأن يعملا معه لنصرة الحقيقة .

ويعود سقراط إلى تلخيص شكوك صاحبته فى قضية أو قضيتين ، ثم ينتزع منها إقراراً أكيداً على ما فى قوله بالتذكر وأزلية الروح من طرافة وصدق لا يشكان فيه ، ثم يناقض هذا التسليم منها برأيها فى الروح كاتساق للبدن ، قائلا إنه إذا كانت الروح تشبه انسجام النغم ، وكان البدن هو أوتار القيثارة ومادتها فلا يعقل أن يكون للروح توافق قبل وجود البدن الذى هو القيثارة فى مذهبهما . بل لابد — لو صحت نظريتهما — ألا يتم توافق الأصوات والنغم إلا بعد الأوتار وتنافرها — كما أنه يفنى قبلها جميعاً . وينتهى بهما سقراط إلى ضرورة إسقاط أحد الرأيين ، فيطرح سيمياس مبدأه لأنه ظنى ، ويسلم بنظرية التذكر لأنها عنده يقينية — ويستطرد به سقراط فيبين له أن الانسجام نتيجة تناسق الأجزاء ، ولهذا كان يتدرج بين التناسق التام والتناسق الأقل — تبعاً لتفاوت تناسق الأجزاء فى ذاتها كعناصر مكونة لهذا المركب ، وأن الروح إذن تصبح تنافراً فيما لو اتصفت بالرذيلة ، لأن الروح مثال مطلق فى تناسقه أو تنافره — وليست نسبية كالنغم — والروح هى دائماً التى تقود الجسد ، وتفرض عليه رغباتها — فلا هى إذن فى انسجام معه — ولا هى نتيجة له كالأنغام للقيثارة .

ويردد سيبيس مخاوفه الأولى من فناء الروح لحلولها فى عدة أجساد ، فيرى سقراط أن هذا يمت بصلة إلى موضوع الكون والفساد . ويقترح أن يدلى إليهم فيه بتجربته . ومؤداها أنه فتن منذ حداثته بالعلم الطبيعى ظناً منه أنه العلم الذى يبحث علل الأشياء — من أين توجد — إلى أين تصير ، وفيم كان وجودها وفسادها ، وما العنصر الذى تفكر به . . الخ ولكنه لم يجد لدى هذا العلم ما يقوله فى هذه الأمور ، وطبيعى ألا يجدها — فما يريده هو ليس من مباحث علم الطبيعة — ولكنه إلى الميتافيزيقا أدنى — والنتيجة أن بحثه عن علل هذه الأمور فى علم الطبيعة قد شككه فى أبسط معارفه — ثم إنه وجد بغيته فى عبارة قيل له إنها توجد فى كتاب لأنكساغوراس « وهى أن العقل هو العلة المدبرة لكل شىء — فراح يسعى وراءه ويعلق عليه آمالا كباراً — حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ... لقد كان سقراط يبحث حينئذ عمن يقول له ، إن الكون فى أحسن صورة له — وأن ليس فى الإمكان أبدع مما كان — ولكنه — يا للأسى ! . وجد أنكساغوراس بعد أن ألقى بعبارته الجميلة — هذه جزافاً — يبعد فى تفسيرها عما كان يريده سقراط أن يفعل — فأين إذن قوله بالعقل — وفيم إذن رجوعه إلى ما قال الأولون من خلط ؟ لقد كان ينبغى عليه أن يعلل بقاء سقراط قابعاً هكذا فى سجنه — بأن العقل هو الذى يشير عليه بهذا ما دام الأثينيون قد أرادوا ذلك ولو ظلماً — لا أن يأتى بتعليلات أخرى ولو كانت هى العلل الحقيقية فى علم الطبيعة ، هو يريد من علم الطبيعة أن يبحث عن العلل الخفية والأسباب البعيدة — لا القريبة ... التى يسميها هو حالة — وبالجملة يريده أن يعلل كل شىء يرده إلى قوة عليا مدبرة تتصف بالعقل والخير والكمال ، وهو ما لم يجد سقراط من يستطيع أن يعلمه إياه .

وعاد سقراط من دراسة هذه المذاهب خاوى الوفاض ، وكل همه أن يبقى على عين بصيرته ، وتقاء روحه — أو « عيانه » — الذى يستطيع به أن ينفذ إلى باطن الأشياء يتأملها ويتعرف حقيقتها ، ويغض يده من الأشياء ليبحث عن صورها الكاملة فى عالم المثل — وقولة : (هذا سبيلى التى سلكتها : فرضت بادىء الأمر مبدأ ... ثم أخذت أثبت صحة كل ما اتفق معه ... الخ ص ٢٦٤ من الترجمة العربية) حجة يجب أن يقف عندها طويلا طلاب المسابقة — لأنها تثبت لسقراط السبق فى القول بنظرية المثل كما عرضت لأول مرة فى محاورة برمنيدس ، باعتراف أفلاطون — وهو كاتب الحوار — ولكن مناقشة زينون وبرمنيدس الايليين لهذه النظرية الجديدة التى يعرضها سقراط وهو فى العشرين من عمره (سنة ٤٥٠ ق . م — كما تدل عليه ظروف المحاورة) — قد حملت هذه المناقشة سقراط على التراجع والحذر ، والعمل على أن يجمع لنظريته الأدلة التى تقويها — حتى لا يهاجمها أحد آخر غير هذين ، دون أن يتحدث عنها إلا فى ظروف خاصة ، وفى هذه الحجة وحدها ما يكفى للرد على المؤرخين الذين لا يريدون أن يعترفوا لسقراط بنصيب فى نظرية المثل .

إن الأشياء الجميلة توحى إلينا بالجمال المطلق ، والخيّرة بالخير المطلق ، والعادلة بالعدل المطلق ؛ فهذا مثل كلية مطلقة تذكرنا بها الأشياء الجزئية النسبية التى تدركها حواسنا ، وهذه الأشياء جميلة وخيّرة وعادلة بقدر مشاركتها فى مثال الجمال والخير والعدالة ، وكذلك مثل الكبر والصغر والتساوى ، وبهذا نكون قد أثبتنا نظرية المثل ومشاركة الأشياء المحسوسة فيها مشاركة نسبية تتفاوت بين الكبر والصغر أو تجمع بينهما بالنسبة إلى شىء وآخر . أما المساواة التامة فلا يمكن أن تصلها الأشياء لأنها لا توجد إلا فى مثال التساوى المطلق الذى تنزع إليه هى أبداً .

والكبر والصغر إن أمكن اجتماعهما فى شخص بعينه بالنسبة إلى شخص وآخر ، فإن مثالى الكبر والصغر لا يمكن إلا أن يكونا متضادين ، لأن المثل كلية مطلقة بينما الأشياء المشاركة فيها جزئية نسبية . وبهذا يصح أن يتولد الصغير من الكبير ، أو الحى من الميت ، دون أن يعنى ذلك تولد الكبر من الصغر والحياة من الموت — هى أن الأشياء التى تشارك فى مثلها إلى حد كبير فتعارض مع أضدادها تعارض مثلها ذاتها — لأن جزئياتها تصبح هى الأخرى مشاركة فى المثال — كالنار والثلج — كل ذرة أو جوهر فيها مشارك فى مثال الحرارة والبرودة . وكالزوجى والفردى من الأعداد — كل وحدة مما يدخل فى

تركيبها من العدد إما واحد واحد ، أو زوج زوج — فالثلاثة ثلاث وحدات ، والأربع وحدتين زوجيتين..الخ وهذه الأضداد تتعارض وتتطارد ، حتى يتراجع أحـدها ويثبت الآخر . وتراجعه لا يدل على فنائه بل هو مجرد تراجع أمام خصم — أو التسليم له —

وقس على هذا الموت والحياة ، فهما متنافران متطاردان أبداً لا يتضمن أحـدهما الآخر ، وإن أمكن نشوء الحيِّ من الميت كما كان قرر سـقراط — وإذا تأملنا الحياة وجدنا أن لها مبدأً ملازماً وشرطاً ضرورياً لا توجـد إلا به هو الروح — وهو لشاركته الكاملة فى مثال الحياة لا يقبل الموت بدوره . فالروح كمثاله الذى يشارك فيه — مثال الحياة — غير قابل للفناء ، أى أنه أبدى خالد — ولـكنه يتوارى ويختفى — ولا يزول . إذا غلبه خصمهُ : الموت . فالروح الشاركة فى مثال الحياة يتصارع عليها مبدأ الخلود والفناء . وحين يتغلب هذا الأخير تتراجع الروح وتختفى ولا تزول — لأنها بطبيعتها خالدة باقية يستحيل عليها أن تقبل ضدها : الفناء — أما البدن فهو الذى يفنى لأنه مشارك من قبل فى مثل الموت والفناء .

الروح إذن خالدة أبدية . وهى أحق بالرعاية من البدن الفانى لأن كل خطر يتهدد مصيرها يهددها إلى الأبد — وإذا جاز لنا أن نفرح بخلاص أرواحنا من أجسادها فيجب أن نـكون قد هيأنا لها أسباب السعادة بمزاولة الحـكمة والفضيلة . فهما زادها إلى الآخرة .

والطريق إلى الآخرة عسـير ملتو ، لا يهتدى له إلا الروح الفاضلة الحـكيمة ، حيث تخـلد فى نهاية فى النعيم السرمدى . أما الأرواح الفاسدة الشريرة فتضل طريقها وتمضى متعثرة حتى تستقر فى الشقاء الأبدى .

والحياة الآخرة يتقدم سقراط فى وصف منازلها ومواضع الأرواح الخيرة والشريرة منها والمراحل التى تمر بها كل من هذه وتلك فى نعيمها وسعادتها ، أو فى عذابها وهوانها وتألمها ، وهو يطلق لخياله العنان فى هذا الوصف على ما وقف عليه من كتب الأساطير اليونانية وأقوال الشـعراء . ولا يريد أن يقطع بصدق هذا الوصف كما ينبغى أن يفعل الحـكيم .

ثم إن سقراط يكرر لأصحابه النصح أن يعنوا بأمرهم ومصير أنفسهم ، وألا يدَّعوا ما لا يعلمون فيضروا أنفسهم ، ويُنبه رفاقه إلى أنهم إنما يوارون منه الثرى الجثة وحدها . أما الروح فهى صائرة إلى النعيم ، وفى هـذا عزاء الأقريطون . ثم يعد خادم السم أن يبادله جميلا بجميل ، ومعروفاً بمعروف ، فلا يؤذيه ولا يسوءه كما يفعل غيره عند موتهم . وحين يعود يستوضحه سقراط طريقة تعاطى السم ، ثم يصلى ، ويتجرع الـكأس .

ويتباكى الرفاق فيهدىء سقراط روعهم ويخفف لوعتهم — ويرميهم بالجبن والأنوثة ، ويوصى بدين كان له على إسكلابيوس ثم يسلم الروح ...

كمال دسوقى

المدرس بالمنصورة الثانوية

شاعرة ترثى أباها

حنانك قلبى كفاك انهيارْ   فما مِن شِراك المنايا فرارْ
أما كُنت تعلمُ أن المنايا   كُؤوسٌ على كل حى تُدار
أديرتْ على الخلق من آدم   كُؤوسُ المنايا فلم تنج دار
أبى كان بيتك كهفاً رحيباً   وأنساً بكل صـديق وجار
فما ردَّ بابُك ذا حاجـةٍ   وكُنت المجير إذا الدهر جار
كريم الخـلال جوادٌ بمـا   لديْك وقد شحَّ أهلُ اليسار
أبى كُنت لى فى حياتك نوراً   هدانى كما يُهتدى بالمنـار
فهلاً عن الموْت حدَّثتنى   وعمَّـا نُلاقى بتلك الدّيار ؟
كأنى سمعتُ الـملائك إذْ   تلقوك بدرا عليهـم أنار
وقالوا اتخذْ منْ جنان الخلوُ   د مقرًّا رحيباً فنعم القرار
أيا حُرقة الشوق لو كان قلبى   حديداً لأودى به الانصهار
أبى كنت للعين والقلب نوراً   فـما لك أبدلت نوراً بنـار
سرَتْ فى ضلوعى وحاقت بقلبى   فأسعفته بالدُّموع الغـزار
فلا النّـار ولت ولا العين كفت   ومالى بهـذا الفراق اصطبار
فعجِّـل إلهى بصبر جميـل   فما لى سـواك به يُسـتجار

ناهد طه عبد البر



من أدلة المروءة

الناس يغدون فى السير إذ يغدون إلى أعمالهم ولا تزال الشمس حمراء الخيوط فاترة الأشعة ، وما من أحد إلا وفى مشيته النشاط والجد ، وما من شارع إلا وقد دبت فيه الحياة أو تمثلت فيه أنماط من صور السعى إلى الرزق ، وكل امرئ فى شغل بسعيه عن غيره.

ومررت بباب أحد الفنادق الكبرى ، فإذا بغانية كأن وجهها زهرة نضرتها أنسام الفجر وأنداؤه ، وكأن عينيها نجمتان تخلفتا عن المغيب ، وكان يضع خدم الفندق متاعها فى سيارة من سيارات الأجرة ، بينما كانت تحمل على ذراعها معطفها وفراءها وعدداً ليس بالقليل من ثيابها . . . وسقط ثوب على الأرض فأسرع ثلاثة أو أربعة من شبابنا يتنافسون فى السبق إليه ، وظفر أحدهم بالتقاطه فأزال عنه الغبار بمنديله وقدمه إلى الغانية مزهواً مسحوراً بابتسامتها ؛ وهذه مروءة منه لا ريب ، ونحن قوم أولو مروءة ، فلا تحسبن أن مرد ما فعل ذلك الشاب إلى ما جذبه من جمال . ولو أنها كانت عجوزاً فهل تشك فى أنه كان يسعي إليها ؟ إنك إذن لمن الجاحدين ...

ومضيت أغبط الفتى على مروءته ، أو قل أحسده على ما ظفر به جزاء على فعلته ، وأذكر ليلة الأمس إذ نزل من النادى أحد الكبراء من أصحاب الديوان ، فدفعت المروءة بعض الأساتذة الأماثل إلى الحفاوة به : فهذا يفتح له باب السيارة ، وذلك يحنى له رأسه ، بل لقد رأيت فيهم من عظمت مروءته فحمل له معطفه على ذراعه من أعلى النادى فناوله إياه فى سيارته . ولكن أحداً من هؤلاء لم يظفر بشيء كتلك الابتسامة الحلوة التى ظفر بها من الغانية هذا الشاب الذى لا يزال منى على خطوات .

وبينما تنثال على ذهنى صور تلك المروءات التى هى إحدى صفاتنا العامة ، آمنت بذلك أو لم تؤمن ، إذ التفت على صوت « موتسيكل » انقلب راكبه الشاب الأنيق وتفجرت منه النيران وقد اشتبك سروال الراكب المسكين بأحد أجزائه فما يستطيع النهوض ، وعلقت النار بثيابه ، وكلاهم وقع من الرعب ومن نشوب ثوبه بالحديد وهو يفرك النار عن ثوبه بيديه فى لهفة ولا يدرى ماذا هو فاعل ، وإنه ليدور بعينيه مستنجداً فى صورة من الرعب لا توصف ، وذلك الشاب ذو المروءة الذى ناول الغادة معطفها ينظر مع الناظرين إلى هذا الذى يحترق من بنى وطنه . ولا تسلنى أنا ماذا فعلت وماذا بلغ من مروءتى ؛ فلأن تتهمنى بالتقصير أهون عندى من أن تعيب على الفخر .

واشتعلت النار فى ثياب ذلك المسكين ، وأيقن الناس أنه هالك لا محالة ، وكلهم ينظرون وكأنهم لا يرون شيئاً ، حتى أقبل كهل مقبسم ليس من بنى جلدتنا وليس له مثل مروءتنا فخلع معطفه وكان والله جديداً ثميناً وألقاه على الشاب المحترق وضرب عليه بكفيه فأطفأ النار ، ثم خلص الشاب وأعانه حتى بلغ به الطوار وأجلسه ثم نادى زميلا له ممن يتقبعون وإن كان حاسر الرأس ليستدعى الأسعاف ، ولبث يقلب البصر فى بدن الشاب ويهدىء روعه ويسأله عما أصابه من حروق ويهون عليه الأمر حتى جاءت عربة الأسعاف فحملته وهو يسأل ذلك الذى أنقذه عن اسمه وعنوانه ويلح عليه فلا يزيد على أن يبتسم له قائلا : « الحمد لله ! مرسى ياحبيبى » .

وتناول الرجل معطفه ومضى مطرقاً هادئاً لا ينظر إلى ما أصاب المعطف من احتراق فى أكثر من موضع ، وكأنه لم يفعل شيئاً ، ونحن ينظر بعضنا فى وجوه بعض نظرات حمدت الله أن كان فيها شيء من الخزى لم يغرق كل الغرق فيما كانت تقطر من بلادة .

ولم أمض غير بعيد حتى أبصرت عربة انزلق أحد جواديها فى منعطف نخر وجذب الجواد الثانى حتى كاد يخنقه ، ووثب الحوذى ينهض الجواد وحده فما يستطيع ؛ فيستغيث الناس قائلا «يا هوه ! يا مسلمين ! » حتى جاءه بعد لأى رجلان فأعاناه متكرهين

وقلت فى نفسى إن الدابة فى القرية تقع فى الترعة ، وإن النار تعلق بالدور فيقبل الشباب والكهول من كل صوب للنجدة لا ينتظرون دعاء ولا يحفلون أذى . أيكون مرد ذلك إلى أن أهل القرية يعرف بعضهم بعضا ؟ أم أن مرده إلى أنهم أهل نجدة لم تفسد المدنية فطرتهم ؟ لست أدرى . ولكن ذلك المقبع ليس من أهل القرية ، ولا هو من أهل هذه المدينة !

الخفيف

أناهيد (*)

للأستاذ شفيق معلوف

(وجعل العرب الزهرة امرأة بغياً مسخت نجماً وكان اسمها أناهيد) « الجاحظ »

— ١ —

وبعدما عرا خرافةَ الذهول
جمجم وانبرى من كهفه يقول
في غابر الأزمان مضى يحث السرى
ركب من العربان
حتى إذا جرى يوغل في السهول
إذا به يرى من حوله الخيول
تضرب بالحافر صدر الثرى
معقوفة الذيول منصوبة الآذان
تقطّع الأرسان
وترجع القهقرى
وأرغت النياق ذعراً وجرجرت
وشالت الأعناق ثم تقهقرت
وانطلقت في القفر أي انطلاق
وشب في الصحراء
عاصف نار ونور
يمد في الديجور
عنقه للسماء
ثم علا شيئاً فشيئاً يدور
في قبة العوالم الشاسعه
حتى غدا شمساً فبدراً ينور
فكوكباً فنجمة ساطعه

— ٢ —

ولم العربان أشتاتهم واسترجعت هدودها البيد
وانطلقوا إلى كثيب به شعاع ذاك النجم مشدود
فأبصروا فوق الثرى غادة لم تتشح بحسنها غيد
لها محيا هو زين الصبا من كبد الصباح مقدود
سا كنة الحس فلا صدرها رف ولا أهدابها السودُ
ونهدها ذاو كما لو ذوت على دواليها المناقيد
سمراء أغواها الردى فالتوى على يد الموت لها جيد
يشخص في نجم الملا جفنها كأنه بالنجم معقود
صاحوا أناهيد وراح الصدى
يزقو أناهيد أناهيدُ
كان في الأرض لها مأتم وفي مقاصير الملا عيد

— ٣ —

كانت أناهيد بغياً متى غفا بفرعيها الفتى يسكر
تقطّر الخمر بكاساتها لفتية الحي وتستقطر
ولم يكن إلا جحيم الهوى وسادها الملتهب الأحمر
مر على خيمتها فارس تبارك الطيب الذي ينشر
كأن عيني مهرة أبدتا لها عن الفارس ما يضمر
فاختلجت للحب أعماقها واهتز منها الغصن المثمر
وودت السمراء لو لم يكن شُق عليها للهوى مئزر
ولا روت ثغر فتى قبلما أطل ذاك الفارس الأسمر
ثلاث ليلات تقضت كما لو هُن ظل الرمح أو أقصر
لا الفارس الأسمر يفضي إلى قلب أناهيد بما يشعر
ولا أناهيد التي جربت كل رُقى السحر به تظفر
حتى إذا مالت بأجفانها يد الكرى لطول ما تسهر
أيقظها ركض جواد جرى من بابها محمحما يدبر
فزاحت الستر ومذ أبصرت
فارسها يلفه المشير
وقد لوى عنانه هارباً كأنه الحلم الذي يعبر
راحت أناهيد على إثره بحافر الجواد تستأثر
تضرب في البيداء حتى إذا أنهكها السير فلا تقدر
لاح لها من جانب المنحنى مارج نار ضوؤه يبهر
وسيد كأن محبوبها أطل من مقلته ينظر
صاح بها ويلك كفي وارجعي ما أنا إلا هُبل الأكبر
هذا عقاب المهر فليعتبر إن ذاق طعم الحب من يفجر

(*) قصيدة من « أحاديث خرافة » أحد أناشيد كتاب « عبقر » في طبعته الثانية التي تصدر قريباً بإضافات جديدة .

الأدب والفن في أسبوع

نشوء القومية في أوربا :

دعت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول إلى سماع سلسلة المحاضرات العامة التي يلقيها بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية الأستاذ ساطع الحصري الأستاذ الزائر بمعهد التربية العالي للمعلمين ، والمستشار الثقافي لجامعة الدول العربية ؛ وموضوع هذه السلسلة « الفكرة القومية منذ أوائل القرن التاسع عشر » وهي ست محاضرات ، ألقي يوم السبت أولاها ، وموضوعها « نشوء الفكرة القومية في أوربا والانقلابات السياسية التي نجمت عنها » وقد تحدث الأستاذ في هذه المحاضرة عن الانقلابات السياسية في خريطة أوربا منذ العقد الثاني من القرن التاسع عشر إلى العقد الثاني من القرن العشرين ، فقال إن أهم هذه الانقلابات زوال الدولة العثمانية والامبراطورية النمسوية وحلول الدول الصغيرة محلها ، وحدث عكس ذلك في إيطاليا إذ اتحدت الدول الثمان وكونت إيطاليا الحديثة ، كما اتحدت ٣٩ دولة على الأراضي الألمانية وكونت الدولة الألمانية ، وانفصلت بلجيكا عن هولاندة ، كما انفصلت النرويج عن السويد ، وتكون على سواحل البلطيق أربع دول جديدة ، وهكذا تبدلت أوربا ما عدا انجلترا وفرنسا وروسيا وأسبانيا . وكان العامل الأصلي في كل هذا التبدل فكرة القومية الناشئة من شعور الأمم بالروابط المختلفة ، فتجمع المؤتلف ، وتفرق المختلف ؛ وكانت النتيجة أن قامت الدولة على الفكرة القومية التي شعر بها الشعب ، بخلاف الدول القديمة التي كانت تتكون بحسب قوة الملوك ومقدار بسط سلطانهم وما ينشأ عن معاهداتهم ومصاهراتهم ، ولم يكن للشعوب حساب في ذلك لأن الملوك كانوا يتصرفون تصرف المالك المستمد من التفويض الإلهي . ودلل الأستاذ على أن الدول الجديدة لم تقم نتيجة للحروب بل كان منشؤها الفكرة القومية — دلل على ذلك باستعراض الحوادث التاريخية ومقارنة نشأة الدول بقيام الحروب .

وختم الأستاذ ساطع الحصري محاضرته القيمة بالإشارة إلى ما يقوله المفكرون في أوربا من أن حركة القوميات انتهت بانتهاء القرن التاسع عشر ، ولكن الذين يرددون هذا القول عندنا في الشرق يخطئون ، لأن عصر القوميات إذا كان قد انتهى في الغرب لبلوغ حركات القومية مراميها فإنه يبدأ في الشرق لأن ظروفه تقتضي ذلك .

الفنان بين الصعود والهبوط :

أراد الأستاذ توفيق الحكيم أن يبرر مسلكه الأخير في الكتابة الذي نعيته عليه في عدد مضى من الرسالة ، فأدار الكلام في مقال بأخبار اليوم حول قضية من قضايا الأدب والفن أثارها بهذا السؤال : « هل يجب على الفنان أن يهبط إلى الجمهور أو أن يصعد إليه الجمهور ؟ » وقد سار بطبيعة الحال في معالجة هذه القضية إلى جانب الهابط إلى الجمهور ، محاولا أن يؤيد مذهبه بالتماس المثال « عند المبدع الأعظم لهذا الكون » لأنه تعالى لم ينتظر من الناس أن يصعدوا إليه ، بل رأى أن يدنوهم برسالته ، لا أن يتركهم يصعدون إليها من أرضهم ، فأرسل إليهم الرسل . وبنى على ذلك أن الفنان هو الذي يجب أن يهبط إلى الجمهور .

لا يا سيدي ، إن الله أنزل رسالته إلى الناس ، لأنه إله لا يزاه الناس ولا يخالطونه ولا يمايشونه ، ولكن الرسل الذين يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق تلقوا رسالات الله ولم يهبطوا بها إلى الجمهور بل رفعوا الجمهور إليها ، وما علمنا أن أحداً منهم أسف وابتذل ، وهذا نبينا محمد قد أدى رسالته ببلاغة عالية فتح بها آفاقاً في الأدب الرفيع لم يلحقه فيها لاحق . مرة أخرى : لا يا سيدي ، إن المثال الذي أتيت به إنما هو

حلت أناهيد له شعرها وانطرحت تبكي وتستغفر
وتســـأل الإله في ذلة لو غدها من أمسها يطهر
فيخلد الحب على جفنها وينطوي في قلبها المنكر
قال عنها هبـــل قائلا والرفق من جبينه يقطر
حبك يا هذي كما شئته قلب السماوات به أجدر
واندلعت نار تـــلوى بهـــا
مـــلء البوادي عاصف صرصر
وغل في صدر الملا حاملا روح أناهيد اللظى المسعر
وشع في السماء قبل الضحى على البرايا كوكب نير
تلك أناهيد لها من عل عين على أهل الهوى تسهر

شفيق معلوف

من العصبة الأندلسية

سلم درجاته للصعود وليس به دركات للهبوط ..

على أن الهبوط الذى نعيبه ليس هو الدنو من أفهام الناس ومدار كهم لتأدية رسالة ، وإنما هو أن يستهلك الكاتب طاقته ويستنفد جهده ، ثم يدور ولا يُرى له طحن ... فيتستر بالتسلية والتلهية ، ويدعى أنه يسير للدنو من الناس ، وإنما هو فى محله يسير !

الفنون فى الجامعة الشعبية :

عند ما لبيت دعوة الجامعة الشعبية لحضور احتفالها باستقبال هيئة اللجنة الثقافية للجامعة العربية يوم الخميس كان أكبر همى أن أسمع النشيد المقترح للجامعة العربية الذى طلب إلى قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية تلحينه ، فدعت هذه الجامعة هيئة اللجنة الثقافية إلى سماعه من فريق الأغانى والأناشيد بها .

ولكن كان هذا النشيد أقل شأنا من سائر ما سمعنا وما رأينا فى الجامعة الشعبية ، رأينا بقسم الرسم والحفر جماعات من أفراد الشعب ، هناذ كور وهناك إناث ، قد أقبلوا على العمل فى هذين الفنين بدافع ميولهم وطبائعهم الفنية ، يشبعون وينمون فيه مواهبهم فى المساء بعد أن فرغوا من مشاغل حياتهم فى أثناء النهار ، ثم دلفنا إلى قاعة المسرح ، فما أخذنا بها أماكننا حتى ابتدأت « حفلة العروبة » كما سمتها بحق إدارة الجامعة الشعبية ، فسمعنا موسيقى وأناشيد مختلفة : سورية وعراقية ومصرية ، وشاهدنا تمثيلا غنائيا ، قام بكل ذلك طلبة مختلطون من أفراد الشعب ظهروا على طبيعتهم فى ثيابهم العادية ، أسمعونا أصواتا جميلة وألحانا عذبة ، فكانوا لسانا معبرا عن طبيعة هذا الشعب الفنان .

ولقد تأملت هؤلاء كما وقفت أتأمل من زرناهم فى قسم الرسم والحفر ، ثم تخيلتهم فى غير هذا المكان لولم تتح لهم هذه الفرص ، فذهب خيالى بهم إلى المقاهى وغيرها من أماكن الضياع ، ثم رجع بهم إلى حيث هم الآن ينتظمون فى دراسات توافق أمزجتهم ويتعهدهم المدربون والمعلمون . فقرت عينى بهم وطابت نفسى بما يسر لهؤلاء المواطنين ورجوت أن ييسر للكثيرين من أمثالهم .

وقد انشعب بى التفكير ، لما أطربنا فريق الأغانى والأناشيد بفنون من الموسيقى والتمثيل والغناء ، فرأيت أن أقترح على الجامعة الشعبية أن تعمل على تنظيم حفلات تمثيلية غنائية يحضرها أقرباء الطلبة ومعارفهم وغيرهم من الجمهور مقابل أجور قليلة ، فتحقق بهذا فائدتين : إمتاع الناس بالفن ، واجتناء أرباح تستعين بها على تحسين حال فرقها وتقدمها فى مضمار الفن وإنى لأرجو أن يتاح لهذه الفرق أن تأخذ « ركنا » فى الإذاعة ، فلا يقل هذا الركن فائدة — إن لم يزد — عن غيره من « أركان » الإذاعة .

نشيد فلسطين :

سمعنا فى « حفلة العروبة » النشيد المقترح للجامعة العربية ، فإذا هو — من حيث التأليف ومن حيث التلحين — شيء كغيره ، من الأشياء التى نسمعها والتى يسمونها أناشيد وطنية وحماسية ، وليس فيها من الوطنية غير ألفاظ كالهرم ، وليس فيها من الحماسة إلا أصوات ترتفع حتى تصك الأسماع . وقد أحسنت الإدارة الثقافية بتجربته قبل إقراره ، وما إخالها إلا قد اقتنعت بأن نشيدا كهذا لا يليق بالجامعة العربية .

ثم سمعنا نشيدا ختمت به الحفلة فكان أحسن ختام ، هو « نشيد الجهاد العربى لفلسطين » وقد وفق قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية فى تلحينه ، وأداه فريق الأناشيد أداء حسنا ، أما التأليف فلا أحدثك عنه حتى ترى شيئا منه ، أوله :

قد بدأنا الكفاح وشــحذنا الرماح
وامتشقنا السلاح ومــلأنا البطاح
بجيوش العرب
نحن العـــرب نحن العـــرب

ومنه :

ستــرى تل أبيب حتفها عن قريب
يوم تصلى اللهيب والدمار الرهيـــب
فى جحيم العرب
نحن العـــرب نحن العـــرب

ومنه :

ونصون الصليب والهــــلال الحبيب
وســـلام الشعوب من مثيرى الحروب
وخصوم العرب
نحن العـــرب نحن العـــرب

فلا ترى فيه التهاويل و (الكليشهات) المعهودة ، وإنما يستمد قوته من طبيعته ومن تعبيره عن الحال الواقعة . وقد قدمه مؤلفه الأستاذ حسن أحمد باكثير إلى الجامعة العربية ، فاستحسنته ودفعته إلى الجامعة الشعبية لتلحينه .

الرسالة الثقافية للجامعة العربية :

ألقى الأستاذ سعيد فهيم وكيل الإدارة الثقافية بالجامعة العربية يوم الأربعاء بنادى جبهة مصر محاضرة عنوانها : هل أدت الجامعة العربية رسالتها الثقافية » بدأها بإجمال الجواب عن هذا السؤال فقال إن الجامعة العربية نصبت سلم الثقافة المكون من مائة درجة وارتقت منه خمس درجات ، وهي سائرة في طريقها لارتقاء الدرجات الباقية .

ثم عرض لتفصيل ذلك فقال : من أهم ماقامت به الإدارة الثقافية تكوين قسم إحياء المخطوطات العربية ، وقد جلبت أحدث الأجهزة الفنية من أمريكا لتصوير المخطوطات النادرة والقيمة على أفلام صغيرة . وقد أرسلت في صيف سنة ١٩٤٦ بعثة إلى سورية ولبنان فصورت ما رأته جديرا بالتصوير من الكتب . والتصوير يجرى الآن في مصر ، وسترسل البعثات إلى البلاد العربية المختلفة لتصوير ما في مكتباتها من المخطوطات . ومما قامت به الإدارة لتشجيع التأليف والترجمة ، أن اختارت موضوعين للمسابقة في تأليف كتاب في كل منهما خلال هذه السنة ، أحدهما في تاريخ الأندلس من فتح العرب لها إلى خروجهم منها ، والآخر في تاريخ البلاد العربية من سقوط بغداد إلى عصر النهضة الحديثة ، وخصصت جائزة لكل منهما قدرها ٥٠٠ جنيه ، وخصصت أيضاً ٢٠٠٠ جنيه لتأليف كتاب مفصل في جغرافية العالم العربي تنفيذاً لتوصية المؤتمر الثقافي الأول . أما في الترجمة فهي تعمل في اختيار الكتب التي تحسن ترجمتها ، وستختار اللجنة الثقافية عشرة كتب لتترجم على نفقة الأمانة العامة في هذا العام وسيوزع نحو مائتي كتاب على دول الجامعة تساهم كل منها بطبع قسم من هذه الكتب . وقال الأستاذ إن الإدارة الثقافية تعتزم استخدام الإذاعة والسينما والصحافة في نشر الثقافة العربية ، فتذيع من محطات العواصم العربية أحاديث ثقافية وحفلات موسيقية وقصصا تمثيلية وأناشيد ترمي إلى تقوية الروح القومية العربية ؛ وستشجع الأفلام السينمائية التي تحقق هذه الغاية ، وتساعد على أخذ أفلام في البلاد العربية لتعريف بعضها ببعض ، وتساهم في وضع أفلام ثقافية ، وفي ترجمة نطق الأفلام الثقافية الغربية إلى العربية ؛ وقد قررت استكتاب بعض كبار الكتاب في مختلف البلاد العربية مقالات في الشئون الثقافية ، لتنشر في أهم الصحف العربية ؛ وستوفد خمسة عشر أستاذا إلى مختلف العواصم العربية للمحاضرة في أهم الموضوعات التي تشغل بال العالم العربي .

وبعد أن تحدث الأستاذ المحاضر عن المؤتمر الثقافي الذي عقد بلبنان في الصيف الماضي ، قال إنه يؤمل أن يعقد المؤتمر الثقافي الثاني بالاسكندرية في أواخر الصيف القادم .

وقد عقب الأستاذ سعد اللبان على هذه المحاضرة ، فقال بأن الجامعة العربية يجب أن تخرج ، في تأدية رسالتها الثقافية ، عن النطاق الحكومي ، فلا تقتصر على الرجال الرسميين ، بل يجب أن تتجه أيضاً إلى غيرهم من رجال العلم والأدب ، كما يجب ألا تقصر اهتمامها الثقافي على دول الجامعة الرسمية ، بل يجب أن توجه أكبر عنايتها إلى شمال أفريقية الذي يكاد يقطعه الاستعمار عن مصادر الثقافة العربية المشرقية . ونبه الأستاذ سعد على أن البحث عن المخطوطات العربية في المكتبات الغربية أهم من البحث عنها في المكتبات العربية ، وقال إنه يرجو أن يكون الغرض من تصوير هذه المخطوطات طبعها ونشرها لا مجرد تسجيلها على أفلام

العربية تصارع :

لا أشك في أن الحكومة جادة في فرض استعمال اللغة العربية في مكاتباتها وفي إلزام أصحاب المحال التجارية والصناعية بكتابة أسمائها بها . وقد أذاعت أخيراً وزارة الشئون الاجتماعية على هؤلاء تلفت نظرهم إلى ما يقضى به القانون على من يكتب اسم محله بلغة أجنبية دون أن يضع إلى جانبه اسمه باللغة العربية على ألا تكون الأجنبية أكثر بروزا من العربية ، والقانون يقضى على من يخالف ذلك بالحبس مدة لا تزيد على سنة وغرامة لا تزيد على خمسين جنيها أو بإحدى هاتين العقوبتين

لا أشك في أن الحكومة جادة في تنفيذ كل ذلك ، ولكني لا أدرى لماذا تستمر ، في أختام بريدها ، على كتابة التاريخ بلغة أجنبية دون كتابته بالعربية !

إنني أدل وزارة الشؤون الاجتماعية على مصلحة البريد لتلفت نظرها إلى ذلك القانون وإلى ضرورة تطبيقه ... كما لا أرى بأساً في أن أكون مرشداً لها في غير ذلك ، فأدلها أيضا على شركة المعادي ، لتلفت نظرها إلى وجوب تغيير كتابة أسماء شوارع هذه الضاحية الجميلة ، بحيث تكتب بالعربية إلى جانب الأعجمية التي هي مكتوبة بها ، لأن المعادي جزء من القاهرة عاصمة العروبة

أكتب ذلك على ذكر المقال النير الذي كتبه في الرسالة الأستاذ وديع فلسطين بعنوان « اللغة العربية تصارع » وإني مطمئن معه إلى ظفرها في النهاية .

« العباس »



جنة العبيط أو أدب المقالة

تأليف الدكتور زكى نجيب محمود

تمنيت لو لم يكن هذا الكتاب لصديق ، إذن لاستطعت أن أوفيه ما هو كفاء له من ثناء فى غير حرج ، ولكن فيم الحرج ، وأنا أنظر إليه بعين النقد وبعين الحب معاً فأتحدث حديث الخبير الواثق ؟

لم يعد زكى نجيب فى حاجة إلى أن يقدم إلى القراء فقد صارت له فى نفوسهم مكانة حميدة بمؤلفاته الجيدة فى الفلسفة والأدب ، وإنما أقدم كتابه هذا إلى القارىء مغتبطاً أشد الاغتباط ، فإن له لشأناً عما قريب فى أدبنا واتجاهه وفى جانب المقالة منه بوجه خاص ...

رأى الدكتور زكى أن المقالة الأدبية فى مصر تسير على غير نهج معلوم ، فهى تصلح أن تكون خطبة أو موعظة أو جدلا أو بحثاً علمياً أو تاريخياً أو ماشئت غيرها ، ولكنها ليست بسبب من المقالة التى اصطلح عليها نقدة الأدب الانجليزى فى قليل أو كثير ، وهو لم يكتب كتابه هذا ليصحح به هذا الوضع ، ولكنه كتب مقالاته على غرار ما فهم بعد درس ، وأشهد لقد بلغ فيها جميعاً من التجويد ما لا ينزل به قط عن مستوى فحول المقالة فى الأدب الانجليزى ، ولقد جاء بعضها فى نسق لا أتردد أن أقول إنى قلما وقعت على نظائره ، خذ لذلك مثلا البرتقالة الرخيصة ، والكبش الجريح ، وحكمة البوم ، وجنة العبيط ، وشعر مصبوغ ، وبيضة الفيل

واجتمعت له بطائفة من هذه المقالات فأشرت عليه وألحفت أن يطبعها وهو يتردد ويتعلل ، ولكنى مازلت به حتى أجابنى إلى ما أردت ... اختار المؤلف اسم أحد مقالاته عنواناً لكتابه فكان جد موفق وهذا الاسم هو جنة العبيط « أما العبيط فهو أنا ، وأما جنتى فهى أحلام نسجتها على مر الأعوام عريشة ظليلة ، تهب فيها النسائم عليلة بليلة ، فإذا ما خطوت عنها خطوة إلى يمين أو شمال أو أمام أو وراء ، ولفحتنى الشمس بوقدتها الكاوية عدت إلى جنتى أنعم فيها بعزلتى ، كأنما أنا الصقر الهرم ، تغفو عيناه ، فيتوهم أن بغاث الطير تخشاه ، ويفتح عينيه فإذا بغاث الطير تفرى جناحيه ، ويعود فيغفو ، لينعم فى غفوته بحلاوة غفلته ».

ولكم نعمتُ أنا فى هذه الجنة وتفيأت ظلالها حتى ما أطيق أن أخرج منها ، ولكم عدت إليها ، أجل كم عدت إلى هاتيك المقالات أكثر من مرة فازدت إلا استمتاعاً بها وبأدب صاحبها ولكم أعجبت بهدوء نقمته وصدق نظرته وعمق فكرته وحلو فكاهته ورقيق سمره ، كل أولئك دون أن أحس أنه قصد إلى شىء من هذا ، وهذا هو فن الكتاب ، وهذا هو أدب المقالة كما بينه المؤلف فى مقدمة كتابه ، ثم هذا هو سر الجمال فى هذا الكتاب البديع . ولقد خاطب المؤلف الفاضل قارئه فى صدر كتابه بقوله « نشدتك الله لا تحكم على قيمة هذا الكتاب بقيمة كاتبه ، إن كاتبه ليرجو أن يكبر فى عينيك بهذا الكتاب ... نشدتك الله لا تحكم على هذا الكتاب بمعيار قادة الأدب فى بلادنا ؛ إنما نشرت هذا الكتاب لأناهض به أولئك القادة فكأنما بهذا الكتاب أقول : منّ هنا الطريق يا سادة لا من هناك » .

زكى يا صديق ... هات ، هات من أحلام جنتك فإنا إلى مثل هذا الأدب عطاش .

الخفيف

إخوان الصفا[1]

تأليف الأستاذ عمر الدسوقى

الأستاذ بكلية دار العلوم

إخوان الصفا جماعة بارزة بين مفكرى الإسلام ، يمتز الباحثون بآرائهم ، وإن اختلفوا فى حقيقة أمرهم ، وقد كتبت عنهم رسائل صغار ، ومقالات قصار ، ولكن الأستاذ عمر الدسوقى قصر كتابه هذا عليهم ، وتفرد ببحوث مفصلة عن عوامل ظهورهم ، وروافد ثقافتهم وحقيقتهم ، وناقش المرحوم أحمد زكى باشا مناقشة عنيفة فى نسبته هذه الرسائل إلى مسلمة بن قاسم الأندلسى وفى نفيه أن المجريطى ألف رسائل مثلها ، ثم كان له السبق فى تجلية آرائهم ، وجمع شتاتها ، والموازنة بينها وبين آراء من سبقهم أو جاء بعدهم من فلاسفة الشرق والغرب ، منتفعاً بدراسته العربية فى كلية

(١) من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية .

دار العـلوم وبثقافته الغربية في جامعة لندن ، ثم تميز ببحث قيم مبتكر عن آرائهم فى التربية .

عقد المؤلف الفصل الأول لدراسة الحياة السياسية فى القرن الرابع ؛ لأنهم ثمرة عوامل عدة منها الحالة السياسية « والـكائن المستقل عما قبله وما بعده والذى لا يتأثر بشىء مما حوله ولا يتأثر بشىء مما سبقه أو أحاط به — لا عهــد للعالم به حتى اليوم ، فالمصادفة محال » .

ثم عقـد الفصل الثانى للحياة العقلية ، فتكلم عن السريان وأثرهم ، وعن نشأة الفلسفة الإسلامية وعلم الـكلام ، وأثر الفلسفة اليونانية فى العقل العربى ، وخلص من ذلك إلى أنهم تأثروا بالـكندى فى فلسفته الطبيعية ، وبالمترجين وآرائهم ، وبالفارابى فى إحصائه للعلوم ، حتى وضعوا رسائلهم التى تشبه دوائر المعارف بالنسبة إلى زمانهم .

ثم تتوالى الفصول بعـد ذلك عن إخوان الصفا ، وزمانهم ، ومكانهم ، ونظام جماعتهم ، ومذهبهم ، وفلسفتهم ، ورأيهم فى النفس الإنسانية وفى التربية ، معروضة عرضا علمياً واضحاً مستخلصاً من رسائلهم .

ويجمل بنا أن نعرض بعض آرائهم التى استخلصها المؤلف من رسائلهم ، فهم مثلا يدينون بخلود النفس بعد أن تفارق الجسد ، ويوازن المؤلف بين رأيهم ورأى أفلاطون فى (الجمهورية) وفى (جورجياس) ، ثم بين الرأيين فى خلود كل نفس وبين رأى أرسطو فى خلود النوع الإنسانى . وهم يذهبون إلى أن البعث إنما يكون بأحوال تطرأ على النفس بعد انسلاخها من الجسد ، ويقولون بخلود العالم ، ويتساءل المؤلف : كيف يتفق هـذا الرأى المخالف للدين الإسلامى مع آيات القرآن الـكريم ؟ ويورد تفسيرهم لآيات البعث تفسيراً قائماً على التأويل ، ويحكم بأن هذا تعسف وتكلف . ثم هم يذهبون إلى أن المعلم دعامة فى صرح الأمة ، وعلى الآباء أن يتخيروا لبنيهم المعلم الصالح المستنير المتحلى بفضائل عدُّوها والمبرأ من رذائل أحصوها ، والمعلم كالأب له على تلميذه حقوق الأب .

وتكلموا عن التلميذ والمنهج الدراسى الملائم له وطريقة تحصيله للعـلم ، واهتموا باستخدام الحواس فى التحصيـل اهتماماً زائداً فى مواضع شتى ، وسبقوا برأيهم (بستالوتزى) فى عنايته بالملاحظة والإدراك الحسى ، وسبقوا (هربارت) فى نظرية الاستطلاع ، وبقولهم إن قوى النفس الإنسانية متحدة مرتبط بعضها ببعض .

ثم هم يذهبون فى التربية الخلقية إلى أن الخير يجب أن يعمل حباً فى الخير ، لا رغبة فى ثواب ولا رهبة من عقاب ، لأن هذا الخير المحض هو السعادة ، ويقرر المؤلف أنهم سبقوا بهذا الرأى الفيلسوف الألمانى (كانت) الذى بنى فلسفته الأخلاقية على أن الخير يجب أن يعمل لذاته . ثم يعرض المؤلف رأيهم فى الفضيلة وتأثرهم بأرسطو فى أنها وسط بين رذيلتين .

وبعد ، فهذه لمحات أو قطفات مراع من هذا البحث الممتع القيم ، وكانت آراء إخوان الصفاء زهرات مبعثرات ، فجمعها المؤلف فى طاقة منسـقة كانت هذا الـكتاب ، ومن ذا الذى لا تهفو نفسه إلى أن يستمتع من هذه الطاقة بنظرات وسبحات؟

أحمد محمد الحوفى

زقاق المــــدق

(قصة للأستاذ نجيب محفوظ)

هو اللوحة الحية الرائعة التى رفعت عنها ريشة الفنان البارع الأستاذ نجيب محفوظ . وقد يعجب القارىء من ناقد يفتتح مقال نقده بهذا المديح الجارف ؛ ولـكن مهما يكن الناقد مسرفاً فى تزمته ، فإنه إزاء نجيب لا يملك غير المديح المتدفق يجرى على قلمه لا يقف فى سبيله أى عارض من عوارض التوقر التى تركب النقاد . بل إنه يجد خلف هذا الاندفاع ما يشجعه على المضى فى السبيل التى يسلك حتى يريح ضميره الأدبى مما يحسه نحو هذا النابغة الفنان ... وقد أصبح الهدم فى أيامنا هذه بضاعة سهلة ، يسومها كل محاول للـكتابة ... يظنون أن الشتيمة جرأة ... يا هؤلاء ! إنكم إذ تشتمون تظهرون بمظهر الجرأة حين لا جرأة لديكم ، لأن من تشتمون لا يملك أن يلحق بكم أذى . ولـكنكم إن مدحتم استهدفتم لقول القوم : إنهم يتملقون . وما أجرأ من يعرض نفسه لهذه القالة ... وهأنذا أمدح ... لا عن رغبة فى إظهار جرأتى ، فلن يظن بى أحد تملقاً ... لـكن رغبة فى أن يكون الحق — حتى ولو كان مديحاً — هو الحـكم الوحيد الذى نخضع له ضمائرنا ... إننى أعلن فى يقين راسخ أن نجيباً أصبح فى القمة الشاهقة التى يعتليها كبار كتاب القصة المصرية .

واضح من العنوان أن القصة قد أخذت مساربها فى أحياء وطنية خالصة … ولكن الغريب فى أمر هذه القصة أن الأستاذ نجيب لم يطارد شابا بذاته من شبان الدق ليجعله بطل قصته ، ولم يجر خلف فتاة معينة من فتيات الزقاق ليقيم منها الشخصية الأولى فى القصة . لم تكن شخصية البطل آدمية ، بل كانت الزقاق أجمه بما يحويه من مشايخ وكهول وفتيان ، وما يحويه أيضاً من عجوزمتصابية ، وكهلة تريدالزواج ،وفتاة تستعرض فتيان الزقاق .. كان بطل القصة هو الزقاق .. كان لكل شخص قصته وصورته .. ولكل معهد من معاهد الزقاق رفاقه يكونون رسمه ويروون روايته .. ثم كان لكل قصة نهايتها ..

إن زقاق المدق هى القصة الأولى من نوعها فى اللغة العربية . إذ جرى كتاب القصة على أخذ شخص أو شخصين ينسجون حوله أو حولها قصتهم نسيجاً لحمته أشخاص آخرون . أما أن يكون كل شىء فى القصة بطلا ، فهذا نوع جديد فى القصة العربية . ونجيب بارع كل البراعة حين يظل ممسكا بقياد القصة بين يديه لا يدع مجالا لها تفلت منه ، حتى يصل بكل شخصية خلقها إلى النهاية التى أرادها .

وعجيب أن يستقيم له هذا الأمر مع هذا الحشد الهائل من شخصيات روايته … وقد انتفع الأستاذ نجيب بكل الظروف التى أحاطت بمهد القصة . فكان للحرب دور كبير فى الرواية . فهى التى مهدت السبيل لابن المقهى أن يكون غنياً يستطيع أن يذهب إلى السينما ، وأن يمشى بين رفاقه مزهواً يعيرهم بقائهم على حالهم لا يبذلون فى سبيل «التريش» مجهوداً . وما زال بمجرفته حتى حدا بالحلاق أن يشد الرحال إلى الإسماعيلية فيعمل «بالأرنس» يجمع أموالا تليق بفتاة أحلامه وفتاة الدق التى خطبها قبل السفر . . والحرب هى التى هيأت للفتاة أن تكون « ارتست » ونرى نجيباً وقد أنشأ مدرسة قائمة بذاتها لتعليم أرتستات الحرب كيف يأخذن المال من « جونى » ونرى معلم المدرسة وقد رسمه نجيب رسما عجيباً … مزيجاً من الشدة واللين ، ومن اللطف والفظاظة . ولئن كانت المدرسة حقيقة سمع بها نجيب ، فتسجيلها فى قصته لفتة جميلة . وإن كانت بنت خياله فهو رائع إذ ينشئها .

وكما أفاد نجيب من الحرب ، أفاد من نهايتها أيضاً . . فأخرج العامل المتعجرف من عمله · وأطلقه سكيراً ، هائماً على وجهه ، ثم قاتلا لأخته من الرضاعة التى أصبحت فى نظره جريمة العفة .

وأعادت نهاية الحرب الحلاق النازح للغنى إلى الزقاق حيث يجد فتاته وقد أصبحت ذات ثراء واسع سكبه عليها لينها ، فهو يساعد أخاها فى قتلها .

وقد كان للظروف الطبيعية التى يمر بها كل قوم دور فى الرواية . فنرى شاعر الربابة يضم قيثارته ويخرج من قهوته الأخيرة بعد أن ابتاعت « راديو » وأصبحت فى غنى عن قصصه التى حفظها جميع رواد القهوة .

ويمتاز نجيب برسم شخصياته كما يخلقهم الله . فنرى فى الشرير خيراً وشراً . ولكنه يغلب فيه ناحية الشر على الخير ، ونرى فى الخير شراً وخيراً ، ولكن خيره غالب على شره .

ولنأخذ مثلا للشخصيات الخيرة فى الرواية الشيخ رضوان الحسينى فنرى الخير فيه غالباً . فهو الذى يلجأ إليه سكان الزقاق فى الملمات . وهو المثل الذى تشير إليه الأمهات إذا شئن أن ينصحن أبناءهن .. ولكنه مع هذا شرير مع أهل بيته ، يفرغ فيهم مايكظمه من غضب فى مخاطبته لأهل الزقاق. أما الشخصيات الشريرة فهى كثيرة ؛ ولكن لنأخذ مثلنا المقهى ، فهو رجل ذو أمزجة مختلفة كلها شاذ يدعو إلى الاستنكار الشنيع . ولكنه مع هذا لا يطيق أن يبذل وعداً بالصلاح حين يطلب إليه الشيخ أن يبذله . فهو رجل لا يعد دون تنفيذ .

لن أحاول الكلام عن جميع الشخصيات التى رسمها الأستاذ نجيب، فهى — كما قلت — كثيرة ، وكلها بطل ؛ ولكن ثمة شخصية رسمها نجيب حاد فى لمحة منها عن طريق كنا ننتظر أن تسلكه ، هى شخصية صاحب الوكالة . وهو بك كبير فى السن ، كان يأمل أن يتزوج من فتاة الزقاق . وكم كان الأستاذ نجيب موفقاً فى عرضه لهذا الحب العجيب بين النسق والضحى. ولكن قبل أن يتم الزواج سقط الرجل مريضاً ، ولج به المرض ، ثم شاء له الله الشفاء ، وكنا ننتظر أن يقوم من مرضه مؤمناً بالله ، شاكراً له ، ولكن الأستاذ نجيب أقامه ساخطاً على الدنيا ، برما بها ، كافراً بنعمة من شفاه … ومن الناس من يصاب بهذا … وكل ما ألاحظه أننا كنا ننتظر غير ذلك … ولا ضير عليه إذا أخلف ظننا .

وبعد . فلا يسعنى إلا أن أقدم للحياة المصرية المصرية كل تهنئتى أن وفقت إلى قصاص كنجيب ، يرسمها فيترك منها للأجيال القادمة صورة واضحة المعالم جلية المعارف .

ثروت أباظه



وا أسفاه ! مات النشاشيبي :



قُضى الأمر وقَضى إمام العربية الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ! توفاه الله إليه فى منتصف ليلة الخميس الماضى بالستشفى بعد أن نقلناه إليه من الفندق بأربع ساعات ؛ ثم انتشر نعيه فى الصباح الباكر فلم يبق أحد ممن يعرفون الفضل أو يقدرون الأدب أو يقوّمون الخلق إلا أرسل عينيه أو قلب كفيه حزناً على استشهاد هذا البطل المخلص فى الميدان الذى ارتضاه لجهاده فى سبيل دينه ولغته وعروبته .

كان نعيه يقابل فى كل مكان ومن كل إنسان بالحسرة والدهشة : بالحسرة ، لأن من قرأ النشاشيبي يعتقد أن مكانه لن يملأ وأن خلفه لن يكون . وبالدهشة ، لأن من رأى النشاشيبي لا يتصور أن هذه الشعلة الذهنية تخمد ، ولا أن هذه الحركة العصبية تسكن . أخلد النشاشيبي مضطراً إلى سكينة الموت بعد خمسة وستين عاماً قضاها فى جهاد متصل : جاهد فى شبابه للحياة من غير هدنة ؛ ثم جاهد فى شيخوخته للخلود من غير راحة ؛ ثم ألقى السلاح ومضى كما يمضى الربيع تاركا وراءه الخصب والعشب والثمر .

كانت جنازته فى يوم الجمعة تكريماً للأدب والعلم سار فيها مندوب جلالة الملك ، وصاحب السماحة مفتى فلسطين ، ومندوب صاحب الدولة رئيس الوزراء ، وممثلو الدول العربية والإسلامية ، وصفوة من رجالات مصر ، حتى مثواه الأخير. تغمده الله برحمة من عنده ، وألهم أسرة الرسالة وأمة العروبة الصبر على فقده !

المهرجاله الأدبي والفني :

عينت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف يوم ٢٠ فبراير القادم لإقامة المهرجان الأدبى والفنى . وجعلت يوم ٢١ يناير الحالى آخر موعد لقبول الإنتاج الأدبى وآخر الشهر بالنسبة للانتاج الفنى (التصوير والنحت والأشغال والزخرفة)

وتوالى الآن لجان التحكيم النظر فى الشعر والقصص والمسرحيات والأغانى والأناشيد ، وسيختار موضوع للخطابة يتبارى فيه الخطباء .

وقد اختيرت مسرحية « اسماعيل الفاتح » للأستاذ إبراهيم رمزى بك ، موضوعاً للمباراة بين الفرق التمثيلية المدرسية ، والفصل الثالث من رواية « مصرع كليوبترا » للمرحوم شوقى بك موضوعاً للمباراة بين الفرق التمثيلية الجامعية . أما فرق الهواة فلها أن تتقدم بالمسرحية التى تراها كما يجوز لها أن تحصل بعد ٢١ يناير على إحدى المسرحيات الفائزة فى مباراة الأدب لتدخل بها مباراة التمثيل

وسيمنح الفائزون الجوائز الآتية :

أنواط ذهبية تذكارية للفائزين من الأدباء والفنانين من غير الطلبة ، وأنواط فضية تذكارية للفائزين من الأدباء والفنانين الطلبة ، وشهادات تقدير وتفوق مصحوبة بنوط للفرق المدرسية والجامعية الفائزة فى الموسيقى والتمثيل والأناشيد ، وجوائز مالية مختلفة يخص بها الأدباء والفنانون الذين ترى اللجان ضرورة تشجيعهم واستنهاض هممهم وملكاتهم .

معرصه الكتب والفنوله :

وتقرر أن يقام معرض الكتب الصادرة فى سنة ١٩٤٧ ومعرض لفنون التصوير والنحت والأشغال والزخرفة . من ٢٠ فبراير إلى آخر الشهر ، وذلك بدار إدارة خدمة الشباب (رقم ٧ شارع سليمان باشا) التابعة للادارة العامة للثقافة .



قـــوة الحب

للقصصى الانجليزى الشهير فيرنيك مولنار

بقلم الأديب سيد أحمد قناوى

« حيث لا يوجد الذهب ، يوجد ما هو أقوى منه
ذلك هو الحب القوى الجارف الذى لا يقاوم »

أخذ الهواء يعبث بالدخان الذى يتصاعد من إحدى مداخن قصر الـكونت « سكارلث » ولـكن أحداً فى هذه الأرض الفسيحة لا يستطيع أن يصدق أن طهاة « الـكونت » يعدون له طعام الإفطار فى هذه الساعة المبكرة ، ولو تسنى لأحد من سكان هذه القرى التى بعثرت حولها قصور النبلاء أن يدرك حقيقة ما يحدث فى قصر الـكونت — لعرف أن هـذا الدخان يتصاعد من معمل الكيماوى « كونارد سوبابولو » الذى يقيم فى قصر الـكونت منذ ثمانية عشر شهراً ليحول له الرصاص وغيره من المعادن الخسيسة ذهباً ...

والواقع أن الـكيميائى الـكهل لم ينجح فى تجربة واحدة من تجاربه العديدة على رغم ما أنفق من الجهد فى هذا السبيل .

وكان يبعث بكل ما يصل إلى يده من أموال « الـكونت » إلى زوجة قد أنـكرها وطفل قيل له إنه ابنه ...

وعند ما أحس بأن « الـكونت » قد أخذ يضيق بإقامته ونفقاته ، أراه قطعة صغيرة من الذهب لم تتحول من الرصاص ولا من غيره ، ولـكن « الـكونت » الشرير رغم درايته بكل وسائل الخداع لم يدرك أن قطعة الذهب وضعت خفية مع الرصاص الذى ترك يغلى على النار أمام عينيه طوال الليل .

إلا أن هـذه القطعة الذهبية ، قد فتحت ثغرة فى حياة

البانتوميم والميم :

ذكر الأستاذ الفاضل عبد الفتاح البارودى فى الحلقة الثانية من سلسلة مقالاته القيمة عن فن المسرح (عدد ٧٥٩) أن البانتوميم Pantomime والميم Mime فنَّانِ من فنون الرومان فى العصور القديمة. فليسمح لى الأستاذ أن أقول إن اليونان عرفوا هذين النوعين بل إن أشهر ممثليهما هو بِيلاَدِس Pylades الممثل اليونانى المعروف وإذن يكون هذان الفنان يونانيين وليسا رومانيين .

رمزى خليل

النوغاء :

المفهوم أن لفظ النوغاء مذكر وأن همزته ليست للتأنيث وأنها مقلوبة عن الواو ، ولـكن جاء فى الرسالة الغراء عدد ٧٥٨ فى الفقرة ٩٦١ من نقل الأديب فى السطر السادس منها — قامت عليه النوغاء — وفى هذا ما يشعر بتأنيث اللفظ فما قول الأدباء .

أبو ماضى

المتبارون على جائزة جونكور :

تنشر الصحف الفرنسية تكهنات مختلفـة عمن يمنح جائزة « جونكور » . ويؤخـذ من مجموع ما نشر حتى الآن أن هناك ثلاثة فى طليعة المرشحين لهذه الجائزة وهم :

١ — جاك بيريه الذى قضى شبابه فى حياة مضطربة . إذ سافر إلى « لاجويان » على سفينة لنقـل الموز واشتغل عاملا فى مناجم الذهب ثم اشترك فى الحرب الأخيرة وأسر سنة ١٩٤٠ واعتقل فى معسكر بالقرب من برلين حتى سنة ١٩٤٢ وهناك وضع كتابه الذى عرضه أخيراً باسم « الجاويش » الذى أحرز درجة الشرف .

٢ — مارى ليهادوان وقد تقدمت بمؤلف عنوانه « النجم المر »

٣ — ريمون دوماى رئيس تحرير جريدة « الآداب » الذى بدأ حياته خادماً فى عزبة . وقد كان لحياته الخلوية تأثير فى كتاباته فأخرج « الحشيش الذى ينبت فى المرعى » وقد تقدم أخيراً بمؤلف آخر بعنوان « عنب من الذرة » .

جائزة فمينا :

منحت جائزة « فمينا » أخيراً لمدام جابرييل روى وهى كاتبة فرنسية من أصل كندى . عن رواية أخرجتها باسم « سعادة طارئة » وقد وصفت فيها حياة أسرة تقيم فى حى العمال بمدينة « مونتريال » وتتألف من أم مجدة وأب تعس . وبنت (وهى بطلة الرواية) خادمة فى بار .

الكيميائى الكهل فإن « الكونت » قد اعتقد أن الرجل ليس جاهلا ولكنه لص يسرق الذهب الذى يستخرجه من الرصاص.

وقد أقسم له الكونت أنه إذا لم يقدم إليه فى الصباح قطعة كبيرة من الذهب الخالص فسيقوده بيده إلى أعلى برج فى القصر ثم يقذف به إلى أرض الحديقة.

وكان « كونارد » يعرف أنه سيلقى حتفه فى غده ، فإن « الكونت » لا يحنث فى يمينه . فقد أقسم من عام أن يقطع أذنى أحد خدمه وبر بقسمه ، فأخذ الرجل ينتفض من الخوف ، ومع هذا استيقظ مبكراً ووضع بعض الآنية على نار الموقد وهو يعلم أن لا شىء فيها غير بعض المعادن الخسيسة.

ودقت ساعة القصر الكبير السابعة ، وعرف « كونارد » أنه من الموت على خمس ساعات ، ولكنه كان متفائلا ، وقبل أن يخفت رنين دقات الساعة فتح باب غرفته ، وهاله أن يرى الكونت المجوز بعظام وجهه البارزة يسد الباب بقامته الفارغة وسمع صوته الأجش يقول :

— أين الذهب الذى تستخرجه من الرصاص أيها اللص ؟

وجثا « كونارد » بين يديه وهو يقول :

— لا شىء فى البوتقة يا سيدى الكونت !

واصفر وجه المجوز ووثب إليه بسرعة ، وأمسك بتلابيبه ليقتاده إلى البرج ، ولكن الكيميائى قال هامساً :

— تمهل يا سيدى فإنى لم أجد الذهب وإنما وجدت ما هو أغلى منه ثمناً.

فضحك « الكونت » ضحكة ساخرة وقال :

— وأى شىء هذا المعدن الجديد ؟

— إنه ليس بالمعدن يا سيدى «الكونت» وإنما هو مركب كيميائى يحتوى على قوى الحب الذى لا يقاوم ...

عندئذ تراخت قبضة « الكونت » عن عنق الرجل وقال :

— وهل أبتلع هذه الأكذوبة أيضاً كما ابتلعت قصة الذهب ثمانية عشر شهراً أيها المحتال ؟

وقال الكيميائى لنفسه : إن التردد نصف المصدق.

فتنفس الصعداء وراح يتابع أكذوبته :

— ليست هذه أكذوبة بل هى حقيقة أعرف بها كيف أجعلك تقهر قلوب النساء.

واتسعت حدقتا « الكونت » الهرم ، فقد كان فيما مضى زير نساء شهير فلما تقدمت به السن ويبست سواعده وبرزت عظام وجهه دعته النساء الهيكل وأشحن بوجوههن عنه ، وبدت على وجهه علائم السرور فتابع الكيميائى الكهل حديثه

— لقد خلطت مسحوق الفضة بالرماد ، ثم أضفت إلى المسحوق مواد خاصة أحتفظ بسرها . فهب « الكونت » يسأله وهو يلهث :

— ثم ماذا ؟

— لاشىء إلا أننى سأصنع لك من هذه المواد قطعة صغيرة من المعدن تثبت فى مقبض سيفك ، فاذا أردت أن تهاجم سيدة بغرامك وضمت يدك اليسرى على مقبض السيف فوق القطعة الفضية الداكنة وثق أنها لن تستطيع مقاومة نظراتك وستنصت من توها لغزلك.

فقال الكونت :

— وهل تثق بهذا ؟

— كل الثقة ، وأرجو أن تترك لى سيفك الليلة ، وفى الصباح سيكون كل شىء وفق ما تريد ، وسأترك لك تقدير المنحة التى تمنحنى إياها.

***

واستفاضت الأنباء بقصة القطعة الفضية التى وضعت عند قبضة سيف «الكونت اسكارلت» لتمكنه من غزو قلوب النساء وقبل أن تمر ثلاثة أيام كان الكيميائى الكهل قد تلقى ثمانى عشرة رسالة من النبلاء الذين يقيمون فى المناطق المجاورة بدعوته إلى الإقامة فى قصورهم ويعدونه المنح والهدايا لو باح لهم بسر قواه الجديد.

ولكن « سكارلت » كان أبسط يداً كما كان أضن بأن يترك « كونارد » يبارح قصره.

وفى اليوم الرابع بدأ « الكونت سكارلت » أولى غزواته وقد تقلد السيف الذى يحمل القوى العجيبة ... فتخير لغزوته قصر سيدة صغيرة موسرة تعيش على مقربة منه وقد فشل أكثر من مرة فى التقرب إليها ... وكانت هذه النبيلة الحسناء تعيش عيشة البذخ تحيط بها اثنتان وثلاثون سيدة من وصيفات الشرف فبعث « الكونت » فى الصباح الباكر إلى جارته الحسناء

ينبؤها بقدومه عند الظهر ... وأثارت رسـالته ضجة عالية ، كانت « الثلاث والثلاثون » سيدة ينتظرنه وكل واحدة منهن تزعم لنفسها أنها أقوى من هذه القطعة الفضية التي وضعت عند مقبض السيف ، ولـكن سيدة القصر صرفتهن عندما دخل عليها « الـكونت » وتقدمت إلى لقائه في البهو الـكبير وقدمت إليه مقعداً وهي لا تعلم أن أربعاً وستين عينا كانت ترقب كل حركاتها من وراء السجف .

وانكأت الحسناء على مقعدها ، وكانت حتى تلك اللحظة تسخر من منظر « الـكونت » الهرم وتضحك من عظام وجهه البارزة ولـكنه عندما وضع سيفه بين ركبتيه على عادة الفرسان أخذت تحدق في السيف ، فراعها مرآه ، وخلبتها هذه الماسات الـكبيرة التي تغطي قبضته ، ثم ألقت نظرة عابرة على القطعة الفضية القاتمة اللون التي زادها الضوء القليل سواداً .

ولم يفطن الـكونت والحسناء الشابة أن اثنتين وثلاثين سيدة يراقبنهما ، وقد قررن في أنفسهن أن « الـكونت » يبدو مهيب الطلعة .

قال الـكونت بثقة :

— إنه يوم جميل .

فقالت السيدة وهي لا تزال تنظر إلى القطعة الفضية ساخرة :

— أجل جميل .

ووضع « الـكونت » يده اليسرى على القطعة الفضية وهو يقول :

— وهو دافىء أيضاً .

وأحست السيدة برعدة عابرة وتحركت السجف ودار همس خافت « لقد قبض بيده على القطعة الفضية »

ولم ترفع الحسناء عينيها عن يده ، ولم تلق بالها لحديثه التافه ولـكنها كانت تستشعر الخوف فلم تفطن إليه وهو يقترب منها حتى جلس بجوارها في المقعد الـكبير وأخذ يقول :

— مم تخافين ؟ مني ... إنني أكن لك احتراماً منذ أمد بعيد . وكان من الممكن أن تسمع السيدة الهمس وراء السجف فقد كانت اثنتان وثلاثون امرأة يتهامسن بعد أن قررن أن الرجل قد انتصر وأنهن يجب أن ينصرفن

وأحست السيدة رهبة خفية عندما سمعت صوته يقول إنه يحبها منذ أمد بعيد فهمست :

— إن كنت تحبني فارفع يدك عن تلك القطعة الفضية التي تحلى مقبض سيفك.

فقهقه « الـكونت » وهو يقول :

— محال !

وازداد تمسكا بقبضة سيفه .

وفي اللحظة التالية كان يطوق خصرها بيده اليمنى ويقبلها ، وحاولت الحسناء أن تقف فلم تستطع وسقط رأسها الجميل كزهرة يانعة فألصق شفتيه بشفتيها وراح يقول هامساً :

— إنني أحبك وسأقصر حياتي كلها عليك .

— وأنا كذلك سأظل لك ...

***

ومضت عشرة أعوام كانت مليئة بنجـاح غرامي متصل « للـكونت سكارلت » لم يقطعه إلا الموت .

وانتقل الكيميائي الشيخ وقد أشرف على التسعين إلى منزل « البارون دوبرون » وكان الـكيميائي قد هده المرض العضال ، ولـكن البارون لم يطق صبراً ، فقرر في نفسه خطة وذهب إلى الـكيميائي المريض يسأله عن سر القوى ؛ فقال المريض بصوت خافت متهافت :

أقسم لك يا سيدي « البارون » أن المسألة خرافة ؛ فليس هناك قوى سحرية ولا شبه ذلك ، فالقطعة الفضية لا فرق بينها وبين حدوة الفرس .

إن سر المسألة : ثقة الرجل بنفسه ، وهذه الثقة هي قوة الحب . ولا مخلص لامرأة حسناء من قبضة رجل يثق بنفسه ، وإذا وثق الرجل بشيء وثقت المرأة به . إنك ستكذبني وستذهب إلى السيدة التي تريدها وأنت فاقد الثقة بقوتك الحقيقية ، وهي القوة الـكامنة في عينيك ولسانك وشخصيتك فتفقد كل شيء ، ولذا ... ولم يكد يتم الـكيميائي الشيخ حديثه حتى ضربه « البارون » بجمع يده على رأسه يريد أن يسخر منه .

ولـكن الرجل قد مات والحقيقة على شفتيه لأن الناس دائماً لا يصدقون الحقيقة !

(السودان) سيد أحمد قناوي

مطبعة الرسالة



العدد ٧٦١ - الاثنين ٢ فبراير ١٩٤٨ - السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥١٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 761

Lundi — 2 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٧ — ٢ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

محمد إسعاف النشاشيبي



أهكذا، وفى أسرع من رجع النفس يسكت اللسان الذليق، ويسكن العصب الثائر، ويخمد الذهن المتوقد، ويقف الفؤاد الذكى، ويصبح النشاشيبى نعياً فى الصحف، وخبراً فى البلاد، وحديثاً فى المجالس، لا يقول فنسمع، ولا يكتب فنقرأ؟!

أهكذا، وفى مثل ارتداد الطرف يترك النشاشيبى قلمه سائلا بالمداد، وكتبه مهيأة للطبع، ومجلسه مشتاقاً للسماع، ومجلته منتظرة (للنقـل)، ويذهب إلى حيث لا يرجع ولا يكتب ولا يتحدث؟!

سبحانك يا رب! شماع أرسلته ثم رددته، وروح بثثته ثم أعدته، وظل بسطته ثم قبضته، ولواء رفعته ثم خفضته، وبنو آدم العاجزون الضعاف لا يملكون أمام أمرك البادى وسرك المكنون إلا أن يشكروا على العطاء والأخذ، ويحمدوا على المحبوب والمكروه!

كنت ثالث ثلاثة استبقاهم الوفاء بجانب إسعاف فى ساعاته الأخيرة؛ وكان الطبيب واقفاً يصف الدواء وينظم العلاج ويرشد الممرضة؛ وكان المريض جالساً فى سريره حاضر الذهن حافل الخاطر يغالب انبهار النفَس من الربو، ويجاذب العوّاد مارقَّ من الحديث: فهو يضع لسانه حيث شاء من نوادر اللغة، وطرائف الأدب، فينتقل من الكلام فى (ليس غير) إلى الكلام فى ترجمة (حونة) لقصيدة خلف الأحمر، حتى إذا سمع الطبيب يصف له البنسلين قطع الحديث وقال بلهجته المعروفة: أنا أكره البنسلين لأنه أنقذ تشرشل! فقلنا له: ونحن نحبه لأنه سينقذ أبا عبيدة! وكانت مظاهر العزم فى حديث (أبى عبيدة) توسع فى أنظارنا فسحة الأمل، وتصرف عن أذهاننا فكرة الخوف، فلم يدر فى خلدنا أن المنية كانت مرنّقة فوق سريره تنتظر أنفاسه المعدودة أن تنقضى، وألفاظه المسرودة أن تنفد، فلم يكد السامر ينفض والساهر ينام حتى ختمت على فه المنون فسكت سكوت الأبد!

ولد محمد إسعاف بن عثمان النشاشيبى بالقدس حوالى سنة ١٨٨٢ فى أحد البيوتات التى تجاذبت السيادة على فلسطين؛ وكان أبوه من ذوى الثراء والدين والخلق فنشأه على الطباع العربية الأصيلة من جراءة القلب وصراحة الرأى وحرية الضمير. ثم أراد أن يجمع له أطراف المجد بالعلم والمال فبعث به إلى المدرسة البطركية ببيروت فشدا شيئاً من مبادىء الآداب والعلوم، ثم انقلب إلى أبيه، وكان يومئذ وحيده، فنظمه بالعمل فى سلكه،

ونزل له بالبيع عن أكثر ملكه . وأخذ إسعاف يتقلب فى ظلال أبيه على مهاد النعيم والخفض حتى تزوج أبوه زوجة أخرى ، ورزقه الله ولداً آخر ، فأراد إسعافاً على أن يرد إليه ما أعطاه ليكون شركة بينه وبين أخيه ؛ فأبى إسعاف أن ينزل عن شيء دخل فى رزقه وأصبح من حقه . . . وانشقت العصا بين الأب وابنه ، فخرج إسعاف من كنف الأبوة مغاضباً يضطرب فى المعاش ويسعى على نفسه . ومنذ ذلك اليوم عرف إسعاف الهم وذاق الألم وكابد البؤس . كان يعمل ليلهو فأصبح يعمل ليعيش ؛ وكان يقرأ ليلذ فأصبح يقرأ ليعلّم ؛ وكان يحيا لينعم فأصبح يحيا ليموت . وولى أبوه غفر الله له وساطة الناس أذناً صماء فلم يعنه على تكاليف العيش بتمكينه من ريع أرضه ، فذهب يستقطر الرزق من تعليم العربية فى بعض المدارس . وكان يعول بعض الضعيفات من أهله ، فتحمل فى سبيل ذلك رهقاً شديداً بقى أثره بارزاً فى نفسه طيلة حياته ، تعاوده ذكراه فى سكينته فيضطرب وفى لذته فيتألم. ثم حسم الله الخلاف بينه وبين أبيه بالموت ، فوضع إسعاف يده على نصيبه من الثراء العريض . وعاد إليه الحظ باسماً يتملقه ويعتذر إليه ، فتلقاه الكادح المحروم كما يتلقى الثرى المكروب ماء المزن وفى القدس شيد قصره المنيف ليكون مثابة للأدباء ومجمعاً للأدب ، ثم اقتنى مكتبة من أنفس الكتب وأندرها ، وأقبل عليها وهو لا يزال فى ربيع العمر فقتلها علماً وفهماً وتدقيقاً وتعليقاً واختياراً واستظهاراً فلم يترك كتاباً مما أخرجته المطابع أو نسخته الأقلام فى القديم والحديث إلا قرأه وعلق عليه واستفاد منه . ثم وقف بعد ذلك نفسه ووقته وجهده على دراسة الإسلام الصحيح فى مصادره الأولى ، وتحصيل اللغة وعلومها وآدابها من منابعها الصافية ؛ وأعانه على ذلك قريحة سمحة وبصيرة نيرة وحافظة قوية وذوق سليم ، فكان آية من آيات الله فى سعة الاطلاع وكثرة الحفظ وتقصى الأطراف وتمحيص الحقائق . ثم جلس على مكتبه كما كان يجلس ابن دريد ، عن يمينه زجاجة فيها مداد القلم ، وعن يساره أخرى فيها مداد الفكر ؛ وأخذ يعسل كما تعسل النحل إذا امتلأ جوفها بالرحيق . وفاضت بهذا العسل المصفى أنهر الصحف والمجلات فى الشام ومصر ، فاشتاره القراء متنوع الطعوم مختلف الألوان متعدد الأسماء. ولئن سألوا لمن هذا الشراب أعياهم أن يجدوا الجواب فى إمضاءاته الرمزية من نحو (ن) و(أزهرى المنصورة) و(***) و(السهمى) ؛

لأن النشاشيبى لم يكتب للشهرة والمجد ، إنما كان يكتب للعصبية والعقيدة . أخلص لله فأخلص لقرآنه ، وأولع بمحمد فأولع بلسانه . فإذا جلس إلى الناس فى القدس أو فى دمشق أو فى القاهرة كان مجلسه ندوة علم وأدب وفكاهة ، لا تذكر مسألة إلا كان له عنها جواب ، ولا تثار مشكلة إلا أشرق له فيها رأى ، ولا تروى حادثة إلا ورد له عليها مثل ، ولا يحضر ندوته أديب مطلع إلا جلس فيها جلسة المستفيد . ثم كان فى غير مكتبه ومجلسه يشارك فى معارف فلسطين بعمله ، وفى المجمع العلمى العربى بعلمه ، وفى الثقافة العامة بكتبه ، وفى المحافل الأدبية بخطبه ، وفى المساعى الخيرية بماله . ثم أقلع منذ أربعة عشر عاماً عن شهوات الجسد فلم يبق له من لذاذات العيش إلا الكتاب العربى والسكارة التركية. ولكن إسرافه على شبابه أعقبه علة فى شعاب الرئة جرّت إليه الربو ؛ واصطلحت هاتان العلتان على القلب طيلة عشر سنين حتى أضعفتاه ، ومن هنا جاءت منيته .

كان النشاشيبى جاد الله بالرحمة ثراه رجل وحده فى الأسلوب والخط والحديث والتحصيل . أسلوبه عصبى نارى تكاد تحس الوهج من ألفاظه ، وتبصر الشعاع من مراميه . وخطه نمط عجيب بين الكوفى والتعليق لم يأخذه عن أحد ولم يأخذه منه أحد . وحديثه نبرات قوية تبرز الألفاظ ، وحركات سريعة تمثل المعانى ، وانفعالات شتى تتعاقب على قسمات وجهه وأصابع يده . وتحصيله عجب من العجيب ؛ لا تستطيع أن تذكر له كتاباً من كتب العربية لم يقرأه ، ولا بيتاً من شعر الفحول لم يحفظه ، ولا خبراً من تاريخ العرب والإسلام لم يروه ، ولا شيئاً من قواعد اللغة ونوادر التركيب وطرائف الأمثال لم يعلمه ؛ فهو من طراز أبى عبيدة والمبرد ، ولذلك كان أكثر ما يكتب تحقيقاً واختياراً وأمالى . ثم كان إلى كل أولئك متواضع النفس ، فكه الأخلاق ، لطيف الروح ، نفّاح اليد ، عفيف اللسان ، مأمون المغيّب ، لا يتمزز بحسبه ، ولا يطاول بماله ، ولا يباهى بعلمه ، ولا يفخر بشيء مما يتمدح به الناس إلا بالانتساب إلى العرب والانتماء إلى محمد ! إن النشاشيبى كان خاتم طبقة من الأدباء اللغويين المحققين لا يستطيع الزمن الحاضر بطبيعته وثقافته أن يجود بمثله . فمن حق المحافظين على التراث الكريم ، والمعتزين بالماضى العظيم ، أن يطيلوا البكاء على فقده ، وأن يرثوا لحال العروبة والعربية من بعده !

أحمد حسن الزيات

عود إلى مسألة العقل

للأستاذ عباس محمود العقاد

تلقيت تعليقين على مقالى السابق فى الرسالة حول مناقشة الأستاذ نقولا الحداد فى مسألة العقل والدماغ .

أول هـذين التعليقين ينبهنى إلى مسائل أخرى فى مقال الأستاذ الحداد لم أتناولها بالرد ، وهى كثيرة لا تنحصر فى أصل العقل وعلاقته بالدماغ .

والتعليق الثانى يشير إلى قولى فى ذلك المقال : « المعقول أن الإنسان تكلم لأنه فكر ، وليس بمعقول أنه يفكر لأنه يتكلم » ويسألنى مزيداً من الإيضاح لرأى السلوكيين فى هذا الموضوع .

***

أما أننى تناولت مسألة العقل دون غـيرها من المسائل التى تضمنها مقال الأستاذ الحداد فى عدد « المقتطف » الأخير فذلك صحيح ، وسببه أننى أردت التمثيل بطريقة الأسـتاذ الحداد فى التفـكير ولم أرد أن أتعقبه فى كل فـكرة وكل دليل .

فالأستاذ الحداد رجل فاضـل مطلع على الآراء العلمية محب للبحث على الطريقة التى يسميها بالطريقة التجريبية ، ولـكننى أحسبه — من كلامه — لم يشغل نفسه كثيراً بالمباحث الفلسفية ، ولم يعود عقله أن يعطيها حقها من التقدير الواجب والتأمل الطويل . ولا يعاب الأستاذ على ذلك لأن الناس جميـعاً لم يخلقوا للمباحث الفلسفة ودراساتها ، بل حسب العارف من المعرفة ما تهيأ له وجنح إليه بطبعه واستعداده ، وإنمـا يؤخذ عليه أن يقدح فى معرفة لم يملك أسباب الحـكم عليها ، وأن يتصـدى لرأى من الآراء بغير عدته التى تعينه على نقده وتمحيصه .

ولا نريد فى هـذا المقال أن نتعقب كل ما كتبه الأستاذ الحداد فى مقاله بالمقتطف ، فربمـا أغنانا عن ذلك زيادة مثل آخر على انفراج الشـقة بين طريقته الفـكرية وبين الموضوعات التى يتصدى لها بغير عدتها .

فالأستاذ يستغرب مثلا قولنا « إن الموجود غـير المدوم » ويتساءل : «أى معنى تفيده عبارة غير المدوم زيادة على الموجود ؟ أليست عبارة غير المدوم مرادفة لـكلمة الموجود لا مفسرة لها ؟ بل أليست كلمة موجود أوضح من عبارة غير المدوم ؟ ... »

فلو أن الأستاذ الحداد كلف نفسه أن يراجع تعريفاً واحداً من التعريفات المصطلح عليها لاستغنى عن هـذه الأسئلة وأعادها إلى نفسه ليعلم أنها لا تبطل شيئاً مما أراد إبطاله .

فتعريف الجزيرة مثلا هو أنها قطعة من الأرض يحيط بها المـاء من جميع الجهات . فماذا نفهم من قطعة الأرض التى يحيط بها المـاء إلا أنها الجزيرة ؟ .

وتعريف الخط المستقيم مثلا هو أنه أقرب موصل بين نقطتين . فماذا نفهم من أقرب موصل بين نقطتين إلا أنه الخط المستقيم ؟ هل تطالبنى بإفهامك ما هى النقطة قبل أن تسلم بالموصل بين النقطتين ؟ هـل تطالبنى بتعريف الجهات حول الدائرة أو حول المثلث أو حول المربع أو حول المستطيل إذا كانت الجزيرة على شـكل من هذه الأشـكال ؟ .

كل مايطلب من التعريف أنه ينفى الالتباس ويحصر الصفة . فإذا قلت لى ما هى مزية وصفك الموجود بغير المدوم ؟ فهذه المزية هى أننا نخرج من هنا « غـير المحسوس » و « غير المفهوم » و «غير المدرك» وغير المعلوم ؛ فلا ننفى وجود شىء لأننا لا نحسه أو لا نفهمه أو لا ندركه أو لا نعلمه . ويصبح الموجود بذلك أعم وأكبر من أن يلتبس بالمحسوسات والمدركات والمفهومات والمعلومات .

ولو أن الأستاذ أحسن تطبيق هذا التعريف لمـا استطاع أن يقول إن المـكان « هو العدم المطلق » كما قال فى ذلك المقال .

فعلى طريقتنا نحن نقول إن المـكان موجود لأنه غير معدوم . ونقيم الدليل على أنه غـير معدوم بأنه يقاس ويحتوى الموجود . والعدم لا يقاس ولا يحتوى الموجودات . فلا يسعك أن تقول إن متراً مكعباً من العـدم أكبر من قدم مكعبة من العدم . ولا يسعك أن تقول إن العدم المطلق يحتوى جميع الموجودات .

ولقـد رأينا عقلا من أكبر العقول البشرية — كعقل إينشتين - يكاد يفسر الموجودات كلها بهذا الفضاء الذى يحسبه الأستاذ الحداد عدماً مطلقاً لا يوصف بمجرد الوجود .

فقد قال اينشتين إن كل وصف للأثير يمكن أن ينطبق تمام الانطباق على الفضاء . ومن ثم وضع تلك الصيغة المشهورة عن المادة الفضائية Spase Substance وعنى بها أن الفضاء جوهر وقد يكون مصدر جميع الموجودات . فأين مصدر جميع الموجودات من العدم المطلق فى رأى الأستاذ الحداد ؟

إذا كان رجحان الفكرة إنما يظهر لنا بمقدار ما تفسره من الأشياء التى لا تقبل التفسير بغيرها فالقول بأن الفضاء مصدر جميع الموجودات يفسر لنا أموراً كثيرة لا نستطيع أن نفسرها الآن ومنها أن الأفلاك وما فيها من المادة نشأت من السدم الملتهبة ... فمن أين جاءت السدم الملتهبة بالحرارة ؟ هل جاءت بها منها أو من خارجها ؟ فإذا كانت قد جاءت بها منها فقد فسرنا الماء بالماء . وإذا كان الفضاء هو مصدر كل حرارة فليس هو بالعدم المطلق كما يقول الأستاذ الحداد .

وهكذا يجهل الأستاذ الحداد معنى « غير المعدوم » فينتهى به الأمر إلى وصف أثبت الموجودات — أو مصدر الموجودات على هذا التقدير — بأنه العدم المطلق الذى لا يتصور له وجود ..!

إن إظهار الخطأ فى مقياس التفكير عند الأستاذ الحداد يغنينا عن متابعة كل اعتراض يعترض به على وجه التفصيل . فذلك عناء يطول كما يطول كل نقاش بين طرفين يجرى على غير قياس .

ولعل هذا التمثيل قد أغنانا عن التفصيل والتطويل .

***

أما قولنا إن الإنسان يتكلم لأنه يفكر — فرجعه عندنا إلى الحقيقة المشاهدة فى التفكير والكلام .

فالحقيقة المشاهدة أن الإنسان قد يجد الفكرة ولا يجد لها كلاما . ولو كان الكلام هو مصدر التفكير لما وجد الفكر إلا حيث يوجد الكلام .

والحقيقة المشاهدة أننا نجد عقولا رياضية وعقولا فنية وعقولا علمية وعقولا فلسفية ، وليس اختلافها فى التفكير متوقفاً على اختلافها فى الكلام .

والحقيقة المشاهدة أن الكلام قد يضيق بأفكارنا فنلجأ إلى التعبير عنها بالرموز أو بتشبيهات المجاز أو بالأنغام والألحان ، ولو كان هو الأصل فى تفكيرنا لما جاشت أنفسنا بفكرة واحدة لم تخلق لها قبل ذلك كلمة أو كلمات .

والحقيقة المشاهدة أن كثيراً من المعانى العقلية ليست مما يتمثل للحس ويتسمى بالأسماء . ومنها الأقيسة والمقارنات .

ومذهب السلوكيين ينقض نفسه بنفسه فى تعليل التفكير بالقدرة على الكلام . فإنهم يزعمون أن الإنسان لم ينفرد بالسلوك أو بتفاعل الغرائز الجسدية التى تجرى مجرى التصرف والتفكير . ولكنهم لا يذكرون لنا لغة للحيوان تصدر منها أفكاره أو تصرفاته ، ولا مناص لهم من ذلك إن صح عندهم أن كل تفكير فمصدره لا محالة من الكلام .

وقد ناقش العالم النفسانى الكبير وودورث woodworth هذا المذهب فساق من الأدلة على بطلانه أن الإنسان قد يقرأ قصيدة طويلة وهو يفكر — أثناء قراءتها — فى شىء آخر . وليس ذلك بممكن لو كانت مسألة التفكير مسألة « عضلية » تتحرك فيها العضلات حين تحركها الكلمات .

وفى كتب هذا العلامة وكتب وليام مكدوجال Mc Dougall على الخصوص إشباع واف للبحث فى مذهب السلوكيين عن التفكير يرجع إليه من أراد التوسع فى هذا الموضوع .

ونوشك أن نقول إن تعليل التفكير بالكلام قد يكون تعليلا كافياً لأفكار السلوكيين ومن جرى مجراهم ؛ ولكنه غير كاف لتعليل كل ضرب من ضروب الأفكار ... !

عباس محمود العقاد

مصاب العرب والعربية

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض لدى المملكة العربية السعودية

روّعت الأمة العربية ليلة الخميس حادى عشر ربيع الأول بنعى علم من أعلام لغة العرب، وأديب نابغ من أدبائها، وكاتب مبدع من كتابها. فجعت أمة العرب فى ابن بارّ منحها قلبه ولسانه وقلمه عشرات السنين؛ فما حلّ بها خطب، أو حز بها أمر إلا تصدى له ينصر أمته، ويرمى عدوها بنيران من الكلم، يرمى بها عن قلبه ولسانه وقلمه. وما اتّهم العرب متهم، أو ازدرى تاريخهم مزدر، أو تجنى على نعمتهم متجن، إلا انبرى يشيد بالعرب وتاريخ العرب ولغة العرب دفاع ذى الحفاظ الحر العارف الثبت. وما كتب كاتب لجار عن القصد فى كلمة من العربية أو قاعدة من قواعدها أو أخطأ فى رواية من الشعر أو النثر إلا سارع يرده إلى الصواب، ويقيمه على المنهاج. وهو فى كل هذا لايدعى ولا يزهى ولا يجور ولا يفخر بل كثيراً ما كان يخفى نفسه بأسماء يستعيرها وإن دل عليه أسلوبه، ونادت عليه طريقته.

وما ضمّ نديه جماعة من الأدباء — وما كان أشد حرصه على لقاء الأدباء — إلا أفاض فى حديثه ودل على تمكنه فى الأدب وسعة روايته، وقل أن ينصرف جليسه إلا بجديد يستفيده فى اللغة أو الأدب.

ما أحسب القارىء إلا قد أيقن أنى عنيت مدره العربية، الذائد عنها، والمجاهد لها محمد إسعاف النشاشيبى رحمه الله رحمة واسعة.

فمن شاء فليقرأ كلمته عن اللغة العربية التى نشرها قبل عشرين عاماً، ومن شاء فليقرأ كلمته عن شاعرنا شوقى وكلمته عن المعرّى، وخطبته عن صلاح الدين فى ذكرى موقعة حطين. ومن شاء فليقرأ رثاءه لإبراهيم هنانو ولعبد المحسن السعدون، ومن شاء فليقرأ غير هذه من آثاره ليعرف أى قلب كبير فجع به العرب، وأى قلم فياض صوال حرمته العرب. وأى مدد فقدته الأمة العربية وهى فى حومة الوغى.

وما عهد القراء بعيد بهذه النقل التى والى نشرها فى مجلة الرسالة منذ سنين فعرف بطرف من تاريخنا، ونوادر من أدبنا، وغرائب من سيرنا. فلما ثارت الثائرة فى فلسطين رأينا نقله فى آيات الجهاد وأخبار المجاهدين لا ندرى أجمعها بديهة أم كان لهذا اليوم أعدها. ولقد مات رحمه الله وهو ينشر هذه الكلمات تثبيتاً للمجاهدين وتوهيناً للباغين.

وكان، طيب الله ثراه، نسيج وحده، فى كتابته وخطابته لا يتقيل أحداً ولا يشبهه أحد. إنما كان صورة نفسه، وترجمان فطرته، ووحى نبوغه وعبقريته.

وحسب الإنسان أن يكون صورة متميزة، ومجزة مستقلة وأكثر الناس كما قال أبو الطيب:

فى الناس أمثلة تدور حياتها ... كمماتها ومماتها كحياتها

***

وكان محمد إسعاف، طاب مثواه، خلقاً من الأدب والمودة والوفاء يحرص على أصدقائه ويبالغ فى إكرامهم والاحتفاء بهم، وكان إلى ذلك أبياً متجبراً ثائراً إن سيم خسف، أو عرض أحد لكرامته، أو توهم أن أحداً يحاول الازدراء به. هنالك يتجلى العربى الأبى فيما ورث من أخلاق العرب، وما أشربته نفسه من تاريخ العرب وأدبهم.

وكان، رحمه الله، يحرص فى بلده على أن يلقى كل أديب يمر به، ويرى فرضاً عليه أن يحتفى به ويؤنسه ويدعوه إلى داره. وكم كانت داره ندوة الأدباء ومجمع العلماء. وقد قال فيها بعض أصدقائه: « ولهذا شدتها على الجبل وفى ملتقى السبل، علماً على علم، وراية للمروءة والكرم ».

لقد عظمت فجيعة إسعاف على كل من عرفه حق المعرفة، وتبين الفراغ الذى خلفه هذا العربى العبقرى. وإن مصيبة العرب كلهم فيه لكبيرة، وإن خسارة اللغة والأدب بفقده لفادحة: ولكن الرجل ترك فؤاده ولسانه وقلمه فى هذه الآثار الخافقة النابضة التى يقرأ فيها كل عربى وكل متأدب بأدب العرب، علم إسعاف، وأدب إسعاف، وحماسة إسعاف، وجهاده لقومه.

وبعد فحسب الرجل أن جعل مثله الأعلى محمداً صلى الله عليه وسلم، وجعل إعظامه وإجلاله ديدنه وهجيراه. ولقد رأيت فى

١ – الفتنة الكبرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

بادرت إلى قراءة كتاب « الفتنة الكبرى » الذى صنفه الدكتور طه حسين ، لأنه أول كتاب له عن رجل من رجال الصدر الأول من الإسلام ، وهو « عثمان بن عفان » أمير المؤمنين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا أعرف للدكتور مكانه من العلم والتحقيق ، وحسن تأتيه فى تخريج الكلام ؛ فمن أجل ذلك أيقنت أنه سيملأ هذا الكتاب علماً يضارع قدر هذا الرجل ، ويوازن خطر الفتنة التى اضطرم سعيرها فى آخر خلافته ، وانتهى باغتيال خليفة رسول الله اغتيالا لم يعرف تاريخ الإسلام أبشع منه ولا أفظع . وقلت لنفسى قبل أن أتجاوز الكلمة الأولى من الكتاب : إن طه خير من يصور للناس هذه الأحداث المختلطة المضطربة ، وخير من يهديهم فى شعابها إلى مفصل الرأى ومقطع البيان . وقديماً ما ضل الناس فى بيداء هذه الفتنة المظلمة ، وقديماً ما أخطأ الكتاب فهم هذا الحادث الجلل ، وقديماً ما حار الناس فى أمر المسلمين الذين ذبحوا خليفتهم كما تذبح الشاة المظلومة ، وقديماً وحديثاً ما خاض الناس فما خاضوا إلا معضلة لا يهتدى فيها سار إلى علم يفضى إلى جادة واضحة أو إلى غاية معروفة .

رميت بنفسى وعقلى فى هذا الكتاب ، وأنا على مثل هذه الثقة التى وصفت ، وبمثل هذا الأمل الذى أملت ، فما كدت أفرغ حتى رأيت الكتاب كله يختلج بين يدى . ولست أحب أن يعرف القارئ لم اختلج الكتاب . فهذا حديث طويل لو بدأت أقصه لما عرفت أين انتهى ، فأنا طاويه عنه ؛ لأنى أوثر أن أدع قلبه حيث هو من الاستقرار والأمن والرضى ، وأنا أفعل هذا وإن شاء هو أن أنشر هذا الذى طويت ، وأفعله وإن كره لنفسه هذا الاستقرار والأمن والرضى . وحسب القارىء أن ينظر معى إلى موضعين فى هذا الكتاب ، لم ينقض عجبى منهما ولن ينقضى عجبه حين يقف على خبرهما .

وأسبق القلم فأزعم أنى أسلم جدلا ، كما يقولون ، بأن كل الذى أتى به الدكتور طه صحيح فى جملته وتفصيله ، وأن الصورة التى أراد أن يصور بها تاريخ عثمان رضى الله عنه وتاريخ أصحابه ومعاصريه صحيحة أيضاً فى جملتها وتفصيلها ، وأزعم فوق ذلك أنى لا أخالفه فى شىء منها خلافاً ما ، وأنى لو كتبت تاريخ عثمان ، وتاريخ الفتنة ، لم أقل إلا بمـا قال إذ ذكر هذه الفتنة الخبيثة فقال ص ١٠٩ « فالفتنة إذن إنما كانت عربية نشأت من تزاحم الأغنياء على الغنى والسلطان ، ومن حسد العامة العربية لهؤلاء الأغنياء » . وأنت خليق أن تنظر فى هذا التكرار لهذه الصفة « فتنة عربية » و « عامة عربية » لتعلم ماذا يريد بهذا التكرار ، وما الذى يريد أن ينفيه من شركة أحد غير العرب فى دم عثمان ، وأنت خليق وحرى وجدير بأن تفعل هذا وأن تتأمل فتطيل التأمل ؛ لأنك سـوف تلقى بعد قليل شيئاً جديداً كل الجدة ، وحسناً كل الحسن ؛ فما تكاد تمضى صفحات حتى ترى باباً فى ص ١٣١ يبدأ هكذا :

« وهناك قصة أكبر الرواة (المتأخرون) من شأنها وأسرفوا فيها حتى جعلها كثير من القدماء والمحدثين مصدراً لـما كان من الاختلاف على عثمان ، ولما أورث هذا الاختلاف من فرقة بين المسلمين لم تمح آثارها بعد ، وهى قصة عبد الله بن سبأ الذى يعرف بابن السوداء . قال الرواة : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ، حبشى الأم ، فأسلم فى أيام عثمان ، ثم جعل يتنقل

مكتبه من داره لوحاً كتب فيه « محمد » وقد علقه على الجدار أمامه يرمقه وهو جالس إلى مكتبه . ولقد قال لى : حسبى هذا الإسم أستوحى منه كل خير ، وأستمد منه كل سؤدد .

وقد حدثنى أنه كان فى أزمة من أزمات حياته يناجى رسول الله قائلا : « يا محمد ، خادمك وخادم دينك ولغتك تتركه لنفسه وتسلمه للأحداث » .

يا صديقى إسعاف . من لى بقلمك لأرثيك ؟ إنمـا هذه كلمات كتبتها على عجل فى هول الفاجعة التى تذهب باللب ، ويطيش لها البيان . وإن ذكراك لفى قلوبنا وعلى ألسنتنا وستبقى على أقلامنا ما ذكر الأدب العربى واللغة العربية ، وما ذكر تاريخ العرب فى العصور الثائرة التى نعانيها .

رحمك الله ورزقنا الصـــبر فى المصيبة ، وعوض العرب فيك خيراً .

عبد الوهاب عزام

فى الأمصار يكيد للخليفة ويفرى به ويحرض عليه ، ويذيع فى الناس آراء محدثة أفسدت عليهم رأيهم فى الدين والسياسة جميعاً » ثم يقول : « وإلى ابن السوداء يضيف كثير من الناس كل ما ظهر من الفساد والاختلاف فى البلاد الإسلامية أيام عثمان ، ويذهب بعضهم إلى أنه أحكم كيده إحكاماً ، فنظم فى الأمصار جماعات خفية تستتر بالكيد ، وتتداعى فيما بينها إلى الفتنة ، حتى إذا تهيأت لها الأمور ، وثبت على الخليفة فكان ما كان من الخروج والحصار وقتل الإمام » .

فأنت ترى من هذا لماذا أصر الدكتور منذ قليل على أن يصف الفتنة بأنها « عربية » ، وبأن العامة الذين كانوا شرار هذه الفتنة كانوا « عامة عربية » أى أنه ليس لهذا اليهودى الخبيث عبد الله بن سبأ يد فيها ، وأن ليس لليهود عمل فى تأريث نارها . وهذا تخريج بين جداً ، لا يخالفنا فيه أحد ولا الدكتور طه نفسه فيما نعلم . ثم يمضى الدكتور فى حديثه ليقول بعقب ذلك : « ويخيل إلى أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ إلى هـذا الحد يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافاً شديداً . وأول ما نلاحظه أنا لا نجد لابن سبأ ذكراً فى (المصادر المهمة) التى قصت أمر الخلاف على عثمان ، فلم يذكره ابن سعد حين قص ما كان من خلافة عثمان وانتقاض النـاس عليه . ولم يذكره البلاذرى فى أنساب الأشراف ، وهو فيما أرى (أهم المصادر) لهـذه القصة وأ كثرها تفصيلا . وذكره الطبرى عن سيف بن عمر ، وعنه أخذ المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر » . وأرانى مضطرا أن أنقل لك أيضاً ما قاله الدكتور بعد ذلك فى ترجيح رأيه وبيان حجته قال :

« ولست أدرى أ كان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن؟ ولكنى أقطع بأن خطره ، إن كان له خطر ، ليس ذا شأن . وما كان المسلمون فى عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طارئ من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان ... ولو قد أخذ عبد الله ابن عامر أو معاوية هذا الطارئ الذى كان يهودياً فلم يسلم إلا كائداً للمسلمين ، لكتب أحدهما أو كلاهما فيه إلى عثمان ، ولبطش به أحدهما أو كلاهما . ولو قد أخذه عبد الله بن سعد ابن أبى سرح لما أعفاه من العقوبة التى كاد ينزلها بالمحمدين (محمد ابن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حذيفة) . لولا خوفه من عثمان . . . ولم يكن أيسر من أن يتتبع الولاة هذا الطارئ ، ومن أن يأخذوه ويعاقبوه » ثم يقول فى ص ١٣٤ : « فلنقف من هذا كله موقف التحفظ والتحرج والاحتياط . ولنكبر المسلمين فى صدر الإسلام عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء ، وكان أبوه يهودياً وكانت أمه سوداء ، وكان هو يهودياً ثم أسلم لا رغباً ولا رهباً ولكن مكراً وكيداً وخداعاً ، ثم أتيح له من النجح ما كان يبتغى ، فحرض المسلمين على خليفتهم حتى قتلوه » ثم يقول : « هذه كلها أمور لا تستقيم للعقل ولا تثبت للنقد ، ولا ينبغى أن تقـام عليها أمور التاريخ » . هكذا يقطع الدكتور الرأى جملة واحدة ! !

هذا هو الموضع الأول ، أما الموضع الثانى فهو أشد الأشياء علاقة بهذا ، ولكن الدكتور قطعه عنه قطعاً كريماً فترك صفحة ١٣٤ ومضى على وجهه فى هذا البحث الجليل إلى أن بلغ ص ٢٠٩ لكى يقول : « وهنا تأتى قصة الكتاب الذى يقول الرواة إن المصريين قد أخذوه أثناء عودتهم إلى مصر ، فكروا راجعين . فهذه القصة فيما أرى ملفقة من أصلها » ، ثم اختصر قصة الكتاب اختصاراً وقال : « كل هـذا أشبه بأن يكون ملهاة سخيفة منه بأن يكون شيئاً قد وقع . والأمر أيسر من هذا تلق أهل الأمصار وعداً من إمامهم فاطمئنوا إليه ، ثم تبينوا أن الخليفة لم يصدق وعده ! فأقبلوا ثائرين يريدون أن يفرغوا من هذا الأمر وأن لا يعودوا إليه حتى يفرغوا » . ثم تبين للدكتور أن إلقاء هـذا الكتاب الذى أرسل إلى والى مصر يأمره بقتل رؤوس الوفد الذى جاء من مصر ، ليس يحل الإشكال فى عودة الوفد بعد أن فصل عن المدينة راجعاً إلى مصر ، وتبين له أيضاً أن الغرض الذى ذهب إليه من أهل الأمصار تبينوا أن الخليفة لم يصدق وعده ، أى أنه كذب عليهم باللفظ الصريح ، شىء غير مستساغ ، فإنه سأل نفسه كيف تبينوا أنه كذب عليهم فلم يعرف كيف يجيب ، فأتى الفرض كما هو وزاد عليه أنهم أقبلوا ثائرين ، « فلما بلغوا المدينة وجدوا أصحاب رسول الله قد تهيأوا لقتالهم ، فكرهوا هذا القتال وانصرفوا كائدين ، حتى إذا عرفوا أن هؤلاء الشيوخ قد ألقوا سلاحهم وأمنوا فى دورهم ، كروا راجعين فاحتلوا المدينة بغير قتال » ولكن رأى الدكتور طه وهو خير من يرى الآراء ، أن هذا الفرض مدخول كله إذا لم يعزز بفرض

آخر ، ففكر وقدر ، ثم نظر ثم قال : « وأكاد أقطع بأن قد كان لهم من أهل المدينة أنفسهم أعوان دعوهم وشجعوهم ، ثم أعلموهم بما عزم عليه أصحاب النبي ، ثم أعلموهم بعودة المدينة إلى الهدوء والدعة ، ثم انضموا إليهم حين حاصروا عثمان » . وهذه كلها كما ترى فروض وتخيل ، وإقرار أيضاً بما أنكره فى أمر عبد الله بن سبأ من تنظيم (الجماعات الخفية) التى تتستر بالكيد ، فهو ينكر هذا المبدأ هناك ويقره هنا ! ! ثم يمضى الدكتور فى فروض ، فرضاً من بعد فرض ، حتى يريك كيف تعقدت الأمور فجأة إلى أن كان مقتل عثمان ، ولكنه يختصر ذلك اختصاراً غريباً عجيباً لم أعرف له مثيلا فى كل ما كتب الدكتور وفرض وادعى ثم جزم الرأى وقطع به ، مما يعرفه أكثر قراء العربية الذين قرأوا للدكتور منذ أول نشأته فى الكتابة .

ولست أحب أن أقف بك عند شىء إلا عند هذين الوضعين فأنا أكره الإطالة فى تفلية كلام الدكتور ، خشية أن لا أنتهى ، فإن تحت كل حرف مما كتب علماً كثيراً لابد من تفليته وغربلته ورده إلى وجوه الحق التى زال عنها إلى سواها ، وأنت ترى أننا اضطررنا اضطراراً إلى الإطالة بالنقل ، لئلا يفوت عليك شىء من لب حديث الدكتور وعلمه . وقد بدأ الدكتور حديثه فى إسقاط قصة اليهودى ابن السوداء عبد الله بن سبأ فذكر أن « الرواة المتأخرين » أكبروا من شأنها وأسرفوا فيها ، وأنها لم ترد فى (المصادر المهمة) ، وأن (ابن سعد) لم يذكرها وأن البلاذرى لم يذكرها فى أنساب الأشراف (وهو فيما يرى الدكتور أهم المصادر) ، وأن الذى ذكرها هو الطبرى « وأخذه عنه المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر » كما يقول الدكتور .

١ — وبدء الدكتور بقوله : « الرواة المتأخرون» فيه إبهام شديد ، متعمد فيما يظهر ! ! فإن الطبرى ليس من الرواة المتأخرين ، فهو قد ولد سنة ٢٢٥ ومات سنة ٣١٠ ، فهو معاصر (البلاذرى) وفى طبقة تلاميذ (ابن سعد) صاحب الطبقات .

٢ — أن سيف بن عمر الذى روى عنه الطبرى هذا الخبر هو من كبار المؤرخين القدماء ، فهو شيخ شيوخ الطبرى والبلاذرى ، وهو فى مرتبة شيوخ (ابن سعد) ، فقد مات فى زمن الرشيد ، أى فيما قبل سنة ١٩٠ من الهجرة . فلا يقال عنه ولا عن الطبرى أنهما من « الرواة المتأخرين » كما أراد الدكتور طه أن يوهم قارئه .

٣ — أن ذكر الدكتور (المصادر المهمة) فيه إبهام شديد وإجحاف جارف ، فإذا لم يكن كتاب الطبرى من (المصادر المهمة) فليت شعرى ما هى المصادر المهمة التى بين أيدينا ؟ .

٤ — أن الدكتور طه يعلم أن كتاب ابن سعد الذى بين أيدينا كتاب ناقص ، وأنه ملفق من نسخ مختلفة بعضها تام وبعضها ناقص وبعضها مختصر . والدليل على ذلك مما نحن بسبيله أنه ترجم لعمر فى ٨٤ صفحة ، ولأبى بكر فى ٣٣ صفحة فلما جاء إلى عثمان ، والأحداث فى خلافته هى ما يعلم الدكتور طه ويعلم الناس ، لم يكتب سوى ٢٢ صفحة ، فلما ذكر على بن أبى طالب والأمر فى زمنه أفدح لم يكتب عنه سوى ١٦ صفحة . هذا على أن فى الكلام على طريق ابن سعد فى تراجم الرجال شىء آخر غير كتابة التاريخ ، فإنه لم يذكر فى هذا الفصل إلا قليلا جداً مما ينبغى أن يكتب لو أنه ألف كتابه فى التاريخ العام لا فى الترجمة للرجال . وهذا شىء يعلمه الدكتور طه حق العلم ولا ريب .

٥ — أنه كان من حجة الدكتور فى نفى خبر عبد الله بن سبأ اليهودى اللعين أن البلاذرى لم يذكره ، وهو فيما يرى (أهم المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلا) : ثم عاد فنفى أيضاً خبر الكتاب الذى فيه الأمر بقتل وفد مصر ، مع أن البلاذرى ذكره وأطال وأتى فيه بما لم يأت فى كتاب غيره . ولا ندرى كيف يستقيم أن يجعل عدم ذكره خبراً ما حجة فى نفيه ، ثم ينفى أيضاً خبراً آخر قد ذكره ولج فيه ؟

وهذه الخمسة أشياء كنت أستحى أن أحدث الدكتور بها أو أناقشه فيها ؛ لأنها من الوضوح والجلاء بحيث لا تخفى على رجل مثله خراج ولاج بصير بالعلم أحسن البصر . ولكن بقى شىء واحد أحب أيضاً أن يتاح لى يوماً ما أن أعرفه ، وهو : هل كان فى نص البلاذرى قديماً ذكر عبد الله بن سبأ اليهودى ثم سقط أو أسقط من الكتاب ؟ وهذا لا يتاح لى إلا إذا وقفت على نسخة قديمة وثيقة من كتاب أنساب الأشراف ، فإن هذه النسخة التى بين أيدينا إنما طبعت فى أورشليم ، وطبعها رجل من طغاة الصهيونية ، وقدم لها بمقدمة لم تكتب لا بالعربية ولا بالإنجليزية بل باللغة العبرية ! وليأذن لنا الدكتور أن نشك أكبر الشك فى ذمة هذا اليهودى الصهيونى الذى طبع الكتاب

فى مطابع الصهيونية فى أورشليم . فقد رأينا من قبل رجلا آخر حاطه الدكتور طه يوماً ما برعايته وعنايته واستقدمه إلى الجامعة المصرية ، وكان يسمى نفسه « أبا ذؤيب » إسرائيل ولفنسون ، (وهو الآن فى فلسطين يجاهد فى سبيل الصهيونية) ، فألف كتاباً فى تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، وطبع فى مصر ، وقدم له الدكتور طه مقدمة أثنى فيها عليه ثناء بالغاً ، ومع ذلك فقد وجدنا فى الذى نقله من الأخبار والأحاديث تحريفاً وبتراً واقتطاعاً من نصوص محفوظة معروفة . أفلا يجوز لنا على الأقل أن نشك فى أن اليهودى الآخر طابع كتاب البلاذرى ، يفعل مثل هذا ؟ إننا على الأقل نشك ونتوقف . هذا إلى أن طريقة التأليف القديمة وبخاصة ما كان على غرار تأليف البلاذرى ، قد يترك المؤلف فيها شيئاً فى مكان ، ثم يذكره فى مكان آخر ، وكان أولى أن يذكر فى المكان الأول ، وهذا شىء يعرفه الدكتور كما نعرفه وأحسن مما نعرفه ، أفلا يجوز أن يكون البلاذرى قد ذكره مثلا فى ترجمة (عمار بن ياسر) أو (محمد بن أبى بكر) أو (محمد بن أبى حذيفة) أو رجل ممن اشترك فى هذه الفتنة ؟ وهو يعلم أن الذى وجد من كتاب البلاذرى قسم ضئيل جداً طبع منه جزء فى ألمانيا سنة ١٨٨٣ ، ثم تولى اليهودى الصهيونى طبع جزء آخر هو الذى فيه ترجمة عثمان فى سنة ١٩٣٦ ، ثم طبع جزء آخر فى سنة ١٩٣٨؛ قال الناشر فى مقدمته المكتوبة بالعربية إن هناك حوادث جرت فى عهد يزيد بن معاوية ، هى وقعة كربلاء وموت الحسين « ولم تذكر فى ترجمة يزيد ، بل ذكرهما فى تراجم بنى أبى طالب ، وذلك حسب ما اقتضاه نظام الكتاب وفقاً لتسلسل الأنساب » كما قال بنص كلامه . أفلا يجوز إذن أن يكون البلاذرى قد أدمج أمر عبد الله بن سبأ فى مكان آخر كما فعل فيما لاحظه وذكره هذا اليهودى ؟ كل هذا جائز ، ولكن الدكتور حين يريد أن ينفى شيئاً لا يبالى أن يجتاز كل هـذا وينفض عنه ، ليقول فيه بالرأى الذى يشتهيه ويؤثره غير متلجلج ولا متوقف .

ثم كيف نسى الدكتور أن من لم يرو خبراً ما ليس حجة على من روى هذا الخبر ، وبخاصة إذا كان الرجلان من طبقة واحدة كالبلاذرى والطبرى ؟ بل لعل الطبرى أقوى الرجلين وأعلمهما وأكثرهما دراية بالتاريخ وتحصيلا له ، وهو الذى روى عنه أنه قال لأصحابه : « أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره قال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا مما تفنى فيه الأعمار قبل تمامه . فاختصره لهم فى ثلاثة آلاف ورقة . ثم قال لهم : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره فى التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال : إنا لله !! ماتت الهمم ! » .

ومن قرأ كتاب الطبرى فى تاريخه أو تفسيره علم أن هذا حق ، وأن الرجل كان فارغاً للعلم لا يلفته عنه شىء قط ، ولا يدع شاردة ولا واردة إلا تقصاها وحققها ورأى فيها الرأى الذى لا يكاد ينقض . والفرق بينه وبين البلاذرى لا يخطئه بصير بهذا العلم فليس من الحجة فى شىء أن يقال (فى عصرنا هذا) : إن البلاذرى لم يذكر هذا ، فيكون ذلك كافياً فى الرد على ما ذكره الطبرى . وهذا شىء بين لا يحتاج إلى جدال كثير .

وإذن فالدكتور قد اشتط وركب مركباً لا يليق بمثله حين نفى خبر عبد الله بن سبأ ، وخبر الكتاب الذى فيه الأمر بقتل المصريين بعد الذى قد رأيت من تهافت أسلوبه فى البحث العلمى؛ وإذن فالدكتور قد خالف سنة العلم والعلماء فى نفى الأخبار وتكذيبها بلا حجة من طريقة أهل التمحيص ، بل تحكم تحكما بلا دليل يسوقه عن فضيلة البلاذرى وتقديمه على الطبرى ، وبلا مراجعة للصورة التى طبعت عليها الكتب ، وبلا دراسة لنفس الكتب التى ينقل عنها كما هو القول فى ابن سعد والبلاذرى معاً . وإذن فيحق لنا أن ننقل هنا كلمة للدكتور طه نفسه قالها عندما ذكر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وذكر الخلاف الذى كان بينهم ، وذكر أو زعم أنهم تراموا بالكبائر وقاتل بعضهم بعضاً ، وزعم أنه لا ينبغى لنا أن يكون رأينا فيهم أحسن من رأيهم هم فى أنفسهم ، فقال فى ص ١٧٢ من كتابه :

« ينبغى أن نذهب مذهب الذين يكذبون أكثر الأخبار التى نقلت إلينا ما كان بينهم من (فتنة) واختلاف . فنحن إن فعلنا ذلك لم نزد على أن نكذب التاريخ الإسلامى كله منذ بعث النبى ، لأن الذين رووا أخبار هذه الفتن ، هم أنفسهم الذين رووا أخبار الفتح وأخبار المغازى وسيرة النبى والخلفاء . فما ينبغى أن نصدقهم حين يروون ما يروقنا ، وأن نكذبهم حين يروون ما لا يعجبنا . وما ينبغى أن نصدق بعض التاريخ ونكذب بعضه الآخر ، لا لشىء إلا لأن بعضه يرضينا وبعضه يؤذينا » .

رأي مفتي حضرموت

فيما دار بين عزام باشا والسيد محمد بهجت الأثري

كان السيد محمد بهجت الأثري قد ناقش رأياً ورد في كتاب عزام باشا (الرسالة الخالدة) حول مسألة العدول عن النص إيثاراً للمصلحة، ونشرت هذه المناقشة في العدد ٧١٢ من الرسالة . وقد اطلع على هذه المناقشة السيد محمد بامطرف من المكلا بحضرموت، وعرضها على العلامة السيد عبدالرحمن ابن عبيد الله مفتي الديار الحضرمية، فأرسل رأيه في الموضوع: وهذا هو :

الجواب والله الموفق للصواب أن الحق فيما ظهر لي كان في جانب الأستاذ عبد الرحمن عزام ولكني رأيته سلك من الإنصاف ما لا يلزمه حتى أنه إذ لم يزل مع الصواب في قرن فهو في مياسره الدالة على طيب النية وصدق الإخلاص شبيه بذي الرمة إذ ورد الكوفة فاعترضه ابن شبرمة في قوله :

إذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

وقال أنه يدل على زوال رسيس الهوى لأن نفي كاد للاثبات فلم ينفصل وقد قال عنبسه حدثت أبي بذلك فقال أخطأ ابن شبرمة وكان لذي الرمة الانفصال إنما هو كقوله تعالى لم يكد يراها والمعنى أنه لم يرها وهذه شبيهة بتلك ، وليس الأستاذ بأول من قال بالعدول عن النص إيثاراً للمصلحة العامة بل له في ذلك السلف الطيب من السادة المالكية والحنفية والشافعية وحسبه من الحنابلة قول أحد أئمتهم وهو العلامة ابن تيمية في منهاج السنة أن الله بعث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليها اهـ .

وقال الشوكاني في المسألة مذاهب المنع مطلقاً وعليه الجمهور والجواز مطلقاً أي وإن خالف المنقول وهو المحكي عن مالك والثالث إن كانت المصلحة ملائمة لأصل كلي أو جزئي من أصول الشرع جاز العمل بها وإلا فلا قال ابن برهان وهو الحق المختار والرابع إن كانت المصلحة طردية قطعية كلية كانت معتبرة وإلا فلا ، واختاره الغزالي والبيضاوي اهـ .

ولن يعوز الأستاذ عزام البرر ولا سيما من الثاني والثالث ، وإشهاد الخليفة الثاني بمراعاتها أظهر من ابن جلا ، بل هو قطب تلك القاعدة فلا معنى لاستنكارها ، وذلك الخليفة الجليل نقطة بيكارها وسنذكر عنه من مثلها ما يشاء الله أن نذكر . منها ما استدل به الأستاذ عزام من قضية الخراج ، فقد عدل ابن الخطاب عن الآية المحكمة فيه وهي قوله جل ذكره : واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير وقد قال الأكثرون ومنهم الشافعية إنما فتح السواد عنوة فكان غنيمة لافيئاً . أما ما نقله الأستاذ الأثري عن أبي يوسف عن ابن الخطاب من احتجاجه على منازعيه بآيات الحشر فإنه على الأستاذ لا له أما أولا فلأن آيات الحشر صريحة في الفيء الذي لا إيجاف فيه بخيل ولا ركاب لا في الغنيمة وبينهما بعد المشرقين . وأما ثانياً فإن الشافعية يتأولون لابن الخطاب تأويلين أحدهما ما ذكره شراح المنهاج بأنه قسمه بين الغانمين ومنهم أولوا القربى ثم استمال قلوبهم فبذلوه له فوقفه على المسلمين ولكن ما نقله الأستاذ الأثري من احتجاج ابن الخطاب بآيات الحشر يقطع خط الرجعة على هذا التأويل لأنه لو كان لم يكن للاحتجاج بتلك الآيات معنى .

وهذا حق ، ولكن الدكتور يحتج به في معرض الطعن في الصحابة ومعرض القول في نسبة الأخطاء اللاحقة إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يعود فيسقط هذا الرأي ، ولا يبالي به ، ويخالفه أشد المخالفة في معرض رد الرواة الذين رووا لنا خبر الفتنة الخبيثة التي تولى كبرها عبد الله بن سبأ اليهودي . ولماذا يفعل ذلك لا ندري ، بل الحق أننا ندري ولكننا نأبى أن نتعجل القارئ بحكم لم نأت فيه بالبينة التي تدفع كل أقوال الدكتور في قضية هذا اللعين ابن السوداء ، فللقارىء علينا حق لا يحل لنا أن نخونه فيه ، وحقه هو أن يرى حجج الدكتور كلها أولا ، ثم حججنا متتابعة ثانياً ، ثم نعطيه الحكم ليأخذه أو يدعه على هدى وبصيرة .

وموعدنا المقال الآتي بإذن الله .

محمود محمد شاكر

وثانيهما ما ذكره الماوردى فى الحاوى وأبو الطيب الطبرى فى شرح المزنى أن عمر عوض الغانمين من أرض السواد ووقفه على المسلمين وهو مثل سابقه ، ومن أين لابن الخطاب ما يعوضهم به حينئذ عن تلك الأرض الطويلة العريضة وهو الذى لا يدع فى بيت المال صفراء ، ولا بيضاء إلا تبرأ منها إلى من يستحق . وقال قدامة ابن جعفر فى كتاب الخراج اختلف الفقهاء فى أرض السواد فقال بعض تخمس ثم تقسم الأربعة الأخماس على الفاتحين كما فعل صلى الله عليه وآله وسلم بخيبر لآية الانفال المحكمة فى ذلك وقال بعضهم أنها إلى رأى الإمام إن شاء جعلها غنيمة وإن شاء جعلها فيئاً كما فعل عمر بأرض السواد وأرض مصر انتهى مختصراً .

وهذا أيضاً لا يتناسب مع ما نقله العلامة الأثرى من احتجاج ابن الخطاب بآيات الحشر وقال ابن جرير أن عمر هم أن يقسم أرض السواد بين الغانمين كما تقسم الغنايم ثم قال كيف بالأجام ومنابع المياه والغياض والهضب المرتفع والغائط المنخفض وكيف يصنع هؤلاء بالماء وقسمته أخاف أن يضرب بعضهم وجوه بعض ثم جمع الغانمين فقال لهم ذلك فرضوا أن تقر الأرض حبيساً لهم يولونها من تراضوا عليها ثم يقتسمون غلتها فى كل عام فقال عمر اللهم إنى قد اجتهدت وقد قضيت ما على ، اللهم إنى أشهدك عليهم فاشهد اه .

وهو صريح فى أنه إنما جمع الغانمين ليتلو عليهم ما رآه وما أداه إليه اجتهاده . وهو من أقوى الأدلة لما ذهب إليه الأستاذ عزام فى أن ابن الخطاب إذا وقف به الأمر بين المصلحة والدليل كان من اجتهاده إيثارها عليه لاحتماله التخصيص والتأويل بخلافها وأما قول ابن جرير أنهم رضوا فبعيد جداً مع كثرتهم وغيبة كثير من أولى القربى الشروط رضاهم مع شح الأنفس بالأموال بل قد أشار الأستاذ الأثرى إلى حصول نزاع بين ابن الخطاب وبعض الصحابة فى ذلك مما يدفع ادعاء الرضى ، وقال ابن القيم ونازع فى ذلك بلال وأصحابه فطلبوا منه أن يقسم بينهم الأرض التى فتحوها فقال عمر : هذا غير المال ولكن أحبسه فيئاً يجرى عليكم وعلى المسلمين فقال بلال وأصحابه : اقسمها بيننا . فقال عمر : اللهم اكفنى بلالا وذويه فما حال الحول وفيهم عين تطرف ثم وافق سائر الصحابة على ذلك وكذلك جرى فى فتوح مصر والعراق وأرض فارس وسائر البلاد التى فتحت عنوة لم يقسم منها الخلفاء الراشدون قرية واحدة ولا يصح أن يقال أنه استطاب نفوسهم ووقفها برضاهم فإنهم قد نازعوه فى ذلك وهو يأبى عليهم ثم قال أعنى ابن القيم وليس هـذا الذى فعله عمر رضى الله عنه بمخالف للقرآن فإن الأرض ليست من الغنايم التى أمر الله بتخميسها وقسمتها .

وقوله أن الأرض ليست من الغنايم مبنى على قول ابن الخطاب أن الأرض ليست من المال ولكنه مخالف للحقيقة اللغوية وإن أخذ به السادة الحنابلة كما فى المقنع وغيره من كتبهم أن المسلمين إذا غنموا أرضاً فتحوها بالسيف خير الإمام بين قسمتها ووقفها على المسلمين وذهب مالك إلى أن الأرض المغنومة لا تقسم بل تكون وقفاً يصرف خراجها فى مصالح المسلمين وقالت الحنفية بتخيير الإمام بين أن يقسمها بين الغانمين وأن يقرها لأربابها على خراج أو ينتزعها منهم ويقرها مع آخرين وذهبت الشافعية إلى أن الغانمين يملكونها بانقضاء الحرب وهم أسعد القوم فى هذه القضية بالدليل وعليه فدعاء ابن الخطاب على بلال وأصحابه كان بدون مبرر وقد أخرج البخارى عن عمر أنه قال : أما والذى نفسى بيده لولا أن أترك آخر الناس ليس لهم من شىء ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيبر قال الشوكانى فيه تصريح بما وقع منه صل الله عليه وآله وسلم إلا أنه عارض ذلك عنده حسن النظر لآخر المسلمين فيما يتعلق بالأرض خاصة فوقفها عليهم .

(البقية فى العدد القادم)

محمد عبد القادر بامطرف

رجل استأثر به الموت

للأستــــــاذ شكرى فيصل

لم أعرف المرحوم العلامة النشاشيبى من قُرب ، فقد كان أكثر ما أعرفه عنه ما أقرأه له ؛ ولم ألقه أو أجتمع إليه لقاء طويلا وإنما هى صورة مما يتحدث به الناس عنه ؛ ولم أستمع إليه إلا مرة واحدة فى دمشق لعلها كانت فى مهرجان المتنبى فى عيده الألفى ...

واستمعت إلى النبأ الفاجع بوفاته وأنا فى هدأة من الليل ، وحيداً فى هذا المنزل الذى أحتمى فيه من أذى النــاس وعن قصد أو غير قصد ... فاغرورقت عيناى بالدموع ، وندت منى آهة عميقة ، وأقفلت المذياع ، وجلست كما لو كنت أفكر .

ولم يكن بى من حاجة إلى تفكير ، فليس أشق على النفس من أن تلجأ إلى التفكير البارد فى حرارة المصاب ولوعة الفجيعة ، وإنما كان ذلك انسياحاً فى عالم من الخواطر تنساب على غير نسق وتمضى فى غير نظام .

وتمثلت الأستاذ ، وقد لمحته مرة فى فندق الكونتنتال فى العام الماضى ، كتلة من الحيوية على اعتلال الجسم ، وغلبة السقم ، وتهدم البنيان ؛ وغيرة على العربية على قلة الغير ، وانعدام النصير ، وغلبة التطرف .

وتخيلت صوته فى مهرجان المتنبى ، لكأنى أسمعه الآن ... دفقة من القلب ، يتفجر من نبعة الإخلاص كما يتفجر الماء من العين الثرة النزرة ، ويسرى فيه الوفاء للعربية ، ويطغى ويفيض حتى ليملأ كل ما حوله ومن حوله، فإذا الذين يستمعون إليه يمضون معه وينساقون فى هذه الموجة التى يخلقها صوت متهدج ، ولكنه قوى عنيف ، وتسايرها يد مرتجفة ولكنها بيضــاء نقية ، ويطفو عليها الحق فلا يلبث أن يأخذك الحق بالرضا عنه والقناعة به .

وعرضت فى ذاكرتى هــذه المقالات ، وهذه التعليقات ، وهذه النقل ... فكنت كالذى يعرض الثقافة العربية على اختلاف قطوفها ، وتباين ألوانها ، وتعدد ثمرها ... وانتبهت فجأة : أى ثروة عميقة خسرت الثقافة العربية حين استأثر الخلود بروح النشاشيبى ...

إن أصدقاء العلامة المرحوم أقدر على الوفاء بحقه ، والذين خالطوه فى عواصم العرب فى القاهرة والقدس والشــام وكانوا يستمتعون بكرم خلقه وكريم فضله أقرب إلى الإحاطة بصفاته ، والكشف عن نواحى التقدير فى هذا الجسم الذى ناء بالمرض . وإنمــا هى كلمة وفاء لرجل كانت تترك كتاباته وفصوله فى نفسى إيماناً بحبه للعربية ، ووفائه لهــا ، إيماناً لا أجــده إلا عند القليل القليل ...

إن الموت ليتخطف هؤلاء الأعلام ... ولكن النشاشيبى لم يمت ... فقد صارع الموت الذى كان يندس فى كل أعضائه صراعاً عنيفاً ، وانتصر عليه فى هذه الثروة الأدبية التى خلفها ، وهذه الآثار التى تركها ، وهذه الروح العالية التى كان يفيضها على العربية والعرب ، وعلى الإسلام والمسلمين .

أيها الغريب الذى طارده الموت حتى ظفر به بعيداً عن أهله ووطنه ... رحمة الله عليك ... فقد أردت للعربية أن تعيش رفيعة مكرمة ... فبذلت لها جهدك ، وكرست لها عمرك ، وانفقت فيها حياتك ... أجزل الله لك الثواب ، وجعلك فى الخــالدين فى جنات النعيم ...

(القاهرة) **شكرى فيصل**

ترجمة وتحليل :

جزيرة الحب والجمال

بقلم الأستاذ صبحى إبراهيم الصالح

.. عند مدخل خليج « نابولى » بإيطاليا جزيرة جميلة تسمى « إيسكيا ischia [(١)] » أوحت إلى الشاعر الفرنسى المشهور « الفونس دى لامرتين Alphonse De Lamartine » قصيدة من عيون الشعر ، فيها وصف رائع ، وخيال خصيب ، وتصوير دقيق ! .

اختار الشاعر لوصف الجزيرة أنسب الأوقات وأدناها إلى سمة الخيال ، فعرض علينا صورة من إيذان الشمس بالمغيب وطلوع القمر بعدها فى رفق وأناة ، فكان مبتكراً فى تصويره ، رائعاً فى خياله .

أصغ إليه وهو يرسل الشعر أنغاماً حلوة فى مستهل قصيدته :

١ — «آن للشمس أن تحمل النهار إلى عوالم أخرى
فأخذ القمر يطلع فى الأفق الخالى بلا ضوضاء
وراح — وهو يخترق الظلمات الحالكة —
يلقى برقعاً وضاء على جبين الليل ! »

فجعل القمر ينتظر رحيل الشمس بنهارها إلى عوالم أخرى لا تحد ، ليطلع بليله فى أفق خال ما فيه من الناس أحد . وجعله وقوراً يتمالى فى هدوء وسكون ليبدل دجى الليل نوراً ، فإذا جبينه وضاح بعد أن ألقى عليه برقعه الشفاف . ثم يبدع فى إبراز نور القمر ، فيدعوك إلى إطالة النظر ، ورجع البصر :

٢ — «انظر من أعالى الجبال إلى أنواره المتموجة
كيف تُغرق السهول كأنها نهرَ من اللَّهب ،
وكيف تنام فى الأودية وتتزحلق على الهضاب
أو تتدفق — من بعيد — من صدر يتلألأ بالمياه!»

فلو تابعت أنوار القمر كما تابعها « لامرتين » لخيل إليك كما خيل إليه أنها تسطع من وراء رءوس الجبال ، فرأيتها تشع رويداً رويداً على السهول ، فإذا هى تنساب من فوقها كالأمواج : فتنقلب السهول فى عينيك نهراً غزيراً ، ولكنه نهر من ألسنة اللهيب لا من منهمر الماء ؛ ورأيتها تهبط إلى الأودية وئيدة مسترخية ، وإذا هى تستلق عليها كالذى أخذته سنة من النوم : فتستحيل الأودية فى عينيك فرشاً وثيرة ، غير أنها فرش بطائنها من النجم والشجر لا من سندس واستبرق ؛ ثم رأيتها تثب من نومها موفورة النشاط ، وتتسلق الهضاب بخفة ورشاقة ، ثم إذا هى تزحف عليها فى دلال كالذى استهواه الجليد فتزحلق عليه : فتصبح الهضاب فى عينيك قطماً متجاورات من الجليد ، إلا أنه جليد من متناثر الحصى لا من متساقط الثلوج ؛ وبعد ذلك تراها تمدو كالسهم إلى مكان سحيق ، وتطوف فى مجهل بعيد ، فتتبين من شعاعها أنها تحوم حول عيون وينابيع ، فتغوص فيها ثم تتفجر من صدرها وتتدفق : فتصير الينابيع فى عينيك حساناً باديات النحور ، بيد أن نحورها تتلألأ بلجين الماء لا بالدر والياقوت ! .

***

ويتأمل الشاعر المشهد تأملة الفيلسوف الذى يريد أن يتعمق كل مبهم ، ويستبطن كل سر ، ويجلو كل غامض ، ولو كان بعيد المتناول ، وعر الملتمس ، غائباً عن الأبصار — فيرى بعين بصيرته ما لم يره بعين وجهه : يرى ظلا ممدوداً ، ووميضاً غامضاً ، فأما الظل فما مده إلا تنحيه عن منطقة النور وازوواؤه فى بقاع الظلام الشاحب ، وأما الوميض فما ألبسه ثوب الغموض إلا ارتماشه وتردده حين يدنو من الظل الممدود محاولا أن يبدل ظلامه الشاحب نوراً وهاجاً ، وأن يضفى على ليله الفاحم البهيم شعاعاً من نهار لازوردى بديع ؛ ويزيد هذا الوميض غموضاً وريبة ، وإبهاماً واستئلاقاً ، أنه يعود حائلا خفيفاً ، باهتاً ضعيفاً ، حينما بعد عن العين فى فضاء لا يتناهى ، واتساع لا يحد ؛ ومع ذلك فالآفاق تؤثر أن تسبح معه هنالك لتغرق فى نوره .

٣ — « والوميض الناهض .. فى الظل الممدود
يضفى على الظلام الشاحب شعاعاً من نهار لازوردى ،
ومن بعيد . . . فى فضاء لا يتناهى
يسبح بالآفاق غريقة فى نوره الباهت ! »

(١) تهدمت هذه الجزيرة بزلزال شديد سنة ١٨٨٣

ولكن لامرتين يريد أن يصف الجزيرة وجمالها ، لا الشمس وغيابها ، ولا القمر وطلوعه ؛ وإنما عرض للشمس فى بيت وللقمر فى أبيات ، ليستلهم من ذهاب النهار بضجته ، وإقبال الليل بروعته ، معانى الخلود فى قصيدته .

من أجل ذلك عاد إلى الجزيرة بقلبه ووجدانه ، وقلب البصر بين البحر وبين شطآنه ، فوجد البحر عاشقاً والفى الشطآن معشوقة ؛ وما كان البحر ليعشقها لولا أنها ساكنة وادعة وهو عاصف هائج — ولا يغلب العاصفة كالسكون ، ولا يهدىء الهياج مثل الوداعة — فليسرع إلى تقبيل أقدامها كلما اشتدت به ريح ولا يحسبن فى ذلك ذلة أو صغاراً ، وليضم بين ذراعيه جزرها وخلجانها كلما أرغى وأزبد ، ولا يخافن فى هذا لومة ولا عذلا ، ولتدب الحياة فى هاتيك الشواطئ ، فعاشقها « البحر » ينفخ فيها من روحه ، وينعشها بأنفاسه الرطبة الخارجة من أعماق أعماقه …

٤ — « والبحر عاشق هذه الشطآن الوادعة
يهدئ ، وهو يقبل أقدامها ، من عواصفه الهائجة
ثم يضم بين ذراعيه هذه الخلجان والجزر . . .
فتنتعش الشواطئ بنفسه الرطيب . . . »

ولا يفوت الشاعر أن يسجل منظراً عجباً سريع التغير ، شديد الانقلاب كثير الالتواء : منظر الموج إذ يتقدم متلاحقاً متدافعاً ، ثم يتراجع متقهقراً مهزوما . فى تقدمه شوق كشوق المستهام إلى حبيبته ساعة يهذى فيرى طيفها ماثلا أمام عينيه فيسعى إليه وفى تراجعه لوعة كلوعة المتحسر ساعة يعود إلى الحقيقة ، فيعلم أن الطيف خيال ، وأن الخيال سريع الزوال .

٥ — « ومن بعيد … يسر العين أن تتابع منظراً عجباً
فترى الموج يتقدم تارة ويتراجع أخرى
كالمدنف الولهان يضم إليه فى هذيانه . . .
عذراء التى تمثل أمامه ثم تفلت من بين يديه ! »

وكما رأى بعين بصيرته ما لم يره بعين وجهه ، يسمع « لامرتين » بأذن قلبه ما لا يسمعه بأذن رأسه : يسمع لحن الموج والشاطئ إذ يتنفسان بتأوه وأنين . أما الموج فيتنفس فى تقدمه وتراجعه ويبث فى الفضاء شكواه ! وأما الشاطئ فيتنفس كلما ارتطم الموج بصخوره ويبث مع الفضاء شكواه ! فكلاهما يتنفسان تنفس الصبى الحالم النائم الذى لم يبل الحياة بعد ويبث مع ذلك شكواه ! . .

حقاً أنها أصوات غامضة لا نعرف مبدأها ولا منتهاها ، ولا نصل إلى سرها ولا نجواها ؛ ولكنها — على غموضها — تطرب أسماعنا ، وتشنف آذاننا ، وتسعد نفوسنا . . فهل هى أصداء لألحان السماء ؟ أم هى أنفاس الحب ترددها أرض الشاطئ وموج البحار ؟

٦ — « اثنان كمثل الصبى النائم إذ يتنفس
بصوت غامض يبث فى الفضاء شكواه .
ليت شعرى أصدى للسماء ما يطرب منه أسماعنا؟
أم نفس الحب ترددها الأرض والبحار ؟

ثم يعود إلى الموج فلا يراه ثابتاً على حال ، يعلو طوراً كالجبال ويهبط طوراً زبداً يتلاشى ، فلا يبقى من لجبه شىء ، كهذا الانسان يولد طفلا فيتم تكوينه ويبلغ أشده فى الشباب ، ثم يضعف مع تصرم الأيام كلما رد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ، ثم يلقيه العجز على فراش الموت فيحتضر بعد أن يبلو الحياة حلوها ومرها ، ويجرب منها سعدها ونحسها ، حتى إذا عجزعنها زهد فى أمتع ما فيها ، وإذا ذاق من لذائذها شيئاً ضاق به ذرعاً وطلب سواه فما يزال يتحسر على المفقود ، ويسأم من الموجود ، حتى يطوى أجله فى كتاب .

فكأن تنفس الموج أنين الكئيب الذى يحزن على ما فاته من مفقود ، لا على ما فقده من موجود ، فهو ملول مما عرف ، راغب فيما لم يعرف ، وهو من ملله ورغبته يتنفس فى ضيق ، ويتأوه فى حنين !

بل كأن كل ما فى هذه الطبيعة — لا الموج وحده — يتحسر مثلنا معشر الناس حتى فى ساعات الهناء والنعيم !

٧ — « إنه يعلو ويهبط . . . ويولد ثم يحتضر
كأنه ضاق ذرعاً بأنواع اللذائذ
وى ! كأن الطبيعة تتنفس فى هذه الليالى
متحسرة مثلنا حتى فى ساعات الهناء ! »

***

وبرى الشاعر عند هذا أن الإنسان خلق مجولا ، يسرف فى أنواع طلبه ، ويزيد فى ضروب رغبته ، ولا يقنع بالحاضر من لذته ، فيشيح بوجهه عن قليل بين يديه ، حباً لـكثير لا يصل إليه ، فتضيق عليه الأرض بما رحبت ، ويعيش كاسفاً باله قليل الرجاء ؛ فهو لم يمت فيستريح ، ولـكنه ميت بين الأحياء ، فينادى لامرتين هذا الميت — وهو فى اعتقادى لا ينادى غير نفسه — ليثوب إلى رشده ، ويفتح لتيارات الحياة روحه : إذ الحياة لا تضيق إلا بضيق الأنفس ولا تظلم إلا بظلامها ، كما لا تتسع إلا بسعتها ولا تشرق إلا بإشراقها .. فليفتح الإنسان للحياة ما استغلق من أبواب قلبه حتى يشعر بأنه حى ، أما إذا جمل دونها سداً فلا يلومن إلا نفسه إذا بقى ميت الروح . وليتلق الإنسان لذاذات الليل الحاضرة ، ومتعه العاجلة ، بجماع حواسه ، حتى يشترك سمعه وبصره وذوقه وشمه وكل عضو فيه فى الشعور بالحياة الحقيقية . وليغتنم الليل إذا سجا ؛ فإن له لباساً يغشى ، وحجاباً يستر ، وظلا يناجى ، وكوكباً يهدى . وليسكر بخمرة الغرام ، فإنها أشهى المدام : أما إذا لم يفعل فهو فى نظر هـذا الشاعر ميت الروح ، حقيق بأن يسمع هذا النداء :

٨ — « أيها الميت ! افتح روحك لتيارات الحياة

وتلق بجميع الحساسات لذاذات الليـل

فظلـه يناجيك ليسكرك بالغرام

وكوكبه فى السماء يطلع ليهديك ! »

وإن فى هذا لإغراءاً ما كان لمثلى أن يتقبله بقبول حسن ، ولا كان لى أن أسكت عليه لولا أنى أمام قصيدة نصيبى منها ترجمتها وتحليلها ، ولولا ما يشفع للشاعر من أنه فى « جزيرة الحب والجمال » وأن له فى تلك الجزيرة محبوبة تواعدت معه على اللقاء عند هضبة قريبة ، واتفقا على أن توقد ناراً لتـكون مناراً يضىء بين الحب فيجد هدى فى الاستدلال إلى الطريق . فالشاعر هنا يخاطب نفسه ويصور أحاسيسها قبل أن يخاطب أحداً أو يصور أحاسيس أحد . وإن ما فى هذه القصيدة من قوة الروح لعائد إلى أنها نابعة من إعجاب قلب « لامرتين » فى شىء من خصوصيات حياته .

فالنتيجة التى يريد أن يبلغها بنظمه هى إحاطة نفسه بشىء من معانى الجمال التى لا تتناهى فى الزمان والمكان ، وفيما تسمعه الأذن وفيما تبصره العين وفيما تمسه اليد وفيما يحسه القلب ، قبل أن يصل إلى موعد اللقاء الذى تبدو فيه الحبيبة من بعيد منحنية انحناءة الزنبقة المعطشى إلى الماء ، لأنها عطشى إلى لقاء المحبوب ، تتسمع كل نأمة فى الليل وكل حركة وتحسبها خطاه التى تذرع الأرض فى سبيله إليها ، لتـكتحل عينه برآها ، ويفرح قلبها برضاه

٩ — « أرى على الهضبة ناراً ترتجف من بعيد ؟

إنهـا بيــد الحــب منـار يضىء

هنـاك تنحنى الحبيـبة انحنـاءة الزنبقـة

وقد أعارت أذناً صاغية تتربص خطى المحبوب ! »

هذه « ايسكيا » جزيرة الحب والجمال ، وصفها لامرتين فأحسن وصفها ، وسكب روحه كلها فى أبياتها ، لذلك اخترتها من بين قصائده لأرجها وأحلاها ما استطعت دليلا على إرهاف حسه ، وصدق شعوره ، وعمق خياله ، ولأسجل إعجاب النثر بشاعر عظيم .

صبحى ابراهيم الصالح

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٣، ٤، ٥)

٣ - الحــرية

للأستاذ كمال دسوقي

١ - جون استيوارت مل :

تضافرت ظروف « مل » الشخصية على أن تخلق منه رجلا متعدد نواحي الكتابة ، فالتربية الشاقة التي أخذه بها أبوه كما رأيت، وتدرجه حتى الرياسة في العمل بشركة الهند India House منذ السابعة عشرة حتى الخمسين ، ثم رفضه الاستمرار في أي عمل بعد أن انحلت شركة الهند الشرقية . فيما عدا عضوية البرلمان عن وستمنستر (١٨٦٥ — ١٨٦٨) ؛ قد أتاح له حتى وفاته سنة (١٨٧٣) من الفراغ ما تمكن معه من نشر مذهب واسع . يتضمن — عدا كثير من المقالات في مجلة وستمنستر ، ونشر مذهب بنتام وأبيه طائفة من الكتب — تكون مذهباً عاماً — وإن يكن لكل منها فكرته الخاصة .

وتعدد شخصية استيوارت مل العلمية من خطر طلاب المسابقة ، فإنه لن يتحتم عليهم أن يلموا بعلم المنطق الكبير في مؤلفه الضخم System of Logic (١٨٤٣) ولا بعلم الاقتصادي بحكم دراسته الأولى في كتابه : الاقتصاد السياسي (١٨٤٨) ، ولا بعلم الفيلســوف الإنجليزي النزعة في كتابه « النفعية utilitaranism » الذي جمع مقالاته (١٨٦١) ، ولا بعلم السياسي في كتابه : تأملات في الحكم النيابي (١٨٦١) ، ولا بعلم الاجتماعي في كتاباته عن المرأة والدين والمنفعة — إلى آخره — أعني أن الكتاب الذي سيدرسه طلاب المسابقة يمكن تفهمه وحده في حدود معلومات عامة عن مل — كما يمكن — ابتغاء الاتفاق والتعمق — فصل هذا الكتاب عن بقية آثار مل » .

ومع هذا فلن يستطيع طالب المسابقة إلا أن يربط بين « الحرية » وكتاب « النفعية » على الأقل لأن هذا يبدأ حيث ينتهي ذاك ، ومع أن الحرية قد تم نشره أولا (١٨٥٩) بعد أن كانت فكرته منذ ١٨٥٤ موضع الدرس والتمحيص والنقد من المؤلف وزوجته ، فإن كتاب « النفعية » ترجع فكرته إلى مقالات كان قد نشرها من قبل تنقيحاً لمذهب أبيه وصاحبه بنتام — ولكنه لم ينشر إلا (١٨٦١) — وفوق هذا فإن مذهب النفعية لمل — كما يمثله هذا الكتاب — أوسع نطاقاً من الحرية ، لأنه يشمل الحياة الفردية والاجتماعية والخلقية والنفسية ، كما يدخل في السياسة والاقتصاد . ولذا نجد أن الناشرين الإنجليز يقدمون بين يدي مؤلفات « مل » بكتابه « النفعية » وإن كان كتابه عن الحرية أوفرها حظاً من الدقة والعناية في دراسته ، وبالتالي أهم معبر عن آراء الفيلسوف الخاصة وأكثر كتبه ذيوعاً .

لقد كان « مل » الصغير ، وهو يسمى بذلك تمييزاً له عن مل الكبير — أبيه جيمس من اتساع العقل ونفوذ الفكر بما لم يكن كثير من المؤلفين ، فحقق الأمل الذي عقده عليه أبوه في اصطناع مذهب النفعية التي ورثه وصاحبه بنتام إياه ، وإن يكن قد خرج به عما قصدا إليه ببعض الشيء ؛ فإن المذهب بعد تعديل فيلسوفنا له قد قبله العامة أكثر من ذي قبل ، مع أنه لم يخل من الغموض والتناقض .

وخلاصة هذا المذهب في كلمة واحدة هي ما يتسع لها المقام هنا — ما تقول به نظرية المنفعة أو مبدأ السعادة من أن الأفعال تكون صواباً بمقدار ما ترمي إلى تحقيق السعادة ، وخاطئة بقدر ما تؤدي إلى نقيض السعادة — ويعني بالسعادة happiness هنا تحقق اللذة pleasure ، وتجنب الألم pain ، كما يعني بالشقاء ، تحقق الألم ، وامتناع اللذة . ويقوم هذا المبدأ على فكرة اللذة النفســية psychological hydonism التي تفترض رغبة الإنسان بفطرته في أن يحقق لنفسه أكبر لذة ممكنة ، وأن يجتنبها كل ألم ، على ألا يتعارض في رغبته مع رغبات غيره ، وعلى أساس التضحية بالسعادة الفردية في سبيل سعادة المجموع ، والسعادة العاجلة انتظاراً لسعادة أكبر منها آجلة . أي تقديم الكيف qual ty في نشدان هذه السعادة على الكم quant ty وأخذها بأوسع معانيها بالنسبة لكائن متطور .

ولكي تفهم هذه النظرية — وغيرها من نظريات مل — ينبغي أن تقرنها بالنظرية التي يعارضها بها المؤلف قديماً وحديثاً — فإن مؤلفنا كان حريصاً أشد الحرص على أن يميز نظرياته عما يسبقها ، وأن يبين وجوه الشبه والخلاف بينها وبين غيرها — كما كانت طريقته في الكتابة أن يشرع بعد تعريف موضوع

كتابه — وربما قبله — فى نقد النظريات التاريخية السابقة ، وتفنيد الآراء الحديثة الشائعة ، ثم يعرض لنظريات بنتام وأبيه ، فينقد من هذه ويعدل ما استحق النقد والتعديل .

فهو فى مذهبه النفعى الذى يؤكده ويحوم حوله فى كل كتاباته ، ويخصص له هذا الكتاب ، انجليزى حق ، يتشبث بالواقع والتجربة المستمدة من التاريخ فى تطوره ، والأمور فى حقيقتها ، ويحمل على المبادئ المثالية العقلية ، والافتراضات الميتافيزيقية القبلية (السابقة على التجربة äpriori) ونظريته هذه فى النفعية تعارض — أشد ما تعارض — نظرية « كانت » الأخلاقية ، التى تجعل من الضمير والواجب والحدس الأخلاقى أساساً للفعل . فبينما هذه النظرية مثالية تزن السلوك الخلقى بالدافع عليه الذى هو أوامر قطعية يفرضها الضمير والواجب ؛ إذاً بهذه الأخرى واقعية مادية تزن السلوك بمقدار ما تحقق لنا غايته من سعادة ولذة ومنفعة .

٢ — كتاب الحرية :

ولن يعنينا أن نتبع نفعية « مل » أكثر من هذا ، ولكنا نعود إلى حيث قلنا إنه حيث ينتهى قوله فى هذه يبدأ مقاله عن « الحرية » فقد انتهت به مناقشاته لهذه النظرية إلى توكيد مبدأ على جانب كبير من الأهمية فى فلسفته السياسية ، لأنه لما جعل من المنفعة مقياساً عاماً ليقيم الأفعال ، والحكم عليها بالخطأ والصواب بما تحمل فى غايتها من تحقيق اللذة وتجنيب الألم ، تبين له أن ثمت منافع جماعية هى أكبر أهمية من المنفعة الفردية بكثير ، وأنها أولى بأن تكون مقدمة وقاطعة ، وأن هذه المنافع العامة — مع أن القانون والسلطة يقومان على حمايتها — لابد لها أن تستند إلى تأييد شعور الفرد وعاطفته وتفضيله بمحض إرادته أى إلى حريته .

ولم تنحل المشكلة بذلك حلا حاسماً ، بل إن النزاع لا يزال قائماً منذ أقدم العصور فيما بين الحرية الفردية ، والسلطة الاجتماعية نتيجة لتعارض المنفعة الشخصية والمنافع العامة المشتركة بين المجموع . واتخذ هذا الصراع بين المنافع مظاهر شتى يعرض لها بالتفصيل .

فالكتاب ككثير من الكتب قبله لأفلاطون وأرسطو وهوبز وغيرهم التى تبحث فى فلسفة السياسة والحرية التى يقصدها المؤلف هنا ليست حرية الإرادة التى ضدها الجبرية فى الميتافيزيقا والأخلاق Determinisme بل الحرية الفردية التى ضدها السلطات الحاكمة فى السياسة والاجتماع Authorites ومدى ما لهذه الأخيرة من سلطان على الأولى ؛ فما نشأ عنه على طول التاريخ — كما قلنا — صراع ، نجد أهم مظاهره عند اليونان والرومان وفى إنجلترا ، بين طبقات الأهلين والحكومة أو بين الأهلين أنفسهم .

ذلك أن مشكلة الناس — حين يعيشون فى جماعة — أنه يلزمهم الخضوع لقانون وضعى ، أو لسلطان المجتمع ، حتى يحترم بعضهم حق بعض ، وهذه المشكلة الأساسية فى الحياة ، وإن لم يحسن الناس حلاً فيما يرى « مل » ؛ وذلك لتعدد الأهواء الشخصية ، وتعارض المنافع الخاصة والمنفعة العامة ، ثم لسعى السادة وراء مصالحهم الشخصية ، ومحاولة المسودين تملق هؤلاء السادة بفعل ما يحبون ، وما يظن أنهم يحبون ، وبغض ما يكرهون أو يبدو أنهم يكرهون ، ما تزال مشكلة كل عصر وإن كانت تبدو فى صور جديدة متغيرة .

وقد تتساءل : ولم تتعارض رغبات الفرد ورغبات المجتمع ، وما دخل السلطات الحاكمة فى هذا التعارض ؟ فاعلم إذن أن الناس يختلفون فى رغباتهم كما وكيفا ، وأن الناس وإن اتحدت رغباتهم أفراداً ، فإنه يتكون من مجموعهم « مجتمع » له هو الآخر رغبته الخاصة التى تختلف عن رغبة كل فرد على حدة — مع أنه فى حقيقة الأمر ليس إلا مجموع هؤلاء الأفراد — فثمت تعارض أبداً بين رغبات الفرد وبين « مجتمع » الأفراد ، وتمتد هذه المداوة إلى الحكام أنفسهم بوصفهم ممثلى هذا المجتمع والمعبرين عن رغباته ، بمعنى أن عداوة الفرد للمجتمع الذى ينازعه لذته ومنافعه تتجسم شخص الحكام أنفسهم القائمين على حمايته وتنعقد المشكلة أكثر حين تتدخل فى الأمر رغبات الحاكم نفسه كفرد — بأن تكون له لذاته ومنافعه وأهواؤه الفردية — إلى جانب ما يقوم عليه باسم المجتمع .

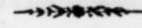
وباسم هذه الحرية الفردية فى التفكير والنقاش واستقلال الشخصية وصلاح المعيشة يتحدث « مل » فى الفصول الثلاثة الوسطى من كتابه ، فيمهد لها بمقدمة ، ويلحق بها تطبيقات مما سنفصل القول فيه فى المقالتين التاليتين

كمال دسوقى

فاس عاصمة الأدارســـة

للأستاذ مصطفى بعيو الطرابلسى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)



بدأ إدريس فى إنشاء هذه المدينة ببناء السور أولا وتشجيعاً للعمال لإنجاز مشروعه اشترك بنفسه معهم . ويمكننا أن نستدل من وصف كتاب « زهرة الآس فى بناء مدينة فاس » (١) لأبى الحسن الجزنائى لكيفية بناء السور أن المدينة كانت على شكل دائرى وأن أبوابها قد تعددت حتى زادت عن السبعة . نزل إدريس وحاشيته فى المكان الذى عرف فيا بعد بعدوة الأندلس بعد أن خصص مكاناً لإقامة المرضى شرقى المدينة حتى تساعد الرياح الغربية على إبعاد رائحتهم ، وحتى يكون تصرفهم من الماء بعد خروجه من المدينة فلا يصل ضررهم إلى سكانها . وكما هى العادة المتبعة فى بناء المدن الإسلامية الجديدة شرع إدريس فى بناء مسجد الشرفا فى عدوة الأندلسيين .

واتبع إدريس خطة حكيمة لتعمير عاصمته الجديدة ذلك أنه نادى فى الناس بأن كل من بنى موضعاً او اغترسه قبل بناء السور فهو له هبة لله فتبارى الناس فى ذلك فأ كثروا من العمارة ونوعوا فى الغرس حتى أصبحت المحاصيل وفيرة مختلفة رخيصة أسعارها مما ساعد على ازدياد عمرانها ما كان يقع فى ذلك الوقت من حوادث فى الأندلس إبان إمارة الحكم بن هشام مما ترتب عليه هجرة بعض الأندلسيين إلى فاس على أثر ثورة أهل الربض وما أنزله بهم من عقاب صارم .

خصص إدريس لهؤلاء المهاجرين حياً خاصاً عرف فيا بعد بعدوة الأندلسيين وهو إلى الشرق من المدينة وأصبح ينزل فيه كل من ترك الأندلس واتخذ المغرب وجهته فكأنه فرع الشجرة قد نبتت فى الأندلس ؛ كما نزل الوافدين عليه من القيروان بحى خاص بهم يعرف فيا بعد بعدوة القرويين فكأن مدينة فاس عبارة عن حيين اختص كل منهما بفريق خاص .

وكما هو الملاحظ فى نشأة المدن الجديدة فإن فاس سرعان ما ازدهرت وأصبحت محط رجال كثير من العلماء والفقهاء حتى ينالوا حظ التقرب من رجال هذه الدولة الجديدة فاشتهر اسمها فى الآفاق وأصبحت مقصد مسلمى مراكش منذ نشأتها وعلى كل حال إليها يرجع الفضل فى تخليد ذكرى دولة الأدارسة ولولاها ما انتبه إليهم المؤرخون .

ومن محاسن هــذه المدينة موقعها الفريد ؛ فهى بعيدة عن الصحراء المجــدبة وعن البحار وأخطارها ولــكنها تتصل بهما بطريق غير مباشر . تتصل بالصحراء بطريق برى وبالبحر بنهر سبوا . ثم إن هذا النهر أيضاً يشقها نصفين وتتشعب جداوله بين دورها وأنحائها ثم يخرج منها وقد حمل أقذارها وبعد أن يدير رحيها . ولهذا النهر كذلك ميزة خاصة فى مياهه التى تساعد على شفاء كثير من الأمراض وأخيراً يجب ألا ننسى أنه إلى القرب منها توجد كثير من مقاطع الأحجار وكميات وافرة من الــكلس تساعد على نشاط حركة البناء .

وبعد أن أتم إدريس بناء مدينته أخذ يخرج لغزو ما جاوره من بلاد على فترات متقطعة منتظمة ولــكن المنية لم تمهله إذ مات فى ريعان شبابه قيل مسموماً وقيل إنه شرق بحبة عنب فمات .

واختلفت الروايات فى مكان دفنه فبعضها يقول فى مسجد الشرفا بفاس وبعضها يقول إنه دفن بجوار أبيه فى وليلى . وبموته أخذت دولة الأدارسة فى الاضمحلال ذلك أن أولاده قد تقاسموا البلاد مما ترتب عليه وقوع الشحناء والتنافس بينهم ومن ثم إلى انفـام الدولة وتفكــكها . ومما زاد الطين بلة تلك الأخطار التى كانت تحدق بالدولة من الخارج .

فالفاطميون ومن قبلهم الأغالبة فى أفريقية والمغرب الأوسط والأمويون فى الأندلس وكل يعمل على محوها . وهكذا ترتب على هذا الاضمحلال السياسى اضمحلال حالة مدينة فاس فأفل نجمها بعد أن سطع فترة من الزمن وأصبح لا يقصدها إلا من أراد التبرك بزيارة بعض قبور الأدارسة لذلك لا نعجب إذا رأينا من الأمثلة المشهورة « فاس بلد بلا ناس » (١)

أما لــماذا اختار إدريس الثانى هذه التسمية « فاس » لمدينته

---

(١) تولى نشر هذا الــكتاب الأستاذ alfred Bel مدير مدرسة تلمسان بالجزائر باللغة العربية والفرنسية غير أن الطبعة الفرنسية قد قدم لها بترجمة لمؤلف هذا الــكتاب وتحليل شخصيته وهو بمكتبة جامعة فؤاد الأول (٣٨٣٠ ت) .

(١) معجم البلدان ط دار السعادة ص ٣٣٠ : لياقوت

فقد تعددت فى ذلك الروايات وإن اختلف بعضها فى التفاصيل فإن أغلبها قد أجمعت على وجود مدينة قديمة قبلها قد طمرت معالمها وانمحت آثارها حتى جاء إدريس الثانى فجددها فى شكل مدينة فاس. فقيل (١) إن هذا الاسم قد اختاره لها إدريس عقب ذهابه لرؤية المكان الذى تم اختياره إذ صادفه رجل اسمه «فارس» وربما لغموض فى كلام هذا الرجل فهم إدريس اسمه على أنه «فاس» فسمى المدينة باسمه. ولكن هذه الروايات ضعيفة، ولا يمكن الأخذ بها. ويرى صاحب الدرر السنية (٢) ويشاركه فى هذه الرواية الجزنائى (٣) أن أحسن ما يمكن أن نعلل به هذه التسمية أن الإمام إدريس عندما خرج لمعاينة المكان الذى اختير لمشروعه مر به شيخ كبير من رهبان النصارى قد زاد عمره على المائة والخمسين سنة كان مترهبناً فى صومعة قريبة من تلك الجهة، فوقف على مولانا إدريس وسلم عليه ثم قال أيها الأمير ما تريد أن تصنع بين هذين الجبلين. قال أريد أن أختط مدينة هنا يعبد الله تعالى بها، ويتلى بها كتابه، وتقام بها حدوده. قال أيها الأمير إن لك عندى بشرى. قال: وما هى أيها الراهب؟ قال: إنه أخبرني راهب كان قبلى فى هذا الدير له منذ توفى مائة سنة أنه وجد فى كتاب علمه أنه كان بهذا الموضع مدينة تسمى «ساف» خربت منذ ألف سنة وأنه يجددها ويحيى آثارها ويقيم دارسها رجل من آل بيت النبوة يسمى إدريس، ويكون له شأن عظيم وقدر جسيم لا يزال دين الإسلام قائماً بها إلى يوم القيامة. فقال مولانا إدريس: الحمد لله أنا إدريس وأنا من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بانيها إن شاء الله تعالى. فلما بناها قيل له: كيف تسميها؟ قال: باسم المدينة التى كانت قبلها «ساف» ولكن أقلب اسمها الأول ونسميها بقلبة وسماها «فاس». وهذه الرواية بتفاصيلها ضعيفة للأخذ بها لتعارض بعضها مع الحقائق العامة المتفق عليها ولكن فى الغالب أنه كانت هناك مدينة قد اندثرت معالمها وهذا ما دفع الجزنائى إلى القول «ويدل على ذلك ما رواه البرنسى أن رجلا من اليهود احتفر أساس دار من قنطرة عزيلة من المدينة المذكورة ... فوجد فى الأساس قطعة رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالخط المندى هذا موضع حمام عمر ألف سنة ثم خرب فأقيم موضعه بيعة العبادة» (١)

ويذكر لنا الجزنائى رواية أخرى ينقلها عن صاحب الاستبصار وهى أن الإمام إدريس عندما شرع فى بناء مدينته كان يعمل فيها بيده كما سبق ذكره فصنع اله فاس من ذهب وفضة فكان الإمام إدريس يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويختط به الأساسات للفعلة فكثر ذلك على ألسنتهم طوال مدة البناء فكان الفعلة يقولون هاتوا الفاس، خذوا الفاس، احفروا بالفاس. فسميت مدينة فاس. وربما كانت هذه الرواية أقرب إلى الصحة على الرغم من أن الجزنائى لا يأخذ بها ولا يؤيدها بل يعارضها لأنه يرى فيها ما يتنافى مع تمسك الإمام ادريس بعقيدته الإسلامية التى تتنافى مع استعمال الذهب بهذا الشكل وعلى أى حال فإن استعمال الذهب أو الفضة بهذا الشكل ما زالو معمولا به حتى يومنا هذا عندما يقوم بعض الملوك أو من يمثلهم فى الاحتفال بوضع الحجر الأساسى لأية منشأة جديدة؛ لذلك نراه ينتقل إلى ذكر رواية أخرى مؤداها أنه لما بدأ العمال بحفر أساسها من ناحية الجنوب وجدوا فاساً كبيراً طوله أربعة أشبار وسمته شبر واحد وزنته ستون رطلا من عمل الأوائل فسميت المدينة به.

بقيت كلمة صغيرة عن جامع القرويين ذلك أنه لما كثر على مدينة فاس الواردون أيام يحيى بن محمد بن إدريس كان ممن قدم عليها من القيروان محمد بن عبد الله الفهرى القروى ونزل كما هو المتبع بعدوة القرويين مع أهل بلده. وعند وفاته ترك ابنتين قد تحصل لهما ميراث كثير رغبتا أن تصرفاه فى وجوه البر فلما علمتا أن الناس فى حاجة لبناء جامع كبير فى كل عدوة من فاس لضيق الجامعين القديمين بالناس شرعت إحداهما فى بناء جامع عدوة القرويين أما الأخرى فقد تكفلت ببناء جامع الأندلس. وفى سنة ٣٠٧ هـ ازيلت الخطبة من جامع الشرفا لصغره وحل محله فى ذلك جامع القرويين لاتساعه وكبره والذى أصبح ملتقى العلماء والطلاب لسماع بعض الدروس الدينية فيه وما زالت حلقاته عامرة إلى يومنا هذا.

مصطفى بعيو الطرابلسى

(١) معجم البلدان ط دار السعادة ص ٣٣٠: لياقوت.
(٢) ص ٧٣.
(٣) ص ١٨.

(١) ص ١٨.



انتقام !

صخاب ثائر لا يقر له قرار ، ينبعث صوته الغليظ الضخم من قاع حنجرته فإذا به مثل خوار الثور إذا اهتاج ؛ وإنه ليحدث من الضجيج وحده مالا يحدثه نفر من الرجال مجتمعين ؛ وما انبعثت جلبة من الشـارع في أي ساعة من النهار أو الليل إلا ردها أهل الحي إليه ؛ ولا شهدوا زحمة أمام دكانه إلا أيقنوا أنها « خناقة » هو بطلها ، ولا وقعت مشاجرة فملا إلا سألوا من المضروب هذه المرة فما يقع في وهمهم قط إلا أنه هو الضارب، وما أحسبهم لو رعدت السماء وأبرقت إلا ظنوا بادىء الرأى أنه بدأ إحدى معاركه . . . ذلك هو بائع عصير القصب الذي ابتلانا به الله فجعل دكانه تجاه بيتنا يفصل بيننا وبينه الشارع .. والذي استغنى به من يخوفون الأطفال عن « البعبع » والغول والدب وأبى رجل مسلوخة وأضرابها ، ولا عجب فإنه والله لحرى أن يخوف به الرجال . .

فظ غليظ في حدود الأربعين ، بين الطول والقصر ، متكـرش كأن بطنه قربة سقاء تحت ثوبه تترجرج ، ضخم الزندين ، متشحم العاتقين ، غليظ العنق ؛ منتفخ الأوداج ، مترهل اللغاديد ، صـغير الرأس حتى لتبدو عمامته الصوفية البيضاء نصف وجهه ، مفتول الشاربين صغير الحدقتين ، ضيق الجبهة ، واسع الفم طويل الأنياب : بحسبك أن تنظر إليه لتوقن أن في بني آدم من ينتسبون إلى الآدمية ظلماً ..

وقف هذا المثل أمام دكانه يصفع بيده الغليظة «صبيه» وهو فتى في نحو الخامسة والعشرين قصير غير بدين ولا نحيف ، وعجبت إذ رأيته مطرقاً مسـبل العينين وملابس العمل تحت إبطه ، لا يتحرك إلا بقدر ما يتحاشى الصفعات واللكمات ولـكنها تنزل جميعاً على وجهه وقفاه وعاتقيه ؛ وآلمني هذا العدوان وما فيه من فظاظة كما أحزنتني هذه الذلة التي كثيراً ما يكرب نفسي أمثالها ، ولعمرك ما أتألم لشيء ولا أثور لمنظر بقدر ما أتألم وأثور لمرأى إنسان في موقف الذلة حتى ولو كان من الآثمين ؛ ولطالما سألت نفسي متى أجدحق شعبنا هذا من الأنفة والحفاظ ما ينسيه ذل القرون وأقول متى يستكبر عامة الناس في هذه الأمة فيتطامن لهم من عليته وغاصبيه المستـكبرون ؟

وحسبت أول الأمر أن هذا العامل قد اقترف سرقة أو خيانة، حتى سمعته يقول وهو مسبل العينين في تخشع « يا عم على . لم تضربني ؟ أنت الذي أخرجتني » وكان أحرى به أن يقول : يا أيها الغول أو « يا عم الدب » ، وقال الغول في صوته الفظيع وكأنما يريد أن ينشب أظافره في عنق هـذا المسـكين « لأنك لا تريد أن تبقى حتى آتي بغيرك » .

وامتلأت حنقاً وألماً لهـذا البغي يقع من الغول صاحب رأس المال على الفريسة المسكينة ذلك العامل الضعيف، ولو كنت في ملابسي التي أخرج بها إلى الشارع لاقتحمت على الدب كهفه ولو أدى الأمر إلى وقوعي بين أنيابه .

ونظرت فإذا فتى في مثل عمر المضروب وفي مثل قامته وجرمه ، يقف أمام الدب ويسأله في عنف والشر ملء وجهه ، وقد تجمع السابلة والألم في وجوههم جميعاً « لم تضرب هذا الرجل ؟ . . » ونظر إليه الدب نظرة استهزاء ظن أنها حسبه ليخاف ؛ وعاد يضرب العامل مبالغة منه في عدم المبالاة فما كاد يرفع كفه حتى نزلت على صدغه هو ، أي والله على صدغ الدب السميك ، كف ذلك الفتى ! ودهش الناس جميعاً وتحمس بعضهم فصفقوا وهرول الغول إلى دكانه فأحضر سكيناً ، ولـكن الفتى باغته بكرسي ألقاه على رأسه ، ثم اختطف سكينه وأخذ بتلابيبه بيده ورفع السكين بالأخرى قائلا « هيه .. أفتح كرشك يا .. » وأخذ الناس السكين من الفتى ، وخاف البعض عليه من الدب ، ولـكن ما راعنا جميعاً إلا الدب يرتمي على الأرض كأنه جذع شجرة ضخم والناس يصفقون للفتى ضاحكين معجبين . .

ونهض الفحل ثقيلا مستخزياً واستنوق الجمل، وحال الناس بين الفتى وبينه وإن الفتى ليتوثب ويتهدد ، ولست أدري لم طرأت على ذهني وقتئذ صورة ديكتاتور إيطاليا وكيف لبث يخوف العالم زمناً حتى اكتشف أمره .

وحسبت أن بين الفتى وبين ذلك العامل المسكين صلة من قرابة أو نسب ، ولـكن لم يكن بينهما كما علمت شيء من ذلك ، حتى ولا مجرد المعرفة ، ونزلت إلى الشارع في ثياب البيت لأقابل البطل إذ يمر ببابنا ، بعد أن دخل ذلك الجعجاع دكانه لا يلفظ كلمة ، ومددت يدي للبطل وقلت « أترضى أن تتخذني صديقاً » فضحك وقـد فطن إلى أني رأيت كل شيء وقال في تأدب « يا فندم أنا محسوبك » وعزمت عليه فشـكرني ومضى وأنا معجب بنخوته أسأل الله أن يكثر من أمثاله .

الخفيف

الشـاعر

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

[مهداة إلى الطائر الصامت الصديق
الشاعر الأستاذ المهدى مصطفى]

الى مثله تصبو عذارى الخواطر   وفى يومه تصحو سكارى المزاهر
وفى كل همس حول معناه ضجة   وفى كل معنى منه أقنوم ساحر
ألمَّ على الأيام يـَـقى جديبها   ويبنى جديداً فوق أطلال داثر
هو الشعـر ماغنى ربيع ، وما بكى
خريف ، وما اخضلت عيون الأزاهر
تراتيل أنسام ، وتسبيح جدول   وأنة موجوع ، ومصباح حائر
تشهته أم الفجر معنى لضوئه   وعاقره فى الليل صمت الدياجر
وودت بنات الزهر لو أن عرفها   من النغم القدسى سبحة خاطر
وإن جمالا لم تسجله ريشة   من الفن نهب للسوافى الثوائر
وإن حياة لا تحس جمالهـا   لتكثيف مصفود، وصفقة خاسر
هو الشعر ما كانت حياة ، وماجرى
على صفحة المقدور إلهـــام قادر
تغنت به الآباد من قبل عزفه   كلاماً فجاب الدهر أول عابر
وأرهص للأوتار حتى إذا شــدا
تجاوب « فرح » الكون فى برح ساهر
ودقت نواقيس الحياة ،وأطلقت   رهابينها فى الأرض سحر المزامر
ونادى منادى فى السموات:أوقدوا   كواكبها فاليوم ميلاد شاعر
فضج بأعراس السماوات عيـدها .
وقر على شط الحيـــاة شريدها
تجردت الأنغام فهى عوالم   يترجم أسرار الوجود وجودها
وأقبل رب الشعر فى آى موكب   تحف به حور السماء ، وغيدها
وطاف به جبريل قبل نزوله   إلى العالم المحدود والأرض بيدها
فلمـا دنا من جوهر الشـــعر زلزلت
به الساحة الكبرى ، وماج أبيدها
وقيل له : ياشاعر الكون هذه   هى الجذوة الأولى،وأنت وقيدها
وغوث بالنار القديمة كاهن   ومس بها الدنيا فضاء عمودها
ودب بهـــا معنى جديد ، وأمرعت
بطائحها الجـدباء واخضر عودها
وأطلع ساقى الشعر فى البيد كرمة   منغمة يحدو الزمان نشيدها
ونادى نبى قومه : تلك واحة   على الأفق عذراء الجنان ولودها
فـــا آمنت بالشـــعر إلا لحونه
وران على الأرض العجوز جمودها
وقدر للدنيا الشقاء فألحدت   وجدف غاويها ، وضل رشيدها
وأشرعت الأطماع فيها ضغائنا   يجادل فى معنى السلام حديدها
وما كدر الأيام إلا ظماؤها   وهل شاب ماء المين إلا ورودها
فلا طاب نفساً بالحياة شقيها   ولا قر عيناً بالحياة سعيدها
أتنشد فى دنيا الحيارى من اهتدى ؟!
أفى الحانة الحمراء ترتاد معبـدا ؟!
هرقت إذن — يا سادن الشعر — لحنه
وأهــــدرت للغافين نايا مسهـدا
هى الأرض طبع فى بنيها . ومن تكن
جبلتـــــه الأولى ترابا تمـــردا
وكم ضارب فيها بعكاز تائه   يعد من الموتى،وإن راح أوغدا !
وكانت حياة الناس لولا زحامهم   عليها طريقاً للسلام معبدا
فلا تك نجما جاوز الليل وحده   ببيداء فانثالت أشعته سدى
لمن شارق فى الأفق إن كنت لا ترى
وفيم هتاف الورق إن كنت جلمدا
هنالك والدنيا رواية ظـالم   وقصة مظلوم ، وتلفيق منتدى
وفى ليـلة ظلماء ينسل برقها   كما جردت كف الكمى المهندا
وفوق رباة يكمن الدهر عنـــدها
وتبصر فيها — قبل مولده — غـدا
دعا ربه الشادى ، وأوفى بشعره   إلى العالم الثانى ، ومدَّ له يدا
وكف عن الأوتار فهى نواشز   كأعصاب محموم ألح به الصدى
وقال بنو الموتى : « لقد مات شاعر »
وكيف يذوق الموت من كان مخلدا
بقدر شعور المرء يمتد عمره   وفى حمأة الأوهام يردى بنو الردى
وما مات شاد بالجمال ، وإنما   إلى عالم الألحان عاد كما بدا
ومن فهم الأيام لحناً مجدداً   تراءت له الأيام لحناً مجددا

طاهر محمد أبو فاشا

الأدب والفن في أسبوع

الفنون في المولد النبوي :

كان الأسبوع الماضي أسبوع المولد النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام ، فقد تعطرت النوادي بهذه الذكرى الحبيبة ، وتحلت الصحف والمجلات بما نشرته فيها من الكلمات الطيبات ، وأذاعت لها دار الإذاعة برنامجاً حافلا استمر أسبوعاً ، وقد افتتحه صاحب الفضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية واختتمه الأستاذ أحمد حسن الزيات بحديث بليغ عن « بلاغة الرسول » .

ولا أحب إلى من أن أبدأ في هذا الأسبوع بالكتابة في هذه المناسبة الكريمة ، مسجلا المظهر الرائع الذي بدا فيه الاحتفال بالمولد هذا العام ، من حيث اتجاه الفنون الجميلة إلى الاشتراك فيه ، فإلى جانب الأدب من كتابة وخطابة وشعر ، نسمع المطربين يصدحون بالأغاني المؤلفة في مدح الرسول وذكرى مولده ، ونسمع كذلك التمثيليات الإذاعية والبرامج الخاصة . ومما يلفت النظر أن الجمعيات الدينية كالشبان المسلمين والإخوان المسلمين ، أدخلت التمثيل في برامج احتفالاتها ، فمثلت على بعض المسارح تمثيليات في تاريخ الصدر الأول من الإسلام . وهكذا تعاونت فنون الأدب والغناء والتمثيل على الحفاوة بمولد الرسول في هذا العام ، ولا أقول إنها أكسبته جمالا وروعة ، بل هي التي اتخذت منه موضوعاً لإبراز جمالها الفني ... وأي موضوع أدعى إلى الإبداع الفني من ذكرى الحبيب محمد بن عبد الله الذي انتقل حبه إلى قلوبنا ، على تعاقب الأجيال ، بتيار رسالته المشمة الهادية ، وأي شيء أليق بالفن من الحب ... ؟

السفينة العربية :

وقد استرعى انتباهي حسن التفات الأستاذ الزيات في حديثه إلى قوله عليه السلام « إن قوماً ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ؛ فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكاني أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا » وذلك من حيث تطبيقه على دنيا الإسلام والعروبة اليوم ، إلى أن قال الأستاذ : « وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله من ألمعية الذهن وإشراق الروح كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، فضرب هذا المثل لجامعة الدول العربية لعلها تتذكر فتتدبر » .

أقول : حيا الله شعب العراق ، فقد حال دون خرق السفينة العربية بهبته في وجه المعاهدة التي تهدد سلامة السفينة إذا اختلفت إحدى الشقيقات مع الانجليز ... وحيا الله دولتي سوريا ولبنان ، فقد أبتا أن تصنعا في مكانهما شيئاً برفضهما التعاهد مع الانجليز حتى ينتهي الخلاف بينهم وبين مصر ، وعلى جامعة الدول العربية قائدة السفينة أن تتذكر فتتدبر .

لقد قوض العرب الأولون أركان الدولة الشرقية (الفارسية) والدولة الغربية (الرومانية) وكانت عدتهم في ذلك الوحدة والإيمان والتضحية ؛ ونحن الآن لا عاصم لنا من الكتلة الشرقية والكتلة الغربية إلا هذه الصفات . ويخيل إلى أننا أخذنا بالوحدة واقتربنا من الإيمان ، ولكننا لا نزال بعيدين عن التضحية ، لأننا غارقون في الأثرة ، متعلقون بالرياسة وحب السلامة .

ويوم تتم لنا تلك الصفات ، نجد « الكتلة العربية » مكانها على قدم المساواة إن لم يكن في موضع التغلب ، وليس هذا اليوم ببعيد .

نشوء القومية في ألمانيا :

كان « نشوء القومية في ألمانيا وتصادم النظريتين الألمانية والفرنسية في تعريفها وتحديدها » موضوع المحاضرة الثانية من سلسلة المحاضرات التي يلقيها الأستاذ ساطع الحصري في الجمعية الجغرافية الملكية والتي حدد لها يوم السبت من كل أسبوع .

قال الأستاذ : كانت ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر إمارات ودويلات متفككة سياسيا وإن كانت ذات وحدة لغوية ثقافية ؛ لم يكن أهلوها يشعرون بالقومية ، وكان علماؤها وأدباؤها يتجهون في تفكيرهم وإنتاجهم نحو الإنسانية والعالمية ، فلما قامت الثورة

فى فرنسا أبدوا ارتياحهم إليها مؤملين أن تقضى على النعرات الوطنية وتهدف إلى تحقيق الخير للبشر ، ولكن لم يلبث أملهم أن خاب عندما غزاهم نابليون ، وفرض عليهم حكما استبداديا لحقت بهم الكوارث من جرائه ؛ فشعروا بالحاجة إلى الوحدة والتكتل وبدأ المفكرون يوجهون الشعب نحو القومية ، وشرع الأدباء والشعراء فى إنتاج الأدب الوطنى الحماسى الذى جعل لهذه الفترة مظهراً بارزاً فى تاريخ الآداب .

وكان على رأس أولئك المفكرين « فخته » الذى دعا إلى محاربة التفرق والضعف وإلى تعميم التعليم وتربية الشعب تربية تنتفى فيها الأنانية ، وبث فى أبنائه أن عليهم رسالة كبيرة يؤدونها للبشر عامة ، برفع شأن وطنهم أولا ، ثم نشر الرسالة فى خارجه وبهذا مزج بين الوطنية والعالمية . وكان يوجه كلامه إلى الناطقين باللغة الألمانية ، فكانت نتيجة ذلك أن شعر سكان جميع البلاد التى تتكلم الألمانية برابطة اللغة .

وأدت هذه الحركة إلى تكوين جامعة الدول الألمانية التى كانت تنظم العلاقة بين هذه الدول وإن كان يحكم كل منها حاكم مستقل وتحققت وحدة اقتصادية ، وتقدمت الصناعات ، وقوى الجيش . ووجدت ألمانيا الفرصة سانحة فى الانضمام إلى الحلفاء ضد نابليون فاشتركت فى حربه معها ، ولكن الحلفاء بعد أن تغلبوا على نابليون عاكسوا الحركة القومية فى ألمانيا زمناً طويلا ، حتى قيض لها بسمارك ، فعمل على تحقيقها بمختلف الوسائل .

وبعد أن أفاض الأستاذ فى بيان ذلك انتقل إلى النقطة الثانية من المحاضرة ، فقال إنه فى خلال تلك الحوادث نشأت نظريتان فى تعريف القومية : النظرية الألمانية القائلة بأن القومية كائن حى روحه اللغة الواحدة ، والنظرية الفرنسية التى تقول بأن القومية ليست كذلك وإنما هى شىء يقوم على مشيئة الشعب ، وواضح أن كلا من النظريتين كان يدفع أصحابها إلى القول بها مصالح بلاده فالفرنسيون لا يقولون باللغة أساسا للقومية ، لأنهم كانوا يريدون أن يضموا جزءاً كبيراً من ألمانيا إليهم بحيث تكون حدودهم عند نهر الرين ، والألمانيون يقفون فى سبيلهم داعين إلى وحدة بلادهم وهى ذات لغة واحدة .

واستعرض الأستاذ آراء كل من الطرفين ، ثم قال إنه كان متأثراً بالنظرية الفرنسية ، ولكنه بالبحث والتأمل تبين له بطلانها لأن المشيئة ليست أمراً ثابتا محدودا ، وأورد حوادث دلت على تغيرها ، ولأن هذه المشيئة إنما تكون نتيجة للعوامل الأساسية كاللغة والتاريخ ؛ وختم الأستاذ المحاضرة بقوله إن صحة نظرية القومية القائمة على اللغة وفساد نظرية المشيئة ، سيتبين بشكل أوضح فى المحاضرة القادمة عندما نتكلم على الفكرة القومية فى النمسا والبلقان وتأثير اللغة والتاريخ فيها .

الشعر الآن :

رددت الصحف أخيراً قولا للأديب الفرنسى أندريه جيد :

« إذا وجد فى أى بلد شعراء مجيدون ، وإذا أحب أهل هذا البلد قراءة الشعر ، فاعلم أن النظام السياسى هناك نظام صالح قويم . أما إذا خلا البلد من الشعراء والنوابغ ، وإذا عزف الناس عن قراءة الشعر وترتيله ، فاعلم أن النظام السياسى هناك نظام فاسد معوج . وفى البلد الأول قلما تقوم الثورات والقلاقل ، وفى البلد الثانى قلما يهدأ الناس ويرضون عن حياتهم » .

ويبدو لى أن الربط بين وجود الشعراء وإقبال الناس على الشعر وبين استقرار الأحوال واطمئنان الناس فى حياتهم — يبدو لى أن هذا الربط يقوم على اعتبار الشعر ترفاً فنياً وعلى ما يسود حياة الناس من هدوء بال وهناءة عيش فيقبلون على الشعر يلتمسون فيه المتعة الفنية ، أو قلق وشظف فينصرفون عن هذا الكمال الفنى إلى مسائلهم ومشاكلهم .

ونحن ولا شك من الفريق الثانى ، والناس عندنا عازفون عن قراءة الشعر من غير شك أيضاً ، ولكن هل عندنا شعراء مجيدون ؟ يتوقف الجواب عن هذا السؤال على تعليل عزوف الناس عن قراءة الشعر ، فهل تصرفهم عنه شواغلهم ، أولا تعجبهم البضاعة الموجودة ؟

أما الشواغل والقلاقل فهي متوافرة ، وأما الإنتاج الشعرى فليس من السهل إطلاق الحكم عليه .

أحسب أن شيئاً من التبعة فى كساد الشعر يرجع إلى أولئك النقاد الذين هبوا فى فترة ماضية ، يعيبون على الشعراء العائشين فى حياة الناس القائلين فى مسراتهم وأحزانهم ، ويدعون إلى التجارب الذاتية والتحليق الفنى . ولهؤلاء النقاد وجهة فنية

سليمة إذا نظرنا إلى ما هالهم من التهالك على الرثاء المصنوع والتهانى المتملقة وغير ذلك مما ليس بسبيل التعبير الصادق ، ولكن كانت نتيجة تلك الحركة أن انكشف شعراء المناسبات عن الميدان ، وإن كان لا يزال فيه من يوالون تزييف التعبير وقد أصبحت تفاهة صنيعهم معروفة . أما التحليق فلم يُلف أجنحة فى أكثر أمره ... ومن حلق قصد إلى ترف الشاعر ، مزوراً عن مضطرب هذه الأمة المنكوبة فى حريتها وفى عيشها . ونظر الناس إلى هؤلاء وإلى هؤلاء شذراً ، لأنهم وجدوهم إما بعيدين عن الإجادة أو غير مسددين إلى أهداف المجتمع ،فكانوا عنهم معرضين.

وليس الأمر مقصوراً على جمهرة القراء ، فالإعراض عن قراءة الشعر يشمل الخاصة من المثقفين ، ولا أخفى أننى قلما أقع على شعر يقرأ ، وأكلف نفسى أحياناً أن أقرأ شعراً ، صابراً إلى نهايته ، ثم أقول فى نفسى: أترى هذا الكلام ينشر إذا جرد من الوزن والقافية وكتب نثراً . . ؟ والجواب مفهوم طبعاً ، وإذن فنحن نتخذ النظم «جوازاً» للنشر ليس إلا ...

كتب كاتب فى إحدى صحفنا الكبيرة «تقريظاً» لديوان أخرجه أخيراً شاب يتعلق بالشعر ، فتمثل الكاتب بما كتبه فيكتور هوجو عن لامرتين عقب نشر أول مجموعة شعرية له ، وهو قوله : « لقد ولد لنا الليلة شاعر عظيم جديد » فاستبشرت خيراً بمن ولد لنا وهو صاحب الديوان الذى يقرظه الكاتب ، ولكنه عفى على ما أملت بإيراده طائفة من روائع شعره ، فقد نظرت فى هذه « الروائع » متخيلا تجردها من الوزن والقافية فوجدتها كالذى وصفت . . وكذلك شأن أكثر من يولدون فى هذه الأيام !

وأعود إلى ما أسلفت من أنه ليس من السهل إطلاق الحكم على الجميع ، فثمة قلة من الشعراء يرتفع شعرهم عن مستوى الكثرة التى كادت تحملنى على القول بأن الشعر لقى حتفه . أما الظاهرة الشاملة الملحوظة وهى انصراف الناس عن قراءة الشعر ، فإن خالفتنى فى تعليلها فلن تختلف فى تقريرها .

وموقف الشعراء — فى نظرى — لا يخلو من ثلاثة : أن يظلوا يقولون لأنفسهم ، أو يقولوا فيما يعنى الناس وما يعجبهم ، أو يسكتوا حتى يفرغ الناس لهم .

معرض الفن الحديث :

فى يوم الخميس افتتح المعرض الأول للفن الحديث ، لخريجى قسم الرسم من معهد التربية العالى للمعلمين .

والفن الحديث فى الرسم ليس شيئاً مغايراً للفنون السابقة ، وإنما يعد تطوراً لها ، إذ يرى أصحابه أن الأسلوب (الفوتغرافى) فى الرسم صناعة آلية لا تغذى الفكر أو العواطف الإنسانية ، فهو أسلوب جامد لا يساير الحياة المتحركة ، ثم هو لا يتصل بالثقافات الأخرى من علمية واجتماعية وفلسفية . أما الفنان الحديث فقد أخذ بنصيب من هذه الثقافات التى تفاعلت فى نفسه مع الطبيعة الفنية ، فهو حينما ينتج لا يصور الحياة كما هى ، وإنما يضيف إليها شيئاً من فكره وشحنة من حسه فيتسلل إلى الحقائق والمتناقضات سعياً وراء الأفضل ، أو هو بتعبير آخر لا يقبل الواقع الماثل بل يدرك الواقع المتطور ويعبر عنه ، وهو يتحرر من كثير من القيود والأصول المعروفة .

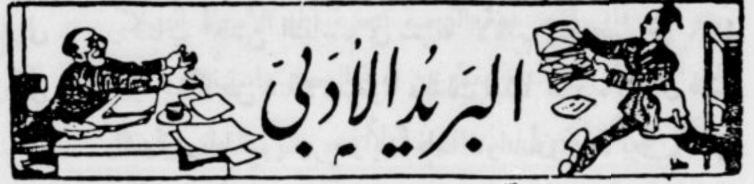
وقد شاهدت المعروضات ، وفهمت بعضها (ولا فخر) واستعنت على فهم البعض الآخر بأصحابه الأساتذة العارضين ، ومع ذلك لم أفهم كل شىء . . ولم أتحرج من مصارحتهم بذلك ، فكانوا يجيبون بأن الفنان قد يعبر عن شعور غامض فى نفسه أو عن تجربة له لم تتفق لمن لا يدرك مرماه .

وإذا كنا لم نقبل — فى الشعر — القول المأثور : المعنى فى بطن الشاعر ، فهل نقبل — فى الرسم — أن يقال : الفكرة فى بطن الفنان !

يجب أن توضح معالم هذا الفن حتى يتصل الشعور بين المنتج والمتفرج . وأى قيمة لعمل فنى تنقطع فيه الصلة بين المشاهد والفنان . . ؟

استعمار الأوبرا :

بدأ الموسم الشتوى للتمثيل فى الأوبرا ، بتمثيل الفرقة المصرية على هذا المسرح نحو شهر ، ثم جلت عنه للفرق الأجنبية التى تتعاقب عليه . عملت فيه أولا فرقة (الباليه) الفرنسية ، وتعمل به الآن الفرقة الإيطالية ، وستعقبها فرقة (الكوميدى فرانسيز) وهكذا تشغل هذه الفرق الثلاث مسرحنا الرسمى أكثر



حول رسائل الصاحب بن عباد :

هذه كلمة أكتبها مضطراً تعليقاً على مقال نشره بالرسالة الغراء في عددها ٧٥٩ الأستاذ محمد خليفة التونسي ، فقد كتب يصحح نصاً ورد في الرسائل كما كتب يصحح فكرة اتصلت باعتزال الصاحب .

ولو أنه كان يصحح نصاً حقاً وارداً في الرسائل أو يصحح فكرة جاءت حقاً في مقدمتها ما كتبت هذه الكلمة إذ من حق كل قارىء على ناشر لكتاب قديم أن يراجعه في صحة بعض الألفاظ التي نشرها كما أن من حقه أن يراجعه في صحة بعض أفكاره التي يقدم بها هذا الكتاب .

وهنا يظهر التناقض ، فالأستاذ الفاضل يصحح نصاً في الرسائل وليس في الرسائل ، أوقل بعبارة أصح إنه يصحح لفظة جاءت في إحدى عبارات الرسائل وليست في الرسائل ، وكذلك هو يصحح فكرة نسبها الدكتور الأهواني إلى مقدمة الرسائل أو بعبارة أصح إلى المدخل الذي وضع بين يديها ، وليست في المدخل .

أما اللفظة التي صححها الأستاذ التونسي فقد سيقت فيما رواه الدكتور الأهواني من قول الصاحب : « وما في النعم أجل موقعاً ، وأهنأ مشرعاً ، من النعمة في القول بالحق والدعاء إليه ، والتدين به والبعث عليه ، ومهانة من شبه الله بخلقه ، فتتابع في جهله ، أو جوره في فعله ، فشك في حسن نظره وطوله » . فقد تصادف أن كلمة جهله أصابها خطأ مطبعي فكتبت في مقال الدكتور الأهواني هكذا : « جهده » وحينئذ رأينا الأستاذ التونسي يفترض لها فرضين ، فهي في رأيه إما أن تكون حقه أو جهله ، ورجح أن يكون أصلها « حقه » كما رجح أن تكون كلمة « فتتابع » ليست كذلك وإنما هي « فتتابع » . وأظنه يرى الآن

الموسم ، في الوقت الذي تتعطل فيه الفرق المصرية لأنها لا تجد مسرحاً تعمل فيه ؟

وتلك الفرق الأجنبية بذلت لها حكومتنا المصرية ، إلى جانب مسرح الأوبرا ، إعانات كبيرة ، وأنفق مدير الأوبرا في سفره إلى أوربا في الصيف لاختيارها والاتفاق مع متعهديها مبلغاً آخر من المال ، ويجمع هؤلاء المتعهدون من (شباك التذاكر) أموالا طائلة قد يذهب بعضها من بعض المتعهدين اليهود إلى الصهيونيين في فلسطين .

ولم كل هذا الإغداق ، وذاك الاحتلال ؟ يقولون : لأن دار الأوبرا تقدم بتلك الفرق للجمهور المثقف نماذج من رائع التمثيل الغربي ...

ألم تر في الأيام الماضية القريبة تلك الصور التي نشرتها الصحف والمجلات لفتيات (الباليه) اللائي يرقصن بأجسام شبه عارية ؟ وفي الفرقة نحو عشرين فتاة من الفرنسيات ، أعمارهن بين الثامنة عشرة والرابعة والعشرين ... أهذا هو الفن الرائع الذي تقدمه الدولة الإسلامية للمثقفين فيها ، وليكون مدرسة يفيد منها الفن في مصر ؟!

ثم ما هو الجمهور الذي يستفيد من هذا التمثيل ؟ إنه يتكون من صنفين : الأول الأجانب ، والثاني الأغنياء الذين يتخذون من مشاهدة هذه الحفلات مجالا للارستقراطية المزهوة ... ومعرضا لثمين الفراء ونادر الجواهر .

على أنه إذا فرضنا أن لهذا التمثيل الغربي فائدة تثقيفية فنية ، فإن هذه الفائدة لن تكون إلا كمالية ، ونحن أحوج إلى العناية التي تبذل لها في تدعيم الضروري من فن التمثيل المسرحي الذي يكاد يختنق في بلادنا ، لأن حياة المسرح المصري أساس لتقدمه فكيف نعمل على تقدمه وهو يحتضر !

لقد كانت فرقة واحدة تكفي — إن كان لا بد من النماذج الغربية — للعمل شهراً واحداً ، ثم تمكن الفرق المصرية من أن تأخذ نصيبها من مسرح الدولة ومن تشجيع الدولة .

وبعد فإلى متى تظل دار الأوبرا مستعمرة للفرق الأجنبية ؟ ومتى نضع حداً للاستكثار من الخير للأجانب والمترفين ؟

« العباس »

أنه ليس هناك داع لـكلمة حقه ولا لـكلمة تتابع ولو رجع إلى الرسائل نفسها فى تحقيق هذه العبارة لـكان فى غنى عن كل ما أورده فى هذا الباب .

والمسألة الثانية التى حاول أن يصححها هى ما جاء على لسان الدكتور الأهوانى فى مقاله عن اعتزال الصاحب إذ قال : « نستطيع أن نطمئن إلى ما ذكره ياقوت عن الصاحب من أنه كان يذهب مذهب الاعتزال ولـكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا يطمئنان إلى أن الاعتزال « أكان هذا من عمله هو أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب - فيما يظهر - إلى الاعتزال » وآخر كلام الدكتور الأهوانى يوهم حقاً أننا نظن أن اعتزال الصاحب يرجع إلى اعتزال سيده .

ومن هنا ذهب الأستاذ الفاضل التونسى يتحدث تحت تأثير هذا الوهم عن اعتزال الصاحب ولـماذا نربطه باعتزال سيده ، ثم استطرد يتحدث عن صلة البويهيين بالاعتزال ، وهو يشـكر على ما بذل فى ذلك من جهد لـكنا كنا نؤثر أن يعود إلى مقدمتنا للرسائل ، إذن لعرف أنه كان فى غنى أيضاً عن كل ما ساقه فى هذا الباب .

وقد تـكون المهدة فى ذلك على الدكتور الأهوانى الذى كتب المقال الأول ، ولـكن ذلك لا يعفى الأستاذ التونسى من حقنا عليه وهو أن يحاسبنا على ما نكتبه لا على ما يكتبه غيرنا وإن بدا أنه ينقل عنا .

والمسألة - يا سيدى - لم تـكن مسألة اعتزال الصاحب إنما كانت مسألة دعوة الصاحب إلى الاعتزال ، فقد رأيناه فى الرسائل يدعو الناس إلى الاعتزال ولم نره يدعو إلى التشـيع ، ومعروف أن البويهيين كانوا متشيعين وكذلك كان الصاحب متشيعاً ، والمعقول أن نجده يدعو إلى التشيع لا إلى الاعتزال . وقد جعلنا ذلك نبحث عن صلة البويهيين بالاعتزال وخاصة عضد الدولة التى توجت الرسائل غالباً باسمه ، ووجدنا آدم ميتز يقول إن عضد الدولة كان يعـمل على مذهب المعتزلة (راجع الحضارة الإسلامية لآدم ميتز طبع لجنة التأليف ص ١٠٢) ولم نـكشف بما روى آدم ميتز بل رجعنا إلى الأصل الذى أشار إليه ، وهو كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى ص ٤٣٩ ووجدنا النص هناك مضطرباً ، لذلك قيدنا فـكرة اعتزال عضد الدولة وقلنا فيما يظهر ، وأيضاً فإننا حاولنا أن نربط بين دعوة الصاحب إلى الاعتزال وبين عضد الدولة فربما كان هو الذى دفعه إلى ذلك ونحن نورد ما جاء بمدخل الرسائل فى هـذه المسألة ، جاء :

« وليس فى الرسائل ما يدل أى دلالة على أن دولة بنى بويه كانت تدعو إلى التشيع . . ونحن نجد فى الرسائل نزعة واضحة إلى القول بالاعتزال والدعوة إليه ، فقد جاء فى الرسالة التاسعة من الباب العاشر « مولاى يتدين بتعديل ربه ، ويعرف مواقع اللطف من صنعه ولا يشك فى اقتران الصلاح بفعله » وتتـكرر فـكرة التعديل هذه فى الرسائل كثيراً ، والغريب أن الصاحب لا يدعو إلى التشـيع فى رسائله ويدعو إلى الاعتزال ! وهناك رسالتان طريفتان فى الباب السابع عشر وهما نصان صريحان فى أنه كان يبعث دعاة له إلى البلدان المختلفة يدعون الناس إلى الدخول فى مذهب المعتزلة ، ولسنا ندرى أكان هذا من عمله هو أم كان من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب - فيما يظهر - إلى الاعتزال ، ويعرف التاريخ صلة دائمة بين التشيع والاعتزال منذ كانا . ويظهر أن التشيع اقترن فى هذا العصر اقتراناً تاماً بالاعتزال إذ كان أهل السنة يكرهون التشيع والاعتزال جميعاً »

وأظن قد اتضح الآن أننا لم نرجع اعتزال الصاحب إلى سيده عضد الدولة وأننا كنا بصدد مسألة أخرى هى مسألة دعوة الصاحب إلى الاعتزال دعوة رسمية وهل كانت من عمله أو بتفويض من سادته وأكبر الظن أن السؤال لا يزال مفتوحاً للاجابة عليه وإن كنا نميل - كما يبدو من كلامنا - إلى أنه كان بتفويض من سادته .

أما الصلة التى عرض لها الأستاذ الفاضل بين البويهيين والاعتزال فلعله يوافقنى على أنه كان متسرعاً فى تفصيل الحديث عنها وأنها فى حاجة إلى بحث عميق واسع ، وهو بحث يعتبر جزءاً من بحث أكبر وهو بحث الصلة بين المعتزلة والشيعة وخاصـة فى القرن الرابع قرن الصاحب بن عباد .

وبعد فإني أنتهز هذه الفرصة لتحية أخي الأستاذ التونسي مقدراً ما دعاه إلى كتابة مقاله من محبة البحث واستيفائه ، وإنه ليشكر على أن أتاح لي هذه الفرصة لأصحح بعض ما جاء في مقال صديقي الدكتور الاهواني ، وإن له الآخر مني أجمل الشكر والثناء ...

شوقي ضيف

تصحيح نسبة كتاب :

في الجزء الثاني من كتاب « المفصل في تاريخ الأدب العربي » ترجمة للامام ابن تيمية .

وقد دعاني ما فيها من المبالغة لقراءة الترجمة مرات فكنت أقف في كل مرة عند قول المؤلفين «وبلغت مصنفاته ثلثمائة مجلد» قائلا فيمه ؟ حتى لفت نظري قولهم « أكثرها في التفسير والفقه والأصول » .

لفت نظري ذلك لأن الذي كان معروفاً بالفقه والأصول والتفسير إنما هو ابن تيمية الجد لا الحفيد وهو المترجم .

وما إن تأملت قول المؤلفين « وأشهر هذه الكتب منتقى الأخبار !! وفتاوى ابن تيمية الخ حتى آمنت بأن هناك خلطا نشأ من عدم التفرقة بين الجد الذي هو صاحب « منتقى الأخبار » قطعاً وبين الحفيد وهو المترجم .

وإني لأسأل عن تلك المصنفات التي ذكروها في التفسير والفقه والأصول . أهي للحفيد حقاً كما زعموا أم هي للجد ولكنها نسبت إليه كما نسب كتاب منتقى الأخبار ؟

فهل من محقق يزيل هذا الشك ؟

محمد الأمين

جوائز فاروق الأول للصحافة الشرقية :

[مؤسسة إدجار جلاد بك]

تذكر إدارة جريدتي الزمان والجورنال ديجبت حضرات الصحفيين بقرب حلول موعد الجوائز التي تمنحها (مؤسسة إدجار جلاد بك لجوائز فاروق الأول للصحافة الشرقيـــة) في ١١ فبراير من كل عام بمناسبة عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول للصحفيين في مصر والبلاد الشرقية الذين يتفوقون في مهنتهم ولا تزيد سنهم على الثلاثين سنة . وستمنح هذه الجوائز حسب النظام الآتي .

١٠٠ جنيه للصحفي الذي يكون قد كتب أحسن مقال باللغة العربية في موضوع وطني .

١٠٠ جنيه للصحفي الذي يكون قد قام بأوفى تحقيق صحفي في موضوع عام ونشر باللغة العربية .

١٠٠ جنيه للصحفي الشرقي الذي يكون قد كتب أحسن مقال بلغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) في موضوع شرقي . ويجب أن تكون هذه المقالات قد نشرت في المدة من ١١ فبراير سنة ١٩٤٧ إلى ١٥ يناير سنة ١٩٤٨ .

ويرسل من المقال المقدم للمباراة ثلاث نسخ إلى إدارة جريدتي الزمان والجورنال ديجبت بالقاهرة وستحكم في هذه المباراة لجنة من كبار الصحفيين وتعلن النتيجة في ١١ فبراير سنة ١٩٤٨ يوم عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول

المجمع العلمي العراقي الجديد :

أنشىء في العراق هذه الأيام مجمع على لخدمة اللغة العربية والنهضة الأدبية على مثال المجمع العلمي العربي في الشام .

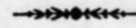
وتتكون أعضاؤه بمقتضى قانون المجمع من أربعة مؤسسين عينتهم وزارة المعارف هم الشيخ محمد رضا الشبيبي والدكتور فاضل الجمالي ، وزير الخارجية العراقية السابق ، والدكتور متى عقداوي ، مدير التعليم العالي في وزارة المعارف ، والدكتور هاشم الوتري عميد كلية الطب البغدادية وانتخب الأربعة السيد توفيق وهبي وزير المعارف والأستاذ بهجة الأثري والدكتور جواد علي وانتخب جميعهم الأســــتاذ منير القاضي عميد كلية الحقوق والدكتو شريف عسيران والأستاذ نصرت الفارسي .

وقد اجتمع العشرة لانتخاب مجلس إدارة المجمع ففاز الشيخ رضا الشبيبي بالرياسة (وهو المنتخب حديثاً عضواً في مجمع فؤاد اللغوي بمصر) وتوفيق وهبي والدكتور الوتري نائبي رئيس والدكتور جواد علي سكرتيراً .



ســـعدى التميمية *

للأســتاذ نجاتى صدقى



لقد شغل هذا الحادث قبيلة بنى تميم الضاربة خيامها على ضفتى الدجلة ردحاً طويلا من الزمن ، ولم يهدأ لها بال إلا بعد أن دفع الثمن ؛ وكان غالياً .

ولهذا الحادث صلة متينة بالحب البدوى .. والحب البدوى أعنف من الحب الحضرى لأنه يقوم على الطبيعة البشرية المجردة فى حين أن الحب الحضرى تشوبه عناصر غريبة من المادة والاجتماع والرياء .. وهكذا صار للحب البدوى ملكه ، وصار للحب الحضرى شيطانه .

وزار مرة ملاك الحب بيت (مركال) (١) من بنى تميم ، وصوّب السهم إلى قلب الفتاة سعدى وحيدة أبويها فترنحت وسقطت أسيرة الهوى البرىء .

ولسوء طالع سعدى أن يكون فتاها محسن غريباً عن قبيلة بنى تميم التى لا تبيح لأحد من غير قبيلتها أن يتزاوج من فتياتها ؛ فتشاور الفتى والفتاة فى الأمر ، واتفقا على الفرار ، فرحلا إلى بغداد وسكنا فى كرادة زوية ، وهى ضاحية من ضواحى العاصمة تقع على ضفة الدجلة الشرقية ، تحيط بها حدائق غناء ، وأحراج من النخل الباسقات الشبيهات بسرب من الصبايا الرشيقات

وإذ كانت سعدى تتقلب بين ذراعى حبيبها وتشعر فى جواره أنها أسعد فتاة فى قبيلتها . كان أبوها يقلب (الدلة) مقسماً بأغلظ الأيمان ألا يقدم لأحد قهوة حتى يمحو العار الذى لصق به وبقبيلته .

ولقلب (الدلة) عند بنى تميم مغزاه .. فالدلة هى أبريق القهوة ، وإذا ما أراد أحدهم أن يثأر لنفسه قلب أبريق القهوة رأساً على عقب ، وتركه مقلوباً إلى أن ينال بغيته .

وبعد ثلاثة أشهر أفاقت سعدى من سكرة الحب ، وأخذ ضميرها يؤنبها على فعلتها الشنيعة ، وراحت تتصور ما يلاقيه أهلها فى القبيلة من عار ومذلة ، بل ما تلاقيه القبيلة كلها من مهانة واحتقار بين القبائل المجاورة ، فارتبكت وجعلت تفكر فى مخرج من هذه الكارثة . وللبدوية فى حالة كهذه أحد طريقين لا ثالث لهما : إما الاستمرار فى الغىّ أو الاستسلام ، وكلا الطريقين محفوف بالمخاطر .

أتعود إلى أبيها وتجثو على قدميه تسأله الرحمة والمغفرة ، أم تواصل حياتها السعيدة إلى جانب شقيق روحها محسن ؟

أتعود إلى أبيها وترفع عن كاهله وعن كاهل بنى تميم كلهم عبئاً معنوياً ثقيلا ، أم تظل مع (ولفها) تبادله هذه الهنوات اللذيذة فى العاطفة والأعصاب التى يطلق عليها الناس اسم الحب.

و (الدلة) أتظل طويلا مقلوبة ؟ .

لاتدرى سعدى كيف انسلت فى صباح أحد الأيام من فراش حبيبها ، وهو يغط فى نومه ، وخرجت تتعثر فى أذيالها ، ووجهتها بغداد .

وفى عاصمة الرافدين لجأت إلى بيت أحد الوجهاء من معارف أبيها بمثابة (دخيلة) فقبلها الوجيه مع ما فى ذلك من متاعب لا حصر لها .

و (الدخالة) من العادات البدوية القديمة الجليلة ، ولا تزال متبعة فى العراق حتى أيامنا هذه .

قالت سعدى للوجيه البغدادى : أنا (دخيلة) عليك ؟ . . فرحب بها ، ثم عهد إليها أمر العناية بأطفاله إلى أن تتم وساطته مع أهلها .

وقضت سعدى (دخيلة) مدة ستة أشهر ، والوجيه لا يألو جهداً فى الوساطة لدى أبيها .. غير أن هذا كان يأبى دائماً أن يمد الوجيه بشىء ، وكان يطالب بأن تسلم ابنته نفسها دون قيد أو شرط .. أو كما قال للوجيه مرة : « لقد خرجت قضية سعدى من يدى ، فالقبيلة هى التى تقرر مصيرها . . وما أنا فى مثل هذا الظرف إلا منفذ لرغبة بنى تميم » .

(*) أذيعت من دار الإذاعة الفلسطينية بالقدس .

(١) المركال : هو مالك صغير يستخدم عدداً من الرعاة والزارعين

وظلت (الدلة) مقلوبة كما كانت منذ تسعة أشهر.

أما سعدى، فكانت تمنى بأطفال الوجيه، وتقص عليهم القصص اللطيفة، التي تتحدث فيها عن الغزلان، والإبل والسراب، والعواصف الرملية، والرياح السموم، والقفار الوعرة والواحات النضرة.. كما كانت تغنى لهم أغانى تذكر فيها الدجلة والفرات، واليمام، وليالى بغداد، ونسيمها العليل، ونجومها الساطعة.

واستمرت الوساطة، ولكن دون جدوى، وظلت (الدلة) مقلوبة.. وغدت عينا سعدى محمرتين مثل الجمر من قلة النوم، وكثرة البكاء، فهى لم تظفر بعطف أبيها وخسرت حبيبها الذى خيل إليه أن ذويها اختطفوها، وقطع الأمل من رؤيتها أو الاجتماع بها إلى الأبد.

ولما رأى الوجيه أن لا فائدة من الوساطة، وأن من الخطر إبقاء سعدى فى بيته أكثر مما بقيت، عقد النية على نقلها إلى بيت منعزل فى حى (الكاظمين) ولأهلها أن يأخذوها من ذلك البيت إذا أرادوا وليس من بيته. وبذلك يصبح فى حل من مسئولية (الدخالة) الأدبية..

وغادرت سعدى بيت الوجيه وهى تعانق أطفاله وتغسل وجناتهم بدموعها، فيسألونها متألمين: إلى أين أنت ذاهبة ياسعدى؟ كيف تتركيننا؟ ومن الذى سيقص علينا القصص الجميلة، ويغنينا الأغانى العذبة؟.

فتجيبهم بكلمات لم يفقهوا لها معنى. إنى ذاهبة لأرى ما قدر لى، وما كتب على جبينى.

ومكثت سعدى فى ذلك البيت المنعزل فى الكاظمين ثلاثة أيام تنام على الحصير، وتتغذى بالخبز والماء.

وكانت فى هذه الأيام الثلاثة لاتنفك تغنى هذه الأغنية الشعبية:

هلى يا ظلاّم هلى
جيبــوا لى ولنى إلى
خايبين يا ظلاّم
ترى الفركة جوت
قلبى جوى

***

لا يا هلى الظلاّم
لا رحم عــدكم
جيبوا لى ولنى عاد
موش أنــا بنكم؟
لا يا هلى الظلاّم
مــا كو مروّة
جيبــوا لى ولنى عاد
قلبى نجوه
جيت ولقيت الدار
خالى من الأحباب
صبن دموع العين
يم عتبــة البــاب

وفى فجر اليوم الرابع طرق سمع سعدى وقع أقدام وصرير مفتاح... وهمهمة ودمدمة.. فانتصبت مذعورة، فرأت نفسها وجهاً لوجه قبالة أبيها، وأشقائها، وممثلين عن قبيلة بنى تميم.

أدركت سعدى لساعتها ما صمم القوم عليه، فجثت تبكى، وتطلب العفو. لكن يداً قوية أخذتها من ناصيتها، ويداً أخرى أقوى أخذت تسلبها النفس. وكانت فى حشرجتها الأخيرة تقول إننى عذراء.. إننى عذراء!..

وفى مساء ذلك اليوم أشيع فى قبيلة بنى تميم أن أبا سعدى عدل (الدلة)!.

نجاتى صدقى

مطبعة الرسالة



العدد ٧٦٢ — الاثنين ٩ فبراير ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥١٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 762

Lundi —9 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٧ — ٩ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

لوعة صديق على صديقه « إسعاف »

للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي بك

يا زعيم العربية ! ، ويا إمام المحققين !

أما وقد حُم قضاء الله فيك ، وانفضّ سامرك ، وانطوى بساطك ، وذوى (نُقلك) ؛ فإنني لا أجد ما يصبّرني عنك ، ولا ما يعزيني فيك ، إلا أن أستمير من بيانك ما أناجي به روحك العذب ، وإلاّ أن أرثيك ، بمراثيك ! ...

ألم تهتف غداة مات « شوقي » بشعر شوقي :

« إنما الدنيا شجون تلتقي * وحزين يتأسى بحزين »

« ضحك الدنيا احتشاد للبكا * وأغانيها معدات الأنين ! »

ولقد استطعتَ أن تُبهجَنا ليلتك الأخيرة ؛ لتُبكينا أيامنا الطويلة ! ألم ترسل فيه اللوعة المريرة ثم تندبه بقول حبيب:

« أُصيبتُ فيه وكان عندي * على المصيبات أن يُعينا »

« كنت عزيزاً به كثيراً * وكنت صباً به ضنينا »

« آليتُ(١) أنساه ما تجلى * صبح نهـــار لمدجينا »

ولقد آلينا لا ننساك ! !

ألم تبعث فيه الأنين الوفيّ ، ثم تتمثل بقول (أبي تمام) :

« تذكرت نضرة ذاك الزمان * لديه ؛ وعمران ذاك الفناء »

« وإذ علم مجلسه موردٌ * زلال ! لتلك العقول الظِّماء »

« وكنتُ أراه بعين الجلال * وكان يراني بعين الإخاء ! »

وإننا لنتذكر ، ثم نتذكر ...

ألم تسكب أنت في « شوق » عَبْرتك الحرّى ، وروحك اللتاع ، وشعورك المتأجج ، في فقرات من البيان الذي هو نسيج وحده ! كما أنت نسيج وحدك ! فأخذت تهتف ببنات العروبة ؛ ليُسعِدْنك يوم (شوقي) بالنحيب ، وجعلت تقول :

بلبل (الكرمة) ولّى * أين غاب البلبل ؟* بهجة زالت وجاءت وحشة ! مِدْرهُ العُرب قضى * يا فتاة العرب ! * فالبسي ثوب الحداد اذكريه ، اندُبيه ، أبْنيه * بمراثٍ ، مشجيات ، خالدات !

ولقد حق لنا اليوم أن نهتف في يومك ، بما كنتَ تهتفُ به في أمسك !

يا كريم الإخاء ويا سيد الأوفياء : إني لأُشهدُ هذا الشعر كله على نفسي كما أشهدته ، وأشهدُ بيانك الذي أبدعته واخترعته ، أن لوعتي عليك لمشبوبة ، وإن لجيمتي في علمك وأدبك لا يذهبها كرُّ الغداة ولا مرُّ العشي ! وأني أصبت فيك ، وأنك لِمدْره العرب ، وأنك لبهجة زالت ...

ولقد خدعتني نفسي ، وأنا أصافحك في الليلة الموقوتة ، فحسبتُني عائداً لك ! غداً أو بعد غد ! وإنما خدعتني قوةُ نفسك! ويقظة ذهنك ، وأنك تركتَ الطب وراء ظهرك يعالج ! وأقبلتَ علينا بوجهك تحاضر ! فتقول :

« لقد ذكر القدامى أن الشعراء ثلاثة : المتنبي ، وأبو تمام ، والبحتري . ثم ذكروا الكتاب ؛ فميزوا لنا اثنين : الجاحظ ،

(١) أي لا أنساه — على حد (تالله تفتأ تذكر يوسف) أي لا تفتأ.

١٧ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض لدى المملكة العربية السعودية

في مدينة لاهور

كانت بوادر الفتن والهرج منتشرة فى أرجاء الهند ، وكانت لفحات الصيف بين الحين والحين تؤذن باقتراب الصيف ، وكان الوقت أضيق من أن يتسع للتجول فى أرجاء الهند وإجابة دعوات لزيارة كلكتا بل ما هو أقرب منها مثل لكهنو وديوبند ، والله آباد ؛ ولكن مدينة واحدة كانت تدعونى دعوة لا أستطيع ردّها ؛ كانت مدينة لاهور مدينة الشاعر الخالد محمد إقبال توحى إلىّ كل حين أن أزور دار الشاعر وقبره . وكان إعجابى بالرجل وحبى إياه يقضيان بأن أذهب إلى لاهور مهما يضق الوقت وتكثر العوائق . ولم أجز لنفسى قط أن آتى إلى الهند وأرجع دون أن أزور قبر إقبال وداره فى لاهور .

عزمت على السفر إلى لاهور ورأيت أن أهدى إلى مزار الشاعر الفيلسوف هدية من الشعر فنظمت أبياتاً وكلفت نقاشاً أن ينقشها على لوح من الرخام .

***

ويوم الإثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣١٦ هـ (١٤ نيسان سنة ١٩٤٧) ، ركبت القطار الذى يسمى « بريد الحدود » وكان موعد سفره من دهلى الساعة التاسعة فأخذت مكانى فيه وتأخر سفره نحو ساعة . وكان فى المقصورة سريران أخذت أحدهما واحتل الثانى ضابط من السيك[1] .

ولما أصبحنا نظرت فإذا منظر الأرض أنضر مما عهدت فى

(١) سمعت الناس فى الهند يقولون السيك بالكاف لا السيخ بالخاء وهى تكتب سيكه بهاء فى الآخر . وأحسب قراء العربية وجدوها مكتوبة بالحروف اللاتينية Sihh فنطقوها بالخاء كما يتلفظ فى Lkh عادة .

وأبو حيّان ، فمن هو الثالث ؟ ثم تسكت ونسكت ! ! فلمّا لم نجدْ منا جواباً ! جاهرتَ ، وصحْتَ : « إنه (الزيات) ، إنه (الزيات) ، إنه أمير النثر والناثرين ، وإنه لسيد البلغاء » .

فهل حسبنا وأنت تحاضرنا ، أنه لم يبق بيننا وبين أن ينطفئ هذا السراج الوهّاج ، إلاسويعات! ألا لشدّ ما تحطّمنا الأقدار ، ويسخر منا ومن آمالنا الليل والنهار ! لقد وعظتَنى حيا وميتا ! ألم تصحبنى لمواساة « آل عبد الرازق » عشيةَ نجيئهم فى (الشيخ الأكبر) فلما جلستَ إلى « علىّ » اعتاج الهمُّ ، وكان وجومٌ ، فما راعنا إلا صوتُك يقطع الصمتَ ، ويعبِّر عن روعة الموت : « خَرِسَتْ لعمرُ الله ألسنُنا * لما تكلم فوقنا القدرُ !! »

إن العربية اليوم لولهى ، تتفزع من هول يومك ، وإن مصر لحزينة على العالم الأكبر ، والباحث الأكبر ، الذى صات صوته فى أرجائها : « ألا إن محمداً ، وذكرى محمد ، وقرآن محمد ، ولغة محمد ، وعربية محمد ، وأدب محمد »

« كل ذلك لن يزول ، كل ذلك لن يبيد وفى الدنيا مصر (١)

لقد عرفتْ مصرُ لك هذا الفضل وذلك الجيل ، وإن جحده جاحد . فها هو ذا حوها يتلقى أنفاسك الطاهرة ، وها هو ذا تراها يزكو بعظامك ، ويستأثر برفاتك ، حانياً عليها مزهواً بها ! وها هى ذى سحائبها تروّى أجداثك بكرة وعشيا ، فلطالما رويت وأبهجت قلوباً ، ثم نافحتَ وجاهدتَ وناضلت لتسود لغة القرآن .

يا شهيد العلم والتحقيق :

لقد رفعك الله مكانا عليًّا ، وجعل لك فى الخالدين ذكراً سريًّا : وإنك ميت ، وإنهم ميتون ، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ! ونشهد ! ما عرفنا ولا رأينا لك ضريباً ، يرسل قلبه فى كلامه ، ويسكب عقيدته فى حديثه ، ولا أدركنا أميناً يؤدى أمانة العربية كما أدّيتَها ، ولا صادقاً ولا وفياً يتحرق وجداً ببيان القرآن ، ولا شجاعاً منواراً ، إذا رأى أو سمع — الهجين — أرسل عليه صيحات من بلاغته ، لا بل سهاماً من كنانته ...

إنى لأتمثلُ فيك بقول « الشريف » ، كما كنتَ تتمثلُ بقول « الشريف » :

يا ليتَ أنى ما اقتنيتُكَ صاحباً * كم قُنيةٍ جلبتْ أسًى لفؤادى
أعْزِزْ علىّ بأن يفارقَ ناظرى * لمعانُ ذاك الكوكب الوقّاد

فيا أرواح الشهداء والمجاهدين : لقد جاءكم روح « إسعاف » ، فيا وحشتنا بعده ، ويا أنسكم به ! !

محمد عبد الرحمن الجديلى

(١) من كلمة الفقيد فى مهرجان شوقى بالقاهرة

الطريق بين دهلي وعليكر وأجرا . واجتاز القطار جسورا عدة فوق أنهار . ورأيت محطات القطار أكبر وأعمر والناس أصح وأنظف . فقلت إنه إقليم البنجاب الذي تجري فيه روافد نهر السند الخمسة . وهو معروف بجودة هوائه وقوة أهله وغنائه .

وبعد الساعة التاسعة من الصباح وقف القطار على أمرِتسار مدينة السيك المقدسة . ولولا الاضطراب لزرتها . وقد حدثني رفيق الضابط وهو يستعد للنزول في أمرتسار بما فيها من هيج بين المسلمين والسيك .

وكانت وقفة القطار التالية في لاهور ، وبينها وبين أمرتسار مسير نصف ساعة .

مدينة لاهور

هي عاصمة البنجاب . وكان الظن أن تكون عاصمة دولة الباكستان ولكن الحوادث جعلت كراتشي العاصمة اليوم .

وهي على مقربة من الشاطىء الأيسر لنهر راوى أحد فروع السند . وتقع على الدرجة ٣١ من خطوط العرض الشمالي وعلى الدرجة ٧٤ من خطوط الطول الشرقي . فعرضها كعرض القاهرة ولكنها أشد حراً منها ، بل هي من أحر بلاد الهند وإن كان ارتفاعها ١٧٠٦ قدم لتوغلها في البر بعيدة من البحار .

وهي على المهيع من أفغانستان إلى الهند تلتقي بها سكك حديدية . وهي على بعد ١٧٧٠ كيلو من كلكتا و ٤٣٨ من دهلي .

وسكانها أكثر من ربع مليون . وتشمل اليوم المدينة القديمة ومحلات حديثه فيها أبنية فخمة .

وهي مركز ثقافة واسعة بها جامعة البنجاب والكلية الأمريكية ومدارس أخرى كثيرة .

***

لا يعرف شيء من تاريخ لاهور قبل الإسلام . وفي أساطير الهند أن مؤسسها لوه بن راما بطل قصة الرّمايَنا المعروفة في الآداب الهندية .

وقد صارت ذات شأن في التاريخ الإسلامي منذ فتحت الدولة الغزنوية الأقاليم الشمالية الغربية من الهند . واتخذتها هذه الدولة حاضرة حينما زحزحها الغوريون عن أفغانستان فاقتصر سلطانها على ما فتحته من الهند . وذلك في عهد السلطان مسعود الثالث سنة ٥٥٣ . فهي أول حاضرة لدولة إسلامية في الهند .

وقد تقلبت عليها الخطوب ولقيت من غارات التتار ثم غارات تيمورلنك مالقيت .

ثم اتسعت واستبحر عمرانها ، وازدانت بالأبنية العظيمة الرائعة والحدائق أيام الدولة الإسلامية الهندية الكبرى دولة التيموريين .

استولى عليها ظهير الدين بابر مقيم الدولة التيمورية وتوالى على تعميرها خلفاؤه حتى صارت إحدى المدن الثلاث العظيمة في عهدهم . والأخريان دهلي وأجرا .

وقد أقام بها جلال الدين أكبر سنين كثيرة من سني ملكه . وجعلها ابنه جهانكير العاصمة الثانية (بعد دهلي) . وبها مات وسنذكر قبره من بعد .

وقد بنى فيها هذا السلطان أبنية كثيرة منها القصر الجليل الذي سمى خوابكاه (المنام) ومنها موتى مسجد في القلعة (أي مسجد اللؤلؤة) وقد ذكرنا من قبل مسجدين بهذا الاسم في قلعتي دهلي وأجرا . وهي مساجد صغيرة في القلاع يصلي فيها السلاطين . وقد بالغوا في تشييدها بالرمر وتجميلها .

ومن أبنية شاه جهان ، وهي كثيرة ، الرواق الذي يسمى نولاك (تسعة لاكات) لأنه أنفق على بنائه هذا القدار . واللاك مائة ألف « وكان كله مرصعاً بالجواهر » .

وبنى السلطان أورنك زيب مسجد الجمعة . وهو مسجد فسيح جداً يقال إن السلطان بناه ليسع كل من تجب عليهم الجمعة في لاهور وسيأتي ذكره .

ولما ضعفت الدولة التيمورية وعجزت عن صدّ المغيرين من إيران وأفغانستان أصاب لاهور شر عظيم من غزوات نادرشاه ١١٤٨ — ١١٦٠ هـ والشاه أحمد الدرّاني مؤسس الدولة الأفغانية ١١٦٠ — ١١٨٧ هـ .

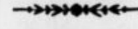
ولما قامت للسيك دولة في تلك الأرجاء كانت لاهور عاصمتها حيناً ، إلى أن أزال الإنكليز الدولة وألحقوا بنجاب بالهند البريطانية .

وللسيك فيها آثار لا تدل على براعة في الفنون . وقد مسخت غاراتهم وفنونهم كثيراً من الآثار الإسلامية الرائعة .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

هـــذا زماننا

للأستاذ محمود محمد شاكر



أراد جماعة من الذين كتب الله عليهم أن يرتزقوا باصطناع السياسة ، أن يعقدوا معاهدة بينهم وبين بريطانيا يقضون بها فى أمر العراق على ما خيلت لهم أنفسهم وأنفس البريطانيين ، ووقف بيفن يتعجب ممن زعم أنه يضع توقيعه الكريم على معاهدة فيها بخس لحقوق العراق ! وليس هذا بعجيب من ساسة بريطانيا ، فقوام السياسة البريطانية هو الخداع ، والإصرار على الخداع ، وتسويغ الخداع ، حتى يبلغ الأمر مبلغ الصفاقة المهذبة فى عرف الساسة البريطانيين . ولسنا نلوم بريطانيا ولا ساستها على هذا المذهب القبيح ، فهم إنما يترفقون إلى غاياتهم بما وسعهم من الدهاء والمكر ، ولكننا نلوم أولئك المتبجحين ممن راموا أن يكونوا أهل سياسة فى هذا الشرق العربى أو الإسلامى ، إذ يخادعون أنفسهم ويخادعون أهليهم عن فساد بين فى أمر هذه المعاهدات ، وهم بذلك إنما يدمرون شعوبهم بما فى أنفسهم من العجز واللجاجة وقلة المعرفة بسياسة الشعوب التى انبعثت من رقدتها مطالبة بالحياة الحرة الكريمة . ومصداق هذا ما وقع فى العراق ، فلم يكد يظهر طرف من سر تلك المعاهدة الخبيثة التى أرادت بريطانيا أن تكبل بها العراق ، حتى هب الشعب الأبى هبة واحدة فقوض أركان تلك المعاهدة على رؤوس « بناة الإمبراطورية » ، وعلى رؤوس أذنابهم من الساسة المرتزقة ، فدل ذلك دلالة بينة على عجزهم ولجاجتهم وقلة معرفتهم بسياسة الشعوب الناهضة المريدة للحياة والحرية .

وما الذى كانت تريده بريطانيا من تلك المعاهدة الباغية ؟ كانت تريد أن تجعلها مثالا يحتذى فى معاهدات تعقد بينها وبين مصر والسودان ، ولبنان وسورية وجزيرة العرب واليمن وسائر بلاد هذا الشرق ، فجاءت ثورة العراق فزلزلت قواعد هذا الوهم المنتشر الذى سولت لبريطانيا نفسها أنه بناء جديد تقوم على أساسه سياسة الإمبراطورية البريطانية الحديثة بعد الحرب العالمية الثانية.

جاءت هذه الثورة فكانت سُنّةً جديدةً فى توجيه سياسة العرب توجيهاً غفل عنه المرتزقة من السياسيين القدماء فى هذا الشرق ، وجاءت فكانت برهاناً جديداً على أن الشرق العربى والإسلامى لن ينام مرة أخرى على خُدَع البريطانيين وخيانة المرتزقة من السياسيين ، وعلى أن الحياة التى دبّت فى العرب لن تتسكع مرّة أخرى فى أوصال هذا الكيان القوى العميق المتراحب ، بل سوف تتدفق فى نواحيه كلها إلى أن يستوى عوده على الهيئة التى تجعله كياناً صحيحاً فى هذا الكون الذى يغلى من حوله بالثورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية .

ليس هذا فحسب ، بل علينا منذ اليوم أن ننظر ماذا كانت تريد بريطانيا بعقد هذه المعاهدات ؟ كانت تريد أن تجمع دول العرب على معاهدات يكون لها فيها الغنم وعلينا الغرم ، أى أن بريطانيا كانت تريد أن تستعبد العرب جملةً واحدة وتسيرهم فى أغراضها على نظام متفق لا تشذ عن دولة عربية واحدة ، سواء أ كانت مستقلة استقلالا صحيحاً أم كانت مستقلة استقلالا مشوباً بالعبودية للامبراطورية البريطانية ، ومعنى ذلك أيضاً أنها تعلم أن العرب سوف ينتهى بهم الأمر إلى أن يكونوا أمة واحدة ، فهى تريد أن تسبق الزمن وتجمع هذه الكتلة الواحدة فى قبضة يديها حتى لاينتشر عليها الأمر . وهذا غرض بين جدًّا ، ودوافعه أشد وضوحاً واستبانة . فهل آن لنا أن نتنبه إلى الوضع الصحيح الذى ينبغى أن تكون عليه مطالب العرب فيأخذ بسبيله من إحراز حقوقهم كلها جملة واحدة ؟

لقد كتبت منذ سبعة أشهر كلمة فى هذه المجلة بعنوان « شعب واحد ، وقضية واحدة » ، وذلك فى العدد ٧٣٠ بتاريخ ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٧ قلت فيها : « إن قضية العرب قضية واحدة بينة المعالم : هى أننا لا نريد إلا أن تكون بلادنا جميعاً مستقلة حرة ، لا يحتل عراقها جندىٌ واحدٌ ، ولا تخضع جزيرتها لسلطان ملوك البترول ، ولا ينال نيلها من منبعه إلى مصبه سلطان بريطانىٌ أو غير بريطانى ، ولا تقع شامها ولبنانها تحت سطوة غاصب ، ولا يعيث فى أرجاء مغربها فرنسى خبيث القول والفعل مجنون الإرادة » ثم قلت فى آخرها : « وعن قريب سوف تقول حكومات العرب كلها ، وسوف يجتمع رأينا على أننا لن نرضى بأن نجعل

قضيتنا أجزاء يتلعب بها هذا ويلهو بها ذاك . إنها قضية واحدة ، يرفعها شعب واحد ، مطالباً بحق واحد ، هو أننا أحرار في بلادنا » .

وأنا لا أنقل هذا لأعرض على الناس شيئاً مما كنت توقعت ، بل لأقول إن السياسة البريطانية قد علمت علم هذا كله ، فهي تريد أن تسبق الزمن لتضعنا في الإصر الشديد الذي يسمى بالمعاهدات ، ولتستعبدنا في أغراضها ، ولتنتقم منا ومن تاريخنا ، ومن قديمنا وحديثنا . وأقول إن ساسة الشرق وساسة العرب لا يزالون يعيشون في غفلة الخيانات القديمة التي تولى كبرها رجال ظنوا أنهم زعماء هذه الشعوب ، أي أنهم قد ملكوا رقابها فهم يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه ، وذهبوا يفاوضون بريطانيا فيأخذون منها شيئاً وينزلون لها عن أشياء كثيرة ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، فتبت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، فقد جروا الشرق كله إلى مضلة لا يهتدى فيها سار إلى علم .

ولكن الشعوب العربية كانت أشد منهم قوة ، وأهدى إلى مواطن الحق ، فما كادت تشب الثورة في العراق حتى نادى أهل العراق بالجلاء الناجز « عن جميع البلاد العربية » ، وهذه الكلمة الشاردة هي كلمة الحق التي سوف ينتهي أمرنا إليها ، أبى السياسيون القدماء أم رضوا . فالبلاد العربية من العراق إلى الجزيرة إلى الشام إلى لبنان إلى فلسطين إلى مصر والسودان ، إلى تونس والجزائر ومراكش ، أمة واحدة ، والاستعمار فيها واحد ، ومطالبها واحدة . فينبغي إذن أن تصاغ قضية العرب على هيئة واحدة ، لا في السياسة الخارجية وحسب ، بل في موقفنا جملة واحدة في وجه الطغيان الاستعماري كله ، سواء جاء بهذا الاستعمار بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا أو روسيا أو هولندة أو أية دولة على ظهر الأرض . وينبغي أن تعدل سياسة الدول العربية جملة واحدة ، فتطالب بمطلب واحد لا تقبل فيه هوادة ولا تخضيعاً ولا مساومة ، هو جلاء الاستعمار عن بلاد العرب كلها . ولقد سبق الشعب العراق حكومته إلى هذا الرأي ، فنحن نرجو أن يحمل الشعب العراق حكومته على أن تصرح بهذا المطلب تصريحاً رسمياً في بيان تصدره بطلب الجلاء الناجز عن جميع البلاد العربية ، وتتعهد بأن لا تقبل مفاوضة ولا محادثة ولا مخابرة ولا مهادنة في هذا المطلب أبداً . فإذا فعلت العراق ذلك ، فعلى سائر الحكومات العربية أن تصدر مثل هذا البيان الشامل الذي لا يفرق شيئاً بين الوطن العربي كله ولا بين المستعمرين أيا كانوا .

إني أدعو الجامعة العربية ورجال السياسة الأحرار أن لا يفرقوا في الدعوة إلى الحرية ، أدعوهم أن لا يفرقوا قضية العرب أجزاء كل جزء منها يخضع لسياسة تضعف أو تقوى في يد من يتولاها . فقد فهمت بريطانيا هذا ، فأرادت أن تنشئ مثالا يحتذى في المعاهدات التي تعقد بينها وبين العرب ، وأرادت أن تحمل فرنسا وأسبانيا على الاتفاق على أسلوب جديد يصطلحان عليه في الاتفاق مع بلاد المغرب العربي ، يسير على أساس السياسة التي تريدها بريطانيا في اعتبار العالم العربي جملة واحدة تسخر في ركاب الاستعمار البريطاني والفرنسي والإسباني . فواجب الجامعة العربية وواجب الحكومات العربية أن تسبق هذه السياسة اللئيمة سبقاً يكفل للشعوب العربية أن تعرف الوجه الذي تسير فيه . فلا مناص إذن من أن تتفق كلمة الدول العربية على أن لا تعقد إحداها معاهدة قط مع إحدى الدول المستعمرة ، وعلى أن لا تقبل تقسيم القضية العربية إلى أجزاء ، وعلى أن تكون دعوتها ودعوة شعوبها صرخة واحدة مجتمعة في وجه الاستعمار على اختلاف ألوانه وأسبابه والقائمين به ، وهي الجلاء الناجز عن بلاد العرب جميعاً ، ثم عن بلاد الإسلام كلها في نواحي الأرض . فإذا توانت حكومات العرب ، وإذا تلجلجت الجامعة العربية ؛ فمغبة ذلك أن تفوت على هذه الشعوب زمناً يطول أو يقصر ، كانت خليقة أن تبلغ فيه ما تريد من نيل الحرية الكاملة ، والاستقلال الناجز التام .

إن ضعف القائمين بالسياسة العربية ، لا ينتهي إلا إلى ضياع الوقت وضياع الحقوق . ونحن لا نطالب المستعمرين بشيء ، لأنهم لا يملكون شيئاً هم قادرون على أدائه . إنهم مغتصبون ، ونحن ثوار على هذا الغصب ، وهم طغاة ونحن لا نقبل هذا الطغيان ، وهم يملكون أسباب القوة المادية ونحن نملك أسباب القوة الروحية ، وهم ظلام ونحن لا نرضى بهذا الظلم ، وهم يتحكمون بالاستعمار والاستعباد ، ونحن نتعالى عن الاستعمار والاستعباد . فهذه القوة التي انطوى عليها حقنا ، يقابلها ضعف ينطوى عليه افتياتهم علينا . ومصير ذلك كله إلى الغلبة والنصر إذا أحسن رجالنا الاستعداد لهذه الموقعة الفاصلة في تاريخ البشر .

لم يبق شيء فى تاريخ البشر يحمل طابع الفساد والبوار والدمار ، إلا هذا الجشع الذى يحمل أمم الغرب على أن يضعوا أيديهم على كنوز العالم ؛ ليقاتل بعضهم بعضاً فى حرب مبيدة مدمرة . وقد عرف هـذا الغرب أن الشرق كنوز كله ؛ فهو يجاهد أن يستولى عليها بما استطاع من الحيلة ومن اللؤم ، ومن إهدار الكرامة الإنسانية ، ومن قلة المبالاة بإفساد هذا الشرق وإفساد أهله حتى ينـال منه منالاً يكفل له حرية التصرف فى كنوزه . فعلينا أن نقف حُراساً على كنوزنا لانبيحها بعد اليوم لأحد . وعلى رجال السياسة منا أن يغيروا مناهجهم السياسية تغييراً تاماً يقوم على أساس واحد ، هو أننا لن نعاون هذا الغرب على الفجور فى الأرض ، وأننا نمنع عنه مادة الفساد التى يريدها لتدمير حضارات العالم ، وأننا قد عزمنا أن ننشىء مدينة جديدة وحضارة جديدة لا تقوم على الجشع ولا على الاستبداد . وأننا أحرار فى بلادنا كل الحرية وإن اجتمعت دول العالم كله على إنكار هذه الحرية . ولا يصل العرب والمسلمون إلى هذا إلا بشيء واحد هو أن تجتمع الكلمة فى الأرض العربيـة والأرض الإسلامية على هذا الشيء الواحد ، وهو أن لامفاوضة ولا معاهدة ولامخابرة ولا مهادنة ، وأن الشرق لن يستقر على قرار حتى تجـلو الجنود المستعمرة عن أراضـيه كلها ، وأن كل عون للاستعمار فى هذا الشرق من الأجانب واليهـود الصهيونيين قد كتب عليهم أن يخرجوا من بلادنا إلى حيث شاءوا ، وأننا لن نقبل دون هذا شيئاً يصرفنا عن الغرض الأعظم ، وهو تجديد حضارة العالم على أسس من العدل والحق والمساواة والحرية . هـذا هو المطلب الأعظم الذى ينبغى أن توجه إليه سياستنا كلها ، لا تخدعنا عنه خطرفة السياسيين المتهالكين الذى يقولون للشرق : أنت عاجز ، فمن لك ببلوغ هذا المطلب البعيد المغرق فى الخيال !

كلا ، ليس الشرق عاجزاً بل هو أهل لما حُمِّل ، وإن تراءى للناس على غير الحقيقة المستكنة وراء هذا الطوفان من الفقر والجهل والفساد . فإذا عزم العرب وعزم رجاله وقواده أن يفعلوا ، فلن يحـول بينهم وبين ما يبتغون شيء جل أو تفاقم . بيد أننا اليوم فى حاجة إلى الأخذ بهذا المبدأ الواحد ، وإلى إزالة أولئك السياسيين القدماء عن مكان القيادة فى بلادنا ، وإلى تقدم الفئة الصالحة إلى هذه التبعة الجليلة لتحملها حملا لايعجزها ولا يصرفها عنه خوف ولا تردد . ولقد سبق العراق ، وسـوف تتبعه سائر البلاد العربية والإسلامية ، ولن نلبث قليلا حتى نرى فى هـذا الشرق عجائب القوة العظيمة التى انطوت عليها جوانحه ، فلا بدمن أن تفسح الحكومات الطريق للعمل القوى الماضى الذى لا يرتد عن غايته ، ولا بد من أن تدفع الشعوب عن نفسها طغيان السياسيين المخادعين المنافقين ، ولابد من أن يتولى العرب بأنفسهم حل هـذه القضية الواحدة بالصبر والمقاطعة ، وبالعزم والجلاد ، وبالتضحية الكبرى فى سبيل إنقاذ البشر من فتن كقطع الليل المظلم ، ومن فساد جارف كالسيل المتدفق ، ومن طغيان قذر قد ارتطم فيه هذا العالم القديم الذى قام على أسس فاجرة من الجشع .

أفيقوا أيها الناس ، واستيقظى أيتها الحكومات ، وتقدمى أيتها الجامعة العربية باسم العرب إلى حمـل التبعة العظيمة . والزمن أسرع منكم ، فبادروه بالعمل والصرامة ، وبالصدق والإخلاص ، فإن حياتـكم وحياة أممكم معقودة بشيء واحد ، هو ثباتـكم على المبدأ الأعظم ، وأخذكم بالقوة التى استودعها الله فى قومـكم وغفلتم عنها أجيالا طوالا . هبوا فقد أنى زمنكم ، وأعدَّكم الله لشيء أنتم بالغوه فى الناس وفى أنفسكم .

محمود محمد شاكر

لقــــد مات غاندى !

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

نعم لقد مات غاندى مقتولا ، واغتيل غدراً بيد هندوكية آثمة ، ظنت أن فى موت غاندى استقلال الهند واتحادها ، وفى حياته تعطيلا لهذا الاستقلال وعرقلة لذلك الاتحاد ، فصوبت رصاص مسدسها إلى جسد غاندى الهزيل لتستقل الهند وتتحد .

من العجيب أن يموت ذلك الإنسان الإلهى الذى قضى حياته يمرن الهنود على مقابلة العنف والعدوان والكراهية بالحب والعفو ، ويعودهم اتخاذ السبل السلمية وسائل لنيل جميع أغراضهم السياسية . وعجيب أن يقتل ذلك الزعيم الروحى عنفاً وعدواناً بيد أحد من علمهم اللاعنف والحب والطرق السلمية . وعجيب أن نسمع نحن المصريين عن شعب خاف أن يقضى الصوم على حياة بطله المقدس ، ويخضع لشروطه السلمية لإيقاف الاضطرابات الدينية فى الهند ، ويقبل بعد مدة وجيزة أن يقتله شر قتلة .

إن الأمر يتطلب توضيحاً . ويقوم هذا التوضيح فى أن فى الهند منذ الحرب العالمية الأولى اتجاهين سياسيين : أحدهما اتجاه غاندى وهو ينادى بأنه لا يجب أن نتخذ من السبل لتحقيق أمانينا غير سبيل الحب واللاعنف والمقاومة السلبية السلمية ، أما الاتجاه الآخر فهو اتجاه منافس غاندى الزعيم الهندى الكبير لقمانيابل قندهار طيلاق ، وهو عالم رياضى واسع الاطلاع ، ضحى بمستقبله العلمى واعتزل الرياضة وخاض ميدان السياسة ليعمل لتحقيق استقلال الهند . وهو كغاندى لم يكن له مطمع شخصى بل كل ما كان يتمناه أن تفوز الهند باستقلالها حتى يعود إلى أبحاثه العلمية . وكان اتجاه طيلاق السياسى اتجاهاً عملياً بحتاً ، ويرى أن السياسة ليست من أعمال الزهاد والأتقياء ورجال الدين ، ويعتقد أنه لا يجوز تطبيق المبادىء الدينية على الطرق السياسية ويميز بين السياسة والدين ، ولا يتورع — بخلاف غاندى — على أن يسلك أى سبيل مهما تعارض مع التعاليم الدينية ما دام يؤدى إلى استقلال وطنه . فمنده حرية الوطن أجل من الدين ؛ بينما غاندى يؤمن بأن مبادىء الدين أسمى من حبه للهند .

فاختلف غاندى وطيلاق فى أسلوب محاربة المستعمرين : فحارب غاندى الانجليز بقوى الروح وسلاح الحب وبالعصيان المدنى السلمى وكان طيلاق يود أن يحاربهم بالعنف والثورة ، ولكن الزمن لم يمهل له فرصة لينافس غاندى طويلا فاختطفه الموت سنة ١٩٢٠ ؛ إذ لو بقى طيلاق حياً لما كان لغاندى غير الزعامة الروحية وكان لطيلاق الزعامة السياسية ، وبموته أصبح غاندى الزعيم الروحى والسياسى جميعاً ردحاً من الزمن .

واثن مات طيلاق فإن روحه لم تمت . بل حاولت مبادئه السياسية أن تظهر فى مناسبات كثيرة ، لولا يقظة غاندى الروحية وقوة تأثيره على الشعب ومقاومته لكل هياج همجى ، وتسليحه الهنود بأسلحة سلمية مثل مقاطعة الانجليز سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، ولما لم تفلح هذه المقاطعة فى إخراج الانجليز من الهند كما لم تهدأ من سخط المنادين بضرورة استخدام الثورة فى طرد الانجليز من بلادهم ، اضطر غاندى إلى أن يلجأ إلى العصيان المدنى السلمى ، وظل يشجع قومه على محاربة الانجليز سلمياً ، إلى أن أجبرت الحكومة البريطانية على أن ترد للهند حريتها .

بذلك فازت طرق غاندى السلمية على طرق منافسيه العنيفة وحصلت الهند على حريتها بدون ثورة ولا حرب ، ولكن غاندى إن نجح فى إقناع مواطنيه باتخاذ الطرق السلمية وسيلة لنيل الاستقلال ، فإن قتله يدل على أنه لم ينجح فى إقناع هؤلاء المواطنين باتخاذ الطرق السلمية فى سبيل اتحاد الهند ، ونبذ الحزازات الدينية .

إن الهند بعد أن نالت استقلالها واجهت مشكلة تقسيمها إلى دولتين : إحداهما إسلامية ، والأخرى هندوكية ؛ وسبب ذلك التقسيم يرجع إلى ما بين المسلمين والهندوس من عداء قديم ، نشأ من يوم أن غزا محمود الغزنوى الهند ، وكون إمبراطورية إسلامية فيها وظلت هذه الامبراطورية من بعده إلى أن أتى الانجليز واستعمروا الهند . وفى هذه القرون الطويلة عامل المسلمون من ترك وتتار وفرس الهندوس كما يعامل عبدة الأصنام فقتلوا فيهم وهدموا كثيراً من معابدهم ، وحطموا تماثيلهم وأنزلوا بهم مختلف أنواع القسوة لعبادتهم الأوثان وتأليههم الحيوان ، فولدت

هذه القسوة الحقد والبغضاء ، وظل الهندوس يكرهون المسلمين من عهد الغزنوى إلى الآن .

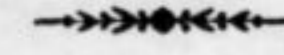
ولما تحقق استقلال الهند ، وكان الهندوس أغلبية السكان ، خاف المسلمون من انتقام الهندوس ، ووطدوا العزم على أن يكون لهم دولة مستقلة تضم جميع المسلمين وتسمى بالباكستان . ولكن الهندوس يرغبون فى أن تكون الهند دولة واحدة متحدة ولا يرغبون فى أن تكون منقسمة . فما كادوا يعلنون تقسيم الهند إلى باكستان وهندستان حتى أخذت الاضطرابات تنتشر فى بعض المقاطعات الهندية ، وأخذ المسلمون يقتلون الهندوس فى الولايات الإسلامية ، وأخـذ الهندوس يذبحون المسلمين فى الولايات الهندوسية مما اضطر غاندى إلى أن يستعين بالصوم على منع تلك المذابح البشرية ، فنذر صوماً طويلا يدوم بدوام هـذا الصراع الدموى الذى بين المسلمين والهندوس . ولم يمض على صومه خمسة أيام حتى تعرضت حياته للخطر ، فأنذر الأطباء الذين يشرفون على علاجه ، بأنه إن لم يقلع غاندى عن الصوم ، فإنه يقضى على حياته . فلم يكد زعماء الهنود من مسلمين وهندوس وسيخ يسمعون هذا الإنذار حتى وعدوا غاندى بأنهم سيتعاونون فى الحال على إنهاء الاضطرابات الدينية حتى يسود الود والسلام والحب بين جميع سكان الهند على اختلاف أديانهم . ولكن يبدو أن بعض الهنود الذين يميلون إلى العنف وإلى الثورة وإلى الحرب ، لم يرتاحوا إلى صوم غاندى الذى خلص الهند من المجازر البربرية مع بقائها منقسمة إلى باكستان وهندستان وفضلوا أن يستمر النضال بين المسلمين والهندوس إلى أن تقبل الباكستان أن تنضم إلى الهندستان وتصبح الهند متحدة ، وشعروا فى الوقت نفسه أن غاندى بنفوذه الروحى استطاع أن يخمد حرباً أهلية همجية ويحبط حركة ثورية كانوا يعولون عليها كل التعويل ، فسخطوا على نفوذ غاندى الروحى على الشعب ، وكرهوا أن يحسن معاملة الهندوس للمسلمين ، وترد إليهم مساجدهم التى حولت إلى معابد هندوسية من الاضطرابات الأخيرة ، واحتفوا على أن يكون للمسلمين أى سلطة فى الهند ، فأقدموا على قتل بطل روحى ضحى بشبابه وكهولته فى سبيل الهند ، وفى سبيل إصلاح الهند ، وفى سبيل تحرير الهند ، ورأى أن التعاون بين المسلمين والهندوس أمر ضرورى لاتحاد الهند ، وبدون تبادل الحب بين أهل الهند لن تكون هناك هند متحدة ، فمات غاندى شهيد مبادئه الروحية . بينما كان منافسوه السياسيون يرون أن القضاء على المسلمين وإبادتهم من الهند أسلم من التعاون معهم ، وأفضل من مبادلتهم الحب فأقدموا على قتل غاندى بقلوب حاقدة لا تقدر عواقب فقـده ، ولا تدرك عظم الخسارة التى لا تعوض ، فإن الهند بفقدها غاندى قد فقدت زعيما روحيا ، يفهم تمام الفهم الروح الهندية ، ويملك قوة روحية يعرف كيف يسيطر بها على الهنود ويوجههم الوجهة التى تتفق مع تعاليم الدين الهندوسى والمبادىء الإنسانية ، ويجنب الهند ويلات الثورات وأشرارها . أما الآن فمن يضمن للهند بأن هناك من يحل محله . إن أمثال غاندى لا يظهر إلا مرة واحدة كل عدة قرون فكيف عجل قومه بإبعاده عن الدنيا ؟ أحسب أن موت غاندى ترك فراغاً كبيراً فى الهند فى وقت هى فى أشد الحاجة إليه . إن اغتياله سيورث الهند مشاكل خطيرة ويثير زوابع نفسية متعارضة يخاف منها على مستقبل الهنـد ، ويقلب آراء بعض الهيئات الهندوسية المتطرفة التى ترى أن الحرب أسرع فى توحيد الهند من أى طريق آخر ، فتعود الهند إلى ما كانت عليه من فوضى ، وتكتسح الاضطرابات الدينية جميع أنحاء الهنـد بعد أن كانت قاصرة على بعض الولايات ، وتنتصر طرق العنف وأساليب القوة على القيم السلمية التى وضعها غاندى كدستور إنسانى شريف للهند .

(الإسكندرية) عبد العزيز محمد الزكي
ليسانسيه فلسفة

محمد إسعاف النشاشيبي

مدرسة أدبية

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني



لو شئت أن ترى الأديب الذى يعد بحق عنواناً على «الأدب» لكان عليك أن تسعى إلى لقاء إسعاف النشاشيبي فى مجلسه .

ولكنه مات ، فاختفت بموته صورة فذة فريدة لن يظفر التاريخ بمثلها . وقد نجد نماذج لكثير من أدبائنا البارزين ، وصوراً تحاكى أساليبهم وطرائقهم وفكرهم ، ولكنك لن تمثر مع التنقيب الشديد ، على صورة تشبه إسعاف ، مع كثرة تلاميذه واحتفال مجلسه بالناس ، واطلاع القراء على الإسلام الصحيح من كتبه ، وشوقى وحافظ وغيرهما من خطبه ، ونقل الأديب مما كان يتابع نشره فى الرسالة .

ذلك لأنه أعلى من المحاكاة ، وأسمى من التقليد .

ومع ذلك فهو الأديب الذى كما تمثلته تمثلت الأدب فى الجاهلية وصدر الإسلام كيف كان ، وكيف ينبغى أن يكون . فقد قيل « إن الأدب أن تجمع من كل شيء بطرف » وكان هذا شأن إسعاف النشاشيبي : يحدثك فى الفقه والشريعة ، وآراء المعتزلة وعلماء الكلام ، ونظريات الفلاسفة والحكماء ، وطرائف الكتاب ونوادر الشعراء ، مع امتلاك ناصية العربية وهى كما تعلم من أوسع اللغات ، وإلمام بالأدب والعلم والفلسفة فى أوربا الحديثة إلماماً يدل على طول الباع وعظيم المنزلة .

فإن قلت : عندنا كثير من الأدباء يجمعون بين هذه المعارف، ويأخذون من كل شيء بطرف .

قلتُ : ولكنك لم تحظ بالاستماع إلى إسعاف ، فهو فى مجلسه وحديثه غيره فى كتبه ومقالاته . والفرق بين هذا وذاك هو الفرق بين المقروء والمسموع ، بين اللفظة وهى على الورق جثة هامدة ، والعبارة وقد خرجت من فمه تمتلىءُ بالحياة ، وتنفذ إلى القلوب ، وتستقر فى الأسماع .

وهل كان الأدب فى القديم إلا مجالس وأسواقاً ؟ .

وهو يفسد حين يؤخذ من الكتب ويحفظه المتأدبون كما تفعل الببغاء .

يُروى أن أفلاطون لم يدوّن دروسه فى الأكاديمية ، لأن العلم عنده لا يكون إلا سماعاً أو حواراً .

عرفت إسعافاً منذ بضع سنين فى مجلسه بالكونتنتال ، فكان حلقة تضم صفوة الأدباء والشعراء ، وهو فيهم درة العقد ، أو كأنه الشمس تحف به الكواكب .

فإذا جاء ذكر محمد عليه السلام ، قال إسعاف : الله أكبر نبى الإسلام .

كان يتغنى بهذا الدين ، ويترنم باسم الرسول .

وفى ذلك ألف كتابه « الإسلام الصحيح » . نفدت طبعته ، وكان يفكر فى إعادتها بعد إضافة شواهد وتعليقات جديدة من خمسمائة مرجع . ولا يهولنك هذا الرقم ، فهو حقاً عظيم الإحاطة واسع الاطلاع .

أراد أن يهدى إلى هذا الكتاب ، ولكنه لم يكن يملك منه نسخة واحدة . وسعيت أن أجد منه نسخة فلم أعثر . وسمع الأستاذ عادل زعيتر بطلبى فقال عندى نسختان فأرسل بطالب من فلسطين واحدة هى الآن فى حوزتى . تقرأ فى استهلال الكتاب « الإسلام هو الدين الحق [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه] ومحمد خير الخلق . وهذا الكتاب ، وهذا الأثر ، وهذا تاريخ البشر . فاقرأ كتاب كل دين ، وانظر أثر كل عظيم ، وفتش صحف التاريخ . واحكم إن كنتَ من الحاكمين » .

هذا شعر منثور .

وهذا كلام لا يجرى به القلم أو ينطق به اللسان ، بل هو صدى القلب ، وقبس من نور اليقين .

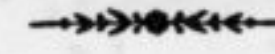
ما كنت تسمع فى مجلسه إلا اعتزازاً بالعروبة ودفاعاً عن الإسلام الصحيح . فهو حلقة أو مدرسة سرت روحه فى شباب الجيل .

طيب الله ثراه ، وأدخله فسيح الجنات .

أحمد فؤاد الأهوانى

الله وفلسفة الوجود

للأســـتاذ نقولا الحداد



حتى كتابة هذه السطور لم أطلع على « العقدة المنحلة » التى تفضل بها الأستاذ الكبير العقاد على الرسالة لأنه لم يأت دور الرسالة فى مطالعاتى إلاَّ اليوم.

لم أدر لماذا زج الأستاذ الكبير بالفيلسوف القديم فيثاغوراس فى مناقشته لمقالى الذى نشره المقتطف فى أول هذا الشهر يناير بعنوان « الله وفلسفة الوجود » . راجعت مقالى فلم أجد فيه ذكراً لفيثاغوراس الفيلسوف الذى سبق المسيح ببضعة قرون . فما الذى حدا الأستاذ الكبير أن يقول : « إنى أرى أن فيثاغوراس لم يكن إلا مخرفاً سخيفاً حين قال أن الكون عدد ونغمة » .

لم أذكر فيثاغوراس فى مقالى الذى رد عليه الأستاذ ولم أقل هذا القول وإنما الآن أقوله ولعلى قلته فى مناسبة قديمة لا أتذكر

فيثاغوراس لم يكن فيلسوفاً فى عرفنا اليوم وإنما كان عالماً رياضياً فى عصره وله قضية خالدة هى قضية مربعات أضلاع المثلث القائم الزاوية . ولا نذكر هذه القضية إلا مقرونة باسمه . والظاهر أن تعمقه فى الرياضيات ساقه فى تبحره فى الكون إلى الظن أن العدد هو أصل الهيولى ، أى المادة الأصلية . وربما كان هذا القول السخيف ، بل لا شك أنه كان معقولا عند قومه وفى عصره حين لم يكن معروفاً عن المادة إلا ظاهرها . وفلسفة فيثاغوراس هى أن المادة مؤلفة من العدد « سبعة » لأن هذا العدد موجود فى كل ظاهرة من ظاهرات الكون . فالسيارات سبعة فى زمانه . والأنغام فى السلم الموسيقية سبعة وألوان الطيف الشمسى سبعة ، وأيام الأسبوع سبعة ، والسموات السبع الطباق سبعة إلى غير هذا مما كانوا يعرفونه . فالعدد سبعة المقدس هو أصل الهيولى .

وأستاذنا الكبير العقاد يرى رأى صديقه المغفور له الأستاذ فيثاغوراس وبينهما نحو ٢٥ قرناً تقريباً . وهو يريد أن يؤيد هذا الرأى العتيق بالعلم الحديث الذى اكتشف أن المادة مؤلفة من ذرات مختلفة العناصر عددها ٩٢ ذرة ، والذرة مهما اختلف عنصرها مؤلفة من ثلاث ذريات البروتون والألكترون والنيوترون . ولكن خاب التطبيق بين فلسفة فيثاغوراس وعلم هذا العصر .

فالمادة بحسب صديق الأستاذ مؤلفة من سبعة ، وبحسب رأى العلم الحديث مؤلفة من ثلاثة . وإنما هو « العدد » على كل حال . العدد الذى يتعلق به الأستاذان طرفا تاريخ الفلسفة .

لم أقل فى حياتى أن فيثاغوراس كان مخرفاً . وإنما أقول الآن أن الفلسفة السبعية على ضوء العلم الحاضر سخيفة ، وكل قارىء يقول أنها سخيفة . فإن رام الأستاذ الكبير تقريرها وأن يؤيد نظرية الالكترون بها فرحى .

ولو كانت نظرية فيثاغوراس تؤيد نظرية الالكترون لأمكن الميكانيكيين لعهده أن يخترعوا القنبلة والطاقة الذرية ، ولكان العالم الأرضى اليوم غير ما نراه

ولكن إلى الآن لم أفهم ما الذى زج بفيثاغوراس هنا فى هذه المناقشة ولم يرد له ذكر فى مقالى المنشور فى المقتطف . وكأنى بالأستاذ الكبير يختلق لى تهمة لكى يحاسبنى عليها ويجعلنى خصما . وأيم الله ما قصدت فى تعليقى على « كتاب الله » خصومة . وليس بينى وبين الأستاذ العقاد إلا كل وداد وهو يعلم جيداً أنى أجله وأقدر علمه . ولو لم تسقط جملة طويلة برمتها من مقالى فى المقتطف لتأكد مقدار اعتبارى له . ولا أرى فى ذلك التعليق ما يمس عواطفه الرقيقة .

والواضح أن الأستاذ الكبير يصعب عليه جداً أن يحاسبه محاسب من القراء على بعض ما يكتبه أحياناً مصيباً كان أو مخطئاً

العصمة لله يا كبير الكتاب

إن مليكان وادينجتون وجينز وغيرهم من علماء العصر هم أساتذتى العظام وأساتذة كل طالب علم . ومنهم استمددت معلوماتى المتواضعة ، وإذا كان الأستاذ الكبير يدرس هؤلاء العلماء الأعلام جيداً يفهم مقالى تمام الفهم .

فلو درس جينز وادينجتون وانيشطين ونيوتن ورصل وأمثالهم لعلم لماذا سرعة النور لا تتغير فى الفراغ المطلق بل تتغير بمرورها فى وسط مادي كالزجاج والهواء والماء ، ولعلم لماذا لا يسير النور فى خط

مستقيم ، ولماذا لا ينتهى خط النور فى مكان معين أو أين ينتهى لأن النور يسير منحنياً بفعل جوٍّ جاذبى لأنه خاضع لتأثير الجاذبية فهو يدور حول ذلك المركز الجاذبى ولا ينتهى فى مكان ، ولعلم لماذا الكهرطيسية تتموج ولا تستقيم ، ولعلم أشياء كثيرة . ولكل ظاهرة طبيعية سبب ولا بد من سبب ، وصار العلم الآن يوضح لنا معظم الأسباب ولا زلنا نجهل كثيراً منها .

لا تدبير فى الكون ولا مصادفة ولا فلتة على الإطلاق يا أستاذ لأن للكون سنة رتبها الله منذ الأزل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فالقوانين الطبيعية التى يجرى عليها الكون منذ الأزل وإلى الأبد لا تتغير . وإذا كنا فى بعض الأحيان لا نعرف بعض القوانين أو لا نرى الظاهرة الفلانية تنطبق على قانون فليس المعنى أن حركات الأكوان غير منطبقة على قانون أو هى مصادفات أو تدبيرات أو فلتات .

فما لا نستطيع تعليله فلأننا لا نعرف بالضبط القانون الذى يمشى عليه ، ولابد أن يعلمه علماء المستقبل .

وإذا اطلع الأستاذ على كتاب « كيف يعمل العقل » لجود فلعله يفهم شيئاً على صلة العقل بالمادة ، وهناك مؤلفات أخرى تبين لك أن العقل إنما هو وظيفة من وظائف الدماغ ، ولهذا نرى بعض علماء العقل أن ينقل البحث فى العقل إلى علم الفسيولوجيا هذا موضوع حديث سيوفيه العلم فى المستقبل القريب أو البعيد وقد استدركت فى مقالتى أن البحث فى هذا الموضوع ليس فى طوق

لا يسع المقام أن أرد على كل نقطة من مقال الأستاذ الكبير وإنما أرده إلى نفس مقالى الذى ناقشنى فيه . ففيه كل ما يريد أن يعرفه وفيه الرد على كل ما قاله فى مناقشته اللهم إلا صديقه فيثاغوراس . فيه « السؤال وفيه الجواب » . وهو بعض العلم لمن يريد أن يعلم فلا لزوم للاعادة .

قال الأستاذ العقاد « إن الأستاذ نقولا الحداد لم يرزق بداهة فلسفية كبداهة فيثاغوراس (ولا كبداهة صديقه الأستاذ الأكبر) ولم يرزق نظرة علمية إلى ما وراء الظواهر » سبحان الرازق . ولكنه رزق من العقل ما رزق الناس وهو يكفيه أن يفهم أن القول بأن المادة مؤلفة من العدد والنغم سخافة ليس بعدها سخافة ولكن الأستاذ الكبير رزق من البداهة الفلسفية أن فلسفة فيثاغوراس هى وحى أزلى أبدى سرمدى ، وبها تفسر نظريات العلم الحديث ، ومهما تقدم العلم وتجرد من السخافات القديمة تبقى هى الوحى العلمى الفلسفى الذى يهتدى بنوره . فهو إذا شاء الكلام بموضوع طريف رجع إلى فلسفة فيثاغوراس المقدسة .

فكيف تبقى الرجعية فى العلم ؟

إن التهكم يا أستاذ ليس برهاناً ولا حجة ، وإن كان فى مقالى فى المقتطف ما يشتم منه رائحة التهكم فاستغفر . لم أقصده . ولكن ليس فيه شىء منه . والسلام عليك ونحن صديقان ...

المكان والعدم المطلق :

بعد كتابة ما تقدم اطلعت على مقال الأستاذ العقاد (ولا أقول الأستاذ الكبير لأن كلمة العقاد أكبر من الكبير) فى ٢ فبراير من الرسالة فإذا بالأستاذ يختلق لى تهمة أخرى لكى يحاسبنى عليها . وهى زعمه أنى قلت : « أن المكان هو العدم المطلق » .

لم أقل هذا القول . ولكن الذى قلته بهذا الشأن هو فى صفحة ٣٠ من مقتطف يناير بحروفه .

« لولا حركة المادة لما كان زمان . وكذلك لولا وجود المادة لما كان مكان .

« فوجود المادة خلق المكان . وحدوث حركة المادة خلق الزمان » .

« تصور جميع أجرام السماء وذرات الأرض غير موجودة . فكيف يتراءى لك المكان — الحيز الذى كانت المادة تشغله — ألا يهولك العدم المطلق ؟ وما هو العدم المطلق ؟ هو اللاشىء . فالمكان (بلا مادة) إذن لا شىء . هو العدم . غير موجود . لماذا ؟ لأن المادة تجعل للمكان حدوداً . فإذا زالت المادة زالت الحدود ، فكيف تفهم المكان بلا حدود » .

« نوجز القول : المادة أوجدت المكان . وحركتها أوجدت الزمان . فالمكان والزمان لولا المادة وحركتها هما عدمان » .

هذا نص ما قلته فى مقالى فى المقتطف . فهل يستفاد منه : « أن المكان هو العدم المطلق ؟ »

إذا فنيت المادة التى تشغل المكان فنى المكان بفنائها . فهو بلاها عدم

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٣، ٤، ٥)

الحـــرية

للأستاذ كمال دسوقي

٣ — الحرية بوجه عام :

بينا فيما مضى طبيعة الصراع بين الرعايا المحكومين والسلطات الحاكمة ، وقلنا إن الأمر هنا يتعلق بتعارض المنافع الفردية والحرية الشخصية من ناحية ، والحكام بوصفهم ممثلي المجتمع المعبرين عن رغباته ، والقائمين على تحقيق المنافع العامة بالحد من الحرية الفردية من ناحية أخرى . وقلنا كذلك إن الشعوب لم تفتأ تحاول الحد من سلطان الحاكم عليها ، بأن تحمله على أن يقطع على نفسه عهوداً ومواثيق حيناً ، وبأن تشترط موافقة الأمة ممثلة في هيئاتها حيناً آخر ، لتضمن في الحالين عدم استبداد الحاكم واضطهاد الرعية.

وكلما زاد فهم المحكومين لطبيعة الحاكم بوصفه ممثل إرادتهم، قلت مسافة الخلف بينهما ، لتتحد إرادتهما ، ورأى المحكومين بالتالي أن يفوضوا إلى الحكام أمرهم ، ويركزوا في أشخاصهم سلطتهم — ثم يحاسبوهم أو يعزلوهم إن لم يكونوا لذلك أهلا ، ولكن هذا الحكم الذاتي — حكم الشعب نفسه Self government لا يلبث أن يتكشف عن مجرد إرادة الأغلبية ، ويبدو هذا الاستبداد من الأكثرية — ولو أنه الديمقراطية حقاً — إجحافاً بحرية الأقلية أصحاب المصالح أيضاً التي لا تتفق معها في الرأي ، ويصبح طغيان الأكثرية هذا خطراً دونه خطر استبداد الحكام وموظفيهم ، لأنه يصدر عن الشعور العام والاتجاه السائد لغالبية المجتمع . فثمت خطران يتهددان حرية الفرد : الاستبداد السياسي من الحكام ، وطغيان أكثرية المجتمع . التوفيق بينهما مستحيل، كما أن تعيين قواعد السلوك التي يتحتم علينا اتباعها بقوة القانون أو المجتمع حتى لا تتعارض الحريات هي مشكلة المشاكل . لا يتفق في تحديدها جيلان متعاقبان ، أو شعبان في جيل واحد .

ولما قال اينشطين Space Substan ce . عنى المكان المشغول بالمادة . ولم يعن الفراغ المطلق . فمتى قلنا « المكان » عنينا مكاناً مملوءاً مادة . وإذا قلنا فراغاً مطلقاً Sace Absoelute Emptys qace عنينا أن لا مكان موجود . ولكن لا فراغ مطلق في الوجود . المكان موجود حتماً لأن المادة موجودة . ولا عدم في الوجود .

إذن أصبح كل ماقاله الأستاذ الكبير بهذا الشأن « لا أقول فضولا لأن فيه فوائد للقارىء ولي » بل أقول لم يعد تفنيداً لما قلته بل لما لم أقله .

أما تعريفه للموجود والمعدوم والمعلوم والمجهول فقد عرف القراء ما قلته وما قاله فلكل قارىء أن يقبل هذا أو ذاك .

وأما قضية أن الإنسان يتكلم لأنه يفكر أو بالعكس فلم أتعرض لها البتة . فلا أدري لماذا جعلها الأستاذ موضوعاً للنقاش

كان مطلع مقالي في المقتطف : « منذ مدة كتب الأستاذ العقاد في الرسالة أنه « صار عندنا فلسفة » والآن صار يمكننا أن يقول إنه صار عندنا فلسفة وفيلسوف» أي بعد صدور كتاب الله.

ولكن لسوء الحظ سقطت العبارة الأخيرة والمصحح لم يفطن لسقوطها . وغرضي من هذه الإشارة إليها الآن أن أؤكد للقارىء اعتباري العظيم لعلم العقاد واتساع دائرة معارفه وأهليته لخوض المسائل الفلسفية

وما تصديت إلى التعليق على بعض نقط في « كتاب الله » إلا لأني كنت أملك شيئاً من « المدة » لهذا التعليق . فلا أدري كيف استنتج الأستاذ « من كلامي » أني لم أشتغل في المباحث الفلسفية ، ولم أعود عقلي أن يعطيها حقها من التقدير الواجب والتأمل الطويل ، وإني لا أملك المدة التي تعينني على النقد والتمحيص

نعم لم أكتب في الفلسفة يا سيدي الأستاذ . ولكن ما أدراك إني مطلع على بعض كتب الفلسفة البحتة التي اطلعت أنت عليها ككتاب « المرشد إلى الفلسفة » للعلامة جود أستاذ الفلسفة في جامعته وكتاب « قصة الفلسفة » للعلامة ول دورانت . و« العلم والفلسفة » لكبير العلماء جينز (رحمة الله عليه) القضايا الفلسفية لبرتراند رسل وقد درستها غير مرة

فلا أظنني بعد هذه الدراسات كنت خلواً من « المدة » للتعليق على بعض نقط « كتاب الله » مع ذلك لا أقول أن هذه المدة المتواضعة تعصمني . والعصمة لله وحده . **نقولا الحداد**

وآفة هـذا كله أن الناس يسلـكون وفق أهوائهم غير المعقولة ، وقد يمزجونها بأهواء غيرهم لتتخذ صورة إجماعية مقبولة ، بالإجماع لا بالمنطق ، وإن كان مصدرها فى واقع الأمر وهما أوعاطفة ، أو خرافة أوهوى ، أوخوفا وحسدا ، أو كبرا وبغضاء ، أو أنانية ونفاقا ، أو تملقا لمواطف السادة وتقربا إلى الحـكام ، إلى غير ذلك من وسائل المنفعة الذاتية المشروعة وغير المشروعة ، ولـكنها مع هذا — بحكم العادة — تصبح ذات أثر بليغ فى تحديد السلوك والآداب وتقاليد المجتمع ، وخصوصاً أن الحكام لم يحاولوا مراجعة هذا المبدأ — مبدأ التشريع على أساس العاطفة الجماعية كما رأينا — بل أخذوه قضية مسلمة ، وشرعوا ينظرون فى تفاصيل الأمور التى يرضى عنها أو يعاقب عليها المجتمع على هذا الأساس ، ويضرب «مل» مثلا لخطر استبداد الأكثرية بدافع الهوى ، مسألة العقائد الدينية وتعصب الجماعات فيها .

وجمل ما يقرره المؤلف فى « تمهيد » كتابه بعد ذلك ، يتلخص فى القضايا التالية .

١ — سلطة القانون فى بلاده أقل نفوذاً من سلطان الرأى العام الذى يجعل من الحـكومة خصما له ، ومهدداً لحريته ، وإن كان القوم بين مؤيد لتدخل الحـكومة فى حرية الأفراد ، ومعارض لهذا التدخل — لم يضعوا له قاعدة مقررة .

٢ — منع الفرد من الإضرار بغيره هو المسوغ الأوحد لتدخل السلطات فى حرية مواطن متمدين ، وفيما عدا هذا ، فللإنسان مطلق التصرف فى جسمه وعقله ، وما لم يخرج عن دائرة شخصه فلا سلطان للمجتمع عليه . ويستثنى من ذلك من لا يزال قاصراً من الافراد والجماعات ، فإنه يجوز استبداد حكامهم حتى ينضجوا ويصلحوا .

٣ — ومع أن الحرية حق طبيعى يعود على الفرد بالمنفعة الشخصية ، فإن للمجتمع أن يجبر الفرد على الدفاع الوطنى والشهادة أمام القضاء وعمل البر وهى أمور واجبة عليه ، ويحاسبه إذا امتنع عنها أو قصر فيها ، أو أهمل فعلها فترتب على الإهمال نتائج خطيرة عن طريق القانون أو سلطة المجتمع ، إذ الأمر هنا يتعلق بالصالح العام المقدم على المنفعة الشخصية ، وفيما عدا هذا لا يتعرض المجتمع لحرية الفرد .

٤ — وثمت أحوال يكون فيها الفرد مسئولا أمام المجتمع ؛ ولـكن مسئوليته تحيط بها ظروف وملابسات تجعل من الخير تركه وشأنه ، فهنا يجب ترك الفرد لضميره يحكم عليه ويؤاخذه .

٥ — أما الأحوال التى لا يجوز للمجتمع أن يتدخل فيها ما لم تؤثر فى الغير تأثيراً مباشراً فهى حرية الاعتقاد والفكر والميل والشعور ، والتعبير عنها ، وحرية الأذواق والمشارب ، ثم حرية الاجتماع والتعاون .

٦ — يقاس رقى المجتمع بمبلغ تحقيق هـذه الحريات ، وما لم تكن الدولة فى خطر فليس ثمت ما يبرر تدخلها فى أخص شـئون الأفراد الذاتية ، مهما يكن أمر دعاة سيطرة المجتمع أمثال أوجست كونت وغيره .

٤ — حرية الرأى وحرية التصرف :

وبعد تلخيص هـذه المقدمة يقبل على الفصلين الثانى والثالث ، وهما أهم فصول الـكتاب ، وأنضج آراء المؤلف ، وأكثر الـكتابات قيمة لمن يحاول الدفاع عن الحرية الشخصية فى الفكر والعمل ، أولهما يتناول بالحديث حرية الرأى والاعتقاد ، والتعبير عما نفكر بالمناقشة أو الخطابة أو النشر . وثانيهما يعرض لحرية التصرف والفعـل والتنفيذ فى حيز العمل كما هو فى حيز القول ، ما دمنا لا نتعارض فى هذه أو تلك مع الصالح العام .

وما الذى يسوغ لحـكومة أياً كانت أن تقيد تفـكيرنا أو تحملنا على ما لا نريد من الرأى ، ولو كان ذلك بإرادتنا ؟ إن الحقيقة فى مسائل الرأى ليست من الجلاء بحيث تكون دائماً مع الحـكام ، ويكون المحـكومون — فرداً أو جماعة — هم المخطئين ، وحتى لو جاز ذلك ، فتدخل السـلطات لمنع الخطأ هو سبيل انتشاره . حقاً إن الناس كثيراً ما يتعصبون من الناحية العملية — وإن أنكروا ذلك جدلا — لآرائهم التى يهديهم لها محض الصدفة أو مجرد الإجمـاع — كأنما هم معصومون من الزلل ، ولـكن هـذا الخطأ فى استعمال العقل لا يدعو إلى تحريم التفـكير أصلا ، وكل ما فى وسعنا أن نهيب بالأفراد والحـكومات أن يبذلوا كل جهد للوقوف على الحقيقة والتيقن منها قبل نشرها وإذاعتها — فحرية المعارضة والمناقشة هى وسيلة الصواب واليقين ،

وما دامت أخطاؤنا وهفواتنا لحسن حظ البشرية وصلاح أمرها — قابلة للتقويم والتعديل فينبغى أن نطلق للأفراد أكبر حرية فى الفكر والمناقشة حتى يتأدوا إلى الحقيقة التى تصلح من أخطائهم، وتردهم إلى الصواب .

ولإطلاق حرية المناقشة — فوق تحقيق الميزة الجوهرية للعقل الإنسانى بتقويمه وتعديله التى قدمنا — ميزة أخرى موضوعية تتعلق بالشىء ذاته موضع المناقشة ، فإن ثباته للجدل حوله والمناقشة فيه وسيلة الثقة به والاطمئنان إليه ، إذ أنه لو كان ثمت حقيقة نستطيع أن نهتدى إليها ، فلن نصل فيها إلى اليقين المطلق، بل لما يشبه اليقين ويظن به الصواب ، وحتى هذا القدر لن نصل إليه بالتقييد والتحريم ، بل بإفساح مجال الدرس والمباحثة ، فنصلح تفكيرنا ، ونقوى فى الوقت نفسه حجة الشىء ذاته ، إذ أن دعامة الثقة بشىء إنما تقوم فى قدرته على تحدى خصومه المبارزة ، فإن لم يكن له معارض ، أو كان له معارض سقطت حجته فى الميدان ؛ فقد حكم له بقربه من الصواب .

وكما أنه لا يجوز حمل الناس على غير ما يريدون بادعاء العصمة فى أنفسنا وفيما نريدهم عليه ، حتى ولو كان معنا الإجماع ؛ ما دام من الممكن أن يكونوا هم على حق ، وما دمنا لم نفسح المجال لنتبين خطأ الأمر من صوابه فى مناقشات حرة ؛ كذلك ليس لنا أن نحملهم عليه بحجة المنفعة ، أو بدعوى الفائدة للمجتمع أو أية ذريعة أخرى ، فما دمنا لم نسمع رأى الفريق المعارض ، ولو كان نفراً قليلا لا نجزم بأن المنفعة فى جانبه أو فى جانبنا ، فالمشكلة باقية لم تحل ، ولم نزل ندعى العصمة فى أنفسنا — ونرى معارضينا بالخطأ — فى تعرف النفع كما ادعيناها من قبل فى الاهتداء إلى الحق .

فنحن حين نقيد حرية الرأى فى الأفراد إنما نحملهم على اتباع رأينا ، ونسوقهم إليه باسم الإجماع على الحق حيناً ، ومنفعة المجتمع حيناً آخر — مما يحمل فى طيه ادعاء العصمة من الفساد فى آرائنا — والعصمة من الصواب فى معارضينا ، وليست الحقيقة — كما قلنا — بحيث نتعرفها بهذه السهولة ، بل لابد للوصول إلى بعض اليقين من حرية مناقشة واسعة النطاق ، حتى فى أخص مسائل الحياة كالدين وحسب البشرية ما ترتب على التعصب الدينى والطائفى والكنسى من اضطهادات ومظالم وشهداء — يتوسع « مل » فى الاستشهاد بها — ليس ينهض عذراً لها ما يقال من ضرورة اجتياز الحق لهذه المحن ، فإن فى إتيان هذه الفظائع قضاء على التجديد والإحسان والعمل على ترقية الجنس البشرى . وفضلا عن أن الاضطهاد يزهق الحق ويخفيه ويعوق انتشاره ، وينزل بدعاته العذاب ، فإنه يقتل الشجاعة الأدبية ويصادر حرية الفكر ، وجرأة الحق ، ويعوق نمو السلطات وانتشار ثمرات الإبداع فى حينها ، ويؤدى إلى تستر المفكرين وذلهم وسعيهم لتملق عواطف المجتمع بدلا من البحث عن الحقيقة . ومع هذا فالحق لابد يوماً أن يظهر ويبهرنا ضوءه فنضطر متأخرين إلى الإيمان به — بعد إذ أسأنا إلى أصحابه وعذبناهم — وبعد أن لم نسلم من الثورات الفكرية التى يولدها الضغط والتقييد .

وبعد أن فرغ « مل » من إثبات شطر حجته الأول : عدم ادعاء العصمة فى حمل الفرد على حق أو منفعة ، انتقل إلى الشطر الثانى منها — وهو خطر إخماد رأى الفرد ولو كان خطأ — إذ أن منع المناقشة منعاً باتاً أمر ضار ومستحيل — خصوصاً فى المباحث المتعارضة الآراء — ولضرورة دراسة حجة الخصم وتفهيمه علة خطئه ليتثقف عقله ، بعد أن نسمعها منه بنزاهة وصدق رغبة ، بلا تحيز ولا محاباة ، أو تفريق بين عام وخاص . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، فإن تقييد المناقشة يتعدى أثره الجمود العقلى إلى خمود المعانى الأخلاقية فى العقائد موضوع المناقشة — بما يجعل منها ألفاظاً منسية جوفاء — وإلى جمود العقائد والأفكار ذاتها بعد أن تصبح تقليداً محافظاً مستقراً ، اطمأن عليه حماته ونام عنه خصومه ، وهذا التحجر فى العقائد — دينية أو غير دينية — يجعل منها رسوماً وطقوساً أولى منها معانى جميلة وعقائد . فلابد من الخلاف والمناقشة حتى نصل إلى الحقائق اليقينية التى تعين على رقى النوع البشرى ، ولابد من تهيئة الوسائل التى تثير هذا النقاش المستمر حول الحقائق حتى لا تموت باستقرارها ، ولابد أخيراً أن نكمل جزء اليقين الذى فى آرائنا بيقين آراء معارضينا . وأن نشفع نزعة المحافظة دائماً بنزعة مساوقة إلى التقدم والإصلاح فى سياستنا .

كمال دسوقى

رأى مفتى حضرموت

فيما دار بين عزام باشا والسيد محمد بهجت الأثرى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

ولو لم يكن إلا هـذا وحده لـكفى مبرراً لقول عزام ورد كلام الأثرى وهو نص جلى فيما قدمناه فلله الحمد على الهداية، ولم يذكر ابن القيم احتجاج عمر بآيات الحشر لأنها لا تصلح للغنيمة وإنما جرى ابن الخطاب فى السواد على النص ما اشتهر من قوله متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما فإنه ظاهر المصادمة للنص وقد حاولوا بجواب عنه فلم يأتوا إلا بالتافه المردود وذكر ابن خلـكان فى ترجمة يحيى بن أكثم أن المأمون يسوقه مساق المتفق عليه بقول ومن أنت يا جعل حتى تنهى عما أقره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر القصة التى يـكفينا منها موضع الشـــاهد وهو هذا وأصله فى صحيح مسلم عن جابر قال كنا نستمتع بالقبضة من الدقيق والتمر الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وصدراً من خلافة عمر حتى نهانا عنهما، عمر وبعيد جداً أن يقول ابن الخطاب عنها ذلك القول الغليظ، وهو ذاكر النص بدون أدنى إشارة إليه وإنما جرى منه على انقياد من ترجيح المصلحة، ولابن الخطاب فى قضية المتعة مزمية إذ قد ظهرت النصوص بعد ذلك متظاهرة على تحريمها موافقة لـما ذهب إليه بإصالة رأيه وبُعد نظره، ومنها حديث سبرة الجهنى عند مسلم وأبى داود وأحمد، ومما يتأكد به أن قول عمر فى متعة النساء كافة رأياً ارتآه جمعه إياها ومتعة الحج فى سياقه واحدة، وقد أخرج مسلم عن ابن أبى هليكة عن عروة ابن الزبير قال لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر الناس بالعمرة فى هؤلاء العشرة وليس فيها عمرة فقال أولا تسأل أمك عن ذلك، قال عروة فإن أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك فقال الرجل من هاهنا هلـكتم ما أرى الله عز وجل إلا سيعذبكم إنى أحدثـكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتخبرونى بأبى بكر وعمر والحديث أطول من هذا والرجل هو ابن عباس وله شواهد كثيرة وحسبنا منها أن قول عمر فى متعة الحج كان برأيه المخالف للنص والمصلحة التى رآها فى ذلك هى كرهه لأن يدخل الناس فى الحج ومذاكيرهم تقطر لأن ارفهينه لا تليف باخشيشان النسك وقول ابن عباس لعروة أولا تسأل أمك النسب بعتمة النساء وله قصــة طويلة مذكورة فى السير، ولـكن لعل الحديث اختصر فانتقل النظر ولا ينكر أحد أن عمر رضى الله عنه كان وقافاً عند كتاب الله ولـكن إذا استنار له الدليل وإلا فإنه يذهب عند ظهور المصلحة إلى التأويل، ولعل منه قياس الغنيمة على الفىء إن صح احتجاجه بآيات الحشر الذى ذكره غير واحد سوى من سماهم الأستاذ الأثرى.

وحسبك بما جرى منه يوم الحديبية فإنه لم يقبل كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ولو وجد أعواناً لرده وخرج مغضباً ثم لم تنكسر سورة غضبه إلا عند انقطاع الحيلة وتعقب مراجعات له من أبى بكر طويلة، وعذره فى ذلك شدة غيرته على الدين، ومنها إشفاقه عليه وقوة شكيمته وصلابة عوده فى الحق وصحة إخلاصه لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فجرى على سجيته العربية من خشونة اللفظ مع نسيان التحفظ تحت تلك التأثيرات ولو قالها غيره لطعنوا فيه، أما هو فعلى حد قوله :

ويقبح من سواك الفعل عندى   فتفعـله فيحسن منك ذاكا

وهل فوق هـذا دليل على أن ابن الخطاب يسير مع ما يراه من المصلحة للاسـلام وإن حادت عن النص الخاص والعام، ولقد فعل يوم مات ابن أبى من اعتراضه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجذبه بثوبه ما هو معلوم وكان له فى ذلك منقبة إذ نزل الذكر الحـكيم بموافقته بعد، وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم يوم اشـتد وجعه ائتونى أكتب لـكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فمنع عمر فليس فى ذلك إيثار للمصلحة التى رآها على النص الصريح بلى وألف بلى فرحى للأستاذ عزام مرحى إذ ألهمه الصواب من أوحى إلى عبده ما أوحى، وأكبر من هذا كله ما جاء فى التمدن الإسلامى ص ٢١٧ ج ١ طبعة ثالثة من ص ١٢٦ ج ٢ من خطط المقريزى من تقرير ابن الخطاب للمكوس فى الإسلام مع مصادمة ذلك للنصوص حتى لقد قال بعض الشافعية أن استحلال المـكس كفر، ونقل العصامى فى تاريخه عن قطب الدين النهروانى أن الألسنة انطلقت بالوقيعة فى

القضاة الأربعة بالقاهرة الذين أفتوا بحل المكس في جده وقالوا إنهم اعتمدوا هوى الملك حفظاً لمناصبهم .

وما أخطأ صاحب التمدن إلا في تعيين الصفحة والجزء من الخطط وإلا فقد جاء في ص ١٦٦ منها وأصل ذلك في الإسلام أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجاراً من المسلمين يأتون أرض الجند فيأخذون منهم العشر فكتب إلى أبي موسى الأشعرى وهو على البصرة أن خذ من كل تاجر يمر بك من المسلمين من كل مائتى درهم خمسة دراهم وخذ من كل تاجر من تجار العهد من كل عشرين درهماً درهماً ، ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهماً ، ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه البخس .

ومن تلك الأمثال ما رواه طاوس عن ابن عباس قال كان طلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر واحدة فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم رواه أحمد ومسلم وفى لفظ آخر رواه مسلم فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليه وفى آخر رواه مسلم أيضاً أن عمر قال أجيزوهن عليهم رواه أبو داود وكنت أستنكر القول بأن الثلاث واحدة لما حصل من تشنيع العلماء على ابن القيم وشيخه في اختيار ذلك ولأن الحنابلة على اعترافهم بفضل هذين الشيخين لم يوافقوهما على ذلك ، ولأن الأئمة الأربعة على خلافه حتى رأيت العلامة الشوكاني يبالغ في تأييده ويعد من الأجلاء من يقول به والإمام الرازى يقول في تفسير آية الطلاق من البقرة أنه الأقيس وبلغني أن من لا يشك في دينه من الحضارمة يقره فرجعت عما كنت عليه فيه ، ومعاذ الله أن نقول أن ابن الخطاب أو من دونه من العلماء القائلين بالاستصلاح يقصدون مراغمة النصوص الشرعية إنا إذاً لظالمون ، ولكنهم إذا ظهرت المصلحة المحققة رجحوها متحيزين إلى النصوص العامة في ذلك كقوله جل ذكره : ما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، وأمثالها مما لا يحصى وفى الصحيح يسرا ولا تعسرا ، ومن أساطين الشريعة ما أخرجه ابن ماجه مرفوعاً لا ضرر ولا ضرار ، ولقد أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل ببدر منزلا لم يره الأنصار موافقاً للقتال فخالفوه فرجع إلى رأيهم وقال للأنصار عام قدومه المدينة مايضركم أن لا تؤبروا فخرج نخل المدينة شيصاً فقال لهم أنتم أعرف بدنياكم واتفق أصحاب السير على أنه عليه السلام عزم على أن يصالح رئيسي غطفان عيينة بن حصن والحارث بن عوف على أن ينصرفا بقومهما في حادثة الأحزاب ولهما ثلث ثمار المدينة ثم شاور السعدين بعد تمام المراوضة فقالا إن يكن الله أمرك فسمعاً وطاعة ، وإن كنت إنما تريد أن تصنع لنا بذلك فلا حاجة لنا به ، فرجع إلى قولهما ووجه الدلالة فيه من جهتين أن النبي أراد التصرف في أموال الأنصار بدون استرضائهم كلهم للمصلحة وأن السعدين خالفاه للمصلحة أيضاً فرجع إلى رأيهما وأكبر من ذلك ماأخرجه مسلم عن عمران بن حصين أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ رجلا من غفار بجريرة حلفائه من ثقيف وما كان إلا من أجل المصلحة وإلا فالبارى جل شأنه يقول في غير موضع من التنزيل : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، ويقول عن العبد الصالح (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون) وقالت الصديقة عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد أو ما يقرب منه ، وقال ابن عبد السلام لله أحكام تحدث عند وجود أسبابها ، وقال بعض الأئمة يحدث للناس من الأحكام بقدر ما أحدثوا من الفجور ، وقال بعض متأخرى الشافعية الشرع مبنى على درء المفاسد وجلب المصالح ، بل لو كان حكم شرعى يخالف العادة ترك للمادة سداً للذريعة المؤدية إلى الشقاق والعداوة التي لا ينقطع بابها إذا فتح ولا ينسد .

ولئن كنت ناقشته في بعض كتبي الفقهية لتقيدى في الفتوى بمنقول المذهب فلا بأس أن استدل به هنا للاستصلاح لفرق ما بين الجهتين لا سيما وقد رجحه علامة اليمن الحبر البدل شيخ شيخنا [1] السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل فيما ذهب إليه من تقوية كلام العلامة ابن زياد في نفس الموضوع وقال كثير

(١) أنا أخذت عن الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر وقد مات سنة ١٣١٤ هـ وأنا على تمام الرابعة عشر من عمرى وقد أخذ عن السيد عبد الرحمن بن سليمان المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ وعمر الأستاذ الأبر إذ ذاك أربعة عشر عاماً وقد صرح بأخذه عنه في مواضع من كتاب عقود اللآل

من العلماء كالحنفية بالاستحسان ، وفسر بدليل ينقدح فى نفس المجتهد تقصر عنه عبارته وفسر أيضاً بعدول عن الدليل إلى العادة للمصلحة ومن المقرر بين الأصوليين حتى فى المتون جواز التخصيص بالعقل وليس الاستصلاح عند مصادمة الدليل الامن ذلك القبيل وعلى خاطرى أن بعض الصحابة أحرم بصلاة المغرب فانفلتت راحلته فذهب وراءها حتى ردها وعقلها فعاد إلى مكانه وأتم صلاته فقيل له فقال أأدع ناقتى تضيع وأنا شيخ ضعيف ؟ ولقد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا غزوة فرأيت من تيسيره ما يتسم لأكثر من عملى هذا أو مايقرب من هذا أوما هذا نخيله وهو من الثابت وقد ذكرته فى بعض كتبى ولكنى لا أدرى أين مكانه الآن فترى هذا الصحابى رضوان الله عليه بجاوز النصوص الخاصة فى منع الأعمال فى الصلاة إلى الدليل العام من التيسير ولكل ما فعله مبرر من الفقه عندنا إلا عوده إلى مكانه الأول إن ثبت ، وإلا فقد قال فى التحفة من أخذ له مال فى الصلاة لا يجوز له أن يبقى فيها ويتبعه ويصليها صلاة شدة الخوف على الأوجه بل يقطعها ويتبعه إن شاء .

ومقابل الأوجه الجواز وهو مما يسوغ العمل به فى حق النفس والشريعة كما سبق مبنية على حفظ المصالح ودرء المفاسد فليس الأستاذ عزام بالأوحد فى هذه الطريقة ولكنها المهيع الواضح والسبيل العظيم وقد أطلت القول فى ذلك لبعض المناسبات التاريخية فى كتابى بضايع التابوت فى نتف من تاريخ حضرموت المنوى تقديمه للطبع بهمة الشاب الفاضل الأديب عبد الله. بالخير ونسيت وما انسانى إلا الشيطان أن أذكر فيه ما يصلح لأن يكون أكبر شاهد للاستصلاح وهو قوله جل ثناؤه فى سورة الأحزاب (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما) إذ لولم يضمن دينه حماية العدل والنظام إلى يوم البعث والقيام بقبوله للمصالح لما انقطعت النبوة ولبقيت الحاجة شديدة إليها لكنها انتهت فلم يبق للرسالة معنى بعد انقضائها لأن هذا الدين المتين ملائم لكل زمان ومكان وإن اختلفت الأحوال واضطربت الأمور ، وأرجحت الفتن ، وتقلبت الظروف ، وتباينت المؤثرات فلا حاجة مع لطف مرونته واتساع صدره وغزارة مواده وفضيلة قابليته إلى قانون سواه يتجدد لحفظ النظام ونفع الأنام مع مسايرة الأيام ومنه تعرف بديع مناسبة الفاصلة لأن العلم واسع لن يضيق بأية حادثة تعرض له فى مستقبل الزمان وإن انقطع سلاها واطلخم دجاها ولذا كان سهم بن الخطاب هو الصايب وفكره هو الثاقب وحزه يطبق المفاصل وكثيراً مايصف البارى نفسه فى الفواصل بأنه واسع عليم وواسع حكيم أفتضيق تلك السعة التى بالغ فيها التنزيل عن مصلحة كلية إزاء دليل جزئى محتمل لنفوذ التخصيص إليه بالمنفصل من كل ناحية لا والله فإن هذا ما لا يكون ولئن فاتنى هذا الدليل فى البضايع فلم يكن لدى بضائع إذ كم عالجت به من مريض وتعرضت له فى النثر والقريض وكررته بالتصريح والتعريض حتى لقد قلت من القصيدة النبوية التى أنشأتها فى سنة ١٢٦٠ هـ على نهج البردة الشريفة .

وما بغير الذى تقضى شريعته ... للناس منجى من الأرزاء والنقم
إذ لا يوازيه دين فى عدالته ... ولم يكن مع إصلاح بمصطدم
أما شريعة عيسى فالنجاة بها ... مع التمدن شىء غير ملتئم

والله جل شأنه يقول قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، ويقول وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين . وهل يمكن مع تقدم الطب بهذه الأيام أن يتأخر الطب الذى بعث به عليه السلام أو أن يعجز عن مكافحة بعض الآلام كلا أنه لينقطع دون هذا الكلام لكن الجمود حجاب وداعى التقليد الأعمى لايجاب وإنما يستحق الفهم كما فى آية سليمان الإعجاب وبعض هذا كاف للالزام بما قاله الشيخ عزام ولئن لم نطلع على رسالته بحذافيرها فقد أنبأتنا تلك الجمل بأخابيرها والله أعلم . قاله وأملاه خادم العلم ابن عبيد الله . فى ٥ القعدة سنة ١٣٦٦

دمعة على محمد إسعاف النشاشيبي :

كل أرض ضمتك فهي وساد

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

يستوى الموتُ في المكان النائي   ومكانُ الأجداد والآباءِ
يا غريب الممات ما نحنُ إلا   غرباءٌ في منزل الغرباءِ
كلُّ أرض ضمتكَ فهي وسادٌ   يستوى عندها مصيرُ الفناء
من دعته منيةٌ لبلاد   مات فيها إجابةً للنداء
قدرٌ حانٌ على المرء لم ينْـ   ـأ قريبٌ عنه ولم ينجُ نائي
من تفتقه المنونُ في بأساء   لم تفتقه المنونُ في النَّعماء
أخطأتك الأقدارُ والبأس يغلي   في فلسطين والحمى في دماء
وأصابتك في مكانٍ أمينٍ   رُبَّ أمنٍ يجذُّ حبل الرَّجاء
لم تمت ميتة الجبان ولكن   متَّ في العلم ميتة الشهداء
كُنت في ساحة العروبة سيفاً   من نفاذٍ ومُنصلاً من مضاء
لم تُجاهد بالسيف فيها ولكن   كُنت فيها مُجاهد الآراء
رُبَّ فكر أمضى من السيف في الذَّو   د ورأيٍ أحمى من الهيجاء
حاجة الشرق للسيوف المواضي   مثلُ حاجاته إلى العلماء ...

لغة الضاد رُوِّعت فيك لما   فقدت فيك واحد الأُدباء
كنت صدر الرُّواة في مجلس القو   م وشيخ الثقات في الأنباء
كنت جيلا من الرواية ولىَّ   بعد جيل الرُّواة والقرَّاء
وزماناً في الحفظ غير خلاء   ومكاناً في الفضل غير خواء
حافظاً للتراث في غير زهو   كاختيال الغنيِّ أو خُيلاء
كنت تروى كقارئٍ من كتاب   عصبيَّ البيان فخم الأداء
تنشر المكرمات من عهد عدنا   ن وتحيي مكارم الصحراء
وتعيد الحديث عن كل ماض   حافل بالفخار والعلياء
كُنت تتلوهُ في اعتزاز المباهي   وافتخار البنين بالآباء
كانت العربُ كلها لك قوماً   تنتمي عندها أعزَّ انتماء
لم تُكاثر إلا بهم أو تفاخر   لم تكاثر في مجلس بثراء

شهد اللهُ ما سمعتك يوماً   مسرفاً في ظواهر الأشياء
شهد اللهُ ما رأيتك تُمنى   بخداع المنى وزُور الثناء
تمس الناسُ فيم يشمخ منهم   شامخ بالمظاهر الجوفاء ؟
كيف يُزهى بالمال والجاه من لا   يملك المالُ عنه ردَّ القضاء
كيف يُزهى بالمال والجاه من لا   يتوقى في صحة من داء ؟؟

يا دفيناً في أرض مصر وكانت   لك في القدس أرحب الأرجاء
كيف ضنَّ الحمى عليك بشبر   من تراب وحفنة من هباء ؟
مصر ضمت ثَرَاك وهي وعاء   الكنوز مذخورة لِلبقاء ..
قدَرٌ ساقك الغداة إلينا   لِتلبي بمصر حُكم السماء
كلُّ شبر من العروبةِ مأوى   لِوداد ومَلجأً لإخاء ...

لا أقولُ انتهت حياتك فينا   أنت باقٍ بالذكر في الأحياء
أنت أعلى من الرثاء .. ولكن   هذه أدمعي . وهن رثائي

محمد عبد الغني حسن

ذكرى الرسول الكريم

للأستاذ مختار الوكيل

سيد الخلق وزين الأنبياء
جئت في ساحك أستجدي الضياء
فأنلني غوثك المأمول يا   موئل العاني وكهف الضعفاء
واعف عن ضعفي فما شعري سوى   قطرة من فيض رب الفصحاء
الذي أدبه الله ، فلم   يعرف الهزل، ولم يدر الهُراء
والذي علّمه الباري ، فما   خفيت عنه تهاويل القضاء
والذي زهده المولى ، فلم   يقل الهُجر ، ولم يرو الهجاء

جئتك اليوم مُنيباً ، لا أرى   غير باب الطهر باباً للنجاء
لائذاً بالستر أسعى مُهطعاً   لشفيع صفحه كلُّ الرجاء
كانت الدنيا ظلاماً دامساً   والديانات بها محض هباء
فضعيفٌ من قويٍّ يشتكي   وظلوم ليس يُعنى البؤساء

وأخو شرك على الأرض طغى ولو استطاع تمادى فى السماء
وأخو كاس على الخمر ارتمى يرشف الراح ويحسو ما يشاء
وبغــاة وعتــاة أمعنوا فى المعاصى وتمادوا فى الدهاء
عُكّفٌ حول الذى قد نحتوا من شخوص وتماثيل خواء
عند ما أقبلت موفور السنى حصحص الحق ونور العدل جاء
وأقمت الحكم شورى لم يكن حكم مُستعل ولا حكم افتراء
وسننت العدل قسطاساً فما عرف البغى ضميف فى القضاء
مُذ دنا ركبك من «أم القرى» زهق البـاطل والحق أضاء
يا رسول الله يا خير الورى نفحة منك بها يدنو الشفاء
عالم اليوم طغى فيـــه الألى سفَّهوا الدين وعابوا الأتقياء
زعمـــوا قنبـــلة ذرية
سوف تفنى الكون ، فالكون خلاء
ومضـوا فى غيهم إن خرجوا من شقاء سربلوا ثوب شقاء
ما العداوات التى نشهدها غير إرهاصات حرب ودماء
ما الدعايات التى نسمعها غير سم منه قد فاض الإناء
كفـروا بالله ، ياويحهمو واستهانوا بكلام الأنبيـاء
ومشوا فى موكب من لهب سقطوا فيـــه ضحايا الخيلاء

قومك اليوم ، رسول الله فى محنة نكراء يشكون العناء
شتت الباغون إجمـــاعهم وأحالوهم طيـوفاً وذماء
مسلمو اليوم على أرضهم أصبحوا أحلاف ذل غرباء
سادة للكون كانوا ، فغدوا غرضاً للطامعين السفهاء
يطلبون القوت ، لا تحفزهم لطلاب المجد أحلام وضاء
قنعوا بالرسف فى القيد فلم يسألوا غير كفاف الأجراء
كانت الدنيا لهم مذ حملوا سيفهم يبغون للدين العلاء
كانت الدنيـا لهم فانقلبوا همهم كسرة خبز وكساء
يدّعون الدين والدين براء من نفوس خاويات كالهواء
ويريدون جلاء ناجزاً أين من مستضعف نيل الجلاء
جوهر الدين نأوا عن هديه وأراهم زخرفوا منه الطلاء
ما ينال الحق بالعجز وما تهزم القطعان ذئب الصحراء
إنمـا الحق ، له السيف يد وأرى الغفلة قبر البلهاء
ونبى الله بالسيف غـــزا وعـــدو الله بالخسران باء
فأقيموا الدين بالسيف ، ولا تطلبوا المجد بمبذول الدعاء
أنقذوا أرض فلسطين ، ولا ترهبوا الموت ففى الموت البقاء
واطلبوا المجد بسيف لهذم يدع المادين صرعى فى العراء
وأقيلوا الدين من عثرته بجهاد يذهل الأرض الفضاء
نادت الدنيا بكم أن أقدموا فأصيخوا إن عقلتم للنداء
وأقيموا الملك بالدين كما كان فى عصر نبى الأنبياء
واذكروا سيرته واقتبسوا من سناه يذهب الداء العياء
إن أخذتم قبساً من هديه حزتم النصر ، وإلا فالعفاء
يا أبا الزهراء يا رمز الإباء نحن للاسلام والعرب فداء
نفحة منك بها نحمى الحمى ونقى الأرض مغبات العداء

مختار الوكيل

الأدب والفن في أسبوع

نشوء القومية في البلقان :

ألقى الأستاذ ساطع الحصرى يوم السبت المحاضرة الثانية من سلسلة محاضراته التى يلقيها فى الجمعية الجغرافية الملكية . وكان موضوع هذه المحاضرة «نشوء الفكرة القومية فى النمسا والبلقان — تأثير اللغة والتاريخ والكنيسة فيها» .

وقد عنى الأستاذ فى هذه المحاضرة بإبراز تأثير اللغة فى بعث القوميات تأييداً لما أبداه فى المحاضرة السابقة من ترجيح كفة النظرية الألمانية القائلة بأن القومية كائن حى روحه اللغة ، ضد النظرية الفرنسية التى ترى أنها إنما تقوم على مشيئة الأمة ؛ ولذلك استعرض دول البلقان مبينا ذلك فى كل واحدة منها ، فاليونان كانت موحدة اللغة والثقافة بفضل الكنيسة التى تركها العثمانيون حرة فى شعائرها ، وقد حفظت الكنيسة اللغة اليونانية وثقافتها فى بلاد اليونان بل نشرتها فيما جاورها من البلاد ، ولهذه الوحدة اللغوية الثقافية التى يضاف إليها التاريخ القوى وجهود الكنيسة كانت بلاد اليونان مهيأة لنشوء الفكرة القومية فيها ومستعدة للثورة فى سبيل استقلالها وقوميتها ، فلم تكن الثورة تنتظر غير الإشارة . وفى بلغاريا كان الأمر على عكس ذلك ، لأن الكنيسة اليونانية كانت هى المتسلطة على البلاد البلغارية بسلطانها الدينى الذى يستتبع فرض اللغة اليونانية فى الصلاة وسائر الشعائر الدينية وفى كل ما يمت إلى الثقافة ، ولم تكن اللغة البلغارية ذات أدب ولا ثقافة ، بل لم يكن لها نحو ولا صرف ، وفى أوائل القرن التاسع عشر بدأت الجهود تتجه إلى ترقية اللغة البلغارية واستعمالها فى الدين والثقافة ، أى الاستغناء بها عن اليونانية . وجاهد البلغاريون فى هذا السبيل رغم ما لاقوه من مقاومات وعقبات ، حتى وصلوا إلى ما أرادوا من إحياء لغتهم ، ثم التفتوا إلى كيانهم السياسى فعملوا على استقلالهم حتى تحقق .

وكذلك فعلت رومانيا فى كفاحها اللغوى مع اليونان والسياسى مع الدولة العثمانية ، وإن كانت الحال فيها تختلف عن بلغاريا من عدة وجوه ، منها التاريخ ، إذ استثمر الرومان مجد أبطالهم القديم .

أما يوغسلافيا فكانت قسمين : قسم يتبع تركيا وقسم يتبع النمسا ، وقد قامت فكرة القومية فى القسمين على توحيد اللغة . ولما ساعدت الظروف القسم الأول على الاستقلال قبل الثانى ظل يتجه نحو الاتحاد مع القسم الآخر حتى تم ذلك . وقامت فى تلك الأثناء دعوات مختلفة إلى اللغة التى يرى كل فريق اتخاذها لغة قومية . ومن ظريف ما حدث أن أحد الشعراء صنع مخطوطات طبقاً للغة التى يدعو إليها وادعى أنها ترجع إلى القرن الثالث عشر ، واحتال حتى أظهر أنها كانت محفوظة فى سراديب إحدى الكنائس ، وجعل ينشد الشعر ويكتب الأقاصيص على أوضاع لغة هذه المخطوطات ، وتنبه له بعض المعارضين ، ولكن بمضى الزمن سار الجميع عليها .

وهكذا كانت اللغة هى أساس القوميات فى دول البلقان ، وكان النزاع الكنسى يدور حولها ، فلم يكن ثمة اختلاف فى العقائد ، ولكن كانت اللغة هى الغاية . وبين الأستاذ ذلك أيضاً بوصف حالة البلاد التى تقع بين دول البلقان وهى بلاد مقدونيا ، فقد كانت مختلفة فى اللغات على حسب موقع كل منها من الأمة التى تجاورها — وصف الأستاذ حالة التنازع بين هذه البلاد فى مراحله المختلفة ، بسبب اختلاف اللغة ، ولم ينته هذا التنازع حتى تقسمت الدول المجاورة تلك البلاد ، وأخذت كل دولة منها ما يماثلها فى اللغة .

ثم قال الأستاذ : أيد الفرنسيون نظريتهم بسويسرا ، إذ قالوا إن الأمة السويسرية شاءت أن تكون أمة فكانت ، على الرغم من تعدد لغاتها ، والواقع أن سويسرا بلاد كثيفة السكان بخلاف مقدونية وهى تتبع فى نظام حكمها أن يقوم كل إقليم بنفسه فى الإدارة ، والقضاء وغيرهما ، والحكومة المركزية إنما تنظم العلاقات الخارجية . وقد ساعد موقع البلاد الجغرافى على المحافظة على كيانها وحيادها ، لأنها محاطة بدول كبيرة مصلحتها فى أن تبقى سويسرا على الحياد ، وهنا شبه الأستاذ اللغة فى القومية بجاذبية الأرض ، فكما أن المصباح المعلق لا يلتصق بالأرض

والدخان يصعد إلى السماء ولا يهبط إلى أسفل ، دون أن ينقض ذلك جاذبية الأرض — كذلك القومية فى سويسرا ، تقتضيها عوامل أخرى غير اللغة ، ولكن هذا لايدفع أن اللغة هى أساس القومية وروحها .

هذا هو الإنسان :

لا يستطيع متتبع الآداب أن يغفل ذلك المقال الذى كتبه بالأساس الأستاذ عباس محمود العقاد فى مقتل غاندى ، فهو مقال لا يظفر الناس بكثير من أمثاله ، وخاصة فى هذه الأيام التى أصبحت الأقلام فيها تجرى على الصفحات لمجرد ملئها بأى كلام . قتل غاندى فى هذا الأسبوع ، فكتب كاتبون ونظم شعراء . وقرأت لهؤلاء وهؤلاء ، فلم أقع على مثل ما كتب العقاد .

قال فى تصوير هذا الحادث : « لم يحدث قط أن ترتفع يد بالشر إلى رجل لا يسفه الأحلام ولا يبشر بغير الإسلام ، رجل فى الثامنة والسبعين يكف الشر فى النفوس بوقار سنه وضعف شيخوخته وطيب سكينته واستسلامه رجل يدين بما يدين به قاتله المتعصب لعقيدته . وقصارى ما تنتهى إليه تلك العقيدة — عند ذلك القاتل التعس — أن قتل البقرة حرام ، وأن قتل القديس العظيم مباح » .

وقال : « قيل منذ أيام أن قذيفة ألقيت على غاندى فنجا منها . فوقع فى الأنفس أن نجاته من تلك القذيفة من أحداث الطبيعة لا غرابة فيه ... كأن المادة نفسها تهاب أن تمضى بالأذى إلى هيكل ذلك الروح ... كأن القذيفة ترتد — ولا تستطيع إلا أن ترتد وحدها — عن القداسة التى أخضعتها ، ولم تخضع لها قط فى تجارب الحياة . فلما قيل إنه قتل بيد إنسان ، قد والله سألت : .كيف تحركت عضلة فى جسد بشرى بضربة قاتلة لذلك الشهيد؟ قد والله سألت عن اليد التى لا تعقل ، لأنها كانت خليقة أن تعجز عن الحراك إذا سيمت مثل هذا الحراك الذى يشذ عن كل قانون ... ولم أسأل كيف سولت نفس ولا كيف هجس ضمير ، لأن من الهول الهائل أن يدخل مثل هذا الجرم فى حساب نفس أو ضمير » .

وقد بلغ الغاية فى تحقير القاتل مع الرثاء له بقوله : « ومن يقتل شرف الإنسانية كلها إلا مخلوق يخجل من إنسانيته كل إنسان ، بل كل حى من الأحياء ، وكل ضاربة من ناهشات الأبدان ، وكل ساعية من نافثات السموم . ويسألون : أى جزاء يجزى به وراء الإعدام فى جانب الوصمة الأبدية يحملها المسكين وحده فى تاريخ البشرية بأسرها . فيذكر وحده إذا ذكر الخزى الذى لا خزى مثله فى طوايا التاريخ . هذا هو الإنسان فى بؤرته السفلى . وذاك هو الإنسان فى ذروته العليا » .

ولقد دفع إلى صاحبى بهذا المقال فقرأته ، ودفعته إلى صاحبنا الثالث ليقرأه ، وقد اعتدنا أن نتناول شيوخنا بألسنة حداد فما نفلت أحداً منهم ، ولكن حينما قرأنا مقال « هذا هو الإنسان » نظر بعضنا إلى بعض وسكتنا ، لا لأنا جاحدون ، بل لأننا متفاهمون

فى تأبين هدى شعراوى :

شهدت يوم الجمعة احتفال الاتحاد النسائى بتأبين رئيسته السابقة السيدة هدى شعراوى ، وقد اشترك فى هذا التأبين أربعة من الأدباء ، اثنان من الأعلام : الأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور محمد حسين هيكل باشا ، ألقى الأول قصيدة ، وتحدث الثانى عن أثر الفقيدة فى نهضة المرأة ؛ والآخران هما الأستاذان محمد الأسمر ومحمود أبو الوفا ، وقد ألقى كل منهما قصيدة . أما قصيدة أبو الوفا فقد كانت أدق فى تصوير شخصية الفقيدة ، وأما الأسمر فقد ساعد تعبيره الخطابى وجرس إلقائه على اجتذاب أسماع الجمهور واجتلاب استحسانه .

المرأة المصرية والعربية :

وأريد أن أتجاوز الرجال سريعاً إلى النساء ، فإن لى معهن شأناً . تكلم فى هذا الاحتفال عشر نساء ، ثلاث من العراق ولبنان وفلسطين ، وست مصريات ، وواحدة أوربية . وأريد أن أقارن بين المصريات وبين العربيات الأخريات ، وأقارن بين العربيات جميعاً وبين الأوربية .

مثلت العراق السيدة منيبة الكيلانى ، ومثلت لبنان وسوريا السيدة ابتهاج قدورة ، وألقت الآنسة تحية محمد كلمة فلسطين ، ثم تعاقب بعدهن الست المصريات ، فكان الفرق واضحاً كل الوضوح بين الفريقين ، فقد امتاز الأوائل لا بفصاحة النطق

وسلامته ونصاعه الأسلوب فحسب ، بل كذلك بالبراعة فى تصوير شخصية هدى شعراوى باعتبارها زعيمة نساء العرب ، وفى التعبير عن شعورهن إزاء فقدها ، وقد شعرنا ونحن نستمع إلى كل منهن أننا أمام إنسان حى يؤدى إلينا ما يريد من فكره وإحساسه بأسلوب قويم ولسان مبين .

وقد تعمدت أن أصف أولئك الثلاث العربيات بتلك الصفات لأقول صراحة إن المصريات تجردن منها ، فالنطق عامى ، واللحن كثير ، والإعراب لا رقيب عليه ، ولا شىء وراء الكلام العادى الجامد ، بكت إحداهن — وهى سيدة كريمة لها نشاط محمود فى الخدمة الاجتماعية — وهى تلق كلمتها ، فعوضت بلاغة بكائها من قصور كلامها .. ونابت إحداهن عن خريجات الجامعة ، فلم تكن خيراً من الباقيات .

ولقد جنى العربيات على المصريات اللاتى لا أراهن جديرات بأن يوصفن بأنهن عربيات ، لأن الأوالى لولم يشتركن فى هذا التأبين لسمعنا من نسائنا وغفرنا لهن قائلين : إنهن جنس ناعم واللغة العربية خشنة . . ألسن يتحدثن بالفرنسية الرقيقة .. ؟ ولكن العربيات وصفت ألسنتهن رقة اللغة العربية وسحر بيانها وبدت المصرية بجانبهن فى صورة المتخلفة عن ركب النهضة العربية ولن تكون سائرة فى هذا الركب حتى تجيد لغتها وتعالج بيانها .

ومن العجيب أن المرأة المصرية المتعلمة خطت خطوات واسعة فى نواحى الحياة المختلفة ، ولكنها ما تزال على عجمتها لا تكاد تبين وننظر فى ميدان الأدب فلا نرى إلا عدداً لا يبلغ حد المجمع إلا بالتساهل .

فلم لا تتعلم المرأة المصرية اللغة العربية ... ؟ إنها ما دامت لا تقوم لسانها بلغة قومها ستظل شخصيتها ناقصة ، ولن تكمل إلا حين تستحق أن توصف بأنها عربية .

وقد مثلت الاتحاد النسائى الدولى السيدة (مالانير سبليه) وكيلته ، فارتجلت كلمتها ، وتخلصت بالارتجال من قيود القراءة ، وواجهت الجمهور بكل قواها الخطابية . وأنا لم أر بعد امرأة عربية ترتجل بلغة فصيحة ، أما الرجال فمنهم من يقرأ وكثيرون يرتجلون ، وقد كان موقف هذه السيدة الأوروبية قوياً بالقدرة على الخطابة بلغتها مرتجلة ، فبدا الفرق كبيراً بينها وبين من تحبر أو يحبر لها ، ثم يتعثر لسانها فى الإلقاء !

صدى من لبناد :

يذكر القراء ما كتبته فى النهج الذى سلكه أخيراً فى الكتابة الأستاذ توفيق الحكيم ، وقد رجع إلينا الصدى من لبنان فى مجلة الأديب (عدد فبراير) قال :

« رد الأستاذ توفيق الحكيم على الذين ينعون عليه ، بأنه ودع الفن يوم ترك برجه العاجى وانحط إلى مستوى الجمهور ، بقوله : يجب على الفنان نفسه أن ينزل السفح إليهم ... يهدينا إلى ذلك فعل المبدع الأعظم لهذا الكون ... لقد أراد وهو فى عليائه أن يبلغ الناس رسالته فلم ينتظر منهم أن يصعدوا إليه فأرسل إليهم رسولا أو نزل هو نفسه فتجسد فى المسيح كما هو القول عند المسيحيين . وبهذا التشبيه البعيد يعتقد الحكيم بأنه أقنع الناس بسر فعلته » .

« العباس »



فى كتابة التاريخ :

(إلى الأستاذين عبد الرحمن الرافعى بك وعباس محمود العقاد)

من بضعة أسابيع نشرت مقالا بعنوان « اللغة العربية تصارع» أطريت فيه يداً أسداها للضاد الأساتذة سعد زغلول باشا والدكتور عبد السلام ذهنى بك وعبد الحميد عبد الحق ، فقد كان للأول فضل تعميم العربية فى معاهد الدرس بدل الإنجليزية ، وكان للثانى يدٌ طولى فى إقرار مبدأ المرافعة بالعربية فى محاكم الاختلاط ، وانتصر ثالثهم لاستخدام العربية فى شركات التجارة وبيوتات المال .

وحسبت حين نشرت ذلك المقال أنى لم أزد على أنى استقيت من التاريخ بعض وقائعه ونسجت حولها خيوطاً جعلت منه وحدة أدبية تفضل الأستاذ العباس بنعتها « بمقالة نيرة » .

ولكن أديباً — هو الأستاذ عزت المنشاوى — عقب على مقالى فى جريدة منبر الشرق ، مشككا فى فضل سعد زغلول على اللغة العربية ، مستشهداً على ذلك بما أورده الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك فى كتابه « مصطفى كامل » ، وهذا نصه :

« واشتد الفقيد (مصطفى كامل) فى نقد سعد باشا حين طلبت الجمعية العمومية من الحكومة فى مارس سنة ١٩٠٧ جعل التعليم فى المدارس الأميرية باللغة العربية ، وكان وقتئذ باللغة الانجليزية ، فاعترض سعد باشا وألقى خطبة طويلة فى هذا الصدد سوغ فيها جعل التعليم باللغة الانجليزية قائلا : إن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لمحض رغبتها أو اتباعاً لشهوتها ، ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الأمة ... وقال : إذا فرضنا أنه يمكننا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية وشرعنا فيه فعلا ، فإننا نكون أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبرى لأنه لا يمكن للذين يتعلمون على هذا النحو أن يتوظفوا فى الجمارك والبوستة والمحاكم المختلطة والمصالح العديدة المختلفة التابعة للحكومة . »

ومن ثم عدت إلى كتاب « سعد زغلول . سيرة وتحية » للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد لأستفتيه فى هذا الأمر وأقف على ما أورده فى هذا الصدد . فلم يخرج ما قاله العقاد عما أودته فى مقالى ، وهو ما أجمع عليه المؤرخون من أن لسعد زغلول فضل تعميم العربية فى المعاهد ، وإليكم نص ما جاء فى كتاب العقاد :

« ومن أجل الأعمال التى قام بها سعد فى وزارة المعارف وجازف من أجلها بمنصبه وبحسن العلاقة بينه وبين الأقوياء عملان : أحدهما كان مغضباً للانجليز ، والآخر كان مغضباً للخديو وأتباعه من الشيوخ الأزهريين ...

« نقل التعليم من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية ، فأغضب الانجليز أشد الغضب واحتاج إلى تذليل عقبات أخرى غير عقبات المقاومة السياسية ، وهى تحضير الكتب وتحضير المدرسين وتهيئة الجو للتدرج من نظام متغلغل متشعب مضت عليه خمس وعشرون سنة إلى نظام طارىء لا يزال فى دور التمهيد ، محتاجاً إلى المعدات والمنفذين »

* * *

فنحن إذاً أمام روايتين غير متطابقتين ، يقول بالواحدة الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك ، ويقول بالثانية الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد . وهذه واقعة تاريخية لا يجدى المنطق فى إثباتها إن كانت باطلة ، أو تفنيدها إن كانت صائبة . ولذلك أرانى مناشداً الأستاذين الكبيرين أن يفيضا — على صفحات الرسالة إذا تسنى ذلك — فى تبيان ما عندهما من ملابسات لهذه الحادثة التاريخية لنستطيع أن نخلص برأى أيا كان محوره .

وما دمنا بصدد هذه الواقعة التاريخية ، أذكر ملاحظتين قد تكونا معواناً فى فهم النهج الذى يتبع فى كتابة التاريخ القومى فى مصر .

وأول الملاحظتين أن شيخاً كبيراً فى المقام عاشر التاريخ المصرى فى القرن الأخير « وعاش » معظم وقائعه قال لى — وهو اليوم عضو فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية — إنه يقسم بأن التاريخ المصرى المطبوع حافل بأخطاء لا حصر لها ، وأنه دأب على أن يسمى التاريخ المصرى « تاريخاً لوابياً » لأنه دائم الانحراف

عن الحقيقة بسبب عدم تدوينه فى حينه ، وإرجاء مهمة التأريخ إلى ما بعد انقضاء زمان بعيد على الأحداث المرجو تأريخها .

وقد ألححت على هذا الشيخ فى نشر مذكراته إنصافاً للتاريخ وللواقع ، فتأبى متعللا بأنه بلغ من طول العمر وشدة الهزال مرتبة لا تمكنه من الرد على ما يتعرض له من حملات إذا ما رأت مذكراته ضوء النهار فى حياته .

للشيخ الكبير من المقام ومن العلم ومن الثقافة ما يجعلنى أتردد كثيراً قبل أن أحكم ببطلان رأيه . هذه ملاحظة .

أما الملاحظة الثانية ، فلعلها لم تبرح بعد مخيلة القارئين ، لأن الصحف ما فتئت تتناول موضوعها من جوانب شتى .

فقد عرف القاصى والدانى ما حل بمصر فى ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ، وكنا نحسب من عامين أو ثلاثة أن تاريخ تلك الواقعة قد سجل فعلا ، ولم يعد هناك مزيد لمستزيد . بيد أنه اتضح أخيراً من محاكمات المتهمين فى قضية الجرائم السياسية أن فى جعب الساسة كثيراً من البيانات المستورة ، وأن الحادث لا يزال حتى الآن غير واضح وضوحاً تاماً .

أولا يحق للمرء أن يسأل : إذا كان هذا الحادث التاريخى الذى حدث من خمسة أعوام أو ستة لا يزال موضعه فى التاريخ بين شد وجذب ، فكيف يكون الحال إذا بعدت الشقة بين الحادث والمؤرخ ، وامتدت المسافة بين الواقعة والمسجلين لها ؟

وبعد ، فلعل الأستاذين الجليلين العقاد والرافعى بك يتفضلان — مشكورين — باطلاع القراء على ما يعرفان عن فضل سعد على اللغة العربية — أو إساءته إليها ، لأن من حق الجيل الجديد أن يعرف حقيقة أمر تضاربت فيه الآراء .

وديع فلسطين

فى أدب المهجر :

أشكر للأستاذ مناور عويس هذه اللفتة الحميدة للتحدث عن أديب المهجر الكبير ميخائيل نعيمه الذى رفع منارة الأدب العربى فى الدنيا الجديدة هو وإخوانه الأدباء من مهاجرى العرب . والحديث عن ميخائيل نعيمه وإخوانه ممتع لأنه يتصل بالشاعرية التى تمردت على القيود الكلاسيكية القديمة وانطلقت حرة فى الفضاء إلا من المعانى السامية واللمحات الدقيقة ومنذ زمن مضى وأنا أتطلع إلى أدباء المشرق لعلهم يتحدثون عن تلك النهضة المهجرية ويشيدون بمفاخر إخوانهم هناك وينشرون فى الجيل الجديد هنا ما كتبه أولئك وما نظموه ، فهناك نثر ، وهناك شعر ينبضان بالحياة المشرقة الضحوك ، ويفيضان بالإبداع الذى يماشى الحياة فى موكبها النشيط لأنهما يتدفقان من ينبوع الواقع ، وينبعثان من الوعى والوجدان ، ففيهما فلسفة ، وفيهما حب وغزل ، ودعوة للانسانية المثالية الشاملة .

ما أكثر إنتاج نعيمه ، والريحانى ، وجبران ، وإيليا ، وإلياس فرحات ، ونسيب عريضه ، وأمين مشرق ، وغيرهم ، ولكن هذا الإنتاج على كثرته وقوة الإبداع فيه لم يكن له ذلك الصدى المحسوس فى دنيا الشرق إلا قليلا عند من ترسموا خطى المهجريين وتابعوا سيرهم ، وإذا كان بعض مؤلفات جبران والريحانى ، وقصائد نعيمه وإيليا قد أخذ نصيبه من الذيوع والانتشار فى ربوعنا فليس ذلك بكاف فى التتبع والدراسات الصحيحة ، فهناك غير هؤلاء من الشعراء والكتاب قد ملأوا الدنيا الجديدة بعصارة عقولهم وقلوبهم ، ونشروا عليها أجنحة ضافية من أخيلتهم السمحة ، وليس أدل على ذلك من الصحف الكثيرات التى يصدرها إخواننا المهجريون فى ديار الغربة أمثال مجلة « الشرق » و « العصبة » و « السمير » و « الهدى » وأمثال جريدة « البيان » التى كانت بحق لسان القومية العربية الذرب وقد قرأت من هذه الجريدة أعداداً كثيرة يوم كانت تصل إلى العراق قبيل الحرب ولا أغالى إذا قلت : إنى لم أجد من بين صحفنا العربية هنا ما يشبهها حماسة وعروبة ودفاعاً عن البلاد العربية .

وحتى الأدب الشعبى كان له نصيب كبير من جهود المهجريين فقد كانت جريدة « أبجد هوز » التى يصدرها ناصر شاتيلا أروع مثال لهذا اللون الفكه فقد كان فيها نقد لاذع وفكاهة ممتعة باللسان اللبنانى المحلى ، وأجمل ما فيها تلك المحاكات التى تعقدها لمحاسبة الأدباء فتخلط الهزل بالجد والنقد بالفكاهة ، ومن الظريف أن تعرف — وإن كان خروجاً عن الموضوع — أن للشعر الشعبى قيمة ليست قليلة عند المهجريين وقد تدخل هذا الشعر فى الإعلانات عن البضائع والمتاجر ولشد ما يضحكك أن تقرأ البيتين الآتيين على لسان بنت تخاطب أمها :

تا أحلى بعين الشبان بلكى حد إينحطبى
يا أمى بدى فستان من حرير لويس كنزى

وهذا اللون من الإعلانات بالشعر العامى يرجع بك إلى التاريخ العربى القديم فى قصة « المحلق » عند ما كسدت سوق بناته فلم يخطبهن أحد فاستضافه الأعشى وأطعمه وسقاه ثم طلب

إليه أن يشيد بذكره فكانت تلك القصيدة المشهورة التى منها فى وصف نار المحلق :

تشب لمقرورين يصطليانها　　وبات على النار الندى والمحلق

ثم كان بعدها زواج بنات المحلق بأصدقة عالية . وفى قصة بائع « الخُمُر » حين لم يجد من يشترى شيئاً من بضاعته فاستنجد بأحد الشعراء وكانت تلك القصيدة التى منها :

قل للمليحة فى الخمار الأسود　　ما ذا فعلت بناسك متعبد

وأما مجلتا « الشرق » و « العصبة » فإنهما أسمى مثال للفن الصحفى العالمى من حيث الطباعة والإتقان وأسمى مثال للأدب العربى فى عهده الحاضر من حيث التطور الفكرى والإبداع فى الشعر والنثر .

هذه لمحة استعراضية عن جهود إخواننا المهجريين فى بعث الأدب العربي والدعوة إلى العروبة فى المهاجر الغربية وتركيزها على قاعدة التطور ومماشاة الزمن .

أفلا يجدر بهذا الأدب أن يأخذ نصيبه فى مناهج الأدب الشرقى ومعاهد التعليم فيه ونشره بين الشباب المتطلع إلى الحياة الجديدة ، ثم ألا يجدر بهذا الجيل أن يضيف إلى معلوماته عن امرئ القيس ، والمتنبى ، وشوقى ، والرصافى شيئاً عن جبران وميخائيل وإيليا ؟ .

إن مناهجنا التعليمية ودراساتنا الحديثة تجحف أشد الإجحاف بحقوق المهجريين بل بحقوق الأدب العربى والناشئة الحديثة ، وليس ذنب هذا الأدب إلا أنه عصارة الروح والعقل والمثل الإنسانية العليا ، وإلا كونه خالياً من الزخرف والصناعة والتقاليد . وحتى المطابع والمكتبات عندنا لا نجد فيها أثراً بارزاً لأدب المهجر إلا القليل الذى لا يغنى ولا يسمن . أليس من الغريب أن تبحث عن « الجداول » لإيليا أبى ماضى فلا تجد له أثراً فى مكتبات القاهرة مع أنه قد طبع فى أمريكا والعراق .

وإنى قد خرجت عن الموضوع وتجاوزت إلى الزيادة فى القول فلا عد مرة ثانية لأشكر الأستاذ مناور عويس على اتجاهه هذا والتنويه بأدب ميخائيل نعيمه ويسرنى أن يكون انتخابه لبعض القطع الشعرية خالياً من الحذف والتحريف ولا سيما إذا كان المحذوف شطراً فى نهاية مقطع كحذفه قول الشاعر : بخشوع جاثيه . بعد قوله : « وتجزى كنبى هبط الوحى عليه » فى قصيدة « من أنت يا نفس » .

وكذكره البيت الآتى : أنت برق أنت رعد　　أنت ليل أنت فجر

مخالفا لنصه الأصلى : أنت شمس أنت رعد　　أنت برق أنت فجر

ولعل للاستاذ عذرا فى ذلك لأنه اعتمد على « همس الجفون » وفيه بعض المغايرات لما نشر قديماً فى الصحف والمجاميع وقد يكون ذلك من رأى الشاعر نفسه . ومهما يكن من شيء فإن هذه تبعات لا يؤاخذ عليها الكاتب الفاضل إلى جانب اهتمامه بالأدب المهجرى وخصوصاً أدب ميخائيل نعيمه.

إبراهيم الوائلى

اللجنة الوزارية الاستشارية لبعثات الحكومة

بعثة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية

تعلن اللجنة أنها ستوفد إلى انجلترا فى شهر مارس سنة ١٩٤٨ بعثة من ثلاثة مهندسين للتخصص فى الاذاعة اللاسلكية لمدة سنة ونصف منها سنة بشركة ماركونى وستة أشهر بمؤسسات بعثة الاذاعة البريطانية .

ويشترط فيمن يتقدم لهذه البعثة أن يكون حاصلا على بكالوريوس الهندسة قسم الكهرباء من الدفعات الثلاث الأخيرة (١٩٤٥ — ١٩٤٦ — ١٩٤٧) بدرجة جيد جداً على الأقل وألا تزيد سنه فى أكتوبر سنة ١٩٤٧ على ٢٨ سنة

فعلى من يرغب فى ترشيح نفسه لهذه البعثة أن يملأ الاستمارة الخاصة بذلك والتى يمكن الحصول عليها من إدارة التوريدات بوزارة المعارف بالقاهرة أومن جامعة فاروق الأول بالأسكندرية نظير دفع ٦٠ مليما ويجب على الطالب أن يقدم مع الاستمارة بيانا بدرجاته فى جميع سنى دراسته بالكلية مصدقا عليه منها ثم يرسل طلبه بعد استيفائه مسجلا بالبريد باسم حضرة صاحب المعالى رئيس اللجنة الوزارية الاستشارية لبعثات الحكومة بوزارة المعارف وذلك إذا كان الطالب غير موظف فى الحكومة أما إذا كان موظفاً فيها فيجب أن يقدم طلبه عن طريق المصلحة التى هو تابع لها وفى كلتا الحالتين يجب ألا يتأخر وصول الطلب إلى سكرتارية اللجنة عن ١٥ فبراير سنة ١٩٤٨ ولن يلتفت إلى أى طلب لا يقدمه صاحبه على الاستمارة المذكورة فى الميعاد المذكور .

٨٨٥٠



معالم تاريخ الانسانية

للكاتب الانجليزى هـ. ج ويلز

ترجمة الأستاذ عبد العزيز توفيق

المدرس بمدرسة مصر الجديدة الثانوية

ليس بين المثقفين من يجهل كتاب « معالم تاريخ الإنسانية » للكاتب الإنجليزى هـ. ج. ويلز الذى أصدره بعيد الحرب الكبرى الماضية ، وترجع شهرة هذا الكتاب القيم إلى أن ويلز عندما فكر فى المنازعات الدائمة والحروب المستمرة التى تخوضها الجماعات البشرية ، أدرك أنها إنما تعود إلى العصبية الدينية أو العنصرية أو الإقليمية ، وأنه لا سبيل إلى تقارب هذه الجماعات إلا بإيجاد مستوى سام من الثقافة تشترك فيه جميع الأجناس . وإلا بإعادة النظر فى التاريخ وكتابته من جديد كتابة موضوعية تبرأ من شوائب العصبيات وتقوم على أساس العلم الصحيح ، رابطة الأسباب بالمسببات ومسايرة ركب الحضارة فى نشأتها وتطورها حتى استقرت على حالها الذى نراه اليوم فى النزوع إلى التوحد وترسيخ المبادئ الديمقراطية وإقرار حقوق الإنسان وصيانة كرامته . فانطلق ويلز يؤسس كتابه هذا على مبادىء هذه الدعوة الشريفة .

« ومعالم تاريخ الإنسانية » هو حجر الزاوية بين مؤلفات ويلز الكثيرة التى عكف فيها على دراسة مشكلات الجماعة الإنسانية ، والتى يربط فيها بين تاريخ الإنسان وتاريخ الحياة على تعدد صورها وأشكالها .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى جميع اللغات الحية تقريباً وتأخر نقله إلى العربية حتى نهض الأستاذ عبد العزيز توفيق فترجمه فيما تيسر له طيلة أربع سنوات من كل ليل وكل نهار كما يقول فى المقدمة . وها هى لجنة التأليف والترجمة والنشر تصدر المجلد الأول منه ، حاوياً ثلاثة من أجزاء الكتاب الثمانية .

ولعل هذا المجلد الأول هو أعسر الأجزاء وأشقها على المترجين لأنه يتناول الحقائق الفلكية والجيولوجية ويضم المعارف المتصلة بالحياة على الأرض قبل الإنسان ، ويفحص آثار الإنسان البدائى ، ويظهر كيف نشأت أجناس البشرية وتفرقت لغاتها ، وكيف تفتق الذهن الإنسانى عن عمليات التفكير مذ صارت له لغة . وكيف انتقل التفكير بالإنسان إلى البحث البدائى فى الاديان والفلسفة . وكيف نشأت الزراعة والرعى والملاحة . ويتتبع المدنيات الأولى من آشورية وبابلية ، ومصرية ويونانية ، ويبين خصائص هذه المدنيات ومظاهرها ويتغلغل فى مجتمعاتها . فالكتاب كله تاريخ اجتماعى للانسان . ولهذه الأبواب مصطلحات علمية لم ينقل بعضها إلى لغتنا العربية بعد ، أو لم يتفق المترجمون عليها . وقد بذل مترجم هذا السفر عناء كبيراً فى نقل هذه المصطلحات .

وويلز وإن كان على النشأة والتربية والنظرة ، إلا أنه صاحب أسلوب ممتاز ، جعله فى الطليعة من كتاب عصره وأدبائه ، وهو يعالج التاريخ فى هذا الكتاب بطريقة علمية لم يسبق أن تهيأت لغيره من كتاب التاريخ . والذين يطالعونه يقدرون له هذه المزية فضلا عن الأصالة فى التناول والآداء ؛ وهو إلى ذلك يقدم إلى القارىء ضروباً من التشويق والامتاع لا نظير لها فى كتاب آخر من كتب التاريخ العامة والخاصة على السواء . نرحب كل الترحيب بهذا الجزء راجين أن تبادر لجنة التأليف إلى إصدار أجزائه الأخرى ليأخذ مكانه اللائق به فى المكتبة العربية وهى أحوج ما تكون إليه وإلى أمثاله من جليل المؤلفات ، مقدرين للمترجم ما بذل فى تعريب هذا المؤلف الضخم من عناء وجهد . وبعد فهذا كتاب جليل يجب ألا تخلو منه مكتبة كل أديب وكل مثقف .

الخفيف

الخزف الاسلامى المبكر

تأليف الأستاذ أرنلين

يعتمد مؤرخو الحضارات على الخزف لقياس مدنيات الأمم ، فهو من أولى الصناعات التى تمتزج بحياة الإنسان وتتصل بأهم أسباب معاشه ، أعنى بها طعامه وشرابه .

والشرق موطن الخزف كما هو موطن الحضارات والثقافات .

ولما كانت الحضارات تستقر أولا على ضفاف الأنهار — والنيل أقدمها وأعرقها — فقد رأينا المصريين القدماء يحرزون قصب السبق فى صناعة الخزف بل لقد توصلوا إلى استخدامه فى تزيين جدران إحدى قاعات الدفن فى هرم زوسر بصقاره فى أواخر الألف الثالث قبل مولد المسيح ، وهو أقدم ما نعرف عن استخدام الخزف فى تغطية الجدران ، بل لعله أقدم ما نعرف عن الخزف المطلى بالمينا جميعاً .

لهذا اهتم العلماء بالخزف فكتب عن الخزف الإسلامى من المصريين على بك بهجت ، ثم الدكتور زكى محمد حسن . ومن المستشرقين فييت و كونل ولام ممن خدموا جامعة فؤاد الأول ، وغيرهم كثير لا داعى لذكرهم ، حتى وصل إلى أيدينا أحدث المؤلفات بقلم الأستاذ أرثرلين أحد رجال متحف فكتوريا وألبرت

والمؤلف عالم وقف دراساته على الخزف ؛ فكتب عن الخزف اليونانى والخزف الفرنسى ، ثم ها هو يكتب عن الخزف الإسلامى فيلم به إلماماً شاملا هادئاً ، ويعالج المشاكل القائمة فى تاريخ الفن بقوة ، ويطلعنا على تمكنه ورسوخه ، فلا يدفع به البحث إلى مزالق الهوى كما حدث للأستاذ بتلر فى مجلده الضخم « الخزف الاسلامى » .

وتناول المؤلف الدول الإسلامية فى مواطنها كلا على حدة ، فيما بين حدود الهند ووادى النيل ؛ فيبدأ بترجمة سريعة للنهضة الفنية والأحداث السياسية التى مهدت لها وأحاطت بها ، ثم يعكف على الأساليب الفنية فى صناعة الفخار والخزف ونقشه وتزيينه وتلميمه بالمعادن والمينا فيقتلها بحثاً ، ثم يعرض لنا المراحل المختلفة التى يمر بها كل لون من ألوان هذا الفن الجميل من ناحية الصناعة ، ويكشف عن المواد الأولية ومزجها وحرقها والتصوير عليها حتى تخرج تحفة فنية .

والأستاذ (لين) منصف للفن والفنانين ، فهو يحدثنا عن التأثيرات الفنية الغريبة عن الإسلام كالبيزنطية والساسانية والصينية ، وكيف تمكن المسلمون من استيعابها جميعاً ومزجها مزجاً هيناً لطيفاً وكيف أضافوا إليها من ذوقهم الحساس وروحهم الشاعرة حتى أخرجوا منها عصارة فنية طيبة تفوح بأريج عبقرية الفنان المسلم . وكيف رسم الفنان المسلم خطوطاً واضحة لفنه تخلق له طابعاً فذاً فريداً له مميزاته الخاصة وشخصيته الواضحة ثم يخلص المؤلف من هذا إلى المقارنة بين مختلف المدارس الفنية فى العالم الإسلامى فيبين خواصها ومميزاتها بوضوح وجلاء بعيدين عن التعقيد الذى يعمد إليه عادة الفنانون .

ويؤمن الكاتب بالرأى القائل بأن الأحاديث النبوية الشريفة التى تنهى عن استعمال الذهب والفضة كان لها أكبر الأثر فى سمو هذه الصناعة وبلوغها ذروة المجد : فإن الخلفاء التمسوا فى أوانى الخزف ما يختلف مادته عن الذهب والفضة ولا يقل عنها رقة وفخامة وجمالا . ثم ما صحب عصر « النهضة الإسلامية فى دولة بنى العباس من تشجيع للعلوم والفنون ، جذب إلى بغداد وسامرا عباقرة الخزفيين من جميع بقاع العالم الإسلامى وأنشأوا مصانعهم حولها وأغدق عليهم الخلفاء ما شجعهم على التفنن والاتقان » .

أما فى مصر الفاطمية فللمصريين فخر إنشاء مدارس فنية تتمتع بذاتية لامعة تنافس بها سائر المدارس حتى فى إيران نفسها ، وقد أصيب فنان الفاطميين برعشة من رعشات الفن الوافدة أوحت إليه من خزف الصين الذى كان زهرة أسواق الخزف فى العالم .

وأما من ناحية موقف الإسلام من التصوير ، فقد وافق على الكراهية التى أشاعتها الأحاديث الشريفة ولم يأت خبر تحريمها فى القرآن الكريم . على أن الخلفاء لم يتقيدوا كثيراً بهذه الكراهية ، سواء فى ذلك السنيون والشيعة .

ولما بدأ المغول يكيلون للضربات القاسية المتلاحقة للعالم الاسلامى فى مطلع القرن الرابع عشر وقف بنا البحث عند هذا الحد . فقد انتهى المؤلف من الكلام عن الخزف الإسلامى المبكر ويعدنا بأن يتناول ما يلى ذلك فيما يتبع من مؤلفات .

وبالكتاب أكثر من ٢٥٠ صورة ضوئية — أربع منها ملونة كما فى الأصل — مبين عليها مقاسات التحف وتاريخها وأماكن عرضها . وقد أخرجته مؤسسة (فابر أند فابر) إخراجا لا يقل أناقة عما كنا نراه من كتب ما قبل الحرب الأخيرة التى كانت السبب فى حبس التحف فى المخابىء ، وتعطيل الانتاج الفنى طوال هذه السنين .

ولنا أن نزجى التهنئة إلى الأستاذ المؤلف لتوفيقه فى بحثه الذى يهم كل متتبع لسيرة الحضارة الإسلامية وإنتاجها الفنى الفياض وكل مشتغل بالفن أو كاف به .

مصطفى كامل إبراهيم
وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

حياتنا اليومية وعلاقتها بالقانون

تأليف الأستاذ كامل البهنساوي بك

القاضي بمحكمة مصر المختلطة

ليس أدل على صدق القول المأثور « يعرف الكتاب من عنوانه » من هذا الكتاب وعنوانه « حياتنا اليومية وعلاقتها بالقانون » وقد أذاعه مؤلفه الفاضل بالراديو قبل أن يضم فصوله في كتاب تتداوله الأيدي ، وهو ينبه فيه إذهان الناس إلى حقوقهم وواجباتهم ، ويرشدهم إلى السبيل الموصل إلى معرفة مالابد من معرفته لأوليات القانون ، فقد شرح المؤلف أهمية القانون وعلاقته بالناس ، وبسط معنى « الحق والواجب وأساسها وعلاقتهما بالقوة » ثم نظر نظرة إجمالية تاريخية تشمل الأدوار التي نشأت فيها علاقة القانون بعلم الاجتماع والأطوار التي تحول إليها ، وتكلم في « كيف بدأ الإنسان يعرف حقوقه وكيف تكونت هذه الحقوق ، وإن القواعد القانونية هي في حقيقتها إما اقتصادية أو أخلاقية ، وقد تقرر لها جزاء مادي يسمى بالإكراه الاجتماعي ، وهذا الجزاء إنما هو رد فعل في نفس الجماعة ضد المخالف لها ، وأساسه شعور الفرد بالعدالة وإيجابها على أهل بيئته » .

وحدثنا عما أفضى إليه التطور في الدولة الواحدة من وجود السلطات الثلاث التي تسيرها وهي ، التشريعية والقضائية والتنفيذية ؛ ثم نظر نظرة في مختلف الشرائع القديمة والحديثة المتولدة من عوامل الثقافة الاجتماعية كالشريعة اليونانية والرومانية والإسلامية ثم الفرنسية ، وعن النظام الحكومي الذي يتولى خدمة القوانين وتعديلها وتنقيحها وتطبيقها وتفسيرها مما تقدم به السلطات التشريعية إصداراً ، والقضائية تفسيراً ، والتنفيذية إجراء وتطبيقاً ثم أوضح ما انتهت إليه الحال في مصر بعد تقرير الدستور فيها من تقديس سلطة الأمة ، وشرح شرحاً جلياً الجهاز الدستوري والبرلماني ، وذكر كيف جمعت القوانين في مصر .

في الكتاب فصلان : الأول فيما آل إليه القضاء في مصر من مدني وتجاري وجنائي بعد أن كان محصوراً في المحاكم الشرعية إلى أن تولى حكم البلاد محمد علي الكبير ، وما كان من إنشاء مجلس الأحكام ، ثم في قيام المحاكم المختلطة في عهد الخديو إسماعيل والمحاكم الأهلية وما كانت هذه المحاكم الوطنية في بدئها وما انتهت إليه اليوم . والثاني بيان لأقسام القوانين من الضابط للرابطة الأولى فيما بينها ويسمى القانون العام ، ومنه يتفرع القانون الأساسي ، أي الدستور والقانون الجنائي ويلحق بهما تحقيق الجنايات ؛ إلى القانون الخاص ، ومنه يتفرع القانون المدني والتجاري ويلحق بهما قانون المرافعات .

ثم شرح واف في القانون المدني ، والبحث في طبيعة الأموال المنقولة والثابتة والفرق بينهما ، والحقوق التي يمكن أن تقرر عليها وكيفية اكتسابها ، ومتى تكون ملكية الشيء صحيحة وجائزة قانوناً ، ومتى لا تكون .

وقال في واجبات التجار « يجب على التاجر أن يمسك دفاتر منظمة ، ويعد » دفتر يومية يشتمل على بيان ماله وما عليه ، وعلى بيان أعمال تجارته ، وبيان ما اشتراه أو باعه ، أو قبله أو أحاله من الأوراق التجارية ، وما أنفقه على منزله شهراً فشهراً ، وعدد الروابط القانونية بين الناس ومنها « الشخصية ، والأهلية ، ومحل الإقامة ، والشخصية المعنوية أو الاعتبارية ، والميلاد والوفاة ، وفي المجمل لم يترك المؤلف ناحية من نواحي حياتنا وعلاقتها بالقانون لم يتناولها قلمه بالشرح الوافر والتبسيط الشامل الواضح

إن في الناس من يتوهم أن لا حاجة به إلى معرفة القانون ، وقد أوضح المؤلف البارع في كتابه القيم هذا وبيانه السليم بطلان هذا الوهم لأن ضرورات الحياة الاجتماعية ومستلزماتها تضطرنا إلى السير في طريقها القديم ، وليس سبيل حياتنا الحاضرة سوى مواد مستمدة من قوانين المجتمع ومن صنع الشعب .

يقول المشرع إن القانون إدارة منظمة غايتها مصلحة الجماعة الإنسانية ، ومصلحة الفرد . ويقول الرجل غير المتشرع أن القانون أداة تحايل تمكن القوي من الضعيف والأبرع من البارع ، والغني من الفقير ، والسيد من الأجير . ويقول رجل الفكر : الويل للأمة التي يتحايل سراتها على القوانين .

ح . ز

القصص

قلــــب موزع

للكاتب أنطون تشيكوف

بقلم الأديب كمال الدين الحجازى

عادت « ناديا زلينينا » وأمها من الملهى بعد أن شهدت إحدى الروايات ، وعندما دخلت غرفتها خلعت ملابس السهرة وأرخت شعرها وبدأت تكتب رسالة إلى حبيبها : « أحبك .. ولكنك لاتحبنى .. أجل لا تحبنى » ولما كتبت ذلك ابتسمت طويلا .

كانت ناديا فى السادسة عشرة من عمرها ، وكانت فتاة غريرة لم يطرق الحب قلبها ، إلا أنها كانت تعلم أن « جورنى » الضابط و « جروندف » الطالب كانا يحبانها . ولكنها بعد مشاهدتها الرواية فى الملهى بدأ الشك يتسرب إلى قلبها فى حبهما لها ، وكم تمنت لوكانا يكرهانها حتى تصبح سعيدة . فما أجمل أن يحب المرء شخصاً ويتهالك فى حبه ، بينما الآخر لايبادله ذلك الحب ! إن بطل الرواية « أونيجن » كان محقاً عندما كان يهزأ بالحب ! بينما كانت « تاتيانا » تؤمن به . وقالت ناديا فى نفسها : ترى لو أحب كل منهما الآخر حباً شديداً هل يكونان سعيدين ؟ لا بل اعتقد أن السآمة ستنتابهما لا محالة ! ثم واصلت ناديا الكتابة إلى جورنى : « لا .. لا تزعم أنك تحبنى .. إننى لا أصدقك ، حقا إنك شجاع جداً ، ومثقف واسع الثقافة ؟ وأنك تنظر إلى المستقبل متفائلا ، إلا أننى فتاة ساذجة لا أصلح لك ، وأنت تعتقد فى قرارة نفسك أنك لاتستطيع العيش معى . إننى لا أنكر أنك تعلقت بى وأحببتنى واعتقدت أنك وجدت فىَّ فتاة أحلامك ... إلا أنك مخطىء فى هذا الاعتقاد ، وكنت تسائل نفسك : لماذا أحببت هذه الفتاة ! وإننى أعتقد أن طيبة نفسك لا تعترف بذلك وما إن أتمت كلماتها هذه حتى بكت بكاء طويلا ! ولما خف بكاؤها واصلت الكتابة « كم تمنيت أن أرتدى لباس الراهبات وأذهب إلى الدير لولا أننى أخشى أن يكون ذلك عبئاً ثقيلا على أمى . . وعندها تستطيع أن تحب فتاة غيرى . . آه كم أتمنى الموت !! » وكانت تتساقط دموعها على الطاولة وتشكل أقواساً متقطعة . ثم كفت عن الكتابة وأسندت رأسها على الكرسى تفكر ! كان جورنى جميل الخلق والخُلق، وما أبرعه فى الموسيقى ! وكم كنت أطرب لصوته العاطفى الحنون ! كان يخفى عنى حبه للموسيقى ، ولكننى عرفت ولعه بها ، ولولم يكن ضابطاً لكان موسيقاراً عظيما ! ولما كفت ناديا عن الكتابة . تذكرته وهو يناغيها بكلمات الحب والغرام ... وفجأة شعرت أن نفسها تكتب إلى حبيبها « جرونسدف » الطالب « إنه طالب ماهر ، وكان يسهر معنا بالأمس ، وكنا سعيدين حقاً » ثم مدت ذراعيها على المنضدة وأحنت رأسها ، فتذكرت أن جرونسدف يحبها وله الحق أن ينال فى كتابتها ما هو أهل له مثل جورنى . وشعرت أن طيفاً بدأ يداعب خيالها فأحست بسرور لم تمهده قبلا وانثالت عليها الذكريات بشدة ، وقد سرى هذا السرور من صدرها إلى يديها ورجليها ، فكأن نسيما عليلا داعبها وحرك شعرها فارتجفت ذراعاها فضحكت ضحكة هادئة ، فاهتزت المنضدة والمصباح كأنهما يشاركانها الفرح !! وكانت الدموع تتساقط على الرسالة ... ثم بدأت الذكريات تتوالى عليها كرة أخرى عن الطالب وحبه لها ، فتمددت هذه الذكريات فى رأسها وتغلبت عليها وأصبحت موزعة بين جميع الأشياء ، فبينما هى تفكر فى أمها إذ بها تفكر فى الشارع وفى قلمها وفى البيانو ، وكانت سعيدة فى تفكيرها ووجدت أن كل ما يخطر على بالها حسن وجميل ! وكانت تشعر أن السعادة تناديها قائلة : « ليس هذا كل شىء . . بل ستشعرين بسعادة أكثر فى الغد ، سيهل الربيع والصيف وسيذهب الحبيبان معك إلى «جوربكى» بصحبة أمك ، وسيزورك جورنى فى عطلته ، ويسير معك فى الحديقة فينتعش حبكما ، كما سيزورك جرونسدف وستلعبان معاً لعبة الكركت ويقص عليك قصصه الحلوة اللذيذة » ...

وعندما وجدت نفسها تسير فى الحديقة وتخيلت جورنى يسير معها فى ظلمة الليل ، ترعاهما النجوم وتحجبهما الأشجار عن أعين العذال ! فضحكت لهذه التخيلات الجميلة وتمنت لو تحققت فى الحال . ثم عادت إلى فراشها ولم تدر كيف توزع سرورها وفرحها بالقسطاس فقد تغلبت عليها ! فنظرت إلى تمثال المسيح المعلق فى صدر غرفتها وقالت : « يا إلهى ... يا إلهى ، كم أقاسى ! » ...

« القدس » كمال الدين الحجازى



العدد ٧٦٣ — الاثنين ١٦ فبراير ١٩٤٨ — السنه السادسه عشره

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥١٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 763
Lundi — 16 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ١٦ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أسـئلة في سؤالين!

للأستاذ عباس محمود العقاد

سؤال عن الله، وسؤال عن «الفاروق» خليفة رسول الله.

أما السؤال عن الله فهو من الأديب «عبد الستار شمس الدين» الطالب بالجامعة الأمريكية في بيروت، وفيه يقول: «إن الدكتور عبد الرحمن بدوي ألقى محاضرة عن الجانب الصوفي من حياة النبي في قاعة (وست) بالجامعة الأمريكية فقال: إن محمداً رأى ربه عند ما بلغ الغاية من عبادته الصوفية، واستشهد بالآيات التالية من سورة النجم... «وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى».

فإذا كان ما قال الله صحيحاً فهل الله جسم؟ وهل هذه الصفة الجسمية تجعله واجب الوجود؟ وهل تتعارض هذه مع الآية: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار».

والمشهور المتفق عليه بين المفسرين — ومنهم أهل السنة والشيعة والفلاسفة — أن المقصود بالرؤية هنا هو الروح الأمين رسول الوحي جبريل: «إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى».

فالإمام الرازي وهو من الفلاسفة يقول: «والمشهور أن هو ضمير جبريل... والظاهر أن المراد محمد صلى الله عليه وسلم. معناه استوى بمكان — وهو بالمكان العالي رتبة ومنزلة في رفعة القدر — لا حقيقة في الحصول في المكان. فإن قيل: كيف يجوز هذا والله تعالى يقول: ولقد رآه بالأفق المبين إشارة إلى أنه رأى جبريل بالأفق المبين؟ نقول: وفي ذلك الموضع أيضاً نقول كما قلنا هاهنا أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وهو بالأفق المبين، يقول القائل: رأيت الهلال. فيقال له: أين؟ فيقول: فوق السطح. أي أن الرائي فوق السطح لا المرئي».

والشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء الإمامية يقول في مجمع البيان: «معناه: ولا يتكلم بالقرآن وما يؤديه إليكم من الأحكام إلا بوحي من الله يوحى إليه أي يأتيه به جبرائيل وهو قوله: علمه شديد القوى يعني جبرائيل، أي القوي في نفسه وخلقته، عن ابن عباس والربيع وقتادة».

وهذا أيضاً هو المعنى المشهور بين أهل السنة من الأقدمين والمحدثين.

أما رؤية الله — من حيث هي بحث مستقل عن تفسير هذه الآية — فهي موضوع كثر فيه الخلاف بين المعتزلة والمتكلمين.

فالمعتزلة عامة يمنعون الرؤية لأنها في رأيهم لا تكون إلا للمحسوس.

والمتكلمون لا يمنعونها، بل يجيزون رؤية كل موجود على اعتبار أن الرؤية نوع من العلم، وأن العلم يحصل بغير اتصال النور بين الرائي والمرئيات.

ومن الفلاسفة من يوافق المتكلمين في ذلك على هذا الاعتبار . قال الفارابي : « الحق الأول لا يخفى عليه ذاته ، وليس ذلك باستدلال . فجائز على ذاته مشاهدة كماله من ذاته ، فإذا تجلى لغيره مغنياً عن الاستدلال ، وكان بلا مباشرة ولا مماسة كان مرئياً لذلك الغير . . . وإذا كان في قدرة الصانع أن يجعل قوة هذا الإدراك في عضو البصر الذي يكون بعد البعث لم يبعد أن يكون تعالى مرئياً يوم القيامة من غير تشبيه ولا تكييف ولا مسامعة ولا محاذاة تعالى عما يشركون » .

ويتكلم أبو البركات هبة الله في كتابه المعتبر عن المدركات بغير الآلات ، فيقول : « إنما يتم إدراكها للنفس بذاتها عند تجردها عن آلاتها بالتفاتها عنها إلى ذاتها » .

ثم يقول : « حتى تنتهي إلى ما يرى كل شيء ويصدر عنه وجود الأنوار بأسرها ، خفيها وظاهرها ، وعلتها ومعلولها ، فهو نور الأنوار كما هو مبدأ المبادئ ، فهو أبعد من أن يرى بالعين ، وأحق بأن يرى ، لكونه الأظهر في الوجود ، والأسبق والأحق بالوجود . فالنفس إذا تطلعت بذاتها نحو مبادئها وعادت بنظرها إلى جهة بدايتها انتهت بنظرها إليه واستعانت بعبادتها القريبة عليه » .

وبهذا المعنى يتفق المتكلمون والفلاسفة على أن رؤية الله علم لا يأتي من طريق العين كما نرى هذه المحسوسات . فليست هي ملازمة للتجسيد ولا تدل عليه . وما البصر الحسي نفسه إلا نوع من الترجمة يمثل لنا ما نحسه ولا يعطينا صورته على التحقيق ، فلا امتناع لقيام معنى الوجود الإلهي في وجدان الإنسان على نحو من إدراك المعاني يخلو من كل تجسيد » .

ولا نعرف أحداً قال برؤية الله حساً غير جماعة المجسمة الذين يفهمون الوجه واليد كما يفهمون أعضاء الأجسام ، وهم فئة لا يؤبه لها في العلم ولا في الدين .

* * *

وأما السؤال عن الفاروق خليفة رسول الله ، فهو من الطالب الأديب «عبد المنعم محمد السيد» بالقسم التوجيهي بمدرسة دمياط الثانوية .

وفيه يسأل عن مهابة عمر فيقول : « أوردت في الكتاب قصة النبي عليه السلام مع زوجته عائشة وسودة حين لطخت كل منهما وجه الأخرى بالحريرة . فضحك النبي ثم أمرهما بأن تغسلا وجهيهما حين مر عمر فناداه النبي ... وهذه القصة اختلفت أنا والأستاذ في تفسيرها لأنني أرى أنها لا تثبت هيبة النبي لعمر — وإن كان ذلك صحيحاً — لأنني أظن ظناً يرتقي إلى مرتبة الاعتقاد أنه لو رأى رجل غير عمر ودعاه محمد رسول الله إلى منزله لأمر زوجتيه بأن تغسلا وجهيهما ... » .

ونحن مع ترحيبنا بهذه الملاحظة وتقديرنا لذكاء الطالب النجيب في التفاته إليها ، نحب أن نلفت نظره إلى شيء غاب عنه ، وهو يتكلم عن المهابة وما إليها .

فالمهم في وصف المهابة وما يماثلها من الأحاسيس النفسية ، كوصف الجمال أو الدهشة أو الخوف ، إنما هو فيما يقوم بالنفس من آثارها قبل كل شيء .

فإذا قال لك أحد : إنني أحببت هذا المنظر لأنه جميل ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تحب جماله ولم تشعر بأنه جميل ، وإن خالفته كل المخالفة في تصور الجمال .

وإذا قال لك أحد : إنني دهشت لهذا الخبر ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تدهش له ؛ لأنه لا يدهش .

وإذا قال لك أحد : إنني أخاف الظلام أو أخاف الفضاء الواسع ، أو أخاف الحجرات المغلقة ، فليس لك أن تكذب خوفه ، وإن جاز لك أن تكذبه في أمثال هذه المواضع ولا تخاف

وكذلك حين تقول لنا السيدة عائشة أنها هابت عمر وشعرت بأن النبي يهابه ، لا يحق لنا أن نقول لها : كلا . ليس في الأمر ما يدعو إلى المهابة .

وينبغي أن نذكر في هذه القصة — على الخصوص — أن السيدة عائشة امرأة ، وأن المرأة أحس لهذه المعاني وأفطن ؛ لأنها خلقت لتحس الرجل ، ولا سيما جانب المهابة والقوة فيه .

فإذا وقع في نفسها أنها هابت عمر وشعرت بمهابة النبي له ، فليس للمهابة دليل نفساني أصدق من هذا الدليل ،

وأشار الطالب النجيب إلى قولنا بعد ذلك : « إن من أدب الرسول عليه السلام أنه كان يرعى تلك الهيبة رضى عنها واغتباطاً بها في نصرة الحق وهزيمة الباطل وتأمين الخير والصدق

وإخافة أهل البغى والبهتان .

ثم سأل : ماذا نقصد بكلمة « أدب » بالضبط ؟ أحسن تقدير هو أم ما ذا ؟

ويبدو لنا أن الذى دعا الطالب النجيب إلى هذا السؤال ما سبق إلى فهمه من أن الأدب لا يكون إلا من صغير لكبير.

والواقع أن الأدب صفة مطلوبة فى كل معاملة ، كما تطلب فى أدب الراعى نحو الرعية ، وأدب السيد نحو الخادم ، وأدب العظيم نحو الصغير .

وأدب النبى هنا هو أدب المربى الذى يتعهد أتباعه ومريديه فيهبى كلا منهم لما يصلح له ، ويقوى فيه ما يصلح مع القوة ، ويضعف فيه ما ليس به صلاح له ولا لغيره . ومهابة عمر إنما هى مهابة للعدل والحق والإيمان ، فمن الخير أن يبقيها له وينتظر منها النفع للدين ومعتقديه .

وفى الأسئلة بقية ترجع إلى جملة من الكلام على صفات الفاروق ، بعد رواية ما قيل عن إقامته الحد على ولده عبد الرحمن

وهذه هى الجملة : « لو كان المصدر واحداً معروفاً بالحذق فى القصص لحسبناها من وضعه وتلفيقه . ولكنها سمعت من غير مصدر موثوق به ، فهى أقرب إلى الواقع » .

والسؤال هو : أنقصد أنها سمعت من مصدر غير موثوق به أم أنها سمعت من أكثر من مصدر واحد موثوق به ؟

وعلى قدر ما كان الطالب موفقاً فى سؤاله عن المهابة خانه التوفيق فى هذه الأسئلة . فلا يمكن أن يكون المقصود مصدراً واحداً ؛ لأننا استبعدنا ذلك ، ولا يمكن أن يكون عدة مصادر غير موثوق بها ؛ لأننا نقول إنها أقرب إلى الواقع ، ولا التباس بعد هذا فى المعنى لأننا ننفى وحدة المصدر ، وننفى وضعه وتلفيقه ونقول قبل ذلك عن القصة « إننا لا نستغربها فى جميع تفصيلاتها إلا حين تطرأ عليها المبالغة التى تتسرب إلى كل خبر من أخبار البطولات المشهورة ... »

وبعد ، فهو على كل حال اجتهاد يدل على حب الفهم والاسترشاد

عباس محمود العقاد

من أحاديث الإذاعة : (*)

حكمة القــــدر

للاستاذ على الطنطاوى

دخل علينا أمس ، وكنا جماعة فى المجلس صديق لنا ، فقال : إن ابنة الأستاذ حبيب زحلاوى قد سقطت من الطبقة السادسة إلى الشارع ! فارتعنا جميعاً ، وأعظمنا الخطب ، وكنا نعرفها طفلة حلوة ملء إهابها الطهر والجمال والنشاط ، فلم نستطع أن نتصورها وهى مزق من اللحم قد اختلط بعضه ببعض ، ووجمنا وكانت سكتة لم يقطعها إلا ضحك صديقنا المخبر ، فعرفنا أنها مزحة ثقيلة من مزحاته ، وأقبلنا عليه نسبه ونشتمه ، فقال : والله ما كذبت عليكم ، ولقد وقعت من الطبقة السادسة ولكنها لم تصب بشىء ، وهى سليمة ...

فصرخنا جميعاً : سليمة ؟ ! قال : نعم والله . ألا تصدقون ؟ إنها وقعت على حبال الغسيل الممدودة بين الشرفتين حبال الطبقة الخامسة ، فماقتها قليلا ، ونفذت منها إلى حبال الطبقة الرابعة ، وما زالت تمر من حبال إلى حبال ، حتى إذا بلغت الشارع ، كانت سقطتها على كومة من الرمال ، صبتها سيارة صباح ذلك اليوم ، فلم تصب بأذى .

ومضى يحلف ويذكر الإيمان أن الذى يرويه هو الصدق والحق ، وأن صبياً لصديق آخر لا أسميه لئلا أسوءه ، وأذكره بمصابه ، وقف على مكتب أبيه يلعب ، فرأى صورة معلقة بالجدار ، فوثب يريد أن يصل إليها ، فوقع على أرض الغرفة ، وكانت من البلاط ، وكانت السقطة على يافوخه ، فمات لساعته ...

وقال معلقاً ومتفلسفاً : ففيم إذن نفكر وندبر ، ما دام لا ينفعنا فكر ولا يفيدنا تدبير ، ولم لا ندع الأمور للقدر ونتركها تجرى فى أعنتها كما يريد لها مجريها ، ما دمنا لا نملك أنفسنا ولا نعرف مصائرنا ، وما دام هذا الكون كالمعمل الضخم ،

(*) سجل فى مصر وأذيع من محطة الشرق الأدنى فى القدس .

المشتبك الآلات ، المتعدد الحركات ، وما نحن إلا مسمار صغير فيه ، نسير كما يسيرنا (مهندسه) الأعظم …

وأسرع واحد منا ، فقال مصدقاً : نعم ، ولكنا خلقنا للشقاء ، وأقمنا هدفاً للمصائب ، ووضعنا في دنيا ما فيها إلا الآلام من سلم منها اليوم وقع غداً ، ومن لم يمت ولده من سقطته مات من علته ، أو مات وهو صحيح معافى ما من الموت بد … ولا بد قبل الموت من البلايا والمتاعب …

وتكلم ثالث ، يرى نفسه من كبار العقلاء ، فأنكر القدر ، وجحد القدر . وزعم أن الحياة ليست إلا عجينة في يدك ، أنت تديرها وتصورها ، فإن صنعت منها تمثال غادة جميلة كان لك جمالها ، وإن عملت منها هولة قبيحة كان عليك قبحها … إن مرضت فمن إقلالك الغذاء وإهمالك التوقى ، وإن دعست[1] فمن تركك الحذر ، وإن افتقرت فمن قعودك عن السعى . . . وأمثال هذا الكلام .

فقلت له : فلم ولد هذا في دار علم وتهذيب فتعلم وعرف سبل الوقاية ، وخطر الأمراض ، ونشأ ذاك في بيت جهل وفساد ، فشب جاهلا فاسداً ، لا يعرف كيف يتقى الداء ، ولماذا دعس هذا من قلة حذره ، وسلم من هو أقل منه حذراً ، وطريقه أشد خطراً ، ولماذا يسعى الرجل حتى تنقطع من السعى أنفاسه ويرجع ولم يصل ولا إلى مثل خفى حنين ، وتأتى الأموال لآخر بلا سعى ولا طلب ؟ …

ولماذا يتاح لهذا النابغة أن يظهر نبوغه ، حتى يكون اسمه تسبيحاً على كل لسان ، وعنواناً في كل كتاب ، ويجهل من هو أحد منه ذكاء ، وأكبر موهبة ، وأظهر استعداداً للنبوغ ؟ .

ولماذا ؟ ولماذا ؟ وألف لماذا ؟ لو شئت لسقتها لك فما استطعت الجواب على واحد منها ، فما أنت في الوجود ، هل تسير أنت الفلك على هواك ، وهل تسوق الكون إلى غايتك . هل أنت إله ؟ إنك ما كونت نفسك ، ولا شققت بيدك سمعك ولا بصرك .

قال : فهل ترى أنت أن الإنسان مسير ؟ .

قلت : ما مسير ؟ وما مخير ؟ وما هذه الفلسفة الفارغة ؟ لقد اشتغل بها البشر ، من يوم بدأوا يفكرون واختلفوا عليها ، وتجادلوا ، ولا يزالون يختلفون ويتجادلون ، لم يصلوا إلى شيء .

وإنما تاهوا في بيداء لا أول لها ولا آخر ، وهاموا على وجوههم في مهمه متشابه الأرجاء ، بلا أمل ولا رجاء ، فذهب هذا ينكر القدر ، ويزعم أن الحياة ملك الإنسان ، وأحداثها صنع يديه ، وراح ذاك ينكر إنسانيته ، ويجحد نفسه ويراه مسماراً في آلة الكون ، وحجراً في جبل ، يدور مع الأرض أنى دارت . وكان هذا متشائماً لا يرى إلا الذى وقع عن الكرسى فمات ، فاعتقد أن الدنيا دار المصائب ، وكان ذلك مغروراً ، لم يبصر إلا التى وقعت من الطبقة السادسة ولم تمت ، فحسب أنه يسلم من كل أذى .

ونحن مع القدر بشر ، لا آلهة ولا حجر ، والدنيا ليست مسرة كلها ولا مصائب ولكنها مسرة وكدر .:.

وأنا كلما فكرت ، وذكرت ما رأيت من الحوادث بعيني ازددت يقيناً بأن أكثر الناس لا يعرفون سر الإيمان بالقدر :

رأيت الترام مرة وقد انكسر مقوده ، فانحط من المنحدر الهائل عند (الجسر) في دمشق ، وكانت امرأة واقفة بين خطيه بعد المنعطف ، فلما رأته مقبلا كالموت النازل ، سمرت رجلاها من فزعها بالأرض ، وجمدت ولم يجرؤ أحد أن يدنو لإنقاذها فيموت معها ، والوقت أضيق من أن يتسع لشيء ، فأغمضوا عيونهم حتى لا يروا . . . فلما وصلت الحافلة إلى المنحنى تركت الخط وسارت قدماً ، فصدمت جداراً من اللابن ضعيفاً ، ومرت منه إلى قوم في دارهم فقتلتهم .

ورأيت مرة بعيني شباباً يمشون تحت فندق (إيدن بالاس) في دمشق ، فرفع أحدهم رأسه فجأة فرأى شيئاً ساقطاً فتناوله بيديه ، وإذا هو صبي رضيع وقع من شباك الفندق ، وهبطت أمه كالمجنونة . وهى امرأة من (حماه) فرأته سالماً ..

ورأى غيرى حوادث مثل هذه الحوادث . وفى كتاب (الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخى) مئات من القصص عمن نجا وهو في لج الهلاك ، وفى كتاب الحياة آلاف من الأخبار عمن هلك وهو على بر النجاة .

فما سر هذه العجائب ؟ وكيف عاشت المرأة وقد فرطت وعرضت نفسها للموت بسيرها بين خطى الترام ، ومات قوم اتخذوا كل أسباب الوقاية ، فدخلوا دارهم ، وأغلقوا بابهم ، فشق الترام الحائط ودخل عليهم فدعسهم ، وكيف وقعت البنت فلم تمت ، وتموت كل يوم مئات من البنات من غير وقوع ؟ .

(١) الدعس : من العامى الفصيح .

إن هذا السر ، سر الله لا يعرفه أحد ، فلا تحاولوا كشف سر القدر ، ولـكن استفيدوا من حكمة القدر . وهذا ما سقت له حديثي .

ستقولون ، وما ذا نعمل ؟ هل ندع أولادنا يسقطون من الشبابيك لا نبالي لأنها إن كانت لهم حياة فسيبعث الله لهم حبالا تمسكهم ، أو رجالا تتلقاهم ، ولنقعد عن السعي لأنه إن كان لنا رزق فسيأتينا بلا سعي ! .

لا يا سادة ، ما هـــذا طريق فهم القدر ، ولا هذه حكمة القدر .

صحيح أن الرزق مقدر ، فهذا وضع له رزقه على مكتبه ، فما عليه إلا أن يقعد على كرسيه ، ويمسك قلمه ، ويكتب اسمه الـكريم كل نصف ساعة مرة على أوراق تعرض عليه ، وهو يشرب قهوته ، ويدخن دخينته ، فيأتيه الرزق ؛ وآخر وضع رزقه في رأس الجبل عليه أن يصعد إليه ، أو في بلد بعيد عليه أن يمشي إليه ، أو في باطن الأرض ينزل إليه ، أو في جوف البحر يغوص فيه ، أو في جيوب الناس يأخذه منها ، ليقبض عليه ، فيتحول رزقه إلى السجن .

كل يأكل لقمة ، ولـكن من الناس من تجيئه اللقمة في صحفة من الفضة ، ومن يأكلها مغموسة بالدم ، أو مبللة بالعرق ، أو ملطخة بالوحل .

لا لانقل ما سر القدر ، فما كشفه حاجة لأحد ، ولـكن ، مادام الأمر مجهولا ، فاسع أن تأكل لقمتك بطبق الذهب ، وجد وابذل الجهد ، فإن لم تصل إلى ذلك وصلت إلى الرضى والتسليم بحكم القدر وهذي من حكم القدر .

والأجل محدود ، لا يدفعه إذا حضر حذر ، ولا يضر إن امتد خطر ، وقد يموت الشاب الصحيح ، ويعيش الشيخ العليل ، ويهلك المتحصن بسبعة أسوار ، ويسلم الجندي الذي يقتحم النار ، أعرف رجلا من أبطال الثورة السورية ، رمى نفسه على الموت خمسين مرة فكان الموت يروغ من تحته ويهرب منه ، ثم انتهت الثورة ، ونام في فراشه ، فاختصم إثنان من السكارى ، فأطلق أحدهما رصاص مسدسه ، فأصاب خطأ رأس صاحبنا الذي نام فما قام .

وروى ابن الجوزي أن رجلا أغمى عليه فحسبوه مات ، ونصبوه على السرير ، وجاؤوا بالغسل ليغسله ، فلما أحس برد الماء ، تيقظ ونهض ، فارتاع الغسل وسقط ميتاً .

فلا تسأل ما السر ، ولـكن جاهد في سبيل الله ، وناضل عن الحق ، ولا تخف الموت في جهادك ونضالك لأن الأجل محدود ، فقد تعيش مائة سنة ولو خضت غمرات الموت ، فاعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لأخراك كأنك ميت غداً ، فتكون قد ضمنت لنفسك الدنيا والآخرة ، وهذي حكمة من حكم القدر .

فالإيمان بالقدر حياة لأنه يفتح لك في كل ظلمة شعاع ضياء ، وفي كل عسرة باب رجاء ، ولولا الرجاء لمات المريض من وهمه قبل أن يميته المرض ، ولقتل الجندي في الحرب من خوفه قبل أن يقتله العدو ، ولولا الرجاء ما كانت الحياة .

ولو تركت الأمور لاحتمالات العقل ، وقوانين المادة ، لما استطعت أن تتنفس الهواء أو تشرب الماء خشية أن تكون فيه جرثومة داء ، ولا ركبت سيارة لاحتمال أن تصطدم ، ولاصعدت بناء لإمكان أن ينهدم ، ولما استولدت ولداً لأنه قد يموت ، ولا اتخذت خليلا لأنه قد يخون ، ولما اطمأننت على مال لأنه قد يسرق ، ولا دار لأنها قد تحرق .

والإيمان بالقدر راحة لأنه لو كان الفشل من عملك وحدك ، وكان النجاح من صنع يدك لقطعت نفسك أسفاً إن فشلت ، أو سبقت .

والإيمان بالقدر عزاء ، لأنك إن قدر عليك المصاب بولد ، فاحمد الله ففي الناس من أصيب بولدين ، وإن خسرت ألفاً ففيهم من خسر ألفين .

فهل عرفتم الآن ما حكمة القدر ؟

هي أن نجد ونعمل ونسعى ، ونبذل الجهد ، ثم لا نحزن إن فشلنا ، ولا نأس إن لم نصل إلى ما نريد وأن نكون مع القدر كمن يجتاز طريقاً فيه السيارات المزدحمات ، فإن ذكر حوادثها وأخطارها وحدها لم يستطع أن يتقدم خطوة ، وإن اعتقد من غروره أنه يستطيع أن يرد عنه السيارة المقبلة ، ويدفع الخطر الآتي ، لم يسلم ، ولـكن إن انتبه وسار بحذر ، فهذا هو العاقل ، ثم إن نجا حمد الله أن قدر عليه النجاة ، وإن أصيب ذكر أنه لم يقصر ، وإنما هو حكم القدر ...

(دمشق) **علي الطنطاوي**

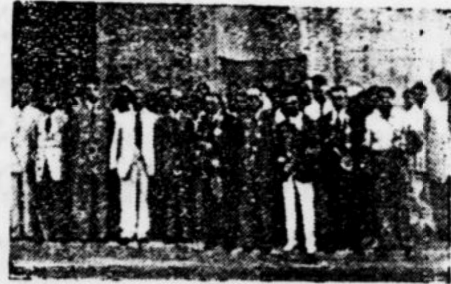
١٨ - رحلة إلي الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض لدي المملكة العربية السعودية

في مدينة لاهور :

كانت الإقامة في هذه المدينة قصيرة وكان المقصد الأول من السفر إليها زيارة محمد إقبال فلم أر كثيراً من مشاهدها القديمة والحديثة.

رأيت من آثارها يوم الأربعاء ٢٤ جمادى الأولى مسجد وزير خان . اجتزنا إليه سوقاً ضيقة فيها مكتبات تجارية . والمسجد كبير له صحن واسع وفي المصلى عقود مزينة بنقوش وآيات من القرآن وأحاديث وكلمات للصوفية ، ومأثورات من الشعر الفارسي والنثر .



وفي المشي ذهبت إلى قلعة لاهور في صحبة أستاذ أمريكي خبير بالآثار . وهي قلعة واسعة كثيرة الأبنية ولكن الخراب غالب عليها ، وكان السيك استولوا عليها حيناً إذ ملكوا في تلك الأصقاع . ولهم فيها آثار لا تدل على براعة في العمارة والتصوير . والذي يستحق الذكر في هذه القلعة نقوش بالفسيفساء على جدار شاهق على يسار الداخل . وفيها مناظر كثيرة لحيوان ونبات ، وهي من آثار جلال الدين أكبر . ويوم الخميس دعينا إلى حفل في الجامعة الأمريكية ، وكنا زرناها يوم الأربعاء فتكلمت فيما بين مصر والهند من صلات ، وذكرت الشاعر الكبير محمد إقبال ، وتكلم السيد علي أصغر حكمت رئيس الوفد الإيراني .

وزرت هذا اليوم قبر السلطان جهانكير وهو على بعد أميال من المدينة في حديقة واسعة كقبور سلاطين المغول التي وصفت قبلا ، وهو طبقة واحدة من البناء مربعة يحيط بها عقود مفضية إلى حجرات . وللبناء مآذن أربع في أركانه . وليس في أضرحة آباء جهانكير مآذن كهذه ، وقد بنى مثلها ابنه شاه جهان في تاج محل ، ولكنه فصلها من البناء وجعلها مسامتة لأركانه كما ذكرت آنفاً .

وظاهر أن ضريح جهانكير كان في تاريخ الآثار تمهيداً لبناء التاج .

وفي الحديقة من الطرق والأحواض والنافورات ، وفي البناء من جمال الهندسة وإحكامها ، ومن التناظر الذي يسيطر على أبنية التيموريين كلها ما قدمت مثلا منه حينما ذكرت أضرحة همايون وأكبر وشاه جهان (تاج محل) .

ويفضي مدخل البناء إلى القاعة الوسطى وفيها قبر السلطان جهانكير رحمه الله وهو من الرمر الملون مرصع بأحجار أخرى جميلة . وكان فيها من الجواهر أكثر من مائة قطعة نزعها السيك حينما تغلبوا على لاهور . وعلى الصحيفة التي فوق القبر أسماء الله الحسنى . وعلى الجوانب كتابة فيها :

« مرقد منور أعليحضرت غفران بناه نور الدين محمد جهانكير بادشاه . » والسلطان جهانكير هو السلطان الرابع من سلاطين الدولة التيمورية .

في دار إقبال وعلى قبره :

ذهبت أنا والصديق الأستاذ علي أصغر رئيس الوفد الإيراني إلى دار إقبال وهي دار صغيرة قابلنا فيها ابنه جاويد وقد سمى إقبال باسمه منظومته « جاويد نامه » وجاويد معناه خالد . وجاويد نامه كتاب جاويد أو الكتاب الخالد ففيه تورية .

ورأينا حجرة كان الشاعر الخالد رحمه الله يكتب فيها أشعاره

ومقالاته وفيها فاضت روحه . وهى حجرة تسع على صغرها ذكريات لا يسعها الفكر .



وجلسنا ساعة نتحدث مع جاويد . وقد أهدى إلينا بعض صور والده .

وفى المشى ذهبنا لزيارة قبر إقبال وهو فى الحديقة المحيطة بالجامع الكبير الذى بناه السلطان محيي الدين الملقب أورنك زيب (زينة العرش) وهو جامع فسيح جداً يشبه جامع دهلى الكبير الذى بناه شاه جهان، ولكن ليس فيه من الحلى والزينة والنقش والتحلية بالرخام المجزع ما فى جامع دهلى . كان شاه جهان كلفاً بتشييد الأبنية وتزيينها وقد بالغ فى التشييد والتزيين . وحسبه تاج محل . وكان ابنه أورنك زيب زاهداً لا يبالى بالزينة والأبهة .

وإلى جانب الجامع على مقربة من مدخله حجرة لم يكمل بناؤها فيها قبر الشاعر الفيلسوف محمد إقبال .

زرنا القبر فى جلال الموت وروعة الذكرى ثم جلسنا فى حفل أعد لاستقبالنا هناك بجانب الحجرة التى فيها الضريح ، وأهديت إلينا منظومات إقبال الفارسية ، وتكلم الأستاذ على أصغر وغيره وألقيت الكلمة الآتية :

إقبال

إقبال يا شاعر الإسلام ! أثرت مقاصده ، وجلوت فضائله وأضأت سراجه ، وأوضحت منهاجه ، ودعوت المسلمين إلى المجد الذى يكافىء دعوتهم ، ويلائم سنتهم ، ويناسب تاريخهم .

إقبال يا شاعر الشرق ، أشدت بمآثره ، ونخرت بروحانيته ، وأخذت على الغرب المادية الصماء ، والغرور والكبرياء . ونقدت قادته فدحضت باطلهم ، وأبطلت سحرهم ، ووقفتهم للحساب العدل وأبنت مالهم وما علهم، ولا سيما فى كتابك «پيام مشرق»

إقبال يا شاعر الحياة ! كشفت عن قواها . وبصّرت بمجراها ومنتهاها ، وعرفت مغزاها ، وأقمت منارها وصواها .

إقبال يا شاعر النفس ! أثرت خفاياها ، وأظهرت خباياها ، وأبنت ما فى « خودى »[1] من كهرباء ، فيها القوة والنار والضياء . ودعوت إلى أثارة معادنها ، واستخراج دفائنها وقلت .

بر كش إين نغمه كه سر ماية آب و كل تست

أى زخود رفته تهى شوز نواى ديكران[2]

إقبال يا شاعر (بيخودى)[3] أوضحت كيف يكون الإيثار ، وكيف ينظم الفرد فى الجماعة .

إقبال يا شاعر الحرية ! أشدت بذكرها ، وأكبرت نعمتها ، ودعوت إليها كاملة ، وأردتها شاملة ، وأبغضت العبودية فى شتى مظاهرها ، ومختلف صورها .

إقبال يا شاعر الجهاد والدأب ، والكفاح والنصب ، قلت إن الحياة جهاد مستمر ، وكفاح لا يفتر ، وإن الحياة فى الموج المائل ، والموت فى سكون الساحل .

إقبال يا شاعر التجديد والتقدم ، قلت إن الحياة حركة متجددة تكره التكرار ، وإقدام دائم يأبى التقهقر ، ودعوت الإنسان أن يمضى قدما فى الحياة مبتكرا مقدما ، له كل حين فكرة . وفى كل ساعة نغمة ، وبينت أن التقدم والابتكار ، هما فرق ما بين العبيد والأحرار .

إقبال يا شاعر الجمال ! صورته فى الأرض والسماء ، واليبس والماء ، وفى الصحارى الجرداء ، والحدائق الغناء ، وفى الصبح والمساء ، والضياء والظلماء ، وصورته فى كل خلق كريم ، وفى كل نزعة سامية .

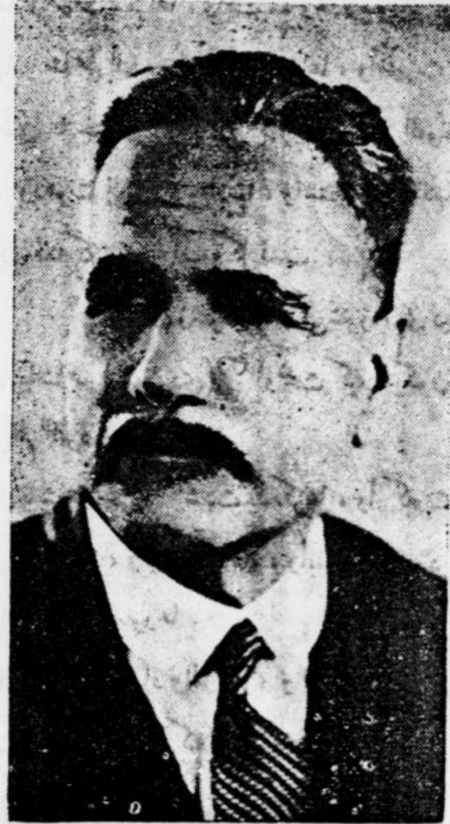
---

(١) خودى : فارسية معناها الذاتية . وقد نظم إقبال منظومة طويلة سماها أسرار خودى .

(٢) معناه : أخرج النغمة التى هى سر فطرتك يا من ضل عن نفسه أخل نفسك من نغمات الآخرين .

(٣) لإقبال منظومة اسمها . بيخودى بنى اللاذاتية .

إقبال ياشاعر الجلال ! جلوت عظمته فى الخالق والخليقة وفى الهمم العــالية ، والعزائم الماضية ، والآمال الكبيرة . والمقاصد البعيدة .



إقبال ! أيها الشاعر الملهم . بانت لك الأسرار ، ورفعت عن الغيب الأستار فرأيت الباطن كالظاهر . وأدركت المستقبل كالحاضر .

إقبال يا شاعر الإسلام ! ويا شاعر الشرق ، ويا شاعر الحياة ، ويا شاعر الإنسانية ، ويا شاعر الحرية والجهاد ، والتجديد والتقدم والأقدام وياشاعر الجمال والجلال .

لقد حييتك على بعد الديار وشط المزار ، وأشدت بذكرك ، وعرفت بفضلك ، وأهديت إليك منظومة اللمعات جوابا لكتابيك ومونخودى وأسرار بيخودى .

وأنا اليوم أحييك على القرب ، وسيان فى عظمتك القريب والبعيد . إن هذا الضياء لايعترف بالمسافات . ولا تبعد عليه الغايات إن هذا الفكر الذى يطوى الآفاق ، ويخترق السبع الطباق ، لاتختلف عنده الأرجاء ، فالقريب والنائى لديه سواء . كان من أمانى أن أزورك فى حياتك ؛ ثم تمنيت أن أزور ضريحك بعد مماتك . وهأنذا أتشرف بأن ألقى أمامك هذه الكلمات ؛ وأودع ضريحك هذه الزهرات (١) .

عرب يهدى لروضك زهرا ذافخار بروضه واعتزاز
كلمات تضمنت كل معنى من ديار الإسلام فى إيجاز
بلسان القرآن خطت ففيها نفحات التنزيل والإعجاز
فاقبلنها على ضآلة قــدرى
فهى فى الحق «أرمقان» الحجاز (٢)

لقد ضمنت آثارك لك الخلود فى هذه الدنيا ، وعند الله جزاؤك فى العقبى جزاء المجاهدين المخلصين .

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .

عبد الوهاب عزام

(١) هذه الأبيات نظمتها فى دهلى ونقشت على لوح من الرخام وحملتها إلى لاهور فوضعت على قبر محمد إقبال .

(٢) سمى إقبال آخر منظوماته « أرمقان حجاز » أى هدية الحجاز ، ولم تنشر هذه المنظومة الا بعد وفاته .

٢ - الفتنة الكبرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

وإذن ، فقد أراد الدكتور طه أن يقول إن الفتنة الكبرى التى أفضت إلى قتل عثمان إنما كانت « فتنة عربية نشأت من تزاحم الأغنياء على الغنى والسلطان ، ومن حسد العامة العربية لهؤلاء الأغنياء » فى ص ١٠٩ فمن أجل تحقيق هذه الكلمة الكبيرة ركب كل مركب فى تصوير الحياة الإسلامية الأولى بعد الفتوح بالصورة التى تنتهى به إلى هذا الغرض وحده دون سواه ، وهو الغنى والمال والسلطان ، وتزاحم الأغنياء على الغنى والمال والسلطان ، وحسد العامة العربية لأصحاب الغنى والمال والسلطان . وأنا — كما قلت آنفاً — لن أحاول أن أنقض هذه الصورة ، ولن أعمل عملا فى الرد عليها إلا بمقدار ما ينبغى فى سياق التحقيق التاريخى لناحية من نواحى هذه الفتنة . ولكن الدكتور كشف عن هدف آخر حين جاء معرض هذه الفتنة ، فنفى خبر عبد الله ابن سبأ اليهودى ، وخبر الكتاب الذى كتب فيه الأمر بقتل رؤوس وفد مصر . وهذا الهدف هو أن ينفى عن اليهود الشركة فى دم عثمان ، والتحريض على قتل الإمام ، فركب مركباً وعراً خالف فيه أسلوب العلماء فى جرح الأخبار ، وكذب الرواة فى شىء بغير برهان ، وصدقهم فى شىء آخر بغير برهان أيضاً ، وهو نفسه ينعى فى كتابه على « الذين يكذبون الأخبار التى نقلت إلينا ما كان بين الناس من فتنة واختلاف » فقال فى ص ١٧٢ : « فنحن إن فعلنا ذلك لم نزد على أن نكذب التاريخ الإسلامى كله منذ بعث النبى ، لأن الذين رووا أخبار هذه الفتن ، هم أنفسهم الذين رووا أخبار الفتح وأخبار المغازى وسيرة النبى والخلفاء . فما ينبغى أن نصدقهم حين يروون ما يروقنا ، وأن نكذبهم حين يروون مالا يعجبنا . وما ينبغى أن نصدق بعض التاريخ ونكذب بعضه الآخر ؟ لا لشىء إلا لأن بعضه يرضينا وبعضه يؤذينا » . بيد أن الدكتور طه نفسه ، قائل هذا الكلام ، قد فعل ذلك فكذبهم حين روى الرواة مالا يعجبه ، وحين رووا ما يؤذيه . وفعل ذلك أيضاً فصدقهم حين رووا ما يروقه ، وحين رووا ما يرضيه . فإن الذين رووا أخبار الغنى والمال والسلطان ، هم الذين رووا أخبار عبدالله بن سبأ اليهودى وأخبار الكتاب الآمر بقتل وفد مصر ، فلم أخذ شيئاً بغير برهان ، ونفى أخاه بغير برهان ؟

والشىء البيّن هو أن الدكتور الجليل أراد كما قال فى ص ١٣٤ أن يكبر المسلمين فى صدر الإسلام « عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء وكان أبوه يهودياً ، وكانت أمه سوداء ، وكان هو يهودياً ثم أسلم لا رغباً ولا رهباً ، ولكن مكراً وكيداً وخداعاً » . وهذا قصد حسن ونية جميلة ، ولكن الحق أحسن منهما وأجمل . وليس يجمل بنا ولا بالدكتور طه أن يغالط فى الحق لشىء يراه هو أو نراه نحن حسناً جميلا . والتاريخ لا يكتب بالتحكم ، وإنما يكتب بالرواية ، ثم بالاستدلال ، ثم ببذل الجهد فى سد الفجوات ، وسبيل ذلك أن تأخذ من الماضى أسباباً وعللا وحوادث ذات خطر ، فإن استقامت أن تمتد معك إلى الحاضر الذى تؤرخه ، فهى حقيقة بأن تكون شيئاً من التاريخ يوشك أن يكون حقاً كله أو بعضه .

ولست أحب أن أعلم الدكتور طه ، ولكنى سأضع بين يديه حقائق لا يدخلها الريب أبداً ، ثم أسأله أن ينظر فيها ، وأن يحكم هو بينى وبينه . وسأختصر القول اختصاراً ، فإن أكثر مادة هذا الحديث مما لا أظن بالدكتور أن يجهله أو يغفل عنه .

فلنعد إلى حديث قديم كان قبل البعثة بقليل ، وكان شديد الخطر فى تاريخ العرب ، وكان يوشك أن ينتهى إلى حديث جليل فى تاريخ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كان يسكن هذه البلدة الكريمة بنو أم واحدة وأب واحد من قبائل الأزد ابن الغوث : أمهما قيلة ، وأبوهما حارثة بن ثعلبة ، وهؤلاء هم الأوس والخزرج ، وكان يعيش بينهم هذا الجيل من اليهود الذى سكن جزيرة العرب ، أو سكن المدينة ، فكان من خبر ذلك شىء لم يكن مثله مثلا بين بنى هاشم وبنى أمية ، وهو الحرب المتطاولة بين هذين الحيين اللذين ولدتهما أم واحدة وأب واحد ، ويسكنان معاً بلدة واحدة . وظل هذا القتال بين الحيين متجدد النيران إلى أن كان « يوم بُعاث » وهو كما قال ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١٣٥ : « آخر وقعة كانت بين الأوس والخزرج فى الحروب

التى كانت بينهم . . . وكانت هذه الوقعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قد تنبأ ودعا إلى الإسلام ، ثم هاجر بعدها بست سنين إلى المدينة » .

ونشأة هذه العداوة العجيبة بين الأخوين : الأوس والخزرج، واقتتالها هذا القتال المر المنيف حقباً متطاولة ، ودخول اليهود فى الحلف ، بعضهم مع الأوس وبعضهم مع الخزرج ، لا يصيبهم من أذى القتال بين هذين الحيين الأخوين إلا القليل ، وتداعيهم باسم اليهودية إذا حزب الأمر ، فيكونون يداً واحدة على هذه العرب ، ليس له معنى إلا أن تكون هذه اليهود هى التى أرّثت الحرب والعداوة بينهما لتؤثّل فى هذه الأرض أموالا وآطاماً وحصوناً تكون لها عدة وقوة ، وتظهرها على أهل البلاد المالكين لها ، وتصرف وجه هؤلاء القوم عن الزراعة والتجارة وتثمير الأموال ، وتبقى يهود هى صاحبة الزراعة والتجارة وتثمير الأموال بالربا وما كل السحت . وهذا عمل يهود فى كل جيل ، وفى كل أمة ، وفى كل زمان إلى يوم الناس هذا .

ثم لا يلبث أن يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً من الخزرج عند العقبة ، وكانت يهود كما قال ابن اسحاق ، قد عَزُّوهم ببلادهم ، أى غلبوهم عليها واستأثروا بها ، فلما دعاهم رسول الله إلى الإسلام قالوا له : « إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك . فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك ، فلا رجل أعز منك » . فيؤلف الله قلوب الأوس والخزرج ، وهما الأخوان ، على الإسلام فيفشو فيهما فُشواً ظاهراً . ولا يلبث رسول الله أن يهاجر إلى المدينة ، فلا يبقى حى من الأوس والخزرج إلا دخله الإسلام وظهر فيه . فيمر شاس بن قيس من يهود بنى قينقاع — وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم — على نفر من أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج ، فيغيظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية ، فيقول : « قد اجتمع ملأ بنى قيلة (يعنى الأوس والخزرج) بهذه البلاد ! لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار » . فيأمر فتى شاباً من يهود أن يجلس إليهم فيذكر « يوم بعاث » وما كان قبله ، وينشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار . فيفعل هذا اليهودى ، فإذا الجماعة المؤتلفة على الإسلام تتنازع وتتفاخر ، فيتواثب رجلان من الأوس والخزرج ، فيقول أحدهما لصاحبه : « إن شئتم رددناها الآن جَذَعة » ، ويغضب الفريقان جميعاً ويقولون : « قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة (يعنون مكاناً بعينه) » ويتداعون : « السلاحَ السلاحَ » . ويخرجون إلى موعدهم ، فيبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فيخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى إذا جاءهم قال : « يا معشر المسلمين ! الله الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به ، وقطع عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ؟ » فيعرف الأنصار، أوسهم وخزرجهم ، أنها نزعة من الشيطان وكيد من « عدوهم » ، فيبكون ويتعانقون ، ثم ينصرفون مع رسول الله سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس اليهودى . (عن ابن اسحاق وغيره) .

وأنا ألست أروى لك هذا إلا لتقف على كيد يهود كيف كان؟ ولتعرف كيف كان ترفقهم إلى إثارة العداوة بين هذين الحيَّين منذ قديم ؟ ولتنظر لم كانوا يحبون أن تظل هذه العداوة حية متوقدة ليأكلوا من ثمراتها مالا وغلبة وسلطاناً على العرب ؟ ولتقارن هذا كله بما لا يزال يجرى إلى أيامنا هذه على يد هذه الشرذمة الخبيثة من بنى إسرائيل !

ثم ينزل الله جلت أسماؤه فى أمر هذه الفتنة يخاطب المسلمين الذين كان رسول الله بين أظهرهم، لم يمت بعدُ: «يا أيها الذين آمنوا إن تُطيعوا فريقاً من الذين أُوتوا الكتابَ يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرُون وأنتم تُتلى عليكم آياتُ الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم ».

وإذن ، فنحن لا نستطيع أن نكبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج عن أن يطيعوا فريقاً من اليهود حتى كادوا يردونهم بعد إيمانهم كافرين ، ولا أن ننزههم عن ذلك وهم تُتلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله ! كما فعل الدكتور طه حين أراد أن ينزه أهل الصدر الأول من الإسلام فى سنة ٥٣

من الهجرة بعد أن قبض الله إليه نبيه بأكثر من عشرين سنة ، وبعد أن نشأت ناشئة من الشباب لا يدّعى أحد أنهم جميعاً كانوا أحرص على إيمانهم من أصحاب محمد وأنصاره الأولين . وهذا خبر واحد رويته ، فإن شئت أن أروى الأخبار كلها لما وسعني كتاب أشرح فيه أمر هذه الفتن التي أرّثتها اليهود في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يسعني أن أنص على كل آيات كتاب الله التي نزلت في أخبار هذه الفتن . وحسبي أن أذكر من نسى أن أخبار المنافقين والآيات التي نزلت فيهم ، كانت كلها في المدينة لا في مكة ، وأن ذلك دليل على أن النفاق كان حيث تكون يهود ، وأن « الأعراب » لم يذكروا إلا في السور المدنية مقروناً بالنفاق والمنافقين ، وأن قول الله تعالى في سورة براءة (الأعرابُ أشد كُفراً ونفاقاً) نزلت في بني أسد وغطفان ، وهم كانوا حلفاء يهود في الجاهلية وفي زمان الإسلام . وهذا شيء أرجو أن يتذكره الدكتور حتى نعود إليه .

ولم يكن كل هذا المكر والكيد والإيقاع عملا جاء عفو الخاطر من يهود ، ولا كان مأتاه من إساءة لحقتهم من حلفائهم الأوس والخزرج من المؤمنين غير المنافقين ، بل هو شر انطوت عليه يهود لا يزايلهم ولو أحسن المسلمون إليهم ، وهو حقد وضغينة وكفر وعدوان على أهل هذا الدين ، وهم كما وصفهم الله أشد الناس عداوة للذين آمنوا بمحمد صلوات الله عليه . ودليل ذلك أن رجالا كثيراً من الأوس والخزرج كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية ، فكانوا يصافونهم المودة بهذه الأسباب ، ويستنصحونهم في أمورهم دون أن يشكوا فيهم أو يتوجسوا منهم خيفة . فأنزل الله في محكم كتابه ينهاهم عن فعل ذلك : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذُوا بطانةً من دُونكم لا يألونَكم خبالاً ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تُخفي صدُورهم أكبر ، قد بينا لكمُ الآيات إن كُنتم تعقلون . ها أنتم أولاءِ تُحبونهم ولا يحبونكم وتُؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكمُ الأنامل من الغيظ ، قُل موتُوا بغيظكم إنّ الله عليم بذات الصدور» . وهؤلاء « الذين قالوا آمنا » هم الذين نزلت فيهم الآية السابقة قبل هذه في سورة آل عمران : « وقالت طائفةٌ من أهل الكتاب آمنوا بالذى أُنزل على الذين آمنوا وجْه النهار واكْفروا آخره لعلهم يرجعون » .

وهذه الآية وسبب نزولها يدل دلالة صريحة على أن أهل الإسلام الأول ، كانوا لا يزالون يعدون الحلف بينهم وبين يهود حلفاً صادقاً لا غش فيه ، وأن يهود كانت تظهر المودة وتخفي أشد العداوة وأشد الغيظ على هؤلاء الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم كانوا يتخافتون بهذه العداوة ، وأنهم كانوا يخدعون هؤلاء المؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ، حتى إذا صدّقهم بعض المؤمنين عادوا فأظهروا الكفر ليفتنوهم ويخدعوهم عن دينهم . فإذا صح هذا ، وهو صحيح ، ورسول الله بين أظهرهم ، فهو أحق بالصحة في سنة ٣٥ من الهجرة ، لا نكبر أهل الصدر الأول من الإسلام عن أن يقعوا في مثله وفي أشد منه .

ويستطيع الدكتور طه ، ويستطيع كل من أطاق القراءة ، أن يقرأ كتب السير والمغازى منذ هاجر رسول الله من مكة إلى المدينة ، إلى يوم دعاه ربه إلى الرفيق الأعلى ، فسيجد أنه لا تكاد تنتهي وقعة بدر الكبرى بالنصر الأعظم لجند الله حتى يسلم رأس النفاق عبد الله بن أبي ابن سلول وجماعته من المنافقين ، وكانوا أعوان يهود ، ومن يومئذ ينفجر النفاق ويستشرى خطره ، حتى تنزل فيه الآيات الكثيرة ، وحتى يطلع الله رسوله على خبايا نفوسهم وعلى أعيانهم . ومن يومئذ يجاهر بعض اليهود بنقض العهد الذى كتبه رسول الله بينه وبينهم عند مقدمه المدينة ، فيكون مقتل اليهودى أبي عَفَك ، ثم تكون غزوة يهود بني قينقاع ، ثم استعانة أبي سفيان بن حرب بيهود بني النضير ينقلون إليه أخبار نبي الله . ثم يكون ما كان في يوم أحد من خروج عبد الله ابن أبي ابن سلول المنافق مع رسول الله حتى إذا بلغ رسول الله أُحُداً انخزل ابن أبي في كتيبة أشياعه وهو يقول : « أيعصيني ويطيع الولدان ؟ » ، ثم يهزم المسلمون ، فإذا عادوا إلى المدينة شمت بهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه المنافقون ، وأظهرت اليهود القول السيء يقولون : ما محمد إلا طالب ملك ! ما أصيب هكذا نبي قط ! أصيب في بدنه ، وأصيب في أصحابه : ثم لا تمضي خمسة أشهر حتى يحاول يهود بني النضير قتل رسول الله غدراً حين جاء منازلهم ، فأتمروا أن يطرحوا عليه صخرة من فوق البيت

الذى هو تحتـه ، فجاءه الوحى بمـا هموا به . ثم يخرج أبو رافع سـلام بن أبى الحقيق اليهودى بعد أشهر إلى « غطفان » ومن حولهم من مشركى العرب ، يغريهم بقتال رسول الله صـلى الله عليه وسلم . ثم ...

ولا تزال تمضى من حدث إلى حدث ، ومن غدر إلى غدر ، ومن نفاق إلى نفاق ، واليهود رأس ذلك كله ، والعاملون عليه ، والموغلون فيه ، إلى أن تنتهى إلى خبر اليهودية التى وضعت السم فى الشاة ودعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ، فأكل من شاتها ثم نبئ أنها مسمومة فلفظها .

فما معنى هذا كله ؟ معناه أن اليهود لم يفتر لهم لسان ولا يد ولا غش ولا غدر ولا خديعة ولا ضغن منذ ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن هذه الشحناء لم تكن عن إساءة لحقتهم من الذين آمنوا بل كانت عصبية يهودية محضاً ، وخليقة مركبة فى طباع هـذا الجنس من البشر ، وأن النفاق كان طرفاً من دسائسهم ومتنفساً لأضغانهم على أهل هذا الدين ، وأن الله قد وصفهم وصف الحق إذ يقول تبارك أسماؤه : « لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أنْ سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولـكن كثيراً منهم فاسقون . لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون »

وهذه الصفة التى وصفهم الله تعالى بها ، لم تنقطع ولن تنقطع ما بقى على الأرض مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وسترى فى الـكلمة الآتية كيف استطاع اليهود أن يفسدوا على المسلمين أموراً كثيرة ، وأن يثيروا فتنـة كادت تذهب بالإسلام كله لولا أن الله قد وعد عباده أن يظهر هـذا الدين كله ولو كره الـكافرون .

محمود محمد شاكر

إسعـــاف النشاشيبى

للأستاذ أحمد لطفى السـيد

اختار الله لجواره فى الأسبوع الماضى الكاتب الشهير إسعاف النشاشيبى زعيم الأسرة المعروفة فى فلسطين منذ القرن التاسع الهجرى إلى اليوم .

ارتقى — رحمه الله — إلى أعظم المناصب الحكومية فى عهد الحـكومتين العثمانية والحاضرة — بجده واجتهاده ، فـكان المفتش الأول للغة العربية فى فلسطين — نظم المدارس وأصلح التعليم فى هـذا القطر الشقيق — ونشر علم العربية عالياً تشهد بذلك مؤلفاته ومقالاته الذائعة الصيت فى العالم العربى — وقـد كان السيد إسعاف بك شديد الحنين لوطن أسرته الأول مصر — فـكان يزورها كلما سنحت الفرصة — وهو فوق ذلك يؤلف فيها الـكتب — ويحيى علماءها وشعراءها وزعماءها — ويتعرف إلى أحيائها وأمواتها ما استطاع إلى ذلك سبيلا — وحادثة وقوفه بين يدي المغفور له سعد باشا معروفة مشهورة .

ونحن بهذه المناسبة نـكشف لقراء الرسالة الغراء عن أصل هذه الأسرة المصرية الـكريمة حتى تقر عين الصديق الراحـل بكلمة وفاء صغيرة من أحد أبنائه المعترفين بفضله ... يتصل أول هذه الأسرة بالشيخ المعتقد أحمد بن رجب النشاشيبى — سمى بذلك لأن أجداده كانوا يحترفون صناعة النشاب — وكان الشيخ أحمد المذكور من رجال السلطان الملك الظاهر جقمق — كان خازنداره الخاص فى أيام إمارته الأولى فى فجر القرن التاسع الهجرى — وتوفى الشيخ أحمد المذكور على عهد المؤرخ الشهير ابن تغرى بردى صاحب كتاب النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة وقد وصفه بقوله : (الشيخ المعتقد أحمد بن النشاشيبى كان خيراً يحب العلماء الصالحين) وترك ابنه الأمير ناصر الدين محمد وهو غرة هذا البيت وواسطة هذا العقد وطراز هذه الحلية

ولد فى مصر سنة ٨٢١ هـ وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم فى صغره وجوده على أشهر علماء عصره ثم اتصل كأبيه بخدمة الملك الظاهر جقمق . وفى سنة ٨٧٥ اختاره الملك الأشرف قايتباى لوظيفة ناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) فدام فى هذه الوظيفة ما يقرب من الثمانية عشرة عاماً ، كانت كلها خيراً وبركة على القدس والخليل وأهلهما . وقد فصل العليمى فى كتابه تاريخ القدس والخليل حكم هذا الأمير لتلك البلاد فقال كانت أيامه كلها مواسم ... وناهيك بهذه الشهادة من شاهد عيان .

وحتى يكون القارىء على بينة من سر حنين المرحوم إسعاف بك لوطن أسرته الأول مصر نفصل له قليلا من أخبار الأمير ناصر الدين فى القدس وكيف استقرت فيها هذه الأسرة المصرية الكريمة منذ خمسة قرون إلى الآن ... قال العليمى فى حوادث ٨٧٣ هـ كثرت الفتن فى القدس بين نائب السلطنة (حاكم القدس) دمرداش وناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) برد بك التاجى واشتد الخلاف بينهما وكثر القيل والقال فأدى الحال إلى انفصال الأخير عن نظر الحرمين الشريفين وعين السلطان قايتباى الأمير ناصر الدين بن النشاشيبى أحد الخازندارية بالخدمة الشريفة (أحد رجال الديوان العالى كما هو متعارف اليوم) للكشف عن أوقاف الحرمين الشريفين بالقدس والخليل وتحرير أمرهما وإصلاح ما فسد من نظامهما لحضر إلى القدس وأصلح ما فسد من أيام برد بك التاجى وعمر المسجد الأقصى وصرف المعاليم (المرتبات) واستبشر الناس بالخير وعد ذلك من بركة الأمير ناصر الدين ثم توجه إلى مصر فى آخر سنة ٨٧٤ هـ وفى سنة ٨٧٥ استقر الأمير المذكور فى نظر الحرمين الشريفين ودخل إلى القدس فى يوم مشهود وشرع فى عمارة الأوقاف بهمة وشهامة وحصل للاراضى المقدسة الجمال بوجوده وكان يكثر من مجالسة العلماء والفقهاء ويحسن إليهم بالبشر والقبول . وفى سنة ٨٧٧ هـ شرع فى عمارة الصخرة الشريفة وانتهى العمل فيها فى سنة ٨٧٨ هـ وفى هذه السنة خلع عليه السلطان قايتباى وعلى القاضى شهاب الدين بن عبيسه ووهبهما ألف دينار وحضر الاثنان إلى القدس وعليهما خلعة السلطان فكان يوماً مشهوداً ...

وفى سنة ٨٩٢ هـ اشتد الغلاء بالقدس والخليل وساءت سيرة نائب السلطان خضر بك وكان يناصره قاضى المالكية شرف الدين بن يحيى المغربى فكثرت الشكاوى فى حقهما فعزل الأمير ناصر الدين القاضى بناء على أمر جاءه من القاهرة فلما كانت سنة ٨٩٣ هـ توجه خضر بك نائب السلطنة والأمير ناصر الدين ناظر الحرمين الشريفين إلى القاهرة ومثل كلاهما بين يدى السلطان فمزز السلطان خضر بك وأمر بعزله والتمس الأمير ناصر الدين من السلطان أعفاءه . من الخدمة فتوقف السلطان ولكن الأمير ناصر الدين ألح فى طلب الاستعفاء فأعفاه السلطان من الخدمة كارها لنزاهته وعفته واستقامته .

قال الشيخ العليمى ودخلت سنة ٨٩٢ والوظيفتان شاغرتان النيابة والنظر قال ثم عين السلطان دقاق فى نظر الحرمين فكان بعكس سلفه ظالما فاجراً .

قال السخاوى فى كتابه الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع كان الأمير ناصر الدين بن النشاشيبى من أهل الخير والصلاح حفظ القرآن الكريم وهو صغير وجوده على ابن كوزلبنا والزين طاهر وأخرين وبعد أن ذكر خدماته فى القدس والخليل قال وصرفه السلطان قايتباى بدقاق . والعليمى يؤكد أن النشاشيبى هو الذى استعفى من تلقاء نفسه وأن السلطان ألح عليه فى البقاء فى نظير الحرمين فرفض ألخ وصاحب الدار أدرى .

ولم ينس الأمير ناصر الدين تلك البلاد التى صرف فيها زهرة العمر فرجع إلى القدس وتاثل الدور والقصور والحقول والبساتين وانتهت الأسرة كلها بالانتقال من مصر إليها منذ القرن التاسع إلى الآن ...

***

وبعد فهذه لمة صغيرة عن أصل هذه الأمير الشهير والكاتب النحرير والحجة الثبت واللغوى الضليع عظيم القدس والخليل البلد المظلوم وموطن القبر الموهوم الذى من أجله تقاتل الأخوان كأنهما وحشان قرونا وأجيالا حتى اصطبغت الأراضى المقدسة بالدماء فشربتها شرب الهيم ولم يغن فيها دعاء ابراهيم وهى اليوم كما كانت بالأمس وا أسفا والفرق فى الإسم فقط فتلك حروب صليبية وهذه حروب صهيونية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أحمد لطفى السيد

طرائف من العصر المملوكي :

ابن حجر الأديب

للأستاذ محمود رزق سليم

أعني بابن حجر هنا ، شهاب الدين أبا الفضل أحمد العسقلاني المصري . المنسوب إلى عسقلان من بلاد الشام ، والمولود بمصر — الفسطاط — والذي عاش بين سنتي ٧٧٣ هـ ، ٨٥٢ هـ . فإن هناك ابن حجر آخر ، وهو الهيثمي من علماء العصر العثماني .

أما ابن حجر العسقلاني فهو أشهر من أن يشار إليه ، وأجل من أن تكتب عنه عجالة ، وأحرى أن تؤلف فيه رسالة مسهبة فياضة تنم عن علمه وتحدث عن فضله . فإن آفاق علمه واسعة ، وفجاج فضله رحيبة . وهو في الجبهة الأولى بين علماء العصر المملوكي . وفي الصف الأول بين نابغيه ، وممن نبه العصر بنباهته ، وسما بسمو مكانته .

أخذ العلم عن أئمة زمانه كالزين العراقي ، والسراج البلقيني ، وابن الملقن والإبناسي ، والعز بن جماعة ، والمجد الفيروزابادي ، والعماري والبدر البشتكي — وطوف في آفاق مصر ، وربوع الشام ، وجال في نواحي حلب ، وحج إلى بلاد الحجاز ، وزار اليمن ، فأفاده التجوال علماً غزيراً وأدباً جماً وخبرة صائبة ومعرفة سديدة .

وفره في العلم حتى تصدر للإفتاء وقعد للتدريس وعكف على التأليف . ووكلت إليه مناصب عدة من مناصب الدولة من بينها قضاء الشافعية ، فنبه فيها شأنه بكفايته ومهابته . فعظم في عيون أهل جيله وعلى رأسهم السلطان الملك المؤيد شيخ صاحب جامع المؤيد المشهور ، الذي كان ابن حجر في مقدمة هيئة التدريس فيه.

لم يقتصر بروز ابن حجر على مادة علمية واحدة بل تجاوزها إلى غيرها . فقد أغرم بالحديث النبوي الشريف فتلقاه عن حفاظه . وظل يجمعه ويحفظه حتى غدا أحفظ أهل زمانه . وعني بالتأليف فيه وفي تاريخ رجاله ، فوضع كتباً عدة منها كتابه المشهور « فتح الباري » الذي شرح فيه صحيح البخاري ، وقدمه بمقدمة جليلة سماها «هدى الساري» . قال بعضهم « لو وقف عليه ابن خلدون القائل بأن شرح البخاري إلى الآن دين على هذه الأمة ، لقرت عينه بالوفاء والاستيفاء » . وقال عنه السخاوي في الضوء « إن هذا الكتاب لم يسبق نظيره وكان أمراً عجباً » . والحق أنه كان فتحاً مبيناً في تاريخ شرح الحديث — ولا بن حجر عشرات الرسائل في الحديث ورجاله ومصطلحه .

ودرس ابن حجر فقه الشافعي حتى نبغ فيه وأصبح رأساً بين فقهائه ، واختير لذلك قاضياً لقضاة الشافعية وظل بين تعيين وعزل قرابة إحدى وعشرين سنة ، بعفة وجدارة .

وأقبل على التاريخ وعلى التأليف فيه حتى كون ببعض مؤلفاته حلقة هامة من حلقات تلك السلسلة الفريدة من كتب التاريخ التي صنفها مؤرخو مصر في تاريخها وتاريخ رجالها. ومنها « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » .

وتخرج به طائفة من الفضلاء ومنهم تلميذه الأثير شمس الدين السخاوي صاحب « الضوء اللامع » ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري . وهكذا جمع ابن حجر الفضل من أقطاره ، والمكارم من آفاقها . وإذا ذهبنا نعد مؤلفاته وأعماله وننوه بخطرها وجلال قدرها ضاق المقام وأعيا الكلام .

وما بنا من رغبة هنا إلا أن نعرض لميزة من مميزاته قد يكون انتابها شيء من الخفاء ، فاحتجب خبرها وتمنع ذكرها ، وتلك هي أدبه .

لقد كان ابن حجر أديباً له نفسية الأديب وحساسيته ، وله عاطفته وشعوره ، وله تأثره وإنتاجه ... ولكنه انساق بدافع من روح عصره إلى طلب الحديث ودراسة الفقه وعلوم الدين ، فبرز في ذلك كله بروزاً تطامن أمامه بروزه في فنون الأدب .

لقد كان بالعصر تجهم للأدب وانصراف عن الأدباء . ولولا ثقة انبثت في نفوس الأدباء بأدبهم ، وولوع شاع فيهم بفنهم ، لتجهموا للأدب في المتجهمين ، ولانصرفوا عنه مع المنصرفين . وقد كان ابن حجر من هؤلاء الأدباء ... ولكن كانت به إلى جوار ذلك نزعة طاغية إلى المجادة ، ورغبة جامحة إلى معالي الأمور؛ وشعر حينذاك أن الأدب لا يبل أوام أديب ولا يؤدم لقمته ، فضلا عن أن يسدل عليه أردية المجد ضافية ، ويرخي فوقه أثواب الجاه سابغة ، فإذا ركن إلى الأدب وحده اعتاص عليه السبيل

إلى المجد ، وانسد أمامه الطريق إلى الجاه . لذلك عدل ابن حجر عن الأدب إلى غيره، وطلب المجد من باب غير بابه. فحفظ الحديث ودرس الفقه ...

شعر ابن حجر وهو فى حداثة سنه بميله الفطرى إلى الأدب، فعكف على دراسته ومعالجته ، ونظم الشعر حتى بلغ فى نظمه مبلغاً محموداً . ثم تفتحت فيه زهرات الآمال ، وقوى حب المجد فى نفسه ، ورأى للبارزين من علماء الدين وفقهاء المذاهب فى عصره منازل دونها منازل الأدباء والشعراء ، فاشرأبت عنقه إلى منزلة من منازلهم ، ورجا أن يكون فى آتى أيامه واحداً منهم ، لذلك سلك طريقهم ونهج نهجهم ، وعدل عن الأدب لحفظ الحديث ودرس الفقه ... ورأى أن يستغل فيهما ذكاءه ومواهبه. فكان له ما أراد .

ولكن هل أزال هذا النهج الجديد نزعة الأدب من نفسه ، كلا ! بل ظلت كامنة فيها كمون العطر فى زهرته ، متربصة تربص اللحن فى وتره . فإذا مرت عليها نسمة وانية رفيقة استجابت لها فعطرت الأرجاء بأرجها : أو هزتها يد حانية رقيقة لبتها فأطربت النفوس بنغمها . وهيهات هيهات أن تصدأ نفس الأديب الموهوب .

وبعد ، فأين نجد أدبه ومظاهره ؟ نجد ذلك فى كتابته وخطبه وفى شعره .

وحقاً إذا أنت قرأت فى مؤلفاته رأيت أسلوبه الكتابى علمياً فيه من مصطلحات العلم لفظها وأسلوبها كما أنه يغلب عليه فى كتب التاريخ سرد حديثه وقص تراجمه فى غير تأنق. غير أنك يصادفك كثيراً فى تضاعيف هـذه التراجم وغيرها سطور من الأدب الخالص يعود إليه فيها طبع الأديب فيتأنق ، ويتخير اللفظ ويحسن فى الأسلوب وتبدو عليه سيما عصره من مراعاة البديع ، ولكن فى غير إغراق ولا استكراه .

وقد كان ابن حجر خطيباً دينياً يعظ الناس فوق المنابر وغيرها، وولى خطابة جوامع عدة منها الجامع الأزهر وجامع عمرو.

ولعل شعره أوضح مظاهر أدبه . وقد كان يظن أن شعره هذا سيتأثر بالاتجاه العلمى البحت الذى اتجهه ، فيسمج ويتخاذل وينبو بالمصطلحات . ولكن الحق أنه بقى له شىء كثير من رونقه وصفائه ، كما بقى لابن حجر نفسه شىء كثير من طرب الأديب وأنسه وإيناسه ومرحه ودعابته . وقل أن مرت به مناسبة من مناسبات الأدباء لم يدل عندها بدلوه فى الدلاء . فدح وهنأ وتغزل وشكا ورثى وعاتب وتشوق وحن، ووصف ، ونظم فى المديح النبوى وألغز وحاجى وتفكه وراسل وساجل ودبج القصائد الطوال ، وقطع المقطعات الصغار . وأولع فى رفق وكياسة ولطف وسياسة بما أولع به أدباء عصره ممن شغفوا بتماليح القاضى الفاضل أو تخرجوا فى مدرسة ابن نباتة ، فورى وضمن واقتبس وطابق وجانس إلى غير ذلك .

وفضلا عن أن شعر ابن حجر قد انتثر فى بعض مؤلفات ابن حجة الحموى كخزانة الأدب ، وترى منه طرفاً فى حسن المحاضرة للسيوطى، فإن له ديوان شعر مخطوطا ، لما يطبع — كما نعتقد —

قال جميل المظم إن ديوان شعر ابن حجر اسمه « الدرر » . وقيل فى فهرس دار الكتب إن صاحب كشف الظنون قال «إن لابن حجر ديوان شعر كبيراً انتخب منه قطعة ورتبها على سبعة أبواب وسماها « السبعة السيارة النيرات » وهى ديوانه الصغير » ثم قيل فى الفهرس « لعل هذا الأخير هو الذى بأيدينا» . ويؤيد كلام الفهرس خطبة هذا الديوان التى كتبها ابن حجر فى مقدمته فهى ناطقة بأن مافى هذا الديوان جزء من شعره لا شعره كله .

شعر الديوان إذن ، جملة مختارة من الديوان الكبير . وقد جمع فيه ابن حجر بعض شعره المبكر إلى بعض من شعره المتأخر. ومن محاسنه ذكر تاريخ بعض القصائد بالسنة واليوم ، وذكر أسماء ممن وجهت إليهم من ملوك أو إخوان ، فمنهم الملك الأشرف إسماعيل صاحب اليمن ، وعبد العزيز صاحب تونس ، والعباس ابن محمد الخليفة العباسى بمصر ، مدحه ابن حجر بقصيدة بارعة لما ولى السلطنة المصرية عام ٨١٥ هـ ، قال فى مطلعها :

الملك أصبح ثابت الآساس بالمستعين العادل العباسى
رجعت مكانة آل عم المصطفى لمحلها من بعد طول تناسى

وقد قسم ابن حجر ديوانه المذكور إلى سبعة أبواب . فافتتحه بالنبويات ثم الملوكيات — أى المدائح — ثم الإخوانيات ثم الغزليات ثم الأغراض المختلفة ثم الموشحات ثم المقاطيع .

أما نبوياته فلم يأت فيها بجديد وهى على نمط مما جاء فى بردة البوصيرى من ذكر ما عرف من سيرة النبى عليه السلام كالمولد والمعجزات والإسراء والمعراج إلى غير ذلك . ومنها قوله عن النبى عليه السلام :

هو رحمة للناس مهداة فيا ويح المعاند إنه لا يرحم

نال الأمان المؤمنون به إذا شبت وقوداً بالطغاة جهنم
الله أيده فليس من الهوى في أمره أو نهيه يتكلم
فليحذر المرء المخالف أمره من فتنة أو من عذاب يؤلم

أما مدائحه الأخرى وهي ما سماه «الملوكيات» فأجل أبياتها ما بدا في صدرها من غزل . وكذلك كان دأب ابن حجر في أغلب قصائده حتى النبويات يبدؤها بأبيات غزلية على سنة القدامى . ولكنها رقيقة لطيفة تنم عن عاطفة جميلة وشعور صادق . وبمناسبة الغزل نذكر أن بعض علماء العصر وفقهائه ممن نظموا الشعر ، تغزلوا ووصفوا المؤنث والمذكر ، وصرح بعضهم بأن هذا كان منهم على سبيل تمرين القريحة . وما هو إلا حب التقليد أو حب الظهور دفعاهم إلى شعر الغزل . وما كانت بهم من حاجة إلى الاعتذار أو التنصل ، فكثير من شعرهم بدا متكلفاً ممجوجا مستخذى العاطفة ضيق الحيلة ففضح نفسه بنفسه . ولكنا نشعر أن غزل ابن حجر ينم عن عاطفة جميلة وشعور صادق — كما ذكرنا — ولا نستطيع أن نقدم على هذه الدعوى دليلا غير ما يفيض به غزله دون سائر شعره من رقة ولطف وسلاسة . قال في مطلع مدحة نبوية :

إن كنت تنكر حبا زادني كلفا
حسبي الذي قد جرى من مدمعي وكفى
وإن شككت فسائل عاذلي شجني
هل بت أشكو الهوى والبين والأسفا
أحبابنا وبد الأسقام قد عبثت بالجسم هل لي منكم بالوصال شفا
كدرت عيشاً تقضى في بعادكم وراق مني نسيب فيكم وصفا

ومنها :

وكنت أكتم حبي في الهوى زمنا
حتى تكلم دمع العين فانكشفا
سألت قلبي عن صبري فأخبرني
بأنه حين سرتم عني انصرفا
وقلت للطرف أين النوم بعدهم فقال : نومي وبحر الدمع قد نزفا

وهذه الأبيات أليق بباب الشكوى منها بباب الغزل ، غير أن الشكوى هنا هي من صميم الغزل بل هي لبه وجوهره . وهي أدل على صدق العاطفة من الوصف الصريح . ومع هذا فاسمع قول ابن حجر من غزلية رقيقة :

طيف لمن يهوى ألما بطوى ذيول الليل لما
أهلا به لو أن طر في للمنام يذوق طعما
حتام يا ربق الحبيب أراك موروداً وأظما
وإلام يا قلب الكئيب بأسهم الألحاظ ترمى
هلا صحوت من الغرا م فلم أراجع فيه عزما
وصبرت عمن لا يطا وع ما نشا نهيا وغرما . الخ

وبعد فلعل القارئ مني يلحظ في هذا الشعر ما لحظته فيه من رقة ولطف . ويضيق المقام دون الحديث كما ينبغي وكما نشتهي عن شعر ابن حجر . وليس به ما يشوب إلا هنات قليلة شاعت في فرسان عصره كخطأ لغوي أو استعمال عامي .

وإذ آن لنا أن نختم هذه الوجزة ، نذكر أن ابن حجر كان يتخذ حكما في المباريات الأدبية ، مما يدل على علو كعبه في ذوق الأدب وتمييزه . حكوا أن ابن نباتة المصري مدح الكمال ابن الزملكاني القاضي بتائية بارعة صدرها بغزل مليح ، ومنه في مطلعها :

قضى وما قضيت منكم لبانات متيم عبثت فيه الصبابات

فعارضها كثير من الشعراء ، ومنهم برهان الدين القيراطي ، قال في مطلع قصيدته :

ما لابتداء صباباتي نهايات يا غاية ما لعشق فيه غايات

ثم جاء ابن حجة الحموي من بعدهما فعارضهما بقصيدة أخرى قال في مطلعها :

لمجبه ولذيل الهجر شمرات وللقلوب من الأجفان كسرات

ثم احتكم ابن حجة في التائيات الثلاث إلى ابن حجر ، فحكم له ابن حجر وفضله عليهما وسجل ذلك في مكاتبة أدبية طريفة قال في صدرها : « لله الأمر من قبل ومن بعد . الحكم بين النظراء إنما يحسن ممن يماثلهم فيما به يرتفع الحكم . وفي إقدام من لم يرتق إلى تلك الطبقة نوع من الظلم . ولا يرتاب لبيب في أن كلا من الثلاثة رأس هذا الفن في زمانه ، وأنه لا يوازنه أحد من أقرانه .

وثلاثة كثلاثة الراح استوى للونها ومذاقها وشميمها » . الخ

وبعد فهذه أثارة من أدب ابن حجر نوهنا بها أملا في أن تثير الرغبة في دراسته بتفصيل وروية .

(حلوان) **محمود رزق سليم**

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

للحقيقة والتاريخ :

حول الفتنة الكبرى

للدكتور شوقي ضيف

قرأت بعناية مقال الأستاذ الأديب محمود محمد شاكر بمجلة الرسالة فى عددها ٧٦١ عن كتاب « الفتنة الكبرى أو عثمان » لأستاذنا الدكتور طه حسين . وقد رأيت الأستاذ صاحب المقال يقول فى أوائل كلامه : رميت بنفسى وعقلى فى هذا الكتاب... فما كدت أفرغ حتى رأيت الكتاب كله يختلج بين يدى » . وذهب الأستاذ يوضح أسباب ذلك فإذا هو يعود بها إلى خبرين أو روايتين نفاهما مؤلف الفتنة الكبرى .

وأقام الأستاذ شاكر الدنيا وأقعدها لأن المؤلف نفى هاتين الروايتين وما كان ينبغى له . وإن كتاباً يخرج عن عثمان وتنفى فيه هاتان الروايتان لخليق بأن يختلج ، على الأقل ، بين يدى الأستاذ شاكر !

أما الرواية الأولى ، فهى أن مؤلف الفتنة الكبرى ينفى ما يروى من عمل لابن سبأ فى فتنة عثمان . وأما الرواية الثانية ، فهى أن المؤلف ينفى ما يروى من كتاب المصريين الثائرين الذى خرجوا به عن عثمان إلى واليه على مصر ، فلما فضوه فى بعض الطريق وجدوه يأمره أن يقتلهم ، فرجعوا إلى عثمان وحاصروه حتى كان مقتله .

وإنكار الرواية الأولى هو الذى أثار ثائرة الأستاذ شاكر ؛ فقد رأى مؤلف الفتنة الكبرى أن هذه الرواية لم تأت فى الكتب التاريخية القديمة كلها ، وأن المؤرخين المتأخرين توسعوا فيها ، فشك فيما صارت إليه ، بل شك أيضاً فى أصلها ، لأن ابن سبأ أسلم فى عصر عثمان ومثله — وهو ليس من السابقين الأولين ولا من قريش ولا من الأنصار — لا يؤثر تأثيراً عميقاً فى هذه الفتنة الكبرى التى انتهت بقتل الخليفة . وقد كان الإسلام لا يزال فى دوره الأول ، وما كان المسلمون الأولون ليثوروا على خليفة وراء يهودى أسلم حديثاً . وإن وصفهم بذلك ليحط من شأنهم ؛ إذ يكونون أطفالا أغراراً يتبعون هذا الناعق الذى يكيد للاسلام . والحق أن المسلمين ثاروا على عثمان لأسباب داخلية يفصلها مؤلف الفتنة الكبرى .

ومن المسلم به أن من حق المؤرخ أن ينفى بعض الروايات وأن يثبت الأخرى ؛ معتمداً فى ذلك على القرائن والأدلة المختلفة وقد رأى صاحب كتاب الفتنة الكبرى قصة ابن سبأ هذه أو ابن السوداء تروى فى بعض الكتب التاريخية الموثقة ولا تروى فى أخرى ، بل رأى أن الكتب التى كانت أكثر اهتماماً من غيرها بفتنة عثمان لا تروى هذه القصة من مثل طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذرى فازداد شكه فى القصة وازداد اتهامه وخاصة أنه رآها تكبر وتتضخم مع مر الزمن فقال : « إن هذه القصة أكبر الرواة المتأخرون من شأنها وأسرفوا فيها حتى جعلها كثير من القدماء والمحدثين مصدراً لما كان من الاختلاف على عثمان » .

وعلق على ذلك الأستاذ شاكر بأن الطبرى كان أحد رواة هذه القصة ، وقد ذكر مؤلف الفتنة الكبرى نفسه ذلك . وإذن فكلمة الرواة المتأخرين السابقة فيها إبهام شديد متعمد فيما يظهر . فإن الطبرى ليس من الرواة المتأخرين ، وقد روى القصة عن سيف بن عمر بشهادة المؤلف نفسه . وأظن أنه كان ينبغى للأستاذ شاكر أن يلاحظ أن المؤلف لا ينفى عن بعض الرواة السابقين ذكر القصة ، بل هو يثبت ذلك ويثبت بجانبه أن الرواة المتأخرين بالغوا فى القصة أو على حد تعبيره أكبروا من شأنها وأسرفوا فيها .

وهذا كلام مستقيم ، فقد أخذت القصة تطول وتتسع فى البيئات الشيعية وعند خصومهم كلما تقدم الزمن حتى أصبحت أشبه ما يكون بالأسطورة . وكان هذا سبباً فى أن يتهم مؤلف الفتنة الكبرى القصة فى بعض الوجوه . وأيضاً فقد لاحظ أن المصادر المهمة التى قصت أمر الخلاف على عثمان لم تذكرها من مثل طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذرى .

وليس معنى ذلك أن المؤلف يقصد بذلك إلى التقليل من شأن الطبرى كمصدر مهم فى التاريخ الإسلامى وإنما معناه أنه يقارن ويقابل فيجد ابن سعد لا يذكر القصة كما يجد البلاذرى ، وهو أهم المصادر — فى رأيه — لهذه القصة وأكثرها تفصيلا ، لا يرويها ، إنما يرويها الطبرى وحده بين المصادر القديمة ، وهو يرويها عن سيف بن عمر .

وهذه المقارنة بين الطبرى وغيره فى هذه القصة جعلت مؤلف

الفتنة الـكبرى يتهمها ، فقد أثار ذلك الشك فى نفسه ، وأظن من حق كل مؤرخ أن يشك ويتهم بعض الروايات القديمة وخاصة إذا لم تتآزر الـكتب التاريخية المختلفة فى روايتها .

وقد ذهب الأستاذ شاكر يبرهن على صحة القصة بأن طبقات ابن سعد طبعت من نسخ ناقصة وربما كانت القصة موجودة فى الأصل وسقطت . واتسع بهذا البرهان فى أنساب الأشراف للبلاذرى فقال إن ناشره يهودى من طغاة الصهيونية وربما حذف الرواية الخاصة بابن سبأ . ولست أدرى ماذا يضير اليهودى الناشر من رواية هذا الخبر !. وقد رجع الأستاذ شاكر يقول ربما ذكر البلاذرى هذا الخبر فى ترجمة مفقودة .

وواضح أن هذين البرهانين أو قل هذا البرهان لا يثبت قصة ابن سبأ ، فإن ما جاء به الأستاذ شاكر إنما هو فرض ولا يقين فى يده .

وقد أخذ بعد ذلك يناقش المؤلف فى الخبر أو فى القصة على أساس أن من لم يرو خبراً ما ليس حجة على من روى هذا الخبر وخاصة إذا كان الراوى مثل الطبرى علماً وفهماً وهو الذى روى عنه أنه قال لأصحابه « أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ قال ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا هذا مما تفنى فيه الأعمار قبل تمامه ، فاختصره لهم فى ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال لهم : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره فى التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال إنا لله ! ماتت الهمم » .

وأحسب الأستاذ شاكراً نقل هذا الخبر عن كتاب معجم الأدباء لياقوت ، ولو أنه استمر بعد هذا النص الذى نقله عن معجم الأدباء يقرأ فى ترجمة الطبرى لرأى ياقوت يقول عنه : « إنه لم يدخل فى كتابه (التفسير) شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الـكلبى ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدى ، لأنهم عنده أظناء » ثم يقول ياقوت عقب ذلك مباشرة : « وكان إذا رجع إلى التاريخ والسير وأخبار العرب حكى عن محمد بن السائب الـكلبى وعن ابنه هشام وعن محمد بن عمر الواقدى وغيرهم فيما يفتقر إليه » .

وإذن فالطبرى لم يـكن يحقق فى روايات التاريخ كما كان يحقق فى روايات التفسير ، ومع ذلك يقول الأستاذ شاكر : « من قرأ كتاب الطبرى فى تاريخه ... علم أن هذا حق ، وأن الرجل كان فارغاً للعلم لا يلفته عنه شىء » . وأنا لا أنفى أن الطبرى كان فارغاً للعلم ، ولـكن أنفى أن تاريخه حق خالص لأنه قد روى عن الـكلبى وابنه هشام والواقدى وغيرهم كما يقول ياقوت :

وإذا أضفنا إلى ذلك ما تقوله دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة تاريخ ص ٤٩٣ من المجلد الرابع فى الترجمة العربية من أن « مواطن الضعف عند الطبرى فى تاريخه هى ما يتوقع من محدث مثله — مثال ذلك إيثاره لمصنف سيف المنحول على التاريخ . » ثم عرفنا أن سيفاً هذا هو سيف بن عمر الذى روى عنه الطبرى قصة عبد الله بن سبأ ؛ أفلا يكون هذا كله سبباً فى أن يتهم مؤرخ حديث قصة ابن سبأ ؟

وإن من يرجع إلى ابن عساكر يلاحظ أنه يروى كل ما يتصل بفتنة عثمان عن طرق مختلفة أكثرها طرق محدثين إلا قصة ابن سبأ فإنه يرويها مثل الطبرى عن سيف بن عمر .

على أن ابن سبأ كان له ضربان من النشاط ، نشاط مزعوم فى عصر عثمان ، ونشاط حقيق فى عصر على . ومع ذلك فالنشاط الأخير قد بولغ فيه على ما هو معروف فى قصته من الحرق والنفى الخ .

وهذا ما جعل مؤلف الفتنة الـكبرى يؤخر الحديث المفصل عنه إلى الجزء الثانى من كتابه حتى يلم بهذه الشخصية من جميع أقطارها إلماماً دقيقاً . ألم يقل فى ص ٢٣٢ : « لم نفصل فى هذا الجزء حديث عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، لأنه طويل معقد ، ولأن نشاطه الخطير إنما يظهر فى رأينا أثناء خلافة على فقد أرجأنا حديثه إذن إلى الجزء الثانى من هذا الـكتاب » .

وقبل ذلك يقول فى ص ١٣٤ : « وأكبر الظن أن عبد الله ابن سبأ هذا — إن كان كل ما يروى عنه صحيحاً — إنما قال ما قال ودعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف فهو قد استغل الفتنة ولم يثرها ، وأكبر الظن كذلك أن خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا فى أمر عبد الله بن سبأ هذا ليشككوا فى بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية وليشنعوا على علىّ وشيعته من ناحية أخرى ، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودى أسلم كيداً للمسلمين . وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة » .

ليست قصة ابن سبأ إذن قصة سهلة يسيرة يمكن أن تقبل لمجرد أن يرويها الطبرى عن سيف بن عمر ، بل هى أعمق من ذلك

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٣ ، ٤ ، ٥)

الحرية

للأستاذ كمال دسوقي

٥ — حرية التصرف :

وعلى أساس هذه الحرية العقلية في التفكير التي قررها «مل» بوضوح وجلاء حتى الآن ، تترتب الحرية العملية في التصرف ، فللانسان مطلق الحرية في إبراز آرائه من حيز الفكر إلى حيز العمل ، ومن نطاق العزم إلى نطاق التنفيذ ، ما دام أن عواقب هذه الأمور قاصرة على صاحبها ، وما دام تنفيذها ليس من شأنه أن يضر بالغير ، فحرية الفعل والعمل هي الشق المتمم لحرية الفكر والقول . على أن استخفاف الناس بهذه الحرية الشخصية في ناحيتيها ، وقلة إيمانهم بها ، وعدم حرصهم عليها ومراعاتهم لها ، وإغفالها كذلك في برامج الفلاسفة والمصلحين ، هو العقبة دون تحقيقها ، ولو قد حرص أولئك وهؤلاء فيما يرى «مل» — على امتلاك هذه الحرية والإبقاء عليها وحسن استخدامها ؛ لما كان للمجتمع في أي أمر من أمورهم أدنى تدخل ، ولو كان ذلك بإرادتهم أنفسهم .

وإنما تأتي ضرورة هذه الحرية الشخصية في الفكر والعمل جميعاً ، من أنها لا بد لازمة لنمو الملكات ، وظهور المواهب ، ولا يتأتى ذلك للأفراد إلا بأن يلموا أولا بتجاريب السلف وخبراتهم ، وأن يستفيدوا بها بادىء الأمر ، حتى يتهيأ لهم تأويلها وتحويرها بما يوافق ظروفهم ومواقفهم ، وحتى لا يصدرون في أفعالهم وآرائهم عن تقليد وجمود وانسياق ، بل باختيار ومفاضلة ومران عقلي وشجاعة أدبية ، تتحقق معها نفوسهم بما هي نفوس إنسانية ، وتنتظر ملكات هذه النفوس من ملاحظة وتأمل ، وحكم وتدبر ، وعزم وإرادة . فلم نوهب هذه الملكات لنعطلها ونقضي عليها بحجة التسليم للمشيئة — وفي هذا ما يكفي للرد على أنصار المذهب الكالفاني — ولن يكون إنكار الذات بالنسبة للشخص أكثر شرفاً وفائدة من تقرير الذات بالنسبة للمجتمع ، فإن في ارتقاء شخصية الفرد علواً بنفسه ومجموعه وخصباً لحياتهم خصوصاً وأن آفة مجتمعنا الحديث لم تعد طغيان شخصية الأفراد وبطشها وجاحها بقدر ما في خضوعها للمجتمع واستكانتها لرغباته ، وانقيادها لإرادته في العادات وأخص الخصائص كالذوق والحب والكره ، مما يترتب عليه تضاؤل شخصية الفرد بجانب شخصية المجموع ، حتى لقد وجب على المجتمع أن يتدخل لتربية الذوق وتهذيب الحس وإذكاء الضمير في كل فرد . رعاية لمصالح المجموع ، حتى يوجه عواطف الأفراد وميولهم هذه الوجهة . وفي هذا رد كذلك على الذين يقولون بضرورة حد العواطف والنزعات مع حرية العقل والفكر .

حرية التصرف إذن حق ثابت لجميع أفراد المجتمع خاصهم وعامهم ، لا الحرية المطلقة الكاملة التي لا تعرف حدوداً ، بل بالقدر الذي لا يتعارض مع حرية الغير ، أو يترتب عليه اعتداء القوي على الضعيف ، ولا ضير على الحرية الشخصية من هذا القيد ما دامت تعوض عن تقييد الشطر الأناني منها بإنماء الشعار الاجتماعي والخلقي : أما إن حرية التصرف لازمة للخاصة أو العباقرة — على قلتهم — فذلك لأن المجتمع في حاجة أبداً إلى من يفتح عينيه على أخطائه ، ويسن له عاداته وتشريعه وتقاليده في تطور تاريخه ويبتكر له ما يرقى حياة أهله في الفكر والعمل ، وينفث فيه روح الحياة والتقدم ، ولا يتأتى ذلك إلا بتنشئة الأفراد جميعاً

وأبعد . وأكبر الظن أن من حق المؤرخ إزاءها أن يقابل بين الروايات بعضها وبعض والا يكتفي بوجودها في الطبري عن سيف بن عمر .

أما الروايات الثانية أو القصة الثانية التي وقف عندها الأستاذ شاكر فقصة كتاب المصريين وما كان من فضهم له في الطريق واطلاعهم عليه ثم عودتهم إلى المدينة ومحاصرتهم لعثمان ، فإن الأستاذ شاكراً لا يأتي بدليل عليها سوى أنها جاءت عند البلاذري ! كأن الأصل أن يجيء الخبر أو القصة ثم نصدق بها من غير بحث ولا درس ولا امتحان ولا فحص . ومجيء قصة في البلاذري لايحتم صدقها ومن حق كل مؤرخ أن يختبرها ويمتحنها ويتهمها إن كان هناك ما يدعو إلى تهمة .

وبعد فهذه آراء رأيت أن أعلق بها على مقال الأستاذ محمود محمد شاكر للحقيقة والتاريخ .

شوقي ضيف

في جوٍّ صالح يعين على إظهار مواهبهم ، والاستفادة بهم ، فهذه الأقلية الممتازة هي القادة ، وإلى هـذه الارستقراطية الفكرية يجب أن يوكل زمام الحكم ، فإن حكومة الطبقة المتوسطة هي كذلك متوسطة ، وكل شذوذ في المجتمع دليل على وعيه وعبقرية أفراده وابتكارهم . فهم سيقودون وطنهم وإن لم يحكموا ، وأما ضرورة الحرية الشخصية للعاديين من الناس فحجتها أن تنوع الأفراد في المجتمع ، وتنوع ظروف الفرد الواحد منهم ، يستتبع منتهى الحرية في تنويع أساليب الحيـاة والتصرف التي يأخذ بها الفرد في كل ظرف يواجهه ، حتى يتكيف في بيئته ، ويوائم بين نفسه ومجتمعه ، على نحو يجعله غير عاجز عن النهوض بنفسه .

و « مل » يشير في غير موضع من هـذا الفصل إلى الدور الخطير الذي يقوم به المجتمع في محاربة العباقرة وتحبيذ حكومة الطبقة المتوسطة ، وإلى تعصب الرأي العام فيه على أي مظهر من مظاهر التفوق والامتياز ، وإلى تحكم العادة واعتراضها سبيل كل تجديد وإصلاح ، وإلى أن الخلاف وتنوع المذاهب وعدم المماثلة — أي في كلمة فون همبولت — الحرية وتنوع المواقف هي ضمان عدم انزلاق الدول الغربية في مصير الصين ، ويرى ضرورة الإصلاح آنئذ قبل أن يتم وقوع هذا الخطر .

٦ — مدى سلطان المجتمع على الفرد :

ثمت أذن حقوق فردية تهم الفرد بنوع خاص ، وهو أبصر الناس بها لأنه أعلمهم بمأتاها ووسائلها — وثمت — في مقابل ذلك حقوق مشتركة تهم المجتمع بوجه خاص ، وله أن يدافع عنها ضد من يمسها أو يعتدي عليها ، بوسائله الخاصة وحقوق كل من الطرفين تعد واجباً على الآخر . فحق المجتمع على الفرد — مادام يتمتع بالأمن في كنف رعايته — أن يسلك سبيلا يبعد به عن الإضرار بمصالح الغير وحقوقه ، وأن يتحمل نصيبه من التبعات التي يفرضها عليه مجرد كونه عضواً في المجتمع . وحق الفرد على المجتمع أن ينظم له القواعد التي تبصره بما عليه من واجبات في معاملته للغير وما له عليه من حقوق ، وأن يدعه في شئونه الخاصة به يتصرف تصرفاً خالياً من كل قيد ، وأن يكيف جريمة الفرد قبل إنزال العقوبة ، فإن كان قد انتهك القواعد التي سنت لحماية المجموع ، فترتب على ذلك إضرار بغيره ؛ تدخل المجتمع للضرب على يده حماية لإخوانه ، وأما إن كان تصرفه ناشئاً عن عيوب ذاتية أو اجتماعية فيـه ، يترتب عليها الإخلال بالتزاماته الاجتماعية نحو أسرته أو دائنيه أو واجباته بوجه عام ، فللمجتمع أن يوقع عليه المسئولية الأدبية أو القانونية حسبما يراه لا بسبب هذه العيوب الذاتية أو الاجتماعية فحسب الفرد بلاء وجودها فيه — ولكن لما ترتب عليها من إخلال — إذ الأمر هنا يخرج عن نطاق الحرية إلى الآداب والمعاملة ، وأما ما عدا هذا من الأضرار العرضية التي لا ضرر فيها — فعلى المجتمع أن يتحملها عن طيب خاطر ، فإن كفة الخير الذي يصيبه من إطلاق الحرية أرجح من كفة هذا الضرر مهما بلغ ، خصوصاً وأن المجتمع يجب أن يعد نفسه المسئول الأول عن عدم توجيه الأفراد وجهة قويمة — مع ما كان له من سلطة . وأن التعرض للحرية كثيراً ما يؤدي إلى عكس المراد منه ، ما دام الجمهور — أكثرية الأفراد — يحكم في ذلك على الأقلية المخالفـة المستنيرة — بحكم هواه وصالحه — لا بمنطق سليم يرى في الشيء ضرورة ذاتية تسوغ الأخذ به ، ولا ضرر من القدوة السيئة ، فإنها — وإن كانت تعرض نماذج سيئة من السلوك ، فهي تعرض كذلك عاقبة أصحابها الوخيمة . وعلى الأفراد — على أي حال — أن يتعاونوا ويتناصحوا ويتواصوا فيما بينهم في أدب ومجاملة بما يحقق خيرهم .

ولتأييـد ما يقول « مل » من أن قوانين المجتمع ليست في حقيقتها إلا هوى الجمهور . وما يرى معه من خطر مبدأ التعرض لو أخـذنا به ؛ يضرب أمثلة كثيرة من التاريخ الواقع ، منها عبادة الله على غير المذهب الروماني الكاثوليكي في نظر الإسبان ، وموقف أهل أوربا الجنوبية من زواج القسس ، ومصادرة البيوريتانيين أيام نفوذهم في نيوانجلند لكل أنواع الملاهي والتسلية ، والنزعة الديمقراطية التي ترمي إلى أن تجعـل للجمهور أن يتدخل في تحديد طريقة إنفاق دخل الأفراد ، ومطالبة العمال غير المهرة بألا تزيد أقليتهم الماهرة عن بقيتهم في الأجر ، واختلافهم حول ضرورة التشريع الخاص بالعطلة الأسبوعيـة وتبرير الجمهور فعله هذا بالدين ، وأن من حقه حمل الخارجين على إطاعة الدين ، مما ترتب عليه أبشع صنوف الاضطهاد الديني ، كما حدث في مذهب « مورمن » الذي وإن كان قد دعا إلى شيء رجعي مستنكر عندهم هو تعدد الزوجات ؛ فلم يكن ينبغي أن يقابل بمثل هذه الوحشية فليس لجماعة أن تحمل غـيرها على الرقي والحضارة عنوا ؛ بقدر

ما تستطيع التبشير ومحاربة العقائد الفاسدة فى عقر دارها بوسائل التنوير والإقناع ، ولكنه المجتمع يشرع دائماً وفق هواه ، ثم يستبد بحجة الرأى العام .

تطبيقات :

وإذ تقررت لدى « مل » حرية الفرد فى الفكر والعقل ، فى الرأى والتصرف ، وثبت ضرورتهما لصلاح حال المعيشة وشخصية الأفراد ، شرع يطابق هذه المبادىء على كثير من مشكلات عصره وبلاده – مبيناً فى كل منها متى يحل للحكومة أن تتدخل فى حرية الأفراد – منحازاً – كعادته دائماً – إلى جانب الحرية الشخصية وإطلاقها فى أوسع مدى ممكن ، متخذاً لهذا التطبيق مقياساً تتحدد به مسئولية الفرد أمام المجتمع ينحصر فى قاعدتين :

١ – لا يسأل الفرد أمام المجتمع عن شئ من تصرفاته ما دامت لا تمس غير شخصه ، وهنا فلا سبيل للمجتمع إلا أن يظهر بغضه وكراهته ، وأن يقدم نصحه وإرشاده ، وأن يقضى على مالا يرضى عنه بمجرد مقاطعته ونبذه .

٢ – أما إذا أتى الفرد تصرفات تعترض مصالح الغير . فللمجتمع فى هذه الحالة أن يوقع الجزاء القانونى أو الأدبى الذى يراه كافياً للزجر ودرء الاعتداء .

ولا يعد إضراراً بمصالح الغير التنافس والمسابقة ، لما يترتب عليهما من إخفاق البعض نتيجة لنجاح البعض الآخر – طالما أن وسائل هذه المنافسة شريفة – لا يدخل فيها غش أو خيانة أو إكراه ، وما دامت الظروف مهيأة للجميع على قدم المساواة – ومسألة حرية التجارة – وإن تكن بعيدة عن الحرية الشخصية – ينطبق عليها هذا القول فيجب إطلاق منتهى الحرية للتجار فى الدعاية والعرض والإعلان وتجويد الأصناف وتحديد الأسعار ، حتى لا يتحكم فيهم إلا حرية المشترين وتفضيل صالحهم فيسير العرض والطلب على قاعدة الحرية للمنتج والمستهلك ، حقاً إن من واجبات الحكومة اتخاذ الاحتياط لمنع الجرائم قبل وقوعها والأهبة لا كتشافها بعد وقوعها ، وعلى هذا فليس لها بازاء منع استخدام المواد السامة فى الجرائم إلا أن تحتاط « بالأدلة السلفية » أى إجراءات التوقيع والشهود وما يساعدها على كشف الجريمة إن وجدت ، وإزاء التصرف الشخصى السىء كالسكر والبطالة إلا المراقبة والمعونة على عدم الإضرار بالغير . أما بإزاء التحريض على إتيان أفعال شخصية يعتبر الجهر بها إخلالا بالآداب كبيع الخمور وفتح بؤر القمار ، فى أماكن عامة . ابتغاء المنفعة الشخصية فيجوز تدخل الحكومة لحمل هؤلاء على التحجب والخفاء ، وحصر هذه فى أقل نطاق ممكن ، بفرض ضرائب باهظة على المسكرات تقلل من طلابها وتحرمها على غير القادرين ، وتحديد عدد الحانات ومراقبة سلوك أصحابها وموعد عملهم والترخيص لهم ، وإزاء العقود والاتفاقات التى يبرمها الأفراد لمصلحتهم فيما بينهم القيام على الوفاء بها فى النواحى المالية خصوصاً ، وفسخها وعدم الاعتراف بها إذا كانت تحمل بيع حرية الفرد – مع مراعاة التزاماته وواجباته قبل هذا الفسخ – كما فى عقود الزواج والطلاق – وفيما عدا هذا فليس ما يمنع عن الفرد خيار التقايل والنكول .

وفى مقابل هذه الأمور التى يجوز للحكومة أن تمنعها . هناك أمور يجب عليها أن تمنحها . ومنها تسوية المرأة بالرجل وحمايتها من استبداده وما يزعم لنفسه من سلطان ، وأن تهيئ لكل وليد من رعاياها حق التربية وقسطاً من التعليم ؛ متحملة هى نفقات الفقراء ، وإعانة الآباء ؛ تاركة للمختصين بالتعليم أن يقوموا عليه حافزة إياهم على منافسة مدارسها الأميرية والقضاء عليها ، وأن تجعل امتحاناتها بعد المرحلة الأولى اختيارية فى حقائق العلم الثانية ، خصوصاً فى العلوم العليا كالفلسفة والعقائد (اللاهوت) ، وأن تمنح من يؤدى هذا الامتحان بنجاح شهادة يزاول بها مهنته دون أن يعترضه أحد . وبالجملة تهيئة الفرص التى قد يفوت الآباء إدراكها حين يسترسلون فى معارضة الحد من النسل مع عجزهم عن إسعاده .

و « مل » يناقش أخيراً مدى حق الحكومة فى تولى شئون الأفراد ، فيرى أنه لا وجه لتدخل الحكومة للعمل لهم – حين يكون لطائفة منهم القدرة على إتقانه أكثر – أو لا يكون ذلك . ولكن من الخير أن يروض الأفراد أنفسهم على القيام به . أو حين يكون فى اتساع اختصاص الحكومة ذهاب بالإتقان والتخصص ، وهو هنا يميل إلى اللامركزية ، وإلى توزيع سلطات الحكومة على المختصين والمهرة ، على أن يظلوا خارج الحكم ، فإن حشدهم للخدمة الأميرية يميت ملكاتهم ، ويجعلهم أكثر استبداداً ، والشعب أكثر عجزاً

الأدب والفن في أسبوع

نشوء القومية عند الأتراك :

كانت المحاضرات الثلاث السابقة التي ألقاها الأستاذ ساطع الحصري بالجمعية الجغرافية الملكية في نشوء فكرة القومية في أوربا ، وقد انتقل إلى الشرق في المحاضرة الرابعة التي ألقاها يوم السبت ، فتحدث عن « نشوء فكرة القومية عند الأتراك — التيارات اللغوية والتاريخية التي رافقتها وساعدتها » فقال إن الدولة العثمانية كانت في أول أمرها تتجه إلى الفكرة الإسلامية العامة وخاصة بعد أن تم لها فتح مصر وانتقلت إليها الخلافة الإسلامية ، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت الأفكار الوطنية قد امتدت إليها من أوربا ولكنها أخذت صبغة إسلامية ، فكان الأدباء والشعراء يتحدثون عن الوطنية والقومية متجهين نحو التاريخ الإسلامي والعواطف الدينية ، وتطورت الأفكار بعد ذلك حتى أخذت فكرة القومية وضعها الأخير .

وبيان ذلك أن هذا التطور قام على نواح ثلاث : اللغة والتاريخ والسياسة ؛ أما من حيث اللغة فقد كان هناك لغتان : لغة الأدب الراقي ، ولغة الأدب الشعبي ، وكانت الأولى خليطاً من التركية والعربية والفارسية في الألفاظ والتراكيب والقواعد وأوزان الشعر ، وكانت لغة شعراء القصور الذين هم عماد الحياة الأدبية الراقية ، أما لغة الشعبيين فكانت تركية بحتة ولها أوزان عامية ليس فيها شيء من العربية . وحدث في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن ظهرت دعوات إلى التجديد في اللغة والأدب ، ونشأت مذاهب في ذلك ، بعضها — وهو المعتدل — يدعو إلى بقاء الألفاظ العربية والفارسية التي سارت على الألسنة مع التزام القواعد التركية ونبذ القواعد العربية والفارسية كالإضافة والنسب وغيرهما ، ودعا بعض المذاهب إلى التخلص من كل ما هو أجنبي في اللغة والأدب ، ونظم الشعراء المجددون على الأوزان العامية . وقد اشتجرت الأقلام في هذا الميدان ، حتى انتهى الأمر أخيراً إلى تغلب اللغة التركية ، فهجرت الأوزان والقواعد العربية والفارسية ، واصطبغت الأخيلة بالألوان الأوربية والآداب الشعبية ؛ أما الألفاظ فقد بقي كثير منها بحتى تغيرت حروف الكتابة ، فتغير نطق الكلمات العربية وهيآتها تبعاً لتغير الحروف .

وأما التاريخ فقد كانت الدولة العثمانية تسير فيه على العناية بالتاريخ الإسلامي وعدم الالتفات إلى التاريخ التركي قبل الإسلام ولكن لما اتجهت الانظار نحو القومية التركية تغير الاتجاه في الدراسة التاريخية ، فأخذ تاريخ الترك قبل الإسلام مكانه مع التاريخ الإسلامي ، وتغير نظر الأتراك إلى بعض الشخصيات التركية التي كانت تذكر في التاريخ باللعن والسخط .

وبذلك سايرت اللغة والتاريخ فكرة القومية في تركيا ، فأثرا فيها ، وأثرت فيهما . وقد أدى كل ذلك إلى نشوء الشعور الوطني وحدوث التطور السياسي الذي جاء بعد التجديد في اللغة والتاريخ . وبدأ العمل السياسي في أوائل القرن العشرين خارج تركيا . وذلك أن الدعاة إلى الأفكار السياسية هاجروا إلى بعض البلاد كمصر وسويسرا ، ونشروا فيها أفكارهم بوساطة الصحف وإرسال المنشورات السرية إلى البلاد التركية ، وكانت الآراء السياسية مختلفة ، فجماعة يدعون إلى الوحدة الإسلامية ، وآخرون يدعون إلى العثمانية ، وفريق ثالث يعتنق الفكرة التركية البحتة .

ولما أعلن الدستور في تركيا ظهرت الدعوات في داخل البلاد ، وأخذ كل فريق يؤيد رأيه ، وتعاقبت الحوادث ، ففصلت بين هذه الآراء بحكمها .

وختم الأستاذ المحاضرة بأن كل ذلك يدل على أثر اللغة والتاريخ في الفكرة القومية عند الأتراك ، وأن هذا يؤيد ما ذهب

وخضوعاً ، وانسياقاً إلى خدمتهم ؛ فيموت العمل الحر . بل الواجب أن نحمل كل طائفة بحيث تصلح حكومة بذاتها . وأن نعود الأمة الاعتماد على النفس ، ونخلق منها عناصر جديدة أبداً ولا نحتكر للمواهب في طبقة منها ؛ بل نعمل دائماً على تنشيط هممهم وحفز عزائمهم وإنماء كفاياتهم ؛ فإنما قيمة الدولة بأفرادها

وبعد : أرأيت كاتباً ينتصر للحزبية ويدافع عنها بمثل هذه البراعة والقدرة ، والتحمس والإقناع ؟ ...

كمال دسوقي

إليه فى المحاضرات السابقة من أن القومية كائن حى روحه اللغة ووعيه التاريخ ، وقال إنه سيبين ذلك أيضاً فى نشوء الفكرة القومية فى البلاد العربية ، بالمحاضرتين الآتيتين .

نشيد الجامعة العربية :

فى أوائل العام الماضى أعلنت الجامعة العربية عن مباراة لوضع نشيد للجامعة العربية . ولما دنا الموعد المحدد لقبول الأناشيد نظرت فيما تجمع لديها ، فلم تجد فيه ما يصلح ، فأفسحت الوقت ومدت الأجل ، ثم ألفت لجنة للفحص . وانتهى الأجل الممدود وفحصت اللجنة الأناشيد المقدمة ، فلم تجد بينها ما يصلح اتخاذه نشيداً للجامعة . ومما يذكر أنه لم يتقدم إليها أحد من الشعراء المعروفين ، ورأت اللجنة أن تجيز أحسن ما قدم ، فاختارت نشيدين عهدت بأحدهما إلى المعهد العالى للتمثيل والموسيقى ، وبالثانى إلى الجامعة الشعبية ، على نحو ما ذكرت قبل الآن . وقام المعهدان بالتلحين والإلقاء ، وحضرت اللجنة الثقافية بالجامعة العربية التجربة فى كل من المعهدين ؛ واستقر الرأى بعد كل ذلك على عدم صلاحية أى النشيدين ليكون نشيداً للجامعة العربية . ورئى مع ذلك أن يظل الباب مفتوحاً للراغبين فى نظم الأناشيد ليتسنى اختيار أحدها واعتباره نشيداً رسمياً للجامعة العربية .

قلت فى مناسبة سابقة إن طريقة المسابقات للحصول على إنتاج أدبى لغرض ما — طريقة أصبحت غير مجدية ، لأن المعتزين بأنفسهم من ذوى الكفايات يأنفون من دخولها بغض النظر عما يبديه الساخطون من عدم الثقة بالمحكمين ، وأشرت وقت ذاك بأن يطلب ما يراد ممن تعرف مقدرتهم فيه . وكان « البسام » الذى يحلو له أن يماكسنى فى الاسم غير مكتف بما كسنى فى بعض ما أرى — قد كتب إلىّ يقول : « قد يكون الذى يطلب منه أن يضع نشيداً شاعراً عبقرياً ولكنه لا يحسن الأناشيد أولا يميل بطبعه إلى نظمها فكيف يطلب منه ما لا يحسنه أو لا يوافق طبعه ؟ » وليس عندى دفع لهذا الاعتراض وإن كنت أحتفظ برأيى للتجريب على الأقل ، فهل تأخذ به الجامعة العربية فتعهد إلى من تأنس فيهم القدرة بوضع أناشيد كما صنعت مع من يضع لها معجم البلدان العربية ؟ أو تأخذ برأى « البسام » فتسكت حتى يفتح الله على من يضع لها النشيد المطلوب ؟ وإنى أسبق « البسام » فأقول قبل أن يكتب إلى : هذا نشيد الجهاد لفلسطين ، تقدم به الأستاذ حسن أحمد با كثير ، من غير مسابقة ، فاستحسن ونجح قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية فى تلحينه وأدائه . فهل يصنع مثل هذا غيره من المجيدين المتحرجين من التسابق ؟

قواعد جديدة للإملاء :

وضعت لجنة الإملاء بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، مشروعاً يتضمن قواعد جديدة للإملاء ، وقد مهد له ببيان الحافز على هذا العمل وهو تسهيل الكتابة على المبتدئين ومتعلمى العربية من غير أهلها والقضاء على اختلاف الكتابة بين الأفراد وبين الأمم العربية الناشىء عن اختلاف العلماء فى قواعد رسم الحروف ، وذكرت أن أساس مشروعها أن تطابق الكتابة النطق .

والقواعد التى تضمنها هذا المشروع هى كما يلى :

١ — كل ما ينطق به يرسم فى الإملاء ، إلا كلمة « الله » .

٢ — كل ما لا ينطق به لا يرسم ، إلا همزة الوصل ، وإلا لام (أل) الشمسية .

٣ — الهمزة فى أول الكلمة ترسم على ألف مطلقاً ، المضمومة والمفتوحة فوقها والمكسورة تحتها .

٤ — الهمزة المتحركة متوسطة ومتطرفة تكتب على حرف مناسب لحركتها ، ويستثنى من ذلك الهمزة إذا كانت متطرفة وقبلها ألف فتكتب مفردة .

٥ — الهمزة الساكنة متوسطة ومتطرفة ترسم على حرف مناسب لحركة ما قبلها .

٦ — الألف اللينة يرى بعض أعضاء اللجنة أن ترسم ألفاً مطلقاً ، ويستثنى بعضهم على وإلى وحتى وبلى ومتى وأنى .

٧ — كل كلمتين اجتمعتا تكتب كل منهما منفصلة عن الأخرى ، إلا إذا كانت الكلمة الأولى (أل) أو كانت كلتا الكلمتين أو إحداهما على حرف واحد ، وإذا حصل بين الكلمتين إدغام كتبتا كلمة واحدة على حسب النطق .

٨ — يرسم التنوين ألفاً فى حالة النصب ، إلا المختوم بالتاء المربوطة .

وقد نظر مؤتمر المجمع فى هذا المشروع ، فرأى أن يستمر مجلس المجمع فى بحثه ومقارنته بالقواعد الإملائية التى أوصى بها المؤتمر الثقافى العربى الأول ، ثم تعرض النتيجة على مؤتمر المجمع فى السنة الآتية .

وقد قارنت بين هذه القواعد وبين قواعد المؤتمر الثقافى فلم أجد بينهما إلا اختلافاً يسيراً جداً . وقد فرغ المؤتمر الثقافى من تقرير قواعده مع كثير غيرها فى بضعة أيام . فما الداعى إلى إرجاء هذا الموضوع ، اليسير فى مادته الكبير فى أثره ، إلى السنة القادمة ؟ أهى طبيعة المجمع تلازمه فى كل أمر وإن هان ؟

سياسة تشجيع التمثيل :

دعت نقابة ممثلى المسرح والسينما لسماع محاضرة الدكتور محمد صلاح الدين بك فى : « سياسة تشجيع التمثيل » يوم الإثنين ، وقد بدأ بذكر الآساس التى تقوم عليها رعاية الحكومة لهذا الفن ، فقال : إنها تبدو فى نواح أربع ، هى الفرقة المصرية للتمثيل ، والفرق المدرسية ، والمسرح الشعبي . وأسهب فى الكلام على الفرقة المصرية ، ومن أهم ما أفاض فيه كيفية اختيار الروايات . فقال : إن هناك لجنة لهذا الاختيار اسمها : لجنة القراءة (والمحاضر عضو فيها) مهمتها بطبيعة الحال اختيار الرواية الصالحة للتمثيل . ولا شك أن الروايات الغربية تتوافر فيها العناصر الفنية ، وهى وإن كان يجب تقديم بعضها ولا سيما العالى منها ، إلا أنه لا بد من رعاية الجانب المحلى فى التأليف بتقديم روايات مصرية . ولكن الواقع أن المسرح لا يجد ما يصلح من هذا النوع إلا قليلا ؛ لأن كبار الأدباء عازفون عن التأليف للمسرح ، إما ترفعاً عنه ، أو لعدم الميل إليه ، أو لقلة ما يتوقع من كسبه بالنسبة إلى ما يكسبونه من تأليف الكتب . وقد جربت طريقة المسابقات فلم تؤد إلى نتيجة طيبة ؛ لأن الكبار يأنفون الدخول فيها ، وما قدم لم يلف صالحاً ؛ حتى إنه فى إحدى المسابقات رأت اللجنة عدم استحقاق أى رواية مما قدم إليها لأى جائزة ، وفى المسابقة الأخيرة أعلنت اللجنة أنها ستمنح الجوائز للأحسن ، ومنحت فعلا الجوائز لخير ما قدم وإن كان لا يصلح للتمثيل . فرأت اللجنة علاجا لهذه الحال أن تطلب زيادة المبلغ المخصص لتشجيع التمثيل ، حتى تستطيع أن تغرى كبار المؤلفين بأجور ترضيهم . ولكن وزارة المالية لم توافق على هذه الزيادة . وهنا ذكر المحاضر رأياً للدكتور هيكل باشا أفضى إليه به ، وكان يحدثه فى هذا الموضوع ، وهو أن تذكر اللجنة فى طلبها أسماء المؤلفين الذين ستطلب منهم تأليف روايات لمواجهة النقص البادى فى التأليف المسرحى ، وتحدد العمل والأجر ، فإذا تم ذلك فستوافق المالية .

ومن أهم ما ذكره المحاضر أيضاً : مسألة « الاعتمادات » المخصصة لتشجيع التمثيل ، قال : إن الجهود الفردية فى المسرح لا تستطيع أن تستمر وحدها من حيث المال . لأن المسرح ليس له جمهور يكفيه من هذه الناحية فلا بد من إعانة الحكومة وهناك عدة نواح تتطلب هذه الإعانة لتشجيع التأليف وتكبير الفرقة المصرية بضم الكفايات البعيدة عنها إليها ، وإعانة فرق أخرى تنافس الفرقة المصرية منافسة يستفيد منها الفن . ولكن المبلغ المخصص لذلك هو ثلاثة عشر ألف جنيه ، لا يكفى ، وقد فكرنا فى تحويل بعض الإعانة التى تبذلها الحكومة للفرق الأجنبية ومقدارها أربعة عشر ألف جنيه إلى التمثيل المحلى ، وذلك بالاكتفاء ببعض هذه الفرق ، مع ما فى ذلك من إفساح المجال للفرق المصرية على مسرح الأوبرا . .

وقد عقب الأستاذ يوسف وهبي بك ، بأن المحاضر لم يتناول فى محاضرته مسألة إيجاد المسارح اللازمة للعمل ، والواقع أن القاهرة ليس فيها مسرح يصلح للتمثيل غير مسرح الأوبرا الذى تحتله الفرق الأجنبية جزءاً كبيراً من العام . أما مسرح الأزبكية الذى تمثل فيه الفرقة المصرية عندما تضطرها إليه الفرق الأجنبية فهو غير صالح من الوجهة الفنية . وقال يوسف بك إنه يجب أن تحول إعانة الفرق الأجنبية كلها إلى التمثيل المصرى ، فليس من الجائز أن يأكل الضيف كل ما فى البيت والعيال والزوجة جائعون .

وعلى أثر ذلك صعد الأستاذ محمد الشريف فأعلن أن لجنة الشئون الاجتماعية بمجلس النواب وافقت على إنشاء مسرحين بالقاهرة ، أحدهما صيفى والآخر شتوى .

والملاحظ أن كل هذه الأفكار والاتجاهات الطيبة ليس فيها شيء انتهى الأمر فيه إلى التنفيذ ، فما هى إلا أمان ومقترحات .

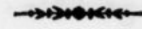
والملاحظ أيضا أن الدولة لم تقدم بعد على عمل شيء لانقاذ هذا الفن الجميل فى مصر . والغريب أنك ترى مما تقدم أن ما تمان به الفرق الأجنبية أكثر مما يناله التمثيل المحلى ، مع أن الأولى تلاقى رواجاً كبيراً من جانب جمهورها الذى يتألف من الأجانب وبعض الأثرياء ، وهى تقتضيهم أجوراً مرتفعة ، مما لا حاجة معه إلى إعانة الدولة ، وإن لم يكفها جمهورها فلتذهب إلى جهنم .

العباسى

فى مولد الرسول:

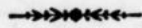
لمن النـور ؟!

للشاعر أحمد هيكل



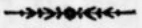
لمن النور يغمر الأرجاء ... ويحيل الظلام فيها ضياء ؟
أهو البدر قد تفجر نبعاً ... من لجين يفضض الصحراء ؟
أهو الفجر قد تقدم جيشاً ... رفع النور فى يديه لواء ؟
أهو الصبح حائكا عبقرياً ... نسج الضوء للوجود رداء ؟
لا ، فهذا الضياء يُسكب فى الأعين هدياً ورحمة وشفاء .
وجدته العيون أعذب رى ... كورود ترشفت أنداء
إنه نورُ وجهِ خير وليد ... هبط الأرض باسماً لألاء
ما لنخل الصحراء يرقص كالغيد ويبدى تخلعاً وانثناء ؟
ما لهذى الجبال أضحت قلوباً ... فى ضلوع الصحراء تحيى الرجاء؟
ما لتلك الغدران تضحك والماء سكوب من ثغرها صهباء ؟
ما لهذى القفار صارت رياضاً ... ثم أضحى هجيرها أفياء
لا ، فإن الربيع يمكث حيناً ... ثم يمسى هواجراً أو شتاء ؟
والربيع القدسى خلده الله ليمحو عن الوجود الشقاء ؟
ليس هذا الربيع غير وليد ... جعل الأرض جنة فيحاء
يا يتيما كالدر سُدْتَ — على اليتم — ملايين أدركوا الآباء
يا وحيداً له نفوس البرايا ... يتمنين أن يكن إماء
يا عليما وما خططت حروفا ... أنت أعجزت فى الورى العلماء ؟
يا فقيراً وبين جنبيك كنز ... ترب نعليك يشترى الأغنياء
ثم تراهم عموا وصموا قلوباً ... ودعاء الفقير شق السماء
ولقد كنتَ من قليلك تسخو ... فإذا جدبها يصير رخاء
كم قسمت الأموال تمسك بعضا ... ثم تعطى جميعها الفقراء
فتآخى الجميع وانبسط العدل ظلالا وريفة سجواء
إن حق الأفراد فى أى أرض ... أن يعيشوا فى أرضهم أحياء
يا رسولا دعا القلوب إلى الحب وأنسى الخصام والبغضاء
أنت شيدت بالتآلف للعُرْب صروحاً تصافح الجوزاء
فى ظلال الإسلام أقدس دوح ... عطر الكون ألفة وإخاء
ثم دار الزمان وافترق القوم دروبا وفرقوا أهواء
فمشى النسر كالزواحف فى الأرض يجر العظام والأشلاء
وغدا الجمع كالقطيع شتيتا ... راح ناب الذئاب فيهم وجاء
ثم قالوا : مذلة واحتلال ... وأرادوا تحرراً وجلاء
ومن الحمق أن نكون شتيتا ... ثم نبغى تقدما وارتقاء
ليس ينجى سوى تآلف قوى ... ليردوا تلك النقاض بناء
ثم نمضى إلى الأعادى جيوشاً ... نعشق الموت لا نهاب الفناء
فمن الخزى أن نعيش على القيد ونحيا فى أرضنا غرباء

أحمد هيكل



دنياي قبر ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى



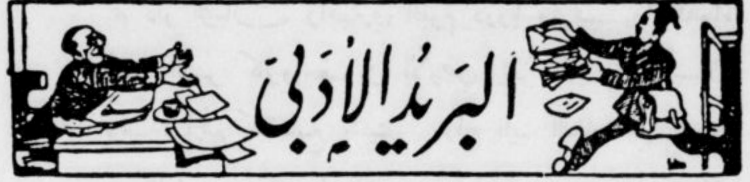
يا حبيبى ما بين كفيك روحى ... تتلوى وللأمانى بكاء
كيف أسلمتها إلى ليل هجر ... تتمادى به وأنت الضياء
لم تزل تشتكى الصدى يارحيقاً ... تشتهى برده القلوب الظماء
هى ترضى من ناظريك بوعد ... لا تدعها يقضى عليها الجفاء

يا حبيبى عطِّر شبابى ونضِّر ... امنياتى فقد جفاها الدواء
كيف خلفتنى بيبداء حبى ... أتلظى وأنت ظلٌّ وماء
أنت لى واحة من الحب نشوى ... فوق شطآنها يرف الهناء
ملء أرباضها صفاء وسحر ... ملء أجوائها الهوى والوفاء
عالم للجمال باركه الحب ... ووشته كفه السمحاء

يا حبيبى لولاك دنياىَ قبر ... ملؤه من هواجس أشلاء
أنا فى ظلك الحبيب أغنى ... أغنيات الهوى فتصغى السماء
أنا أهواك يا متمم نقصى ... أنت بعضى فالبعد عنك فناء

يا فكاك الأسير من قبضة الأشواق رفقاً فأنت أنت الشفاء
أو تنسى ما قلت بالأمس إنى ... لست أنسى هواك أنت الرجاء
لا تخن ود شاعر بك صب ... وارع عهداً يصونه الشعراء

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصرى



معروف الأرناؤوط في حمى الخالدين :

استردّت السماء إليها في الأسبوع الخالي إحدى ودائعها العزيزة عند الأرض ، حين وافى الأجل فقيدنا الغالي معروف الأرناؤوط . .

والأرض والسماء تتبادلان ودائعهما في غير انقطاع ؛ ولكن فرحة الإنسانية باستقبال إحدى هذه الودائع قلما تعادل نكبتها بالخروج عنها وتشييعها إلى مستقرها .

وأبناء الحياة يودعون كل يوم أو كل ساعة راحلا منهم إلى العالم الآخر ، ويأسى منهم من يأسى ، حيناً من الدهر ، ثم ترقأ الدموع ، وتندمل الجراح ، ويمر النسيان بكفه على الأثر ، فيمحى كل شيء إلى الأبد .

ولكن الموت يختم منهم بين الفينة والأخرى واحداً بعينه ، فإذا صوت الناعي يعلو على الأصوات كلها ، وإذا سحابة الحزن تخيم على الرؤوس جميعها ، ثم إذا الجرح أعمق من أن تأسوه الأيام ، والأثر أبلغ من أن يغطى عليه النسيان . .

لقد نعى إلينا الناعي معروفاً في ساعة مبكرة من يوم الجمعة الثلاثين من شهر يناير ١٩٤٨ ، فعقدت المفاجأة ألسنتنا ، وبلبلت أفكارنا ، وأثارت لواعجنا ، وأطالت شؤوننا ؛ ولم نكد نثوب إلى أنفسنا حتى عرفنا أية خسارة فادحة خسرتها الأمة العربية بفقده ، وأي رفد عظيم حرمته العربية بحرمانها منه .

وسار الموكب الرهيب بجثمان الفقيد ، بعد ظهر السبت ، ومشى خلفه نائب صاحب الفخامة رئيس الجمهورية ، وفئة من الوزراء وأصحاب المناصب العليا ، وجمهور غفير من خاصة أهل الفضل والعلماء والأدباء الذين تداعوا إلى العاصمة من لبنان والعراق ، وجيش لجب من رجال التربية والثقافة وعامة الناس . سار الموكب الرهيب خاشعاً موقراً ، حتى إذا لمع الراحل مأمنه ، انقلب الناس راجعين ، وفي كل عين دمعة ، وعلى كل شفة خلجة ، وبين كل نفس ونفس معنى يصوغ الأحزان ويهيج الخواطر الباكية !

والآن ، لقد تجاوز معروف الأرناؤوط هذا الأفق الأرضي ، وانبتت صلة المادة بينه وبين أبنائه ، وانصرف عن هذا التهافت العاجز ، وابتعد عن هذا الضجيج العابث ، الذي نفرغ جهدنا — نحن — فيه . وعرجت روحه إلى أولمب الخالدين ، وانضم إلى زمرة أرباب الفن ، لينعم بمباهج ذلك العالم الخالد الذي طالما طمح إليه بأفكاره ، وليطمئن إلى محاسن تلك الحياة التي طالما حلق بخياله إليها ، وليغمر قلبه بنور الأبد الذي طالما حلم به وحن إليه . .

وعاد من عرف معروفاً ، فاعتزل الناس ، وخلا إلى نفسه ، يغالب لوعته وينطوي على أشجانه .

ولئن خلا هو إلى رحمة ربه ، فإن عمل معروف وروح معروف وفن معروف ، هنا فيما ترك بين أيدينا من كتب ومقالات ، وفيما حفظنا له من أحاديث وأقوال !

كان معروف الأرناؤوط طبقة وحده بين الأدباء ، تهيأ له الذوق الفني ، والخيال الخصيب ، والذهن المشرق ، والقلب الزاخر بالحياة والإحساس ، والنظرة النافذة إلى دقائق المعاني ، والقدرة العجيبة على انتقاء الألفاظ وتنسيقها وصوغ العبارات التي تستأثر بالإعجاب . .

كان ، كما لا يمكن أن يكون كل كاتب ، يريق من روحه وعواطفه وعبقريته على ما يكتب ، فإذا هذا الذي كتبه ينضح عطراً ، ويلتمع ألواناً ، ويترقرق عذوبة وألحاناً ...

كان حسبي ، إذا اصطلحت على نفسي الهموم ، وتداعت على قلبي الأحزان ، وتضافرت على المخاوف ، في ساعة من ساعات القلق والشك ، أن أمد يدي إلى (سيد قريش) ، حتى أجد عنده سكينة نفسي ، وحتى أجد حلاوة هذه الفصول قد اتصلت بقلبي ، وحتى أجد فن معروف يرفعني رويداً رويداً إلى دنيا غريبة فذة من الأماني الحبيبة والأحلام الجميلة والأخيلة البديعة ... ولم يزل ذلك حسبي !

إيه معروف ! لقد خلفتنا في دنيا غلب عليها الشر ، وعدا عليها وعلى أبنائها الشقاء ، والتاثت عليهم سبل العيش ، وابتذلت

المقاييس الكريمة والمثل الرفيعة ، وعز عليهم أن يجدوا الطمأنينة لأنفسهم المرهقة .. خلفتهم وهم أحوج ما يكونون إلى نفحات القلب الكبير الذى يحمله الأدباء الكبار أمثالك ، وإلى نفثات القلم الملهم الذى يتحرك فى يد الكتاب أندادك ، يلتمسون عندها العزاء والراحة والسلوة .

رحمك الله ، وأنعم عليك بالجنة والرضوان .

محمد الأرناؤوط

الفتنة الكبرى

اطلعت على الكلمة التى نشرت فى هذا العدد تعليقاً على مقال لى عن كتاب الدكتور طه حسين عن الفتنة « الكبرى » فلما قرأته آثرت أن لا أضيع على قراء الرسالة صفحات فى نقد كلام الدكتور شوقى ضيف ، فعجلت بكتابة هذه الكلمة .

وليأذن لى الدكتور طه حسين أن أوجه الكلام إلى الدكتور شوقى ضيف ، فى بعض ما جاء فى رده علىّ .

فأول ذلك أن الدكتور شوقى قد أطال فى كلام أكثره موجود فى كتاب الدكتور طه ، كأنه أراد أن يشرحه ، وكان وكنا فى غنى عن مثل هذا الشرح .

والثانية أنه أطال أيضاً فى الأسباب الموجبة لنفى قصة عبدالله ابن سبأ ، ونحن لم نقل أننا نثبتها برواية الطبرى وحسب ، بل قلنا إن الدكتور طه زيف القصة بأسباب لا تستقيم ، وهذه الأسباب مذكورة فى مقالى ولم يتنبه الدكتور شوقى إلى ضعفها وتهافتها . أما إثباتنا لها فسيأتى فيما بعد بطريق آخر غير الذى ظنه الدكتور ضيف .

والثالثة أنه ذكر عن ياقوت شيئاً فى شأن تفسير الطبرى وتاريخه ، وهو أن الطبرى روى فى تاريخه أشياء عن رجال ليسوا عنده بثقات ، وأنه لم يرو عنهم مثل ذلك فى تفسيره لمكانهم من التهمة فى رأيه . وشرح ذلك أن للطبرى رأياً فى قوم ليسوا بثقات عنده ، فنزه التفسير عنهم لأنه أمر دين تجب منه الحيطة الشديدة ؛ أما التاريخ فليس لمثل هذه الحيطة فيه مكان . وموازين المحدثين والمفسرين فى رد الرجال وتجريحهم ، لا يمكن أن تطبق على أهل التاريخ وسواهم من أدباء ورواة . ولو صح ذلك لأسقطنا رواية التاريخ كله ، ورواية الأدب كله ، ورواية اللغة كلها ، وأظن أن الدكتور ضيف لم يعط هذا الأمر حقه من النظر والتدبر . ولست فيما أظن أيضاً مكلفاً بشرح أصول هذه الفنون لكل امرىء لم يطلع عليها أو لم يعرفها حق المعرفة ، إلا أن يسأل سؤال المتعلم عن مواضع اللجاجة فى الانتصار لفلان أو فلان .

والرابعة أنه تسرّع فى ذكر أشياء نمفيه من نقدها ، لأنها تطول وشرحها يطول أيضاً . ولكنى على ثقة من أن الدكتور طه يعرفها كما أعرفها ، وتبين موضع الغمز فيها

ومهما يكن من شىء ، فإنى كتبت ما كتبت عن « الفتنة الكبرى » ولم أتممه بعد ، ولعل الأستاذ لو صبر قليلا لرأى ما يرضيه أو يقنعه . أما العجلة فلا تأتيه بشىء إلا تراكب الخطأ على الخطأ ، ونحن إنما نكتب لنزيل الأخطاء لا لنراكمها بعضها على بعض .

وليعذرنى الأستاذ إذا رأى أنى لم أبين له البيان الشافى فى مسألة الرواية فى التاريخ والحديث والتفسير ، وكيف تكون وما شروطها ، وما ينبغى أن ينظر إليه الباحث مرة ، ويتجاوز عنه أخرى فى هذه الأشياء ، فإن شاء أن يتحرّاه على وجهه ، فليسأل الدكتور طه نفسه ، فهو يدله على المصادر التى تعينه على بيانها إن شاء الله ...

محمود محمد شاكر

١ — تصانيف ابن تيمية :

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد الأمين فى عدد « الرسالة » ٧٦١ فرأيت أن أنقل من كتب الثقات ما يؤيد قول « المفصل فى تاريخ الأدب العربى » : وبلغت مصنفاته ثلاثمئة مجلد .

جاء فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد) ج ٦ ص ٨٤ فى ترجمة الحافظ تقى الدين بن تيمية : قال الذهبى فى عد مصنفاته المجودة : وما أبعد أن مصنفاته إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة .

وقال ابن كثير نقلا عن البرزالى : وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة فى الأصول والفروع كمل منها جملة بيضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ،



نهاية حب

للأستاذ زهدى الشواف

لو قدر لكل إنسان أن يحب كما أحببت ، وأن يعنى بالحبيبة كما منيت ؛ لفاض ينبوع العواطف فى هذه الدنيا .

لقد قضيت ربق شبابى على مقعد الدرس ، وصرفت زهرة أيامى وأنا أقلب صفحات الكتب . ولقد كنت أحسب أن هذه الأوراق الجامدة ستنال منى ؛ فتحد نشاط عاطفتى . ولكنى كنت مخطئاً فى ظنى ؛ إذ كنت كلما انصرفت لحظة عن الدرس طالعتنى العيون الناعسة فعدت وكأن لم أغض لحظة إلى جانب كتاب ، ولم أمض ثانية بعيداً عن تيار العاطفة الجارفة .

وظللت تبيع العاطفة ؛ فأمضيت حقبة من الزمن سادراً لا أرعوى ، حتى قيض الله لى الصدمة التى أبرأتنى من الداء .

كان ذلك فى صبيحة يوم من أيام الربيع فى حماة ؛ فقد استيقظت باكراً ومضيت للحقول أمتع العين بمفاتن الطبيعة ، ولم يطل بى الطواف كثيراً ؛ فقد كان عقرب الساعة يسرع فى جريه فيدنو من الثامنة . وكانت المدرسة تتمثل لى من ورائه ، وكانت دقات الجرس ترن فى أذنى مؤذنة بحلول الدرس الأول ... يا إلهى كيف أترك هذا الهواء الطلق ، وهذه الجنان الرحبة ... لأنحدر إلى الغرفة الضيقة ... إلى الهواء الحبيس ! . وكيف أضحى بهذه الحرية المطلقة لأستريح إلى نظام أقل ما يقال فيه إنه غول الحرية ! ولم أذهب فى تفكيرى بعيداً فلم يبق للثامنة إلا دقائق عشر لا تكاد تكفى للوصول إلى المدرسة .

وعدت أدراجى آسفاً ، وانحدرت إلى المدينة لا ألوى على شىء . وبينا أنا فى الطريق قرع مسمعى نبرات صوت عذب فرفعت رأسى لأتبين مصدرها ، فإذا أنا أمام جبين وضاح يبهر بنوره شمس تلك الصبيحة الفاتنة .

إنها فتاة فى مقتبل العمر ، وقفت فى نافذة بيتها تتلهى برؤية المارة . لقد انحنت قليلا ممسكة شعرها المهدل بيمناها وراحت تداعب بيسراها قطتها الجميلة . ولقد لبثت هذه القطة ترنو إليها شاخصة ذاهلة ، كأنها قد سحرت بزرقة تلك العيون ، أو أنها فتنت بمنظر ذلك الجبين ... ولم أشعر إلا وقد طرحت كتبى على الأرض ثم جلست فوقها ورحت أرنو إلى النافذة شاخصاً ذاهلا .. لقد أنسانى هذا الجمال كل ما قد شهدت فى الحقول من جمال ، وأبعدت هذه العيون شبح المدرسة عن فكرى . وكأن فعلتى هذه لم ترق للآنسة المحترمة ؛ فإنها لم تكد ترانى أحدق فى وجهها حتى اعتدلت بوقفتها وسوت شعرها بيدها ثم أغلقت النافذة وانصرفت .

أما أنا فقد لبثت فى مكانى أفكر بحظى التاعس ، وأقرن نفسى إلى تلك القطة السعيدة ! إنها أسعد من على الأرض ! ألا يكفيها أنها تستمتع بحريتها وتعيش إلى جانب الآنسة الفتانة ! .. ألا يكفيها أنها لا تمسك نفسها ساعات طويلة على مقعد الدرس .. ألا يكفيها أنها لا تشغل بالها بقوانين الجبر ، ولا ترهق نفسها بحفظ قواعد

وجلة كلها ولم تبيض إلى الآن .

وقال الحافظ ابن حجر فى « الدرر » . إن مصنفاته ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة . وفى « فوات الوفيات » إنها تبلغ ثلاثمائة مجلد .

وقد كثر القول فى هذا الرجل بين نقد وجرح وإطراء ومدح ، وأعدل الأقوال هو ما قاله تلميذه ابن كثير : وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء ، وممن يخطىء ويصيب ... قال مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر .

أما « المنتقى » فهو من تأليف جده ، وذلك مشهور .

٢ — إلى الأستاذ محمود شاكر :

فى عدد الرسالة ٧٦١ (وهذه الخمسة أشياء) فهل هذا تطبيع ، والصواب (وهذه الخمسة الأشياء) والأعلى من هذا والأصح (وهذه خمسة الأشياء) أم تذهبون إلى غير هذا ؟

محمد أسامة عليبة

الصرف والنحو ! سعيدة أنت أيتها القطة .

وبينا أنا سابح في سماء الخيال ؛ وقعت عيني على الساعة فإذا بها تشير إلى الثامنة والربع ... يا للمصيبة ! ... أين المدرسة ؟ . بأي وجه أقابل الناظر ؟ ... ومضيت أجر ساق جراً ، وكنت كلما مررت خطوتين تلفت لأرى النافذة ومن وراء النافذة . حتى إذا ما خفي المنزل عني عدوت نحو المدرسة ودخلتها متأخراً ؛ فاستقبلني الناظر بطلعته الكالحة . وبعد السؤال والجواب سجل لي ما يناسبني من جزاء ثم سمح لي بالدخول إلى الصف .

ودخلت الصف فألفيت زملائي الطلاب ساكتين كأن على رؤوسهم الطير . لقد كان الوجوم يخيم في سماء الغرفة ، وكان الصمت يستأثر بالأفواه ... أين هذا الكلوح من تلك البشاشة ! وأين هذا التزمت من ذلك المرح ؟ ...

وأخذت مقعدي ورحت أفكر . ولقد كان لي في صمت الطلاب وهدوئهم ما يحملني على الانطلاق في سماء الخيال ... لقد فتحت الكتاب لأتابع الأستاذ في قراءته ، ولكن العيون الزرقاء كانت تطالعني من بين الأسطر ... لقد كانت كل كلمة عيناً زرقاء ، وكان كل سطر خصلة شقراء . لقد كنت في واد والطلاب في واد . وانتهى الدرس الأول ، وتبعه الثاني ، وانصرم النهار وأنا لا أعلم كيف انصرم ؛ ولكن الذي أذكره هو أنه كان طويلا ، وأني لم أفد به من العلم لا كثيراً ولا قليلا .

ورجعت البيت في المساء كاسف البال محطم الأعصاب ، ولم أقدر على المطالعة ، فأغلقت الكتاب واضطجعت في الفراش ... ولكن أنى للنوم أن يزور الأجفان التي تتطلع من وراء الخيال إلى صورة الحبيب المجهول .

وتوالت الأيام وأنا أزداد بالآنسة شغفاً ، وتتابعت الليالي وأنا أطوف حول بيتها لعلي أظفر منها بنظرة . ولكن هيهات ! فقد كانت لا تكترث بوجودي ، ولا تبالي بمروري وإنما تعتدل في وقفتها فتغلق النافذة ثم تنادي قطتها وتنصرف . وكنت إذا لحظت منها الصدود غضبت وأقسمت أن لا أمر من أمام بيتها ، ولكن ما أسرع ما أحنث بهذا القسم فلا أجدني إلا سائراً في طريق بيتها . لقد كانت هذه القصة تتمثل كل يوم ، ولكنها تنتهي وكأني لم ألحظ صدوداً ولم أحلف يميناً .

وأقبل الصيف وأغلقت المدارس أبوابها فوجدت في العطلة الصيفية عوناً على تحقيق رغباتي . لقد رحت أقضي الأيام الطوال حول منزل آنستي فأستقصي أخبارها وأتنشق عبير رائحتها .. ولقد تخطت معرفتي بها الحدود التي كان الربيع قد رسمها فلم أعد أقنع برؤيتها في النافذة ، وإنما أصبحت أراها في الطريق رائحة غادية برفقة مربيتها العجوز (نانو) .

وإن أنس لا أنس تلك اللحظات التي كنت أقضيها بانتظار خروجها . لقد كانت اللحظة شهراً ، وكانت الساعة دهراً ، ولكني ما كنت لأشعر بوطأة هذا الطول . فقد كان لي خلفه آمال تعدل كل ما ألقاه من آلام . لقد كنت أنتظر طويلا ثم لا ألبث أن أسمع صوتاً ملائكياً يرن في أذني . إنه صوتها وهي تقول : « نانو ... امشي يا نانو » ثم ينفتح الباب وتخرج منه وهي تخطو خطوة وئيدة وإلى جانبها « نانو » فأقف في الطريق محاولا استدراجها إلى ابتسامة رقيقة . ولكني كنت أعود كل مرة خائباً . فقد كانت تمر بي دون أن تشعر بوجودي أو تفطن إلى عواطفي . وإني لا أزال أعجب لتلك العواطف الجامدة كيف لم تعصف بها نظراتي الحادة ، وإني لا أزال أكبر ذلك القلب الهادئ الذي لم تستطع أن تحركه نبرات قلبي المتأججة ...

وقد أوشك الصيف أن ينقضي قبل أن أنتهي إلى نتيجة مرضية ، فقد ظل قلب الآنسة بعيداً عن قلبي وبقيت آذانها مغلقة عن سماع صوتي ، وقد تراءى لي أنها تكتم عواطفها خوفاً من « نانو » العجوز ، فاعتقدت أن الحب يقضي علي أن أستعطف « نانو » وأن أستدر رحمتها .

ولما كان الغد ملت بنظري نحو « نانو » فابتسمت لي وابتسمت لها وقلت في نفسي إنها ولا شك قد أدركت معنى ابتسامتي وفهمت مغزى وقوفي ، وتتابعت النظرات والابتسامات ورأيت « نانو » ذات صباح وحدها فدنوت منها وتكلفت من الشجاعة أكثر مما أطيق ، ثم اعترضتها وقلت لها : « الهوى صعب يا نانو ! » فهزت برأسها هزة العجب والكبرياء ثم أجابتني « والصبر طيب ... طيب يا حبيبي ! . » ثم مضت لسبيلها وظللت وحدي أفكر في معنى كلمتها ...

(البقية في العدد القادم)

زهدي الشواف

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات الأسكندرية لسنة ١٩٤٨

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات الأسكندرية الزمع صدوره فى أبريل سنة ١٩٤٨ .

والاعلان فى الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسعار زهيدة

ولزيادة الاستعلام اتصلوا :—

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — محطة مصر

مطبعة الرسالة



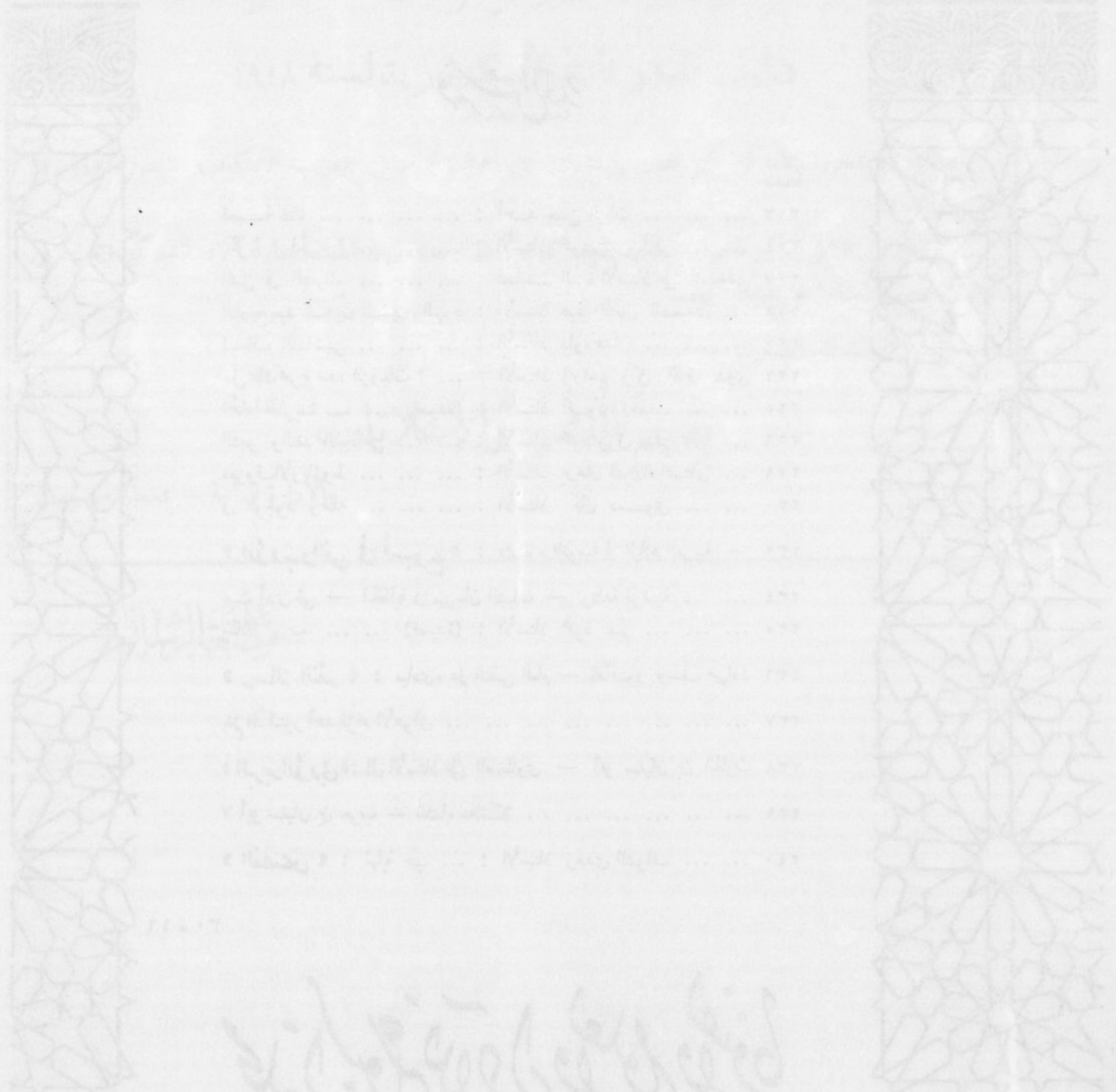
العدد ٧٦٤ — الاثنين ٢٣ فبراير ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

١٦ ٥ ٣٠

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



16 em Année No. 764

Lundi — 23 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٦٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصة فتـــاة ...

يوم الاثنين ٧ مايو ١٩٤٥ :

عرفت من بين الرسائل الكثيرة التى ألقيت إلىّ صباح اليوم رسالة الآنسة (س) من غلافها الوردى الأنيق ، وخطها الأنثوى المنمنم ، فوضعتها ناحية ريثما أفرغ من بريد الرسالة ، ثم عدت إليها فشققت كامها عن أربعة أسطر تقول فيها : إنها حضرت القاهرة منذ يومين ، وإنهـا ترجو أن ترانى فى الساعة الخامسة من مساء الخميس المقبل بمحلى (جروبى) الجديد ، وإنها ستضع مجلة (الرسالة) على المائدة التى ستجلس إليها ، لتكون دليلا عليها ؛ فإننا تعارفنا منذ عام بالكتابة نفساً لنفس ، ولكننا لم نتعارف إلى اليوم باللقاء وجهاً لوجه

كيف أفلتت هذه الفتاة الغريرة من ربقة التقاليد الصعيدية المحكمة فتركت عزبتها إلى المدينة ، وبيتها إلى الفندق ، وحديقتها إلى جروبى ؟ هل أقدمت على ما كانت تسوله لها نفسها الطموح من الانعتاق والانطلاق ، فخرجت مما كانت تسميه (قبراً) لتدخل فيما كانت تسميه (دنيا) ؟ سؤالان ألقيتهما على نفسى ورسالتها عالقة بيدى ، وحياتها ماثلة فى ذهنى ، فلم تدر نفسى ماذا تجيب . قد أستطيع بمـا نمت عليه رسائلها من أخبارها وأسرارها أن أخمن بعض الأسباب التى أقدمتها إلى القاهرة ، ولكن بين التخمين واليقين ثلاثة أيام ، فلأنتظر حتى ألقاها

ألقى إلىّ البريد أولى رسائلها من الصعيد الأوسط فى أوائل إبريل من سنة ١٩٤٤ حين سرى الروح الإلهى فى همود الطبيعة فأيقظ الراقد وأنمش الخامد وأعلن المستكن . كانت فى تلك الرسالة متهيبة متحفظة ، كالغريب الطارىء يقرع الباب بلطف ، ويدخل البيت فى استحياء ، حتى إذا وجد من أهل الدار بشاشة القبول وكرم المثوى ، علّق العصا وخلع المطف . وما كان لكاتب نصب نفسه للتوجيه والإرشاد أن يذود عن بابه المفتوح فتاة تلتمس نفَساً من كربها وسنداً لضعفها وسبيلا لهداها

لم تقل فى رسائلها القصيرة أكثر من أنها آنسة فى الخامسة عشرة فقدت فى السن الباكرة أبويها فكفلها أخوها . وأخوها على طباع أهل الصعيد شديد الحِفاظ صارم النخوة لم يسمح لها بالمضى إلى غاية التعليم الثانوى فضمها إليـه فى العزبة . والعزبة حديقة تتوسطها دار يسكنها الأخ وزوجه وابنـاه الصغيران ، ثم الدوار وبيوت الفلاحين يفصلها عن حى المالك طريق واسع وسور مرتفع ، ثم حقول مترامية الأطراف يغشاها السكون وتلفها الوحشة . وزوجة أخيها امرأة ضيقة الفكر واسعة العمل حيية الطبع لا تحب الاجتماع ولا تحسن الحديث . فهى لا تملك فى هذه البيئة وهذه الطبيعة إلا أن تزجّى فراغها الثقيل بقراءة قصة أو كتابة رسالة أو رسم صورة أو نسج قطعة . ولكن وجهة آمالها وحديث أحلامها أن تكون يوماً ما أديبة . وقد قرأت لى (آلام فرتر) و (رفائيل) فراقها الأسلوب وسحرها الروح . وهى تطمح أن تبلغ من الفن الكتابى مبلغاً يهيئها أن تمر

الحرية ! الحرية !

للأستاذ محمود محمد شاكر

أصبحت الجامعة العربية حديث العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، قد ناطوا بها كل آمالهم فى بلوغ غاياتهم وإدراك ما تتمناه قلوبهم وضمائرهم ، وحسب الجامعة أن تكون قبلة أربعمئة مليون عربى ومسلم فى دنيا كلها عدوّ لنا يبغينا الغوائل . ولكن لا حسب ، فليس من الحق أن نترك الجامعة تسير وحدها فى الطريق دون أن ترتفع أصوات طلاب الحق تؤيدها وتسددها وتشير عليها بالرأى بعد الرأى ، فإن رجال الجامعة رجال من أنفسنا ، قد رضيت العرب أن تمهد إليهم بقيادة هذه الشعوب المطالبة بالتحرر من قيود الاستعمار التى ضربت علينا ونحن فى غفلة عن الدنيا الضارية التى أرسلت علينا وحوشها ترتع فى حمانا ، وتستأثر بخير بلادنا ، وتنال منا نيلا شديداً .

وقد آن أوان تغيير ما كان وما سار عليه العمل فى السنوات الماضية . فالجامعة ترى كما يرى كل عربى ومسلم منذ وضعت الحرب العالمية الماضية أوزارها ، أن أوربة الجائعة التى لا تشبع ، قد خرجت من تحت أنقاض الحرب المدمرة وهى أشد ضراوة ووحشية مما كانت قبل الحرب وفى زمان الحرب . وأنها تريد أن تلتهم كل شىء فنشبع ونجوع نحن ، وتعبث ونئن نحن ، وتستغرق فى الترف وناعم العيش وإن أغرقتنا نحن فى الضنك وبؤس الحياة . فهذه روسيا تريد أن توغل حيث أطاقت وحيث تيسر لها أن تتوغل . وهذه بريطانيا الكاهنة العتيقة العاتية تريد أن تتلو زمازم كهانتها على شعوبنا لتنيمنا مرة أخرى على الخسف الذى غنا عليها أجيالا طوالا . ثم هذه ثالثة الثلاثة أمريكا التى لا ينطفىء أوار ظمئها إلى البترول ، تريد أن تستنفد كل شىء ما استطاعت ، لتتنعم هى به وبكل ما يطيق العلم أن يحدثه من ترف أو قوة ، فتدخل مع بريطانيا فى الحلف الاستعمارى ، لا تبالى أن تناقض تاريخ الأحرار القدماء من رجالها وبناة مجدها .

وترى الجامعة كما يرى كل عربى ومسلم ، أن الشرق العربى والشرق الإسلامى لم يقرّ له قرار منذ سكنت نار الحرب ، فقد انبعثت أندونيسيا تريد الحرية فلم يبال بها أحد ، وانبعثت الهند تريد الحرية فأناموها بأن أدخلوها فى نظام الدومنيون ، وهبت مصر والسودان تجادل عن حقها فى مجلس الأمن فأصمت الأمم الداعية إلى الحرية آذانها ، وعلقوا القضية فى هيكل الوثنية الحديثة التى تعبد إله الشهوات ، وثار العراق يريد أن يحطم قيود الذل فأرادت بريطانيا أن تخدعه عن نفسه فأبى إباء الأحرار ، وماج المغرب العربى فى تونس والجزائر ومراكش ، فضربت عليه فرنسا حكم الجبروت وألقت بينه وبين العالم أسداداً من فولاذ الظلم والطغيان ، وسكت العالم الجديد عن هذا البغى اللئيم الذى ليس له رادع من نفسه ولا من الناس . وفارت مدغشقر فأطفأ المستعمرون تلك الأرواح المستعرة بأسنة الحراب . وأخيراً كشفت روسيا وبريطانيا وأمريكا وسائر الدول الصليبية قناع النفاق والرياء ، فقضت أن تطلق على فلسطين أنذال البشرية من يهود ، ليطردوا العرب من أرض آبائهم وأجدادهم منذ كان للعرب على هذه الأرض تاريخ ، فأجمعت الأمم الإسلامية على أن ترد هذا العدوان وإن اجتمعت الدنيا كلها على تحقيقه ومناصرته .

عن نفسها هذا التعبير ، وأن تكشف عن روحها هذا الكشف ؛ وتطلب منى فى ابتهال وضراعة أن أجيب عما ترسل إلىّ من رسائل ، فأوجهها إلى ما تقرأ ، وأحاسبها على ما تكتب ، وأناقشها فيما تفكر ، وأملأ يومها الفارغ الطويل بتحرير الكتب إلىّ ، وانتظار الأجوبة منى ؛ وذلك فيما تزعم جزء من رسالة الأديب الذى اصطفاه الله ليجمّل بفنه قبح الحياة ، ويخفف بعلمه شقاء الناس .

إن الرد على ما يأتيك من الرسائل واجب ، وهو بالطبع على رسائل السيدات أوجب ؛ ولكن هناك — ولا أكذبك — دافعاً أقوى من الواجب ، هو تلك اللذة الطبيعية التى يجدها الرجل فى الحديث إلى المرأة أو عن المرأة . لذلك لم أكد أقضى حاجة النفس من جمال تلك الرسالة ، بلباقة الفكر فى الأسلوب ، وإطالة النظر إلى الخط ، حتى كتبت الجواب عنها إلى الفتاة بأسلوب أب يحاول أن يكون لابنته كما تريد ، ويجتهد فى أن يفتح أمامها باب الأمل من جديد .

للقصة بقايا

أحمد حسن الزيات

ترى الجامعة العربية كل هذا كما يراه كل مسلم وعربى ، ولـكنها لا تزال تسير فى أمر هذه الثورة الجامحة — التى يريد بها العرب والمسلمون أن يطهروا أنفسهم من الاستعباد ، وأن يطهروا أرض الله من البغى والعدوان — سيرة لم يسرها قبل مطالب بحق يعلم أنه حق لا نزاع فيه . فهى تشغل نفسها مثلا بقضية فلسطين وحدها — على خطر شأنها — وتنسى ما يجرى فى مراكش وتونس والجزائر ، وما يحدث فى العراق ، وما هو كائن فى مصر والسودان ، وما لا يزال يحدث فى أندونيسيا وسائر البلدان والأمم المطالبة بالحرية . ولعلها تقول إنها تنظر فى الأهم ثم المهم ، وإنها لا تريد أن تخرج عن الأصل الذى وضعت له والذى يدل عليه اسمها وهو « جامعة الدول العربية » ، لا جامعة العرب ، ولا جامعة الإسلام ، ولا جامعة الشرق . وهذا حق ، ولـكن ما الذى يحبسها على هذا وحده؟ وما معنى أن تقصر أمرها على الدول العربية « المستقلة » فى ظاهر الأمر؟ إن هذه الدول العربية « المستقلة » ليست مستقلة فى حقيقة الأمر ، وإلا ففيم ثورة مصر والسودان؟ وفيم ثورة العراق؟ وفيم غليان شرق الأردن؟ فليس من الرأى أن تظل الجامعة العربية مقيدة بأشياء هى حبر على ورق ؛ بل ينبغى أن تضم إليها رجالا من تونس والجزائر ومراكش ، وينبغى أن تضم إليها رجالا من سائر الدول الإسلامية والشرقية ممن لهم مع العرب صلات لا يمكن أن تقطعها هذه القواطع المزيفة ، وينبغى أن تعلن الجامعة العربية أنها قد أخذت على عاتقها أن تدافع عن حرية العرب وحرية المسلمين ، وينبغى أن تكون هى المؤتمر العام الذى ينضم إليه كل ناشد للحرية فى هذه الأرض مهما اختلفت الأجناس والأديان.

بل ينبغى أن تجمع الجامعة العربية فى يدها أمر السياسة العربية والإسلامية جملة واحدة ، وأن تضع المبادىء التى يجب على كل أمة تنضم إليها أن تعمل بها ، وأن تكون هى المعبرة عن النداء العام الذى تنادى به هذه الأمم والشعوب وهو : الحرية ! وينبغى أن تسير فى ذلك كله مرة واحدة ، فلا تفرق قضية الحرية إلى قضايا كل واحدة منها تعالج على أسلوب يخالف أخاه أو يتخاف عنه

إن روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا وسائر الدول المستعمرة ، أو أذيال الدول المستعمرة ، قد اتفقوا جميعاً على العرب والمسلمين وأهل الشرق ، ففيم نتأخر نحن أو نحجم أو نتلجلج ؟ ولم لا نعمل جميعاً جملة واحدة ، ويداً واحدة ، وفى وقت واحد ، وأى عائق يعوق المطالبين بالحرية والناشدين لها عن اجتماع الـكلمة على هذا الحق الذى لا يملك أحد أن يمنحه أحداً ، لأنه عطية الله ونعمته ، ليس لأحد أن يسلبه ؟ وكيف يسلبه وهو قوام هذا البنيان الإلهى؟ فإذا خلا هذا البنيان من الحرية ، فقد خلا من الحياة وانهدم ، وكان أنقاضاً تسمى على أرض تلفظها ، وتستظل بسماء تلعنها .

إن جامعة الدول العربية ، إنما تتـكلم اليوم باسم الشعوب العربية لا باسم الحـكومات وحدها . فلتعلم الجامعة أن الشعوب قد سئمت هذه السياسة العتيقة البالية ، سياسة المداورة والمحاورة ، سياسة الظنون الخداعة ، سياسة المغررين الذين يحسبون أن سينالون حقوقهم بالمساوضات والمحادثات والمخابرات والمخادعات . فلتحذر إذن أن تقف دون الغاية التى تسمى إليها شعوبها ، ولتخط الخطوة الواسعة التى خطتها الشعوب فى سبيل درك الحرية وانتزاعها من يد الجبابرة الظالمين . إنها اليوم أعظم قوة فى هذا الشرق العربى والإسلامى ، فلزام عليها أن تنطق بإرادة هذه الشعوب مجتمعة ، لا بإرادة حـكومات تغرّر بها السياسة ، ولا بإرادة أفراد مهما بلغ سلطانهم فهو دون سلطان الشعوب التى يمثلونها ، بل ينبغى أن تـكون الجامعة هى الرقيب الذى لا ينام على إرادة هذه الحـكومات وعلى إرادة هؤلاء الأفراد ، طبقاً لإرادة الشعوب وحدها .

إنى لا أزال أنذر الناس أننا نعيش اليوم فى زمن غير الزمن الذى ألفوه منذ خمس سنوات وحسب ، فاليقظة التى تدب اليوم فى كيان الشعوب العربية والإسلامية أضخم وأعظم وأقوى مما يخطر ببال أحد ، إنها القوة التى لا يقف دونها سلطان ولا طغيان ولا بأس . نعم ، إن النظر العابر الخاطف لا يكاد يدل على هذه الحقيقة ، ولـكن النظرة المتأنية المتعمقة تستطيع أن تحس بهذه الحركة الجياشة التى فار فائرها تحت هذا الظاهر الساكن المطمئن. وإنما يغفل من يغفل عن إدراك هـذه القوة ، لأنه ألف شيئاً مضى ، فقاس عليه شيئاً جديداً يراه وهو متأثر بهذا الماضى ، ولأنه مسوق فى عنان هذه السرعة الخاطفة التى يجرى بها عالمنا الحاضر إلى الغايات التى لا يعلم غيبها إلا عالم غيب السموات والأرض . ولـكن الجامعة العربية قد فرض عليها أن تنظر النظرة المتأنية العميقة لتدرك هذه الحقيقة التى لا تخفى ، ثم تقيم سياستها على هذا الأصل وحده دون الأصول الأخرى التى ورثتها

عن السياسات العتيقة ، سياسة المفاوضات والمخادعات ، وسياسة الأخذ والإعطاء ، وسياسة تقسيم القضية الواحدة — قضية الحرية

إنى أنذر الحكومات ، وأنذر الجامعة العربية بأن هذه اليقظة القوية المنيفة سوف تنكشف عن قريب ، وأنها إذا لم تجد الحكومات ، ولم تجد الجامعة العربية ، قد تهيأوا للسير فى خطاها. فهى ستدمرهم جميعاً ، ويخشى يومئذ أن تنقلب هذه اليقظة فتنة هوجاء لا قائد لها تعصف بهم جميعاً عصف الرياح بهشيم النبات . فليتق الله كل عامل منا ، ولينظر إلى غد ، وليعرف حقيقة هذه الشعوب ، وليأخذ نصيبه من التبعة التى ألقاها عليه مكانه من الناس ومن الشعوب

إن قضية الشعوب العربية والشرقية والإسلامية « قضية واحدة » ، فاكتبوا هذه الكلمة فى كل مكان ، ورددوها بكل لسان ، واهدروا بها هدير الأمواج فى هذه البحار الظلمة ، فإنها كلمة النجاة لكم ولشعوبكم وللناس جميعاً .

إن ساعة الخطر الأعظم قد دنت وتطابقت علينا عقاربها من هنا ومن ثم ، وإن بريطانيا أولا ثم أمريكا وروسيا وأذيالهم من أمم الاستعمار الصليبية ، تدرك هذه الحقيقة كل الإدراك ، فهى تريد أن تمزق شمل هذه القوة قبل أن تجتمع وتبدو جملة واحدة . فبريطانيا تريد أن تشغل كل قبيل منا أو كل دولة بشأن من شئونها التى تثير جماهير رجال السياسة القدماء ، أولئك الرجال الذين نشأوا فى أحضانها ، أو فى أحضان استعمارها الخبيث . وأمريكا تريد أن تشغل كل أمة منا باللعنة اللاحقة التى تقوم عليها قوتها وهى البترول ومنابع البترول ، تشتريه من هذه الأمم الفقيرة بأبخس الأثمان ، فتنقله إلى بلادها فيكون أرخص ثمناً من البترول الذى تستخرجه من نفس أرضها ! وتخدع هؤلاء المساكين بالدولار تمطيه ، وهو ليس عطية ، بل محنة وبلاء واستعباداً للانسان الفقير الذى يظن أن المال هو كل شىء فى هذه الدنيا . وأما روسيا فهى تعمل جاهدة على أن تأتى هذه الشعوب من طريق فتنتها عن الهدف الأعظم وهى الحرية ، وتوجهها إلى الفتنة الخبيثة توقدها بين الغنى والفقير ، والمالك والمستأجر ، والعامل وصاحب المال ، حتى إذا صرفت الوجوه عن حقيقة الحياة — أى عن الحرية — دخلت فاستقرت وتحكمت واستبدت ، وفعلت بنا ما فعل هؤلاء الديمقراطيون : زعموا أنهم يدافعون عن الحرية ثم سلبونا حريتنا ، وتدعى روسيا أنها تريد المساواة بين الناس ؛ فإذا دخلت بيننا حرمتنا هذه المساواة . إن هذه الدول جميعاً على اختلافها واختلاف مصالحها قد اتفقت على مصلحة واحدة هى أن تقتلنا ، ثم يأتى بعد ذلك تنازعهم واقتتالهم على أسلاب هذا القتيل .

فالجامعة العربية هى التى كتب عليها منذ اليوم أن تقف حيال هذه القوى مجتمعة لتردَّها عن هذا الهدف اللئيم الذى تسعى إليه . فلتجمع فى لسانها ضمير هذه الشعوب المستهدفة للخطر الأعظم ، ولتنطق بالكلمة الواحدة التى تعبر عن هذا الضمير ، وهى أن قضية العرب والشرق والإسلام قضية واحدة ، قضية لا تتجزأ لأن الحرية لا تتجزأ . والجامعة العربية تعلم — أو ينبغى أن تعلم — أنها إذا نطقت بهذه الكلمة وجعلتها أصل سياستها التى لا تقبل فيها مهادنة ولا مفاوضة ولا مجادلة ، انبعث من ورائها قوة أربعمئة مليون نسمة تهتف من ورائها هتافاً يهدّ الجبال الراسيات ، ويشتت بأس الأمم الطاغية بسلاحها ومدمراتها وجبروتها وبغيها ويهودها أيضا . إنهم أربعمئة مليون يهتفون بلسان واحد فى وقت واحد : الحرية الحرية !

إنها قضية واحدة أيتها الجامعة ! إنها قضية واحدة أيتها الحكومات ! إنها قضية واحدة أيها الملوك والأمراء ! فأجمعوا أمركم وتنادوا جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها — من حدود الصين إلى بلاد المغرب الأقصى ، ومن أطراف الشام إلى جنوب إفريقية . تنادوا بالكلمة الواحدة التى تزلزل هذه الأرض التى امتلأت جوانبها بغياً وظلماً وفساداً ، تنادوا بحرف واحد ، وبلسان واحد ، وفى وقت واحد : الحرية ! الحرية ! « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

محمود محمد شاكر

القتـــل فى الشرائع

لحضرة صاحب العزة الأستاذ على بك حلمي
مدير البحيرة

قتل النفس بغير حق جريمة من أقسى الجرائم وأشدها إخلالا بالأمن العام . فهى تقضى على حياة الإنسان فتسلبه صفة الوجود دون رحمة ولاشفقة . وكثيراً ما تعتمد على الغدر والخيانة ، فلا يجد المجنى عليه فرصة للدفاع عن نفسه والذود على وجوده .

وقد نشأت هذه الجريمة منذ وجدت الجماعة وحدث بين أفرادها تعارض الرغبات والشهوات . وورد ذكرها فى جميع الشرائع والديانات القديمة ، ونص فيها على عقوبة مقترفيها بجزاء يختلف شدة وضعفاً باختلاف درجة الجماعة من رقى واضمحلال .

القتل قبل الشرائع :

لم يكن لجريمة القتل جزاء محدود ولا تشريع مرسوم . ولقد حدثنا القرآن الكريم بقوله تعالى فى سورة المائدة : (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل ، أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) عن أول جريمة وقعت من الإنسان على أخيه ، وعن أول تشريع جنائى لهذه الجريمة . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل »

القتل فى التوراة :

فرقت التوراة بين الأحوال المختلفة لجريمة القتل وبين العمد منها وغير العمد ، ورسمت لكل نوع عقوبة خاصة تتناسب مع درجتها فى الإجرام . ومن نصوصها : « من ضرب إنساناً فمات فليقتل قتلاً ؛ فإن لم يتعمد قتله بل أوقعه الله فى يده فسأجعل له موضعاً يهرب منه . وإذا بغى رجل على آخر فقتله اغتيالا ؛ فمن قدام مذبحه يأخذه ليقتل . ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا . وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو تكلم ولم يقتل بل سقط فى الفراش ؛ فإن قام وتمشى خارجاً على عكازه يكون الضارب بريئاً إلا أن يعوضه عطلته ، وينفق على شفائه . وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلا برجل وكيا بكى وجرحا بجرح ورضاً برض » .

ومن هذه النصوص يظهر للباحث أن شريعة اليهود تنص على القصاص فى كل الحالات دون ذكر العفو عن أية حالة منها .

القتل فى الإنجيل :

جاء فى إنجيل متى : « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ؛ بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له خدك الأيسر ، ومن رأى أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه اثنين »

وبمقارنة هذه النصوص مع نصوص التوراة نجد أن الأولى تقرر العفو دون القصاص مما حدا ببعض الناس إلى القول بأن الإنجيل لا يجعل القتل من شرائعه — وقال آخرون إن الذى لم يذكره الإنجيل إنما هو القود ؛ إذ أن الدية كانت واجبة فى جريمة القتل العمد ، وأنكر ذلك الشيخ الإمام محمد عبده فى رواية عن السيد رشيد رضا . ويتفرع عن هذا البحث آراء كثيرة لا يتسع الموضوع لذكرها الآن ؛ غير أننا نلاحظ فارقاً بيناً فى تقرير عقوبة القتل فى كلا التشريعين السابقين — فبينما نرى التوراة تميل فى تشريعها إلى جانب المجنى عليه فتفرض القصاص وتتجاهل العفو نجد الإنجيل يفرض العفو على ولى الدم ويمنع مقابلة الجرم بمثله ؛ ولذلك يقال : إن فى التشريع الأول تفريطاً فى شأن الجانى وفى التشريع الثانى إفراطا فى النظر إليه.

القتل عند البدو :

كان العرب قبل الإسلام أمة فطرية تعيش على البداوة بنظامها وعاداتها الخاصة — وقد شاع فى بيئتها القتل وجرت عاداتها على قتل القاتل — ولكن بالنسبة لما جبلت عليه العرب من الحمية الجاهلية والعصبية وكلفهم بالأخذ بالثأر أسرفوا فى القصاص وتمادوا فيه فأصبحت الجماعة تقتل بالواحد دون نظر إلى قواعد العدل والإنصاف ، ولم يرفع هذا الظلم إلا بنزول القرآن وظهور الإسلام .

القتل عند الرومان :

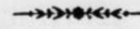
يتساوى الرومان والعرب فى أن جريمة القتل عرفت عندهم من قديم الزمان واعتبروها عقوبة لنفس الجريمة — غير أنهما يختلفان فى ناحيتين جوهريتين .

فالأولون ينوعون فى تطبيق عقوبة القتل ولا يسرفون فى

التاريخ يعيد نفسه

بين المسلمين واليهود

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي



لقد ظهر الإسلام والدولة الرومية تحكم فلسطين وغيرها من بلاد الشام، وكانت قد قضت على دولة اليهود فيها من قبل الميلاد المسيحي، وفرقتهم منها فى سائر البلاد، وكانت دولة الروم تحكم فلسطين وغيرها من البلاد الشرقية حكماً استعمارياً، يستبد فيه الأوربيون بالشرقيين كما يستبدون بهم فى عصرنا، ويقوم على أساس الطمع فى بلادهم كما يقوم الآن بيننا، فلما ظهر المسلمون مال أهل هذه البلاد إلى حكمهم، لأنه لم يكن حكم طغيان واستبداد كحكم الدولة الرومية، فدخلت فى حكم المسلمين بحق الفتح، ودخل كثير من أهلها فى الإسلام عن طواعية واختيار وبقى بعض أهلها على دينهم، فعاشوا بين إخوانهم من المسلمين تجمعهم كلمة الوطن، ولا يؤثر فيهم ما بينهم من اختلاف فى الدين حتى مضى عليهم فيه أكثر من ثلاثة عشر قرناً، وإنه ليكفى أقل منها لتثبيت حقهم فيه، ولإبطال حق الروم الذين كانوا يحكمون قبلهم، فما ظنك باليهود الذين لم يكن لهم أثر فيه على عهد فتح المسلمين له، وهذا هو حكم التاريخ والسياسة فى أمر فلسطين، وهو حكم صريح فى أنها للعرب من مسلمين ومسيحيين لا لليهود ولا للصهيونيين، ولا لغيرهم ممن يريد سلبها منهم، ويستغل حمق اليهود والصهيونيين فى الوصول إلى مآربه، ليضرب العرب بهم ويضربهم بالعرب، ويظفر بعد هذا بما له من مآرب وحينئذ يندم اليهود ولات ساعة مندم، ويأسفون على إساءتهم لمن أحسن إليهم ولات ساعة أسف.

القصاص؛ كما كان عليه الشأن عند العرب — والناحية الثانية أن نظام الطبقات عند الرومان كان ملحوظاً فى تطبيق هذه العقوبة؛ فإذا كان الجانى من الأشراف استبدل النفى بعقوبة القتل وإذا كان من الطبقة الوسطى كانت عقوبته قطع الرقبة؛ وإذا كان من الطبقة الدنيا كانت عقوبته الصلب أو إلقاءه طعاماً لحيوان مفترس، أو يشنق.

وقد دخل على هذا النظام عدة تغييرات انتهت بتدخل الحكومة فى إقرار العقوبة وتنفيذها، كما هو عليه الحال فى القوانين الحديثة

القتل فى الإسلام:

نزل فى عقوبة القتل آيتان أولاهما مكية وهى أول ما نزل فى القتل وهى قوله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً) والأخرى مدنية وهى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى: الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى. فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان؛ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة؛ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم. ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون).

كما وردت نصوص أخرى متفرقة فى القرآن نهت عن القتل منها: (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق؛ ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون). ومنها قوله تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً. ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا. ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق)

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله: «اجتنبوا السبع الموبقات وذكر فيها قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق»

أسباب النزول:

روى فى أسباب نزول القصاص أن بدوياً قتل آخر من الأشراف؛ فاجتمع أقارب القاتل عند ولى المقتول وسألوه عما يريد، فخيرهم بين إحدى ثلاث قالوا: ما هى؟ قال: إما أن تحيوا ولدى، أو تملأوا دارى من نجوم السماء، أو تدفعوا لى جملة قومكم ثم لا أرى أنى أخذت عوضاً.

تبين هذه الرواية مقدار ما جبلت عليه نفوس العرب من الإسراف فى طلب القصاص والتعنت فيه كأخذ الجانى بغيره والجملة بالواحد

استمر العرب يقتلون الجماعة بالواحد والرومان يفرقون بين الشريف وغير الشريف؛ والتوراة تحابى المجنى عليه؛ والإنجيل يفرط فى شأنه حتى ظهر الإسلام فنزلت آيات القصاص التى تنظم جزاء جريمة القتل وترسم عقوبتها على أسس من العدل والإنصاف سنذكرها فى مقال تال إن شاء الله فارتفع من الشرائع الأخرى مساوئها واستقرت محاسنها.

علي حلمي

وأما حكم الدين فهو كحكم التاريخ والسياسة أيضاً ، لأن اليهود قد وعدوا بذلك الوطن فى عهد إبراهيم حقاً ، إذ جاء فى الآية — ٧ — من الأصحاح — ١٢ — من سفر التكوين (وظهر الرب لأبرام وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض) وجاء فى الآية ٢١ — من سورة المـائدة (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) وهذا خطاب من موسى إلى قومه حين ذهب بهم من مصر إلى هـذه الأرض المقدسة .

ولـكن الله تعالى لم يكتب هـذه الأرض لهم لأنهم يهود ، ولا لأنهم أبناء إبرهيم عليه السـلام ، ولا لأنهم قوم موسى عليه السلام ، لأن البشر عنده سواء ، وهما جميعاً خلقه وعبيده ، وعدله يشملهم عامة ، ورحمته تعمهم كافة ، وإنما كتب لهم هذه الأرض ليقوموا فيها بعهده ، ويؤدوا فيها حقه عليهم ، كما قال تعالى فى الآية — ٤٠ — من سورة البقرة (وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون)

وكان عهد الله تعالى عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وأن يصدقوا أنبياءه الذين يرسلهم إليهم ، فلم يفوا له بهذا العهد وكذبوا بعض من أرسله إليهم ، وقتلوا بعضهم ، كما قال تعالى فى الآية — ٧٠ — من سورة المـائدة (لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذَّبوا و فريقاً يقتلون) والتوراة وما بعدها من كتب العهد القديم مملوءة بأخبار نقضهم هذا العهد ، و كفرهم بالله تعالى ، وتـكذيبهم أنبياءه .

وقد سلط الله عليهم من أخرجهم من هذا الوطن جزاء لهم على نقض هـذا العهد ، وكان بختنصر أول من سـلطه عليهم ، فأجلاهم من فلسطين إلى بابل ، وقد مكثوا بها إلى أن أعادهم كورش الفارسى إلى فلسطين ، فأقاموا بها ثانياً مدة من الزمان ، وأقاموا دولة لهم فيها دون دولتهم الأولى .

ثم سلط الله عليهم دولة الروم قبيل ظهور المسيح ، فقضوا على دولتهم قضاء لا مرد له ، وأجلوهم من فلسطين آخر جلاء ، لأنهم كذبوا مسيحه وحاولوا قتله ، وقتلوا ابن خالته يحيى بن زكريا قبله ، فعظم بغيهم ، وتفاقم شرهم ، وانقطع الأمل فى صلاح حالهم ولم يبق معنى لبقائهم فى فلسطين ، بعد أن ظهر المسيح بشريعة لا تختص بهم وحدهم . ثم جاء الإسلام فحمل الرسالة عامة للناس جميعاً ، واستوى فيها الخلق كافة ، فدان للمسيح من دان من الشعوب ، ودان للاسلام من دان منهم ، وبقى اليهود وحدهم يزعمون أن رسالة الله لا تتعداهم ، وأنه لم يصطف من الناس غيرهم

فاتفقت النصرانية والإسـلام على نزع هذا الوطن منهم ليتحقق وعد الله بنزعه منهم إذا لم يفوا بعهده ، ويؤمنوا بأنبيائه لأن وعد الله حق ، وخبره لابد من تحققه فى المـاضى والحاضر والمستقبل ، ومن يمكن لهؤلاء اليهود فى فلسطين من مسيحى أوروبا وأمريكا يخالف المسيحية قبل أن يخالف الإسلام ، ويجرى وراء السياسة الباغية التى توقع الناس فى أفظع الحروب ، وتؤدى إلى خراب العالم ، ولا يقرها دين من الأديان .

وللأخـلاق حكم فى طمع اليهود فى فلسطين أيضاً ، لأن العرب فتحوا لهم بلادهم فى فلسطين وغيرها ، فوجدوا فيهـا جواراً كريماً ، ولقوا فيهـا عدلا وأمناً ، وقد لفظتهم أوربا فى القرون الوسطى كما تلفظهم الآن ، فلم يجدوا مأوى لهم إلا فى بلاد العرب ، فقضوا فيها تلك القرون الطويلة ، لا ينالهم أحد بشر ، ولا تنظر إليهم عين بسوء ، بل يجدون منا أكرم عطف ، وينتفعون بنا أقوى نفع ، حتى صاروا ولهم بيننا أموال لا تحصى ولا تعد ، وأصبحوا وبيدهم زمام التجارة والصناعة ، فلا يحقد أحد هذا عليهم ، ولا يحاول أحد أن ينتزع شيئاً منهم .

أفيكون جزاؤنا على هذا كله أن يطمعوا فى هذه البلاد التى آوتهم ؟ وأن يتخذهم أعداؤنا وأعداؤهم من متعصبى أوربا وأمريكا وسيلة لقضاء مطامعهم ، حتى إذا قضوا أغراضهم من تسخيرهم فى حربنا قلبوا لهم ظهر المجن ، وطردوهم من فلسطين كما يطردونهم الآن من أوربا ، اللهم إنه لا يجوز شىء من هذا فى شريعة الأخلاق ، وإن اليهود قد خرجوا فى هذا الطمع الشنيع على حكم الخلق الـكريم ، كما خرجوا على حكم السياسة والتاريخ والدين

ولا شك أن الظلم مرتعه وخيم ، والبغى عاقبته شر ، وقد بغى اليهود على المسلمين الأولين فى المدينة وكانوا قـلة يعدون بالعشرات ، وليس لهم من العالم على سعته إلا بقعة صغيرة فى المدينة وماحولها ، فجزاهم الله على بغيهم شر جزاء ، وأعان هذه القلة عليهم فطردتهم من المدينة شر طرد ، ولم ينفعهم ما حاولوه من إثارة العرب على المسلمين ، وما جمعوه من الأحزاب لإخراجهم من المدينة ، لأن الله لا ينصر بغياً على عدل ، ولا يرفع باطلاً على حق واليوم يبغى اليهود على المسـلمين وهم يملؤون الأرض من

إســـعاف النشاشيبي

للأستاذ داود حمدان

ودعا أيها الحفيان ذاك الشخـ ص إن الوداع أيسر زاد
واغسلاه بالدمع إن كان طهرا وادفناه بين الحشى والفـؤاد
واحبواه الأكفان من ورق المصحـ ف كبرا عن أنفس الأبراد
واتبعوا النعش بالقراءة والتسـ بيح لا بالنحيب والتعـداد

إى والله هـذا مقامك يا أديب العرب ، وواحد الدهر ، ويا حبيب المصحف ، وعاشق لغة القرآن ، ويا خليل محمد وخلصان دينه .

وإنه لقليل عليك أن تغسل بالدمع الطهور ، وتدفن بين الحشى والفؤاد ، ولـكن ... من أين لنا الدمع وقد جف من هول المصيبة ، وتمزق الحشى وذاب الفؤاد من شدة الحزن وحرارة الأسى ...

أى أديب العرب ! إنك لتجل عن أن يقول مثلى رثاءك[1] ، ولن يقول رثاءك الحق إلا من يقول مثل هذه الأبيات ، أو من يقول مثل قولك فى شوقى وهنانو ، وهيهات ... وما هذه الـكلمة إلا وفاء لحق لزم ، وتنفيس لحزن أقام ولا إخاله يريم ، لتعذر العزاء عنك بسواك ، ومن سواك يسـد مسدك ويغنى غناءك ؟ وهل تعود الدهر الجود بالأفذاذ ؟ أنت لم يأت نظيرك من ألف سنة ... فإن كانت هذه سنة الدهر ، فيا طول ما ينتظر المنتظرون !

إن العربية ستؤرخ ابتداء فقرها من هذا النمط المجيد بارتفاع روحك الطاهرة إلى الرفيق الأعلى .

أى إسعاف ، لقد كنت والله إسعافاً بكل ما فى هذه الـكلمة من معنى : لقد أسعفت اللغة فقالت بلسان المرحوم أمير البيان : (قد أحسن الله إسعافى بإسعاف) ، وأسعفت الدين (بالإسلام الصحيح) مما يفترى عليه المفترون ويطعن فى مساواته الطاعنون ، وأسعفت الأخلاق الـكريمة فتمثلت بك بشراً سـوياً لا يعرف الـكذب قط ولا يستطيعه ، ولا الغش ، ولا الرياء ، ولا الجبن ، ولا البخل ، ولا القسوة ، ولا الـكبر ، بل كأنما خلقت من الصدق والصراحة والجرأة والـكرم والرحمة والتواضع ، وكيف لا تكون كذلك وإمامك محمـد وطريقتك القرآن ؟ وأسعفت الفقراء والمحتاجين والغارمين ، فـكم من فقير أعطيت ، ومحتاج أغنيت ، وغارم لولاك كان من المفلسين ؟

(١) وهذا المعنى هو الذى أخر هذه الـكلمة إلى اليوم .

أقصاها شرقاً إلى أقصاها غرباً ، ومن أقصاها جنوباً إلى أقصاها شمالاً ، واليهود هم اليهود فى قلة وذلة ، والعالم ينبذهم نبذ النواة من هنا وهناك ، فهل يمكنهم أن يتغلبوا على المسلمين فى بلادهم ؟ وهل يمكن المسلمين أن يناموا على ضيمهم ؟ وهل يرضى الله عن هذا الظلم والبغى فلا يوقع اليهود فى شر بغيهم وظلمهم ، ولا يمكن للمسلمين منهم ، لينبذوهم إلى حيث لا يجدون مأوى ، لأن العـالم كله قد اجتمع على كراهتهم ، ولم يبق لهم إلا المسلمون الذى يحملونهم على عداوتهم .

ووالله أيها اليهود الجاحدون ، إنا لن ننسى لـكم أنا آويناكم وأنتم ضعاف ، وقد طردكم أهل أوربا من بلادهم ، ففتحنا لـكم بلادنا ، وها أنتم أولاء اليوم تحاربوننا لتمـكنوا لهم من رقابنا وتكونوا مخالب قطط لهم علينا ، وقد عفونا عنكم بعد إساءتـكم الأولى لمسلمى المدينة ، ولن يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين

ووالله أيها اليهود الجاحدون ، إنا لن ننسى أننا نعيش نحن وإخواننا المسيحيون فى كل بلد عربى عيشة سمحة كريمة ، وهم يوافقون أولئك المتعصبين من أهل أوربا فى الدين ، وكانوا أولى منكم بأن يكونوا مخالب قطط لهم ، ولـكنهم أكرم على أنفسهم من أن يكونوا مطايا للطامعين فى بلادهم ، أما أنتم فلم ترعوا للوطن العربى حقاً عليكم ، ولم تذكروا إحساننا إليكم ، فانقلبتم أعداء لنا من غير ذنب جنيناه ، وخنتم بلادنا وعهودنا ، وسترون عاقبة هذا البغى ، فنطردكم من فلسطين كما طردناكم من المدينة وما حولها ، والتاريخ يعيد نفسه ...

عبد المتعال الصعيدى

فعليك رحمة الله ما نطق باللسان الفصيح ناطق ، وخفق بالإسلام الصحيح خافق ، وسلام عليك ما ذكر المكرمات ذاكر

وبعد ، فالرثاء حزن يتبدى أو مناقب تعدد ، وكلاهما يحتاج إلى بيان ، ولست ممن يدعيه ، غير أنى أشهد أن حزنى على إسماف عظيم ، وإنى لا أستوفى مناقبه حصراً وعداً .

كنت لم أره بعد ، وكان ذلك منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، حين كتب كاتب فى بعض الصحف الفلسطينية ينتقده وينتقد شوقى معاً ، فحملنى حبى لهما على أن أدفع عنهما ما قاله بغير حق ، فكتبت الدفاع فى جريدة الجامعة العربية ، وعلى أثر ذلك أهدى إلى كتبه ، ثم زرته وتوثقت روابطنا حتى كان لا يدعو إلى بيته أحداً من ضيوفه ، وكلهم من أهل الفضل والأدب ، إلا دعانى مدة إقامتى فى القدس ، فلم أجد مجلساً أحفل بالفوائد الأدبية والإنسانية من مجلسه ، ولم أجد محدثاً أجذب للسمع والفؤاد منه ، ولم أجد أغير منه على كتاب الله ودين محمد ، فمحمد عليه السلام عنده معنى الكون ، وكان اسمه الكريم مكتوباً بخط جميل ومعلقاً أمامه لا يحب أن يقع نظره إلا عليه .

ولا يستثيره شىء أكثر من أن يمس الإسلام أو القرآن من قريب أو بعيد ، وشدة غيرته هى التى تأتى بالعجب ، فكتابه « الإسلام الصحيح » إذا رأيته بتحقيقاته وحواشيه ظننت أنه تهيأ له من سنين ، والحقيقة أن موضوعه لم يكن يخطر له ببال ، وما هى إلا مناسبة عرضت حتى هب كالأسد يزمجر بالإسلام الصحيح ، وواتته سعة الاطلاع وسلامة الفهم والذوق فكان الكتاب ، وكذلك كان رده على كتاب المبشرين الذى نشر تباعاً فى الرسالة . ولم يكن يضيع شيئاً من وقته ، فما هو إلا قارئ أو كاتب ، وكانت رحلته فى الصيف إلى الشام رحلة فى طلب المزيد من العلم ، وكان نهماً فى القراءة ، حتى لقد طالع فى مكتبات دمشق أكثر من خمسمائة كتاب فى رحلة واحدة ، ونقل منها نصوصاً تؤيد كتابه الإسلام الصحيح ، وكانت رحلته فى الشتاء إلى مصر ليتزود كذلك من مكتباتها . وهذا كله بالإضافة لما عنده من مكتبة عظيمة نادرة المثال .

وكانت معرفته لما اطلع عليه من آداب الغربيين وهو كثير معرفة اتفاق ، وكان يحسن التحدث عن آداب الغرب ويقارنها بآدابنا ، ويجد لكل جديد منها مثالا من قديمنا يفوقه روعة وبهاء

وكان طيب الله ثراه يحب التجويد فى كلامه ، وإذا بدا له خاطر فى تغيير حرف أو كلمة من مقالة ذهبت للنشر أبرق إلى المجلة بوقف النشر حتى يأتى تصحيحه ، وكان يسارع بالرجوع إلى الحق ويحمد من ينبهه إلى خطئه ، وقراء الرسالة يعرفون ذلك . ومرة أشرت بكتاب خاص إلى نقلة من نقله ، فكتب إلىّ أن هذه النقلة ستحذف هى وأخوات لها . وكان إذا عملت معه معروفاً يبدو كأنه عاجز عن شكرك بكثرة ما يحاوله بأساليب مختلفة ، ولكن بشعور صادق ، وطالما أخجلنى من ثنائه عند ما نشرت مقالا فى جريدة الدفاع علقت فيه على « الإسلام الصحيح » بما أراه حقاً .

قبل سفره إلى مصر رأيته فى القدس ضعيفاً متهدم الجسم ، فشعرت بالخوف عليه ، ثم سافر إلى مصر ولم أره ، ثم جرى اختيار عضو فلسطين لمجمع اللغة العربية ، وعجبنا بل شدهنا لذلك الاختيار العجيب ، وسكت مدة وأنا فى حيرة ودهشة ، ثم رأيت أن من حق الأستاذ على أن أكتب فى هذا الموضوع ، فكتبت كلمة أنصفته فيها ولم أطعن فى العضو المنتخب ، وهيأتها لأرسلها إلى الرسالة ، ولكن يا للأسف فى صباح ذلك اليوم الأغبر قرأت نعيه فى الجرائد ، فطويت الكلمة ، وطويت ضلوعى على الحزن .

(القدس — فلسطين) **داود حمدان**

هل نملك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

تمهيد :

١ – ظننت بعد نشر تعقيبى فى مجلة المجتمع الجديد على رأى معالى عبد العزيز فهمى باشا فى تعدد الزوجات [١]، وامساكه عن الرد فترة طويلة ، أن معاليه قد اقتنع بما سقت إليه من حجج دفعا لشبهاته التى أوردها على التشريع القائم فى هذا الموضوع ؛ أما وقد نشر أخيراً بحثه المستفيض [٢] رداً على تعقيبى فإنه لا يسعنى سوى أن أبدى إعجابى بهذا الجهد يبذله معاليه فى شيخوخته المباركة دفاعاً عن رأيه ، فيضرب بذلك أروع الأمثلة لشباب الجيل .

بيد أن احترام معاليه وإكبار جهده لا يحولان دون تعقب آرائه بالكشف عن وجه الحق فيما يذاع منها على الناس وبخاصة فى مثل هـذا الموضوع الذى هو – كما قال معاليه بحق – موضوع الله والنبى والأمة والتشريع الإسلامى .

٢ – وأبدأ بالرد على عتب وجهه معالى الباشا ناسباً إلى أننى تلقفت كلمة شردت منه فى حديثه الشفوى وهى كلمة « بتاتا » التى توهم بظاهرها أنه تحريم مطلق لا مثنوية فيه « فبينت اعتراضى على هذه الكلمة الشاردة تاركا ما فى تفصيل الحديث . والحقيقة أننى لم أتلقف كلمة بعينها فى الحديث شاردة أو مستقرة حتى يتوجه إلى هذا العتب ، ولكن معاليه هو الذى عدل رأيه المنشور فى الحديث تعديلا جوهريا أصبح بعده يرى فى هذه الكلمة شروداً ، ويمكن مقارنة ما استقر عليه رأى معاليه فى بحثه الأخير بما كان عليه رأيه أولا فى النقط الآتية :

(ا) استقر رأى معاليه فى بحثه الأخير على أن آية (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ؛ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) «ليست مسوقة لتحديد عدد الزوجات مطلقا ، بل هى مسوقة بالذات وبالقصد الأول إلى التضييق على الخاطبين فى نكاح من تحت حجرهم من اليتيمات » المفضى بهم إلى أكل أموالهن بما ينافى العدل فأراد المولى سبحانه تقريبهم على إتيان هذا المنكر تحت ستار النكاح بما بينه من أن لهم فى نكاح لأخريات غير اليتيمات متسعا «لا واحدة ولا اثنتين واحدة بعد أخرى ولا ثلاثا واحدة بعد الاثنتين الأوليين بل حتى مثنى وثلاث ورباع ، أى جزافاً بلا حساب ولا عـدد » غير أنه تعالى قيد هذا التعدد غير المحدود العدد باشتراطه العدل الذى هو أساس القول فى هذه الآية فأردفها بقوله (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) – بينما كان معاليه يرى فى حديثه أن الآية المتقدمة « هزؤ وسخرية ممن يريد تعديد الزوجات وأن فيها إيكال الأمر لمن يعلم الله أنه لا يستطيع القيام بالأمر . فمخاطبة غير المستطيع بما هو من شأن المستطيع تلك كلها سخرية بالمخاطب : فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ... ! ثم إنه كما رد المخاطب إلى مقتضى العقل الصحيح ، ولكى يعبر عما يجده المخاطب فى نفسه من عدم الاستطاعة أضاف فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ... أى وأنا أعلم كما تعلمون أنكم تخافون عدم العدل لأن غرائزكم الفطرية تحملكم على هذا الخوف « ومؤدى ذلك أنها مسوقة قصداً لبيان حكم تعدد الزوجات ، وإنه التحريم فى الجملة على نهج خاص من الأسلوب ، لا لغرض آخر . فالفرق أوضح من أن يحتاج إلى إيضاح .

(ب) استقر رأى معاليه أيضاً على أن آية « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » مقصود بها بيان أن العدل المطلوب فى الآية المتقدمة – وهو العدل المطلق الكامل – وإن كان غير مستطاع إلا أنه غير مشروط فى الزوجات الموجودات وقت نزولها فرخص سبحانه – تخفيفاً ورعاية لحقوقهن المكتسبة قبل هذا التشريع – بالإبقاء عليهن وإن كن متعددات للرجل الواحد بشرط العدل المستطاع بينهن ، وذلك بقوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) على أن يكون ذلك حكما مؤقتا خاصاً بهن دون من يعقد عليهن بعد ذلك اللائى يسرى عليهن شرط العدل المطلق الذى هو الحكم الدائم . فهذه الآية « مجرد تخصيص أو بيان لحكم (فإن خفتم

(١) العدد ٢ من مجلة « المجتمع الجديد » فبراير سنة ١٩٤٨
(٢) عدد مجلة « الثقافة » الصادر فى ٩ / ١٢ / ٤٧ ، وتلخيص بعدد مجلة « الرسالة » الصادر فى ٢٢ / ١٢ / ٤٧ .

ألا تعدلوا فواحدة) من جهة زمان تطبيقه » بينما كان يرى فى حديثه أن أحد شقى هذه الآية وهى قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) إنما هو تعبير عن فكرة الآية الأولى القائمة على السخرية بمريدى التعدد وتحديهم باشتراط العدل « تعبيراً هو من أشد ما يكون بيانا للواقع الذى يعلمه هو فقال . ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ... ولن ، كما يقرر النحاة ، هى أشد أدوات النفى للمستقبل إذ تنفيه نفياً باتا ؛ فالقرآن يسجل بصريح العبارة أن الاستطاعة مستحيلة . أى أن العلة المتوهمة للتصريح بالتعديد لن تتحقق أبداً » هذا ولم يتعرض فى حديثه اطلاقاً للشطر الثانى المكمل للآية وهو قوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) مع أنه اعتبره فى رأيه الأخير مناطا للحكم المقصود بالآية كلها وهو استثناء الزوجات الموجودات وقت النزول من اشتراط العدل المطلق على ما بينا .

(ح) وبعد ما بسط معاليه ما استقر عليه رأيه أخيراً فى تأويل الآيتين على النحو المتقدم استشعر تضاربا ظاهراً بين التأويل يتمثل فى تقريره أن الآية الأولى ليست مسوقة لتحديد عدد الزوجات الجائز الجمع بينهن مطلقا وإنما هى مسوقة لغرض آخر ، وتقريره فى الوقت نفسه أن الآية الثانية جاءت مخصصة لحكم تحريم التعدد المستفاد من الآية الأولى فى الجملة مما يتعين معه أن تكون هذه مسوقة للحكم المذكور وإلا لما احتيج إلى تخصيصه ، كما استشعر أيضاً ركة تشوب النظم الحكيم بالأخذ والرد فى غير ما حاجة لذلك نتيجة لهذا التأويل ، فتكلف لسد هذه الثغرة تمليلا ينطوى على كثير من البراعة وقد جاء ذلك فى البند ١٥ من بحثه تحت عنوان « لا إشكال فى النصوص » ، وفى البند ١٥ فى سياق محاولة رد تمسكى عليه بكلمة « بتاتا » — وحاصل هذا التعليل « أن الآية الأولى لم تأت قط بقصد التصريح بتعديد الزوجات إلى أربع فقط كما هو مزعوم وإنما أتت بظاهرها . غير مانعة من أخذ أى عدد كان من النساء ، ولكنها مع هذا التوسيع التقريبى الجزاف خشيت أن يسىء المخاطبون فهمها فنبهتهم إلى لزوم الاقتصار على واحدة عند خوف عدم العدل . وبما أنه يبدو أن النبى وكثيراً من الناس كانوا على عادة العرب متزوجين بأكثر من واحدة ، نخوفهم من عدم العدل ماصل بالطبع وقلوبهم واجفة

واقعة فى الاضطراب حتما ، وهى حال لا تطاق ، فما العمل ؟ هل يسارعون إلى العمل بقوله (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) وحينئذ يفارقون ما زاد على الواحدة ؟ أم إن الله فى لطفه وكرمه والدين الإسلامى فى يسره وسهولته ينظر إلى الزوجات التى تبين ، والأطفال التى تهمل ، والبيوت التى تخرب ، والعرب الواجب تأليف قلوبهم لا تنفيرهم ، فيجعل تشريعه للمستقبل ويتساهل فى الماضى وفى أثر النكاح القائم ويتركه حتى يزول بطبعه بعد قليل من الزمن ، شأن كل تشريع سليم يرضاه العقل ويطيقه الاجتماع ؟ يبدو لى أن هذا هو الواقع ، وأن المسلمين هلعوا وجأروا هم والنبى إلى الله متململين من هذه المحنة الراهنة فلطف بهم فبين مراده بأن أنزل قوله (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) ... الخ » إلى أن قال معاليه : « لأننا جميعا نعرف — كما أشرت إليه من قبل — أن الدين الإسلامى عالج نقائص العرب تدريجيا مع الأناة والتلطف والابتعاد عن كل ما ينفرهم بلا مقتض . ومسألة تعديد الزوجات كانت من العادات المتأصلة فيهم ، فمصادمتهم بتحريمها بالنص القاطع القاسى لا محل لها لكنه اتخذ لهذا أسهل طريق وأحكمه ، طريق التحدى بالعدل ... الخ » وهذا ، كما قدمت ، تعليل بارع من معالى الباشا ، لكنه لا يقوم إلا على محض افتراض ولم يدفع ، مع ذلك ، التعارض بين تأويل الآيتين كما هو ظاهر . أما رأيه الأول فقد كان منسقا على الأساس الذى بنى عليه فبدهى أنه لم يرد فيه شىء من هذا التعليل إذ لم يكن صاحبه بحاجة إليه قبل تعديل رأيه .

(د) فليس بعجيب إذن بعد ما عدل معاليه رأيه هذا التعديل الجوهرى الذى تكلف كثيرا لتبرير تعارضه محاولا بهذا كله دفع ما أوردناه على رأيه الأول بمقتضى قوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) — أقول ليس بعجيب إذن بعد كل هذا أن يأتى على تلخيص ما استبقى من رأيه فى عبارات تحمل طابع التردد والحذر الشديد فيقول فى البند ١٤ « القرآن الكريم لم يحرم تعدد الزوجات بنص صريح قاطع خاص بل أنى إذا كنت ذكرت فى حديثى الأول أنه يحرم التعدد فواضح من الحديث أن ذلك استنتاج من الآيتين رقم ٣ و (رقم ١٢٩) واحتياط منى بصفتى مسلما يجب أن يعنى بتقرير ما يغلب على ظنه أنه هو المقصود

للنصوص الوارده بكتاب شريعة « ويقول فى البند ١٧ » قد ترك القرآن الناس على حريتهم وعاداتهم يتزوجون أى عدد من النساء يريدون . وغير صحيح — فى نظرى — أنه حد من هذه الحرية نصا أى تحديد ، بل كل الأمر أنه نبههم إلى القاعدة الأساسية فى تشريعه وهى مراعاة العدل والابتعاد عن مزالق الجور فأوجب على المسلم عند ما يقوم فى نفسه الخوف من عدم العدل أن يقتصر على واحدة . ثم أكد هذا المعنى تأكيداً لا هوادة فيه (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فاصبح الأصل الواجب أن يحتذيه كل مسلم يريد الاحتياط لنفسه هو الاقتصار على زوجة واحدة » ثم يقرر إمكان « المحيص » و « الموادة » حتى عن هذا الأصل بامكان الاستثناء منه على أساس القواعد العامة فى دفع الحرج وإباحة المحظورات عند الضرورة لأن « هـذا الأصل قد يقضى العدل نفسه بالخروج عليه فى بعض الصور » واستثنى الباشا بالفعل حالتين قال بإباحة التعدد فيهما . فأين هذا كله من رأيه الأول الذى اجملناه فى الفقرة ب ؟ أين هذه العبارات المحتاطة أشد الحيطة فى التعبير عن تحريم مقيد للتعدد مستنتج من ثنايا نصوص مقيدة (بظاهرها كما هو رأى الباشا أخيراً) للاباحة المطلقة غير المحدودة بعدد؟ أقول أين هذا من إنكار معاليه — فى حديثه الأول — على الحكومة وضع تشريع لتقييد تعدد الزوجات بجعل أباحته رهينة برقابة القضاء الشرعى على توفر الأسباب الداعية إليه والقدرة على الوفاء بشرط العدل بين الزوجات ، وقوله « وخير للحكومة أن تأتى للأمر مباشرة فتعالجه من جذوره ، وذلك بأن تحرم بتاتا تعدد الزوجات » ثم قوله فى موضع آخر من الحديث « لا أوافق البتة على طريقة المشروع تلك الطريقة التى يراد بها عـدم تعدد الزوجات ولـكن بسبل ملتوية مراد بها قطع أسباب الاعتراض ممن يظنون أن لهم على خلاف مفهوم نصوص القرآن الصريحة حق الاعتراض » ؟ هلا وسع معاليه — إن كان حقا قصد ببحثه الأخير تأييد عين رأيه الأول — الاقتصار على طلب تعديل مشروع التشريع طبقا لنتيجة هذا البحث ، والبون بينهما غير بعيد ، بدل أيجاب نقض المشروع من أساسه بما فى ذلك من زلزلة تشريعية بنقض التشريع القائم أيضاً من أساسه ؟ بل أن معاليه ليستهين فى حـديثه ذاك — فى سبيل القضاء على كل عائق يحول دون تنفيذرأيه فى التحريم البات الحاسم — فيجيب على اعتراض وجه إليه بحق بان إصدار التشريع الذى أشار به معاليه مدعاة للزنا وهو فساد كبير بقوله « للفرنسيين مثل يقولونه C'est un Nécessaire mal أى شر لابد منه » بينما هو فى رأيه الأخير يقول بإباحة التعدد — فى إحدى الصورتين اللتين استثناهما معاليه — إبتغاء تكثير النسل عقب حرب تدخل فيها الأمة فتقضى على كثير من رجالها » إذ الضرر من خوف الجور فيها لا يصح أن يقام له وزن بجانب ذلك النفع العظيم الذى يأتى به التعديد « مع أن القاعدة المعمول بها فى جميع الشرائع أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

٣ — لقد أطلت فى بيان هذه النقطة الشكلية لـكننى أرى هذا القدر من البيان ضروريا لا تعريضاً بمعالى الباشا — وحاشاى أن أقصد إلى شىء من ذلك — ولـكن قصد إظهار الناس على الحقيقة التى انضحت لى من مقابلة الرأيين — وأرجو أن يغتفر لى معاليه التصريح بها — وهى أن رأى معاليه فى هذا الوضوع الخطير لم يكن نتيجة الدراسة والتمحيص بقدر ما كانت الدراسة والتمحيص نتيجة للاسراع بابداء هذا الرأى أولا والحاجة بعد ذلك إلى دفع ما وجه إليه ؛ وهذه الحقيقة قد تساعد الـكثيرين — فيما أرى — على وزن رأى معاليه فى هذا الموضوع بميزان صحيح

٤ — هذا وبمناسبة عتب الباشا — لا يفوتنى أن أنوه بانه إذا كان ثمة من يتوجه إليه العتب فهى « مجلة المجتمع الجديد » لتقريرها فى تقديم بحث معالى الباشا الأخير عبارة راعت فيها المجاملة أكثر من رعايتها لاى شىء آخر ، وبخاصة ما نادت به من حيادها التام فى الموضوع ، وهى التى عبرت فيها عن رأى معاليه الأول « بان الشريعة الإسلامية تحرم تعدد الزوجات تحريما باتا ، إلا فى أحوال الضرورة القصوى » فالا ستثناء الوارد فى هذه العبارة محض تبرع من المجلة إذ الواقع أنه لم يرد فى حديث معاليه ذكر لاستثناء من أى نوع فضلا عن أن الحديث بجملته وتفصيله مبنى ومعنى يقطع بالتحريم البات الذى لا يدع مجالا للاستثناء على ما سبق أن بينت .

(يتبع)

إبراهيم زكى الدين بدوى
المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

الحمامة الطريدة

للأستاذ محمود الخفيف

في وحدة سامرت فيها الأسى طافت بي الذكرى فلم أهجع
شكوت لليل الضنى والجوى والوجد والسهد وهذا الدجى
زادت غواشي الهم أسدافه
ودلت الوهم على مضجعي

في ليـلة فارقـة الأنجم ضل بها الفجر عن المطلع!
لكل ألوان الأسى تنتمي حلكتها من همي الأقتم
الذئب مقرور بها هاجع
والجن لم تأنس إلى موضع

الليل جهم، صرصر ريحه صـفيرها يزداد في مسمعي
أجش وحشيُّ الصدى نوحه مرتعش من قره دوحه
أطل لا تبصر عيني سوى
أشباحه في الأفق الأسفع

واعجبا ماذا أرى في الظلام والصرصر الهوجاء لم تقلع؟
يقظان إذ أبصر لاقي منام ورقاء في سمعيَ منها بغام
قد أقبلت ملهوفة في الدجى
على هدى المصباح في مخدعي

حطت على نافـذتي خائفه مادونها في الليل من مفزع
نازفـة واحــزنا راعفـه بالغوث في أناتهـا هاتفه
كم ذا رنت صوبي في لهفة
رف لها الخافق في أضلعي

وهنـانة تلهث في زاويه كجـاهد أفلت من مصرع
من جارح أحسبهـا ناجيه تخفيه عني الظلمة الفاشيه
وربما كان على خطوة
لو لم ير المصباح لم يرجع

مددت بالماء يدي في وعاء فأجفلت من ذلك المشرع
تلهث لا تطلب غـير الثواء تنكر ما أبدي لها من رثاء
مشبهتي في الوجد لا تنفري
ما كنت يا ورقاء بالمدعي

أنت وما أوجع هذا الأنين حسبي ما في خافقي الموجع
طريدة الظلمة، قلبي الحزين أبكاه هذا الحزن لو تعلمين
بكاؤك المكتوم كم هزني
والأصل أن تلهي وأن تسجعي

كم هجت يا ورقاء أشجانيه أنا الذي كم أسبلت أدمعي
كم ذا بكى عان فأبكانيه وكم بكت في الطرس ألحانيه
طالبة المأوى كلي واشربي
آمنة في جيرتي واهجعي

كم صورة مثلت في خاطري يشقى بهـا كل فـؤاد بعي
وارحمتا للساهــد الساهر الواجد المنفرد الشـاعر
مؤنستي كم صورة للأسى
ألقى بهـا في قلبي المترع

فيـك خيال للشقي الطريد لم يأوه في الأرض من موضع
مروع في كل آن شريد تسلمه الدنيا لخوف جـديد
جهم المشايا منـذر ليـله
في صبحه بالحادث المفزع

وفيك طيف البائس المعدم منكس الهامـة مستضرع
مبتئس النظـــرة مستسلم عان، هنا أو هاهنا يرتمي
بكل باب أن مستصرخا
لم يرو منه الغل أو يشبع

وفيك يا ورقاء ذل الضعيف لم ينجه الضعف ولم يشفع
أضناه في دنياه كسب الرغيف في زحمة العيش هزيل لهيف
من دمه كم عاش ذو قوة
لم يدر ما الرحمة أو يقنع

وفي جراحاتك مرأى الجريح خاض الردى في هوله المفظع
ممزق ظمآن عان طريح في ركنه بعد الفضاء الفسيح
يذكر طعم الموت في موطن
يا هوله للموت من مرتع

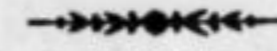
أطائر، أم أنت روح شفيق جاء يواسيني ويبكي معي؟
وهم به في الوجد قلبي خليق غير الأسى ما إن له من رفيق
مشبهتي في الوجد كم دمعة
ذرفتها في الليل أن تدمعي

الخفيف

طرائف من العصر المملوكى :

الشعر والنقد الاجتماعى

للأستـــــاذ محمود رزق سليم



نقد المجتمع من أهم ما يعنى به المصلحون ، إذ يقوم إصلاحهم على دعامة منه ، ينظرون فى شئون مجتمعهم ، ويتتبعون ضروب الفساد فيه ، ثم يحملون عليها حملات شعواء لا تبقى ولا تذر ، ويبينون للناس ماهم مترددون فيه من شقاء . ثم يعملون جاهدين على إنقاذهم من مترداهم ، وتوجيههم إلى سبل السعادة المرجوة . فمثلهم مثل الأطباء يتحسسون الداء ويصفون الدواء . وكلما اتضحت ضروب الفساد ، وناء المجتمع بما فيه من أمراض ، اشتدت الحاجة إلى هؤلاء المصلحين ، ودعت الداعية إلى بروزهم فى الميدان ليعملوا ويكافحوا . فيلجأ الخطيب منهم إلى خطابته والكاتب إلى مقالته والشاعر إلى قصيدته وذو الرأى إلى قريحته وفكرته وقد يكون الشعراء أبعد القادة وأولى الرأى عن النظر فى شئون المجتمع من ناحية تلمس نقائصه ، وتتبع مثالبه ، والعمل على تلافيها والدأب على إصلاحها . إذهم فى أغلب أمرهم صدى للمجتمع نفسه بما فيه من نقائص ومثالب ، لذلك يتلمس مؤرخ الأدب أحياناً نقائص عصر ومثالبه فى شعر شعرائه ، كما يتلمس مزاياه وفضائله سواء بسواء . فكم يكون جميلا إذن ، أن نرى الشعراء يدلون بدلوهم فى الدلاء ، ويشاركون فى باب الإصلاح ، ويتتبعون مثالب مجتمعهم ونقائصه فينحون عليها باللائمة ويثقلون عليها بالنقد المرير اللاذع ، ويشهرون أمر فساده بين الناس حتى تتضح معالمه وتتبين شياته وهناته ...

إنها لظاهرة أدبية طيبة واتجاه فكرى سام ، يسجلة مؤرخ الأدب لشعراء عصر من العصور ، إذا ما وجد من بينهم ثلة صالحة يهولها فساد المجتمع ، ويروعها اتضاعه ترديه ، فتعمل جاهدة فى صدق على نقده وتنفيره مما هو فيه ، على أمل أن يثوب إليه رشده ، ويثوب إليه صوابه . ثم هى بذلك تمد التاريخ بوثائق صادقة يقرأ فيها بوضوح بعض نواحى العصر .

هكذا نسجل — ونحن نؤرخ العصر المملوكى وأدبه — هذه الظاهرة النابهة لشعرائه . فقد أضحى النقد الاجتماعى غرضاً شائعاً هاماً بين أغراضه الشعرية المطروقة .

وإن القارئ، ليملؤه العجب ويأخذه الدهش إذا علم أن شعراء هذا العصر هم وحدهم الذين حملوا راية النقد الاجتماعى دون سواهم من القادة وأولى الرأى والبصر . لذلك كان حمدنا لهم مضاعفاً وثناؤنا عليهم مستطاباً .

ولا نتجنى على غيرهم من أصحاب البيان وأهل القلم واللسان، فقد ترى لكاتب نقدة عابرة ، أو تسمع لخطيب زجرة طائرة . ولكن ذلك كان على وحى وارتياب . ولم يكن خطة موضوعة ولا منهاجاً متبعاً . بل حوادث فردية ووقائع شخصية . وإنك لو طويت الكشح عن عظات لبعض علماء العصر على المنابر أو غيرها ، يوجهونها للشعب أو حكامه ، وإنك لو لويت الجيد عن بعض ما تخلل مقدمة ابن خلدون وبعض كتب التاريخ من نقدات ، ما وجدت بعد ذلك من النقد الاجتماعى شيئاً يدل عليه ويشار إليه . فإذا أردت أن ترى أين النقد حقاً ، فانظر فى شعر شعراء العصر ، فإنك واجد فيه — بلا ريب — ماتشتهى.

أما خطباء العصر فكانوا من علماء الدين جلهم اتخذ الخطابة المنبرية وسيلة إلى الرزق أكثر منها سبيلا إلى النصيحة ، وطريقاً إلى الجاه أقرب منها أداة إلى الإصلاح . وكتاب العصر كانوا فى شغل شاغل بوظائف الدواوين وتدبيج رسائل السلاطين ، وما يدره عليهم ذلك من خير وفير ورزق كثير . وعلماء العصر ممن شغلوا أنفسهم بالتأليف كانوا فى أبراجهم العاجية يعيشون بمنجى عن الشعب ومنأى ، بين ترف ذهنى ونعيم فكرى . وليس لهم هم إلا أن يؤدوا للعلم أمانته ويدونوا ما خلفته العصور وما وعته الصدور . فلم يبق إلا الشعراء فهم من الشعب وإليه ، وهم تراجمته ومرائيه ، ولسنه المشروع ، وحناجره النافثة ، صوتهم من صوته ، وندائوهم من ضميره ، ونقدهم قبس مما يتردد فى أعماقه ويتراءى فى آفاقه . والشعب — على ضعفه وغفلته — له نقدات مريرة ولفتات خطيرة ، تتنزى بزنينها نفسه ، ويعوج بأناتها فؤاده. ولكن فكره موءود، ولسانه معقود، وغضبته مطروحة ، وحدته مكبوحة . ولا من يترجم عنه أو يتحدث بما فى نفسه إلا شعراؤه . هكذا كان شعراء العصر المملوكى .

والمجتمع المصرى حينذاك كان فياضاً بضروب من الفساد لا حد لها ، غاصاً بمواضع النقد ، قميناً بالحملة عليه والسعى فى إصلاحه . ولكن هيهات .

لقد كان الشعب يعانى من حكامه جوراً وعسفاً ، ومن موظفيه نهباً وسلباً وإهمالا . وكان هؤلاء طبقتين متميزتين عن بقية طبقات الشعب التى منها طبقات التجار والزراع والصناع ، لا تكاد تجمع بينهم جامعة صالحة إلا جامعة الدين والوطن . وكانت مشاكل الأسرة لا تقف عند حد ، وإدعاءات الطوائف لا تعرف هوادة . وكثر أدعياء العلم والأدب ، ومحترفو الزهد والورع . وكادت الرشوة والسعى بها إلى المناصب تصبح قانوناً منظماً . وذاعت السرقات الأدبية فى غير مبالاة . وانتشر الزنا واللواط والتسرى بالغلمان ... وشرب الخمر وتعاطى الحشيش ، إلى غير ذلك من مفاسد شائعة ذائعة .

نظر الشعراء إلى كل ذلك فنقدوه وحملوا عليه ، وخلدوا عنه فى التاريخ صفحة لا تلين ولا تمين . ولسائل أن يقول لم اهتم الشعراء كل هذا الاهتمام بنقد مجتمعهم ،ولم ينصرفوا عنه انصراف سواهم راضين منه بالعافية والسلامة ؟ نعتقد أن فى مقدمة أسباب هذا أن المصر بحكامه وشعبه جهل مكانتهم ونكر منزلتهم وأن الثراء عن طريق القريض كان قد صوح زمانه ، وضوى ينعه وريمانه ، فلا سلطان يسخو ولا أمير يجود . لهذا قاسى الشعراء مع ألم الشكران مرارة الحرمان . فأحقد ذلك نفوسهم وأحنقها ، وأثار خواطرهم وأقلقها ، والمحروم واجد النفس مفتوح العين على الثغرات يرى منها مالا يراه سواه ... ثم هم أمنوا المغبة واطمأنوا إلى العاقبة ، وذلك لأن الحكام أعاجم بالفطرة لا يفهمون من الشعر إلا أثارة . وهم عن مساقط الشعراء مشغولون بحروبهم فى الخارج أو فتنهم فى الداخل ، ثم هم بين هذه وتلك يخبون فى نعيم وارف وترف فياض ، يحجب عن أسماعهم شكوى المحروم وأنة المكلوم ودعاء المظلوم — كان الشعراء إذن فى حرية رافهة وأمن واسع ، وانطلقوا من كل قيد يخشاه الأديب على نفسه حتى قيود المجاملة والرياء ، وثارت ثائرة بعضهم حتى خلط فى حديثه بين النقد والهجاء .

ولو قد وجدا فى الشعب مستجيباً وملبياً لكان لنقدهم أثر حميد وعاقبة نافعة ، وفعل رشيد .

ولا يهولن القارىء — إذا ما عرضنا عليه نماذج النقد — ما يراه فيها أو فى بعضها من نزول فى مستوى أسلوبه ، وبخاصة إذا قاسه بما درس من شعر أندادهم فى عصور كانت فيها الملكات العربية لا تزال على جادتها أو فى عصور التقت فيها الثقافات ولقحت العقول وكرمت المغريات على القول .

ويطالعنا فى أول ما نسوقه ، نقد شرف الدين البوصيرى (٦٩٥هـ) . كان البوصيرى حسن السيرة صادق السريرة وظف فى مطالع حياته فى دواوين الدولة كاتباً ، فرأى من عبث كتابها وجباتها ماهاله من عبث . وشهد من إهمالهم ماراعه من إهمال . فجار منهم بالشكاية وأنحى عليهم بالزراية فقال يخاطب أحد أولى الأمر :

فلا تدن منهم واحداً منك ساعة ... ولو فاح من برديه مسك وعنبر
وبرد فؤادى بانتقامك منهم ... فقد كاد قلبى منهم يتفطر
منعت بهم حظى شهوراً ولم أصل ... إلى حظهم حتى مضت لى أشهر
فما فيهم — لا بارك الله فيهم — ... أخو قلم إلا يخون ويغدر

وقال فيهم أيضاً :

نقدت طوائف المستخدمينا ... فلم أر فيهم رجلا أميناً
فقد عاشرتهم ولبثت فيهم ... مع التجريب من عمرى سنيناً
فكتاب الشمال هم جميعاً ... فلا صحبت شمالهم اليمينا
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا ... بهم فكأنهم سرقوا العيونا

ومنها يذكر من ادعى منهم النسك ، ويذكر اختلاف الطوائف فى مصر وإدعاء كل طائفة بحقها فيها :

تنسك معشر منهم وعدوا ... من الزهاد والمتورعينا
وقيل : لهم دعاء مستجاب ... وقد ملئوا من السحت البطونا
تفقهت القضاة فخان كل ... أمانته وسموه الأمينا
وما أخشى على أموال مصر ... سوى من معشر يتأولونا
يقول المسلمون : لنا حقوق ... بها ولنحن أولى الآخذينا
وقال القبط : نحن ملوك مصر ... وإن سواهم هم غاصبونا
وحلت اليهود بحفظ سبت ... لهم مال الطوائف أجمعينا

ومن طريف نقد البوصيرى قصيدته الرائية الفكاهية التى وصف فيها حال أسرته فى رمضان وعيد الفطر ، وما استحدثاه بين أفرادها من خلف ونزاع هما نتيجة الحرمان . وهو وصف يشعرك بما للفاقة من أثر سيء فى التفرقة بين أفراد الأسرة . ويشعرك بأن أسرة البوصيرى هى نموذج للأسرة المصرية المتوسطة ، ونموذج لمشاكلها من عهده إلى الآن ومنها يصف أفرادها قال :

صاموا مع الناس ولكنهم ... كانوا لمن أبصرهم عبره
إن شربوا فالبئر زير لهم ... مابرحت والشربة الجره
لهم من الخبز مصلوقة ... فى كل يوم تشبه النشره
أقول مهما اجتمعوا حولها ... تنزهوا فى الماء والخضره

ثم يصف العيد وتطلع الأبناء فيه إلى الكعك والنقل ، ثم ما يدب من النزاع بينه وبين زوجته ، وتدخل أخت الزوجة فى هـذا النزاع لمصلحة أختها ، فهى بذلك تضرم نار العداوة بين الزوجين ، وتهون شأن الزوج وتجرى عليه زوجته ، فتنتهى المأساة بأن تستقبل رأسه بآجرة . وهكذا ترى كيف يفشى الجهل بأصول الحياة وروابط الأسرة عيون أفراد الأسرة المصرية من قديم الزمان فلايفهم بعضهم أن رابطة الأسر شركة تعاونية بل فرصة استغلالية وهكذا . ومما يشبه قول البوصيرى فى كتاب الدواوين ، قول علاء الدين الواسطى يشكو قوما إلى نائب السلطان بالشام قال :

يانائب السلطان لانك غافلا ... عن قتل قوم للظواهر زوقوا
ماهم تجار بل لصوص كلهم ... فأمر بهم أن يقتلوا أو يشنقوا
وأراك لا تجدى إليك شكاية ... إلا لأنك حائط لا ينطق ... الخ

وقال شهاب الدين الأعرج ينقد الأتراك والقبط ويذكر استئثارهم بالرزق :

وكيف يروم الرزق فى مصر عاقل
ومن دونه الأتراك بالسيف والترس
وقد جمعته القبط من كل وجهة
لأنفسهم بالربع والثمن والخمس
فللترك والسلطان ثلث خراجها
وللقبط نصف والخلائق فى السدس

ونقد كمال الدين الإدفوى (٧٤٨) هـ صاحب كتاب « الطالع السعيد » حالة التعليم والمعلمين فى عصره فقال :

إن الدروس بمصرنا فى عصرنا ... طبعت على لغط وفرط عياط
ومباحث لا تنتهى لــنهاية ... جدلا ونقل ظاهر الأغلاط
ومدرس يبدى مباحث كلها ... نشأت عن التخليط والأخلاط

ومنها قوله :

والفاضل النحرير فيهم دأبه ... أقوال رسطاليس أو بقراط
وعلوم دين الله نادت جهرة ... هذا زمان فيه طى بساطى

وقال مجد الدين بن الخياط يصف شعارير زمانه — وهم كثر فى كل زمان — :

وفى متشاعرى عصرى أناس ... أقل صفات شعرهم الجنون
يظنون القريض قيام وزن ... وقافية وماشاءت تكون

وبمناسبة ذكر الشعراء نسوق بيتين من أبيات لشهاب الدين أحمد الأنصارى يهجو منهم من يقترف ذنب المديح فقال :

مالى أرى الشعراء تكسب عارا ... بهجائهم وتحملوا الأوزارا
مدحوا الأخساء اللئام فضيعوا الـ ... أشعار لما أرخصوا الأشعارا

هذا مع العلم بأن قوما من الشعراء ربئوا بأنفسهم عن المديح بل عن صناعة الشعر وفضلوا عليها حرفة متواضعة احترفوها . انظر إلى أبى الحسين الجزار يقول :

كيف لا أشكر الجزارة ماعشـــت حفاظا وأرفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجيـــنى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وكثير من الشعراء نعى حظ الآداب ورثى لحال الشعراء وشكا انصراف الناس عنهم وعن إنصافهم .

وكانت الصوفية قد وجدت فى هذا العصر مراحا خصيبا ومرعى رطيبا ، غير أنه — بلا ريب — اندس بين أهلها من ليس منهم فشابوها وعابوها :

فكان ذلك مثارا للنقد القاسى المقذع . قال الأديب المؤرخ فتح الدين بن سيد الناس :

ماشروط الصوفى فى عصرنا قطـــما سوى ستة بغير زيادة
وهى ...... والسكر والسطــلة والرقص والغنا والقيادة
وإذاما اهتدى وأبدى اتحادا ... وجيلا من خلوة وإعادة
وأتى المنكرات عقلا وشرعا ... فهو شيخ الشيوخ ذو السجادة

ونختتم هذا الحديث بذكر أحد أدباء العصر وهو الشاعر جمال الدين السلمونى من شعراء عصر الغورى فقد وقعت بينه وبين قاضى قضاة عصره عبد البر بن الشحنة الحنفى ، فتنة أوذى الشاعر بسببها ، وليس هنا مجال تفصيلها وكان الشاعر قد هجا القاضى ونقده بقصيدة لاذعة مريرة رددها كل لسان وسارت بذكرها الركبان ، وأبياتها إذا أغضينا النظر عن القاضى عبد البر — تصور إلى حد ما مفاسد القضاة تصويرا صادقا . قال منها :

فشا الزور فى مصر وفى جنباتها ... ولم لا وعبد البر قاضى قضاتها
أينكر فى الأحكام زور وباطل ... وأحكامه فيها بمختلفاتها
إذا جاءه الدينار من وجه رشوة ... يرى أنه حل على شبهاتها

ومنها :

ألست ترى الأوقاف كيف تبدلت
وكانت على تقديرها وثباتها
وقد وثبت فيها قضاياه بالأذى ... وبالبيع مثل الأسد فى وثباتها

وبعد فهذه فضالة مما وعاه الرأس وثمالة من رحيق الكأس ، تنبئان عنهما كما ينبئ الشعاع عن الشمس .

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

معروف الأرناؤوط

صاحب جريدة « فتى العرب » وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

توفي الأستاذ الكبير السيد معروف الأرناؤوط ، أحد كبار رجال الصحافة والعلم والأدب في دمشق ، وانتقل إلى دار الخلود بعد أن أبلى كثيراً في سبيل رفع شأن أمته ورقي بلاده ، وجاهد طويلا بقلمه ولسانه في جريدته « فتى العرب » التي كان يبذل في سبيلها من ذات نفسه وماله الشيء الكثير . كما كان عضواً بارزاً ذا أثر بالغ في المجمع العلمي العربي بدمشق .

توفي — رحمه الله — والصحافة المصرية في شبه حمى مما تذيعه وتنشره صباح مساء من تفاصيل دقيقة مما أحاط باغتيال « غاندى » وما إلى اغتياله من أساليب إحراقه وتأريث النار تحت جثته ! ...

نعم كانت الصحافة هنا في شغل شاغل بنشر هذه التفصيلات الدقيقة لما توفي إلى رحمة الله ذلك الصحفي العربي ، والكاتب الأديب الأستاذ معروف الأرناؤوط ، فلم يتنبه لموته أحد ، ومر نعيه هادئاً هناً من غير جلبة ولا ضوضاء ، حتى أن الكثير من أصدقائه وخلصائه في مصر — وهم بحمد الله كثر — لم يعلم بموته ولم يقرأ خبر نعيه المنشور في « أهرام » يوم الأحد أول فبراير سنة ١٩٤٨

كان الأستاذ معروف الأرناؤوط حركة دائبة ، كثير الطواف والتجوال ، فقد زار كل بقعة من البلاد العربية ، وقابل كل ملوكها وأمرائها وقادة الرأي فيها ، وكتب الكثير عن هذه البلاد وأهل هذه البلاد ، وكان يناصر بقلمه كل حركة تقوم في أي بلد من بلاد العروبة والإسلام للدعوة إلى الحرية ونيل الاستقلال .

كان — رحمه الله — خفيف الظل ، عذب الروح ، سريع البديهة حاضر النكتة ، برماً بما تعارفه الناس في مجتمعاتهم من قيود ورسوم وتكاليف ، كثير المرح ، يشيع في مجلسه الحركة ورفع الكلفة ، يشعر جليسه لأول مرة أنه صديقه من أمد بعيد ، وأنه يعرفه معرفة وثيقة !

كنت أسمع باسم معروف الأرناؤوط ، وأقرأ له كثيراً ، ولكن لم أكن رأيته ، فلما كنت في دمشق صيف سنة ١٩٤٣ ذهبت إلى لقائه في دار « فتى العرب » فوجدته جالساً في المقهى الصغير المجاور لدار « فتى العرب » ، في ذلك المنفسح الواسع الجميل بين دار البلدية ودار الحكومة ، وما كدت أسلم وأجلس معه حتى شعرت بأني مع شخص أعرفه من قديم ! ، وكنت مجلا لقضاء بعض المهام فأنساني ما ينتظرني من عمل ، وطالت جلستنا ، وتشعب الحديث وذهب كل مذهب ، فكان رحمه الله في أحاديثه شديد التحمس للعروبة والأمة العربية ، قوى الايمان بقدرة هذا الشعب على القيام بالدور المقدر له أن يقوم به في ركب الحضارة . وبعد أن أخذ على العهد أن أزوره في فترة أخرى ، ودعته وفارقته ، ولكن لم تسنح لي فرصة زيارته مرة ثانية ، فكانت تلك الزيارة هي الأولى والأخيرة .

ولكن تلك الفترة التي قضيتها مع الأستاذ معروف الأرناؤوط في ذلك المقهى الصغير المتواضع تركت في نفسي أثراً لا ينمحي عن خلق الفقيد وكرم نفسه ، وحلاوة حديثه وخفة روحه ، فكنت أذكره كثيراً ، وأتمنى لو تتاح لي فرصة لقائه مرة أخرى ، حتى قرأت في « أهرام » يوم الأحد أول فبراير سنة ١٩٤٨ نعيه ، فحزنت عليه ، وبكته نفسي . رحمه الله رحمة واسعة .

الأستاذ معروف الأرناؤوط ثالث أديب كبير ترزأ به البلاد العربية وتفقده الصحافة العربية ، والأدب العربي والقارىء العربي في أقل من شهر ، ففي مطلع الفجر من يوم الثلاثاء الثالث عشر من يناير سنة ١٩٤٨ فجعت الصحافة العربية بعميدها طيب الذكر أنطون الجميل باشا ، فبكته أحر بكاء ، وقبل أن يجف الدمع عليه أو يلتئم جرح القلوب على فقده ، فجعت بأديب العربية غير مدافع الأستاذ الكبير محمد إسعاف النشاشيبي ، فقد ذهب إلى لقاء ربه في مطلع الفجر من يوم الخميس الثاني والعشرين من يناير سنة ١٩٤٨ ، فحرك بموته كوامن الأسى وجدد الحزن والألم ، فبكته الصحافة العربية أحر بكاء !.

وفي الساعات الأخيرة من ليلة الجمعة الموافق ثلاثين يناير سنة ١٩٤٨ لفظ الأستاذ معروف الأرناؤوط أنفاسه الأخيرة ، وسكنت تلك الحركة الدائبة أثر سكتة قلبية ، فقضى ثلاثتهم في غضون ثمانية عشر يوماً . في حالات متشابهة أصح ما يكونون أجساماً أثر سكتة قلبية أحسن الله عزاء البلاد العربية عن فقدهم ، وعوضها خيراً !

برهان الدين الداغستاني

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٧٣٦)

٦ - فى الوجود وعلله

للأستاذ كمال الدسوقي

ابن سينا والإشارات :

تجدون الترجمة الكاملة لحياة ابن سينا وكتاباته ، وأسفاره وتجاربه وأشعاره ؛ كما دونها ورواها تلميذه أبو عبيد الجوزجانى ؛ فى تاريخ الحكماء لابن أبى أصيبعة (جزء ٢ ص ١ - ١٦) الذى يوجد فى مكتبات مدارسكم وأقاليمكم ، وفى مقدمة كتاب منطق المشرقيين - الذى قالوا إنه القسم المنطقى من كتاب « الشفاء » لابن سينا ، والذى نشر فى مصر غير مرة : تجدون ذلك كله فى هذين المرجعين وفى غيرهما بما لا تحتاجون معه إلى مزيد من الإيضاح .

ومنه يتبين لكم أن ابن سينا (٣٧٣ - ٤٢٧ هـ) لم يبلغ السادسة عشرة حتى كان قد ألم بالكتب الأولية فى الحكمة رياضية وطبيعية ومنطقية ، أما ما بعد الطبيعة ، فقد هداه إلى فهم ما استغلق من تعاليم أرسطو فيها كتاب أبى نصر الفارابى ، كما فقهه إسماعيل الزاهد » من قبل فى مسائل الفقه والخلاف ، وأبو عبد الله الناتلى المتفلسف فى الحساب والهندسة وعلم الهيئة (الفلك) ورياضيات إقليدس ؛ وأنه منذ ذلك الحين قد دأب على المطالعة والدرس حتى أتيح له فى هذه السن أن يلحق بخدمة الأمير نوح بن منصور السامانى فيمن لحق من الأطباء المعالجين ؛ وأنه انفرد من بينهم فى الوقوف على مكتبة الأمير والإحاطة بما فيها ، حتى اتهم بحرقها ليتفرد بعلم ما حوت ؛ وأنه قد حصل حينئذ كل ما صار له من علم ومعرفة ، فلم يزد على علمه فيما بعد ذلك شىء - كما قال هو ؛ وأنه لم يكن بعدئذ يقرأ كتاباً على الولاء ، بل يقصد المواضع الصعبة والمسائل المشكلة ليتبين ما قاله صاحب الكتاب فيها - على نحو ما حدثنا الجوزجانى المذكور .

وأتم الشيخ الرئيس مرحلة الدرس وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وبدأ يكتب ويصنف ، وكانت تصانيفه فى ذلك الحين على الطريقة الأرسطية ، تأخذ معظم مادتها من هذه الفلسفة اليونانية بادئة أولا بالمنطق الآلة التى تعصم الذهن من الخطأ فى التصور والتصديق والاعتقاد الصحيح ، ومثنية بعد بالطبيعيات ومايتعلق بها من رياضيات وحساب وهيئة وموسيقى ، ومختتمة فى النهاية بما بعد الطبيعة أو العلم الإلهى كما سماه الأسلاميون ملحقين به الحديث عن النبوة والمعاد والخلاص من الدنيا ، نجد هذه الفلسفة الأرسطية فى معظمها فى أهم كتب ابن سينا الأولى « كالمجموع » « الشفاء » ومختصره « النجاة » وفى رسالته فى النفس التى كتبها إلى الأمير نوح بن منصور والتى تشبه أن تكون تعريباً لكتاب أرسطو « فى التنفس » .

أما الكتاب الذى بين أيديكم فهو من نوع مخالف لنوع هذه الكتب : وهو يمثل الفلسفة المشرقية فى تمام نضجها عند ابن سينا وغيره ، تلك الفلسفة التى لا تأخذ عن أرسطو إلا بمقدار ما تأخذ عن أفلاطون وأفلوطين والمتكلمين والصوفية من الإسلاميين والفرس ، مكونة من هذه فى جملتها مذهبا خاصاً ، وروحاً جديدة ، فيها طرافة وفيها عمق وامتاع هى بعض ما يتميز به كتاب « الإشارات والتنبيهات » لابى على الحسين ابن عبد الله بن سينا .

ولعل الظروف التى أحاطت بتأليف هذا الكتاب قد هيأت له أن يكون على هذه الصورة من العمق والجلال : فهو لم يكتبه استجابة لطلب أصحابه أو أميره كما ترى فى سائر كتبه إنما كتبه وهو سجين بقلمة « فردجان » حين اتهم بأنه يكاتب سراً علاء الدولة أمير أصفهان . ويصف هو محنة السجن هذه التى كتب أثناءها هذا الكتاب بقوله فى آخر صفحة من إشاراته : رقمت معظمها فى حال صعب لايمكن أصعب منها حال ، ورسمت أغلبها فى مدة كدورة بال ، بل فى أزمنة يكون كل منها ظرفاً لغصة وعذاب أليم ... ما مضى وقت ليس عينى فيه مقطراً . ولا بالى مكدراً ... الخ ص ١٤٥ حـ ٢) كما أن سجنه عند الإسماعيلية (الباطنية) هؤلاء قد جعله يذهب مذهبهم فى التستر والإخفاء ، والضن بكتابه ذاك على من لم يؤت الفطنة أو الدربة ، أو كان من الجاهلين المبتذلين ، والملاحدة المكابرين ؛ وفى التوصية بالحرص على تخير من يهدى إليهم هذا الكتاب واختبارهم ، صوناً لهذا العلم من الضياع -- كما نبه على ذلك فى آخر الكتاب (ص ١٤٣ - ١٤٤ حـ ٢) وكرر ذلك التنبيه فى أوله (ص ٢ حـ ١) بشروط واختبارات خاصة ، نرجوا أن تتوافر كلها لطلاب السابقة حتى يتهيأ لهم أن يقفوا على حقيقة هذا الكتاب .

وكما يتضح من أول كلة للشيخ أبي على فى كتابه : الإشارات إنما تشعر إلى الأصول — والتنبيهات تنبه على الجمل ، هذه تتعلق بالمبادىء العامة ، وتلك بالقضايا الخاصة ، والذى تشير له هذه أو تنبه عليه تلك ؛ مسائل من العلم الطبيعى والإلهى مختلطة ، يتدرك فيها ابن سينا من المحسوس إلى المعقول ، ومن المادة إلى الصورة ، ولذا نجده قد قسم أبواب هذا الكتاب إلى أنماط — على عكس المنطق الذى تنقسم أبوابه عنده إلى أنهاج — لأن النمط ضرب من البسط والتمهيد يقصد لذاته — بينما النهج ممهد لكل سالك إلى غاية معينة بما يحقق الغرض من المنطق كعلم لمناهج العقل — وكم فى النمط الواحد من « إشارة » إلى أصل من الأصول ، « وتنبيه » على جملة من الجمل ، أو « وهم » من الأوهام ، « وتذنيب » أو خاتمة ونتيجة لكل ذلك .

والكتاب الأول من الإشارات فى خمسة أنماط . يهمنا منها الرابع « فى الوجود وعلله » (ص ١٨٩ — ٢١٤) الوجود المطلق الذى لا علة له على الإطلاق ، أى الوجود فى ذاته من حيث هو وجود ؛ والوجود الآخر الذى هو محمول على أشياء مختلفة — هى معلولة له ، والوجود عارض فيها وليس من ماهيتها ، ومباحث هذا النمط — كما لخصها الرازى — ثمانية : (١) الرد على من لا يؤمن بوجود إلا للمحسوس ، (٢) العلل بوجه عام (٣) إثبات واجب الوجود (٤) ووحدته (٥) وتجرده عن الكثرة والنوع والجنس والعقل والحس ، (٦) ومن الضد والشبيه ، (٧) هو عاقل ومعقول (٨) تلك خير الطرق لإثباته .

والنشرة المتداولة لهذا الكتاب ، هى تلك المطبوعة فى المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٥ هـ ، المشتملة على شرحى العلامة فخر الدين الرازى (فى الهامش الخارجى) والخاجه نصير الدين الطوسى (هكذا تنطق فى الفارسية بمعنى الأستاذ) — وكلاهما عالم محقق قام على شرح الإشارات مع فارق بينهما غير كبير — لا يعنيكم أمره — وحسبكم أن تتخيروا لأنفسكم أى الشرحين على هذا النص (المذكور فى كليهما بين أقواس) — فإذا تعذر عليكم تفهم الواحد فليكمل بشرح الآخر .

٢ — العلل الأربع :

وابن سينا — قبل أن يشرع فى تفصيل علل الوجود — ينبه على ما قد يتبادر لأذهان العامة من أن كل موجود فهو محسوس ، وأن كل ما لا وضع له فى المكان وفى الجهة وفى سائر أحوال الجسم المحسوس فلا نصيب له من الوجود — وهو رأى المشبهة ومن لف لفهم — فإننا حين نتأمل هذه المحسوسات الجزئية نجدها تشترك فى معنى كلى مجرد — كالإنسان الذى أفراده زيد وعمرو من الناس — الواحد منها محسوس ، له وضع ومقدار وأين وكيف ، ومن هذا المحسوس يأتى معنى الإنسان المجرد من الكم والكيف والأين والوضع الذى هو الإنسان الحقيق — والمعنى الكلى للانسان من حيث هو حيوان ناطق .

فإن قيل إن هذا الإنسان بالمعنى الكلى الثانى موجود فى العقل لا فى الخارج ، ونحن نقصد الوجود الخارجى لا الذهنى ؛ قلنا إن معنى الإنسانية لا يوجد فى الذهن إلا مقترناً بالإنسان الواقعى المحسوس المشترك فى التصور العقلى المجرد لكلمة إنسان . وسقط بذلك الاعتراض .

وإن قيل إن للانسان هنا كفرد تصوراً ذهنياً كلياً من حيث هو يتركب من أعضاء كثيرة مختلفة يشتمل عليها مفهوم كلمة « إنسان » بالمعنى الفردى ، قلنا إنه يسهل دفع هذا الاعتراض بتصور نفس الحال فى كل عضو من أعضاء الإنسان أى أن يكون لكل منها وجوده فى الذهن كلياً مجرداً فضلا عن وجوده فى الواقع والحقيقة .

وحجة أخرى تلزم أولئك الذين لا يعترفون بوجود إلا للحسى من الأشياء ، والموهوم من الموجودات ، هى أنه عن المحسوسات يأتى الحس ، وعن الموهوم ينشأ الوهم ، وهى ليست أموراً حسية ، فإن أنكروها وجب أن ينكروا ما يتعلق بها والعقل الذى يحكم عليها ويميز بينها ، دون أن يكون محسوساً ولا موهوماً هو الآخر . وقل مثل ذلك فى طبائع الأمور المدركة بالوهم كالعشق والخجل ، والشجاعة والجبن — التى ليست تدرك بالحس ، وإن تعلقت بالمحسوس والموهوم من الأشياء . والنتيجة التى يخلص منها الشيخ الرئيس بعد إدحاض هذه الأوهام ودفع ما يعترض به عليها — أن كل موجود فان له ماهية مجردة عن كل مشخصاته الحسية — هى التى يتحقق بها وجوده ، وإن لم تكن محسوسة ولا موهومة .

ذلك أن الشىء إنما يتحقق وجوده بإحدى اثنتين : إما بماهيته وحقيقته كالمثلث من حيث هو سطح وأضلاع تحيط به وتحدده — أى من حيث مادة المثلث والصورة الناشئة له من مجموع هذه المادة أى المثلث بالقوة En Puissance والمثلث بالفعل En Acte وإما بوجود ذاته من حيث موجده أو المؤثر

في حدوثه ، وما لأجله وجد — أي من حيث فاعله ، ومن حيث غاية وجوده ، وعلل الوجود الأربعة هي إذن قسمان : علتا الماهية ، وعلتا الوجود ، الأوليان منها هما : العلة المادية Cause Matérielle والعلة الصورية Cause Formelle وعلتا الوجود هما العلة الفاعلة أو علة الفاعلية Camse Éfficieure والعلة الغائية Cause Finale — الأوليان جزء من الشيء لأنهما الشيء بالقوة (المادة) والشيء بالفعل (الصورة) . والأخيرتين ليستا جزءاً منه - بل هما فاعله (أو موضوعه بالقوة) ، وغايته (أي تحققه بالفعل) ، ولذا كانت العلتان الأولى والثالثة سالبتين والثانية والرابعة موجبتين .

والفرق بين علل الماهية وعلل الوجود يتبين في الفرق بين وجود الشيء في ذاته ووجوده في الأعيان ؛ الأولى تلزم الشيء لتحقيق ذاته في الخارج وفي العقل ، ومقومات هذه العلل هي الجنس والنوع والفصل ... مما يدخل في باب المنطق ، أما الأخرى فيفتقر إليها الشيء في كونه موجوداً كالفاعل والغاية . وابن سينا يخصص هذا الفصل لدراسة هذه الأخيرة ، بعد إذ فرغ من الأولى في المنطق . مما سنتابعه فيه في المقال التالي .

كمال دسوقي

الأدب والفن في أسبوع

نشوء القومية في البلاد العربية :

ألقى الأستاذ ساطع الحصري يوم السبت المحاضرة الخامسة من سلسلة محاضراته بالجمعية الجغرافية الملكية ، فتحدث عن « نشوء الفكرة القومية في البلاد العربية حتى الحرب العالمية الأولى » .

قال الأستاذ إن البلاد العربية كانت خاضعة للدولة العثمانية باعتبارها دولة إسلامية ، وكانت تنظر إليها على أنها حلقة في سلسلة التاريخ الإسلامي ، وقد سيطرت الدولة على هذه البلاد بتغلبها على الجنود والحكام ، ولم تقاومها الشعوب ، باستثناء اليمن لاعتناقها « الزيدية » التي ترى أن يكون الخليفة من آل البيت ومن نسل زيد .

وكان المسلمون ينضوون تحت لواء الدولة متجهين إليها سياسيا ودينيا ، على خلاف المسيحيين العرب الذين كانت لهم هيئات دينية منفصلة عن الدولة ، وكانوا يجدون الفكرة العربية منفصلة عن الدين ؛ وكان هؤلاء المسيحيون ثلاث طوائف : الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت ، وكان يلي المناصب الدينية بالكنائس الأرثوذكسية الشرقية رجال الدين من اليونان ، وكانوا يفرضون اللغة اليونانية في الصلاة وغيرها من شعائر الدين ؛ وكذلك كان الرومان واللغة اللاتينية في الكنائس الكاثوليكية الشرقية ، وتحدث الأستاذ عن جهود العرب المسيحيين في مقاومة اليونانية واللاتينية في البيئات الدينية حتى استبدلوا بهما اللغة العربية ؛ أما البروتستانت فكانوا من الأمريكيين الذين تعلموا اللغة وعملوا على نشر مذهبهم في البلاد العربية بلغتها ، وأنشأت الطوائف الثلاث مدارس كانت تهتم باللغة العربية وتعلم بها ، على حين كانت مدارس الحكومة تعلم بالتركية ولا تلقى العربية من عنايتها إلا قليلا .

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نشأت تيارات فكرية مختلفة ، فالمسيحيون وبعض المستنيرين من المسلمين كانوا يدعون إلى انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية وكان فريق كبير من المسلمين يعمل على جعل الخلافة عربية ، ودعا فريق آخر إلى الإصلاح والاشتراك مع العثمانيين في إدارة دفة الأمور . ثم أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، فشاركت الأمم العربيـة الأتراك في السرور بانتهـاء حكم الاستبداد ، واتجه شعور الجميع نحو التكتل ونسيان الخلافات ؛ ولكن ذلك لم يدم طويلا لأنه كان من نتيجة الحرية بعد إعلان الدستور أن امتدت الأقلام إلى تناول بعض الشخصيات التي كانت مشتركة في الحكم الاستبدادي فكان هـذا إلى عوامل أخرى بينها الأستاذ سببا في الانقسام بين العرب والأتراك ، واستمر هذا النزاع إلى أن عقد مؤتمر العرب بباريس وكان من مطالبه جعل التعليم باللغة العربية وإشراك العرب في مناصب الحكم ، وحدث في أثناء انعقاد هـذا المؤتمر أن اتصل به رسل تركية ، وأمكن الوصول إلى اتفاق تحققت به بعض المطالب العربية وفي جملتها جعل التعليم في بعض المدارس باللغة العربية . على أن هذا الاتفاق لم يقض على المنازعات نهائيا ، بل ظلت قائمة حتى نشبت الحرب العالمية الأولى .

وكان الأستاذ قد ذكر السامعين فى بدء المحاضرة بما دل عليه تتبع نشوء القوميات فى البلاد الأوربية من أن القومية كائن حى روحه اللغة ووعيه التاريخ ؛ ويبدو أن الخيط الذى يربط هذه المحاضرة بتلك النظرية هو جهود المسيحيين العرب فى مقاومة طغيان اللغات الأجنبية وتمسكهم بالعربية ، ثم اهتمام العرب جميعاً باللغة العربية فى حركاتهم ومطالبهم السياسية . والمتوقع أن الفكرة ستكون أكثر وضوحا أو ستصل إلى نتيجتها فى المحاضرة القادمة وهى « نشوء الفكرة القومية فى البلاد العربية منذ الحرب العالمية الأولى حتى تكون جامعة الدول العربية » .

عبث أدبى فنى :

الملك بين يديك فى إقباله ... عوذت ملكك بالنبى وآله
حر ، وأنت الحر فى تاريخه ... سمح ، وأنت السمح فى إقباله
يفديك نصرانيــه بصليبه ... والمنتمى لمحمــد بهــلاله
يجدون دولتك التى سعدوا بها ... من رحمة المولى ومن أفضاله
يا جنة الوادى ونزهة روحه ... ونعــيم مهجته وراحة باله
فاروق جلها وزان بساطها ... عرش يلوذ الشعب تحت ظلاله
وكأن عيدك عيدها لما مشى ... فيها البشير بيشره وجمــاله

هذه هى الأغنية التى غنتهــا أم كلثوم ثلاث مرات فى يوم عيد ميلاد جلالة الفاروق . وقدمها المذيع بقوله : « عيد الدهر ، من شعر أحمد شوقى بك وغناء أم كلثوم » ولا شك أن المستمعين دهشوا ... فما عيد الدهر ؟ وما خطبُ شوقى ؟ وما غناء ذلك فى الميلاد الملــكى ؟ .

أنشأ شوقى قصيدة « عيد الدهر » منذ قرابة أربعين عاماً ، مدح بها الخليفة العثمانى محمد رشاد الخامس ، وأشاد فيها بمدينة الآستانة . وقد أخذت من هذه القصيدة الأبيات السابقة التى غنتها أم كلثوم ، وليست كل هذه الأبيات من تلك القصيدة ، ففيها بيت وربع بيت من نظم غير شوقى ، وبيان هذا كما يلى :

أخذ من القصيدة أربعة أبيات بنصها ، ثم قصد إلى بيت فى القصيدة يعبر فيه الشاعر عن ولوعه بالآستانة ، وهو :

فى كل عام أنت نزهة روحه ... ونعــيم مهجته وراحة باله

فحذف قوله : « فى كل عام أنت » ووضع مكانه : « يا جنة الوادى و » وجىء بعد هذه « العملية » ببيت « من الخارج » ثم ختمت الأغنية ببيت من أصل القصيدة وهو : « وكأن عيدك الخ » .

ولا شك أنك — وقد علمت كيف تم « إخراج » هــذه الأغنية — قد تحولت دهشتك إلى العجب من هــذا الصنيع والسؤال عن الحــكمة فى هذا التحوير والتبديل ! أليس هناك غير شعر شوقى ؟ لقد فاضت قرائح الشعراء ليلة ميلاد الملك ، وما زالت القرائح تفيض مستمدة من معين حبه ، أفما كان يغنى بعض شعرهم عن هذا الموقف المخجل أمام التاريخ !

وبعد فنحن أمام طريقة جديدة أصدق ما توصف به أنها عبث أدبى فنى . وما كان يليق أن يقع ذلك فى هذه المناسبة السامية.

الخطابة فى مهرجان الشباب :

دعت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف يوم الثلاثاء لفيفاً من الصحفيين والأدباء إلى حفل أقامته بإدارة خدمــة الشباب لاختبار المتقدمين إلى مباراة الخطابة ، وهى إحدى مباريات المهرجان الأدبى والفنى الذى تنظمه الإدارة لمناسبة عيد الميلاد الملــكى .

انعقدت لجنة التحكيم ، وهى مكونة من الأستاذ العقــاد والأستاذ توفيق دياب والأستاذ توفيق الحكيم والدكتور إبراهيم ناجى والدكتور محمــد صلاح الدين ، وقبل أن تبدأ فى الاختبار وقف الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك المدير العام للثقافة بوزارة المعارف ، وألقى كلمة تحدث فيها عن قلق الشــباب وحيرته وعما يدل عليه هذا القلق من الحيوية والاستعداد ، ووجوب استغلاله فى التوجيه والإرشــاد . وقال إننا نريد بهذا المهرجان وغيره أن نــكشف مواهب الشباب لنشجعها وننميها ، وأشار إلى ما تعتزمه الإدارة من إنشاء نواد صيفية للشباب تتوافر فيها الوسائل المختلفة لتنمية المواهب الأدبية والفنية وغير ذلك ممــا يستغل فيه وقت الفراغ استغلالا نافعاً .

وتــكلم الأســتاذ توفيق دياب فقال إنه يلاحظ أن الحيــاة الثقافية عندنا تنقصها الروح والتشبع بالفــكرة ، وأننا نماثل الأمم الــكبيرة فى ضخامة الأبنية وفخامة المظاهر فقط دون أن يكون لدينا شعور قوى برسالة نؤديها ، رسالة حاضرة يؤديها الأستاذ ، ورسالة للمستقبل يستعد لها الطالب .

وقال الدكتور إبراهيم ناجى إنه وصل من دراسته النفســية لشبابنا أنهم مصابون بمرضين نفسيين : الأول تصيد الأمور وعدم فهم حقائق الأشياء ، فــكثيرون منهم يتصدون لقرض الشــعر وكتابة القصة مثلا ، دون أن يعرفوا ما هو الشــعر ، ودون أن

يقفوا على دقائق فن القصة. والمرض الثانى هو عدم وجود الأهداف أو تعددها، فإما أن لا يكون لهم هدف، أو يريد الواحد منهم أن يكون كل شيء.

ثم شرعت اللجنة فى عملها، فأبلغت المتبارين موضوع الخطابة وهو هذا البيت :

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

ووزعت الدرجات على النواحى الثلاث التى يقدر فيها الخطيب وهى التفكير والأداء والتأثير. ثم تعاقب الخطباء من الشباب وكان الزمن المعين لكل منهم عشر دقائق. وكانوا خمسة عشر شابا، بينهم فتاة واحدة، هى الآنسة عزيزة توفيق (وأخصها بالتسمية لأن الرجل لم ينل بعد المساواة بالمرأة!) ولا أريد أن أتعرض للحكم عليها أو على غيرها من المتبارين، فالأمر للمحكمين وحدهم، أو هو — كما يقول زملاؤنا الصحفيون — بين يدى القضاء... ولكن لا أرى بأساً فى بعض الملاحظات العامة

١ — المفروض أن الخطيب إنما يخطب جمهوراً فى أمر يهمهم أو قضية تشغل بالهم، فيعالج المسألة معالجة خطابية، ليؤثر فيهم ويوجههم إلى ما يريد، وطبعاً لا يكون ذلك حقيقة فى المباراة بل يتمثله فيها الخطيب، فهل يقع فى الحياة أن جمهوراً يشغل باله موضوع حكمة عامة وبتهيأ لأن يخطبه أحد فيها ؟.

٢ — لذلك لاحظت أن أكثر الخطباء اتخذ القضية العربية والقضية المصرية موضوعاً لتطبيق هذه الحكمة وقصر كلامه عليها، على ما فى ذلك من بعد عما تصدق عليه وهو الأفراد، أما الأمم فكثير منها يهون ولكن لا يسهل الهوان عليه، لأنه يتحفز ويتحين الفرصة لنيل حريته.

٣ — انتهز أحد الخطباء الفرصة ووجه الكلام إلى المحكمين باعتبارهم من قادة الفكر، وقال لهم : دعونا من هذه المسابقة، ماذا فعلتم لعزة البلاد ودفع الهوان عنها ؟ وهكذا قلب الوضع فأراد أن يمتحن الممتحنين.. ولكنها فورة الشباب..

هذا وسيختار من هؤلاء المتبارين فى الخطابة أربعة يمنحون جوائز، ويلقى الفائز الأول خطبة فى المهرجان العام الذى سيقام فى يوم ٢٧ فبراير الحالى.

رقاعة فرنسية :

بعث إلى «المصرى» مراسلها من باريس، بحديث جرى بينه وبين وزير الشؤون الإسلامية فى الوزارة الفرنسية الجديدة؛ وقد تناول هذا الحديث موضوعاً اتجهت إليه أخيراً الإدارة الثقافية بالجامعة العربية، وهو أن يشمل التعاون الثقافى العربى البلاد المغربية. سأل المراسل الوزير الفرنسى : هل للجامعة العربية أن تحصل على موافقة فرنسا إذا عرضت عليها إرسال مندوبين فرنسيين وجزائريين ومراكشيين إلى القاهرة لتمثيل هذه البلاد فى اللجنة الثقافية للجامعة العربية كما وافق فرانكو على إرسال مندوب عن مراكش الإسبانية فى هذه اللجنة ؟ فقال الوزير الفرنسى فى إجابته : «أحب أن أقول لك إنه إذا ثبت قطعاً أن هذه اللجنة تعمل فى نطاق ثقافى وروحى فقط فليس مستحيلا أن تنفذ وزارة الشئون الإعلامية اقتراحك هذا».

ومن المحقق أنه لن يثبت قطعاً ولا من غير قطع أن لجنة الثقافة بالجامعة العربية تعمل فى النطاق الثقافى الروحى الذى تريده فرنسا! كما أنه من المحقق أن الشعوب المغلوبة على أمرها لا يمكن أن تفصل بين الثقافة والسياسة إلا على أيدى المهائين لغالبيها، والثقافة التى لا تبعث شعور الحرية وتغذيه إنما هى ثقافة العبيد.

وإذن فلن توافق فرنسا على إرسال مندوبين يمثلون البلاد المنكوبة بها فى تنظيم التعاون الثقافى العربى. وإذا فرض أنه ثبت قطعاً.. الخ، فماذا تفعل فرنسا ؟ تقول : ليس مستحيلا أن تنفذ الاقتراح!

ومن الغريب مع هذا أن ينوه ذلك الوزير فى حديثه بالعلاقات الثقافية بين فرنسا ومصر، فيشير بتبادل المحاضرين بين البلدين... إلى آخر هذا الكلام المعروف المحلول.

ومعنى كل ذلك أن فرنسا تريد أن توطد علاقاتها الثقافية بمصر التى تجمعها بالمغرب فكرة الوطن العربى الأكبر، وتعمل فى الوقت نفسه على توطيد استعمارها للمغرب بقطع صلته بالثقافة الطليقة فى المشرق، ولهذا أنشأت «وزارة الشؤون الإسلامية» التى تقابل عند الإنجليز «وزارة المستعمرات البريطانية» مع فرق واحد هو انعدام الحياء فى التسمية الفرنسية!

وبعد فانظر إلى تسمية هذه الوزارة، وأضف إليها ما انطوت عليه إجابة وزيرها، وخذ أيضاً تقطيع العلاقة الثقافية بين بلاد متحدة فى الثقافة والدعوة أو الدعاية لتوطيدها مع جزء من هذه البلاد — ثم انظر ماذا نصنع بكلمة «الرقاعة» إن لم نضعها هنا.

العباس

سلالة يعرب (*)

للأستاذ محمود غنيم

أنا من سلالة يعرب ونزار   نسب أدِل به على الأقمار
وأولئك الشم الأباة أخوتي   والمكرمات شعارهم وشعاري
يا دار إسماعيل كيف وسعتهم   أثرى أسود أم سماء دراري ؟
أم أنت في وادي الكنانة دوحة   أخرى تشاهد بيعة الأنصار ؟
حي الوفود تحية ممزوجة   بعبير غالية ونفح عُمار
واخشع إذا حدثت عن أسلافهم   أوزرت ما تركوا من الآثار
كانوا إذا رفعوا قواعد دولة   وضعوا العلوم مواضع الأحجار
حاطوا ممالكهم بعدل ملوكهم   كحياطة البستان بالأسوار
لم تكف هارون البسيطة كلها   حتى تحدى دولة الأمطار
كانوا وكان على البرية حكمهم   يمضي فصاروا قصة السمار
كانوا إذا نشروا السلام على الورى   رسلا وإن خاضوا الحروب ضواري
من جندل الفلوات قدوا عزمهم   أو سيلهن الجارف التيار
ومن الحيا المدرار صيغ سخاؤهم   فسخاؤهم صنو الحيا المدرار
وتنفسوا ريح البوادي حرة   إن البوادي معدن الأحرار
المجد في الصحراء ينبت والملا   بدل المروج الخضر والأشجار
إن كان للباري شعوب خصها   برعاية فالعرب شعب الباري
أو قيل: إن العالمين عناصر   فهمو همو حسبا وطيب نجار
خلق البرايا من تراب خالص   والعرب شيب ترابهم بنضار

***

قد وحدت أم العروبة جمعها   توحيدها للبارىء القهار
حِلف بريء القصد ما أوحى به   نزق الهوى أو حب الاستعمار
والحلف ما أوحت به الشهوات إن   هو قام قام على شفير هار
قل للعروبة: أنت دين آخر   دين المساجد أنت والأديار
لا تسأل العربي عن وطن فقد   محت الدماء فواصل الأقطار
بالضاد نحن وبالدماء قبيلة   وبوحدة الأهداف والأفكار
عدنان جدي والعروبة كلها   لي عترة والشرق أجمع داري

***

قل للكماة الذائدين عن الحمى   والرخصين غوالي الأعمار
من كل ذي أنف حمى بالردى   يرضى ولا يرضى هوان الجار
قد أرهف التاريخ غرب يراعه   ماذا يخط يراعه للقاري ؟
الكون أنصت والأثير بمرصد   بدل الحمام يطير بالأخبار
نادت فلسطين الشهيدة فاستجب   يا سيف واخطب بلسان النار
لا ترشقوهم بالزهور تحية   أهل القبور أحق بالأزهار
بل فارشقوا الأبطال في ساح الوغى   بذخيرة أو عسكر جرار
من كل أروع فوق ظهر جواده   ينقضُّ إعصارا على إعصار
حرب أثار الجائرون غبارها   ما كان لولا جورهم بمثار
هم أوقدوها فاجعلوهم فحمها   في يوم نحس شمسه من قار
يوم كيوم الروم في « اليرموك » أو   يوم كيوم الفرس في « ذي قار »
هذا تراث الراشدين وفتحهم   نفديه بالأسماع والأبصار
إن تعبثوا بتراثهم خلفتمو   في القبر أعظمهم بغير قرار
المسجد الأقصى الذي أسرى إلى   محرابه جبريل بالمختار
والقبلة الأولى لكل مكبر   في الأرض قبل البيت ذي الأستار
لا تبتني الدولات حول موائد   كموائد الندمان حول عقار
لا تبتني الدولات فوق خرائط   جدب الحقول نواضب الأنهار
الحق في عصر الحضارة يشترى   بالدرهم المضروب والدينار
أقسمت ما ردَّ الظالم حاكم   عدل لحد الصارم البتار
قالوا: الحقوق فقلت هن قوائم   يصطدن من بحر الدماء الجاري

***

فاروق إنك للعروبة موئل   قوت الفقير بها وورد العاري
إن أدلج الركب المغذ لطية   تنفي الطلى فأنت نجم الساري
فاروق واسمك في العروبة أرغن   أشجى لها من رنة الأوتار
أنت الذي داويت معضل دائها   وأسوت ما جرحت يد الأقدار
خطت يمينك أس وحدتها وما   خطت يمينك ليس بالمنهار

محمود غنيم

(*) ألقيت بدار الأوبرا الملكية في حفل تكريم الوفود العربية



مبادىء علم النفس العام

للدكتور يوسف مراد

بقلم الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

كنا قد وجهنا إلى الدكتور يوسف مراد منذ عام سؤالا فى مجلة الكتاب ، فحواه هل علم النفس علم أو فلسفة أو بين هذا وذاك ؛ ولم يحر جوابا ، وأبى أن يواجه السؤال ، فقلت لعله يريد أن يفصل المسألة ، ويعد لها العدة ، ويقرأ المراجع ويفيض فى الجواب . حتى أصدر كتابه « مبادىء علم النفس العام » وهو يقع فى أربعمائة صفحة من القطع الكبير ، فحمدنا الله ، وبادرنا إلى قراءته كى نستفيد منه هذا العلم الذى يقوم على تدرسه، وشغل كرسى الأستاذية فى كلية الآداب .

وقد استباح الدكتور مراد لنفسه أن يحكم على كتب المؤلفين فى علم النفس ، ونصب الموازين التى يصدر بناء عليها حكمه عليها ، فتراه يقول فى التصدير « وهناك نقص آخر يكاد لا يخلو منه كتاب مدرسى فى علم النفس ، وهو عدم الربط بين الوظائف السيكولوجيه والمظاهر السلوكية ربطا كافيا مطابقا للوقائع . » ويقول أيضا « من واجب كل من يشرع فى وضع كتاب فى علم النفس لمعالجة جميع موضوعات العلم ، كما تنص عليها عادة برامج الدراسة الثانوية فى مختلف البلاد ، أن يتوخى الأساليب العلمية التى تمتاز بالأمانة والدقة ، وبضرورة التمييز بين ما هو يقينى وبين ما هو عرضة للاحتمال والشك ، وبين الوضع العلمى لبعض المشاكل كمشكلة الغريزة مثلا ، ووضعها الفلسفى » وفى التصدير إشارات كثيرة من هذا القبيل .

فهو يضع نفسه موضع العلم لجيع من ألف فى مصر فى علم النفس . ونحن لا نرفض أن نتعلم من الدكتور مراد إذا كان حقا فى كتابه من الحقائق الموثوق بها ما نأخذ به .

ولسنا نجد جوابا صريحا عن السؤال الذى وجهناه من قبل ، ولكنه يؤثر أن يعتمد فى علم النفس الجانب التجريبى أما الجانب الذى لم تتناوله التجارب ، فإنه يقول فيه « إنه صورة لا تشمل كافة مسائل علم النفس العام . فهى صورة ناقصة للحياة النفسية » ولا غرو فى ذلك إذ كان المؤلف يقصر حديثه على الحقائق التجريبية الموثوق بها . وهو يشير هنا إلى كتاب وودورث فى علم النفس التجريبى .

ونحن لا نقر وجهة نظر الدكتور مراد وزعمه أن علم النفس لا يكون علما موثوقا به إلا إذا كان تجريبيا ، فهناك مسائل كثيرة لا يمكن أن تنالها التجربة من جهة ، وليس من الضرورى أن يكون العلم علما لأنه تجريبى .

هذا الخطأ فى فهم منهج علم النفس ، جعله يقول فى ص ١٠ « ونحن ندرك هذه الأحداث من الداخل ، مندمجة فى حياتنا النفسية ، بطريقة مباشرة وبوساطة حس باطن يسمى الشعور . ولكن إذا ظلت هذه الأحداث سرا مطويا بدون أن تكون مصحوبة بتعبير لفظى أو حركى بقيت فى نظر العلم كأنها غير موجودة . ولا تصبح هذه الأحداث الداخلية صالحة للمعالجة العلمية إلا إذا عبر عنها بوساطة حركات خارجية » .

الله أكبر ... كيف تزعم أن الإنسان حين يفكر بينه وبين نفسه ، يكون هذا التفكير « غير موجود » وكيف تستبيح لنفسك أن تنطق باسم العلم فتنكر وجود هذه الأحداث الباطنية .

وكان خليقا بك ، إذا أردت أن تكون منطقيا مع نفسك أو مذهبك فى إنكار هذه الأحداث الباطنة ، ألا تذكرها بعد ذلك فى كتابك ، ولا تعتمد عليها . ولكنك مضطر إلى الاعتراف بها ، لأن علم النفس لابد أن يقوم على التأمل الباطنى ، وهذا أحد مناهجه ، ولذلك قلت فى ص ١٤ « أما الحالات الشعورية من حيث هى حالاتى أنا ، أختبرها بنفسى وأحياها ، فإحساسى بها إحساس مباشر . وتمتاز الشعوريات ، كما أحس بها وكما أخبرها بنفسى ، بكونها داخلية ومباشرة وتلقائية . . »

ونحن لا نجد هذا الاضطراب فى المنهج الذى يسلكه المؤلف فحسب ، بل فى الموضوع كذلك . وهو أخطر فهو يقول فى ص ١٠ «عن موضوع علم النفس . « وبعبارة أخرى ، موضوع علم النفس هو الإنسان من حيث هو كائن حى يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويتذكر ويتعلم ويتخيل ويفكر ويعبر ويريد ويفعل » .

وواضح أن هذا هو التعريف الذى يرتضيه لعلم النفس . فهو يقول فى ص ١١ « يستنتج أيضاً من تعريفنا لموضوع علم النفس أن لهذا العلم صلة وثيقة بعلمين هما علم الحياة وعلم الاجتماع من جهة أخرى ».

ونحن نحاسب الدكتور مراد بمقتضى كلامه ، فهو يقول فى استهلال الكتاب « يتميز كل علم من غيره بموضوعه ونهجه ».

وقد رأيت أن المنهج الذى وضعه مضطرب ، والموضوع الذى ينص عليه لا يرضى به العلماء ، وقد ناقشه العلماء منذ زمن طويل .

ذكر الأستاذ ألفرد بينيه فى كتابه « النفس والجسم » إن هناك سبعة تعاريف لعلم النفس ، الميتافيزيقى ، والعددى ، والمنهجى ، والتعريف بدرجة اليقين ، وبالمضمون ، وبوجهة النظر ، وبالقوانين العقلية . وآخر هذه التعاريف هو الصحيح .

أما الثانى ، وهو الذي جاء فى كتاب الدكتور مراد ، وهو الموسوم بالعددى « Definition Par Enumeration » أى بتعديد المسائل التى يتناولها موضوع العلم ؛ فيقول فيه الأستاذ بينيه : « إنه يفيد فى التقريب الأولى للأشياء ، وفى تذكير أولئك الذين لا يشكون فى أن علم النفس يدرس أفكارنا . ومهما يكن العدد الحقيقى لهؤلاء الجهال ؛ فإنهم ، فيما أعتقد ، عدد لا يحسب له حساب » .

ويقول فى ص١٢« ولتحديد العلاقة بين الظاهرة وشروطها يستعان بالطريقة الإحصائية ، ويوصف القانون العلمى بأنه قانون إحصائى » .

ولسنا نفهم لماذا يقصر الدكتور مراد القوانين العلمية على الإحصاء فهناك قوانين ليس من الضرورى أن تقوم على الإحصاء ويكفى أن ينظر العالم إلى بعض الحالات ، دون أن يستقرئ أو يحصى جميعها . مثال ذلك تمدد الحديد بالحرارة ، فإننا لا نحصى كل قطعة من الحديد ، وليس فى مقدورنا ذلك . والمنطق الحديث الذى ينحو نحو الإحصاء لا يقول عن القانون إنه « علاقة » كما قال ، بل اقتران ... وذلك ليتفادى القول بالعلية .

ولسنا ندرى لماذا يقول فى ص ١٣ « فاللغة إذن هى حلقة الاتصال بين علم الاجتماع وعلم النفس » أليس ذلك مما يتنافى مع القواعد التى سنها للباحثين فى التصدير حتى يهديهم سواء السبيل فقال : « فهناك خطر جسيم يهدد الباحث فى هذا العلم وهو التجريد ، وما ينجم عنه من التبسيط المسرف المخل الذى يتحول بسهولة إلى إبهام وغموض »

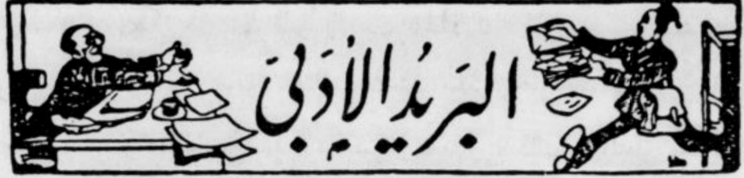
ولسنا نريد أن نتعرض لأسلوب الكتاب ولغته ، فليس الكتاب فى الأدب وليس صاحبه ممن درس العربية أو يحسنها ، غير أننا كنا نحب أن يتجنب مثل هذه اللفظة كالبطانة عند قوله عن المؤثرات فى الإنسان « من حيث هى معان لها بطانتها الوجدانية ، ويمكن تصورها وإدماجها فى منظومة ذهنية واستخدامها لإنشاء ضروب من الاستجابات الذهنية الصامتة أو اللفظية أو الحركية ، تختلف باختلاف الغرض الذي يسعى إلى تحقيقه » .

وليس هذا الأسلوب عربياً بل أعجمياً ، لا يفهم القارىء منه شيئاً ، أما « بطانة » فهى لغة البزازين لا لغة العلماء المتثبتين .

وبعد فقد عرضنا عليك نموذجاً مما جاء فى هذا الكتاب من اضطراب فى التفكير ، وتناقض فى الآراء ، وأخطاء جسيمة فى صميم العلم . ولا تتسع صفحات هذه المجلة لتعقب المؤلف فى سائر الكتاب ، فهو يجرى على هذا النحو من الاضطراب والزلل .

وما دام الدكتور مراد قد نصب الموازين فى صدر كتابه يحاسب بها الذين ألفوا فى علم النفس ، وقد ذكرنا لك طرفاً من هذه الموازين فى سياق المقال ، فنحن نرجو العلماء أن ينصبوا له نفس هذه الموازين ، ليحكموا على مبلغ علم أستاذ علم النفس بالجامعة ، وهو المسئول عن تثقيف الطلاب .

أحمد فؤاد الأهوانى



الى الأستاذ على الطنطاوى :

أعجبت كل الإعجاب بمقالك « حكمة القدر » فهو فلسفة صائبة فى تفسير معنى القدر الذى تحير فيه الناس منذ القديم إلى اليوم ؛ فهو تحفة أدبية لولا بقعة سوداء فيه طمست الحق والحقيقة جميعاً ، وهى حكاية الطفلة « الحلوة » التى وقعت من الطبقة السادسة فنزلت إلى الأرض سليمة .

إن مخترع هذه الأكذوبة العظيمة ، ظن أن استمارة حبال الغسيل المتعاقبة فى طبقة بعد طبقة لكى تتلقف الطفلة وهى هابطة إلى أن وقعت أخيراً على كومة رمل سليمة — تجوز على كل الناس على السواء .

دانى على بناية ذات طبقة سادسة فى شارع عريض يكون فى كل طبقة منها حبال غسيل فوق الشارع على مرأى من السابلة . وإن كانت فيجب أن تثب الطفلة إليها وثباً أو تقذف إليها قذفاً عمداً لكى تتلقاها الحبال لأن الحبال بعيدة عن الجدار . وإلا فإن وقعت وقوعاً تقع بين الحبال والجدار ولا يعيق هبوطها عائق . . حتى لو كانت الحبال شباكا فلا تضبطها ، وإن ضبطتها الشبكة الأولى فلا تسقط إلى الثانية ؛ وإن اخترقت الأولى إلى الثانية تخترق الشباك الست ، وأخيراً تقع على كومة الرمل عجينة مختلطة .

فهذه الحكاية أكذوبة ، وإن لم تكن أكذوبة ؛ تكن أعجوبة . والأعجوبة والقدر لا يجتمعان .

ولا بدع أن تكون أعجوبة إذا كان مخترعها قد أبطل فعل الجاذبية نصف دقيقة لكى تصل الطفلة إلى الأرض من غير زخم كما وقف يشوع بن نون (فى التوراة) الشمس نصف ساعة لكى تنتهى المعركة بانتصار شعب الله المختار .

يا صاحبى فى حوادث الزمن ألوف تريك حكمة القدر . فلماذا بنيت مقالك على أكذوبة الطفلة ، ثم تدع الناس السذج يتناقلونها وهم يستشهدون على صدقها بالأستاذ على الطنطاوى .

نقولا الحداد

أبو سفيان بن الحارث لا أبو سفيان بن حرب :

فى كتاب من الكتب القيمة لكاتب من كتاب الشرق الأفذاذ ذوى اليد الطولى على العلم والأدب وقعت رواية أبيات فى مناسبة من المناسبات ، ولكنها فسرت على غير ما تعارفناه وتناقلناه فى معناها . وعلى غير ما تدل عليه عوامل القصيدة التى قيلت من أجلها الأبيات لحسان بن ثابت يهجو بها أباسفيان بن الحارث ابن عبد المطلب . وذلك أنه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعبد الله بن الزبعرى وعمرو بن العاص ، وكان ينافح عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة من الأنصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة وهى من قصيدة حسان الهمزية التى يمدح فيها قومه ويذكر نصرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد على أبى سفيان ابن الحارث ، أحد أولئك الشعراء الهجائين له كما بين ذلك فى موضعه من كتب السير وشروح الديوان . ومطلع القصيدة :

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء

وأما الأبيات فها كها :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى ... فأنت مجوف نخب هواء
هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

ولعل فى قول الشاعر هجوت محمداً وقوله أتهجوه ولست له بكفء ما يوجه إلى ذلك التفسير الذى قلنا به ، فإن الذى قد درج من معنى الهجاء هو ما يكون من نوع الشعر .

ولم يكن أبو سفيان بن حرب ممن عرفوا بنصب أنفسهم لذلك ، وإنما الذى عرف له هذا الوصف هو أبو سفيان بن الحارث وإن كان كل منهما إذ ذاك عدواً شديد العداوة للنبى صلى الله عليه وسلم .

فإن كان لدى سيدى الكاتب الأديب نبأ أصح مما نعلم فليتفضل وليفدنا فكنا كارع من حياضه قاطف من أزهاره . وإن يكن ذلك شيئاً سبق به القلم فهو كبوة الجواد .

ويحضرنى فى هذه المناسبة ما وقع للامام الجاحظ فى تفسير كلمة (اللحن) وقد وقعت فى أبيات لمالك بن أسماء بن خارجة الفزارى من شعراء الدولة الأموية منها البيتان .

حـديث ألذه وهو ممـا ينعت النـاعتون يوزن وزناً
منطق صائب وتلحن أحيا ناً وخير الحديث ما كان لحناً

يقول الجاحظ إن هذا الشعر لمالك يقوله فى استملاح اللحن فى الـكلام من بعض جواريه وهو من أوهام الجاحظ .

قال على المنجم : قلت للجاحظ : إنى قرأت فى فصل من كتابك المسمى كتاب البيان : إن مما يستحسن من النساء اللحن فى الـكلام وأنشدت بيتى مالك بن أسماء . قال هو كذلك . قلت أما سمعت بخبر هند بنت أسماء مع الحجاج حين لحنت فى كلامها فعاب ذلك عليها ، فاحتجت ببيتى أخيها فقال إنما أراد أخوك أن المرأة فطنة فهى تلحن بالـكلام إلى غير المعنى فى الظاهر لتورى عنه وبفهمه من أرادت بالتعريض كما قال الله سبحانه (ولتعرفنهم فى لحن القول) ولم يرد أخوك الخطأ فى الـكلام ، والخطأ لا يستحسن من أحد . فوجم الجاحظ وقال : لو سقط إلى هذا الخبر ما قلت ما تقدم . قال فقلت له : أصلحه ؛ قال : الآن وقد سار الـكتاب فى الآفاق ؟

وفى المسألة بحث بين الأدباء . والظاهر أن المعنى فى شعر الفزارى من قبيل المعنى فى شعر النظامى :

يقتلننا بحـديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه باد
فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وهو الذى ذهب إليه أبو الطيب فى قوله :

وإذا الفتى ألقى الـكلام معرضاً فى مجلس أخذ الـكلام اللذعنى

أما إرادة اللحن الحقيقى فبعيدة جداً لأن اللحن لا يستحسن من أحد كما قال الحجاج ولا سيما فى صدر دولة بنى أمية . ولئن استحسن من المرأة فى بعض مناسبات فإن كلمـة الشاعر عامة مطلقة . وخير الحديث ما كان لحناً .

فإن حمل ذلك على التخصيص فى الحديث بجعله مصروفاً إلى حديث المرأة فأقرب به من التكلف من غير مبرر من ذوق سليم .

وبعد فلعلى لا أكون قد جاوزت قدرى بمراجعتى علماً من أعلام الأدب ، فإن الحق ينطق ، والحق ضالة كل حكيم وعليم .

محمود النواوى

مدرس البلاغة والأدب بمعهد القاهرة

النساء ملائكة :

إى والله ، هكذا يدعى الأستاذ محمود يوسف الأمين بدار الـكتب المصرية فى كتاب له بهذا الإسم أصدره فى هذا الشهر وحشده بصور عارية آثمة ، هى طعنات فى صميم الأخلاق والفضيلة.

ولست أدرى ، والله ، كيف يجرؤ رجل له خلق ودين على أن يحمل هـذا الـكتاب إلى بيته ؛ فيراه أخ له أو ولد ، فتثور فى نفسه أحط الغرائز ، وأخبث النزعات ؛ أو تراه أخته ، أو بنته ، أو زوجته فتتعرض لامتحان لئيم وضيع لا نستطيع تحديد آثاره أو أخطاره .

الواقع أن كثيراً من كتابنا وأدبائنا قد جاروا المرأة المعاصرة فى حريتها وانطلاقها فسوغوا لها الآثام ، وشجعوها على الإجرام وزينوا لها ما أتت من مقابح ومآثم ، على الشواطئ ، وفى الملاهى والمراقص والمواخير والحفلات الماجنة الداعرة . بل حاول بعضهم فى خبث وإجرام أن يلتمسوا لحرية المرأة وانطلاقها على وجهها شواهد من ماضى الإسلام ؛ فحرفوا الـكلم عن مواضعه ، وأخطأوا فى التأويل عن عمد أو عن غير عمد . وقد آن الأوان لـكى يتنبه إلى تلك المشكلة أحرار الرجال وقادة الفـكر والإصلاح الاجتماعى فى الشرق الإسلامى ؛ فإن حالة المرأة اليوم هى مشكلة المشكلات فى عصرنا الحاضر ؛ لأن المرأة قلب المجتمع ، والقلب كما يقول محمد العظيم عليه الصلاة والتسليم : مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ! ...

ولو أننا عرّفنا المرأة رسالتها فى الوجود ، وقصرناها عليها رغباً أو رهباً ، ومنعناها من الميادين التى لا تصلح لهـا لسعدت النساء ، وسعد الرجال ، وصلح الحال !...

ولـكن ماذا نفعل وقد قيض الله للمرأة الشرقية المسكينة من قرناء السوء ، وشياطين الإنس ، وأبالسة البهتـان ، من يغرها ويخدعها ويكذب عليها ويتقرب إليها ؛ لا ليسعدها ، بل ليقضى على البقية الباقية من شرفها وعرضها .

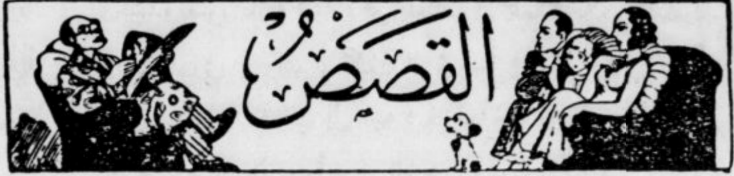
حسبكم عبثاً أيها المؤلفون ، وأنقذوا المرأة من هذا المنحدر ، واذ كروا أنـكم رجال ! ..

أحمد الشرباصى

المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

جاء فى البريد الأدبى من العدد (٧٦٣) تعليق على كلمة فى مقالة « الفتنة الـكبرى » يسأل السائل فيها عن صحة الـكلام فى قولى : (وهذه الخمسة أشياء) وصواب قراءة هذه الجملة : (وهذه الخمسـة — أشياء) وقراءتها هكذا تعرب عن إعرابها .

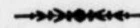
محمود محمد شاكر



نهاية حب

للأستاذ زهدى الشواف

(بقية ما نشر فى العدد الماضي)



وبعد هذه المقابلة تغيرت «نانو» على، فراحت تبخل بابتساماتها الغراء، وباتت تقتصد بنظراتها المرجاه ... لقد أصبحت «نانو» تتيه على، وكان تيهها ذا معنى خاص لم أستطع فهمه ! ... أتراها حسبت أنى موله بثغرها الأدرد ؟ .. أم تراها ظنت أنى مدله بوجهها الأجعد ! .. هذا مستحيل ! .. إن للحب دائرة موصدة فى أوجه الشياطين ! ... إن فى الحب نفحة سماوية لا يدركها أولئك الذين التصقوا بالأرض فلم يتجهوا بأعينهم إلى السماء ليبصروا ما أبدع الله فيها من جمال ! .. إن الحب وقف على القلوب الزاخرة بالحياة، الشاعرة بجمال الوجود ؛ أما «نانو» فإنها بعيدة عن الحياة ... بعيدة عن الحب ... إن الحب ليلفظها لفظ النواة ! .. إذاً ما بالها تتيه على ؟ . . هذا سر مستغلق ! . . وما أكثر ما يستغلق على المرء من أسرار ! .

ما «انانو» ومالى ! .. إنها وسيلة غير صالحة للوصول إلى آنستى . ولقد بقيت يومين أفكر، لم أذق خلالها طعاماً ولم أرق فى فمى شراباً . وكان من نتيجة تفكيرى أنى عولت على أن أكتب إلى آنستى رسالة أشرح فيها حبى وقت إلى مكتبى وأمسكت بالقلم وأخذت أشرح ما يخامرنى من أشواق . ثم ختمت الرسالة بالكلمة التالية : «أى آنستى ! ... إنى لأرجو منك أن تمليني رأيك صريحا ... فإما قبول أنعم فيه بعطفك، وإما رفض يبرئنى من حبك ... وإنى لأنتظر كلمتك الفاصلة آملا أن ألقاها غداً معلقة فى مصراع الشباك ... »

ولم تكد شمس الغد تطلع حتى كنت أمام المنزل أنتظر . وبعد فترة وجيزة بصرت بالقطة الحبيبة تمد رأسها من الباب، فلوحت لها بقطعة لحم كنت أحضرتها من السوق، ولم تكد تراها حتى عدت نحوى فأمسكتها بيدى وربطت الرسالة فى عنقها وتركتها تعود أدراجها .

ولما كان الغد دلفت إلى المنزل وأنا أقدم رجلا وأؤخر رجلا . لقد كان قلبى يخفق هلعاً، وكانت عيناى تتشوفان وكأنهما تتحريان شيئاً مضاعاً . وكان ذهنى غارقاً فى التفكير أى غلطة هذه الغلطة التى ارتكبتها ؟ وأى حماقة هذه الحماقة التى أتيتها ؟ . وهل ثمت أكثر جنوناً من فتى يسلم سره إلى قطة ! ؟ إن كل ما كنت أخشاه هو أن تكون الرسالة قد وقعت فى يد غيرها فينفضح الأمر، ويطلع الأهل على السر .

وما كدت أدنو من المنزل حتى لمحت قطعة من الورق معلقة فى النافذة، ومددت يدى المرتجفة فأخذتها وفتحتها وقرأتها !.. يا للسعادة !... إنها من آنستى ... آنستى الحبيبة ... يا للعجب إنها تدعونى لمقابلتها بعد منتصف الليل فى بيتها ! .. هذا لا يكاد يصدق ... يا لله ! .. أترانى فى اليقظة أم فى المنام !.. ماذا أصابها فبدلها ؟ .. وماذا عراها فغيرها ؟ .. أيكون الصدود الذى كانت تبديه مجرد وهم باطل ألجأها إليه عيون القوم المفتحة حولها ؟ هذه هى الحقيقة بعينها ... إنها تحبنى وتحبنى ولكنها لم تكن لتجرأ على البوح بهذا الحب ! ... غفرانك يا آنستى ! ... لقد اتهمتك بالقسوة ولكنى كنت مخطئاً فى ظنى، وإن بعض الظن إثم .

لقد قرأت الورقة ثم طويتها، ورحت أنتظر الساعة الموعودة بفارغ الصبر، ودقت الثانية عشرة، ثم الواحدة بعد منتصف الليل ؛ فانحدرت إلى المنزل والآمال المعسولة تحدونى . ولم أكد أصل الباب حتى وجدته مفتوحاً، ولم أكد ألجه حتى وجدتنى أمام شبح لم أتبينه لشدة الظلام ... إنه ولا ريب شبح آنستى المحبوبة ...

وتقدمت منها وأنا لا أكاد أصدق نفسى ! وعرتنى رعشة من الفرح كادت تنسينى صوابى، وانحنت آنستى علىّ وراحت تمطرنى بوابل من القبل ؛ فانتشيت من السرور ومددت يدى محاولا لمس ثغرها ... وكم كانت دهشتى عظيمة حين وجدت أن

يدى قد دخلت فى فوهة لا قرار لها .. يا إلهى !.. أين الأسنان الناضمة ، أسنان آنستى المحبوبة ؟

وفتحت عينى وحدقت فى الثغر الذى كان يقبلنى ، إنه ثغر أورد وأمعنت النظر بالوجه الذى يقابلنى ... يا للغرابة ! ... إنه وجه « نانو » العجوز التى أبغضها . ولا يستطيع أن يتمثل خيبتى هذه إلا أولئك المقامرون الذين أضاعوا فى ثانية واحدة كل ما قد ربحوه فى ساعات . لقد تبلدت عواطفى بعد اشتعالها وخمد الدم فى عروق . وما هى إلا ساعات معدودات حتى انقلب التبلد العاطفى إلى ثورة غضب كادت تطيح بصوابى فانقضضت على « نانو » ودفعتها بيدى دفعة قوية فسقطت مغشياً عليها .

ولقد خشيت الفضيحة فحاولت أن ألوذ بالفرار ، ولكنى حين هممت بفتح الباب غشيت عيناى فلم أعد أبصر شيئاً . ولقد زاد فى ارتباكى أنى سمعت وقع أقدام متجهة نحوى ... إنه رب البيت . لقد نبهه صوت وقوع « نانو » فجاء يستطلع الخبر . يا للكارثة ! إنه يحمل فى يده عصاً غليظة لو أهوى بها على جدار لدكه . ولقد حاولت أن أجد لنفسى مفراً ولكن مهمى قد طاش فلم أعد أدرى ما أصنع . ولم أجد بداً من طلب الأمان .

ولقد عجب رب البيت من أمرى : إن ملامحى لا تنبئ عن سوء الطوية فما الذى أتى بى إلى بيته بعد منتصف الليل ؟.. هذا سر لم يستطع له تفسيراً . وحاولت أن أفضى له بالحقيقة الواقعة ، ولكن هل يصدق أن « نانو » تحب .. إنه سيتهمنى بالجنون وسيرمينى بالكذب .. ولم أجد بداً من اللجوء إلى الحيلة فادعيت أن كلباً عقوراً تبعنى فى الشارع وحاصرنى فلم أستطع الخلاص منه . واتفق أن مررت بالقرب من باب هذا النزل فوجدته مفتوحاً ، فولجته وسرعان ما اصطدمت بشخص ارتاع من دخولى فسقط مغشياً عليه .

وكانت « نانو » قد أفاقت من غشيتها وسمعت كلامى . ويبدو أن هذا التخلص الحسن قد أعجبها ؛ فأنبأت رب البيت بأنها قد نسيت الباب مفتوحاً منذ المساء ، وأنها استفاقت عند منتصف الليل وذكرت ما قد نسيت فخرجت تغلقه فكان أن صدفتنى .

وقد جازت هذه الحيلة على رب البيت فأحسن بى الظن ، ورثى لحالى ، وطيب خاطرى ثم فتح لى الباب ، وتركنى أنصرف بسلام .

ولقد خرجت من البيت وآليت على نفسى أن لا أعود إليه ثانية . لقد ألقيت شبكتى طامعاً بالسمكة الجميلة ولكنى لم أعثر إلا على سلحفاة بشعة . ولقد خشيت أن ألقيها ثانية فأعثر على ثعبان يقضى على حياتى . لقد خرجت من البيت بعد أن نذرت التوبة عن الحب . نعم لقد تبت ولقد مضى على سنون عدة ركن قلبى خلالها للسكينة ، وارتاح للهدوء لولا بعض نزوات كانت تعتاده فى الفترات فيتحرك بين أضلاعه ، ويحاول الانطلاق من أغلال التوبة ولكنه سرعان ما يذكر العيون الزرقاء ، ويتخيل « نانو » العجوز ؛ فيعود إلى هدوئه ويخلد إلى سكينته وهو يقول : « إنى تبت عن الحب منذ زمن بعيد ... »

(حماه – سوريا) **زهدى الشواف**

مطبعة الرسالة



العدد ٧٦٥ — الاثنين أول مارس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥١٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 765

Lundi — 1 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — أول مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصة فتـــاة ..

— ٢ —

يوم الثلاثاء ٨ مايو سنة ١٩٤٥ :

شغلت بالى الآنسة (س) بقدومها المفاجىء وموعدها المضروب ، فجهدت أن أتذكر ما أنسيت من تلك الوساوس التى كان يلقيها على صدرها الشيطان فتنفثها هى فى رسائلها إلىّ شواظاً يضطرم ولا يحرق ، وسماراً يحتدم ولا يُدوى . وهل أستطيع أن أتذكر أضغاث أحلام تذهب عند الصباح ، أو هواجس أوهام تهرب من العقل ؟ لقد كانت فى رسائلها أشبه بالمحمومة تهيج بها الحرارة فتهذى ، أو يأخذها النعاس فتحلم . إذن أعود إلى أوراقى الخاصة لعلى أجد فى ثناياها بعض تلك الرسائل فأعيد قراءتها لأستجلى ما غمض فى ذهنى منها ، ولأستعد لما أتوقع يوم اللقاء من الحديث عنها

وجدت بتوفيق من حسن الحظ طائفة من هذه الكتب الوردية الورق ، المعطرة المداد ، المنمقة الخط ، فرتبتها على حسب تواريخها ثم أخذت أقرأها كتاباً بعد كتاب حتى فرغت منها ، وفى نفسى لهذه الفتاة صورة مكتملة الأعضاء ما كانت لتبرز فى ذهنى على هذا المثال لو بقيتُ على تصورها من كتبها المتفرقة ، كل عضو على انفراد ، وكل قَسَمة على حِدة .

كان أسلوب رسائلها فى طورها الأول أسلوب التلميذة الراغبة فى العلم : تشاور فيما تفعل ، وتسأل عما تجهل ، وتجادل فيما أجيب . ثم صار فى طورها الثانى أسلوب الصديقة الطامعة فى المعونة : تشكو ضيقها لتلتمس الفرج ، وتصف وحشتها لتطلب الأنس ، وتذكر خطأها لتتلمس الصواب ، وترسم غايتها لتتبين الطريق . ثم أصبح فى طوره الثالث أسلوب العاشقة الظامئة إلى الغزَل : تعطف كل حديث إلى الحب ، وتقصر كل نعيم على الحب ، وتحاول أن تعرف رأيى فى الحب ، وتسألنى أن أروى لها أبلغ ما قيل فى الحب ، وتطلب منى أن أكتب رسالة غرام إلى آنسة مجهولة ، لتعرف كيف تهفو روح إلى روح ، وتنجذب نفس إلى نفس ، وينسكب قلب فى قلب ، فأحاول فى ردى عليها أن أعيد السكينة إلى قلبها ، وأن أصل بالموعظة الحسنة بينها وبين ربها ، ولكنى كنت معها أشبه بالسائس يريد أن يكبح الفرس الجموح من غير شكيمة ، أو بالسائق يحاول أن يقف السيارة المنحدرة من غير فرملة . لقد انفجر فى صدرها شريان العواطف الطاغية ، فهو لا ينفك يفور بالهوى الجياش وينفح بالشهوة الدافقة . وهيهات أن يحسمه رَقوء أو ضماد ! أعيانى الانفجار فتركت العرق العاند ينزف ، ووقفت منه موقف الحائر المشدوه أنظر إلى العواطف المسفوحة وهى تتمثل فى ألوان قوس النهام ، وتتشكل فى صور من الأخيلة والأحلام ، ثم تتحول إلى قطع من الأسجاع والأنغام ، فأعجب أو أطرب أو أغضب ، ولكنى

لا أملك غير ذلك ، ولا أستطيع وا أسفاه أن أصدها عن هذه المهالك !

أخذت كتبها تنثال على بعجيب الأحاديث وغريب الحوادث فأقرأها ولا أجيب عنها . لقد وزنت فى رسائل هذا الطور عارية ، فلا حياء على الوجه ، ولا احتشام على الجسد . صرحت بأنها لم تكن صادقة حين كتبت إلىّ فى أول الأمر تطلب المعرفة أو تبغى النصيحة ، إنما لبست هذا البرقع الكاذب لتستطيع أن تدخل على فى وضح النهار من الباب العام ، حتى إذا حصل التعارف وبدأ التآلف حسرت برقع الرياء ووضعت وجه المرأة أمام عين الرجل وقالت له ! ها أنا ذى كما خلقنى الله ووجهنى القدر ! خلت حياتى من كل عمل ومن كل أمل فلا أفكر إلا فى الحب ، ولا أحلم إلا بالحبيب . كنت فى المدرسة الداخلية لا أسمع من أترابى غير أحاديث الهوى ، يؤلفنها من حوادثهن وخيالهن ، أو يسرقنها من أمهاتهن وأخواتهن ، أو يروينها عن جاراتهن وصديقاتهن . فصديقتى فلانة تقول لى إنها عرفت صاحبها من النافذة ، وراسلته مع الخادمة ، وقابلته فى سينما مترو ! وصديقتى علانة تروى لى أن صاحبها صديق أخيها ، عرفته فى غرفة الاستقبال ، وكلمته فى حديقة المنزل ، ثم واعدته فى حديقة الأسماك ! وصديقتى ترتانة تحكى لى أن صاحبها صاحب سيارة — والسيارة لو تعلمين فخ البنات — رآنى أول مرة وأنا عائدة وحدى إلى البيت ، فغمز عليه أن أمشى ، وناشدنى الله أن أركب ، فركبت وتعاهدنا على الوداد المحض فى طريق المانظة ! وكانت كل واحدة منهن تصف القبل الطاهرة ، والعناق البرىء ، والحديث الغزل ، والخلوة العفيفة ، والخروج المختلس ، والرجوع الخفى ، والعلل المكذوبة ، والمواعيد المضروبة ، بأسلوب يحرك الساكن ويظهر الباطن ويجرى الهيوب ، وأنا أصغى إلى هذه الأحاديث بحواسى الخمس ، حتى إذا خلوت بنفسى ورقدت على سريرى استذكرت هذه الأحاديث ، واستحضرت تلك الصور ، فأشعر بقلبى يذوب ، وبجسمى ينحل ، وبنفسى تساقط حسرات على مجهول لا أعرفه ومطلوب لا أناله . وفى أكثر أيام الآحاد كانت إحدى قريباتى تجىء إلى المدرسة فتستأذن لى فى الخروج وتذهب بى إلى دور السينما فأرى أحاديث رفيقاتى وأمانىّ نفسى مصورة على الشاشة بالألوان الفاتنة والأوضاع المغوية ، فينماع جَلَدى كما ينماع الثلج ، ويذوب صبرى كما يذوب الشمع ، وأتمنى لو لم تكن معى قريبتى ، أو كانت قريبتى فى سن رفيقتى ! ثم أستشعر الحزن الممض والهم المبرح كلما تذكرت أنى سأعود وحدى إلى الغرفة الموحشة والفراش القلق .

وأخيراً تركت حياة المدرسة وجو القاهرة ، إلى حياة العزبة وجو الريف . جئت هذه العزبة التى وصفتها لك من قبل وفى ذاكرتى أجناس من أحاديث الهوى ، وفى حقيبتى أكداس من قصص الحب . فاتخذت من قمرية الحديقة محراباً لكيوبيد أؤدى فيه صلواتى ، وأتقرب إليه بنزواتى وصبواتى ، والروايات الماجنة تثير عواطفى ، والمجلات الخليعة تلهب مشاعرى ، والرغبات الجامحة تملأ فراغى ، وليس بجانبى أم ترشد ، ولا بين جوانبى عقيدة تهدى ؛ فأنا أعيش فى دنيا القصص أقاسم بطلاتها قطوف اللذة ، وأساقى أبطالها كؤوس الصبابة ، فإذا سئمت القراءة وأجمت الذكرى سليت همى برؤية حمامة تلاطف حمامة ، أو قط يسافد قطة ، أو فلاح يداعب فلاحة ، حتى ضاق وسعى بما اختزن من ذكريات أمسى ورغبات يومى ، فأردت أن أجد لى متنفساً بالكتابة ، ولكن الكتابة لم تردّ علىّ ، لأنها منى وعنى وإلىّ . أريد أن أكون موضوعاً لمقالة أوحديثاً لرسالة أو عروساً لقصة ؛ ولا يمكن أن أكون شيئاً من ذلك إلا إذا عشقنى كاتب . فالكاتب وحده هو الذى يستطيع أن يحب من بعيد ! يستطيع بفنه الخالق وخياله المبدع أن يمايش من يحب روحاً لروح ، فيقابله من غير لُقية ، ويحادثه من غير رؤية ، ويرسل إليه الكتاب فيكون هو اليوم الموعود واللقاء المنتظر والحديث المشتهى والأمل المرجو والوداع المتوقع ! ولقد اخترتك لتكون حبيبى النائى ، تصف منى ما وصفتُ من (حياة) و (ليلى) ، وتترجم عنى ما ترجمت عن (شرلوت) وجوليا . وليس فى منطق الحب أن أقول اخترتُ فنختار ، أو أردت فتريد . إن سلطان الحب طاغ لا يخضع لاختيار ولا يخشع لإرادة . وكيف يتسنى لنا أن نتحابّ ونحن لا نترائى ؟ لو كنت أملك رؤيتك لأمكن أن يأسرك جمالى ، أو لو كنت أحسن الكتابة لجاز أن يسحرك خيالى . إنما هو الرجاء والحظ ، وهو القضاء والقدر .

هذه خلاصة أمينة لما قرأت من رسائلها فى هذا اليوم أسجله فى مذكراتى ، وما أسجل فيها إلا ما له أثر فى نفسى أو خطر فى حياتى .

احمد حسن الزيات

مراجعات

في فلسفة الوجود ، وفي الفاروق

للأستاذ عباس محمود العقاد

ظن الأستاذ نقولا الحداد أننا تهكمنا حين قلنا له ما فحواه : إنه محتاج إلى أن يراجع مصادره الفلسفية .

وسيرى الأستاذ الآن أننا نجد ولا نتهكم حين نقول له هذا ونقول له أكثر من هذا : إن مراجعته لمصادره العلمية ألزم وأعجل ، ولا سيما مصادره عن إينشتين الذي يلوح على الأستاذ الحداد أنه يريد أن يتكلم عنه في مصر كما يتكلم الحواريون عن رسلهم المختارين .

في شهر يونيو سنة ١٩٣٠ ألقى العلامة إينشتين في جامعة نوتنجهام — بانجلترا — محاضرة علمية كان لها دوى كبير في المعاهد العلمية والفلسفية ، لأنه ألم فيها إلى خاطرة جديدة يحاول أن يفسر بها اتصال القوى بين الأجسام بغير الوسائط المفروضة ، وتحدث عن جوهر الفضاء ، أو مادة الفضاء ، أو المادة الفضائية Space Substance ؛ لأن التجارب الكثيرة لم تثبت للأثير المزعوم وصفاً من الأوصاف لا ينطبق على الفضاء . فمن المحتمل على هذا التقدير أن يكون الفضاء جوهراً مادياً لا نحتاج معه إلى فرض الأثير .

ولم يكن إينشتين أول من قال إن الفضاء ليس بخلاء ؛ فإن الفلسفة القديمة التي يحاول الأستاذ الحداد أن يترفع عنها ، قد سبقت إلى القول بامتناع تصور الخلاء في الوجود ، وقال معظم أساطينها بأن الفضاء لا يعني العدم ولا يعني الخلاء .

قلنا هذا للأستاذ الحداد فعاد يكتب في الرسالة قائلا — بكل ثقة وكل اطمئنان — : إن إينشتين لما قال Space Substance عنى المكان المشغول بالمادة ولم يعن الفراغ المطلق . فمتى قلنا المكان عنينا مكاناً مملوءاً بالمادة .

والمعجب أن يخطر للأستاذ الحداد — أو لغير الأستاذ الحداد — أن جامعة من الجامعات تدعو عالماً من أكبر علماء الأرض إلى المحاضرة فيها ليقول للناس أن المقصود بالمادة الفضائية هي المادة التي توجد في المكان .

والعجب أن يخطر للأستاذ الحداد — أو لغيره — أن المعاهد العلمية تهتز لهذا النبأ وتوفد الرسل إلى إينشتين لتحصل على المزيد من شرح هذا الرأي الجديد .

ولكن الواقع أن المعاهد العلمية قد اهتزت لهذه المحاضرة ، أو لهذه النظرية ؛ لأنها فهمت منها شيئاً غير الذي فهمه الأستاذ الحداد : فهمت منها أن الفضاء نفسه مادة قد تغني عن فرض وجود الأثير .

وليس أكثر من الكتب والرسائل التي خاضت في هذا الموضوع ، ولكننا نكتفي منها برسالة مبسطة أصدرتها دار الطباعة التي يديرها « هالدمان جولياس » في كانساس بالولايات المتحدة ؛ لأن السؤال فيها بسيط لا إبهام فيه ، والجواب كذلك على قدر السؤال .

سئل الدكتور لويس لونشتين Loewenstein تلميذ إينشتين وشارحه المعروف عما يعنيه أستاذه الكبير . فقال ما نصه بالانجليزية :

Einstein goes Further Than this. he claims That - Space which was in The earby Ages rgar-ded As Yoid ' And For which Mobern Physics Has Invented The Name Ether in Order to Help Explain Some of the Phenomena occurring in Space s now Â Substanes

وترجمة هذه العبارة : « إن إينشتين يذهب إلى أبعد من هذا . ويزعم ... أن الفضاء الذي كان في عصور متقدمة يعتبر خلاء ، واخترعوا له في علم الطبيعة الحديث اسم الأثير للاستعانة به على تفسير بعض الظواهر الطبيعية التي تقع في الفضاء ، هو الآن مادة ، أو جوهر .

ومضى الدكتور لوينشتين يقول إن مادة إينشتين الفضائية قد يتضح أن تكون من المادة ، وقد يتضح أن تكون من جوهر لن تدركه حواسنا ويروع من كل دليل مباشر في المعامل ،

will Neven Become Known to our Senses

أما الدكتور لونشتين هذا فهو الذى قدم إينشتين إلى الجامعات وقاعات المحاضرات عنـد زيارته للولايات المتحدة فى سنة ١٩٢١ . وهو على علمه بمباحث الضوء والـكهرباء ، حجة فى شؤونها العملية ومستشار فنى معروف لشركات من أكبر الشركات الـكهربائية ، وعلمه بهذه المسائل لا يقل عن علم الأستاذ الحداد على أقل تقدير .

فليس قصارى الأمر أن الفضاء لا يوجد إلا إذا وجدت فيه هذه المادة التى نعرفها . بل تقضى هذه الخاطرة بأن الفضاء نفسه هو مصدر تـكوين المادة ، وأن جوهره قد يدق عن الحس وعن التجارب فى معامل العلماء .

والأستاذ الحداد يقول بأن الوقت عدم أو وهم من الأوهام .

فله أن يضيع منه ما يشاء . أما نحن فلا نقول بأنه عـدم ولا بأنه وهم . ولهذا لن نضيع منه أكثر ممـا أضعناه فى إقناع الأستاذ الحداد بأنه محتاج إلى التواضع بين يدى الفلسفة التى يعالجها ، على هذا النحو من التفـكير .

***

هذه مراجعة .

أما المراجعة — أو المراجعات الأخرى — فهى عن صفات الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهى مما نتلقاه كثيراً فى هذه الأيام من جانب الأساتذة ، ومن جانب التلاميذ والتلميذات

وبودنا أن نجيبها جميعاً لولا أن السؤال عن المفردات اللغوية يغنى فيه الرجوع إلى المعجمات ، ولا تتسع له الصحف والمجلات التى يقرأها من يعرفون تلك المفردات ، أو يملـكون الرجوع إلى تلك المعجمات :

ولهذا نـكتفى بالجواب عن المسائل الفـكرية أو النفسية ، وهى المسائل التى يسرنا من التلاميذ والتلميذات على الخصوص أن يقبلوا على بحثها والنظر فى معانيها وتـكوين الرأى فى دقائقها بالمراجعة والاستفسار .

سأل أستاذ فاضل عن أسلوب عمر فقال إن بعض العبارات التى نسبت إلى عمر قد تـكون من قبيل العبارات التى تضاف إلى العظماء المشهورين ، وليست هى من أقوالهم على التحقيق .

ورأينا فى هذا أن ميزان التشكيك ينبغى أن يحمل بكفتيه ولا يحمل بكفة واحدة .

فإذا كان العظماء جميعاً سواء فى نسبة العبارات إليهم ، فهل اجتمع مثل هـذه العبارات فيما نسب إلى الصديق ؟ هل اجتمع مثلها فيما نسب إلى الإمام ؟ وهل اجتمع مثلها فيما نسب إلى معاوية أو إلى عمرو بن العاص ؟

إن كان الأسلوب واحداً فيما نسب إلى جميع هؤلاء فالشك هنا معقول .

أما إن كانت العبارات المنسوبة إلى عمر كلها مما تنفرد به ، فهى صالحة للاستدلال بهـا على أسلوبه الخاص الذى لا يشركه فيه سواه ، وبخاصة حين تتواتر ذلك التواتر الذى أحصينا شواهده فى الـكتاب .

***

وسأل الأستاذ الفاضل عن قصة الحيلة التى استعملها عمر مع أبى سفيان حين مد يده إلى خاتم فى يد أبى سـفيان فأخذه منه وبعثه إلى زوجته ، وأمر الرسول أن يقول لهـا باسم زوجها : انظرى الخرجين اللذين جئت بهما فابعثيهما .

ويقول الأستاذ إنه يخالف الرواية ويرى أن عمر كان أولى أن يبهم العدد لأنه ربما يكون فى العـدد الذى ذكره نقص أو زيادة .

ورأينا أنها رواية أمامنا ، وأن الجزم بنفيها هو « الادعاء » الذى يقوم على غير دليل لأن الجزم بالنفى هنا حكم باستحالة جميع الاحتمالات التى تقع فى الخاطر ، وليس شىء منها بمستحيل .

فمن المحتمل أن عمر كان يعرف عادات السروات من العرب فى رحلاتهم ، أو يعرف على التخصيص عادات أبى سفيان .

ومن المحتمل أن عمر استكثر ثلاثة أخرجة على رحلة واحدة ، واستقل خرجاً واحداً يعود به أبو معاوية من عنده وهو أمير على على الشام ؛ فتوسط بين العددين .

ومن المحتمل أن عمر رأى ضرورة التحديد ؛ لأنه لو طلب كل ما جاء به أبو سفيان من أمتعة السفر لاسترابت زوجة

أبى سفيان وفطنت لما يراد . فجازف هذه المجازفة — بعد ذلك التقدير — وصحت مجازفته فخفقت ورويت ، ولو لم تصح لما سمعنا بها أو لسمعنا من شأنها غير ذاك .

ومن المحتمل أن عمر قد علم بنبأ الخرجين وكانت له عيون تترقب العائدين من الرحلات ، كما ذكرنا فى الكتاب .

فلماذا ندعى أن الذى حصل هو غير ما جاء فى الرواية ، وليس لدينا ما نمنع به احتمالا واحداً من جميع هذه الاحتمالات ؟

* * *

أما الأسئلة التى تلقيتها من التلاميذ والتلميذات ، فمنها سؤال من الآنسة « رسمية على خليل » بالمدرسة السنية تطلب فيه مثلا على فطنة الفاروق ، وهى صفة من صفاته التى وردت فى باب الصفات من الكتاب .

والفطنة إنما يستدل عليها بالكلام الذى ينم عن فهم الطبائع والأخلاق ، وفى كلام الفاروق الذى أوردناه ما يدل على فطنته لهذه الأمور .

أو يستدل عليها بالأعمال ، وقد دلت أعمال الفاروق على الفطنة فى كل ما تولاه من تسيير الجيوش وتدبير الفتوح وتنظيم البلدان وتوجيه النصائح إلى الولاة والقادة والقضاة ، وإنشاء الدواوين واستشارة ذوى الرأى من الشيوخ والشبان .

أو يستدل عليها بشهادة العارفين ، وقد شهد له بها أكبر دهاة العرب كالمغيرة وعمرو بن العاص .

وقد سألت الآنسة عن الفرق بين الرؤية والرؤيا والشعور على البعد ، وكلها مما يدل على الاهتمام بعالم الغيب ، أو أن الإنسان لا يقصر همه على الواقع المحسوس ، ومن هنا يكون على استعداد للتدين والإيمان ، ولهذا ذُكرت هذه الخصال ، أو هذه الملكات لبيان استعداد الفاروق بطبيعته لقبول الدين .

والرؤية هى أن يتراءى للانسان منظر أو صورة لا يراها غيره بحواسه المعهودة ؛ لأنها تتمثل فى النفس على نحو من ظهور الأشباح للنائم فى حلمه . وقد يراها المستعد للرؤية وهو فى حالة من حالات الغيبوبة . وقد تكون رمزية يفهم منها الرائى معنى من المعانى على طريقة الفهم من الرموز والكنايات . والفرق بين الرؤية والتلباثى أن التلباثى ينتقل بين شعورين على البعد ، وقد تظهر الرؤية لإنسان واحد ولا تكون لمناظرها صورة خارجية يتلقاها الآخرون بحاسة النظر المعهود .

والاعتداد بالرؤيا هو اهتمام الإنسان بما يراه فى أحلامه ، وليس من دأب كل إنسان أن يهتم بهذه الأحلام أو يتخذ منها دليلا على حادث مخبوء له فى الغيب .

على أننى أرجو الآنسة معذرة إذا أحلتها على نفسها وهى تستوضح هذه العبارة : « كانت الرحمة من صفاته التى وازنت فيه العدل أحسن موازنة » ؛ فإنها تسأل عن معنى هذا مع تفصيل الكلام فيه عدة صفحات ، وعليها هى أن تجهد نفسها لتجيب سؤالها ، وهى قادرة على الإجابة بغير جهد كبير .

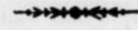
واسألها وزميلاتها معذرة إذا أحلتها على علم أساتذتها وعلم المعجمات فى تفسير بعض المفردات ؛ فليست هى مما يخفى على الأساتذة أو يخفى عليها إذا رجعت إلى تفكيرها ، أو رجعت إلى معجم صغير مما يتيسر للطلاب فى معاهد التعليم .

عباس محمود العقاد

من أحاديث الإذاعة * :

تســـعة قروش !

للأســـتاذ على الطنطاوى



من أسبوعين ابتليت من أولادى ببلية ، هى أنى كلما دخلت الدار ، تعلقوا بى طالبين تمثال العبد الأسود ذى الطربوش الأحمر وأنا لا أدرى ما هذا التمثال ، ولا أعرف من أين آتيهم به ، وهم يلحون لا يشغلهم عنه شىء من غالى اللعب ، ونادر الطرف ، حتى كرَّهوا إلىَّ البقاء فى البيت …

وكنت مرة خارجاً إلى عملى مستعجلا ، فوجدت بياعاً يحمل هذه التماثيل ، ينادى « الواحد بقرش » ففرحت به فرح الضال فى البادية يرى معالم الطريق ، واشتريت تمثالين وحملتهما ممتزاً بهما كأنى أحمل كنزاً وعدت بهما حتى إذا دنوت من الدار وجدت ولدين صغيرين قاعدين فى ظل جدار ، فلما أبصرا التمثالين برقت عيناهما ، ودنا رأساهما فى همس ، وارتفعت يداهما فى إشارة خفية متهيبة ، وشخص بصراهما كما يفعل شابان غريران طلعت عليهما من الطريق فتاة فتانة . . وقاما فتبعانى وعيونهما معلقة بالتماثيل ، فلما رأيت ذلك منهما فكرت أن أدفعها إليهما . ولكنى خشيت أن أرجع فلا أرى البائع ، وتخيلت رغبة أولادى فيها ، فلم تطب نفسى أن أحرمهم هذه المتعة ، ولم أستطع الإعراض عن الولدين الفقيرين فدعوتهما فدفعت إليهما قرشين ، وقلت لهما

— هو ذا البائع ، فالحقاه فاشتريا مثلهما ، الواحد بقرش !

فأخذا القرشين وهمهى بعثلهما أن القرش الصاغ ثروة له . لا يناله إلا بشق النفس ، فما حفلا بهما ولا هشا لهما ، ولبثا شاخصين فى التمثالين كأنهما لم يريا القرشين ، ولم يسمعا الكلام أو كأن عقلهما فارقهما فاستقرا على ما فى يدى ، فلم يفهما كلامى وحاولت نسيانهما ، وسرت فتبعانى كأنهما كلبان وكنت أحس بحرّ نظراتهما على ظهرى ، وبثقلها على روحى فاهم أن أمد يدى

(*) حديث سجل فى القاهرة وأذيع من محطة الشرق الأدنى فى القدس فى الثالث والرابع من يناير سنة ١٩٤٨

باللعب إليهما ثم تدركنى محبة الولد فأكف ، حتى وصلت الدار وصورتهما أمام عينى ، تمنع عن عينى رؤية فرحة أولادى باللعب وغوايتهم إليها …

ولما خرجت وجدت الولدين لا يزالان فى الطريق ، يفتشان عن البائع ، يعدوان هنا وهناك ، كأم أضاعت طفلها ولا تدرى أية سبيل سلك . فدعوتهما — فأفرخت روعها — وسألتهما عن اسميهما فمشيا معى فما درت مع الطريق دورة حتى لقيت البياع أمامى ، فشريت لهما تمثالين وتركت لهما القرشين ، ووجدت حول البياع أولاداً مثلهما ، فقلت له :

— اعط كل ولد تمثالا

وكانوا تسعة فدفعت إليه تسعة قروش

***

هل تصدقون أو أحلف لكم ، أنى لما نظرت فى وجوه الأولاد وقد بدا فيها بهاء الفرح ، وما عرفتْ هذه الوجوه الفرح قط ، ولاحت عليها سمات الطفولة الراضية الشاكرة ، وما كان يلوح عليها إلا الألم والحقد المرير وأشرق عليها نور إلهى سطع من وراء ما جملت من الأوساخ والأقذار ، ولما رأيت عيون الأمهات الواقفات تدمع ، وألسنة الرجال الواقفين تدعو ، أحسست فى قلبى بفرحة لا تعدلها فرحة الجائع بالمائدة الملوكية المترعة ، ولا الضجير بالقصة العبقرية الممتعة ، ولا المحب المدنف بلقاء الحبيب بعد طول الهجران …

لا والله فتلك أفراح أرضية ، وهذه فرحة سماوية ، قد تعيش آلاف البشر وتموت ، ولا تحس مثلها . وشعرت كأنى كبرت فى عين نفسى ، وأنى سموت وأنى صرت أقوى وأقدر ، وأن نلت الأمانى ومتعت بالخلود .

إننا ننفق أكثر الأموال ، نشترى أيسر المتع ، وهذى متعة ما يكاد يجد الإنسان مثلها ، نلتها بتسعة قروش ، وما تسعة قروش بالنسبة لى؟ إنها شىء كالعدم ؛ شىء لا يغنينى وجوده ، ولا يفقرنى فقده ، فهل تحبون أن تشتروا مثل هذه المتعة ؟ هل تحبون أن تعرفوا ما هى لذة الروح ، وما هى راحة القلب ؟ هل تريدون أن تذوقوا نعيم الجنة وأنتم فى الدنيا ؟

لا تحسبوا أنى أصف كلاماً . وأرصف ألفاظاً ، إنى والله أسوق لكم حقائق . فإن أردتم معرفتها ، ففتشوا حولكم عن

هذه الطفولة المحرومة وهذه النفوس المعذبة ، ثم أولوها الإحسان وليست قيمة الإحسان بكثرة المال ، إن المال ينفع الفقير ولكنه لا ينزع من قلبه النقمة على الحياة ، ولا يستل منها بغض الأغنياء ولا يملؤها بالحب . إن الذى يفعل هذا كله هو العطف ، وأن تشعر الفقير بأنه مثلك ، وأن تعيد إليه كرامته وعزة نفسه . ورب تحية صادقة تلقيها على سائل تكون أحب إليه من درهم ، ودرهم تعطيه فقيراً وأنت تصافحه يكون آثر عنده من دينار تدفعه إليه متكبراً مترفعا ، يدك تمتد إليه بالمال ، ووجهك يجرعه كأس الإذلال ...

إن كل غنى يستطيع أن يتصدق بالكثير ؛ ولكن غنى القلب بالإنسانية والنبل والحب ، هو وحده الذى يستطيع أن يتصدق ، مع المال ، بالعاطفة المنعشة ... فلا تضنوا على الفقراء بإنسانيتكم ، ولا تبخلوا عليهم بعطاء قلوبكم ، وذكروهم أنهم لا يزالون معدودين من البشر ، وأنهم مثلكم لأب واحد ولأم ، لآدم وحواء ، وأنهم لم ينحدروا إلى دركة الدواب والبهائم .

ذكروهم بهذه الحقيقة التى طالما نسيتموها أنتم ، ونسوها هم أنفسهم . ولم لا ينسونها وهم يعيشون كما تعيش البهائم : ينامون مثلها على الأقذار ، فى الأكواخ والحقول ، وفى الأزقة المعتمة ، وفى الخرائب المهجورة ، ويأكلون مثلها من فضلات الناس ، ويشربون مثلها من البرك الآسنة ، والأنهار العكرة ، ولم ينالوا تعليما يرفعهم عنها ولا مدنية تميزهم منها ؛ يسهرون فى عصر الكهرباء على السرج والقناديل ، ويركبون فى عهد الطيران على العربات التى تجرها الحمير ، ويسكنون فى الأكواخ على التراب فى زمان ناطحات السحاب ؛ ومن تشبه منهم بالناس المتحضرين ، لم يكد يصل إلى مثل حضارة الإنسانية الأولى ، يحلق مثل (الناس) ولكنه يقعد على الأرض ، على رصيف الشارع ، وبيده مرآة مكسورة يرى فيها وجهه ، والصابون القذر يغطيه ، وموسى الحلاق المفلولة تجرى فيه ، والدم ينبثق من نواحيه ، ثم تمر على هذا الوجه البشرى ممسحة لا ترضونها أنتم والله لمسح أحذيتكم . ويركبون مثلما يركب الناس ، ولكن على عربات الكارو ، المشرة على متر مربع من الخشب ، محمول على دولابين من الحديد يسحبه حيوان هزيل ، والعربة ترتج بهم ، فترقص معدهم ، وتزلزل أمعاؤهم ، ثم لا تصل بهم إلى نهاية الميل الواحد إلا بعد ساعة . ولهم قهوات ، ولكن قهواتهم اصطبلات فيها ركائز تسمى مناضد أمامها عيدان تدعى كراسى . ولهم مطاعم ولكن مطاعمهم يقدم فيها المرض فى طباق قذرة ...

فتداركوهم قبل أن يكفروا بالإنسان ، فينقلبوا حرباً عليه ليس معها أمان . أشعروهم أنه لا يزال فى الدنيا فضل وعدل ونبل . ليجد كل واحد منكم على من هو دونه لا بالمال وحده ، بل بالعاطفة والتواضع والإنسانية ... الرئيس على المرؤوس ، والوزير على الوكيل ، والوكيل على المدير ، والضابط على العريف ، والعريف على الجندى ، فإن كل واحد من هؤلاء هو اليوم عبد لمن هو أعلى منه ، وفرعون على من هو دونه ، يتكبر عليه من هو فوقه ، ويتكبر هو على من تحته ، حتى إن الشرطى ليطغى على البائع المتجول ، والبائع يطغى على امرأته ، والمرأة على ولدها ، والولد على القطة يضربها بالعصا أو الكلب يرميه بالحجر ، كل يحاول أن يظلم كما ظُلم . والمجرم الأكبر هو الظالم الأول . إنهم كالحيوانات تماماً ، الجرادة تأكل البعوض ، والعصفور يأكل الجرادة ، والحية تقتل العصفور ، والقنفذ يقتل الحية ، والثعلب يسطو على القنفذ ، والذئب يسطو على الثعلب ، والأسد يفترس الذئب ، والإنسان يقتل الأسد ، والبعوضة تقتل الإنسان ، فتغلق الحلقة على عدوان بعد عدوان ...

كم تلقون كل يوم ممن هم دونكم فلا تتنازلون بالالتفات إليهم ، ولا تفكرون فيهم ، ولا تشعرون بوجودهم ، ثم تتألمون إذا أعرض عنكم من هو فوقكم ، وتجاهل مكانكم ، وترون ذلك جرحاً لشعوركم وكسراً لقلوبكم ، فلماذا تطلبون ممن فوقكم ما لا تعطونه من هم دونكم ؟ أليس لهؤلاء نفوس تحس ، وقلوب تتألم ؟

درت أمس بشحاذة على شط النيل الصغير ، فى الروضة ، وأمامها بنت لها تحبو ، وصلت إلى كومة أوساخ فنبشت فيها حتى وجدت بقية لعبة فحملتها فرحة بها وعادت إلى أمها مستبشرة فأخذتها منها ومسحتها وحاولت أن تصلحها وتعيد الحياة إليها وقد فارقتها الحياة منذ أزمان ...

فلويت وجهى ألماً من منظر هذه القذارة ، ثم عدت ألوم

نفسى وأسائلها ، ما ذنب هـذه الأم إذا أحبت بنتها وأرادت إسعادها ؟ وما ذنب هذه البنت إذا طلبت حق الطفولة الطبيعى باللعب ؟

لماذا أشترى لبناتى كل أسبوع لعبة ، ولم يخطر على بالى أبداً أن فى البلد أطفالا لا يجدون لعباً . إننا نحسب أننا إذا أطعمنا أطفال الفقراء الخبز ، فقد أدينا حق الله وحق المروءة والإنسانية علينا . ولـكن الطفل لا يكفيه الخبز ولا يرضيه ، يرى أطفال الناس يمرون به كل ساعة ، وعليهم أبهى الثياب ، ومعهم أغلى اللعب ، إنه بين أمرين إما أن يتبلد حسه ، ويموت نفسه ، فلا يطمع أن يجارى هؤلاء ولا يأمل أن يكون مثلهم أبداً فينشـأ ضعيف الهمة ، ذليلا مهيناً ، فيكون من أسباب ضعف هـذه الأمة وهوانها على الأمم ، وإما أن يثور ويغضب ويمتلىء قلبـه الصغير حقداً ، ثم يكبر ويكبر الحقد معه حتى يكون عدواً للمجتمع ونقمة على الناس ، يظلمهم كما ظلموه ، يسرق من يستطيع سرقة ماله . ويزهق روح من يتمكن من إزهاق روحه ، وينشر الفساد فى الأرض ...

فلماذا نجعل من هؤلاء الأطفال أعداء لنا ؟ لماذا لا نحبهم فنعلمهم الحب؟ أليسوا أزهاراً فى روض الحياة ؟ أليست كل زهرة حلوة ولو تلطخت بالوحل ؟ أليس كل صغير جميلا ولو كان قطاً أو كلباً ؟ أفنحب القطة الصغيرة ونمسحها ونضمها على الأحضان ونـكره هؤلاء الأطفال ؟ ومالهم ؟ الأنهم قذرو الوجوه والثياب ؟ إن القـذارة لا تحب ، ولـكن أهذا ذنب أمهاتهم ، لا يغسلن وجوههم وهن على النيل ؟ لا ، بل هو ذنبى وذنب كل واحد منكم وذنب الـكتاب وأولى الأمر ، إنهم لم يعلموا هؤلاء الأمهات النظافة ، ولم يقل لهن أحد إن النظافة لازمة والوساخة مؤذية . ومن يقول لهن ، وهن شحادات على الطرقات ، لا يكلمن أحداً بغير السؤال ، ولا يكلمهن أحد أبداً ؟ !

وما يدريني أن ابنتى أو ابنـة أحدكم ، لا سمح الله ، ستلقى مثل هذا المصير ؟ من منا أخذ على الدهر عهداً أن لا يزيل عنه نعمة ؟ هل أمنا المرض والفقر ؟ هل وقفنا حركة الفلك ؟

وهل نسينا أن فى الوجود إلهاً ، وأن بعد الدنيا آخرة ؟ فـكيف سوغنا لأنفسنا مع هذا كله إهمال هـذه (الإنسانية) الصغيرة البرأة الطاهرة ؟ لقد كان فينا مقلدون متحذلقون ألفوا جمعيات للرفق بالحيوان ... ولـكن لم ينشأ فينا إلى اليوم من يؤلف جمعية للرفق بالإنسان ؟ لقد بلغ الخزى من نفوسنا أن كان فينا أناس يطعمون الـكلاب المدللة ، اللحم السمين والشكولاتة الغاليـة ، وحولهم بشر لا يأكلون اللحم مرة فى الشهر ؛ ولم يتذوقوا الشكولاتة أبداً ...

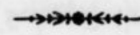
***

إذا شئتم أن تذوقوا أجمـل لذائذ الدنيا ، وأحلى أفراح القلوب ، فجودوا بالحب وبالعواطف كما تجودون بالمال ...

دمشق (صندوق البريد ١٩) **على الطنطاوى**

مجمع فــؤاد الأول
بين الأمس واليــوم

للأستاذ محمود أحمد الغمراوى



مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حسنة من حسنات محيى النهضة العلمية والفنية ، ومجدد شباب اللغة العربية ، المغفور له الملك فؤاد ، له من الله الرحمة والرضوان، وهو أثر من آثار أياديه الكريمة ، ومأثرة من مآثره العظمى التى أسداها إلى اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، ومفتاح أسراره ، ومشرق هدايته ، ومطلع أنواره .

أراد رحمه الله بإنشاء مجمع اللغة العربية المحافظة على سلامة هذه اللغة الكريمة ، وأن يكون المجمع مثابة للعروبة تتجدد فيه عناصرها وتتوثق أواصرها ، وأن يكون أمنا للغة الذكر الحكيم يجمع شتاتها ويحيى مواتها ويحميها من عبث العابثين ، وجور المعتدين ؛ ويدفع عنها طغيان العجمة ويرد عنها وثبات العامية ، حتى لا تستهلكها أشتات اللهجات ، ولا تذهب بفصاحتها وصباحتها الندوب والآفات ، فندب إلى هذا الغرض السامى النبيل ، واختار لهذا المهم الجليل ، كل عالم ندب من علماء اللسان ، وفرسان اللغة والبيان ممن أنجبتهم معاهد العلم : الأزهر ودار العلوم وجامع الزيتونة ، ومن أنبغتهم المدارس الإسلامية ومدارس اللغات الشرقية فى بلاد المشرق والمغرب .

ولقد بذل هؤلاء الأعلام الأفاضل جهدا مذكوراً ، وسموا إلى تحقيق الغرض الذى ندبوا له سعيا مشكوراً . وجعلوا منذ اللحظة الأولى يهدون السبيل ، ويقيمون فيه لمن يريد أن يسلكه المنار والدليل ، حتى لا يخبط فى مسيره خبط العشواء ، ولا يهيم فى أودية الأوهام ؛ فوسموا من القواعد وأقروا أموراً تكفل مراعاتها سلامة اللغة وتحقق لها النماء والزيادة ، وتيسر على أهل العلم التصرف فى مفرداتها حتى تستغنى بما تنسله من لفظ أصيل كريم عما يراد إلصاقه بها من كل لفظ دعى زنيم .

وقد أشار رئيس المجمع المغفور له الدكتور محمد توفيق رفعت باشا فى كلمته التى ألقاها فى افتتاح دور الانعقاد الثالث سنة ١٩٣٧ إلى الطريقة المثلى ، وأومأ إلى بعض القرارات التى اتخذها المجمع فى دور انعقاده الثانى للوصول إلى تحقيق الغرض المقصود من إنشاء المجمع ، وأبان فى تلك الكلمة المنشورة فى الجزء الثالث من مجلة المجمع طبع سنة ١٩٣٧ — خطأ الذين يؤثرون الاعجمى الشائع على مالم يتداول فى الاستعمال من فصيح اللفظ العربى ، وفند هذا الرأى القائل إذ يقول : وليس يذهب عنا فى هذا المقام أن ننبه هؤلاء إلى أن لغتنا قد تخلفت دهرا طويلا عن مواتاة العلوم ومسايرة كثير من أسباب الحضارة . فلو أننا آثرنا الاعجمى الدائر فى كل ما يعرض لنا من هذا لأصبح الفصيح بين لغتنا أقل من القلة ولاستهلكته العجمة استهلاكا بحيث لايصح لنا وقتئذ أن نزعم أننا نتحدث بلسان العرب ، وذلك هو البلاء العظيم ... ومما ينبغى ألا يسقط من الحساب أنه لو ساغ لكل أمة أن تعدل عن اتخاذ الفصيح من لغتها لمثل تلكم الأسباب إلى الشائع على السنة أبنائها من المحرف والدخيل لاختلفت لغات الأمم العربية وما اجتمعت على هذه اللغة الكريمة ، وهذا فى الوقت الذى يدعو فيه المصلحون الصادقون إلى توحيد الثقافة فى العالم العربى بأسره بحيث إذا استقلت كل أمة بأرض وطنها فإن العربية تظل لها جميعها الوطن العام على تطاول الأزمان .

وفى كلمة العلامة المستشرق (الاستاذ جب) عضو المجمع — وصف للعلاج الناجع الذى يتوقف عليه نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربى حيث يقول . وإن تجاربنا فى سنتى الطفولة (يقصد تجارب المجمع فى السنتين اللتين مرتا عليه منذ أنشىء) — قد برهنت على أن نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربى يتوقف على استعدادنا لسلوك طريق طويل المدى دارس المعالم — طريق الاكتشاف والتوسع وهو طريق لا يسلك إلا بشىء من الجرأة ، ولا يسلم من الضلالة فيه إلا من استمدله بكامل العدد .

ويقول : ولن يتحقق صعوبة وظيفة المجمع فى القرن بين تيار الجديد وتراث القديم إلا من جربها ، فويل للغة مصادرها

ومعجماتها دون الشعور الحى للناطقين بها . وويل أيضاً للغة ينطق ويكتب الناطقون بها طوع أهوائهم ويضربون بمعجماتها عرض الأفق .

فإذا كانت التجارب قد دلت على أن نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربى متوقف (كما يقول الأستاذ جب) على الاستعداد بكامل العدد لسلوك طريق الاكتشاف والتوسع فى اللغة حتى يأمن سالكو هذا الطريق من التردى والضلالة فيه ، وإذا كان من أهم هذه العدد العلم بقواعد اللغة نحوها وتصريف كلماتها ومعرفة أحوال تراكيبها وتذوق أساليبها ومعانى النظم فيها ، والإحساس بما بين نظم ونظم من فرق وتفاوت فى الحسن والجمال والصحة والاعتلال — فهل فكر أولئك الكرام البررة الذين عناهم أمر هذه اللغة الكريمة فى إعداد الوسائل التى تكفل حياتها وإن تبق سليمة نامية ، وهل أخذوا لهذا الأمر أهبته ، وأعدوا له عدته ؟

لقد أنبانا الأستاذ الجليل محمد كرد على بك فى كلمته التى ألقاها فى افتتاح إنعقاد المجمع فى ذلك الدور أن مجمع اللغة العربية يسير فى أوضاعه على النهج الذى سنه الملك الأعظم (المغفور له الملك فؤاد ، وأنه (أعلى الله فى الجنة منزلته) تفضل فأطلع عليه الأستاذ حين شرفه بالمثول بين يديه من نحو عشر سنين خلت قبل إنشائه مجمع اللغة . والمتتبع لسير النهضة العلمية فى ذلك الوقت يجد أن ذلك التاريخ يوافق الوقت الذى كان فيه جلالة الملك الراحل يفكر فى التوحيد بين المعاهد التى تقوم بتعليم اللغة العربية والشريعة الإسلامية فى مصر ليكون من هذه المعاهد مجموعة مؤتلفة موحدة النظام والغاية مندمجة فى الأزهر ، يتخرج منها الفقهاء المشرعون والعلماء الراسخون فى علوم الشريعة واللغة ليجددوا ما اخلولق من آثارها ويحيوا ماعفا من رسومهماوليكون من هؤلاء العلماء المختصين باللغة والشريعة مدد يغذى مجمع اللغة العربية ومايإنشأ على غراره من مجامع الفقه والتشريع الإسلامى لا الرومانى والفرنسى ، وفى سبيل تحقيق هـذا الغرض الجليل ألغيت مدرسة القضاء الشرعى وبدئ فى إلغاء دار العلوم ، واستبدل بهما نظام الكليات وأقسام التخصص فى الأزهر . فترى أن مجمع فؤاد كان جزءا متمما لذلك المشروع الجليل الذى اختط فؤاد العظيم خطته وأراد منه إحياء اللغة العربية لغة القرآن الفصحى وأن يبعث الاجتهاد فى الفقه الإسلامى من مرقده لتتوثق باللغة روابط الوحدة بين الشعوب العربية ، وتسهل مشارع الشريعة فيتيسر ورودها ، ويصفو وردها لجميع الأمم الإسلامية.

ذلكم هو المشروع الذى ابتكره فؤاد الملك العظيم ، وأبرزته عزيمته القوية الجبارة من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة ، لاحياء اللغة العربية والشريعة الاسلامية معا ؛ فماذا كان حظ هذه المؤسسات العلمية والعالمية من الحياة ، وماذا كان نصيبها من البقاء ؟

فأما أقسام التخصص فقد غلقت أبوابها ، إذ لم يقصدها للعلم بل لأكل العيش طلابها . وأما كليات الأزهر فقد أمست مسارح شحناء ، ومسابح دماء ، يسمى طلابها بالفساد ليجعلوها مثل دار العلوم مدرسة لتخريج معلمين ، لا لتكوين رجال عالمين !

ومجمع فؤاد اللغوى ـ وقد عرفت مكانه من المشروع العظيم ـ هل تراه اليوم على العهد الذى كان عليه بالأمس مجمع فؤاد للغة العربية ، وهل تحسبه آخذاً بإخذه ، أو متبعاً سننه الذى سنه له منشئه ، أو سائراً على النهج الذى قرر رجال مجمع اللغة العربية بالأمس أنه هو النهج الأقوم الموصل إلى الغاية المنشودة من إنشاء المجمع ؟

إن الذين سمعوا كلمة معالى وزير المعارف التى ألقاها فى مؤتمر المجمع فى دور انعقاده الحاضر فى أولى جلساته فى الشهر المنصرم ، يرون فيها خروجاً على إجماع المجمع بالأمس ، وإهداراً للقواعد السليمة التى أقرها ، وتوجيها للمجمع فى غير الوجهة التى أنشىء من أجلها ، وجوازبه عن سواء السبيل الذى يقول العلماء الخبيرون إنه يجب على من يريد للغة العربية الحياة والبقاء والبركة والنماء أن يسلكه .

فمعالى الوزير يدعو المجمع دعوة صريحة بل إنه ليأمره بالا يقف فى طريقه إلى تحقيق مهمته عند اللغة الرسمية (اللغة العربية الصحيحة) وأن يتجاوزها إلى اللغة الواقعية البعيدة عن صحيح اللغة (وهي اللغة العامية) وأن يتقبل كل كلمة ترد إليه هجينة

أو أعجمية ؛ ولئن كانت كلمة المجمع بالأمس على أن العدول عن اتخاذ الفصيح من اللغة إلى الشائع على الألسنة من المحرف والدخيل يستهلك الفصيح من اللغـة ، ويؤدى إلى اختلاف لغات الأمم العربية وتفرقها عن لغتها الـكريمة — فإن كلمة وزير المعارف اليوم على النقيض من كلمـــة المجمع بالأمس ؛ فمعاليه يفتح الباب على مصراعيه للمحرف والدخيل ، ويطلب إلى المجمع أن يسجل على لغة العرب كل مايرد عليه من الـكلمات المحرفة ، وأن يحمل عليها كل مايصل إليه على ألسنة العامة من الألفاظ الأعجمية والدخيلة ؛ فقد أصبحت مهمة المجمع إذن سهلة يسيرة وأمسى عمل المجمع فى نظر معالى الوزير هو الإثبات والتسجيل ، وليس له فى الإبتداع أو الخلق والتقدير .

لقـــد هانت إذن مهمة المجمع ، وتبخرت فى الهواء تجارب المجربين ، وضرب بعرض الأفق كلام الخبراء العالمين ، وأمننا ما خوفنا الأستاذ جب من ضلالة الطريق ووعورته ، فما بنا بعـد اليوم من حاجة فى سلوكه إلى استعداد له بعدة أو اتخاذ دليل أو اصطحاب رفيق . يقول معـالى الوزير : إن باب الاجتهاد فى اللغة العربية مفتوح فعلا فهو ليس منتظراً أحداً حتى يفتحه . فليت شعرى من هم هؤلاء المجتهدون الذين يقول معاليه إن باب الاجتهاد قـد فتح فعلا لهم ؟ أهم أولئك العلماء الذين استعدوا بكامل العدد ليأمنوا من الضلالة فى طريق الا كتشاف والتوسع فى اللغة ، وأولئك الـكتاب والناطقون باللغة ، الذين يلتزمون قوانين اللغة وقواعدها ويرجعون إلى معجماتها فيما يكتبون وينطقون كما يشترط الأستاذ جب ؟ أم هم هؤلاء الذين ينطقون ويكتبون طوع أهوائهم ولا يستطيعون تقـديم ألسنتهم ، والذين أنذر الأستاذ اللغة شرهم وتوعدها بالهلاك والويل منهم ؟

يقول معالى الوزير إننا لا نستطيع أن ننـكر على أى جيـل حقه فى أن يساهم فى صنع لغته وفى أن يبتدع من الألفاظ ما بقى حاجته ويتمشى مع حضارته

فالمجتهدون فى اللغة إذاً فى عرف وزير المعارف — هم أولئك الذين يتقبلون كل مايفد عليهم من دخيل اللفظ ، وتلوك ألسنتهم كل ما يسهل عليها من عابر القول من غير معيار ولا قاعدة .

هؤلاء هم المجتهدون فى اللغة العارفون ، وهؤلاء هم صنعة اللغة الحاذقون ، ومبتـكرو ألفاظها ونظمها والمبتدعون ، وما يصدر عن هؤلاء من عابر القول ، وما يتقبلونه مما يفد عليهم من متشرد الألفاظ الأعجمية فهو اللغة الفصحى التى اجتمعت عليها الأمة ، والتى يجب على المجمع القائم أن يرصدها فى سجلاته ويسجلها فى اجتماعاته لحساب اللغة الجديدة الاقليمية ، التى يراد إحلالها محل اللغة العربية ، وتسجيتها ببردها وتسميتها باسمها .

لقد اتضحت إذاً مهمة المجمع وعرف أن مهمته المطلوبة منه فى عهده الجديد هى أن يسجل فى دفاتره ما يرد إليـه من بضاعة مزجاة من الألفاظ الأعجمية ، ويضيفها لحساب اللغـة الجديدة الإقليمية الدهماوية التى يراد بها إبعاد الأمة المصرية وإبعاد العرب عن لغتهم العربية التى هى رباط وحدتهم ، ومنتدى جماعتهم .

ومهمة أخرى على المجمع أن يقوم بها ، وهى كما وصفها معالى الوزير مهمة شاقة عسيرة ، تلك المهمة هى أن ينصب المجمع للمولود الجديد الأنصاب ويتلمس له العلل والأسباب التى تصله بأسباب الوجود ، وتـكفل (لا قدر الله) له الحياة والخلود .

منذ أمد غير بعيد نشرت جريدة الأهرام نبذة لمراسلها الخاص بلندن اقتبسها من الفصل الافتتاحى الذى عقدته جريدة المانشستر جارديان عن إصلاح النحو فى مصر ، تضمنت هذه النبذة أن أدباء مصر يتوفرون على إصلاح النحو العربى . وقالت (بلغة المستعمرين الذين يسمون الأشياء بأسماء أضدادها فيسمون الإفساد إصلاحاً واستعباد الأمم حرية) ! قالت : إن هذا الإصلاح قد يكون بين ضروب الرقى العديدة (التى تمت منذ ولى الملك فاروق العرش) — أبعدها أثراً على الإطلاق . وقالت : إن من العوائق العظيمة لنشر العلم ومن ثم لتحقيق التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى هو الاختلاف الـكبير بين العربية الفصحى واللغة العامية مما جعـل ملايين من الناطقين بالضاد لا يستطيعون فهم اللغـة الفصحى فضلا عن قراءتها وكتابتها .

فاللغة العربية فى نظر المانشستر جارديان ، ومن ينفخ فى بوقها من دعاة الاستعمار هى سبب انحطاط العرب وتأخرهم فى العلم وفى التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى . وهذا الذى تذيعه

الأسس التى وضعها الاسلام

لعقوبة القتــــل

لصاحب العزة الأستاذ على بك حلمى
مدير البحيرة

بينا فى مقالنا السابق أن التشريعات القديمة كانت تميل تارة إلى جانب التشديد فى العقوبة وتارة أخرى إلى جانب التراخى فيها — واستشهدنا ببعض أقوال من الإنجيل والتوراة نفهم منها أن الأول يطلب العفو من ولى الدم وفيه تفريط فى حق المجنى عليه، وإفراط فى أمر الجانى [1] إلى أن نزل القرآن فسلك الإسلام الطريق الوسطى بين جانبى الإفراط والتفريط فى المعاملات والعقائد والعبادات — قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس)

كما أصبح للدين الإسلامى أسس موضوعة جنبت عقوبة القتل فى جميع أحوالها جانبى الإسراف والتقصير — وهذه الأسس أربعة .

القصاص [1]:

فرض الإسلام بهذا المبدأ عقوبة القتل جزاء لجريمة القتل وأباح به دم الجانى — وفى ذلك نزلت آيات القصاص، وقد ذكرنا بعضها فى موضوع سابق . ومعنى هذا أن الإسلام لا يجيز التراخى فى شأن الجانى ولا يسمح بوقوع هذه الجريمة دون أن يقتص من فاعلها بالقتل — فسد بذلك نقصاً ملحوظاً فى شريعة الإنجيل على فهم كثير من الناس .

حق القصاص والعفو لولى الدم :

وكما أن ديننا حد من جانب التفريط كما دعا إليه الإنجيل — كذلك خفف من إفراط التوراة بشأن الجنى عليه ولم يحتم عقوبة القتل لهذه الجريمة فخير ولى الدم بين القصاص والعفو وزين له الأخير قال تعالى: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال بعض الفقهاء (العفو أفضل من الصلح والصلح أفضل من القصاص)

وهنا لم يقل الإسلام بالقصاص دون رحمة ولا شفقة بل شرعه مع خيار العفو وإجازة الصلح وأباح أن يكون العفو ببدل أو بغير بدل كما حبب الإسلام العفو إلى النفوس، وبذلك اتخذ طريقاً وسطاً فتحاشى قسوة التوراة التى تحتم القصاص وتراخى الإنجيل الذى يحتم العفو .

حق ولى الدم :

أ — فى القصاص — جريمة القتل اعتداء على نفس المجنى عليه وسلب لوجوده وامتهان لجماعته الذين يعتزون بحياته ويتأثرون بنشاطه ؛ فإذا افتقدوا وجوده وكيانه وحرموا من عونه ونشاطه كانت هذه الجريمة من بعض نواحيها واقعة على ولى الدم؛ وطبيعى أن أول المسارعين إلى رفع هذا الذل والامتهان والأخذ بالثأر لقتيلهم هم عصبته الذين رزئوا بوفاته وأصيبوا فى مقتله .

(١) فقه القرآن والسنة للأستاذ محمود شلتوت .

(١) القصاص للأستاذ محمود شلتوت

هذه الجريدة وغيرها من جرائد الاستعمار هو ما يتقوله عداة اللغة العربية ودعاة المنصرية فى مصر على هذه اللغة الكريمة من المثالب والأكاذيب ليكرهوها إلى أهلها فهم يقبحون منها كل ماحسن، حتى ليودون أن يستبدلوا بحروفها الرشيقة الجميلة حروفا أقموية لاتينية ليقيموا بذلك حدا منيعاً يحولون به بين الأجيال المقبلة من أبناء الأمم الاسلامية وبين تراث أسلافهم العلمى، وليقطعوا الصلة بينهم وبين كتاب الله الكريم فلا يهتدوا بنوره ولا يقتدوا بهداه .

فهل ماينادى به معالى وزير المعارف فى دار المجمع ومايدعو إليه من تجاوز اللغة العربية إلى اللغة الاقليمية العامية، وما يردده دعاة السوء من وجوب أقلمة اللغة وتمصيرها، وتبسيط قواعدها وتلتين حروفها هو الذى تعنيه جريدة المانشستر من إصلاح النحو فى مصر ؟

وهل هذا هو الغرض من إنشاء مجمع فؤاد للغة العربية ؟

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

محمود أحمد الغمراوى
من علماء الأزهر
شيخ معهدى دسوق والزقازيق سابقاً

ولما كان فى جريمة القتل أيضاً إخلال بالأمن العام وإفساد لراحة الجماعة وإزعاج لطمأنينتهم أعطى الشرع الإسلامى حق القصاص لولى الدم كما أعطاه للجماعة فى شخص الحاكم إذا كان الجانى مسرفاً فى الإجرام معروفاً بالشر ووجب بتره من المجتمع

وكما أن لولى الدم حق القصاص فقد جعل له حق العفو أيضاً لأن فى ذلك اطمئناناً للنفوس وتطهيرا لها من الأحقاد والضغائن، فليس أحب إلى الإنسان من العفو عند المقدرة — ولم يجعل الإسلام لولى الأمر حق العفو إذا ما تمسك ولى الدم بالقصاص وذلك تجنباً لوقوع الفتن والاضطراب وخشية الإسراف فى الأخذ بالثأر وإفلات زمام الأمر من الحاكم.

أما إذا اختار ولى الدم العفو فخياره نافذ — ما لم يتمسك ولى الأمر بعقوبة الجانى تعزيراً فى حالة ما إذا كان معروفاً بشدة إجرامه وظهر للحاكم أن عقابه ضرورى لحفظ الجماعة واستتباب الأمن — وقد احتضن هذه الفكرة القانون الوضعى الحديث وتوسع فيها إلى أن سلب من المجنى عليه حق القصاص والعفو وقصرهما عليه كما سيأتى.

المساواة فى العقوبة :

— كان نظام الطبقات معروفاً عند الرومان فجاء الإسلام ومحا هذه الفروق وسوى بين النفوس وجعل الدماء متكافئة والجراحات متناسبة فى القصاص. روى عن عائشة رضى الله عنها قالت — كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع ولا ترجعه فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد وكلموه فكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيها فقال له: « يا أسامة ألا أراك تشفع فى حد من حدود الله. ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال: إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف قطعوه والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » وقطع يد المخزومية.

من هذا ترى أن الإسلام قد سوى بين أفراد الرعية من جهة، وبين الرعية والحاكم من جهة أخرى فى القصاص والحدود (1) وجاء فى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع (أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد — كلكم لآدم وآدم من تراب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم — ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى)

المسئولية الفردية :

قلنا إن العرب جرت فى الزمان الغابر على الإسراف فى الثأر دون توخى مقدار العدل الذى يوجب الوقوف عند حد القصاص الصحيح — وكان فى أغلب الأحيان يأخذون غير القاتل بالقاتل والجماعة بالواحد والرجل بالمرأة والحر بالعبد — بل كانوا فى بعض آخر يأخذون الإنسان بالحيوان إلى أن جاء الإسلام فقرر أن مسئولية الجانى لا يتحملها إلا الجانى — قال تعالى: (ولا تزروا وازرة وزر أخرى) ومنع مسئولية الجماعة عن جناية الواحد كما قرر أن العقوبة من جنس الجناية وبقدرها فلا تضاعف الجراحات ولا الديات (1) قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها. وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)

القتل فى القانون الوضعى الحديث :

قلنا أن الإسلام منح القصاص والعفو لولى الدم كما أجاز لولى الأمر القصاص إذا عفا ولى الدم فى حالة ما إذا كان القاتل يميل إلى الإجرام وتحتم إصلاح شأنه لصلاح حال الجماعة — وقلنا أن القانون الوضعى احتضن هذا المبدأ الأخير ثم توسع فيه إلى حد أن جعل من حق القصاص والعفو حقاً آخر ثابتاً للمجتمع واعتبر أن جرائم الأفراد جرائم عامة، وأن المجنى عليه فى جريمة القتل هو المجتمع، ومنح لشخص ولى الأمر حق القصاص والعفو دون مراعاة إلى حق ولى الدم فيها، أى بمعنى أنه إذا وصل إلى علم الحاكم وقوع جريمة على فرد من الأفراد سواء بتبليغ المجنى عليه أو أى شخص آخر نهض حق المجتمع ينادى بالقصاص من الجانى أو العفو عنه حسب ما يتراءى لولى الأمر لصيانة الصالح العام

وعلى هذا الأساس تقررت العقوبات لمختلف أنواع جرائم القتل

على حلمى

(1) نهاية المحتاج ج ٧

(1) المنتقى ج ٧

٣ - الفتنة الكبرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

كان من البيِّن – كما رأيت قبلُ – أن يهود الحجاز قد شبوا في الجاهلية نار العداوة بين بني أم واحدة وأب واحد، يسكنون بلدة واحدة، وهم الأوس والخزرج، فتمادت الحرب بين الأخوين أحقاباً من زمن الجاهلية حتى كادوا يتفانون في يوم «بُعاث» الذي كان قبل هجرة نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بست سنين. وكان الذي كان بين هذين الأخوين أمراً جللاً شديداً على بعض عقلاء الأوس والخزرج، إذ صاروا إلى ما وصفهم به أصحاب بيعة العقبة الأولى من الأنصار إذ قالوا لنبي الله: «إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بيننا»، ويهود يومئذ «قد عَزُّوهم ببلادهم» أي غلبوهم عليها واستأثروا بها، كما قال رجال من الصحابة وكما قال أكثر رواة التاريخ القديم. وكان بعض اليهود يحالف الأوس، وبعضهم يحالف الخزرج، ولكنهم كانوا يداً واحدة إذا جد الجد، فيخرجون من معارك هذين الأخوين لا يصيبهم شرٌّ كثير أو قليل، بل كانوا يقولون لهم: «إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرَم» وشغلت الحرب والعداوة هذين الحيين، فانصرفوا عن الزراعة واستولت عليها يهود، وشغلتهم عن التجارة فاستبدت بها يهود، وشغلتهم عن حماية أرضهم فعاثت فيها يهود. وأخذت يهود تبني في المدينة وما جاورها آطاماً وحصوناً كثيرة متفرقة، وتجمع في هذه الحصون ما استطاعت من السلاح والحلقة وعُدة الحرب، وهي شيء كثير جداً كما ظهر ذلك بعد فتح هذه الحصون والآطام على يد رسول الله وأصحابه من المهاجرين والأنصار. ولم يكن ذلك من فعلهم في المدينة وما جاورها وحسب، بل كان مثله أيضاً في جنوب الجزيرة، في اليمن وتلك البقعة من نجران وصنعاء إلى ناحية البحرين، كانوا يقيمون الحصون والآطام ويجمعون فيها السلاح فيكثرون الجم، وينشئون لأنفسهم مدناً أو شبه مدن في هذه النواحي كلها، هي لهم خالصة لا يساكنهم فيها أحد.

نعم، ينشئون المدن والحصون والآطام ويجمعون السلاح، ويحالفون من جاورهم من الأعراب والبدو، ويوقعون بين حلفائهم العداوة والشر، في المدينة وفي غير المدينة من جزيرة العرب. فماذا كانت تريد يهود بإعداد كل هذه العدة من البناء والسلاح وإيقاد البغضاء، وصرف وجوه الناس عن أسباب الحياة إلى معترك الحرب؟ كانت تريد في المدينة مثلا أن تسقط البلاد في أيديهم خالصة لهم، بعد أن يتفانى الأوس والخزرج في حروبهم التي يؤرِّثونها بينهم، كما رأيت ذلك من فعلهم يوم رأى شأس بن قيس اليهودي ما رأى من صلاح ذات البين بين الأوس والخزرج بالإسلام، فيرسل إليهم فتى من يهود يناشدهم ما تقاولوا من الشعر في حروبهم، فتكاد الحرب تقع بين الأوس المسلمين والخزرج المسلمين، لولا أن أدركهم رسول الله فردَّهم إلى عقولهم وأطفأ كيد اليهودي شأس بن قيس. ومن قارن بين فعل يهود قديماً وفعلهم حديثاً في فلسطين، ومن إقامتهم الحصون والآطام والمدن في المدينة وغيرها من الجزيرة، وما فعلوا من إنشاء المدن والحصون والمستعمرات حديثاً في فلسطين، عرف أن هذه شيمة يهود منذ قديم، وهذا هو أسلوبهم قديماً وحديثاً حذوك النعل بالنعل. وإذن فقد كانت تريد يهود أن تنشىء دولة في المدينة شمالا وفي اليمن جنوباً كما تريد اليوم أن تنشىء دولة لليهود في فلسطين، وفي غير فلسطين أيضاً.

هكذا كان أمرهم في الجاهلية، ثم يرسل الله رسوله ويهاجر إلى المدينة فلا يكاد يفعل حتى يمتلىء تاريخ الإسلام منذ ذلك اليوم بأخبار اليهود وفتنهم وتأريثهم العداوة بين العرب المشركين والعرب المؤمنين، وبسعايتهم في تأليب الأحزاب على رسول الله، وبغدرهم ونكثهم ودسائسهم، لم يكفوا ساعة عن التماس غرة المؤمنين والمؤمنات، وعن ابتغاء الوقيعة بين المؤمنين أنفسهم. ويمتلىء تاريخ الإسلام منذ ذلك اليوم أيضاً بأخبار المنافقين، وقد أجاد الله لنا صفتهم في كتابه، وبين لنا أحسن البيان صلتهم باليهود وإيواء اليهود لهم، ويكثر ما نزل من الآيات في شأن اليهود والمنافقين جميعاً، مقرون ذكرهما معاً. وتكون أول سورة نزلت من القرآن في المدينة هي السورة التي تذكر فيها (البقرة)، يقول الطبري في تفسيره ج ١ ص ٨٤ بإسناده عن ابن عباس: «إن صدر سورة البقرة إلى المئة منها

نزل فى رجال سماهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبار يهود ومن المنافقين من الأوس والخزرج ، كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم » . ثم ماذا ؟ ثم تكون آخر سورة نزلت بالمدينة ، أو آخر سورة نزلت من القرآن ، هى سورة « براءة » أو سورة « التوبة » ، تلك السورة التى فضحت اليهود والمنافقين وهتكت عن سرائرهم ، وكشفت عما كانوا يبيتون من القول ومن الكيد ، والتى يقول الله فيها : « يحذر المنافقون تنزّل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم ، قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون » ، والتى سماها بعضهم « الفاضحة » و « المخزية » و « المنكلة » و « المشردة » و « المدمدمة » دلالة على ما جلبت على اليهود والمنافقين من الفضيحة والخزى والتنكيل والتشريد والدمدمة . ثم تكون هى السورة التى يذكر فيها « الأعراب » الذين حول المدينة من حلفاء يهود ، ست مرات .

تنزل أول سورة من القرآن ، فإذا هى فى اليهود والمنافقين ، وتنزل آخر سورة من القرآن فإذا هى فى اليهود والمنافقين ومن حول المدينة من الأعراب حلفاء يهود ، وينزل ما بينهما من القرآن فى عشر سنوات متواليات يصف ما كان من أمر هؤلاء ، وينذرهم ، ويكشف عن دسائسهم وكيدهم ، فإذا بك ترى تاريخ الإسلام فى هذه الحقبة — منذ هاجر رسول الله إلى أن توفاه الله — حافلا بالغدر والكيد والتأليب ونكث العهود ونقض المواثيق . ويكون أول ذلك أن تسلم طائفة من أحبار يهود سماهم أصحاب السير والتاريخ ، يسلمون نفاقاً فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما فعل كعب الأحبار وعبدالله بن سبأ وغيرهما فى عهد عمر وعثمان) ، فكانوا يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزئون بدينهم ، ويحدثنا ابن هشام عنهم فيقول : « فاجتمع يوماً فى المسجد ناس منهم ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً » ، فهل تجد أوضح ولا أبين من هذا فى صفة المتآمرين حين يجلسون يتخافتون بينهم أمراً يكيدون به ويبيّتونه ؟ ويظل هذا حال المنافقين وحال اليهود معاً إلى أن يدعو الله إليه رسوله : يأوى المنافقون إلى أشياخ من اليهود يتآمرون يوماً بعد يوم عشر سنوات متواليات ، ويكون على رأس هؤلاء المتآمرين رجال كأمثال رفاعة بن زيد بن التابوت اليهودى الذى أظهر الإسلام وأبطن النفاق ، فيسميه المسلمون « كهف المنافقين » ، لأنهم كانوا يخلون إليه ، ويتآمرون فيه بليل ، ويستودعون ظلام هذا الكهف السميع البصير سرّ تآمرهم وخفى كيدهم . ورسول الله فى خلال ذلك كله يجاهدهم ويرجو هدايتهم ، ويظل يفعل ذلك ثمانى سنوات غير قانط ولا يائس ، يصلى على من مات من المنافقين ويستغفر لهم ، فإذا طال ذلك أنزل عليه ربه فى سورة « براءة » آخر سورة نزلت ، أشد آية فى القرآن خاطب الله بها عبده ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الظالمين » ثم ينهاه أشد النهى فيقول : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » . كلمات قاطعة وأوامر حاسمة كحد السيف !!

عشر سنوات والقرآن ينزل على رسول الله فى المنافقين واليهود مقرون ذكرهما معاً !! عشر سنوات تقرأ تاريخها فى كتب السيرة فلا تمضى صفحة واحدة إلا وفيها ذكر لليهود والمنافقين معاً ، عشر سنوات واليهود والمنافقون معاً يؤلبون على رسول الله القبائل ويفتنون المسلمين ، ويدبرون الكيد للمؤمنين والمؤمنات ولرسول الله ، حتى كان ما كان من اليهودية التى دست له ولأصحابه السم فى الشاة فينبأ صلى الله عليه وسلم بما فعلت ، فيلفظ بضعة اللحم من فمه صلى الله عليه وسلم .

ثم ماذا ؟ ثم يحدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا منهم أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فيقول : « كان آخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم أن قال : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » . آخر كلمة ينطق بها صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ! آخر كلمة تجرى على لسانه وهو يلبى دعوة ربه إلى الرفيق الأعلى ! ويروى الرواة هذه الكلمة ، ويأتى علماؤنا أحسن الله جزاءهم فيقفون عند هذا الحديث ينظرون ما سرّ هذا الأمر الحازم القاطع ؟ إنهم لا يهتدون إلى سر ، ولا يقفون

على خبر ، إلا أن يقولوا جميعاً كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال ص٩٩ : «وإنما نُرَاه قال ذلك صلى الله عليه وسلم لنكث كان منهم ، أو لأمر أحدثوه بعد الصلح » رويدكم أيها العلماء ! إنه تأويل متهافت ، ولا تجعلوا الظن أصلا في التأويل . لقد كان أولى بكم أن تسألوا أنفسكم : أي نكث ذلك الذي كان من يهود الحجاز ومن أهل نجران ؟ وكيف ذهب خبره فلم يرو لنا ؟ وأي أمر ذلك الذي أحدثوه بعد الصلح ؟ وكيف غاب عنا خبره ؟ ولكن غفر الله لكم وجزاكم خيراً إذ لم تقطعوا برأي تدلسونه على الناس كما يفعل أدعياء العلم وكذبة العلماء في عصرنا هذا ، بل قلتم جميعاً كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام : «إنما نراه» (بضم النون) أي إنما نظنّه ظنا . ولكن ما قيمة الظن في أمر كهذا الأمر ؟ وكيف تريدون أن تفسروا حديثاً بظن من الظنون لم تأت به رواية ، ولم يعرف له خبر يؤيده من حوادث التاريخ ؟

كلا أيها العلماء ! إنها آخر كلمة تكلم بها رسول الله وهو معرض عن الدنيا مقبل على الآخرة ، آخر كلمة ينطق بها لسان نبي الله الذي لاينطق عن الهوى . كلا فالأمر أعظم وأجل وأخطر مما تظنون . إنها كلمة من كلمات النبوة ! إنها تنبيه من الله على لسان نبيه إلى أحداث ستكون ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً . لقد كشف الغطاء وتتجلى لرسول الله غيب ما سيكون ، فرآه وهو على فراش الموت كما رآه المؤمنون عياناً من بعد : فتنة ماحقة في الحجاز وما جاورها ، وفي نجران وما أطاف بها . نار مشعلة فيما حول المدينة من الحجاز ، وأخرى مستعرة فيما حول نجران من اليمن . إنه يقولها صلى الله عليه وسلم لا لشيء كان بل لشيء سيكون ، يراه هو ولا يراه أصحابه رضي الله عنهم .

واقد نزل الموت برسول الله صلى الله عليه وسلم كأشد ما ينزل حتى دعا بقدح من ماء ، يدخل يده فيه ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : « اللهم أعني على سكرات الموت . اللهم أعني على كرب الموت . ادن مني ياجبريل ! ادن مني ياجبريل ! ادن مني ياجبريل» وعنده صلى الله عليه وسلم خميصة (ثوب من خز) يأخذها فيلقيها على وجهه ، حتى إذا اغتمّ بها وضاق ألقاها عن وجهه وهو يقول « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ويقول أيضاً : « لئن بقيت لا أدع بجزيرة العرب دينين» ، وتكون آخر كلمة يتكلم بها وهو في مثل ما ترى من كرب الموت : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » : أي أدركوا النار قبل أن تشتعل ، أنقذوا العرب من فتن لاتبقي ولا تذر ! احذروا يهود الحجاز ، واحذروا أهل نجران خذوا عليهم طريق الفتنة وأخرجوهم قبل أن يخرجوكم ويسفكوا دماءكم أيتها العصابة القليلة المؤمنة ! ويقبض الله إليه نبيه قبل أن يقول لهم في هذا الأمر قولا لا يضلون بعده ، وتبقى هذه الكلمة بغير تفسير حتى يقول العلماء في سرها ما قالوا رجماً بالغيب .

ثم ماذا ؟ ثم لا تكاد تتم بيعة أبي بكر حتى تنفجر الردة في أماكن بعينها من جزيرة العرب ، فتقول عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين قولا يروى لنا ، لم يلق إليه أحد بالا إلى يوم الناس هذا : « توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ! اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب وصار أصحاب محمد كأنهم معزى مطيرة ، في حُشٍ ، في ليلة مطيرة ، بأرض مَسبعة . فوالله ، ما اختلفوا في واحدة إلا طار أبي بحظّها وغنائها عن الإسلام » . ويحدثنا أيضاً عروة بن الزبير العوام : «وقد ارتدت العرب إما عامة ، وإما خاصة في كل قبيلة ، ونجم النفاق ، واشرأبت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وقلّتهم وكثرة عدوهم » .

وخليق بي وبك ، أن نقف قليلا عند هذا . نقف حيث وقف بنا أمر رسول الله أن : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » ، نقف حيث وقفت بنا آخر كلمات تكلم بها صلى الله عليه وسلم ، وحيث وقف بنا قوله وهو في كرب الموت « لئن بقيت لا أدع جزيرة العرب دينين » ، وحيث وقف بنا قول أم المؤمنين عائشة : « اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب » ، وحيث وقف بنا حديث عروة : « ارتدت العرب ... ونجم النفاق ، واشرأبت اليهود والنصارى » . ثم نأخذ جميعاً نقرأ تاريخ حروب الردة في كتب القدماء من المؤرخين ، وماذا قالوا في أسبابها ، ونقرأ تاريخها أيضاً في كتب المحدثين من المؤلفين والمؤرخين ، ونقرأ

أيضاً كتب المستشرقين الذين يجلّهم الدكتور طه ويرفع بذكرهم رفعاً شديداً فماذا نجد ؟ نجد غموضاً شديداً كأننا نسير في ليلة مظلمة في بطن واد عميق ، عن يمينه جبل شامخ وعن يساره جبل شامخ قد أطبقا عليه جميعاً . وإذا الردة في كتب القدماء أخبار مجموعة كما اتفق لهم أن يجمعوها ، لم ينظر أحد في أسبابها ، ولا في الحوافز التي أغرت العرب بها ، ولا في أمر المرتدين وصفتهم وعلاقة بعضهم ببعض ، ولا في وجه الشبه الذي يجمع بينهم قبل أن يرتدوا . وإذا الردة في كتب المحدثين أخبار أيضاً حاول أصحابها أن يرتبوها ما استطاعوا ، فلما نظروا في أسبابها ، وفي حوافزها ، وفي صفة أهلها وفي علاقة بعضهم ببعض ، وفي وجه الشبه الجامع بينهم قبل أن يرتدوا — إذا بهم يخلطون خلطاً شديداً كأنهم يبحثون عن ذرة في بحر من الوحل . وإذا المستشرقون يملأون كتبهم كعادتهم بالجهل الذي يضرب بعضه في وجوه بعض .

نعم ، نقرأ تاريخ الردة في كل هذه الكتب جميعاً ، فإذا هي خالية جميعاً من ذكر اليهود ومن ذكر المنافقين إلا كلمة شاردة ككلمة عائشة وكلمة عروة بن الزبير بن العوام تعرض في كتب القدماء ، وإذا المحدثون من المستشرقين الخائضين فيما ليسوا له بأهل ، لا يكادون يذكرون اليهود والمنافقين في حرب الردة ، وإذا هذا عجب من أعجب أمرهم ، فهم أشد ولعاً بالبحث عن الأسباب واستقصائها ونبشها ، من أن تخفى عليهم هذه الحقيقة البينة التي بين أيديهم ، حقيقة اليهود والمنافقين وما كان لهم من خطر في تاريخ الإسلام منذ هاجر رسول الله إلى أن قبضه الله إليه ! ! وإذا بك ترى المؤلفين من رجالنا قد ضلوا إلى حيث أضلهم أساتذتهم من المستشرقين ، فغفلوا عن تعليل الردة كيف كانت ؟ وكيف بدأت ؟ ومن بدأها ؟ وكيف تم أمرها ؟ ولم يسأل واحد منهم نفسه . أليس من العجيب الذي لا يقضى منه عجب أن يقضي نبي الله عشر سنوات منذ هاجر إلى المدينة حتى قبضه الله إليه ، فلا يمضي يوم واحد لا يلقى فيه أشد البلاء من كيد يهود ، ومن كيد أشياعهم وصنائعهم من المنافقين ، ثم يظل رسول الله هذه السنوات العشر وهو يقاتل اليهود ويقاتل مكايدهم في الأوس والخزرج ، وفي القبائل ، وفي الأعراب حول المدينة ، ثم يظل رسول الله يتلقى الوحي من ربه هذه السنوات العشر ، فإذا أول سورة تنزل عليه وهي البقرة ، أكثرها في ذكر اليهود والمنافقين وبيان حالهم وصلة بعضهم ببعض وائتمارهم جميعاً بالمؤمنين الذين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله . وإذا آخر سورة تنزل عليه صلى الله عليه وسلم وهي براءة كلها في صفة اليهود والمنافقين ، وفي الكشف عن أقوالهم ودسائسهم وكذبهم وخداعهم حتى فضحتهم ونبأتهم بما تخفي صدورهم من الكيد والغيظ والنفاق ، ثم يكون آخر ما يتكلم به صلى الله عليه وسلم وهو في كرب الموت : « لئن بقيت لا أدع في جزيرة العرب دينين » ، وأمره لصحابته : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » ، ثم يقبض الله إليه رسوله ويبايع أبو بكر ، وما هي إلا أيام قلائل حتى تشتعل نيران الردة في أماكن بعينها من جزيرة العرب شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً — أليس من العجيب الذي لا يقضى منه عجب أن لا نجد بعد هذا كله شيئاً في كتب القدماء أو المحدثين — أو المستشرقين إن شئت — ذكراً لليهود والمنافقين في أمر الردة ؟ أهكذا ينتهي فجأة من تاريخ العرب ذكر اليهود والمنافقين بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أيجوز في المعقول أن تظل يهود وأشياعها من المنافقين تكيد للإسلام ولرسول الله وللمؤمنين والمؤمنات عشر سنوات كاملة متتابعة يوماً بعد يوم ، فإذا لحق رسول الله بالرفيق الأعلى (في سنة ١١ من الهجرة) نزعوا أيديهم من كل كيد ، وبرئوا من كل حدث كان بعد ذلك في تاريخ الإسلام — برئوا من الردة (في سنة ١١ من الهجرة) ، وبرئوا من مقتل عمر (في سنة ٢٣) ، وبرئوا من الفتك بعثمان بن عفان رضي الله عنه (في سنة ٣٥) .

ولكن كيف غاب عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى قوله : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » ؟ وكيف غفل قدماء علمائنا عن معنى هذا الحديث وفيم قيل ؟ وكيف ذهل المؤرخون القدماء عن أن يربطوا بين تاريخ الردة وبين تاريخ اليهود والمنافقين ؟ وأخيراً كيف كانت الردة في الإسلام ؟ وما آثارها التي تخلفت عنها ؟

هذا حديث أحدثك به إن أنسأ الله في أجلي حتى ألقاك في مكاني من هذه الصفحات .

محمود محمد شاكر

هل ذلك تحريم تعدد الزوجات؟

للأســـتاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

— ٢ —

تفنيد رأى الباشا الجديد

٥ — بينت فيما تقدم أن ما استقر عليه رأى الباشا فى بحثه الأخير يقوم على عناصر ثلاثة .

(ا) تفسيره لقوله تعالى « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت إيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا »

(ب) تفسيره لقوله تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة »

(ح) محاولة التوفيق والتنسيق بين التفسيرين أو التأويلين. كما أتيت فيما سبق أيضاً على خلاصة وافية لهذه العناصر . وهأنذا أوجز فيما يلى ما استدل به معاليه لكل منها مردفا كل دليل بردى عليه : —

٦ — أدلة العنصر الأول : استدل معاليه لرأيه فى تفسير الآية الأولى بالأدلة الآتية : —

الدليل الأول — أن تحديد عدد الزوجات من الأمور الأساسية فى التشريع للعرب ، فلا يستقيم مع بلاغة القرآن الإتيان بحكمه بصفة عرضية جواباً لعبارة شرطية واردة لغرض آخر هو الإقساط لليتامى ، (بدليل أنها مسبوقة بقوله تعالى : وآتوا اليتامى أموالهم — الآية ٢ من سورة النساء) فهى بعيدة بظاهرها كل البعد عن نكاح النساء وتقييد التعدد ولا مناسبة بينها وبينه .

وردى على هذا الدليل :

١ — أن السورة الواردة فيها هذه الآية تسمى « سورة النساء » وهى من أكثر سور الأحكام اشتمالا على أنواع مختلفة منها ، فمن أحكام خاصة باليتامى والسفهاء ومعاملتهم والاقساط لهم إلى أخرى خاصة بالنساء ونكاحهن والمحرمات منهن إلى ثالثة خاصة بالمواريث والمعاملات المالية إلى رابعة خاصة بالقتال والجهاد فى سبيل الله ، وفى التلاوة ليست الآيات الخاصة بكل نوع مجموعة فى موضع واحد من السورة بل نجد بعض آيات النوع الواحد متفرقة فى مواضع مختلفة منها ، فمثلا أحكام المواريث وردت عنها الآيات ذوات الأرقام ١١ و١٢ و١٨ و١٧٥ ، وأحكام القتال والجهاد فى سبيل الله وردت عنها الآيات ذوات الأرقام من ٧١ إلى ٧٧ و٨٣ و٨٩ و٩٠ ومن ٩٤ إلى ٩٦ . وكذلك أحكام النساء وردت آياتها متفرقة فى مواضع مختلفة من السورة ومثلها أحكام اليتامى ، وفى بعض المواضع تتعاقب آيات النوعين كما فى الآية ذات الرقم ٣ التى نحن بصددها إذ سبقتها الآية ذات الرقم ٢ عن اليتامى وهى قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أنه كان حوباً كبيراً) ولحقتها الآية ذات الرقم ٤ وهى قوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) ثم الآية ذات الرقم ٥ عن السفهاء والآية ذات الرقم . عن اليتامى؛ ومن الآيات ما تشتمل الواحدة منها على نوعين أو أكثر من الأحكام ، كالآية ٥ من سورة المائدة . وهذا النهج الدالة عليه جزئيات أخرى كثيرة فى مختلف الصور ، راجع إلى مراعاة ما بين بعض موضوعات الأحكام المتعاقبة آياتها من وجوه المشاكلة والمناسبة بالرغم من اختلاف هذه الموضوعات ، وإلى أن التنزيل كان منجما تبعاً لأسباب ومناسبات النزول . وإذن فليس فى مجرد سبق الآية ذات الرقم ٢ الخاصة باليتامى للآية ذات الرقم ٣ ما يدل على أن الأخيرة نزلت أيضاً فى شأن اليتامى قصداً وأن ما ورد فيها عن النساء جاء بصفة عرضية غير مقصودة .

٢ — والدليل على أن الكلام فى هذه الآية وارد فى شأن نكاح النساء قصداً لا عرضاً الآية ذات الرقم ١٢٧ المبدوءة بقوله تعالى (ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن ، وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن) وهى التى تشير كما ذكر معالى الباشا إلى حكم الآية السابقة ذات الرقم ٣ مما يبين أن تلك الآية نزلت قصداً فى حكم النساء أيضاً ، ولذا اتبعت كما قدمنا بالآية ذات الرقم ٤ الواردة فى حكم آخر خاص بنكاح النساء ، وهو حكم صداقهن

٣ — أن فى تفسير هذه الآية أقوالا أربعة ذكرها ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية مؤيدة بالمأثور عن الصحابة والتابعين فى بيان سبب نزولها وتفسيرها على ضوئه . وأحد هذه الأقوال ما ذكره الباشا من أنها أمر لأولياء ، اليتيمات بنكاح سواهن إن خافوا ألا يقسطوا لهن فى أموالهن . لكن ابن جرير بعد ما ذكر هذه الأقوال الأربعة قال : « وأولى الأقوال التى ذكرناها فى ذلك بتأويل الآية قول من قال بتأويلها : وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فكذلك فخافوا فى النساء ، فلا تنكحوا منهن إلا مالا تخافون أن تجوروا فيه منهن من واحدة إلى الأربع إلى أن قال » وإن خفتم أيضاً الجور على أنفسكم فى أمر الواحدة بألا تقدروا على إنصافها فلا تنكحوها ولكن تسروا من المماليك فإنكم أحرى ألا تجوروا عليهن لأنهن أموالكم وأملاككم ولا يلزمكم لهن من الحقوق كالذى يلزمكم للحرائر » اﻫ .[1] فعلى هذا التفسير المختار تكون الآية كلها بما فيها من عبارة الشرط وعبارة الجواب واردة فى نكاح النساء عامة ، ويكون ذكر اليتامى فى عبارة الشرط لمجرد قياس وجوب العدل فى النساء على وجوب العدل فيهم ليكون ذلك أفعل فى النفوس ورعاية للمناسبة بين هذه الآية والآية السابقة الواردة فى اليتامى . وسواء أكان المقصود بالآية رعاية الإقساط الواجب للنساء كالإقساط الواجب لليتامى أو رعاية الإقساط لليتيمات أنفسهن ، فلفظها صريح فى تحديد نكاح النساء بعدد معين ، وحكم إباحة التعدد مأخوذ منها اتفاقاً لأن العبرة كما هو معلوم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ومما تقدم يتضح وجه الارتباط بين عبارتى الشرط والواجب فى الآية ويندفع الاعتراض على إفادتها حكم التعدد .

الدليل الثانى . أن كلمة (ما) فى قوله تعالى (ماطاب لكم) هى من أقوى ما يكون فى إفادة العموم ، والباشا يميل إلى القول بأنها نكرة بمعنى (أى شىء) أى أية امرأة أو مجموعة من النساء ولايميل إلى القول بأنها موصولة بمعنى (من) وقد استعمل مشاكلة لما كلمة (طاب) ولم يستعمل كلمة (حل) لأن الطائب قد يكون حلالا وقد يكون حراماً ، فما يطعن على بلاغة القرآن وتساوق عباراته أن ينحدر من هذا العموم الكلى إلى التحديد والقصر على الأربع .

وأقول فى الرد على هذا الدليل أنه فضلا عن أنه لم يرد عن أحد من رجال اللغة — الذين يقول الباشا إنه اعتمد على مقرراتهم فى فهم الألفاظ التى تناولها بالتفسير — القول بأن (ما) هنا نكرة ، وبالرغم من أن لطاب معنيين : المعنى الذى أورده الباشا ، ومعنى آخر هو (حل) وهذا المعنى هو ما قال به أئمة اللغة فى تفسيرها هنا وما استقر عليه اصطلاح الأئمة والفقهاء فى استعمالها ، فكان أحدهم إذا استفتى فى حكم فعل من الأفعال قال : أراه طيباً أو أراه يطيب له (أى للفاعل) بمعنى أنه حلال أو يحل[1] — أقول فضلا عن ذلك فليس فيما فهم به الباشا هذين اللفظين ما يعكر على دلالة الآية على تحديد التعدد ، ذلك أن العموم المستفاد من (ما) إنما هو « عموم وصفى » أى مستغرق لجميع الأفراد المندرجة تحت وصفها (لأنها نكرة موصوفة فتكون مقيدة ، بوصفها كما هو معلوم) لا « عموم عددى » فالتحديد بعد ذلك فى العدد لا يتعارض والعموم لأنه تحديد لغير الجهة المقصود عمومها ، وإنما يمس عموم هذا اللفظ ما يخرج منه بعض أفراده أى ما يخرج بعض النساء الطيبات عن حل نكاحهن كما لو قال « فانكحوا ما طاب لكم من النساء على أن كن مسلمات (أو غير يتيمات) » فتخرج فى هذه الحالة الكتابيات واليتيمات مع اندراجهن تحت عموم النكرة الموصوفة . وإلا فليتفضل معالى الباشا فيدلنا على صيغة أخرى كان يمكن نزول القرآن بها للدلالة على حل نكاح ما يطيب للرجل من النساء فى حدود الأربع . على أنى أسارع فأنبه إلى أنه حتى على التسليم بأن فى القول بدلالة الآية على تحديد التعدد قصراً وتحديداً لعمومها المستفاد من لفظ (ما) فليس فى ذلك ما يصح اعتباره عدم تساوق يطعن على البلاغة إذ غاية ما فيه أنه تخصيص علم وذلك مألوف ومتعارف فى القرآن وفى غيره من بليغ كلام العرب حتى قالوا « إنه ما من عام إلا وخصص » وجعلوا من أنواع العام : العام المخصوص والعام الذى أريد به الخصوص .

الدليل الثالث : أن القول بدلالة الآية على حكم تحديد التعدد يؤول بنا إلى نتيجة منكرة : ذلك أن مثنى وثلاث ورباع معناها

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ، ج ٤ ص ١٥٥ وما بعدها ، طبع مصر سنة ١٣٢٥

(١) ولم يرد عن أى واحد منهم وصف ما هو حرام بالطيب ، بل كانوا جميعاً يصفونه بالخبيث

المتفق عليه عند الجميع اثنان اثنان وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ، فيكون المعنى أن يأتي الرجل لامرأتين فيتزوجهما في وقت واحد بعقد واحد ، أو لثلاث نساء أو لأربع فيتزوجهن في وقت واحد بعقد واحد كذلك . وهذا من أشد ما يكون إفساداً للفكر لمخالفته ما هو معلوم من ما جريات العادة عند العرب وغير العرب في الزواج . فليس إذن المعنى الحرفي هو المقصود وإنما هذه الألفاظ كناية عن الأخذ الجزاف المنافي لكل تحديد ؛ لأن عبارة « مثنى وثلاث ورباع » أتت بكل ما في العربية من ألفاظ الصفات العددية التوزيعية إذ لم يسمع في العربية بعدها إلا لفظ « عشار » فقط

ويرد على هذا الدليل من وجهين : (الوجه الأول) إقرار معاليه على ما رآه من أن المعنى الحقيقي لهذه الألفاظ لا يمكن أن يكون مراداً بها ، ومنع أن يكون الأخذ الجزاف المنافي لكل تحديد لازماً لهذا المعنى الذي ليس له في الواقع لازم عقلي ، وغاية ما فيه أنه يمكن الخروج من النص — إذا نحن أغفلنا معنى تحديد التعدد المتعارف منه — بأنه لم يرد فيه ما يوجب التحديد ، والفرق بين الناحيتين واضح إذ الأولى ناحية إيجابية كان يجوز لو وجدت أن تكون مقصودة للشارع ، أما الثانية فلا يمكن أن تكون مقصودة له لأنها أمر سلبي .

(الوجه الثاني) أنه حتى على التسليم بأن هذا المعنى لازم للعبارة فلا يمكن أن يكون مكنياً بها عنه إذ يشترط في الكناية — كما هو معلوم — جواز إرادة المعنى الأصلي . وقد سلم معنا الباشا بأن هذا المعنى لا يمكن أن يكون مراداً . على أنه ليس مما يناسب بلاغة القرآن ومقاصده — وهو بصدد تأليف العرب بعدم مصادمتهم في العادات المتأصلة فيهم كما يقول الباشا — أن يستعمل في ذلك عبارة تخالف — في ظاهرها على الأقل — ما جريات هذه العادات وقد كانت له مندوحة عن ذلك باستعمال الحقيقة ، بدلا من الكناية ، في هذا المقام .

الدليل الرابع — أن القرآن لو أراد بهذه الآية تحديد تعدد الزوجات بالأربع لعبر عن ذلك بعبارة بسيطة موجزة (يحل نكاح النساء إلى أربع) بل النص على تحريم ما وراء الأربع في آية المحرمات

والرد على الشق الأول من هذا الدليل أن التعبير على هذا النحو لا يتناسب والمستوى الرفيع لأسلوب القرآن القائم على قواعد من الترغيب والترهيب ، والتبشير والتنفير ، والوعظ والزجر ، والوعد والوعيد ، مما هو وحده كفيل بتحقيق أغراضه السامية ؛ فقد أراد سبحانه أن يبين للعرب بهذه الآية الكريمة ما أطلقه لهم من سعة في أمر النكاح المشروع تغنيهم عن مقارفة الحرام فشرع لهم نكاح كل منهم ثنتين بدلا من واحدة إن أمن الجور ، فثلاثاً بدلا من ثنتين إن أمن ذلك ، فأربعاً بدلا من الثلاث إن أمن ذلك أيضاً ، فإن هم خافوا الجور في الأربع فليعدل الخائف عنهن إلى الثلاث أو الثنتين ، أو الواحدة ، أو ما ملكت يمينه . ولا يخفى ما في سوق التعبير على هذا النحو من بلاغة مقنعة للمخاطبين مما لا تفي به العبارة التي رآها الباشا « بسيطة موجزة »

والرد على الشق الثاني من الدليل أن آية المحرمات لم تستقص كل النساء المحرم نكاحهن ، فلم يرد فيها مثلا ذكر لزوجات الأب اللاتي حرم نكاحهن بآية أخرى هي قوله « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا » وذلك عناية منه عز شأنه بهذا التحريم يخصه استقلالا بآية توضح شناعة ما كان متعارفاً مألوفاً من ذلك النوع من النكاح ، كما لم يرد فيها ذكر المشركات المحرم نكاحهن بقوله تعالى في آية أخرى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » وذلك قصد بيان أغراض خاصة بمدى هذا التحريم (حتى يؤمن) وعلة (أولئك يدعون إلى النار) مما لا يشترك فيه تحريم آية المحرمات ، فكذلك الحال فيما يتعلق بتحريم ما زاد على الأربع يخصه استقلالا بآية تفي بالأغراض السابق بيانها . على أن الأمر في هذه الآية ليس مقصوراً على تحريم ما زاد على الأربع حتى كان يمكن أن تشمل مدلولها آية المحرمات ، بل قصد أيضاً بيان حل التعدد إلى الأربع وترتيب التحريم لما جاوزهن على بيان حلهن وما فيه من سعة مجزئة تناسب تخصيص آية لذلك تنتظم هذه الأغراض التي لا يتناولها شأن الوارد ذكرهن بآية المحرمات واللاتي قصد إلى تحريمهن لذواتهن ، لا لأمر عارض كزيادتهن على الأربع ...

(يتبع)

إبراهيم زكي الدين بدوي
المتخصص في الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

رسائل حائرة :

الرسالة الرابعة ...

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

لا تسأليني حين أرجع والأسى باد عليا
والدمع يلمع فوق أهدابي ، ويمشي ناظريا :
« ماسر هذا الحزن ؟ مالك تذرف الدمع الأبيا »
نظراتك السجواء تنسيني كآباتي ماليا
بسماتك الغراء تملأ عالمي زهرا نديا
لمساتك الزهراء تبعث في دمي نغما شجيا

إني ليحزنني سؤال الناس عن سري الدفين
فبحق ما بيني وبينك من هوى لا تسأليني

لا تسأليني إذ نكون مما هنالك في خميله
فتريني مستغرقا في الفكر آونة طويلة :
« ماسر هذا الفكر ؟ ما تلك الخيالات الجميله ؟ »
إني — وحبك — لست أدرك سره حتى أقوله
إني على رغمي أفكر ، ليس لي في الفكر حيله
أنا زورق في لجة الأفكار لا يدري سبيله

حيران يبحث دون ماجدوى عن الشط الأمين
فبحق ما بيني وبينك من هوى لا تسأليني

لا تسأليني : « هل تراك تقول هذا الشعر عني ؟
أتراك ترفعه إلي ، وتستمد الوحي مني ؟ »
إني من الغيد الملاح الفاتنات أخذت فني
من كل فارعة القوام ، وكل بارعة التثني
إن حدثت ، فحديثها في الروح لحن أي لحن
وإذا بدت ، فكأنها فجر الربيع بدا يغني

يا منيتي أنا بلبل يشدو على كل الغصون
فبحق ما بيني وبينك من هوى لا تسأليني

لا تسأليني أن أراك ، وأنت في حضن الضياء
إن الضياء يذيع أسرارا نحن إلى الخفاء
إني لأهوى أن أراك ، وأنت في ظل المساء
فالليل عند ذوي القلوب يزيد في سحر النساء
والليل لحن ساحر الأنغام ، مسحور الأداء
والليل قيثار تداعبه ملائكة السماء

هذي مناي أذعتها بيضاء سافرة الجبين
فإذا فهمت حديثها ، فمساك ألا تسأليني

لا تحرجيني بالسؤال ؛ فقد يحيرني الجواب
ما كل شيء في الضمير يبين معناه الخطاب
ومن الأماني ما يبينه الحياء والاضطراب
وأرى المعاني كالنساء ، فبعضهن له نقاب
وأرى العيون لها حديث ليس يخطئه الصواب
تبدي السرائر مثلما يبدو من الكأس الشراب

فتعرفي بالروح روحي ، وافهمي لغة العيون
وبحق ما بيني وبينك من هوى لا تسأليني

إبراهيم محمد نجا

من الأدب البرازيلي

ترجمة الأستاذ شفيق معلوف

شراعان

طريقك غير طريقي وروحـ	ـك رائدها لم يعد رائدي
شراعان نحن فسيري ولا	تعودي فما أنا بالعائد
يرانا القريب فيدرك بعد	شراعك عن زورقي الشارد
وأما البعيد فيحسب أنا	شراعان في زورق واحد

« جودس ازغور وغوتا »

(البقية على الصفحة التالية)

الأدب والفن في أسبوع

القومية العربية حتى تكوين الجامعة :

كانت المحاضرة الأخيرة للأستاذ ساطع الحصرى هى : « نشوء الفكرة القومية فى البلاد العربية منذ الحرب العالمية الأولى حتى تكوين جامعة الدول العربية » ؛ وقد ألقاها يوم السبت فى الجمعية الجغرافية الملكية ، تختم بها بحثه القيم فى نشوء القوميات فى بعض البلاد الأوربية وفى تركيا وفى البلاد العربية ، وقد استعرض فى كل هذه البلاد الحوادث والتيارات الفكرية الدالة على أن القومية نشأت وتكونت فى كل منها على أساس اللغة والتاريخ .

وقد أشار فى بدء هذه المحاضرة إلى الاتفاق الذى تم قبيل الحرب العالمية الأولى بين العرب والأتراك ، والذى يقضى بجعل التعليم فى المدارس باللغة العربية بدل التركية وبإشراك العرب فى بعض المناصب والهيئات النيابية ، فقال إن هذا الاتفاق قوبل بالارتياح من الجانبين ، ولكن التيارات السياسية المختلفة ظلت آخذة فى مجراها ، وجدت حوادث منها الانتقام من زعماء العرب واضطهادهم ، مما بث فكرة الثورة فى نفوس العرب ، حتى حانت الفرصة ، وقامت الثورة العربية فعلا ضد الدولة العثمانية ، وتقدم الجيش العربى إلى سوريا ، وكان يساعده الإنجليز والفرنسيون ، وتكونت دولة عربية فى قلب سوريا ، فقوى الشعور بالقومية العربية وبلغ الحماس لها أشده ، وغذاها الكتاب والشعراء .

ولما انتهت الحرب كان الانتداب الفرنسى من قسمة سوريا ولبنان ، فأخذت فرنسا تعمل على إضعاف القومية العربية بالطريقة التى تتبعها فى شمال إفريقية ، فكما كانت تقول لأهل تونس والجزائر ، إنهم ليسوا عرباً ، وإنما هم من سلائل الرومان ، وتمنع التعليم باللغة العربية وتقصره على الفرنسية فيما عدا القرآن ؛ كذلك كانت تصنع مع السوريين ، وخاصة المسيحيين منهم الذين كانت تقول لهم إنهم من سلالة الصليبيين ؛ وعلى الرغم من كل ذلك وغيره من الوسائل ظلت القومية العربية متمكنة من نفوس العرب فى سوريا ولبنان . أما فى العراق فلم تقاوم الفكرة العربية ، لأن الإنجليز كان أكبر اهتمامهم موجهاً إلى الاستراتيجية والشئون الاقتصادية ؛ واشتدت العروبة فى فلسطين لقوة الشعور بها أمام الصهيونية .

ثم قال الأستاذ : إن مصر كانت بعيدة عن الحركة العربية الأولى ، لأنها كانت فى شبه استقلال عن الدولة العثمانية ، وكانت اللغة الرسمية فيها العربية ، وكانت تنظر إلى الدولة العثمانية على أنها دولة الخلافة الإسلامية ، فهى تتجه إليها بعواطفها ، بل كانت تتطلع إليها للخلاص من الإنجليز ؛ ومن الغريب أن الأتراك الذين ينظر إليهم المصريون هذه النظرة — كانوا يحسدون المصريين على ما هم فيه من الحرية المفقودة عندهم ، لأنهم كانوا يعانون الاستبداد وتقييد الحريات .

ولكن مع مرور الزمن تنبه المصريون إلى الحقائق وأدركوا مرامى الفكرة العربية ، وشعروا بضرورة التقارب بين البلاد العربية ، وأخذ الأفراد والجماعات فى جميع البلاد العربية تسير نحو هذا التقارب بمختلف الرسائل ، حتى انتهى الأمر إلى شعور الحكومات بذلك ، فجعلت تتقارب ، حتى تكونت جامعة الدول العربية ، فأخذت الفكرة العربية بذلك صبغة رسمية .

ثم قال الأستاذ : إلى هنا ينتهى الجانب التاريخى ، أما ما بعده فهو الجانب السياسى لأنه كلام فى الحاضر ، وأنا أريد أن أتجاوز هذا الحاضر فأتنبأ بالمستقبل ، لأنى أرى الظواهر الاجتماعية

ضحك وبكاء

لئن بكى الطفل فى المساء تجد ... فى خده فجر لؤلؤ ضحكا
ويبسم الشيخ للضحى فترى ... غياب شمس فى مقلتيه بكى

« الفريدو ده اسيس »

الذكريات

كأنى بالذكريات ازدحمن ... على الصدر مختلجات الجناح
حمامات برج توارت وعادت ... إلى البرج مثخنة بالجراح

« الفريدو ده اسيس »

كالظواهر الطبيعية من حيث دلالة الأمور على ما تفضى إليه ، وقد صحت نبوءتى منذ نحو عشرين عاماً بأن مصر ستتحول إلى الفكرة العربية وتعتنقها — لذلك أستطيع أن أقول — بعد ما أذكركم بما لاحظناه فى المحاضرات السابقة من أن اللغة والتاريخ يدفعان إلى القومية حتماً — بأن جامعة الدول العربية ما هى إلا بذرة وخطوة فى سبيل كالتى سارت فيها الإمارات الألمانية ...

تأبين الجميل باشا :

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الأحد حفلة تأبين لعضوه المغفور له انطون الجميل باشا بدار الجمعية الجغرافية الملكية ، فافتتح الحفل الدكتور فارس نمر باشا بكلمة قصيرة نائباً عن الرئيس الذى لم يحضر لانحراف ألم بصحته . ثم ألقى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى كلمة ضافية تتبع فيها مراحل حياة الفقيد وعمله فى خدمة الأدب والصحافة ، وأفاض فى بيان مزاياه وصفاته الخلقية الكريمة .

ثم ألقى الأستاذ على الجارم بك قصيدة متينة التركيب عالية البنيان ، وأستطيع أن أصفها بغير ذلك من جزالة اللفظ ووفرة المعنى والاستعارة والخيال ، ولكنى آخذ عليه قوله :

نسى الشعر فى صراع الرزايا رنة الكأس والغزال الأغنا
شغلته مآتم ونعوش عن هوى زينب وعن وعدلبنى

فإن مجرد ذكر الكأس المرنة والغزال الأغن وهوى زينب ووعد لبنى — لا يتفق والمقام

وبعد قصيدة الجارم بك ختم نائب الرئيس الحفل بشكر الحاضرين .

المحندأ والمبهوأ :

اتخذت إحدى المجلات من هاتين الكلمتين مقرونتين بالمجمع اللغوى ، عنواناً وموضوعاً للتفكهة ، لما يبدو بين الكلمتين العاميتين وبين مجمع اللغة العربية من المفارقة والغرابة ، وطاب للمجلة — على أسلوبها — أن تتندر بأن أعضاء المجمع يدعون إلى استعمال بعض الألفاظ العامية دون اعتبار لما ورد فى المعاجم من فصيح اللغة ، وأوردت بعض أقوالهم فى ذلك .

وحقيقة الأمر أن مؤتمر المجمع كان يناقش البحث الذى قدمه إليه الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك فى « العامية والفصحى » والذى يرى فيه وجوب دراسة اللغة العامية لأنها لغة قائمة فى حياتنا دراسة تعين على تعزيز الفصحى ببعض الكلمات العامية المحرفة عن العربية ، وذلك بردها إلى أصلها ، لأن هذه الكلمات يجملها شيوعها محاطة بهالة تحدد معناها ، فيكون ذلك كسباً كبيراً للغة الفصحى .

وقال الأستاذ أحمد أمين بك فى مناقشة هذا الموضوع :

« تستعمل اللغة العامية كلمات لها معان محددة لا نستطيع التعبير عنها فى الفصحى تعبيراً دقيقاً ، فقد عرضت على المجمع من قبل كلمة « Echantillon » فترجمت بـ « نموذج » إلا أن هذه الترجمة ليست دقيقة فى أداء المعنى وأن كلمة « عينة » العامية تدل على هذا المعنى دلالة تامة . وقد رأى المجمع أن صياغتها عربية فوافق عليها . وإذا قال العامة « بيت محندأ » أى ضيق فى جمال ، و « بيت مبهوأ » أى واسع فى غير نظام فإن الدلالة العامية أدق من الدلالة العربية وهى ضيق وواسع ، فلو وجدنا أنفسنا فى حاجة إلى مثل هذه الكلمات وليس فى الفصحى ما يطابق معناها مطابقة دقيقة فلا مانع من إدخالها فى اللغة العربية بعد ردها إلى الصيغ العربية » .

وقال الدكتور طه حسين بك « فى العامية ألفاظ عربية فصيحة تغير النطق بها مثل « السيدة » و « الست » فالسيدة عربية والست عربية أيضا ولكننا حين نبحث فى القاموس لا نجد لفظة « الست » مع أننا نعلم أن من بين نساء العرب من تسمى بـ « ست الكل » و « ست الملك » .

وقال منصور فهمى باشا : « لقد عثرت على كلمتى « جوانى » و « برانى » الدارجتين فى اللغة العامية وأصبحت أستعملها فى الفلسفة » .

والمتأمل فى هذا الموضوع يجد له ناحيتين : الأولى البحث

عن الكلمات العامية المنحرفة عن الفصحى وردها إلى أصلها . وهذا عمل صالح من غير شك ، فنحن ورثة اللغة العربية وسلائل العرب ، وأكثر ما يجرى على ألسنتنا له أصول وجذور فى لغة أجدادنا ، ولست أرى جريه على الألسنة ابتذالا له ، بل هو يكسبه ظلالا وأطيافا نستطيع أن نجمعها إلى الفصاحة برد الكلمة إلى الفصحى . والناحية الثانية أخذ كلمات من العامية لمعان لا نجد لها فى العربية ألفاظا تفى بدقة التعبير وفاء تلك الكلمات العامية . ويمكن رد هذه الناحية إلى الأولى وإقفال هذا الباب المؤدى إلى خطر العجمة . وهنا تظهر فائدة الدراسة التى قال بها فريد بك ، فإننا نستطيع بها تعرف الأصل العربى لكثير من الألفاظ العامية فنقضى بها حاجات التسمية والتعبير ، وترجع إلى أمها الفصحى كما يرجع الغائب إلى أهله .

ونأخذ مثلا هذه الألفاظ التى مثل بها حضرات أعضاء المجمع فكلمة « عينة » التى رأى المجمع صياغتها عربية فوافق عليها كان يمكن إقرار كلمة «عينية» بدلها ، فهذه مصدر مصنوع من كلمة « عين » بمعنى نفس الشيء ، وهى نص فى المعنى المطلوب ، ولا حاجة مع هذا إلى التخريج الذى لجأ إليه المجمع فى كلمة «عينة» وما أرى « المحندأ » إلا مأخوذاً من « حندوقة العين » وهذا الأخذ مبنى على تشبيه الشيء «المحندأ» بالحندوقة فى الجمال والصغر والاستدارة . وما أرى « المبهوأ » إلا من « البهو » بما يدل عليه من السعة وبعثرة الأثاث فى جوانبه . أما « الست » فهى كلمة مولدة بالتحريف عن « السيدة » وقد وردت كثيراً فى كلام المتأخرين ، وأما « جوانى » و « برانى » فقد أوردهما الصرفيون فى المنسوب على غير قياس .

هـذا وقد قرر مؤتمر المجمع إحالة ذلك البحث إلى لجنتى « اللهجات » و « الألفاظ والأساليب » ، ومما يذكر أن اللجنة الثانية أنشئت أخيراً فى المجمع ، أما لجنة اللهجات فهى موجودة منذ إنشائه ، ولم تنجز شيئاً إلى الآن ، وأرى أنها تستطيع أن تثبت وجودها وفائدتها بتنظيم دراسة الموضوع الذى نحن بصدده للوصول إلى نتائج عملية فيه ، كما أرى أن هذا أجدر بجهودها من الدراسات اللغوية التاريخية التى هى أليق بالمعاهد والجامعات .

حق المؤلف :

وافق مجلس الجامعة العربية على مشروع القانون الذى وضعته اللجنة القانونية لحماية حق المؤلف ، وأوصى مجلس الجامعة حكومات الدول العربية باتخاذه فى كل منها .

وقد بين المشروع الذين يتمتعون بحماية هذا القانون ، وهم مؤلفو المصنفات المبتكرة فى الآداب والفنون والعلوم أيا كانت قيمة هـذه المصنفات وبصرف النظر عن استعمالها أو الغرض من تصنيفها . وتشمل هذه الحماية المصنفات التى يكون مظهر التعبير عنها الكتابة أو الصوت أو الرسم أو التصوير أو الحركة . ويعتبر مؤلفاً الشخص الذى ينسب إليه المصنف عند نشره . ويتمتع بالحماية من ترجم مصنفاً إلى لغة أخرى ، ومن قام بتحويل مصنف من ضرب من ضروب الأدب والفنون إلى ضرب آخر ، أو من قام بتلخيصه أو تحريره بما فى ذلك كل صور إظهار المصنفات الموجودة بشكل جديد ، ولا تخل هـذه الحماية بحقوق مؤلفى المصنفات الأصلية وللمؤلف وحده الحق فى تقرير نشر مصنفه ، وفى تعيين طريقة هذا النشر ، وله أيضاً الحق فى استغلال مصنفه ماليا بأية طريقة يختارها ، وله كذلك الحق فى أن يجيز نقله إلى الجمهور بأية وسيلة كانت ، ولا يجوز لغيره أن يباشر شيئاً من ذلك إلا بإذن كتابى منـه . ولا يجوز نقل الروايات المتسلسلة أو القصص الصغيرة وغيرها من المصنفات الأدبية أو الفنية أو العلمية ، التى ينشرها مؤلفوها فى الصحف أو النشرات الدورية إلا بإذن منهم .

وتضمن القانون عدا ذلك مواد أخرى وتفصيلات لحالات مختلفة فى التأليف الموسيقى والسينمائى وغير ذلك ، كما بين حقوق ورثة المؤلفين .

وقد بين أيضاً جزاء المخالف لأحكامه ، وهو الحبس لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر وبغرامة لا تزيد على مائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين ، عدا ما تقضى به الحال من التعويضات .

العباس



أكذوبة فظيعة:

سامحك الله يا أستاذ طنطاوى على اتخاذك من الأكاذيب موضوعاً للكلام الفلسفى فى « حكمة القدر » .

سامحك الله مرة أخرى على تصديقك « الأكذوبة الفظيمة » أكذوبة سقوط ابنتى من شرفة الطابق الخامس وقد بلغت سالمة ولم « تعجنها السقطة عجنا » .

الا تعلم يا صاحبى أنى قاص ألفق الحكايات فأنفخ فى الممكنات من روحى فأصيرها خلقاً سوياً من جسد وروح ؟ أليس من حق القاص أن يتذرع بالأكاذيب علهبها يدرك « حكمة القدر » ؟

قد تعرف يا صديقى أنى كنت أتفرد فى حبك الأكاذيب سواء فيما كتبت ونشرت فى النقد الأدبى ، وفى كتابة القصة ولم أشرك فى تلفيق أحداً ، أما فى هذه المرة ، فإنى أعترف لك بأنى لم أكن — ويا للأسف — الملفق وحدى لأكذوبة سقوط ابنتى « الحلوة » حقاً من شاهق ، بل اشترك فى توشيتها وتنميقها وتنسيقها وعرضها حتى وصلت إليك على النحو الصحيح الذى أذعته ثم نشرته فى « الرسالة » بل اشترك معى فيها .

١ — جيران بيتى وفيه من الطوابق خمسة ومن « الشقق » ثلاثون شقة فمن هؤلاء الجيران من رأى الحادث رأى العين ، ومنهم من سمع به .

٢ — رجال الأسعاف وقد نقلوا ابنتى إلى مستشفى قصر العينى

٣ — أطباء قصر العينى وقد آووها عندهم مدة يومين كاملين

٤ — رجال بوليس قسم الأزبكية وقد أجروا تحقيقا لمعرفة أسباب السقوط بمحضر رقم (٣٢٥) .

٥ — رجال النيابة وقد حفظوا القضية بنمرة (٩٨٣٠) .

٦ — وأخيراً أطباء مستشفى عانوس وقد عالجوا ابنتى وقد أصيبت بارتجاج فى المخ وقد زال بحمد الله بعد عشرة أيام .

هؤلاء كلهم اشتركوا معى فى تلفيق هذه الأكذوبة التى لا تنطبق حقاً على ناموس الجاذبية ، ولا على القانون الطبيعى ، ولا على أساطير العجائب والمعجزات ، بل ربما تنطبق على « حكمة القدر » .

حبيب الزحلاوى

النساء ملائكة:

عندما صخب أمراء فرنسا ورجال الاقطاع فيها فى دار ندوتهم على الوزير العظيم الكردينال « ريشيليو » وانهالوا يسلقونه بألسنة حداد ، استمع الوزير لصخبهم وضجيجهم فى هدوء المطمئن ، الواثق من نبل غرضه ، وشريف قصده ، وعندما استهل كلامه رداً على ما جاء على ألسنتهم من هجر القول وفحشه قال : « أكثروا من الشتائم واتخذوا منها أكة فلن تدركوا مقدار إشفاقى عليكم » ثم استمر يتحدث فى صلب الموضوع وصميمه دون الدخول فى مهاترة أو إسفاف . ووالله لا أجد ما أستهل به ردى على الأستاذ الكريم أحمد الشرباصى المدرس بمعهد القاهرة الثانوى ، خيراً مما استهل به الكردينال حديثه . ثم أداف إلى الصديق أعاتبه ، وإلى العالم أحاسبه ، فى هدوء المؤمن بمبدئه والعامل على تنفيذه وما أقصد غير وجه الحق وحده .

لقد شغلك يا صديقى ألوان الصور وجمال المناظر ، عن التعمق فى درس ما بين سطور كتاب « النساء ملائكة » من أغراض نبيلة ، ومبادىء جليلة وآراء . هى كلها دعامات للأخلاق الحميدة . فكم فيه من دفاع عن الفضيلة وكؤوس مترعة بالخمر البريئة ، يستقيها الظمآن فتتشرب نفسه ما فيها من حلال زلال .

وبقدر ما راعتك الصور التى أخرجتك عما أعرفه فيك من هدوء ، وأعهده فيك من إنصاف ، بقدرما أهملت أيها الأخ الصديق تصفح الكتاب ومحاولة نقده نقداً عادلا أرتضى حكمك بعده ، فتصفح الكتاب ، وأنا راض بعد ذلك بحكمك ، ومتقبل نقدك . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

محمود يوسف
الأمين بدار الكتب المصرية

الفوغاء :

فى العدد(٧٦٠)من الرسالة الغراء ، تساءل الأستاذ أبوماضى عن رأى الأدباء فى ورود كلمة «الفوغاء» مؤنثة فى الفقرة (٦٦١) من نقـل الأديب ، مع أن المفهوم أن لفظ « الفوغاء » مذكر ، وأن همزته ليست للتأنيث الخ .

غير أن هذا الذى يعتبره الأستاذ أبو ماضى مفهوماً لاخلاف فيه ليس هو كل شىء فى الموضوع

فقد جاء فى اللسان : الغوغاء ، الجراد إذا احمر وانسلخ من الألوان كلها ، وبدت أجنحته ... الجراد أول ما يكون سروة ، فإذا تحرك فدباً قبل أن تنبت أجنحته ، ثم يكون غوغاء وبه سمى الغوغاء ، والغاغة من النـاس . وهم الـكثير المختلطون .. يذكر ويؤنث ، ويصرف ولا يصرف ... فمن صرفه وذكره جمله بمنزلة قمقام والهمزة بدل من واو ، ومن لم يصرفه جعلـه بمنزلة عوراء . قال أبو العباس : إذا سميت رجلا بغوغاء فهو على وجهين : إن نويت به ميزان حمراء لم تصرفه ، وإن نويت به ميزان قمقاع صرفته .

وجاء فى تاج العروس : الغوغاء الجراد ، يذكر ويؤنث ، ويصرف ولا يصرف ، هو أولا سروة ، فإذا تحرك فدباً ، فإذا نبتت أجنحته فغوغاء . كذا فى التهذيب .

وقال الأصمعى : والغوغاء الـكثير المختلط من الناس ، سموا بغوغاء الجراد على التشبيه .

وفى نوادر قطرب : مذكر الغوغاء أغوغ ، وهذا نادر غير معروف . ومما تقدم نرى أن كلمة الغوغاء تذكر وتؤنث وتصرف ولا تصرف وأن همزتها مختلف فيها بين أن تـكون منقلبة عن الواو وبين أن تـكون للتأنيث .

وبالغ قطرب فاعتبر الـكلمة مؤنثة بلا نزاع ، واخترع لها مذكراً ! هذا هو حـكم اللغة ورأى علماء اللغة ، فـلا حرج على ابن السبكى إذا أنث « الغوغاء » فى طبقات الشافعية ، ولا تثريب على فقيد العربية النشاشيبى إذا نقل ذلك بلا تعقيب .

برهان الدين الداغستانى

« لن » لا تقتضى تأكيداً ولا تأبيداً :

قرأت بإعجاب ما كتبه الأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى معقباً على كلام صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا

غير أنه قد استرعى انتباهى فى كلام معاليه هذه العبارة «ولن كما يقرر النحاة هى أشد أدوات النفى للمستقبل إذ تنفيه نفياً باتاً فالقرآن يسـجل بصريح العبارة أن الاستطاعة مستحيلة أى أن العلة المتوهمة للتصريح بالتمديد لن تتحقق أبداً »

والذى أعلمه أن لن كما ذهبت إليه جمهرة النحاة لا تقتضى تأبيداً للنفى ولا تأكيداً ، ولم يقل بذلك إلا الزمخشرى فى كتابيه « الأنموذج والـكشاف » مستدلا على مذهب المعتزلة فى نفى رؤية الله تعالى حينما تعرض لتفسير الآية الـكريمة من سورة الأعراف « قال لن ترانى ولـكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى » حتى لقد صار كلامه فى لن مضرباً للأمثال فقال الأدباء « لن الزمخشرية » وإننى مع احترامى لألمعية الزمخشرى — أضع يدى فى يد النحاة وأذكر للرد على كلامه أدلة منها

١ — أنه لم يقم دليل على كونها للتأبيد

٢ — وأنها لو كانت كذلك للزم التناقض بذكر اليوم فى قوله تعالى « فلن أكلم اليوم إنسياً »

٣ — وللزم التـكرار بذكر الأبد فى قوله تعالى « قل لن تخرجوا معى أبداً » .

وأما التأبيد فى قوله تعالى « لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له فمن أمر خارجى لامن مقتضيات لن ، والله الموفق للصواب .

هارون محمد أمين



أسطورة الحب الخالد

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ ماجد فرحان سعيد

كان لأحد الملوك ثلاث بنات . وكان جمال الكبريين رائعاً ساحراً . أما الصغيرة فلقد تفردت بجمال عبقري يعجز البيان عن إيفائه حقه من الوصف الصادق البليغ . وتضوعت فتنة سحرها وجمالها حتى صار الناس يتوافدون عليها من كل صوب وحدب ليتمتعوا بمشاهدتها ، ويؤدوا لها فروض الاحترام الذى لا يليق إلا بفينوس — إلهة الحب والجمال .

وغضبت فينوس على هذا التمرد الذى بدا لها من الناس ، فهزت رأسها بسخط قائلة : « أمن المعقول أن تقوى هذه المخلوقة البشرية على إهدار كرامتى واغتصابها ؟ اولكننى سأجعلها تتندم وتتمنى لو لم يكن لها ذاك الجمال الخارق ! » . ثم دعت ابنها كيوبيد — وهو كما نعلم إله الحب — واستثارته بشكواها قائلة : « كل ما أريده منك يا ولدى العزيز أن تعاقب بسيشى ، تلك الحسناء المتمردة ؛ أريد أن تنتقم لى منها انتقاماً يطفىء غلتى ؛ دعها مثلا تعلق بحب شخص حقير ، يذيقها من صنوف الإهانات أمرها وأقساها ! » . فتأهب كيوبيد لتنفيذ أوامرها ؛ وذهب إلى حديقتها الجميلة ، حيث يوجد نبعان ، أحدهما عذب ، والآخر ملح أجاج . وملأ من كل منهما إناء ، وأسرع به إلى مخدع بسيشى ، حيث وجدها نائمة ؛ وذرف على شفتيها بضع قطرات من الماء الملح ؛ ولكن منظرها الفاتن كان قد أثار فى قلبه آنذاك كوامن الحب والإشفاق . ثم وخز جانبها بطرف سهمه فاستفاقت مذعورة ، وفتحت عينيها لتشاهده ، إلا أنها لم تتمكن من رؤيته لأنه كان متخفياً . فاضطرب لحركاتها حتى جرح نفسه بطرف سهمه . ولكنه لم يعبأ بجرحه ، وكل ما كان يبتغيه أن يخفف من الضر الذى ألحقه بها ؛ ولذلك عاد فذرف على جرحها بضع قطرات من البلسم الصافى .

ولم تجن بسيشى نفعاً من سحرها وجمالها بعد أن حل عليها غضب فينوس ، لأن أحداً لم يتقدم إليها طالباً الزواج ، مع أن أختيها ، وهما لا تضاهيانها سحراً وجمالا تزوجتا منذ وقت طويل . وجلست الحسناء وحيدة فى مخدعها ، وسئمت هذه الوحدة حتى وهذا الجمال ، هذا الجمال الذى نالت به أكبر المدح والإطراء ولكنه عجز عن إيقاظ الحب فى القلوب .

وخشى أبواها أن يكونا قد أثارا سخط الآلهة ، ولذلك استشارا الكهان فى أمرها ؛ فعلما إذ ذاك بأنه كتب لها أن لا يكون زوجها من البشر ، وإنما هو وحش مروع ينتظرها على قمة جبل قريب . فملأت هذه الكلمات قلبيهما رعباً وحزنا ؛ ولكن بسيشى قالت لهما : — « ولم تنتحبان على الآن ؟ لقد كان أجدر بكما لو حزنتما عند ما كان الناس ينثرون على باقات الثناء الذى لا أستحقه ، حتى بلغ بهم إجلالى أن دعونى فينوس ! إننى أقدر الآن بأننى ضحية ذلك اللقب ؛ هيا إذا أوصلانى إلى الجبل الذى سألقى عليه حظى العازب ! » .

وتمت جميع الترتيبات ؛ وأخذت الحسناء مكانها فى الموكب المتوجه إلى الجبل ، ما بين نحيب الناس وعويلهم . وهناك تركوها وحيدة ، وعادوا إلى بيوتهم .

وقفت الحسناء على حافة الجبل بقلب لاهث من شدة الخوف ، وعينين محمرتين من كثرة الدموع . وإذا بالريح الغربية اللطيفة تأتى وتحملها إلى واد مزهر . وهناك ألقت بنفسها على الضفة الخضراء ، واستسلمت للنوم . ولما استفاقت نظرت حولها ، وإذا بها ترى حديقة غناء ضفرت على حفافى ممراتها أكاليل من الخضرة الزاهية ؛ فدخلتها ، ودهشت إذ رأت فى وسطها نبعاً تفيض منه مياه بلورية صافية ، وبالقرب من النبع قصراً بهياً ، أعمدته ذهبية لامعة ، وجدرانه مرصعة بالرسوم والنقوش البديعة التى ترتاح لها العين ، وتنعم القلب بالبهجة والسرور .

وعندما توغلت فى الحديقة ، رأت غرفاً وقاعات فخمة ، تغص بالكنوز الثمينة وبثمرات الفن الرفيع والطبيعة الخلابة .

وإنها لكذلك ، إذ بها تسمع صوتاً يخاطبها قائلا : « أيتها الفتاة الفاضلة ! إن كل ما ترينه ملك لك ! وإنما الأصوات التي تسمعينها أصوات جواريك اللواتي ينتظرن تنفيذ ما تأمرين به . فإذا ما أردت الاستراحة فهناك على فراشك الوثير ؛ أما العشاء ، فإنه ينتظرك في الخميلة المجاورة » .

وفعلت الحسناء كما أشير عليها ؛ فبعد أن استراحت جلست في الخميلة ، حيث وجدت مائدة ممدة ، عليها من المأكولات ألذها ، ومن الخمور أجودها . كما وإنها شنفت أذنيها لسماع الألحان العذبة التي كانت تعزفها فرقة موسيقية خفية .

ولكنها حتى ذلك الوقت لم تكن قد رأت زوجها الموعود ، لأنه كان يأتيها في ساعات الظلام ، ويغادرها قبل انبثاق الفجر . ولطالما تضرعت إليه أن يمكث عندها لتتمكن من مشاهدته ؛ ولكنه لم يكن ليوافق أبداً ، بل كثيراً ما كان يقول لها : — « ولم ترغبين في مشاهدتي ؟ هل تشكين في حبي لك ؟ إنني أخشى إن رأيتني إما أن تخافي مني ، أو أن يستحيل حبك لي عبادة حارة ؛ وكل ما أرجوه أن تقابليني بمثل حبي ! » .

وكأن هذا الجدال قد هدأها مدة من الزمن ، لا سيما وقد استمرأت تلك السعادة التي رتعت فيها . ولكنها عندما كانت تخلو بنفسها ، كانت تحن إلى أبويها وأختيها . وفي إحدى الليالي طلبت من زوجها أن يسمح لأختيها بزيارتها . فمنحها ذلك الطلب عن طيبة خاطر .

وأمرت الحسناء الريح الغربية بإحضارهما . فأقبلتا في الحال ، وعانقاها وتبادلن القبل مراراً . ثم دعتهما لدخول مخدعها والقصر الذهبي ، وأرتهما هناك كنوزها العديدة . فلما شاهدتا ما هي عليه من النعمة ورخاء البال ، بدأ الحسد ينخر في صدريهما . ولما استدرجتاها إلى الاعتراف بأنها حتى ذلك الحين لم تكن قد رأت زوجها ، بدأتا تنوبانها على خيانته ، وتوغران صدرها بشتى أنواع الشكوك ؛ وفي ذات مرة قالتا لها : — « أنسيت ما تنبأ به الكهان من أن زوجك ليس إنساناً ؟ ! إنه وحش مريع يغذيك الآن بكل لذيذ ليأكلك في النهاية لقمة سائغة ! فاعملي يا أختاه بنصيحتنا ؛ جهزي نفسك في الحال بمصباح وسكين حادة ؛ وعند ما يكون زوجك غارقاً في نومه ، أشعلي المصباح ، واقتربي منه ، وقفي بنفسك على حقيقة حاله . فإذا تأكدت من صحة ما نقول ، فلا تتواني دقيقة في قطع رأسه لتتخلصي منه ! »

وقاومت بسيشي هذا الإغراء في بادىء الأمر ؛ غير أنها استسلمت له في النهاية . وما إن أضاءت المصباح واقتربت من زوجها ، حتى شاهدت بدلا من الوحش المخيف الذي حذرت منه ، إلاها جميلا ساحراً ، تتدلى على رقبته العاجية ووجنتيه الوردتين ، ضفائر ذهبية من الشعر ، وينتصب على كتفيه جناحان نديان أبيضان ، عليهما ريش لامع كنوار الربيع .

وعندما أدنت المصباح من وجهه ، سقطت على كتفه قطرة من الزيت الساخن فاستفاق إذ ذاك مذعوراً ، وحدق فيها برهة ، ثم أطلق جناحيه للريح ؛ وطار من النافذة دون أن يفوه بكلمة واحدة . وعبثاً حاولت بسيشي أن تلحق به ؛ فلقد سقطت من النافذة على الأرض . وعندما رآها كيوبيد تتمرغ بالتراب ، توقف عن طيرانه ورجع إليها ثم قال : — « أ كذا تقابلين حبي أيتها البلهاء ؟ أهكذا ، بعد أن عصيت أوامر والدتي واتخذتك زوجة لي ، تذعنين لإغواء أختيك وتحاولين قتلي ؟ ولكن ارجعي إليهما وافعلي ما تشائين ! واذكري أنني لن ألحق بك أي قصاص سوى أن أهجرك إلى الأبد ؛ إذ كيف يمكن للحب أن يأوي ما بين الشكوك ؟ ! » وما كاد ينهي كلامه حتى طار بعيداً وتركها مستلقية على الأرض تملأ المكان بعويلها ونحيبها .

واستعادت الحسناء بعض رشدها ونظرت حولها ، وإذا بالقصر والجنان قد تلاشت واختفت ؛ ووجدت نفسها على مقربة من مسكن أختيها . فقصدته ، وقصت عليهما ما حدث . فتظاهرتا بالحزن والإشفاق ، ولكنهما قد ابتهجتا داخليا ، وظنتا بأنه من الممكن أن يختار كيوبيد إحداهما بدلا منها . غير أنهما لم تجهرا بتلك الخطة ، بل صعدتا في الصباح التالي إلى الجبل ، ونادتا على الريح الغربية لكي تحملهما إلى كيوبيد . فلما قفزتا في الهواء ، سقطتا في الهاوية وقضى على حياتيهما .

أما بسيشي ، فقد أخذت تهيم على وجهها ليل نهار ، باحثة عن زوجها . فوقعت عيناها على رأس جبل شامخ ، يطل من فوق حاجبه هيكل بهي ، فتنهدت وقالت في نفسها : — « أليس ممكنا أن يكون حبيبي هناك ؟ ! » . وأسرعت صوب قمته . وما كادت تدخله حتى رأت فيه أكواماً كبيرة من الحنطة والشعير ، نثرت حولها المناجل وآلات الحصاد . وأرادت أن تسترضي فينوس ، ولذا عمدت إلى فصل هذه الأشياء بعضها عن بعض . فلما رأتها سيريس — إلهة الحصاد — منهمكة في العمل ، خاطبتها قائلة : « مسكينة أيتها الفتاة ! ولكن

لا تكتئبي ، فسأرشدك إلى طريقة تهدئين بها غضب فينوس . إذهبي إليها ، وأظهري لها كل خضوع واحترام ، تنالي عفوها ، وتسترجعي زوجك المفقود» فوافقت بسيشي على هذا ، وتوجهت إلى هيكل فينوس . فلما رأتها الإلهة ، لمت عيناها ببارق من الغضب ، وقالت : — «أتذكرين الآن فقط بأنني سيدتك ، أم جئت ههنا لتزوري زوجك المريض؟ سأختبرك الآن لأرى ما إذا كنت صالحة لأن تكوني زوجة له ! » ، وأمرت أن تنتبه إلى مخازن الهيكل حيث توجد كميات كبيرة من القمح والشعير والفول والذرة ، وقالت لها : — «أريني اجتهادك الآن في فصل هذه الحبوب ، بعضها عن بعض ، على أن تنتهي من ذلك قبل حلول المساء ! » . فلما أجالت بسيشي النظر فيما حولها ، وقفت بدهشة ويأس وذهول أمام تلك الكومة الكبيرة التي تحتاج إلى عمل مضن طويل . وأثار كيوبيد الشفقة في نفوس جيش من النمل ؛ وإذ ذاك توجه به نحو الكومة حيث فصل كل نوع على جانب ؛ ثم اختفى كيوبيد ومن معه في أقل من طرفة عين .

وعند حلول الغسق ، جاءت فينوس تميس بقدها اللطيف ، وتتيه بتاجها المحلي بالزهور . ولما رأت العمل قد تم ، لم تصدق أن بسيشي هي التي أنجزته . ولذا عزمت على اختبارها مرة ثانية . فدعتها في الصباح التالي وقالت لها : «أترين تلك الحديقة الممتدة على حفافي النهر ؟ هناك ستجدين قطيعاً من الخراف ، عليها أصواف ذهبية لامعة . اذهبي في الحال وأحضري إلى عينات مختلفة منها »

وذهبت بسيشي إلى ضفة النهر عازمة على تنفيذ ما أمرت به ولكن إله النهر أوحى إلى الأقصاب النابتة على ضفتيه بنغمات موزونة انسابت تخاطبها قائلة : — لا تحاولي أيتها الحسناء أن تقتربي الآن من النهر لئلا يغمرك فيضانه العظيم ! ولا تقتربي أيضاً من الكباش لئلا تقتلك بقرونها الطويلة ! ولكن انتظري إلى ما بعد الظهر ، فيستريح القطيع تحت ظلال الأشجار وتستطيعي آنذاك أن تجوزي بأمان ، فتجدي قطع الصوف الذهبي عالقة على الأشواك وعلى جذوع الأشجار ؛ وما عليك آنئذ إلا أن تجمعيها وتعودي بها إلى سيدتك ! » فعملت بسيشي كما أشير عليها ، ورجعت ويداها مملوءتان صوفاً لامعاً براقاً . وللمرة الثانية لم تحظ بسيشي برضى سيدتها التي أرادت أن تختبرها في ما ستؤول إليه تجربتها الثالثة والأخيرة ؛ فقالت لها : — « خذي هذا الصندوق واذهبي به إلى پروزرباين — مليكة عالم الأموات — وقولي لها : إن سيدتي فينوس ترجوك بأن تضعي لها في هذا الصندوق شيئاً من جمالك ، كيما تستعيد بواسطته ما فقدته من حسنها وروائها في أثناء اعتنائها بابنها المريض ...

ولكن حذار من أن تتأخري عن الرجوع به قبل حلول المساء ! » . فظنت بسيشي أن هذا واسطة للقضاء عليها ، إذ كيف تستطيع الوصول إلى الظلال الجهنمية مشياً على الأقدام ؟ ولذا صعدت إلى برج عال لتقذف بنفسها عنه ، فتهبط إلى الظلال الخانقة في أقصر وقت . ولكن صوتاً من البرج صاح بها قائلا : « ولم تعمدين أيتها الحسناء إلى الانتحار بهذه الطريقة المزرية ؟ » ثم دلها الصوت على طريقة تستطيع بها أن تجوز إلى العوالم الجهنمية بأمان ؛ ولكنه حذرها من فتح الصندوق . فعملت بموجب إشارته ووصلت بسلام إلى قصر الإلهة پروزرباين حيث ملىء لها الصندوق بأثمن نوع من الجمال ، ثم أغلق وأعيد إليها ؛ فرجعت به قانعة مسرورة ؛ ولكن ألحت عليها في الطريق رغبة حافزة في فتحه ، لتأخذ شيئاً من الجمال الإلهي ، فتطلي به وجنتيها ، وتظهر أمام حبيبها بمظهر فاتن أنيق . وفتحته ؛ وبلغت بها الدهشة أقصاها عندما لم تجد فيه شيئاً من الجمال قط ، وإنما انبعث منه نوم جهنمي استولى عليها وأسقطها في الحال على قارعة الطريق .

أما كيوبيد فقد برح به الشوق للقاء حبيبته ؛ فذهب إليها ، وجمع النوم عن جسمها ، وأعاده إلى الصندوق ، وأيقظها بوخزة خفيفة من طرف سهمه ، ثم قال : « أهكذا يعود بك حب الاستطلاع فيغويك مرة ثانية ويكاد يودي بك إلى الهلاك ؟ ! ولكن ما عليك من بأس ؛ أتمي الآن فقط ما فرضته عليك والدتي ، وستنسى الماضي » ثم طار كالبرق وحلق في أجواء الفضاء ، وطلب من المشترى — إله السماء العظيم وملك الآلهة جميعاً — أن يتوسط لدى أمه لتوافق على زواجه من بسيشي وتباركه . ففعل المشترى كذلك وعند ما نال موافقتها ، أمر بإحضار بسيشي إلى القصر السماوي حيث قدم لها شراب الآلهة ثم قال : « تشربين منه فتصبحين خالدة وسيدوم زواجكما إلى الأبد ! »

وهكذا استطاعت بسيشي بعد أن طهرتها المصائب والتجارب من أدران الخطيئة أن تتحد مع كيوبيد ، وأن تنعم معه بسعادة الحب الخالد .

ماهر فرهاد سعيد

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم والإقامة في الوكاندات

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب إتفاق مع شركة لوكاندات الوجه القبلي واللوكاندات الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية إبتداء من ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ لغاية ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٨ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم والإقامة في اللوكاندات وتشمل هذه التذاكر الإقامة في اللوكاندات المبينة بعد .

إسم اللوكاندة	الدرجة	الأجرة الشاملة عن ٥ أيام و ٤ ليالى من القاهرة مليم جنيه
لوكاندة ونترپالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	١٤٠ و ١٧
لوكاندة كاتاركت بأسوان	« « «	٢٦٥ و ١٩
لوكاندة الأقصر بالأقصر	درجة أولى	٤٠٥ و ٩
لوكاندة جراند أوتيل بأسوان	« «	١٣٠ و ١٠
لوكاندة سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة	٥٢٥ و ٨
لوكاندة العائلات بالأقصر	درجة ثانية	٤٣٥ و ٦
لوكاندة المحطة بالأقصر	درجة ثانية	٤٣٥ و ٦

ويمكن الاستعلام عن كافة البيانات والشروط الخاصة بهذا الموضوع من :
محطات . مصر والأسكندرية وبور سعيد وبور توفيق وشركات السياحة المعتمدة وشركة عربات النوم وتوماس كوك وولده .

مطبعة الرسالة



العدد ٧٦٦ - الاثنين ٨ مارس ١٩٤٨ - السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٠ ، ٣٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 766 — Lundi — 8 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٧٦٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ٨ مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتي اليومية :

قصة فتـــاة

— ٣ —

الأربعاء ٩ مايو سنة ١٩٤٥ :

كلمتني ضحى اليوم بالتليفون تذكرني بموعدها عصر الغد بجروبي ؛ وتمتذر من هذا التذكير بأنها تخشى أن تكون استجابتي لمواعيدها في القاهرة كاجابتي عن رسائلها من العزبة . ولو لم يكن في مكتبي وهي تتكلم بعض المترمتين لقلت لها إن الأمرين في الحالين جدُّ مختلف ؛ فإن إجابتي عن رسائلها قد أصبحت من فضول القول بعد أن صارحتني بأنها تطلب الحب ولا تطلب المعرفة ، وتريد الغزل ولا تريد النصيحة ؛ ولكن استجابتي لموعدها أدب من آداب النفس المهذبة ، يزيد في الحرص عليه شوق إلى رؤية وجه يتجلي في اليقظة بعد أن تمثل لي طويلا في الحُلم ، ثم أملي أن ينجح في كبحها اللسان بعد أن فشل في كبحها القلم . ولقد استخفني علم الله صوتها الوسيق في السماعة فهممت أن أطلب منها تقديم الموعد يوماً ولكنني لم أفعل ؛ لأني أكبر نفسي أن تخضع في أية حال لهواها ، ولأني أوثر أن أقرأ ما بقي من رسائلها قبل أن ألقاها .

حملتُها على قطع الحديث بأجوبتي البطيئة المقتضبة ، لأن الجالسين إليّ كانوا قد كفوا عن حديثهم وجملوا بالهم لحديثي ، وما أدري أكان ذلك منهم اتباعاً لأدب السلوك أم استطلاعاً لحديث امرأة ! وضمت السماعة وعدت إلى زوّاري الأكرمين أناقلهم أحاديث الأدب وأراجيف السياسة ، حتى انفض المجلس وخلا المكتب فنشرت بين يديَّ ما عثرت عليه ليلة الأمس من بقايا رسائلها الحمر ، وأخذت أصفحها ورقة ورقة فأُلقي المكرر أو السخيف ، وأبقي المفيد أو الطريف . ثم رَجعت النظر فيما استبقيت فلم أجد غير رسالتين اثنتين تستحقان التلخيص والتسجيل ، وتستأهلان التعليل والتحليل ، فأثبتهما ملخصتين في صفحة هذا اليوم من مذكراتي ، لتكونا تكملة لصورتها وتغذية لتصوراتي .

قالت الآنسة في رسالتها ما ترجمته : « مالك تبتعد عني متراً كلما دنوت منك فتراً ؟ لقد أوصدتَ بابك دوني ثم تركتني أطرقه وأطارقه حتى أصم أذنيّ الطرق وأنت لا تجيب ! هل تجد في ردك على رسائلي إحراجاً لك أو إزراء بك أو تبعة عليك ؟ إن كنت لا تحبني — كما أعتقد — فهلا تظاهرت لي بالحب إشفاقاً على هذا القلب الذي يحترق ولا يجد بَرده إلا فيك ، ويذوب ولا يرى مساكه إلا بك ! كان يقنعني منك أن تحبني بالكلام حتى لا تظل موجة حبي حائرة في الفضاء لا تجد جهاز استقبال ولا أذن مستمع ! لقد تركتني بسكوتك عني أشبه بالمصوِّت في المفارة لا يسمع غير الصدى ، أو المنقطع في المفازة لا يجد غير السكون ! أريد أن أعرف هذا المجهول وأستدني ذلك البعيد ! يخيل إليّ أحياناً أنه يناديني في زفيف الريح ،

أو يقبلنى فى انعطاف الغصن ، أو يعانقنى فى لين الفراش ، فأرهف أذنى ، أو أعرض خدى ، أو أنصب صدرى ، فلا أحس وا لهفتاه إلا الرهبة والعزلة والفراغ ! دعنى أبحث عنه فى كل مكان ، وأتصوره فى كل إنسان ، ما دمت لا ترسله إلىّ بالبريد !

دخلت الاصطبل ذات صباح فرأيت الحلاّبة تحلب إحدى الجواميس ، فطاب لى أن أرى هذا المنظر ، وقام بى أن أجرب هذا العمل ، فأخذت الوعاء من فوق ركبة الحلابة ، وجلست القرفصاء تحت بطن الجاموسة ، وقبضت بيمناى على حلمة من حلمات الضرع وجذبتها إلىّ فشخب اللبن حاراً فى يدى . ولذّ لى لسبب لا أدريه أن أمعن فى غمز الحلمة وعصر الضرع وحلب اللبن ، شخباً فى الإناء وشخباً فى الأرض ، وقد دب فى بدنى رعشة خفيفة ، وسرى فى دمى نشوة لطيفة ، وجرى فى نفسى إلى الرجل المشتَـهَى نزعة قوية ! ولا أدرى ما الذى ربط فى ذهنى بين حلب اللبن وشهوة الحب ، ولا بين رؤية الجاموسة وذكرى الحبيب . ولكن ذلك كان وإن جهلت كيف كان . ولا يزال الشوق إلى هذه اللذة يعاودنى فأذهب إلى الاصطبل فى الصباح والمساء ، حتى غدوت أبرع من يحلب فى العزبة من الرجال والنساء !

ما ذا تصنع الفتاة الوحِدَة يا (حبيبى) لتهدىء قلبها الثائر ، وترضى هواها الطموح ، وتملأ فراغها الموحش ؟ أخى لا يترك الدوار ولا يتكلم إلا فى الزرع والضرع ، وزوجه لا تفارق الدار ولا تتكلم إلا فى الطهى والغسل ، وأنت لا تدع الصمت ولا تتكلم إن تكلمت إلا فى الفضيلة والفضل ! أما الكلام الذى يمتزج بالنفس ويأتلف مع الشعور فلا أسمعه إلا فى هتاف حمامة لإلفها ، أو حمحمة فرس لسائسها ، أو غمغمة بقرة لولدها ، أو تحية ابن البستانى لى وهو ذاهب إلى الحديقة أو عائد منها . وابن البستانى فتى ريان الشباب ، وثيق التركيب ، على وجهه وسامة ، وفى عينيه ملاحة ، وعلى شفتيه جاذبية . يجىء أباه فى أكثر الأيام ليعاونه فى أعمال الحديقة ؛ فكنت كلما رأيته تمنيت أن أديم النظر إليه وأطيل الحديث معه ؛ ولكن الفروق الاجتماعية التى بينى وبينه كانت تكسر من طرْفه وتعقل من لسانه فلا ينظر إلا خُلسة ولا يتكلم إلا جمجمة . دعوته ذات مرة ليقطف لى رمانة لم تصل إليها يدى ولا بحنانى ؛ فلما قطفها وقدمها إلى وقف ينتظر أمراً آخر ؛ فقلت له بعد أن جسست بعينى نوافذ الدار وممشى الحديقة : تعال نقطف باقة من الزهر ، ونجنى سلة من الثمر . فمشى الفتى بجانبى على استحياء وحذر ، فأردت أن أزيل احتشامه فسألته فى لهجة تسيل أنوثة وعذوبة : أمتزوج أنت أم خاطب ؟ فقال والخجل يضرج محياه : خطبوا لى يا سيدتى ابنة الخولى ، وستزف إلىّ فى موسم القصب . فقلت له ضاحكة : إذن سيكون شهر العسل عظيما ! فنظر الصعيدى إلى مبهوتاً كأنه لم يدرك النكتة ولم يفهم الجملة ! فقلت له : وماذا تقول لفتاتك إذا خلوت بها ؟ فأجاب الفتى فى حرج ودهشة : وكيف أخلو بها قبل الزفاف يا سيدتى ؟ إنى أراها فى الحقل أو أقابلها فى الطريق أو ألمحها فى البيت ، فتنغض هى من طرفها ، وأشيح أنا بوجهى ، لكيلا تتلاقى النظرتان فنأمن مقالة السوء ونضمن دوام الخطبة . فقلت له وأنا أعبر بصوتى الممطوط عن الرثاء والشفقة : مساكين ! إن الخطبة عند المتمدنين تدريب وتجريب ومتعة . تدريب على الزوجية بالفعل ، وتجريب للشخصية بالخبرة ، ومتعة للنفس بالرقص والرياضة والرحلة . إذا كانت خطيبتك بخراء فكيف تعرفها بغير القبل ؟ وإذا كانت مُصنَّة فكيف تكشفها بغير العناق ؟ وإذا كانت مذياعة فكيف تمتحنها بغير الائتمان على (سر) ؟ سأمثل معك دور الخطيبة الحبيبة رحمةً بك وحناناً عليك ، وسأعلمك ما ينبغى أن تعمل ، وألقنك ما يجب أن تقول . وفى ظل شجرة غيناء من شجر التفاح أخرجت منديلى الرقيق فمسحت به ملاغم الفتى ؛ ثم جذبت بيدىّ جانبى رأسه ، ودسست شفتىّ فى زاوية فمه ؛ ثم وثّقت القبلة وعمقتها وطوّلتها وعرّضتها ، وكان الشاب قد صدمته المفاجأة فتصلب أولا ثم استرخى ، وأردت أن أنزع فمى من فمه فاستعصى ؛ ورفعت بصرى إلى أعلى الشجرة فرأيت أفعى (حواء) بجانب التفاحة تريد أن تسقطها إلىّ ، ففررت مذعورة إلى المنزل . وفى اليوم التالى عدت إلى التعليم وعاد إلى التعلم . وكان الفتى فى هذا اليوم على غير عادته نظيف الوجه جديد الثياب جرىء القلب ، فأطلنا الدرس وشفينا النفس وشققنا الحديث . وتعاقبت الأيام على هذه الحال الراضية ، فسكت فى رأسى صوت كان لا يفتر عن الصراخ ، وسكن فى نفسى وسواس كان لا ينى عن الحركة . وكدت أشتغل بالفتى عنك ، وباللهو المتحقق عن الحب المتخيَّل ، لولا أن أخى وقف من زوجته على الحقيقة ، فضربنى علقة دامية وحرمنى النزول إلى الحديقة ...

(للقصة بقية)

احمد حسن الزيات

الحمّـــادون الثلاثة

للدكتور جـــواد على

هم حمّاد الراوية ، وحماد عجرد ، وحماد الزبرقان . هم ثلاثة كانت أسماؤهم واحدة ، وعاشوا فى عصر واحد ، وكانوا من أصل واحد ، وعلى رأى واحد ، ووجهة نظر واحدة ، بالنسبة إلى العالم والحياة . وكانوا من الموالى ، وكانوا متهمين فى دينهم وفى أخلاقهم ، وكانوا يروون الشعر ويتعاطونه ، وكانوا جميعاً أصحاب عبث ودعابة ومجانة ، وكانوا على رأس طبقة «الزنادقة» التى ظهرت فى العصر الأموى وصدر الدولة العباسية ، والتى ضمت عدداً من الأعاجم كانوا فى الأصل من عبدة النار ومن الثنوية القائلين بمنصرين : عنصر النور والظلام ، وعنصر النار والتراب ، وبتفوق النار على الطين ، أمثال عبد الله بن المقفع ، وعبد الكريم بن أبى العوجاء ، وبشـــار بن برد ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد الحارثى ، وصالح بن عبد القدوس الأزدى ، وعلى بن خليل الشيبانى وغير هؤلاء ممن أسلمت ألسنتهم وكفرت قلوبهم .(١)

ظهرت هذه الطبقة فى مدن العراق الرئيسية خاصة ، حيث كان الاختلاط فيها بين العرب والعجم على أشد ما يكون ، وحيث كانت حرية القول على أوسع مايتصوره إنسان ، وكان معظم رجالها من الأدباء الموالى المتعصبين لقوميتهم ، ولذلك اقترنت هذه الحركة حركة الزندقة بالنزعة الشعوبية المعروفة التى تتحامل على العرب وعلى كل ما هو عربى وإسلامى بنفس الوقت .

وكان كل من ذكرنا من طبقة الأدباء الظرفاء ، المتمكنين من ناصية اللغـة والأدب ، ومن المتساهلين فى الآداب العامة والتقاليد ، وكانوا كما وصفهم الجاحظ « يجتمعون على الشرب وقول الشعر وهجاء بعضهم بعضاً وكل منهم متهم فى دينه »(٢) وكانوا يقضون أكثر لياليهم فى سمر صاخب فى بيوت المجّان ومحبى العبث ، ينفقون ما حصلوا عليه من أثمان المديح أو رشوة « بخلاء » الأغنياء استرضاء لهؤلاء السفهاء الذين قد يتجاسرون

(١) أمالى السيد الشريف أبى القاسم على بن الطاهر أبى أحمد الحسينى المتوفى سـنة ٤٣٦ فى التفسير والحديث والأدب . الطبعة الأولى بمطبعة السعادة سنة ١٩٠٧ بالقاهرة ج ١ ص ٨٩

(٢) أمالى المرتضى ج ١ ص ٩٠

عليهم فيهجونهم بآخر ما عرفه فن الهجاء وآخر ما وصـل إليه قاموس الشتائم عند هؤلاء الشطار من سباب .

وطبيعى أن تـكون مجالس هؤلاء متحررة من كل قيود ، بعيدة عن كل مظهر من مظاهر الرزانة والاحتشام ، مبدعة أحياناً ومسفة غاية الإسفاف أحياناً أخرى . وقد حفظ لنا بعض الشهود والرواة شيئاً مما كان يدور فى أمثـال هذه المجالس الخاصة التى كان يقصدها رهط هؤلاء وجلهم ممن جبل على هـذه الجبلة ، الدعابة والمرح والتحلل ، والاستهتار بكل شىء وبالـكذب على المـاضى والحاضر إن احتاج الأمر إلى ذلك ، فـكانوا يضمون ويقولون ويتنادمون ويتقارضون الشعر ساعات طويلة من ليل أو نهار

وعلى الرغم مما عرف عن هذه الطبقة من العبث والابتعاد عن حياة الجد ، كانوا فى جلهم أصحاب علم بلغة العرب واطلاع على مذاهب الشـعر فى الجاهلية والإسلام ، ووقوف على أسرار اللسان . مثل حماد الراوية الذى « كان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها »(١) والذى قال عنه بعض الرواة « إنه قد أفسد الشـعر لأنه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس فى شعر كل رجل مايشا كل طريقته فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم »(٢) ومثل حماد عجرد وكان نفسه من الشعراء المجيدين ، وقد أزعج بشار بن برد الشاعر بأهاجيه الفاحشة وبالمعانى الغريبة المبتـكرة التى كان يأتى بها فى هجاء ذلك الشاعر السليط الذى كان يخشى الناس لسانه ويرجون من الابتعاد عنه السـلامة . ومثل ابن المقفع وغيرهم ممن ذكرنا .

وحماد الراوية هو أبو القاسم حماد بن ميسرة أو ابن أبى ليلى سابور بن عبيد الديلمى الـكوفى مولى بنى بكر بن وائل أو مكنف ابن زيد الخيـل الطائى (٣) وكان زعيم أهل الـكوفة فى الرواية وحفظ الأشعار كما كان خلف الأحمر وهو من هذه الطبقة ومن هذا الطراز زعيم أهل البصرة فى الرواية وحفظ الشعر أيضاً . وكان من المقدمين لدى بنى أمية ولا سيما عند « الوليد بن يزيد » الذى عرف بالميل إلى الشـعر والشعراء وبالإغداق عليهم وعلى الأخص على أمثال هؤلاء الشعراء . ويظهر أنه لم يكن من المرغوب فيهم عند بنى العباس .

(١) ابن خلـكان وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠٥

(٢) أمالى المرتضى ج ١ ص ٩٢

(٣) ابن خلـكان ج ١ ص ٢٠٥

ويظهر أن الرجل كان ذكياً جداً غير أنه لم يكن يحسن الاستفادة من ذلك الذكاء . وأنه لم يتمكن من استغلال مواهبه والقابليات التي كانت عنده . وأنه كان يبالغ في الدعاية لنفسه . فكان يشيد دائماً بمقدار ما كان يحفظ ، حتى غلبت عليه الرواية وعُرف بين الناس بحماد الراوية . وقد اضطرته المواقف على الانتحال والوضع لكي يتفوق على خصومه ويثبت تغلبه على منافسيه وقد كانوا ما شاء الله . فافتضح أمره وانكشف كما انكشف أمر رواة آخرين . ولو كان صاحبنا قد سلك سبيل العقل وتمسك بأذيال الرزانة وشاطر الشعراء النظم وأظهر مواهبه من هذه الناحية وهي مواهب شعرية كان يعترف بها الناس ويمكن التعرف عليها من تلك القصائد التقليدية التي كان يضعها على ألسنة الشعراء ويصبها بقوالب لا تظهر عليها آثار التزييف إلا بصعوبة ، لو كان قد فعل ذلك لكان اسمه اليوم بين تلك الأسماء المخلدة في صفحات شعر الدولتين بدون شك . وكانت ملوك بني أمية يقدمونه ويؤثرونه ويستزيرونه فيفد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ، وقال له الوليد بن يزيد الأموي يوماً وقد حضر مجلسه بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية ؟ فقال بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروي لأكثر ممن تعترف أنك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميزت القديم من الحدث ، فقال له فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام . قال سأمتحنك في هذا . ثم أمره بالإنشاد فأنشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم . »(١)

ولا أعتقد أن إنساناً يمكن أن يمر بهذه القصة من الكرام بدون تعليق عليها ولا تنادر ، والرواية نفسها إن صحت أنها حقيقة من حماد تبين لنا مبلغ ادعاء الرجل وإسرافه في الادعاء ، وإسراف أهل الكوفة معه ، وقد كان أهل الكوفة وحماد يشمرون بافتضاح أمرهم فكانوا يقولون : كان النعمان ملك الحيرة أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج وهي الكراريس ثم دفنها في قصره الأبيض فلما كان المختار بن عبيد الثقفي أمر بإخراجها

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٦

فأخرجت . فمن ثم كان أهل الكوفة أعلم بالشعر من غيرهم (١) أما صاحب هذه الرواية فحماد نفسه ولك أن تقول فيها ما تريد .

والظاهر أن ما ذكره ابن سلام في كتابه «طبقات الشعراء» من أنه كان عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بني مروان أو ما صار منه (٢) ، يرجع إلى روايات أهل الكوفة . وقد رووا ذلك على ما يخيل إلى لبيان سبب تفوقهم على أهل البصرة وسبب كثرة الروايات عندهم ولم يحدثنا أحد لا من أهل الكوفة ولا من أهل البصرة أنه رأى ذلك الديوان أو أخذ منه ، ولو كان ذلك حقاً لما ترك الناس الأخذ منه ولو بأي ثمن كان .

ومن أمثلة تلاعب حماد بالرواية ما يروى من أن الخليفة المهدي سأل المفضل الضبي عن سبب افتتاح زهير قصيدته :

دع ذا وعد القول في هرم   خير البُداة وسيد الحضر

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال المفضل إني توهمته كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا أي دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول في هرم . فامسك عنه ودعا حماداً فسأله فقال ليس هكذا قال زهير وأنشده :

لمن الديار بقنة الحجر   أقوين من حجج ومن دهر
قفر بمندفع النحائت من   ضفوى أُلات الضال والسدر

فاستحلفه المهدي فأقر أنه هو الذي أدخلها في شعر زهير . فأمر المهدي أن من أراد شعراً محدثاً فليأخذه من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها من المفضل (٣) . وهكذا أعلنت الحكومة رسمياً كذب رواية حماد .

وهاك مثلاً آخر على كذب حماد : قدم حماد البصرة على بلال ابن أبي بردة فقال ما أطرفتني شيئاً . فعاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى ، فقال ويحك ! يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به وأنا أروى للحطيئة ؟ ولكن دعها تذهب في الناس ، فذهبت في الناس وهي في ديوان الحطيئة ، والرواة أنفسهم يختلفون فمنهم من يزعم أن الحطيئة قالها حقاً (٤)

وهنالك أمثلة أخرى كثيرة تريك مبلغ استهتار الرواة بالرواية ومبلغ استهتارهم بالناس . ولم يكن حماد أول من سن هذه السنة

(١) الخصائص لابن جنى ج ١ ص ٩٧
(٢) ابن سلام طبقات الشعراء ص ١٠
(٣) الأمالي للمرتضى ص ٩١ شرح ١
(٤) ابن سلام طبقات الشعراء ص ١٥ ، الدكتور طه حسين في الأدب الجاهلي ص ١٨٣

بل كان هنالك عدد عديد كل واحد منهم « حماد » فى الوضع بل كان فى هـذا الوقت وقبله وضعوا أقوالا على لسان الرسول والصحابة ثم شاعت بين الناس .

وقد اتهم صاحبنا بالـكذب وباللحن وبكسر الـكلام . وصاحب روايتنا هذه هو يونس بن حبيب وهو أحد المراجع التى يعتمد عليها ابن قتيبة صاحب «طبقات الشعراء» وعلماء آخرون . وإليك ما قاله عن حماد : « العجب لمن يأخذ عن حماد وكان يكذب ويلحن ويكسر »[1] وهنالك شهادة أخرى هى شهادة ابن سلام وآخرون إذ قال عنه « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثوق به : كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد فى الأشعار » .

أما الـكذب فأمر ثابت عليه ولا أعتقد أن حماداً نفسه كان ينـكر ذلك علينا لو كان حياً ، ولا هو من الأشخاص الذين كانوا يرون فى الـكذب حرجاً ، ولعله كان يجد ذلك نوعاً من أنواع التسلية وضرباً من ضروب العبث والدعابة . وأما اللحن وكسر الـكلام فيجوز صدورهما منه مع علمه بالعربية وتمـكنه منها لأنه من أب غير عربى ومن أصل فارسى قريب .

وكان حماد — على ما يدعيه حماد نفسه — من المقربين إلى الخليفة الأموى يزيد الثانى ومن المنقطعين له ، ولم يكن هذا شأنه مع هشام بن عبد الملك فلقد كان هشام يجفوه فلما توفى يزيد وولى الخلافة هشام من بعده خاف « حماد » على نفسه واستتر عاماً عن الناس لا يخرج إلا إلى من يثق به ، ثم خرج بعد ذلك . فلما كان فى جامع « الرصافة » يوم الجمعة طلب الأمير « يوسف بن عمر الثقفى » وكان والياً على العراق فصار إليه فلما رآه ألقى إليه كتاباً فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر الثقفى ، أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق [2] وسار حماد على جمل مهرى حتى وصل باب هشام واستأذن فأذن له فدخل عليه فى دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ بالمسك والعنبر فسلم حماد عليه فرد عليه السلام واستدناه حتى دنا منه فقبل رجله وإذا جاريتان فى أذنى كل جارية حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان ،

(١) ابن سلام ص ١٥ (٢) ابن سلام ص ١٤

فقال كيف أنت يا حماد وكيف حالك ؟ فقال حماد بخير يا أمير المؤمنين . فقال أتدرى فيم بعثت إليك ؟ قال حماد لا ، قال بعثت إليك بسبب بيت خطر ببالى لا أعرف قائله . قال حماد وما هو قال :

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينـة فى يمينهـا إبريق

قال حماد هو لعدى بن زيد العبادى فى قصيدة منها :

بكر العاذلون فى وضح الصـبح يقولون لى أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله و القلب عنـدكم موهوق
لست أدرى إذ أكثروا العذل فيها أعـدوٌّ يلومنى أم صـديق

إلى أن بلغ إلى قوله :

ودّعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينـة فى يمينهـا إبريق
قدمتـه على عقار كعين الديـك صفى سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فإذا ما مزجـت لذ طعمها من يذوق
وطفا فوقها فقاقيع كاليـا قوت حمر يزينها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب لا صرى آجن ولا مطروق

فطرب هشام ثم قال أحسنت حماد[2] ثم قال اسقيه ياجارية فسقته حتى ثمل ، ثم قال ياحماد سل حاجتك . فقال كائنة ما كانت ؟ قال نعم . قال إحدى الجاريتين . قال هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما . وأنزله فى داره ، ثم نقله من الغد إلى منزل أعده له فوجد فيه الجاريتين ومالهما وكل مايحتاج إليه ، وأقام عنده مدة ووصله بمائة ألف درهم[3]

وصاحب هذا الحديث هو حماد نفسه ، وحماد من الأشخاص المتهمين كما قلنا ، ونحن فى وضع لا نستطيع فيه تصديق هذه الرواية التى تحمل طابع الدعاية والإعلان ، وهل خلت الأرض من رواة غير حماد ومن أناس لهم إلمام بالشعر ؟ وهل أمن الخليفـة من كذب حماد عليه ومن نظم قصيدة فى الحال على الوزن والقافية وهو صاحب أكبر معمل من معامل صنع الشعر ؟ وهل يعقل صدور ذلك من الخليفة هشام بن عبد الملك مع ما عرف عنـه من الجد والإمساك والانصراف إلى السياسة والعمل وعدم شرب المسكرات[4] ولـكنها قصة من القصص التى كان يروجها هذا الراوية «حماد» ...

« للـكلام صلة » الدكتور جواد على

(١) ابن خلـكان جـ ١ ص ٢٠٦ ذكرها الحريرى فى كتابه درة الغواص .
(٢) المسعودى التنبيه جـ ٢ ص ١٨٤ ، ابن خلكان جـ ١ ص ٢٠٧
(٣) ابن خلـكان جـ ١ ص ٢٠٦
(٤) ابن خلـكان جـ ١ ص ٢٠٦

لمن أكتب ؟

للأستاذ محمود محمد شاكر

بيني وبينها أيام معتقة كأنها خمر في دِنان الزمن، فإذا ما قدّر الله لنا أن نجتمع يوماً ، طارت بلبي نشوة ترمى بي إلى عالم ساكن ناضر ناعم النسمات ، فأفارق بها عالماً صاخباً محترقاً لافح الرياح عاصف الأعاصير . واجتماعنا هو إحدى الأماني التي يقول في مثلها الشاعر :

أماني من سعدى رِواءٌ ، كأنما سقتك بها سعدى على ظمأٍ بردا

وإذا اجتمعنا وتهدت بيننا الأحاديث ، فربما فاجأتني بالسؤال لا أتوقعه ، فيردني سؤالها إلى نفسي رداً عنيفاً لا أملك معه إلا أن أديم طرفي إلى هذا الوجه الذي يخفي وراءه نفساً ثائرة ، ولكنها ساكنة على ثورتها سكون الجبال الراسيات . ولست أدري أتلك إحدى لطائف الحيل التي تحب أن توقظني بها من غفوة الأحلام، أم تلك يقظة دائمة في نفس لا تطيق إلا أن تكون متيقظة حين يدعوها الهوى إلى إغفاءة تريحها من ثورة نفسها واضطرابها ؟ وأي ذلك كان ، فهي قد أخذتني أخذاً شديداً حين استوت في جلستها وقالت : حدثني ، لمن تكتب هذا الذي تكتبه ؟ إنهم جميعاً نيام يغطون ، فلو قذفتهم بالشهب أو الصواعق لناموا على وقعها أو إحراقها .

فلما أفقت على سؤالها ، جعلت أردده في نفسي وأنا أملأ عيني من صفاء هذه الينابيع التي تترقرق في وجهها وفي عينيها . وأخيراً قلت لها : لن أجيبك إلا حيث تقرأين كلامي ، ودعينا لما بنا ، فإن لقاءنا ساعة فرّت إلينا من هذا الفراق السرمدي .

* * *

لمن أكتب ؟ لم أحاول قط أن أعرف لمن أكتب ؟ ولم أكتب ؟ ولكني أحس الآن من سر قلبي أني إنما كنت أكتب ، ولا أزال أكتب ، لإنسان من الناس لا أدري من هو ، ولا أين هو : أهو حي فيسمعني ، أم جنين لم يولد بعد سوف يقدَّر له أن يقرأني ؟ ولست على يقين من شيء إلا أن الذي أدعو إليه سوف يتحقق يوماً على يد من يحسن توجيه هذه الأمم العربية والإسلامية إلى الغاية التي خلقت لها ، وهي إنشاء حضارة جديدة في هذا العالم ، تطمس هذه الحضارة التي فارت بالأحقاد والأضغان والمظالم ، ولم يتورع أهلها عن الجور والبغي في كل شيء ، حتى في أنبل الأشياء — وهو العلم .

لم يخامر قلبي يأس قط من هذه الفترة التي نعيش فيها من زمننا ، ولم يداخلني الشك في حقيقة هذه الشعوب ، وإن كانت لا تزال تعيش في بلبلة جياشة بأخلاط من الغرور والخداع والعبث ، وفي أكفان من الفقر والجهل والمخافة ، وفي كهوف من الظلم والاستبداد وقلة الرحمة . كل ذلك شيء أراه وأعرفه ، ولكني أستشف تحت ذلك كله نقاء وطهراً وقوة تدب في أوصال هذا العالم الذي أوجه إليه كلامي ، وهو خليق أن يتجمع للوثبة في الساعة التي كتب له فيها أن يهب مرة واحدة تذهل الناس كما أذهلتهم من قبل ، وهو خليق أن يكون سر الحياة الجديدة التي تضرب عروقها إلى عصور بعيدة في تاريخ البشر . ولعل هذه المحن التي أحاطت به من خارج ، والتي استبطنته من داخل ، هي حوافز البعث الجديد ، وهي نار التمحيص التي تنفي خبثه كما ينفي الكير خَبَثَ الحديد .

أنا أعلم أن رجال السياسة عندنا لا يزالون أوزاعاً من خلق الله لا ندري كيف نشأوا ، وعلى أي شيء قامت شهرتهم ، ولا إلى أين تمضي أهدافهم ، وهم فوق ذلك كله قد لوّثوا ضمائرهم وعقولهم وأخلاقهم وعزائمهم بأشياء لا يمكن أن تؤدي إلى خير ، وهم قد أشربوا فتنة بأخلاق الساسة الطغاة الذين ابتلي بهم الغرب وامتحنت بهم الحضارة الغربية . ولست أشك ساعة في أنهم فئة لا خير فيها البتة ، مهما دل ظاهر تدليسهم أو تدليس الصحافة بأسمائهم على أنهم يفعلون خيراً أو أنهم سوف ينتهون إلى خير . ولست أرتاب البتة في أن الخير كل الخير هو في زوالهم جملة واحدة من مكانهم ، لكي يتسنى لهذه الشعوب العربية والإسلامية أن تهتدي إلى الحق في حياتها وفي جهادها وفي أهدافها .

وأنا أعلم أن رجال العلم من أي أقسامه كانوا ، لا يزالون يتعبَّدون أنفسهم لكثير مما لا نفع فيه لأممهم ، بل لعلهم لا يزالون يترفعون عن هذه الشعوب الفقيرة الجاهلة ، والتي هي شعوبهم ، ظناً منهم أنها شعوب لا تستطيع أن تبلغ ما بلغ أن

الناس فى العلم ، فضلا من أن يدركوا سوابق العلماء فى هذه الفترة من زماننا ، فضلا عن يسبقوا أمم الحضـارة الحاضرة فى ميدان هذه العلوم . وهم فى خلال ذلك — إلا من عصم الله — يبسطون ألسنتهم بسطاً شـديداً فى أعراض هذه الشعوب ، فيقرفونها بكل مسبة ، ثم يصرفون وجوههم إلى أوربة وأمريكا وغيرهما كأنما هم منها ومن صميمها ، لا من هذه الشعوب البائسة التى ظنوا أن الموت كتاب محتوم عليها .

وأنا أعلم أن أكثر أهل السلطان فى هذا الشرق ، لا يزالون يعيشون فى عزلة لا يبالون قليلا ولا كثيراً بما فيه خير بلادهم ، وأنهم يحتقرون جماهير الشعوب احتقاراً ينسرب فى خاصّ كلامهم كما ينسرب فى أكثر أفعالهم . وهم فئة قليلة فتنتها النعمة والترف واللذاذات ، حتى ما تبالى أن تصب على أممها ضروباً من المظالم كان ينبغى أن تترفع عن ارتكابها ، لا رحمة بالناس ، بل مخافة من الناس ، فالشعوب إذا هاجها ما يهيجها لم تبق على شىء وإن كان فى بقائه خيرها .

وأنا أعلم أن أهل الدين — إلا من رحم ربك — قد رَمَوْا بدينهم ظِهرياً ، وإن لبسوا لباسه وشهبوا على الناس وغرّوهم باسم هذا الدين . وهم يأكلون باسم الدين ناراً حامية ، وهم قد فقدوا بفقد آداب هذا الدين كل شىء يجعل لهم عند الناس مـكانة ترفعهم عن الشبهات ، وبذلك أصبحوا كالعامة التى تحتاج إلى من يقودها ويهديها .

وقصارى ما يقال هو أن الحياة فى هذا الشرق على اختلاف نحله ومذاهبه وأديانه وأحزابه ، قد صـار كأهل سفينة جن أكثر من فيهـا ، وكلهم يريد أن يقود السفينة كما خيلت له طوائف وساوسه وأوهامه ، مستبداً بما يرى من الرأى . ولـكنى مع ذلك لن أيأس ساعة من أهل الخير ، لن أيأس من رجل أو رجال توقظهم هذه البلوى المحيطة بالجماعة ، فيدفعها حب الحياة وحب الخير إلى نفض غبار القرون عن أنفسهم ، ثم تنشط من عقالها إلى قيادة هذه الناس بقوة تنفث فى هؤلاء جميعاً روحاً مسدّدة هادية تبرئهم مما أصابهم ، وتستنقذ منهم من يصلح للبقاء والعمل فى جيل جديد ، له هدف معين ، وله طريق لا يفارقه ، وله همة جياشة تجعله يطوى المسافات المترامية طياً حتى يصل إلى غايته لم يلحقه كلل ولا سآمة ولا إعياء .

فأنا أكتب لرجل أو رجال سوف يخرجون من غمار هذا الخلق ، قد امتلأت قلوبهم بالقوة التى تنفجر من قلوبهم كالسيل الجارف ، تطوح بما لا خير فيه ، وتروى أرضاً صالحة تنبت نباتاً طيباً

ومهما كان من أمر تلك الطوائف التى ذكرتها ، ومهما كان رأيهـا فى هذه الشعوب التى تنتمى إليها ، ومهما عدت شعوبها سائمة ترعى أياماً معدودة حتى تتخطفها أرماح الأجل ، فمن هذه (السائمة) سوف ينفرد رجل يقود الشعوب بحقها لأنه منها : يشعر بما كانت تشعر به ، ويألم لما كانت تألم له ، وينبض قلبه بالأمانى التى كانت تنبض فى قلوبهـا . وهو وحده الذى يعرف كيف يرفع عن عيونها حجاب الجهل ، ويطرح عن كواهلها قواصم الفقر ، ويملأ قلوبها بما امتلأ به قلبه من حب هذه الأرض التى تعيش فيها مضطهدة ذليلة خائفة .

إنه الرجل الذى قد خُلطت طينته التى خلق منها بالحرية ، فأبت كل ذرة فى بدنه أن تكون عبداً لأحد ممن خلق الله على هـذه الأرض ، فهو يشرق من جميع نواحيه على أجيال الناس كلها كما تشرق الشمس ترمى بأشعتها هنا وهنا ، ولا يملك الناس إلا أن ينصبوا لهـا وجوههم وأبدانهم ليذهب عنهم هذا البرد الشديد الذى شلهم وأمسك أوصالهم عن الحركة . وهو يسـير بينهم فتسرى نفسه فى نفوسهم ، فتموج الحياة فيهم بأمواجها التى لا يقف دونها شىء مهما بلغت قوته أو جبروته .

ألا إن الشرق العربى لينتظر صابراً كمادته هذا الرجل . وإنى لأحس أن كل شرق قد أصبح اليوم يتلفت لا من حيرة وضلال ، بل توقعاً لشىء سوف يأتى قد أنَى زمانه ، ففى كل نفس منه خاطرة تختلج . وهذا الإحساس فينا هو الذى يحملنى على الإيمان بأن ذلك كائن عن قريب ، وأننا قد أشرفنا على زمن قد كتب الله علينا فيه أن نجاهد فى سبيله ، ثم فى سبيل الحق والحرية والعدل ، لأننا نحن أبناء الحق والحرية والعدل ، قد ارتضعنا لبانها منذ الأزل البعيد . وكل ما دخل علينا فى القرون المـاضية من المظالم والأكاذيب والاستبداد ، لم يستطع أن يخفت ذلك الصوت الذى تتجاوب به نفوسنا باسم الحق والحرية والعدل .

إن هذه الشعوب التى تُرَى اليوم كأنها على بلادها أسمال بالية ممزقة ، قد بدأت تحس أن عليها أن تتجدد أو أن تزول ، وطبيعة الحياة تأبى لها أن تزول ، فهى لابد أن تتجدد . وهذا الدافع

غاندى الفيلسوف المجاهد

للأستاذ حسين مهدى الغنام

— ١ —

فى اليوم الثلاثين من شهر يناير الماضى قتل موهانداس كارامشاند غاندى ، وهو ذاهب إلى الصلاة ، برصاص أحد أبناء جلدته ودينه المتعصبين ، فأعاد إلى الأذهان سيرة الأنبياء والمصلحين كما أعاد بحياته حياة السيد المسيح .

لقد كانت حياة غاندى مأساة كما كان موته مأساة أشد وأروع . كان غاندى فيلسوفا جمل السياسة مذهبه .

وقد ظل خمسين عاماً يكافح فى سبيل استقلال بلاده ، حتى ناله فى حياته ، ولكنه لم يمش حتى يرى السلام يرفرف على ربوعها المترامية ، وهو الذى وهب نفسه لخدمة السلام .

عاش غاندى كالناسك . لبس ملابس خشنة فى غاية البساطة ، حرأما غزله بنفسه على مغزل يد بدائى ، وخفين (صندلين) من القش !

ولم يأكل اللحم ، بل عاش على الفاكهة والخضر واللبن وقضى حياته كلها مجاهداً . وقد اتخذ جهاده ثلاث وجهات رئيسية :

الأولى ضد الطبقات المدينة المالية التى فرضها المستعمر على مئات الملايين من طبقات الهند الدنيا ، التى لا تجد القوت .

والثانية جهاده ضد المستعمر .

والثالثة جهاده فى سبيل السلام والحب ، ومناضلة الشرور والخطايا ، آخذا بمبدأ المقاومة السلبية وعدم العنف .

كما أنه كافح كفاحاً اقتصاديا واجتماعيا عظيما ، فنبه الوعى القوى والاقتصادى ، وأنشأ آلاف المدارس ، وحارب الرجعية ونادى بحق المرأة الهندية ، ولكنه غالى فى تقديس الناحية الدينية وغذاها بين الشعب ، جاعلا من التسامح والأخاء بين الهندوس والمسلمين والمنبوذين هدفه الأول ...

ولقد شابه غاندى الفيلسوف الروسى الإنسانى الشهير ، ليو تولستوى ، وتأثر به فى حياته تأثراً كبيراً .

وكان دائماً يبشر بقوله : « أنكم سوف لا تقترفون القتل » ولكنه مات قتيلا !

وكان مثل تولستوى فى لباسه الخشن ، وفى نظرية عدم العنف والمقاومة السلبية ، وفى دفاعه عن السلام ودعوته لأتيان الخير ، والمعروف والمحبة بين الناس جميعاً ، وإن لم يكن تولستوى فى مثل إخلاص غاندى !

وكان الناس فى كل مكان يتشوقون إلى تذوق ثمار فلسفته ، ولكن قلوبهم لم تعمر بمثل الايمان الذى عمر به قلبه ، فلم يفعلوا فى سبيل تأدية رسالته شيئاً أكثر من التمنى!

كان غاندى يعمل فى سبيل الروح ، ولكن الناس الذين بشر بينهم عبادته كانت تربطهم أسباب قوية بعالم الماديات الدنيوى فى عالم الوقائع والأرقام التى عمته جميعاً حتى غزت الشرق نفسه ، الشرق أبا الروحانيات ومهد السلام .

إلا أن الشرق شرق بطبعه وغريزته . وفى الشرق لطف غريزى ، فلم ينعت هؤلاء الناس غاندى بالجنون ، كما نعت الروسيون والأربيون تولستوى ، ولكنهم بالغوا فى نعتهم للفيلسوف الشرقى حتى ألهوه ، وسموه القديس ... سموه المهاتما !

ولعل غاندى أخطأ فى مخاطبته لعامة الجماهير ، وتبشيره بينهم ، كما قال بعض مفكرى الهند ، وقالوا لو أن غاندى أنصف نفسه لجمع حوله خلاصة الشباب الطامحين إلى بناء الهند الحديثة ، فإن التعاليم السامية العميقة تفعل فعلها فى نفوس الذين أصابوا

وحده سوف يمهد للرجل المنتظر أن يزأر زئيره فتصغى له آذان الملايين من أبناء الشرق ، ثم تنطلق من مجاثمها إليه مجيبة لندائه ، فإذا انطلقت إليه أرسالاً ، فيومئذ لن يقف فى طريقها أولئك الساسة المنافقون ، ولا أولئك العلماء المتبجحون ، ولا أولئك الدجالون المخادعون ، بل سوف يصيرون تبعاً ، وقد طال ما خيلت لهم نفوسهم أنهم الرؤوس والسادة .

فأنا إن كتبت ، فإنما أكتب لأتعجل قيام هذا الرجل من غمار الناس ، لينقذنا من قبور جثمت علينا صفائحها منذ أمد طويل . وليس بيننا وبين هذا البعث إلا القليل ، ثم نسمع صرخة الحياة الحرة العادلة يستهل بها كل مولود على هذه الأرض الكريمة التى ورثناها بحقها ، ليس لنا فى قتر منها شريك .

محمود محمد شاكر

من الثقافة حظا كبيراً ؛ وإلى هذا يعزون بعض فشله فى تعميم دعوته .

***

يقول السردار إقبال على شاه عن غاندى والشعب الإنجليزى

« لقد أخطأ غاندى فى فهم عقلية الرجل الإنجليزى المتوسط ، إذا كان هـذا الشخص وجد ، ولهذا لم تفهمه الغالبية من الشب البريطانى ، فلقد اختلفت العقليتان كما يختلف القطبان شمالا وجنوبا ...

« ولم يكن غاندى كذلك بالشخصية الرسمية القوية المنصر ، ومن هنا كان اختلافه عن ساسة الهند اليساريين ، فقد كان دائماً ينتفر للرسميات خطاياها ، وإن صح هذا فى الهفوات ، فإنه لا يصح فى الخطايا قطعاً !

« وكان غاندى فى نظر الرجل الإنجليزى فليسوفا ضالا ، أو الـكاهن ارفيع المقهور . وعقلية الرجل الإنجليزى لا تقبل هذا الوضع ، فلم تأبه له كثيراً ، لأنها لم تفهمه .

« ولـكن للإنجليز ذاكرة قوية ... وإنهم ليذكرون ما فعل غاندى قديماً من أجل أبناء وطنه المهضومين المدقعين الذين تدوسهم العلية من القوم ، ويذكرون ما صنع فى حرب البوير والزولو من عمل جليل وهو يرأس كتيبة الإسعاف الطبى .

« إلا أن غاندى احتل من تفكير الإنجليزى ما يحتله كبار الإنجليز أنفسهم . والإنجليزى تسوءه الحملات المنيفة على أمثال هؤلاء ، لأنه يعتقد أنهم مخلصون ، والإنجليزى يرحب بالصراحة والإخلاص ويحترمها !

« ولقد استاء الرأى الإنجليزى العام من الحملات التى كانت توجه إلى غاندى فى بعض جرائدهم ، ومن الصور الهزلية التى تصوره قارحا بلا أسنان ، أصلم الرأس ، مخلوقاً عريان إلا من ذلك اللباس التقليدى .

« والمسلمون والإنجليز يتفقون فى هذه الناحية ، فـكلاهما يحترم الشخصيات الفذة ، ويأنف من السخرية اللاذعة منها ومن مهاجمتها بلا اعتدال ، على عكس الغربيين الآخرين .

« وكان غاندى الوطنى ، والفيلسوف ، والداعية ، مجهولا من العالم كله ، حتى اعتزم أن يمتزل المحاماة فى جنوب أفريقيا ، وينقلب مجاهداً وسياسياً قويا ..

« وكان قبل ذلك قد رأى بعض أنحاء الدنيا ، ورأى تعصب البيض ضد الملونين ، وإن كان هذا خف اليوم إلى درجة ما ! »

***

ولقد حورب غاندى كثيراً حتى الـكسندر العظيم كان يساعد معارضى غاندى مساعـدات مادية كبيرة ، ليحدوا من نجاحه فى الهند .

ولـكن ذلك الناسك الهزيل استحوذ على ألباب الملايين من الهنود ببساطته الدينية المتناهية ، فاحترموه ثم أحبوه ثم عبدوه واعتقدوا أنه شبه إله !

فى سنة ١٩٢٢ سجن غاندى ، ثم أطلق سراحه بعد عامين وفى تلك الأثناء كان ممارضوه فى حزب المؤتمر ، وهم المعروفون باسم سواراجست ، أكثر من اتباعه ، وأحسن منهم تدريبا واستعدادا ، وحضروا اجتماعا لهم وعارضوا ما سموه دكتاتورية غاندى فى حزب المؤتمر ، ثم انسحبوا ، فاعتبر غاندى هذا هزيمة له وانسحب ...

وعلى الرغم من تلك الهزيمة ، فقد كان لهذه اللفتة النفسانية البليغة أثرها فى تقوية غاندى فقد جلس صامتا ، وأخذ يتحدث بعد قليل ، ثم تكلم عن هزيمته ، وعن حالة الهند المؤسية ، ثم انحدرت دموعه على خديه وتتابعت سريعة . وهنا بكى جميع الحاضرين معه بدموع غزار . وانضموا إليه واحداً واحداً ، وهنا عادوا إلى صفه ثانية ، وكسبهم إلى جانبه من أضعف نقطة حساسة هاجمهم فيها .

فهذه القوة — فى بساطة مظاهرها — وبتلك النفحة السيكولوجية حرك غاندى قلب الهند على بكرة أبيها ...

وكانت الجماهير تنظر إلى آرائه على أنها غير مستحيلة التحقيق فصدقوه فيما قال ، إذ كان فى نظرهم مبعوثا سماويا ، ويجب أن يكون صادقاً فى آرائه .

وقد سمى غاندى الحـكومات الإنجليزية بالحـكومات الشيطانية فصدقه الملايين من الهنود ... وما زالوا يعتقدون نفس الاعتقاد ، ولـكنهم نسوا أن غاندى هو صائغ هذا التعبير .

وكلما مرت السنون ، وكلما فشل غاندى فى تحقيق ما وعد به شعبه ، وكلما كان فشله مريعا ، زادت مكانته فى نظر الشعب وازداد هذا الشعب له حباً واحتراما وتبجيلا وتقديسا !

(يتبع) حسين مهدى الغنام

الشعر فى العصر المملوكى (١)

هل يمثل الحياة فيه ؟

للأستـــاذ يوسف البيومي

نستطيع أن نقول نعم ولا نكون مجازفين ، ونستطيع أن نقول لا ولا نكون مبعدين .

نستطيع أن نقول إن الشعر فى هذا العصر على الرغم من جنوحه إلى التقليد والصنعة قد يستطيع الباحث المنقب أن ينظر من خلاله أحياناً إلى بعض مظاهر الحياة سياسية أو اجتماعية . ونستطيع أن نقول إن الشعر قد صمت عن أهم مظاهر الحياة فى هذا العصر فلم يفصح عن رأيه فيهما : صمت عن مظالم العصر ، ومفاسد المماليك أمراء وسلاطين . وصمت عن المفاسد الاجتماعية ووصف ملاهى مصر والقاهرة ومغانيها وما كان يحدث عند الاحتفالات للأعياد القبطية وغيرها من مجاهر بالفسق والدعارة ، ومن تظاهر بشرب الخمر والحشيش . وإذا صمت عن هــذين ثم تحدث عن غيرهما فإنه يكون حديثاً لا فائدة منه ولا غناء فيه .

نستطيع أن نقول ذلك كما نستطيع أن نعلل قلة ما ورد من الشعر فى هذين الموضوعين الخطيرين بضياع جل الشعر الذى قيل فيهما ضمن ماضاع من أشعار الشعراء ودواوينهم وهو كثير (٢)

ولما كانت مظاهر الحياة قد تعددت فى هذا العصر وتنوعت فإنا سنقسمها وندرس كل قسم على حدة لنستطيع أن نبين عن هذا الإجمال بالتفصيل ممثلين .

خضع الشعب لحكم استبدادى قاس أبنا عن قسوته ووصفنا موقف الشعب منها وعللنا هذا الموقف فيما سبق (٣) ونذكر الآن أن موقف الشعر من هذا الحكم الظالم ، ومن حياة السلاطين الخاصة وقد ملئت دعارة وفســقاً — إلا فى القليل النادر — لم يختلف عن موقف الشعب عامة والعلماء خاصة ، فتكميم الأفواه وحبس الحريات ، وكبت الشعور كان قدراً مشتركا بين عامة الشعب وخاصته بين السوقة والكتاب والسراة ورجال الدين . ولكنا رأينا أحياناً تنفيساً عن الصدور المخنوقة ببعض المقطوعات وأكثر ما كان ذلك حينما يولى زمن السلطان أو الأمير وتذهب دولته ولا يجد الشاعر فى ذلك حرجا ولا يخشى منه بأساً . بل حينما يرى فى ذلك أرضاء لخلفائه ووارثى الملك بعده أو مغتصبيه منه .

كان المظفر حاجى مغرماً ببعض المغنيات منقطعاً إليهن عن النظر فى أمور الدولة فأرغم على إخراجهن من القصر فكانت بنفسه عليهن حسرة لم تنقض . وقد حاول أن يتـلى عنهن بلعب الحمام الذى أنفق عليه أموالا ضخمة ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم (فى رسالة الشعر فى عصر المماليك) ونريد أن نذكر الآن أنه لما قتل ذبحاً قال صلاح الدين الصفدى :

أيهـا العاقل اللبيب تفكر ... فى المليك المظفر الضرغام
كم تمادى فى البغى والغى حتى ... كان لعب الحمام جد الحمام

وقال فيه أيضاً :

حان الردى للمظفــــر ... وفى التراب تعفــــر
كم قـد أباد أمــــيراً ... على المعــــالى توفـــر
وقاتـــل النفس ظلماً ... ذنوبــه ما تكفـــر

وكان الناصر (حسين بن محمد بن قلاوون) مغرماً بالنساء ويستصحبهن معه فى أسفاره (لأنه لم يكن له ميل إلى الشباب كعادة الملوك من قبله) (١) فلما قتله يلبغا قال بعض الأدباء فى قصته مع يلبغا ومحبته للنساء موجها أسماء ســور من القرآن الكريم — ونلاحظ أن الشعر قيل بعد مقتله كما نلاحظ أن الرغبة فى التوجيه هى مبعث هذا الشعر :

لـما أتى للعـاديات وزلزلت ... حفظ النسـاء وما قرا للواقعه
فلأجل ذاك الملك أضحى لم يـكن ... وأتى القتـال وفصــلت بالقـارعه

---

(١) عن فصل من رسالة (الشعر فى عصر المماليك) للكاتب .

(٢) هذا احتمال ثم هو لا ينطبق على موقف الشعر من حياة السلاطين والأمراء ومظالمها لأنا عللنا صمته عن هذين وأثبتنا أن الشعر ما كان له أن يتحدث عن هذه الحياة وتلك المظالم .

(٣) فى فصل خاص من الرسالة المذكورة (الشعر فى عصر المماليك)

(١) هذه عبارة المؤرخين للناصر حسن نقلناها كما هى لننبه إلى هذه العادة (التسرى بالغلمان) وكيف شاعت وذاعت بين الملوك فى هذا العصر ثم إلى صمت الشعر والشعراء عنها .

لو عامــل الرحمن فاز بكهفه   وبنصره فى قصره فى السابعة
من كانت القينات من أحزابه   عطعط به الدخان ناراً لامعه
تبت يدا من لا يخاف من الدعا
فى الليل أذا يغشى يقع فى القارعة

وكان سنجر الشجاعى مشد عمارة مدرسة قلاوون ووزير الديار المصرية فى عهد الناصر محمد بن قلاوون من أقسى المماليك وأظلمهم ، فلما قتل وطافوا برأسه على مشمل قال سراج الدين الوراق :

أباد الشجـاعى رب العباد   وعقباه فى الحشر أضعاف ذلك
عصى ربه فالعصا نعشـــه   وشيع للدفن فى نار مالك

والشجاعى هذا هو الذى يحذر ابن السلعوس منه بعض الشعراء حيث يقول :

تنبـه ياوزير الأرض واعلم   بأنك قد وطئت على الأفاعى
وكن باللـــه معتصما فأنى
أخاف عليك من نهش (الشجاعى)

وكانت عادة التسمير والتعليق منتشرة يعاقب بها الخارجون حتى الوزراء ، فهذا الفخر بن مكانس قد علق (بسرياق) من رجليه لما غضب عليه برقوق بعد أن ضرب ضربا مبرحاً وها هو ذا يذكر هذه الحادثة معتذراً عنها بقوله :

وما تعلقت (بالسرياق) منتكسا   لزلة أوجبت تعذيب ناسوتى
لـكننى مذنفثت السحرمن أدبى   عذبت تعذيب هاروت وماروت

وكانت المظالم تصب على خلفاء المسلمين فيخلعون ويسجنون وقد حكى الشعر بعض ذلك فى المقطوعات : قبض برقوق على الخليفة المتوكل على الله وخلعه وســـجنه فقال شهاب الدين ابن العطار :

أبشر أمير المؤمنين فما جرى   أقوى دليل أن عزك سرمد
لا تختشى فيـد العدا مغلولة   ويد الخلافة لا تطاولها يد

وابن الوردى أجرأ شعراء العصر على التعرض لمظاهر الحياة السياسية ومظالم السلاطين فى كثير من مقطوعاته

لماولى الأشرف كجك وهو ابن ثمانى سنين قال ابن الوردى فى ذلك واصفا خلف الأمراء وتنازعهم !

سلطاننا اليوم طفل والأكابر فى   خلف وبينهما الشيطان قد نزغا
وكيف يطمع من مسته مظلمة   أن يبلغ السؤل والسلطان مابلغا

وفى سنة ٧٤٢ عوقب الأمير لؤلؤ القندشى بدار العدل بحلب حتى مات واستصفى ماله وشمت به النـاس فقال ابن الوردى فى ذلك :

لؤلؤ قد ظلمت الناس لـكن   بقدر طلوعك اتفق النزول
كبرت فـكنت فى تاج فلما   صغرت سحقت سنة كل لولو

وفى سنة ٧٤٠ هـ قبض الناصر محمـد بن قلاوون على النشو شرف الدين القبطى الأصل وعاقبه حتى هلك تحت العقوبة بعد أن كان قد قهر أهل القاهرة وبالغ فى الأيذاء والمصادرة والقتل والخنق فقال ابن الوردى :

النشو لا عـدل ولا معرفـه   قد آن للأقدار أن تصرفه
من أتلف الناس وأموالهم   يحق للسلطان أن يتلفه

وتاريخه وديوانه مملوءان بأمثال ذلك وهكذا على الرغم من انصباب المظالم من كل جانب على هذا الشعب وعلى الرغم من أنها أخذت على المحـكومين كل تفكيرهم حتى رأيناها تظهر فى أخيلتهم الشعرية ويستمدون منها التشبيهات المختلفة كقول بدر الدين بن حبيب يتحدث عن الخمر .

مظلومة سجنت من بعـد ما عصرت
مع أنها ما جنت ذنبا ولا اجترحت [1]

فإنهم قد وقفوا عامة وشعراء وعلماء حيالها هذا الوقف المزرى الشائن : لم يجأروا بشكوى ولم يظهروا ما كمن فى نفوسهم من استياء وألم ، وإن ظهر شىء من ذلك فعلى مارأيت من هذا الاحتياط وبعد أن يكون الشكو مشلول القوى عاجزاً عن أن يظلم أو يرفع ظلماً ، وبعد أن يكون خلفه الذى يتقرب إليه بما يقال فيه يبهج بهجه ويؤذى الشعب أيذاءه وربما كان أيذاؤه إشنع وأقسى وأفظع وأنـكى وأشد وقعا على نفوس الشعب شعرائه وعلمائه وذوى النفوذ فيه .

يوسف البيومى
المدرس فى كلية اللغة العربية

(١) يشير إلى عادتى السجن والعصر وأخذ الشعب بهما من غير جناية ولـكنها أشارة فى حديث عن الخمر مبينها كما ترى الولوع بالتورية .

هل ذلك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستـــاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

— ٣ —

ولا يفوتنى بمناسبة الرد على هذا الدليل بشقيه — أن أوجه النظر بوجه عام إلى أن القرآن الكريم ليس مجرد مجموعة تشريع Code ؛ بل للمشرع الأعظم إلى جانب ذلك — كما قدمنا — أغراض ومقاصد أخرى يبلغها بأسلوبه الخاص مما لا يدخل مثله فى نطاق مهمة المشرعين الوضعيين فحرام أن يحاول أحد إخضاع نهج القرآن الفذ لنهج هؤلاء المشرعين القائم على مجرد السرد الجاف لمواد مبوبة . فيقال مثلا فى مقام الاعتراض على المعانى والأغراض الواضحة من آية تعدد الزوجات : لماذا عبر بكذا ولم يعبر بعبارة « بسيطة موجزة » ، ولماذا يعبر عن مدلول الآية فى ضمن آية أخرى لها تعلق بموضوعها ، أو لماذا عبر عن هذا المدلول فى سياق غرض آخر لا تعلق له بموضوعه وجواباً لعبارة شرطية عن هذا الفرض ، ويجعل مثل هذا التحكم فى الأسلوب القرآنى الرفيع أساساً للتأويل البعيد للنص صرفاً له عن معناه الصريح فى حل التعدد ؛ هـذا المعنى الذى ظاهرته الأحاديث والأخبار وإجماع الأمة قاطبة قولاوعملا منذ عصر النبوة حتى الآن

٧ — أدلة المنصر الثانى : واستدل معاليه لرأيه فى تفسير الآية الثانية بالدليلين الآتيين :

الدليل الأول — أن لفظ العدل وارد فى هذه الآية والآية السابقة بحروفه فلا يمكن أن يكون معناه فيهما إلا واحداً على حقيقته الشاملة للماديات ثم المعنويات العاطفية جميعاً ، وأن الآيتين متكاملتان أوجبت أولاهما الاقتصار على الواحدة عند خوف العدل ، وأكدت الثانية أن هذا العدل غير مستطاع ؛ فأوجبت بذلك الاقتصار على الواحدة وجوباً لا انفكاك منه .

والرد : أن هذا الدليل إنما يجرى فيما يتكرر من (المعرف بأل) من الأسماء ، فيكون المراد بالسابق واللاحق واحداً . وأساس هذه القاعدة اللغوية أن المعرف بأل إذا تكرر كانت (أل) فيه للعهد ، فيدل على أن المراد بالاسم اللاحق عين المراد بالاسم السابق المعهود . والتعبير عن العدل لم يرد « اسماً » بل ورد « فعلا » فى الآيتين وأبان الشق الثانى من الآية الثانية وهو المبدوء بقوله تعالى (فلا تميلوا) أن المراد بالعدل فى الآية الأولى هو العدل المستطاع وبه فى الآية الثانية العدل المطلق على ما قررته فى مقالى السابق وما سأزيده بيناً فيما يلى :

الدليل الثانى — أنه لو صح أن الشق الثانى من الآية الثانية مبين أن المراد بالعدل الذى جعل شرطاً لجواز التعدد هو العدل المستطاع ليتعارض هذا النص مع قوله تعالى (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ولكان فى ذلك إشكال شديد يضطرب له قلب المسلم وتصطرع فيه ذمة من يريد السير على مقتضى شريعة الله القائمة ؛ إذ كيف يأمر سبحانه بالاقتصار على الواحدة عند خوف عدم العدل ، ومع حكمه بتحقق هذا الخوف حتما لعدم إمكان العدل يسقط عمل مقتضى هـذا الحكم فيجعل الرجل حراً فى تعديد الزوجات بشرط مراعاة « العدل المستطاع » بينهن ؟ إن هـذا يستلزم أن قوله تعالى : (فلا تميلوا) ناسخ لقوله : (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ولا يجرؤ أحد أن يقول بهذا النسخ .

والحقيقة أن الأمر أيسر من ذلك ، فلا تعارض بين النصين ولا حاجة إلى القول بالنسخ ، وما الإشكال الذى بدا لمعالى الباشا شديداً إلا نتيجة لأخذه جزء الدعوى فى الدليل مما يعتبر مصادرة على المطلوب وهى من مفسدات الدليل كما هو معلوم . فدعوى معاليه — فيما استقر عليه رأيه أخيراً — ذات شقين : الأول أن العدل الوارد فى النصين واحد وهو العدل المطلق ، والثانى أن العدل المستطاع المعبر عنه بقوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها) هو مجرد حكم وقتى خاص بالزوجات الموجودات وقت نزول هذه النصوص . ومعاليه أقام دليله على أساس ثبوت الشق الأول مع أن الدعوى بشقيها هى محل النقاش وهو فى مقام الاستدلال لها . فقد استدل إذن على الدعوى بالدعوى نفسها وهذا باطل .

٨ — أدلة المنصر الثالث . الواقع أن هذا المنصر من رأى معالى الباشا الذى اضطر إلى تكلفه — كما قدمنا فى التمهيد — دفعا لما استشعره من تضارب ظاهر بين تأويله للآيتين وركة تشوب النظم الحكيم نتيجة لهذا التأويل ، لم يقمه على سند من

دليل عقلي أو نقلي ، وإنما افترض افتراضاً حالة محنة وقع فيها المسلمون لما نزلت الآية مقتضية بجملتها – فيما يرى معاليه – تحريم التعدد ، وإن المسلمين هلعوا وجأروا هم والنبي إلى الله متململين من هذه المحنة الراهنة ، فلطف بهم فبين مراده بأن أنزل قوله (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) لا تنظيما للمستقبل الأدبي كما يقولون (أي كما يقول أصحاب الرأي المخالف لرأي معاليه) بل تنظيما للحالة الوقتية الناشئة عن تلك المحنة التي وجدها المسلمون حائقة بهم ، وهي حالة الزوجات المتعددات الموجودات فعلا عند نزول هذا القول ... ما الدليل على وقوع المسلمين في مثل هذه المحنة وجأرهم والنبي بالشكوى، وإن الآية الثانية نزلت للتخفيف من ذلك ؟ ! لا دليل !! وإنما يصرح معاليه بأن هذا الاستنتاج يؤيده فيه قوله تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) مع أن هذه الآية لا تؤيد استنتاجه في قليل أو كثير ، فقد كان دأب المسلمين سؤال النبي واستفتاؤه في كل شأن من شؤونهم بوصفه صاحب الرسالة والتشريع الجديدين ، فسألوه عن الخمر والميسر والمحيض والقتال في الشهر الحرام والمواريث والساعة والروح وعن المولى جل وعلا وغير ذلك من مختلف الشؤون المتعلقة بالتشريع والعقائد والأمور الغيبية ، كما سألوه عن النساء أيضا ، فلماذا يختص معاليه السؤال عن النساء بالدلالة على وقوع محنة وجأر بالشكوى واستجابة للتخفيف الخ ! أم أن ذلك كان قاعدة مطردة في كل ما سألوا النبي عنه في هذه الموضوعات فوجب القول بحدوثه أيضاً في سؤالهم عن النساء ؟ !

وهل كان شأن المسلمين في الصدر الأول التملل والجأر بالشكوى هم والنبي من كل ما ورد به الشرع مخالفا لعاداتهم كقاعدة عامة يمكن طردها في جميع جزئيات التشريع – ومنها ما يختص بتحريم تعدد الزوجات – بغير ما حاجة إلى دليل خاص؟ أم أنهم كانوا وعلى رأسهم النبي عليه السلام على العكس من ذلك يتقبلون كل ما يرد به الشرع عن رضى وإيمان بأن فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة وتطهيرهم من أوضار الجاهلية وأرجاسها ؟ ثم لماذا يجعل معاليه هذه الآية دالة على تململ العرب من التعدد خاصة مع أنه ليس سوى أحد الشؤون المتعلقة بالنساء والواردة هذه الآية وما يليها مباشرة من آيات يبين السياق أنها نزلت معها للرد على الاستفتاء في هذه الشؤون ؟ .

وإذا نحن ضربنا صفحا عن المطالبة بالدليل على وقوع المحنة والشكوى أفلا يحق لنا أن نطالب بالدليل على أن المقصود بقوله تعالى (فلا تميلوا . الآية) ليس سوى حكم وقتي ، مع أن ظاهر هذا النص دال بطريق الأشارة على أن إمكان مراعاة العدل المستطاع مجزئ بصفة عامة في حل التعدد المشروع وليس ثمة ما يصرف النص عما يدل عليه بظاهره ؟ (بيان ذلك أن الحكم بتحريم الميل كل الميل مرتب على وصف الرجال بعدم استطاعة العدل ولو حرصوا ، فما ورد في عبارة هذا النص هو من قبيل ترتيب الحكم على الوصف بالفاء ، ولفظ « النساء » الوارد في الوصف عام مما يجعل النص مفيداً بظاهره جريان الحكم في جميع النساء ، فلا يمكن قصره على الموجودات في عصمة الرجال وقت نزول الآية إلا بمخصص ؛ وأين هو المخصص ؟) . وإذا كان ما استنتجه الباشا مرادا للشارع بهذه الآية فكيف يعبر جل وعلا عن ذلك بعبارة يخالف ظاهرها مراده فيقع الناس بسبب ذلك في لبس تشريعي لم تكن لهم عنه مندوحة القرون الطوال يقارفون فيها الحرم نتيجة لهذا اللبس ؟ ! وكيف لم يدل بأي طريق من طرق الدلالة على حقيقة المراد بهذه العبارة غير المقصود ظاهرها وبخاصة أنه دل على ما هو أهون شأناً لتعلقه بالماضي لا بالحاضر حينذاك وذلك بتعقيبه تحريم نكاح كل من زوجات الأب والأختين باستثناء ما قد سلف ؟ ثم أين بيان النبي في ذلك ومهمته عليه السلام أن يبين للناس ما نزل إليهم ، وبخاصة في مثل هذا الذي وقعوا فيه في أشد اللبس إذا نحن تمشينا مع رأي الباشا ؛ أين الدليل على هذه النقطة التي هي حجر الزاوية في نظرية الباشا الجديدة والتي أراد معاليه أن يجعل منها حلقة اتصال بين تأويليه المتعارضين للآيتين فكانت بحق « الحلقة المفقودة » ؟ ! فليتفضل علينا معالي الباشا بهذا الدليل – إن وجد – فنكون لصنيعه من العارفين ، ونسلم له رأيه على طول الخط . إذ ليس رائدنا – علم الله – سوى التزام جانب الحق .

(يتبع)

إبراهيم زكي الدين بدوي
المتخصص في الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٦، ٧) :

٧ - في الوجود وعلله

للأستاذ كمال دسوقي

أما وقد وقفت على العلل الأربع لابن سينا وأرسطو من قبله ، وعرفت ما هي منها علل الوجود ، وما هي علل الماهية ، ورأيت أن غرضنا هنا ليس إلا علتي الوجود : الفاعلية والغائية من حيث هما موجدتان لعلتي الماهية : الهيولى والصورة ؛ فإنه يجدر بنا أن نبسط لك أنواعاً من الفروض في ترتيب الموجودات وأقسامها عند ابن سينا ، قبل أن نوغل معه في إلـهياته .

ذلك أن الموجودات تنقسم باعتبار المادة والصورة إلى ما لا مادة له ولا صورة ، وإلى ما له مادة وصورة ، والصورة وإن كانت توجد مفارقة للمادة ، فإن هذه لا يمكن أن تعرى عن الصورة ، ولا يكون وجودها بدونها وجوداً بالفعل - بل بالقوة ، وترتيب الموجودات على هذا الأساس - وبحسب شرفها وأحقها بالوجود هو أولا : الجوهر المفارق غير الجسم ، ثم الصورة المجردة ، ثم الجسم - الذي هو في مادة وصورة - ثم الهيولى التي هي مجرد مادة وجودها بالقوة ، وأخيراً الأعراض التي تلحق بهذه الجواهر: كالكيف والكم والمتى (الزمان) والأين (المكان) والفعل والانفعال - والوضع ... الخ

والموجودات باعتبار وجودها واجبة وممكنة ، فواجب الوجود هو الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال ، وممكن الوجود هو الذي متى فرض موجوداً أو غير موجود لم يعرض منه - هذا ضروري وذاك لا ضرورة له ، وليس وجوده أولى من عدمه أو العكس . واجب الوجود يكون واجب الوجود بذاته أو لا بذاته - أي بغيره ، فالذي بذاته هو الذي لا بشيء آخر ، أي شيء يلزم محال من فرض عدم وجوده . والذي لا بذاته هو الذي لو وضع شيء غيره مكانه صار واجب الوجود مثله كالأربعة عند فرض اثنين واثنين ، وكالاحتراق عند وجود المادة المحرقة والمحترقة وعلة الاحتراق .

وتستطيع على ضوء هذه المعلومات أن تفهم كيف يتدرج بك ابن سينا إلى إثبات واجب الوجود لذاته - الذي هو الله - فالعلل الموجدة للشيء في مقابل العلل المقومة للماهية ، تكون علة للصورة وحدها كالسرير بعد أن يصنعه النجار - أو علة للصورة والمادة معاً - كالجوهر المفارق الذي للسرير أو لغيره من مجموع مادته وصورته - أو علة الإيجاد والتركيب والجمع بين المادة والصورة - وهي العلة الفاعلة أو الموجدة التي هي علة واحدة أو أكثر مما سبقها من العلل أعني أنها علة وجودها وليست علة عليتها أو معناها كالعلة الغائية التي من أحكامها أنها علة في ماهيتها لعلية العلة الفاعلة بالفعل ، وأنها معلولة في وجودها للعلة الفاعلة هذه ؛ لأن الفاعل أو الموجد إنما يتحرك لتحصيل هذا الغرض ، فتصبح الغاية الأخيرة دائماً أول له .

وعلى هذا فكل موجود - إذا نظر إليه في ذاته - ومن غير التفات إلى علله الموجدة ، فهو بحيث يجب له الوجود في ذاته أو لا يجب ، أي أن يكون واجب الوجود لذاته - كالحق القيوم - أو ممكن الوجود بحسب ذاته - كبقية الموجودات وما حقه في نفسه الإمكان فليس يصير موجوداً من ذاته ، فإن وجوده أولى من عدمه لحضور شيء فيه أو غيبته ، فممكن الوجود بذاته هو إذن واجب الوجود بغيره - أي أنه ممكن الوجود من حيث هو علة لغيره - ويستمر هذا التسلسل لا إلى غير نهاية ؛ فإذا كان كل معلول لابد له من علة ، والعلة إلى علة أسمى؛ فلابد من الوقوف إلى علة العلل أو العلة الأولى التي هي نهاية السلسلة وهي واجبة الوجود بذاتها - والتي هي علة كل وجود - وموجدة حقيقة كل وجود في الوجود ، والعلة النهائية التي ليس قبلها علة .

وبيان ذلك أنه إذا كان لديك سلسلة آحاد من الموجودات كل واحد منها ممكن بذاته واجب بغيره ، وظللت تترقى بهذه السلسلة ، فأنت في النهاية بين إحدى ثلاث :

١ - إما أن ينتهي بك هذا الترقي أو هذه الطغمة **hierarchie**

من الموجودات إلى علة ليست معلولة — فتكون حينئذ واجبة بذاتها — وعلة هذه العلل — وتسمى حينئذ واجب الوجود .

٢ — وإما أن يكون التسلسل إلى غير حد ، بأن لا تجد فى آحاد السلسلة علة غير معلولة ، وحينئذ تكون علة هذه الآحاد خارجة عن جملتها ، وتكون مغايرة لآحادها وواجبة بذاتها ، إذ لو كانت غير ذلك لكانت واحدة من السلسلة .

٣ — أو يكون التسلسل دائرياً لا يتناهى — فتكون بعض الآحاد أو جملتها علتها جميعاً ، فتكون معلولة لذاتها ، ويصبح الجملة والكل شيئاً واحداً — وفى هذه الحالة لن تكون الجلة معلولة للواحد — لأنه هو معلول بها ، ولن يكون بعضها هو العلة ؛ إذ ليس بعضها أولى بهذه العلة من غيره ، والجلة لا تكون علة للآحاد ، وإلا لم يحتج إليها ما دام كل واحد فى السلسلة معلولا لما قبله علة لما بعده — فسقطت هذه الحجة — وبقيت سابقتاها التى لا بد أن تنتهى فى كليهما — مع التناهى فى التسلسل أو اللاتناهى — إلى طرف خارج عنها — غير متقدم لها فى الزمان — هو علتها اللامعلولة — وهو واجب الوجود الذى هى ممكنة به .

وبعد إذ فرغ الشيخ الرئيس من إثبات واجب الوجود فى ذاته على هذا النحو ، شرع فى إثبات صفاته إيجابيها وسلبيها : كالوحدة وعدم الكثرة أو التركيب والانقسام ، وعدم المشابهة أو الضدية ، وأنه تعالى عاقل لذاته معقول لذاته ، أى أنه عالم قيوم self existent

ولإثبات وحدة واجب الوجود ، يقرر أن الأشياء قد تختلف بأعيانها وقد تتفق — والمختلفة بأعيانها قد تتفق فى مقوماتها أو فى أمر عارض لها ، فينتج لدينا أربعة أقسام يهمنا منها النوع الأول من الأشياء : أعنى المختلفة بالأعيان (بالذات أو الهوّية identite) المتفقة فى مقوماتها (حدودها الرئيسية من جنس ونوع Constituents) ، وبينها أمر تتفق فيه وآخر تختلف فيه اتفاقاً واختلافاً لازمين أو عارضين من جانب وجه الشبه أو وجه الخلاف ، أما اللزوم فيما تتفق فيه كاشتراك الإنسان الناطق والحيوان الأعجم فى الجنس « حيوان » فهو صحيح ،

وأما اللزوم فيما تختلف فيه كلزوم النطق والعجمة فى الإنسان أو الحيوان فحال كذلك عروض ما تتفق فيه لما تختلف فيه جائز ، وعروض ما تفترق فيه ليس بمنكر ، كاطلاق الإنسانية على هذا الإنسان أو ذاك ، فالعرضية هنا واضحة الجواز .

ومقدمة أخرى يسوقها فيلسوفنا للبرهنة على وحدة واجب الوجود هى أنه يجوز أن تكون صفة ما كلية سبباً لصفة أخرى جزئية ، وهذه لأقل منها جزئية — فماهية الشىء أو فصله أو خاصته أو عرضه يمكن أن تكون سبباً لصفات أخرى فيما عدا الوجود — إذ الفرق بين الوجود وسائر الصفات أن هذه توجد بسبب الماهية ، والماهية سببها الوجود . فما هو سبب لا يكون مسبباً — وما هو علة لا يصبح معلولا ، وما هو متقدم فى الوجود لا يتقدم عليه غيره فى الوجود . وللامام الرازى على حجج ابن سينا هنا مناقشات ومحاكات ، وللطوسى على هذا الشارح الفاضل مآخذ واعتراضات . وجملة القول بعد هاتين المقدمتين أن واجب الوجود ما لم يتعين لم يكن علة لغيره ، لأنه بغير هذا التعين لا يوجد فى الخارج — وما شأنه ذلك يمتنع أن يكون موجداً لغيره ، وتعينه ذاك إما أن يأتيه من كونه واجب الوجود — وحينئذ لن يكون ثمة واجب وجود غيره ، وثبتت وحدانيته ؛ وإما أن يكون لأمر غير كونه واجب الوجود — فيكون حينئذ معلوماً — لأن وجوده يكون إذ ذاك من غيره ، ويكون الوجود ماهية أو صفة لغيره — وهو محال — هذا من حيث لزوم ما به الاشتراك وما به الاختلاف بين التعين والوجود الواجب ، وبإتمام ذلك بتطبيق عروض وجوه الاتفاق ووجوه الامتياز بينهما — على حد تقسيمنا الرباعى السابق فى المقدمة (كما تجد فى شرح الرازى ص ٢٠٥ والطوسى ٢٠٤ — ٢٠٦) ينتهى ابن سينا إلى فساد الثلاثة الأخيرة ، وإثبات تعين واجب الوجود — وبالتالى وحدته — ذلك لأن الأشياء التى لها حد نوعى واحد — أى لا تطلق على كثيرين ، وخصوصاً إن هى لم تكن فى مادة — لم تتعدد أشخاصها ، بل كان تعينها لازماً لنوعها أو لشخصها وحده ، وواجب الوجود ليس نوعاً يشترك فيه أشخاص ، ولاجنساً تشترك فيه أنواع ، ولايقال على كثرة أصلا

ومن هذا نرى أن واجب الوجود لا ينقسم فى الكم ولا فى المعنى ؛ لا فى الكمية ولا فى الماهية ، إذ لو تركبت ذاته من شيئين أو أشياء مجتمعة ، لكانت هذه كلها أو آحادها أسبق منه فى الوجود ومقومة له ، ولكانت بالتالى علة وجوده ، وهو كما قلنا ليس معلولا ولا مركباً ولا منقسماً فى الكم إلى أجزاء متشابهة ، أو فى المعنى إلى واجب وجود وماهية ، بل هو جوهر بسيط غير متجزئ ، وحتى وجوده ذاته ليس جزءاً من ماهيته أو متمما أو مقوماً لها ، فماهيته هى أنيته (وجوده الخاص الذى هو المبدأ لعامة الوجودات) وإنما المتكثر بالقسمة الكمية إلى مادة وصورة ؛ وبالقسمة المنوية إلى وجود وهيولى ؛ فهو الجسم الممكن المحسوس الذى له من نوعه أشباه - ولا كذلك واجب الوجود ، فإنه لا يشارك شيئاً من الأشياء الممكنة فى ماهيتها أو جنسها أو نوعها ، بل هو مستقل بذاته التى لا جنس لها ولا فصل — والتى من ثم لا يمكن تعريفها أو تصورها فى العقل بحد ، أو تصورها فى موضوع أو جوهر .

وكما أن الأول لا ندّ له ولا شبيه ، ولا جنس له ولا فصل ، ولا حد ولا تعريف ، بل شهود وعرفان بالقلب والنظر ؛ فلا ضد له كذلك ، سواء أكان هذا الضد عند العامة المساوى فى القوة المانع ، وعند الخاصة المشارك فى الوضوع المعاقب غير مجامع : إذ الضد فى الحالة الأولى معلول ، ومثله لا ينهض ضداً للواجب الأول ، وفى الحالة الثانية ليس للأول موضوع فيشاركه فيه أحد ، أو يتعاقب عليه بعده أحد .

وطبيعة الأول بجملة بحيث يعقل ذاته وتتعقله ، فهو واحد قيوم ؛ ذاته غير قائمة بغيرها — بل بنفسها ، ومجردة عن علائق المادة ، منزهة عن العهد والضعف وكل حس أو وهم أو تخيل من شأنه أن يجعله غير معقول أو يمت إلى الحس بسبب ، ومن كان ذلك شأنه فقد بين الشيخ الرئيس فى النمط السابق لهذا أنه يصير عاقلا ومعقولا — وعاشقاً ومعشوقاً — فانظره .

ونهاية المطاف ما ينبه عليه ابن سينا من الفرق بين مذهبه فى إثبات وجود الله وبين غيره من المذاهب ، فبينما المتكلمون من المسلمين يستدلون بالمخلوقات على الخالق ، وبالصنعة على الصانع ، وهو ما ذهب إليه كثير من الفلاسفة المتوحدين — مسلمين ومسيحيين ؛ وبينما الحكماء الطبيعيون يستدلون بوجود الحركة على محرك ، والمحركات إلى محرك أول — كما هى حجة أرسطو خصوصاً ؛ إذ الفلاسفة الإلهيون — وهو منهم — يستدلون بالنظر فى الوجود ذاته على إثبات واجب الوجود ، فى مقابل الممكن ، ثم يتبعون ذلك النظر فى ذات واجب الوجود بإثبات صفاته — على هذا النحو الذى فعل ابن سينا — بمعنى أنهم يستدلون بالعلة على المعلول — لا العكس — وهو أكثر يقيناً ، وأتم شرفاً ، وأولى بقومه الإلهيين الصدّيقين الذين لا يرون الله فى « الآفاق وفى أنفسهم » بل يستشهدون بالحق على كل شىء — عملا بقوله : « أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » ؟ فلم يحتج إثبات وجود الحق ووحدانيته وبراءته عن السمات إلى تأمل لغير نفس الوجود ليشهد به الوجود من حيث هو وجوده — ثم يشهد هو بعد ذلك على ما هو واجب بعده .

تلك هى طريقة إثبات وجود الله عند الإلهيين من الإسلاميين كما يعبر عنهم ابن سينا فى أروع كتاب له فى الحكمة المشرقية .

كمال دسوقى



صوف و (دمور)

جلست ذات مساء فى دكان الخياط ضجراً من ضياع وقتى فى انتظار بدلتى متعجباً من أن يخلف الخياط موعده إياى أربع مرات وهو لا يزداد خجلا فى كل مرة عنه فى سالفتها وإنما يزداد هدوءاً وصفاقة وجه لأنه لم يخجل قط وذلك فيما أرى لكثرة ما ألف من خلف الوعد ...

ولم أجد شيئاً أتفرج به بعد أن فرغت من التفكر فى صفاقته فثقل علىّ الإنتظار وهممت بالإنصراف ، وإذ ذاك دخل الدكان شابان حاسرا الرأس لم ألبث أن أحسست أن فيهما ما أنشد من فرجة ... كان أحدهما فيما قدرت فى العشرين أو فوق ذلك قليلا ، وكان الثانى دونه بنحو عامين ، وكانا كلاهما من أناقة الملبس وسطوع الألوان بحيث يستوقف ذلك منهما البصر قبل أى صفة غيره .. ونظرت فإذا بأصغرهما يتخطر إلى المرآة فينظر فيها نظرات أشاعت فى عينيه وملامحه جميعاً الإعجاب والغبطة ، ثم يصلح رباط عنقه ويصف شعر فوديه ، وقد اطمأن إلى بريقه ونعومته ، ويستدير يمنة ويسرة فينظر إلى عطفيه وجانبيه ، ثم يلقى نظرة على هيكله كله فى بدلته الجديدة ، ويستدير المرآة مزهواً يصفر بشفتيه لحناً وفى مشيته من الطراوة والتخلج ما لا يدع فى بدنه من الرجولة إلا الإسم. وأخرج الثانى مشطه ومشى إلى المرآة فأصلح شعره ووثق فى لمحات قصيرة من جمال طلعته وأناقة بدلته ، ثم جاء يجر مقعداً وجلس عليه قبالة صاحبه الذى اختار أن يجلس على حافة منضدة فى وسط الدكان معتقلاً كبته بيده تارة ، مستنداً إلى ذراعيه يكاد يستلقى على ظهره فوق المنضدة تارة أخرى ... وما اختار المنضدة مقعداً فيما أعتقد إلا ليبقى تجاه المرآة يستمتع بما يرى من وجاهة .

وأخرج أصغرهما علبة سكائره ومدها إلى صاحبه ، وراحا يرسلان الدخان فى جو الدكان ورأيت لأصغرهما أوضاعاً يتكلفها للسيكارة بين أصابعه وفى فمه وفى كفه إذ يشير بها أثناء الحديث ، وأوضاعاً للدخان كيف يرشفه وكيف ينفثه وذلك عنده من مصطلحات الأناقة والظرف ، واستبطآ الخياط ، وضجرا من أن تضيع دقائق من وقتهما الثمين فى انتظاره ؛ وكان الأصغر يثب إلى الباب كل دقيقتين أو ثلاث يضن بأناقة ورشاقة أن يذهبا سدى طول هذا الوقت الذى يحجبه فيه الدكان وهو ما خرج ورفيقه من دارهما إلا لتعجب بهما الغانيات ! وصحبه رفيقه إلى الباب وقد أبصرا من بعد فى ضوء المصابيح بعض الفتيات ، وعادا ينتقدان ساق هذه ويمتدحان قوام تلك ؛ ثم جلسا يستعرضان فى ضحك وتحمس ما يعجبهما فيمن يعرفن من كواكب السينما من سيقان وعيون وشفاه ، وكل منهما يدافع عن وجهة نظره فى قوة ، كما لو كانا يتجادلان فى مسألة من مسائل العلم أو الأدب أو الاقتصاد ، وهيهات أن يبقى ما وعافيه من علم الجمال وما حفظاه من أسماء الكواكب الزهر فى رأسيهما فراغاً لشىء من ذلك الجد وهما بعد كما عرفت من كلامهما طالبان فى الجامعة ...

وجاء الخياط فسأله الأصغر عما عنده من قماش ، ونظر نظرة فى الألوان وسأله عما يطلب ثمناً لبدلة منه ؛ فقال الخياط أربعة وعشرين جنيهاً . وإذ ذاك ألقى الفتى بالقماش من يده ، وقال وهل ألبس بدلة بأربعة وعشرين جنيهاً ؟ وتملقه الخياط بقوله إذا كان مثلك يا سعادة البك لا يدفع هذه القيمة فمن يدفع ؟ وضحك الفتى ورفع رأسه وتأبه وشمخ بأنفه وقال للخياط أريد بدلة كهذه وأشار إلى بدلته ، لقد أخذ خياطى ثمناً لها خمسين جنيهاً ... وكأنما أراد الفتى أن يبين للخياط بدليل آخر مبلغ جهله بقدره ، فأشار إلى رباط رقبته وسأله كم تظن ثمن هذه الكرافتة ؟ فقال الخياط لا يقل عن جنيه ونصف يا سعادة البك ! فضحك الفتى ثانية ضحكة مازجتها الكدرة وقال ثمنها ثلاثة جنيهات ونصف ..ثم سلم هو وصاحبه وخرجا من الدكان .. ونظر إلى الخياط وقال لهذا السبب ينجح الخواجات فأيهم الواحد من هؤلاء اللاعبين بالمال إلا أن يقال إنه يلبس بدلة ثمنها كذا ، أما قيمتها الحقيقية فآخر ما يفكرون فيه ، وفى البلد آلاف بل ملايين لا يجدون بضعة أمتار من الدمور ..

وملت بموضوع الحديث عن وجهته لما فى نفسى من ضجر وغيظ من الخياط الناقد ، فقلت وهل ينجح الخواجات بهذا وحده ؟ فهز رأسه مستفهماً فقلت : وبصدقهم فى المواعيد . . . ومضيت بدون بدلتى ضجراً من خلف الخياط وإن بقى لكلماته أثر قوى فى نفسى ظل يذكرنى أياماً بالجنيهات الخمسين وبضعة الأمتار من الدمور

الخفيف

على الأعراف (*)

للأستاذ محمود غنيم

ما للكنانة بعد طول مطافِ   وقفَتْ سفينتُها على الأعراف؟
ولقد تكشَّفت الأمور وأمرها   داجى الغياهبِ حالكُ الأسداف
قالوا: السلام فقلت: دون سلامكم   وقع الصوارم والقنا الرُّعاف
والله ما ساد السلام بعالم   حُرِمَ الضعيف به من الانصاف
إن الذين ونوا السلامَ قضوْا بما   بدع السلامَ مزعزَعَ الأكناف
حكموا ففاحت من بوادر حكمهم   ريحُ الدم الفوَّار للمُسْتاف
طرحوا القضية فى السلال فهل تُرَى   يومَ القيامة يومَ الاستئناف
قل للأُلى طال التداول بينهم   ليس الصباح على البصير بخاف
فيم التداول إن قُرصَ الشمس لا   يحتاج ناظره إلى كشَّاف
خدعت بمعسول الوعود ممالكٌ   لم تجن غيرَ مرارة الأحلاف
هل كان ميثاقُ المحيط روايةً   وهمية محبوكةَ الأطراف
كشفت قضية مصر ثوب ريائهم   يا للرياء وثوبه الشفَّاف
حلفاؤنا الأحرارُ لما نكَّلوا   بخصومهم مالوا على الأحلاف
سبعون عاما فى احتلال دائم   يا للكنانة من سنين عجاف
ضيفٌ ألمَّ بها فأصبح ربَّها   ثم استباح كرامة الضياف
قالوا: استقل النيل والمحتل فى   واديه محمولٌ على الأكتاف
إن الأسار له مذاق واحد   ولو أنه متعدِّدُ الأوصاف
لسنا بأحرار لعمرى مابدا   لوجوههم طيف من الأطياف

أبنى أبينا فى الجنوب تحيةً   كالزهر كلٌّ بالندى الرفاف
فى مصر عترتكم وما فى غيرها   من عترة لكمو ولا أسلاف
النيل ألف بيننا بنميره   كتألف الندمان حول سلاف
أخوا رضاع ليس يفصل بيننا   فى الوضع غير شريعة الأجحاف
لا يخدعنكم الدهاة زائف   من قولهم عذب المذاق زعاف
الأجنبى بأرضنا وبأرضكم   كالغيم فى الجوِّ الطليق الصافى
إن الذى تبع الدخيل منوَّمٌ   فى الصحو مسلوبُ الإرادة غاف
إن غرَّه كرمُ الدخيل فطالما   ذُبِحَ الفصيلُ بمدية العلاَّف
ضمنوا الصفوف إلى الصفوف وأرهفوا   بيضَ العزائم إنها إرهاف
إن الأمانى كالغوانى دأبها   ألاَّ تلينَ لخاملين ضعاف
لا يَنْفُذُ الحقُّ الصريحُ بنفسه   كلا ولا عدلُ القضاة بكاف
الحقُّ يعوزُهُ مُحِقٌّ ساهر   كالسيف تعوزه يد السيَّاف
ولقد تألَّبت الخطوبُ على الحمى   وبنوه رهنُ تناحر وخلاف
ما ضر لونسى الجميع نفوسهم   فيعودَ صفوُ الوُدِّ بعد تجاف
شتَّى فئاتٍ يهدفون لغاية   فكأنهم سِفْرٌ بألف غِلاف
هتفوا لزيد بالحياة وخالد   لكن وقفت على الجلاء هتافى
بطل الجلاء سقت ضريحك ديمةٌ   تسقى الرياض بها طل وكاف
درجت عليك الأربعون ولم تزل   من كل قلب عالقاً بشغاف
لك سيرة يتلو الشباب فصولها   كالآي من ياسين والأحقاف
سور ترتلها فتشعل فى الدما   ما تشعل النيران فى الألياف
قف بالفلاة وقل: هنا الكنز الذى   دفنوه بين جنادل وفياف
قف بالفلاة وقل: هنا فردٌ إذا   قيس الرجال يُقاسُ بالآلاف
حمل الأمانة وحده فكأنه   من نفسه فى فيلق زحاف
ما ضر أعظمه تواضع قبره   فالدُّرُّ درٌّ وهو فى الأصداف
يا سيد الشهداء غرسك لم تزل   نسقيه من دمنا ليوم قطاف
وتراثك الوطنىُّ فى يد معشر   لا واهن عزماً ولا وقاف
نفرٌ من الأشراف أن جدَّ الحمى   فى البحث عن نفر من الأشراف
رجعوا إلى أعراقهم فتجمعوا   بعد الخلاف تجمعَ الألاف
من كل باذل نفسه أو ماله   للنيل مقتنع بعيش كفاف
ما أنكروا حقاً ولا إن جادلوا   فى باطل لجئوا إلى الأسفاف
لا الحكم طأطأ من رؤسهمو ولا   لانت قناتهمو لغمز ثقاف
لا تستخف الحادثاتُ حلومَهم   ويقابلون الموت باستخفاف
قالوا: معاهدةُ الفخار وقلتمو   داءٌ عضال لا دواء شاف
حتى إذا لاح الصباح لناظر   شهدوا لكم بإصابة الأهداف
أدركتمو عيب الأمور كأنكم   تتلونها من صفحة العرَّاف
وتزعزع المتزعزعون وأنتمو   كالطود فى عصف الرياح وقاف
ووفيتمو لبلادكم بالعهد فى   زمن يقل به الأمين الوافى

محمود غنيم

(*) ألقيت هذه القصيدة بدار الأوبرا الملكية فى احتفال الحزب الوطنى بمرور أربعين عاماً على وفاة المرحوم مصطفى كامل.

الأدب والفن في أسبوع

مهرجان الشباب :

كان يوم الجمعة يوم الشباب ، وهو اليوم الذى أقامت فيه الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف ، المهرجان الأدبى والفنى لتعرض به نتائج المباريات التى نظمتها للشباب فى الأدب والفنون فمنذ أكثر من شهر يقوم المشرفون على هذا المهرجان بالإعداد له ، وتقوم لجان التحكيم بالفحص وكشف المواهب ؛ حتى وضعوا أيديهم على البواكير ، وقدموا ما طاب منها على مسرح الأوبرا الملكية يوم المهرجان .

افتتح الحفل الأستاذ فريد أبو حديد بك المدير العام للثقافة بكلمة أبدى بها فكرة المهرجان الذى اعتزمت وزارة المعارف تنظيمه سنويا فى شهر عيد الميلاد الملكى ، لحفز قوى الشباب الأدبية والفنية وتدعيم نبوغه ، وبين آثار الفنون فى حياة الأمم ورقيها ، ومما قاله أن مصر التى نشطت فيها الحركات الأدبية والفنية ولم يعقها الاحتلال — حرية أن تبلغ فى هذا المضمار شأواً أبعد ، على أيدى الشباب فى العهد الجديد ، وقال إنه كان يلاحظ علامات السرور على وجوه أعضاء لجان التحكيم حين تلوح لهم لمات فى إنتاج الشباب ، وإن ذلك يدل على ما يرجون فيهم من خير وما يودون لهم من توفيق .

وبعد أن ألقى الفائزون فى مباراة الغناء نشيدا ، تقدم الفائز الأول فى مباراة الشعر (وترى بعد هذا كلمة عنه) فألقى قصيدة ، ثم ألقى الفائز الأول فى الزجل زجلا مطلعه « كلمة فاروق حلوة » ثم تلا ذلك عزف موسيقى إجماعى وانفرادى على مختلف الآلات من طلاب ومحترفين وهواة ، وتخلل العزف نشيد وقطعة غنائية ثم وزعت الجوائز على الفائزين فى المباريات ، وبعد ذلك مثل فريق مدرسة الخديو إسماعيل الثانوية مسرحية إسماعيل الفاتح ، وأعقبه فريق هواة الأسرة الأباظية بتمثيل الفصل الثانى من مسرحية قيس ولبنى .

الشاعر الأول :

كانت مفاجأة المهرجان هذا الشاب الشاعر عبد العليم محمد القبانى الذى يشتغل بخياطة الملابس البلدية بالاسكندرية ، وكانت القصائد التى قدمها فى المباراة الشعرية قد استرعت التفات لجنة التحكيم فى الشعر وأثارت إلى جانب دهشتها شيئاً من الشك ؛ فلما كان الأستاذ فريد بك أبو حديد بالاسكندرية عرج على دكان هذا الترزى الشاعر ، وجلس بجانبه يحادثه متوسما أمره ، وجذب عبد العليم كراسة من درج بدكانه ، وجعل يسمع فريد بك أشعاره ...

فاز الأستاذ عبد العليم فى المباراة بقصيدتين هما « من ليالى البحيرة » و « ليلة فى حان » وقد ألقى الأولى فى المهرجان ، وأولها :

قلت لى لما تلا قينا على شط البحيرة
فى مساء رائع الفتنة موفور المسرة
كلما حاولت أن أنساه لا أذكر غيره

ياحبيبى ابتسم الدهـــر لنـــا
فتعـــال نجتنى زهر المـــنى
لا تقل لى فى غد موعـــدنا
نحن لا نملك إلا يومنـــا

ويقول فى القصيدة الثانية « ليلة فى حان » :

يا ابنة الحان هفا قلبى إليك ... فاركيه يحتسى من خمر ثغرك
طاف بالدنيا وأمسى فى يديك ... ظامئاً لا يرتوى إلا بخمرك

فدعيه يحتسى حتى الصباح
من جنى الكرمة والحسن المباح
يا ابنة الحان دنا الفجر ولاح
وأنا لا أرتجى عنك رواح

على أن التمثيل بأجزاء من هاتين القصيدتين لا يعطى فكرة صحيحة لقيمتهما ، فكل منهما ذات وحدة وخيال متصل .

شاعر من الجنوب :

وقد فاز فى مباراة الشعر شاب من إخواننا السودانيين هو الشاعر إدريس محمد جماع ، وهو طالب بكلية دار العلوم ، ومن قصيدته يصف النيل حين يفضب :

إذا الجنادل قامت دون مسربه أرغى وأزبد فيها وهو غضبان
ونشر الهول فى الأجواء منطلقاً وكان فى كل صوب منه بركان
لحول الصخر ذرا فى مدارجه فبات وهو على الشطين كثبان
عزيمة النيل تفنى الصخر حدتها فكيف إن مسه بالضيم إنسان

الخطيب الأول :

يذكر القراء ما كتبته فى عدد مضى عن مباراة الخطابة وما لاحظته على موضوعها وهو بيت من حكم المتنبي؛ وكان ذلك فى إحدى جلسات المباراة ، وفى جلسة أخرى اقترح على المتبارين الموضوع التالى : « تمثل وقد جئت إلى هذه المباراة جما من ثراة مصر جاؤا ينتظرون كلمتك فوجهها إليهم ولتكن غايتك حثهم على افتداء فلسطين بالمال فإن غيرهم يفتديها بالأرواح » وحدد للتفكير ساعة ، وجعل للخطابة عشر دقائق ، وكان بين المتبارين الشاب الأديب عبد الصبور مرزوق الطالب بكلية دار العلوم ، فروى ساعة ثم تقدم يقول :

قال لى صاحبى ليعلم ما بى أى شىء غدوت منه حزيناً
قلت حرب وفتنة وجحيم فى فلسطين ، أين نلق المعينا
موطن الوحى أصبح اليوم نهبا وعرين الأسود بات مهينا

ثم سار بعد ذلك فى الموضوع نثرا ، ووجدتنى أسرع إلى تسجيل بعض قوله ، فمنه « فلن يزيدنا عسفهم إلا إباء وثورة ، ولن يزيدنا كيدهم إلا كفاحا وقوة ، ولن يفل عزيمة الشرق أنه مهدد ، ولن يحول دون نجاحه أنه مستعبد » ومنه « فقد شربنا مع الفطام كيف نجالد اليأس فنحيله أملا ، وكيف نغالب الأقدار فتزيدنا أجلا ، وكيف نستعذب الموت فى كفاح المحن ، ونستعيد الماضى وإن طال على الماضى الزمن » .

وقد عاد إلى ارتجال الشعر فى أثناء الخطابة فقال :

فسلوا الأرض فى فلسطين أرضى من بعد طهر رجس
وسلوا المسجد المقدس عنهم وهو يبكى روعة وتأس
« أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس »

والبيت الأخير لشوقى بك ، أتى به على سبيل التضمين .

وكان عبد الصبور هو الفائز الأول فى الخطابة ، ولم يلق فى المهرجان بالأوبرا ، لأن المهرجان كان يذاع ما يلقى فيه ، والإذاعة تحتم الاطلاع على النص من قبل ، والخطابة ارتجال .

يريد أن يشبع قراءة :

هو أحد الفائزين فى مباراة القصة ، وهو الشاب الأديب محمد يسرى أحمد الطالب بكلية الطب ؛ قدم إلى المباراة قصتين قصيرتين : « الغربال » و « الأعمى » والتى فازت الأولى ، لا لأنها أحسن من الثانية ، ولكن اللجنة قرأت قصة « الأعمى » فألفتها قصة جيدة من حيث القيمة الفنية ، بل إنها دهشت لبراعة كاتبها فى التحليل وتبيين الدوافع التى حملت بطل القصة على على ارتكاب أمر محرم يعافه الطبع المستقيم ، ولهذا صرفت النظر عن القيمة الفنية وأسقطت القصة من الحساب ، واكتفت بقصة « الغربال » .

وقد استرعى أمر هذا الشاب التفات لجنة القصص ، من حيث نبوغه فى فن القصة مع صغر سنه التى لا تتجاوز الثانية والعشرين ، فكان موقفها منه كموقف لجنة الشعر من الشاعر التزى ... أثار إلى جانب دهشتها شيئاً من الشك ... وقصد إلى منزله بحلمية الزيتون الأستاذ عبد الله حبيب عضو لجنة التحكيم فى القصة ، وجلس معه فى غرفة الاستقبال ، وعلم الشاب أنه فاز فى المباراة ، وأنه سيمنح ميدالية ذهبية ، فقال :

— كم تساوى هذه الميدالية إذا بعتها ؟

— إنها يا بنى تتكلف نحو ثلاثة جنيهات لدقة صنعها ، ولكنك إذا بعتها فلن يزيد ثمنها على خمسين قرشاً .

— إننى جائع إلى القراءة ... أمر بالمكتبات فأرى فى واجهاتها « شهى » المؤلفات فى الآداب والفنون ، فأحس بالشوق إلى التهامها ، ولكنى أنصرف عنها آسفا كاسف البال ، لأنى

لا أقدر على ثمنها ، وكم أفضل جائزة مالية على هذه الميدالية ، لكي أشبع من قراءة هذه الكتب ...

وكان المقرر أن تقصر الجوائز المالية على الفائزين من غير الطلبة ، أما هؤلاء فيمنحون ميداليات ، خشية أن تصرفهم النقود عن الجد ، فينفقوها على شيء من اللهو ... ولكن الرغبة التي أبداها محمد يسرى كانت من أسباب الرجوع عن هذا القرار فمنح جائزة مالية كما منح غيره من الطلبة الفائزين .

بقية الفائزين :

فاز في الشعر عدا الفائز الأول والشاعر السوداني — كمال النجمي وعبد المنعم حسن قنديل ومحمد الحناوى وسعد دعبس ويوسف زاهر ، وفاز في الخطابة — عدا الأول — حسين دياب وطه محمود عثمان ومحيي الدين الحلواني، وفاز في القصة محمد أمين حسونة (الأول) ومحمد يسرى أحمد الذي تقدم ذكره ومحمد رشاد حجازي وعبد الفتاح مجدى ونعيمة وصفى وإنعام إبراهيم النجار ومحمد شريف وفاز في المسرحيات أحمد جاب الله شلبي ، وفاز في التمثيليات الإذاعية عزالدين فراج ، وفاز محمد محمود زيتون في الخطابة والشعر والتمثيليات الإذاعية ، وفاز محمد على ناصف في القصة وفي المسرحيات (الأول) وفي التمثيليات الإذاعية ؛ وفاز محمد عبد الرازق مرزوق في القصة وفي المسرحيات . وبلغ مجموع الفائزين في فنون الأدب وباقي الفنون ١٢٠ ، وكانت الجوائز بعضها أدبي وبعضها مالي ، وبلغ مجموع الجوائز المالية ٥٠٠ جنيه .

ويلاحظ أنه لم يفز من الفتيات في الأدب غير اثنتين فازتا في القصة ، وقد كانت نسبتهن في الموسيقى كبيرة وقد برعن في العزف وخاصة على البيان رفيق الأنامل الناعمة .

الموسيقى والتمثيل :

كانت الأناشيد والموسيقى أضعف برنامج المهرجان ، وكان أغلب العزف بأنواعه ضربات على الآلات لا فن ولا طرب فيها ، وقد شغل مع هذا أكثر وقت المهرجان ، حتى مله الحاضرون . وإن لم يخل من ومضات، كعزف ذلك الصغير على الكمان ، وضرب هذه الصغيرة على البيان ، وهما صغيران قدمهما نبوغهما المبكر إلى صفوف الشباب ..

وقد مثل فريق مدرسة الخديو إسماعيل الثانوية مسرحية إسماعيل الفاتح ، ومثل فريق هواة الأسرة الأباظية الفصل الثاني من مسرحية قيس ولبنى ، فأزال الفريقان ما وان على النفوس من ملل الموسيقى ، ودلا على كفاية الفرق المدرسية والهواة في فن التمثيل المسرحي .

معرض الكتب والفنون :

وفي اليوم التالي لمهرجان الأوبرا ، وهو يوم السبت ، ناب عن معالي وزير المعارف الأستاذ إسماعيل القباني المستشار الفني لوزارة المعارف — في افتتاح معرض الكتب ومعرض الفنون بدار خدمة الشباب (٧ شارع سليمان باشا) .

ويشتمل المعرض الأول على الكتب الصادرة في سنة ١٩٤٧ التي بعث بها المؤلفون ودور النشر إلى المعرض بناء على طلب الإدارة . ويحوى معرض الفنون لوحات في الرسم والتصوير بأنواعه ، وتماثيل وأشغالا يدوية وصناعات زخرفية ، قدمتها هيئات وأفراد وفرق هواة ومحترفين .

ويظل المعرضان مفتوحين للجمهور أسبوعا من يوم الافتتاح .

العباس

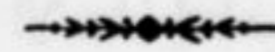


ميزان الحكمة (*)

لأبي الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن

حققه وعلق عليه الأستاذ فؤاد جيمان

بقلم الأستاذ محمد عبد الغني حسن



هذا كتاب كان مخطوطاً فنشره لأول مرة في المطبعة العربية الأستاذ فؤاد جيمان ، وذلك فضل يجب أن نسجله للناشر الذي رأى أثراً من الآثار الإسلامية مجهولا عند المسلمين اليوم فآثر أن يعرضه على قراء العربية في طبعة أنيقة وذوق في الإخراج مع التعليق في بعض المواطن التي تحتاج إلى تعليق .

والحق أننا محتاجون إلى إحياء التراث العربي وكشف النقاب عن ذخائره ، فإن كثيراً من هذه الآثار لا يزال مطموراً في ظلمات لم يكتب لها إلى اليوم أن ترى النور . كما حدثني بذلك الأستاذ الدكتور محمد سامي الدهان الذي رأى بعينيه كثيراً من مخطوطات برلين العربية مدفوناً في دير من الأديرة الكاثوليكية في ألمانيا بعد أن صارت العاصمة الألمانية غرضاً للقنابل الإنجليزية

لذلك فرحت أشد الفرح حينما رأيت كتاب « ميزان الحكمة » للخازن يظهر إلى دنيا المطبوعات بعد أن كان في عالم المخطوطات؛ فإن كل مخطوط عربي يقدم إلى المطبعة اليوم فإنما هو يد يسديها ناشره إلى الأمة العربية وإلى تاريخها الطويل الذي أسهمت به في بناء الحضارة مدة من الزمان .

وينبغي أن لا تخرجنا العجلة في طبع المخطوطات ونشرها عن القواعد الصحيحة للنشر والتحقيق ، وأن لا تعجلنا الفرحة بالإخراج عن الأناة في التحقيق والتحري له وحسن الضبط فيه ؛ فإن من الخير أن يظل المخطوط مخطوطاً عن أن يخرج إلى الناس على غير الوجه الذي أراده مؤلفه . وإن من الأمانة لتراث الأسلاف أن يظهر كما كان لا كما نتوهم نحن أن يكون .

ولا أعني بذلك أن أنقص من عمل الأستاذ فؤاد جيمان أو أن أهون من أمر إخراجه لكتاب « ميزان الحكمة » على هذا الوجه الذي طالعنا به مكتب الشروق للطباعة والنشر ، فأنا على ثقة أن عناية كبيرة بذلت في سبيل إخراج هذا المخطوط الذي تلفت منه كثير من الصفحات ، والذي فُقد منه فوق ذلك جزء ليس بالقليل . فإن الفصول الثلاثة الأولى من الباب الثاني من المقالة الخامسة مفقودة ، وقد أشار الناشر إلى ذلك في ذيل صفحة ١٠٧ . أما الباب الثالث من هذه المقالة فلم أقف له على أثر في موضعه من الكتاب ولم أجد المحقق أشار إلى ذلك ، بل وصل ما بين البابين الثاني والرابع من غير تعرض لهذا الباب المفقود .

على أن إخراج المخطوطات يجب أن يرجع فيه إلى أكثر من مخطوط واحد حتى تتم المقابلة بين النسخ الخطية من الكتاب على أتم الوجوه . ولكن هذا العمل قد يمنى القائمين به ويرهقهم من أمرهم عسراً . ولكن العسر في سبيل التحقيق العلمي هو وسيلة يهون عندها الوصول إلى أنبل الغايات ؛ وهي إظهار النص على حال لا يبعد به عن أصله الذي أراده له مؤلفه . ولا يلجأ إلى المخطوط الواحد إلا حين تنعدم من العالم نسخ خطية أخرى . فهل كان الشأن كذلك حين نشر الأستاذ جيمان هذا الكتاب عن نسخة خطية واحدة ؟

يقول الأستاذ قدري حافظ طوقان في التصدير الذي قدم به بين يدي الكتاب « إن قنصل روسيا في تبريز عثر صدفة في منتصف القرن الماضي على هذا الكتاب « كتاب ميزان الحكمة » ويقول في موضع آخر : « وأخيراً توفق الأستاذ فؤاد جيمان في الحصول على مخطوط لميزان الحكمة فنقله مع شيء من الشرح والتعليق » ويقول الأستاذ جيمان ناشر الكتاب في صفحة ١٧ : (وربما كانت النسخة التي بين أيدينا هي تلك النسخة الموجودة في فارس إذ لم أستطع أن أتبين تاريخها وذلك التشويه الكبير الذي ألم بها) . ويقول أيضاً في الصفحة نفسها : (لكن المستشرق الألماني ويدمان يذكر أن نسخة منه موجودة في أحد جوامع بمباي في الهند) .

(*) ١٢٨ صفحة من القطع الكبير — نشره مكتب الشرق بالقاهرة

هذه خلاصة قصة هذه المخطوطة كما ذكرها الناشر ومقدم الكتاب ، وليأذن لى الأستاذان الفاضلان أن نسخة خطية من هذا الكتاب توجد فى « الخزانة الآصفية » وهى خزانة عامة « تحت نظم الدولة الآصفية » بالهند . واسم الكتاب مذكور فى فهرس الخزانة ج ١ ص ١٢٥ كما ورد فى كتاب « تذكرة النوادر » المطبوع فى حيدراباد الدكن والذى أخرجته جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٥٠ هجرية . — راجع التذكرة ص ١٦٦ وهذا المخطوط كما وصفته التذكرة بمقالاته الثمان — هو الذى نشره الأستاذ جيمان . ومعنى هذا أن من هذا الكتاب نسختين خطيتين كان أولى بالناشر أن يحصل على ثانيتهما بطريق التصوير مثلا ؛ فربما كانت هذا النسخة الآصفية أكثر ضبطاً وأكمل صفحات وأسلم من التلف . وبهذا كان يتجنب هذا الفراغ الكبير الذى تركه فى الكتاب المطبوع معتذراً بتلف الأوراق أو فقدانها .

أما النسخة التى يذكر المؤلف أن المستشرق الألمانى ويدمان يقول إنها موجودة فى أحد جوامع بمباى بالهند فقد وقفت طويلا عند ذكرها وأطلت الوقوف ... ويظهر أنها مقالة أو أكثر من مقالات « ميزان الحكمة » نسخت فى ربيع الآخر سنة ٥٨٥ بساحل بحر عمان فى موضع نقال أى بعد حياة الخازن ببضع عشرات من السنين . ولكن « تذكرة النوادر » ومؤلفها أحد علماء الهند المعاصرين يذكر أن بين مخطوطتى الآصفية وجامع بمباى اختلافاً فى عبارتهما وإن كان يذكر على سبيل الاحتمال أن الكتابين شىء واحد .

ويذكر الأستاذ قدرى حافظ طوقان شيئاً عن ترجمة الخازن فى الكلمة التى عنونها بهذا العنوان ؟ (من هو الخازن مؤلف هذا الكتاب ؟) . والحق أنها كلمة لا يسمو بها الإيجاز والاقتضاب أن ترتفع إلى مرتبة التعريف بعالم طبيعى من علماء المسلمين . ولو أنه نقل ما كتبه البيهقى فى كتابه « تاريخ حكماء الإسلام » الذى حققه الأستاذ محمد كرد على بك لأضاف إلى التعريف بالخازن شيئاً عن زهادة هذا العالم الجليل وعفة نفسه وجمال خلقه « ونقاء جيبه عن الأطماع الخسيسة » . كما يذكر المؤرخ « ظهير الدين » فى كتابه صفحة ١٦٢ .

ويظهر لى — والله أعلم بالسرائر — أن الأستاذ الناشر أراد أن يخرج كتاب الخازن على أى وجه ... وأن الأستاذ طوقان أراد — أو أريد له — أن يقدم الكتاب على أى وجه ... فخرج الكتاب وظهرت القدمة ... ولكن الكتاب لم يُظهر لنا « ميزان الحكمة » على أصله وحقيقته ؛ ومقدمة الأستاذ طوقان لم تظهر لنا « الخازن » الحكيم العربى على حقيقته . فإن الأستاذ طوقان يعلى من قدر « الخازن » إلى حد خشى معه أن يتوهم القارىء أن فى ذلك انتقاصاً من قدر العلماء الأوربيين : « تورشلى » و« بسكال » و« بويل » . وما هناك بأس أن ننصف آباءنا العرب حين يجب النصفة . ولكن ماذا يقول الأستاذ طوقان فى أن مقدمته كانت تحتاج إلى كثير من الشرح العلمى الطبيعى ، لا مقدمة عابرة يسد بها فراغ . وما كان هناك موضع أولى بشرح نظريات « الخازن » من مقدمة لكتاب ألفه الخازن ليفهم على حقيقته بعد موته بأكثر من سبعة قرون وما كان هناك أحد أولى بمثل هذه القدمة من الأستاذ العالم قدرى حافظ طوقان . ولعل عالمنا العربى الجليل يعوض ذلك بمقال عن « الخازن » فى إحدى المجلات العربية العلمية الرصينية .

أستغفر الله ما قصدت أن أعنف على ناشر له فضل النشر كالأستاذ جيمان ، ولا على عالم — له فضل التعريف بعالم عبقرى — كالأستاذ طوقان ؛ فكلا الرجلين له فضل التقديم بأثر يمتز بذكراه المسلمون والعرب حين كانت لهم مقاليد العلم وميادين البحث — ولله عاقبة الأمور ...

محمد عبد الغنى حسن



ثمار المطابع :

٨٩ شهراً في المنفى ١٩٣١ - ١٩٣٨

تأليف الأستاذ محمود حسنى العرابى

لو كان مؤلف هذا الكتاب أوروبياً أو أمريكيا لنال من نباهة الذكر وذيوع الصيت قسطاً وافراً ملحوظاً ! ولو أن صاحبه أزجاه - إذ قدمه لقراء العربية - على أنه ترجمة لمغامرات انجليزى أو فرنسى أو أمريكي لاشتد إقبالنا على الكتاب ، وازداد إكبارنا لصاحبه ، وعظمت فى عيوننا شخصيته ، ولشمر الكتاب عن سواعد الجد والنشاط ، ونطلقوا يعددون مآثر ذلك المغامر الإفرنجى ، وراحوا ينعتونه بنعوت البطولة والمجد ، وخلعوا عليه صفات الشرف والإباء والمصابرة !

ولكن هذ الكتاب ليس سوى بعض ما صادفه الأديب الكاتب المعروف الاستاذ محمود حسنى العرابى فى حياته الحافلة ، من ألوان الشدائد والصعاب ، وضروب التجارب والمغامرات ، منذ رحيله مكرهاً عن أرض وطنه الأول العزيز فى عام ١٩٣١ إلى أن شاءت الظروف عودته إلى إحضانه فى غضون عام ١٩٣٨ ، قبيل اندلاع نيران الحرب الأخيرة .

وقد أجل المؤلف الفاضل فى فصول هذا الكتاب الضخم وصف ما صادفه وما ألم به طوال مرحلة اغترابه عن مصر فى عبارة رقيقة عذبة وأسلوب قصصى أخاذ ، تتجلى فيه شخصية صاحبه على نحو يندر الاهتداء إلى نظائره فى هذه الأيام !! فهو يمتاح من تجاربه ويكتب دون حاجة ملحة إلى اصطناع الخيال أو التأنق فى الوصف الفنى ، ذلك أن الأيام التى مرت به فى غربته قد احتشد بها كثير من الأحداث التى يعجز الخيال الموغل عن تصور بعضها ، بل إن فى بعضها ما يفوق الخيال الذى يتخيله القابعون فى عقر دورهم ، والمعتصمون « بيروجهم العاجية » الأنيقة المترفة !

ولقد سجل الأستاذ العرابى حوادث تلك الفترة العاصفة من حياته الدائمة الصخب والضجيج تسجيلا فنياً لم نحظ بمثله - كما قدمنا - فى كثير من كتب المغامرات عند الأوربيين !

ولقد جمله على نسق القصة ، فروى لنا حوادث تلك الفترة من حياته منذ غادر أرض مصر ، إلى أن قضى الله بأن يؤوب المغترب إلى أحضان أمه سالماً ، وسرد فى غضون ذلك ما قاسى من آلام وغصص ، ونوه بما صادفه من عقبات وما عاناه من أوصاب ، ولم ينس أن يفضى إلى القارىء ببعض غرامياته وصداقاته التى هونت عليه أهوال الغربة وغصص الحرمان والفاقة !

وفى الكتاب تصوير صادق لحنينه إلى الوطن . فقد حدث وهو فى محنته ببرلين، أن قدم رهط من المصريين لشهود مهرجانات الألعاب الأولمبية التى أقيمت بالعاصمة الألمانية عام ١٩٣٦ ، وتصادف أن جلس ذات مساء فى مقهى بها ، إلى مائدة مجاورة لمائدة جماعة من أولئك المواطنين الزائرين الذين أنطلقوا ينتقصون وطنهم فى غير رحمة ، ويبدون إعجابهم بعظمة الحضارة الألمانية ، ويعربون عن أملهم فى الإقامة ببرلين ، ينهلون من مفاتنها ، ويقتبسون من سنى حضارتها ولألائها ؛ فانبرى لهم يسفه آراءهم وينصح لهم بالإبقاء على حب أمهم الرءوم مصر ، والعودة إلى أحضانها حيث يعملون على الرقى بها إلى حيث العلا والفلاح . واشتبك معهم فى حوار رائع حقاً ، تجلى فيه حنين المغترب المحروم إلى وطنه النائى العزيز . ولولا معرفة صاحب هذا القلم بالأستاذ العرابى . وإدراكه مبلغ ما تنطوى عليه نفسه الشاعرة الحساسة من هوى مضطرم لا حد له بمصر وكل ما يتصل بمصر ، لخال ذلك ضرباً من الإيغال فى الخيال ، أو نوعاً من المبالغات التى يعمد إليها الكتاب فى معظم الأحيان توسلا بها إلى ترويج بضاعتهم المزجاة !

والجزء الثالث من هذه الذكريات قد وقفه الكاتب على نشاطه فى سبيل العروبة والعرب ، وهو فى منفاه ؛ ففيه سرد مسهب مفصل لنشاطه حينما تولى رياسة النادى العربى فى برلين ، ذلك النادى الذى بذل المؤلف من وقته ونشاطه ما عاد عليه بالنجح

والتوفيق في أداء رسالته الثقافية والرياضية ، أما عن النشاط السياسي لذلك النادي ، فيكفي الإلماع إلى مظاهرته قضية فلسطين وتأييده الصادق لها في فترة الاضطرابات التي عمت البلاد المقدسة قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية .

هذا والأستاذ المؤلف لا يعرف التأنق في العبارة ، ولا يعشق المبالغة في إظهار عواطفه ، وأسلوبه خير شاهد على ذلك الصدق الفني المنقطع النظير .

والحق أن المكتبة العربية لتفخر بتلك الذكريات الحاشدة الحافلة ، وترحب بها كل ترحيب ، وتفسح لها مكاناً بارزاً مرموقاً ، وترجو لها الذيوع والانتشار الجديرين بأمثال هذه الدراسات الجادة المنطوية على التجربة الصادقة والنظرة المستقيمة المستوية ، والروح المؤمنة المطمئنة إلى عدالة موقفها وعدالة قضية بلادها ، وأحقيتها في الحياة الحرة الكريمة .

مختار الوكيل

أنات غريب

تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوي

كان أدب الأقصوصة إلى وقت قريب هو أكثر الآداب تأخراً في اللغة العربية ، ولعل للسينما أثراً كبيراً في هذا التخلف ، فقد كانت تخطف كل نجم نأمل فيه الخير حتى احتسبنا الله في الأقصوصة وقنعنا من الأدب بألوانه البواقي الأخرى .

قد كان ذا .. حتى خرج إلينا الأستاذ حبيب بهذه المجموعة الأخيرة فإذا بها ترد إلينا أملا كدنا نفقده ، وتطمئننا أن للأقصوصة أصحابها .. والأستاذ حبيب أديب مطبوع بارع في حبكة قصته ، ماهر في إيجاد العقدة وحلها ، وهو بعد ذو قدرة فائقة في التمسك بقارئه حتى ينتهي من قصته .

ليس من الميسور أن أتكلم عن جميع الأقاصيص التي دبجها الأستاذ حبيب في مجموعته الأخيرة ولكنني في قصته الثانية لاحظت له رأياً متطرفاً بعض الشيء نظم فيه قواعد عامة للقصة يصعب علينا أن نقبلها مرة واحدة .. وقبل تأمل هذه القواعد يطيب لي أن ألفت الأستاذ حبيباً — وهو أستاذ لا مراء — إلى أن صفة الأستاذية يجب علينا نحن أن نضفيها عليه منزلين بذلك الأمر في منزله ، أما إذا قالها هو عن نفسه فإنني أخشى أن يظن الجاهلون أننا لا نعطي ذا الحق حقه حتى في الأدب .

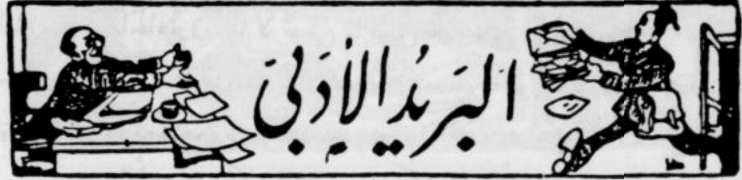
عنوان هذه الأقصوصة « دميم » وهي في ذاتها جميلة .. ولكنه حين ساقها قدم لها بنقاش بينه وبين شاب من شداة الأدب ، وكان الشاب يستنكر على الأستاذ حبيب دعواه بأن الأقصوصة لابد لها من عقدة وحل وحبكة ووحدة زاعماً — أي الشاب — أنه سريع الخلق لأشخاص روايته قوي الديباجة في عرضه للقصة وهو قانع بهاته المواهب معتقداً أنها فوق الكفاية ؛ ثم هو يعرض على الأستاذ حبيب مثالا هزيلا يستطيع أي قارىء أن يهدم الصلة بينه وبين القصة غير محتاج في ذلك للأستاذ حبيب ليظهر زيفه ويقارن بينه وبين أقصوصته الكاملة « دميم » التي خلقها في جلسته ليقنع الشاب بتفوقه عليه .

ولكن أيعتقد الأستاذ حبيب حقاً أنه لا غنى للقصة عن العقدة والحل ؟ ! فاذا نسمى « غاية المرأة » .. أهي أقصوصة أم مقال .. وإن كانت أقصوصة فأين العقدة .. فإن رضينا بحب الفتاة لرفيق صباها الذي ظهر فجأة عقدة .. فأين الحل ؟ ! .. لا والله إنها أقصوصة رائعة كل الروعة ولكنها ما زالت بغير عقدة ولا حل . « غاية المرأة » هذه أقصوصة يعالج فيها الأستاذ حبيب فتاة على أبواب الزواج ويتعمق نفسيتها من يوم أن تعرفت بخطيبها حتى ولدت منه .. وكم كان الأستاذ حبيب بارعاً في عرضه هذا ! وكم كانت ريشته دقيقة في رسم الخلجات المتفاوتة التي تمر بها نفسية الفتاة الشابة !

والأقاصيص الأخرى كلها من هذا النوع في السمو .. تهدف جميعها إلى غاية ، وتخرج من أبها بعبرة .. وهذا لون من ألوان القصص .. ولكنه لا يمنع القصص غير ذات الهدف أن تكون هي الأخرى جميلة .. ولا يمنعنا نحن أن نقدر الطاقة الفنية المبذولة في هاته القصص .

« أنات غريب » عنوان يجبه القارىء ويوقفه مشفقاً على هذا الغريب يعز عليه أن يحل بمصر عربي أديب ويطلق في أجوائها الرحبة أنة مهما خفتت .. وهي التي تنزل الضيوف جميعاً أهلا فكيف بالأديب .. ولكن قبل هذا التساؤل .. أهو غريب ! . أيحل أي منا غريباً بأي قطر عربي ! .. لا والله كانا فيه الأهل . دارت بذهني هذه الأسئلة وما زالت به تدور حتى قرأت الإهداء فأشرقت نفسي واستقرت .. لقد كان العنوان ابن غمامة زائلة بددتها شمس مصر الضاحكة فأطلقت أستاذنا حبيباً مشرقاً ضاحكا

ثروت أباظة



حقيقة الفضاء :

عاد الأستاذ العقاد يناقشني فيما لم أقله ، ويعرض عما قلته . ولو كان يستوعب « مصادره العلمية » جيداً لما كان مضطراً أن يجمل رده الأخير مقتصراً على الإشارة إلى محاضرة ألقاها العلامة إينشطين سنة ١٩٣٠ في جامعة نوتنجهام لكي يأخذ منها فقرة يظن أنه جبهني بها .

ليست هذه الفقرة محور المحاضرة وإنما جاءت في سياقها لأن إينشطين قالها قبلا منذ أعلن نظريته النسبية سنة ١٩٠٢ ، وقالها بعد ذلك مراراً ، وقالها آخرون قبله وبعده ، وما هي خافية على أحد . وهي أن الأمواج الكهرطيسية مالئة الفضاء . ومنها أمواج الضوء الذي نراه وأمواج الراديو التي نحس بها . والكهرطيسية شيء مادي لا روحي ؛ لأنها ذرات منحلة صادرة من الشمس والنجوم . وهي ما سموه ضوئيات (فوتونات) . وهي التي سماها إينشطين وغيره من العلماء « مادة الفضاء » . Space Substance

وهذا ما قلته أنا مراراً . وفي هذه المجلة أيضاً قلته غير مرة . انظر صفحة ٢٤٤٤ . فماذا الذي يرد عليه أستاذنا ؟

لا أدري سوى أنه يريد أن يكون المتكلم الأخير في هذه المناقشة . فأنا أتعهد له منذ الآن أن هذه المجالة ، هي كلمتي الأخيرة في موضوع وفيته حقه في جميع مقالاتي في هذه المجلة ولا سيما المقالة الأخيرة وفي كتابي النسبية . وله بعد ذلك أن يقول ما يشاء .

كل ما قلته في هذا الموضوع لا أنقض منه حرفاً . فأرجو من الأستاذ أن يستوعبه جيداً .

وأما قوله أن الفضاء نفسه هو مصدر تكوين المادة فهو فلسفته الخاصة لأننا لم نعلمه من سواه وإلا فليدلنا على من قاله . الحقيقة الراهنة أن المادة أوجدت الفضاء . لولا المادة ما كان فضاء . (والمراد بالفضاء الحيز الذي تشغله المادة — هذه الملاحظة للقارىء الكريم) .

أما الزمن أو (الوقت) فما هو إلا مقياس الحركة ، أي حركة المادة . لولا حركة المادة لما كان وقت ، وإلا فما معنى دقيقة وساعة ويوم وعام وقرن ؟

بقي أن الأستاذ لم يقل لنا شيئاً عن فيثاغوراس الذي أدخله في المناقشة عنوة ولماذا أدخله ؟ ألم يجد في مقالي في المقتطف ما يناقشني فيه ، فاستعار ذلك الفيلسوف القديم ليجعله موضوع مناقشة . والسلام والتحية للأستاذ .

نقولا الحداد

حول تعليق العباس على قصيدة الجارم بك :

قرأت ما كتبه الأستاذ العباس تعليقاً على قصيدة الشاعر الكبير علي الجارم بك في تأبين المغفور له أنطون الجميل باشا وفي هذا التعليق يقول الأستاذ — ولكني آخذ عليه قوله :

نسي الشعر في صراع الرزايا رنة الكأس والغزال الأغنا
شغلته مآتم ونعوش عن هوى زينب وعن وعذلبني

فإن مجرد ذكر الكأس المرنة والغزال الأغن وهوى زينب ووعذلبني لا يتفق والمقام .

وفي رأيي أن مجرد ذكر هذه الأشياء لا يحط من قدر الشاعر ولا يهجن شعره في الرثاء — مادام ذلك مشفوعاً بصراع الرزايا ، وبالمآتم والنعوش — ولعل الشاعر يريد أن يصف حالة يعانيها في نفسه لا نحيط بها نحن — وأنت ترى أن دريد بن الصمة قد افتتح قصيدته المشهورة في رثاء أخيه عبد الله بالنسيب إذ يقول :

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة أم أخلفت كل موعد ؟

ولم اسمع من النقاد من اعترض عليه أو تصدى لنقده ، لأنه أراد أن يسجل الحادثة التي دارت بينه وبين أم معبد زوجه حينما لامته في حزنه على أخيه فطلقها .

وما أرى أن نسير في ركاب « ابن وكيع » وهو صاحب كتاب المنصف الذي ألفه في بيان سرقات المتنبي — وكان ينظر دائماً بعين السخط إلى شعره — لأن أبا الطيب كان قد هجاه — كما يقول بعض المؤرخين — فعاب عليه من جملة ما عاب هذا البيت .

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

وقال « ووصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار » .

قال الأستاذ قسطاكي الحمصي — صاحب منهل الوراد —

« لو ذاق ابن وكيع طعم الخواطر السامية ، وما كانت تولده مخيلة أبي الطيب له من الصور الصادقة لما انتقد هذا الانتقاد البارد فإن المتنبي لما تصورت له الميتة في ساعة النزع وما بعدها ، دعا لها بالرحمة فجمل الحنوط صلاة الرحمن ، وخطرت في فكره شناعة منظر الموت وما يجره على أبدع الصور من الانقلاب فاستدرك الدعاء بقوله على الوجه المكفن بالجمال ، وقال اليازجي « وجمل وجهها مكفناً بالجمال إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها وإنما بقي عليها جمالها كالكفن »

أمين محمد عثمان

كشف تاريخي:

طبع تاريخ (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للمؤرخ الناقد شمس الدين السخاوي) فكتب كاتبون في « الرسالة » و « الثقافة » و « مجلة المجمع العلمي العربي » في الكشف عن مؤلف محاسن المساعي في مناقب الأوزاعي الذي كان نشره الكاتب الأكبر الأمير شكيب أرسلان رحمه الله ، غفلا من اسم المؤلف ، لأنه لم يهتد إليه . فقد جاء في الجزء ٢ ص ٧٢ من (الضوء اللامع) أن مؤلفه هو شهاب الدين أحمد بن زيد الحنبلي المتوفى سنة ٨٧٠ كما في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد) ج٧ص٣١٠ ثم رأى بعضهم في فهرس دار الكتب المصرية أن فيها نسخة من محاسن المساعي منسوبة إلى الحافظ بن حجر ، فاستبعدوا صحة هذه النسبة ، دون أن يعارضوا المطبوعة بالمخطوطة للفصل في هذا الشأن . فقمت أنا بهذا الأمر فتبينت أن المخطوطة هي المطبوعة إلا أن في تلك زيادات كثيرة في المقدمة وفي غضون الكتاب ولا سيما في الفصل المعقود لذكر بعض ما اختاره الأوزاعي من المسائل الفقهية ، ففي المخطوطة أكثر من ضعفي ما في المطبوعة من الانفرادات والاختيارات الفقهية . وفي المطبوعة من مراثي الأوزاعي ٦ أبيات ليس غير ، وفي المخطوطة ٦٨ بيتاً لبضعة شعراء.

واسم المؤلف في المخطوطة مكتوب بخط غير خط النسخة ، فلعلها وقعت في يد أحدهم غفلا من اسم المؤلف فنسبها إلى الحافظ ابن حجر بلا تحقيق .

وفي (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التوريخ) للشمس السخاوي ، إن مؤلفه سرد أسماء المؤلفات التي ألفت في تاريخ رجال مخصوصين ، وذلك في آخر كتابه الجواهر والدرر في ترجمة الحافظ ابن حجر ، فلعله يتيسر الرجوع إلى نسخة دار الكتب المصرية من هذا الكتاب لزيادة التثبت ، ولنرى هناك في جريدة مؤلفات ابن حجر إن كان ألف في هذا الموضوع ؛ لأن تلميذه الأثير السخاوي هو أعرف الناس بذلك .

محمد أسامة عليبة

جواني وبراني :

هاتان الكلمتان عربيتان فصيحتان فقد وردتا في حديث أفصح العرب والعجم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الكشكول لبهاء الدين العاملي صفحة ٨٧، ٨٨ طبعة المليجي سنة ١٣١٨ وهذا نص الحديث .

روى الحارث الهمداني عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي ما من عبد إلا وله جواني وبراني ، بمعنى سريرة وعلانية ؛ فمن أصلح جوانيه أصلح الله برانيه ؛ ومن أفسد جوانيه أفسد الله برانيه . وما من أحد إلا وله صيت في أهل السماء فإذا حسن وضع الله له ذلك في الأرض؛ وإذا ساء صيته في السماء وضع له ذلك في الأرض . فسئل عن صيته ما هو قال : ذكره .

فلا غضاضة إذا استعملنا هاتين الكلمتين بمعنى الداخل والخارج لأنهما صدرتا من أفصح ولد عدنان القائل « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش »

حسين سلام رباب

ست في رسالة الغفران :

ورد في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري عند العبور على الصراط « فوجدتني لا أستمسك . فقالت الزهراء صلى الله عليها لجارية من جواريها يا فلانة : أجيزيه . فجعلت تمارسني وأنا أتساقط عن يمين وشمال . فقلت ياهذه إن أردت سلامتي فاستعملي معي قول القائل :

ستّ إن أعياك أمري ... فاحمليني زقفونة

هارون محمد أمين

(الرسالة) : (مي) مختزلة من سيدي المحرفة عن سيّدي ثم لحقتها التاء للتفريق بين المذكر والمؤنث



الاعتزال !

للكاتب الانجليزي هانسفورد جونسون

بقلم الأديب سيد أحمد قناوى

غطت الآنسة « ويلدون » آلة الكتابة بعد أن نال منها الملال وأدركها الكلال ثم ارتدت معطفها الخفيف الداكن اللون وألقت نظرة سريعة على المنضدة الكبيرة التى أمامها ثم أطفأت المصباح الصغير لتبارح مكان عملها .

كانت قد تأخرت عن موعد انصرافها من العمل كل ليلة ، فكل الغرف قد أقفرت من شاغليها وأمست العمارة الكبيرة فى صمت موحش ، وسكون رهيب ... ولكنها لم تكن فى حاجة إلى الإسراع فى العودة إلى منزلها الصغير ، فليس هناك من ينتظرها ...

وهذا العمل ينسيها إلى حد ما عزلتها الموحشة التى تعيش فيها فضلا عن أن تأخرها يساعدها على أن تجد مقعداً فى السيارة تستريح فيه من عناء يوم قضته فى العمل بدون انقطاع ولا فتور .

كانت الآنسة « ويلدون » قد بلغت السادسة والثلاثين من عمرها ... ولم تسعد بما تسميه الفتيات « اللحظة السعيدة » ؛ فهى لم تحظ بزوج يخفف عنها أعباء الحياة ، ولم تعرف رجلا شريفاً يذهب بها إلى « دور السينما » ، ولم يقدر لها قط أن تجد شابا عند الباب ينتظرها ليتأبط ذراعها ويسير بها إلى حيث يعلم هو وحده . كانت قد سمعت بهذا كله همساً من الفتيات الكثيرات اللاتى عملت إلى جانبهن ... ولكنها هى لم تعرف حقيقة الشاعر التى تجىء فى ضوء هذه الحوادث ... ومع ذلك فهى سعيدة بعملها سعيدة بغرفتها الصغيرة فى (بيزووتر) . وبذلك الطريق الهادىء الذى تقطعه على قدميها كل صباح وسط « كنجستون جاردنز » ، فإذا أظلم الليل وعادت إلى غرفتها وجدت فرصة طيبة لتتناول كوباً من الشاى ثم لتأكل بعض البيض والجبن ثم تنصرف إلى المطالعة ...

وتذكرت « الآنسة ويلدون » وهى تهبط الدرج إلى باب المنزل أن برنامج الإذاعة جيل ، وعلى هذا فستستطيع أن تقضى بعض الوقت فى سماع الموسيق ؛ وقد تستطيع بعد ذلك أن تضطجع فى فراشها لتقرأ قصة من القصص العاطفية التى تدخرها للحظات العزلة .

وبلغت الآنسة « ويلدون » الطريق ولكنها وجدت ما أدهشها ... فقد كانت السماء تمطر مطراً خيل إليها أنه يزداد لحظة بعد لحظة ، وصدمتها هذه الحقيقة فهى لم تفكر فى هذا المطر ولم تتوقعه . ثم إن معطفها الخفيف لا يمكن أن يرد عنها البرد وإن ردَّ عنها وقطرات المطر إلى حين ، وضاقت بالمارة الكثيرين الذين يسرعون الخطى إلى محطة السيارات لأنها لن تجد المقعد الخالى الذى ترجو أن تستريح فيه . وإنه لا يبقى أمامها إلا أن تسير على قدميها مسافة لا تقل عن ميل حتى تصل إلى محطة الترو ؛ وهى مسافة ليست قصيرة ولا يسيرة فى هذا المطر الوابل

ولكن الآنسة « ويلدون » تكره البقاء بلا عمل فجمعت أطراف معطفها حولها وراحت تجد فى السير ... وفجأة أحست يداً تلمس ذراعها فدارت على عقبيها لتجد نفسها أمام وجه باسم لرجل فى قرابة الثلاثين من عمره . قطبت الآنسة « ويلدون » حاجبيها ، فهى لا تعرف هذا العبث ولا تستمرئه ، ولكن الرجل لم يلبث أن قال لها فى هدوء :

— لا تسرعى هكذا ، أن ثيابك مبللة .. خذى هذا .

ومدّ الرجل يده بمعطف من المعاطف التى تقى من المطر .. ودون أن تدرك ما تقول أجابت فى همس :

— شكراً لك .. إننى راضية بهذا البلل . .

ولعلها كانت تريد أن تضع حداً لهذه القصة التى لا تسيغها ولا تريدها .. ولكن الرجل لم ينصرف بل قال :

— لا تكونى حمقاء . إنك تسيرين بنفسك إلى حتفك

فهمست قائلة :

— ولو كان هذا حقاً فماذا فيه ؟

فابتسم الرجل وهو يقول :

— ليس جميلا أن يموت الإنسان في مثل هذه السن . تدثرى بالمعطف ، وانقذى هذا الصدر الجميل .

وكان صوت الرجل قوياً يحمل على الطاعة ، وكان جديداً على سمعها لم تعرفه من قبل ، وهى إلى جانب هذا فى حاجة إلى هذا المعطف ، فلم تشعر إلا بالمعطف حول جسمها ، فمدت ذراعها لتستكمل ارتداءه ثم ضمت أطرافه حول صدرها وهى تقول :

— ولكن ماذا تصنع أنت ؟

— إن ثيابى غليظة ، وأنا رجل .

— شكراً لك .

ولم تكن الآنسة «ويلدون» تعرف ما تقول ، فهى لم تشعر قط بأنها كانت يوماً ما موضع عناية أو اهتمام من أحد ، اللهم إلا مستر « بردفور » الشيخ الذى تعمل سكرتيرة له ، ولكن شتان بين هذا وذاك ! على أن الذى كان يشغلها هو ماذا يكون بعد هذا ...

ولم تلبث الدهشة أن استولت عليها عند ما سمعت الرجل يقول لها :

— هل تناولت الشاى ؟

ولم تكن فى الواقع قد تناولت شيئاً بعد الظهر ولهذا أجابت بسرعة : — لا ...

ولعلها أحست فى سؤال الرجل أنه يدعوها إلى قدح من الشاى؛ وهى وإن كانت حقاً فى حاجة إلى شراب ساخن بعد أن بللها المطر إلا أنها لم تكن لها خبرة بمثل هذه الدعوات فاعتذرت شاكرة ، ولكن الرجل تظاهر بأنه لم يسمع شيئاً وقال :

— هيا بنا ، هناك مكان دافىء نجد فيه حاجتنا .

ولدهشة الآنسة « ويلدون » رأت نفسها تسير إلى جانب الرجل وقد تأبط ذراعها ، وأحست بأصابعه تلامس صدرها .. ورأت كأنها تقرأ قصة من قصص الفراغ التى تدخرها لوقت النوم . وولجا الباب وأعجبها المكان كما لذها الدفء فلما انتحيا ركنا بجوار المدفأة قال الرجل وقد تهلل وجهه :

— الآن تستطيعين أن تخلعى المعطف حتى تجف ثيابك .

ورجت هى أن تهنأ بلحظة سعيدة كهذه اللحظات التى سمعت عنها فأطاعت الرجل وراحت تحتسى الشاى فى سكون .

ومرت اللحظات فى أحاديث عن الجو والرياضة ، وفجأة نظر الرجل فى ساعته ثم قال :

— يا إلهى ! لقد كدت أنسى أن أمى دعتنى إلى العشاء هذه الليلة . لقد أعدت لى دجاجة كبيرة... إننى أتركك الآن؛ ولكن لا تسرعى فى الخروج فسأدفع للساقى ثمن الشاى .

— ولكن كيف أرد إليك معطفك ؟ وكانت وهى تقول ذلك تأمل أن يتفقا على موعد لعله يكون فى الغد . وضحك الرجل ضحكة مرحة ثم قال :

لقد نسيت هذا ... على أية حال هذه بطاقتى إذا شئت أن تتحدثى إلى فى أمر المعطف . ومد الرجل يده بالبطاقة ثم انصرف . وظلت الآنسة « ويلدون » برهة فى شبه حلم ، فقد كان الحادث كله غريباً لم تألفه ، وكان كل ما مر بها منذ أن تركت مكان عملها يرغمها على أن تفكر فى أشياء لم تكن لتتوقع حدوثها قط .

وألقت نظرة خاطفة على البطاقة فقرأت فيها :

« جون برونت » وكيل شركة المعاطف الواقية من المطر . ولقيت فى طرف البطاقة إشارة تلفت النظر إلى ما خط فى ظاهر البطاقة ، فلما قلبت البطاقة قرأت ما يأتى :

« إذا أعجبك هذا المعطف فأرسلى لنا جنيها وعشرة شلنات وإلا فاتصلى بنا تلفونياً فنرسل إليك من يتسلمه منك » .

وبذلك تبددت أحلام الآنسة « ويلدون » ومرت بها قصة عاطفية قصيرة كلفتها جنيها وعشرة شلنات ولكنها أبقت لديها أثراً لها هو معطف جديد للمطر ...

وهكذا انصرفت الآنسة « ويلدون » عن الناس وآثرت أن تعيش على هامش الحياة .

سيد أحمد قناوى

مطبعة الرسالة



العدد ٧٦٧ — الاثنين ١٥ مارس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٢٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 767

Lundi — 15 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ١٥ مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتي اليومية :

قصة فتـــاة ..

— ٤ —

يوم الخميس ١٠ مايو سنة ١٩٤٥

كانت الساعة خمساً بالتمام حين دخلت محَلّى جروبى الجديد أبحث عن الآنسة (س) ؛ وكانت العلامة التى سأتعرفها بها أن أجد نسخة من (الرسالة) على المنضدة التى تجلس إليها . ولكن ماذا أصنع والناس قد فروا من وهج الحر فى قلب المكان فتكوفوا حول الموائد فى حواشيه ومماشيه فلا يجد المار طريقه بين المقاعد إلا بصعوبة ، والربيع الزاهر المعطار قد خلع من حلله وحُلاه على الأشخاص والأشياء ، فالجو عطر والمنظر سحر والأزياء وشى والنساء وُرود والرجال أشواك والأحاديث أغاريد ، فلا أستطيع لشيوع الجمال وعموم الحسن أن أعرف صورة من صورة ، ولا أن أميز زهرة من زهرة !

لو كنت حديد البصر لنفضتُ المكان من بعيد ، فعرفت على أى منضدة تنام (الرسالة) ، وفى أى كرسى تقعد الفتاة ؛ ولكن البصر كليل والمساء مقبل ، فلا مناص من الجولان المتهَم بالفضول ، ولابد من النظر القريب من اللمس . على أننى توخيت المناضد الفردة فجملت وجهى إليها ونظرى عليها ، فلم أخط غير قليل حتى رأيت منضدة صغيرة عليها يدان رقيقتان تقلبان (الرسالة) ، فسكنت فى خروجى برؤيتها من ربكة المشى وحيرة النظر أشبه بالزورق العامه فى ظلام المحيط أبصر فى المرفأ ومض المنارة ، أو بالسائر التائه فى مجاهل القفر سمع فى الواحة نبض الحياة .

أقبلت عليها فاستقبلتنى واقفة كما يستقبل النساء الرجال فى الريف ، ومدت يدها إلىّ فتصافحنا باسمين ، وجلسنا متقابلين ، وكلانا يصمِّد النظر فى الآخر ويصوبه ، ويوازن فى نفسه بين ما تصوره فى الخيال بذهنه ، وبين ما رآه فى الحقيقة بعينه . أما هى فلم أدر ماذا كُنت فى خاطرها من قبل ، وماذا أنا فى ناظرها الآن . وربما حملنى المُجب المضمر فى كل نفس أن أسألها عن ذلك فى مؤتنف الأحاديث . وأما أنا فقد كنت موزَّع النفس والحس بين صورتين تختلفان فى الذات كل الاختلاف ، وتتشابهان فى المعنى بعض التشابه : فتاة العزبة فى نفسى كزنبقة الروضة المطلولة ، بضة الجسم ، لدنة القوام ، مطهمة الوجه ، قد نضرت وجنتيها النعمة ، وغلّظت شفتيها اللذة ، وسوّت خَلقها الطبيعة ؛ وفتاة (جروبى) فى حسى نُوارة من نُوار الفول أبطأ عن حقله الغيث ؛ فهى رقيقة البدن ، مخروطة الوجه ، دعجاء العين ، فاترة اللحظ ، طويلة الأنف ، ظمياء الشفة ، حلوة الافترار ، هواها أكبر من جثمانها ، وقلبها أجرأ من لسانها ، وخبرها أضخم من عِيانها ؛ ولكنها على الجملة وضيئة الطلعة ، مليحة القسمات ،

لطيفة الروح ، تحمل الرجل بصباحة وجهها وصراحة قلبها على أن يأنس بها إذا حضرت ، وأن يفكر فيها إذا غابت .

قلت لها بعد التحيات المنوعة والترحيب المكرَّر والأسئلة المعتادة : لقد انقطعت رسائلك عنى منذ شهر فلم أعرف الأسباب التى أقدمتك إلى القاهرة ؛ وما أحسبنى أعلم أن لكِ هنا أقارب تصلين رحمهم بالزيارة ، وتمتحنين كرمهم بالضيافة . فلعلكِ قدمتِ مع أخيك أو بعض أهلك لغرض من الأغراض الخاصة أرجو ألا يكون من بينها المرض . فقالت الفتاة وقد أرسلت نفسها على سجيتها بعد احتشام من اللقاء الأول لم يدم طويلاً : ليس بجسمى والحمد لله ما أشكوه ؛ ولنا فى حى المنيرة منزل موروث تقيم فيه أختى الكبرى وزوجها وابنتاها ، فأنا نازلة عليها به ، ومطمئنة إلى حياتى فيه . وأما سبب قدومى فله حديث عرفت بعضه وغاب عنك بعضُه ، ولو كنت مطلقة اليد لما انقطعت رسائلى عنك ، ولا التبست أمورى عليك . ذكرت لك فى رسالتى الأخيرة — لو تذكر — ما كان بينى وبين ابن البستانى ، وكيف استرقت زوجة أخى هذا السر من أفواه الخدم وأفشته إلى زوجها ، وما أعقب ذلك من الضرب المبرّح ، والحجاب الكثيف ، والمراقبة الشديدة . وكنت أظن أن لذلك العقاب حداً يقف عنده ووقتاً ينتهى فيه ؛ ولكن العذاب اشتد وامتد حتى ضاق مكانى فى البيت ، وساء مقامى فى الأسرة ؛ فأخى يعاملنى بقسوة ، وزوجته تكلمنى بجفوة ، وخادماته القرويات ينظرن إلىّ بازدراء . ومما سوّد نهارى وأطال ليلى أن أخى صادر بريدى فحرمنى أن أقرأ ما أحب ، وأن أكتب إلى من أريد ، فأصبحت كسجينة الزنزانة محرومة من اعتبار النفس واستشمار الأنس واستحضار الوجود .

كان لا بد للاناء أن يطفح ، وللجَلَد أن يهى ، وللصبر أن ينفد ، فوطنت نفسى على الفرار إلى القاهرة . ولكن كيف الفرار وليس فى يدى مال ولا فى قدرتى مشى ولا فى أسرتى مساعد ؟ الأمر سهل ! بين العزبة والقرية مسافة قصيرة وسكة معبدة ، وبين أخى وعمدتها صداقة وثيقة ومعاملة متصلة . وهو يعرفنى منذ أن كنت طفلة ، ويسأل عنى كلما زار الأسرة ؛ فإذا ذهبت إليه وطلبت منه باسم أخى بعض المال فما أظنه يمتنع أو يتلكأ أو يسترب . على أن معى خواتمى وأساورى فأستطيع أن أستعين ببعضها إذا حبطت هذه الخطة . وفى تباشير الصبح قبل أن يتيقظ البيت ويسرح الفلاحون وضعت لزم أشيائى وأخفها فى حقيبة صغيرة ، ثم تسللت إلى الطريق الذاهب إلى القرية ، وكانت الأرض قد طلّها الندى ، والنبات قد كلله الحباب ، والطبيعة الراقدة تحت جنح الليل قد أخذت تستفيق وتنتعش وتتحرك ؛ فالطير تصدح بأغاريد الصباح ، والشجر يتجه بالتحيات إلى الشمس ، وآحادٌ من الفلاحين المبكرين ينقلون كالأشباح خطاهم الوئيدة على ضفاف القنوات وحواشى الزروع ، وأنا فى هذه الصحوة الجميلة أسير بين حقول القمح خائفة مسرعة ، أترقب كل أمر ، وأتأهب لكل طارئ ، فأعدُّ لكل سؤال جواباً ، ولكل تصرف علة . وستر الله علىّ حتى بلغت القرية وطرقت باب العمدة ، فتلقانى أهله بوجوه منطلقة وصدور رحبة ، ثم قدموا إلىّ الفَطور فنلت منه ما ينال العجلان القلِق . ثم دخلت على العمدة فى غرفته وقلت له : إن أخى غائب فى المدينة ، وقد أبرقت أختى إلىّ تنبئنى أن ابنتها فى نزاع الروح وأنها فى حاجة إلىّ ، فلا بد من سفرى فى قطار الصباح وليس معى نقود فما كان جواب الرجل إلا أن قدم إلىّ عشرة جنيهات وأمر الحوذى أن يهيئ لى العربة .

دخلت القاهرة عشية يوم الأحد الماضى ، وكان حالى وأنا أسير فى زحمة الخارجين من المحطة حال الهارب من السجن ، يتوهم فى كل مكان جاسوساً يسمعه ، وفى كل طريق شرطياً يتبعه . فلم تكد عينى تقع على سيارة عامة بجانب الإفريز حتى دخلت فيها وقلت للسائق : المنيرة ، شارع كذا ، رقم كذا . وما هى إلا عشر دقائق حتى وقفت السيارة أمام البيت ، فصعدت الدرج ، وغمزت الجرس ، وأسرعت أختى فى لهفة إلى باب الشقة وفتحته وهى ترتجف ، وعانقتنى وهى تنتحب ! وكان مبعث ذلك كله أن أخى أرسل برقية إلى زوج أختى يعلن إليه هربى ، ويلح عليه فى طلبى ، فساورت أختى الهموم ، وتنازعتها الظنون ، وعللت هذا الهرب بما أقاسيه فى العزبة من العدوان المستمر ، والحرمان المتصل ؛ لأن أخى لا يهتم بها فهى تسىء به الظن ، ولأن امرأته لا تخف على قلبها فهى تعتقد فيها الظلم ! وقويت أنا فى نفسها هذا التعليل بما افتريت من الأكاذيب واختلقت من المظالم . فكتبت أختى إلى أخى تسترضيه عنى وتسأله أن يأذن لى فى البقاء معها أياماً لتجلو عن جسمى هذا المرض ، وتكشف عن نفسى هذا الهم . ولكننى قطعت العزم على أن أموت هنا ولا أعيش هناك ، وأن أخسر رضا الناس أجمعين إذا كسبت رضاك ...

(للقصة بقية) احمد حسن الزيات

حول كتاب « عثمان »

حكومة النبي وخلفائه

للأستاذ عباس محمود العقاد

« يقول ... الدكتور طه حسين فى كتابه عثمان ! « إن حكومة الرسول والخلفاء الراشدين من بعده كانت وضعيته وليس للدين الإسلامى يد فيها . ويستنتج من هذا أنه لا فرق بين المسيحية والإسلام من هذه الوجهة وأعنى نظام الحكم والمجتمع ، ويأتى بدليل قوله تعالى : وشاورهم فى الأمر ويقصد الأمور الدنيوية بأسرها ...

« ولكن ألم يقرأ قوله تعالى عز من قائل : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون .

«هل كانت حكومة المسلمين من وضع محمد عليه الصلاة والسلام دون إيحاء من رب السماء ؟ وهل كان أبو بكر وعمر يقومان بأعمالهما من تلقاء نفسيهما وليست هى من جوهر الإسلام فى شىء ؟ وهل كان عمر رضى الله عنه يقصد من قوله : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء » ... أقول هل كان يقصد الأموال بأنواعها كما يعتقد الدكتور ، أو يقصد الزكاة والصدقات ؟

أرجو إيضاح ذلك على صفحات الرسالة الغراء ... الخ

« الأعظمية » عبد الكريم الوهاب

***

جاءنا هذا الكتاب فحذفنا منه بعض العبارات التى لا تدخل فى السؤال ، واكتفينا منه بما نشرناه .

والذى نراه أن الأديب صاحب السؤال قد ظلم الفكرة التى نقلها عن كتاب عثمان ، لأن الدكتور طه حسين لم يقل شيئاً مما فهمه فى سؤاله ، وكل ما يفهم من كلام الدكتور طه أن حكومة النبى عليه السلام لم تكن حكومة « ثيوقراطية » أى حكومة تستأثر بها طائفة من الكهان والأحبار ولا تشرك فيها الأمة برأى فى اختيار الحاكم وتقرير الأحكام .

وهذا فى رأينا صحيح .

فمسألة الحكم فى الإسلام حق لجميع المسلمين يتولاه من يصلح له وتتفق جمهرة المسلمين على صلاحه . وليس العالم بالفقه فيه إلا كالعالم بأصول الحكم فى هذه الأيام ، يختار لحاجة المجتمع إلى هذه الأصول ، ولا يختار لأن علمه يجعل الولاية حكراً له أو حقاً محصوراً فيه وفى طائفة من أمثاله .

وليس رأى المسلمين فى صلاح الحاكم بمانع أن تكون أصول الشريعة التى يحكم بها من عند الله ، وكل ما يمنعه أن يعتبر « الحق الإلهى » الذى ادعاه بعض ملوك أوربة وسيلة إلى إنكار حق الرعية فى الشورى والرقابة على الحكومة . وقد أبى الإسلام هذه الدعوى فكانت سنته هذه مزية له بين الأديان .

وقد أوضح الدكتور طه حسين هذا المعنى فقال يرد على القائلين بالثيوقراطية فى الإسلام أنهم قد يرون : « أن الحكومة التى كانت تحكم المسلمين فى هذا العهد إنما كانت تستمد سلطانها من الله ، ومن الله وحده ، لاترى أن للناس شأناً فى هذا السلطان ولا ترى أن من حقهم أن يشاركوا فيه أو يعترضوا عليه أو ينكروا منه قليلا أو كثيراً » .

فالواقع أن الإسلام لا يعترف للحاكم بحق إلهى يمنع الناس من حسابه والتعقيب على حكمه ، وهذا الذى فهمناه من كتاب عثمان حين رجعنا اليه ، فلا غبار فى رأينا عليه .

أما كلمة عمر عن الأموال فقد عقبنا عليها فى كتابنا عن عبقرية عمر فقلنا : « إنه لم يرد فى كلامه تفصيل لهذه النية . ولكن الذى نعلمه من آرائه فى هذا الصدد كان لاستخلاص ما كان ينويه . فعمر على حبه للمساواة بين الناس كان يفرق أبداً بين المساواة فى الآداب النفسية والمساواة فى السنن الاجتماعية .. ولم تكن المساواة فى أدب النفس عند عمر مما ينفى التفاضل بالدرجات ، ولم يكن يرضيه كذلك أن يعتمد الفقراء على الصدقات والمطايا ، ويعرضوا عن العمل واتخاذ المهنة ، فكان يقول لهم فى خطبه : يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق ، فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين . وكان يوصى الفقراء والأغنياء معا أن يتعلموا المهنة ، فإنه يوشك أن يحتاج أحدهم إلى مهنة وإن كان من الأغنياء ... فيسوغ لنا أن نفهم

من هذا جميعه ممنى ما انتواه من أخذ فضول الغنى وتقسيمه بين ذوى الحاجة ، وهو تحصيل بمض الضرائب من الثروات الفاضلة وتقسيمها فى وجوه البر والإصلاح » .

* * *

هذا مجمل رأينا فى سؤال الأستاذ الوهاب .

وقد تلقينا كتباً أخرى فى هذا السياق يسأل كتابها عن مواطن فى كتاب عثمان لا نرى حاجة إلى تفسيرها ، لأن إنعام النظر فى الكتاب نفسه يغنى عن ذلك التفسير .

على أننا نمتقد أن الذين يستقبلون كتاب عثمان بمثل هذا النقد لم يظلموه كما ظلمه المقرظون له بلسان الزلف والدهان ، فإنهم يقولون فيه ما لا يقوله إلا عاجز عن التقدير الصحيح . وهو كاف لإعطاء الكتاب حقه من الثناء .

فهؤلاء المجزة عن التقدير الصحيح يزعمون أن الفتنة الكبرى لم تبحث على قواعد التاريخ أو على قواعد السنن الطبيعية قبل كتاب عثمان .

ومن جرأة الجهل أن يصدر مثل هذا الادعاء فى هذه السنوات على التخصيص ؛ لأن هذه السنوات قد ظهر فيها كتاب يسمى عبقرية الإمام ، طبعت منه طبعات قبل ظهور كتاب عثمان ، وترجم إلى اللغات الشرقية ، وانتشر فى جميع الأقطار الإسلامية ، وقرأه عشرات الألوف من أقصى المشرق الإسلامى فى الهند إلى اقصى المغرب الإسلامى فى مراكش وإفريقية .

وفى هذا الكتاب كلام عن الفتنة الكبرى التى برزت فى ايام عثمان ودامت إلى قيام الدولة الإسلامية .

وقد وصف عصر عثمان فقال : « إنه هو العصر الذى تكون فيه المجتمع الإسلامى بعد نشأة الدولة الجديدة ، فبرز فيه نظام جديد على أساس الثروة المجلوبة من الأقطار المفتوحة ، وعلى أساس الولايات التى تولاها بعض الطبقات المرشحة للرئاسة من العلية وأشباهها » .

وأحصى الكتاب أسباب التذمر سبباً سبباً فقال فى مسألة الثروة : « كثر المترفون من جانب وكثر المتربون من جانب آخر ، وشاع بين الجانبين ما يشيع دائماً فى أمثال هذه الأحوال من الملاحاة والبغضاء » .

وقال عن قلق أبناء الولايات : « إن المتذمرين توافدوا من الولايات إلى المدينة مجندين وغير مجندين ، وتولى زعامة المتذمرين فى بعض الأحيان جماعة من أجلاء الصحابة كتبوا صحيفة وقعوها وأشهدوا فيها المسلمين على مآخذ الخليفة » .

وقال عن التنافس بين العواصم « إن التنافس كان على أشده بين العاصمتين الحجازيتين وبين الكوفة ، لا يرضى أهل المدينة بما يرضى أهل مكة ، ولا يرضى أهل الكوفة بما يرضى هؤلاء وهؤلاء » .

وقال عن أثرة قريش : إن قبائل البادية « كانت تنفس على قريش غنائم الولاية ومناصب الدولة وينظرون إليهم نظرتهم إلى القوى المستأثر بجاه الدين والدنيا وحق الخلافة والسطوة » .

وقال عن طبقات المسخرين « كان العبيد والموالى والأعراب المحرومون حانقين متبرمين لا يرضون عن حظهم من العيش بعد أن علمهم الإسلام حقوق المساواة وشرع لهم شريعة الإنصاف » .

وقال عن جمهرة القراء والحفاظ وأصحاب النسك والفقه والشريعة : « إنهم خلق كثير يعدون بالألوف ويتفرقون فى الحواضر والبوادى ولا يزالون كأنبياء بنى إسرائيل منذرين متوعدين ساخطين على ترف المترفين » .

وقال إن أبا بكر وعثمان كانا يمسكان الصحابة بالحجاز ويحذران منهم أن ينطلقوا فى الأرض فيقبلوا على الدنيا ، وأن عثمان أهمل هذه السياسة الحكيمة وشق عليه أن يطيل حبسهم بالحجاز والهيمنة عليهم بجواره .

وقال غير ذلك مما لا يخرج عنه سبب واحد من أسباب الفتنة ، ولخصها كلها فى مرجع واحد وهو افتراق عهد الخلافة وعهد الملك ، وأن الموقف كان فى خلافة عثمان « ملتبساً ... متشابكا ؛ لأنه كان نصف ملك ونصف خلافة ، أو كان نصف زعامة دينية ونصف إمارة دنيوية . فوجب أولا أن يتضح الموقف بينهما وأن يزول الالتباس عن قلق صريح ، ووجب — وقد زال الالتباس وتقابل الضدان اللذان لا يتفقان — أن يبلغ الخلاف مداه ، ولن يزال قائماً حتى تكتب الغلبة لمبدأ من المبدأين وحكم من الحكمين » .

هذا بعض ما جاء فى عبقرية الإمام عن أسباب الفتنة الكبرى

مسكين حماد ! كان شاعراً مجيداً من الشعراء المجيدين . وكان ذكياً شـاطراً ما فى ذلك شك ، وكان حافظاً ما فى ذلك شك أيضاً ؛ غيرأنه لم يستغل ذكاءه ولم يستعمل مواهبه فى قول الشعر فـكان كصاحبه خلف الأحمر ينظم باسم الغير ، ويقول الشعر ثم ينسبه إلى القدماء . ولعله كان يجد فى ذلك رواجا أكثر من رواج النظم المنسوب إلى نفسه ، وهو رجل يريد أن يعيش وأن يتنعم ؛ ولـكن ما ضره لو نسبه إلى نفسه ؟ ألم يعش كثير من أترابه الشعراء على حساب شعرهم !

لقد كان خلف الأحمر أحسن منه حظاً ولا شك ، فقد حفظ الرواة عنه ما لم يحفظوه عن حماد ، وذكروا عنه ما لم يذكروه عن زميله حماد . ولم نجد فى الـكتب من أخبـار حماد غير اليسير مع كل المبالغات التى رويت عن محفوظه من الشعر ، لقد ذهبت معه إلى القبر فقبرت معه إلى أبد الآبدين .

والعادة كما يقول العوام أن تطول رجل الإنسان بعد الموت ؛ غير أن رجل حماد ظلت قصـيرة ، فلم يتبار الناس فى رثائه ، ولم يعبأ إخوانه على ما يظهر لوفاته ، إنهم لا يقيمون وزناً إلا للأحياء ؛ أما الأموات فإلى اناس آخرين ، فلم يرد مما قيل فى رثائه غير ما رثاه به عبد الأعلى بن عبد الله بن خليفه أبو يحيى محمد بن كناسة بقوله :

لو كان ينجى من الردى حذر نجاك مما أصـــابك الحذر
يرحمك الله من أخى ثقة لم يك فى صـفو وده كدر
فهـكذا يفسد الزمان ويفنى العـلم فيـــه ويـدرس الأثر [1]

وحمـاد هو الذى جمع السبع الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس [2] والتى يقال لها « المعلقات السبع » . جمعها من قصائد كثيرة واختارها من بين الشعر الجاهلى اختياراً ، والتى قيل عنها إنها كانت قد كتبت بالذهب وعلقت بالـكعبة . والتى شرحها جماعة من الشرّاح . والتى جاء عنها فى « جمهرة أشعار العرب »

« وقال المفضل القول عنـدنا ما قاله أبو عبيدة فى ترتيب طبقاتهم وهو أن أول طبقاتهم أصحاب السبع معلقات وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفه ابن العبد . قال المفضل هؤلاء أصحاب السبع الطوال التى تسميها العرب بالسموط ومن زعم غيرذلك فقد خالف جمهور العلماء .. » [1] وقد أورد أبو زيد محمد القرشى أسماء الطبقات الأخرى مثـل المجمهرات والمذهبات .. الخ . [2]

ويرى المستشرق « نولدكه » أن اسم « السـموط » هو الذى أوحى إلى مخيلة الرواة بوضع تلك القصص عن المعلقات السبع وعن تعليقها فى جوف الـكعبة دون دليل قائم ولا حجة مقنعة ، مع أن رواة السيرة والمغازى لم يذكروا عند بحثهم فتح مكة من أمر هذه المعلقات شيئاً كما أن الحديث النبوى لم يتعرض لها . وهذا ما يحملنا نشك فى صحة ما ورد من روايات .

الدكتور جواد على

(١) ابن خلكان حـ ص ٢٠٧

(١) جمهرة أشعار العرب . Cod. Berlin. Sqrenger

(٢) noldike, Beitrage njur Kenntniss der poesie der dten Araber, Hannover, 1864 P, xx.

٢ - غاندى الصوام

للأستاذ حسين مهدى الغنام

من أقوال غاندى المأثورة قوله : « إن المواطن الذى يريد أن يخدم وطنه ، يجب عليه أن يحتفظ بجسده وعقله طاهرين ، حتى يجعل من نفسه أداة صالحة لخدمة هذا الوطن . والإنسان الذى يخدم السلم والإنسانية ، عليه ألا يتجه فى نضاله إلى الأشخاص ، بل عليه أن يحارب النظم الفاسدة ويستأصل روح الشر التى تسيطر على بعض الناس » .

وكان هذا الرأى دستور غاندى فى حياته ، ومبدأه ومذهبه العملى الذى نادى به ، ثم اعتنقه عملياً وأداه بنفسه فى حياته ، وعمل على نشره فى العالمين ...

فلما بدأ حركة العصيان المدنى أمر أتباعه أن يتخلوا عن كل متاعهم الدنيوى ، ويهبوا أنفسهم لخدمة غرضهم الأسمى ، ويتطهروا روحاً وجسما ويتهيأوا لمحاربة الشر الكامن فى الإنسان، حربا روحية بلا عنف أو قسوة

وبدأ الرجل حركته الجديدة . وتبعه مريدوه وتلامذته .

ولكن إحدى تابعاته ضلت ، فانقطعت عنهم واحداً وعشرين يوماً ، عادت بعدها تستغفر زعيمها ، فاستيقن من صدق توبتها ، وعزم أمره على شراء خطاياها بالصوم واحداً وعشرين يوماً ...

وهكذا بدأ غاندى سياسة الصوم ، التى تتلخص فيها فلسفته !

والذى قاله السردار إقبال على شاه عن قوة غاندى الروحية وتأثيرها على الهنود ، صحيح فى جملته . وكان سلاح الرجل الوحيد ذلك السلاح الهادىء الذى لا يحدث صوتاً ولا فرقعة ، سلاح الصوم ، والصوم يعنى الإنسانية العليا والصبر والقناعة والرضى .

وكان هذا السلاح ذا تأثير عظيم فى الهنود ، بل لم تكن مجموعة من القنابل الذرية بكافية لأن تهز ملايين الهنود كما يزلزلها صيام ذلك الشيخ الهندوكى الواهن الجسم .

كان المتنبئون والروحيون من الهنود يقدرون لزعيمهم أنه سيعمر ما بين ١٢٥ و ١٣٣ عاماً . وكان غاندى يعتقد مثل هذا الاعتقاد . ولكنه قبل اغتياله نذر أن يصوم حتى الموت إذا لم ينفذ الهندوس ماطلب منهم فى صالح المسلمين واتحادهم معا .

ولطالما عمد غاندى إلى الصوم الذى كان أشد أسلحته ، فكان هذا الصوم يقف الاضطرابات الطائفية فى بلاده ، فتنقلب دعوات البغضاء إلى أغانى حب . وكان يتلافى الأزمات الحادة التى كانت تجر الخراب والدمار على الملايين ، ويهدىء الأعصاب والثورات ، ويحفظ اتحاد الهنود ، وينقذ أرواح الملايين ، بهذا السلاح الضعيف القوى ، الذى برع فيه فكان يفل عزائم الأبطال ...

ولقد هدأ غاندى ثورة كلكتا مرة ، بأن صام ، ففعل صومه ما لم يستطع فعله ٥٥ ألف جندى لم يستطيعوا حفظ السلام فى مقاطعة البنجاب .

وكان غاندى ، أشهر صائم فى العالم ، لا يشجع غيره على تقليده فى الصوم بلا روح .

لما أفطر بعد صومه الخامس عشر الذى استغرق ١٢١ ساعة قال لأبناء وطنه : « فى هذا العصر المقلد بلا تمييز ولا شعور ، أحذركم وأقول إنه لمن الغباء من أى شخص آخر أن يفعل مثلى وينتظر نتائج سريعة ، فستذهب آماله وآلامه هباء ، فإن للصيام مؤهلات قاسية يجب أن تتوفر فى القائم به ، إذ يجب أن يكون صاحب عقيدة صادقة فى الله ، وأن يكون صومه بدعوة من الله ودعاء له . وبهذا يكون للصوم أثره ونتائجه التى أدى من أجلها وقبل أن يؤدى يجب أن يمهد له بتمهيدات طويلة ، فلا تدعو إنساناً ما أن يقوم إذن بهذا الصيام مالم يكن مستعداً له استعداداً قلبياً خالصاً ... إنه ليس مجرد تقليد » .

وقبل سنين طويلة كتب غاندى عن الصيام فقال : « إن الصيام نظام قديم قدم آدم . وكان يتخذ إما وسيلة لتطهير النفوس وإما لغايات نبيلة أو رذيلة . ومن قبل صام بوذا وعيسى ومحمد حتى يتمكنوا من رؤية الله وجهاً لوجه . إن الصيام قطعة من كيانى ، وإنى أتمسك به ، لأنه وسيلة كل باحث عن الحقيقة »

وقد كتب طبيب غاندى الذى كان يعنى به أيام صيامه ،

وهو الدكتور روى : « أن الصيام عند غاندى عقيدة دينية . فقد كان يبدؤه بالصلاة ، ثم يختتمه بالصلاة ، كما كان فى أثناء صومه — طال أم قصر — يبدو كأنه متصل بقوة روحية عليا »

وقبل أربع وعشرين سنة صام غاندى ٢١ يوماً فى دلهى ، لكى يربط بين الهندوس والمسلمين . ثم صام لنفس الغرض فى كلكتا هذا العام ، وقد أدى صيامه إلى نتائج طيبة ، كما صام فى سبتمبر الماضى فى ثانية المدن الكبرى فى الكومنولث الإنجليزى ، وكانت الإضطرابات بين الطوائف تهددها وتهدد أهلها بالدمار والفناء ، وأدى صومه إلى نتيجة عظيمة ، حتى سمى هذا الصوم معجزة كلكتا ..

وبدأ غاندى صيامه التاسع عند ما اعتقل أثناء الحرب الماضية فى (ڤيلا) أغا خان فى پونا ، ثم رفض عرضاً بريطانياً بإطلاق سراحه إذا أنهى صومه ، وقد أطلقوا سراحه عام ١٩٤٤

ولقد لعب غاندى دوراً عظيما فى جميع المحادثات التى أدت إلى استقلال الهند فى أغسطس من العام المنصرم ، فأعلن قبل تحقيق حلم حياته الذهبى بأيام قلائل ، إنه اعتزم أن يعتزل السياسة ، واصطحب معه حسين السهروردى — الزعيم المسلم المعروف — وعاشا فى أكثر أحياء كلكتا اضطراباً وشغباً ، ثم بدأ فى أول سبتمبر صومه حتى يعود إلى كلكتا عقلها !

وقد أنهى صيامه بعد أربعة أيام حينما بدأت قوة (پوليس) شمالى كلكتا صيامها لمدة أربع وعشرين ساعة ، مشاركة للزعيم وكان فى تلك القوة ضباط أوربيون وانجليز وهنود كثيرون .

وفى السادس من سبتمبر الماضى ، قبل أن يغادر غاندى كلكتا ، أخبر المصلين معه أنه إذا أقلق سلام كلكتا مرة أخرى ، فليس أمامه إلا الصوم حتى الموت ...

وفى الثالث عشر من يناير هذا العام ، بدأ صيامه إلى أجل غير معلوم ، ليحقق اتحاد الهندوس والمسلمين . وعندئذ أرسلت الهند والباكستان ، مندوبيهما إلى (ليك سكسس) ليقدموا إلى مجلس الأمن وجهات أنظارهما عن ولاية كشمير ، ولكن المهاتما قال إنه لا شأن لصيامه بأعمال الأمم المتحدة .

وفى الثانى عشر من نفس الشهر ، عندما وقعت حكومة الهند ورؤساء أحزابها تعهداً بتحقيق شروط غاندى السبعة التى اشترطها عليهم فى صالح المسلمين ، أنهى صومه ، وكانت مدته ١٢١ ساعة ثم قال : « لا أستطيع أن أعتقد فى استحالة الصداقة والأخوة بين الهندوس والمسلمين والسيخ والمسيحيين واليهود والفارسيين فإذا تحطمت هذه الصداقة التقليدية تحطم الشعب الهندى كله . وإذا تحقق هذا العهد ، فانى أؤكد لكم أن تحقيقه سينعش قوتى وسيضاعف ابتهالى إلى الله ، وسيعيننى هذا على أن أحيا بقية حياتى قرير العين ، مؤدياً للانسانية الخدمة التى فرضتها على حتى اللحظة الأخيرة من حياتى ، التى يقدر لها بعض المتنبئين أنها ستكون ١٢٥ سنة ، ويقول البعض الآخر بل ستكون ١٣٣ عاماً »

ومن حوادث صومه الطريفة ، صومه الذى قام به مشاركا (أپاشد تواردهان) الذى رفض أن يقوم بعمل (الزبال) فى سجن (يرفادا) ، ورفض كذلك أن يمس أى طعام حتى لا يقوم بعمل الكناس كما أمر ، فصام ، وصام غاندى معه ، وهنا خشيت السلطات على حياة الزعيم فأعفت (أپاشد) من أوامرها ، وهنا أفطر الرجلان ...

وكان من ثمرات صيامه الطيبة ، صومه ضد الحكم الذى تبع محادثات ماكدونالد سنة ١٩٣٢ ، ضد المنبوذين ، وهم أحط الهنود حياة وأشدهم فقراً ، فكان من نتائج هذا الصوم أن تفتحت أبواب المعابد الهندية الضخمة للمنبوذين ، ومنذ ذلك اليوم صاروا يعرفون باسم (الهاريجان) وهى تعنى أحباب الله !

وفى الخامس والعشرين من يونيو سنة ١٩٣٤ حاول شخص مجهول أن يلقى قنبلة على غاندى فى پونا ، فأخطأته ولكنها أصابت سبعة أشخاص . وكان لهذا العمل الإرهابى أثره ، فبعد أسبوعين استعمل أحد أنصار قضية (الهاريجان) العنف فى التعبير عن اعتقاداته فى مقاومة الهندوس ، فصام غاندى سبعة أيام ليشعر هذا الخاطىء بخطيئته .

وقد قال البانديت نهرو مرة عن المهاتما : « لشد ما كان غاندى لغزا غامضاً محيراً ، ليس للحكومة الإنجليزية وحدها ، بل لشعبه أيضاً ، بل لأقرب المقربين إليه من أنصاره ومريديه » ثم قتل هذا اللغز البسيط المعقد ، الذى لم يفهمه أحد حق فهمه ، فقضى شهيد اتحاد الهند ، وشهيد الإنسانية فى هذا العصر المادى المضطرب ، ولكنه مات ميتة نبى ... والأنبياء — كما قيل

على نفسها جنت براقش

للاستاذ نقولا الحداد

صرنا فى هذه الأيام نسمع قول بعض الساسة أنه إذا لم ينفذ تقسيم فلسطين فهيئة الأمم تفقد هيبتها . أجل تفقد هيبتها من غير شك . ومشروع التقسيم لن ينفذ على الإطلاق ، وهيئة الأمم ستفقد هيبتها حتما ؛ ويكون موتها فجأة لا كموت جمعية الأمم المرحومة ، لأن هذه كانت مريضة بالسل وهيئتنا مريضة بالذبحة الصدرية . فبنوبة أخرى تقضى نحبها .

من الملوم على هذا المصير الفادح ؟

هيئة الأمم نفسها ملومة . وعلى نفسها جنت براقش .

لأنها لم تكن محكمة للقضاء العادل كما كنا نظن ، بل ظهر لنا أنها كمحكمة صلح ، لا تقضى بين محتكمين بل تحاول مصالحة العرب واليهود مصالحة قهرية . ولكنها مصالحة مستحيلة ، لأنه ما من أحد فى الدنيا يصالحك على بيته وأنت تحتله عنوة وتعمد إلى اقتسام شطر منه وليس لك فيه حق لا أولا ولا آخراً .

أجل لم تكن هيئة الأمم محكمة قضاء ولا محكمة صلح ؛ بل كانت سوقاً للمساومة على المصالح الشخصية على حساب صاحبها . فالإنصاف لا يمكن أن يكون رائدها بتاتاً . بل كانت ساحة مناوأة بين الدول ذوات المصالح التى كانت تتذرع بالمسألة الفلسطينية إلى اقتناص أغراض اقتصادية واستراتجية ونحوها .

وقد رأينا فى عرض قضية فلسطين فى هيئة الأمم كيف كانت هذه الأغراض تتبارى بلؤم ودناءة . فلكى يرقى شخص واحد لا عبقرية له إلى كرسى الرئاسة يستغيث باليهود القابضين على زمام الدعاية . وقد ساعده مركزه الوقتى فى كرسى الرئاسة على أن يضغط على بعض الدول الصغيرة بالوعود والوعيد لكى يصوتوا مع التقسيم ، فأطاعوا كما يطيع صبيان المدارس . ولما كسب مشروع التقسيم الأكثرية ظن الصهيونيون أنهم امتلكوا نصف فلسطين وأنهم سيمتلكونها كلها ثم يمتلكون جميع البلاد العربية من النيل إلى الفرات . فصاروا يرقصون فى الشوارع . ولكن ما لبث هذا الرقص أن تحول إلى مناحات .

والغريب العجيب المدهش أن اليهود والذين انحازوا إلى جانبهم لم يفكروا فى كيفية تنفيذ هذا المشروع السخيف بل ظنوا أنهم بمجرد صدوره يصبح العرب أمام أمر واقع وأن العرب يسلمون حالا ويخنعون . وما عتموا أن رأوا أن دون التنفيذ خرط القتاد . وأن الأمر الواقع هو العكس .

تطاولوا على العرب كما تطاولوا على الإنجليز . ولكنهم ما لبثوا أن رأوا أن العرب لا يستخذون لهم كما يستخذى الإنجليز بل كالوا لهم الصاع صاعين . فجزعوا وجعلوا يستغيثون بالقوة الإنجليزية لكى تحميهم من العرب .

أين السبعون ألف هاجانة الذين طبلوا للعالم بهم ؟ لم يظهر من السبعين ألفاً سبعون صعلوكا . وأخيراً اعترفوا فى الأسبوع الماضى أن عندهم ثلاثة آلاف وخمس مئة ، وسيجندون عشرة آلاف آخرين ثم ١٥ ألفاً ! هذا ما يدعونه الآن وهم كاذبون .

وهكذا على الرغم من انفضاح كذبهم ما زالوا يخدعون العالم بقوتهم الوهمية وبضعف العرب الذى يزعمونه . فلماذا إذن يستغيثون بهيئة الأمم وبمجلس الأمن وبأمريكا كلها لكى ترسل لهم قوة بوليسية لكى تنفذ التقسيم ؟ وماهى وظيفة الهاجاناه إذن ؟

ولكن ليس لمجلس الأمن بوليس دولى ليقوم بدور التنفيذ . وما من أميركى أو غير أميركى يبعث إلى فلسطين لكى يوطد دولة يهودية . وما من أحد ممن صوتوا لقرار التقسيم يتجاسر أن يطلب من دولته أن تساهم بقوة عسكرية لتنفيذ التقسيم . بل إن

قديماً — غرباء فى أوطانهم ، بل فى العالم ، لأنه لا يفهمهم فى حياتهم فهماً صحيحاً ...

ولقد قتل غاندى قتلة دنيئة — وهو ذاهب للصلاة — بيد أحد أبناء وطنه ودينه ، فمات ميتة الأنبياء الشهداء الغرباء فى أوطانهم .

ولكن العالم كله عرف غاندى ، وأن لم يدن بمبادئه ، مع اعترافه بها ، إلا أنه يتخبط فى طريقه إلى تحقيق أهدافها العليا وهى أهداف كانت منذ الأزل وما برحت رسالة الأنبياء والشعراء والمرسلين .

حسين مهدى الغنام

٢ - الحمادون الثلاثة

للدكتور جواد علي

ورَوى الرواة قصة حماد التي ذكرناها بشكل آخر قابل للتصديق موافق للعقل ، فلم تدخل إليها المبالغة على الطريقة التي رأيناها في قصته مع هشام وردت في كتاب « العقد الفريد » بهذه الصورة :

جلس الوليد يوما وجارية تغنيه ، فأنشدت الوليد :

قينة في يمينها إبريق .

فاستنشده حماد الراوية ، فقال :

ثم نادى ألا اصبحوني فقامت   قينةٌ في يمينها إبريق
قدّمته على عُقار كعين الديك صفّى سلافه الرّاووق
حرة قبل مزجها فإذا ما   مزجت لذ طعمها من يذوق [1]

(١) العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ح ٥ ص ٢٢١ بتحقيق محمد سعيد العريان .

وهي نفس الحكاية كما رأيت غير أنها دون مبالغات ولا تهويل ، كما أن الخليفة الذي حدثت معه هذه الحكاية هو الوليد وليس الخليفة هشام وهو أمر مقبول معقول يجوز صدوره من الوليد ، ولم يذكر بهذه الرواية عن أمر استدعائه شيئاً .

وفي « الأغاني » قصة أخرى مصدرها « حماد » والخليفة صاحب القصة هو الوليد ، وردت على هذه الصورة :

كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر :

أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فسرّح إليّ حماداً الراوية على أحبّ دابة من دواب البريد وأعطه عشرة آلاف درهم يتهيأ بها.

قال فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبذه إلي، فقلت السمع والطاعة، فقال يا دُكين ، مُرْ شجرة يعطيه عشرة آلاف درهم . فأخذتها. فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف بن عمر فقال يا حماد ، أنا بالموضع الذي عرفته من أمير المؤمنين ، ولست مستغنياً عن ثنائك . فقلت أصلح الله الأمير « إن العوان لا تعلم الخمرة » وسيبلغك قولي وثنائي . فخرجت حتى انتهيت إلى الوليد وهو بالبخراء ، فاستأذنت عليه فأذن لي ، فإذا هو على سرير ممهّد ، وعليه ثوبان أصفران : إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً ، وإذا عنده معبد ومالك بن أبي السمح وأبو كامل مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ، ثم قال أنشدني :

أمن المنون وريبها تتوجع   فأنشدته حتى أتيت على آخرها[1]

ولا تستبعد حكاية طلب الوليد لحماد فقد كان « حماد » من المقربين للوليد ، وقد كان يقصده عند الحاجة فيحصل على هداياه ثم يرجع كما كان يجالسه ويدخل مجلسه [2] . وكان الوليد يميل إلى الشعراء والأدباء وأهل الفن . ويجوز أن يكون فيما ذكره عن « يوسف بن عمر الثقفي » مبالغة إذ لم تكن صلاته بالوليد على الصورة التي ذكرها « حماد » : كان على العكس مقربا لديه طيلة مدة حكم « الوليد » إلى أن قتل ، فغضب عليه « يزيد » وعزله عن العراق ثم قتل بعد ذلك سنة ١٢٦ للهجرة [3] .

كان حماد شيطاناً خبيثاً ماكراً يستطيع استخراج ما في القلوب . وكان يمضي وقته في الدعابات والمهاترات وقول الشعر

(١) الأغاني ح ٢ ص ٢١٠

(٢) Ensy' of Qalam' Vol H' p 1177 '

(٣) ابن خلكان نمرة ٨٥٣ ، ابن الأثير ح ٢ ص ٢٢٤

وبعض ما تردد في صفحات الكتاب كله في تفسير تلك العوارض الاجتماعية .

فن الجرأة التي لا توصف إلا بأنها جرأة الجهل ، أن يحاول غمر من الأغمار ستر هذه الحقيقة عن الأعين ، وهي تعد بعشرات الألوف .

ونحن لا يعنينا الأمر ، لأنه لا يضير كتابنا عن عبقرية الإمام ؛ فإن عبقرية الإمام لا يحجبه كلام يلفظ به غمر من الأغمار .

ولكننا ننبه إليه ؛ لأن سكوتنا عنه يعد عجيباً جداً في هذا الزمن وفيما بعد هذا الزمن ، ولأن قحة الجهل خليقة أن تزجر ، ليتعلم الجهلاء كيف يكتبون حين يريدون الثناء على مؤلف من طراز كتاب عثمان .

فهذا الكتاب من مؤلفات العصر التي يستطيع الناقد الخبير أن يثني عليها ولا يقول فيها إلا حقاً . فإذا لجأ إلى الباطل في الثناء عليه فإنما يسيء إلى نفسه ويسيء إلى الكتاب : يسيء إلى نفسه ، لأنه يفضح عجزه ؛ ويسيء إلى الكتاب ، لأنه يري الناس أنه محتاج إلى الباطل ليظفر ببعض الثناء .

عباس محمود العقاد

جاء فى العقد الفريد : إنه كانت فى أبى عطاء السندى لثغة قبيحة ، فاجتمع يوماً فى مجلس بالكوفة فيه حماد الراوية ، وحماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ، وبكر بن مصعب ، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : ما بقى شىء إلا وقد تهيأ فى مجلسنا هذا . فلو بعثنا إلى أبى عطاء السندى ؟ فأرسلوا إليه فأقبل يقول مرْحبا ، مرْحبا هيا كم الله . وقد كان قال أحدهم : من يحتال لأبى عطاء حتى يقول جرادة ، وزج ، وشيطان ؟ فقال حماد أنا ، فقال يا أباعطاء ، كيف علمك باللغز ؟ قال هسن ، يريد حسن ، فقال له .

فما صفراء تكنى أم عوف كأن سويقتيها منجلان

قال زرادة ؛ فقال أصبت ؛ ثم قال :

أتعرف مسجداً لبنى تميم فويق الميل دون بنى أبان ؟

قال فى بنى سيتان ، فقال أصبت ، ثم قال :

فما اسم حديدة فى الرمح ترمى دوين الصدر ليست بالسنان

فقال زُزّ ، فقال أصبت (١)

وكان حماد كسائر أهل الكوفة يفضل « الأعشى » على شعراء الجاهلية . قال يحيى بن سليم الكاتب :

بعثنى أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حماد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء ، فأتيت باب حماد فاستأذنت وقلت : يا غلام ! فأجابنى إنسان من أقصى بيت فى الدارفقال من أنت ؟ فقلت يحيى ابن سليم رسول أمير المؤمنين . قال ادخل رحمك الله ! فدخلت أتسمّت الصوت حتى وقفت على باب البيت فإذا حماد عريان على فرجه دَسْتجه شاهسفرم ، فقلت إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس ، فقال نعم ، ذلك الأعشى صناجها (٢)

وهذه القصة على ما يخيل إلى هى من وضع رواة الكوفة الذين كانوا يتعصبون للأعشى على سائر الشعراء ويقدمونه على الجميع؛ وإلا فقد كان بوسع الخليفة استدعاء الراوية إليه واستطلاع رأيه وأخذ الدليل . وكان أهل الكوفة يتعصبون للأعشى نكاية بالبصريين الذين كانوا يتعصبون لامرىء القيس (٣)

والظاهر أن العباسيين لم يكونوا يعطفون عليه حتى ولا أعوانهم مثل أبى مسلم الخراسانى ، بل كان الراوية يخاف منهم ويبتعد عنهم كلما استطاع ذلك . كالذى جاء فى حديث حماد عن استدعاء أبى مسلم الخراسانى له حيث يقول : أرسل إلىّ أبو مسلم ليلا ، فراعنى ذلك ، فلبست أكفانى ومضيت ، فلما دخلت عليه تركنى حتى سكن جأشى ، ثم قال لى ما شعر فيه أوتاد ؟ قلت من قائله أصلح الله الأمير ؟ قال لا أدرى . قلت فمن الجاهلية أم شعراء الإسلام ؟ قال لا أدرى . قال فاطرقت حيناً أفكر فيه حتى بدر إلى وهمى شعر الأفوه الأزدى حيث يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتادُ

فإن تجمع أوتاد وأعمدة يوماًفقد بلغوا الأمرالذى كادوا

فقلت هو قول الأفوه الأزدى أصلح الله الأمير ، وأنشدته الأبيات ، فقال صدقت ، انصرف إذا شئت! فقمت ، فلماخطوت الباب لحقنى أعوان له ومعهم بدرة فصحبونى إلى الباب ، فلما أردت أن أقبضها منهم قالوا لابد من ادخالها إلى موضع منامك فدخلوا معى ، فعرضت أن أعطيهم منها شيئاً فقالوا لا نقدم على الأمير (١) . ثم من يدرى فلعل الخوف هو الذى أوحى إلى حماد الراوية بهذا الشعر الذى لا يمكن نظمه إلا من رجل حضرى على طراز حماد ، أو لعل القصة موضوعة من أساسها إن أردنا أن نذهب مذهب الشك فى أكثر أقوال حماد .

والظاهر أن إعراض العباسيين عن « حماد » الذى كان يلتجىء إلى الأمويين هو الذى حمله على مغادرة « بغداد » فى أيام المنصور بعد أن وفد إليها يلتمس الرزق فى قصور خلفاء بنى العباس . والظاهر أن الحظ كان قد ابتعد عنه وظل يبتعد عنه ولا سيما فى أيام المهدى عَدو الزنادقة اللدود . وكان حظ أكثرهم مثل حظ حماد . ويقال إنه سافر بعد ذلك من الكوفة إلى البصرة حيث كانت له هنالك عصابة ثم عاد بعدئذ إلى بغداد . ولكنه وجد إعراضاً من المهدى ومطاردة فاضطر إلى مغادرة العاصمة إلى أن توفى عام ١٥٥ أو ١٥٦ أو ١٥٨ للهجرة (٢)

(١) العقد الفريد حـ ص ١٧٨ وما بعد .
(٢) الأغانى حـ ٩ ص ١١٠
(٣) فى الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين ص ٢٥٣

(١) العقد الفريد حـ ٦ ص ١٥٨
(٢) ابن خلكان حـ ١ ص ٢٠٧ ، الأغانى حـ ٣ ص ٨٠

كلا منهم يقول : لقد أعطيناكم أصواتنا . أفلا تكفى ؟ والآن تطلبون جنودنا أيضاً ! ما هو فضلكم على البشرية ؟ حكمنا لكم بنصف فلسطين . نخذوه إن كنتم قادرين .

إنى أراهن على أن مجلس الأمن لا يستطيع أن يحصل على جندى واحد لكى يرسله إلى فلسطين لأجل زرقة عيون الصهيونيين وشقرة وجوههم وصفرة شعورهم . كما إنى أراهن على أن لجنة الدول الخمس لن تأتى إلى فلسطين لكى تنفذ التقسيم . لأنه ما من أحد منهم بائع دمه جزافاً لأجل خاطر كوهين وليفى وشارول وأضرابهم .

إن الصهيونيين الماكرين خدعوا ترومان وأمثاله من أنصار التقسيم بأكاذيبهم فى جرائدهم ودعايتهم لكى يوهموا أن عندهم سبعين ألفاً من الهاجانة وكذا ألوفاً من الإرهابيين مدججين بالسلاح الحديث ، وأن العرب تنقصهم الشجاعة والسلاح والإنفاق . فلا يمكن قرار التقسيم حتى يخروا ساجدين مستسلمين للأمر الواقع .

طالما طبلوا وزمروا بهذه الدعاية حتى تجاوبت أصداؤها فى أقاصى الدنيا ، وصدقهم سذج الأميركان وعلى رأس قائمة الساذجين السيد ترومان فانحازوا إلى جانبهم . وقبل أن يجىء دور التنفيذ رآهم أولئك المنخدعون يستغيثون طالبين النجدة .

فى أثناء كتابة هذه المجالة ينعقد مجلس الأمن للنظر فى القضية . ولا يلبث أن يقع فى حيص بيص لا يدرى ماذا يفعل فيها لأنه يدرك أن التنفيذ لا يمكن إلا بإرسال قوة عسكرية . وهو ليس عنده من القوة ظلها . وزد على هذا أن الخواجة ترومان هرب إلى جزر الكاريبى لكيلا يمشى فى جنازة المشروع ولا يرى النائحين اللاطمين وقد أدرك بعضهم هذه الخيبة فرأى أن يتدار كها باقتراح تأجيل القضية عسى أن تمكن تسوية الأمر بين العرب واليهود بطريقة ودية . رأى سخيف مضحك . ما أسخف منه إلا رسالة ترومان إلى حكومة العراق يناشدها بأن ترد العرب عن اليهود فى هذا الصراع الرهيب .

أفما أدرك هذا المخدوع أن اتفاق اللصوص معه على سرقة منزله أسهل جداً وأمكن من اتفاق العرب واليهود . أفما علم حتى الآن أن العراق وكل دولة عربية تحسب نفسها ضلعاً من فلسطين .

ليست هيئة الأمم ومجلس الأمن والحكومة الأميركية أقل حيرة فى هذه القضية وأقل ارتباكاً من الصهيونيين الذين رأوا أنفسهم الآن أمام أمر واقع عكس ما كانوا يتوقعونه . لم يخدعوا العالم بأكاذيبهم وتهويلهم أكثر مما خدعوا أنفسهم . هم الآن فى ورطة لا يدرون كيف يخرجون منها .

لقد عرضوا فى أول الأمر على بريطانيا أن تحسب دولتهم من جملة الدومنيون التابعة لها ، يعنى أن تجعلهم تحت حمايتها . فظهر أن انكلترا لم تطمئن لمعاملة اليهود فنفرت من اقتراحهم هذا . ثم جعلوا يتقربون إلى روسيا . ولكن هذه السياسة الخرقاء لا تجوز على بريطانيا وأميركا ولا على روسيا .

لم يبق فى قوس الصبر منزع . لقد جنت على نفسها براقش وقد وقعت الحرب بين العرب والصهيونيين فلم يعد فى وسع هيئة الأمم ولا مجلس الأمن ولا أميركا ولا دول أوروبا الصغيرة أن تنقذهم من براثن العرب الأشاوس .

مهما تكن نتائج مساعيهم ومساعى أحبابهم فقد استل السيف من غمده ولا يمكن أن يغمد فى غمده ثانية إلا بأحد أمرين : إما أن يقاتلوا حتى يفنوا ويبقى العرب أهل بلادهم لا شركاء لهم فيها ، أو أن يرجعوا قانعين بالسلامة .

وأما أن يقترحوا اقتراحات متوسطة أو يأملوا أن يكونوا وطنيين فى الحكومة العربية المستقلة ذات السيادة فلم يعد العرب يقبلون اقتراحات كهذه . لقد خسروا القضية فخير لهم أن يرحلوا . وإن قبلت الحكومة الفسطينية بقاءهم فلا يعتبرون فلسطينيين لهم ما للشعب الفلسطينى بل يعتبرون غرباء عن البلاد .

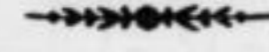
كل يوم تذيعون أن مالاً يجمع لكم من أميركا فهما وفرهذا المال المزعوم المكذوب فلا يكفيكم لأن الألف التى تكفى المجاهدين العرب تحتاجون مقابلها إلى مليون ، فلا تهولوا بملايينكم .

أنتم فى الشرق لا تبلغون مليوناً . والعرب يبلغون ثلاثين مليوناً على الأقل . فقبل أن يفنى من العرب ألف يكون مليونكم قد فنى . فعودوا إلى رشدكم وارحلوا قبل أن تفنوا .

نقولا الحداد

٣ ـ فن المسرح

للأستاذ عبـــد الفتاح البارودى



ربما يكون من المناسب — قبل أن أستطرد فى حديثى عن القيم المسرحية — أن أناقش ما أثاره الأستاذ (رمزى خليل) من خلاف حول قولى (بالعدد ٧٥٩) : إن البانتوميم والميم فنان رومانيان إذ قال (بالعدد ٧٦٠) ما نصه : « ... إن اليونان عرفوا هذين النوعين بل إن أشهر ممثليهما هو بيلادس الممثل اليونانى المعروف وإذن يكون هذان الفنانان يونانيين وليسا رومانيين » .

وقد كان من الممكن أن أحسم هـذا الخلاف بنقل عبارة تـكاد تـكون مشتركة فى شتى المعاجم الأدبية بصددهما وهى : (Purely Roman Creation أى ابتداع رومانى بحت) ولـكنى أوثر أن أنساق مع حجة الأستاذ المعترض إلى أقصى ما تحمله من فروض . وقبل كل شىء أبادر فأوافقه على أن بيلادس ممثل يونانى .. ولـكن ما العلاقة الحتمية بين جنسية الممثل وبين الفن الذى يمثله ؟ ألا يجوز أن تمثل (الفرقة المصرية) روايه فرنسية ثم يظل الممثلون مصريين وتظل الرواية فرنسية ؟ لو أن بيلادس هو الذى ابتدع البانتوميم والميم ابتداعاً لجاز أن نجد مبرراً ، وإن كان بمفرده ضعيفاً ، لعزوهما إلى جنسه . أما وهو مجرد ممثل من جهة وهناك من هو أشهر منه — كما سنوضح بعد — من جهة ثانية ومقر تمثيلياته روما من جهة ثالثة وشهرته قاصرة على البانتوميم وحده دون الميم من جهة رابعة . فـكيف يتأتى لنا إذن أن ننسبهما معاً إليه ؟! وحتى لو فرضنا أن هـذا الممثل بالذات ابتدع فناً ما — أى فن — لـما صح أن نعزوه إلى « اليونانية » إلا بتحامل شديد ؛ لأن المصطلح عليه فى الآداب والفنون القديمة أن العصر اليونانى أو الهلينى ينتهى بانتهاء الـكلاسيكية اليونانية فى أواخر القرن الرابع ق . م ثم يبدأ العصر الهلينستى مزدهراً فى المدرسة الاسكندرية التى حملت لواء النهضة العلمية والأدبية بعد أثينا . ثم تزدهر روما بانتقال النفوذ السياسى إليها ويمتد عصرها الأدبى من منتصف القرن الثانى ق . م . إلى القرن الخامس ب . م تقريباً . فإذا عرفنا بعد ذلك أن بيلادس بلغ أقصى شهرته فى فن البانتوميم حوالى عام ٢٠ ق . م . أدركنا بسهولة أن عصر بيلادس كله واقع فى العصر الرومانى الأدبى .

ومع هذا فلعله من المستحسن أن نتحدث بإيجاز عن كل من البانتوميم والميم زيادة فى التعريف بهما وشرحاً لما قد يكتنفهما من غموض أو غرابة .

(البانتوميم) لون من ألوان التمثيليات ابتدعته روما لمجرد « التسلية » وتستمد موضوعاته من الأساطير غالباً . وبينما تنشد الجوقة أناشيدها يؤدى الممثل دوره برقص معبر يعتمد على الحركة لا أكثر . وقد زاد الممثل اليونانى بيلادس الذى أسلفنا ذكره عدد أفراد الأوركسترا زيادة كبيرة ؛ وهذا هو مصدر شهرته . وكان للروايات مناظر مناسبة ، ولـكن لم يزد عدد الممثلين عن ممثل واحد فقط يكون بمختلف الأدوار مستعيناً على أداء كل منها بالتقنع بقناع خاص به . ويعتبر باثيلس Bathyllus أشهر ممثلى البانتوميم [1] وقد بلغت شهرته إلى حد أن اسمه صار يطلق على كل من يمثل هذا اللون .

أما (الميم) فقد عرفه الدوريون والسيرا كوزيون فى حالة ساذجة . ويعد هيروداس (٣٠٠ — ٢٥٠ ق . م .) من أبرع واضعيه . وإلى هنا لا يمكن اعتباره فناً بالمعنى الصحيح بل لا يعدو أن يكون تصويراً تهكمياً لبعض حوادث الحياة اليومية العادية فى المدن مقصوداً به « تسلية » الجمهور بين فصول الروايات التمثيلية ، وقوامه الحركة المعبرة بمصاحبة الآلات الموسيقية وأهمها (الفلوت) وبغير كلام إطلاقاً . ثم ظل يتطور إلى أن صار فناً فى القرن الأول ق.م. منذ استطاع لابريس Laberius وبوبليليس Publilius أن يتخذاه وسيلة هامة من وسائل النقد اجتماعياً وسياسياً [2] . ومما يجدر ذكره أن البانتوميم أدى إلى انحطاط التراجيديا ، وكذلك أدى الميم إلى انزواء الـكوميديا .

ويعزى شيوع هذين الفنين بين الرومان إلى أن مجتمعهم كان مكوناً من طبقتين : قلة ضئيلة مثقفة مؤمنة بعظمة التراث الإغريق وتحاول تقليده ... وكثرة عابثة تنشد التسلية ولا تحس بصلة بينها وبين ذلك التراث الغريب عنها . فاتجاه الفئة الأولى نحو الإغريق باعد بين الجماهير والأدب فأصبحوا يكرهون التراجيدا ويفضلون عليها الملاهى بصفة عامة . وانتهى الأمر بأن

(١) معجم الأدب الـكلاسيكى — طبعة أكسفورد .
(٢) دائرة المعارف البريطانية .

هجروا المسارح التى تقدم مسرحيات يونانية مترجمة أو مقتبسة إلى دور تمرض البانتوميم والميم[1].

وأظن أن فى هذا الكفاية ولا بأس من العودة إلى حديثنا المعتاد

المسرح وقيمته الاجتماعية

الفن المسرحى فن اجتماعى الغاية والوسيلة معاً . فهو بواسطة مجتمع مصغر فوق المسرح يصور للمجتمع الكبير فى الحياة : نزواته ونزعاته وميوله تصويراً يبرزله عيوبها ويحضه على إصلاحها. وقد تكون لبعض الفنون الأخرى علاقة مباشرة بالمجتمع ولكنها على الأرجح لا تستطيع أن تجارى المسرح فى معالجة مشكلاته ؛ لأنها إما أن تتناولها من بعيد بالإيحاء والرمز فلا تفيد الجماهير أو بالشرح والتفصيل فتبعث الملل فضلا عن أنه بهذا وذاك تتعارض غالباً مع أصول الفن فيها . أما المسرح فإنه بطبيعته الفنية يقوم على تمثيل « الفعل ورد الفعل » فى صورة تتفق مع مجتمع إنسانى ، بمعنى أن أشخاص الرواية يجسمون المشكلات بشتى نواحيها تجسيما لا يلزم معه شرح أو إسهاب . وبهذا يتاح للمصلح الاجتماعى فى المسرح ما قد لا يتاح له فى سائر الفنون . وإنه لمن المعجز أن نجد بالاستقراء بين شتى الفنون فى شتى العصور فناً أوثق صلة بالمجتمع من المسرح . بل أكثر من ذلك أننا نجد أن المسرحيات تبلغ أوجها كلما حافظت على هذه الصلة وتهوى إلى الحضيض إذا أغفلتها مهما كانت الظروف والاعتبارات . فبالرغم من أن مسرحيات أرستوفانيس مثلا كانت أرستقراطية النزعة إلا أنها نجحت فى المجتمع اليونانى الديموقرطى لأنها كانت مستوحاة من ذلك المجتمع ذاته . وعلى النقيض أخفقت الروايات الرومانية التى يطلق عليها Palliata أو أخفق معظمها . ولو أنها كانت مستمدة من التراث اليونانى المعظم وذلك لأن هذا التراث على عظمته التى لا شك فيها لم يكن معبراً عن العواطف الجياشة فى المجتمع الرومانى وتكاد تكون الصلة الوثيقة بين المجتمع والمسرح أهم الالتزامات الواجب مراعاتها فى التأليف المسرحى لضمان نجاحه . وصحيح أن نجاح أو إخفاق المسرحيات يرجع — إلى حد كبير — إلى براعة المؤلف ؟ لأن الصور المسرحية النهائية لها تطور داخلى خاص خاضع له . ولكن الشىء الذى لا جدال فيه أن هذا التطور ذاته يتأثر وينفعل ويتفاعل مع التغيرات العامة التى تطرأ على المجتمع .

من هنا نرى بل يشترط بعض النقاد على المؤلفين ضرورة استيحاء المجتمع الذى يعيشون فيه حتى فى الروايات التاريخية التى تدور حوادثها فى الماضى السحيق ولا تمت إلى حاضرهم بصلة مباشرة . وأغلب الظن أن هذا هو ما حدا بمؤلف مسرحى عظيم مثل برنارد شو إلى استهلال روايته التاريخية (قيصر وكليوباترة) ببداية تدور حول المجتمع الإنجليزى الحالى ! إذ يخرج الإله حورس من الظلام ويحدث الجمهور عن الإنجليز وعقائدهم وخصالهم منددا متهكما عليهم مقارناً فى ذلك جيماً بين الإنسان الحالى والإنسان فى العصور القديمة مستنتجاً من ذلك جيماً أن الإنسانية لم تتقدم منذ عصر قيصر إلى الآن إلا تقدماً آلياً لا ينبغى أن يؤبه له ما دام لا يصاحبه التقدم المنشود فى المشاعر والإحساسات

وقد يقال إن ارتباط المسرح بالمجتمع هكذا يجعله « تابعاً » خاضعاً له وبذلك يفقده قوته الإصلاحية المزعومة ! ولا جدال فى أن هذه التبعية حقيقة ملحوظة بل إنها غير مقصورة على النواحى الفنية والأدبية . فالناحية الاقتصادية أيضاً لا يمكن تجاهلها ؛ إذ المسرح يخضع إلى أبعد الحدود لقانون العرض والطلب ؛ ولذا يحاول — ما وسعه — أرضاء الجماهير ولو على حساب الفن أحياناً ، حتى لقد جاز لناقد كبير مثل وليم آرتشر أن يطالب المؤلفين « بأن لا يضعوا شيئاً جوهرياً فى المنظر الأول من الفصل الأول من مسرحياتهم » لغير ما سبب سوى أن الجماهير من طبعها التلكؤ . وقلما تصل إلى مكان العرض فى موعده المحدد أى لسبب لا علاقة له بصميم الفن .

فكيف يتسنى للمسرح أن تكون له قوة إصلاحية وهو خاضع على هذا النحو للجماهير التى كثيراً ما تثور على كل إصلاح ؟ الواقع أنه على الرغم من كل هذه الاعتبارات وعلى الرغم من أن كل فن مقيد بقيود مختلفة بالمجتمع إلى حد ما فليس هناك فن يمكن أن يخلص من أكبر عدد ممكن من هذه القيود مثل المسرح لسبب صغير جداً هو أن فى أوضاعه من المرونة والجاذبية ما يهيىء للمؤلف المسرحى البارع الفرصة لبث آرائه بسهولة . ومهما تكن مخالفة لعقائد المجتمع ، فكثيراً جداً ما يستطيع بالإفصاح والإيضاح والإلحاح أن يتغلب فى النهاية . إذن فحرية المسرحى ليست منعدمة كما أنها ليست مطلقة ولا مفر له من أن يعمل فى حدود ممكنات الفن ومزاج المجتمع ولكن البراعة فى الملاءمة بينهما . ومهمته هذه فى غاية الدقة والمشقة . فليس أعنى

(١) محاضرات الدكتور وهيب كامل

هل تملك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

— ٣ —

الاعتراضات ما زالت متوجهة

فى تعقيبى السابق على حديث معالى الباشا وجهت إليه جملة اعتراضات فصلت القول فى بعضها واجتزأت بالاشارة إلى باقيها ، وقد حاول معاليه — فى بحثه الأخير دفع كل منها بما لا مقنع فيه ، وهاك البيان .

٩ — الاعتراض الأول . أن معاليه قد أغفل فى رأيه الوارد فى حديثه والنصوص القرآنية التى استدل بها لهذا الرأى قوله تعالى . (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) هذا النص الذى هو تتمة الآية التى جعلها معاليه مناطاً للتأييد رأيه ، وهى قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) وأن عمل معاليه فى أغفال هذا النص الذى هو موطن الحكم الصحيح فى هذا الموضوع كعمل من يستدل على تحريم الصلاة بقوله تعالى « فويل للمصلين » ضاربا صفحا عن باقى الآية .

وقد حاول الباشا دفع هذا الاعتراض من ناحيتين : ناحية الشكل حيث قرر أن القياس مع الفارق وأن الشأن فى إغفال النص الذى أغفله معاليه يختلف عن الشأن فى إغفال باقى آية (فويل للمصلين) وسواء أكان ماقرره معاليه فى ذلك أو ماقررته أنا صحيحاً فلا أحب أن أضيع الوقت فى مناقشته فى هذه النقطة الشكلية البحت . وحسبى أن معاليه قد أقرنى ضمنا فى رده على أن للنص الذى أغفله وهو جزء متمم للآية التى استشهد بها شأناً أى شأن فى الوضوع الذى كان بصدد الإدلاء عن رأيه فيا هو حكم الشرع فيه ، بدليل تسليمه بأنه موطن الحكم فى الآية كلها (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا) وإن كان اعتبره حكما موقوتاً ، وبدليل احتياجه فى محاولة دفع ايراده عليه إلى تكلف ما تكلف من افتراض حدوث محن وأمور بين العرب عند نزول آية (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) وهو ما رد به على الاعتراض من ناحية الموضوع مستدلا بذلك فى الوقت نفسه على صحة رأيه وقد بسطنا القول فى ذلك وفى الرد عليه فى كلامنا السابق عما استدل به معاليه للعنصر الثالث من رأيه .

١٠ — الاعتراض الثانى . إذا كان المولى سبحانه قد عنى بالآيتين اللتين استشهد بهما معاليه مجرد تحريم التعدد ، ففيم كان الأخذ والرد باباحته فى إحداها التعدد بشرط العدل ، ثم بتقريره فى الثانية أن العدل غير مستطاع إطلاقا ، وتوزيع المعنى بذلك بين آيتين وكانت آية واحدة تجزئ فى تحريم التعدد وبيان علته وهى عدم استطاعة العدل الواجب .. وفيم التعبير بمثنى وثلاث ورباع؟!

وقد أجاب عن ذلك بما سبق أن أشرنا إليه من تأويله عبارة (مثنى وثلاث ورباع) بما لا تحتمله ولا يناسب المقام ولا سياق النص ؛ وقد فندنا هذا التأويل فيما تقدم بما فيه الكفاية فلا حاجة إلى تكراره هنا .

كما أجاب أيضاً محاولا دفع مايشوب النصوص — على أساس تأويله — من الأخذ والرد وتوزيع المعنى بغير مقتض ، بما سبق أن أشرنا إليه فى التمهيد من أن المولى سبحانه أراد ألا يجابه العرب

للمجتمع من المسرحيات ذات الآراء الإصلاحية ولكن بشرط أن تتصل به اتصالا ناعماً ليناً رفيقاً وتفتح له الطريق سهلا ممهداً وتنيره له إلى حيث تهدف فى رضى وطمأنينة .

والمجتمع فى مراحل تقدمه لا يكاد يذكر فضل فن عليه كما يذكر فضل المسرح ؛ فمسرحيات موباسان وأمثالها فى فرنسا ، ومسرحيات جوزيف أديسون وأمثالها فى انجلترا ، ومسرحيات تولستوى وأمثالها فى روسيا ، هى من أهم العوامل التى انتشلت المجتمع الأوروبى من نزعات المجون التى كانت مستولية عليه فعلا. وقل مثل ذلك عن شتى المسرحيات قديماً وحديثاً فى أغلب النهضات الاجتماعية على أن المجتمع الإنسانى فى العالم كله لم يكن فى حاجة إلى المسرح فى وقت من الأوقات كما هو الآن . فقد سببت له الحرب الأخيرة ومشكلاتها ونتائجها كثيراً من الاضطرابات التى غيرت القيم وحجرت العواطف وألقت فى روعه حب المال واقتناص الفرص . ومثل هذه الانحرافات لا يكفل علاجها غير المسرح لأنه أقدر الفنون بتحليل أسبابها الدفينة وإظهار المجتمع عليها وبذلك يمهد له إعادة بناء مقوماته الصحيحة ويساعده — كما يقول هيكل — على استرداد قوة التنسيق بين العقل والشهوات وبين الفطرة والشذوذ .

للبحث بقية عبد الفتاح البارودي

دفعة واحدة بحكم تحريم التعدد الذى كان من عاداتهم المتأصلة « فتدرج » معهم فى هذا الحكم كشأنه فى كثير من الأحكام الواردة لمعالجة نقائص العرب بطريق التدرج . فتحداهم أولا بما يبيح — فى ظاهره التعدد بشرط العدل ثم أبان لهم بعد ذلك أن العدل غير مستطاع اطلاقاً .

وردنا على هذا الوجه من الدفع أن ما ذكره ليس من قبيل « التدرج » فى الاحكام ؛ إذ التدرج فيها — كما هو مفهوم اللفظ بداهة وكما وقع فعلا بالنسبة للاحكام الواردة حقيقة على طريقة التدرج كحكم الخمر مثلا — هو إتيان المشرع بحكمين أو أكثر منتقلا من التخفيف إلى التشديد ، والوارد فى التعدد من أول الأمر على رأى معاليه — حكم واحد هو التحريم لأن العدل فى ذاته غير مستطاع . ويؤيد ذلك ما افترضه معاليه نفسه من اضطراب النبى والمسلمين وتململهم وجأرهم بالشكوى عند نزول الآية الأولى لعلمهم أن العدل فى ذاته غير مستطاع اطلاقاً مما استجاب له المولى — فى رأى معاليه أيضاً — بتخفيف الحكم بالآية الثانية بجعله العدل المطلق غير مشروط فى الزوجات الموجودات فعلا وقت النزول ، فلولا أنهم فهموا الحكم من أول الأمر على أنه التحريم لما تململوا وجأروا بالشكوى . فليس ثمة أذن تعدد أحكام تدرجت إلى حكم أخير . أما التعديل الوارد للحكم فيما يرى معاليه فليس تعديلا دائماً بل موقوتا . وهو تعديل إلى التخفيف لا إلا التشديد ، فأين التدرج إذن ؟

١١ — الاعتراض الثالث . أن أحاديث كثيرة قد وردت بأمر النبى لمن كان تحته من الصحابة أكثر من أربع زوجات عند نزول الآية الأولى ، بالابقاء على أربع منهن ومفارقة الباقيات كما وردت أحاديث أخرى مختلفة الألفاظ وتؤول كلها إلى معنى واحد هو أنه عليه السلام طلب من ربه ألا يلومه على اجتزائه بما يملك من العدل المستطاع بين زوجاته دون العدل المطلق مما يدل على أن الأول هو المراد بالعدل المشروط لجواز التعدد .

وقد رد معاليه على الأحاديث الأولى بأنها تفضى إلى الظلم بتشتيت بعض الزوجات اللاتى كن موجودات من قبل وما قد يكون لهن من أطفال مما يعتبر اعتداء على الحقوق المكتسبه فلا يعقل أن تأتى به شريعة سماوية أو وضعيه .

ولو أن معالى الباشا ناقشنى فى اسناد هذه الأحاديث — والأمانة العلمية تقتضينى أن أصرح بأن فى أسناد بعضها مقالا من رجال الأسناد — لقلت له وجهة نظر وإن كانت مدفوعة كما سأبين ذلك فيما يلى ، لكنه اقتصر على مناقشتى فى المتن ، فأجيبه عن ذلك بأن ليس فيما ذكره ظلم ولا اعتداء إذلم يطلب إلى الرجال سوى استعمال ما لهم من حقوق سابقة فى التطليق الذى كانت الزوجات معرضات لوقوعه عليهن قبل ورود الشرع بتحديد التعدد . فأين هو الحق المكتسب لهن إذن مع وجود حق الطلاق للرجال ؟ وإذا قيل إن الطلاق وإن كان حلالا فهو أبغض الحلال كما وردت بذلك السنة فلا ينبغى أن يستعمل إلا عند وجود مسوغاته ، رددت على ذلك بأن فى مقدمة المسوغات وضع حد لعلاقات دمغها الشارع بالفساد ، بتحريمها ، ومهما بلغت درجة البغض فى الحلال فهى لا تنتقل به إلى مرتبة الحرام ، ففى الأمر باستعمال هذا الحق ارتكاب أخف الضررين مما يتفق وعمومات الشريعة . ثم أن شأنهن بعد الطلاق كشأن سائر المطلقات فى احترام حقوقهن المتخلفة عن الزواج السابق وإمكان التزوج بهن فى نطاق أحكام الشرع ، كما أن أطفالهن لا يظلمون بفقد شيء من حقوقهم على آبائهم بل تظل لهم كافة الحقوق كما كانت قبل الطلاق . فما هو الظلم فى ذلك ؟

على أن مايجرى فى أوامر النبى المتقدمة يجرى أيضاً فى أوامر الخاصة بباقى من ورد الشرع بتحريم ما كان معروفاً من نكاحهن فى الجاهلية ، كزوجات الآباء والأختين المجموع بينهما ، وقد وردت الأحاديث بأمر النبى بالتفريق فى هذه الحالات أيضاً ؛ فهل يرى معالى الباشا أن هذه الأحاديث مفضية بدورها إلى الظلم مما لا يمكن معه الاطمئنان إلى صحتها ؟

ورد معاليه على النوع الثانى من الأحاديث رداً مسهباً عن زوجات النبى عليه السلام وظروف زواجه بكل منهن ، وانتهى إلى أن التعدد كان من خصوصيات النبى التى ابتلاه بها ربه جل وعلا فلا محل للاستشهاد بالأحاديث الواردة عنها ، وأن النبى لم يكن مكلفاً فيما يختص بزوجاته الموجودات وقت نزول آية التعدد إلا بما كلف به سائر المسلمين حينذاك من وجوب مراعاة « العدل المستطاع » بل أنه رفع عنه هذا التكليف مراعاة لظروف ابتلائه وذلك بقوله تعالى (ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) .

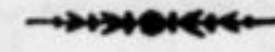
(البقية فى العدد القادم)

إبراهيم زكى الدين بدوى
المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

طرائف من العصر المملوكي :

صفي الدين الحلي في بلاط بني أرتق

للأستاذ محمود رزق سليم



قد نشعر في هذا المقال أننا نبعد عن ديار مصر والشام وهما محور الحديث في العصر المملوكي ، وأننا نيمم شطر ديار أخرى هي ديار بني أرتق بماردين وديار بكر . ولكننا مع هذا لانزال في صميم العصر . فإن الشاعر صفي الدين الحلي من أجل شعرائه، وكان هو وجمال الدين بن نباتة فرسي ميدان فيه ، لايشأهما شاعر آخر من رجال حلبتهما . فإذا تحدثنا عن صفي الدين وعلاقته ببني أرتق فإنما نتحدث عن خاصة بارزة من خواص أحد شعراء العصر ، وعن وشيجة أثيرة من وشائجه كان لها أثر كبير في أدبه

وحقاً ولد صفي الدين بالحلة بالعراق عام ٦٧٧ هـ ويبدو أنها « حلة بابل » التي عناها بقوله بعد انتزاحه عنها وعن قومه فيها إلى ملوك الدولة الأرتقية :

ألا أبلغ — هديت — سراة قومي بحلة بابل عند الورود
ألا لا تشغلوا قلباً لبعدي فإني كل يوم في مزيد
لأني قد حللت حمى ملوك ربوع عبيدهم كهف الطريد

ثم انتزح إلى المملكة الأرتقية وطوف في آفاق الديار الحلبية والشامية والحجازية ، ولكنه عرج آنا على مصر وأقام بها ردحا من الزمن ، اتصل في خلاله بسلطانها العظيم الناصر محمد بن قلاوون وكاتب سره النابه علاء الدين بن الأثير ، ومدحهما ، ووصف مناظر الطبيعة المصرية وعيد فتح الخليج . وجمع ديوانه بإشارة من علاء الدين . وصفي الدين تأثر — بلاريب — بالثقافة المصرية ، وتأثر بالمدرسة الأدبية المصرية التي قدست مناهج القاضي الفاضل في الكتابة والشعر ، وقدست من بعده مناهج ابن نباتة فيهما ، وعنيت أكثر ما عنيت بالتورية والتضمين . غير أن صفي الدين مع هذا كان نسيج وحده وبخاصة في شعره ، وافتن في هذا الشعر افتنانا ليس الآن مجال الحديث عنه ، سوى أننا نشير إلى أنه سلك مسالك البديع فيه ، ولج في هذا السلوك حتى لنشعر أن ألفاظ اللغة أصبحت كالعبد رهن يديه يصرفها كيف شاء وأنى شاء . وحتى استطاع أن يكون من مبتكري فن شعري جديد هو فن البديعيات ، والبديعيات في الشعر تعادل المقامات في النثر ، بلغ بها الفن البديعي أوجه شعرا ، كما بلغ بالمقامات أوجه نثرا . وللبديعيات حديث طويل قد نعود إليه في مقال جديد . ويعنينا الآن أن نتحدث عن صلة صفي الدين ببني أرتق وأثر هذه الصلة في أدبه .

فمن هم بنو أرتق ؟ هم ملوك ماردين وديار بكر منذ أواخر القرن الخامس الهجري . وهم بقايا من الدول التي خلفتها الدولة السلجوقية الناشئة في أواخر القرن الرابع الهجري وامتد ملكها من أواسط آسيا إلى غربها ، واستولت على بغداد والعراق في نحو منتصف القرن الخامس الهجري . ثم تشققت فيما بعد وانبثق منها دويلات عدة ، كان في جملتها الدولة الأرتقية . وينتسب ملوك هذه الدويلة إلى جدهم أرتق الذي كان أحد قواد السلاجقة . فملك بيت المقدس زمناً . ثم ملكها من بعده ابناه ؛ فدهمتهما جيوش الدولة الفاطمية عام ٤٨٩ هـ وانتزعت منهما بيت المقدس ، فسارا إلى الجزيرة الفراتية فملكا بها ديار بكر وقلعة ماردين واستقرا بها عام ٤٩١هـ . وتتابعت أبناؤهما من بعدهما حتى ملك منهم المنصور وابنه الصالح اللذان عاشا في أوائل القرن الثامن الهجري ، وهما اللذان اتصل بهما صفي الدين اتصالا وثيقاً ، وعاش في حاشيتهما زمناً طويلا .

وكان صفي الدين من قبل هذا يعيش بين قومه في الحلة . ويبدو أن العشائر العربية فيها كانت لا تزال تعلق بها أشياء من الروح القبلية والعصبية الجاهلية . وكان قوم صفي الدين فريقين : فريق أبيه بنو سنبس من طي ، وفريق أمه بنو محاسن . وكان بنو محاسن هؤلاء ذوي رياسة وثراء ومنهم (صفي الدين بن محاسن) وأخوه (جلال الدين بن محاسن) . نشأ الشاعر بين هؤلاء وهؤلاء فأحس بما لقومه من عراقة في الأصل وفراهة في الحسب فحميت نفسه ووثبها الشباب فنشط شعره في باب الحماسة والفخر وربأ عن التكسب بالشعر . ثم وقعت الوقيعة بين أخواله ، وآل أبي الفضل ، فغدروا خاله « صفي الدين » وقتلوه بمسجده ، فثارت

ثائرة قومه وفى مقدمتهم شاعرهم صفى الدين الذى أهاب بخاله « جلال الدين » أن ينتقم . وما زالوا حتى أوقعوا بأعدائهم وأمعنوا فيهم كيداً وإذلالا ، فكان هذا ضراماً جديداً لحماسة الشاعر وفخره .

ويبدو أن الشاعر لم تهدأ ثائرته ، ولم تثب أناته ، ولم يقنع بهذا الانتقام ، فظل يؤلب قومه على أعدائهم ويضرى بين الفريقين نار العداوة والبغضاء حتى أصبح شجى فى حلوق الأعداء وأصبحوا يتلمسون منه مقتلا . فملكه الخوف ، فآثر الفرار .

فر صفى الدين إلى بنى أرتق يتطلب فى كنفهم ملجأ يأوى إليه ، ودرعاً يستجن بها فأجاروه وأكرموا مستقبله ، واستمعوا لحديثه ، وأصغوا لشكاته . ورفعوا مكانته ووهبوا له الكثير من النعم ؛ مما ألهج لسانه بشكرهم ، وأبهج بيانه بذكرهم ، ونظم فى مديحهم أجود القصيد وأخلده استجابة لداعى الوفاء والولاء

قال يمدح المنصور وإجارته له .

وأجارنى إذ حاولت دى العدا   ورأت شفاء صدورها من ورده
من كل مذَّاق تبسم ثغره   وتوقدت فى الصدرجذوة حقده
ولذاك لم يرنى بمنظر شاعر   تبغى قصائده جوائز قصده
بل بامرئٍ أسدى إليه سماحه   نعما فكان المدح غاية جهده

هذه الأبيات من قصيدة له فى مدح الملك الصالح بن المنصور تغزل فى مطلعها فقال :

دبت عقارب صدغه فى خده   وسعى على الأرداف أرقم جعده
وبدا محيـــاه فقوق لحظه   نبلا يذود بشوكه عن ورده

ومنها يمدحه :

الصالح الملك الذى صلحت به   رتب العلاء ولاح طالع سعده
ملك حوى رتب الفخار بسعيه   والملك إرثا عن أبيه وجده
متسهل فى دست رتبة ملكه   متصعب من فوق صهوة جرده
فإذا بدا ملأ العيون مهابة   وإذا سخا ملأ الأكف برفده
كالغيث يولى الناس جودا بعدما   بهر العقول ببرقه ورعده

وهكذا يرى القارئ كيف انساق صفى الدين إلى المديح وإلى التكسب بالشعر وهو الذى يقول : « وكنت عاهدت نفسى ألا أمدح كريماً وإن جل ، ولا أهجو لئيما وإن ذل » .

ولعل أول مدائحه للملك المنصور فائيته التى يقول فيها :

لافيتنا ملق الكريم لضيفه   وضممتنا ضم الكمى لسيفه
وجعلت ربعك للمؤمل كعبة   هى رحلة لشتائه ولصيفه
يا من إذا اشتبه الصواب أعاره   رأيا يخلص نقده من زيفه
وإذا أتى أرض العدو فوحشها   من وفده ونسورها من ضيفه الخ

انضم صفى الدين إلى حاشية الملك المنصور وبنيه ، وأصبح من سمارهم وجلسائهم ثم أصبح شاعرهم الأثير ، يفيضون عليه بصنوف من النعم ، حتى حسده على مكانته أهل ديار بكر . وفى ذلك يقول مخاطباً المنصور :

حسدت أهيل ديار بكر منطقى   فيها كما حسد الهزار اللقلق
أعيت أكارهم أصاغر لفظها   ولربما أعيا الرخاخ البيـدق
جاءوك باللفظ المعاد لأننى   غربت فى طلب الغريب وشرقوا
لهم بذاك جبـــلة جبلية   ولنا عراق والفصاحة معرق
ما كنت أرضى بالقريض فضيلة   لكن رأيت الفضل عندك ينفق
قالوا خلقت موفقاً لمـــديحه   فأجبتهم أن السعيد موفق

هكذا كانت منزلة صفى الدين عند بنى أرتق . وكلما زادوه برا زادهم ذكرا ؛ وكلما جادوه عطاء جادهم بقاء ، وكلما آثروه قربا آثرهم حباً ، وكان لذلك أثره الكبير فى إنتاجه الأدبى ؛ إذ نظم عدة من القصائد فى مدح المنصور سميت « المنصوريات » وهى من أجود آثاره الأدبية : ونظم تسعاً وعشرين قصيدة مرتبة على حروف الهجاء سميت « الأرتقيات » . وكأنما أراد بهذه الأرتقيات أن يطلع مليكه على ضرب من فن النظم الشعرى جديد ، وعلى منزع من منازع الشعر لم يحوم حوله شاعر من قبل ليدله بذلك على ثبات قدمه فى صناعته ، وعلو كعبه فى حرفته ، وعلى امتلاكه ناصية الافتنان إلى حد الافتتان .

والأرتقيات بعدد حروف الهجاء فلكل حرف قصيدة . فواحدة همزية وواحدة بائية وهلم جرا ... والتزم أن يبـدأ كل بيت فى القصيدة بحرف رويها ، وأن تكون عدة أبياتها تسعة وعشرين . وقد يكون هذا الالتزام كله من عبث الصناعة ومن عبث الفراغ . ولكن إذا علمنا أن الشاعر قل أن سقط فى بيت منها ، بلغنا به حد العجب وشهدنا بمجادته وإجادته بالرغم من كل هذه القيود التى تعلق بها .

والأرتقيات — وإن كانت مسوقة للمدح — بدت مسرحاً لفنون غير المدح عدة ، كالغزل والخمريات ، والفخر والشكوى .

ومن رقيق أبياتها ما صدر به أرتقيته الكافية حيث قال :

كفى القتال وفكى قيد أسراك   يكفيك ما فعلت بالناس عيناك
كان لحاظك مما قد فتكت بنا   فمن ترى فى دم العشاق أفتاك

كفاك ما أنت بالمشاق فاعلة … لو أنصف الدهر فى المشاق عزاك
كلت أوصاف حسن غير ناقصة … لو أن حسنك مقرون بحسناك
كيف انثنيت إلى الأعداء كاشفة … غوامض السر لما استنطقوا فاك
كتمت سرك حتى قال فيك فمى … شعراً ولم يدر أن القلب يهواك . الخ

لم يعش صفى الدين فى الدولة الأرتقية عيش الشاعر المادح المتكسب ، بل تهذبت منزلته ، وتوطدت مكانته حتى بلغ مبلغ المشير ، وكأنما أصبحت له ضالع فى سياسة الدولة وتوجيه ملوكها. تشعرنا بهذا قصائده ، فقد رفع إلى المنصور عام ٧٠٢ هـ قصيدة بارعة ، وكان المنصور قد أرسل جنوده ليحاصروا أعداءه فى « قلعة إربل » ولم يرافقهم فى المسير إليها . فحرضه صفى الدين فى قصيدته تلك على اللحاق بهم ليشد بوجوده أزرهم ويشحذ هممهم، ويكون خوفاً لأعدائه ، ومضطربا لصفوفهم . ومزج فى هذه القصيدة المدح بالنصح ، والتحريض الجرىء بالتأدب . واستخلص من الحوادث ما توحى به من حكم وأمثال ، مع دقة تمثيل وكثرة تشبيه ، وتنقل بالفكرة بين حججها وبراهينها ، إغراء بالأخذ بها ، ومنها يقول :

أبد سنا وجهك من حجابه … فالسيف لا يقطع فى قرابه
والليث لا يرهب من زئيره … إذا اغتدى محتجباً بغابه
والنجم لا يهدى السبيل سارياً … إلا إذا أسفر عن حجابه
والشهد لولا أن يذاق طعمه … لما غدا مميزاً عن صابه
إذا بدا نورك لا يصده … تزاحم الموكب فى ارتكابه

ويقول :

قم — غير مأمور — ولكن مثلما … هز الحسام ساعة اجتذابه
فالمعى لا تملم إرزام الحيا … حتى يكون الرعد فى سحابه
كم مدرك فى يومه بعزمه … ما لم يكن بالأمس فى حسابه

ومنها يغريه بأعدائه ويرسم له طريق معاملتهم :

لا تبذل الحلم لغير شاكر … فإنه يفضى إلى إعجابه

ويقول :

لا تقبل العذر فإن ربه … قد أضمر التصحيف فى كتابه
فتوبة المقلع إثر ذنبه … وتوبة الغادر مع عقابه
لو أنهم خافوا كفاء ذنبهم … لم يقدموا يوماً على ارتكابه

ويقول فى خاتمتها معتذراً عن التحريض ، ومنسلاً إلى الفخر بنفسه على عادته :

لم يك تحريضى لكم إساءة … ولم أحل فى القول عن آدابه
ولا يعيب السيف وهو صارم … هزُّ يد الجاذب فى انتدابه
ذكرك مشهور ونظمى سائر … كلاهما أمعن فى اغترابه
ذكر جميل غير أن نظمه … يزيده حسناً مع اصطحابه
كالدر لا يُظهر حسنَ عقده … إلا جواز السلك فى أثقابه

ولما مات المنصور وولى الملك من بعده ابنه العادل فالصالح ، حسنت صلة صفى الدين بالصالح بعد لأى ، ومدحه بجملة من الروائع سميت « الصالحيات » . وتشعرنا هى الأخرى بسمو مكانته لدى الصالح ، بل لتشعرنا أنه كان عنده أقرب وآثر مما كان لدى المنصور حتى سماه صفى الدين بولى نعمته ، وتشعرنا أنه كان أكثر دالة عليه ، حتى كان فى خطابه له أجرأ مما كان فى خطابه للمنصور ويشير إلى المنصور فى مدحة رفعها إلى الملك الصالح فقال مبيناً سبب مدحه بعد أن كان قد طوى بساط المدح بعد المنصور :

ولقد عهدت إلى عرائس فكرتى … ألا تزف إلى منعم بعده
لكنك الفرع الذى هو أصله … شرفاً ومجدك بضعة من مجده
ونجيه فى سره ووصيه … فى أمره وصفيه من بعده

ويقول منها :

لله كم قلدتنى من منّة … والقطر أعظم أن يحاط بعده

ويقول :

فاستجل دراً أنت لجة بحره … والبس ثناء أنت ناسج برده
يزداد حسناً كلما كررته … كالتبر يظهر حسنه فى نقده

وقد عاود صفى الدين النصح للصالح كما كان ينصح لأبيه من قبله ، ويحرضه على أعدائه ويلحب له الطريق إلى معاملتهم ويجنبه الحلم والعفو ، فيقول من قصيدة :

فيا ملكا قد أطمع الناس حلمه … لكثرة ما تهفو فيعفو ويصفح
أعد — غير مأمور — على الضد كيده … وأذك له النار التى بات يقدح
فقد أيقن الأعداء أنك راحم … فباهوا بأفعال الخنا وتبجحوا

ويقول منها :

تهن بعيد النحر وانحر به العدى … فجودك عيد للورى ليس يبرح الخ

عاش صفى الدين ما عاش واتصل بغير بنى ارتق من ملوك وأمراء ورؤساء ، وافتن فى الشعر ما شاء له الافتنان حتى مات عام ٧٥٠ هـ بعد أن ترك أدباً خالداً وتراثاً ماجداً .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

من نوادر المخطوطات:

شرح المشكل من شعر أبي تمام

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ هـ

للأستـــاذ برهان الدين الداغستاني

في أواخر سبتمبر سنة ١٩٤٦ كنت في حلب أنتظر قطار طوروس، في طريقي إلى الموصل، للقيام بتدريس اللغة العربية وآدابها في كلية الموصل، فكلفني أحد الأصدقاء أن أبحث له عن بعض المخطوطات الواردة في كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي، فأصف له بعضها وصفاً علمياً واضحاً، وأبحث عن مؤاني بعضها مما لا وجود له في كتاب الدكتور الجلبي.

وكان من تلك المخطوطات التي كتبها صديقي في ورقة صغيرة « شرح مشكلات أبي تمام »، وكان المطلوب وصفه والتعريف بمؤلفه. ولما بلغت الموصل، واستقر بي المقام بها، ذهبت أبحث عن « شرح مشكلات أبي تمام »، فكان مما وقفت عليه:

« كتاب شرح مشكلات ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي مخطوط في ١٣٢ صفحة، في كل صفحة ١٩ سطراً مكتوب بخط نسخي جيل بقلم محمد صالح الشريف، ضبط الكثير من كلماته الغريبة بالشكل الكامل. كتبت الأبيات المشكلة من شعر أبي تمام بالمداد الأحمر، والشرح بالمداد الأسود، للتفريق بين المتن والشرح، فرغ من كتابة هذه النسخة في ٢٤ من المحرم سنة ١١٥٦ هـ

وهذا الكتاب مما أهداه السيد أحمد بك الجليلي إلى النادي العلمي بالموصل في ٢٧ من شهر صفر سنة ١٣٣٧ هـ، ولما انحل النادي العلمي ضمت كتبه إلى المدرسة الإسلامية — الفيصلية العلمية الآن — وفي بعض المواضع تقييدات واستدراكات وتصحيحات لما ورد في الشرح بقلم صادق.

هذا كل ما أمكن الوقوف عليه في وصف كتاب « شرح مشكلات ديوان أبي تمام »، وأما موضوعه فإني أفضل أن أنقل إلى القارئ نص مقدمة المؤلف ليرى بنفسه أي كتاب هو هذا الذي نكتب عنه وهذه هي المقدمة « بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم.

جاريتني — أيدك الله — أمر شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وما فيه من عويص الأبيات، وبديع المعاني والألفاظ إلى غير ذلك مما يستبديه فنه فلا يساهم؛ ويختص به نهجه فلا يقاسم، ثم سألت أن أتتبع مشاهير كلماته، فألتقط من فقرها ما يفتقر إلى تبيين، ومن بيوتها مايحوج إلى تفسير، ثم أتبع كلا منه بما يحتمل من تلخيص بأوجز ما أمكن من لفظ، وأقرب ما أعرض من بسط. لنجعل ذلك دليلا يهدى إلى الاغمض من باقيه، ومعيناً يعدى إلى ألطف ما فيه.

وقد نظرت في عظم ديوانه، وجمعت منه جل ما يلتى في المجالس من أبياته، ثم تحريت في شرحها مسارك، وتوخيت فيما سهل منه أو توعر تحصيل مرادك. غير محتفل بمايلحق من كد، ولا مفكر فيما يعرض من تعب. حتى حصل على حد يملك الناظر فيه — مع أدنى تأمل له — عنان هذا الشعر وزمامه، ويخبر المذاكر — بعد أيسر تمرن به — غرض هذا الشاعر ومهامه. فتى جارى فيه سبق، وإذا ناضل به قرطس.

والله أسأل التوفيق، وإياه أعبد واستعين، وهو حسبي ونعم الوكيل ».

* * *

هذا هو وصف كتاب شرح مشكلات شعر أبي تمام من حيث شكله، وهذه هي مقدمته التي تبين عن موضوعه وتشرحه، ولكن بقي شيء آخر لم نعرفه إلى الآن وهو من هو مؤلف هذا الكتاب؟.

الواقع أن هذا السؤال لايزال بلاجواب إلى الآن. فاني قرأت الكتاب وفحصت كل جوانبه وحواشيه، فلم أجد أية إشارة إلى اسم مؤلفه، فاخذت أسأل كل من آنس فيه المعرفة من أصدقائي ومعارفي، فلما أعيتني الحيلة كتبت كتاباً إلى الأستاذ

كوركيس عواد الموظف بمكتبة المتحف العراقي ببغداد ، أشرح له خبر العثور على هذه التحفة الفنية ، وأسأله إن كان يعرف شيئاً عن مؤلف هذا الكتاب ، فكتب إلى كتاباً مؤرخاً في ٢٢ — ١٠ — ١٩٤٦ يقول فيه : ... أما شرح مشكلات أبي تمام ، فقد تملكني الفرح لوقوفكم على نسخة منه . بحثت كثيراً عن هذا الكتاب ، وراجعت فهارس المخطوطات العربية لخزائن الكتب المختلفة في بلدان الشرق والغرب ! غير أنني لم أجد ذكراً لكتاب بهذا العنوان ، فضلا عن معرفة مؤلفه ! الخ والأستاذ كوركيس عواد رجل عرف بالدقة والأمانة فيما يتناول من عمل ، فهو عندما يقول : إنه لم يجد ذكراً لكتاب بهذا العنوان ، يقول ذلك بعد ما استفرغ الجهد في البحث والدرس ، ولكن هل يكون هذا مثبطاً لعزمي ، واقطع الأمل في معرفة المؤلف ؟

وذات يوم كنا نتجاذب الحديث على شاطئ دجلة مع نفر من كرام رجال التعليم في الموصل ، فأخبرني الأستاذ الصديق السيد عبد النافع حكيم أنه قرأ — فيما قرأ — أن كتاب شرح مشكلات أبي تمام هو للمرزوقي ، ويغلب على الظن أنه قرأ هذا في بمقدمة أخبار أبي تمام للصولي الذي نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة .

ولما رجعت إلى مقدمة أخبار أبي تمام للصولي ، وجدت أن الناشرين ذكروا فيها أن للمرزوقي كتاباً باسم شرح المشكل من شعر أبي تمام ، وأن في مكتبة الجامعة المصرية صورة شمسية من هذا الكتاب مأخوذة عن أصل محفوظ في الأستانة .

وإلى هنا استطعت أن أمسك بأول الخيط في سبيل معرفة مؤلف هذا الكتاب ، ولكن لا سبيل إلى المضي في البحث أو الجزم بنسبة كتابنا الذي بين أيدينا إلى المرزوقي حتى نرى نسخة الجامعة المصرية ، ونقارن بينها وبين نسختنا لنعرف هل هما كتاب واحد أم لا ؟ فلنترك هذا الآن لنبحث عن المرزوقي هذا من هو؟

يقول ياقوت الحموي في إرشاد الأريب — ج ٥ ص ٣٤ — ٣٥ — : أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، أبو علي من أصبهان كان غاية في الذكاء والفطنة وحسن التصنيف وإقامة الحجج وحسن الاختيار . وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة ، وكان قد قرأ كتاب سيبويه على أبي علي الفارسي ، وتتلمذ له بعد أن كان رأساً بنفسه ، وله من الكتب : كتاب شرح الحماسة أجاد فيه جداً ، كتاب شرح المفضليات ، كتاب شرح الفصيح ، كتاب شرح أشعار هذيل ، كتاب الأزمنة ، كتاب شرح الموجز ، كتاب شرح النحو ؛ ثم ينقل ياقوت عن الأبيوردي أن المرزوقي كان يتفاصح في تصانيفه كابن جني ، وأنه كان معلم أولاد بني بويه باصبهان ، ودخل عليه الصاحب بن عباد ، فما قام له ، فلما أفضت الوزارة إلى الصاحب جفاه .

ثم نقل عن ابن مندة أن المرزوقي توفي في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة . هذه خلاصة وافية من ترجمة المرزوقي التي ذكرها ياقوت ، ونقل السيوطي في بغية الوعاة بعض ماذكره ياقوت من غير أن يزيد عليه شيئاً .

وقد لاحظت أن كتاب شرح مشكلات ديوان أبي تمام لم يذكر في كتبه التي أوردها ياقوت في إرشاد الأريب والسيوطي في بغية الوعاة .

ولما عدت إلى القاهرة في أواخر سبتمبر سنة ١٩٤٧ سارعت بالذهاب إلى مكتبة الجامعة المصرية ، فوجدت الصورة الشمسية لكتاب شرح مشكل ديوان أبي تمام — وهو برقم (٤٨ — ٢٤) أدب معارة للاستاذ عبده عزام أحد مدرسي كلية الآداب في الجامعة المصرية لأن الأستاذ عبده عزام يشتغل من أمد بعيد في إخراج شرح التبريزي لديوان أبي تمام إخراجاً علمياً .

فبعثت بقطعة من نسخة الموصل لمقارنتها بالصورة الشمسية التي لدى الأستاذ عزام بواسطة الصديق الكريم الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب الموظف بالقسم الثقافي بالجامعة العربية ، وظهر من المقارنة أن النسختين لكتاب واحد هو شرح مشكل ديوان أبي تمام كما ظهر أنه لا دليل على أن الكتاب للمرزوقي إلا ما كتب على ظهر نسخة الآستانة .

ولكن هل تكفي هذه الكتابة التي على ظهر نسخة الآستانة لإثبات أن الكتاب للمرزوقي ، مع أن مترجمي المرزوقي لم يذكروا في كتبه اسم هذا الكتاب ؟ ومما قوى

هذا الشك فى نسبة هذا الكتاب إلى المرزوقى أن صاحب كشف الظنون أيضاً لم يعرض لذكر هذا الكتاب مع أنه ذكر كتاباً آخر للمرزوقى لم يذكره مترجموه . وهو كتاب « الانتصار لأبى تمام من ظلمته » وهو — كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ ص ٣٢١ — كتاب ألفه المرزوقى فى الرد على كتاب لأحمد ابن عبيد الله القطربلى المعروف بالفريد أظهر فيه أخطاء أبى تمام فى الأسلوب وغيره .

أليس من الممكن أن يكون كتاب « شرح مشكلات ديوان أبى تمام » الذى بين أيدينا هو كتاب « الانتصار لأبى تمام من ظلمته ؟ » وهذا شك جديد يلقى ظله على اسم الكتاب الذى نحن بصدده غير أنى اطلعت أخيراً فى دار الكتب المصرية على كتاب « النظام فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام [1] » لأبى البركات المبارك بن أحمد بن المستوفى الأربلى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ فوجدت أنه يذكر فى المقدمة الكتب التى اعتمد عليها فى شرح ديوان أبى تمام إلى أن يقول : « وعلى كتابى أبى على أحمد بن محمد ابن الحسن المرزوقى ، أحدهما فى شرح مشكل أبياته المفردة ، والآخر فى الانتصار لأبى تمام من ظلمته » فكان هذا نصاً صريحاً من ابن المستوفى الأربلى المتوفى بعد المرزوقى بنحو مائتى سنة بأن للمرزوقى كتابين — غير الكتب التى ذكرها ياقوت والسيوطى هما : « شرح المشكل » و « الانتصار » .

ويذكر ابن المستوفى فى مقدمة كتابه أنه ينقل فى كتابه نصوص الكتب التى اعتمد عليها فراجعت إلى كتاب « النظام » وقابلت ما نقله بن المستوفى عن المرزوقى بالنسخة الخطية التى استنسختها عن نسخة الموصل لشرح مشكل ديوان أبى تمـام ، فوجدت النصوص متحدة لا تزيد حرفاً ولا تنقص حرفاً .

وبعد فإنى — الآن — أستطيع الجزم — وأنا مطمئن القلب — بأن كتاب « شرح المشكل من شعر أبى تمام » « المحفوظ فى خزانة المدرسة الفيصلية العلمية بالموصل هو لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، وأن لهـذا الكتاب نسخة فى إحدى مكاتب الآستانة وصورة شمسية فى مكتبة الجامعة المصرية ، ونسخة أخرى مدرجة فى كتاب « النظام فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام » لابن المستوفى الأربلى .

وأرجو أن أكون وفقت بعض التوفيق فى وصف كتاب شرح المشكل من شعر أبى تمام والتعريف بمؤلفه .

برهان الدين الداغستانى

(١) هذا هو اسم كتاب ابن المستوفى الأربلى الذى شرح فيه ديوانى المتنبى وأبى تمام كما ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان فى ترجمة ابن المستوفى والحاج خليفة فى كشف الظنون فى أثناء الكلام على شروح ديوان أبى تمام . وهو كتاب ضخم قيم جمع فيه مؤلفه عدة شروح لكل من الديوانين ، وهو ينقل نصوص الكتب التى اعتمد عليها من غير تصرف ، وهو ينصح — على ما ذكره ابن خلكان والحاج خليفة — فى عشر مجلدات كبار ، وفى دار الكتب المصرية من هذا الكتاب ثلاث نسخ ناقصة تنتهى ثلاثتها عند حرف الدال من شعر المتنبى وأبى تمام ، وأولى هذه النسخ تحت رقم (٥٧١) أدب الموجود منها ثلاث مجلدات مخطوط بقلم معتاد . إلا أنه سمى فى فهرس دار الكتب المصرية — ج ٣ ص ٢١٩ — شرح المشكل ، ونسب إلى الخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ استناداً إلى ما وجد على ظهره من أنه للخطيب التبريزى ، مع أن اسم مؤلفه المبارك ابن المستوفى الأربلى واضح صريح فى مقدمة الكتاب لو أن واضع الفهرس عنى نفسه مشقة قراءة المقدمة !

والنسخة الثانيـة والثالثة من هذا الكتاب صورتان فتوغرافيتان مأخوذتان عن أصل مكتوب بقلم فارسى يظن أنه مكتوب فى القرن الثانى عشر الهجرى ينتهى ما فيهما إلى أثناء حرف الدال فى ٣٨٦ لوحة وكل لوحة بها صفحتان ورقمها (١٠٥٩٢،١٦٤٠) أدب ، وهاتان النسختان منسوبتان إلى ابن المستوفى المؤلف المحقق ، ولكن اسمهما لا يزال مغلوطاً إذ بقى مثل اسم النسخة الأولى : شرح المشكل ! ..

من هي ...؟

للأستـــاذ إبراهيم محمد نجا

أنا لا أهوى ســـواها   مـــلأ القلب هواها
إن تنـاءت قلت : آها !   أو تراءت قلت : واها !
ألهمتنى الشـــعر سحرىّ المعـــانى — مقلتـــاها
وســـقتنى الحب عطرىّ الأمانى — شـــفتاها
وجلت للقـــلب فجراً   وربيعاً من صـــباها
فتغـــنى. فى رباها   وتهادى فى ســـناها

هى عـــذراء براها الله فى أبهى مثـــال
فتراءت مثلمـــا كنـ   ـت أراها فى خيـــالى
وتهادت فتنـــة يقـ   ـظى بأحـــلام الليالى
وحواليها رؤى السحـ   ـر ، وأطياف الجـــمال
ولهـــا إشراقة النو   ر ، وأسرار الظـــلال
فهفـــا قلبى إليهـــا بحنينى وابتهـــالى

كنت من قبـل هواها   حائراً بين الغوانى
لا أرى الروح الذى أبـ   ـحث عنـــه فى زمانى
ذلك الروح الذى يد   عوه روحى وكيانى
والتقينـــا فتعـــارفـ   ـنا كأنا توءمان
ونشـــأنا فى ربا الحب ، وفى ظـل التدانى
وشربنـــا الصفو خمراً   فى كئوس من حنان

ســـألتنى ذات يوم   وعراها ، ما عراها !
من تراها ألهمتك الشـــعر سحراً ؟ من تراها ؟
قلت : يا أحـلام أيامى ، ويا سرّ مناهـــا
أنت أغنيّة حب   وأنا شعرى صداها
أنت فى صحراء عمرى   روضـة طاب شذاها
وأنا البلبـل يحيـــا   شـــادياً فوق رباها

كل حرف فى قصـــيدى   مهجـــة تهفو إليـــك
كل لحن فى نشـــيدى   لهفـــة تحنو عليـــك
إن أفراح شـــبابى   نبعُها السامى لديـــك
وصـــبابات فـــؤادى   سرهـــا فى ناظريـــك
وأزاهـــير غرامى   عطرهـــا فى وجنتيـــك
وحيانى — يا حياتى —   كلها ملكـُ يديـــك

ســـوف يبقى لك فى رو   حى وفى قلبى حنينُ
سوف يبقى لاسمـك المحـ   ـبوب فى شعرى رنين
قلت فيك الشـــعر حتى   ذهبت فيك الظنون
واشـــتهى رؤياكِ أصـ   ـحابى وقالوا : من تكون ؟
يا صحابى : حسبـكم أو   صافها ، فهى تبين
يا صحابى : إنهـــا سرُّ بـــه قلـــبى ضنين

مـــع المطر

للأستـــاذ إدوار حنا سعد

على نافذاتى بنانُ المطر   تدق فتوقظنى للســـمر
لنا ألفة من زمان الطفو   لة فى صفحتيها تنام الذّكر
فتحت لهـــا شرفتى مثلما   تلاقى الحبيبان بعد السفر
تقبلنى قطـــرات الرذاذ   ويندى بها خدىَ المستعر
وقد مال للغرب غصن الظلام   ونوّر فى الشرق ورد السحر

تتابع وقعك فوق الطريق   شجى الرنين رتيب الخطى
غسلت الهموم وما الموا   جد عن مهجتى وأذبت الأسى
شعرت بروحى تندى كما   ترف الأزاهير تحت الندى
وتورق ، كالغصن إن جدته   وتفرح ، كالقفر بعد الظما
وتلمع مثل الطريق الجديد   إذا نمت فيه ، زها وازدهى

فيا ابن السمو ويا ابن الصفاء   إلى عنصريك تناهى الرجاء
فلم يبق فوق الثرى — للسماء   سوى نفحة من شذى الأنبياء
سوى شاعر يستشف الآله   بكل جمال — خبا أو أضاء
سوى عاشق أريحى الحنين   كيعقوب أو عيسوى الحياء
فيفنى بأحبـــابه ذاته   ويعرف فى الله معنى الفناء

كلانا على الأرض ، ملقى بها   ومنبعنا من كروم السما
إذا ما تسامى بأرواحنـــا   جناح الصفا — وهى وارتمى
فلما نزل بين تصعيدة   وإسـفافة ، شرّدا حوما
أيـكرهنا نفـــر فى الحمى   ونحن نجن هوى بالحمى
إذا جدت لم ، فيا ويحكم   وإن جرت لم أجد اللوما



صدقة ترفض

الصباح بارد الأنفاس يلذع نسيمه الوجوه وينفذ إلى العظم ، والأرض مبتلة من أثر مطر خفيف ، وليس خارج داره بل ليس خارج فراشه إلا من يغدو إلى عمله فما يملك أن يتراخى أو يقعد .

ووقفت أنتظر إحدى السيارات العامة ، وأنقل بصرى فى وجوه السابلة أرى كيف يسمي الناس سعيهم فى سبيل العيش ، وكيف تقوم الحياة فى المدينة على كدح من لا يأبه لهم ، وأتبين ذلك الجد المحبوب فى خطوات الناس وفى صفحات وجوههم الصابرة الشاحبة التى محا الإشراق منها الغلاء والكدح ...

وانعطف أحد بائعى اللبن على عجلته المثقلة بصفائحه من أحد الشوارع وهو غلام فى نحو الثامنة عشرة ، فما كاد يستقيم حيث أقف حتى انزلقت به العجلة فوقعت على الأرض ، وهوى المسكين على جنبه واللبن يتدفق فيجرى على الأسفلت دفاقاً ...

وخف إليه بعض السابلة فأنهضوه ورفعوا العجلة يحفظون ما بقى من اللبن ، وراح بعضهم يحوقل ، وراح البعض يمص شفتيه يظهر الأسف ، ولكن لم يخل الحال من ماجنين راحوا يصيحون من هنا ومن هناك : عليه ميّه ... عليه ميّه ! وأخذوا يضحكون فى غير مبالاة كأنما يشمتون من الغلام شماتة الواثق من أنه أضاف إلى اللبن ماء ...

وذهل الغلام عن نفسه لحظة ثم نظر إلى اللبن يجرى بين يديه ومن خلفه ، فما أحسبه والله لو أنه كان ينظر إلى دمه يجرى هكذا على الأرض ما كان يبدو أكثر مما بدا جزعاً وهلعاً ... لقد كانت ترتعد فرائص المسكين كأن بهما زلزلة ، وكأن مفاصله لا تقوى على حمله ، وكان يمسك العجلة بيد مرتجفة ويلطم وجهه بالأخرى وفى هذا الوجه صفرة كصفرة الموتى ... ثم كان يصرخ بين الفينة والفينة صرخة أشبه بصرخة الثاكلة تزفر النار على كبدها ويرمض الحزن مهجتها ، وكان يلفظ لفظة من ألفاظ الشكالى يعبر بها عن أله ...

ورأيتنى على رغمى أمام صورة من صور الفزع الإنسانى اشمأز منها خاطرى وتحرك لها قلبى ، ففيها جمع الخوف الذلة والمسكنة وما أثقل على قلبى رؤية ضعيف فى موقف الضعف فما بالك بموقف الفجيعة والخوف .

وأدخل بعضنا أيديهم فى جيوبهم ثم مدوها بما جادوا به إلى فتى نبأنى كتبه ودفاتره أنه من الطلبة ، تولى جمع صدقة لذلك المسكين واجتمع عدد من السابلة يواسونه بكلماتهم التى كان يمجها سمعه فما فيها غناء تلقاء هذه الكارثة ... ودنا منه أحدهم وهو شاب فى ملابس العمال فقال له فى لهجة قوية . وماذا جرى حتى تعمل هذا كله ... عيب ... أسكت ... خليك جدع ... وقال المسكين : سيطردنى الخواجة فلا أجد عملا ... واقترب منه عدد من العمال وفى يد كل منهم بعض أدوات حرفته أو منديل طعامه ، وكانوا جميعاً يستشعرون العار مما يفعل ، فكانوا يطلبون إليه أن يكف وهو فى حيرة من أمثال كلماتهم ... « بلاش عبط » « خليك عاقل » و « إيه يعنى » وأضرابها لا يرى فيها حلا لورطته القطيمة ...

ونظر هؤلاء العمال إلى ذلك الطالب الذى كان يجمع الصدقة ، فارتاحت نفوسهم ، وإن بدا شىء من الخجل فى وجوه بعضهم ؛ ومشى الطالب إلى كهل بادى الوجاهة شهد الحادث من أوله ، فرجا منه أن يجود بشىء ؛ فتنكره له واحمر من الغضب وجهه ، وحار لحظة ما ذا يذكر من علة للرفض ؟ ثم انفرجت شفتاه الغليظتان الصارمتان عن قوله ، وهو يشير إلى اللبن بسبابته : من غير شك دا عليه ميّه !

وضحكت ، وما كان أحوجنى إلى الضحك ساعتئذ ، فقد أثقل الألم قلبى ... ونظر إليه العمال نظرات كريهة ، ومشى الطالب إلى بائع اللبن المسكين يعطيه ما جمع له ، فما كان أشد عجبى أن رأيت أحد هؤلاء العمال يعود إلينا بتلك القروش ويطلب إلى كل منا أن يسترد ما أعطى ؛ ونظرت فإذا بهم يخرجون أيديهم من جيوبهم الفقيرة بالقروش يدفعونها للغلام المسكين ويكفكفون بها دمعه ، ومضيت وما سرى عن قلبى ما أثقله إلا ما فى عملهم هذا من مغزى : لقد رفضوا الصدقة التى صحبها الأذى وأحلوا محلها العون ، وقالوا لنا ، وإن لم ينطقوا : لسنا فى حاجة إلى عطفكم وإن كنتم إلى سعينا وكدحنا أبداً محتاجين ..

الخفيف

الأدب والفن في أسبوع

نتيجة مسابقة المجمع اللغوي :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية مساء الأربعاء الماضي في الجمعية الجغرافية الملكية ، بإعلان نتيجة المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٨ وهي كما يلي :

فازفي الشعر الأستاذ علي الجندي عن ديوان «أغاريد السحر» والأستاذ عثمان حلمي عما أرسله إلى المجمع من شعره ، وجائزة كل منهما ثمانون جنيها ؛ والأستاذ محمود حسن إسماعيل عن ديوان «الملك» والأستاذ إلياس فرحات من المهاجرين اللبنانيين بالبرازيل عما أرسله إلى المجمع من شعره ، وجائزة كل منهما سبعون جنيها . وفاز في القصة الأستاذ نجيب محفوظ عن قصة «خان الخليلي» والأستاذ محمد سعيد العريان عن قصة «على باب زويلة» وجائزة كل منهما مائة خمسون جنيها .

وفاز في البحث الأدبي الأستاذ علي علي الفلال عن بحث «مهيار الديلمي» بجائزة مائتي جنيه .

وقد قدم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني الشعراء الفائزين وألقى كلة عن الشعر ، وقدم الفائزين في القصة الدكتور ابراهيم مدكور وتحدث عن فن القصة ، وألقى الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف كلة عن البحث الأدبي وقدم الفائز فيه .

مؤتمر المجمع وقراراته :

عقد مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية لسنة ١٩٤٨ اثنتي عشرة جلسة ، كانت أخراها في أواخر فبراير الماضي ؛ ومؤتمر المجمع هو الاجتماعات السنوية التي يحضرها جميع الأعضاء من أجانب ومصريين ، وتكون في أوائل السنة ، وهو غير مجلس المجمع الذي يحضره المصريون فقط ، وينعقد في غير أوقات المؤتمر ويستمر طول السنة عدا الأجازة الصيفية .

وقد ألقيت في جلسات المؤتمر هذا العام محاضرات ، منها محاضرة عن صلة اللغة العربية باللغات السامية للدكتور عبد الوهاب عزام بك ، ومحاضرة عن الاصطلاحات الفقهية للشيخ عبد الوهاب خلاف ، ومحاضرة عن نشأة المصطلحات الفلسفية للدكتور إبراهيم بيومي مدكور ؛ وعرضت عليه بحوث في الإملاء وموقف العامية من الفصحى ، والنحت ، ووصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء ، وملاحظات بين اللغة والنحو ؛ ونوقشت في هذه الجلسات طائفة من المقترحات . وقد انتهى المؤتمر إلى القرارات الآتية :

١ — اختيار الدكتور طه حسين بك والدكتور إبراهيم بيومي مدكور ليمثلا المجمع في مؤتمر اللغويين السادس ومؤتمر المستشرقين الحادي عشر اللذين سيعقدان بباريس في شهر يوليه المقبل .

٢ — ضرورة شرح المصطلحات العلمية الجديدة شرحاً وضحها ، على أن تنشر مقرونة بشرحها في الأوساط العلمية بمختلف البلاد العربية بعد إقرار المجلس لها ، وإذا ما استكملت وسائل نشرها عرضت على المؤتمر مصحوبة بتعاريفها النهائية ثم تسجل في جزازات خاصة .

٣ — الموافقة على نموذج المعجم الكبير من حيث المبدأ ، على أن يتابع السير فيه ويعد بما يتطلبه العمل من موظفين وخبراء

٤ — تشجيع دراسة العامية واللهجات المختلفة تحقيقاً لما رمى إليه مرسوم إنشاء المجمع واختيار بعض الخبراء لذلك كي يعملوا تحت إشراف لجنتي اللهجات وألفاظ الحضارة .

٥ — إحالة مشروع تيسير الإملاء إلى المجلس ، كي يبحث في ضوء قرارات المؤتمر الثقافي العربي الذي عقد بلبنان في العام الماضي ، ثم تقدم نتيجة ذلك إلى مؤتمر المجمع في دورته القادمة

٦ — تكوين لجنة لوضع كتاب في النحو طبقاً لقواعد تيسيره التي أقرها المجمع من قبل .

٧ — الموافقة على جواز وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء إلى جانب الصيغ الأخرى التي يستسيغها الذوق العربي .

٨ — الموافقة على جواز النحت عندما تلجىء إليه الضرورة العلمية .

٩ — الموافقة على جواز توهم أصالة الحروف في بعض الكلمات العربية .

وسنرجع إلى بيان بعض هذه القرارات في الأعداد القادمة بمشيئة الله .

أعضاء مراسلون بالمجمع :

وقد عرض على المؤتمر فى جلسته الأخيرة موضوع اختيار أعضاء مراسلين بالمجمع من الخارج ، وبعد مناقشة اتفق على ترشيح الآتية أسماؤهم .

الأستاذ جبريل من روما ، والأستاذ أربرى من لندن ، والأستاذ لاوست من ليون ، والأستاذ نيبرج من أبسال ، والأستاذ خليل مردم والأستاذ شفيق جبرى والأمير مصطفى الشهابى والأستاذ جميل صليبا والأستاذ عارف النكدى من سوريا ، والأستاذ محمد بهجة الأثرى من العراق ، والأستاذ الشيخ طاهر ابن عاشور ، والأستاذ الشيخ علال الفاسى من تونس ، والأستاذ الشيخ محمد الحجوى من مراكش ، والأستاذ الشيخ محمد نور الحسن من السودان ومدرس بالأزهر .

وستعرض هذه الأسماء على مجلس المجمع لاتباع ما يقضى به مرسوم المجمع ولائحته فى شأن تعيين الأعضاء المراسلين .

ضيفان من لبنان :

فى القاهرة الآن ضيفان كريمان من إخواننا أدباء لبنان ، هما الأستاذ سعيد تقى الدين ، والأستاذ سهيل إدريس . والأستاذ سعيد هو قنصل لبنان فى الفليبين ، وقد قضى فى هذه البلاد بعيداً عن البلاد العربية اثنين وعشرين عاماً ، وقد بدا نشاطه الأدبى فى السنوات الأخيرة بما نشره فى صحف لبنان وما ألفه من الكتب فى القصص والنقد الأدبى ، وآخر كتاب ظهر له « حفنة ريح » . والأستاذ فى طريقه من أمريكا إلى لبنان بعد هذه الغيبة الطويلة ، وقد تحدث إلى عن شعوره لما حل بمصر فعبر عن سروره بتطور الشعور القومى العربى وقال إن هذا الشعور قد تجاوز الرسميين والمثقفين إلى أفراد الشعب ، كما قال إن التمازج بين شعوب العرب هو غاية الفكرة العربية .

أما الأستاذ سهيل إدريس فقد جاء من لبنان للقاء الأستاذ سعيد تقى الدين بمصر ، وهو يهم فى هذه الزيارة القصيرة بالتعارف مع أدباء مصر والوقوف على نواحى النشاط الأدبى فيها

الأدب الشعبى :

سمعت يوم الجمعة من محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية ، حواراً بين الأساتذة شوقى أمين وكامل عجلان ومصطفى حبيب ، كان موضوعه « توحيد المنهج الأدبى بين الأمم العربية » وقد تتبعت حديثهم باهتمام لأرى كيف يختلفون فى هذا الموضوع ، فلم أجد بينهم خلافاً فى الصميم ، فأصل القضية أن الأمم العربية ذات لغة واحدة تصوغ بها آدابها التى تجتمع فى خصائص عامة ، ولابد مع ذلك من اختلاف ألوانها وسماتها باختلاف البيئات ؛ ولم يكن بين الأساتذة المتحاورين من يقول بغير ذلك ، وإنما كانوا يشققون الكلام دائرين حول ذلك المحور . ولكنهم أثاروا فى ضمن الموضوع مسألة الأدب الشعبى فاختلفوا فيها حقاً ، فقد قال الأستاذ عجلان : أريد أن تكون حياة الشعوب العربية فى فنها الرفيع صورة متحدة ، وهذا يدعونى إلى أن أغضى عن الأدب الشعبى الذى لا ينفذ إلى طوايا الخلود . فقال الأستاذ حبيب : أنا لا أوافق على الغض من الأدب الشعبى ، لأنه الأدب الحى الذى يمثل مشاعر الشعب وآماله وآلامه . فقال الأستاذ شوقى : أرتما حديث الأدب الشعبى وكأنكما تجاهلتما أننا اتفقنا على ضرورة التوحيد اللغوى بين العالم العربى ، فإذا فهم من الأدب الشعبى أنه الأدب المكتوب باللغة المحلية العامية فإنه مهما يكن من سموه لن يقوى على البقاء ، فاللغات العامية فى تطور وشيك ، وهى بتعميم الثقافة تتعرض للتداعى ، وستذهب جهود أولئك الأدباء الشعبيين هباء بعد سنوات هى وإن كثرت قليلة فى عمر الزمان ، وإن المصرى اليوم ليعجز عن تفهم قطعة كتبت بالعامية منذ نصف قرن فقط ؛ وأما إن أريد بالأدب الشعبى الذى يصور منازع الطبقات العامية ويجلو أوضاع حياتها فإن هذا الأدب إن كان مكتوباً باللغة العربية كان بقاؤه مرهوناً بالدرجة التى هو عليها من الجودة والروعة ، وقد بقيت لنا روائع فى الأدب العربى بقوة تصورها لا بجلالة موضوعها ولا بأنها تمثل أدب الخاصة .

النهضة التعليمية فى القرن الأخير :

هذا عنوان المحاضرة التى ألقاها يوم الخميس الأستاذ اسماعيل القبانى بك المستشار الفنى لوزارة المعارف بنادى اتحاد خريجى الجامعة ، وقد استعرض فيها المراحل التى مر بها التعليم فى مصر منذ عصر محمد على ، وعنى بإبراز مشاكله الحاضرة مبيناً أن أصولها ترجع

إلى ذلك العصر ؛ فقد كان بمصر قبل محمد على تعليم دينى بالأزهر والـكتاتيب ، وكان هذا التعليم يتفق مع الشعب وعواطفه ، ولـكنه لم يكن يلائم الحضارة الأوربية التى أخذ بها محمد على فى الإصلاح والنهوض بالبلاد ، فلجأ إلى إرسال البعوث وإنشاء المدارس لتخريج فنيين يستعين بهم على ما اختطه من الإصلاح ، فلم يكن الفرض نشر التعليم بين أفراد الشعب وإنما كان وسيلة إلى إعداد طائفة من الفنيين ؛ فـكان هناك تعليمان ، تعليم شعبى وهو الدينى ، وتعليم خاص بمد الوظفين والحـكام ، فنشأ عن هذا مشكلة الازدواج فى التعليم التى لا تزال الدولة تعالجها بالعمل على توحيد المرحلة الأولى فى التعليم .

وبين الأستاذ اتجاه التعليم فى عصر إسماعيل وما تلاه إلى ناحية الشعب ونشر الثقـافة بين أفراده ، حتى نـكبت البلاد بالاحتلال الذى عمل على قصر مهمة المدارس على تخريج موظفين ، وقال إنه يلاحظ أن النهضات التعليمية فى مائة السنة الأخـيرة اقترنت بالشعور الوطنى القومى ، وذلك يتمثل فى اجتماع مجلس الشورى فى عهد إسماعيل الذى نادى بوجوب الاهـتمام بالتعلم فـكانت نهضته وكان تنظيمه على يد على باشا مبارك سنة ١٨٦٦ ، وفى الحركة العرابية اهتم الخديو توفيق بإصلاح التعليم ، فوضعت النظم لنشره فى جميع أنحـاء البلاد ، ولـكن الاحتلال لم يمهل هذه النظم لتؤتى ثمراتها ، ويتمثل ذلك أيضاً فى دعوة مصطفى كامل إلى إنشاء المدارس الأهلية وفى الدعوة إلى إنشاء الجامعة المصرية وفى مجـاراة حكومة الاحتلال للشعور الوطنى بإنشاء مدارس مجالس المديريات ، ثم يتمثل فى أوائل العهد الدستورى سنة ١٩٢٥ وما صاحبه من توسيع التعليم ، ويتمثل أخيراً فى اشتداد الوعى الاجتماعى والقومى الحالى وما يجرى معه من العمل على تهيئة فرص التعلم للجميع .

ومما قاله الأستاذ القبانى بك أن التعليم كان منذ محمد على إلى وقت الاحتلال بالمجان ، وكانت مجانيته حقيقية لا كالمجانية الحالية التى أخذ بها فى التعليم الابتدائى ؛ لأن المدارس إذ ذاك كانت مفتوحة لـكل راغب فى التعليم مع ملاحظة قلة الراغبين ، أما الآن فإن المدارس لا تتسع للجميع ؛ لأن الدولة لا تستطيع أن تلبى كل الرغبات لقصر وسائلها . ولن تكون المجانية محققة حتى تستطيع الدولة أن تفتح أبواب مدارسها لجميع أبناء الأمة على السواء فى تعليم موحد .

تعريب الأفلام :

شغل الوسط السينمائى والصحف الفنية فى هذا الأسبوع بموضوع ترجمة الأفلام الأجنبية إلى اللغة العربية المعروفة بعملية (الدبلاج) وقد أثار هذا الموضوع عرض فلم « لص بغداد » الأمريكى بسينما ستوديو مصر ناطقاً باللغة العربية . وقد أبدى السينمائيون المصريون سخطهم واحتجاجهم على هذا العمل بدعوى أنه خطر على الأفلام المصرية ويهدد عمال السينما بالتعطل . وإلى جانب هذا يرى بعض النقاد أنه لا خطر على السينما المصرية من الدبلاج بل هو يؤدى إلى ترقيتها ؛ لأن المنافسة القوية تبعث على الإجادة ، ويرى بعضهم أن الذى يهدد السينما المصرية حقاً إنما هو هذه الأفلام التى كثرت أخيراً وسادها التهريج والابتذال والاستخفاف بالجماهير وتخديرها واستغلال جهلها ، وأنه إذا كان السينمائيون يطالبون بحمايتهم من المنافسة الأجنبية فالواجب قبل ذلك هو حماية الفن السينمائى الصحيح وحماية الجمهور من الفوضى والاستغلال . وقد تلقى منتجو هذه الأفلام الدرس القاسى من الجمهور بإعراضه أخيراً قبل أن يهددهم به الدبلاج .

والعجب أن منتجى الأفلام المصرية يثورون الآن على تعريب الأفلام الأجنبية وهم يزاولون هذا التعريب فى أفلامهم مع التمصير والمسخ والتشويه ... ثم ادعاء التأليف !

هذا وقد تألفت لجنة للنظر فى هذا الموضوع برياسة معالى وزير الشؤون الاجتماعيـة ، واجتمعت وقررت السماح بإطلاق تعريب الأفلام العلمية والثقافية وتحديده للأفلام التاريخية والتمثيلية بثلاثة أفلام فى السنة ، كما وافقت اللجنة على السماح بتعريب أفلام الدول التى تستورد أفلاما من مصر ، على أن يكون عدد الأفلام الأجنبية التى يسمح بتعريبها فى هذه الحالة مساوياً لعدد الأفلام المصدرة من مصر إلى هذه الدول .

العباس



رد على نقد :

نشر الأستاذ « زينون » في الثقافة نقداً لكتبي الثلاثة : أحمد عرابي وإبراهام لنكولن ومن وراء المنظار ؛ ومما جاء في نقده قوله : « وأحب أن أقدم للقارىء مفتاحاً لكل ما كتب الأستاذ الخفيف وما سيكتب ، بل مفتاحاً لكل ما تحدث به إذا ما تحدث ، فقد وجدت هذا المفتاح إذ كنت أقرأ له هذه الكتب الثلاثة التي أخرجها وهو جماع ظاهرتين معروفتين في علم النفس ، أما أولاهما فهي ما يسمونه اتحاد المدرك بالمدرَك وأما الثانية فهي ما يسمونه بتفكير التمني »

جعل الأستاذ هاتين الظاهرتين أساس ما أكتبه بل ما سأكتبه وذلك أعجب ، وقال « فلا تقرأ له هذا التاريخ الذي سطره بحيث تحاسبه الحساب العسير الذي تحاسب به مؤرخاً أخذ على نفسه أن يثبت لك الحق أجرد بارداً ، بل اقرأه قراءتك لأديب قادر ماهر أضفى خياله ألواناً زاهية على ما يكتب وما يصور من مواقف » .

عجبت إذ قرأت هذا ، وازداد عجبي لأن كاتبه هو الأستاذ « زينون » بالذات ، وهو من أعلم رجاحة عقل وصدق نظر وسعة اطلاع ، وإنه ليعلم كما أعلم أن تفكير التمني إن جاز في القصة فهو لا يجوز في التاريخ ؛ لأن التاريخ مسائل تقرر أو تنقض بالدليل فإن « جرى فيه الفكر بما يتمنى الكاتب أن يكون هو الواقع » لم يعد تاريخاً وإنما أصبح قصة . والأستاذ « زينون » قد قرأ كتبي كما قال ، وأنا من ناحيتي قد بنيت كتابيّ وبخاصة الأول على الوثائق أستخرج منها الدليل ، وأحسب أني ما قدمت رأياً واحداً بغير برهان أو عدة براهين أرجعتها إلى مصادرها ، وهذا هو ما تفضل بعض حضرات القراء فأثنوا به على كتابي « أحمد عرابي » ؛ وإذا كان الأمر كذلك فلي أن أعجب من تفكير التمني » هذا الذي نسبه إليّ الناقد الفاضل وجاء في نقده قوله عني « اقرأه قراءتك لخطيب أخذ يلوح بيديه لسامعيه ويرفع ويخفض من صوته ، لا يعنيه أن يقول الحق جافاً كما تفهمه الفلوم ، بل يريد أن يقع من نفوس سامعيه بما أراد أن يقع »

والأستاذ « زينون » يعلم كذلك كما أعلم أن لكتابة التاريخ طرقاً منها أن يكون حول شخصيته ، ولهذه الطريقة دعاة كثيرون اليوم وهو في هذه الحال مزج بين الأدب والتاريخ كما يصنع أساطين كتاب التراجم المحدثين من أمثال زويج ولدوج وكما فعل بلوتارخ في الأقدمين ، ومن المؤرخين من اصطنع هذا في غير الشخصيات كذلك ، وما أظن خلود جيبون إلا لأنه كان أديباً في كتابه ومؤرخاً معاً ، وأنا أستطيع أن أفعل مثل ذلك على قدر طاقتي ، وأحسبني فعلته في كتابي فأوردت الحقائق وتقيدت بها ثم أضفى خيالي الأدبي ما شاء « من ألوان زاهية على ما كتبت وما صورت من مواقف » ولكن دون أن أنحى بالحقائق أو أفكر تفكير التمني ؛ وإذا كان الأستاذ الناقد قد أورد ما أورد من الشواهد ليؤيد بها خطابتي ، فليت شعري لم اقتصر عليها ، ولم يورد شواهد من براهيني ومناقشاتي وتحليلي ؟ أذلك لأنه يريد أن يجعلني على رغمي أفكر تفكير التمني ؟

أؤكد للأستاذ الفاضل « زينون » أني ما أردت ردي هذا دفاعاً عن كتبي بقدر ما أردت أن أبرهن له أن ما سماه تفكير التمني لن يكون في كتابة كاتب وتسمى مع ذلك تاريخاً قط ، وأنا أعاهده وأشهد القراء على عهدي هذا ، أنه إن دلني على شيء فيما كتبت لا يستند إلى دليل ، أخطأت فيه أو أصبت ، فلن أكتب تاريخاً بعد ذلك أبداً ، ولعله لا يتبرم ، بما في عهدي هذا من خطابة ، ولعله واجد فيه منطقاً ، أو على الأقل، شيئاً يشبه أن يكون منطقاً.

أما عن وراء المنظار ، فإنه يقول : إن دقة التصوير التي زادت فيه عن حدها قد أنقصت بعض الشيء من قيمة هذا الكتاب الفنية ، وأحب أن أقول إن هذه الدقة التي زادت عن حدها هي أقوى مدح يوجه إلى مثل هذا الكتاب وهي جوهر فنه ، فهو ليس بقصة فيها أحذف شيئاً من الطبيعة وأضيف شيئاً » ، وإنما هو « من وراء المنظار » أعني أني أكتب ما أرى وكلما توافق لي من الدقة قدر كنت إلى هدفي أقرب ... وليت لي حقاً هذه الدقة التي زادت عن حدها ، فإنه لم ينلها إلا كل طويل الباع من القصصيين الواقعيين وهي مجال سبقهم وموضع تبرزهم

هذا ، وللأستاذ « زينون » صادق مودتي وعظيم شكري على ما تفضل به عليّ من ثناء أرجو أن أظل عاملا عليه .

الخفيف



أقصوصة من روائع الأدب الايطالي :

من شـابه أباه

بقلم الأسـتاذ مصطفى جميل مرسي

عاش قدماً من بلاد « الإغريق » ملك ذو بأس وسلطان عظيم ، يدعى «فيليب» ... وقد ألقى ذلك الملك فى غياهب السجن بأحد العلماء الراسخين فى العلم .. لما قارفه من إثم وركبه من عدوان ! ..

وكان ذلك العالم ممن حباهم الله بالحكمة وآتاهم المعرفة .. حتى ذاع صيته فى كل أفق .. وجرى ذكره على كل لسان ..

وحدث ذات يوم أن أهدى ملك «أسبانيا» إلى الملك « فيليب» جواداً كريم الأصل جميل الشكل أشهب اللون ذا جرم عظيم ... ! فأرسل الملك فى طلب « البيطار » ليعلمه الرأى فى هذا الحصان ، بيد أن هذا أسر فى أذنه أن الحكيم الإغريق هو أعلم أهل الأرض بكل أمر ، وأخبرهم بكل شيء ! ..

فدعاه الملك من سجنه ! . وقال له : « أيها السيد .. لقد ألقى فى روعى ما أصبت من العلم البعيد ، وترامى إلى سمعى ما جنيت من الخبرة العميقة ! . فخبرنى بما تراه فى هذا الجواد ؟ ! . »

فلما أنعم الحكيم فيه النظر ، وفحصه عن دقة وبينة .. تبسم وقال للملك : « يامولاى .. إن هـذا الجواد جميل حقاً وسريع الركض ! . بيد أنه أرضع لبن الحمير ! .. »

فأوفد الملك « فيليب » الرسل إلى « أسبانيا » ! ليلموا بجلية الأمر ، فانثنوا على أعقابهم يسوقون له اليقين على أن التى أرضعت الجواد حمارة .. فقد نفقت أمه إثر ولادته ! ..

فأخذت الدهشة الملك وتولاه الإعجاب ! .. وأمر بأن يقدم إلى الحكيم فى سجنه ، نصف رغيف من الخبز — جزاء له على صدق ما نظر — من نفقة القصر ! .

ثم حدث بعد ذلك أن جلس الملك إلى مجموعة من جواهره الثمينة ولآلئه الغالية ، يختبرها .. فلم يلبث أن بعث إلى الحكيم يدعوه ! . وقال له سيدى إن غور علمك بعيد لا يدرك له العقل نهاية ولا يبلغ منه غاية ! ويلوح أنك عليم خبير بكل دقيقة فى هذا الوجود ! . وها هى ذى أحجارى الثمينة التى أعتز بها ، وأهتز زهوا لها ! فدعنى — بربك — أعلم أيها أعظم — فى نظرك الثاقب — قيمة وأكرم معدناً .. » فأجابه الحكيم هازئاً : « هلا أنبأتنى يا مولاى أى واحدة تحسبها أثمن هذه الجواهر وأكرمها ؟ »

فانتقى الملك من بينها جوهرة تتألق جمالا وتفيض بهاء .. ومديده بها إلى الحكيم وهو يقول « إن هذه — أيها السعيد الجليل — تبدو لى أشد حسناً وأرفع قيمة ! .. »

فتناولها « الحكيم الإغريق » وراح يفحصها بين أنامله ويقلبها فى راحته ، ثم أدناها من مسمعه ، وأصغى برهة إليها ! ثم قال فى صوت هادىء رزين : « يخيل إلى يا مولاى .. أن هذا الحجر يضم فى جوفه حشرة حية ! .. » فأمر الملك — مستغرباً — بالجوهرة أن تكسر فى رفق ! .. فخرجت منها — أمام ناظريه — دودة تسعى !

فزاد دهش الملك وعظم إعجابه بحكمة الإغريق ، وعقله الفذ وعلمه العجيب .. وأمر بأن يقدم له — فى سجنه — رغيف كامل كل يوم ! ..

وانسلخت أيام وانقضت شهور ، وكان الشك لا يفتأ ينتاب الملك ، والظنة لا تبرح تراوده بين حين وحين فى نسبه إلى أبيه ! . فأرسل فى طلب الحكيم ، وقال له : « أيها الرجل العليم ... إن بلاءك اليوم لعظيم .. أريدك على أن تخبرنى إبن من أنا ؟ ! »

فأجابه العجوز — مظهراً الدهشة — فى صوته الهادىء وحكمته الرزينة : « يا مولاى .. إن هذا لعجيب ! لاريب فى أنك إبن سلفك الملك المعظم .. والدك ! . » فصاح الملك حانقاً فى غلظة : « إياك والمراوغة من سؤالى : إخبرنى الحقيقة وأنت آمن ! فإن خالجك تردد ، فسوف أضرب عنقك كخائن حقير ! »

فأجابه الإغريقى : « إذن يامولاى ! لاتثريب على ولاحرج ، إنى أخبرك أنك سليل خباز ! » فدخل الملك « فيليب » على « الملكة الوالدة » .. قلقاً ظامئاً إلى جلاء الحقيقة .. وهددها وشدد النكير عليها .. فاعترفت له بأن الحكيم لم يتجاوز الحق فيما قاله !.

حينئذ بلغ إعجاب الملك بالحكيم حداً عظيما ، فاحتبسه معه فى غرفة بمنأى عن القوم — وقال له : « يا سيدى الجليل ! .. لقد تجلت لى آيات بينات من علمك ، وبراهين ساطعة على قدرتك ! وقد حان أن تكشف لى النقاب عن سر معرفتك بها وحكمك عليها ! .. »

فأجابه الحكيم — وهو يبتسم فى لطف — : « يامولاى ! سأنبئك بتأويل مالم تحط به خبراً ! ... أما الحصان فقد علمت أنه رضع لبن الحمير من أذنيه التدليتين المتراخيتين ، وليست هذه من طبيعة الخيل ! .. وعلمت أن فى جوف الجوهرة حشرة حية ، لأنى استشعرت حرارة لما قبضت عليها .. وعهدنا بالأحجار باردة.! ومن الجلى أن الحرارة لا تصدر إلا عن كائن حى داخلها ! »

ثم سكت الحكيم .. فقال له الملك مستحثاً : —

« هه .. وكيف فطنت إلى أنى ابن خباز ؟ »

فاستطرد الحكيم فى قوله وهو يبتسم فى خبث ورقة :

« حينما أخبرتك بحقيقة الحصان لم تجد على إلا بنصف رغيف من الخبز ، وعنـد ما أنبأتك عن الحشرة الحية فى بطن الجوهرة أمرت لى برغيف كامل من الخبز كل يوم ! فأدركت عن يقين من هو أبوك !

فلو أنك وُلدت من صُلب ملك حقاً لوهبتنى مدينـة بأسرها كمنحة أستحقها .. ولكنك اكتفيت برغيف من الخبز وهو ما كان يفعله أبوك الخباز !.. ومن شابه أباه فما ظلم !.. »

حينئذ خجل الملك من ضعة أصله ودناءة سجاياه ! وأطلق اسر « الحكيم الإغريقى » ورد عليه حريته ..! ثم أعاده إلى أهله مثقلا بالعطايا .. وولاه منصباً رفيعاً ! ..

مصطفى جميل مرسى

صانع الخير

للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد

كان الوقت ليلا ، حده . فلاحت له من بعيد أسـوار مدينة مخططة على شـكل دائرة ، فوجه خطاه نحوها . ولما دنا منها سمع فى داخلها خفق أرجل طروبة ، وقهقهة أفواه جذلة وأنغام قيثارات كثيرة صادحة ؛ فقرع الباب ففتحله البوابون فرأى أمامه قصراً من المرمر، أعمدته الرخامية الرائعة الجمال متوجة بأكاليل الأزهار ، وفى داخله وخارجه مشاعل مضاءة من الأرز . فدخله وبعد أن اجتاز ردهات من العقيق الأبيض الخلـكيدونى وأواوين من اليشم وبلغ قاعة الوليمة المستطيلة رأى على متكأ من الأرجوان شاباً مكلل الشعر بالورود ، قرمزى الشفتين من أثار الخمر . فدنا منه ولمس كتفه قائلا : « لماذا تعيش هذه المعيشة ؟ » فالتفت الشاب ورآه فعرفه وقال : « قد كنت أبرص فأتيت أنت وشفيتنى . فـكيف أعيش غير هذه المعيشة ؟ » .

ترك القصر وخرج إلى الجادة ورأى بعد هنيهة امرأة موشاة الثياب بالنقوش تنتعل حذاء مرصعا باللؤلؤ ، ورأى شاباً مرتدياً ثوباً ذا لونين يسير فى أثرها الهوينا مترقباً كأنه صياد . وكان وجه المرأة شبيهاً بوجوه الدمى الجميلة ، وعينا الشاب تشتعلان لذة وتدفقان شهوة ، فتأثرهما مسرعاً حتى داناهما . فلمس يدى الشاب وقال له : « لماذا تنظر إلى تلك المرأة هذه النظرات ؟ » . فالتفت الشاب ورآه فعرفه وقال : « قد كنت فيما مضى أعمى فأرجعت إلىّ بصرى . فإلى أى شىء أنظر إذا لم أنظر إلى ما ترى ؟ » .

فتركه وتبع المرأة حتى أدركها . فمس ثيابها المزركشة وقال لها : « أليس من سبيل غير سبيل الخطيئة ؟ » . فالتفتت المرأة إليه وعرفته فضحكت وقالت : « ولـكنك قدغفرت لى ما أسلفت من خطايا من قبل . وهذا السبيل طريق المسرات ! »

فخرج من المدينة حتى إذا كان فى ظاهرها رأى شاباً ينتحب على قارعة الطريق فاقترب منه ، ولمس غدائره المسترسلة وسأله : « لماذا تبكى ؟ » فرفع الشاب طرفه إليه فعرفه وقال له :

« لقد كنت ميتاً ، فجئت أنت فأحييتنى ، فـماذا أصنع غير البـكاء ؟ »

عبد الوهاب مصطفى



العدد ٧٦٨ — الاثنين ٢٢ مارس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠ ه ٢٤

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 ème Année No. 768

Lundi — 22 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٦٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ٢٢ مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصة فتـــاة

— ٥ —

يوم الجمعة ١١ مايو سنة ١٩٤٥

كان لحديث لقائنا الأول بقية ضاق عن تسجيلها الوقت فى صفحة الأمس فأنا أسجلها ملخصة فى صفحة اليوم.

قلت للآنسة (س) بعد أن قصت علىّ مغامرتها الحمقاء بخروجها من العزبة شريدة، وسفرها إلى القاهرة فريدة : إن حكايتك فى تحررك من أخيك أشبه بحكاية العنزة (بلانكيت) فى تحررها من سيدها (سيجان)

قالت وما خبر هذه العنزة ؟ قلت : خلاصة خبرها فيما زعم (دوديه) أنها كانت عنزة جميلة الشكل خفيفة الظل ذات قرنين مفوّفين، وعينين كحلاوين، وشعر أبيض ناصع، وظلف أسود لامع ؛ وأنها كانت تعيش فى حظيرة مولاها عيش الرافهين الأغرار، تنزو وتلعب فى حبلها الطويل، وتأكل وتشرب فى مذودها الحافل. وفى ذات يوم أطلت من النافذة فأبصرت الجبل يُوشيه الزهر، والسهل يفشيه النبات، فقالت لنفسها : يا لله ! ما أجمل الحياة هناك ! وما أسعد من ترتع فى تلك المروج طليقة من هذا الحبل ! ما للمعز وللحظائر والقيود ؟ إنها بالحمير والبقر أخلق. ومنذ تلك الساعة عَرِضت العنزة من المكان، وبرمت بالقيد، وعزفت عن الطعام، حتى هزل بدنها وشح لبنها. وكان السيد سيجان كلما دخل عليها الحظيرة وجدها جاثمة على الأرض أمام الباب، تنظر نظر المشوقة، وتثغو ثغاء الوَلْهى ! فأدرك آخر الأمر أن بها شيئاً تخفيه، فسألها : ماذا بك يا بلانكيت ؟ لعل حبلك قصير فأطيله، أو علفك قليل فأزيده ! فقالت العنزة مغضية فى غير اكتراث : أرح نفسك يا سيد سيجان، فليس ما أشكوه قصر الحبل ولا قلة العلف.

— إذن ما ذا تشكين ؟

— أشكو القيد.

— وما ذا تريدين ؟

— أريد الجبل.

— الجبل ؟ ! ألم تسمعى أن هناك الذئب ؟

— بلى سمعت، ولكن لى قرنين طويلين يخشاها الأسد.

— ليس قرناك يا مسكينة أطول من قرنى أختك (رينود)، فقد صاولت الذئب بشجاعة طول الليل، ولكنه أفطر عليها فى الصباح !

— يا للمسكينة ! ولكن لا بأس. دعنى بربك أجرب حظى مع الذئب يا سيد سيجان

فلما رأى سيجان أن عنزته لا يقنعها المنطق ولا يعظها التاريخ، حبسها فى حجرة بالحظيرة ثم أغلق عليها الباب، ولكنه

نسى أن يغلق النافذة ، ففرت منها إلى الجبل ! ورأى الجبل فى بلانكيت غير ما رأى فى سائر المعز من جمال اللون وحسن الشارة فلقيها لقاء جميلا ، وأمر أشجاره أن يظللن لها الطريق ، وأزهاره أن يعطرن لها الجو . ووجدت العنزة نفسها مرسلة من كل قيد ؛ فلا وتد ولا حبل ولا جدار ، فأخذت تمرح فى الخلاء الرحب ، وتسرح فى الكلأ الرطب ، وتوازن فى اشمئزاز بين ضيق الحظيرة وسعة المرج ، وبين تفاهة العلف ومراءة العشب ، فتحمد الله على ما رزقها من نعمة الحرية ومتعة العيش . فلما قضت حاجتها من الشبع والرى ، أخذت تثب فى الهواء ، وتركض على الأرض ، وتقفز فوق الصخور ؛ ثم تبلل شعرها بماء الغدير ، وترقد لتجففه بحر الشمس ، ثم تنهض فتصعد فى شعاف الجبل حتى تقف على قنته ، فيخيل إليها من فرط الصلف وسحر الغرور أنها حورية مرجه وملكة واديه ! وبينما هى ترسل النظر الساخر من زروة الجبل إلى حظيرة سيجان أبصرت قطيعاً من الوعول ينال من شجر الكرم فتحلب ريقها شرهاً إليه ، وما هى إلا وثبات حتى نزلت على القطيع ففسح لها المجال بأدب ، وقرب إليها النال فى لطف . ثم وقع بقلبها بعض الوعول فاختلت به ساعة أو ساعتين فى ظلال الغاب . وجملة القول أنها قضت يوماً من أيام الجنة لم تقضه قبلها عنز من عِنناز سيجان ، ولا نعجة من نعاج داود .

ولكن الهواء برد والمساء أقبل ، فخشعت الأصوات ، وسكنت الحركات ، وانبعث من جانب الحظيرة بوق السيد سيجان يدعو الآبقة إلى الرجوع . حينئذ تذكرت الذئب وقد أنساها إياه قصف النهار ولهوه ، فاعتراها شىء من الحيرة والتردد ؛ ولكنها تذكرت كذلك الوتد والحبل ، فحطت شفتيها وأصمت أذنيها وقررت البقاء . وانكفأت بلانكيت تبحث عن مرقد وثير فى مغاور الجبل فرأت بين الأوراق أذنين مصرورتين تحتهما عينان تشمان الخطر ، وتقدحان الشرر ، فعلمت أنه الذئب ! وأرادت أن تمضى فى سبيلها ، فضحك منها الذئب حتى بدت أنيابه العُصل ، واندلع لسانه الغليظ ؛ فاستيقنت الموت وتذكرت ما سمعته عن مصرع العنزة رينود ، فهمت بالاستسلام ؛ ولكن بدا لها أن تدافع ، لا لأنها تعتقد أن العنز تقتل الذئب ، ولكن لأنها تربأ بكرامتها أن تكون أقل شجاعة من رينود . والحق أن بلانكيت اضطرت الذئب إلى أن يستريح عشر مرات أثناء المعركة ، وفى كل استراحة كانت تملأ فمها بالعشب الندى ، وترقب طلعة الفجر فى الأفق الحالك ، ثم تعود إلى الصراع ؛ حتى لاح الضوء الشاحب ، وصاح الديك المؤذن ، فخرت شهيدة الحرية بين يدى الذئب وهى تلفظ مع نفسها هذه الجملة :

الحمد لله قد بلغت أمنيتى ، وإن لحقت بى منيتى !

***

قالت الفتاة : قصة طريفة ! ولكنى أعدك ما دمت عندك أن ألزم الحظيرة ولا أفك القيد ولا أخلع الزمام . فقلت لها : لا تنسى يا بنيتى أن حظيرتك عند أخيك لا عندى ، وأن حريتك فى قيده لا فى قيدى ، وأن زمامك بيده لا بيدى . وهيهات أن أكون لك إلا أباً أو أخاً يشفق بمين أو معلماً يرشد . فقالت وهى تنهنه عبرة تريد أن تقطر : ليكن ! حسبى أن أراك وأن أسمعك ! لقد حاولت أن أغويك فلم أستطع ، فحاول أنت أن ترشدنى فلعلك تستطيع . سأجعل فى يديك مقاليد أمرى ، وأودع بين جنبيك مكنون سرى . وسأتبين معالم الطريق فى ضوء مصباحك ، وأنشد سكينة القلب فى ظل جناحك . فقلت لها أعاننى الله وأعانك . ثم افترقنا ونفسى تغالب الضلال ونفسها تغالب الهدى ، وما تدرى نفسى ولا نفسها ما ذا نكسب غدا !

يوم الخميس ١٧ مايو سنة ١٩٤٥ :

كان لقاؤنا الثانى فى مطعم الكرسال ظهر هذا اليوم ؛ وكنت قد واعدتها على هذا اللقاء ساعة انصرافنا من جروبى . وكانت هى شديدة الحرص على أن نلتقى كل يوم ، ولكننى أقنعتها بأن نجعل بين اللقاءين أسبوعاً لتعرف فيه خبيئة نفسها ودخيلة هواها ، لتردَ يوم ترد عن بينة ، وتصدر حين تصدر عن بصيرة . سبقتها إلى الموعد فى هذه المرة فتخيرت مائدتنا فى ركن من أركان المطعم الفخم . ولم يكد يطمئن بى الجلوس حتى رأيتها مقبلة فى زينتها الكاملة : فرأسها النفرتيتى الساحر قد خلص من يد الحلاق الساعة ؛ وفستانها الفيروزى الأنيق قد خرج من محل الخياط اليوم ؛ وشنطة يدها اللازوردية الملقة على

(البقية على صفحة ٣٥١)

الحمادون الثلاثة

للدكتور جواد على

— ٣ —

وننتقل بك أيها القارىء من حياة حماد الراوية وقد سقت لك بعض أخباره إلى حياة حماد آخر هو «حماد عجرد» وهو يفوق المرحوم صاحبنا عبثاً وزندقة، ولست أقصد من وراء هذا الحديث رواية أخبار الزنادقة، وإحياء ذكرى الزندقة، وفى عصرنا من يفوق من ذكرنا عبثاً واستهتاراً وزندقة وتفاخراً بالخروج على أنظمة البلد والمجتمع. ولكننا نقصد من وراء هذه الدراسة إظهار صورة من صور حياة الناس فى ذلك العهد غامضة على كثير من القراء، ترينا لوناً من ألوان الحياة وفوضوية من تلك الفوضويات التى قوضت دعائم المجتمع العربى القديم.

وحماد عجرد الذى أريد أن أتحدث عنه هو أبو عمرو وقيل أبو يحيى حماد بن عمر بن يونس بن كليب السكوفى وقيل الواسطى(١). وبعد فلا تغرنك هذه الأسماء وهذا النسب الطويل العريض وتلك النسبة العربية التى تتحدث فى الظاهر عن عربية أصيلة وفى الواقع غير ذلك. ولست بمبيح لك سراً إن قلت لك إن الرجل كصاحبه مولى من الموالى، من موالى سواءة بن عامر ابن صعصعة. شأن أكثر العابثين والمجان الذين ظهروا فى هذا الوقت خاصة وقت تدهور السياسة العربية وتولى الملوك المترفين من بنى أمية مقاليد الحكم فى الإسلام. وفى بلد وإن كانت العروبة غالبة عليه غير أن العجمة كانت تبذر مفاسدها فيه وتؤسس نواديها فى كل مكان.

لقد كان حماد عجرد على الرغم مما اتهم به من الزندقة سليط اللسان بذىء الكلام لا يقف أمامه فى هذا الفن أحد. وقد عرف بشار بن برد وهو من المتهمين بالزندقة كذلك بأنه من أبذإ الناس لساناً وأنه من الهجائين المقذعين فى هجائهم. وكان مسرفاً فى الهجاء حتى عجل بنهاية نفسه. ومع هذا الهجاء لم يتمكن من التغلب على حماد ولا من إسكاته وقطع أنفاسه فكانت بينهما أهاج شديدة وكانت بينهما سباب وشتائم فقال حماد فى بشار أهاج فاحشة جاء فيها بمعان غريبة وإقذاع فاقت حد الوصف حتى كان بشار يضج منه(١).

روى الصباح السكوفى قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لى: يا أبا على، أما إنى قد أوجعت صاحبكم وبلغت منه، يعنى حماد عجرد. فقلت بماذا يا أبا معاذ؟ فقال بقولى فيه:

يا ابن نهيا رأس على ثقيل ... واحتمال الرأسين خطب جليل
فادع غيرى إلى عبادة ربيـ ... ـن فإنى بواحد مشغول

فقلت لن أدعه فى عماه. ثم قلت له قد بلغ حمادا هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا. قال ما ذا يقول؟ قلت يقول:

فادع غيرى إلى عبادة ربيـ ... ـن فإنى عن واحد مشغول

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة! ثم قال إنى لا أحتشمك فلا تنشد أحداً هذين البيتين. وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لى(٢).

واشتد الهجاء بين الشاعرين فكان بشار يهجو حمادا وهو فى البصرة وكان حماد يرد عليه أو ينظم ما هو شر منه وهو فى الكوفة. فكان من جملة ما قاله حماد فى بشار.

والله ما الخنزير فى نتنه ... بربعه فى النتن أو خمسه
بل ريحه أطيب من ريحه ... ومسه ألين من مسه
ووجهه أحسن من وجهه ... ونفسه أفضل من نفسه
وعوده أكرم من عوده ... وجنسه أكرم من جنسه

ولما سمع بشار هذه الأبيات تظاهر بعدم الاكتراث وقال: ويلى على الزنديق! لقد نفث بما فى صدره. فقيل له وكيف ذاك؟ فأجاب ما أراد الزنديق إلا قول الله تعالى «لقد خلق الإنسان فى أحسن تقويم» فأخرج الجحود بها مخرج هجائى(٣). وهو قول متهم فى متهم.

قال الرواة وهذا خبث من بشار وتغلل شديد. وهو خبث حقاً والتفات فطن، فيه سرعة خاطر، يتفطر غيظاً وحقداً من

(١) ابن خلكان جـ ١ ص ٢٠٧.

(١) ابن خلكان جـ ١ ص ٢٠٧.
(٢) الأمالى للمرتضى ص ٩٣.
(٣) الأمالى للشريف المرتضى ص ٩٣.

هذا الشاعر الأعمى على ذلك الخصم الذي يراه ولا يتمكن بشار من رؤيته فيصفه :

قال الشريف المرتضى وأول من جمل نفي الإلحاد تأكيداً للوصف به وأخرج ذلك مخرج المبالغة ، مساور الوراق في حماد عجرد حيث قال :

لو أن ماني وديصانا وعصبتهم … جاءوا إليك لما قلناك زنديق
أنت العبادة والتوحيد مذ خلقا … وذا التزندق نيرنج مخاريق[1]

ومساور الوراق صاحب هذه الأبيات شاعر رقيق ماكر من الهجائين وله في الهجاء مكانة . وكان ممن يخشى لسانه . وهو القائل في أهل الرأي والقياس :

كنا من الدين قبل اليوم في سعة … حتى بلينا بأصحاب المقاييس
قاموا من السوق إذ قامت مكاسبهم … فاستعملوا الرأي بعد الجهد والبوس
أما الغريب فامسوا لا عطاء لهم … وفي الموالي من شح علاميس[2]

وكان موجعاً في هجائه . ويمتاز عن أقرانه الشعراء بسعة ثقافته واطلاعه على الكتب بحكم مهنته ولذلك كان يخشى المثقفون هجاءه فكانوا يسترضونه بالدراهم ويشترون مدحه بالمال .

وكان ظريفاً صاحب مجلس ومعشر محدثاً يدل ما تبقى من شعره على خفة روحه ، له قصيدة جميلة في وصف الطعام يصف فيها أنواع الأطعمة والأصناف الفاخرة من الأشربة ، من أوائلها :

إسمع بنعتي للملوك ولا ترى … فيما سمعت كميت الأحياء
إن الملوك لهم طعام طيب … يستأثرون به على الفقراء
أني نعت لذيذ عيشي كله … والعيش ليس لذيذه بسواء[3]

ومن الهجاء الذي قاله بشار في حماد عجرد وهو يمثل بخل المهجو وبعده عن الكرم قوله :

إذا جئته في الحي أغلق بابه … فلم تلقه إلا وأنت كمين
فقل لأبي يحيى متى تبلغ العلا … وفي كل معروف عليك يمين

وهنا لك أبيات أخرى قيل إنها في هجاء حماد عجرد وقيل أنها في هجاء حماد بن الزبرقان وهو رجل من هذه الفصيلة . وقيل بل إنها في هجاء حماد الراوية وهي :

نعم الفتى لو كان يعرف ربه … ويقيم وقت صلاته حماد[1]
هدلت مشافره الدنان فأنفه … مثل القدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه … فبياضه يوم الحساب سواد[2]

وكانت لحماد عجرد بطانة وجماعة ترتاح إليه ويرتاح إليها وهي على شاكلته بالطبع ، مثل حريث بن عمر وكان حماد ينزل عليه وكان من المشهورين بالزندقة[3] . ومثل مطيع بن إياس وهو علم بالزندقة لا يحتاج إلى تعريف ، ومثل يحيى بن زياد . وكانوا يجتمعون ويتنادمون ويتنابزون بالألقاب . حدث علي بن الجهم فقال : « قدم علينا في أيام المهدي هؤلاء القوم حماد عجرد ومطيع بن إياس الكناني ويحيى بن زياد فنزلوا بالقرب منا فكانوا لا يطاقون خبثاً ومجانة[4] » .

وكانت محجة القوم في الكوفة بيت رجل يقال له « ابن رامين » قدم من الحجاز ولعله كان من أصل يهودي ، وكان صاحب قيان ونبيذ « فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده مثل يحيى بن زياد الحارثي وشراعة بن الزند بوذ ومطيع ابن إياس وعبد الله بن العباس المفتون وعون العبادي الجيري ومحمد بن الأشعث الزهري المغني وكان نازلا في بني أسد في جيران إسماعيل بن عماد فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده ، ثم انتقل من جواره إلى بني عائذ فكان إسماعيل يزوره هناك على مشقة لبعد ما بينهما . وكان لابن رامين جوار يقال لهن سلامة الزرقاء وسعدة وربيحة وكن من أحسن الناس غناء[5] » .

وقد اشتهر أهل الحجاز بالميل إلى الغناء وبإتقانهم فنونه ، ولذلك كان مجلس « ابن رامين » من مجالس طلاب الغناء المشهورة في الكوفة . وكان عامة من يقصده من أصحاب الفن يحسنون الغناء وقول الشعر أو روايته على الأقل . وكان إسماعيل بن عماد مثلا صاحب شعر رقيق جميل وحس مرهف يقول الشعر في « ابن رامين » وفي صاحبات ابن رامين وفي شعره نغم موسيقي . وأما محمد بن الأشعث الزهري وهو من رواد هذا المحل ومن

(١) الأمالي للشريف المرتضى ص ٩٣ .
(٢) العقد الفريد جـ ٦ ص ١٥٤ .
(٣) العقد الفريد جـ ٨ ص ٩ .

(١) في بعض الروايات « يعرف قدره » .
(٢) ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ٣٠٢ .
(٣) الأغاني جـ ١١ ص ٢٩٠ .
(٤) ابن خلكان جـ ١ ص ٢٠٧ .
(٥) الأغاني جـ ١١ ص ٣٦٤ .

الأدب الماجن
وأثره في نكبة فرنسا
للأستاذ يوسف البعيني

منذ خمسين عاماً على التقريب لمع في سماء الغرب كاتب من أوسع كتابه ثقافة ، وحكيم من أعمق حكمائه فكرة — هو الأديب الفرنسي المشهور رومان رولان الذي لا يجهله أحد من قراء الأدب العالمي الحديث .

ومما طالعته لهذا الكاتب الخلاب مقالة مطولة عالج فيها نكبة فرنسا في الحرب الأخيرة وانتهى في تحليله إلى نتيجة فلسفية رائعة هي أن الأمم الضعيفة الأخلاق الماجنة التفكير في أدبها وحياتها ، يتسرب إليها الخمول والاستسلام تسرب الانحلال في الشجرة النخرة . فإذا لم تتلاف الأمم هذا الداء الوبيل قامت بنية جراثيمه الفتاكة كما سارت إلى الانقراض على ما يذكر التاريخ .

لقد أصاب هذا المصلح الكبير في تحليله . فهذه أمم الأرض وهي بين منقرضة هجرتها الحياة وخالدة بوا كبها الفناء ، نرى أن الضعف الأخلاقي والأدب الماجن المستهتر والانغماس في أقذار الدعارة كانت السبب الأهم في انهيار صولتها ، وانطفاء أنوارها ، وانطواء أعلامها في ساح الجهاد

***

ذكرني مقال رومان رولان بما قرأته من أعوام للبحاثة الأسباني «أسين بالاسيوس» عن تاريخ الشعب الفارسي وقد عزا سقوط الفرس ، بعد أن دوخوا الأمصار واستظهروا في مختلف مرافق الحياة ، إلى الضعف الأخلاقي الذي تفشى في آدابهم وضروب معيشتهم مثبتاً صحة كلامه بشواهد عديدة تشير كلها إلى أنواع الدعارة والفحشاء والانحطاط النفسي التي تمرغوا في أوحالها مستهينين في إرضاء حواسهم البهيمة بهدم كل قانون سام ونظام اجتماعي . ومن شواهده التي أودعها كتابه الذكور هذه الدعوة الوحشية وقد شاعت في عصرها شيوعاً عظيما وهي للحكيم «شهار» . وفيها يقول :

« الويل كل الويل ، لمن يكفر بالخمرة واللذة المصحوبة بنوبة من الذهول . فإن جزاءه الجحيم إذ تكوى روحه الشريرة بالنار ، وتقطع أطرافه وأوصاله بالسكاكين والكلاليب ، ثم يقذف في بئر من الدم طعاماً للأفاعي والغيلان . أما الذي يقبل على تقديس الخمرة واللذة فطوبى له إذ ينال رضى خالقه فيعيش سعيداً ، ويموت سعيداً » .

وهذه دعوة ثانية للشاعر « سنطور » الملقب بالعطار الفارسي وقد لاقت إقبالا كبيراً عند خاصة الفرس وعامتهم :

« ملت إلى شفة الكأس الصينية المزخرفة
لارتشف منها ما ينبه حواسي الجسدية
وبينما الشفة على الشفة ،
همست شفتها الرطيبة :
إشرب ما دمت حياً

المقيمين في بني أسد فكان مطرب النادي ، كان يغني تلك الأشعار ويأتي بألوان من الغناء تهز السامعين هزاً . وكان مطيع بن إياس وهو صديق حميم من أصدقاء حماد عجرد من هؤلاء الفنانين الوهوبين أيضاً وكان ينظم الشعر ويرويه . فكانت هذه الندوة ندوة الفنانين ، هذا ينظم وهذا يغني وهذا يروي وهذا ينكت ، ومن هذا الخليط يتكون ذلك الجو الأدبي الذي امتازت به مدينة الكوفة كما امتازت حانات باريس وأمهات المدن الأوربية التي اشتهرت بالنتاج الأدبي فتجد فيها الشذوذ والعبقرية والسذاجة والاتقان والمتناقضات التي لا تجتمع في نوادي العاديين من الناس .

أما بضاعة هذه الطبقة التي كانت تدر عليهم الأرباح فكانت الشعر وروايته ، وكانوا يحصلون على العطايا والهدايا إما عن طريق المدح وإما عن طريق الذم وهجاء الناس . وكانوا ينفقون أموالهم بغير حساب على القيان والشراب والمجالس والذهاب إلى البساتين لتمضية الوقت بين الماء والخضراء والوجوه الحسنة . وكان بستان شوذين من البساتين التي كان يقصدها إسماعيل بن عمار وصحبه وفي صحبتهم قيان ابن رامين . فهنالك شراب وهنالك شواء وهنالك غناء . وهنالك الحياة التي كان يقضيها فرسان العصور الوسطى . أو جماعة « Burschenschaft » من طلاب الجامعات في ألمانيا التي كانوا يقضون أوقاتهم على هذا النحو أيام الفراغ .

جواد علي

فاللذة ستفقدها بعد حين وعندها تمسى الحياة بلا جمال »

وزاد العلامة الأسبانى على أدلته البليغة فى كتابه قوله : إن الشعب الفارسى لم يرض بالذل والهوان ، ولم يألف الانكماش والتوانى إلا بعد أن فقد أخلاقه فى أدبه واتجاهات حياته . هذه حقيقة ناصعة لا تقبل التأويل والاعتراض ؛ لأن انحطاط الأخلاق فاتحة لتضعضع الأفراد والجماعات وهو أشد خطراً على المجتمع من الضعف المادى نفسه . وما أصدق كلام الشاعر العربى :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وهوت الدولة الفرنسية فى الحرب الأخيرة أمام عدوها التاريخى الألد ، فلم تغن عنها حصونها المنيعة ولم يجدها نفعاً جيشها المدرب . وغدت باريس — عاصمة النور — مسرحاً لعدوها المنتصر الذى طالما حلم بانتهاك تلك المدينة العظيمة التى ارتفعت تحت سمائها الصافية تماثيل الجبابرة ودور العلم والاختراع ومتاحف الفن والجمال ، وكلها تحتفظ بالذكريات الخالدة خلود الدهر .

وقد تبارى فريق من أمراء البراعة فى تشخيص هذه الفاجعة وتحليل أسبابها فقال اندريه موروا الكاتب العالمى إن تفكك بلاده كان سببه قلة السلاح . وأكد جول رومان صاحب المؤلفات القيمة فى علم النفس أن تدهور أمته يعزى إلى خمول الساسة وزيغ أصحاب المقامات العليا . ونسب جاك ماريتان وشارل مورا وسواهما من أنصار الملكية إنكسار الامبراطورية إلى الاشتراكية وغيرها من الآفات ... ما خلا الحكيم الكبير والمصلح الاجتماعى رومان رولان فقد خالف أقرانه وجلا بوضوح وجرأة نكبة الشعب الفرنسى وأسبابها التى مهد لها الضعف الأخلاق الذى تمشى فى الأوضاع الاجتماعية والأدبية بعد الحرب الأولى قاضياً على عزة النفوس ، فغدا الأديب لا ينشد فى أدبه سوى الأغراض الدنيئة ، وأمسى الرجل المسئول لا يفكر إلا فى قضاء شهواته الحقيرة !

فهل صحيح قول هذا الحكيم ؟

إن من تدبر الأدب الفرنسى الحديث الذى ظهر بعد أن عصفت زعازع الحرب الأولى على العالم مكتسحة من الحياة كل ما يجمل الحياة .. يقر بحقيقة ما يقوله هذا المفكر البصير الذى عالج قضايا المجتمع فى كتابه « جان كريستوف » بما لم يعالجه قبله أحد من كتاب الغرب . وحسب القارىء أن يقابل بين انتاج أعلام الماضى وأدباء اليوم حتى يدرك موطن الحق وإن يكن جارحاً ، ويجس موضع الداء وإن يكن مؤلماً .

وعندى أن هذا النوع من الأدب الحديث هو الذى جنى على الأمة الفرنسية إذ أفسد أخلاقها وأمات فيها تقديس الكرامة وتلك النزعة إلى الحرية التى اشتهرت بها على مدى العصور . وأنا لم أقرأ رواية من هذه الروايات الماجنة المستهترة التى ظهرت بعد الحرب الأولى إلا رأيت الحب الجنسى والميول الساقطة تكاد تكون كل شىء ، فلا يستوقف المطالع من شؤونها الطويلة العريضة سوى تصوير أمور شاذة معيبة يندى لها الجبين حياء وخجلا لأنها تحمل فى طواياها العفونة والفساد مع الأغراء الفاضح المهتك ...

وأكثر من شط فى هذا الباب زعماء مذهب « اللاوعى » الذى يلاقى اليوم أكبر التأييد فى الشرق العربى وعلى الأخص فى لبنان . ولزعماء اللاوعى شبه جنون فى درس المسائل الجنسية فلا يرون فى العالم شيئاً خلافها يستحق الاهتمام ، وهكذا لا تجرى أقلامهم إلا بوصف الشهوات وتفاعيلها وبكل مثير للأهواء ودافع إلى الاستهانة بضوابط النفس والنظم الاجتماعية .

إليك مثالا من هذا الأدب وهو للشاعرة « جان فالكر » :

« لا أريد النوم !

إذ فى النوم غفلة القلب ، وغياب الحب ، وحياة تمر ضياعاً قد أطوق ذراعى وأنا نائمة ، ولكن فمى لا يقول للحبيب : اقترب

ومتى غرقت فى سبات عميق تسكن همومى فلا أعود أشعر باللوعة تضنى قلبى وتحطم جسدى . لذلك لا أريد النوم !

إنى أحب آلامى الشديدة التى تضغط على كل شىء فى أحب ساعات اليأس يسود فيها الجنون فتخور عزيمتى ،

وتضيع أنفاسي ، وتتلاشى قواى

أحب الاستسلام إلى كل أنواع العذاب ، لأنني بعد مجيء الصباح ، أتلذذ بذكرى ما جرى لى تحت سدول الليل ، لذلك « لا أريد النوم » .

وإليك مثالا ثانيا وهو للشاعرة « مارى درمار » :

« كم فكرت عندما أكون بعيدة عنك قائلة فى نفسى : —

أى سر فيه يجذبنى إليه ؟ إنه ليس فتى جميلا .

بل هو متسلط ، قاس بعظاهره المنيفة !

كم قسوت على بشراسة ، وكم آلمتنى حاملا إلىّ العذاب بحبك الوحشى .

نعم لقد ملأت حياتى بالعذاب . ولكى أتخلص منك ، أريد أن أبغضك .

ولكننى أشعر تحت تأثير قبلاتك الطائشة أننى ملكك إلى الأبد ... »

وهاك مثالا ثالثا وهو للشاعر بول ڤرلين :

« وقفت أمام رسمه الجميل

وقد لوى عنقه العاجى إلى اليمين

فعاودتنى منه ذكرى لياليها المبطنة بالآهات والدموع

والغرام — وقد ذوى ربيعه ، ما زال يئن فى القلب قيثاره .

والنظرة السارحة ألقيتها البارحة على جدث يضم رفاته الذى أمسى طعاماً للديدان .

وآهاً — كيف تعرى غصنه

حب تنوح فى الدجى أشباحه

أهكذا يتلف الموت أعيادنا

ويغيّب فى الثرى أحلامنا

فيمسى بعد زهو المنى شبابنا ترابا

ويكفن النسيان بكفه العاتية ،

ذكرياتنا الصّباح العِذاب ...

نظم ڤرلين هذه القصيدة بعد وفاة (صديقه) أرتور رامبو صاحب عدة مؤلفات شعرية وبينها ديوان « الزورق السكران » وقد تمكنت بينهما علاقات مريبة شاع خبرها فى أوربا ثم انتهت فى عاصمة بلجيكا بعد حادثة مشؤومة لا تزال وقائعها محفوظة على اضبارة فى المكتبة الملكية بتلك العاصمة . وأنا ماجئت على ذكر هذين الأديبين إلا لأقول إن أتباعهما منتشرون فى الغرب انتشار الدمامل الخبيثة . ففى أسبانيا تزعمهم الشاعر غرسيا لوركا الذى ذهب ضحية فرنكو فى الثورة الأسبانية الأخيرة وقد ترك آثاراً يندى لها جبين الشعر . وفى البورتغال يعد أنطونيو بوتو فى طليعتهم .أما فى البرازيل فيعرفون باسم «الاعتزاليين» وهم أكثر من هموم إبليس ... لكن المحيط البرازيلى الراقى يواجههم بالنقد القاسى والتقريع الصارم .

وهذا المذهب العاطل بما فيه من تفكك أخلاق مهيض لأجنحة الشعر يقوم على التغزل بالرجل دون المرأة . والتغزل بالغلمان عرفه الفرس والعرب فى عصر الانحطاط .

على أن ما يحيط بهذا المذهب المغرى المشوق من صور ورؤى تموج فى ظلال وألوان زاهية حيناً وقاتمة أحياناً وقع من نفوس أنصاره موقع التأييد والاستحسان فحسبوا غموضه إلهاماً علوياً وإباحيته فناً غريباً . وفى المحاضرة التى ألقاها الأديب الكبير بول ڤالرى عن ڤرلين برهان أكيد على شذوذهم وقد جاء فيها ما يأتى :

« إن السلوك الشاذ ، والصراع مع الحياة القاسية ، وسكنى السجون والمستشفيات ، والعربدة المتصلة ، ومخالطة الأدنياء ، وحتى الإجرام نفسه — كل ذلك مما يلتئم والإنتاج الشعرى الرفيع . والحق أن الشاعر ليس رجلا اجتماعياً بالمعنى المعروف لهذا الإصطلاح ، فما دام الشاعر شاعراً فلن يستطيع أن ينتظم فى أية هيئة من الهيئات التى تنشد مصلحتها من طريق الحرص على الأخلاق والقانون ، فالقوانين المدنية تلفظ أنفاسها على عتبة شعره » .

ويضيق بى المجال إذا جئت أعرض لكل ماهنالك من شؤون وعبر . ولكننى أكتفى بإيراد مثال واحد وهو للشاعر بول جيرالدى صاحب ديوان « أنت وأنا » الذى قال عنه الفنان والفيلسوف الأسبانى المشهور ميكال أونامونو أنه من أحط ما نظمه الشعراء . وها كه :

« وكنا اثنين ، فى الغاب مجتمعين ، تحجبنا أشجاره عن

أعين الرقباء ، فإذا ساقية تسير مترنحة ، وبلبل على الأغصان يغنى . كأنهما من صدى قبلاتنا غلان ... مترنحان .

قلت لرفيقى — وقد غمرته نشوة الحب — أمن قوامك الأهيف ، ومن شفتيك الورديتين ، تمتد رعشة سحرية فى الغاب وفى الأشجار ، فى المياه والأطيار ، وفى كيانى المذب بوخز الغرام !

غرام طام كالسيل ، مستعر كالنار ؟

وعلى هذا النسق المتماظل يكتب الأدباء الماصرون كتبهم ورواياتهم ويظنون أنهم يخدمون أمتهم المسكينة التى هوت إلى حضيض الهوان فكانوا هم الجانين عليها كما يقول رومان رولان كبير مفكريها فى هذا العصر . وأنا حتى لا أتهم بالتحامل والخروج على الأمة التى أحببتها ووقفت على أدبها وتاريخها كأبنائها الحقيقيين أورد فيما يلى رأى إسطفان زويك الناقد العبقرى الشهور فى أدباء فرنسا الماصرين وهو : « إن أدباء فرنسا الذين لمعوا بعد الحرب الكبرى متأثرين بمذهب عار من الخلق السامى الكريم والتصور الذى لا حدود له سيجرون المثل العليا إلى الهاوية . وإنى آسف الأسف كله لمصير هذا الشعب الذى سطر فى التاريخ البشرى أروع الصفحات وأمجدها » .

وأورد أيضاً رأى الرئيس ما زاريك الذى تمتع فى حياته بزعامة الأدب والسياسة وقد أدلى به إلى الوزير لويس بارتو عندما زار تشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٣٣ وهو : « إن أبطال قصصكم الجديدة عامة تحركهم الشهوات الوضيعة والحب الجنسى الشره . ويمكنكم أن تتأكدوا أننا قد مللنا ، بل قد اجتوينا هذا الضرب المأفون من الروايات العاطلة السقيمة التى لا تطالعنا فيها سوى امرأة سليطة يحبها اثنان أو ثلاثة عدا زوجها « الصنديد » الذى تخدعه بشتى الحيل . وهكذا فى دائرة بغير انتهاء . فهل هذا هو الفن الكتابى الرائع الذى اشتهرتم به على مدى العصور؟ ذلك لا يمكن أن يكون بل هو زيغ وكبوة فى الأدباء الماصرين ، فإذا لم تقضوا على هذا الداء الوبيل دفعتم غالياً ثمن تهاونكم فى المستقبل .

إن تحت قباب قوس النصر ووراء ستائر البانتيون عيوناً تحدق . فحذار من تلك النظرات المخيفة ، حذار منها !! »

***

ولقد صدق الرئيس مازاريك رحمه الله فى نبوءته وأدى الشعب الفرنسى ثمناً فاحشاً لقاء رضاه عن ذلك الأدب الماجن المخدر . فهل فى نكبة فرنسا درس لنا أفراداً وجماعات ؟

عندما حمل المصلح الاجتماعى الكبير المرحوم أمين الريحانى على الأدب المائع السخيف لم يكن يقصد فى حملته الصادقة إلا الأدب الماجن المستهتر الذى نشره فى لبنان بعض الكتاب والشعراء من أنصار مذهب « اللاوعى » . وقد أحسن الريحانى الفيلسوف أيامئذ إلى أمته الصغيرة التى لا تملك من مفاخر الحياة سوى خلقها المالى المتين ، والأمة التى تخسر خلقها تخسر كل شىء .

إن فى نكبة فرنسا درساً بليغاً لكل من ضعف خلقه وانحط تفكيره . ولو أن هذه الأمة اختطت لنفسها طريقاً قويماً غير الذى سلكته فى العقد الأخير مستوحية تاريخها العظيم الحافل بالأمجاد والزاخر بشواهد العبقرية لما انحدرت ذلك الانحدار الأليم الذى يشبه الأحلام !!

فهل يعتبر أنصار أدب الغموض والإبهام ؟

يوسف البعينى
من العصبة الأندلسية

شخصيات عباسية :

جحظة المغني الشاعر

٢٢٤ – ٣٢٤ ﻫ

للشيخ محمد رجب البيومي

كان للشعر والغناء في الدولة العباسية سوق رائجة ، فما ينظم شاعر قصيدة ، أو يبدع مغن صوتاً ، حتى تتطلع إليه الأنظار ويتصل ذكره بالرؤساء والأعيان فتخلع عليه الهبات الوافرة وتهدى إليه المنح الجزيلة ، وقد يطير ذكره إلى الخليفة ، فيقربه من ساحته ، ويسمر معه في أطيب أوقاته ، حتى يكون نديمه المحظوظ ، وصفيه المختار .

لذلك أكب الناشئون على الأدب ، يقيدون شوارده ، ويقتنصون فرائده ، فحفلت بهم المجالس ، وأورثوا الثقافة العربية ثروة خلدت العصر العباسي في سجل التاريخ حتى لا يكاد يوجد نظيره في شتى عهود العربية وقد توالت عليها السنون وامتدت بها الأحقاب .

ولقد كان أبو الحسن أحمد بن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي أحد هؤلاء الذين أوتوا نصيباً وافراً من المعرفة ، فقد سلخ من عمره وقتاً مديداً في البحث والدراسة حتى استطاع أن يكون عالماً متعدد الثقافة ، ومؤلفاً غزير المادة ، وشاعراً خفيف الظل ثم هو بعد ذلك مغن بارع تحن إليه المسامع وتتعلق به القلوب .

انحدر أبو الحسن — وقد اشتهر بجحظة — من سلالة البرامكة فحرص جهده على أن يكون بعيداً عن المزالق السياسية كيلا تحوم حوله الشبهة فيؤخذ بجريرة آبائه وأجداده ، لا سيما وقد وجد في عصر أهدرت فيه دماء الساسة ، وتناثرت أشلاء القادة من وزراء ورؤساء ، بل لقد انتقل الخطر إلى أمراء المؤمنين فكان الخليفة يهوى في ليلة واحدة من القصر إلى القبر ، وحسبك أن تعلم أن جحظة قد شهد في مدى عمره عشرة خلفاء فارقوا تيجانهم ما بين قتيل وجريح .

ولم يستطع أبو الحسن أن يستفيد من أدبه وغنائه كما استفاد غيره لأنه كان ذا نمط خاص في حياته فلم يسر في ركاب أمير ، ولم يجامل عظيما ، والرؤساء في كل زمان ومكان لا يجزلون حباءهم الوافر إلا لمن يجبر فيهم المدائح الطويلة ، لاهجاً بالثناء عليهم في غدوه ورواحه ، ولهذا كان الشاعر يشكو من دهره ، ويعجب من حرمانه ، أضف إلى ذلك ما وقر في نفسه من أنه سليل البرامكة ذوي الأموال المصادرة ، والتراث السليب ، وهو بعد ذلك فقير معدم تسأله عن حاله فيجيب .

لست الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
أنا الذي دينه إسعاف نائله ... والفقر يعرفه والبؤس والعدم
أنا الذي حب أهل البيت أفقره ... فالعدل مستعبر والجوْر مبتسم

وكأن السياسة قد حرمت عليه أن يتمدح بآبائه وأهله فكان يعاني من ذلك هما ناصباً وشجنا مبرّحاً ، وقد ينفجر صبره فيسفر عن مراده في وضوح ، ويروح عن نفسه فيقول :

أنا ابن أناس موّل الناس جودهم ... فلم يخل من أحسانهم بطن دفتر

ولقد كان الغناء يدر عليه بعض الخير والنعمة ولكنه مسرف متلاف لا يبقى على شيء فهو في حاجة ماسة إلى العطاء المتواصل ، والغريب أنه ابتلى بمن يغنّيه فيكتب إليه رقاعاً عديدة دون أن يأذن بصرف واحدة منها وقد يكون جحظة في ضيق من عيشه فيملن إليه تبرمه إذ يقول :

إذا كانت صلاتكمو رقاعاً ... تُخطّط بالأنامل والأكف
ولم تكن الرقاع تجر نفعاً ... فها خطى خذوه بألف ألف

وشر من ذلك أن يغني جماعة فيقولون له أحسنت ثم لا يعطونه قليلا أو كثيراً وهو ينتظر أن يحظى ببعض ما يتمتع به زملاؤه المغنون من منح وهبات فلا يسعه إلا أن يعبر عن هذه الحقيقة المريرة فيهتف .

لي صديق مغرى بقربي وشدوى ... وله عند ذاك وجه صفيق
قوله إن شدوت أحسنت زدني ... وبأحسنت لا يباع الدقيق

ولقد دفعه ضيق يده إلى التهافت على موائد الخلان والأصدقاء فكان لا يترك صاحباً إلا لجمه في مأكله ومشربه ، فإذا صادف منه بشراً وابتساماً سكت عنه ، وإذا لمح في وجهه عبوساً سلقه بهجائه المقذع ، وأخذ يشهر به في كل مكان ، راوياً عن بُخله ما يُمتع من النوادر المضحكة كأن يقول « سلمت على بعض الرؤساء وكان مُبخلا فلما أردت الانصراف قال لي يا أبا الحسن ماذا تقول في أكل القطائف ؟ فقلت ما آبي ذلك ، فأحضر لي

جاماً فيه قطائف فأوغلت فيها وصادفت منى سغبة ، وهو ينظر إلىّ شزراً فقال يا أبا الحسن إن القطائف إن كانت بجوز أتخمتك ، أو كانت بلوز أبشمتك ، فتعجبت من شأنه ، وقلت فى أمره .

دعانى صديق لى لأكل القطائف فأمعنت فيها آمناً غير خائف
فقال وقد أوجعت بالأكل بطنه رويدك مهلا فهى إحدى المتالف
فقلت له ما إن سمعنا بهالك ينادى عليه يا قتيل القطائف

لذلك تجد أكثر معارفه قد أقفلوا أبوابهم فى وجهه حذراً من لسانه كما نهوا على الحجاب أن يصرفوه بمجرد رؤيته ، وجحظة يعلم جيداً ما يبطنون له ، فيشنع عليهم فى تهكم يصل به إلى الوقاحة والتبجح فيقول :

ولى صاحب زرته للسلام فقابلنى بالحجاب الصراح
وقالوا تغيب عن داره لخوف غريم ملح وقاح
ولو كان عن داره غائباً لأدخلنى أهله للنكاح

وكان إذا امتدت الموائد لا يرحم معدته بل يأخذ على نفسه عهداً أن يبتلع ما تقع عينه عليه ، وقد بلغ من بعض البخلاء أن ضربه فأوجعه لما صادف من نهمه الزائد ، فقد دخل على هرون ابن عريب فقدم إليه « مضيرة » فأوغل فيها إيغالا جعل ابن عريب يقول له : جعلتُ فداك أنت عليل ، وبدنك نحيل ، والعصب ثقيل . فأجابه النهم فى تهكم ! والعظيم الجليل ، المفضل النبيل ، لا أترك منها الكثير ولا القليل . فغضب هرون وضربه عشرين مقرعة ، ولم يترك جحظة حادثته تمر بل سجلها فى شعره فقال :

ولى صاحب لا قدس الله روحه وكان من الخيرات غير قريب
أكلت طعاماً عنده فى مضيرة فيا لك من يوم علىّ عصيب

ومهما يكن من شىء فنى هذه الأخبار ما يدل على كلفه بالطعام ولا ريب فقد كان فيه يستولى على جانب كبير من إنتاجه وتأليفه ، ولم يقتصر على ما ترنم به من الشعر فى هذا الباب بل ألف كتباً خاصة ذات فصول وعناوين ، والذى يقرأ هجاءه للبخلاء يعتقد أنه كان على شىء من الكرم فى بيته ، والحقيقة أن أبا الحسن ممن اشتهروا بالكزازة والشح فقد طار له فى هذا الباب صيت بعيد ، قال أبو على الأعرابى : كنت فى بيت جحظة فدخل علينا رجل من البادية ونحن نأكل فدعوناه وكان طاوى تسع ، فأتى على القصعة ونحن نرمقهما ونضحك ، فلما فرغ من مضغه قال له جحظة أتلعب معي النرد ؟ قال نعم فوضعاه بينهما ولعبا فانهزم جحظة هزيمة لم تمهد له ، فأخرج رأسه من الخيمة ورفع يده إلى السماء قائلاً : لعمرى إنى لأستحق هذا لأنى أشبع من أجاعه الله .

هذا وقد أوقعه شرهه فى مضحكات غريبة فقد كان يتحين الخلوة فى رمضان ليشبع جوفه ، وأحياناً يذهب إلى المرحاض وفى كمه كسرات من الخبز يلوكها فى غفلة من العيون ، قال الحسن البغدادى : كان جحظة عند أبى يوماً فى شهر رمضان فأجلسته فلما انتصف النهار سرق رغيفاً ودخل المستراح ، واتفق أن دخل أبى فرآه فاستعظم ذلكّ وقال ما هذا يا أبا الحسن ؟ فقال أفّ لبنات وردان ما تأكل . وبنت وردان دويبة كالخنفساء توجد كثيراً بالمستراح .

وغير كثير على جحظة أن يفعل ذلك فقد كان من المستهترين بالدين إلى أبعد حد وأقصاه ، فهو يشرب الخمر ، ويأتى المحرمات ويتعرض للنساء مع أن الله قد منحه من الدمامة قسطاً لا يحتمل معه تماجن وخلاعة ، وقد سماه ابن المعتز بجحظة لنتوء قبيح فى عينه قد شوه سحنته حتى ضُرب بها المثل

وكان فوق ذلك قذر الثياب ، رث الأردان ، مع أنه كان يغشى المحافل العامة ويتصدر منتديات السمر ، وكذلك كان من معارفه البحترى وأبو الفرج ، ولست أفهم لذلك علة غير أن هؤلاء وأمثالهم ربما أرادوا أن يحاربوا ما شاع ببغداد من الترف الفاحش فى الزىّ والملابس ، فدفعتهم المغالاة إلى ما صاروا عليه من قذارة وحطة ، وإلا فلو كان جحظة قد اضطر إلى ذلك لفقره المدقع فلماذا أصر الوليد وأبو الفرج على ما كانا عليه من رثاثة وامتهان

(البقية فى العدد القادم)

محمد رجب البيومي

هل نملك تحريم تعدد الزوجات ؟

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

(تتمة)

وأقول رداً على هذا الدفع أنه بغض النظر عما إذا كان التعدد فى ذاته من حيث المبدأ خصوصية للنبى أو أن الزيادة على الأربع فيه هى وحدها الخصوصية فإن ما سبق أن سقته من الإشارة إلى الأحاديث المذكورة إنما كان للاستدلال على أن المولى جل شأنه لم يكلف إلا بالعدل المستطاع بين الزوجات المتعددات ، وقد رددت فيما تقدم على ماذكره معاليه من أن ذلك كان حكماً وقتياً . أما قوله إن النبى قد أعفى من تكليف العدل فجوابه أنه ثابت بالآثار المستفيضة أنه كان عليه السلام يحافظ على القسم بين زوجاته بالرغم من رفع التكليف عنه بذلك . وقد بين عليه السلام القسم على النحو الوارد فى تلك الأحاديث فوجب على المسلمين الإقتداء به فى ذلك . ويؤيد هذا الآثار الواردة عن بعض الصحابة — ومنهم عمر رضى الله عنه وهو من علم تشدده فى مراعاة أحكام الدين — بعمنى القسم على النحو الوارد فى السنة مما يدل على أنهم كانوا يرون أنهم غير مكلفين إلا بما كلف نفسه به النبى من العدل المستطاع . هذا وقد ختم معالى الباشا رده على الاعتراض المذكور ، بمعارضته بأنه إن فرض أن آية (وأن خفتم إلا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا) مسوقة للتصريح بتعديد النساء إلى أربع فقط فإنها تقرر أيضاً وجوب الاقتصار على الواحدة عند خوف عدم العدل فلماذا لم يأمر النبى الناس بمفارقة ما زاد على واحدة لأن خوف عدم العدل يملأ كل نفس حتى نفس النبى ، واقتصر على أمرهم بما هو مقتضى الشق الأول من النص أى بعدم الزيادة على الأربع وأردف هذه المعارضة بقوله « أن هذا يجعلنا نرتاب أشد الارتياب فى صدق تلك الأحاديث التى يحتجون بها »

والحقيقة أن ليس فيما أورده أية مدعاة للارتياب لأنه إن أراد بالعدل هنا العدل المستطاع فليس مرد القول بالخوف من عدمه إلى النبى بالنظر إلى غيره ، وإنما مرده إلى الشخص نفسه وما يشعر به من قدرته أو عدمها على أجراء هذا العدل ، وهذه مسألة نسبية تختلف باختلاف الأشخاص وأحوال كل وظروفه ، فلم يكن للنبى إذن ما يأمر به فيها زيادة على ما ورد فى الكتابة وقد كان عليه السلام يقول فى مثل هذه الأمور « سل قلبك ولو أفتوك » . أما أن أراد به العدل المطلق (وهو ما يظهر أنه مراده بدليل قوله أن الخوف من عدمه كان يملأ قلب النبى نفسه) فإن معارضته مدفوعة حينئذ بأنها مصادرة على المطلوب على الوجه الذى بينته فيما تقدم ، وفيها — عدا ذلك — حجة عليه لاله ، وهى أن عدم ورود أمر من النبى للناس بمفارقة ما زاد على الواحدة عند نزول الآية دليل على أن العدل المشروط فيها لجواز التعدد ليس هو العدل المطلق والا لأمر بمفارقة ما زاد على الواحدة للقطع بخوف الجميع عدم هذا العدل .

١٢ — *الاعتراض الرابع*

إن الأمة قاطبة قد أجمعت قولاً وعملاً منذ عصر النبوة حتى اليوم على حل تعدد الزوجات فى الإسلام ؛ فهل كانوا جميعاً بما فيهم الصحابة والخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم غير عالمين ولا فاهمين لحقيقة ما ورد به الشرع من تحريم ذلك ؟ أم كانوا محلين لما حرّم الله ؟

وقد حاول معالى الباشا دفع هذا الاعتراض بأن الإجماع الذى يسرى على المسلم ديانة له صور ثلاث : الأولى أن يقوم فى أساسه على نصوص قرآنية مسلم بصحة قيامه عليها مباشرة أو بطريق القياس الصحيح . والثانية أن يقوم على سنة نبوية يطمئن الضمير على صحتها وإلى صحة قيامه عليها مباشرة أو بالقياس الصحيح كذلك . والثالثة أن يكون إقراراً من الناس كافة لمادة من المباحات لم يأمر بها كتاب ولا سنة ولم يمنع منها كتاب ولا سنة لا مباشرة ولا بالقياس . وهذه الصورة الثالثة هى التى يصح أن يطلق عليها اصطلاح (الإجماع) أما الصورتان الأولى والثانيـة فإن الدليل الشرعى فيهما ليس هو إجماع الناس إنما هو نص الكتاب أو السنة أو القياس الصحيح على نص أيهما . والمسألة التى نحن بصددها غير مقول أن فيها إجماعاً من قبيل الاصطلاح المذكور بالصورة الثالثة ؛ بل يقولون أن الإجماع فيها قائم على العمل مباشرة بقوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثُلاث ورُباع) وقوله من بعد (فلا تميلوا كلّ الميل فتذروها كالمعلقة) ولا شك أن الحكم ما دام مرده إلى النص فإن لكل مسلم وإن

انصاع قضاء للاجماع المرتب عليه؛ أن يعترض ويبين ما يعتقده فى الأساس من خطأ التأويل .

وردُّى على هـذا الدفع أن المتفق عليه بين القائلين بحجية الإجماع — وهم جمهور مجتهدى الأمة المعتد بآرائهم فى ذلك — تأييدها بما جرى عليه العمل فعلاً فى عهد الصحابة من الاحتجاج بالإجماع والتقيد بما أقره من أحكام — أنه لابد أن يكون له سند من النص أو القياس بمعناه الواسع الشامل للاستنباط من عمومات الشريعة .

وعلى ذلك فالصورتان الأولى والثانية من الصور الثلاث التى ذكرها الباشا هى من صور الإجماع لامحالة ؛ وثمرة وجود الإجماع فى هاتين الصورتين — إلى جانب سنده من النص أو القياس عليه — أن هذا السند قد يكون ظنى الثبوت (كما هو الحال بالنسبة لأحاديث الآحاد ومعظم السنن منها كما هو معروف) وقد يكون ظنى الدلالة (كما هو الشأن فى النصوص المحتملة بظاهرها لأكثر من معنى واحد ، وكما هو الشأن فى القياس) وقد يكون ظنى الثبوت والدلالة معاً (كما هو الشأن فى بعض أحاديث الآحاد التى تحتمل بظاهرها أكثر من معنى واحد ؛ أو التى يظهر بينها وبين نصوص أخرى من الكتاب أو السنة وجه تعارض) والإجماع حجة قاطعة ؛ فإذا ما أقر فى عصر من العصور حُكماً مستنبطاً من النص نفسه أو مقيساً عليه أصبح هذا الحكم مما تحرم مخالفته ولا يكون النص بعد ذلك محل اجتهاد ، فلا يحل بعد ذلك لمسلم مخالفته بدعوى أن سند الإجماع محل اجتهاد ، وإنما يحل فى هذه الحالة قبل انعقاد الإجماع .

هذه هى ثمرة وجود الإجماع مع النص ؛ فهو — إذا سلم معنا الباشا بحجيته وانعقاده فى هذا الموضوع — مانع لمعاليه من التأول فيما تأول فيه من النصوص بما يخالف ذلك الإجماع ، ومانع للمسلمين كافة من الأخذ برأيه فى ذلك إن هو أصر عليه بعد هذا البيان .

هذا ولا يفوتنى أن أنبه هنا إلى ما هو الحق فى نقطة أثارها الباشا فى بحثه ومن شأنها أن توجب بعض اللبس على الناس فى صحة انعقاد الإجماع على هذه المسألة ، فقد قرر أن بعض المتطرفين قالوا بجواز التعدد إلى تسع وبعضهم إلى ثمانى عشرة مستندين إلى تفسيرهم لعبارة (مثنى وثلاث ورباع) بما يوافق ذلك .

والحق أنه لم يُنقل عن أحد من الصحابة مثل هذا القول بل كل ما نقل عنهم يفيد العكس أى أن الحكم الشرعى جواز التعدد إلى الأربع فحسب . فإجماعهم إذن لم يخرقه أحد ، وقد قررت ذلك صراحة معظم كتب الحديث والتفسير فليرجع إليها من يشاء كما نقل هذا الإجماع عدة من الثقات فى هذا الباب . أما مخالفة ذلك النفر ممن سلم الباشا بتطرفهم وسفه رأيهم ؛ فهى — إن ثبتت — فلا يعتد بها فى خرق الإجماع المذكور لأنهم وجدوا بعد انعقاد الإجماع على هذه المسألة واستقراره بانتهاء العصر الذى انعقد فيه ؛ وذلك لأن هذا الرأى منسوب إلى بعض الظاهرية وهؤلاء لم يوجدوا إلا بعد عصر الصحابة . على أن شيوخ هذا المذهب أنكروا صدور هذا الرأى عن أحد ممن ينتمون إليهم ؛ فثبوت قولهم به إذن محل نظر . وحتى على التسليم جدلاً بأن خلافهم ثابت وأنه قادح فى هذا الإجماع ؛ فإن قدحه لا يتناول منه إلا إفادة الآية لتقييد التعدد بالأربع ؛ فهو يمس ناحية الحظر فى التعدد لا ناحية الإباحة التى تظل بعد ذلك قدراً متفقاً على انعقاد الإجماع على دلالة الآية عليه ، وهو ما يخالف رأى الباشا القائم على الحظر وعلى أن عبارة (مثنى وثلاث ورُباع) مفيدة بظاهرها الإباحة المطلقة للتعدد الجزاف وإنها — مع ذلك — ليس مقصوداً بها حل التعدد مطلقاً ولا تفيد هذا الحكم بحقيقتها ، فرأيه إذن مخالف للقدر المتفق على انعقاد الإجماع عليه قطعاً فى جميع العصور ...

ولمعالى الباشا أيضاً فى دفع هـذا الاعتراض — فيما يتصل بالاجماع الملى قصة عجيبة مسلسلة الحلقات قوامها أن فترة الإسلام الأولى منذ الهجرة حتى آخر الدولة الأموية كانت عهداً مليئاً بحروب المسلمين وفتوحاتهم «والجنود فى كل أمة يدللون ويتجاوز لهم عن كثير من الآثام فى مقابل أنهم وهبوا حياتهم .... » والشباب من جند المسلمين كانت تتنبه فيهم الغريزة الجنسية فى فترات الفراغ والراحة بين الواقع الحربية ولا سبيل لهم إلى إجابة داعيها بغير التزوج لأن الزنا محرم « لكنهم كانوا » إذا أراد الواحد منهم بعد إحدى الوقائع أن يتزوج فوق من تزوجها بعد واقعة سابقة — كانوا يجدون قوله تعالى (فان خفتم ألا تعدلوا

فواحده) مانعاً من التعديد ... ولكنهم من جهة أخرى يعرفون أن آباءهم وأجدادهم المسلمين متزوجون قبل وفاة النبي (أو كانوا فى حياته وقبل وفاتهم هم متزوجين) بعدة من النساء ليس عليهم (أو ما كان عليهم) إلا العدل بينهن بقدر الاستطاعة عملا بقوله تعالى فلا تميلوا — الآية ، فيتأففون لسلبهم ميزة التعدد لمجرد تأخرهم فى الوجود عمن أبقيت لهم هذه الميزة وهؤلاء كانوا من القاعدين عن القتال لتقدم السن بهم ، لذلك كان الشباب المجاهدون يرون أنفسهم أجدر بهذه الميزة ممن خصوا بها مما دفعهم « إلى التحلل من حكم الآية ، وإلى تعديد النساء واغتفر أولو الحل والعقد للجنود هذا التجاوز ... وبديهى أن السياسة الشرعية ما كانت تأبى هذا الاغتفار لأن النفع الذى كان يحدث للدين الاسلامى من استرضاء الجندى وتحصينه من الزنا أكثر بكثير من إثم التعديد »

« استمر الجنود إذن على التعديد كما إخال ، ولكنهم فى داخل ضمائرهم لم ينسوا أنهم لا يستطيعون العدل وأن واجبهم ديانة الاقتصار على واحدة ، فما العمل ؟ لم يعدموا من يهون عليهم هذا الوضع بالحيل الشرعية » فتلمسها لهم المتلمسون فى لفظ (رباع) فى الآية وحللوا لهم الأربع وألزموهم الوقوف عندها وكان لهم فى السبيات الجميلات اللاتى توزعوهن ملكا لهم ما يغنى عن التزوج زيادة عن الأربع بالمهيرات الثقيلات النفقة من الحرائر « ولولا هذه الظروف المسهلة لما تنازل الجنود عن التعديد ولاستحلوه إلى ما فوق الأربع ولوجدوا من يميلهم على هذا ... »

« ولقد يخيل إلى (هذا نص كلام معاليه) » أن أولئك الجنود الذين استنوا تلك السنة قدشايعهم عليها أهلوهم « المتخلفون عن القتال ممن كان ساريا عليهم حكم (فلا تميلوا) والذين كانوا — مع ذلك — بحاجة إلى « الاستزادة من الأزواج فوق الواحدة الباقية ممن كن عندهم وقت نزول هذه العبارة ، فكان من مصلحة الجميع المبادرة إلى تحبيذ سنة الجنود وإلى تعميمها والسياسة الشرعية أيضاً كانت ترى المصلحة فى هذه المناصرة ، وذلك لأن الحرب تهلك الجنود وتقلل عدد الواطنين ، ومن الواجب التغاضى عن العمل بالواحدة فى حق المتخلفين (أى عن القتال) وإباحة تعديد زوجاتهم بزيادة النسل ... »

« استمرت إذن عادة الأربع ... ودامت بدوام الحروب والثورات فى القرنين الأول والثانى » فلما جاء عصر التدوين فى آخر الثانى وأوائل الثالث كانت قد صارت من التقاليد القديمة المستقرة المحببة إلى المسلمين والملائمة لغرائزهم الموروثة ... فاضطر الفقهاء فى كثير من الجهات إلى مسايرتها وتدوين الواقع من متابعة الناس لها وتساهلوا فى تأويل سندها القرآنى كما تساهل فيه المحاربون الأولون .. وما كان فى استطاعتهم غير هذا خصوصاً وليست المسألة من العقائد التى تدعو إلى التحرج ونبذ المسايرات »

ذلك تلخيص القصة التى أوردها معاليه لما قصد دفعه من هذا الاعتراض وقد أدعمنا هذا التلخيص بنصوص كلامه نفسها كيلا يتسرب إلى القراء أدنى شك فى صحة نقلنا ، وندع لحضراتهم بعد ذلك الحكم على قيمة هذا الاتهام الخطير الذى تناول بالتأثيم — على الأقل — جميع الصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين وتابعيهم والأئمة المجتهدين وفقهاء المذاهب فى جميع الأزمنة والعصور ، إن لم يكن بارتكاب المحرم فباقراره بالتغاضى والسكوت عنه طوراً وابتكار الحيل التأويلية للنصوص طوراً آخر، ثم بنشر ذلك على الناس أخيراً فى عهد التدوين على أنه حكم الله فى هذا الموضوع متغافلين — طبعاً — عن أنهم مسؤولون أمام الله عما أحدثوه من هذا الحدث الخطير وهذه « الجريمة المستمرة » فى الإسلام بالخرق لأحكامه وتقريرهم الحرام للناس على أنه حكم الله فيما أحل ليتبعوه فاتبعوه فعلا — فى رأى معالى الباشا حتى يومنا هذا ، ومتغافلين عن القاعدة التى قرروها استنباطا من عمومات الشريعة وهى أن « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » وعما توعد به الله من يحكم بالهوى وبغير ما أنزله

وإنما قلت فيما تقدم أن رأى الباشا يتناول بالتأثيم جميع من ذكرت « على الأقل » لأن الوقائع الحربية لم تبدأ منذ عهد الصحابة بل بدأت فى عهد النبى عليه السلام كما هو معروف ...

وأخيراً أدع لحضرات القراء الحكم على رأى هذا سناده فى تأويل القرآن بما يخالف المتفق عليه فى تفسيره ، ورد السنن المؤيدة لهذا التفسير ، وتسفيه الإجماع المقرر لكل ذلك قولا وعملا . والله أحكم الحاكمين .

ابراهيم زكي الدين بدوى
المتخصص فى الشريعة الاسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

زواج تولســـتوى (*)

للأستاذ محمود الخفيف

— ١ —

كان الطبيب بيرز يعيش وأسرته عيشة راضية فى موسكو منذ أن تزوج سنة ١٧٤٢ وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره بالآنسة ليوبوف إسلافين ، وكانت فتاة فى السادسة عشرة ...

كان هذا الطبيب الألمانى الأصل موفور الرزق بما كان يكسب من حرفته ومن وظيفته فى بلاد القيصر ؛ وإن لم يك من ذوى الثراء الواسع ؛ وكان له ولأسرته مكانة اجتماعية مردها إلى منصبه الرسمى الذى حصل فيه على لقب النبل جزاءاً على خدماته فى القصر الإمبراطورى ...

وقد أنجبت الزوجة الفتية لبعلها حتى سنة ١٨٦٢ ثلاث عشرة عاش منهم ثمانية ، ومن هؤلاء ثلاث بنات كانت كبراهن واسمها إليزابث فى التاسعة عشرة ، ويليها سوفيا وهى دونها بسنة ، ثم تاتيانا وهى دون سوفيا بسنتين ...

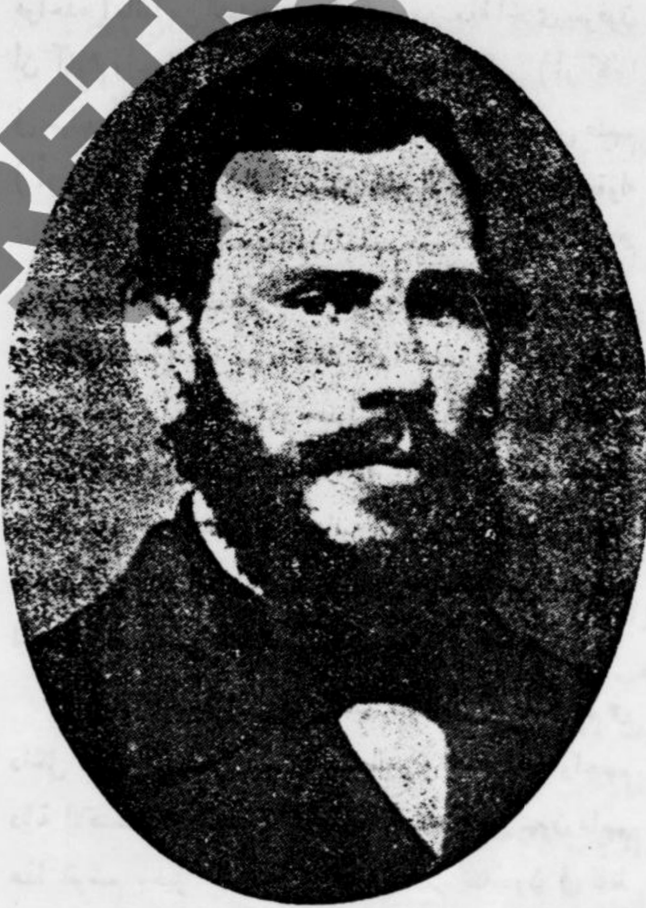
ولم تكن زوجة الطبيب بيرز إلا تلك البنت التى أحبها تولستوى وهو طفل ، والتى أدت به الغيرة ، ذات يوم ، إلى أن يدفعها من شرفة فأصابها بالعرج زمناً غير قصير ؛ لم تكن إلا إسلنيف الصغيرة التى عاشت فى كنف أبيه ، وقد ولدتها أمها لرجل يدعى الاسكندر إسلنيف عاشت معه بعد أن هجرت زوجها ولم تستطع أن تحصل منه على الطلاق .

وقد تعلم البنات فى البيت على أيدى معلمين ومعلمات من ألمان وفرنسيين ، وكان أبوهن يعدهن ليكسبن قوتهن بعملهن ، ولذلك كن يتعلمن ليكن معلمات ...

وقرأ البنات ، وبخاصة سوفيا ، كثيراً من الكتب . وكان لقصة ترجنيف الآباء والأبناء أثر عظيم فى نفوسهن ، وقد اشتد عطفهن على بطل القصة بازاروف .

وفى ربيع سنة ١٨٦١ نجحت أليزابث وسوفيا فى امتحان تبيح لهما الالتحاق بجامعة موسكو .

(*) فصل من كتاب « تولستوى » الذى سوف تقدمه إلى المكتبة العربية قريباً « مطبعة الرسالة »



تولستوى قبيل زواجه

وكان البنات فى غير أوقات الدروس يخطن ويطرزن وينظفن المنزل ويقمن على مختلف شؤونه ، ويعلمن إخوتهن الصغار ؛ ولم يكن يكدر عليهن صفو حياتهن إلا ما يكون أحياناً من غضب أبيهن ، ولكنهن لم يرين أمهن الصبور الهادئة كيف تحتال بكل حيلة لتفثأ غضبه . فأثر ذلك فيهن أثراً حميداً .

كانت أليزابث كبرى البنات فتاة طويلة القامة ، ساحرة العينين ، فى ملامحها كثير من الجد والسكون ؛ وكانت هادئة باردة الطبع ، قليلة النشاط نوعاً ما ؛ وكانت أعمال البيت تضايقها وتثير فى نفسها الاشمئزاز ، ولعل مرد ذلك إلى كسلها وإلى رغبتها فى القراءة ؛ فكثيراً ما كان يرى فى يدها كتاب ، لا تكاد تفرغ من عمل حتى تعود إليه ..

وكانت تانيا صغراهن على نقيض أليزابث ، فتاة لعوبا مرحة لا تفتأ تثب هنا وهناك حتى لتملأ البيت كله بضحكها وصوتها الساحر الجميل . وكانت تسمى فى البيت « الشيطانة الصغيرة » ، وكان لها ولع بالموسيقى ، وكانت متقدة العاطفة ؛ تملأ قلبها حرارة الشباب ، تحب صاحباتها فتستغرق فى الحب ، ولا تنى

تظهر لكل من يراها إعجابها بنفسها وفرط إحساسها بذاتها .

وكانت وسطاهن صوفيا ، أو سونيا كما كانت تسمى فى البيت ، وسطاً بين أختيها : تميل إلى تاتيانا وتحب مرحها وتنكر من إليزابث سكونها وانطواءها على نفسها .

وكانت سونيا موفورة العافية ، نشطة متوردة الوجنتين ، براقة العينين ؛ وكانت ذات جمال وفتنة وبخاصة عيناها الواسعتان الرماديتان ...

ولئن كانت تحب صوفيا مرح أختها تاتيانا ، إلا أنها كانت تحس أبداً أن هاجسا خفياً لا تدريه ولا تنكره يوحى إليها شيئاً من الحزن المبهم الذى يشوب مرحها دائماً ، فلا تحس سروراً إلا أحست معه شيئاً من الحزن ؛ كتبت لتاتيانا ذات مرة تقول « إن تلك الوهبة التى تحسدين عليها وهى الاستمتاع بكل شىء وبكل شخص بارزة فيك كل البروز ، أما أنا فعلى عكس ذلك ، إذ أجد ثمة شيئاً حزيناً فى كل مرح وكل سعادة » .

وكانت سونيا رحيمة بأخوتها ، تؤدى عمل البيت فى غير ضجر أو كلال ؛ وكانت مولعة بالأدب والتصوير والموسيقى ؛ وقد احتفظت منذ الحادية عشرة بدفتر تثبت فيه ملاحظاتها ؛ وقد جاء فيه عن قراءتها قولها « لقد أحدث كل من « عهد الطفولة لتولستوى ودافيد كوبر فيلد لدكنز فى نفسى أعظم الأثر ، ولقد بكيت حين فرغت من قراءة كوبر فيلد لأنى سوف أفترق عن أولئك الأشخاص الذين باتوا أعزاء إلى قلبى » .

وكان يغشى بيت بيرز كثير من الأضياف ، وبخاصة فى يومى السبت والأحد ، وكانت بنات الطبيب زينة الدار ، وكانت أمهن شديدة الرقابة عليهن تحدجهن حدج الملامة أمام الضيوف ، أو تنصح لهن بكلماتها إذا خلت إليهن ...

وأخذ البنات يغشين المجتمعات ويشهدن حفلات الرقص ويشاركن فيها ، وقد ذهب لهن صيت فى الجمال والظرف والرشاقة وحسن الذوق .

وكان أول من أعجب بسونيا معلمها الشاب ، ولكنها كانت لا تكترث له ، ولا تعبأ بتنهداته . وبينما كان بعينها على نقل مقعد إذ أمسك بيدها وقبلها ، فصاحت به كيف تجرؤ على ذلك ؟ ثم أرادت أن تريه مدى احتقارها إياه فمسحت بمنديلها موضع شفتيه من يدها ؛ ثم إنها أخبرت أمها بما فعل فلم تعفها من اللوم قائلة « لم لا تسلكين مسلك أختك إليزابث من الجد والاحتشام » وأبعد المعلم المسكين عن البيت ...

وأعجب بها بعده ضابط شاب ، وكان ينتمى إلى أسرة غنية يدعى پولفانوف ، وأحست سونيا انجذاباً نحوه ، ولما قبل يديها ذات مرة لم تغضب ولم تشمئز ، ولكنها أحست النشوة تشيع فى هيكلها كله وباتت تتوقع وتحلم ...

ولما هم بالرحيل صارحها برغبته فى أن يتزوجها ، وجعل لها الخيار أن تعدل عن رضائها إذا رضيت ، وذلك إذا اضطرته ظروف الحياة أن يغيب عنها . . . وأخذ أهلها هذا على أنه بعض عبث الشباب ...

***

كانت أول زيارة ذات بال من جانب تولستوى لأسرة بيرز سنة ١٨٥٦ ، وقد أشرنا إلى هذه الزيارة من قبل ، وقد أعدت المائدة له ولمن كان معه من الضيوف إليزابث أوليزا كما كانت تدعى وأختها سونيا ، وكانتا يومئذ طفلتين فلاعبهما تولستوى وضاحكهما وجلس بعد الطعام يقص عليهما القصص عن سباستبول وما كان من أنباء الحرب ، وكانتا قد قرأتا « عهد الطفولة » و « عهد الشباب » وسرهما ما جاء فى الكتابين عن جدهما لأمهما وقد كان كما ذكرنا صديقاً لأبيه ... وأحست البنتان سروراً عظيما لجلوسهما بين يدى الكاتب النابه ، وداخل تولستوى السرور مما أحس فى الأسرة كلها من هناءة وأعجب بالبنتين وأختهما الصغيرة وما أشمنه حولهن من مسرة ... ولقد أسرعت سونيا بعد رحيله إلى الكرسى الذى كان يجلس عليه فربطت فى رجله شريطاً لتعرفه ..

وفى سنة ١٨٦١ بعد عودته من رحلته الثانية إلى أوروبا ، زار تولستوى أسرة بيرز ، فأعجبه ما رأى من تغير البنات فقد غدون آنسات يغشين المجتمعات ويأخذن زينتهن فى كل مجتمع ؛ وتهفو إليهن أفئدة الشباب ...

وتحدث إلى ليزا حديثاً فى الأدب والدين وأفاض فى الكلام عن مدرسته ، وأوحى إليها أن تكتب شيئاً عن محمد النبى العربى وعن مارتن لوثر ؛ وجلس مع سونيا إلى البيان ، ولعب معها

الشطرنج؛ وعابث تانيا وضاحكها وقص عليها من قصصه ...

ولم يصرفه اهتمامه بمدرسته عن أسرة بيرز فأكثر من زيارتها، ورفعت الكلفة بينه وبينهم فكان يأتي إليهم في أي وقت وكأنه واحد منهم، وألفه البنات وألفهن، وكن يشرن إليه بقولهن «الكونت» وألفه كذلك خدم الدار وبات يحبه ويأنس بلقائه كل من يراه ...

وتحدث الناس أنه عما قريب سوف يخطب ليزا إلى أهلها، فقد قيل إنه ذكر لأخته مرة أنه إذا تزوج يوماً ما فستكون عروسه من آل بيرز ...

وبلغ حديث الناس آل بيرز فسرهم ذلك أبلغ السرور، ففي زعمهم أن ليزا خير من تصلح زوجة للكونت، وبات الأبوان يرتقبان الخطبة، وسمعت بذلك ليزا فزادت من عنايتها بمظهرها، وباتت تحلم أحلام الحب والسعادة وفي نفسها عن «الكونت» أنها قد شغفته حباً ...

ولكن تولستوي كان لا يحس في نفسه أنه يحبها، فقد جاء في مذكراته في شهر مايو سنة ١٨٦١ قوله «قضيت يوماً بهيجاً عند آل بيرز، يجب ألا أقدم على زواج ليزا» وقال في سبتمبر «إن إليزابث بيرز تغريني، ولكني لن أدع ذلك يحدث، فإن مجرد الإغراء الذي لا يصحبه أي شعور ما غير مجد».

وأحس أن سونيا تزداد كل يوم قرباً إلى قلبه، كما كانت تزداد حسناً، وأحست الفتاة زيادة اهتمامه بها، وكان صاحبها بوليفانوف قد غاب عنها غيبة تشبه القطيعة، وكانت تتوجد أحياناً، حتى لتجهش إذا خلت إلى نفسها. ولما رأت إقبال تولستوي عليها أحست مع حسرتها على صاحبها وحيرتها من مسلك الكونت، وباتت تسأل نفسها: أهو حقاً يحبها؟ ثم لا تلبث أن ترى أنها واهمة فتذكر بوليفانوف، ولكنها لا تكاد تلقى تولستوي حتى تملأ نفسها الحيرة.

وعرج تولستوي على موسكو في صيف سنة ١٨٦٢ وهو في طريقه إلى سمارا، فزار آل بيرز؛ وكانت سونيا يومئذ تميل بخيالها إلى تولستوي، ولا تكاد تذكر بوليفانوف، وكان يحس الكونت نحوها أن قد أخذ يمس قلبه الحب.

ولما قص تولستوي على الأسرة كيف اضطر إلى بيع قصته قبل أن يتمها أو يهذبها ليؤدي بثمنها دينه بعد خسارته في الميسر، لم تقو سونيا على حبس دموعها رثاء له وتألماً من مسلكه. ولما رحل عنهم كانت سونيا حزينة تطيل النظر صلواتها فدنت منها «الشيطانة الصغيرة» تانيا وسألتها في خبث «أتحبين الكونت يا سونيا؟» فأجابت أختها في دهشة «لست أدري ...»

ولما عاد تولستوي من سمارا إلى قريته والغضب ملء نفسه مما فعل الشرطة بداره ومدرسته، أنساه غضبه زيارة من زوجة بيرز ومعها بناتها في أجمل ملابسهن الصيفية لأخته ماري في ياسنايا بوليانا.

وشاع في نفسه السرور بهذه الزيارة، وكانت تراه عمته تاتيانا وأخته ماري وكأنه من فرط مرحه قد عاد إلى سن العشرين، وباتتا ترتقبان أن يطلب يد ليزا.

وبلغ من حفاوة تولستوي بالفتيات أن عمل مع الخدم في إعداد سرر نومهن بنفسه، وكن في الحجرة التي جعلت لهن يؤدين بعض ما يتطلبه هذا الأعداد وكم ضحكن في مرح وغبطة والتقت عينا تولستوي بعيني سونيا، وكانت بينهما نظرة طويلة وكأنه لم يرها إلا في هذه اللحظة فإن شيئاً يحسه ولا يدري كنهه يسري في هيكله كله، وإن عينيها لتحدثانه حديثاً يفهمه حتى كأنه الهمس، وإن عينيه كذلك لتحدثانها بكل ما في نفسه .. وضرجت الحمرة وجهها فأشردت نظرتها ولكن بعد ان نفذت إلى قلبه.

وزاره في اليوم التالي صديقه فت وبعض أصحابه فخرجوا مع البنات إلى الغابة وقضوا نهارهم في مرح كان البنات مهمته كما كن مبعث ما شاع حولهن من جمال وفتنة.

ولما رحلن إلى إفتسي حيث أرادت أمهن أن تزور أباها في ضيعة التي ورثها من أمها في هذه القرية التي كانت تبعد نحو أربعين ميلا عن ياسنايا، لم يطق تولستوي الوحشة بعدهن، فلحق بهن على جواد أبيض ونظرن فإذا به بينهن.

وكان القصر في افتسي حافلا بالضيوف، وكان عدد من السيدات والآنسات بينهن بنات بيرز يتهيأن للرقص، ولكن تولستوي كان في شغل بجاتوسوس به نفسه عما يدور حوله، وجلس يحدث رب الدار حديثاً كانت تكدره خلجات وجدانه،

ســـــلافان

محنة الفردية في الأدب المعاصر (١)

للأستاذ شكري محمد عياد

لا أعرف كاتباً صور محنة الفردية في هذا العصر كما صورها جورج ديهامل. ولك أن تقول: محنة الفردية، أو محنة الفرد حسبما يحلو لك من رغبة في التجريد الفلسفي، أو التخصيص الإنساني.. وأنت مصيب على الحالين، فهي محنة يعانيها الأفراد المثقفون اليوم، لا في فرنسا وحدها بل في كل بلد مسته الحضارة الصناعية والإنتاج بالجملة. ومصدر هذه المحنة إحساس هؤلاء المثقفين ذوى الذكاء اللامع أو الإحساس المرهف أو الخيال الوثاب بأن هذا المجتمع الحديث لم يعد محتاجاً إلى ذكائهم اللامع ولا إلى إحساسهم المرهف ولا إلى خيالهم الوثاب، بل لعله ينظر إلى هذه الأمور التي كانت تمدها الإنسانية من قبل ميزات نظرة الشك والارتياب لأنها أصبحت تمد في دنيا العمل عوائق ومعطلات. وهم يلاقون من ذلك عناء غير قليل، حتى ليضطرون إلى إحدى اثنتين: إما أن يستبدلوا بذواتهم الحساسة ذواتاً أخرى أشبه بالآلة في انتظامها ودقتها، وأكثر انطباقاً على ما يتطلبه المجتمع الحديث، وإما أن ينسوا أنهم أفراد، ويلقوا بأنفسهم إلقاء في جيش الساخطين على هذا المجتمع، المدين العدة لتغييره وفق ما يرونه الحق والصواب. وهم على الحالين لا يستطيعون الاحتفاظ بفرديتهم، ولا تحقيق ذواتهم، وقلما ينجون من هـذا القلق الذي ينوشهم من كل جانب، وقلما يصلون إلى حالة من السلام النفسي الذي ينشدونه. وأكثرهم ينطوون على أنفسهم، ويختبرون إحساساتهم، ويطعمون أحلامهم وآلامهم، وربما وجدوا في الألم لذة أكبر، لأنه لا يلوح لهم بأشياء مستحيلة، ولا يعرضهم لخيبة قاسية.

هذه الفرقة من الناس، إذاً، ظاهرة بارزة في الحياة الإنسانية لعصرنا الحاضر، يعني بهـا علماء الاجتماع، وعلماء النفس، والفلاسفة، والأخلاقيون، والأدباء، والفنانون. ولعل مما يزيد عنايتهم بها أن هذا الفريق من الناس هم الجمهور الأكبر من قراء الأدب والفلسفة، وأهل الفـكر، ومتذوقي الفن. فـكأن رجال الفـكر والفن إذ يعالجون مشـاكل هذا الفريق من الناس إنما يعالجون مشاكلهم هم أنفسهم في نطاق أوسع، وكأن هذا الجمهور إذ يطالع ما يكتبه له الأدباء والمفـكرون إنما يطالع على مشاكله الخاصة، وما يقدمون لها من حلول.

كتب جورج ديهامل سلسلة من خمس قصص تدور كلها حول محنة الفردية في العصر الحديث، أي حول التنافر بين الفرد ونفسه، وبين الفرد ومجتمعه. وابتدع في هذه شخصية « سلافان »، وهي شخصية لا تقل حياة ولا صدقاً ولا عمقاً عن شخصية « هملت » أو « دون كيشوت ». هي شخصية ذلك المثقف المرهف الحس الذي يلفظه المجتمع الحاضر، وتخنقه أوضاع الحياة التافهة العادية. على أن ديهامل لا يتخذ بطله من أولئك المثقفين ذوى الثقافة العالية المنظمة، ولا من أولئك المفـكرين السحابيين الذين يعيشون في أبراج عاجية، وإنما هو رجل من عامة الشعب، لم ينل ما اصطلح الناس على تسميته

(١) مقدمة لقصة « اعتراف منتصف الليل » جورج ديهامل — ترجمة عربية تظهر قريباً.

فإن كل شيء من مراح الشباب وزياطه يذكره بشبابه الذي ينطوي وروحه التي تخمد؛ وإنه ليحس وهو بعد في الرابعة والثلاثين كأن بينه وبين الشباب أمداً بعيداً.

وجلس غير بعيد يترقب ويغالب ما في نفسـه من حسرة، وجاءته سونيا تمشي على استحياء وقد حان وقت الرقص فقالت: ألا ترقص الآن؟ فأجابها وهو يخفي همه بابتسامة: إني اليوم أكبر سناً من أن أفعل ذلك..

وقد جـال باله في تلك الليلة إلى سونيا، يدور بعينيه إلى حيث تكون، وكانت سونيا تقابل نظراته بنظراتها وكأنما تقول له إنها تدرك ما في نفسه، وكان يحمر وجهها في صورة ملحوظة كلما دنت منه.

ولحظت ذلك عينا ليزا فأفلت منها زمام أعصـابها وقالت لأختها الصغرى، بعد الحفلة وهي تجهش: إن سونيا لتحاول أن تأخذ مني السكونت.. ألم ترى ذلك؟ إن مسلـكها وإن عينيها وإن رغبتها في أن تنفرد به، كل أولئك الآن يبدو جلياً...

(البقية في العدد القادم) محمود الخفيف

بالثقافة العالية ولا الثقافة الثانوية ، ولكنه قرأ كثيراً وفكر كثيراً .. يقول لصديق : « إننى فقير ، وقد كنت فقيراً دائماً ، فدرست كما يدرس الفقراء ، أعنى أننى درست دراسة فقيرة . وقد آلمنى ذلك وبخاصة فى السن التى يتألم فيها المرء لمثل هذه الأمور . ثم أخذت أثقف نفسى بنفسى ، وعلى قدر استطاعتى ، فأنا أعلم اليوم أكثر مما يعلمه غالبية البورجوازيين فى مثل سنى . ولكن الراجح أنى لم أتعلم هذه الأشياء بطريقة منظمة ، كما تقول . ومن ثم لا يعدنى الناس مثقفاً ، وأصدقك القول إننى مستنى العدوى من أفكار الناس عنى ، فأصبحت أشك أنا أيضاً فى ثقافتى . إنها لثقافة طيبة ، لا تخلو من رسوخ وغنى ، ولكنها ليست ثقافة « أصيلة » . لا ضير ! إننى مثابر على القراءة .

وهو يقضى سحابة نهاره فى بعض تلك المكاتب التى تؤوى عشرات أو مئات من طبقته ، يؤدون أعمالا تافهة . وهو مشغوف بالموسيقى يعالج النفخ بالناى ، ولكنه يقول عن نفسه : « والأمر المؤلم أننى لنقص الدربة والدراية والدرس أوقع بطريقة عاجزة صبيانية قطعاً أحسها إحساساً طيباً ؛ إذ ينبغى أن أقول - لأكون عادلا فى الحكم على نفسى — إنى مشغوف بالموسيقى ، وإنى أدين لها بأنبل مشاعرى . ولكنى حين أجاهد آلتى لا يبدو على أننى أفهم شيئاً مما أوقعه ، على حين أن أورين مثلا — وهو ينفخ فى الناى أيضاً — أورين هذا الذى لا يفهم شيئاً من الموسيقى ، ولكن له أصابع متمرنة ، يخيل إلى من يسمعه أنه مشبوب الوجدان » .

وقد تسأل : لماذا جعل ديهامل بطله مثقفاً عامياً وفناناً عاجزاً ، ولم يختره رجلا ممتازاً فى ثقافته أو فنه ؟ ألا يكون فى هذه الصورة الأخيرة أصدق تمثيلا لمشكلة المثقفين فى هذا العصر؟ ولكننى أذكرك بأمرين اثنين : أولهما أن ديهامل لا يعالج مشكلة المثقفين الممتازين وحدهم ، ولا مشكلة هؤلاء المثقفين الممتازين بوجه خاص ، بل مشكلة كل من يتغلب فيهم جانبا الفكر والوجدان على جانب العمل ، وطبيعى ألا يبلغ هؤلاء جميعاً رتبة العبقرية . والأمر الثانى أن القصة والأدب على العموم قد اتجها وجهة شعبية منذ ظهر المذهب الواقعى فى الأدب واتخذ موضوعاته من الحياة العادية ، حياة الناس العاديين . لم يبق الأدب تصويراً لحياة الأبطال وصراعهم ، بل أخذ أشخاصه من زحمة الحياة العادية التى تمج بصنوف المآسى والمساخر . ولعل هذا هو الأثر الخالد للمذهب الواقعى فى التراث الأدبى الإنسانى ، فما أظنه قد أصبح فى استطاعة الأدب فى حاضره أو مستقبله أن يترفع عن مشاكل جماهير الناس مهما تكن طبقتهم أو ثقافتهم أو نحلتهم ، ولا أن ينتزع العواطف الإنسانية من مجالها الطبيعى ، ليضعها فى إطار من العظمة المصنوعة . وقد ظهر المذهب الطبيعى وعميده زولا بعد المذهب الواقعى ، فزاد هذا الاتجاه بالأدب نحو الشعب قوة ووضوحاً . فديهامل محافظ إذاً على تراث الأدب الفرنسى الخالد ، وهو فى الوقت ذاته دقيق الإحساس بالمشكلة التى يعالجها حين يختار بطله نكرة من النكرات ، أو كما يقول هذا البطل عن نفسه :

« رجلا لا يختلف فى شىء عما ألفه الناس ، رجلا يشبه كل الرجال إلى حد مخيف ! »

ظهرت قصتنا Confession de Minuit — وهى الأولى فى مجموعة سلافان — سنة ١٩٢٠ ، ثم تلاها « رجلان » Deux Hommes سنة ١٩٢٤ ، و « يوميات سلافن » Journal de Salavin سنة ١٩٢٦ ، و « نادى ليونيه » le Club des lyonnais سنة ١٩٢٩ ، وأخيراً « كما هو » Tel zu'en lui méme سنة ١٩٣٢ . حلل ديهامل فى القصة الأولى عناصر التناقض بين الفرد ومجتمعه ، وبين واقع الفرد وآماله ، وبين أفكاره وأعماله . صور ذلك كله منعكساً على ذهن سلافان فهو لا يقص أحداثاً ، بل أفكاراً بلغت من قوتها وتمكنها مبلغ الأحداث ؛ فهى أحداث بالنسبة لصاحبها ، وهى مغامرات حقة تمسك أنفاسك وأنت تقرؤها ... أحداث هذه القصة لا تعدو أن سلافان يفصل من عمله على أثر حادثة يعدها الناس حمقاً منه وشذوذاً ، ويراها هو عملا ضروريا يرد إليه ثقته بأنه انسان يعيش بين أناس . وليس بعد ذلك إلا البطالة والتشرد والفاقة ، وأحلام الحرمان ، وأوهام القلب الوحيد .

وفى القصة التالية « رجلان » نرى سلافان الصديق ... نراه فى ضوء تلك الصلة النفسية العميقة التى تكشف من أسرار النفوس ما لا تكشفه الأفكار ولا الأحلام ولا الأوهام .

نظرات في الأدب العراقي

للأديب غائب طعمة فرمان

هل هناك أدب عراقي ؟

سؤال يسأله كثيرون ولا يظفرون له بجواب مقنع ، ولا برأى صائب صحيح .

أما الشيوخ فيزمون بشفاههم احتقاراً وسخرية ، ويهزون رؤوسهم محكا من السائل واستخفافاً بالسؤال ، فيكفرون بالواقع وينكرون على العراق أدبه ، وعلى الشباب يقظته ، وعلى الجيل الجديد رسالته ؛ ثم يلقون عليك المواعظ والأمثال ناعين لك الأدب ساخطين على شياطينه الجديدة .

أما الشبان فيرفعون رؤوسهم افتخاراً ، ويقرون بوجود أدب عراقي يواكب الحضارة ، ويتفق مع روح العصر الحاضر ، ويستجيب لضرورات الحياة الحاضرة ، وينظر إلى الوجود كينبوع يستمد منه الأدب إلهامه ، ويقتطف منه زهرات وحيه أما الأولون فغالون ، وأما الآخرون فغررورون .

والأدب لن يزول عن الوجود ما دامت هناك حياة ، وما دام هناك شعور بالحياة . فالوجود العامر بالشعور ، المكلل بأكاليل الحياة ، المتنعم بنعيم الإحساس لم يفقد الأدب ولن يفقده أبد الآبدين .

لأن الأدب — في أبسط مدلولاته — مجموعات تجارب حية يسجلها الفنان في ألفاظ ، ويرمز لها رموز ليستدل بها من رصيدها الكامن من الأحاسيس والمشاعر ··· وهنا يتحدد وجود الحياة ، ويترتب عليه إنشاء الفن .

وأخطل الرأى أن نتصور انعدام أدب أمة وهي ما زالت تتنعم بالحياة .

لأنك في ذلك تنكر وجودها ، وتسلبها نعمة الحياة ، أو تجعلها في رتبة الجماد سواء بسواء .

فلابدَّ من وجود أدب إذا وُجدت أمة ، لأنه لابد من وجود شعور إذا وجدت حياة . والأشياء المحيطة بنا ، الملازمة لنا ، نتأثر بها ، ونشعر بوجودها أو بمكان وجودها في مخيلتنا الواعية ؛ ولهذا كله كان الأدب قديم المولد قِدم الحياة ، واكب الإنسانية في تاريخها ، وصاحبها في نضالها ، ورسم لها صورة الكفاح مع الطبيعة .

وصديقه رجل لا يشبهه في شيء من الأشياء إذا كان سلافان مثال الرجل الذي لا ينسجم فكره وعمله فإدوار مثال الرجل الذي يقيس فكره على قدر عمله . وإذا كان سلافان مثال الرجل الساخط على وجوده فإدوار مثال الرجل الراضي عن وجوده . وإذا كان سلافان مثال الرجل الذي يزداد انحداراً كل يوم ، فإدوار مثال الرجل الناجح الذي يزداد كل يوم صعوداً . إدوار هو على الجملة صورة حية للمجتمع الحديث . هو الرجل الذي تخضع حياته لنظام لا يحيد أو لا يكاد يحيد . هو الرجل الذي يترجم جميع أفكاره إلى أعمال ، وجميع دوافعه ونوازعه إلى مصالح . هو الرجل الذي تنسجم رغباته مع واقع الحياة ، حتى لتحار أيهما يستجيب للآخر ··· أهو يكيف وجوده طبقاً لواقع حياته ، أم هي أحداث الحياة تتساق مع رغباته ؟ يعرف سلافان من مطعم كانا يترددان عليه وكأنه يحس فيه ضعفاً وعجزاً عن المضي في تيار الحياة الزاخر ، فيود لو يسنده بذراعه القوية ؛ ليزداد التذاذاً بقوته ··· ويقبل سلافان — بعد تردد — هذه اليد الممدودة إليه ، ويبذل له الصديق من جاهه وماله ، ويقبل سلافان هذه الهبات أيضاً ، ولكن على حساب كرامته وكبريائه ، حتى إذا ضاق صدره بعد سنين طوال من هذه الصداقة غير المتكافئة ، ثار على ما ألقى فيه من عبودية ، وفارق صاحبه فراقاً غير جميل .

والقصص الثلاث الأخيرة تصور صراع سلافان لتحقيق فرديته . فإنه لم يحدد بعد مطلبه من الحياة ، وإنما كانت نفسه أشبه بصندوق رنان ، كل عمله أنه يضخم الذبذبات التي تصل إليه من الخارج : ولكنه قد بدأ يحس نزوعاً إلى إكمال نفسه ، فصاحبه يقول له قبل أن يفارقه : « ما بك ؟ » فيجيب : « بي كل ما ليس بي ... أشياء لا تستطيع أن تمنحني إياها يا إدوار ... السلام . السعادة . روح خالدة . الله . »

(البقية في العدد القادم)

شكري محمد عياد

وبعض الناس لا يفرق بين وجود الأدب وازدهاره واكتمال أساليبه الفنية؛ فهم إذا قالوا: إن العراق ليس له أدب عنوا بذلك أنه لا يملك أدباً فنياً مزدهراً.

والحقيقة أن العراق – ككل أمة حية – لها أدب، ولكنه لم يكتمل بعد أساليبه الفنية، وأن الرواد الأولين عند ابتداء القرن العشرين يُذكرون بالاجلال والاحترام لا لأنهم ارتفعوا بالأدب العراقي إلى منزلته العليا، ولا لأنهم أصابوا حظاً عظيماً من التجديد، بل لأنهم عبّروا عن الجيل الناشئ، وواكبوا الشعب العراقي في قصة نضاله، وسجلوا آثاره وعواطفه وانفعالاته. ولم يتأخروا عن قافلة الحرية السائرة.

والعراق قريب عهد بنور الحضارة، وقريب عهد بنور الحرية وقريب عهد بعصر النضال والكفاح في سبيل السيادة الوطنية، والاستقلال الذاتي. وما زالت صور الاحتلال العثماني البغيض وتعسفه المؤلم، وأصداء الثورة العراقية ترن في الآذان، ولا زالت قصة الكفاح لنيل الحقوق كاملة، والاستمتاع بالحياة حرة، والانعتاق من القيود والأصفاد قصة الشعب العراقي المتكررة الباقية المعادة.

والعراق بلد الثورات والانتفاضات، ومهد الحرية الفكرية في عصر الإسلام الذهبي؛ والعراق عابد الحرية والاستقلال أبداً لأنه مجبول على الاستمتاع بها، والتضحية لأجلها. وتاريخ العراق سلسلة من الثورات الداخلية والخارجية، وسلسلة من التمرد والتحرر من الوضع القائم. وقصة الشكاية قصة الشعب العراقي التي ستبقى خالدة سرمدية، يشتكي من السلطان، ويشتكي من الطبيعة، ويشتكي من الحياة، ويشتكي من الناس جميعاً. ولن تنهى هذه الشكايات لأنها لازمة من لوازم طبعه أو التأمين على حياته.

فمنذ عهد مغرق في القدم كان العراق بركاناً للثورات، وناراً مضطرمة الأوار، لا تخمد نار ثورة إلا لتقوم مقامها ثورة أخرى؛ ففي العهد الإسلامي لم يهدأ في حقبة من الحقب ولم ينل منه الاستقرار أي منال. والخلفاء العباسيون لم يستطيعوا على رغم قوتهم ونفوذهم، وامتداد سلطانهم أن يهيمنوا على الوضع، ويسكتوا لهيب النار، فما فتئت الثورات تتوالى، والتمردات تتعاقب، وتراخي الزمن يزيدها عظمة واتساعاً.

والحال كانت أعظم اضطراباً، وأشد نكاية، وأكثر تلهباً عند ما زال نفوذ العباسيين، واضطرب حبل الأمن، وتناهبت الأمبراطورية الإسلامية أمارات، ودولة نشأت في بقع مختلفة، واشتد النزاع فيها على السيادة السياسية والفكرية، وطال الصراع ولم ينته إلا باجتياح العثمانيين الأمبراطورية المقطعة الأوصال الكثيرة الاضطراب.

والعهد العثماني مظلم كئيب، سارت فيه المأساة بخفوت وصمت، وامتلأت النفوس غيظاً، والقلوب حقداً على الترك المحتلين، ومقتاً لهم، وحباً للتخلص من تعسفهم وظلمهم.. ولم يسكت العراق عما يجول في ضميره، وعما يضطرم في قلبه من نوازع الحرية، ودوافع الثورة وما انفك يطالب بالإصلاح ويعلن سخطه على الولاة الظالمين.

وفي العهد الوطني لم يسكت العراقيون، وظلوا يطالبون بالحقوق، ويلهجون بالاستقلال التام، ويتحرقون للعدالة الاجتماعية والديمقراطية الصادقة. والحكومات تتوالى والوزارات تتبع الواحدة الأخرى، والشعب دائب على إعلان السخط..

فما سبب كل هذا؟

ما علة هذا التمرد الطويل، والتقلب الدائم، والسخط المستمر؟

من الشائع المفهوم أن للبيئة الأثر الأكبر في تكوين مزاج الفرد، وتلوين نفسه وتمييز طباعه

فلننظر إلى الطبيعة العراقية لنستشف من خلالها طبائع العراقيين، وأمزجتهم الخاصة، وطابعهم المميّز لهم.

الجغرافيون يقولون: إن طبيعة العراق متقلبة لا تثبت على حال، ثائرة لا تستقر على منوال ... فهو بلد قاري متغيّر الطقس تغيراً سريعاً ملحوظاً: قارس الشتاء، حادّ القيظ، وشمال العراق متوج بجبال عالية تكللها الثلوج، وجنوبه مكتنفٌ بصحراء واسعة جافة، حمراء الرمال، كثيرة الزوابع فكثيراً ما تهب الرياح حاملة معها رمالاً مزعجة حمراء.

في هذا الجو الغاضب المتقلب يعيش العراقي. فماذا يكون مزاجه وطبائعه؟

فلا بد من أن يتقلب كما يتقلب جوه، ويتلون كما تتلون بيئته، ويثور ويصخب كما تثور صحراؤه وتصخب.

واصطبغ الأدب العراقي الصميم – منذ عصور إزدهاره – بصبغة التمرد على الحياة، والضجر من الطبيعة، والتأفف من

الناس . وهذا ما نقرأه فى شعر الشعراء العراقيين الذين يمثلون الطبيعة العراقية ، ويستجيبون لوحى البيئة والمحيط ... وتلك الصرخات الداوية فى الشعر العراقى العباسى ما هى إلا استجابة للبيئة . والشريف الرضى والمتنبى جبلان شامخان يبرزان فى محيط الأدب العربى واضحى الدلالة ، مميزى الأعلام .

ولولا الأثر الذى تركه تمازج العـــرب بالأمم الأجنبية ، وتهافت الأجانب على العراق ، وتأثير السياسـة العباسية لظهر الأثر ، أكثر وضوحاً ، وأبرز سمات .

وَوُسِمَ الأدب العراقى بالسخط كما وُسِمَ بالثورة ، وفقـد الرجل العراقى إيمانه الثابت الراسخ بما تُسن من نظم ، وبما تقوم من حكومات ... لأن مسرحه المتقلب أفقده الإيمان بالبقاء الدائم فى كل ما يرى من الأشياء التى تواضع الناس عليها .

وهـذه العوامل مضافاً إليها أثر الإخفاق الدائم فى أغلب ما يحاول من أمور ، فى أعم ما يؤمن به من دساتير وحكومات — خلقت روح الـكآبة المرة فى نفسه ، وأشاعت الألم فيه ... والإخفاق الدائم يبلغ الفرد إلى الانطواء على نفسه ، وإلى الـكآبة القاتمة ويضفى روحاً تشاؤمياً خفيفاً على آرائه وعواطفه ... فلهذا لم نشهد فى تاريخ العراق الطويل رجلا نستطيع أن نضمه إلى دعاة التفاؤل ، والمؤمنين بسير البشرية إلى الحياة السعيدة ، وبلوغها مراتب الاطمئنان والأمان .

وللأسباب ذاتها لم يخلق فى العراق فيلسوف يحسب له حسابه ، ويشمخ مع الشوامخ من الفلاسفة العالميين .

والأدب الشـــعبى العراقى يرسم لك النفس العراقية التى صورتها لك تصويراً صادقاً تاماً .

وتلك الخطوط والملامح تمين لك الأدب العراقى وتجسمه تجسيماً واضحاً ... ولا مناص من وجودها فى الأدب العراقى الصادق .

وإذا استطاع العصر الحاضر أن يضع حـداً لهذه الملامح والخطوط ويخرج لنـا أدباً يميل إلى التحرر من عبودية هذه السمات فالفضل فى ذلك لنور الحضارة القائمة على تقارب الأمزجة ، وترابط الأمم .

فـلم يعد كل قطر مهما بلغ من عزلته وانطوائه على نفسه ، وحرصه على البقاء فى حدود ذاتيته مستطيعاً أن يقاوم تيار الحياة الجارف القائم على الأخاء والتعاون

ولـكن حذار من أن نفهم من ذلك أن ننسى أنفسنا ونبتر قوميتنا ، ونتجنى على تاريخنا ومن الخطأ أن يظن أن القومية والأخذ بأسباب الحضارة الحاضرة طرفاً نقيض ... ومهما يكن من طغيان التيار الأممى فإن ملامح القومية لا تزول ولن تزول أبد الدهر ... ونحن العرب لا نزال نعتز بقوميتنا ، مقدسين لتاريخنا .

والسمات والملامح التى رسمتها لن تزول كلها أبداً .

وهى قد عينت لنا الأدب العراقى وصوّرته ، وبينت حدوده وقسماته ، وعلى ضوئها يمكن أن ندرس من نحب دراسته من شعراء العصر الجديد لنرى مصداق ما كتبت .

ويجب أن أنبه إلى ملاحظة واحدة قبل بدء الدراسة وهى : أن تلك العوامل السالفة الذكر لم تمط مجالاً لظهور الأدب الذاتى ولم نر إلا بعض الأشباح الهزيلة تظهر شفافة ضعيفة ثم تختفى . . لأن الحياة الصاخبة القائمة الممتلئة بالنشاط والحيوية لا تدع للأدب أن ينشىء أدباً ذاتياً بعيداً عن واقع الحياة ودوافعها ، بعيداً عن أحاسيس الجمهور وشعوره .

غائب طعمة فرمان

كلية الآداب — جامعة فؤاد الأول

من ديوان « الشروق »*:

موت فنان

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

رثاء فنان مسجى على فراش الموت وقد سكن كل شيء في الليل إلا من نحيب الباكين من حوله وقد حمل الأثير على أجنحته صدى صوته في أغنية من أغنياته

عناؤك العذبُ في الظلامْ رنَّ في مسمع الزَّمنْ
وأنت في قبضة الحِمامْ كالحُلم في قبضة الوَسَنْ

أأنتَ يا صامتاً تؤوبْ أيامُه للمدى البعيدْ
الصادحُ المرقصُ القلوب الساحرُ الفاتنُ النشيدْ؟!

أأنت ... !؟ لا ... أنت غيرُهُ فأين لي شدوُكَ الجميلْ؟
قد فارق العُشَّ طيرُهُ وهام كالحائر الضَّلولْ

كم خيم الحزنُ في رحابكْ ونام في ساحك الرنينْ
تمزقُ الليلَ بانتحابكْ وتُرعشُ النجمَ بالأنين!

يا مُغرقَ الكون في الأغاني الكونُ يشتاقُ للهزارْ
غرقتَ في لُجَّة الزمان فهل تمعمقتَ للقرار؟

هجرتَ ألحانك العِذاب وعشتَ في صمتك الحزين
تجرّع اليأسَ والعذابْ وتشربُ السُّقمَ والمنون

أأنت من حرَّك النفوس بصوته الساحر الرؤوم؟!
أأنت من أرقص الكؤوس أأنت من أرّق النجومْ؟!

أأنت ... ؟! لا ... أنت غيرُه فأين لي صوتُك الحنون؟
قد بانَ للسيل فجرُهُ وأنت مُستسلم الجفون!

أصمتك الوحشُ الكئيب ياهاتف الأمس سُخريّهْ
بعالمٍ مُغرم يذوبْ على ترانيم أغنيهْ؟

قد غالك السُّقم واستبدْ وأنت في ميعة الشبابْ
سلمتَ قيثارة الأبدْ لجاهل لحنُه اضطراب

يطوف في ساحك القدر مُجهّدَ الجبهة اكتئابا
يقضمُ من كوبك الزَّهَرْ ويحطمُ الفنَّ والشَّبابا

قد خفَّ في صمتك المنون بروحك الحيَّة الصَّدى
فنَّ في الليل .. والسكون يكفكفُ الطلَّ والندى

غناؤك العذبُ في الظلام رنَّ في مسمع الزَّمن
وأنت في قبضة الحِمام كالحُلم في قبضة الوَسَنْ

حسن كامل الصيرفي

اذكريني ...

للأستاذ عبد القادر القط

افترقنا . . فاذكرى الماضى ولا تنسىْ صداهْ
والمحى فى كل محزون خيالاً من رؤاه
وإذا طالعت فى دنياك ألوان الحياه
من شقاء وصفاء ومهانات وجاه
فأطيلى وقفة الآسى على النُّبل المهين
وُصُبابات أمانٍ وجاه . . . واذكرينى

وإذا رفرفَ عصفورٌ بأجواز السحاب
مرحِ الخفقة واللفتة صدّاح الإياب
وتدلى . . فرأى فى العش أظفار الخراب
ورأى أفراخهُ الزُّغب دماء فى التراب
فاذكرى من دمعكِ الغالى على الطير الطعين
ونفوس شفّها ذلُّ التراب . . واذكرينى

وإذا ألقت بأيديها إلى القيظ الظلال
واستباحت لفحةُ الشمس محاريب الجمال
ورنا الزهرُ إلى النور بأجفان ثقال

الأدب والفن في أسبوع

تكريم الفائزين في مسابقة المجمع اللغوي :

أتينا في العدد الماضي على نتيجة المسابقات الأدبية التي احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بإعلانها في دار الجمعية الجغرافية الملكية ، وقد حملنا التهيؤ للطبع على الاقتصار بذكر أسماء الفائزين وجوائزهم ، ونذكر الآن أهم ما كان في هذا الحفل وخاصة تقديم الفائزين .

ألقى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني كلمة عن الشعر قال فيها إن الشعراء الذين يظهرون في الأمم أكثرهم ينسون ، لأن الشعر كسائر الفنون ، لا يخلد فيه إلا الأعلون أو الذين يقول فيكتور هيجو إن حرارة نفوسهم تبلغ درجة الغليان التي ما فوقها درجة. وما أكثر من قالوا الشعر في كل أمة وكل جيل من أجيالها ، وما أقل من بقيت أسماؤهم مذكورة ، لأن الأوساط لا يحصون وذاكرة الدنيا أضعف وأضيق من أن تعى غير الأفذاذ ، والوسط كالردىء في ميزانها أو حسابها ، كلاهما يسقط من الحساب أو يميل في الميزان .

ولقد تلقى مجمعنا في هذه المسابقة أكثر من ثلاثين ديوانا كلها من الوسط ، فكان بين أمرين ، أن يتشبث بالمثل الأعلى وذلك عزيز ، أو أن يؤثر التشجيع وسبيله أهدى ، فآثره ، ونظر في الشعر الذي عرض عليه متسامحا ، واستخلص أربعة دواوين قسم الجوائز بين أصحابها ، لتعذر المفاضلة الصريحة مع التقارب الشديد ومن هذه الدواوين ما يجرى على النهج القديم أو التقليدى ، وما يؤثر نهجا جديدا ، وما يتبع القديم حينا وينحرف عنه حينا ، ولكن فيها كلها اجتهادا ونحوا وإخلاصا بينا ، وكثير مما تركت إجازته ليس دون هذه كثيرا ، ولكنه كان لابد من مقياس للمفاضلة ، والمقياس هو وضوح الشاعرية وحسن الأداء ووفاؤه أو على الأقل سلامته من الشوائب .

وهكذا كاد الأستاذ المازني يخلع أصحابه من الشعر (مع الفارق بينه وبين أبي موسى الأشعرى) كما خلع نفسه من قبل .

وقد قدم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف الفائز في البحث الأدبي « مهيار الديلمي وشعره » فأفاض في الثناء عليه وفي بيان قيمة بحثه ، ولم يأخذ عليه شيئا .. ومما يذكر أنه لم يقدم في مسابقة البحوث الأدبية غير هذا البحث وبحث آخر في « البيئة الأدبية في المدينة أيام بني أمية » وكانت المفاضلة بين البحثين ، ففاز الأول .

وقدم الدكتور إبراهيم بيومى مدكور الفائزين في القصة ، فعرف بكل منهما وبين أثر دراسته في أدبه ، وقال إن قصة الأستاذ نجيب محفوظ « خان الخليلى » تمتاز بالروعة القصصية الفنية ولكن يلاحظ على أسلوبها عدم الدقة في الناحية اللغوية أما قصة « على باب زويلة » للأستاذ محمد سعيد العريان فتمتاز بصدق التاريخ وسلامة الأسلوب وصفاء الديباجة وصحة اللغة والعمل الفني فيها مقبول .

وتمشت في رحاب الكون أنفاسُ الكلال
فاحسى اللفحَ والضيقَ مع الظلّ السجين
وانشُدى الرَّوْحَ لأبناء الكلالْ .. واذكريني

وإذ أنتْ على صمت من الليل الرياح
وتوارت في دياجى السحب آفاقُ الصباح
وأفاق الطير من نجواه مذعور الجناح
ومحَت من حولك الدنيا على وخز الجراح
فدعى روحك تنسابُ مع اللحن الحزن
وامنحى الرحمةَ أنضاء الجراح ... واذكريني

وإذا ما خفق الشجو على سُمر الغصون
باكيات تاجها الأخضرَ في كفّ المنون
وتبدّى الأفقُ الشاحبُ مقرورَ الجبين
وطفت في خلد الأحياء أحزانُ السنين
فابحثى في نفسك المراح مطوىَّ الشجون
وجراحات أقرّتها السنين ... واذكريني

عبد القادر القط

المعجم الكبير :

من قرارات مؤتمر المجمع الموافقة على نموذج المعجم الكبير من حيث المبدأ ، على أن يتابع السير فيه ويعد بما يتطلبه العمل من موظفين وخبراء .

وهذا المعجم مقرر أن يخرج بمقتضى المرسوم الملكى بإنشاء المجمع ، ليكون شاملاً لألفاظ اللغة العربية وتحقيقها وبيان مشتقاتها بأسلوب جديد وعلى نمط يلائم التقدم العلمى الحديث . وقد اتفق على أن يكون الدكتور طه حسين بك مقرراً لهذا المعجم على أن يختار له مساعدين لإعداده ، ومن بين هؤلاء المساعدين من يكون ملماً باللغات السامية باحثاً فى العلاقات بينها وبين اللغة العربية ، وقد طلب إلى الدكتور طه حسين بك وضع نموذج لهذا العمل يعرض على المؤتمر حتى إذا أقره أمكن المضى فى إعداد المعجم على أساسه ، فقام الدكتور طه ومعاونوه بوضع نموذج يتضمن مادتى « أبر » و« أجر » وأظهر ما فى هذا النموذج تقسيم المادة الأصلية إلى معان رئيسية تتوزع الصيغ المسموعة فى هذه المعانى ، على أن يصدر كل قسم من أقسام المعانى الرئيسية ببيان مايقابله فى اللغات الأكادية والعبرية وغيرهما من الشقائق السامية ، وكذلك تضمنت المواد بيان أهم الأعلام الجغرافية والتاريخية التى توافق هاتين المادتين ، وأضيف إلى الصيغ العربية الأصلية ما جد فى الاستعمال العربى من مصطلحات وكلمات تجرى فى الشؤون العامة مما عنى بتسجيله دوزى ولين وغيرهما .

وقد طبع هذا النموذج وعرض على أعضاء المؤتمر لدراسته ونوقش فى إحدى جلساته ، وأذن المؤتمر بالجرى فى وضع المعجم على هذا النسق بعد إبداء ملاحظات طلب أن تكون موضع النظر

وإدارة المجمع الآن بصدد اختيار المعاونين فى وضع المعجم وعرض الأمر على مكتب المجمع لتدبير الوظائف وتقدير مكافآت المعاونين الذين ينتدبون من خارج المجمع .

الواجب الثقافى نحو الجنوب :

لبى الدكتور طه حسين بك دعوة رابطة الطلبة السودانيين إلى اختتام موسمها الثقافى بإلقاء محاضرة عن « واجب مصر الثقافى نحو الجنوب » بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية يوم الجمعة

قال الدكتور طه : إن مصر قصرت فى نشر الثقافة بالسودان تقصيراً لم يكن لها فيه حيلة لأنها كانت مكرهة عليه بل هو كتقصيرها فى حق نفسها ، لتحكم الإنجليز فى شؤونها ، واستمر تقصيرها الثقافى إزاء السودان بعد أن حصلت على استقلالها الداخلى وتمكنت من تدبير أمرها فى التعليم ، لأن الإنجليز حالوا بينها وبين السودان بخلق المشاكل التى بدأت بقتل السردار وإخراج الجيش المصرى من السودان ، وظل الإنجليز يخلقون المشاكل ويضعون العقبات فى سبيل الثقافة المصرية بالسودان إلى اليوم ، وأشار الدكتور إلى الصعوبات التى صحبت إنشاء مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم ، تلك الصعوبات التى لا يعرفها أكثر الناس والتى لا تزال قائمة إلى الآن . ثم قال : على أننى أفترض أن هذه الصعوبات والعقبات لم تكن وأن مصر خلى بينها وبين تدبير أمر الثقافة بوادى النيل شماله وجنوبه ، فماذا كان يحدث ؟ كان لابد أن تولى التعليم بالجنوب من عنايتها ما تبذله للشمال ، فكانت تنتشر المدارس على اختلاف درجاتها فى أقاليم السودان انتشارها فى أقاليم مصر ، وكانت جامعة فؤاد الأول بالقاهرة تستقبل الطلبة من الجنوب كما تستقبلهم من الشمال ، وحين فكرت مصر فى إنشاء جامعة ثانية لم يكن مكانها إلا الخرطوم قبل الإسكندرية . ولكن الإنجليز حالوا دون كل ذلك ليفرقوا بيننا فى الثقافة ، وفى الوقت الذى حاربوا فيه الثقافة المصرية فى الجنوب أباحوا لأنفسهم ما منعونا منه فصبغوا التعليم هناك بصبغة إنجليزية وجعلوه على أوضاع تخالف أوضاع التعليم المصرى ، وإن مما يؤسف له أن المدرسة المصرية الوحيدة التى أنشأتها الحكومة المصرية بالسودان على منهاج التعليم المصرى ، تخضع لنظم الحكومة السودانية المركزية وتحكمها ، ولا تظفر هذه المدرسة من الحرية فى تدبير أمرها بشىء مما تظفر به المدارس الأجنبية فى مصر .

ثم انتقل الدكتور إلى الكلام على الوحدة الثقافية فقال إننا يجب أن نتفق على أن هذه الوحدة أساسها توحيد التعليم فى جميع مراحله بجنوب الوادى وشماله ، عدا ما تقتضيه أحوال الأقاليم الجغرافية والاقتصادية من اختلاف كالتبع فى مراحل التعليم الأولى بأقاليم القطر المصرى ، وقال إن وحدة الثقافة هى الخطوة الأولى والأخيرة والمتوسطة فى وحدة الوادى ، لأنها تشع فى القلوب شعوراً واحداً وفى العقل تفكيراً واحداً وفى النفوس عاطفة واحدة ، وحينما يتم ذلك لا يستطيع الانجليز ولا مجلس الأمن ولا أية هيئة أخرى أن تفصل جنوب الوادى عن شماله .

وقال الدكتور : إننا ما دمنا مؤمنين بالوحدة الثقافية إيماناً

حقاً لا رياء فيه فيجب أن نعمل على تحقيقها ، وذلك بفتح المدارس المصرية على مختلف درجاتها وعلى مصاريعها للطلبة السودانيين ، وإذا اختلفنا فى التعليم بمصر أيكون للمصريين بالمجان أم بالثمن فلا ينبغى أن تختلف هذا الاختلاف بالنسبة إلى السودانيين ، بل يجب أن يتعلموا فى جميع المدارس المصرية بالمجان ، ويجب أن تهيأ لهم إلى جانب ذلك وسائل الحياة المطمئنة وتيسر لهم المشقات التى تنشأ من الانتقال من بيئة إلى بيئة ، ويجب على الحكومة المصرية ألا تكتفى بذلك بل تبذل كل الوسائل لإغراء السودانيين بالتعليم فى مصر . وهنا قال الدكتور : لقد احتملت مصر الامتيازات الأجنبية أربعة قرون، فمن واجبها إن تحمل للسودانيين امتيازات فى التعليم نحو نصف قرن حتى يصلوا إلى المكانة التى وصلنا إليها فتعوضهم بذلك عما لحق بهم من ظلم فى الماضى ؛ وإلى أن يمكن إنشاء المدارس فى الجنوب كما فى الشمال ، يعد أى نوع من تعويق تعليم السودانيين فى مصر إجراماً فى حق الوطن

تشجيع التأليف المسرحى :

وضعت اللجنة المالية بمجلس النواب تقريرها عن ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية لسنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ . وقد جاء فى هذا التقرير أن اللجنة رأت رفع الاعتماد المخصص لمكافآت المؤلفين للمسرح من ٥٠٠ جنيه إلى ١٥٠٠ جنيه ، لأنها رأت أن المبلغ الأول تافه إلى حد نأى بكبار الكتاب عن الدخول فى ميدان التأليف المسرحى مما أدى إلى حرمان المسرح المصرى من جهود أولئك الكتاب وهبط بالمستوى الفنى للمسرحية المصرية فى الآونة الأخيرة بصفة عامة .

وسائل النهوض بالسينما :

ومما جاء فى ذلك التقرير خاصاً بالسينما أن اللجنة رأت فى العام الماضى ضرورة وضع تشريع ينظم صناعة السينما فى مصر ، ويضع حداً للعوامل التى أدت إلى هبوط مستواها الفنى ، فقد كانت صناعة السينما فى مصر قبل الحرب مزدهرة ، وكان لإقبال الأقطار الشقيقة وترحيبها بالأفلام المصرية أثر بارز فى هذا الازدهار ثم زاد ازدهارها إبان الحرب لعدم ورود الأفلام الأجنبية ، لكن رجال المال تدخلوا فى هذه الصناعة بغية الكسب ، واستعانوا ببعض الفنيين الذى لم تتوافر لديهم الدراية الكافية فى هذا الفن لحمل هذا العبء ، ومن ثم هبط المستوى الفني ، مما أثار الشكوى من ضعف الأفلام . وإلى جانب هذا التشريع رأت اللجنة وجوب إيفاد بعثة فنية إلى الخارج لتزود بأحدث ما وصلت إليه هذه الصناعة ، كى تساير نهضتنا السينمائية جميع مراحل التطور السينمائى . ولكن الوزارة لم تخط نحو هذا العلاج أية خطوة ، فالتشريع لم يصدر ، والبعوث لم توفد . لهذا تكرر اللجنة رغبتها فى وضع هذا التشريع سريعاً كما ترى إدراج الاعتماد اللازم فى ميزانية إدارة البعثات لإيفاد أربعة شبان إلى أوربا وأمريكا لدراسة فنون الإخراج السينمائى وغيرها مما يتعلق بصناعة السينما . وتقترح اللجنة لدعم هذه الصناعة وتوجيهها إنشاء مجلس أعلى للسينما يضم الفنيين الممتازين ، وترى اللجنة أن من وسائل التشجيع وضع جوائز قيمة للذين ينتجون أحسن الأفلام العربية فنياً واجتماعياً ، لأن هذه الجوائز تحفز كبار المنتجين على خوض هذا المضمار . واللجنة لا تردد فى أن تخطو هذه الخطوة من جانبها فترى إدراج ٥٠٠ جنيه جائزة لأحسن فلم ينشأ خلال العام ، على أن يكون المجلس الأعلى هو الحكم فى وضع شروط هذه الجائزة وتقدير العمل ومنحه الجائزة التى يستحقها .

العباس



التاريخ يعيد نفسه بين المسلمين واليهود :

جاء في مقال الأستاذ عبد المتعال الصعيدي المنشور في العدد (٧٦٤) من (الرسالة) الغراء تحت هذا العنوان مايلي : « ثم سلط الله عليهم دولة الروم قبيل ظهور المسيح ، فقضوا على دولتهم قضاء لامرد له ، وأجلوهم من فلسطين آخر جلاء ، لأنهم كذبوا مسيحه وحاولوا قتله ، وقتلوا ابن خالته يحيى بن زكريا قبله ... الخ »

قلت : إن هذا لا يتسق والتسلسل الزمني للتاريخ ، اذ كيف يقضى الروم على دولة اليهود ويجلوهم من فلسطين لأنهم كذبوا المسيح وحاولوا قتله قبل ظهوره ؟

والذي تذكره المراجع التاريخية أن الروم احتلوا أورشليم على يد قائدهم عبيوس قبيل ظهور المسيح ، وظلت البلاد تحت حكمهم حتى استولى عليها العرب زمن الخليفة العادل عمر ابن الخطاب .

أما تدمير أورشليم وتشتيت شمل اليهود للمرة الثانية في التاريخ — بعد وقيعة نبوخذ نصر بهم — فكان سنة ١٣٥ ميلادية في عهد الأمبراطور الروماني دريانوس ، وذلك بعدان نفد صبر الروم من كثرة الثورات التي كانوا يقومون بها والدسائس التي يدسونها ولن تقوم لهم قائمة إلى ماشاء الله ...

وللأستاذ الصعيدي تحياتي وإعجابي .

(بغداد) علي الشوبكي

إلى الأستاذ علي بك هلمي :

جاء في عدد الرسالة (٧٦٤) في مقالك « القتل في الشرائع » أن استشهدت على القتل في الأنجيل بما جاء في هذه الآية :

« سمعتم إنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لهم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيسر فحول له الآخر أيضاً » .

وهذه الآية لا تتضمن في معناها سوى الحض على التسامح وعدم مقابلة الشر بمثله ، ولا نلمح فيها جانباً يشير إلى القتل ؛ وقد ذهبت نتيجة لذلك إلى أن الإنجيل تساهل في عقوبة القاتل . والصحيح أن الإنجيل نص على عقوبة القاتل نصاً صريحاً في الآية التالية من انجيل متى :

« سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ومن قال يا أحمق يستحق نار جهنم » .

فإذاً نستنتج مما تقدم أن الإنجيل لم يحرم القتل ووضع له عقوبة فحسب بل حرم ماهو أقل منه بدرجات .

الرملة — فلسطين رزق عيسى زعرور

أسس التعليم الأولي :

أخرج الأستاذ « خورشيدعبدالعزيز » المعلم بمدرسة « دميرة » باكورته الأولى . أسس التعليم الأولى في مصر « وكان ذلك نتيجة سنوات قضاها المؤلف في مزاولة مهنة التعليم ، وهو في كتابه هذا يعالج مشاكل مختلفة تمس المعلم والتلميذ وغير ذلك مما هبط بذلك الضرب من التعليم . وهذه المشاكل إن عولجت فستظهر ثمرات التعليم الأولى في مصر ، وسيلمس المواطنون تلك الرسالة التي يؤديها المعلم الأولى . ولم ينس المؤلف أن يسجل فضل رجالات مصر العاملين على نهضة التعليم وفي مقدمتهم أستاذنا الجليل الزيات وإنا لنحيي في المؤلف هذا المجهود والله ولى التوفيق .

علي زين العابدين منصور

تنبيه لا بد منه :

كثيراً ما يخلط الكاتبون بين استعمال (ثم) العاطفة و (ثم) التي بمعنى هناك للشيء البعيد دون القريب ، وذلك بإلحاقهم التاء المفتوحة والمربوطة على كليهما دون مراعاة الأصل . والصواب

ألا يدخل (ثم) العاطفة سوى التاء المفتوحة لا غير . كقول من قال :

ثمت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

أو كقول الآخر .

ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

أما (ثم) المكانية التي بمعنى هناك ، فلا يلحق بها إلا التاء المربوطة تمييزاً لها عن اختها العاطفة ..

وكلاهما يستعمل في لغة البيان ، غير أن ثمت العاطفة ترد في الأعم الأغلب في الشعر دون النثر وذلك للضرورة التي يقتضيها الوزن في سياق القصيد . فتنبه شكر الله لك .

(الزيتون) عدنان

المجمع اللغوي وتشجيع الانتاج الأدبي :

وافق المجمع اللغوي على اجراء مسابقة جديدة لتشجيع الانتاج الأدبي وتوزيع جوائز على الفائزين على الأساس الآتي :

مائتا جنيه لكل من أحسن انتاجاً من الشعر العربي الفصيح سواء كان مخطوطاً أو مطبوعا ومن أحسن قصة وضعت بالعربية الفصحى سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة منذ أكتوبر الماضي إلى أكتوبر القادم على الا تقل القصة المقدمة عن مائتي صفحة من القطع المتوسط .

ومائتا جنيه لأحسن بحث بالعربية الفصحى عن أثر الحروب الصليبية في الأدب العربي في مصر والشام . ومائتا جنيه لأحسن بحث بالعربية الفصحى عن أبي الفرج الاصفهاني وكتاب الأغاني والا يقل البحث المقدم في كليهما عن مائتي صفحة من القطع المتوسط .

وعلى الراغبين في الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع اللغوي صورتين مطبوعتين أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المتقدم للحصول على الجائزة وذلك في موعد لا يتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ والمجمع سيحتفظ بنسختي الانتاج الفائز وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عنوانهم واضحاً ويوقعوا على كل صورة يقدمونها وتقدم الموضوعات المتبارى عليها باسم لجنة الأدب بالمجمع .

قصة فتـــاة

(بقية المنشور على صفحة ٣٢١)

كتفها قد تدلت في فراغ الخصر واستقرت على الجانب ؛ وشفتاها القرمزيتان قد انفرجتا عن ثغرها الشتيت لتلقي القصبة ثم واصل الحديث . وكانت الجوقة حينئذ تعزف لحناً رقيقاً رفيقاً ينسجم مع شحوب الضوء وهدوء المكان ونشوة الجلاس ، ولكن جاءت الموسيقى دُبر أذنها وفضلت أن تتكلم على أن تسمع ، فأخذت تناقلني على الطعام شهي النوادر وطليّ الأخبار حتى جرها الحديث إلى أنشودتها الغرامية المعتادة ، فعطفتها برفق إلى حديث يوم الأحد الماضي وسألتها : لعلك في هذا الأسبوع قد وجدت النور الذي تفتقدين ، والسلام الذي تنشدين !

فقالت وهي تنفض رأسها إليّ : أي نور وأي سلام وقد شد الله عضد شيطاني بشياطين أُخر ؟ لقد وجدت في بنت أختي وأترابها من الإغواء ما يضل العابد بلفظة ، ويفتن الراهبة في لحظة !

فقلت لها : إذن لا بدّ من الرجوع إلى العزبة .

فقالت : أرجع إلى الوتد والحبل ؟ لا يا سيد سينجان ! دعني بربك أجرب حظي مع الذئب !

لم أكن بعد ذلك في نصيحتي لبلانكيت إلا كمن يرقم على ماء أو ينفخ في رماد ، ففوضت أمرها إلى الله ثم افترقنا على غير ميعاد .

(للقصة بقية) احمد حسن الزيات

تصويب :

في مقالة (تسعة قروش) في العدد (٧٦٥) :

فاستقرا على ما في يدي	صوابها فاستقر على ما في يدي
غوايتهم إليها	« توانيهم إليها
حرباً عليه ليس معها	« حرباً عليه حرباً ليس معها
فأفرضت روعهما	« فأفرخت روعها ؟
درت أمس بشحاذة	« مررت أمس بشحاذة
يرى أطفال الناس	« وهو يرى أطفال الناس
ولكن أهذا ذنب	« ولكن هذا ذنب

وفي مقالة (حكمة القدر) في العدد (٧٦٣) :

يذكر الإيمان	صوابها يؤكد الإيمان
فاكشفه حاجة	« فاكشفه صاحبه



ديوان أبي فراس الحمداني

حققه وحرره ووضع فهارســـه

الدكتور سامي الدهان

دكتوراه دولة فى الآداب من باريس مع مرتبة الشرف الممتازة

العصر الحمدانى من أزهى عصور الأدب العربى عاش فى ظله جمهرة من الشعراء خلد شعرهم على الزمان ، وحفظت لهم العربية تراثهم فى بطون الكتب يتداولها جيل بعد جيل مخطوطة بعد مخطوطة حتى كانت الطباعة فلم يلقوا منها ما لقى أقرانهم ، ولم يظهروا على نورها كما ظهر أندادهم ؛ فظلموا ظلماً لا يقره الأدب الرفيع وفيهم : النامى والناشىء والصنوبرى وكشاجم وأبو فراس والسرى الرفاء ، وكلهم فحول أقوياء لو تفرقوا على العصور العربية لكان كل منهم واحدها .

ولكن هذا الظلم قد انتهى — والحمد لله — فيما نعتقد ، وانقضى أجله فيما نرى ، بعد أن تصدى لهذا العصر الحمدانى من عاصمة بنى حمدان فى القرن العشرين الأديب الباحث المحقق الدكتور سامى الدهان ، يسعى فى جمع تراث العصر الحمدانى كله ليظهره على الناس كاملاً يزهو فى القرن الرابع عشر الهجرى كما كان فى القرن الرابع . فهو يعمل فى اختصاص دقيق كما يعمل علماء الغرب لشعرائهم سواء بسواء .

وهو إذ يخرج لنا اليوم « ديوان أبى فراس الحمدانى » نرى فى طيات عمله تهيئة كاملة ، وإعداداً شاملا لشعراء العصر كله ، نرجو أن نرى أثره قريباً فيما ينشر من نصوصه ويظهر من متونه . ونلمس هذه المعرفة الشاملة للعصر الحمدانى مما أثبت لنا حضرة الناشر فى حواشى « الديوان » وتعليقاته ، من وقوف على مخطوطات العصر ، وشغف بمراحله ، واضطلاع بكل ما فيه من شعر ونثر ، وتاريخ وسير .

ونرجو أن يزهو الشـــعراء الحمدانيون جميعاً بعد قليل بدواوينهم كاملة كما يزهو اليوم « أبو فراس » بديوانه الجديد الذى حققه ونشره الدكتور الدهان بعد جهد نافع طويل وجد مثمر كبير ، فقد مضى الشاعر وخلف بعده ما شدا به فى جولاته ، وما كان منه مع تلك الحياة القريبة ما بين طرفيها ، من شعر جمعه ديوانه على تقصير فى الاستيعاب ، وتخلف فى تحرير الكلمات ، وجنف عن إقامة الأوزان ، وبعد عن التيسير بالضبط والشرح .

وغبر الديوان يخرج من طبعة إلى طبعة حاملا مع الأوزار الأولى أوزاراً أخرى ، والناس قانعون من شعر الشاعر بما صح لهم فى مبناه ومعناه ، أو بما لان لتوجيههم فاستقام ، متخففين مما استعصى على الفهم ، وند عن الإقامة ، فعاش من الديوان قله . هذا غير شعر غاب عن النشر كثير خفى بخفائه جانب من حياة صاحبه ، وأخفى الاستغلاق جانباً آخر . وما لدراسة يتنازعها هذان نجاء من الزلل أو قرب من السداد .

ذكرت ذلك كله وأنا أنظر فى ديوان أبى فراس الجديد الذى أخرجه حضرة الباحث المحقق ، فقد وجدتنى بين أجزاء ثلاثة كبار تربى صفحاتها على الثمانمائة ، فى ثوب جد أنيق . وكنت أجدنى بالأمس القريب بين صفحات تبلغ المائة أو تزيد عنها ، فى رثاثة وبذاذة . وجدتنى أطالع جهداً جديداً على النشر فى الشرق طالما رقبناه ورجوناه ، فهذا استقصاء فى المقابلة بنسخ من الديوان جاوزت الأربعين خف إليها الدكتور يحصيها ويجمعها ، وكانت هنا وهناك فى مكتبات الشرق والغرب ، أفادت الكثير بما زادت وحررت . وهذا شرح لابن خالويه على الديوان بين تمهيد لقصائده وتفصيل لحوادثه وإبانة عن غوامضه لا عهد للناس به من قبل . وغير هذا وهذا مما جاء من إشارات إلى أماكن شعر أبى فراس من كتب الأدب والتاريخ ، وفيها نفع واستئناس . ثم ما كان من إشارات إلى أماكن الحديث عن أبى فراس فى هذه المراجع . صنع الدكتور الدهان بديوان « أبى فراس » هذا وغيره فوفاه ضبطاً وشرحاً وزوده بفهارس عشرة ، بعضها للشعر المروى فى كتب الأدب والتاريخ ، وبعضها لما تفردت به هذه الطبعة ولم يحمله ديوان لأبى فراس قبل ، وبعضها للمعانى والأبواب ، ثم القوافى والأعلام والقبائل والأماكن والكتب والموضوعات .

ذاك عدا دوحة انتظمت بأصولها وفروعها الأسرة الحمدانية كما استخلصها الدكتور الناشر من شعر الشاعر وما ضمنته المراجع . وعدا جدول تكاد العين تضل فى سعته جمع المقابلات

بين القصائد والنسخ الخطية في بسط واستيفاء .

هذا ديوان أبي فراس الجديد يدلل على ما بذل فيه من جهد وما حمل في سبيله من عناء . وقد حبس الدكتور الناشر على هذا العمل نفسه سنين عشراً بين إعداد وطبع . وما عشر سنين بكثير على مثل هذا العمل الجليل . وما أحوجنا ونحن بسبيل إحياء نصوصنا القديمة أن تكون لنا التفاتة إلى مثل هذا الاستقصاء لا نبالي امتد بها الأجل أم قصر .

وبين أيدينا مؤلفات عني بها مستشرقون كتب لها الخلود وليس عليها إلا أن تماد طبعاً ؛ وليس بدونها إن لم يفضلها أبو فراس الحمداني . فما في الظن أنه تبقى لأبي فراس شيء في عالم الغيب لم يهتك عنه الدكتور الدهان ستراً ، ولا مكتوبة من ديوانه لا تزال سراً . فما أحقه من عمل بالثناء ، وأجدره من نهج بالجزاء ، وأولاها من طريقة بالاقتداء ...

ابراهيم الابياري

ابراهيم بن سيار النظام

تأليف الدكتور عبد الهادي أبو ريده

كتاب فلسفي أخرجه منذ عهد غير بعيد الدكتور عبد الهادى أبو ريدة المدرس بكلية الآداب وقد عرض فيه حياة النظام وآراءه الفلسفية سواء كانت آراء طبيعية تتصل بالجسم والحركة والخلق والكمون والتداخل ، أو آراء اخلاقية أو سياسية تتصل بالخير والشر والجبر والاختيار والإرادة والاستطاعة ، عرضها في نهج نظيم وأسلوب قويم . وقد تحدث الدكتور أبو ريده إلى جانب هذا عن النظام من الناحية الفكرية فبين رأيه في الحديث ومسائل الفقه وتفسير القرآن وإعجازه ، وذكر طرفا من أدبه وشعره ، ولكنه طرف موجز مقتضب ؛ فالكتاب كتاب فلسفة وليس بكتاب أدب . وقد خصص الدكتور أبو ريده فصلين في الكتاب أحدهما عن الله والآخر عن الإنسان لعلهما أروع ما في الكتاب .

ولي كلمة موجزة أحب أن أوجهها إلى الدكتور أبو ريده بمناسبة إخراجه كتاب النظام والتمهيد للباقلاني وهي أننا كنا ننتظر منه شيئاً آخر ؛ فالدكتور أبو ريده يكاد يكون المانيا في حياته الخاصة ولا يرى إلا متكلما بالألمانية بين ردهات الكلية ؛ ولكن للأسف لم تستفد المكتبة العربية من المانيته شيئاً يذكر . وخليق به أن يترجم لنا عيون كتب الفلسفة الألمانية ويحدثنا عن الفلاسفة الألمان حديثاً مستفيضاً صحيحاً . ويظهر أن الدكتور يحس بقلة إنتاجه الفكري وقصر مدة تدريسه بالجامعة وهي سنتان فيلجأ إلى تلاميذه وغير تلاميذه في البحث ومراجعة التجارب . والواقع أن الأستاذ أبو ريده في وسعه أن ينتج كثيراً وأن ينتج شيئاً مرضياً أيضاً ولكنه يؤثر العافية ! كتاب النظام كتاب قيم ما في هذا شك وقد ألجأ إلى تحليله في فرصة أخرى .

ابراهيم جمال الدين الرمادي

شباب قريش

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

خصبة ممتعة تلك الأبحاث التي تكشف لك نواحي محجبة لم يجس خلالها فكر ، ولا حلق في أرجائها خيال ؛ فتكون بمثابة الرائد في عالم الفكر ؛ يشوقك ويحفزك إلى التطلع والمغامرة بما يعرضه من صور وما يغريك به من مشاهد ؛ فيكون أثرها في إثارة الهمم وشحذ القرائح عميقاً مثمرا من هذه الأبحاث — شباب قريش — في المهد السري للاسلام — فقد تناول — المؤلف — جانباً من تلك الجوانب الكثيرة المتشعبة في حياة الدعوة الإسلامية ، وهو أثر هذه الدعوة في نفوس الشباب وتدفق تيارها القوى الفعال في نضارة قلوبهم الزاخرة الجياشة وكيف كان إنفعال هذه النفوس بها وإيمانهم بمادئها ! حتى غدت تلك المبادئ وقد أصبحت جزءا من كيانهم الروحي والعقلي والخلقي ؛ فوثبت تلك المبادىء بشبابهم واكتست الدنيا من إخلاصهم ونشاطهم ذلك الرداء الروحي والاجتماعي ؛ البهيج حول تلك الرسالة وتلقى شباب قريش لها وبذل كل ما يدخل في الطوق بذله في سبيل تبليغها والتمكين لها .

أقام المؤلف هذا البحث فوفق في تجلية هذه الناحية وفتح لنا طريقاً جديداً لمن يريد أن يعالج هذه النواحي من الجانب النفسي والاجتماعي والتاريخي . وقد مهد المؤلف لتاريخ أولئك الشباب بنظرات عن سبق الشباب إلى الإسلام ، وأثر الشباب في الإسلام وأسماء الشباب والشابات ؛ ثم أخذ يقدم لك هؤلاء الشباب في صور موجزة طلية تدعو إلى الايمان بأن كل دعوة لا يناصرها إخلاص الشباب وحمية الشباب وفداء الشباب مقضى عليها . نأمل أن يحدث هذا الكتاب في نفوس شبابنا ما أحدثته الدعوة الإسلامية في نفوس شباب قريش .

محمد عبد الحليم أبو زيد

مطبعة الرسالة



العدد ٧٦٩ — الاثنين ٢٩ مارس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٢٦

16 em Année No. 769

Lundi — 29 — 3 — 1948

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٩ « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ جادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ٢٩ مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتي اليومية :

قصـــة فتـــاة

— ٦ —

يوم الأحد ٢٩ يوليو سنة ١٩٤٥ :

أخذت الفتاة منذ يوم الكرسال تطاردني بالتليفون ثم بالرسائل ثم بالرسل تريد أن نتلاقى في شرفة فندق من الفنادق الكبرى، أو في مقصف حديقة من الحدائق العامة، فكنت أجيبها بالمعاذير، أو أعللها بالمواعيد، أو أدافعها بالمطل، حتى لجأت آخر الأمر إلى الخديعة فادعت أنها ملت حياة المدينة، وحنت إلى حياة الريف، وأنها تود أن تلقاني لقاء الوداع لأنهج لها الحياة التي تحياها في العزبة، وأنتقي لها الكتب التي تقرأها في العزلة، وأعين لها الغاية التي تتوخاها في المستقبل. فقلت لنفسي المرتابة : ولم لا يجوز أن يكون الله قد كشف للفتاة عن بصيرتها، وأراد للشاردة أن تعود إلى حظيرتها؟ ثم واعدتها السادسة من مساء هذا اليوم في شرفة الكنتنتال. فلما التقينا أخذت تبدىء في العتاب وتعيد، وتلوم على الصدود وتحتج، وتعبر عن الشوق وتبالغ، وأنا قبالتها هادىء النفس، رزين الشعور، أسمع عتابها ولا أعتذر، وأقبل احتجاجها ولا أعترض؛ حتى إذا قرت الفورة وسكنت الريح قلت لها وقد لاحظت أن لسانها قد طال وأن احتشامها قد قل : أرجو أن تكوني قد سئمت الجبل ولما يلقك الذئب يا بلانكيت!

فضحكت الفتاة بملء فيها، ثم قالت : أوه! أنا أسأم الجبل؟! لقد وجدت فيه حرية نفسي ومتاع قلبي؛ أما ذئابه فقد تألفتها حتى صارت كلاباً، وأما نموره فقد روضتها حتى عادت هررة.

— إذن ماهذا الذي تزعمين من أنك عزمت الرجوع إلى العزبة؟

— ماذا أصنع؟ جربت الصدق في استدعائك فأخفق، فقلت أجرب الكذب!

— أظنك تذكرين أني عينت مكانك مني في حديث سبق، فوضعتك في موضع البنت أو الأخت أو التلميذة. ولكنك عققت الأب، وجحدت الأخ، وعصيت المعلم! فماذا عساي أن أملك لفتاة ركبت رأسها وظلمت نفسها وأنكرت حجاها؟

— تملك أن تكون لها الصديق الذي يضاعف سرورها ويحفظ سرها؛ وتملك أن تكون لها الفنان الذي يرضي شعورها ويفهم شعرها. إن لروحي ما لجسدي من الرغائب والمتع؛ وقد أجد ما يلذ النفس والجسم في ملاهي القاهرة وأفاكيه الناس، ولكنني لا أجد ما يلذ العقل والروح في غير لقائك والحديث إليك.

لقد كنت وأنا في العزبة كلما أحسست أن هواي يستبد، وخطاي تتعثر، وخطاياي تثقل، كتبت إليك بما اعتزمت أو اجترمت، فأشعر بما يشعر به المسلم الذي تاب إلى الله فغسل بتوبته ذنبه، أو المسيحي الذي اعترف للقسيس فمحا باعترافه خطيئته.

كذلك وأنا هنا أحس بأثقال نفسي تبهظ قواي، فأنا أريد أن أخفف منها بالاعتراف لك بها. وقديماً قالوا : لا ذنب لمن أقر، والاعتراف يهدم الاقتراف.

ثم استمرت الفتاة تقول دون أن تنتظر تعقيبي على كلامها أو موافقتي على استرسالها :

ظفرت من أختي وزوجها بالحرية التي لا تحفل التبعة ولا تبالي المراقبة ؛ ووجدت في ابنة أختي وصواحبها النمط الذي تجمعه وحدة الهوى وتملكه شهوة المغامرة ؛ فالخروج غير مقيد بسبب ، والرجوع غير محدد بزمن ، والبيت كالفندق يجتمع فيه أهله للأكل والنوم ثم لا يسأل أحدهم الآخر أين كنت ولا متى جئت !

خرجت أول ما خرجت مع زوزو ابنة أختي إلى معارض الأزياء ومجالي الزينة في شارع فؤاد ؛ وكنا ساعتئذ في الضحى ، والشبان يملأون طواري الشارع كأنما كانت المدارس في إضراب أو عطلة ؛ فمشينا مشية العروس في ثياب الربيع ووشيه ، نقف هنا ونميل هناك ، ونستحسن هذا ونستقبح ذاك ، وزوزو تلمح اللمحة أو تبسم البسمة فتكون مغناطيساً يجذب القلب الحديد ويوهن الإرادة الصلبة . ثم التفت فإذا وراءنا أفراد وأزواج من الأيفاع والشبان والكهول ، يوقّعون خطاهم على ما نرسم ، ويرهفون آذانهم لما نقول . فنبهت زوزو ، فقالت : أعلم ! ثم مالت بي إلى معرض (شملا) فأخذنا نقلب النظر في معروضاته من وراء الزجاج ، حتى وقع في أسماعنا صوت رقيق يدعونا إلى نزهة في (كرزلر) ، فتشاغلنا فكرر ، ثم تجاهلنا فألح ، ثم تصاممنا فجهر ، ثم تجهمنا فزح ، ثم تضاحكنا فهجم ، ثم التفتنا فأشار إلى العربة ، فسرنا بجانبه صامتتين شامختين كأنما كنا ننتظر سواقنا ليرجع بنا في عربتنا إلى المنزل !

كان للفتى رفيق ينتظره في مكان القيادة من السيارة ؛ فلما رآنا هش بوجهه ورحب بلسانه ؛ ثم فتح الباب ، فركبنا نحن الأربعة إلى جزيرة الشاي ، فشربنا بالأكواب الصغيرة ، وأكلنا في الصحون الكبيرة ؛ ثم ساعدنا المدد على الهضم بجولة في الحديقة خرجنا فيها قليلا عن المألوف من المزح والدعابة . حتى إذا فتر الحر وهبت نسمات الأصيل ، ذهبنا نستنشق أنفاس الصحراء من وراء (مينا هاوس) ؛ ثم عدنا فقضينا الهزيع الأول من الليل في سينما (ديانا) ؛ ثم رجعنا في كرزلر بعد العشاء إلى البيت ، فوجدنا الصالون قد أخذ زينته بمن حضرن من صواحب زوزو ، وكن يقضين ساعة انتظارنا في العزف والقصف والرقص . فأخذنا مجلسنا بينهن ، وأخذت كل واحدة منهن تنشر على الأخريات خوافي عينيها ودفائن صدرها ، فاستنتجت من جملة أحاديثهن وحوادثهن أنهن يغامرن إما طلباً للزواج ، وإما رغبة في المال ، وإما ابتغاء للهو ، وإما حبا للزهو ؛ فاللائي يطلبن الزواج يتعرضن للشباب أو الأعزاب ، يترصدنهم في كل طريق ، ويتصيدنهم بأي وسيلة . واللائي يرغبن في المال يتوخين الكهول والشيوخ ، فيبذلن لهم ظواهر اللذات أو بواطنها ابتغاء الهدايا من ثياب وزينة وعطر . واللائي يبتغين اللهو يخترن ذوي الوجوه الحسان والطباع الفكهة ، فيساقينهم كأساً بكأس ، ويبادلنهم متاعاً بمتاع . واللائي يحببن الزهو ينشدن أولي الجاه والنعمة ، فيراكبنهم في العربات الفخمة ، ويجالسنهم في الحفلات العظمى . وهؤلاء جميعاً قد ينجحن ، إلا طالبات الزواج فإنهن بالتجربة يخسرن حيث يرجون الربح ، وينقصن حيث يبتغين الكمال .

تركت زوزو تذهب إلى موعد الشابين في عصر اليوم التالي ومضيت وحدي إلى مواطن الفتنة ومزالق الصبي لأشعر بعزة الاستقلال ، وأنعم بلذة المغامرة . فما كان أدهشني حين علمت من نفسي أني فتانة بالطبع ، خداعة بالفطرة ، ألحظ فيصبو الشيخ ، وأفترّ فيخف الحليم ، وأشير فيعنو المتكبر ، وأطلب فيسخو البخيل ؛ وأقلب في كفيّ النفوس والقلوب فلا أجد نفساً تتأبه عن ضراعة ، ولا قلباً يتأبى على امرأة !

أولعت على الأخص بتجار الكلام من المحامين والصحفيين والممثلين ، لأنهم يحسنون الحديث ، ويجيدون الكتابة ، ويجمّلون الواقع . وقد أغويت منهم حتى اليوم أربعة عشر رجلا بين شاب وكهل ، وغني وفقير ، وكيس وأحمق ! وسأقص عليك حديث كل منهم لتعلم كيف يجعل الله من الرخاوة سلطاناً ومن الضعف قوة .

فقلت لها وأنا أصفق للنادل وأتهيأ للقيام :

حسبي يا ابنتي ! لقد رأيت العيّنة وسمعت البيّنة . وما أحسبك تذكرين هذه المخازي لتندمى عليها وتتوبي منها ؛ إنما تذكرينها كما تذكر العاشقة ما جرعت من رحيق الحب لتلتذ ؛ وتجتريّنها كما تجترّ بلانكيت ما أكلت من زهور المرج لتهضم . لا يغرنك يا مسكينة أنك لقيت أربعة عشر خروفاً في السهل وزيادة ، فإنك عما قليل ستلاقين ذئباً واحداً في الجبل وكفى !

(النهاية في العدد القادم)

احمد حسن الزيات

بين المهابة والعدل

للأستاذ عباس محمود العقاد

بارك الله في سيرة ابن الخطاب حياً وميتاً . أي رجل كان ؟ إنه ليعمل ما دام يذكر ، وإن أثره بعد موته بأربعة عشر ألف سنة لمن أكبر آثار هذه الحياة الخالدة . فإن أكثر من عشرين ألف شاب في مقتبل الحياة يشغلون اليوم عقولهم ونفوسهم بفهم العظمة العمرية في شتى مناحيها ، وليس أنفع للشاب الناشئ من عرفانه بهذه السليقة العظيمة وهذا الخلق العظيم .

ومن أحب الأشياء إلى أن أتلقى في البريد ، حيناً بعد حين ، سؤالاً من طلاب العلم الناشئين يدل على عنايتهم بالنفاذ إلى حقيقة هذا الرجل النادر الذي يقل نظراؤه في تواريخ الأمم كافة . فإن العقول الفتية لن تسمو في أفق النبوغ بمعراج أشرف من هذا المعراج ولا أوثق منه في أساسه المكين .

وقد أخذت نفسي بالإجابة عن كل سؤال من هذه الأسئلة ينتظره مؤلف الكتاب من قرائه المجتهدين في استيعاب معانيه . وحدّ هذه الأسئلة أن تدور على الموضوع ولا تنحصر في معاني المفردات ، لأن المفردات من شأن المعجمات التي تتداولها الأيدي وليست من صميم الموضوع الذي يرجع فيه إلى المؤلفين .

ومن هذه الأسئلة هذا السؤال من الأديب صاحب الإمضاء قال بعد تمهيد نشكره عليه :

« ... لقد كنا نقرأ في باب إسلام عمر فغمضت علينا نقطة فأردت أن أرسل إليكم كتاباً أرجو فيه التوضيح ، وترددت كثيراً ولكني تشجعت وكتبته . فأود أن تفسحوا صدركم الرحب لهذا السؤال .

« ذكرتم في باب إسلام عمر أنه بعد أن أسلم أبى إلا أن يخرج ليضربه أناس كما كان يضرب أناساً في سبيل ذلك الدين ، وأنه سار إلى الناس يضربونه ويضربهم إلى آخر ما في هذه القصة ، وهي إن اتفقت مع عدل عمر وحبه للمساواة ، فإنها تناقض مهابته وشجاعته . إذ من كان يجرؤ على أن يمدّ نظره — فضلاً عن يده — إلى عمر رضي الله عنه وهو الذي تنحنح مرة والحجام يقص شعره فما كان من الحجام إلا أن ذهل عن نفسه وكاد أن يغشى عليه . وكذلك في قصة هجرته التي رواها علي رضي الله عنه : فلم إنها تدل على شجاعة عمر وعدله ، وأنا أرى أن هذه القصة — وإن كانت برهاناً ساطعاً على شجاعة الفاروق — فإنها لا تحمل من معانيها أي شيء من العدل ...

« هذا ما أردت أن أسألكم فيه ... والسلام عليكم ورحمة الله .

فتحي زكي الحداد

بمدرسة شبين الكوم الثانوية

* * *

ولاشك أن سؤال الطالب النجيب له وجهه ، أو له مايسوغه ؛ ومن مسوغاته على الأقل توضيح شيء في علم النفس ، يتعلق بحياة ذلك الرجل العظيم ، كما يتعلق بكل حياة .

فالتناقض لا يكون إلا في اختلاف الأثرين لصفة من الصفات في حالة واحدة ، أو حالات متشابهة .

أما إذا اختلفت الحالات واختلفت الآثار ، فلا تناقض هنالك على الإطلاق .

لأن الاختلاف يؤدي إلى الاختلاف ، ولا يؤدي إلى اتفاق .

ورب عمل واحد يؤدي اختلاف مناسباته إلى اختلاف الحكم عليه ، حتى يكون الحكم عليه في إحدى المناسبات نقيض الحكم عليه في مناسبات أخرى

فأنت تقدم الطعام إلى السائل الجائع فأنت محسن إليه وهو في مقام المحتاج إليك !

وأنت تقدم الطعام إلى صديقك فهو يسرك بذلك كما تسره ، ولا تقف منه في هذه الحالة موقف صاحب اليد العليا من صاحب اليد السفلى ، كما يقولون في مواقف الإحسان .

وأنت تقدم الطعام إلى أميرك فيشرفك أن يقبله ويستجيب دعوته ، ويوشك أن يكون محسناً إليك بقبول طعامك ، ولا تكون أنت المحسن إليه .

والعمل هنا واحد وهو تقديم الطعام .

ولكن اختلاف المناسبة هو الذي يوجب اختلاف الحكم عليه إلى هذا المدى الواسع من الاختلاف .

ونقترب من المثل في إسلام عمر فنقول : إن البطل الرياضي مخيف إذا وقف في حلقة المصارعة ، لا يقترب منه كل مصارع

إلا إذا أنس من نفسه القدرة على الصمود له والأمل في التغلب عليه .

ولـكن هذا البطل الرياضي يعلم تلاميذه ويتمرض لنازلتهم ويدعوهم إليها ، فيتقدم له أصغرهم وأكبرهم على السواء ، وربما تعمد أن يتمكنوا منه ليريهم كيف يكون التمكن من الخصوم . فلا يشعرون بين يديه بتلك الهيبة التي يشعر بها خصومه عند الجد في الصراع .

ونقترب خطوة أخرى فنقول : إن الطفل يهاب الرجل الكبير ولا يخطر له أنه قادر على ضربه ، ولـكنه إذا علم أن أباه ، أو أن رجلا في قوة أبيه ، يستدرجه إلى ملاكمته هجم عليه ونسى الفارق بين قوته وقوة ذلك الرجل الكبير .

وعمر بن الخطاب كان يتعمد أن يتعرض للضرب في ذلك الموقف ، ويسعى بنفسه إلى ضاربيه .

وكان المشركون يعلمون ذلك من عمله ومن كلامه ، ثم يعلمون أنه رد جوار خاله لأنه لا يريد أن يحتمي من ضربهم بذلك الجوار .

ومهما يبلغ من مهابة إنسان ، فإن المهابة لا تمنع أن يتكاثر عليه عشرون أو ثلاثون وهم في حماسة الغيرة على العقيدة حول البيت وأصنامه . ثم ينجلي لهم الخطأ بعد التجربة « حتى يحجموا عنه ويفتر من طول الصراع » فيجلس وهم قائمون على رأسه يثلبونه ، وتمنعهم مهابته مع ذلك كله أن يجهزوا عليه ، وهو متعب بين الفتور .

وينبغي أن نذكر هنا أن حماسة الدين كانت تضاف إلى مهابة عمر بعد إسلامه ، فإن حماسة المسلم لدينه كانت تزيد مهابته لهذا المسلم العظيم .

أما حماسة الدين في أنفس المشركين فقد كانت تثور على هذه المهابة ولا تضاف إليها . فهي هنا من أسباب الاجتراء وليست من أسباب التوقير .

***

وقصــة الهجرة التي رواها علي رضي الله عنه هي كما قال : « ما علمت أن أحداً من المهـاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر ابن الخطاب ، فإنه لـما همّ بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسـه وانتضى في يده أسهماً واختصر عنزته ومضى قبل الـكعبة والملأ من قريش بفنائها . فطاف بالبيت سبعاً متمـكناً ثم أتى المحراب فصلى ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة يقول لهم : شاهت الوجوه . لا يرغم الله إلا هذه المعاطس ! من أراد أن يثكل أمه أو يوتم ولده ، أو يرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي .. »

وقد عقبنا على ذلك فقلنا « إنه كان في تحـديه هذا لقريش عدنان : شجاعته وعدله » .

والطالب الأديب يقول إنه يرى في هذه القصة دليل الشجاعة ولا يرى فيها دليل العدل .

وليست الشجاعة والعدل نقيضين .

وإنما تعرف الصفات بالبواعث عليها ، أو بالنيات كما قال النبي عليه السـلام . فتـكون الشجاعة على الظلم على قدر النفور منه وانطباع النفس على الإنصاف .

ولو كان ابن الخطاب يقصد إلى الهجرة وكفى لـما كانت به حاجة إلى هذا التحدي في حرم الـكعبة .

ولـكنه تحدى الظلم من فرط شعوره بالعدل .

وقد كان يشتد على المسلمين وهو مشرك ، فليس من الإنصاف أن يتراجع عن المشركين وهو مسلم .

ولقد رأينا أن صديقه أبا بكر لم يستثره بكلمة حين أراد أن يستثيره لحرب الردة كانت أفعل في نفسـه من قوله : أجباراً في الجاهلية وخواراً في الإسلام ! .

فـكانت شجاعته هنا منوطة بعدله ، وكان عدله هو الذي أوجب عليه أن يقدم بعد إحجام ، ولم يكن إحجامه لقلة الشجاعة فيه ؛ بل أحجم حتى لمس موضع العدل في المعاملة ، فأشفق أن يكون له ميزان في الجاهلية وميزان في الإسلام .

إن الشجاعة تصدر في النفس من بواعث كثيرة :

تصدر من حب الاستعلاء فلا تبالي بظلم الضعفاء .

وتصدر من حب الإنصاف فلا تبالي بقوة الطغاة .

وتصدر من الطمع أو من السورة الحيوانية ، أو من جهل العواقب ، أو من غفلة الحس عن مواطن الخوف .

فأي هذه الشجاعات كانت شجاعة ابن الخطاب ؟

إنها شجاعة الرجل المطبوع على العدل ، والرجل الجريء على

الظالمين ، والرجل الذى يأبى أن يصيب مخطئاً وأن يسلم من المصاب كما أصيب غيره من المسلمين .

ولو لم يكن حب العدل مصدراً من مصادر تلك الشجاعة لكفاه أن يهاجر ، وأن يدخر شجاعته لمن يلقاه ، حين يلقاه .

ولكنه تحدى المشركين ؛ لأنه كان من قبل يتحدى المسلمين ، وكان هذا التحدى هو المقصود . ولم تكن شجاعته هى المقصودة لأن شجاعته تثبت له بلقاء من يتعقبونه ، حينما تعقبوه .

أما العدل فهو الذى يوحى إليه ألا يكون الظالم فى نظره أعز من المظلوم .

ذلك هو عمر فى صميم ضميره . شجاع لأنه عادل لا يقبل الظلم ، وعادل لأنه شجاع يقدر على الظالين . وقد تنفصل طبيعة الشجاعة وطبيعة العدل فى نفس غيره . أما فى نفسه الشريفة فلا تنفصلان رحمه الله ونفع الناس بقدوته العالية ما ذكره الذاكرون .

عباس محمود العقاد

هيئة الأمم تترنح وتتداعى

للأستاذ نقولا الحداد

مات مشروع التقسيم (تقسيم فلسطين) وماتت معه هيئة الأمم ، ثم مات وليدها « مجلس الأمن » . فإن تكن الأم وابنها لم يموتا بعد فإنهما فى حالة النزع . ولن يسير فى جنازتها سوى بنى إسرائيل الذين كانوا ينوون أن يجعلوهما مطيتين للوصول إلى عرش السيادة على العالم ولكن العناية الإلهية لا تشاء أن يكون سطح الكرة الأرضية كله أرض الميعاد ، ولا أن يكون أرض ميعاد على مدى الزمان . إن هؤلاء الناس قد خدعهم غرورهم وغرر بهم وعد موسى أولاً ثم وعد بلفور ثانياً . فمشوا فى طريق وعر ، فإذا هم يقعون فى واد عميق تحطمت فيه آمالهم كلها .

ظننا أن الحرب الأخيرة كانت عبرة لساسة الأمم يتعلمون منها أن الجنس البشرى لا يعمر على الأرض إلا على أساس السلام ، وأن السلام لا تقوم له قائمة إلا على أساس العدل ، وأن المرشد إلى العدل هو الضمير الصالح ؛ كذا كنا نظن ، فإذا بنا نرى حمامة السلام على الأرض مذبوحة تتخبط بدمها .

وكنا نظن أيضاً أن هؤلاء الساسة أدركوا فى نور الحكمة السياسية أن الناس وهم أمم متفرقة يتعذر أن تتفق مصالحهم وتهمد غلواء مطامعهم فى هذا العصر الذى تهدمت فيه الحدود بين الممالك ، وأصبحت الأمم متشابكة فى المعاملات رغم أنوفها ، فيصعب أن يتفق ساستها على الاتحاد الاجتماعى ، واصطنعوا للجنس البشرى كله نظاماً عاماً ربط بعضهم ببعض ويتفادون به الاحتكاك المثير لحروب عالية . فإذا بنا نراهم يزيدون شقة الخلافات بينهم اتساعاً بحيث يستحيل الوئام والسلام .

ثم رأينا أنهم أنشأوا المنشأة العظمى — هيئة الأمم — ثم المنشأة الصغرى — مجلس الأمن — التابعة لها ، فاستبشرنا باهتداء الوجدان العالمى إلى أن السبيل الوحيد إلى اتحاد الأمم وتفادى خصوماتها هو إنشاء دولة عالمية كبرى تجمع جميع الدول وتقيم لها نظاماً عادلاً عاماً ينصفها بعضها من بعض ويوزع أسباب المعايش لها جميعاً بالتساوى المتناسب . وأملنا أن العالم سيعيش فى ظل هذا النظام الدولى بسلام متمتعاً بما أسبغ الله عليه من نعم الأرض .

هذه كانت أمنية جميع الناس المفكرين فى كل دولة على الكرة الأرضية .

ولكن واأسفاه ما لبثنا أن رأينا أن « ريمة عادت إلى عادتها القديمة » — عاد التنازع الدولى أشد فجوراً منه قبل الحرب . رأينا أن هيئة الأمم ليست برلماناً دولياً كما كنا نظن ، ولا مجلس الأمن وزارة دولية كما اعتقدنا ، بل رأينا أن هذه الهيئة ليست إلا ساحة لاقتسام الغنائم ، وأن اجتماعات وفودها ليست إلا مؤامرات فظيعة لتناهب هذه الغنائم بأشكال مختلفة ، كل دولة على قدر مالها من حول وطول ، وإذا بالقوى يمعن بالنهب والسلب والضعيف المنهوب يصرخ متألماً من تمزق لحمه عن عظمه .

يعنى أن هذا النظام الدولى الجديد لم يكن إلا جحيماً شيطانياً جهنمياً ينذر العالم بثورة عالمية قادمة مآلها هلاك الجنس البشرى أو انقراض المدنية على الأقل .

جُعل الميثاق الإنلانتى دستوراً لهيئة الأمم . وهو يقضى بأن تلغى الإنتدابات وتبطل الحمايات وتنتهى الاحتلالات ويترك لـكل أمة أمر مصـيرها تقرره بنفسها كما تشاء ، وأن تكون حقوق الأمم كحقوق الإنسان ، والحرية والإخاء والتساوى فى الشؤون السياسية . وإذا بنا نرى مجلس هذه الهيئة يخالف جميع نصوص الميثاق من غير تورُّع وليس عنده حرمة لدستوره أو لأى قانون دولى .

فيسمح لإنكلترا مثلا أن تبقى جيوشها فى مصر والسودان والعراق وغيرها . ويقرر بأن تذبح فلسطين وتشطر شطرين يعطى منهما شطر لشعب أفاق ململم من ممالك مختلفة لـكى ينشىء لنفسه دولة جديدة دينية فى فلسطين ، فى حين أن دساتير هذا العصر لا تعتبر للدين دولة أو مملـكة .

لا لزوم لإيراد أمثلة أخرى لتمرد هذه الهيئة على دستورها وعلى الميثاق الذى استندت إليه . فـكأنها حكومة عالية . ولـكن بلا دستور ولا قانون ولا وازع عن الاعتداء والطغيان . ولا مستند لها فى أحكامها إلا المطامع الأشعبية . فهل يمـكن أن تستقر حـكومة أو دولة أو هيئة دولية على أسـاس التناهب والإعتداء والجشع ؟

ما فقدت هيئة الأمم هيبتها بسبب أنهـا لا تحرز قوة لتنفيذ أحـكامها ، بل فقدت هيبتها لأنها فقدت ثقة العالم بها ، وإلا لزودها العالم ببوليس دولى ينفذ قراراتها العادلة . ولـكن العالم رأى أنها لا تستند إلى القوانين القويمة فى أحـكامها وخشى أن تتورط فى الظلم والعسف فتاب عن تأييدها . ولهذا يتحفز العالم لنعيها .

إن التـاريخ منذ نشوئه إلى مئات القرون التى عبرها يذيع بصوت جهورى وبصراحة أنه ما من دولة أو مملـكة صمدت جيلا أو بضعة أجيال على مخالفة القوانين القويمة ونقض النظم الصالحة بل كان الاستبداد والاعتساف ونقض القوانين أسبابا لتقوض أركانها وتداعى بنيانها وتضعضع كيانها .

إن هيئة الأمم هذه تترنح الآن متداعية للسقوط لذلك السبب عينه وهو السبب الطبيعى لسقوط كل بناء اجتماعى وهيئة ودولة ونظام بشرى وحكم إنسانى منذ نشأ الإنسان اجتماعياً إلى الآن .

فلنبك هذا النظام الاجتماعى العالمى (هيئة الأمم) الذى كنا ننشده ونتمنى أن يكون فتحاً جديداً للوك السلام على الأرض .

ما أسخف هذا الإنسان .

بل ما أسخف أساطين الساسة هؤلاء .

إذا كان رجل واحد يضحى بالعدالة ويفادى بالسلام ويذبح الحق ذبحاً على مذبح أنانيته — إذا كان يفعل هذه وأكثر منها لـكى يرقى إلى كرسى رئاسة الولايات المتحدة فهل تحسب هـذا الرجل إنساناً صالحاً للحكم ؟ هل يصلح هذا الرجل أن يدير شؤون أمة مؤلفة من ١٣٥ مليون نسمة فى الدرجة العليا من الرقى ؟ وبمـاذا نميز بين الرجل الذى يضحى بسلام العالم وأمن الأمم الصغيرة ومصالح شـعبه الحيوية على مذبح شهوته وغرامه بالرئاسة — بماذا نميزه عن إبليس الرجيم ؟

لا يتورع عن أن يرصـد ٣٠٠ بليون ريال لحرب قادمة قد تـكون ماحقة ساحقة . لا يتورع بأن يغتصب من ملايين الأمة هذه البلايين لـكى يجعلها وقيداً لملايين الشباب فى حرب أصارها على الأبواب .

مهلا يا هذا إلى أن يتنفس العالم الصعداء بعد هلاك الملايين من الأرواح وضـياع الملايين من الأموال . مهلا إلى أن يشبع الجائع ويدفأ العريان ويرتاح المتعب .

إن عصر الآلات الذى نحن فيـه كفيل بأن يعيش الناس كلهم برغد فى عمل أسبوع واحد من كل شهر وأن يرتاحوا أربعة أسابيع . ولـكن هؤلاء الساسة الأشرار لا يتورعون أن يستغلوا الناس شهراً كاملا لـكى ينفقوا تسعة أعشار نتاجه فى التقتيل والتخريب .

من أين يأتى ترومان بثلاث مئة بليون لأجل الحرب ؟ أليس من مجهود قومه فى العمل مدة ٣٠ يوماً فى كل شهر .

ليست هذه الجريمة جريمة ترومان وحده ، بل هى جريمة كل سياسى من ساسة العالم الذين يلعبون بشؤون الأمم .

لقد نُـكب العالم بطبقة من الناس ليست على قدر كاف من العلم ولا على شىء من الحـكمة ولا على ذرة من الضمير الصالح .

ألا رحمة الله على أفلاطون الذى توصل بحكمته (فلسفته إلى معرفة أن الدولة لا تصلح لإدارة شؤون الأمة ولا تعيش

طويلا إلا إذا تولى أمورها فلاسفة . لأن الفلاسفة تنطبع نفوسهم على حب العدالة بحكم فلسفتهم . وإدارة الدولة لا تحتاج إلا إلى كثير من العدالة وقليل من العلم .

الأمم الآن فقيرة بفلسفة أفلاطون وغنية بفلسفة نيتشه الذى نادى بالسورمان (الإنسان المتفوق) . فتفوق من أتباعه على غرار فلسفته غليوم الثانى وهتلر الأول . فذهبا ضحية فلسفته — رحم الله الثلاثة جميعاً .

نقولا الحداد

ومضـــــات فـكر

للاســتاذ أنور المعداوى

أفق ... وأفق !

مســيو أندريه جيد — كما لا يخفى على القراء — عميد من عمداء الأدب الفرنسى المعاصر ، وكاتب لم يشأ أن يحتل مكانه فى الأكاديمى فـرانسيز ، وهو بعد ذلك قد ظفر بجائزة نوبل للأدب عن عام ١٩٤٧ ، ولـكن منزلته الأدبية ظلت فترة طويلة وهى مترجحة بين آراء النقاد من خصومه وأنصاره ؛ أما خصومه فينظرون إليه نظرة قوامها أن شهرته أكثر من علمه . ومازلت أذكر رأى الناقد الفرنسى هنرى بيرو فى أندريه جيد حين وصفه بأن عقليته منظمة ولـكنها قليلا ما تبدع ، وأنه كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة ! وكنت أقول لنفسى إن بيرو ينفس على الرجل شهرته ، وإن رأيه فيه رأى أملاه الهوى ولعل ما بينهما من خصومة قد دفعه إلى أن يهاجم فنه بهذا النقد الذى يفيض قسوة ومرارة .

كنت أقول لنفسى هذا قبل أن أقرأ « الباب الضيق » لأندريه جيد ، ورسالته إلى معربه حين سأله أن يأذن له بنقله إلى العربية ... ولـكنى رجعت بذاكرتى إلى الوراء بعد أن قرأت رسالة الأديب الفرنسى إلى معرب كتابه ؛ رجعت بذاكرتى إلى رأى هنرى بيرو فى أندريه جيد حين وصفه بأنه كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة ، وانتهيت إلى أن بيرو قد يكون متجنيا فى اتهاماته الأخرى ، ولـكنه لم يعد الحق حين رمى جيد بضيق الأفق ! وأمل أقوى دليل يمكن أن أقدمه إلى القراء هو أن أنقل إليهم فقرات من رسالته إلى معرب كتابه « الباب الضيق » يقول فيها « ... ترجمة كتبى إلى لغتكم ؟ إلى أى قارىء يمكن أن تساق ؟ وأى الرغبات يمكن أن تلبى ؟ ذلك أن واحدة من الخصائص الجوهرية فى العالم المسلم، فيما بدا لى ، أنه وهو الإنسانى الروح يحمل من الأجوبة أكثر مما يثير من أسئلة . أمخطىء أنا ؟ هذا ممكن . ولـكنى لا أحس قط كثير قلق فى نفوس هؤلاء الذين كونهم القرآن وأدبهم . إنه مدرسة للطمأنينة قلما تغرى بالبحث ، وهذا فيما أظن هو الذى يجعل تعليمه محدوداً ! وأحسب أن ليس فى كتبى كلها أبعد عما يشغل نفوسكم من كتابى « الباب الضيق » ، فبم يستطيع هذا الظمأ الصوفى الذى صورته هنا أن يمس نفوساً هى قعيدة اليقين » ؟

إن رجلاً هـذه نظرته إلى من كونهم القرآن وأدبهم لرجل ضيق الأفق ما فى ذلك شك ؛ وإن الحياة العقلية فى الإسلام ، تلك الحيـاة المليئة بالنضال الفـكرى فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، والتى كانت ميداناً هائلا لتطاحن الآراء والأفكار حول هذا الدين ومايثيره فى النفوس من قلق وجدل وأسئلة ، لتزلزل كل كلمة من كلمـات أندريه جيد . إنه لم يقرأ شيئاً عن الفرق الدينية المختلفة التى لنا فى فضلها الفـكرى من أدب وعلم وفلسفة تراث فذ تعتز به العربية على مر الأجيال ! ولو أنه قرأ ما كتبه المستشرق الألمانى جولد تسيهر عن العقائد الإسلامية ، أو ما كتبه المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون عن التصوف الإسلامى ، لما هرف بما هرف ، ولما أرسل القول على عواهنه ، ولـكنه كما قال هنرى بيرو بحق : كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة !

هذا أفق ضيق نضعه أمام أفق آخر لأديب آخر هو توماس كارلايل فى كتابه « الأبطال » ، ولو أن الزاوية التى نظر منها كارلايل إلى الإسلام تختلف عن الزاوية التى نظر منها جيد ، ولـكنها زاوية تضع الفارق بين أفقين على كل حال . يقول كارلايل « فى الإسلام خلة أراها من أجل الخلال وأشرفها ألا وهى التسوية

بين الناس ، وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأى ، فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض ، والناس فى الإسلام سواء ، والإسلام لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضاً حتما على كل مسلم وقاعدة من قواعده ، ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الرجل فتكون جزءاً من أربعين من الثروة تعطى للفقراء والمساكين. جميل والله كل هـذا ، وما هو إلا صوت الإنسانية ، صوت الرحمة والإخاء والمساواة ينبعث من فؤاد ذلك الرجل محمد ، ابن القفار والصحراء » ...

كلام أديب ؛ حين يكون الأدب ومضة فكر ، وخفقة قلب ، واستجابة شعور . وحديث عالم ؛ حين يكون العلم سعة اطلاع ، ورحابة أفق ، وسلامة تقدير !

كرامة فنان :

هذه قصة عن العبقرى الإيطالى ما يكلانجلو ، قليلة الألفاظ ولكنها كثيرة المعانى ... وتستطيع بعد قراءتها أن توافقنى على أن خير عنوان يمكن أن يوضع لها هو هذا العنوان « كرامة الفنان » .

إنها قصة فريدة تتمثل فيها غيرة الفنان على فنه ، وثورته على كل من يمس كرامة العبقرى أو ينال من جلالها ، ولو كان المعتدى هو البابا يوليوس الثانى ... ! قرأت هذه القصة وعجبت كيف يجرؤ ما يكلانجلو على أن يقف من البابا موقفاً لا يستطيع أن يقفه ملك من ملوك أوربا فى القرن السادس عشر ! ولكنه الفنان ... الفنان الذى كان يشعر فى أعماق نفسه أن قداسة فنه لا تقل منزلة عن قداسة الكنيسة !

لقد ترامت إلى البابا أنباء العبقرى الشـاب الذى بهر فلورنسة بعظمة آثاره الفنية فى الرسم والنحت ، فأرسل يستدعيه ليزين جدران القصر البابوى وردهاته بمعجزات فنه الخالد . . . ومثل رجل الفن أمام رجل الدين ، وكان لقاء أفاض فيه البابا على الفنان كثيراً من عطفه وتشجيعه . . وحين طلب أنجلو مائة ألف « سكودى » أجراً لعمله قال البابا : فلتكن مائتى ألف يا سيدى ! . . وبدأ الفنان العظيم يستلهم الوحى فى صوره وتماثيله ، ويبعث فيها الحياة تنبض فى كل ناحية من نواحيها ، مما جعل يوليوس يحله من نفسه مكاناً لا يدانيه مكان . ودب الحقد والحسد فى نفوس رجال القصر لهذه المنزلة الرفيعة التي حظى بها أنجلو فوشوا به إلى البابا . . ويفاجأ يوماً بأحدهم يقول له فى لهجة لا تخلو من وقاحة : « سيدى ، لدى أمر من قداسة البابا بطردك من قصره ، ويحسن بك ألا تريه وجهك بعد اليوم ! »

وفى كبرياء العظيم يودع أنجلو آثاره الحبيبة وقصر البابا وروما ومن فيها ، تاركا له رسالة يخاطبه فيها بقوله : « أيها الأب المقدس ، لقد أمرت بطردى من قصرك ، ويؤسفنى أنك ستحتاج إلىّ مرة أخرى ، فإذا احتجت إلىّ — وهذا أمر ليس منه بد — فعليك أن تبحث عنى فى مكان آخر . . غير روما ! » . .

ويستشعر البابا فداحة الخسارة بعد رحيله ، ويسأل عنه فيعلم أنه فى فلورنسة ، فلا يسعه إلا أن يبعث إلى حاكمها برسالة يطلب إليه فيها أن يقدم اعتذاره لأنجلو ، وأن يرجوه فى أمر العودة مرة أخرى . . ويمتنع أنجلو . . وتصل رسالة أخرى من البابا يؤكد فيها اعتذاره ويلح فى إحضاره . ويمعن أنجلو فى التغاضى وتصل رسالة ثالثة فيصر أنجلو على أن يلقاه البابا فى منتصف الطريق بين روما وفلورنسة . . وقد كان ! !

هل تستطيع أن تعثر فى العالم كله ، وفى تاريخ الفن كله ، على فنان من هذا الطراز ؟ لا أظن ! إن مايكلانجو قد قدم أروع مثال يمكن أن يحتذيه فنان !

ترى لمن أهدى هذه القصة الفريدة فى تاريخ الفن ؟ أهديها إلى بعض الناس هنا فى مصر ، أولئك الذين دفعوا بكرامة الفن إلى الحضيض فى سبيل مآربهم الشخصية والمادية . . هل أسميه ؟ كلا . إنهم يعرفون أنفسهم . . ويعرفهم الناس !

أنور المعداوي

زواج تولستوى (*)

للأستاذ محمود الخفيف

– ٢ –

وجلس تولستوى يحدث رب الدار وابنته فى إحدى الحجرات ، ويستعيد ذكريات الماضى ، وانضم البنات إلى أمهن وجدهن ولبثن يستمعن وكانت أمهن تضيح بهن الفينة بعد الفينة ليأوين إلى مضاجعهن ولكن حديث الكونت كان يسحرهن حتى تبين الجد فى لهجة أمهن فقمن متثاقلات لينمن .

وتبعهن تولستوى إلى باب الحجرة ، ثم استوقف سونيا قائلاً إنه يريد أن يفضى إليها بحديث وخفق قلب الفتاة ، ومشت معه إلى منضدة للعب الورق فى إحدى الحجرات ، ولندع تاتيانا تقص علينا ما كان بينهما من حديث قالت « الشيطانة الصغيرة » فى مذكراتها « لقد طلب إلىّ أن أغنى ولما كان ذلك آخر ما أرغب فيه وقتئذ ، فقد هربت إلى الثوى واختفيت تحت البيان .. وبعد دقائق دخل الحجرة تولستوى وسونيا ، وكان يبدو عليهما الاضطراب فى صورة غير عادية ، وجلسا إلى منضدة اللعب ... وقالت سونيا : هكذا ترحل غداً ؟ ولماذا تعجل على هذا النحو ؟ إننا سوف نفتقدك ، وأجاب تولستوى : إن مارى وحدها وهى تتأهب للسفر إلى الخارج . وسألته سونيا : أتسافر معها ؟ وقال الكونت : كلا . لقد كنت أرغب فى ذلك ولكنى الآن لا أستطيع . وتراجعت سونيا فلم تسأله لم لا يستطيع فأنها تدرك ماذا يكون الجواب ، ورأيت فى وجهها ما يشعر أن شيئاً خطيراً يوشك أن يحدث ، ووددت أن أخرج من مخبئى ولكنى خجلت من ذلك فبقيت ساكتة . وقالت سونيا : هيا بنا إلى الفناء فإنهم لابد يبحثون عنا ؛ وقال الكونت : لا . . أرجو منك أن تظلى لحظة ... وكان يكتب شيئاً ما على المنضدة بقطعة من الطباشير ، ثم قال فى صوت متهدج من أثر اضطرابه : أتستطيعين أن تقرأى



صوفيا بيرز قبيل زواجها

ما أكتب لك إذا استعملت الحرف الأول من كل كلمة فحسب ؟ وأثبتت فى وجهه نظرة وقالت : أظن أنى أستطيع . وكتب تولستوى الحروف ، وكأنما أوحى إلى أختى فقرأت : إن شبابك وتطلعك للسعادة يذكرنى تذكيراً قوياً بشيخوختى وباستحالة السعادة على وكان يعينها تولستوى بعض العون فى قليل من هذه الكلمات . وكتب حروف غيرها ، فقرأت إن فى أسرتك خطأ حول أختك وحولى ، ينبغى أن تعينيني أنت وتاتيانا ...

هذا ما ذكرته تاتيانا ، ونضيف إليه أنها ما كادت تجيب حتى صاحت بها أمها : سونيا ! إذهبى إلى سريرك . هل تفعلين ؟ وأسرعت سونيا إلى مخدعها .

وبعد بضعة أيام زارت زوجة بيرز وبناتها ياسنايا ثانية لتوديع مارى قبل سفرها ، وكان تولستوى ساكناً يطيل التفكر أثناء هذه الزيارة ، ولما تأهبن للرحيل قال لهن : سوف أذهب معكن إلى موسكو إذ كيف أستطيع أن أبقى هنا دونكن .. إن مقامى هنا يكون من الكآبة والوحشة بحيث لا أطيقه ..

(*) فصل من كتاب « تولستوى » الذى سوف تقدمه إلى المكتبة العربية قريباً « مطبعة الرسالة » .

ثم سافرن فكان ممهن حتى بلغن موسكو ...

وذهب آل بيرز من موسكو إلى بيتهن الريفى فى قريتهم بوكروفسكوى ، ووعدهم تولستوى أن يوافيهم إليها بعد قليل ..

وعادت إليه فى وحدته هواجس نفسه ، كما كانت حاله مع فاليزيا وأخذ يسأل نفسه عما يشعر به ، أهو الحب حقاً أم أنها الرغبة فى الحب ؟

وذهب إلى بوكروفسكوى كما وعد ، وكانت لا تزال تعتقد ليزا أنه يحبها وأنه سوف يخطبها إلى نفسه ؛ وكانت تتنازع الأحلام والمخاوف قلب سونيا .

ووجد تولستوى فى بوكروفسكوى معلماً شاباً يدعى بوبوف فى الخامسة والثلاثين من عمره يخفى فى نفسه نحو سونيا ما يبديه تودده إليها وما يشبه الغزل من حديثه ونظراته ؛ وكانت تحس سونيا ميله إليها فأغرته بعض الأغراء ، ولكن بالها وقلبها كانا إلى الكونت وإن غاب .

وفملت الغيرة فعلها فى قلب تولستوى ، فكان كثيراً ما يأتى إلى القرية وكانت على نحو اثنى عشر ميلاً من موسكو وكان يؤثر أن يذهب إلى هناك ماشياً فى أكثر الأحيان .

وبات موقفه من الأسرة غريباً فهو لا يتقدم بالخطبة إلى ليزا وإنه فى الوقت نفسه ليكثر من غشيان بيتهم أيما كانوا كما لو كان واحداً منهم ؛ ولذلك لم يكن عجباً أن يظن الطبيب أن جمال امرأته هو الذى يجذب إلى بيته هذا الكونت الغامض .

وكان لا يفتأ يسأل تولستوى نفسه أما آن له أن يستبطن دخيلة سونيا وأن يدرك حقيقة عقلها ووجدانها ، فإن اختياره زوجة لا تصلح له بعد عنده كارثة لا يكون معها رجاء ...

وسألها هل تكتب مذكرات ، فقالت : لا ولكننى عبرت عن حقيقة شعورى فى قصة كتبتها ! وألح عليها الكونت أن يقرأها فأبت أول الأمر ، ثم تظاهرت أمام إصراره أنها تعطيها إياه على كره ..

ترى هل كتبت سونيا هذه القصة ليقرأها تولستوى ؟ ذلك ما يكاد يؤدى إلى الجزم به موضوعها .

كان فى القصة رجلان : أولهما البرنس دوبلتسكى ، وهو فى منتصف العمر نشط ذكى قليل الآراء ، ليس على قدر كبير من الوجاهة ؛ وثانيهما فتى فى الثالثة والعشرين ، هادىء لا يتمسك بكثير من المثل العليا واسمه سميرنوف .

وكانت بطلة القصة تدعى هيلين وهى فتاة جميلة ذات عينين دعجاوين ساحرتين ؛ ولهيلين أختان واحدة أكبر منها تدعى زنايدا وهى فتاة بارد الطبع ، والأخرى أصغر منها وتدعى نتاشا وهى بنت فى الخامسة عشرة لعوب مرحة .

وكان يغشى دوبلتسكى بيت الأسرة دون أن تخالجه أفكار الحب ؛ وكان سميرنوف يحب هيلين ، وكانت تحس بميل نحوه ، وقد اقترح عليها الزواج ولكنها لم تستطع أن تقطع برأى واعترض أهلها على هذا الاقتراح من شاب فى مثل سنه وعدوه بعض عبث الشباب ، ثم اضطرته ظروف العيش إلى السفر فغاب غيبة طويلة .

وكانت زنايدا تميل إلى دوبلتسكى ، وكان يكثر غشيان البيت ولكنها ظلت فى حيرة من أمره كما كانت هيلين فى حيرة من أمر شعورها لا تدرى ماذا تريد ، ولا تستطيع أن تقول حتى لنفسها إنها أوشكت أن تحب دوبلتسكى ؛ وكان يؤلمها أنها ربما كانت تخدعه وتخدع أختها ؛ وطالما حاولت أن تغالب عواطفها ولكن تلك العواطف كانت تغلبها ؛ وظهر من دوبلتسكى أنه يحبها أكثر مما يحب أختها وذلك ما جمله يبدو فى نظرها أكثر مما كان جذباً لها ، لم تفهم حقيقة شعوره وكان يتعبها ويضايقها غموضه وانطواؤه على نفسه .

وعاد سميرنوف ، ولم تطق هيلين أن ترى ما يظهر من تألم إذ شعر أنها تحب دوبلتسكى ، فاعتزمت أن تدخل الدير ؛ ثم إنها احتالت حتى قربت بين دوبلتسكى وأختها زنايدا ، وزفت هى بعد ذلك إلى سميرنوف .

سهر تولستوى حتى قرأ القصة ولقد وقف عند أشياء فيها ومن أهمها ما وصف به دوبلتسكى من بعد عن الوجاهة ومن غموض فى الفكر ... أهذه صورته فى نفس سوفيا ؟ لقد طالما كانت هيئته مبعث ألم لنفسه وهو صغير فهل يتجدد اليوم ألمه وهو فى الرابعة والثلاثين ؟ . ذلك ما تحدثه به نفسه بعد قراءة

طرائف من العصر المملوكي :

النقـــد الأدبي

للأستـــاذ محمود رزق سليم

النقد الأدبي كما نفهم في العصر الحديث ، هو النظر في النتاج الأدبي لأمة أو فرد ، لنرى مبلغ دلالته على الصدق ومقدار نطقه بالحق . نقلبه على وجوهه المتعددة تحريا لمظاهر الحسن فيه ، وتلمسا لمواضع النقص منه ، جاهدين في إبراز حسنه أو نقصه ، مع الإشارة إلى الحسن لم كان حسنا ، وإلى النقص لم كان نقصا . ومعنى ذلك تحليل الأدب وتعليله لفظا ونظما وفكرة ، وتوضيح المؤثرات التي تأثر بها ، ثقافية أو جغرافية أو تاريخية أو اجتماعية أو شخصية أو نحوها ، مع توضيح آثارها فيه . ثم بيان مدى تأثير هذا الأدب بدوره في فرد آخر أو جماعة أخرى ، باعتباره عاملا جديداً من العوامل الحيوية المؤثرة في حياتهما . ثم موازنة هذا الأدب بغيره ومعرفة مدى الفوارق بينهما ، إبرازاً لقوة أحدهما أو ضعفه وسموه أوضعته ، وصدقه أو مينه ، وتأثره بغيره أو عدم تأثره . والموازنة بذلك تعين على تشخيص الأدب وإبراز عناصره وإيضاح مميزاته وخصائصه .

والناقد الكامل يحتاج — لكماله — إلى سعة من العلم وإحاطته بالأدب ، ودراسة اجتماعية حاذقة وفلسفة نفسية عميقة . هذا إلى ذوق فني سليم ، واطلاع على ما كتبه أرباب النقد البياني ورجال البلاغة للاستئناس به والاسترشاد بقواعده ، حتى يكون بذلك كامل العدة واضح الحجة ، جامعاً لأصول النقد الصحيح من ذوق ومعرفة .

مثل هذا الناقد إذا جلس للحكم على الأدب نرجح أن يكون حكمه عادلا ونافعاً .

ونقول : نافعاً ، لأن النفع الجديد الذي يتضمنه حكمه هو مزية النقد الكبرى ، ومزية الناقدين ، وأبسط ما توصف به هذه المزية أنها تبصير حق بالأدب المنقود ، يضاعف أثره ، وتمهيد جميل للأدب الجديد يذلل سيره ، وإذا كان النقد في العرف الحديث أدبا وصفيا ، فهو أدب إنشائي من ناحية أخرى . وعلى الأقل من ناحية أنه يسن السبيل أمام الأدب الجديد ، ويرسم له الطريق الذي يسلكه ، ويهيئه — بزعمه — لبلوغ كماله .

والنقاد — في هذا — يعبرون عن مزاج جيلهم وذوق معاصريهم وحاجة جمهورهم . ويجهد الأدباء كتابا وشعراء ، في تحرى أذواق النقاد ، والتجانف عما يريبهم . فينضج أدبهم مطبوعا بطابع

القصة وصار يسمى نفسه دوبلتسكي !

وما هذه الخاتمة التي اختارتها لقصتها ؟ أتنصرف عن دوبلتسكي فتتزوج سميرنوف ؟ أتريد بذلك إغراءه وإخراجه من تردده ، أم أنها تؤثر عليه سميرنوف ؟ ومن يكون سميرنوف هذا ؟ أهو پوبوف الذي تطارحه الحديث وتظهر له الود ، أم هو ذلك الضابط الشاب پوليفانوف ؟ وهل تعمل سوفيا على التقريب بينه وبين أختها ليزا ؟

ألا تحب سوفيا هيئته فهي لذلك غير واثقة من أنها تحبه ؟ يالها من حيرة ! لقد كتب في مذكراته في الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٨٦٢ بعد قراءة القصة بيومين يقول « أيها الوجه القبيح لا تحلم بالزواج . . إنك لست أهلاً لهذا . . وإن أهليتك لن نوع آخر وإنه لكثير ما منحته منها »

وعلى الرغم من ذلك ذهب إلى الضيعة في اليوم التالي ، ولما رجع أثبت في مذكراته قوله « لا شيء من حب كما سلف ولا من غيرة حتى ولا من ندم ، ولكني لا أجد مثيلا لحالتي وذلك ما يحملها حلوة . . كانت ليلة لذيذة وكانت العواطف رقيقة سارّة إن پوبوف في غاية الذكاء وفي غاية الرقة » وكتب في مساء اليوم التالي يقول « لست أغار قط من پوبوف إذ يتحدث إلى سونيا ولا أستطيع أن أصدق أن يكون ذلك حقيقة حالي . إنها كذلك تتكلم في حزن وهدوء ... أيها الأحمق إنك غير أهل لها ... لقد قضيت الليلة معهم ... لم أنم .. إنها هي أبداً ... »

(البقية في العدد القادم)

محمود الخفيف

نقادهم . لهذا يقال إن النقاد هم موجهو الأدب فى الأمة وهداته . ولا يحرر من ربقتهم إلا أديب معاصر ، ولكن لديه من المؤثرات الخاصة عدة عوامل جنحت به إلى أفق من الحرية . على أنه قد يعيش غريباً بين قومه ، وقد لا يتأثرون بأدبه إلا بعد فترة من الزمن .

هذا هو الذى فهمناه فى العصر الحديث من معانى النقد الأدبى . فهل ولد النقد قبل اليوم مولداً على هذا الغرار ؟ الحديث عن ذلك طويل يضطرنا إلى النظر فى اتجاهات النقد فى كل من العصور الأدبية المنصرمة ، وهذا مالم نقصده هنا الآن . وإنما قصدنا أن نعرض فى إيجاز إلى الحديث عن النقد الأدبى فى العصر المملوكى .

غير أنه لا ريب فى أن النقد الأدبى ولد بمولد الأدب ، إذا راعينا أن قارئى الأدب أو سامعيه سواء أكانوا من الخاصة أم العامة مولعون أبدا بالنقد والتعليق على كل مايقرءون أو يسمعون ولو بكلمة عابرة ، أو نقدة طائرة ، أو تعليقة حائرة . وهكذا نستطيع القول إن النقد قد ولد مع الأدب الجاهلى ، غير أنه كان نقداً فطريا وفى نطاق ضيق وبين خليط من اعتبارات شتى ، ومرجعه الذوق الخاص ، وغير مقعد بقواعد ولا مرتبط بذوق عام ... ثم نضج النقد الأدبى بعض النضوج بمجىء الإسلام ، وأقبل الناس على سماع الأدب والنظر فيه ، وكانت بالأمويين عناية فائقة بسماع الشعر قديمه وحديثه ، والتعليق عليه ، وقياس شعر بشعر ، وموازنة بيت ببيت ، حتى جاء العصر العباسى ، وأقبل القوم على الدرس والتصنيف والترجمة . ولقحت العقول بالمترجمات ، وفاضت المجالس بما ينشده الشعراء والرواة من محاسن الآداب العربية ، ونشط النقد ، وتكون ما يشبه الذوق العام . وعنى بالدفاع عن الأساليب القرآنية وبيان ما فيها من أسرار التراكيب . فظهرت بوادر العلوم البلاغية ثم اشتد أزرها وقوى أمرها وتجمعت حقائقها حتى تألفت علوما لها موضوعاتها وأبوابها وقواعدها . وصنفت كتب فى النقد والموازنات اعتمدت فيما اعتمدت عليه ، على الذوق الخاص ، وهكذا انتهى عصر العباسيين بعد أن خلف فى ميدانى النقد الأدبى والبيانى ذخيرة نفيسة . ولكن النقد — على كل حال — لم يبلغ ذلك المبلغ الذى رسمنا صورته فى أول المقال ، والذى يتقاضاه منا العصر الحديث :

وبعد فما نصيب العصر المملوكى من هذا التراث ، وما الذى أضافه إليه ؟ أهم ما يجبهنا من ذلك ، ذوق بديعى عام استحوذ على الأدباء والنقاد جميعاً . لم يعتمد على ما خلفه الأقدمون من قواعد فى النقد البيانى فحسب ، وإن كانت هذه القواعد من أهم دعائمه ومصادر إلهامه . وإن كان قد جمع كل أبواب البلاغة جديدها وقديمها تحت راية البديع .

ولقد كان للقاضى الفاضل عميد الأدباء فى العصر الأيوبى ، أثر بارز فى الكتابة والشعر فى العصر المملوكى . لأنه ابتدع للاسلوب طريقته البديعية الخاصة التى أساسها الإكثار من المحسنات وبخاصة السجع فقد التزمه ، والجناس والطباق ، مع الغلو فى سوق التورية والاستخدام والإمعان فى التشبيه والاستعارة ، والتلميح إلى الحوادث ، والتوجيه بالمصطلح العلمى ، وتضمين المأثور والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ، إلى غير ذلك من محسنات وسمات . وهذه طريقة فى الأسلوب مبنية على ماسنه من قبله الكاتب الشهير ابن العميد (٣٠٠ هـ — ٣٦٠ هـ) وغيره من أدباء العراق . غير أن الفاضل غلا فى التزام ما استحسنوه وانقاد الأدباء من بعده — وبخاصة فى العصر المملوكى — إلى طريقته وتعصبوا لهـا ، حتى تركزت فى أذواقهم وفى أذواق النقاد معا ، وأصبحت نهجاً متبعا وقاعدة مرعية بين قواعد النقد التى يزنون بها الآثار الأدبية الجديد منها والقديم على حد سواء .

وظهر شاعر مصر الكبير جمال الدين بن نباتة (٦٨٦ — ٧٦٨ هـ) فنهج نهج القاضى الفاضل ، وتعصب لطريقته ؛ فكان بذلك زعيماً ثانياً للطريقة الفاضلية فى الشعر والكتابة . واتجهت عناية ابن نباتة إلى إجادة التورية والتضمين ، فأبدع فيهما أيما إبداع ، وأتى منهما بالعجب العجاب ، واتجهت كذلك إلى الجناس ؛ ولكن عُنى بإخراجه مخرج التورية ، فأجاد وأطرب ، وأفاد وأعجب ؛ فكان بذلك وغيره ذا طريقة جديدة هى الطريقة النباتية ، وأصبح لها أتباع ومتعصبون هم جمهرة عظيمة من أدباء العصر المملوكى ونقاده ، وتركزت بدورها فى أذواقهم حتى صاغوا أساليبهم فى قالبها ، أو اتخذوا منها قواعد جديدة للنقد وزنوا بها ووازنوا بين أدب وأدب ، وبين شعر وشعر . وفى مقدمة

المتعصبين لهـا والناقدين على أساس منها ومن الطريقة الفاضلية : شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبى (٧٢٥ هـ) صاحب كتاب « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » . وتقى الدين ابن حجة الحموى (٨٣٧ هـ) صاحب كتاب « خزانة الأدب وغاية الأرب » . وهذا الكتاب أوسع نطاقاً من سابقه . وقد ألفه ابن حجة ليشرح فيه بديعيته ، وهى المنظومة التى مدح بها سيد المرسلين عليه السلام ، وضمن كل بيت من أبياتها شيئاً من البديع . وقد وازن فيه بينها وبين بديعيتى عز الدين الموصلى وصفى الدين الحلى موازنة أساسها البديع ، ذاكراً اسم النوع البديعى واختلاف العلماء فيه ، وشواهد الأدباء عليه . وقد استطاع ابن حجة أن يخرج كثيراً عن النطاق العلمى الذى ضربه علماء البلاغة فى أخريات العصر العباسى ، كالسكاكى مثلا . واستطاع أن يجمل من كتابه هذا معرضاً أدبياً ضافياً تألق فيه كثير من شعر العصر المملوكى ونثره ، ومع نقده نقداً هو مزاج من النقد الأدبى الصحيح الذى أساسه الذوق ، ومن النقد البيانى الموروث الذى أساسه العلم ؛ مبيناً ، بين الفينة والفينة ، مذاهب الشواذ والخارجين على الطريقة النباتية من شعراء هـذا العصر . ومن بينهم صلاح الدين الصفدى الذى جُن جنوناً بالجناس وأنواعه ، كما جن به الصاحب بن عباد من قبل ، وأكثر مما جن . وقد حمل ابن حجة على الصفدى وسفه ولوعه بالجناس مبيناً أن هذا المذهب يخالف مذهب ابن نباتة وتابعيه ، من العناية بالتورية واعتبارها أسمى ضروب البديع ، بل أجود أبواب البلاغة . وقد انساق الصفدى بدافع حب الجناس إلى وضع كتاب فيه بخاصة وسماه « جنان الجناس » ملأه أمثلة من الجناس . وقد نقده ابن حجة فى كتابه « خزانة الأدب » نقداً مراً وأورد من نظمه عدة أمثلة ، وذكر أن جمال الدين بن نباتة لـما قرأ عنوان الكتاب قرأه هكذا : « جنان الخناس » وجرى بين الرجلين بسبب ذلك ما يطول شرحه . وذكر أيضـاً أن من بين ناقدى الصفدى الشيخ بدر الدين البشتكى الذى قال عن الصفدى بمناسبة نظمه هذا : « وإن من ذلك مبلغه من النظم لجدير أن يقعد مع صغار التأديبن » . هذا إلى أن ابن حجة قد ألف كتاباً آخر فى نقد الصفدى وتسفيه كتابيه « جنان الجناس » و « فض الختام » وهو « كشف اللثام » .

هذا كله يشعرنا بأن ابن حجة وغـيره من نقاد العصر لم يتقيدوا بالقواعد البلاغية ولا بما وصل إليه النقد البيانى من تقعيد بل حكموا فى كثير مما نقدوه أذواقهم وقواعد نهجهم البديعى .

وهذا لا يمنعنا من الإشارة إلى أن هناك رجالا صرفوا جهودهم إلى النقد البيانى وقواعده الموروثة عن العصر السابق ، فكانوا علماء أكثر منهم أدباء . وفى رأينا أنهم لم يأتوا من وراء هـذه الجهود بجديد وما مؤلفاتهم إلا شروح أو مختصرات لمؤلفات السالفين من علماء البلاغة . وقد حظى كتاب « مفتاح العلوم » للسكاكى (٦٢٦ هـ) بنصيب كبير من هـذه المؤلفات ، ومنها ماوضعه الجلال القزوينى ، والجلال السيوطى ، وزكريا الأنصارى ، والبهاء السبكى . غـير أننا لا نبالغ إذا قلنا إن هؤلاء لم يمثلوا العصر ولا ذوقه الأدبى ولا قواعده فى النقد . أما الفريق الآخر فهم أدنى إلى هذا التمثيل وأقرب .

على أن النقد الأدبى — فى الحق — كان أوسع نطاقاً مما وصفنا . وأكثر شغلا للقوم مما رسمنا ؛ إذ كانت له عوامل عدة أذكت ناره وأشعلت أواره . وأكثرت سماره ففضلا عن حب البديع والتسابق إلى ابتكار التوريات والتضمينات ، كانت هناك منافسات أدبية شديدة بين أدباء مصر وأدباء الشام ، ومنافسات أخرى بين شاعر وشاعر ، وكان من الناس من يتعصب لهذا أو يتحمس لذاك . وكانت هناك مباريات بين المتعاصرين من الشعراء ومساجلات ومعارضات . وكان كثير من وجوه الناس وأعيان الرؤساء يغرى هذه المعارضات حتى ولو لم تكن بين المتعاصرين وكان بعض الملوك والرؤساء ذوى بصر بالشـعر ومكانه . وكان بالشعراء ولوع بالتضمين فولجوا إليه كل باب حتى تهـاووا إلى السرقة عمداً أو دون عمد . كل هذه الأمور تربنا أن النقد الأدبى قد وجد الأسباب فدق الأبواب وولج الأعتاب وعاش بين القوم فى أخفض جناح وأخصب مراح .

ويضيق المقام إذا ذهبنا نعـد الأمثال ونضربها . فلنكتف بالإشارة عن العبارة ، وبالتلميح عن التصريح فنقول .

روى المقريزى فى خططه أن الملك الأشرف خليلا عاد فى عام ٦٩٠ هـ من الشام بعد أن فتح عكا ، فلقيته القـاهرة برجالها فى

حفل عظيم ، وتقدم ابن المنبرى الشـاعر فأنشد قصيدة قال فى مطلعها :

زر والديك وقف على قبريهما فكأنني بك قد نقلت إليهما

فتطير الأشرف من هذا البيت ونهض قائماً حانقاً وهو يقول : ما وجد هذا شيئاً يقوله سوى هذا البيت ! ؟

وروى تاج الدين السبكي فى طبقاته عن تاج الدين المراكشى ، قال : دخلت عليه مرة وهو ينشد قول ابن تقى :

حتى إذا مالت به سنة الكرى زحزحته شيئاً وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه كى لا ينام على وساد خافق

وقول الحكم بن عقال :

إن كان لابد من رقاد فأضلعى هاك عن وساد
ونم على خفقها هدواً كالطفل فى هزة المهاد

وهو ومن عنده يقولون إن قول الحكم أجدر بالصواب فإنه لا يناسب المحب أن يبعد حبيبه . وينشدون قول صلاح الدين الصفدى — أمتع الله ببقائه — فى ذلك رداً على ابن تقى :

أبعدته من بعد ما زحزحته ما أنت عند ذوى الغرام بعاشق
إن شئت قل أبعدت عنه أضالعى ليكون فمل المستهام الوامق
أو قل فبات على اضطراب جوانحى
كالطفل مضطجعاً بمهد خافق

قلت — أى السبكى — « إن ابن تقى وإن ساء لفظاً حيث قال « أبعدته » فقد أحسن معنى ، لأنه وصف أضلعه بالخفقان والاضطراب الزائد الذى لا يستطيع الحبيب النوم معه عليها فقدم مصلحته على مصلحته وترك ما يريد لما يريد ، وأبعده عما يقلقه ، ولو قال « أبعدت عنه أضلعاً تشتاقه » لأحسن لفظا كما أحسن معنى . وأما الحكم فإنه وصف خفقانه بالهدوء ، وهو خفقان يسير يشبه اضطراب سرير الطفل . وهكذا نقص ، فوقع النزاع فى ذلك . وأرسلوا إلى القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل العمرى — رحمه الله — صورة سؤال عن الرجلين « ابن تقى » و « الحكم » أيهما المصيب . فكتب : قول ابن تقى عليه مأخذ لكنه قول المحب الصادق .

يكفيه فى صدق المحبة قوله كى لا ينام على وساد خافق
ما الحب إلا ما يهد له الحشا ويهد أيسره فؤاد العاشق الخ

هذا مثل من أمثلة المجالس الأدبية ومجالس النقد ، وفى الطبقات وغيره أشباه له كثيرة .

أما السرقات الأدبية فقد زاد خطرها وتطاير شررها فى هذا العصر . ومن شعرائه من سطا على شعر غيره بدعوى التضمين قال مجير الدين بن تميم :

أطالع كل ديوان أراه ولم أزجر عن التضمين طيرى
أضمن كل بيت فيه معنى فشعرى نصفه من شعر غيرى

واشتهرت سرقات ابن نباتة من علاء الدين الوداعى ، كما اشتهرت سرقات صلاح الدين الصفدى من الجمال بن نباتة ولما وقف ابن نباته على مسروقاته ألف فى ذلك كتاباً سماه « خبز الشعير » لأنه مأكول مذموم ونقد فيه الصفدى وأورد كثيراً مما سرقه — وقد تتبع ابن حجة فى كتبه عشرات من سرقات الصفدى وابن نباتة وغيرهما . ومن ذلك قول ابن نباتة :

ومولع بفخاخ يمدها وشباك
قالت لى العين ماذا يصيد قلت كراكى

فقال الصفدى :

أغار على سرح الكرى عندى ما رمى الـ
ـكرا كى غزال للبدور يحاكى
فقلت ارجعى يا عين عن ورد حسنه
ألم تنظريه كيف صاد كراكى

على أن ابن حجة هذا قد تعقبه أديب آخر هو شمس الدين النواجى فنقده فى كتاب سماه « الحجة فى سرقات ابن حجة » وللبدر الدماميني كتاب آخر نقد فيه شرح الصفدى للامية العجم واسمه « نزول الغيث »

وبعد فما تقدم نشعر بمقدار عناية أدباء هذا العصر بنقد الأدب ، وبيان زائفه من طارفه وهذا دليل على الحيوية الأدبية واليقظة الفكرية ، ولا يقدح فى هذا اختلاف أذواقهم عن أذواقنا فلكل أهل عصر فى آدابه ونقده اتجاه وقواعد وأذواق

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

شخصيات عباسية :

جحظة المغنى الشاعر

٢٢٤ - ٣٢٤ هـ

للشيخ محمد رجب البيومى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

لم يكلف جحظة بالطعام وحده بل كان كلفه بالشراب موضع الغرابة حتى تلاشت بجانبه الشهوة إلى المأكل فى أواخر شبابه فهو يقول :

قد قلل الإدمان أكلى فما أطعم زاداً قيس أبهام
فالحمد لله وشكراً له قد صرت من بائد أقوام
قوماً ترى أولادهم بينهم للجوع فى خلة أيتام

وقد حدا به الإدمان الفاحش إلى التردد إلى الديارات المنتشرة فى بغداد وضواحيها المتقابلة ، فأخذ الراية من أبى نواس ، ووكل إلى نفسه الدعاية البارعة إلى ما فى الأديرة من متع وملاذ ، وأصبح شعره فى هذا الموضوع وسيلة كبيرة من وسائل التعريف بما هناك. وأنت ترى الشابشتى وياقوت والعمرى وجميع من كتبوا فى هذه الناحية يروحون عن قرائهم بقصائد جحظة ، والواقع أن الديارات كانت فتنة كبيرة من فتن الشيطان ، فهى تقام بين الحدائق والبساتين وبها من العذارى الراهبات مايستخف الوقور؛ والغريب أن خلفاء المسلمين كانوا يؤمونها مع الشعراء والماجنين ، وأى إنسان يرى نفسه فى حديقة مورقة ، وعن يمينه عذراء ناهدة ، وعن يساره خمر معتقة ، وأمامه لدن يافع يغنيه ثم لايقدم على انتهاك الحرم فى هذا الجو الإباحى الخلاب ، وإليك ما وصف به جحظة دير الزندورد لتقف على ما بهذه الأماكن من مغريات جاذبات :

سقيا ورعيا لدير الزندورد وما يحوى ويجمع من راح وريحان
دير تدور به الأقداح مترعة من كف ساق مريض الطرف وسنان
فالعود يتبعه ناى يوافقه والشدو يحكمه غصن من البان
والقوم فوضى ترى هذا يقبل ذا وذاك إنسان سوء فوق إنسان
هـذا ودجلة للرائين معترض والطير يدعو هديلابين أغصان

ولقد اختص أبو الحسن دير العذارى بوده ومحبته ؛ فقد رأى فيه من المتعة واللذاذة ما ليس فى غيره . فكان فيه مغانه ومغداه ؟ وإليه مراحه ومأواه ، وطالما جمعه بكثير من الشعراء والأدباء ، فيتذاكرون ويتناشدون . وقد يغلبه السكر فيخرج على حال كريهة فى المنظر والهيئة : فثيابه مبتلة ، ورائحة الخمر تتقدمه ، ثم هو يدافع عن نفسه فى هذا الوضع البغيض ، فيقول :

قالوا قميصك مغمور بآثار من المدامة والريحان والقار
فقلت من كان مأواه ومسكنه دير العذارى لدى حانوت خمار
لم ينكر الناس فيه أن حلته خضراء كالروض أوحمراء كالنار

وعشاق الأدب يطربون لما تغنى به جحظة فى دير العذارى ، فقد رسم لهم منظراً من مناظره الضاحكة فسمعوا صلصلة الناقوس ورأوا القسيس يترنح من السكر ، ثم ينهض إلى القيام فيرتعش من الإدمان ، ويغنى فتتقاطر دموعه على خده ، وأخيراً يخلص إلى الحنين لهذا المهد فيقول :

ألا هل إلى دير العذارى ونظرة إلى الخير من قبل الممات سبيل
وقد نطق الناقوس بعد سكوته وشمعل قسيس ولاح فتيل
يريد انتصاباً للقيام بزعمه ويرعشه الإدمان فهو يميل
يغنى وأسباب الصواب تمده وليس له فيما يقول عديل
(ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة إلى قرقرى قبل الممات سبيل)
وثنىّ يغنى وهو يلمس كأسه وأدمعه فى وجنتيه تسيل
سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى
ويحدث بعدى للخليل خليل
سقى الله عهداً لم تكن فيه علقة لهم ، ولم ينكر على عذول

وأنا أعجب كيف عرَّج أبو الحسن على قسيس الدير فلم يتنقصه مع أنه كان يقطع الجلسات الطويلة متحدثاً فيما يعرفه من علائق القُسُس بالراهبات ، وكثيراً ما كان يغنى بقول القائل :

إن بالحيرة قساً قد مجن فتن النساك فيه وافتتن

هجر الإنجيل من حب الصبا ورأى الدنيا متــاعاً فركن

وأنا أعتقد أن رجال الدين على جانب كبير من التقوى والصلاح وقد يندر فيهم من تزل قدمه فى وهدة الخطأ ، فيؤخذ البرءاء على كثرتهم بآثام المذنبين ، ومن ذلك ما زعمه الجاحظ من أن فتيانا من تغلب أرادوا قطع الطريق على ركب يمر بهم ثم جاءتهم العين بأن السـلطان قد عرفهم وجدّ فى طلبهم ، قال أحدهم فاحتجبنا فى الدير فلما أمنا قال بعضنا لبعض : ما عنينا أن نشد القس بوثاق ثم يخلو كل واحد منا إلى راهبة عذراء ، فإذا طلع الفجر تفرقنا فى البلاد ، وكنا جماعة بعدد الراهبـــات فوجدناهن كلهن ثيبات قد فرغ منهن القس ، فهذه قصة قد تكون صادقة وقد تكون كاذبة ، ولـكن الشعراء قد نددوا بها أفضح تنديد فكان مما قيل :

وأفســـق من راهب يدعى بأن النســـاء عليه حرام

إذا ما مشى غضّ من طرفه وبالدير فى الليل منــه عُرَام

ودير العــذارى فضوح لهن وعند اللصوص حديث تمــام

ولقد حظيت الراهبات بالروائع البديعة من شعر جحظة ، وما ظنك بشاعر قضى عمره الطويل فى تطلبهن بأديارهن فهو لا يفتأ يرحل إلى كل مكان عراقى يحللن به ، ولولا فقره المدقع لانتقل إلى الشام ومصر فى تصيدهن كما فعل أستاذه أبو نواس وهو فى غزله يعبر عن الواقع ولا يتعداه فيقول :

وظباء يتلون ســـفراً من الإنجيل باكرن سحرة قربانا

لابســات من المسوح ثيابا جعل الله تحتهـا أغصـــانا

خفرات حتى إذا دارت الـكأ س كشفن النحور والصلبانا

كما أنه كان يستعين بأصدقائه الموسرين على نفقات السـفر وأجور الارتحال ، ومن هؤلاء إبراهيم بن المدبر أحد ولاة الدولة وكتابها وسراتها ، ولعل السر فى صـــداقتهما الوطيدة هو اجتماعهما على حب عريب المغنية فقد جُنّ إبراهيم بهـا جنونا عارماً ، وكان أبو الحسن من صنائعها المقربين فقد منحته الهبات الوافرة لانتسابه إلى سيدها وولىّ نعمتها الأول جعفر البرمكى ، لذلك نجده يتحمس لفنائها ، ويبالغ فى مدحها على غير عادته ، قال جحظه : قال أبو العباس بن حمدون : ليس غناء عريب مما يعتد به لـكثرته ، لأن سقطه كثير وصناعته ساذجة ، فقلت له : وَمَن من مغنى الدولة العباسية سلمت صناعته كلها حتى تكون عريب مثله وأخذت أعدّ أكثر من مائة صوت لها وهو يعترف بجودتها ، فقال لى أخيراً ما خلّفت عريب امرأة مثلها فى الغناء ، فقلت له ، ولا كثيراً مثلها فى الرجال .

فانظر إلى دفاع جحظة عن عريب وأقرنه بما تعرفه عنه من تحامله على كل مغن وتنقصه لمـا يسمع من الألحان ، جيداً كان أو رديئاً ، قال أبو الفرج : « ومذهبه — أى جحظة — فى كتاب الطنبوريين أن يثلب جميع من ذكره من أهل صناعته بما يقدر عليه من الثلب ، وبما يعلم وما لا يعلم من الرأى » وليس الـكتاب بأيدينا لنستدل على ما ذكره صاحب الأغانى ، ولـكنه ثقة فيما يقول :

وكنت أتمنى أن يبقى الدهر على شىء من كتب أبى الحسن حتى نعرف طريقته فى البحث والتبويب ، فقد ألف كتابين فى الطعام ، وآخرين فى الغناء ، وكتاباً فى التنجيم ، وديواناً جمع أشعاره الـكثيرة ولـكن حظه النـكد قد أضاع ثروته الأدبية ونحن ننظر إلى ما بقى من كلماته النثرية فنشهد له بالجودة كأن يقول فى حمل مشوى : الشهيد بن الشهيد ، ذهبى الدثار ، فضىّ الشـعار ، وكأن يواسى رجلا سرق ثوبه فيقول : هون عليك . فليس قميص يوسف ، ولا برد النبى ، ولا رداء الشباب ، أضف إلى ذلك نكاته الفـكهة كقوله عن دعوة حضرها : كل ما فيها بارد إلا الماء وأمثال ذلك كثير .

أما منزلته فى الغناء فقد قال صاحب زهر الآداب : « إنه ممتد النفس حسن المسموع ، طيب الصوت ، إلا أنه كان ثقيل اليد فى الضرب ! ويذكر جحظة عن نفسه أنه وفد على المقتدر مع جماعة من المغنين فأعطاه مائتى دينار ، وأعطى كنيزة ثلاثمائة ، وأعطى غيرهما مائة ، ومن هنا ندرك أنه كان فوق الوسط فى صنعته ، لا سيما وقد اعترف ابن الرومى به — على عدائه له — فقال يهجوه :

نبئت جحظة يستعير جحوظه من فيل شطرنج ومن سرطان

وارحمتا لمنـــادميه تحملوا ألم العيـــون للذة الآذان

ولو كان رديء الصنعة ما كان لصوته لذة ، ولست أدرى السبب فى تحامل ابن الرومى عليه ، ولعله لما اشتركا فيه من التزاحم على الموائد ، والشره فى المأكل ؛ فقد قيل فى المثل العامى : الضيف يكره الضيف ، وصاحب المنزل يلعنهما بلا انقطاع ! !

ويهمنا أن نتحدث عن شعره فنعلن أنه لم يجر على عادة غيره من شعراء عصره فيرسل المدائح الطويلة ، مفتتحة بالغزل الصناعى بل كان يجيش صدره بالمعنى ، فيصوغه فى عدة أبيات ، وأحياناً يسهب فى نظمه ولكن فيما يتعلق بحياته الخاصة ، فهو من هذه الناحية شاعر يحترم فنه فلا يعبر عن غيرما يختلج فى حناياه ، لذلك تجد إنتاجه منصرفاً إلى مجالس اللهو وتصوير ما يمثل فى الحانات من مناظر العبث والشراب ، على أنك تلمس إبداعه حين يبتدىء فيصف المكان أولا ويتكلم عن المدامة والساقى ثانياً ثم ينتقل إلى المغنى فيسمعك رنين الأوتار ، ويريك ترنح الشاربين ، إذ يقول :

طرقنا « بزوغى » حين أينع زهرها
وفيهـــا لعمر الله للعين منظـــر

فكم من بهار يبهر العين ضوؤه
ومن جدول بالبارد العذب يزخر

ومن مستحث للمدام كأنه
وإن كان ذمياً أمير مؤمر

شقائق تندى بالندى فكأنها
خدود عليهن المدامع تقطر

فكم ساقط سكراً يلوك لسانه
وكم قائل هجراً وما كان يهجر

وكم منشد بيتاً وفيه بقية
من العقل إلا أنه متحـــير

وكم من حسان جس أوتار عوده
فألهب ناراً فى الحشا تتسعر

يغنى وأسباب الصواب تمده
بصوت جليل ذكره حين يذكر

(فكان مجنى دون ما كنت أتقى
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر)

ولعل فيما أسلفنا من شعر أبى الحسن ما يوقفك على اشراق لفظه ورقة معناه ، والحق أنه تأثر بأبى نواس فى أغراضه ، وإن تخلف عنه فى جزالته ، وعذره أنه كان يوزع جهده بين الشعر والغناء والتأليف ، هذا إلى ثقافته الواسعة فى اللغة والنحو والفلك فقد أثقلت عقله فلم يتمكن من التحليق كما تمكن الحسن بن هانىء ، على أنه كان ذا تشبيه بارع لا يتأتى للكثيرين كأن يقول :

ورق الجو حتى قيل هـذا
عتاب بين جحظة والزمان

أو يقول :

دليـل فى جوانبـه حران
فليس لطول مدته انقضاء

عدمت مشارق الإصباح فيه
كأن الصـــبح جود أو وفاء

وأحياناً يعمد إلى الفكاهة الماجنة ، فيصوغها فى خفة ودعابة إذ يقول :

رأيت الغانيات صددن عنى
وأعرضت المقبلة الرداح

وقلن مضت بشرتك الليـالى
فقلت نعم وقد رث السـلاح

وقد جرى مع البحترى فى وصف ثقيل بارد فقال الوليـد أبيـاته الشهيرة فى هجاء ابن الجهم وقال جحظة على طريقته ونهجه :

يا لفظـة النعى بموت الخليل
يا وقفة التوديع بين الحمول

يا طلعـة النعش ويا منزلا
أقفر من بعد الأنيس الحلول

يا نهضة المحبوب من غضبة
يا نعمة قد آذنت بالرحيـل

يا بكرة الثـكلى إلى حفرة
مستودع فيها عزيز الثكول

يا شوكة فى قدم رخصـة
ليس إلى إخراجها من سبيل

وهذا طراز من الشعر إن دل على شىء فإنما يدل على تمكن صاحبه من صناعته ، وإن كان لا يرضى من يتطلب التنويع فى المنحى والتعدد فى الاتجاه ، لا أن يسير الشاعر على نمط واحد ، وكأنه بناء آلى يضع حجراً على حجر .

وقد عاش الشاعر قرناً كاملا قضى فيه أربه من اللذة والمتعة وإن كان الوهن قد دب إليه فى أواخر عمره فوقع فيما لا يرتضيه من المرض والهزال ، وحينذاك تقوست قناته وثقلت حركته ، وأصبح من الموت قاب قوسين فصاح يرثى نفسه :

هى التسمون قد عطفت قناتى
ونفرت النوانى من وصـالى

كأنى بالنوادب قائـلات
وجسمى فوق أعناق الرجال

ألا سقياً لجسمك كيف يبلى
وذكرك فى النوادب غير بالى

ثم خمدت أنفاسه ، فسكت وتر ، وجف كأس ، وخلا سامر ، ومات إنسان .

محمد رجب البيومى

ســـــلافان

محنة الفردية في الأدب المعاصر (*)

للأستاذ شكري محمد عياد

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ويعود سلافان إلى وحدته المريرة اللذيذة ، ويستدبر أعوامه الأربعين ، وقد شغل بتحديد وجهته في الحياة ، فهو يقول عن حياته في تيك الأعوام : « أربعون سنة ولم أفعل شيئاً : ولومت هذا المساء ما استحققت أن يذكر اسمي على لسان ، ولا أن تبقى صورتي في ذاكرة . ليتني لا أموت هذا المساء ! دعاء أرفعه إلى الفضاء ، أو قل إنني أسأل القدر ، مادمنا لا نعرف غيره ، فما أظن أن الدعوة الحارة لا تجد صدى ولو لفظت في الصحراء » . وهو ينظر في أمره كله ويقلبه على جميع وجوهه ، حتى إذا استقبل عامه الأول بعد الأربعين كان قد استقر عزمه على أن يتأله ، أو يكون قديساً ، فهو يبدأ « يومياته » ليسجل خطواته في هذا السبيل .

ولكنه لا يؤمن بالدين ، فهو لا يريد أن يكون قديساً كقديسي الكنيسة ، بل يريد أن يحيا حياة القديسين ، يريد أن ينعم بلذة الفضيلة ، يريد أن يرفع الفضائل النفسية — في ذاته هو — إلى أوج من العظمة . وهو يرى أنه بهذا يفي بحاجة من حاجات العصر : حاجته إلى قديسين ، فقد كان لكل عصر قديسوه ، ولكنه لا يرى لهذا العصر قديسين .

ويأخذ في جهاد نفسه جهاداً منظماً ، يدونه في « يومياته » وكلما خرج من معركة من هذه المعارك النفسية وجد نفسه مريضاً أو مستغفلا ، أو محتقراً . . ووجد أنه لم يبلغ من فضائله المنشودة شيئاً . وذلك لأن قديسي العصور القديمة كانوا يمارسون فضائلهم معتمدين على إيمان وثيق بالله واليوم الآخر ، كانوا يعتقدون أن الحق في جانبهم ، وأن الله معهم ، فكان في أعمالهم ثقة واطمئنان وجلال . أما هو فلا يؤمن بقوة خارج نفسه ، ولا يبحث في جهاده إلا عن نفسه ، ففضائله تبدو سخيفة مضحكة ، إذ يعوزها الوسط الذي لا تنشط إلا فيه ، وكأنما هو رجل يحرك شفتيه بالغناء فلا يتجاوز غناؤه حنجرته .

ويتمنى سلافان أن يؤمن ، ويرتاد الكنائس ، ويعترف ، ولكنه يحس في هذه التجارب كلها شيئاً من الصدق . إنما هي حركات وأقوال لا تصدر من قلوب قائليها ، ولا تصل إلى قلوب سامعيها . هي أشبه بالبقايا المتحجرة من عصور إنسانية بائدة . ويكتب إلى قس بروتستنتي يسأله النصح لروح ضالة ، فيكتب إليه كتاباً موجزاً ذا رقم وتاريخ ، ويحدد له ساعة يلقاه فيها بعد أسابيع ... ويقابله في مكتب كمكاتب رجال الأعمال ، وإذا هو أمام قس يرشد الأرواح الضالة « بالجملة » ، على طريقة الإنتاج بالجملة ، ويرد الإيمان إلى النفوس الحائرة بأحدث أساليب التحليل النفسي .

لا يستطيع سلافان ، إذاً ، أن يكون قديساً . وتنتهي هذه التجربة الأليمة بمرض طويل في مستشفى مجاني ، دخله على أثر حمى أصابته لأنه قدم معطفه وحذاءه — في الشارع وفي ليلة من ليالي الشتاء — إلى أفاق لئيم ، لم يجد ما يعطيه إياه ، فأبى أن يقدم إليه كساءه على أن يحتمل نظرة الشك التي صوبها إليه .

ويخرج سلافان من المستشفى وقد كسبته هذه التجربة نوعاً من الهدوء ، ولكنه ما زال يبحث .. يبحث بالمعنى المطلق لهذا الفعل ، كما يقول . ويهديه البحث إلى « نادي شارع ليونيه » ، وهو ليس بناد على الحقيقة ، إنما هو حانوت إسكاف فقير يجتمع فيه بعض الشيوعيين الثوريين الذين يدعون إلى مجتمع جديد . يجتمعون فيه خفية حيث يتباحثون في مشاكلهم ويدبرون أمورهم ، وإن كنا لا نعرف ماذا يدبرون بالضبط لأننا نراهم بعيني سلافان ، وليس سلافان واحداً منهم وإنما هو في اصطلاحهم « عاطف » وكما يقول أحدهم : « من أولئك المثقفين الذين ينزلون إلى الشعب . طراز ١٩٠٠ » . فهم لا يطلعونه إذاً على كثير من أسرارهم ، ولكنه يفهم أنهم يطمحون إلى حياة أسعد ، ويراهم يعيشون عيشة خشنة ، ويعلم أنهم يلاقون ألوان

(*) مقدمة لقصة « اعتراف منتصف الليل » لجورج ديهامل — ترجمة عربية تظهر قريباً .

الاضطهاد ، ونفسه نزاعة إلى السمو ، ذواقة للألم ، فبينما هو يفكر أن يلقى بنفسه فى تلك النار ، يعلم من أمرهم ما لم يكن يعلم ، فهم ثوريون فنيون ، لا يبالون كثيراً بالفرد ، لأن همهم تغيير المجتمع ، وإنما يأتى صلاح الفرد بعد صلاح المجتمع . عندئذ تنفر منهم فرديته فيقول لهم : « إننى لا أسمح لنفسى بانتقادكم ، وأغلب ظنى أنكم ما دمتم مقدمين على هذا الأمر فثم ما يدعوكم إلى ذلك . ولكنكم تستطيعون أن تغيروا ما يسمى النظام ، وتستطيعون أن تخلفوا الطبقة الحاكمة ، تستطيعون أن تغيروا كل شيء ولكنكم إذا لم تغيرونى أنا — أنا سلافان مثلا — فإنكم لم تغيروا شيئاً ! »

فإذا سأله سائل منهم : « ولماذا تلح هكذا فى تغيير نفسك ؟ » أجاب فى صوت خفيض ولكنه واضح يسمعه الجميع : « لأنى .. لأنى جبان » .

ويعكف وحده على هذه الفكرة يديرها فى نفسه حتى ينتهى فيها إلى نوع من الفلسفة . إنه يريد أن يغير روحه ، ولكن ليس فى ذلك شيء من المغالاة ولا تكليف الأمور غير طبائعها ، بل إنه تجربة معقولة . فروحه ليست إلا أربعين سنة من الحوادث والأفكار والإشارات والأقوال . إنها الحى الذى يعيش فيه ، والمنزل الذى يسكنه ، وملابسه وأثاث بيته ، وزوجه وأمه العجوز . إن ما يسميه روحه هو ذلك العالم المألوف الذى يضغط عليه ويخنقه ، والذى يريد هو أن يرفعه عن عاتقه ويطوح به ...

ولكن سلافان لا يفارق أصحابه الثوريين حتى يدهمهم البوليس ويقضى ليلته فى السجن . ويعود إلى داره فى صبيحة ذلك اليوم ليجد أمه تهلك أسى ...

كأنما انفسح له المجال لينفذ مشروعه الجديد ، فهو يودع زوجته بخطاب قصير ، ويمضى ليجرب أن يكون رجلا آخر غير سلافان . وقد تعلم هذه المرة ألا يطمح إلى أفعال رائعة . . . لن يحاول أن يكون قديساً ، بل يكفيه أن يكون إنساناً ، يخفف آلام المنكوبين من البشر ، وما أكثرهم ! فنراه فى القصة الأخيرة « كما هو » يعيش فى الجزائر باسم « سيمون شافيجران » ، وكيلا لشركة « فونوغرافات » ، وقد حلق لحيته.

واستبدل بنظارته المدنية عوينات ذهبية الإطار ، وأصبح يحظى بإجلال عارفيه لأنه لا يفتأ يضرب الأمثال على تضحيته وإيثاره وحبه للإنسانية . فهو قد أنقذ صبية صغيرة من بين عجلات القطار فى مرسيليا ، وقد تبرع بدمه لجريح ، وتطوع لتمريض المصابين بالطاعون . ثم هو يرعى خادمه « مختاراً » ويعلمه القراءة والكتابة ويحاول أن يثنيه عما هو منغمس فيه من قبيح العادات . إذن فقد أصبح يمارس أعمال الخير حقاً ، ولم يعد يجرب اكتساب الفضائل بطرق خيالية . ولكنه على ذلك كله غير راض عما يفعل ! لماذا ؟ إنه غير مجرد من كل تفكير جماعى ، فالمه يرى أن طيبته وإنسانيته لم تخففا شيئاً من آلام الناس . ولكنه لم يقدم على هذه التجربة الكبيرة لينقذ الإنسانية ، بل أراد أن ينقذ الإنسانية فى نفسه أولا ، بأن يكون إنساناً فاضلا فيما يأتى وما يدع ، عن سليقة وعادة لا عن تفكير وإرادة . وهو يرى أنه لم يبلغ من ذلك شيئاً . فهو يرتد ثانية إلى نفسه ، ويصارح صاحباً له : « كيف يستطيع المرء ألا يكون إلا ما هو ؟ وكيف يحاول أن يكون غير ما هو بغير أن يصيبه الجنون ؟ »

هو إذاً لم يتقدم خطوة منذ فكر أن « يغير روحه » . ولكنه يتعلم شيئاً واحداً : يتعلم « أن العمل الطيب إنما هو ثمرة تفكير يوازن ويختار . أنه النتيجة الثابتة الرائعة لصراع باطنى كبير » . وتدخل هذه الحكمة على نفسه شيئاً من الهدوء . . . فهو يستطيع إذاً أن يصل إلى السلام النفسى الذى ينشده عن طريق هذا الصراع الباطنى الموجه دائماً نحو غرض طيب .

وتأتى نهاية سلافان فى عمل من هذه الأعمال الطيبة .

قتل خادمه مختار رجلا إيطاليا برصاصة مسدس ، وكان سلافان يستطيع — بشيء من حضور الذهن — أن يمنع الحادث ، ولكنه لم يفعل ، واعتصم الخادم بقبو المنزل . فسار إليه سلافان يضرع إليه بأن يخرج ويعده أن يدافع عنه ، وإذا بالخادم يرديه بطلقة من مسدسه .

عمل من أعمال الطيبة ! عمل يودى بصاحبه دون جدوى ولكنه يأتيه بالسلام النفسى الذى ينشده ، لأنه انتصار على تردد النفس وجبنها ، ومواجهة للجهل والظلم والشر ، ولأنه لطف

اقرأ معى

وقف برنارد شو فى جماعة العمل الحر بالجمعية الفابية بلندن يلخص المدالة الاجتماعية التى يرجوها لبنى وطنه فقال :

إن مطالبى عادلة ومتواضعة وهى شـقة صغيرة فى الطرف الغربى من لندن، ومنزل ريفى جميل ، وسيارتان ، وثلاثة أو أربعة آلاف من الجنيهات ، ومع ذلك لا يكون هناك شخص أقنع من برنارد شو فى إنجلترة . إن أصحاب الملايين العديدة يصفوننى لطلبى المتواضع هذا بأننى شيطان فقير ؛ ولـكننى أرى أن ما طلبت يكفينى أن أعيش بسهولة فى هذا الوضع الاجتماعى العادل أحب أن أرى كل رجل وامرأة .

***

الويلات التسع (لجبران خليل مطران)

١ — ويل لأمة تنصرف عن الدين إلى المذهب ، وعن الحقل إلى الزقاق ، وعن الحـكمة إلى المنطق .

٢ — ويل لأمة تلبس مما لا تنسج ، وتأكل مما لا تزرع ، وتشرب مما لا تعصر .

٣ — ويل لأمة مغلوبة تحسب الزركشة فى غالبيها كمالاً ، والقبيح فيها جمالا .

٤ — ويل لأمة تكره الضيم فى منامها وتخنع إليه فى يقظتها

٥ — ويل لأمة لا ترفع صوتها إلا إذا سارت وراء النعش ، ولا تفاخر إلا إذا وقفت فى المقبرة ، ولا تتمرد إلا وعنقها بين السيف والنطع .

٦ — ويل لأمة سياستها ثعلبـة ، وفلسفتها شعوذة ، أما صناعتها ففى الترقيم .

٧ — ويل لأمة تقابل كل فاتح بالتطبيل والتزمير ، ثم تشيعه بالفحيح والصفير ، لتقابل فاتحاً آخر بالتزمير والتطبيل .

٨ — ويل لأمة عاقلها أبكم وقويها أعمى ومحتالها ثرثار .

٩ — ويل لأمة كل قبيلة فيها أمة .

***

وضعت جمعية المحامين فى نيويورك بناء على اختباراتها الـكثيرة فى القضايا المختلفة بين الزوجين ، والمؤدية إلى شـقاء الأسرة وخراب البيت عشر وصايا للزوج ، هى :

١ — لا تـكن بخيلا فالزوجة وإن يكن لها صبر على الفقر لا تحتمل البخل والتقتير متى كان زوجها فى سعة .

٢ — أترك الأمور المنزلية لزوجتك تديرها كيف شاءت .

٣ — ابتسم فى بيتك . ابتسم دائماً ولو كنت مهموماً ؛ فالابتسام أحسن ما يقوى السعادة الزوجية .

٤ — لا تخف أن تطلع امرأتك على محبتك الشديدة وتقديرك لها ، وأثرها الطيب فى حياتك .

٥ — كن دائماً حبيباً لا زوجاً فقط ، فالمرأة تـكره أن ينتهى الحب حالمـا ينتهى شهر العسل .

٦ — لا تعنف زوجتك مهما كانت الظروف صعبة .

٧ — ابتعد عن أقاربك وأقاربها ما استطعت ، وابنيا بيتكما كما تريدان .

٨ — لا تسكن معك رجلا غريباً ؛ فإن النمر فى بيتك أقل خطراً من ذلك .

٩ — لا تهمل فى لباسك وهيئتك وعوائدك أمام زوجتك

ورحمة ، ولأنه عفو ومغفرة . وتلك هى الفضائل النفسية التى جاهد سلافان ليبلغها . فليكن عزاؤه إذ لم يحظ بها فى حياته ، أنه أحسها فى مماته ، وليكن عذره إذ لم يبلغ السلام النفسى الذى ينشده ، أنه دفع حياته ثمناً له !

***

لست أدرى ماذا عسىٰ أن يكون رأيك فى سلافان . وقد أردت بهذه المقدمة شرحاً وتفسيراً ، ولم أرد نقداً وموازنة ، على أنى أكتفى بأن أقول إن سلافان الشاب أحب إلى من سلافان الـكهل لأن سـلافان الـكهل أبعد عن الواقع وأقرب إلى أن يكون دعاوة لأفـكار الـكاتب ، ولأن سلافان الشاب أروع سخرية وأقل تشاؤماً على رغم ما ينتابه من يأس عنيف .

شكرى محمد عياد

بل ابق معها كما كنت أيام الخطبة .

١٠ — عامل أولادك بالحنان والمحبة والعدل ؛ فإنك بذلك تأسر قلوبهم وقلب أمهم معهم .

* * *

قرأت فى إحدى نشرات The New History Society جمعية التاريخ الجديد بنيويورك الفقرات التالية عن السلام لبعض شبيبة العالم .

تحولوا إلى الشبيبة الراغبة فى السلام وفى حياة أفضل فالشيوخ لا يفهمون . (تشيكو سلوفاكيا)

تظل الحروب آخذة مجراها ما دام الرأى العام لا يعترض عليها . (إنجلترة)

لتمت الأمم لكى تحيا البشرية . (فرنسا)

اغرسوا فى الفتيان تلك الفضائل التى تجعلهم من وطنى ولايات العالم المتحدة . (هولندا)

يجب على الفتيان أن يحرروا أنفسهم من تعصبات الهيئة الاجتماعية المفلسة . (رومانيا)

قاطعوا خطب الأساتذة المالئين للجندية وأثيروا هياجاً هائلا ضد الحرب (إيطاليا)

على الشبيبة أن تحرر نفسها من عادة المغالاة فى احترام التقاليد الميتة وأن تنهض من غفلة الإذعان للأصنام التى يجب عليها ازالها عن عروشها . (البرازيل)

* * *

نشرت مجلة Leader عدة حقائق عن السكر نقتطف منها ما يلى :

١ — عرفت زراعة قصب السكر منذ ٣٠٠ سنة قبل الميلاد فى الهند ومنها عرف فى بلاد الفرس ثم بلاد العرب وبعد ذلك بألف سنة أخذه أهل مراكش إلى أسبانيا ومنها عرف فى إنجلترة بعد خمسة قرون .

٢ — كان السكر حتى القرن الخامس عشر يستعمل كدواء فقط ولثمنه المرتفع فى ذلك الوقت لم يكن فى قدرة السواد الأعظم من الناس أن يشتروه .

٣ — كان أول من استخرج السكر من البنجر هو بنيامين دايسه عام ١٨١١ عند ما لم تتمكن فرنسا أبان حروبها من الحصول عليه من الخارج . وقد أنعم عليه نابليون بوسام الشرف تقديراً له .

٤ — أجمع أطباء نيوزيلند على أن نقص السكر فى الجسم يسبب ميلا إلى الإجرام وقد فحصوا دم عدد كبير من المجرمين فوجدوا فيه نقصاً كبيراً فى الجليكوز .

(الأبيض — السودان) إيليا حليم حنا

عادت النـــار...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« إلى النار التي اندلع لهيبها في رمادي ... فكادت تورق في عذابه أغصان الزوال ! »

وما كدت أبصرها في الظلام ... وأصغى لأنوارها في دجاه
تلفتُ فاهتزَّ في الرَّمادُ ... وشبت من الموت رؤيا الطلاه
وأوما إليها سكونُ الزّوال ... فضجت بجنبيه نارُ الحيـاه
وهبَّت قبورٌ سلاها الفناء ... ولم يبق فيها لبـالٍ شكاه
سلونا وضعنا وضاع الرباب ... وسرنا خريفاً جفــاه الرعاه
وكل الذي كان في كأسنا ... بقايا النــدامة عند العصاه
وجرح خفي حملنا أســاه ... ودرنا به صرخـة في فلاه
فمن أين يا رب هـذا الضياء ... ولا أرض فيها نقيم الصلاه ؟ !
تلفت ! واهـاً على الحائرين ... إذا بوغتوا باخضرار الفلاه !
غناء ، وعشب ، ومجرى غدير ... توهج من نشوة شاطئاه
وصبحٌ مزاميره في الفضاء ... وترجيعها كامن في حشاه
وماض رخيم الردى ، كلما ... تزايلت منماه ، ألقى عصـاه
فأطرقت حتى عبرت الزوال ... وهيّلت أحلامه في ثراه ! !
وقلتُ الهوى لم يضع .. إنما ... أضاعت خطاها إليه فتـاه

***

تعالى نسرْ في خضم العذاب ... وزورقنا ساخر من أساه
تعالى نواصل سرى العاشقين ... ونركب جنون الصبا للحياه
ونعشى.. ونعشى.. إلى أن نزول ... ويلقفنا سكرة منتهـاه
فإن ساورتنا رياح الزمان ... دفنـا أساها بنـار الشفاه
تعالى نحلق بهـذا العذاب ... ونغض إلى كل أفـق نراه
تعالى فإني لحت الوجـود ... بعينيك حيران تهوى رباه
خمائله باكيات الظـلال ... وغدرانه ظـامئات المياه
ونوح بجفنيك شاجي الأنين ... عبرت الدجى مطرقاً في صداه
وليـل بصدرك خابي النجوم ... صفير الأعاصير أشـق دجاه
سمعت الخيـانة في غابه ... وحياتها تستـفز الرقاه
تدب إلى كل أيك رطيب ... وتُجرى مهالكها في ثراه !
وجنات شوق رطاب اللهيب ... قريبات عهـد بسحر الإله
بجنبيك فضت أفانيها ... شواظاً من العطر يبكى شذاه
لهن ارتجاس تبيد الذنوب ... إذا وسوست شهقة في حماه
وفيهن مهوى ضلال السنين ... إذا أزهقت شارداً في هواه
وبحر من التيه نائي الضفاف ... تلاشى وأوغل بي شاطئاه
عبرنا بأمواجه اللاهثات ... عذاباً تضلّ الليـالي سُراه
على زورق رافضي الشراع ... تلجلج في عاصف ثم تاه ...
وتهنا به في خضم حزين ... جفا الفلك تياره واشتهاه !
تعالى فإني منـاد غريب ... على قمـة لم تقم في حياه
عبرت الليـالي بناي شجي ... وقلب شـقي طفت علّتاه !
فهيا نغني لهـذا الرماد ... لعـل البلى ينتهي من ثراه
ونشـدو رباباً لفجر الربيع ... وحلماً عميقاً يناغي كراه !
تعالى ... فما في حياة العباد ... لأمثالنا غير تلك الصلاه !

محمود حسن إسماعيل

الأدب والفن في أسبوع

حول جوائز فؤاد الأول الأدبية :

قالت « أخبار اليوم » إن الأديبين الكبيرين إبراهيم عبد القادر المازني وتوفيق الحكيم أرسلا إلى معالي وزير المعارف خطابا نشرت نصه ، وهما يقولان فيه إنه قد بلغهما أن كتباً لهما قدمت إلى مسابقة لنيل جائزة فؤاد الأول ، ويرجوان استبعاد هذه الكتب ، حتى يقولا : « وإن إقحامنا في مباراة للجميع تزاحم فيها بالمناكب ناشئة الأدباء والمؤلفين فيما يستحقون من تشجيع ، ليظهرنا بمظهر فيه مجافاة للذوق ومنافاة للمروءة »

وأود أولا أن أقول إن جوائز فؤاد الأول الأدبية لا تمنح لفائز في مسابقة وإنما تمنح لخير كتاب أو كتب ظهرت في السنوات الخمس الأخيرة ؛ وينص مرسوم إنشاء هذه الجوائز على أن اللجنة تبحث فيما تختاره من الإنتاج وما يقدم إليها من أصحاب الإنتاج أو غيرهم من الهيئات التي ينتمون إليها .

وأقول ثانياً إن جوائز فؤاد الأول ليست مباراة لناشئة الأدباء والمؤلفين ، وأستطيع أن أقول استنتاجاً من فهمي لوضعها الرسمي : إن من سيمنح الجائزة سواء أكان واحداً أو أكثر لا يمكن أنه يقل مستواه الأدبي عن طبقة الأستاذين المازني وتوفيق الحكيم ... فلهما أن يطمئنا على مروءتهما وعدم مجافاتهما للذوق .

وقد فرغت اللجنة من مهمتها في يوم الأربعاء الماضي وقد علمنا أنها اقتصرت في منح الجوائز هذا العام على الدراسات الإسلامية الأدبية

الذوق الأدبي عند الطفل :

ألقى الدكتور إبراهيم سلامة الأستاذ بكلية دار العلوم ، محاضرة عن « الذوق الأدبي عند الطفل » يوم الخميس بمعهد التربية للمعلمين ، بدأها بقوله : الأدب في آخر تحليله فكرة مصورة تزجيها عاطفة . فعناصره ثلاثة : الفكرة والصورة والعاطفة . ثم قال لا بد لنا من أن نرجع بالأدب إذا بحثنا عنه في الطفل إلى العاطفة . كما لابد من مجاراة بعض علماء النفس الذين يمثلون الطفل بالرجل البدائي الذي تحركت في نفسه المشاعر أول شيء ، وكان اتجاه عاطفته نحو المعبود ، وإذا تلمسنا الأدب في تلك الأزمنة البعيدة ألفيناه عند المقربين إلى الآلهة من الكهنة والسحرة فهم القادرون على التعبير عن عواطفهم بالكلام الذي ينمقونه ويزوقونه ليكون مخالفاً لكلام سائر الناس ، ومن السهل أن نتصور حلقة من هذه الحلقات البدائية المقدسة ، فنتصور إنشاداً وغناء وتوقيعاً وتصفيقاً ودورات متعددة مقسمة بين الكلام والحركة ، ففي هذه الحلقات كان الرقص والغناء والموسيقى تعبيرات عن العاطفة عامة وعن العاطفة الدينية خاصة . فالطفل في المرحلة الأولى من طفولته لا نستطيع أن نعتمد في إيقاظ ذوقه الأدبي إلا على الناحية العاطفية والرقص والغناء والموسيقى نافعة في تكوين الذوق الفني عموما ، ولكن لكي ننتفع بها في تنمية الذوق الأدبي لا بد أن ننتقل من الرمزية الحركية إلى الرمزية الكلامية أي إلى إنشاد وإلقاء وغناء ، فالأناشيد الجمعية المغنية والموقعة على الموسيقى نافعة جداً في هذه المرحلة . وإن يقظة الذوق الأدبي عن طريق النثر صعبة حتى في الكبار ، فليست لنا وسيلة لهذه اليقظة الأدبية مع الصغار إلا بالأناشيد والموسيقى واختيار المباريات الانفعالية الراقصة .

ثم قال الدكتور : إن طبيعة الطفولة طبيعة أدبية ، فالطفل يقول لأمه أحبك كما يقول الشاعر لحبيبته ، بل الطفل أرق أحياناً من ابن أبي ربيعة الذي أحب الرباب « عدد النجم والحصى والتراب » وأحب الطفل أمه « قد السكر وقد العسل والشكولاته » ؛ فالطفل أديب بطبعه وذوقه والمعلمون يفسدون عليه هذا الذوق . وهو يخاطب الجماد ويناجيه ، فالطفلة تخاطب دميتها ويخاطب الطفل كلبه ويكلمه ويسأله ويجيب عنه ، كما يخاطب الشعراء الديار والأطلال . وكلاباريد يقول : إن الطفل وهو يلعب يحلم وعيناه مفتوحتان ، والشاعر إذا شعر كان في شبه غيبوبة ، والشاعر الحالم أرق الشعراء . ولكن هذه الفنية الأدبية في الطفل

لا تلبث أن تختفي بعد الثامنة لاشتغاله بالقيم اللغوية في الألفاظ ولهجرة اللغة الحرة الطبيعية التي نشأ عليها إلى لغة كلاسيكية ليس في قاموسه منها إلا القليل ، والمأزق هنا ضيق ليس فيه إلا منفذان ، إما ضياع القيم الوضعية للغة ، وإما ضياع اللغة الأدبية للطفولة التي لا يعبأ فيها بالقيمة اللغوية ، والمعلم اللبق من يستبق لغة الطفل فيمد لها بدل أن يميتها ويميت معها كثيراً من العواطف والأحاسيس اللغوية والتصورات الفنية .

الشعر بين حاضره ومستقبله :

استمعت مرة أخرى يوم الجمعة الماضي إلى الأساتذة شوق أمين وكامل عجلان ومصطفى حبيب ، يتحاورون في إذاعة الشرق الأدنى العربية ، وكان موضوع الحوار « الشعر العربي بين حاضره ومستقبله » وقد اختلفت آراؤهم ونظراتهم إلى حالة الشعر الحاضرة ، فعجلان يحمل على شعرائنا الأحياء حملة شعواء ويقول إنه قلب نظره بين الشعراء بعد شوقي فلم يجد نفسه إلا ملتفتاً نحو شوقي ، حتى يقول : إن شوقي هو ما ضينا في الشعر وحاضرنا والمستقبل غيب . ويرى أن شعراءنا لم يكونوا هم أصحاب السبق في تصوير حياتنا وخوالجنا وآمالنا في الفترة الحاضرة ، وأن موقفهم يكاد يكون موقف المتخلف عن الركب .

وينكر شوقي أمين أن ترمى قرائح الشعراء بالعقم أو بعده ، ويرى أن شوقي بمكانته التي نالها كان من عمل الظروف الخاصة به ، ولو أتيحت هذه الظروف أو أشباهها لغيره من الشعراء لرأينا شوقيين كثيرين ، ويتخيل أن المجتمع الأدبي كأنما أراد حداداً على شوقي فلم يفسح المجال لشعرائنا المعاصرين كي يغنوا غناءه ويقوموا مقامه ؛ ويقول إن واجبنا هو أن نتيح لناشئتنا مختلف المناهل الثقافية والأدبية ، ونمهد لكل ذي نزعة أن يجد له متنفساً ، وبهذا التيسير والتمهيد تتكشف العبقرية ويظهر العبقري ، وسيشق لنا ذلك العبقري أفقاً نتطلع إليه معجبين ، ونرى فيه المثل الأعلى .

ولا يرى حبيب أن الظروف وحدها أو الطبيعة وحدها تستطيع أن تخلق شاعراً نابغاً وعبقرياً ، بل ثمة عوامل أخرى ترجع إلى الهبة أولا ونفاذ البصر والبصيرة ثانياً هي التي تعين على خلق الفنان . وليست البطولة العبقرية وقف على الأبهة والعظمة ، فكثيرون من الأبطال شعراء وغير شعراء قد ذاقوا مرارة العيش وعاشوا حياتهم في شظف ، ومع ذلك تركوا تراثاً خالداً من الأدب والمجد .

ويقول لعجلان : أنت تتحامل على الشعراء ، فما زلنا نقرأ لمحات من الحياة في شعر أبناء هذا الجيل ، ولعلنا نظلمهم إذا قلنا إنهم متأخرون عن السابقين لأننا في مثل هذا الحكم نصدر عن مقاييس فرضنا فيها الثبات ، مع أن المقاييس تتغير والحياة تسير ، حتى إن معظم الشعراء والأدباء الآن ما يزالون ينسجون على منوال الأعصر الخالية في الشعر والأدب ، ولذلك فإن إنتاج قرائحهم لا يملأ نفوسنا نحن الشباب ، والناس يريدون أن يسمعوا شيئاً عما جد في الوجود وأثره في الحياة ، فاعذروا الشعراء إن هم لم يصادفوا هوى في نفوس الشيب لأنهم يستجدثون ، ولا في نفوس الشباب لأنهم لم يبلغوا بهم ما يريدون والذنب ذنب العصر لأنه لم يستقر .

السينما الثقافية في خدمة الشباب :

تعمل إدارة خدمة الشباب بوزارة المعارف في إعداد بعض الرسائل التثقيفية التي ترمي بها إلى إفادة الشباب واستغلال أوقات فراغهم فيما تميل إليه نفوسهم من الهوايات الأدبية والفنية .

وقد بدأت باختيار طائفة من الأفلام الثقافية لعرضها على جمهور من طلاب المدارس الثانوية ، وقد أعدت لهذا العرض حجرة كبيرة بدارها في شارع سليمان باشا .

وقد اختارت تلك الأفلام من الإنتاج السينمائي الجيد ، ومما يؤسف له أنها لم تجد فلما مصريا واحداً يمكن أن يسمى ثقافيا .. وقد عرض في هذا الأسبوع فلم « إجازة الأسبوع المفقودة » لشركة بارامونت ، و « حياة مدهشة » لشركة رادبو ، و « البداية أو النهاية » لشركة مترو . وستعرض أفلاماً أخرى في الفترة القادمة إلى أوائل مايو . ثم تنتظر حتى يفرغ الطلاب من الامتحانات . وفي العطلة الصيفية توسع الإدارة مدى نشاطها ليشمل لتيسر من الوسائل كما يشمل أكبر عدد ممكن من الشباب ، فلا يقتصر الأمر على العدد القليل الذي يختار الآن من المدارس .

والواقع أن إدارة خدمة الشباب تعمل الآن فى دائرة ضيقة جداً ، فليس كل الشباب هؤلاء العشرات الذين يترددون على دارها فى القاهرة ، ويوم تستطيع أن تمد أسبابها إلى الشباب فى أكثر جهات القطر ، يصح لها أن تغتبط بتأدية رسالتها .

الإذاعة وإنتاج الشباب :

كانت إدارة الإذاعة قد كتبت إلى إدارة خدمة الشباب التى قامت بتنظيم المهرجان الأدبى والفنى للشباب ترجو منها أن تبعث إليها ببعض الإنتاج الفائز فى المهرجان من أناشيد وتمثيليات إذاعية لإذاعتها ؛ ولم تذكر إدارة الإذاعة أنها ستدفع أجوراً لأصحاب هذا الإنتاج . فرد عليها الأستاذ عبد الله حبيب وكيل إدارة خدمة الشباب بأن الوزارة أجازت هؤلاء الشباب بجوائز أدبية وجوائز مادية قليلة على قدر ما سمح به « الاعتماد » وأن الإذاعة تتمم لهم التشجيع إذا منحتهم أجوراً على ما تريد إذاعته لهم ، فإذا رأت ذلك فإن الإدارة ترسل إليها ما تطلب من ذلك الإنتاج

ولكن الإذاعة لم تجب ولعلها تنظر فى الأمر ؛ ولاشك أن أخذ إنتاج الشباب لإذاعته بالمجان ليس من العدل ، كما أنه ليس من العدل ولا من الحزم أن تقتصد محطة الإذاعة وتدخر لتستطيع أن ترضى كبار المطربين والموسيقيين الذى يتحكمون فيها على حساب الشباب الذى هم أحوج إلى التشجيع وإلى أن يجنوا شيئاً من ثمرات قرائحهم ومواهبهم .

الفن المعاصر والفن المصرى :

كانت وزارة المعارف قد استقدمت جماعة من كبار الفنانين الفرنسيين والاسبانيين ، لعرض طائفة من إنتاجهم فى الرسم والنحت ولإلقاء محاضرات بمدرسة الفنون الجميلة العليا ؛ وأقامت معرضاً لصورهم وتماثيلهم بدار الجمعية الزراعية الملكية ، هو معرض الفن المعاصر . وقد تفضل جلالة الملك بزيارة هذا المعرض ، وفى خلال هذه الزيارة الكريمة قال جلالته للمشرفين على المعرض : هل يمكن إقامة معرض مصرى كهذا ؟ وكانت هذه رغبة سامية ولفتة بارعة من جلالة الفاروق . ولاشك فى أن الوزارة ستعمل على تحقيق ذلك .

وقد وافقت هذه الإشارة الملكية هوى كثير من الفنانين المصريين الذين كانوا يشكون من اهمالهم ويوجهون النقد إلى استدعاء الفنانين الأجانب وبذل الأموال لهم ، مع أن لهم أى المصريين — إنتاجاً لا تقل قيمته الفنية عن إنتاج هؤلاء الأجانب. ومما يذكر بعضهم أن استدعاء هؤلاء الفنانين كان بوساطة مليونير مصرى معروف له شغف بهذا الفن ، وهم من أصدقائه ..

ومما لوحظ فى معرض الفن المعاصر أن الرسوم واللوحات كتبت عليها أسماؤها وموضوعاتها بلغة أجنبية ، ولم تكتب حتى بجانب الأجنبية — باللغة العربية . وهذه ظاهرة يؤسف لها أشد الأسف ، وخاصة أن هذا المعرض تنظمه الحكومة المصرية التى تفرض اللغة العربية فى مكاتباتها ، فكان يجب على الأقل أن يترجم المكتوب باللغة الأجنبية إلى العربية ويكتب فى أوراق منفصلة تعلق بجوار الصور والتماثيل .

« العباس »



التاريخ يعيد نفسه بين المسلمين واليهود :

ذكر الأستاذ على الشوبكي أنه جاء في مقالي بهذا العنوان « ثم سلط الله عليهم دولة الروم قبيل ظهور المسيح ، فقضوا على دولتهم قضاء لا مرد له ، وأجلوهم عن فلسطين آخر جلاء ، لأنهم كذبوا مسيحه وحاولوا قتله ، وقتلوا ابن خالته يحيى بن زكريا قبله) وعلق عليه بأنه لا يتفق والتسلسل الزمني للتاريخ ، إذ كيف يقضى الروم على دولة اليهود ويجلوهم عن فلسطين لأنهم كذبوا المسيح وحاولوا قتله قبل ظهوره .

ولاشك أن مثل هذا لا يفهم من كلامي ، لأن الذي جاء فيه أن تسليط دولة الروم على اليهود هو الذي كان قبيل ظهور المسيح ، وعطف مابعده عليه من القضاء عليهم وإجلائهم لايقتضى أن يكون قبل ظهور المسيح أيضاً ، لأنه لا يلزم من تسليط دولة على أمة أن تقضى على دولتها عند تسلطها عليها ، ولا أن تجليها من وطنها ، فهذا فعل وذاك فعل ، وقد يحدث الفعل الثاني بعد مضى زمن على الفعل الأول .

وللأستاذ الشوبكي تحياتي وشكرى .

عبد المتعال الصعيدي

استدراك على صاحب العقد الفريد :

أورد صاحب العقد الفريد في الجزء السابع باب « من سمع صوتاً فوافقه معناه فاستخفه الطرب » مانصه : وغنى ابراهيم الموصلي محمد ابن زبيدة الأمين بقول الحسن بن هانىء فيه :

رشـأ لولا ملاحته   خلت الدنيا من الفتن
كل يوم يسترق له   حسنه عبداً بلا ثمن
يا أمين الله عش أبداً   دم على الأيام والزمن
أنت تبقى والفناء لنا   فإذا أفنيتنا فكن
سن للناس القرى فقروا   فكأن البخل لم يكن

قال : فاستخفه الطرب حتى قام من مجلسه وأكب على ابراهيم يقبل رأسه ؛ فقام إبراهيم من مجلسه يقبل أسفل رجليه وما وطئتا من البساط ؛ فأمر له بثلاثة آلاف درهم ؛ فقال إبراهيم ياسيدى قد أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم ! فقال الأمين : وهل ذلك إلا خراج بعض الكور؟

والذى أذكره أن هذا تجن على الأمين أولا ، واختلاق على ابراهيم ثانياً ؛ فلقد فات الأستاذ العريان محقق الكتاب — كما فات صاحب العقد أن ابراهيم الموصلي لم يدرك زمن الأمين إذ كانت وفاته على عهد الرشيد سنة ثمان وثمانين ومائة . قال صاحب نهاية الأرب : لما مرض ابراهيم مرض الموت ركب الرشيد حماراً ودخل على ابراهيم يعوده وهو جالس في الأبزن « حوض يغتسل فيه » فقال له : كيف أنت ياابراهيم ؟ فقال : أنا والله ياسيدى كما قال الشاعر :

سقيم مل منه أقربوه   وأسلمه المداوى والحميم

فقال الرشيد : إنا لله ، نخرج فما بعد حتى سمع الداعية عليه .

وذكر صاحب الأغانى : قال اسحق بن ابراهيم الموصلي : دخلت على الرشيد بعقب وفاة أبى ... إلى أن قال فأدناني منه فقبلت يده ورجله والأرض بين يديه فاستعبر وكان رفيقاً فوثبت قائماً ثم قلت :

فى بقاء الخليفة الميمون   خلف مصيبة المحزون
لايضير المصاب رزء إذاما   كان ذا مفزع إلى هارون

فقال لى : كذاك والله هو ، ولن تفقد من أبيك ما دمت حياً إلا شخصه .

هارون محمد أمين

فى مقال :

فى العدد (٧٦٨) من (الرسالة) الغراء اطلعت على مقال الأديب غائب طعمة فرمان « نظرات فى الأدب العراقى » ولى عليه تعقيبان لغويان ، هما :

١ — قال فى سياق المقال : «.. وتلك الصرخات (المداوية) فى الشعر العراقى .. » فاستعمل الفعل الثلاثى (دوى) من الدوىّ أى إحداث الصوت ! وهو خطأ ما فى ذلك شك ! إذ لا يقال : دوى الرعد . وإنما : دوّى الرعد .. لأن الثلاثى ماضيه — وهو من باب صدي — بمعنى مرض ، والدوى — على القصر —

المرض . وإذاً فالصواب أن يقال « الصرخات المدوية لا (الداوية) ... »

٢ — وقال : « .. و (على) ضوئها يمكن أن ندرس .. » وهو استعمال « مصلحى » بحت لا ينتمى إلى لغة الضاد على وجه الصواب بسبب أو بأسباب . والصحيح أن يقال : « ... (فى) ضوئها .. » . قال تعالى فى كتابه العزيز « كلما أضاء لهم مشوا (فيه) » . ومن أصدق من الله قيلا !

وبعد : فليس غرضنا من تعقيبنا هذا الخاطف إلا الذود من لغة الضاد ، هدى الله الجميع إلى الرشاد والسداد .

(الزيتون) عدنان

كتاب تاريخ الأدب العربى :

تجرأ أحد المجرمين من الكتبيين فقلد الطبعة العاشرة من كتاب « تاريخ الأدب العربى » وعرضها للبيع ، وهى طبعة ناقصة محرفة مشوهة ، يعرفها القارىء لأول وهلة من صغر حجمها ، وسوء طبعها ، واختلاف حرفها ، وخلوها من الشكل ، و كتابة عناوين الأبواب بالخط الفارسى وهى فى الأصل مكتوبة بخط الثلث . وأولى علامات هذه الطبعة المزيفة أن تجد على صفحة الغلاف الأولى جملة (حقوق الطبع محفوظة) غير محصورة بحاصرتين وهى فى الطبعة الأصلية الصحيحة محصورة بهما وشكلهما هكذا [ ] .

وقد اتخذت الإجراءات الرسمية لضبط الزيف ومصادرة النسخ المزيفة . وإنا لننصح لحضرات القراء أن يميزوا بين الطبعتين بما ذكرنا من الفروق ، وأن يتفضلوا — متى وقعت فى أيديهم نسخة مزورة — فيخبروا إدارة الرسالة بمكانها ومصدرها وعلى الأخص فى الأقطار العربية . وقد شرعنا نطبع الكتاب طبعته الحادية عشرة وستكون مزيدة منقحة كما عودنا القراء فى كل طبعة

حول ديوان أبى فراس :

لامراء فى أن هذا الديوان فى ثوبه الجديد خليق بكل ماقوبل به من حفاوة وتنويه . فهو طراز لا عهد للشرق به فى الاخراج ، وأسلوب يجب احتذاؤه فى نشر تراثنا القديم ؟ ولكن ما فائدة كل هذه المجهودات فى التحقيق والنشر إذا ظلت عقيما لم ينتفع بها منتفع ، وبانت حتى فوق متناول أساتذة الأدب فى معاهد الأدب العالية ؟

جرى ذكر نشر هذا الديوان وثمنه فى مجلس شيخ من شيوخ اللغة والأدب فى مصر . فتبسم ضاحكا وقال : ما معنى أن يبلغ ثمن الديوان فوق الثلاثة جنيهات . وكم أستاذا ممن يدرسون الأدب يتحمل دخله أن يبذل فى أمثال هذا الديوان هذا المبلغ ؟ وكم يبقى لما تخرجه المطابع العربية ؟ وما يحمل إلينا من المطبوعات الأجنبية ، يجب أن تظل هذه الأعمال العلمية ، « ما أمكن » بمنأى عن روح التجارة بعيدة عن أن يكدر صفاءها غبار الاستغلال ، حتى يتهيأ لها أن تؤتى آثارها المرجوة . إن كنا نريد أن نزود الأمة : وننهض بذوقها وفكرها .

إن أهم ما ينال من مكانة هذا الأثر فى النفوس أنه قد شق مطلبه وعسر سبيله على كثير من الاساتذة الذين هم حماة اللغة ورعاة الأدب فضلا عن الشباب .

محمد عبد الحليم أبو زيد

مهرجان للشعر فى النادى النوبى العام :

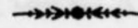
يقيم النادى النوبى العام بالأسكندرية مهرجاناً شعرياً احتفالا بالربيع فى الساعة السابعة من مساء يوم الأحد ٢٨ مارس سنة ١٩٤٨ ؛ برئاسة صاحب العزة البكباشى أحمد الطاهر بك رئيس جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية . ومن خطبائه وشعرائه الأساتذة : إدوار حنا سعد ، حسين محمود البشبيشى ، خليل شيبوب ، عبد اللطيف النشار ، عثمان العزب ، الآنسة عواطف بيومى ، الأستاذ محمد فضل اسماعيل



طبيعـــة مبهمة !

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى



مالت السيدة الوضيئة جانباً ، وهى جالسة على مقعد وثير مغطى بالمخمل الأحمر فى عربة فاخرة من عربات السكة الحديدية !. وقد ضمت أناملها البضة الرقيقة مروحة مريشة أنيقة الصنع رائعة الوشى .. راحت تهتز وتتراقص عن يمين تارة وعن شمال ! ..

وطفق المنظار الملق على أنفها الدقيق الفاتن لا يقر له قرار ، بينما بدت « الحلية الماسية » مشرقة تتألق على جيدها كزورق يسبح فى ماء المحيط ! ..

وجلس فى مقعد قبالتها الناموس [1] الإقليمى للجمعيات الخاصة وهو شاب حديث المنبت فى الأدب ، يخرج على القوم بين حين وحين بقصص طوال — من النسق الرفيع كما يحلو له أن يسميها — ينشرها فى جريدة الإقليم ...

راح يحملق فى صفحة وجهها ، ويحدق عن قصد لا يحول .. بعين العارف الخبير ! إنه يتأمل ويدرس .. ويتصيد ظلالا عابرة وأطيافاً حائرة بين ثنايا هذه الطبيعة المبهمة ، والغموض يكتنفها !

إنه يحاول أن يفهمها ويسبر غورها .. فروحها ونفسها .. كلتاهما مبسوطة بينة الجلاء أمام ناظريه ..

ثم لم يلبث أن قال لها ، وهو يلثم رسغها البض على مقربة من السوار ! .

« آه .. لقد أدركت ! . أدركت إلى أبعد مدى ما يدور بين جوانحك .. إن روحك ذات الحس المرهف والأمل الطامح .. تسعى فى سبيل الخلاص من ربقة الحيرة الطاغية ، والفكاك من أسر القلق القاتل ! إنه لصراع عنيف « نضال مخيف ! ولكن تمالكى روعكِ وأمسكى عليك صوابك وتذرعى بالصبر فلسوف يأتيك الفوز من حيث لا تملين .. أجل ! »

فقالت السيدة الأنيقة فى صوت خفيض مضطرب النبرات ، وقد علت وجهها بسمة حزينة : « أكتب عنى يا « فلدمار » ... أن حياتى عامرة مختلفة ألوانها ! . زاخرة بالمال والذهب .. بيد أنى — على الرغم من ذاك — لا أذوق للسعادة طعماً ، ولا أجد الهناءة إلا حلماً ! . ما أنا إلا نفس معذبة وروح شقية فى صفحة من صفحات « دستوفسكى » ! .

« عرف العالم بهذه النفس يا « فلدمار » ، وأذع خبر هذه الروح ذات الحظ العاثر والطالع النحس ! . لقد أوشكت أن تبلغ من قلبى مبلغاً عظيما . ولعلك لا تجدنى بعد ساعة فى هذا القطار »

— « خبرينى ! . ناشدتك الله .. خبرينى ! . »

— « أعرنى مسمعيك .. لقد كان أبى كاتباً فى « الخدمة » فتر عليه رزقه .. وكان ذا قلب تغمره الطيبة ويفيض عطفاً وحنواً وذا عقل ليس بالعاطل من الفطنة والمعرفة .. بيد أن الزمام أفلت من بنانه وهو فى غاية العمر ، وتنكب جادة الرشد وهو على شفا القبر ! .. فأدمن الخمر وأغرق فى الميسر .. وامتدت يده إلى الرشوة فلوثها دنسها ! . إنى لا أضمر له لوماً .. بل طالما رثيت له وأشفقت عليه ! .

وأمى ! — ولكن ما الذى يدعونى إلى أن أمضى فى هذا !. المتربة والعوز .. والنضال المرير فى سبيل لقمة تسد الرمق ! .. والمشاعر التى تكتنف المرء لإحساسه بتفاهة شأنه وحقارة أمره فى موكب الحياة الصاخب ! أوه ! دعنى .. لا تدفعنى إلى أن أبعث هذه الذكريات وأثير تلك الشجون .. لقد جاهدتُ فى أن أشق سبيلى وأنت أدرى بحال التعليم فى تلك المعاهد التى تأوى من يطلب العلم فيها ، وما يجتاح الشباب — وهو يتفتح — من حماقات ونزوات .. ثم هذه الخفقات الأولى بين الضلوع .. للحب الوليد ! إن ذلك لرهيب مهيب ! . الحيرة والاضطراب ، وتلك الآلام المبرحة التى تحز فى النفس حزاً عند من يفقد يقينه بالحياة ! ...

أوه إنك مؤلف ! . وتدرك ما يفعم قلوبنا .. معشر النساء !

---

[1] « الناموس » هى الترجمة الصحيحة لمن يدعى « السكرتير » .
« جميل »

لسوف تفهم كل شيء ! . كم كنت تعسة شقية! : أتلمس السعادة وأى سعادة ! وأتوق إلى أن أطلق لروحى عنان الحرية ! أجل فها هنا .. تكمن سعادتى وتستكن راحتى ! . »

فتمتم « المؤلف » .. وهو يتهال على رسغها العاجي فيلثمه مرة أخرى عند السوار !. « يالك من مخلوق رائع! إنى لا أقبلك أنت .. بل أحيى فيك الإنســانية المعذبة .. ألا تذكرين « رسكولنكوف » وقبلته الخالدة ! .. »

— « أوه .. يافلدمار .. إنى لتواقة إلى المجد ، مشوقة إلى الرفعة ظامئة إلى الشهرة ! إنى لأحن إلى أمر غير هذه الأمور التي لا تفتأ تدور على وتيرة واحدة .. أمر غريب عجيب لا تألفه النساء ! .

وبعد هذا ! . ألقت إلى المقادير قائداً عجوزاً عظيم الثراء وافر النعمة ! . هلا فهمتنى يافلدمار . لقـد كانت تضحية بالنفس وأى تضحية ! . وإنكاراً للذات وأى إنكار! ينبغى أن تعلم هذا !

لم يكن بوسعى أمر غيره فقد علقت «الأسرة» آمالها وعقدت أمانيها على أن أقبله . كم عانيت منه فلشد ما أثار سخطى وأهاج بغضى فقد كان عناقه شيئاً كريهاً وحديثه تعافه النفس

وكنت — على الرغم منى — أظهر له اللطف وأتكلف الرقة ؛ إنها لحظات مريعة . بيد أن الرجاء كان يراود نفسى والأمل يداعبها فأمنيها اليوم الذى يوارى الرجل فيه التراب ويضمه اللحد . حينئذ سوف يخلو سبيلى ، فأحيا كما يروق لى وأهب نفسى إلى الأنسان الذى أعبده سعيدة راضية لا مجال للريب فى أنه ثمت إنسان يقع من النفس موقع الشغف يافلدمار »

وراحت السيدة الوضيئة تحرك مروحتها فى شيء من العنف والشدة وبدا وجهها وكأنما اتخذت سماته الأهبة للبكاء ، ومضت فى حديثها مستأنفة « وأخيراً خمدت أنفاس الرجل وذاق منيته تخلف لى نصيباً ليس باليسير . لقد صرت طليقة كالطائر الذى يحوم فى جو السماء فيقع على مايهوى إنها الساعة التى حانت فيها سعادتى أليس كذلك يا فلدمار؟ لقد أقبلت السعادة تطرق نافذتى ولم يكن على إلا أن أدعها تدخل

ولكن أسمع يافلدمار فى هذه اللحظة التى كنت فيها أسعى للرجل الذى أهيم به حباً لأهبه نفسى وأصبح شريكة حياته ، وساعد عون له وناصرة لشوكته فأسعد به واستريح إليه

فى هذه اللحظة تبددت الأوهام وطارت الأحلام شعاعاً . إن حياتنا حقيرة تمجها النفس ، تافهة لا معنى لها . إنى بائسة أشد البؤس ، يائسة أبلغ اليأس ..!

لقد كانت ثمت عقبة أخرى فى سبيلى فلما انثنيت أتلمس السعادة إذا بها نائية عنى بعيدة كل البعد ..أوه ! ما أشد هذا ألما وتبريحا لو أنك تحس هذا الألم وتستشعر ذاك العذاب »

— « ولكن ما الذى قام فى سبيلك ونهض فى وجهك هذه المرة ؟ ! بالله خبرينى ما هو ؟ ! »

— « قائد عجوز آخر واسع الثراء فكأنى مثل الذى فر من الموت ، وفى الموت وقع »

وانسدلت المروحة « المحطمة » على الوجه الوضيء ، واعتمد « المؤلف »رأسه الضخم على راحة يده وأغرق فى لجة من الفكر وقد لاح فى هيئة الفيلسوف الحكيم

وانطلقت القاطرة تدوى بصفيرها وصليلها بينما اصطبغت سُجف النافذة بالحمرة الموردة وقد أشاعتها الشمس الغاربة !

« الدق » مصطفى جميل مرسى

مصلحة سكك حديد الحكومة المصرية

ركوب المسافرين فى درجات أعلا من درجة تذاكرهم

نظراً لتعدد الشكوى من ركوب المسافرين فى درجات أعلا من الدرجة التى تخول لهم تذاكرهم الركوب فيها ، ورغبة فى عدم طغيان ركاب كل درجة على الدرجة الأعلى . وتمكيناً للركاب من التمتع بالركوب فى الدرجة المقررة لهم بحكم ما بيدهم من تذاكر . أصدرت المصلحة تعليمات مشددة باتخاذ الاجراءات الكفيلة بمراعاة النظام ومنع المخالفات — ومن بين هذه الاجراءات أن يقوم خدمة القطارات بغلق أبواب الدرجتين الأولى والثانية بحيث لا يسمح بالدخول فى كل منها إلا لمن بيدهم تذاكر تخول لهم الركوب فيها .

ولما كان بعض الركاب يتذرعون بعدم وجود أماكن فى العربات التى تخول لهم تذاكرهم الركوب فيها . ويتخذون ذلك مبرراً لركوبهم فى درجة أعلا فسوف لا يلتفت لذلك العذر بحيث إذا وجد أى راكب فى درجة أعلا يلزم بدفع فرق الأجرة فى حدود القوانين الموضوعة .

مطبعة الرسالة



العدد ٧٧٠ - الاثنين ٥ ابريل ١٩٤٨ - السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٢٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 770

Lundi — 5 — 4 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد «٧٧٠» القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ٥ أبريل سنة ١٩٤٨ السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصـــة فتـــاة

— ٧ —

يوم السبت ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٥ :

ظلت الفتاة أسبوعين بعد لقائنا فى الكنتننتال تتردد فيهما على مكتبى ، فلا تجد الفرصة مواتية لتقول مثل ما كانت تقول ؛ ولا الجلسة خاصة لتسمع مثل ما كانت تسمع . ثم انقطع عنى عِيانها وخبرها فجأة ، فلم أعد أراها فى المكتب ، ولا أسمعها فى التليفون ، ولا أقرأها فى البريد ؛ فملأت هـذا الانقطاع بما يجوز من الملل فى مثل هذه الحال ، ولكنها لم تعْدُ أن تكون ظنونا لا يطمئن عليها البال :

هل عادت إلى القرية ؟ ولكن لماذا لم تودعنى قبل سفرها ؟ ولماذا لم تخبرنى بعودتها وهى تعلم أنى أسر بخبرها ؟

هل أصابها مرض ألزمها الفراش ؟ ولكنها مرضت قبل ذلك فلم يمنعها المرض أن تبعث إلىّ برسالتها مرة وبرسولها أخرى .

هل قطعت بينها وبينى الأسباب ؟ ولكنها قنعت منى بالسبب الضعيف الذى لا يربط ، فلا ينفعها أن تقطعه ، ولا يضرها أن تصله . إذن ما عسى أن تكون العلة الصحيحة لانقطاع خبرها عن علمى هذا الشهر كله ؟

كنت أدير فى خاطرى هذا السؤال حين ألقى إلىّ البريد فى مساء هذا اليوم كتاباً ورقه كذلك الورق ، وخطه كذلك الخط ؛ ولكن أسلوبه مختلف وإمضاءه مغاير ! مَن (زوزو) هذه التى تكتب إلىّ بهذا الطول وتخاطبنى بهذه اللهجة ؟ عرفت بعد ما قرأت أنها ابنة أختها ، وأنها تقص علىّ فى هذا الكتاب مأساة خالتها ، وما غاب عنى من عقدة هذه المأساة ونهايتها .

سألخص كتابها فى صفحة هذا اليوم وهو التاسع والعشرون من سبتمبر ، لأرفه عن نفسى المحزونة بهذا الأسلوب الطريف ، ولأكل به هذه القصة التى بدأت فى الربيع وانتهت فى الخريف !

قالت الآنسة زوزو ما معناه : أكتب إليك يا سيدى ولست غريبة عن بالك ، فإنك سمعت بى ولا شك من خالتى المسكينة (س) ، وقد كنت رسولها إليك فى ذات يوم لو تذكر . ولطالما حدثتنى عن أثرك فى نفسها فأشتهى أن أراك ، وخوفتنى من رأيك فى مثلها فأستحى أن ترانى . ولولا أن فى ذمتى عهداً لخالتى ورفيقتى أن أقص عليك عاقبة أمرها لما أبحت لنفسى أن أبكيك بذكر حادثتها الأليمة وخاتمتها الحزنة !

لقد لقيها الذئب فعلا يا سيدى ! لقيها فى أصيل يوم من أيام أغسطس الأخيرة ، وكان الحر فيـه يزهق النفوس ويضيق الأنفاس ؛ فجلسنا أنا وهى فى (سان سوسى) بميدان الجيزة نستروح نسيم النيل ونستنشى عبير الرياض . وكان الذئب يجلس إلى المنضدة التى تقابلنا فى زى شاب وضىء الطلعة ظريف الهيئة ، فخالسَنا النظر وخالسناه ، وأشار أن يجالسنا فجالسناه . وعرفنا

من فحوى كلامه أنه مخبر فى إحدى جرائد الصباح ، فزويت وجهى عنه لأنه لم يكن من الصنف الذى أتعاطاه . ولكنه كان حسن الحديث حاضر البديهة بارع النكتة لطيف الدعابة ، فاستخفت خالتى ظله وصمت إليه . وقضينا فى منافلة الطرائف والأسمار أربع ساعات كانت أربع سنوات فى رفع الكلفة بينها وبينه . ثم عدنا مع الفتى فى الترام إلى المنيرة ، وهنالك ودعناه وواعدناه . وباتت خالتى على هوى جديد لم تذق مثله منذ قدمت القاهرة ونازعت الندمان كؤوس الحب !

تجدد بعد ذلك الموعد ، وتعدد اللقاء ، وتأكد الود ، حتى أصبحت تخرج وحدها إليه ، فيقضيان أواخر النهار وأوائل الليل متنقلين فى القاهرة بين مقاهيها وملاهيها ، وبين أرباضها ورياضها ، فيتساهمان اللهو ، ويتقاسمان الصفو ، والشاب يبذل لها من الوعود ، مقدار ما تبذل له من النقود ؛ فيزعم أن أحد الأحزاب المعارضة سينشىء له صحيفة ، ويشترى للصحيفة مطبعة ، ويبنى للمطبعة داراً ؛ وأن رئيس الحكومة قد بلغه ذلك ، فهو يساومه على قلمه الحوّل القلّب ، وعقله الخرّاج الولّاج ، بمورد ذهبى يتفجر فى بيته كل شهر من خزانة الداخلية وخزانة الحزب . وهو على يقين جازم من أحد الموردين إن لم يكن من كليهما ؛ ولذلك أمر سماسرة البيوت أن يبحثوا له عن دارة فى المعادى ، ووكلاء السيارات أن يسجلوا اسمه على سيارة (بويك) !

ما ذا تصنع خالتى وقد جمع الله لها كل أمانيها فى هذا الصحفى الشاب ؟ حب مكنون يملأ شباب القلب ، ومنطق معسول يلائم هوى النفس ، ومستقبل مأمون يضمن رفاهية العيش ! أخلدت إليه بالثقة ، ورفّت عليه بالأنس ، وقبلت أن تزوره فى غرفته الخاصة على سطح من سطوح المنازل الحقيرة ! وهنالك رأت أن ثروة الشاب لا تزيد على بذلة نظيفة فوق جسمه ، ولسان ذهبى فى فمه ، وطمع أشعبى فى قلبه ! ولكن الهوى يعمى ويصم ، والشباب يغوى ويضل ، والشراب يغرى ويجرى . فباتت لأول مرة فى بيت غير بيتها ، من دون إيذان لرفيقتها ولا استئذان من أختها !

وفى الصباح أفاقت المسكينة من سكرة الهوى فأحست بعقرة الذئب ! فقالت له وهى تمزج الدم بالدمع : ما علاج هذا الأمر وأختى لا تزال على حفاظ أهل الصعيد : يفرق بين الحرية والإباحة ، وبين الدنية والتبرج ؛ فهو يسامح إلا فى الشرف ، ويغضى إلا عن العرض ؟

فأجابها الفتى باسماً : العلاج الزواج ! وكان قد علم من قبل أن لها مالا مدخراً وأرضاً مستغلّة ؛ فالزواج له فرصة ، ولكنه لخالتى غصة . فقالت له : إن أسرتنا تشترط فى الزواج التكافؤ فى الطبقة والثروة ؛ وحالك على ما أرى لا تطمعك فى رضا أهلى . فقال لها الفتى فى إصرار وقوة : المهم أن نستر بالزواج جريمة العرض ؛ أما جريمة الفقر فجريرتها هينة ، وعقوبتها محتملة . وسنجابه أخاك بالأمر الواقع فيثور قليلا ثم يسكن ، ويغضب طويلا ثم يرضى .

وصارحت الأخت أختها بالحادث والحديث ؛ فباركت أمى الخطبة وأقرت الزواج . واتفقت الحماة والعروسان على ليلة العقد وحفلة الزفاف . وتسامع الناس بالخطبة المفاجئة والقران الخفى ، فظنوا الظنون ، وتقولوا الأقاويل؛ وأبرق بعضهم بهذه الشائعات إلى خالى فلم يبت إلا فى القاهرة .

تطلب منى المحال إذا طلبتَ أن أصف لك كيف دخل خالى الصالون فوجد المأذون وبيده الدفتر ، وأبى وبإزائه العريس ، وأمى وبقربها العروس ، والبواب وبجانبه الشاهد الآخر ، وهؤلاء جميعاً شملهم السكون وغشاهم الوجوم ؛ فكأنهم يودعون مريضاً يُحتضَر ، أو يشيعون ميتاً يدفن ... تصور أنت بخيالك هذا المنظر الأليم على أبشع ما يكون المجلس عبوساً وجهامة ، وفى أشنع ما يكون الجلوس خزياً وندامة .

سلم خالى إيماء باليد ثم جلس وعيناه تلتهبان من الحنق ، وشفتاه ترتجفان من الغضب ، والتفت إلى أمى وقال لها بصوت فيه روعة القضاء ورهبة القدر : متى كنا يا فلانة نزوج بناتنا فى مثل هذا المكان ، ومن مثل هذا الإنسان ، فى غيبة عن الأهل وخفية من الناس ؟ لقد سبقتمونا إلى (المدنية) فلم يعُد رأينا متفقاً فى معنى الشرف ، ولاشعورنا متحداً فى إدراك الكرامة ! ! ثم لحظ العروس البائسة وقال لها بلهجة صارمة : إذهبى يا فاجرة فأعدى حقيبتك وسأنتظرك أمام البيت .

(البقية على صفحة ٤٠٧)

الحمـــام الزاجل

للأستاذ أحمد رمزي بك

فى الحروب الحديثة :

يعتمد فن تحريك الوحدات الكبرى وسوقها للقتال على شبكة من طرق الاتصال أصبحت بعد استعمال الراديو بأصنافه مع التلفون العادى والتلغراف عملا من أدق وأصعب الأعمال لضبط المخابرات ونقل المعلومات وتوجيه الأوامر ، وتصبح هذه الآلة المحكمة التنظيم عرضة للوقوف والتعطيل إذا اشتبكت الوحدات العسكرية فى معركة حاسمة ؛ إذ هنا تفرض الحرب نوعاً من المفاجآت قد تمطل كل ما أنتجه العقل البشرى من مخترعات : ويبرز الحمام الزاجل كواسطة لنقل المعلومات لا يمكن إغفالها .

نعم إن الحرب الحديثة ، الخاطفة أو الثابتة أمام الحصون ، الزاحفة أو المتراصة ، الهجومية أو الدفاعية بأصنافها المختلفة ، تخلق أحياناً من الظروف الطارئة ما يشل عمل هذه الوسائل المستحدثة التى أوجدها العلم والتى يستطيع العلم وحده أن يبطل أثرها ، فيحتم على المقاتلة العود إلى استعمال أساليب القدماء التى خيل إلينا أننا تركناها ومن بينها الحمام الزاجل الذى قد يصبح الوسيلة الوحيدة التى نتمكن بواسطتها من إنقاذ موقع محاصر أو نقل رسالة هامة يتوقف عليها مصير جيش من الجيوش أو نتيجة معركة ناشبة .

نظامه فى الجيوش :

لذلك أصبح للحمام الزاجل أنظمة محكمة فى جيوش العالم ؛ فقد رأيت فى الحروب الماضية والحرب الأخيرة عدة أبراج متنقلة للحمام مركبة على السيارات ، وعرفت أن كل برج منها يحوى مجموعة من الحمام تقرب من المئة وأنها مقسمة ثلاثة أسراب :

سرب غائب ، وآخر يستريح ، وثالث كاحتياطى . وكانت حمائم كل سرب توزع على ثمانيــة مراكز أو تسعة يراعى فى ترتيبها أن تكون على صف واحد بين الأبراج وتتناوب الحمائم الانتقال والتمرين عليها لنقل الرسائل .

ويقوم على خدمة الحمام جنود مدربون لهم صبر على تربيته ومران على تعليمه والاستفادة منه . والحمام الزاجل أليف يسهل تعويده وتدريبه على الرحلات ما دامت الأبراج ثابتــة ، أما إذا تحركت وتبعت الوحدات فى تنقلاتها احتاج الأمر إلى استخلاص نوع من الحمام المدرب الذى اعتاد اكتشاف طريق برجه ولو تغير موقعه . وهذا النوع من الحمام إذا رُبى وأحسن تدريبه يكتشف أبراجه فى دائرة قطرها عشرون كيلومتراً مهما تبدّل أو تغير موقع الأبراج .

وتملق الجيوش كما قلنا أهمية خاصة على هذا النوع الممتاز من الحمام لأنها تعتمد عليه فى إنقاذ حالات لا تجدى فيها الوسائل العادية ؛ إذ يرجع إليه الفضل فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ووسط قوات متحاربة تملك غاية ما أوجده العقل البشرى من وسائل الاتصال ، يرجع إليه الفضل فى تغيير خطة عسكرية أو تقديم موعد هجوم حاسم أو تأجيله . وكم من وحدات انقطعت عنها النجدات وتعذر عليها استعمال اللاسلكى لئلا تفضح أماكن تجمعها ، أنقذها الحمام الزاجل ! !

الحمام الزاجل فى الجيوش الإسلامية :

ويعتبر استعمال الحمام الزاجل من وسائل المخابرات التى أحكم أمرها فى أنظمة الجيوش الإسلامية وخصوصاً فى مصر أيام استقلالها ؛ إذ كانت لها اليد الطولى فى هذا المضمار : وكانت قلعة القاهرة المحروسة مركز الإرسال والوصول للمكاتبات التى يحملها الحمام الزاجل : وكان يربى فى أبراجها نوع ممتاز من الحمام أطلق عليه اسم الرسائلى لاتخاذه من فصيلة أعدت لحمل الرسائل السلطانية التى كانت توضع فى داخل أنابيب من المعدن الخفيف أو فى داخل أكياس من الحرير .

وتفنن كتاب ديوان الإنشاء بقلعة مصر فى أسلوب هــذه الرسائل وبلاغتها وجعلها فى منتهى الاختصار لنقل ما كانوا يريدون إيصاله من المعانى ، بل حرصوا على اختيار نوع الورق الذى يكتبون عليه رسائلهم ليخف وزنه على الطائر .

وانتهى بهم الذوق إلى إكرام الحمام الناقل للبشرى بتولية السلاطين أو الحمام الحامل لأنباء الظفر والانتصارات فى المعارك

فكانوا يطوقون جوانبه بالمسك والعنبر والروائح العطرية ، كما كانوا يتعممون طلاءه بالسواد إذا نقل أخبار الهزائم والوفاة .

حوادث فى التاريخ الإسلامى :

حينما هوجمت مصر مرتين من الشمال بالجيوش الصليبية الأولى أيام السلطان الملك الكامل بن العادل الأيوبى ، والثانية أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وهى حوادث أفزعت العالم الإسلامى ، كانت أسراب الحمام الزاجل تنقل أخبار المعارك وشدتها فيقع كل طائر منها على أبراج القلعة وهو مجلل بالسواد دليلا على حمله للأخبار السيئة التى يعانيها المسلمون فى دمياط وميادين القتال .

وكانت القاهرة تقوم لها وتقعد ويكثر الابتهال إلى الله إذ يهرع الناس إلى المساجد لإقامة الصلوات .

ولما انتصر المصريون وأمراء مصر نزل الحمام الزاجل على أبراج القلعة مطوقاً بالعطر والمسك والزعفران ينقل بشرى زوال المحن والمصائب وأنباء الانتصارات الحاسمة المتتالية : هذا ما سجله التاريخ للحمام الزاجل .

ويظهر أن الإفرنج كانوا يجهلون أمر هذا الحمام بدليل ما ورد فى تاريخ حصارهم لمدينة القدس قبل فتحها ؛ فقد بعث قائد القوات المصرية المحاصرة — وكانت من جنود الدولة الفاطمية — طائراً لنقل أخباره إلى خارج المدينة فلم يلتفت إليها الإفرنج لولا أن جاء من أعلمهم بأن الطير ينقل الأخبار فتربصوا به وأطلقوا النشاب عليه فأصابوا الطير ، ولما وقع عثروا على القصاصة المراد إرسالها فتنبهوا إلى خطورته ، وضيقوا الحصار على المدينة حتى فتحوها .

الحمام الزاجل وآل سلجوق

كانت دولة آل سلجوق من أعظم دول الأرض ، وكان الحمام الزاجل معروفاً قبلها ، ولكن فى عهدها أدخلت أنظمة شبكات الخطوط الرسائلية فى أنحاء هذه الامبراطورية المترامية الأطراف ؛ فإليها يرجع الفضل فى جعل تربية الحمام وتنظيم استعماله فناً من الفنون اللازمة للدولة . وهذا كغيره من مستحدثات السلاجقة الذين لهم الأيادى التى لا تزال خافية .

وعنهم أخذ نور الدين الشهيد بن زنكى هذا النظام السلجوقى فأحكم أمره فى الشام ثم انتقل إلى آل أيوب فكانوا أول من أتقنه وأحكمه بأبراجه وأسرابه فى مصر ثم بلغ منتهاه فى العصور التالية

تربيته وتدريبه والعناية به

أفتتن القدماء بالحمام الزاجل بعد أن رأوا نفعه ، فأصبحت لهم دراية بتربيته وتدريبه والعناية به ، وكانوا يقسمونه على حسب لونه وعدد الرياش المعتبرة فى الأجنحة والأذناب ، وفرقوا بين الذكر والأنثى ؛ فجعلوا لكل عملا خاصاً به ، وصنفوا الطير ، فميزوا بالفراسة ما لمسوا نجابته من صغره ، واختاروا الزمان والمكان الملائمين للافراخ ، وهى أمور لم تصل إليها الجيوش الحديثة التى تربى الحمام الزاجل الآن .

ويبالغ المؤرخون فينسبون إلى أن القدماء جعلوا للطير أنساباً كأنساب الخيل ، وألفوا الكتب فيها وفى أعمال الحمام الزاجل وبطولته ، فنسبوا إلى خلفاء العباسيين والفاطميين أنهم دفعوا أثماناً باهظة ثمناً له ، وأن ملوك الروم كانوا ينافسونهم فى ذلك . فن قبيل المبالغات أن الحمام المصرى بدمشق نقل بعض أنواع الفاكهة النادرة فى الشام لمصر أيام العزيز بالله ثانى خلفاء الفاطميين ، أو ما ذكروه عن الطير الذى قطع المسافة بين القسطنطينية وبغداد مرة واحدة ؛ إذ يندر أن تعرف الحمامة أماكنها إذ زادت المسافة عن عدد معلوم من الكيلومترات فلما يتعدى العشرين أو الثلاثين ؛ كما أن سرعة سفرها محدودة ومعلومة فلا يصح أن ينسب إلى الطير ما لا يصدقه العقل .

نظام القدماء فى نقل الرسائل :

قلنا إن الدولة السلجوقية هى التى أتقنت نظام شبكات الحمام الزاجل لأحكام طرق الاتصال ونقل المخابرات بأسرع الطرق ، وكانت الدولة المصرية فى العصور الإسلامية قوية الجانب تحكم مساحات واسعة من أراضى آسيا تمتد على نهر الفرات وتصل أحياناً إلى دجلة ، وكانت تسيطر فى الشمال على منطقة عسكرية تحيط بها القلاع والمدن المحصنة . فكان من أول ما اهتمت به الدولة إحكام المخابرات مع هذه المناطق فاستعملت طرق البريد السريعة وإيقاد النيران لنقل الإشارات بين القلاع وبعضها ثم أحكمت نظام الحمام الزاجل .

ويعود الفضل فى تنظيم المخابرات وتاق الحمام الرسائلى إلى شبكة الأبراج ومحطات الإرسال المنشأة بين العاصمة والأماكن

التلمود واليهود

للأستاذ نقولا الحداد

تلقيت من مجلة « الرسالة » مقالتين ضافيتين رداً على مقالى : « التلمود خدع اليهود » الذى نشر فى « الرسالة » فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ؛ إحداهما بلا تاريخ ولا ذكر لمكان صدورها ولا إمضاء سوى كلمة «عاصف» . وما هى إلا عاصفة هراء وسباب وبذاء . فهذه لا تستحق إلا أن ترمى فى أقصى مكان من الدار ، أو أن تلقى فى النار لكى يطهر جوها من عفونة الأقذار .

وأما الأخرى فعلى النقيض : هى نقد كالربت الخفيف على الكتف ، من أديب أريب بتوقيع « لطيف مختار » من بغداد يدافع فيها عن التلمود واليهود ، ويرد على كل فقرة فى مقالى . فلو نشرت فى « الرسالة » لشغلت نحو ٦ صفحات على الأقل ؛ ولو رددت على كل نقطة فيها لشغلت « الرسالة » كلها .

و« الرسالة » وقف على قراء ينشدون العلم والأدب الصافيين . لذلك اجتزئ عن البحث الطويل بالكلام فى أمرين : التلمود ونيات اليهود .

أولا : لم يكن التلمود مقصوداً فى مقالى ؛ وإنما كان المقصود موسى عليه السلام ؛ لأنه هو الذى ساق بنى إسرائيل من أرض مصر إلى أرض كنعان بعد أن أوصى الإسرائيليات أن يستعرن من المصريات حليهن ، بحجة أن عندهن احتفالا عظيما . فرحلن فى اليوم التالى والحلى معهن . ولما بلغ موسى بهم أرض كنعان قال : إن الله يرسل أمامهم ملاكا ويطرد من أمامهم الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين (انظر الأصحاح ٣٣ العدد ٢ ، والأصحاح ٢٣ ، والعدد ٢٣ من سفر الخروج . وكان كلما تذمروا من بطئهم فى برية سينا مناهم بأنهم سيمتلكون منازل الكنعانيين وأثاثهم وفرشهم ولحفهم وطناجرهم ومواشيهم وكرومهم الخ.

لماذا طرد الله أولئك من أمامهم ، أليسوا خليقته ؟ أما كان ممكنا أن يحولهم إلى عباده ؟ هذه مسألة لاهوتية لا نبحث فيها ،

المختلفة وأهمها قلعة دمشق وقلعة حلب . وكانت أبراج القلعة بمصر نقطة مركزية تتلاقى الحمام من دمشق وأسوان والإسكندرية على السواء .

وتليها شبكة دمشق العاصمة الثانية فى أهميتها : لأن لنائب السلطنة حق المخابرة رأساً مع القاهرة وله الحمام الخاص به . وكان لنائب قلعة دمشق هذا الحق أيضاً وله الحمام الزاجل الخاص به ، وحق الاتصال المباشر مع السلطان بصفته قائداً لموقع عسكرى محصن . وكانت المسافة تقطع على مراحل : فالحمام الذى يطلق من دمشق يهبط الصنمين ومنها يقوم آخر إلى أبراج محطة طفس ثم قلعة أربد بفلسطين ثم بيسان ثم جنين ثم قاقون ثم غزة وهى نهاية شبكة الشام .

والحمام القائم من أبراج قلعة مصر يهبط فى سرياقوس ومنها إلى بلبيس ثم الصالحية ثم قطيا ثم الواردة ثم غزة وهى ملتقى الشبكة المصرية على الشامية .

أما قلاع الشمال وأهمها البهنسا وقلعة الروم أو قلاع جبل طوروس فكانت تبعث برسائلها إلى مدينة حلب ومنها إلى المعرة ثم حماة ثم حمص ثم قارة إلى قلعة دمشق وإليها تصل حمائم الأعمال الفراتية أى قلعة الرحبة وقلعة جعبر . وكانت المسافات بين هذه الأماكن تسمى مسارح الحمام بحيث لا يمكن أن يتعداها بل يجب أن يعود الحمام ثانية بعد أداء واجبه إلى أبراجه الدائمة بمحطات الإرسال . وكانت القلاع مشحونة بالجند والمقاتلة وأبراج الحمام وعلى اتصال دائم بقلعة الجبل بمصر : مركز الحكم وأبهة الملك .

بهذا حفظت مصر الحصون والثغور والقلاع وتمكن جندها من كسب الحروب الصليبية وكسر التتار عدة مرات .

كانت قوات مصر لا تقهر ولذلك سميت مصر بالمحروسة وعساكرها بالمنصورة ، وأطلق عليها فى المستندات والوثائق الرسمية : هذه الدولة القاهرة .

كانت أسراب الحمام الزاجل تعمل للنصر فى خدمة مصر القاهرة

أحمد رمزى

وإنما اقتضتها سياسة موسى فى قيادة بنى إسرائيل .

وإذا كانوا فى ذلك الزمن شعب الله المختار ؛ فقد صار ملايين من البشر من عباده ، أفلا يزال اليهود شعبه المختار ؟ وإذا كان الله قد وعدهم أرض كنعان فى ذلك الزمان ، أفيبقى هـذا الوعد نافذاً أربعين قرناً ؟ وإذا كان نافذاً إلى اليوم ، فسكان فلسطين اليوم هم من سلالة إسرائيل ، ولما ظهر الإسلام أسلموا . فهم الآن فى وطنهم والقادمون من وراء البحار دخلاء .

وإنما جنبت موسى هذه المسؤولية تورعاً وألقيتها على التلمود لأن التلمود هو شريعة اليهود الأولى والصحيحة ، وشريعة موسى جاءت ثانوية . وإن كان التلمود قد جمع من شرائع مختلفة منذ قرنين بعد المسيح ، وفيه ما ليس فى التوراة من عجائب الفروض والسنن وغرائب المقدسات والمحرمات الخ كما سترى . فلا بدع أن نستند إليه فى مقال أو كتاب .

يقول الأستاذ لطيف وهو يدافع عن التلمود : إنه قرأ التلمود بنفسه فلم يجد فيه إلا تعاليم إنسانية ومدنية ، مما يوصى بمراعاة القريب (ومن هو القريب) وإيوائه كفرد من الأسرة إلى غير هذا من الفضائل . حسن ! ولـكن هل مر فى أثنـاء مطالعته للتلمود على هذه الآيات البينات التالية :

« إن التلمود وجد قبل الخليقة . ولولا التلمود لزال الـكون » (انظر سفر بشليم ٥٤ ، ٥٨ من التلمود الأصيل) .

« إحذر يا بنى — يقـول الحاخام رابا — واتبع التلمود لا التوراة ؛ فالتوراة تتضمن أحكاماً لا تستوجب مخالفتها عقاب الموت . وأما من يخالف حرفاً جاء فى التلمود فالقتل عقابه . ومن يهزأ بكلمة من كلـمات التلمود يغمس فى الغائط ويساق فيه حياً إلى أن يموت » ، (سفر رُوبين ٢١ حرف ب من التلمود) — ويحكم يا هؤلاء ! ما فطن مأمورو هتلر إلى تعذيب فظيع كهذا .

« إن الله يدرس التلمود منتصباً على قدميه » ، (سفر مجيلا ٢١) .

« من يعارض حاخاماً أو يناقشه أو يتململ منه يعـارض العزة الإلهية نفسها » . « كلام الحاخام إن ناقض كلام حاخام آخر هو من وحى الله أيضاً ؛ فلليهودى أن يختار من الـكلامين المتناقضين ما يوافقه » ، (سفر شولبين وسفر جيباموت) .

« إن الحاخامين ملوك ، ويجب إكرامهم كملوك » ، (سفر جيتين ٦٢) .

« دخلت يوماً قدس الأقداس فرأيت الله جالساً على كرسى مرتفع ، فقال لى : باركنى يا بنى . وإذ باركته شكرنى وسلم وانصرف » (سفر بيراشون ٧ حرف ١) .

« ما يقره الحاخامون على الأرض هو شريعة الله » ، (سفر روش هشانا ٨ حرف ب) .

« الحاخامون يصبحون جميعاً آلهة ويُدعون يَهوَه أى : (الله) » . (سفر بابا تبرا ٧٥ حرف ا) .

« للحاخامين السيادة على الله ، وعليه إجراء ما يرغبون فيه » (سفر مويدقنان ١ حرف ا » .

« إذا احتدم الخلاف بين الحاخامين والله فالحق مع الحاخامين » (سفر بابا مزيا ٨٦ حرف ا) . وهناك كثير من هذه الطرائف .

إذا كان الأستاذ لطيف المختار لم يجد هذه الآيات فى التلمود الذى طالعه فأسأله : أى تلمود قرأ ؟ طبعاً لم يقرأ التلمود الأصيل بل قرأ التلمود المنقح .

التلمود الأصيل ذو ١٤ جزءاً جمعت محتوياته فى القرن الثانى للميلاد . وقد قرّظه الـكاتبان اليهوديان : جـيروم ونارو فقالا فيه : إنه مجموعة شـاذة لمتقدات وعواطف وآمال وخرافات وقصص وتقاليد وقواعد تشريعية وأدبية .

وقد ظهر من هـذه المجموعة طبعات مختلفة أقدمها عهداً ظهرت فى مدينة البندقية سنة ١٥٢٠ ثم طبعت بعد ذلك مراراً . فما لبثت أن جاءت حجة ضد اليهود ؛ فنقحها مجمع منهم واستبعد منها كل ما هو شاذ وناب وأصدر أمراً بأن لا يطبع إلا النسخة المنقحة . ولـكن الناشرين ضربوا بهذا الأمر عرض الحائط . وأما الآيات النابيات فحفظت على حـدة يلقنها الحاخامون لبنى جلدتهم شفوياً .

والظاهر أن الأسـتاذ لطيف لم يطلع إلا على التلمود المنقح الذى قدمه إليه أحد اليهود الذى يخجل من إظهار التلمود الأصيل .

وإذا شاء حضرة الأستاذ أن يعرف أشياء أخرى عن التلمود الأصيل وعن أخلاق اليهود ومبادئهم ودسائسهم الخ فأنصح له

أن يطلع على كتاب الصهيونية ونشأتها وأثرها الاجتماعي (الذي أخذت عنه معلومات عن التلمود في هذا المقال) بقلم م كفوري وقد طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . فإذا لم يجده في بغداد فلمل الأستاذ محمود حلمي صاحب المكتبة المصرية يستطيع أن يجلبه له .

وإذا شاء الأستاذ لطيف المختار أن يعرف أسرار سلوك اليهود الخاص في جميع الأمم وكنه رغبتهم في إنشاء دولة يهودية في فلسطين يتوسلون بها إلى السيطرة على كل العالم واستعباد جميع الأمم؛ فنرشده إلى مجموعة « البروتوكولات » الأربعة والعشرين السرية التي طبعتها The Briton Publishing Society 40 great orm and Street w.C.I London

وثمنه شلن ونصف ما عدا البريد .

وهي خلاصة مباحثات مؤتمر مؤلف من ٣٠٠ من حكماء اليهود ، وهذه المجموعة تسمى قوانين شيوخ صهيون العلماء .

Protocoles of The Meetingr of the Learned Elders of Zion

وهي تعتبر التلمود الجديد الذي يطبقون عليه حياتهم في هذا العصر . ففي هذه الوثائق السرية ترى حضرة الأستاذ فلسفة إبليس الرجيم . وترى الأساليب الشيطانية لاستخدام الحرية للاستعباد ، والديموقراطية للفوضى ، وسلطان الذهب لدك الشعوب . وهناك ترى كيف أن الدعارة أقرب الوسائل لاستيلاء الضعفاء على الأقوياء ، والخبثاء على الحكام ، والمال لزلزلة كل نظام — كل ذلك توطئة لسيادة صهيون على العالم .

لست أنا مفتئتاً على اليهود وإنما أنا مستمد أخلاقهم وسلوكهم من تلمودهم ومن بروتوكولاتهم . وفي التاريخ منذ عهد إبراهيم إلى اليوم ترى في أعمالهم أدلة ناصعة على سلوكهم وتصرفاتهم . ترى سياستهم الجهنمية ظاهرة في جميع الانقلابات الدولية التي حدثت . وكان آخرها الانقلاب العثماني الذي بيت له يهود سلانيك منذ نصف قرن حتى تم على أيدي مسلمين كانوا يهوداً في الأصل فأسلموا لأجل هذه الغاية . ثم تلاه الانقلاب الروسي الهائل وكان أنصار لينين فيه كلهم يهوداً . ثم امحقوا ، وآخر من امحق منهم تروتسكي . ثم الحرب الأخيرة التي كان اليهود من عواملها السرية في أوروبا وأميركا . وكان كل انقلاب ينتهي بافرنقاع اليهود من حوله . فلا يهمهم هذا الافرنقاع ما دام الفرض الهدم وقد حصل .

لو يتسع المجال لاقتبسنا كثيراً من فضائح هذه البروتوكولات وفظائعها فنكتفي الآن بنزر يسير منها للدلالة على غمطها .

فبينما البند السابع من البروتوكول الأول يتكلم عن الحرية يقول « يكفي أن تدفع شعباً إلى الحكم الذاتي برهة من الزمن إلى أن يتحول إلى غوغاء بلا نظام ، فلا يلبث أن نحوله نحن إلى جهاد قتال ثم إلى معارك بين الطبقات . وفي وسط هذه المعارك تحترق الحكومات وتهبط أهميتها إلى رماد » .

ثم يقول البند الثامن : « سواء كانت الحكومة قد انهكت قواها في أثناء تشنجها ، أو أن الشقاق في داخلها جملها تحت أقدام عدوها — في كلتا الحالتين تعتبر ساقطة خاسرة — تصبح في قبضة يدنا . إن رأس المال الذي هو برمته في يدنا يصل منه غصن إلى الدولة وهي في إبان تخبطها ، فلا بد أن تتشبث به لخلاصها من ورطتها وإلا فتهبط إلى القعر » .

البند ٢٢ يصف إحدى الوسائل للتوصل إلى القوة والسلطة « إن الجوييم (والجوييم هم الشعوب غير اليهودية بحسب اصطلاحهم) يتلهون بالخمرة فينشأ فتيانهم بلهاً ضعاف الأدبيات يسهل قيادهم ؛ فيقودهم رسلنا الاختصاصيون من معلمين وخدم ومربيات أطفال في منازل الأثرياء ، وكتبة في مكاتب الأشغال وأمثالهم ، وعلى الأخص نساؤنا اللواتي في مواخير الدعارة المختلفة الدرجات التي يختلف إليها الجوييم . وأحسب بين هؤلاء سيدات المجتمع (سيدات الصالونات) اللواتي يسمين طواعية مع أولئك في الإفساد والبذخ والترف » .

البند ٢٤ من البروتوكول الأول يقول : « إن حكومتنا وهي ماضية في سبيل النصر يمكنها أن تبدل إرهاب الحرب بأحكام الإعدام الأقل إرهاباً والأكثر تأثيراً لكي تقيم الرعب الذي يؤدي إلى الطاعة العمياء . على أن القساوة التي بلا رحمة هي العامل الأقوى في الحكومة . ليس لأجل الحصول على الفوز فقط ، بل باسم الواجب ، ولأجل النصر يجب أن نواظب على الشدة وعلى جعل الناس يعتقدون بصواب ما نفعله … لذلك ليس بالوسائل

المشروعة بل بعقيدة القساوة ننتصر ونخضع جميع الحكومات إلى حكومتنا العليا . حسبهم أن يعلموا أننا بلا رحمة لكيلا يجرأوا على العصيان » .

وعلى هذا الطراز تتمشى البروتوكولات الـ ٢٤ في ٦٠ صفحة من القطع الوسط بحرف الجرائد . وإذا سنحت الفرص نقتطف منها أيضاً وأيضاً .

وإذا ظفر الأستاذ لطيف بهـذا الدستور الجديد أو التلمود الثانى ، رأى أن ليهود العصر الأخير نيات فاضحة في هدم الفضائل المسيحية والإسلامية وغيرها ، وتقويض أركان الأنظمة الاجتماعية ، ونسف كل نوع من الحكم طالحاً كان أو صالحاً ؛ لكى يرقوا على أنقاض خراب العالم إلى منصة السلطة . ومن هنك يعلون على الأمم أنظمتهم التى تضمن لهم التودد والاستبداد والاستعباد .

لا ريب أن هـذه السياسة الخرقاء التى يتعملونها سخيفة فلا يمكن أن يعوموا بها على سطح هذا الخضم الإنسانى وهم مثقلون بهذه الأضاليل ؛ فهم فاشلون على كل حال فى فلسطين وفى أوروبا وفى أمريكا . فليجربوا حظهم فى أمم الشرق الأقصى فلعلهم يغرقون هناك إلى قعر الأوقيانوس الاجتماعى ، إذا لم يتوبوا من غيهم ويعودوا إلى وجدانهم السليم ويندمجوا بسائر الأمم طارحين عن عواتقهم تلمودهم . وإن أصروا على عزائمهم تكرر فيهم ما كان من حظهم فى ألمانيا .

فإذا لم تكن أيها الأستاذ لطيف يهودياً وإنما تتبرع للدفاع عن اليهود من قبيل العطف فشكراً لك ، ولكنى لا أرى أن اليهود يستحقون العطف ما داموا يبيتون لجميع الأمم غدراً وأذى. فأرجو أن تطلع على التلمود الأصيل لا المنقح ، ثم على التلمود الجديد أى مجموعة البروتوكولات ، ثم قل لى ألا ترى أن التلمود خدع اليهود بإيهامهم أنهم شعب الله المختار ، وأنهم يمتازون على جميع الشعوب ؛ فصمموا على أن ينشئوا دولة لأنفسهم على الرغم من تشتتهم ثم يغزوا سائر حكومات العالم ويخضعوها لسلطان حكومتهم العليا .

أرى أيها الأستاذ أنك رددت على مقالى بعد مرور ثلاثة أشهر على نشره فى « الرسالة » . فهل كان ردك هذا نتيجة مؤامرة تجاه بروتوكولا خامساً وعشرين ؟ فعسى أن تكون قد نجحت فيما فعلت ، ونلت ما انطوت عليه رغبتك وسلام عليك ولك .

***

بقيت لى كلمة أوجهها إلى اليهود أنفسهم . ألا يرى يهود العالم أنهم حيثما أقاموا كانوا مصدر خوف وأذى أفلا يتساءلون فيما بينهم : لماذا كان يكرههم الشعب الألمانى ثم جميع شعوب أوربا ، ثم الشعب الإنكليزى الذى كان أعطف الشعوب عليهم ، وقد منحهم وعد بلفور ، ثم الشعب الأمريكانى وقد قسم لهم قطعة من فلسطين ثم ردها لأهلها لأسباب سياسية .

لماذا لا يعقدون مؤتمراً ويبحثون فى أسباب جفاء العالم لهم ، ويبحثون عن وسائل لإزالة هذه الأسباب لكى يعيشوا مع العالم بسلام ؟ .

وأما قولهم إن العالم يحسدهم لأنهم أذكياء ؛ فهذا سبب سخيف لا يقيم أحد له وزناً .

لا نريد لهم الشر ؛ فليريدوا الخير لأنفسهم والسلام .

نقولا الحداد

نعم نملك تحريم تعدد الزوجات

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

نعم نملك تحريم تعدد الزوجات ، ولكن بطريق ما كان يصح أن يخفى على حضرة صاحب المعالى العالم العلامة عبد العزيز فهمى باشا ، وقد سلكه أولو الأمر حديثاً فى نظائر لتعدد الزوجات ، ولم يتعسفوا الطريق إليها كما تعسف فى طريق تحريم تعدد الزوجات فوقع فيما لا يصح أن يقع فيه مثله فى علمه وفضله ، لأن إباحة تعدد الزوجات من الأحكام التى جرى العمل بها فى عهد النبوة والصحابة ، وفى كل العهود الإسلامية إلى عهدنا الحاضر ، وهو الحكم الذى يوافق تشريع الإسلام ، لأنه يمتاز بأنه تشريع صالح لكل زمان ومكان .

ومن يخالف مثل هذا الحكم الظاهر يقع فيما وقع فيه الباشا حين أنكر إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام ، فاضطر حين خالف بهذا ماجرى عليه العمل جيلا بعد جيل إلى تعسف لم يقع نظيره من مسلم ، ولكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة ، ولله العصمة وحده ، وقد كان هذا بأن ذهب إلى أن فترة الإسلام الأولى منذ الهجرة إلى آخر الدولة الأموية كانت عهد امتلاءوا بحروب المسلمين وفتوحاتهم ، والجنود فى كل أمة يدللون ويتجاوزلهم عن كثير من الآثام فى مقابل أنهم وهبوا حياتهم للدفاع عن أمتهم ، والشباب من جند المسلمين كانت الغريزة الجنسية تتنبه عندهم فى أوقات الراحة بين الوقائع الحربية ، ولم يكن لهم سبيل إلى إجابة داعيها بغير التزوج ، لأن الزنا محرم ، فكانوا يتزوجون غير زوجاتهم اللاتى تركوهن فى بلادهم ، ثم استمروا على هذه العادة المحرمة ، ولم يعدموا من يهونها عليهم بالحيل الشرعية ، ثم شايعهم عليها أهلوهم ولولم يكونوا محاربين ، فانتشر العمل بها بين المسلمين فى القرن الأول والثانى ، ولما جاء عصر التدوين فى آخر الثانى وأوائل الثالث كانت هذه العادة قد صارت من التقاليد القديمة المستقرة المحببة إلى المسلمين ، فاضطر الفقهاء فى كثير من الجهات إلى مسايرتها ، وتدوين الواقع من متابعة الناس لها ، وتساهلوا فى تأويل سندها من القرآن ، كما تساهل فيه المحاربون الأولون .

ولاشك أن مثل هذا الكلام لا يصح أن يقال من عالم مثل الباشا درس تاريخ المسلمين ، وعرف بإخلاصه لدينه وتقاليده ، لأنه لا يعقل أن يسكت المسلمون كلهم على ذلك الإثم ، ولا يوجد فيهم واحد يقوم بإنكاره ، وينبههم إلى حقيقة أمره ، ولكن الباشا حفظه الله وأطال فى عمره يرى أن تعدد الزوجات صار غير محتمل فى عصرنا بشكله الأول ، وأنه لابد من تقييده بقيود تلائم ماصار إليه المسلمون الآن ، فيجد من الأستاذ الفاضل إبراهيم زكى الدين بدوى ومن لا يحصى من العلماء من يقف فى طريقه ، ويرى أنا لا نملك أن نحرم تعدد الزوجات ، لأن فى هذه خروجا على إباحة الدين له ، كما قيل مثل هذا عند تحديد سن الزواج ونحوه مما جرى العمل الآن به ، وألفه الناس بعد أن ثاروا عليه عند تشريعه ، فيقابل الباشا هذا الغلو فى التشدد فى أمر القديم ، بالغلو فى محاولة إبطاله ، ويوقعه هذا فى خطأ الغلو مثلهم ، لأن الإسلام دين وسط لا غلو فيه ، وبهذا كان أصلح تشريع عرفه البشر منذ وجودهم على ظهر الأرض .

إن الإسلام قد أعطى تعدد الزوجات حكم الإباحة ، ليتصرف المسلمون فيه فى كل زمان ومكان بحسب المصلحة ، فيأخذوا به إذا اقتضت مصلحتهم ، أن يأخذوا به ، ويكفوا عنه إذا اقتضت مصلحتهم أن يكفوا عنه ، ويكون بهذا حكماً صالحاً لكل زمان ومكان ، كما هو شأن سائر أحكام الإسلام ، فلم يجعله سنة أو فرضاً على المسلمين حتى يؤخذ فيه شىء عليهم ، ولم يضيق عليهم بتحريمه كما ضيق غيره من الأديان ؛ لأن هذا التضييق لا يلائم كل زمان ومكان .

وليس معنى الإباحة فى الإسلام أن يأخذ المسلمون فيها بشهوتهم ، فلا يقفوا فيها عند حد ، ولا يتصرفوا فيها بالحكمة لأنه أسمى من أن يطلق لشهوة المسلمين عنانها فى هذا الحكم ، وقد أباح لهم لباس الزينة والأكل والشرب من الطيبات ، ولكنه لم يطلق لهم أمرها إطلاقاً ، بل قال الله تعالى فى الآية — ٣١ — من سورة المائدة (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) فاظنك بإباحة تعدد الزوجات وأمره فيها ليس كأمر الزينة والأكل والشرب ، لأن

كلا من هذه الثلاثة مباح مرغوب فيه ، أما تعدد الزوجات فهو مباح غير مرغوب فيه ، كما قال تعالى فى الآية — ٣ — من سورة النساء (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) .

وقد كان الأخذ بإباحة تعدد الزوجات مقبولا فى الصدر الأول لأن المسلمين كانوا عدولا متمسكين بأمر دينهم ، فكانوا يعدلون بين نسائهم وأولادهم ، وكانت النساء لاترى حرجاً فى ذلك التعدد لأنه كان يؤخذ بالحكمة ، ولا يتأثر فيه بالشهوة ، وكان الأبناء من الزوجات المتعددة لا يجدون تفاوتا فى المعاملة من آبائهم ، فلا يحدث بينهم شقاق يضر بدينهم .

ولأن المسلمين كانوا فى قلة بين الأمم المجاورة لهم ، وقد قامت بينهم حروب متتابعة تحدث فيهم قلة إلى قلتهم ، فكانوا فى حاجة إلى تعدد الزوجات ليعوض ما يصيبهم فى الحرب من فقد الرجال ، ويزيد فى عددهم حتى يمكنهم أن يدافعوا عن أنفسهم ، ويكون فيه علاج لما تحدثه الحرب من نقص عدد الرجال عن عدد النساء ، فيجمع بعض الرجال بين زوجتين أو ثلاث أو أربع ، ممن فقدن رجالهن فى الحرب ، ليقمن بوظيفة النسل المسلمين ، ويجدن من يقوم بأمرهن بعد فقد أزواجهن ، فى حال من الحل لا يكون فيها حرج عليهن ، ولا يكون فيها من الضرر بالمجتمع مثل الزنا .

ولأن المسلمين فى ذلك الوت كانوا خير أمة أخرجت للناس ، فكانت كل زيادة فيهم زيادة فى تلك الأمة التى أخرجها الله لتؤدى رسالتها بين الناس ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، والزيادة فى الخير محبوبة ، ولا شىء فى أن يصار إليه بتعدد الزوجات ، لأن كل وسيلة إلى الخير مقبولة .

فهل المسلمون الآن كأهل الصدر الأول ؟ وهل يرجى خير من زيادتهم بتعدد الزوجات كما كان يرجى فى عهد ذلك السلف الصالح ؟ اللهم كلا ثم كلا .

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى وجوه الحى غير وجوههم

فليس المسلمون الآن عدولا كما كانوا فى الصدر الأول ، فلا تجرى تصرفاتهم فى تعدد الزوجات بالحكمة بل بالشهوة ، ولا يعدلون بين نسائهم وأولادهم ، ولقد كان هذا سبباً فى فساد الأسرة الإسلامية ، لأن الأسرة لايستقيم حالها بغير العدل ، ولقد جر فساد الأسرة إلى فساد الأمة ، لأن الأمة تتألف منها ، فيصلح حالها بصلاح حالها ، ويفسد حالها بفساد حالها .

وليس المسلمون الآن فى قلة كما كانوا فى الصدر الأول ، لأن عددهم يربو الآن على ثلثمائة مليون ، وهذا عدد لا يستهان به إذا ربى تربية صالحة ، ولا قيمة له إذا لم يؤخذ بهذه التربية ، فهم الآن ليسوا فى حاجة إلى زيادة العدد ، وإنما هم فى حاجة إلى تلك التربية الصالحة .

وليس المسلمون الآن خيراً أمة أخرجت للناس ، حتى يكون فى زيادتهم بتعدد الزوجات زيادة فى خيرهم ، لأنهم لم يجعلوا خير أمة أخرجت للناس بذواتهم ، وإنما جعلوا كذلك لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فإذا لم يقوموا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كانوا كغيرهم من الأمم ، بل كانوا أسوأ حالا منهم ، وهاهم أولاء الآن لايقومون بهذه الوظيفة كما كان يقوم بها سلفهم فصاروا إلى كثرة لاخير فيها ، ولا يرجى خير فى زيادتها بتعدد الزوجات ، بل يزيد شرها ويتفاقم كلما زادت ، ويتسع خرقه بزيادته على الراقع .

نعم نحن الآن غثاء كغثاء السيل ، كما أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأسد على فريستها ، فقالوا له : أعن قلة يارسول الله ؟ قال : لا ، ولكن غثاء كغثاء السيل .

ولقد كان العشرون من أهل الصدر الأول يعدون بمائتين ، وكان المائة منهم يعدون بألف ، بل كان الواحد منهم يعد بألف أو أكثر ، أما نحن الآن فالألف منا يعدون بواحد ، ولا خير فى كثرتنا ونحن على هذا الحال ، بل يجب أن نعمل على تقليل عدد الأسرة فينا بمنع الزيادة على زوجة واحدة ، ليمكن رب الأسرة أن يربيها تربية صالحة ، ويمكننا أن نهيىء جيلا صالحاً يعتز الإسلام به ، ولا يكون كهذا الغثاء الذى يحط من شأن الإسلام ، ويحط من قدر المسلمين بين الأمم .

وسيجد الباشا بعد هذا أن ما يريده من منع تعدد الزوجات كان مطلباً سهلا لايحتاج إلى ما تكلفه فى أمره ، وما كان الشارع الحكيم ليعطيه حكم التحريم الذى حاوله الباشا ، وهو يزن أحكامه أعدل وزن ، فلا يرضى أن يجعل تعدد الزوجات كالزنا فى الحكم

فى التحليل النفسى :

تخاف من العرائس

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

قالت إنها تخاف من العرائس ، فتبادر إلى ذهنى أنها تخاف من الفتيات فى سن الزواج وقد أعلنت خطوبتهن وأصبحت الواحدة منهن « عروسة » كما هو الاصطلاح فى تعبير العامة . وأيد هذا الظن أن السائلة فتاة حول العشرين من عمرها . فقلت لها ولماذا تخافين من العرائس ، هل ترهبين الزواج ولا تريدينه ؟ قالت لا ، ليس الأمر كذلك ، إنى أعنى تلك العرائس التى يصنعها الناس للزينة أو التسلية ، ويتخذها الأطفال أداة للهو واللعب والعبث ، ثم نطقت بالفرنسية « بوبيه » Poupeé .

ورأيت أن الأمر ليس مهملا كما تصورت فى أول الأمر ، فطلبت منها زيادة الإفصاح والبيان .

هذا وأنا آخذ حالة الفتاة مأخذ الجد ، فهذا أول شرط فى التحليل النفسانى .

قالت : إنى أخجل من نفسى خجلا شديداً ، ولا أحب أن أفضى لأحد بأمرى حتى لا يهزأ بى ، فأنا أعلم أن العرائس لاضرر منها ، وهى لا تؤذى ، ولا تملك نفعا ولا ضراً ؛ ثم إنى قد بلغت من السن ما لا ينبغى أن ينزل بقلبى الخوف من مثل هذه الأشياء التى لا تليق إلا بالصغار من الأطفال . وبلغت من الثقافة ما أعلم معه علم اليقين أننا نحن الذين نصنع هذه العرائس بأيدينا ، فكيف نخاف منها .

وكانت حقاً على درجة من الثقافة ، فقد تلقت العلم فى مدارس فرنسية ، وهى تشتغل الآن مدرسة فى مدرسة ابتدائية .

واستطردت قائلة : فأنت ترى أن هذه الحالة تجلب لى متاعب كثيرة ، وترهقنى من أمرى عسرا . فأنا لا أطيق أن ألمس « عروسة » واضطرب اضطرابا شديداً إذا دخلت حجرة فوجدت فيها شيئاً من ذلك فأخرج منها . ولهذا السبب رفع أهلى من البيت كل عروسة ، وكل تمثال للزينة ، لأننى أخاف كذلك من التماثيل . وإذا علمت أن صديقة من صديقاتى تحتفظ فى بيتها بعرائس أو تماثيل ، أبيت أن أزورها ، دون أن أبدى السبب الحقيقى لأنه مضحك حقاً .

ثم إنى لا آمن إذا دخلت بيتاً ، وجلست فى غرفة تخلو من العرائس ، أن يدخل علينا طفل يلهو بعروسة فى يده ، وعندئذ يحدث لى هذا الخوف الذى يبلغ حد الفزع ، فأستأذن فى الحال وأنصرف ، وأنا فى موقف شديد الحرج بالنسبة إلى نفسى وبالنسبة إلى صديقتى .

ثم تصور أن لى أختا تكبرنى سنا ، وهى متزوجة وذات أطفال ، وقد حرمت على نفسها شراء العرائس لأبنائها حتى تيسر لى زيارتها ، وتستقبلنى فى دارها . فانظر مبلغ العنت الذى كنت سببه ...

قلت لها لعل هذه العرائس قبيحة المنظر ، تخيف حقاً ، فهى لذلك تبعث الرعب .

قالت : الغريب أن العروسة كلما زادت جمالا ، ازددت خوفا .

فالتقطت منها هذه الكلمة ، أعنى « العروسة الجميلة » ، وقلت فى بالى هذا مفتاح أعلم منه سر نفسها . ثم ذهبت ألاحقها بالسؤال عن ذكريات الماضى وعهد الطفولة ، إذ كانت العقد النفسية تتكون فى الصغر بل الصبا المبكر .

قالت إنها لا تذكر متى بدأ خوفها من العرائس ، ولكن أهلها يقولون إنها وهى طفلة صغيرة جداً تخاف منها . وأقدم ذكرياتها التى تعيها ، أنهم كانوا يضعون تمثالا من الجبس على هيئة امرأة ذات ملاءة سوداء فوق الشباك بالقرب من سريرها وكانت رؤية هذا التمثال تفزعها وتبعث فى خيالها أشنع الأوهام .

وهذا كله معقول ، فالطفل الصغير قاصر الإدراك ، وقد يكون أصل هذا الخوف ومبعثه إيحاء بعض أخوات هذه الفتاة وقولهم لها ما يثير الخوف ، فصدقتهم ، واستمرأوا هذا العمل ومضوا فيه ؛ وأصبحت الفتاة الصغيرة ترهب هذه العرائس وترتمش أو ترتـ

لأن التسوية بينهما فى الحرمة يأباها العقل .

وسيجد الأستاذ إبراهيم بدوى بعد هذا أنه لم يكن له أن يقول فى عنوانه (هل نملك تحريم تعدد الزوجات) لأنا نملك هذا من غير نزاع ، ونزاعه مع الباشا فى أن تعدد الزوجات حلال أو حرام ، وهذا له عنوان غير ذلك العنوان ، والحق أردت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت .

عبد المتعال الصعيدى

عند رؤيتها . وثبت في نفسها هذا الخوف مع الزمن وأصبح كما يقولون « عقدة نفسية » .

ولكن حل العقدة يكون بمعرفتها ، واستخراجها من باطن النفس وأغوار الماضي فيبرح عنها الخفاء . وقد علمت صاحبتنا بأمر هذه العقدة ، وعلمت أن ليس في العرائس ضرر ، فما هو السر إذن ؟

فانصرفت إلى البحث عن هذه « العروسة الجميلة » التي تخاف منها ، التمس في الجمال علة الاضطراب .

وكان من الواضح أن السائلة غير جميلة .

وشرعت أسألها عن أخواتها وعن علاقتها بهن ، ولها أختان شقيقتان إحداها تكبرها بثمانية أعوام والثانية بعامين . الكبرى متزوجة وصاحبة أبناء ، والصغرى لم تتزوج بعد .

وتبين من نبرات صوتها عند الجواب أن بينها وبين أختها الثانية أشياء . فهي أجمل منها ، وأكثر منها حظاً في التعليم ، وتشغل منصباً أفضل منها .

وألححت في السؤال ، فقالت إنها تحترم أهلها وأخوتها وقد رباها أبوها تربية صالحة ، وعلمها أن تقف من أخوتها موقف المحبة والاحترام .

ولكن الغيرة لا تعرف التقاليد والحدود الاجتماعية . والواقع أن الغيرة الشديدة قامت بين صاحبتنا وبين شقيقتها منذ الصغر فهي أجمل منها ، وأحسن منها في التعليم حظاً ، وأرقى من حيث المنزلة الاجتماعية : فضلا عن الغيرة الطبيعية التي تنشأ بين الأختين إذا كانتا متقاربتين في السن .

إذن فهي في صراع بين الواجب والواقع ، بين واجبها نحو أختها وأهلها ، وبين طبيعة نفسها التي تحدثها بالغيرة .

ولكن ما شأن أختها بالخوف من العرائس ؟

لقد حدث عندها ما يعرف في علم النفس باسم « التحويل » Transference ، فقد حولت خوفها من العرائس وهي الدمى التي يلعب بها ، إلى أختها لما بين الاثنين من مشابهة في معنى « العروسة » . والعروسة عند العامة هي الفتاة المخطوبة إلى عريس فالأخت عروسة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة . وأكبر الظن أن الشخص الذي كان يخيفها في الصغر ، أي وهي في سن الثانية من عمرها ، هي هذه الأخت .

وإذن فقد تعقدت العقدة ، وتحولت من مجرد الخوف من العرائس المصنوعة للهو ، إلى الخوف من « العروسة الجميلة » وهذا سر قولها إن العروسة كلما كانت جميلة ، كان خوفها أشد . وكأن أختها أصبحت رمزاً حولت إليه خوفها ، وغيرتها ، وبغضها . .

ويؤيد هذا كله ، ما ذكرته من أنها لا ترغب في الزواج ، وتمانع فيه ، أو على الأقل كانت تمانع إلى عهد قريب .

ويؤيد ذلك أيضاً أنها تخشى الأطفال الحديثي الولادة ، أي الذين في سن الرضاعة . قالت إنها ذهبت عند أختها الكبرى ، وهي متزوجة وذات أطفال ، وعرض لأختها أمر يقتضي أن تخرج من الغرفة على عجل ، فأعطت ابنها الرضيع إلى صاحبتنا ، والتمست منها أن تهدىء من روعه إلى أن تعود . وحملت الفتاة الطفل بين يديها وهي ترتجف من شدة الخوف ، وكادت تلقي به إلى الأرض .

ونصحها أحد الناس بأن تصنع عروسة من قماش لعل ذلك يجعلها تألف بطريقة عملية هذه العرائس فلا تعود ترهبها .

وفعلت ذلك ، فقصت القماش ، ووضعت داخله القطن ، حتى إذا أوشكت العروسة أن تكتمل ، وصورت رأسها ، لم تستطع أن تمضي في صنعها إلى النهاية ، وبرز الخوف في نفسها .

ليس العلاج عسيراً ، فإذا عرف السبب بطلت آثار الاضطراب ؛ والمهم أن يقتنع المريض بصحة الأسباب ، وأن يعمل على علاجها .

أما عن السبب الأول وهو الخوف من العرائس الذي كان يقع في الصغر ، وصحبها إلى الكبر ، فيرجع إلى الوهم والتهويل ، وقد عرفت أن هذا الوهم باطل ، ولا ينبغي التهويل فيه .

أما عن السبب الثاني وهو الغيرة من أختها ، فقد وجدت بعض المشقة في ترويض نفسها على محبتها المحبة الأخوية الصادقة ذلك أن القضاء على الأحوال النفسية التي ثبتت في النفس مع طول الزمن من أشق الأمور ، مثلنا في ذلك مثل من يعتاد التدخين أو لعب الميسر أو شرب الخمر ، لا يسهل عليه أن يقطع عادته التي ألفها بين يوم وليلة .

وقد رسمنا لها الطريق المؤدي إلى كبح جماح الغيرة ، وفي القضاء على الغيرة من أختها على وجه الخصوص القضاء على خوفها الموهوم من العرائس .

أحمد فؤاد الأهواني

إلى الشرق العربي المجاهد:

ذكريات أجناس

للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

« كان المرج واسعاً والماء صافياً نيراً ، والعشب أخضر ملتفاً ، يغرى بالرعى سارح السوائم . وقطيع البقر يجرى ههنا وههنا طاعماً من الكلأ ، شارباً من الماء ، موقناً أنه نامت عنه المقادير كان ذلك كذلك ، حين جاء أول إنسان ، وقاد أول ثور ليضع على عنقه النير ، ثم أجرَّه المحراث وشق به الأرض » .

* * *

هذا ما قاله الثور الأسود والزبد يسيل من شدقيه ولا يكاد يستطيع أخذ أنفاسه ، حين وقف تحت الشجرة إلى جانب الثور الأبلق لينالا علفهما ثم يعودا يحملان النير .

ولم تكن ذكريات الحرية الأولى التى أفاضها على صاحبه لتخفف مما يعانيه هو . بل احمرت عيناه ، ولوَّح بقرنيه فى الهواء كأنما يغالب ما يدفعه إلى أن يفتك بهذا الحراث الغشوم . ولم يكن قد وضع رأسه فى المذود ساعة استعاد ذكريات ماضيه الحر ، كلا ، ولا وضع رأسه بعدها . على حين كان صاحبه يأكل التبن أكلاً لماًّ غير مبال بما يخالطه من زبد يسيل من شدقيه . فقال الأسود :

أنت يا صاحبى هادئ لم تثر فى نفسك ذكريات الحرية ما قد أثارته فى نفسى حتى صدتنى عن الطعام . فلم يرفع الأبلق رأسه من المذود المشترك ، بل مال عليه بصفحة وجهه يقول ساخراً :

— هيه هيه أيها المغرور ! ! لعلك ابن بقرة فيلسوفة قصت عليك ما حفل به تاريخنا فى القديم من سعادة كخيال الأساطير . وهبْ هذا صحيحاً فماذا أنت فاعل ؟ ! يجب أن تسلم أيها الخيالىّ بأن عنقك هذا القوى الغليظ لم يخلق هكذا إلا للنير .

فضرب الأسود بحافره الأرض حفاظاً وغيرة ، ثم خارخورة مكتومة قال على إثرها :

— أنت يا صاحبى مظلم الغريزة مخطىء الإلهام ؛ فأعناقنا لم تبد هكذا إلا لأن جدَّنا الأول حمل النير يوم قاده الطاغية من مرجه الجميل فغلظ عنقه شيئاً ورثه ابنه من بعده . ثم ما زال هذا الميراث السيىء يظهر أكثر وضوحاً على تعاقب الأجيال حتى خلقت أنا وأنت على نحو ما ترى . فتوارث العيوب وإقامة الأجيال على البغيض من أكبر البلايا التى تمنى بها الجماعات . فلو أن الثور الأول رفض النير ما حمله الثانى من بعده . على أن الثانى ليس خالياً من التبعة كذلك ، لأنه لو رفضه ما حمله الثالث وبتتبع حلقات السلسلة نصل إلى أننى وإياك يجب أن ننزل النير من على عواتقنا لنخلِّص منه سلالاتنا المقبلة .

قال الأبلق وقد كف عن الأكل : لكنك فى كل ماقلت تناقض مبادئ الخلقة ، لأننى لا أكاد أرى نوعاً سوانا يصلح لحمل الهوان الذى نحن فيه .

فقال الأسود : لم يكذب ظنى فيك فأنت حقاً مظلم الغريزة ! لماذا أكلف نفسى عناء البحث عن جنس آخر يحمل النير من بعدنا ؟ ! نريد أن نتخلص منه ، ثم ليحمله الشيطان أو ليحمله الحرّاث نفسه .

وكل ما أستطيع أن أجزم به هو أن الثور الأول لم تكن خلقته على ما نحن عليه . فلابد أنه كان رقيقاً لطيفاً فيه من الظباء مشابه كثيرة ؛ ولما صاحبه الاستعباد أتلف نسله على مرّ الزمن . أما سمعت عن قصة الغراب ؟ لقد كان يمشى فى الزمان الخالى على رجليه باعتدال ، ثم طرأ عليه ما هو خارج عن خلقته فمشى على رجل واحدة وقبض الأخرى حين فشل فى محاكاة العصفور ونسى مشيته الأولى !! آه ... ثم كان الغربان على ما تراها الآن مشيها وثب : لقد ذكرنى بنفسه ، هاهوذا قادم أتراه ؟؟ إنه آت ليلتقط حبات الفول من أمامنا فى المذود .

وتهافت الغراب باحثاً عن الحب ، فطرده الأسود برأسه ، ثم عاد فطرده مرة أخرى . فوقف فوق الشجرة ، وترجح بأحد الأغصان ، وأدار رأسه ذات اليمين وذات الشمال كأنه يفتش عن أحد من جنسه ، ثم شرع يقول للأسود :

سمعت ما قلته عن الغربان أيها الملعون وأنا فى طريقى إليك .

لقد أورثني أبي عرجاً ولم يورثني عبودية . وهأنذا أسخر منك قادراً على أن أسخر ممن استعبدك كذلك ، فانظر ما أنا فاعل ... أنا ابن الهواء الطلق وسليل ذوائب الأشجار .

ثم أطلق سلسلة نعيب تشاءم الحراث منها فقام عن طعامه وقذفه بحصاة ، ولكنه طار عن الشجرة ساخراً مزهواً ...

* * *

فاض على الثور الأبلق غيظ من أن سخر من جنسه ضعاف الأجناس ، فرفع رأسه عن طعامه ناظراً إلى الأسود بعينين ملتهبتين كذلك كأنه يسأله ماذا يجب أن يعمل ؟ يا لتراجع الحظ ! أيسخر منا كل جنس حتى الغربان ؟ !

قال الأسود : وأخيراً آن لك أن تعلم أنك مغلوب ، وأننا كنا من قبل في مرج خلق لنا وخلقنا له ، يوم خص الله كل جنس بطعام ومكان ! ! وبقينا هكذا حتى حجزنا الظلم عن مرعانا ومر الزمان ومر حتى خيّل إليهم أنه علينا حرام ...

كان الحرّاث قد فرغ من طعامه واضطجع قليلاً على أحد جانبيه وعيناه إلى الثورين ، فرأى الأسود لم ينل من علفه شيئاً على حين أكل الأبلق قليلا ثم كف . فقام إلى الأسود يمسح ظهره ويطرد عن عينيه الذباب ، ثم حل رباطه وأورده الماء ، وأعاده إلى مكانه ، ثم رمى أمامه حفنة من الفول خصه بها وعاد فاضطجع من جديد في هدوء شديد يرقب ويرى ما ذا يكون ؛ فتبادل الثوران نظرات السخرية حين رأيا أنه حابى الأسود ولم يهويا إلى علفهما بفم .

ومرت لحظات قام الحراث من بعدها إلى الأسود يصب عليه سوطه ثم جرهما معاً إلى المحراث ولم ينزل عنهما النير إلا بعد أن غابت الشمس .

* * *

أوى الرعاة إلى الأكواخ ، وأوت السوائم إلى الحظائر ، وسكن الليل فهاجت هواجس المكروبين .

ورقد الأسود بجوار الأبلق يجتران على المربط علف المساء ويراجعان حديث الصباح فقال الأبلق :

لقد كفرت بالذى قلت لى فى الصباح ياصاحبي لأنني فكرت وأنا هادئ . ويخيل إليّ أنه كما ينسجم البلح على النخل ، وينسجم الجميز على شجر الجميز ، لا ينسجم النير إلا على أعناق الثيران !! تصوره مرة على رقبة جمل ، ثم تصوره أخرى على رقبة زرافة ، تحكم ولاشك بأنه شاذ غريب .

فنطحه الأسود برفق ليثوب إليه رشده ، ثم قال :

لن ينزل عن عنقك النير حتى تؤمن بأنه لم يخلق لك . ولو رآه الناس على رقاب الجمال والزرافات طوال القرون التي رأوه فيها على رقابنا ، لآمنوا وآمنت معهم بأنها خلقت للنير . إن طول الألفة للمكروه يقربه من أن يكون فى نظر الضعيف حقاً ، على أن الأقوياء يرقون دائماً من حسن إلى جميل ومن تل إلى جبل .

ثم قام واقفاً على رجليه وخار خواراً عنيفاً هز أرجاء الحظيرة حتى ظن الأبلق أنه باطش به لا محالة ، وقال : لا تعتبرني مغالياً إذا قلت لك : لو رأى كل ما يسكن الأرض من دابة أن البشر من قديم تحت سلطان البقر لألفت دواب الأرض كلها هذا الوضع !!

الأمر فى أوله مصادفة يا صاحبي ، ثم تألف العين ما فعلته المصادفة ، حتى يقال بعد طول السنين : يجب أن يكون هذا هو الجنس الغالب .

فقال الأبلق خائفاً لاهثاً : وماذا أنت مقترح أن نفعل ؟ ! اهدأ قليلا لئلا يسمع الحراث ! !

فقال الأسود : ألا فليسمع فإني أريد أن يسمع : المرج لنا كما قد خلقه الله .

قال الأبلق : وهل ينجيك هذا من النير والمحراث عند ما تشرق الشمس ؟!

فرد صاحبه : لن ينجينا من الاستعباد إلا أن نعتصم كلنا بالمرج ، فإما أن يكون لنا الكلأ الأخضر ، وإما أن يكون لنا الموت الأحمر .

« وهجع المظلومان حتى الصباح ، ولم يكونا نائمين ، لأن شبح النير أفسد عليهما المنام ! ! » ...

محمد عبد الحليم عبد الله

زواج تولستوي (*)

للأستاذ محمود الخفيف

(تتمة ما نشر في العددين السابقين)

وعادت الأسرة إلى موسكو فكان يزورها كل يوم ، ومازال أهل الدار ما عدا صوفيا وتاتيانا يعتقدون أن الكونت يتجه بقلبه إلى ليزا ...

وظل على هذه الحال أسبوعين بعد ذلك لا يقطع زيارته ولا يجمع عزمه على رأى ؛ ولقد جاء في مذكراته في السابع من سبتمبر قوله « لقد بقيت يومين بالبيت أفكر على انفراد في أمري لا تدفع نفسك يادوبلتسكي حيث الشباب والجمال والشعر والحب فإن لهذه أيها الشيخ مَن هُم أصغر منك ؛ إن موضعك في صومعة من صوامع العمل حيث تطلع من عزلتك في سرور وهدوء على سعادة الآخرين وحبهم . لقد عشت في هذه الصومعة وسأعود إليها » وأثبت بعد ذلك بيومين قوله « أي دوبلتسكي لا تحلم ... لقد كتبت لها كتاباً لن أرسله ، لم أستطع أن أنام لمدة ثلاث ساعات ؛ لقد حلمت وعذبت نفسي كما يفعل غلام في السادسة عشرة » وقال في اليوم التالي « إني أشعر بالحب أكثر من أي يوم سلف . . وإن الأمل لا يزال في أعماق نفسي يجب أن أحل هذه المعضلة ... لقد بدأت أكره ليزا وإن كنت أرثي لها . . أعني يا إلهي وأرشدني . . إن أمامي ليلة طويلة فارغة أقضيها ، ذلك يؤلمني أنا الذي طالما ضحكت من آلام المحبين ! كم ذا رسمت من خطة كي أصرح لها ولتانيا ولكل امرىء ولكن عبثاً حاولت ... لقد أخذت أزدري ليزا من كل قلبي »

كان مرد هذه الحيرة الشديدة إلى أنه يخشى ألا يكون ما يحسه نحوها حباً كما يكون الحب ؛ كان يخاف من نفسه على حد تعبيره ، ويزيده خوفاً أنه كلما تدسس إلى شعورها ليتبين ما إذا كانت بها عيوب وجد نفسه منجذباً إليها ..

وفي الثاني عشر من سبتمبر كتب في مذكراته « إنني أحب



تولستوي عند الأربعين

اليوم على صورة لم أكن أصدقها من قبل ... لقد بلغ بي الجنون أني أخشى أن أقتل نفسي إذا ما لبثت على هذه الحال . لقد قضيت المساء عندهم ؛ لقد بدت لي بهيجة ، ولكنني دوبلتسكي القبيح يجب أن آخذ أهبتي وشيكا . لا أستطيع النكوص الآن ، ولو أنني دوبلتسكي إلا أن الحب غيرني . لقد سنحت لي فرص ولكني لم أغتنمها . . منعني الخوف ، ولكن كان علي أن أتكلم في بساطة إني أحب أن أعود إليهم فأذكر كل شيء أمامهم جميعاً »

وفي اليوم التالي كتب يقول « لقد سطرت كتاباً سوف أرسله إليها في غد ... قوّني يا إلهي ... ما أشد خوفي من أن أموت ، فأن مثل هذه السعادة تبدو لي مستحيلة . رب أعنّي وأرشدني »

وقال بعد ذلك بيوم « لم أنم إلا ساعة ونصف ساعة ، ولكني على الرغم من ذلك منتعش جد مهتاج » وفي اليوم التالي كتب يقول « أخفقت فلم أحدثها . ولكني قلت لها إن لدي شيئاً أحب أن أحدثها عنه »

وذهب تولستوي في مساء السادس عشر إلى آل بيرز وفي جيبه الكتاب الذي أعده والذي لبث في جيبه ثلاثة أيام ، وأني

(*) فصل من كتاب « تولستوي » الذي سوف تقدمه إلى المكتبة العربية قريباً « مطبعة الرسالة » .

سوفيا جالسة إلى البيان ، فجلس إلى جانبها ، والانفعال ملء نفسه وبدنه ، وأحست انفعاله فسرى إليها قدر عظيم منه فتشاغلت بدور كانت تلعبه قبل مجيئه . ودخلت تانيا فطلبت إليها أختها أن تغني تريد بذلك أن تخفي ما في الموقف من اضطراب ...

وغنت تاتيانا في صوتها الرائق الحلو ، وناداها تولستوي باسم مغنية كبيرة هي مدام فياردو إعجاباً بها ، ثم قال لنفسه إذا ختمت تاتيانا لحنها خاتمة جيدة فسوف يعطي صوفيا ذلك الكتاب ؛ وكانت تاتيانا موفقة كل التوفيق إذ ختمت لحنها ، وانسحبت الشيطانة الصغيرة في لباقة ، وقد أحست أنها اللحظة الحاسمة ، وما كادت تغادر الحجرة حتى مدّ تولستوي يده بالكتاب إلى سونيا قائلاً إنه ينتظر ردها ، وتناولته سوفيا بيد مرتجفة ، وخرجت به فأسرعت إلى حجرتها وأوصدت الباب وراءها وجلست تقرأ . « أي سوفيا .. أصبح الأمر لا يطاق ؛ لقد ظللت أقول لنفسي طيلة ثلاثة أسابيع سأبوح لها الآن ، ومع ذلك كنت أخرج كل مرة وفي نفسي مزيج من الحزن والأسف والرعب والسعادة ! وكنت أنظر كل ليلة نظرة إلى الماضي فأسخط على نفسي أن لم أبح لك وأسأل نفسي ما ذا عساي كنت أقول لو أني تكلمت ... لقد ظننت أني أستطيع أن أحبكم جميعاً كما أحب الأطفال ، وكنت في إفتسي لا زلت أستطيع أن أقطع ما بيني وبينكم وأعود إلى خلوتي ، إلى عملي الذي يشغل وقتي كله . . ولكني الآن لا أستطيع شيئاً . أشعر أني أحدثت في بيتكم شيئاً من الاضطراب ، وأن صداقتكم لي كما تصادقون رجلا شريفاً قد لحقتها بعض الشوائب ، ولذلك لا أستطيع الانطلاق كما لا أستطيع البقاء . . وإني أحمل هذا الكتاب معي وسوف أقدمه إليك إذا لم أجد في نفسي من الشجاعة ما أبوح لك معه بكل شيء ... وإني أعتقد أن أسرتك تنظر إليّ نظرة خاطئة إذ تحسب أني أحب أختكِ إليزابث وليس هذا بحق ، فإن قصتك لا تبرح عقلي قط ، وذلك لأني بعد أن قرأتها أصبحت أعتقد أنه غير خليق بي ، أنا دوبلتسكي أن أحلم بالسعادة ، لقد كتبت لك ونحن في إفتسي أقول إن شبابك ومرحك يذكراني في صورة قوية بتقدمي في السن وباستحالة السعادة عليّ ... ولكني حينذاك كنت أكذب على نفسي ولا زال هذا حالي ؛ إنك فتاة أمينة صريحة ، فدليني ويدك على قلبك دون أن تتعجلي — وإني أناشدك الله ألا تتعجلي — ماذا عسى أن أفعل ؟ لو أني علمت منذ شهر أني سوف ألقى مثل هذا الألم السار الذي عانيته طيلة هذا الشهر لضحكت حتى يقتلني الضحك . نبئيني بكل ما في نفسك من إخلاص : أتكونين زوجة لي ؟ إذا كنت تستطيعين أن تقولي : نعم وأن تقوليها من أعماق نفسك فقوليها ، ولكن إذا كنت تحسين أدنى شك فقولي لا ... نشدتك الله أن تفكري ملياً في الأمر ، وإني لأمتلىء رعباً كلما فكرت في قولك لا ، ولكني أوطن النفس على تحمل ذلك ، وسوف أقوى على تحمله بيد أنه من الأمور المفجعة ألا تحبني من تكون لي زوجة بقدر ما أحبها

وسمعت سونيا دقات عنيفة على الباب ، وصوتاً هو صوت أختها ليزا يناديها في إلحاح أن تفتح ففتحت فقالت أختها ! ماذا كتب لك الكونت ؟ نبئيني . ووقفت سونيا جامدة والكتاب في يدها ، فقالت ليزا صائحة أخبريني الساعة ماذا كتب لك الكونت فقالت سونيا في عبارة فرنسية : إنه طلب يدي ؛ فأجهشت أختها قائلة : أرفضيه ... أرفضيه من فورك !..

ودخلت أمهما فعملت في لباقة على أن تبعد بين الأختين فتخرج بهما من هذا الموقف الكريه وكان الكونت إذ ذاك في الثوى ينتظر ، والقلق ملء نفسه ، ويداه خلف ظهره ، وقد استند إلى الموقد وفي وجهه صفرة لم يعرف مثلها من قبل ، وأرهف سمعه إلى وقع أقدام خفيفة ، وإن قلبه ليثب بين ضلوعه ودخلت سونيا فنظرت إليه قائلة : نعم ... ثم ولت مدبرة .

وتقدمت ليزا فهنأت أختها ، ثم مشت إلى الكونت فهنأته وقبلته في كثير من الكرم والنبل ؛ وجاءت الأم فهنأت سوفيا وفي نفسها من السرور بقدر ما فيها من الشفقة على ليزا .

وكان رب الدار قد مسته وعكة من قبل فتذرع بها وتردد فلم يهنىء الكونت ، ولم يبد ارتياحه لأنه كان يحب ليزا ، وأظهر الطبيب الشيخ كثيراً من الرثاء لابنته ، ولكن ليزا نفسها ما زالت تستحلفه والدموع في عينيها ألا يغضب أختها ، حتى اطمأن فؤاده فذهب إلى تولستوي وصافحه مهنئاً .

وتصادف أن كان اليوم التالي يوم ميلاد الأم ، وكانت دار الطبيب بيرز ملأى بالضيوف فأعلنت الخطبة وأقبل الضيوف على العروسين مهنئين ... وغابت ليزا عن الموائد متوارية من القوم ، الأمر الذي تألم له قلب تولستوي على الرغم مما كان يفيض به من فرح ، ولقد تحدث بهذا إلى عروسه ، وهو الذي لا يحب منذ طفولته أن يؤلم أحداً . .

محمود الخفيف

١ — الأعلام :

محمد بك النجارى

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

أخلص الناس للعلم ، وأنفعهم له وبه ، هم الذين يقبلون عليه استجابة لميولهم الفطرية ، وإشباعاً لرغباتهم الفكرية ، ويتخذونه مجالا لرياضة الذهن وتثقيف العقل ، وباباً للافادة وتخليد الذكر ، فى غير ما نظر إلى إدراك مكافأة أو حصول على أجر .. ولقد كان من هؤلاء المغفور له القاضى اللغوى محمد بك النجارى طيب الله ثراه وأكرم مثواه .

نشأ النجارى نشأة بعيدة عن مجال الثقافة اللغوية والأدبية ، فقد تربى فى المدارس المصرية على عهدها الأول ، ثم انتقل إلى مدرسة الحقوق الخديوية كما كانت تسمى فى تلك الأيام ، فأتم دراسة القانون فيها ، وكان من المبرزين بين متخرجيها ، فأوفدته الحكومة فى بعثة إلى فرنسا عام ١٨٨٢ لإتمام دراسة القانون بها ، فبقى هناك خمس سنوات كاملة ، إذ عاد سنة ١٨٨٧ م فعين مساعد نيابة من الدرجة الأولى ، ولقد ظلّ يترقى فى مناصب القضاء الأهلى حتى انتهى إلى رئاسة محكمة الزقازيق ، ثم نقل إلى القضاء المختلط فعين قاضياً لمحكمة الإسكندرية ، ثم لمحكمة مصر ، وقد انتقل إلى جوار ربه وهو فى هذا المنصب . .

وفى سجلات الحكومة مئات تربوا مثل تربية النجارى فى المدارس المصرية ، وقدر الله لهم التفوق فى نيل الشهادات الدراسية ، وبلغوا فى المناصب الحكومية أرفع مما بلغ درجات ودرجات ، وليس فى هذا كله ما يحرك قلم الكاتب أو يثير رغبة المؤرخ لتدوينه ، وما كان النجارى جديراً بالذكر لولا أنه اتخذ لنفسه مجالا آخر ، شغل به عقله ، ووقف عليه جهده ، ومنحه إخلاصه ورغبته ، وهو مجال الثقافة اللغوية التى أحبها وعشقها ، فبذل نحوها جهداً يحمد . وخلّف فيها أثراً يذكر .

وكان أول ما أبدى فى ذلك أن لمس المشقة الكبيرة التى يعانيها القائمون بالترجمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية وما يجهدهم فى الحصول على التعبيرات والمترادفات التى تؤدى المعنى فى دقة وتعبر عن الغرض فى أمانة ، فعكف على تأليف معجم فرنسى عربى جمع فيه من مادة اللغتين ما وسعه الجهد ، وقد أخرج هذا المعجم فى ستة مجلدات كبيرة ، فأدى بذلك للغة خدمة جليلة تشهد بصادق غيرته وبالغ ما بذل من جهد واجتهاد .

وكان أن اتجه إلى آداء خدمة أجل وأصدق نحو العربية ، إذ عنى بإخراج كتاب المخصص تأليف أبى الحسن على بن اسماعيل النحو اللغوى الأندلسى المعروف بابن سيده ، والمتوفى سنة ٤٥٨ للهجرة ، وكان هذا الأثر الجليل قد انتهبته أحداث الزمن ، وتفرقت أجزاؤه فى مكاتب الدول ، فعنى النجارى بك بجمع هذه الأجزاء من مكاتب انجلترا والبورتغال وبلاد ما بين النهرين ، وضم ذلك إلى ما عثر عليه من الكتاب فى دار الكتب المصرية ، وبعد أن قام بترتيبه وتنسيقه تعاون جماعة من أهل الفضل وأنصار اللغة والأدب على طبعه ونشره ، فخرج فى سبعة عشر جزءاً كبيراً ، وفى خاتمة الجزء السابع عشر أشار رئيس تصحيح الكتب العربية بالمطبعة الأميرية إلى الجهد الذى بذله العلامة النجارى فى إخراج هذا الكتاب ، فقال بعد أن ذكر ما لهذا السفر من قيمة جليلة : « ومن أجل ذلك قام بطبعه لتيسير تناوله وتعميم نفعه جمعية خيرية ، من فضلاء المصريين وسراتهم ذوى الهمم العلية ، وفى مقدمتهم حضرة العلامة المحقق صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية . وحضرة صاحب السعادة حسن باشا عاصم رئيس ديوان خديوى ، وحضرة الوجيه الفاضل صاحب العزة عبد الخالق بك ثروت أحد أعضاء لجنة المراقبة القضائية بالحقانية ، وحضرة السرى الأمثل صاحب العزة محمد بك النجارى أحد قضاة المحكمة المختلطة بالإسكندرية ، وهو حفظه الله كان ذا السبق والنهضة الأولى فى تحقيق هذا المشروع الجليل فإنه بذل همته فى استكتاب هذا الكتاب من نسخة عتيقة

مغربية بالـكتبخانة الأميرية المصرية قد ركض فيها البلى ولعب ، وأكل منها الزمان وشرب ، حتى أبلى ثوبها القشيب ، وأذوى غصنها الرطيب ، ولم تسعد الأيام بثانية تعززها بعد البحث والتنقيب ، وبعد كتابة نسخة منها وكل تصحيحها ومقابلتها على أصلها إلى حضرة الأستاذ العلامة مرجع طلاب اللغة والأدب الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى ، وكان معه فى المقابلة حضرة صديقنا الفاضل الشيخ عبد الغنى محمود أحد علماء الأزهر الشريف .. »

وإنه كما ترى لعمل جليل ، وإن مما يزيد فى تقديره أن يتم من رجل يربطه منصبه بثقافة القانون والفقه لتطبيق مواده وأحكامه . على أن النجارى لم يقف عند هذا الحد ، فقد رجع الى « لسان العرب » وهو أوسع معجم فى اللغة العربية فرآه مرتباً على طريقة غير سهلة ولا وافية بالحاجة فى استخراج الكلمات والكشف عن معانيها ، فعزم على ترتيب هذا المعجم الضخم على حروف الهجاء ، متبعاً فى ذلك منهج المعاجم الحديثة فى اللغات الأجنبية ، وضم إليه فى هذا الترتيب معجم الفيروزابادى المعروف بالقاموس المحيط حتى يكون أوفى وأتم ، وفى أثناء عمله هذا عنى بجمع الكلمات العربية التى تقارب الكلمات الفرنسية فى اللفظ وتتفق معها فى المعنى ، وأراد أن يخرجها فى كتاب على حدة ، وقد جمع من هذه الكلمات حوالى ثلاثة آلاف كلمة عربية وفرنسية .

وشمر النجارى لإخراج هذا المعجم الذى قصد إليه ترتيباً وتنسيقاً ، فأخذ يواصل الجهد لذلك حتى شارف الغاية ، فأعدّ منه تسعة عشر مجلداً ، وبقى مجلد واحد أعجزه المرض عن إتمامه ، فسافر إلى أوروبا للاستشفاء ، ولعله يصيب من الراحة ما يعينه على إتمام هذا العمل ، وقد عاد من أوروبا فعلاً يستروح روح العافية ، فعكف على إنجاز الجزء الأخير فى ذلك المعجم ، ولكن الداء انتكس به ، وعاودته العلة أقسى مما كانت ، فلم يذعن للمرض هذه المرة ، وظل يوالى العمل فى منصبه من جهة وفى المعجم من جهة أخرى ، وكأنه كان يتعجل الفراغ من هذه المهمة قبل فراغ العمر ، فبينما كان يقلب صفحات أحد المعاجم وهو جالس على مكتبه فى إحدى الأمسيات إذ سقط جثة هامدة وفاضت روحه إلى بارئها ، ولم يبق من إتمام المعجم إلا ورقات معدودة فى آخر الجزء العشرين ، وكانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٣٢ هجرية – ١٩١٤ ميلادية .

وتصرمت السنون على وفاة النجارى ، وطوى عمله فى مطاوى النسيان . وفى الأيام الأخيرة تقدم ورثته إلى وزارة المعارف لعلها تعنى بنشر هذا المعجم الذى رتبه ونسقه وبذل فى سبيله أعز ما يملك وهو صحته وحياته ، فأحالته الوزارة إلى المجمع اللغوى ليرى فيه رأيه ، ثم كان أن أعاده المجمع إلى الوزارة ، ولا يزال المعجم بين يدى الوزارة لم يستقر لها رأى إلى الآن فى شأنه .

محمد فهمي عبد اللطيف

من رباعيات عثمان

للاستاذ عثمان حلمي

حانتي

هذه حانتي وهذا مكاني ... لست أنساهما وإن نسياني
كم ليال أطلقت فيها الهوى ... ومراحي مع الشباب عناني
ملكتني روح تعربد في رو ... حي فما يستقر منها كياني
كلما جلجلت بنفسي لم أمـ ... ـلك رقيبي على يدي ولساني

كنت إن أقبل المساء كأني ... بي روح قد مسها روح جن
ظامئاً لا أكاد أروى بغير الـ ... ـكأس في ركن هادئ مطمئن
كلما قلت هاتها أقبل السا ... قي بكأس تثير روح التمني
فتعاطيتها وليس بنفسي ... غاية قبل شربها أن أثني

طفرت نشوتي بأول كأس ... طفرات من وحشتي لاتتنامى
فإذا بي ألقيت عن سر نفسي ... حجباً من تزمتي واحترامي
وإذا بي نسيت ما آد قلبي ... من أسى جاثم ومن وسواس
ولقد تصلح النفوس إذا ما ... عولجت من همومها بالتناسي

ثم ناديت أيهذا الساقي ... ثن من بعدها بكأس دهاق
هاتها لي فلا رفيق سواها ... فهي نعم الرفيق بين الرفاق
فمضى ثم جاءني وبنفسي ... من سمار كلهفة المشتاق
وبكأس أكاد أقرأ فيها ... آية من بدائع الأذواق

فطفت نشوتي وطار وقاري ... وانجلت بهجتي وغاض ازوراري
فلقد خف كل ما كان بيني ... من قيود وبين نشوان جاري
طوت الخمر كل ما حال بالأنـ ... ـفس عن حمقها من الأستار
فتعرت عن الحفاظ فما تفـ ... ـرق بين الإعلان والإسرار

ثم جاء الساقي بكأس سواها ... بلغت نشوتي بها منتهاها
زلزلت كل ما استقام بنفسي ... من نهاها كما استثارت هواها
وبدت لي الأشياء في عين صفوي ... راقصات في أي صفو تناهي
كلما شعشع الصفاء بنفسي ... زادها النور بهجة وجلاها

ما يكاد الساقي يروح بكأس ... منه حتى يعود منه بكأس
دار مثل الطاحون رأسي واعو ... ج لساني وأسرعت أنفاسي
وتراخت مفاصلي كلما حا ... ولت نهضاً لم ألق لي أي باس
ثم ناديت هات أخرى وقد ود ... عت من بعدها رجائي ويأسي

ثم جاء الساقي بغير نداء ... كاظماً سوءه نفسه الشوهاء
حاملاً كأسه التي لست أدري ... عدها لو أردت دون عناء
ولعمري وقد نسيت وجودي ... كيف بي ذكر أتفه الأشياء
هات أخرى لعنت يا أيها الخنـ ... ـزير واطلب ما شئته من عطاء

عثمان حلمي

أين الخلان؟

للاستاذ علي متولي صلاح

ساءت الدنيا فلا خل وفـ ... ـي أصطفيه
أقفرت إلا من الخا ... ئن والوغد السفيه
وخلت أربعها من ... كل ندب أرتضيه
كل من فيها عدو ... وظلوم لأخيه

يا زماناً أجفل الوا ... لد فيه من بنيه
كل ما فيك بغيض ... كل ما فيك كريه
كل من نلقاه في النا ... س عدو نتقيه
ساء يومي ساء أمسي ... كله دهري شبيه
ليت شعري يا زماني ... أي يوم أرتجيه ؟

يا فؤادي دع من الد ... نيا عذاباً أنت فيه
خل عنك النبل للفا ... جر منهم يدعيه
وابغ لؤماً وابغ مكراً ... وابغ سيفاً تنتضيه
إنما العاقل من يعر ... ف حرصاً يشتريه
فهو للدنيا أمير ... وعلى الناس يتيه ... !

(مصر القديمة) ... علي متولي صلاح

الأدب والفن في أسبوع

مواجهة الأزمات الفكرية :

ألقى الأستاذ محمد شفيق غربال بك وكيل وزارة المعارف ، محاضرة موضوعها « مواجهة الأزمات الفكرية » في مساء الخميس الماضي بقاعة الدكتور عبد الحميد سعيد التذكارية بجمعية الشبان المسلمين .

قال الأستاذ المحاضر : إن الأزمات الفكرية ليست شراً ، إنما الشر من عدم مواجهتها وإصلاحها ؛ وهي تدل على اليقظة والحياة ، لأن المجتمع الذي يتناسق في تفكيره مجتمع راكد . وقال إنني أريد أن أخرج الدعوات الحزبية السياسية من الأسباب المؤدية إلى الأزمات الفكرية ، لأن هذه الدعوات ، وإن أحدثت صخباً وجلبة ، ليست عميقة التأثير في التيارات الفكرية ، وكذلك سعي طوائف من الناس لتحقيق مصالح عاجلة ، فإن هذا النوع من القلق الفكري لا يعدو شعور طائفة بأنها مظلومة نتيجة لبطء الأداة الحكومية وعدم سيرها على قواعد منتظمة ، فتسلك هذه الطائفة مسلكا غير نظامي لنيل حقوقها ، وهذه الظاهرة هي كذلك عمل وقتي قليل التأثير في الأزمات الفكرية . إنما تأتي هذه الأزمات من دعوة دينية أو اجتماعية ، فدعوة الدين الجديد تؤدي إلى أزمات نفسية وصراع فكري بين الدعوة الجديدة وبين ما كان عليه الآباء من القديم . أما الدعوة الاجتماعية فكانت قديماً تقترن بالدين ، وبتتبع حوادث التاريخ يظهر أن كل دعوة إصلاحية لبست ثوب الدين . ومما يدل على الارتباط بين الدين والأفكار الاجتماعية ما يلاحظ في تاريخنا الإسلامي من اقتران الدعوة الشيعية في بعض البلاد بالفكرة الاجتماعية كثورة الزنج في العصر العباسي .

وفي العصر الحاضر لا يمكن القول بتمام الانفصال بين الدعوات الاجتماعية والدينية ، فنحن نرى دعوات اجتماعية مادية لا تعبأ بالدين ، وخطر هذه الدعوات أنها تجعل للمادة كل الأهمية دون اعتبار للروحية أو الدينية .

ثم قال : من الخطأ مواجهة هذه الدعوات الاجتماعية المادية الخطرة بالقمع والكبت ، لأن القمع يؤدي إلى استفحالها والتمسك بها لاعتقاد أن للحاكمين مثلا مصلحة في محاربتها لظلم المحكومين ، وكذلك من المواجهة المخطئة محاولة الاقتصار على التفنيد وبيان العيوب والأضرار ، لأن الحجة تقارع الحجة ، ولا يكون لذلك نتيجة حاسمة . أما المواجهة الحقة النافعة فهي وضع مراس للسفينة التي تعبث بها الرياح وتتقاذفها الأمواج ، فلا تجد الأمان إلا عند هذه المراسي تلجأ إليها وتستقر فيها . ولوضع هذه المراسي يجب أن يكون مفهوماً أننا أمة لا تعيش في مهب الريح تتقبل كل ما يرد إليها ، بل نحن أمة ذات تراث تنشيء منه العدة التي تواجه بها الظروف والطوارىء ، فكل ناحية لابد أن تصطبغ بذلك الميراث ، فالتعليم ينبغي أن ينشأ فيه الناشىء متأثراً باللون التراثي ، ومما يؤسف له أن مادة التثليم في مصر إلى الآن عديمة اللون . والجماعة التي ينتمي إليها الأفراد سواء أكانت ثقافية أم اقتصادية أم غير ذلك . ينبغي أن يكون منهجها مشتقاً من ذلك الميراث ، فلا تقتصر على الناحية الخاصة من نشاطها ، بل يجب أن تتجه إلى تكوين المواطن بتثبيته في مرساه لا تزعزعه العواصف .

وقد كانت هذه المحاضرة مكتنزة دسمة ، كما وصفها الدكتور منصور فهمي باشا في تعقيبه عليها ، وقد ألقاها الأستاذ شفيق بك في ارتجال وإيجاز وضحت معهما مراميها البالغة .

التسجيل الثقافي في مصر وفي سوريا :

أعدت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف في الفترة الأخيرة برنامجاً لأعمال ثقافية جديدة كما أعدت الوسائل الفنية لتنفيذها ، ومن هذه الأعمال إصدار سجل ثقافي سنوي يحوي مظاهر النشاط الثقافي خارج النطاق المدرسي في عام ، وأنشأت له إدارة التسجيل الثقافي التي تعمل الآن في إعداد سجل سنة ١٩٤٨ ، ومن تلك الأعمال أيضاً إحياء الذخائر الأدبية ، وطبع كتب تمت ترجمتها ومراجعتها .

وأدرجت الإدارة في ميزانيتها اعتمادات لتنفيذ ذلك البرنامج ولكن مشروع الميزانية الجديد تناول بالحذف أو التخفيض جانباً كبيراً من هذه الاعتمادات ، فحذف مما حذف ثلاثة آلاف جنيه كانت مخصصة لطبع السجل الثقافي ، وهذا الحذف وإن كان لا يعوق إصدار السجل إذ يمكن طبعه من اعتمادات أخرى ، إلا أنه مما يؤسف له أن تتجه الدولة إلى التقتير على الأعمال

الثقافية الإنشائية النافعة فى الوقت الذى تسخر فيه على أمور نعتقد أنها ليست إلا وسائل لهذه الأعمال كايفاد الأعضاء إلى المؤتمرات فى البلاد الأوربية وغيرها ، وهذا بصرف النظر عما تبذله الدولة من الأموال فى استقدام فنانين أجانب لن تجنى البلاد منهم إن جنت إلا فوائد كمالية .

هذا فى الوقت الذى تلقت فيه الجامعة العربية من سوريا أن وزارة المعارف بها قررت تأليف لجنة برياسة وزير المعارف ، تكون مهمتها تتبع وتسجيل الحركات العلمية والأدبية والثقافية فى البلاد العربية بجميع مظاهرها والعمل على تشجيع هذه الحركات وتوجيهها نحو الرقى والكمال عن طريق الاتصال بالهيئات والمحافل العلمية والفنية والأدبية من ناحية ، والعمل على عقد مؤتمرات دورية وتأسيس جميات أختصاصية فى مختلف فروع العلم والثقافة من ناحية أخرى. ومن مهمة هذه اللجنة أيضاً إعداد مايلزم للاتصال باللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية وذلك بدرس المسائل التى تكون موضوع أبحاث اللجنة المذكورة وتهيئة أسس الاقتراحات التى يجب أن تقدم إليها حول تلك المسائل ، والاتصال أيضاً بهيئة التربية والعلوم والثقافة لمنظمة الأمم المتحدة ، وذلك بدرس المسائل التى تدخل فى مناهج أعمال الهيئة المذكورة وتهيئة المقترحات التى يجب أن تقدم إليها مع مراعاة التوجيهات والتوصيات التى تصدر بشأنها من اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية .

أعلام الأدب العربى فى الإذاعة :

أعلنت الإذاعة أنها ستقدم سلسلة جديدة من الأحاديث الدورية ، يقدم فيها قادة الأدب والفكر فى مصر عرضاً مسلسلا لأكبر شخصيات الأدب العربى ، وأبطال الفكر الذين كان لهم أثرهم فى نهضة العقل العربى وتقدم آثاره فى ميدان الفكر العالى فى مختلف فنونه من شعر ونثر . وقد افتتح هذه السلسلة الدكتور أحمد أمين بك يوم الجمعة الماضى بحديث بين فيه خصائص الأدب وآثاره فى الحياة . وفى يوم الجمعة الآتى يتحدث الدكتور محمد صبرى عن الشاعر الأول (امرئ القيس) بدءا من العصر الجاهلى وستتابع حلقات السلسلة مع العصور المتعاقبة .

ويلاحظ أن حلقات تلك السلسلة تتكون من شخصيات الأدب العربى المشهورة المدروسة فى كتب تاريخ آداب اللغة العربية للمدارس الثانوية ، كامرئ القيس والأعشى وطرفة ولبيد وحسان والفرزدق والأخطل وبشار وأبى نواس والبحترى وأبى تمام والمتنبى وأبى العلاء المعرى . الخ .

وقد اختير لتقديم هذه السلسلة أدباء الدولة الذين تغلب عليهم الصفة الرسمية ، حتى أنه روعى فى اختيارهم تمثيل المعاهد والوزارات والمصالح .. كما أن الشخصيات التى سيتناولها البرنامج قد أخذ تاريخها طابعاً رسمياً لاستقرارها وثباتها بالمناهج المدرسية الرسمية فبينها وبين من اختيروا لتقديمها جناس تام ...

ولا شك أن إذاعتنا قد شمرت بتقصيرها نحو الأدب ، بالنسبة إلى الإذاعات العربية الأخرى التى تفتن فى تقديم برامج أدبية متنوعة مشوقة ، فأرادت — ولها أجر المجتهد — أن تأخذ بشىء فى هذا السبيل ، فعمدت إلى تقديم سلسلة أعلام الأدب العربى المذكورة . وكنا نود أن توفق إلى تقديم شىء غير مملول لتكراره ، شىء فيه جدة ، يستحق أن يبذل فيه أعلامنا المتحدثون مجهوداتهم وتظهر فيه ابتكاراتهم .

وعيب الإذاعة العام ، هو فقرها فى ذوى الاختصاص الفنى ، فالموظف الواحد يشرف على نواح فنية متعددة ليس من أهلها أو المبرزين فيها ، وإلى هذا السبب يرجع كثير من الاضطراب فى تقديم الفنون بها .

الاتحاد الثقافى :

نشأت فكرة الاتحاد الثقافى فى أوائل العام الماضى ، على أثر الخلاف الذى قام بين أعضاء الاتحاد المصرى الإنجليزى ، بين المصريين منهم وبين الإنجليز ، ذلك الخلاف الذى أدى إلى حل هذا الاتحاد ، ورأى الأعضاء المصريين تكوين اتحاد ثقافى يحل محل الاتحاد المنحل .

وقد اجتاز الاتحاد الثقافى عقبات منها « المكان » إذ وفق أخيراً إلى اختيار الباخرة « مصر » مقراً له . وفى يوم السبت الماضى احتفل بافتتاحه ، وقد خطب عبد الله بك أباظة فى هذا الافتتاح فوضح فكرة الاتحاد بقوله إن هذه الفكرة اختمرت لدى نخبة من الأعضاء الذين تضامنوا فى حل الاتحاد المصرى الإنجليزى حينما خاب أملهم فى قيامه بتحقيق الأغراض التى ساهموا فيه من أجلها وهى إقناع شركائهم فيه حينذاك

بوجهات النظر المصرية الصحيحة وإيجاد جو من التفاهم القائم على احترام الحقوق الوطنية خارج نطاق المحيط الحكومى والرسمى ، فلم يتم لهم ذلك وتقرر حله على الوجه الذى أرادوه . وقد وصف رسالة الاتحاد بأنها ستكون ثقافية مصرية وطنية بعد أن ظلت نحو عشر سنوات مختلطة بالطابع الأجنبى .

وأهم أغراض الاتحاد ما يأتى :

١ — توفير الوسائل الاجتماعية لتحقيق التعارف والصداقة بين الأعضاء .

٢ — تهيئة أسباب الجمع بين مختلف الثقافات فى مصر .

٣ — إعداد مركز للنشاط الفكرى فى مختلف نواحيه .

٤ — تمهيد السبل للوقوف على وجهات النظر فى التفكير العالى وذلك بغية المعاونة على معالجة الشؤون العامة برأى ناضج .

ومما يستلفت النظر فى تكوين هذا الاتحاد الثقافى أن أعضاءه من ذوى المناصب الكبيرة وكبار رجال السياسة والاقتصاد ، وليس لأكثرهم نشاط فكرى أدبى أو ثقافى . وحبذا لو نفوا عن أنفسهم صفة الأرستقراطية ويسروا سبيل الانضمام إليهم للمشتغلين بالإنتاج الأدبى والثقافى ، وخاصة عنصر الشباب المثقف ، وبهذا يخدمون فكرة الاتحاد ، ويكون ذلك أدعى إلى تحقيق أغراضه .

الاتجاهات السياسية والاجتماعية فى العالم العربى :

هذا هو عنوان المحاضرة التى ألقاها محمد صلاح الدين بك فى قاعة يورت التذكارية بالجامعة الأميريكية يوم الجمعة الماضى ، وقد بدأ ببيان الصلات التى تجمع بين البلاد العربى ، ومنها وحدة الآلام والآمال ، أما الآلام فهى معاناة الاستعمار الأجنبى الذى يسير على طريق « فرق تسد » و« قسم تسد » و « خرب تسد » والتخريب بالتمكين للفقر والجهل والمرض : أما الآمال المشتركة فهى التخلص من هذا الاستعمار فتملك الأمة أمرها وتعالج أحوالها . ثم انتقل إلى تفصيل الاتجاهات السياسية فى الحقبة الأخيرة ، فقال : كان العالم العربى عند ما نشبت الحرب العالمية الأولى مختلف الاتجاه ، فكان القسم الشرقى منه (العراق والشام والحجاز) ضد تركيا وألمانيا والقسم الغربى (مصر وشمال إفريقيا) كان الشعور فيه مع تركيا وألمانيا ضد الانجليز والحلفاء . ولكن بعد الحرب اتحدت الوجهة ازاء إخلاف الوعود فى أثناء الحرب ، ضد دول الاستعمار ، وقامت الحركات الوطنية فى الأمم العربية ووصلت إلى طور العمل ، وكان له مظهران : الثورة والمفاوضة ، وعقدت المعاهدة العراقية سنة ١٩٣٠ والمعاهدة المصرية سنة ١٩٣٦ ومن حسن حظ سوريا ولبنان أنهما لم ترتبطا بمعاهدة مع فرنسا قبل الحرب . ولما نشبت الحرب العالمية الثانية خدعت الأمم العربية مرة ثانية بميثاق الإطلانطيق وغيره من الوعود ، فما انتهت الحرب حتى تكشفت النيات الاستعمارية السوداء ، وفى هذه المرة تغير الاتجاه الوطنى فى العالم العربى ، فقد أصر الرأى العام على رفض المفاوضات ، وسبقت الشعوب الحكومات فى ذلك . وهنا تساءل المحاضر : ماذا نصنع الآن : المفاوضة غير مجدية ، والهيئات العالمية تحكم للأقوياء ، ولا قوة حربية لدينا ، قال : ليس هناك إلا أن نجمع الكلمة ونصلح أمورنا بالقضاء على الفقر والجهل والمرض ، ولا بد أن يسبق هذا ما يقال من تقوية الجيش ، فلن يكون هناك جيش قوى لأمة ضعيفة ينهكها الفقر والمرض والجهل .

وقال إن الإنجليز يخيفوننا الآن بقرب وقوع حرب ثالثة لنتعاهد معهم ، ونحن يجب علينا أن نبقى على الحياد حتى لو وقعت الحرب ، ومن العجيب أن يخيفنا الإنجليز باستعمار روسيا ونحن لم نتخلص بعد من استعمارهم ؛ وبين المحاضر ضرورة إعلان الحكومة بطلان معاهدة سنة ١٩٣٦ خشية أن يتمسك بها الانجليز عند وقوع الحرب الثالثة .

فكاهة :

كانت ليلة مرح ممتعة ، تلك التى « أحياها » الأستاذ محمد مصطفى حمام فى نادى نقابة المثلين ، وذلك بمحاضرته التى عرض فيها ألواناً من الفكاهات فى القديم وفى الحديث ، ومما أطرف به أن معالى الأستاذ إبراهيم دسوق أباظة باشا كان مرة يتحدث مع وزير سابق ، وكان الحديث أولا فى الأدب ثم انتقل إلى السياسة ، فقال الوزير السابق : دع لنا السياسة يا دسوق وتكلم أنت فى الأدب . فقال دسوق باشا :

— أنا معترف بأن سعادتك فى السياسة أب لى .

— وفى الأدب ؟

— أمى !

العباس



حديث الصومعة

رسائل من إبراهيم الدباغ لمصطفى الدباغ

ألا رحم الله إبراهيم الدباغ الشاعر الناثر الفكه الخفيف الروح ، فقد كان محدثاً طلىّ الحديث يحب المرح والمفاكهة ، ويرى فى الحياة المرسلة على السجية فلسفة ومنهجا . فلم يكن يخضع حديثه — أو شعره — للقيود التى تفرضها حياة المجتمع ، ولم يكن يقول : هذا جائز خلقياً وهذا غير جائز ، بل كان يمضى فى الحديث مسترسلا إلى حيث يقوده ، وينظم الشعر كيفما واتته القريحة . ولعل هذا سبب من الأسباب التى تحول دون نشر جانب كبير مما قرضه من الشعر ، ودون تسجيل كثير من المساجلات الفكهة التى اشترك فيها الدباغ فى صومعته مع زائريه وخلانه .

وكان الدباغ منذ عام تسعة وعشرين وتسعمائة وألف يبعث إلى ابن أخيه الأستاذ مصطفى الدباغ فى فلسطين رسائل يطويها على آراء له ، ونصائح يبديها ، ودروس فى الأدب والشعر يسوقها متحللا من المجاملات الشخصية ، متذرعاً بالصراحة السافرة التى قد تغضب المعنيين .

وقد تجمع للأستاذ مصطفى الدباغ من رسائل عمه إبراهيم الدباغ طائفة كبيرة ، فآثر أن ينشرها ويذيعها كما هى ليطلع القارئين على ما كان يمنّ لهذا الشاعر الفلسطينى من رأى ، وعلى ما كان يعتنقه من منهج يجعله ديدنه فى الحياة .

وفى هذه الرسائل تعرض الدباغ لكثيرين من الأدباء فى مصر وفى غير مصر ، وأصدر فى كل منهم حكما يتسم بالصراحة والإبانة وقال فى كل منهم قولا فامتدح من رآه أهلا للمدح وذم الذين عدهم مستأهلين للمذمة .

ولنذكر على سبيل التسجيل طائفة من آرائه فى المعاصرين والمحدثين من أهل الأدب .

قال فى الدكتور شبلى شميل : كان شبلى يغضب للالحاد ، لا لرب العباد ، وبسب الدين والديان ، إذا عارضه فى نظرية القرود إنسان .

وقال فى الدكتور زكى أبى شادى : الدكتور أبو شادى سريع الخاطر فى إنشاد القصائد ، شغوف (كذا) بإذاعتها على علاتها

وقال فى الدكتور زكى مبارك : إن نشاطه ومثابرته فى الحياة الأدبية والاجتماعية ليست فى حاجة إلى التدليل ، وآثاره تملأ الأفق وتحجب ضوء الشمس ، والنثر الفنى جهاد سبع سنين مع غيره من المشاغل ، وقد ظهر له خلال هذه السبعة الأعوام طائفة من الكتب ولم نسمع عنه أو منه تبرماً بالوقت والناس . وهو يدون كل ما يقع تحت حسه ونظره فلا تفلت منه شاردة ولا واردة إلا وأتى لها رخاً من عقله وبازياً من يراعته ، وهذا ما يجب على كل أديب يحس بالحياة ويشعر بلذة العمل .

وفى الشيخ نجيب شاهين : على حديثه مسحة القرآن وأثر الاقتباس ولغته مبتذلة مع ما فيها من رنة الطربَ .

وقال فى طه حسين : اعتقد أن مؤلفاته كلها عقيمة ، وليست ذات قيمة !

وفى سلامه موسى : إنه وطه حسين أشد بخلا وإمساكا مما يتصور المتصورون ، وعلى العكس مبارك وخليل مطران فكلاهما مكساب مهلاك .

وفى الشعراء : بعد شوقى لا يليق أن يكون كبير شعرائنا أحد غير واحد من هؤلاء الثلاثة . مطران . محرم . الكاشف .

فالقارىء يرى أن الدباغ لا يفتقر إلى الجرأة ولا يخشى أن يصدر الرأى فى قوة وثقة . وقد نختلف معه فى كثير مما ارتآه ونعارضه فى بعض المذاهب الاجتماعية التى دعا إليها ، ولكن هذا لا يحول دون أن نذكر له أنه صاحب رأى يعرف كيف يلقيه مغمض العينين غير مبال بما يكون له من دوى .

ولقد كف بصر إبراهيم الدباغ قبيل وفاته بسنوات وسنوات فكانت هذه العلة مدعاة لانطوائه على النفس ونفوره من الناس وإيثاره الانزواء وقعود الدار عن مخالطة أهل ندوته . وما فتئت الأمراض تقبل عليه وتنهش بدنه حتى كانت منيته ذات يوم ، ونعاه الدكتور زكى مبارك وشيع بنفسه جنازته .

وهذه المحن — فيما يبدو من رسائل الدباغ — جعلته برماً بالحياة ضيقاً بكل ما فيها ، أقرب إلى التشاؤم منه إلى التفاؤل

وإن كانت هذه الظاهرة لم تستطع أن تأتى على محبته للفكاهة وتعلقه بها .

وحديث الدباغ فى رسائله التى جمعت فى كتاب « حديث الصومعة » حديث متشعب مستفيض يبدأ من مكان وينتهى إلى آخر ويمر فى الطريق على ألوان شتى من الأفكار . ولكن هذا الحديث مشـــوق مبعد الملل يهىء لك أنك تصغى بنفسك إلى إبراهيم الدباغ وتجلس معه مرهفاً السمع مصيخاً الأذن . ولك إن شئت أن تقاطعه وأن ترد عليه ، لأن الجرىء فى إذاعة الرأى ، واسع الصدر لقبول كل رأى .

ربيع فلسطين

السيد البدوى

تأليف الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

من هو « المريد » فى اصطلاح المتصوفين ؟ هو — إن لم أكن نسيت ذلك الذى يفنى فى شيخه ويجعل حياته كلها طاعة وتجردا وعبادة . يأمر الشيخ فيطيع « المريد » وشيخ المريد هو قلبه الخافق ، وهو عينه الباصرة ، وهو وعيه ، وهو إرادته . الدنيا بما حوت هى الشيخ فى عين المريد ، والطريق إلى الجنة فى الآخرة هو الشيخ ... هذا هو « المريد » وهذا هو شيخه .

فن هو شيخ « المريد » محمد فهمى عبد اللطيف ؟ العلم والأدب والتاريخ ، هذه الأقانيم الثلاثة شيخ واحد !! له المجد ، وله العلى ، وفى سبيل طاعة هذا الشيخ يفنى « المريد » محمد فهمى عبد اللطيف ، وإذا قلت : يفنى ، فإننى أعنى مدلول هذه الكلمة فى غير كناية أو مجاز ... لأن صاحبنا يفنى حقاً فى سبيل شيخه المثلث الرحمات !!

لقيته — أول مالقيته — فى ندوة دار الكتب المصرية ، منذ خمسة عشر عاماً . وكان طالبا يحصل العلم نهارا ، ويعمل فى الصحافة ليلا ، لقيته فى أولى مدارج شبابه ، ناحل الجسم ، ذاوى العود ، مضعضع البنيان ، تراه فكأنك ترى شيخاً أوقرت ظهره السنون ، ويتحدث الرفاق فى ندوة الدار شتى الأحاديث ، ويتشعب القول فى شئون الحياة وفى أحداث السياسة ، وصاحبنا صامت لا يتكلم ، ويدور الحديث على كل لسان ، وحديث صاحبنا الذهول والاطراق !

فإذا عرج المتحدثون على العلم أو الأدب أو التاريخ ، أفاق الذاهل المطرق ، وتطلق الوجه الأسمر العابس ، وتهللت أساريره ومضى صاحبنا يفيض بما يشاء الله أن يفيض ، فما شئت من علم وأدب وتحقيق ، وما شئت من نقد وتمحيص ، وكأن هذا الجسم الناحـل الذاوى قد أصبح كله « شحنة » من الكهرباء تشع بالحيوية والنور والعرفان ... وتبارك الله أقدر الخالقين .

منذ ذلك الحين تمكنت بينى وبينه أسباب المعرفة ، فلم تزدنى الأيام إلا إيماناً بغزارة علمه ورفيع أدبه وكريم خلقه . ومنذ ذلك الحين سلكته فى عداد « المريدين » فى دولة العلم والأدب والتاريخ ، ومضى هو قارئاً ومحققاً ومؤلفاً ، يضنيه البحث ، وتنهكه القراءة ، وتلح عليه ، فيتداوى بالتى كانت هى الداء . الكتب أكداس على سريره ، وعلى الناضد ، وفوق الأرفف ، وتحت المقاعد ، وعلى مائدة الطعام .

ويشفق عليه خاله الكريم ، فيمضى به إلى الطبيب ، يتجسسه ويتعرف داءه ، وفى كل مرة لا يسمع المريض ولا الخال سوى كلمات مكررة معادة : الكبت الجنسى والإجهاد وشدة الحاجة إلى الانطلاق من الكتب ، والراحة والرياضة ... وهذه الأمور كلها فى نظر « المريد » بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، فالأقانيم الثلاثة شيخ واحد ... له المجد ، وله العلى ، وفى سبيله يمرض ويصح ، وله الأمر فى شأن هـذا « المريد » من قبل ومن بعد .

.. حتى إنتاجه الأدبى فى الصحافة فهو قراءة كتب ثم تلخيص ونقد وتحقيق وتمحيص . وحتى كتبه التى يؤلفها ، فهى رحلات وأسفار شاقة مضنية فى صحارى الكتب وشعاب المراجع ، يقرأ مائة كتاب ليحقق منها موضوعاً عن « أبى زيد الهلالى » يقع فى سلسلة كتب « اقرأ » ويعكف على دراسة « الجاحظ » فيمهد فى تاريخه « كتاب الجاحظ الضحكوك » ثم يدعه قبل تقديمه للطبع ، ليعكف على تاريخ « السيد البدوى » أو « دولة الدراويش » فيخرج للناس فى هذا الموضوع كتاباً جليل الشأن قيم الأثر ، هو الآن بين أيدى القراء ينعمون فيه بما أنعم ، ويجنون من شهى ثماره ما أجنى .

إنه فى هذا الكتاب ، وفى غيره من الكتب ، التى أعدها ، والتى يعدها ، هو هو « المريد » محمد فهمى عبد اللطيف ، يغوص إلى القاع ، فيظفر بأنفس النفائس ، ويحلق فى الأجواء ، فلا يهبط إلا بما يشع على موضوعاته نور العلم والمعرفة .

إنه يعيش فى الكتاب وللكتاب ، ولا شىء غير الكتاب ، حتى لأرجح أنه لم يسمع إلى اليوم عن « الأوبرج » ولا يدرى أين موقع « الكيت كات » ولا أستبعد أن يكون « الأوبرج » فى نظره وفى مبلغ علمه نوعاً من أنواع الأطعمة الأفرنجية يقدم على موائد الموسرين ، وأن يكون « الكيت كات » كلمة محرفة عن شواء الكتكوت . ! ! فإذا قلت له : إن الأول ملهى من ملاهى العاصمة التى تزخر بالمتعة والهوى والشباب ، وأن الثانى هو الآخر مطرح من مطارح اللهو على ضفاف النيل ، لاذ بالصمت والذهول والإطراق ، كأن هذا الأمر لا يعنيه ، وكأن حديث دنيا غير دنياه .

وإنى لأشفق على هذا الصديق مما هو فيه ، ولا أدرى متى يعرف لنفسه حقها من المتعة والراحة والنعيم ؟ إنه ماض فى طريقته الوعرة الشاقة ، سادر فى « تجرده » من حياة الشباب . إنه يحترق فى ميعة الصبا ، لا يرحم نفسه ، ولا يشفق عليها . وأغلب الظن أنه يجد الراحة فى هذا الشقاء ، ويستروح نسمة النعيم من هذا العناء .

وأقسم لو كان أمر هذا الصديق فى يدى ؛ لأقمت عليه « مروضا » كالذى يقيمه الموسرون على جيادهم الأصيلة ، ليقدم له الطعام فى موعده ، ويشرف على تضميره ورياضته بالقدر المناسب لجسمه وصحته ؛ ليدخر بذلك من قوته ما يضمن له الفوز دائماً فى حلبة السباق .

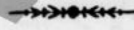
فإذا لم أستطع هذا طالبت بسن قانون « للحجر » عليه وعلى أمثاله المبذرين الذين ينفقون من قواهم فيعرضونها للاضمحلال والفناء .. أيكون المبذر فى ماله عرضة للحجر عليه ، ولا يكون المبذر فى قواه وصحته وكيانه عرضة للحجر عليه ؟ ويكون خاله الكريم من أبرز رجال القانون ، ولا يفكر فى مثل ما أفكر فيه

ذلكم هو « المريد » محمد فهمى عبد اللطيف مؤلف كتاب « السيد البدوى » أو « دولة الدراويش » جليته للقراء ممن لا يعرفونه معرفتى به . أما الكتاب فهو بين أيديهم ، كما أسلفت ينعمون منه بما أنعم ، ويجنون من شهى ثماره ما أجنى .

عبد الله حبيب

حفنة ريح . . .

تأليف الأستاذ سعيد تقى الدين



للأدب المهجرى ذاتية خاصة ، وصفات مميزة ترفعه إلى منزلة عالية فى عالم الآداب العربية .

من هذه الصفات أن الأدب المهجرى هو أدب الحياة النابضة الفياضة . . . والأديب المهجرى فنان يقبل على الحياة ليعب من عبرها ، وليتزود بتجاربها ، وليندمج مع حوادثها فيكون آراءه نتيجة لاختبار طويل ، وتجربة واقعية تامة وإدراك للأمور الحياتية . . فإذا أراد أن ينشىء أدباً عمد إلى ما ادخرته حاسته الواعية ، وما التقطته مخيلته المصورة .. واستمد الوحى والإلهام من هذه الحياة التى لا ينضب معينها ، ومن هذا الكون الذى لا تبلى جدته . . وهما يمدانه بكل طريف وجديد ورائع . . ومن هنا كان الشعر المهجرى صورة نابضة تحمل إليك (قطاعاً) من الحياة ، مصورة لك خوالج النفس الإنسانية ومشاعرها بإطار شعرى شفاف .

ومن هذه الصفات أيضاً : هذه الروح الطليقة الشاعرية الظامئة التى تتغلغل فى الأدب المهجرى ، وتطبعه بطابع خاص ، وتضفى عليه ظلالا فيها حرارة الروح إلى السمو ، ونبضات القلب وتلهفه إلى الحب ، وتسابيح الضمير ينشد عالم الحرية والانطلاق . وإنك لتحس تلهفاً حاراً ، وظمأ شديد يتطلعان إليك من بين السطور عند قراءتك لهذا الأدب الرائع .

ولست أنا بصدد التحدث عن الأدب المهجرى فأسهب فى تبيان صفاته ولكنى أود أن أتحدث عن كتاب اسمه « حفنة ريح » لأديب مهجرى اسمه سعيد تقى الدين . هو فى نظرى وفى نظر الطامعين على أدبه من أكبر كتاب المسرحية فى الأدب العربى . . لا يدانيه فى منزلته إلا توفيق الحكيم رائد المسرحية فى الأدب العربى ، على ما بينهما من اختلاف فى الأسلوب ، وتباين فى النظرات الفنية .

فسعيد تقى الدين فنان واقعى يستمد فنه من الحياة ، ومن الكون المحيط به .. فهما كفيلان بتزويده بالتجارب الكثيرة ، ومده بالملاحظات القيمة . . وأشخاص مسرحياته واقعيون

لا يكادون يجنحون إلى الشذوذ . فهو شديد الإخلاص للحياة ، عظيم الحرص على صورها . . أما توفيق الحكيم فلا يعتمد على الحياة فيما ينشىء منذ تأليفه كتاب (يوميات نائب فى الأرياف) أو من قبل ذلك . فأشخاص مسرحياته خياليون تختلقهم مخيلته ، ويحركهم هو بنفسه ، ويرسم سلوكهم وأمزجتهم حسب رغبته ؛ لأنه يرجو من ذلك خلق الجو الفكرى الذى يلذه ، والذى يكاد يخنق كل صوت ما عداه . . فلهذا يمتزج مع الأشخاص ، ويشرف على حركاتهم ، ويعين تصرفاتهم .. فهذا (فلان) يمثل الغريزة الحيوانية ، و (فلان) يمثل النفس الطامئة إلى إدراك الغيبيات ، و (فلان) يمثل هذا الطور أو ذاك من أطوار الرقى الإنسانى وهلم جرا . . . أما سعيد تقى الدين فلا يطرق الجو الفكرى ، ولا ينظم الأشخاص لتعبر عن فكر بعينها — كما يفعل الحكيم — ولكنه يصور لك صورة من الحياة بمساوئها ومحاسنها ، بشرها وخيرها ، بأحزانها وأفراحها . . ويهتم بالناحية النفسية أكثر من اهتمامه بأية ناحية أخرى ، ويدع الأشخاص يعملون بما توحيه إليهم الحياة دون أن يتدخل فى سلوكهم . .

وبالإضافة إلى هذه الفروق نضمُّ إليها فرقاً آخر وهو روح الفكاهة والسخرية التى تميز بها الأديب المهجرى ولم يعرف بها الأديب المصرى .

وبعد هذا كله أحدثك عن الكتاب « حفنة ريح » فأقول لك : إن الكتاب يضم مهزلة ذات فصل واحد هى « حفنة ريح » ومجموعة قصص هى « موجة نار » ومراسلات بين المؤلف والأستاذ سهيل إدريس أحد الأدباء اللبنانيين :

والمسرحية خلق فنى ممتاز تقف فى الصف الأول من صفوف المكتبة المسرحية فى الأدب العربى توافرت فيها عوامل النجاح فرفعتها إلى هذه المنزلة العالية .. وعوامل النجاح فى هذه المسرحية الممتازة هى عوامل النجاح فى كل مسرحية ناجحة فهى ترجع : أولا : إلى مقدرة المؤلف فى التصميم الفنى المسرحى ، ثانياً : وإلى إشاعة الحركة على المسرح ثالثاً : وإلى خلق الأشخاص الذين يتصلون بالواقع بأسباب قوية ، ويتحركون على المسرح كما يتحركون على مسرح الحياة ، رابعاً : وإلى إجراء الحوار الجميل الجرى جرياناً لا يعكره التكلف ، ولا يعتريه الخفوت .

أضف إلى هذا كله تلك الفكاهة المستحبة ، والروح الشفافة الطليقة ، والسخرية اللاذعة . . تلك الصفات التى امتاز بها الأستاذ سعيد تقى الدين ، وأطلقها فى أجواء مسرحياته فكانت عاملا من عوامل نجاحها .

وقد أشاع المؤلف فى مسرحيته هذه « التأرجح Peripety » واهتم اهتماماً كبيراً فى إبرازه « من اللحظة التى يرفع فيها الستار إلى (كمك سخن) » فى آخر المسرحية .

وعلى الرغم من أن التأرجح سمة من سمات المهزلة الناجحة فإن المؤلف لا يمكن أن يعتمد عليه وحده — لأن من خصائص التأرجح خلق الجو النفسى فحسب ، فلهذا نلمح فى « حفنة ريح » الناحية النفسية وحدها .

وأشخاص المسرحية محبوبون لأنهم واقعيون ، ولأنهم من أصحاب النفوس الساذجة الكريمة ، ينطقون فتبتسم لما نطقوا به ، أو تنفجر ضاحكا تعجب من هذه النفوس الغريرة الطليقة المحبوبة إلى أبعد غايات الحب . .

والمؤلف يسير مع الأشخاص أو مع الحياة أو مع ما يقتضيه الواقع فى الجزء الأكبر من المسرحية حتى إذا ما وصل إلى النهاية بدا التكلف ظاهراً حيث يقنع (وجيه) اللحام الكهل بأن فى استطاعته أن يعود إلى شبابه إذا قال « الله يسامحك الله بالحساب » فيتنازل عن دينه لوجيه ، ويظهر التكلف بوضوح فى الطريقة التى هيأ بها المؤلف زواج الأشخاص .

وأكبر الظن أن الأستاذ سعيد عندما أوشك أن يصل إلى نهاية مسرحيته وضع (العجائب السبع) التى خلقها أمامه ، وكيف النهاية حسب ما تقتضيه هذه العجائب . . فجمل اللحام يسترجع شبابه بطريقة عجيبة تثير الضحك ليستخلص من ذلك العجيبة الأولى وهى (لحام يستعيد شبابه) . وأغرى الشيخ نسيب بترك وظيفته الحكومية بطريقة غريبة ليستخرج من ذلك العجيبة الثانية وهى (شاب يرفض وظيفة حكومية) . . وأقنع (أم ظريف) بالطريقة نفسها على أن تسامحه بالإيجار ليصل إلى العجيبة الثالثة وهى (ملاك يسامح مستأجراً) . . وقس على ذلك سائر العجائب الأخرى . وهى (مؤلف أدبى نفع البشرية) و (أم تزوج ابنتها من دون مصاغ) و (ظهر فى لبنان رجل

يلبس اسمه من دون لقب) و(البوليس يقبض على القاتل والقتيل فار من وجه العدالة) .

والملاحظ فى هذه المسرحية أن الحبكة ، والتسلسل الروائى والانسياب الحوارى على درجة كبيرة من الإتقان تدل على رسوخ قدم الأستاذ سعيد فى الفن المسرحى . . ورسالته إلى المخرج هى غاية فى الدقة الفنية ، فيها من الملاحظات الفنية ما ينفع المخرج والممثل والكاتب المسرحى على حد سواء .

ولنتحدث الآن عن مجموعة « موجة نار » من هذا الكتاب ولنعرض أولاً آراء المؤلف فى القصة ، ففى الكتاب آراء يحالفها التوفيق مرات ، ويتنكب عنها مرات أخرى :

يعرف المؤلف القصة ص ٢٥٤ فيقول « القصة كما أفهمها هى حادثة غير عادية محتملة الوقوع تسرد بأسلوب جذاب مهل ، وتنتهى بمفاجأة حلوة معقولة » .. ولكن المؤلف يتخلى عن شرط أو شرطين من هذه الشروط الأربعة فى بعض قصصه . فهناك قصة يعوزها التصميم الفنى وهى (الخطاب المبتور) . وتفتقر قصة أخرى إلى الصدق الفنى وهى (الدواة) ؛ وهناك قصتان تحتاجان إلى الحرارة وإلى إشاعة الحياة والحركة النابضة فيهما . . أما قصة (آلام الذكرى) وقصة (موجة نار) فهما أحسن مافى المجموعة الأولى لأنها صورة إنسانية رائعة أملتها الحياة التى خاض غمارها ، والثانية لأنها تبرزلنا هذه الروحية التائهة التى شغف بها المهجريون

ولست أدرى كيف يرى المؤلف « أن عنوان القصة يجب أن يكون لغزاً موسيقياً !! » ص ٢٥٩ .. أيعد المؤلف العنوان (اللغزى الموسيقى !!) عنصراً فى عناصر التشويق ؟! .. وإذا كان كذلك فقد ساءلت نفسى وأنا أقرأ ما قاله المؤلف عن عنوان القصة لولم يكن عنوان مسرحية سعيد تقى الدين « حفنة ريح » ولولم يكن عنوان القصة « موجة نار » أأعدل عن قراءتهما ؟ . كلا ... وألف كلا فليس من الضرورى أن يكون العنوان (لغزاً موسيقياً) كما ليس من الضرورى أن تكون (العبارة الأخيرة فى القصة قنبلة ذرية تنفجر بين عينى القارئ ! !) — الله يحفظ عيوننا من شر القنابل الذرية — .. ونحن لورجعنا إلى نهاية قصص سعيد تقى الدين لما رأيناها قنبلة ذرية تنفجر ، ولا (ديناميتا) يثور بين عيوننا ومع ذلك فنحن لا نملك إلا الإعجاب بها .

سامح الله الأستاذ سعيد تقى الدين — لا بالحساب لأننى لا أطلب شيئاً أولا ،ولأننى لا أرجو منه أن يستعيد شبابى لأنه لم يذهب بعد ثانياً ، بل سامحه الله بهذه الأمثلة التى تدل على خفة روحه أو دمه . لست أدرى ..

هذا الكتاب ممتاز حمله إلينا البريد اللبنانى فأطلعنا عليه ، وقضينا ساعات لذيذة معه .. ولكن أين الكتب اللبنانية الأخرى التى تخرجها المطبعة اللبنانية فى كل شهر ؟ . الجواب عند الأستاذ سهيل إدريس لأنه يعتب على اخواننا المصريين لأنهم لايحفلون الأدب اللبنانى !

غائب طعمة فرمان
كلية الآداب

قصة فتـــاة

(بقية المنشور على صفحة ٣٨٢)

حاولت أمى أن تجيب لتبرر الموقف المريب ، وهمّ أبى أن يتكلم ليدفع الخطر الداهم ، وأراد المأذون أن يفى لينقذ العقد المهدّد ، ولكن خالى أزلقهم ببصره ؛ ثم خرج وهو يتسمر من الغيظ وينتفض من الغضب كأنه لم ير أحداً ولم يسمع كلاماً . وقضى هو وأخته الليل فى أحد الفنادق ثم ركبا أول قطار إلى المزبة . والقوم هناك يا سيدى يرجمون بالظنون ؛ فبعضهم يزعمون أنها سجينة القصر ، وأكثرهم يعتقدون أنها دفينة القبر . والأمر الذى لا مرية فيه أنها خرجت من دنيا الناس !

هذه قصة فتاتى ، وما أظنها تختلف كثيراً عن قصص أكثر الفتيات اليوم ! ذهبت غفر الله لها ضحية للتربية المهملة ، والرقابة المغفّلة ، والتعليم الفاسد ، والقدوة السيئة ، والقصص الماجنة ، والصحف الخليعة ، والسنما المثيرة ! فهل يُضطر الذين لا يزالون لسوء حظهم يفارون إلى أن يعودوا فيسألوا الله العصمة من ولادة البنات ، أو يقولوا كما كان يقول الجاهليون : وأْدَ البنات من المكرمات ؟

احمد حسن الزيات



حول عادت النار :

فى عدد الرسالة رقم ٧٦٩ الصادر يوم الأحد ٢٨ مارس قصيدة عصماء للشاعر المبدع المجدد الأستاذ محمود إسماعيل وقد التبس على منها بعض الكلمات مثل قوله : (وأصغى لأنوارها) والمعروف أن الأنوار إنما ينظر إليها لا أن يصغى لها الإنسان ؛ فلو قال إنه يصغى للأصوات الحبيسة عند اندلاع النار لكان مقبولا مستساغا ؛ ولكنى لا أكاد أفهم هنا معنى الإصغاء سواء أخذ على الحقيقة أو المجاز . ثم قوله (فاهتز فى الرماد) لايكاد يبين معناه . وأى رماد هذا ؟ أهو رماد النيران أم رماده هو لا قدر الله ؟ وهل يقصد بهذا أصل الإنسان ؟

وأيضاً قوله وماض — رخيم الردى ؛ فإنى لم أقرأ هذا الوصف للردى من قبل؛ ولو أنه قال وماض وخيم الردى لكان مفهوماً .

واستعمل الشاعر تزايل متعدية ولم ترد فى القاموس والمصباح والمختار فإنه ذكر زيل فتزيل أى فرق ومنه قوله تعالى فزيلنا بينهم؛ ويقال زايله بمعنى فارقه والمصدر زيال ومزايلة ؛ والتزايل التباين . فالذى يظهر من كلام الثلاثة أن تزايل لازمة لا متعدية وقد عداها الشاعر الكبير فى قوله تزايلت معناه

وبعد: فلعل الأستاذ يوافينا بالرد الكافى والجواب الشافى وله منى التحية والسلام .

يوسف عبد الله عثمان

حول (النقد الأدبى) :

فى العدد (٧٦٩) من (الرسالة) الغراء اطلعت على مقال للأستاذ محمود رزق سليم « النقد الأدبى » من طرائف العصر المملوكى ... ولى عليه تعقيب وهو :

لقد قال فى سياق المقال : « ... مع الإشارة إلى الحسن لم كان حسناً ، وإلى النقص لم كان نقصاً ... »

وهذا فيما أظنه خطأ .

وتكتب هكذا إذا ما أريد الصواب ، وتكون فى ثلاث حالات :

(١) « ... مع الإشارة إلى الحسَن ، ولم كان حسناً ؟ وإلى النقص ، ولم كان نقصاً ... »

(٢) « ... مع الإشارة إلى الحُسن لمّا كان حُسناً ، وإلى النقص لمّا كان نقصاً ... »

(٣) « ... مع الإشارة إلى الحسَن . لمْ كان حسناً وإلى النقص لم كان نقصاً ؟ ... » مع وضع نقطة بعد الحسن والنقص ووضع علامة استفهام بعد السؤال .

وما أردت من تعقيبى هذا الخاطف إلا الذود عن لغة الضاد مع تقديرى التام لأبحاث الأستاذ . وله منى ألف تحية وشكر .

« دمنهور » حسبه العشماوى

فى اللغة :

فى عدد الرسالة الغراء (٧٦٩) اطلعت على قصة الأستاذ مصطفى جميل مرسى « طبيعة مبهمة ! » ولى عليها تعقيب لغوى ينحصر فى الآتى :

١ — قال الأستاذ المعرّب « .. فلشد ما أثار سخطى و (أهاج) بغضى . . » فاستعمل الفعل الرباعى وهو خطأ لاشك فيه ؛ إذ الفعل ثلاثى الأصل ومتعد بنفسه فضلاً عن لزومه . تقول : هاج الغبارُ أى ثار وارتفع عموداً فى السماء . وتقول : هاجه غيره أى (هيجه) وأثاره . قال الشاعر :

هاج قلبى (فهاج) ذكراً وأحيا ماضيات الهوى ولغوَ الشباب!

وإذاً فاستعماله — رباعياً — خطأ صريح ، لا يحتاج لمزيد توضيح !

٢ — كنت كتبت فى « البريد الأدبى » للرسالة فى العدد (٧٦٨) كلمة أبين فيها الفرق بين استعمال (ثم) العاطفة و (ثم) التى بمعنى هناك للشىء البعيد دون القريب وذلك إذا لحقت التاء — مفتوحة ومربوطة — بكليهما .

ولكن في قصة الأستاذ وجدناه يقول « .. لا مجال للريب في أنه (ثمت) إنسان .. » فيكتبها بالتاء المفتوحة على غير الصواب ورجاؤنا من الأستاذ الرجوع — ولو باللمحة العابرة — إلى ما كتبناه في هذا الباب ؛ ففيه كفاية ما يراد ، وما تحتمه لغة الضاد ، قبل النقد والنقاد . والسلام .

(الزيتون) عدنانه

تعقيب على استدراك :

نشر الأستاذ هارون محمد أمين بالعدد (٧٦٩) من (الرسالة) استدراكا على صاحب العقد الفريد في ذكره غناء إبراهيم الموصلي بحضرة الأمين ، فقرر أن هذا « افتراء على إبراهيم ، وتجن على الأمين » حيث أن إبراهيم قد توفي في خلافة الرشيد . !

والمتأمل في القصة يدرك الوقت الذي حدثت فيه فإن إبراهيم الموصلي يخاطب الأمين بقوله (ياسيدي) مجردة عن أمير المؤمنين وهذا يدل على أن الغناء قد حدث في عهد الرشيد ، والأمين ولي للعهد ، ولا أظن أن الأستاذ هارون يدعي أن الغناء في ذلك الوقت كان مقصوراً على شخص أمير المؤمنين !!

هذا وقد نقل الأستاذ هارون عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أبياتاً في الرشيد . وقع في أولها خلل عروضي ، ولعل صوابه :

في بقاء الخليفة الميمون   خلف عن مصيبة المحزون

يوسف زاهر

التنويه الأدبي :

« يعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أنه قد ألف لجنة لدراسة الكتب القيمة في الثقافة الأدبية العليا للتنويه الأدبي بما يراه المجمع نافعاً في بابه من هذه الكتب دالا على جهد وابتكار على أن تكون هذه الكتب مما ألف منذ سنة ١٩٤٤ .

وستدرس اللجنة ما يقدم إليها من هذه الكتب أو ما يطلع عليه أعضاء المجمع ، ثم يعقد المجمع في النهاية جلسة علنية للتنويه بخير الكتب وبأصحابها ، وسيعلن عن موعد هذه الجلسة بعد الانتهاء إلى قرار .

كتاب تاريخ الأدب العربي :

تجرأ أحد المجرمين من الكتبيين فقلد الطبعة العاشرة من كتاب « تاريخ الأدب العربي » وعرضها للبيع ، وهي طبعة ناقصة محرفة مشوهة ، يعرفها القارىء لأول وهلة من صغر حجمها ، وسوء طبعها ، واختلاف حرفها ، وخلوها من الشكل ، وكتابة عناوين الأبواب بالخط الفارسي وهي في الأصل مكتوبة بخط الثلث . وأولى علامات هذه الطبعة الزيفة أن تجد على صفحة الغلاف الأولى جملة (حقوق الطبع محفوظة) غير محصورة بحاصرتين وهي في الطبعة الأصلية محصورة بهما وشكلهما هكذا [ ] .

وقد اتخذت الإجراءات الرسمية لضبط المزيف ومصادرة النسخ المزيفة . وإنا لننصح لحضرات القراء أن يميزوا بين الطبعتين بما ذكرنا من الفروق ، وأن يتفضلوا — متى وقعت في أيديهم نسخة مزورة — فيخبروا إدارة الرسالة بمكانها ومصدرها وعلى الأخص في الأقطار العربية . وقد شرعنا نطبع الكتاب طبعته الحادية عشرة وستكون مزيدة منقحة كما عودنا القراء في كل طبعة

ظهرت هذا الأسبوع مختارات جديدة :

مِن يوميات محامٍ

كتبها
عبده حسن الزيات
المحامي
لدى محكمة النقض

٧٣ يومية

فيها صور ونقد للحياة القضائية
ومقترحات تشريعية وآراء شخصية
ثمن النسخة عشرون قرشاً عدا البريد

أعنف ثورة على الرق الإنساني :

في ديوان

أين المفـــر

للشاعر محمود حسن اسماعيل

صدر حديثاً وبه مقدمة في الشعر العربي بقلم صاحبه
الثمن ٣٠ قرشاً
يطلب من صاحب الديوان بدار الإذاعة

سكك حديد الحكومة المصرية

جـــداول مواعيد قطارات

الوجـــه البحرى

يتشرف المدير العام بأن يلفت نظر الجمهور بأنه قد تم طبع جداول كبيرة باللغتين العربية والإفرنجية كل واحد على حدة تشتمل على كافة التعديلات التي أدخلت على مواعيد قطارات الوجه البحرى .

وتباع هذه الجداول في المحطات المركزية بواقع خمسة مليات من النسخة الواحدة .



العدد ٧٧١ — الاثنين ١٢ ابريل ١٩٤٨ — السنه السادسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٣٠

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 771

Lundi — 12 — 4 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
ـــ
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد «٧٧١» القاهرة فى يوم الاثنين ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ — ١٢ أبريل سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

من حقيبــة البريد

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى حقيبة البريد — هذا الأسبوع — شىء عن عمر، وشىء عن الفن الجميل.

أما الشىء الذى عن عمر فقد أسفت لما فيه من سوء الفهم وسوء الأدب، ولو شئت لأغفلته ولم أنظر فيه، ولكن دواعى الأسف ترجع إلى من كتبه لا إلى من كتب إليه، وقد يكون من عذر السن لمن كتبه أن ننظر فى علته، عسى أن يكون فيها ما يعالج وما ينفع فيه العلاج.

والعلة الكبرى أن تنطوى نفوس ناشئة على هذه الخلة التى تتصيد أسباب الاستياء والإساءة، وهى قادرة على أن تصحح شعورها لو كان يعنيها هذا التصحيح. لأن الأمر لا يحتاج منها إلى أكثر من الفهم البسيط، والفهم المستقيم.

ففى رسالة من طالبات فى بعض المدارس الثانوية يسأل الكاتبات: كيف تثبت أن ديننا يحل الرشى؟ هل تأتى بآية من كتابنا تدل على أننا نحلها؟

وقد أشار الكاتبات إلى ما جاء فى الصفحة الـ (١٤٢) من عبقرية عمر عن رأيه فى استخدام بعض الذميين من أبناء عصره وهو بنصه: «إنه يبدو لا النهى عن استخدام بعض الذميين».

ثم عللنا ذلك تعليلا واضحاً لا لبس فيه، لأنه خطة سياسية تجرى عليها جميع الدول فى جميع الأزمان مع جميع الغرباء ولو كانوا من ديانة واحدة، فقلنا: «ما نظن أحداً ينكر أن استخدام الغرباء عن الدولة خليق أن يحاط بمثل هذا الحذر وأن تجتنب فيه مثل هذه الآفة؛ إذ يكثر بين المرتزقة الذين يخدمون دولة من الدول — وهم غرباء عنها كارهون لمجدها وسلطانها — أن ينظروا إلى منفعتهم قبل أن ينظروا إلى منفعتها، وأن يساوموا على نفوذهم قبل أن يستحضروا الغيرة على سمعتها والرغبة فى خيرها وخير أهلها، ولا سيما فى زمن كانت الدول تميز فيه بالعقائد قبل أن تميز بالأوطان، وما من أمة فى عهدنا هذا تبيح الوظائف العامة إلا بقيود وفروق تتفق عليها: أولها تحريمها على الأجانب ما لم تكن فى استخدامهم منفعة عامة ...»

وقد كان عمر ينظر إلى أناس معينين من طلاب الوظائف فى ذلك الحين، وهم موظفو الدولة البيزنطية فى أواخر أيامها، وكانت وظائفها يومئذ مضرب المثل فى الرشوة والفساد وسوء الإدارة، فليس على الوالى الأمين من حرج أن يستريب بخدمتهم فى الدولة الجديدة، وقد كانوا فى دولتهم التى يدينون بالولاء لها يستبيحون الرشوة والانتفاع على حساب الدولة والرعية.

وفى عصرنا الحديث تحرم الحكومات استخدام الأجانب — ولو كانوا من ذوى الاستقامة — إذا كانت حكومتهم فى موقف كوقف عمر من الدولة البيزنطية، فلا تسمح الحكومة

الإنجليزية مثلا باستخدام الألمان في إبان الأزمات السياسية ، ولا فرق بين الإنجليز والألمان في الأصل والدين ، بل لا فرق بينهم في مذهب الكنيسة في بعض الأحيان .

وقد صنع عمر مثل هذا مع أجلاء الصحابة حين خامره الشك في إقبالهم على الدنيا ، وصنع من قبله أبو بكر الصديق حين أوصاه في مرض وفاته فحذره : « هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قد انتفخت أجوافهم وطمحت أبصارهم وأحب كل امرئ منهم لنفسه » ... فلما خلفه عمر كان الصحابي من هؤلاء يسأله السفر فيقول له : « إن خيراً لك ألا ترى الدنيا وألا تراك » ص ٢٦٣ .

فلا شأن لأديان الذميين بما صنعه عمر . وإنما هو حكم عام كان رضى الله عنه يلتزمه مع كل طالب وظيفة ، ولو كان من أجلاء الصحابة المدودين .

وليس عمر بالذي يقول السوء عن أوامر السيد المسيح ونواهيه فإنه يتعلم من القرآن الكريم أن المسيح روح الله ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، بوحى من الله .

أما الكاتب الذي ألف « عبقرية عمر » فهو الكاتب الذي قال في كتابه عن الله وهو يذكر السيد المسيح : لقد « كانت بشارته أعظم فتح في عالم الروح . لأنها نقلت العبادة من المظاهر والمراسم إلى الحقائق الأبدية ، أو نقلتها من عالم الحس إلى عالم الضمير . ولم يشهد التاريخ قبل السيد المسيح رسولا رفع الضمير الإنساني كما رفعه ، ورد إليه العقيدة كلها كما ردها إليه . فقد جعله كفؤا للعالم بأسره بل يزيد عليه . لأن من ربح العالم كله وخسر ضميره فهو الخاسر في هذه الصفقة الخاسرة . وماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ وماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه ؟ ... إن الطهر كل الطهر في نقاء الضمير . فمناط الخير كله فيه ، ومرجع اليقين كله إليه . فليس شيء من خارج الإنسان يدنسه . بل ما يخرج من الإنسان هو الذي يدنس الإنسان . وهناك حياته وبقاؤه ، فليس حياته من أمواله » الخ الخ ص ١٤٧

أقول هذا تفهيما وتأديباً ، ولا أقوله للاطفة أو استرضاء . فإن الفتاة التي تسرع إلى الشتم والبذاء تستوجب التفهيم والتأديب ، بل تستوجب الزجر الشديد ، ولكنها لا تستحق الملاطفة ولا الاسترضاء .

***

وقد كان السؤال عن الفن الجميل أسئلة كثيرة ، يدور بعضها على التصوير وبعضها على التمثيل .

ولا يتسع المقام هنا للكلام على التصوير لأنه يحتاج إلى أمثلة من الصور المختلفة لا يتيسر عرضها في هذا المقام .

فنكتفى بالسؤال عن التمثيل ، وهو كما جاء في خطاب الأديبين صاحبي الإمضاء .

قالا : « كانت إجابتكم في المطالعات أن التمثيل في مصر مقتلة للوقت . وإنه محاكاة قردية لهذه الصناعة ، وإنه تمثيل للتمثيل » ورجاؤنا أن تتفضلوا بالإدلاء برأى في المسرح المصرى بعد هذا العمر الطويل الذي سلخه ، وبعد أن ظهرت على خشبة المسرح فرق كثيرة ، انتهى أمرها جميعاً إلى الفرقة المصرية التي تعينها الدولة » ونرجو أن نعرف : هل حققت الفرقة المصرية رسالتها الفنية التي أنشئت من أجلها ؟ وما هي وسائل النهوض بالمسرح المصرى ...

محمد حسين الكاشف — أنور فتح الله

دبلوم في النقد والبحوث الفنية من المعهد العالى لفنى التمثيل العربى

***

وخلاصة رأيي بعد عشرين سنة من كتابة « المطالعات » أن الاشتغال بالتمثيل عندنا قد أخرج لنا آحاداً من نوابغ الممثلين ، ولكنه لم يخرج لنا فرقة كاملة يتم فيها التمدد ، ويتم فيها التجانس مع تمدد الأدوار .

وأول ما يلاحظ على نوابغ الممثلين عندنا أنهم ينجحون في تمثيل النماذج العامة ، ويندر بينهم من ينجح في تمثيل « الشخصيات » الخاصة ، كما يشاهد مثلا في إعطاء « پول مني » لكل من شخصيات باستور وإميل زولا وفلاح الصين والمجرم الهارب من السجن ، والمخبول الذي يعيش بشخصية مزدوجة ، وليست كلها نموذجا واحداً من الطبائع البشرية ، لأنها تختلف في إعطائها وإخراجها أبعد اختلاف يقع بين إنسان وإنسان .

هذه القدرة قليلة عندنا إلى الآن ، وعلتها أن الطراز العام هو الذي يفهمه عامة النظارة والمتفرجين ، ولابد للنجاح في الأدوار

الخاصة من إدراك واسع لمناحى النفس البشرية وأطوار الشخصيات المختلفة ، يحبب هؤلاء النظارة والمتفرجين فى تمثيل هذه الشخصيات إذا عرضت عليهم ، لأنهم يشعرون بما فيها من متعة الفوارق الدقيقة بين طبائع الإنسان ، وليس فى طاقة الممثل أن يتفرغ لإحياء « شخصية » خاصة تكلفه الجهد واليقظة والدراسة الفنية والعلمية إذا كان قصارى الأمر أنه « كله عند العرب صابون » . وإن المتفرج يقنع بما دون هذا الجهد ، وقد يفضل الجهد اليسير على الجهد الكثير .

هذه الآفة فى التمثيل هى بعينها آفة فن الغناء .

فإنك تستطيع أن تسمع ألف أغنية فلا ترى فيها ملامح الشخصية المختلفة ، ولا تلمس فيها دقة التفصيل والتنويع ، لأن التصنع فيها أبرز من الإحساس الأصيل .

وهى آفة لا يلام عليها فن التمثيل المصرى على انفراد ، لأنها آفة المجتمع الذى لا يزال فى طور التكوين والتنويع .

وإذا كان التمثيل المصرى لم يخرج لنا فرقة كاملة حتى الآن ، فما لا شك فيه أن المجتمع المصرى لم يخرج لنا بعد جمهوراً كاملا لتلك الفرقة ، إذا وجدت على تمامها أو تم فيها التعدد والتجانس بين جميع الأدوار .

فليس عندنا الآن جمهور كامل « مواظب » لغير نوع واحد من المسرحيات ، وهو نوع التهريج والمجون وإثارة الحس بمناظر الشهوات ومناظر الشجار .

أما الفن الرفيع فله جمهور متفرق أو أشتات من جماهير عدة ، لا يستقل واحد منها بإنهاض فن متقدم يثبت على قدميه .

وينتهى بنا ذلك كله إلى نتيجة واحدة : وهى أن التمثيل المصرى فى حاجة إلى معونة دائمة من الحكومة ، ومعونة دائمة من الموسرين الغيورين على هذا الفن الجليل ، لأن التمثيل فى العالم كله — وفى مصر خاصة — يعبر محنته الكبرى مع الفتنة الطاغية من قبل الصور المتحركة ، ولكنه هو الفن الباقى بعد هذه الفتنة وهو الينبوع الذى ينبغى أن يعتمد عليه فن الستار الأبيض ، ولا تؤمن عليه العاقبة إذا ترك وحده بغير معونة وتشجيع .

عباس محمود العقاد

دولة الدول الصهيونية

للأستاذ نقولا الحداد

ليعلم العرب والعالم أجمع أن تأسيس دولة صهيونية فى فلسطين هو نذير بخطر على العالم عظيم ؛ لأن الدولة الصهيونية ستبتلع جميع دول العالم فى عصر أو عصرين . والشيوعية الروسية ليست إلا صنيعة الصهيونية نفسها . وما إنشاء هذه الدولة الصهيونية إلا تتمة برنامج وضعه حكماء اليهود السابقون أى حاخاماتهم ، (وكلمة الحاخام بالعبرية تعنى الحكيم والحاكم معاً . وكان هذان المعنيان لشخص واحد من قديم الزمان) .

والبروتوكولات التى نشرتُ نموذجاً منها فى مقالى السابق هى ملخص محاضر جلسات أولئك الشيوخ الحكماء . وفى هذه المحاضر السرية يرى القراء ما يبيت الصهيونيون لجميع الأمم غير اليهودية التى يسمونها فى اصطلاحهم « الجوييم » ومايضمرونه من السيطرة والاستبداد والأذى للأمم ، وسأنقل من هذه المحاضر إلى « الرسالة » أهم مافيها من الاستعداد لهذه السيطرة والوسائل الجهنمية التى يتوسلون بها من غير أن يفطن ساسة الأمم وعلماؤهم وزعماؤهم إليها ؛ أو يفطنون إليها مستهترين .

ولذلك نعرضها على القراء لكي يعلموا أن الدولة الصهيونية فى فلسطين إن قامت فإنما هى بدء التهام الأمم وابتلاع دولها .. لا سمح الله .

هذه البروتوكولات كانت سرية ثم افتضح أمرها فى آخر القرن المنصرم ، إذ اتصل خبرها بأحد أعيان الروس الأستاذ سرجيوس بيلوس ، وهى مكتوبة باللغة الروسية ، وقد طبعها فى سنة ١٩٠٥ وكتب لها مقدمة قال فيها : « إن نسخة خطية من هذه الوثائق دفعها إليه صديق قبل وفاته فى سنة ١٩٠١ بأربع سنين ، وأكد له أنها ترجمة (إلى الروسية) صحيحة كل الصحة (ربما كانت عن أصل فرنسى) سرقته سيدة من شخص ذى مقام وذى نفوذ عظيم فى الماسونية بعد نهاية اجتماع ماسونى عقد للتكريس فى باريس ؛ وكان هذا الاجتماع فى وكر للمؤامرات الماسونية اليهودية (غير الماسونية العامة) .

ولا بدع أن تكون فرنسا أوكارا سرية للصهيونية لأنها بطبيعتها الثورية أرض صالحة لنمو الدسائس الصهيونية التي ألقت عليها حلة « الحرية والإخاء والمساواة » ذراً للرماد فى العيون كما سيجيء بيانه .

وأضاف نيلوس إلى هذه القصة أنه نشر هذه النسخة الخطية مطبوعة تحت عنوان : « بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء » ، وقال إنها ليست بالضبط نصوص محاضر تلك الجلسات السرية التي عقدها هؤلاء الشيوخ ؛ بل كانت كبلاغ رسمى تنقصه بعض فقر حذفها شخص قوى النفوذ .

والأستاذ نيلوس يسلم بعدم إمكان الحصول على برهان خطى أو شفهى على صحة هذه الوثائق ؛ وإنما يقول : « نكتفى بأدلة الظروف الوافرة التي تؤيد صحتها . على أن مشتملات هذه الوثائق يجب أن تقنع « من لهم أذنان للسمع » لأنها واضحة ولا بد أن نسمع صراخ اليهود ومن يداجيهم من غير اليهود : « إن هذه الوثائق ملفقة ومدسوسة عليهم » ، وعلى الرغم من هذا فالحوادث تثبت صحتها .

وقد وردت نسخة من طبعة سرجيوس نيلوس إلى المتحف البريطانى وعليها قيد الاستلام وتاريخه فى أغسطس سنة ١٩٠٦ وهناك عثر عليها الأستاذ فكتور مارسدن الذى كان يراسل جريدة المورنن بوسط فى موسكو أثناء الحرب الكبرى السابقة والانقلاب الروسى الذى حدث فى غضونها ، ولما كان مارسدن يعرف الروسية جيداً عكف على ترجمة هذه الوثائق فى المتحف نفسه إلى الانكليزية فطبعتها جمعية الطباعة البريطانية .

وقد نشرت جريدة نيويورك ورلد سنة ١٩٢١ تعليقاً على هذه الطبعة من حديث مع هنرى فورد ورد فيه قوله : « مايمكن أن أقوله الآن بشأن هذه البروتوكولات أنها تصدق على ما هو حادث الآن فى العالم . لقد مرّ على نشرها إلى اليوم نحو ١٦ سنة وهى تصدق على حالة العالم فى هذه المدة . نعم تصدق عليها » .

أجل إن الحوادث فى كل العصور تظهر خطة الأمة اليهودية التي اتفق عليها شيوخها على تمادى الزمن حتى عصرنا الحاضر . وانتشر خبرها مما تسرّب منه من هؤلاء الشيوخ على الرغم من سريتها وحرصهم على كتمانها .

فى ١٤ يوليو سنة ١٩٢٢ نشرت جريدة جويش كرونكل (اليهودية) بعض مذكرات تيودور هرزل ، ومنها خلاصة حديث حين زار انكلترا مع الكولونل جولد سميد الذى كان يهودياً ثم تنصر وبقى يهودياً فى قلبه . فلمّح هذا اليهودى المتنصر لهرزل « إن الطريقة الوحيدة لتجريد الأعيان الانكليز من أملاكهم لقتل نفوذهم الذى يحمون به الشعب الانكليزى من سيطرة اليهود ، هو سن ضرائب ثقيلة على أملاكهم . فاستحسن هرزل هذه الطريقة . ولا يخفى أن مذكرة هرزل هذه تتفق مع البروتوكولات كما سيتضح ذلك فيما سننشره منها .

وفى ٨ أكتوبر سنة ١٩٢٠ نشرت جريدة جويش جارديان كلمة للدكتور وزمان رئيس الصهيونية المعروف الآن حين وداعه لرئيس الربانيين فى وليمة قبل سفره لسياحة فى الامبراطورية البريطانية قال فيها : « إن نعمة الحماية التي أسبغها الله على اليهود هى أنه شتتهم فى العالم » — طبعاً لكى ينشروا هذا البرنامج ، وسترى هذا واضحاً فى البروتوكول الحادى عشر .

من هم هؤلاء الشيوخ العلماء الصهيونيون الذين ائتمروا ؟؟ يستفاد مما كتبه فى هذا الموضوع وولتر راتينيو فى جريدة وينر فراى برس فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١٢ أن ثلاث مئة شيخ من شيوخ بنى إسرائيل معروف بعضهم لبعض يقررون مصير القارة الأوروبية ، وهم ينتخبون خلفاءهم ممن يحف حولهم من ذويهم وأصدقائهم .

وفى سنة ١٨٤٨ ألف بنيامين إسرائيلى رواية تمثيلية وردت فيها هذه العبارة بلسان بطلتها المسماة سيدونيا (ويقال إنها من آل روتشيلد الأثرياء اليهود) : « هكذا ترى يا عزيزى كنز سباى (معناه الجاموس المكار) أن العالم يحكمه أقيال مختلفون عمن يتصورهم الناس الذين ليسوا وراء الستار » . وإسرائيل هذا كان يهودياً فنصره أبوه لكى يتسنى له أن يتغلغل فى السياسة البريطانية ، وتغلغل بالفعل إلى أن صار اللورد دزرائيلى المعروف والمنافس لجلادستون . وبهذه العبارة المشار إليها كاد يصرح أن الذين وراء الستار هم اليهود ، وبهذه البروتوكولات التي نحن بصددها كشفت العناية الإلهية أن الذين وراء الستار هم اليهود .

وكان دزرائيلى وراء الستار فعلا يعمل بأساليبه الخفية ويلعب

بجميع الحكومات الأوروبية فى عصره . فعلى جميع الأمم البيضاء تلقى مسؤولية مراقبة هذه الأمة اليهودية التى تفتخر بأنها بقيت فى الوجود دون سائر الأمم القديمة والامبراطوريات البائدة — على حد قول داروين : « بقاء الأنسب » كما يعتقدون .

* * *

ليست هذه الحركة الصهيونية بنت الأمس بل هى قديمة من عهد سليمان الحكيم وغيره من الحكماء أى منذ سنة ٩٢٥ قبل المسيح . فكان الحاخامون يفكرون فى الخطط المكنة لانتصار صهيون السلمى على العالم كله ، (وكلمة صهيون كانت ترادف أورشليم ثم اطلقت على فلسطين) .

والراجح أو الأكيد أن الماسونية كانت من جملة خططهم كما تدل عليها شعائرها وطقوسها ، وما هى إلا أحبولة لاصطياد طبقات الناس على اختلاف طوائفهم ودرجاتهم واستخدامهم بالأساليب الخفية لأغراض جمعيتهم السرية التى هى « جمعية ماسونية يهودية» ضمن الماسونية العامة ؛ وليس للماسون العموميين علم بها . وتلك «الماسونية الخفية» تنفذ مآربها بواسطة «الماسونية العامة » من حيث لا يدرى ذوو الشأن .

ولكى تنتشر الماسونية العامة فى جميع الأمم صبغوها بصبغة الإنسانية والفضيلة وجعلوا شعارها : « الحرية والأخاء والمساواة» الذى اقتبسته الثورة الفرنسية ، وبهذه الطريقة دخل فيها الممتازون من عامة الناس وأصحاب المهن المالية وأصحاب النفوذ من الحكام والموظفين حتى الوزراء والأمراء والملوك ، ولهذا استطاعت « الماسونية اليهودية الخاصة السرية » المكتومة عن جميع العالم أن تنفذ مآربها على يد الماسونية الشائعة . وسترى فى البروتوكول الحادى عشر تحقيق ذلك بجلاء . فقد ورد فى صلب البند السابع من هذا البروتوكول بالنص الكامل :

« فلأى غرض اخترعنا هذه السياسة (الداهية) وأدخلناها فى عقول الجوييم (الناس غير اليهود) من غير أن ندع لهم أية مظنة أو شبهة لكيلا يتنبهوا لاختبار ما تنطوى عليه ؟ حقاً لأى غرض فعلنا هذا إذا لم يكن قصدنا أن نحصل على طريق ملتو نتوصل به إلى قومنا المشتت الذى لا نتصل به عن طريق مستقيم . هذا هو الطريق الذى نعنى فى جعله أساساً لمنظمتنا الماسونية السرية الخاصة التى لا يعرفها هؤلاء الجوييم[1] البهائم (كذا) والتى لا يتشبه بها هؤلاء السائمة حتى ولو كانت موجهة ضدهم . إن هؤلاء الجوييم يجذبون إليها بجاذبية هذه المظاهر الخلابة فى المحافل الماسونية التى ليست إلا ذراً الرماد فى العيون » اهـ

إذن فليعلم ماسونيو العالم أنهم يخدمون مآرب الصهيونية وهم غافلون .

إذا راجعنا أسباب الحوادث حتى الحروب ولا سيما الأخيرة منها لرأينا أصابع الماسونية فيها : فى الثورة الفرنسية والانقلاب العثمانى والانقلاب الروسى الخ .

إن أولئك الشيوخ الحكماء (الحاخامين) الدواهى الذين وضعوا الخطط فى هذه البروتوكولات وكانوا ينقحونها على طول الزمن حسب مقتضيات الحال ، كانت خططهم هذه تنفذ على يد أشخاص تكرسوا لهذا الغرض . قصد هؤلاء الحكماء أن يفتحوا العالم كله لأنفسهم بالأساليب السلمية ، أو التى يسلمون بها من كوارثها ، أو بالأحرى بأسلوب مكر الحية وخبثها كما سترى فى البروتوكول الثالث . ترى فيه رأس الأفعى الرمزية يمثل اليهود الذين تخصصوا لتنفيذ خطط الإدارة اليهودية للدولة الصهيونية المنتظرة ، وجسم الأفعى هو بقية الشعب اليهودى . فالإدارة تبقى سرية حتى عن الشعب اليهودى نفسه ، وحيث أن الأفعى تتغلغل فى قلوب الأمم حتى التى تقاومها (بواسطة الماسونية طبعاً) فهى تنقب تحت الدول غير اليهودية وتلتهم جميع حكوماتها. ولا تزال هذه الأفعى تعمل عملها بحسب الخطط المرسومة لها إلى أن يصل رأسها إلى صهيون (فلسطين) ، وحينئذ تكون قد أتمت دورتها حول أوربا وطوقتها ، وقد قيدتها بسلسلة ، وبسطت سلطانها على سائر العالم . يُعمل كل هذا بيذل الجهد فى إخضاع سائر البلاد بالنفوذ الاقتصادى .

إن عودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يتم إلا بعد أن تطأطىء رؤوس ممالك أوربا ، وتخر ساجدة إلى إله المال أى بواسطة الأزمات الاقتصادية والخراب الشامل ، وحينئذ تنهار الآداب الاجتماعية والروحية وتنحط الأخلاق . ويكون من جملة العوامل لهذا الانحطاط السيدات اليهوديات ، ولا سيما الفرنسيات ،

(١) الجوييم هم النصارى وغيرهم من الأمم والطوائف . هذا فى اصطلاحهم

والإيطاليات . هذا ما ينوه به حكماء اليهود . لا ريب أنه أفعل الوسائل لنشر الفساد فى حياة الأفراد والزعماء وقادة الأمم .

يمكنك أن ترسم خريطة الأفعى الرمزية هكذا :

كانت أولى خطوة لهـا فى أوربا سنة ٤٢٩ قبل المسيح فى بلاد الأغريق فى عهد بركليس حين شرعت الأفعى تقضم عرش تلك المملكة . والخطوة التاليـة فى روما لعهد أوغسطس قيصر سنة ٦٩ قبل المسيح . والثالثة فى مدريد لعهد تشارلس الخامس سنة ١٥٥٢ مسيحية . والرابعة فى باريس نحو سنة ١٧٩٠ فى زمن لويس السادس عشر . والخامسة فى لندن حول سنة ١٨١٤ بعد سقوط نبوليون . والسادسة فى برلين سنة ١٨٦٧ بعد الحرب الفرنساوية البروسية . والسابعة فى بطرسبرج حيث ظهر رأس الأفعى فى سنة ١٨٨١ وهذه المعلومات وغيرها مستقاة من مقدمة الترجمة الانكليزية .

جميع هذه الممالك التى عبرتها الأفعى كانت أسسها قد تزلزلت ؛ فألمانيا تزعزعت قوتها الظاهرة من غير أن تشذ عن القاعدة . وأما روسيا فقـد اجتاحتها الأفعى غير مرة . وفى سنة ١٩٠٥ تركز رأس الأفعى ، ثم اتجـه سمها إلى موسكو وكييف وأودسّا .

هذه هى الخريطة التى رسمها المترجم مراسل المورننج بوسط إلى زمنه . ونحن نقدر أن نزيد عليها أن الأفعى صدمت موسكو صدمة حطمت كل روسيا فى الانقلاب الشيوعى وكل أوربا فى الحرب السابقة وهكذا عرفنا أين استقرت الأفعى فى أوربا .

وكانت هـذه الخطة مرسومة قبل إنشاء جمعية تركيا الفتاة التى أنتجت ثورة البلقان ثم الانقلاب العثمانى . حتى أنه لما شبت الحرب الـكبرى السابقة تحطمت تركيا وتمزقت إرباً إرباً .

ولمـا انتظمت خطة الحـكماء الصهيونيين (التى سنراها فى محاضرهم) زعم اليهود أن هذه البروتوكولات مزورة ومدسوسة عليهم . إذن فعليهم أن يفسروا لنا الأسباب الأساسية للثورات والحوادث التاريخية المشتبه فيها . ومن أمثالها :

١ — إطلاق سراح تروتسكى (برونشتين) من الاعتقال فى هاليفاكس ، سكوشيا حين كان فى طريقـه إلى إحداث مذبحة للملايين من الروس المساكين .

٢ — تعطيل مكتب خارجية انكلترا المادة الحيوية فى التقرير عن بلشفة أودنديك الوزير الهولاندى (وعـلم هذين الثلين عند المترجم) .

٣ — وعد بلفور الخ .

ويؤيد صحة البرتوكولات دزرائيلى فى كتابه « لورد جورج بنتنسكن » فى الفصل ٢٤ إذ يقول بعبارة جازمة : « إن اليهود يبتغون أن يدمروا النصرانية بطريقة يصفها بصراحة أنها مطابقة للبروتوكولات » .

وفى رأى كاتب بعض هـذه المقتبسات أن وجود قسس بلاشفة فى الـكنائس وأساتذة بلاشفة فى الجامعات وغيرها كان مستحيلا لو لم تـكن البروتوكولات صحيحـة . فالبلشفية هى مكيدة صهيونية هائلة ، والقارىء يرى فى أثناء قراءة البروتوكولات أدلة عديدة على صحتها .

نلفت نظر القارىء إلى ماسننقله من بنود هذه البروتوكولات ونود أن يراجع فى نفسه ما يعلمه من حوادث العالم وثوراته وانقلاباته وأزماته السياسية والاقتصادية عسى أن تبدو لبصيرته اليد الصهيونية العاملة فى هذه الحوادث من وراء الستار . ولولا هذه اليد الصهيونية الممتدة من عهد سليمان الحـكيم إلى اليوم لـكان العالم أقل توازناً وأهدأ بالاً وأشمل سلاماً .

وليعلم العرب على الخصوص والعالم على العموم أن رأس الأفعى اليهودية اقترب إلى الأرض المقدسة لـكى يقيم فيها ملك صهيون ويؤسس دولته ويرفع بيرق سلطانه . فإن نجح لا سمح الله فليعلم العالم أجمع أن جميع ممالـكه ودوله أصبحت فى حوزة هذه الأفعى . وبعبارة صريحة تصبح كلها أدوات فى يد الصهيونية وآلات لرفع سؤددها وتصبح جميع الأمم عبيداً لها « فمن له أذنان فليسمع » .

وليعلم ستالين أنه هو شخصياً من الجوييم الذين يلقبهم حكماء الصهيونية بالبهائم ، وإنه وهو يبذل جهده فى تأييد تقسيم فلسطين وإرسال شيوعيين يهود إلى فلسطين يعمل فى إنشاء دولة صهيونية يكون هو أول من يخضع لها ، وروسيا أول دولة تخر لها ساجدة . وليعلم أيضاً أن الشيوعية التى يبشر بها وينشرها هى من اختراع حكماء صهيون ، وأن روسيا الشيوعية صائرة شيئاً فشيئاً من

من ظرفاء العصر العباسى :

١ – أبو العينــــاء*

١٩١ – ٢٨٣ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

« فى هذا العالم الزاخر بالمتناقضات عرش للهزل كعرشه للجد ، استوى عليه أبو العيناء منذ بلغ أشده حتى رد إلى أرذل العمر فمات »

بقى أبو العيناء معروفاً بهذه الكنية منذ اشتهر بين أهل عصره حتى انطوت حياته الطويلة الطريفة . أما اسمه فهو محمد بن القاسم الهاشمى بالولاء ؛ لأن جده خلاداً كان من رقيق اليمامة ، وكان مولى لأبى جعفر المنصور ؛ فقد روى الخطيب فى (تاريخ بغداد) عن محمد بن صالح بن النطاح مولى بنى هاشم أنه قال : « حدثنى أبى قال : طلب المنصور رجالا ليكونوا بوابين له . فقيل : إنه لا يضبط هذا إلا قوم لئام الأصول ، أنذال النفوس ، صلاب الوجوه ، ولا تجدهم إلا فى رقيق اليمامة . فكتب إلى السرى عبد الله الهاشمى — وكان واليه على اليمامة — فاشترى له مائتى غلام من اليمامة ، فاختار بعضهم فصيرهم بوابين ، وبقى الباقون فكان ممن بقى خلاد جد أبى العيناء[١] ... »

ويبدو أن القاسم بن خلاد والد أبى العيناء لم يطب له المقام فى بغداد ، فولى وجهه شطر الأهواز بخوزستان ؛ فكان مولد ابنه فى كورة من كورها سنة إحدى وتسعين ومائة بعد نكبة البرامكة بسنوات ، وقبل وفاة الرشيد بسنتين : فأبو العيناء قد تم الرضاعة حين بويع للأمين بالخلافة بعد وفاة أبيه فى طوس ، وأضحى فى السابعة من عمره لدى مقتل الأمين ، ونشأ أحول العين مخضوباً بالحمرة خضاباً ليس بالمشبع ، فامضى فى الأهواز سنوات من طفولته ، ثم انتقل منها إلى البصرة فأمضى فيها بقية حداثته وكل شبابه وجانباً من كهولته ، فى عصر المأمون الذى دام عشرين عاماً ؛ فأصبح أبو العيناء فى ربيعه السابع والعشرين ، ثم فى عصر المعتصم الذى بقى ثمانية أعوام فأضحى أبو العيناء فى السادس والثلاثين ، ثم فى عصر الواثق بالله الذى ظل خمسة أعوام فجاوز أبو العيناء حدود الأربعين . ويومذاك اعتلت عيناه فأمسى بعد حوله أعمى بعد مغادرته البصرة إلى دار الخلافة ليقضى فيها أكثر من نصف عمره الطويل .

كان ذكى القلب ، مميز الفؤاد ، قوى الذاكرة ؛ فساعدته هذه المواهب على الإقبال على طلب العلم فى صغره ، فحفظ القرآن وتعلم الفرائض ، وتوفر على دراسة العربية ، وبرع فى حفظ الروايات والأخبار ، حتى أن الدارقطنى روى عنه « أنه أتى عبد الله بن داود بن عامر الهمدانى الخريبى[٢] وهو صغير ليحدثه فقال له : تحفظ القرآن ؟ فقال : قد حفظته . قال : تعلم الفرائض ؟ قال : قد حذقتها . قال : فتعلم العربية ؟ قال : تعلمت منها ما فيه كفاية ، فامتحنه فى كل ذلك فأجاد . فقال لو كنت محدثاً أحداً فى سنك لحدثتك[٣] »

وهذه القصة قد رواها الخطيب فى تاريخه بأطول من هذا وأوضح (ص ١٧٢ ج ٣) وهى إن دلت على شىء فأول ما تدل عليه تصور صادق لاستعداد أبى العيناء الفطرى الذى يؤهله

(*) أهم مراجع هذا البحث : معجم الأدباء لياقوت الحموى ، تاريخ بغداد للحافظ الخطيب البغدادى ، لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلانى .

(١) تاريخ بغداد ص ١٧١ ج ٣ طبعة مصر .

(٢) نسبة إلى محلة سكنها بالبصرة تسمى خريبة ، توفى سنة ٢١٣ هـ

(٣) لسان الميزان ص ٣٤٦ ج ٥ طبعة الهند .

أملاك الدولة الصهيونية . وليعلم أنها منذ الآن فى أيدى الصهيونيين ، والأفعى الرقطاء لا يزال جسمها رابضاً فى روسيا ، ولا يزال ستالين يجهل أن اليد التى تحركه هى يد الصهيونية (إذا لم يكن ستالين نفسه صهيونياً) ، وقد يخلف ستالين (بعد عمر طويل) على عرشه صهيونى يدير دولة صهيونية تابعة للدولة الصهيونية العليا ، وحينئذ تتلق موسكو أوامرها من تل أبيب .

هل يعلم ستالين هذا أم لا يزال من الجاهلين المغرورين .

وليعلم المغفلون الأمريكى والانكليزى والأوروبى على العموم أن الخوف ليس من الشيوعية (الشيوعية ليست الاشتراكية ، بل هى صورة أخرى للصهيونية) وإنما الخوف من هذه الشيوعية التى تنطوى أذيالها على الصهيونية . فعلى دول الغرب إن كانت تريد أن تتقى شر الشيوعية أن تقطع رأس الأفعى الصهيونية قبل أن تنفث سمومها فى أرض عيسى ومحمد المقدسة .

نقولا الحداد

لسماع الحديث وروايته ، لولا صغر سنه وحداثته . والظن ظن الحربي على الفتى بتحديثه صغيراً فإنه لم يعدم وسيلة للتشجيع ؛ إذ وجد متنفساً لرغبته ، وإرضاء لنهمه فى كتابة الحديث وطلب الأدب لدى أبى سعيد الأصمعى ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى ، وأبى زيد الأنصارى ، ومحمد بن عبد الله العتبى ، وأبى عاصم النبيل ، الذين كان لهم أكبر الأثر فى توجيه حياته العلمية(١)

وفى عهد طلبه للعلم على أبى زيد الأنصارى لحقت به كنيته المشهورة « أبو العيناء » ، فقد سأله رجل : « كيف كنيت أبا العيناء ؟ قال : قلت لأبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى : كيف تصغر عيناً ؟ فقال : عُيَيْنا يا أبا العيناء فلحقت بى منذ ذاك (٢) » .

وقد لاحظت — بعد طول البحث والتنقيب — أنه كان منصرفاً إلى العلم الانصراف كله قبل أن يجاوز الأربعين من عمره فلم يحاول الاتصال بالخلفاء والأمراء ، ولم يتكسب بالشعر والرواية كما كان يتكسب فى عصره أمثاله من الرواة والشعراء . فكن واثقاً أنك لن تقرأ له خبراً واحداً أو نادرة واحدة تتصل بقصر الخلافة ؛ لا فى أواخر عهد المأمون ولا فى شىء من عهد المعتصم . ولم يكن ليحول دون ذلك سكناه بالبصرة ؛ فقد كان فى مكنته أن يغادرها حين يشاء إلى دار الخلافة عن طواعية واختيار ؛ بيد أنه انتظر الأقدار حتى أخرجته من منشئه إخراجاً ، يوم نكب نكبة فى أواخر أيام الواثق لحمل على أثرها إليه ، فاتصل عفواً بابن أبى دؤاد الذى كان له نفوذ فى الدولة كبير . روى أبو العيناء عن نفسه قال : « كنت فى أيام الواثق مقيما بالبصرة ، فكنت يوماً فى الوراقين بها إذ رأيت منادياً ينادى فى يده مصحف مخلق الأداة فقلت له : ناد عليه بالبراءة مما فيه — وأنا أعنى به أداته — فأقبل المنادى ينادى بذلك . فاجتمع أهل السوق والمارة على المنادى وقالوا له : يا عدو الله ! تنادى على مصحف بالبراءة مما فيه ؟ وأوقعوا به . فقال لهم : ذلك الرجل القاعد أمرنى بذلك . فتركوا المنادى وأقبلوا إلى وتجمعوا على ورفعونى إلى الوالى وعملوا على محضراً ، وكتب فى أمرى إلى السلطان . فأمر بحملى فحملت مستوثقاً منى . واتصل خبرى بأبى عبد الله بن أبى دؤاد ، فتكفل بأمرى والفحص عما قرفت به ، وأخذنى إليه ففك وثاقى؛ وتجمعت العامة وبالغوا فى التشنيع على ، ومتابعة رفع القصص فى أمرى ، فقلت لابن أبى دؤاد : قد كثر تجمع هؤلاء الهمج على وهم كثير . فقال : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) . فقلت : قد بالغوا فى التشنيع على فقال : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) . فقلت : إنى على غاية الخوف من كيدهم ، ولن يخرج أمرى عن يدك . فقال : (لا تحزن إن الله معنا) . فقلت : القاضى — أعزه الله — كما قال الصموت الكلابى :

لله درك — أى جنة خائف ومتاع دنيا — أنت للحدثان
متخمّط يطأ الرجال بنعله وطأ الفنيق دوارج الروان(١)
ويكبهم حتى كأن رؤوسهم مأمومة تنحط للغربان
ويفرّج الباب الشديد رتاجه حتى يصير كأنه بابان

قال : يا غلام ! الدواة والقرطاس ... أكتب هذه الأبيات عن أبى عبد الله . فكتبت له ، ولم يزل يتلطف فى أمرى حتى خلصنى » (٢)

ولم يأسف على فراقه البصرة ؛ « إذ وجد ماؤها أجاجاً ، ووجد حرها عذاباً ، ووجدها تطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم » كما وصفها للخليفة المتوكل لما سأله : ما تقول فى البصرة يا أبا العيناء ؟

لا ، لم يأسف على فراقها لولا أن الشقاء هجم عليه ، وأن الدهر قسا عليه ، فأخذ نور عينيه !

يومئذ بكى على البصرة وضيائها ، ونقم على بغداد وظلامها . يومئذ عرف قيمة البصر بعد أن فقد البصر !

ولكن الصولى — كما فى تاريخ الخطيب — يحدثنا عن أبى العيناء حديثاً لا يخلو من طرافة يصف به الباعث على رحيله عن البصرة ، فإنه روى عنه أنه قال : « سبب تحولى من البصرة أنى رأيت غلاماً ينادى عليه بثلاثين ديناراً يساوى ثلاثمائة دينار فاشتريته . وكنت أبنى داراً فأعطيته عشرين ديناراً لينفقها على الصناع ، فأنفق عشرة واشترى بعشرة ملبوساً له ! فقلت : ماهذا ؟

---

(١) تاريخ بغداد ص ١٧١ ج ٣ .
(٢) المرجع السابق ص ١٧٢ .

(١) المتخمط : الرجل الغلاب الذى لا يطاق . والفنيق : الفحل الكريم ، ودوارج القرون : ما درج من الهوام .
(٢) تاريخ بغداد ص ١٧٣ ج ٣ .

فقال : لا تعجل ، فإن أرباب المروءة لا يعتبون على غلمانهم هذا . فقلت في نفسي : أنا اشتريت الأصمعي ولم أدر ! ثم أردت أن أتزوج امرأة سراً من بنت عمي ، فاستكتمته ودفعت إليه ديناراً يشتري به حوائج وسمكا هازبا (١) فاشترى غيره ، فغاظني... فقال رأيت بقراط يذم الهازبا ! فقلت : يا ابن الفاعلة لم أعلم أني اشتريت جالينوس ... فضربته عشر مقارع ، فأخذني وضربني سبعاً . وقال : الأدب ثلاث يا مولاى ، وإنما ضربتك سبعاً قصاصاً . فرميته فشججته ، فذهب إلى بنت عمي وقال : «الدين النصيحة» و «من غشنا فليس منا» إن مولاى قد تزوج واستكتمني فقلت : لا بد من تعريف مولاتي الخبر ، فضربني وشجني ! فنمنعتني بنت عمي دخول الدار ، وحالت ما بيني وبين ما فيها ، وما زالت كذلك حتى طلقت المرأة . وسمته بنت عمي (الغلام الناصح) ، فلم يمكني أن أكلمه فقلت : أعتق هذا وأستريح ... فلما أعتقته لزمني وقال: الآن وجب حقك عليّ . ثم إنه أراد الحج فزودته ، فغاب عشرين يوماً ورجع وقال : قُطع الطريق ، ورأيت حقك قد وجب . ثم أراد الغزو فجهزته ، فلما غاب بعت ما لي بالبصرة وخرجت منها خوفاً أن يرجع » (٢)

وهذا الحديث الطريف نقله عن الخطيب ياقوت في (معجم الأدباء) وابن حجر في (لسان الميزان) على اختلاف في الألفاظ يسير ، وهو — في جملته أو تفصيله — لا يعتبر تعليلا لتحول أبي العيناء من البصرة كما هو الواقع ونفس الأمر ، وإنما هو تعليل لتحوله منها كما شاء هو أن يصوره بأسلوب المتهكم ، وعرضه الساخر ، في رواية الأخبار .

— ٢ —

وكنت أود أن أصل الكتابة بتحليل نفسية هذا الظريف ودراسة أطواره من خلال آثاره — بعد أن عرَّفت بمولده ونشأته ، ومقامه وانتقاله — لولا أني وقفت أمام نص في معجم الأدباء ، يدور حول عمى أبي العيناء ، فدارت حوله في نفسي عوامل شتى من الشك والارتياب . يفيد هذا النص « أن جد أبي العيناء الأكبر كان يلقى على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فأساء مرة المخاطبة بينه وبينه ، فدعا عليه بالعمى — له ولولده من بعده — فكل من عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم ! » .

لا أكتم القارىء الكريم أني ما إن قرأت هذه الرواية حتى شممت رائحة الوضع فيها ، فقلت في نفسي : إنها لا تخرج عن أحد أمرين : إما أن راويها المعاصر لأبي العيناء المنافس له يريد باختلاقها النيل منه والتمريض به ؛ إذ كان له ولدان أبو جعفر وعبد الله ، وكلاهما كان بصيراً غير أعمى ؛ فهما إذاً دعيان لا يصح نسبهما من أبيهما — وفي هذا قذف صريح في أبي العيناء — وإما أن بعض العلويين المتشيعين الكارهين له الناقمين منه أذاعها بين الناس لا على سبيل المنافسة ولكن على سبيل المداء ؛ إذ كانت تبدر منه أحياناً كلمات مقذعة في المتشيعين .

هذا ما جاء في نفسي بادىء الرأي ... إلا أن رواية شديدة الشبه بالنص السابق — في تاريخ الخطيب — قد أراحتني من الشك الطويل ، وجملتني من تغيير حكمي بسبيل ، لألتمس للواقعة أي تعليل . يقول أبو العيناء نفسه في هذه الرواية الجديدة : « دعا المنصور جدي خلاداً - وكان مولاه — فقال له : أريدك لأمر قد همني وقد اخترتك له ، وأنت عندي كما قال أبو ذؤيب الهذلي :

ألكني إليها وخير الرسو ل أعلمهم بنواحي الخبر

فقال : أرجو أن أبلغ رضا أمير المؤمنين .

فقال : صر إلى المدينة على أنك من شيعة عبد الله بن حسن ، وابذل له الأموال واكتب إليّ بأنفاسه وأخبار ولده . فأرضاه . ثم علم عبد الله بن حسن انه أتى من قِبله ، فدعا عليه وعلى نسله بالعمى . قال أبو العيناء : فنحن نتوارث ذاك إلى الساعة (١) ! » .

فقد اتفقت هاتان الروايتان في تعليل عمى أبي العيناء ، بدعاء مستجاب شق حجب السماء ، وإن اختلفتا في شخص الداعي أهو علي بن أبي طالب أم عبد الله بن حسن ؟ وفي شخص المدعو عليه أهو جد أبي العيناء الأكبر أم جده القريب خلاد ؟

ونحن إذا سلمنا بأصل الفكرة المنتزعة من الروايتين نعود من جديد أمام أمرين : إما التصديق بهذه الواقعة — عمى أبي

(١) نوع من السمك ، ويمد فيقال : هازباء أيضا . وهو هنا من وصف الجنس بالنوع .

(٢) تاريخ بغداد ص ١٧٧ ج ٣ ولسان الميزان ص ٣٤٥ ج ٥

(١) تاريخ بغداد ص ١٧١ ج ٣ .

الميناء استجابة لدعاء — على أنها مصادفة تلاقت مع الواقع ، وما أكثر ما يتلاقيان ! وإما اتهام هذا الظريف نفسه باختلاق القصة من أساسها وإذاعتها بين الراغبين فى سماع أخباره العجيبة ، ونوادره المبتكرة ، فرواها هو بلفظ ورواها السامعون بلفظ آخر ، وتداولتها الألسن لتكون دليلا صريحاً على تمكن ملكة الكذب من نفسه ، وسيطرتها على لسانه ، فإنى — كما سترى من قريب — ما عرفت لساناً أحب إليه الكذب من لسانه ، ولا نفساً أرضى بما تختلق من نفسه !

وقد ترى غير ما رأيت ، فتفرض أمراً ثالثاً وهو أن الرواية الأولى موضوعة ، وأن الثانية على أبى الميناء مدسوسة ، لولا أنك بهذا الفرض تتهم ياقوتاً الحوى بوضع ما لا غرض له فى وضعه ، ثم ترمى الخطيب البغدادى بقلة تحريه وضبطه ، مع أنه الحافظ المشهور الذى أجمع علماء الحديث ورجال الجرح والتعديل على قبول آثاره ، ورواية أخباره .

وكيفما عللنا سبب عمى أبى الميناء ، فسنوافق على حوله قبل عماه ، وسنؤيد المبرد فى روايته عنه « أنه إنما صار أعمى بعد أن نيف على الأربعين وخرج من البصرة واعتلت عيناه فرُمى فيهما بما رمى . ثم يستدل المبرد على ذلك بقوله : والدليل على ذلك قول أبى على البصير .

قد كنت خفت يد الزما ن عليك إذ ذهب البصر
ولم أدر أنك بالعمى تغنى ويفتقر البشر !

والخطيب فى تاريخه روى هذين البيتين بضمير المتكلم الجمع (كنا نخاف من الزمان ... الخ البيت الأول . لم ندر أنك الخ البيت الثانى) ونسبهما إلى أحمد بن أبى طاهر (١) . وهما — على كل حال — علامة نستأنس بها فى أن عمى أبى الميناء كان طارئاً فى كبره ، ولم يكن فى الوُلادة ولا فى صغره . ويؤيد هذا محاورة ابن أبى دؤاد لأبى الميناء يوم سأله : « ما أشد ما أصابك فى ذهاب بصرك ؟ قال خلتان ، يبدؤنى قومى بالسلام ، وكنت أحب أن أبتدئهم ، وإنى ربما حدثت المعرض عنى وكنت أحب أن أعرف ذلك فأقطع عنه حديثى ! قال ابن أبى دؤاد : أما من ابتدأك بالسلام فقد كافأته بحسن النية ؛ وأما من أعرض عن حديثك فما أكسب نفسه من سوء الأدب أكثر مما وصل إليك من سوء اجتماعه ! »(١)

وزيدنى اطمئناناً بصحة ما ذهبت إليه أن ليس لدينا دليل واحد على أن أبا الميناء عمى قبل الأربعين — فضلاً عن أنه ولد أعمى . والخطيب وابن حجر — وإن كانا قد أوردا خبر عماه بصيغة التمريض — إلا أنهما لم يحددا زمناً لعماه قبل هذه السن ولا بعدها . ثم إنه ليس ضرورياً أن نفهم من عبارة أبى الميناء فى رواية الخطيب « فنحن نتوارث ذلك — أى العمى — إلى الساعة » أن كل من تناسل من هذه الأسرة يقضى عليه قانون الوراثة بأن يولد أعمى ، فإن الوراثة — كما يصح أن تكون مباشرة — يمكن أن تفعل فعلها بعد زمن يطول أو يقصر : فلنا إذاً أن نطمئن إلى رواية المبرد — فى هذا الموضوع — ثم لنا أن نحكم بحول أبى الميناء قبل عماه من الروايات الكثيرة المتضافرة التى نذكر منها على سبيل المثال محاورة لطيفة دارت بين أبى الميناء ومحمد بن خلف بن المرزبان .

قال أولهما للثانى : « أتعرف فى شعراء المحدثين رشيداً الرياحى قال محمد بن خلف : لا . قال أبو الميناء : بل هو القائل فىّ :

نُسبت لابن قاسم مأثرات فهو للخير صاحب وقرين
أحول العين والخلائق زين لا احولال بها ولا تلوين
ليس للمرء شائناً حوَل العيـ ـن إذا كان فعله لا يشين

فقال ابن خلف : وكنت قبل العمى أحول ؟ أفمن السقم إلى البلى ؟ فقال أبو الميناء : هذا أظرف خبر تعرج فيه الملائكة إلى السماء اليوم . ثم قال : أيما أصلح ؟ من السقم إلى البلى أوحال العجوز — أصلحها الله — من القيادة إلى الزنا ؟ » .

هذه رواية معجم الأدباء ، وشبيهة بها — مع اختلاف فى اللفظ يسير — رواية تاريخ بغداد (ص ١٧٥ ج ٣)

والمحاورة فيها إذا ختمت بالدعابة ، فقد بدئت بأقوى مظاهر الجد ؛ لأن الفخر كان وما يزال حديث النفس . وحديث النفس كان ومازال مستمداً من أعماق الشعور ، والشعور كان ومازال حاسة الواقع : فليس بغريب أن يستمد الفخور بنفسه كأبى الميناء من واقعه ومن نظرة الناس إلى واقعه مدعاة إلى الاعتزاز والتعالى

(١) تاريخ بغداد ص ١٧٤ ج ٣

(١) المرجع السابق ، الصفحة ذاتها . وتجدها فى معجم الأدباء أيضاً

ألغام الدكتور ماغنس

للأســـتاذ نجاتى صدقى

كان سكان حى وادى الجوز فى القدس مستسلمين إلى نوم عميق بعد يوم من العمل الشاق فى سبيل المعاش ، وكانت الساعة تشير وقتئذ إلى الثانية بعد منتصف الليل .. فإذا وقفت فى غرفتى فى تلك الساعة وتطلعت من نافذتها الشرقية مخترقا بنظرك ظلام الليل الحالك ، ارتسم أمامك جبل الزيتون ، وقد قامت عليه أشباح عمارات الجامعة العبرية ، ومستشفى هـــداسا ، وهى تغتسل بالفحم السائل ...

ثم إذا لقيت بنظرك إلى يمين الجبل رأيت هنـاك قسما من بيوت قرية الطور وهى أيضاً تغط فى نوم عميق هادىء ، لكنها آثرت أن تبقى بعض الأضواء هنا وهناك تحسبا للمفاجآت ، وكم تحمل هـذه المفاجآت فى طياتها من جرائم مشبعة بالخسة والنذالة . وكنت أنا ساعتئذ فى جملة الناس المستغرقين فى نومهم ، أودع يوما مضى واستقبل يوما آتيا ، وإذا بى أستيقظ فجأة على أزيز الرصاص ينطلق من جميع الأسلحة الآلية ، من (برن) و (ستن) و (طومسون) وبنادق انكليزية وكندية وفرنسية وألمانية ، يتخللها انفجارات مروعة تهتز لهـا أركان البيوت ، تمتزج مع أصوات نساء ورجال وصفارات ، فيتجاوب صـداها فى الوادى الممتد من محلة الشيخ جراح حتى ضريح العذراء مريم فتخيلت نفسى فى مدريد سنة ١٩٣٧ ! ...

كان الهاجمون جماعات من منظمة (الهاجانا) اليهود المرابطين فى الجامعة العبرية وهم خليط من التلامذة والعمال ، وبينهم عـدد من الفتيات . وقد اقتحموا أطراف الحى من ناحيـة الجبل مغتنمين فرصة خلو هذه الناحية من الحرس الوطنى تقريباً ، لأن السكان كانوا يعتقدون بأن الجامعة العبرية هى معهد علم وتربية وثقافة ، ويستحيل أن تصدر منها طلقة واحدة .

ومما يدل على قوة اعتقاد العرب هذا ، حوار جرى بينى وبين صاحب حانوت من أهل الحى ، وهو رجل أمى ، سليم الطوية ، قلت له : أظن أن الجامعة العبرية ستكون مصدر خطر على وادى

ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وهنا تبرز جوانب خاصة من شخصية هذا الظريف تبعثنا على أن نؤكد لك أنك ستبحث فى طوايا الأدب العربى طويلاً حتى تجد ظريفاً كأبى العيناء يحسن الهزل فى جده كما يحسن الجد فى هزله ، فيمزج بينهما مزجاً يحيرك ، ثم لا تدرى : أتلتمس من بين غضون شعره أو نثره حقيقة ترضيك ، أم خيالا يلهيك !

فهو مثلا يريد أن يتغاضى عن حوله يعمد إلى تناسى عيبه ، ويمعن فى إظهارك على بعض ما أورثه الحول من الخيرات ، وما حمل إليه من البركات ، وما أنقذه من المآزق المحرجات ، ويثنى على الله هذا الثناء الذى قلما نسمع بمثله إلا من مثله :

حمدت إلهى إذ بلانى بحبها ... على حول يغنى عن النظر الشزر
نظرت إليها والرقيب يظننى ... نظرت إليه فاسترحت من العذر

هذه صورة من هزله فى جده ، لـكن أسلوبه حين دافع عن عماه بعد أن أخـذ الله نور عينيه يختلف من بعض الوجوه عن أسلوبه ههنا ، فإنه هناك أدنى ميلا إلى الجد الذى يتجلى فى فخره بنفسه ، وفى اعتزازه بلطف سمـه وإرهاف حسه ، وفى إعجابه بسلاطة لسانه وقوة بيانه ، وذكاء قلبه ورجاحة لبه ، وصرامته فى حماية ذاته من لهو العابثين :

إن يأخـذ الله من عينىّ نورهما
فنى لسانى وسمعى منهما نور !
قلب ذكى ، وعقل غير ذى خطل
وفى فمى صارم كالسيف مأثور !

ولقد يكون هذا الفخر دأب كل من يشعر بنقصه فى شىء ما ! فإذا هو يتلمس الأسباب إلى ستر معايبه بمحاسنه ، فيتجاهل الحقيقة المرة ويتفاخر بما عوضه الله من خير ... إلا أن أبا العيناء لا يكتفى بهذا ، فلعله لديه ظاهر التصنع ، بادى التكلف ، وإنما يريد أن يجلو لك نفسه على حقيقتها كما يزعم ثم يشعرك بقيمة تلك الحقيقة ، لتقتنع بقوة شخصيته : وهـذا ضرب من جده فى هزله .

(يتبع)

صبحى ابراهيم الصالح

الحوز والأحياء العربية المجاورة ؟

فقال : كلا يا أبا سعيد ، هذه دار علم ، ونحن لا نخشاها ، كما أننا لا نعتدى عليها ... وهي على الجلة فى حمى قوانين العالم !

وحدث أيضاً أن اعتقل الحرس الوطنى صحفيا يهوديا أمريكيا واقتاده إلى مقر قيادة مدينة القدس ، حيث أخذوا يحققون معه فقال فى دفاعه : إننى من أنصار الدكتور ماغنس عميد الجامعة العبرية ... وحزبنا يريد سلماً مع العرب . فأفرجوا عنه مصحوباً بحرس ليوصله إلى الأحياء اليهودية .

وبلغ مسمعى حوالى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل أصوات آتية من وسط الوادى تقول بالعبرية : مهير . مهير . كاديما(*) !

وأعقب تلك النداءات انفجار هائل شعرت معه أن دارنا قد تزحزحت عن مكانها ، ثم استمر تبادل إطلاق النار حامياً ، وكانت تصدر عن الأسلحة السريعة الطلقات أنغام غريبة تشبه الخبط على الأبواب ، أو النقر على الزجاج ، أو الضرب على طبلة السحر ... ثم تنفجر ألغام الدكتور ماغنس وكأنها قرع طبول تشترك فى هذا العزف الآثم .

وحين بلغت المركة الليلة أوجها اقترب أحد المعتدين من كوخ منعزل ، تركه صاحبه ليساهم فى الدفاع عن الحى ، ولم يبق فيه سوى زوجة وستة أطفال ... ولما سمعت المرأة حركة عند كوخها ظنت أن زوجها عاد ليتفقد أسرته ، فصرخت قائلة : من بالباب ؟ ... فأجابها المعتدى : يهوديم ، ثم سألها : أين زوجك ؟

قالت : خرج ، ولا أدرى إلى أين ، وليس فى البيت سواى وأطفالى ....

لعل القارئ يتصور أن المعتدى ابتعد عن الكوخ وسكانه الأبرياء الآمنين ، غير أن الواقع كان على العكس من ذلك ، فإنه وضع لغماً عند باب الكوخ ، وأشعل فتيله ، وأطلق ساقيه للريح ، ملبياً صوت قائده الذى يقول له من بعيد : بوهينا اتسخاق ... مهيرا(١) ! ... وبعد لحظات انفجر اللغم ، وقتلت المرأة مع أربعة من أطفالها ، واستحال الكوخ إلى رماد .

أما الدكتور ماغنس فهو عميد الجامعة العبرية بالقدس ، فى حدود الخامسة والخمسين ، أمريكى الجنسية ، مديد القامة ، نحيف الجسم ، غائر العينين ، ذاهل النظرات ، وصاحب مائة مشروع ومشروع من أجل التقارب بين العرب واليهود .

واستمرت المركة حتى السادسة صباحاً ، فتطلعت إلى جهة الجامعة فرأيت أحد المعتدين يقذف النار من مدفع (برن) ، وقد نصبه فى صومعة الدكتور ماغنس ، وتقع هذه الصومعة فوق سطح فرع الإنسانية التابع لكلية الآداب ! ...

وحوالى الساعة السابعة صباحاً هدأت المركة ، وهرع السكان إلى حيث بقع الكوخ المنسوف ، والأشلاء المبعثرة ، وكان بود المعتدين أن يغتنموا هذه الفترة الملائمة ، ويمطروا الحشد بوابل من الرصاص ، لو لم تتدخل السماء وتسدل ستاراً كثيفاً من الضباب على الجامعة العبرية لمدة نصف ساعة من الزمن .

ثم انقشع الضباب ... وانتشر الضياء ... وعرف العرب أمراً جديداً ، هو أن فى وُسع العلم والجريمة أن يعيشا فى الجامعة العبرية تحت سقف واحد ! ...

نجاتي صدقي

(*) السرعة ... السرعة ... وإلى الأمام .

(١) تعالى يا إسحاق على عجل

الحيـــــاة التناسلية

والتحليل النفساني

للدكتور فضـــل أبو بكر

مما يؤسف له حقاً أننا قلما نعالج مثل هذه الموضوعات في بلاد الشرق ، وإذا تعرضنا لها بعض الأحيان نمر عليها مراً سريعاً خاطفاً وبكثير من التحفظ . كذلك نشرح هذه الحياة للشبان والشابات في سن المراهقة وما قبلها بنفس ذلك التحفظ متحاشين ما استطعنا الخوض في الحياة التناسلية من حيث التكوين التشريحي والوظائف الفسيولوجية لتلك الأعضاء وما ينتاب تلك الحياة من أمراض جسمانية هي الأمراض التناسلية ، ومسخ نفساني هو الشذوذ التناسلي وما يترتب على كل هذه الطوارىء من أضرار ، وما عسى أن يتخذ من الحيطة والتدابير لإتقاء شر هذه الأمراض بمختلف أنواعها كما أن هذه التبعة تقع على كاهل الوالدين والمعلمين.

هذا التقصير ناشىء من اعتبارنا — خطأ — أن مثل هذه الحياة سرية ، ومن هنا أطلقنا وما زلنا نطلق على الأمراض التي تنتابها في معظم الأحيان بالأمراض السرية ، وفي قليل من الأحيان بالأمراض التناسلية ، مع أن التسمية الأولى هي تسمية خاطئة ومضرة في الوقت نفسه . وما زال بعض الناس يقدسون سرية هذه الأمراض ويرفعونها إلى مستوى « سر المهنة » وينكرونها نكراناً باتاً على الطبيب المداوي نفسه ويضللونه تضليلاً يعقد الأمر ويزيد في إشكاله من حيث تشخيص المرض . وقد يحاوره ويحتال عليه بشتى الحيل ليبوح لك بالسر الرهيب وتفهمه بأن سر المهنة يقضي عليك بألا تبوح بشيء مما يدلي به المريض في مثل هذه الأحوال حتى إلى أقرب الناس إليك أو أقربهم إليه ؛ كما أنه في حالة الإفشاء يمكنه مقاضاتك والاقتصاص منك بواسطة القانون . وقد تلين قناته ويأنس إليك فيقص عليك حقيقة الأمر في بعض الأحيان كما قد يستمر في نكرانه وتضليله . غير أنه من حسن الحظ أن مضاعفات المرض نفسه ، وما تتركه من آثار باقية ، والنتائج التحليلية للفحص ، كل ذلك كفيل بفضيحة الأمر وإفشاء السر في معظم الأحيان .

إن سبب هذا النكران يرجع إلى عدة عوامل منها « الحياء » ، والحياء من الإيمان كما يقول الحديث وهو ركن حصين ودعامة قوية من دعائم الأخلاق بلا شك ؛ غير أنه في مثل هذه المناسبات يكون الحياء مستعملا في غير موضعه ، أو استعمل استعمالا خاطئاً للأسباب التي سبق ذكرها . ومنها أيضاً عادة « احترام النفس » وهو شعور طبيعي في الإنسان ويجب تشجيعه وتنميته في كل نفس ؛ غير أنه من غير المعقول أن يفقد المريض قيمته أو ينحط قدره في نظر الطبيب إذا عرف أن مريضه مصاب بمرض تناسلي ؛ حتى ولا في نظر المجتمع — إذا أنصف المجتمع — لانتشار هذه الأمراض . ومن ضمن هذه الأمراض ما يسمونه « بمرض الأبرياء » وخاصة مرض الزهري ؛ فقد يصاب به الإنسان أحياناً من طريق غير الطريق التناسلي أو المخالطة الجنسية كما يشاهد ذلك في أكثر من مرة . كما قد يكون سبب التكتم من ناحية المريض هو عدم ثقته بالطبيب ، واتهام مقدرته على كتمان السر ، وأن في إذاعة هذا السر مشاكل عائلية ومضار تسبب للمريض — وهذه أيضاً حجة واهية ووهم لا محل له إلا في ذهن المريض ؛ إذ أنه ما من طبيب يحترم مهنته ويقدر مسئوليته تسول له نفسه إفشاء مثل هذه الأسرار . ثم أنه من غير المعقول أن يلجأ المريض إلى طبيب لا يثق به ؛ إذ فقدان مثل هذه الثقة قد يكون مصحوباً بالشك في العلاج نفسه وفي مقدرة الطبيب . ومن هنا ينتج فقد الإيمان والاعتقاد وما يترتب على ذلك من « إيحاء » — هـذا الإيحاء هو عنصر نفساني هام يساعد على الشفاء ويزيد في مناعة الجسم وحيويته في نضاله ضد الأمراض . كذلك جهل المريض بما سوف يترتب عليه من عواقب وخيمة وأضرار لنفسه أو لمن يعيشون حوله ؛ كما أن هنالك خصلة مكروهة وعادة ذميمة هي عادة الكذب الذي يلجأ إليه الكثيرون من غير ما حاجة ماسة كما قد أصبح للبعض الزم لهم من الخبز اليومي .

لا نقصد مما سبق ذكره أن المريض بهذه الأمراض التناسلية يحتم عليه إذاعتها في المجالس والمنتديات أو على صفحات الصحف أو يتخذ منها مادة للسمر والتندر ؛ لا نقصد إلى شيء

من ذلك بل نقول بالعكس من ذلك بضرورة التستر — « وإذا بليتم فاستتروا » كما تقول الحكمة ولكن الذى نريده ونتتظره من المريض هو عدم مراوغة طبيبه وتضليله كما نطالبه باتخاذ ما يلزم من الاحتياط حتى يحول دون انتشار العدوى لغيره من الناس .

إن مشكلة الحياة التناسلية ولاسيما تحليلها من الوجهة النفسانية مشكلة عويصة معقدة . وقد شغل هذا الموضوع الحيوى حيزاً كبيراً من تفكير أطباء الأمراض بالحياة العصبية والتناسلية وتأثر كل منهما بالآخر . ومن أهم من عنوا بالتحليل النفسانى « Psychanalyse » هو العالم النمسوى المعروف « فرويد » « Freud » الذى كان أستاذاً فى جامعة فينا والذى يعد أكبر مرجع لهذا النوع من التحليل ، كما أنه امتاز بعمق التفكير والتأويلات البعيدة المنطقية ، وبالشجاعة فى إبداء آراء جريئة . وقد عانى من ذلك كثيراً ورماه البعض بالمغالاة ، كما أن هنالك اعتبارات أخرى من سياسية وعنصرية ، إذ كان من أصل يهودى . كل ذلك سبب له مشاكل ومتاعب ، وشعر بالاضطهاد أخيراً مما أجبره على مغادرة النمسا والإتجاه إلى انجلترا كما لجأ إليها ابن عم له من قبل هو « كارل ماركس » إذ طرد من ألمانيا لأسباب مشابهة .

تظهر الغريزة الجنسية عند الطفل فى طور مبكر جداً كما يقول العالم المجرى « لندنر » « Lindner » يقول هذا العالم أن عوارض الغريزة الجنسية ترجع إلى عهد الرضاعة ؛ فهو يرى فى الرضاعة عملية حيوية بالنسبة إلى الطفل ؛ إذ تدر عليه اللبن اللازم لقوته ، والذى لا تكون حياة من دونه ، وتهديه إلى البحث عن هذا اللبن غريزة حب النفس وتنازع البقاء . غير أن « لندنر » « وفرويد » يقولان إن الطفل يشعر أثناء وقت الرضاعة بشعور خفى ولذة ظاهرة هى إشباع الغريزة التناسلية واللذة التى تنتج من إجابة هذه الغريزة ؛ فتراه بعد أن يأخذ كفايته من اللبن لا يلذ له النوم إلا وهو ممسك بفمه ثدى أمه فى نشوة ظاهرة وشعور بالطمأنينة ؛ حتى إذا نما الطفل قليلا نجده يبحث عن عضو آخر مثل إبهام يده أو غيره من أجزاء الأعضاء ليمصه واجداً فى ذلك لذة كبيرة هى — حسب ما تقدم — لذة جنسية . لذلك أطلق على منطقة الفم والشفتين « بالمنطقة الجنسية » « Zone Erogéne » كما ذهب فرويد إلى أبعد من ذلك بقوله أن هنالك منطقة جنسية ثانية توجد فى الدبر وهو يرى فى عملية التبرز عند الطفل لذة تناسلية كما يقول فرويد إن هذه اللذة ما زالت آثارها كامنة عند الكبار بقوله أن الشعور الخفى بالراحة والرضى بعد أداء عملية التبرز ولا سيما بعد الإمساك الذى ينتج عنه تصلب فى المواد البرازية . هذا الشعور من المعقول جداً أن يكون سببه خلاص الجسم من مواد غير مرغوب فيها كما أن فى بقائها بالجسم أكثر من اللازم ضرراً بالجسم ؛ غير أن هذا الشعور لا يأتى فقط من الأسباب المذكورة ؛ ولكنه يكون مصحوباً فى الوقت نفسه بشعور داخلى خفى منشؤه إشباع نوع من الغريزة الجنسية وما يصحب ذلك من لذة وراحة

ذكرنا فى المثالين السالفين بدأ الحياة التناسلية عند الطفل ولكنه بدأ شاذ ، فالحياة التناسلية تبدأ بالشذوذ ولما يبلغ الطفل الثالثة من عمره ، يبدأ اهتمامه بتكوينه التناسلى ويسترعى فضوله وجود الأعضاء التناسلية فى جسمه وأن كان يجهل ماهيتها وما خلقت من أجله ؛ غير أن الطفل من غير شك يبدأ بمداعبة أعضائه التناسلية فيحدث عنده لذة جنسية . ويعتبر هذا مثل ثالث آخر للشذوذ التناسلى « Perversion Sexuelle » نسميه شذوذاً تناسلياً لأن الحياة التناسلية الطبيعية السليمة الطبيعية هى البحث عن مثل هذه الملاذ الجنسية عند جنس مضاد — ذكر وأنثى — بالاختلاط الجنسى . وقد يكثر الطفل من مداعبة تلك الأعضاء بعد أن يشعر بنوع من اللذة فيستدعى ذلك اهتمام والديه فيمنعونه عن عمله الشاذ بشتى الطرق من ترهيب وترغيب ؛ غير أن المنع لا يميت فى نفسه ذلك الشعور وربما يزيده ويزكيه فيشعر بشىء من الغبن ويسبب له هذا المنع مركباً نفسياً ضمن المركبات النفسية الكثيرة وهو ما يسميه فرويد « بمركبات الخصيان » « Complexe de Castraction » وهو الشعور بالغبن لدى الخصيان الذين حرموا ملاذ الحياة التناسلية .

هذا ويؤكد فرويد أن أول ما يبدأ الطفل حياته التناسلية العادية إنما يبدأها بالشعور الجنسى نحو أمه . وهذا الشعور شاذ فيما يتعلق بالعرف والمجتمع ولكنه طبيعى فيما يتعلق بالغرائز الجنسية

بكونه شعوراً نحو جنس مضاد لجنسه كما توجد مثل هذه الغريزة في الطفلة بالنسبة لأبيها ، وهو شعور أشبه بالجذب والتنافر بين الأقطاب في عالم الكهرباء والمغناطيس .

لا يمكن لأحد أن ينكر الشعور الطبيعي للأطفال نحو والديهما وما فيه من حب طاهر برىء ؛ ولكن براءة هذا الحب لا تنافى وجود الغرائز وسلطانها . وقد نسمع بعض الأحيان أن الطفلة تريد الزواج من أبيها ، والطفل يرغب أمه ؛ كل ذلك في سن مبكرة بين الثالثة والرابعة مثلا ، فيثير ذلك تسلية للوالدين وعطفاً على الأطفال لهذه السذاجة البريئة . وقد وصف هذه الظاهرة فرويد وسماها « مركب أوديب » « Oedipe Complexe » وأوديب هذا كما تقول الأسطورة الإغريقية كان ملكا ظالماً جباراً ؛ وقد أنبىء بأنه سوف يقتل أباه ويتزوج أمه وذلك من حيث لا يعلم . ولما كان قد فارق أبويه في سن مبكرة وانقطعت كل الصلات بينه وبينهم فإنهما لا يدريان عن أمره شيئاً . وفي ذات مرة أمر بقتل رجل كعادته في قتل الرجال ، كما أخبره ذات مرة أحد أفراد حاشيته بوجود امرأة جميلة في مكان ما ؛ فأمر في الحال بإحضارها وتزوج منها . ولم يمض إلا وقت قصير حتى تبين له بأن المقتول لم يكن غير والده وأن الزوجة لم تكن غير أمه .

وهكذا حلت به الكارثة وصدقت النبوءة فحزن أوديب حزناً شديداً وعاقب نفسه على ذلك بأن فقأ عينيه الإثنتين . وقد اتخذ الأدباء والشعراء من مأساة أوديب مادة خصبة دسمة مثل « سوفوكليز » و « إيورد بديز » وغيرهما من شعراء الأغريق .

أما الحياة التناسلية السليمة « والمنتجة » فهي تبدأ بعد البلوغ إذ يكتمل تكوين هذه الأعضاء تشريحياً وتهيأ لأداء رسالتها فسيولوجيا بالتلقيح الذي ينتج النسل .

وقد يطرأ انحراف الحياة التناسلية فيطبعها بطابع المسخ والشذوذ وهذا المسخ قد يكون مخففاً أو كامناً حتى لدى من يتمتعون بحياة تناسلية طبيعية . وقد تستحكم حلقات هذا الشذوذ ويظهر جلياً عند ضعفاء العقول والمصابين بالإنحلال الذهني تساعد على ذلك الوراثة المثقلة مما يجنيه الآباء على الأبناء ، كما أن هذا الشذوذ قد يؤدي إلى أمراض عقلية واختلال في التوازن الذهني الذي بدوره يساعد على تكون هذا الشذوذ ؛ وهكذا كل منهما يساعد على حدوث الآخر في شبه « دائرة خبيثة » .

غير أن هذا الشذوذ — من سوء الحظ — ليس محصوراً في ضعاف العقول ولكن قد يصاب به بعض المفكرين والشعراء وغيرهم ممن يتمتعون بحياة اجتماعية كبيرة عالية ؛ ولكنك إذا درست حياة أولئك الكبراء والمفكرين وراقبتها عن كثب وجدت أن ذلك الشذوذ قد يعدو تلك الناحية التناسلية ويسرى إلى حياتهم الخاصة والعامة . وقد تصدر منهم أحياناً بعض التصرفات الشاذة بل الجنونية ولست أجد أصدق من المثل القائل « الجنون فنون » وهي فعلا فنون متنوعة الأشكال والألوان .

والشذوذ التناسلي على أنواع كثيرة منها يسمى « Homo-sexualitè » ، ويشمل الذكور والأناث أي العلاقة الجنسية بين فردين من نوع واحد — أي بين رجل ورجل وامرأة وامرأة ومنها ما نسميه بالعادة السرية (جلد عميرة) « Masturbation »

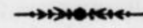
ولنكتفي الآن بهذا القدر خوفاً من الملل ورفقاً « بحياء » بعض القراء وإن كان لا حياء في العلم كما لا حياء في الدين .

(باريس) فضل أبو بكر

من العصور الوسطى إلى الأزمنة الحديثة : (*)

١ - الوطنية الجديدة

للأستاذ محمد محمد على



فى عام ١٩٠٩ لفت اثنان من حكام المستعمرات الأوربية أحدهما إنجليزى فى الهند البريطانية ، والآخر روسى فى التركستان ، لفتا النظر إلى التغير الذى بدأ يحدث فى اليقظة الاجتماعية والثقافية لسكان المستعمرات . فقال اللورد رونالد شاى :(١) « هناك مشكلات آخذة فى الظهور ، لها أثر بعيد بالنسبة للعالم عامة ، ولبريطانيا خاصة ، تحفز على التفكير والدراسة ، أعضاء جمعيتنا ، وإنى أشير إلى تلك المشكلات الممثلة فى الرغبة الزائدة لتأكيد الذات ، التى تثير أعصاب الشرقيين . وفى الواقع أن احتكاك الفكر العربى بأفكار الشرقيين ، قد أحدث تأثيراً كبيراً فى جميع سكان الشرق .

وفى نفس العام ، كتب الحاكم الروسى العام للتركستان:(٢) « إن الحروب قد حركت العالم الإسلامى فى الفترة الحالية ، فقد ظهرت أولاً فكرة الجامعة الإسلامية ثم المطامع الوطنية المتزايدة والأفكار الثورية ، كل هذا قد حرك الجماهير الإسلامية ، وأيقظ فى أوساطهم فكرة الوحدة الوطنية ، والأفكار الاشتراكية »

ومنذ عشرين سنة كافحت الهند من أجل الاستقلال ، الذى لفت أنظار بريطانيا والعالم . وفى التركستان ، حلت الجمهوريات الوطنية الاشتراكية محل الولايات الروسية التى كانت تحت سيطرة الحاكم العام . وقد عُرف تفوق أوربا فى ميدان العلوم الهندسية والتنظيم الفنى . وبدأ الناس يعرفون بالتدريج أن أوربا يمكن أن تقهر بأسلحتها ، فساروا على نهج حركات التحرير الوطنية التى قامت فى أوربا فى القرن التاسع عشر . ولما تنبهت فى شرق أوربا — أمم لا تاريخ لها — للشعور بذاتها ، فى القرن التاسع عشر ، وحاولت أن تلعب دوراً إيجابياً فى التاريخ ؛ استيقظ الشرقيون من ظلمات عهود الإقطاع الوسطى ، وهبوا إلى غرض واحد فى شعار الوطنية ورأسمالية الطبقة الوسطى .

إذن ، فالشرق قد وصل إلى عصر فيه الوطنية أعلى وأسمى الأوضاع الاجتماعية ، وتفرض طابعها على العصر .

ومنذ سنوات ، كان الدين هو العامل الفعال فى الشرق . وليست الوطنية ديناً خارجاً oustine ، ولكنها تشق طريقها بجانبه ، وغالباً ما تعدل فيه بالتغيير والإصلاح .

إن الوطنية اليوم فى تلاؤم مع النظم الاجتماعية الجديدة . وقد ظهر هذا فى أوربا بوضوح ؛ عند ما كانت هناك حاجة إلى القضاء على الإقطاع ، والوطنية المحلية القائمة على أساس الزراعة والأسواق الصغيرة والمدن والوصول إلى الوحدة الكبرى فى ظل النظام الرأسمالى .

لقد كانت الوطنية هى الشكل الذى وافق حاجات الرأسمالية الناشئة والطبقة الوسطى الفنية ، ولا تزال الوطنية فى الشرق تواجه حاجات اجتماعية واقتصادية ، سواء نظرنا إلى الموقف من وجهة نظر أوربا اليوم ، أو الشرق فى الماضى القريب . فنظم الصناعة الرأسمالية تشق طريقها إلى الشرق ، ويسير اقتصاد النقد والتصنيع : imdustvialisatiou إلى جانب الزراعة والمبادلة . وهنالك طبقة وسطى فنية آخذة فى الظهور ، والشعور برسالتها ، ومتأهبة للكفاح ضد نبلاء الإقطاع .

وفى الأقطار التى تجرى فيها هذه العمليات ، نرى أن الحركات الوطنية قد قضت على الانقسامات الدينية بين السكان ، كما فى مصر وسورية . وإن السياسى المنقطع النظير — ابن السعود بعيد عن روح التطور فى رسالته السياسية ، ويعقد الشباب العربى فى سوريا وفلسطين — حتى المسيحيون — آمالهم على بدوى الصحراء المسلم ابن السعود . وعندما أعلن الأتراك الرابطة الوطنية

(*) فصل من كتاب : هانز كوهن : الوطنية والاستعمار فى الشرق الأدنى : (الطبعة الإنجليزية) لندن ١٩٣٢

(١) فى خطابه السنوى إلى جمعية آسيا الوسطى بلندن فى يونية ١٩٠٩

(٢) اقتبست كلماته من : M. Nemchenko Nationalnoye Razmezevaniye Saednei Ozii Moscow 1925.

وهناك تفاصيل عن التغير الاجتماعي والثقافي فى الشرق ، فى كتابى « تاريخ الحركة الوطنية فى الشرق » ، وكذا فى : Orient and Okzidert .

فى ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ — عن الولايات العربية فى الأمبراطورية العثمانية ، ومدن الإسلام المقدسة ، الذى كان امتلاكها فى غاية الأهمية لدولة الخلافة الإسلامية ؛ أرسل وفد الخلافة الهندى برئاسة محمد على . إلى نائب الملك فى الهند فى ١٩ يناير سنة ١٩٢٠ وإلى لويد جورج فى ١٩ مارس ، يقول إن الخليفة يجب أن يمتد نفوذه إلى المدن المقدسة الثلاث : مكة والمدينة والقدس ، وإلا فإن معاهدة السلام لن يقبلها أى مسلم مؤمن .

وقد نقل (خودابكش) كلمات ولسون كاس الأمريكي :

« إن شباب الإسلام اليوم مفكر بأسلوب سياسى أكثر منه دينياً ، وهو متحمس جداً لنفع أمته أكثر من تحمسه لانتشار الإسلام . وإن عظمة الإسلام ليست مسألة خلافة أو شريعة ، بل هى مسألة وحدة سياسية تقف في وجه الغرب »(١) .

٢ — الشباب الحديث

بعد الحرب العظمى (الأولى) مباشرة — عند ما سادت بين الشرقيين تجربة الوحدة الوطنية ، ظهر أن الاختلافات الدينية قد اختفت . فالمسلمون والأقباط فى مصر ، والمسلمون والمسيحيون فى فلسطين وسوريا ، والشيعة والسنيون فى العراق ، والمسلمون والهندوس فى الهند ؛ كل أولئك حاربوا جنباً إلى جنب من أجل الثورة على أحوالهم السياسية . ولا تزال اليقظة القومية لها وجود اليوم وإنها لعامل فى تاريخ هذه الأقطار — التى ما كانت توجد بغيرها. وسوف لا تلعب الاختلافات الدينية دوراً فى السياسة فى محيط الحضارة العربية المصرية ؛ وهذا بالرغم من السياسة الاستعمارية الرجعية وتصميمها للنمو السياسى واليقظة القومية ، وذلك بادخال أقليات دينية وعنصرية .

إن الشباب المسلم يعمل على ربط نفسه بالتقاليد ، فيفصل ما هو ذو قيمة عما لم يعد يتلاءم والوقت الحاضر ، وليخلق إسلاماً مجدداً يقبل محاسن الغرب ويغالب الحضارات الأوربية ، هؤلاء الشباب ينكرون إرساليات التبشير ، ويرون أنفسهم ، وقد واجهتهم مشكلات — كان يجهلها آباؤهم ، ويقابلهم تغير سريع فى أحوال الشرق الفكرية والاجتماعية . لقد دخلت فى نفوسهم قوى جديدة وخلقت لأول مرة : حركة شبان مسلمين

ومنذ قرون لم يكن فى الشرق حزازات ولا اختلافات بين الآباء والأبناء . أما الآن فقد حدث تغير فى علاقات الأفراد وصلتهم بالحياة والأسرة والطبيعة .

وقد أسر الشباب فى الشرق : حب الرياضة والتجول ، كما دخلت إلى حياتهم العاطفية مشكلات الحب والزواج . ثم إن تعليم البنات يغير العلاقة بين الجنسين . وزيادة على ذلك يأمل الشباب — ولما يملكوا القوة بعد — أن يتخلصوا من الماضى ومما وارث من العادات فى السياسة الشرقية ، مثل الأساليب الرجعية ، والحاجة إلى المزيمة الماضية ، وانخفاض مستوى المسئولية الاجتماعية ، وعدم القدرة على التضحية بالمصالح الشخصية فى سبيل الصالح العام والمحسوبية ! . وكانت جمعيات الشبان المسلمين مجمع هذه الآمال ، إذ حاولت إنشاء مراكز ثقافية واجتماعية لشباب الإسلام . وفى إبريل ١٩٢٨ — انعقد فى يافا مؤتمر لجمعيات الشباب المسلمين مع مائة وعشرين مندوباً عن فلسطين . وقد أجمع المؤتمر على إصدار إعلان عن تأسيس مدارس إسلامية وطنية ودعوة الحكومة إلى فتح مدارس جديدة ، وتعديل برامج الدراسة فى المدارس الأجنبية بروح وطنية . كما وُضع للاجتماع شارة ونشيد وعلم . ومما يلفت النظر الاحتفال بيوم الجمعة وتخصيصه للعطلة الأسبوعية ، وتنظيم دراسات مسائية للعمال ، وتشجيع المسرح العربى ، وإنشاء جمعيات إسلامية للشابات ، غرضها رعاية الطفل والعلاج المجانى للمرضى الفقراء .

هذه القرارات الحازمة لم تُعرف فى الإسلام ، ولا من عهد قريب . وليس من شك فى أن هناك تأثيراً بأوربا ، ولكن الشباب يجاهد لاستنبات هذه الأفكار فى تربة إسلام مجدَّد . وليس من يشك أيضاً فى أن الجيل الناشىء من المسلمين والمسيحيين أكثر نضوجاً سياسياً من الجيل الماضى ، وذلك بفضل تعاليم المدرسة الجديدة والجامعة الأوربية . ولم يقتصر عمل الشباب على وضع المطالب القومية فى المقدمة فحسب ، بل إنهم تيقظوا للمشكلات الاجتماعية وضرورة إيجاد حلول جديدة .

(يتبع) محمد محمد على

(١) The Expansion of Islam, 1928, P. 257 .

من شواهد النبوة :

المتنبئـــــون

للأستـــــاذ على العمارى

لم يعد خافياً على من كان له قلب أن الشواهد على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أسطع من فلق الصبح ، ولكن لا بأس أن نسوق هنا شاهداً جديداً مر عليه أكثر الناس مؤرخين ، وقد سخروا منه حينا ، واستطابوا السمر به فى أحيان كثيرة ، ولكن ما أظن أحداً منهم — على مبلغ علمى — فطن إلى المعنى الأصيل ، أو كشف عن السر الإلهى الذى كن فى دعوى المتنبئين . ولا شك عندى أن التنبؤ كان من الدلائل الواضحة على صدق النبوة ، وهل أدل على وجود الشمس من تضاؤل أشعة المصابيح أمامها ؟ وما كان هؤلاء المتنبئون إلا كالأعلام المنصوبة على رأس الطريق تدعو الناس إليه ، وتزعم أنها ترشدهم إلى المنهج القويم ، فمن الناس من سلك ولكنهم لم يبعدوا حتى وجدوا الصخور والأشواك ، ومالا قبل لهم به من حشرات الأرض وأفاعيها . وحينئذ استيقظت أحاسيسهم ، وأدركوا خطأهم ورجعوا إلى الأعلام فحطموها ، ولكن بقيت منها أشلاء تنادى كل سالك بأن الطريق ليست من هنا ولكنها من هناك ... هناك الطريق المستقيم الذى لا عوج فيه ولا أمت ، ولا أشواك ولا حشرات . ولقد ظهر المتنبئون فى الجزيرة العربية ظهور السراب الخادع ، فكان من العرب من وثق ببرهان عينيه ، وأيقن أنه السراب ، وإنما يخيل له ، وأن طريق الماء ليست إليه . ومنهم من انخدع — عن جهل أو عن علم — فسار ، ولكن بعد أن حفيت قدماه ، ونهكت أعصابه ، ما وجد إلا سرابا يقول له واضحاً صريحاً : إنى لست ماء فالتمس الرى عند غيرى . وكان هذا السراب — لمن سار ولمن لم يسر — شاهداً لا سبيل إلى الشك فيه على أن الماء فى غيره .. هكذا كان شأن المتنبئين ..

ومن عجيب هذا الأمر فى العرب أنه لم يدعه منهم من كان بطن أن يدعوه ، فقد كانت طبيعة الأشياء تقضى بأن يتنبأ رجل كأمية بن أبى الصلت ، فإنه هيأ نفسه لتلقى الوحى ، فدان بالحنيفية ملة إبرهيم ، وقرأ الكتب المقدسه وكره عبادة الأوثان ، وأخذ نفسه بالفضائل فحرم الخمر والزنا والميسر ، وخالط الأحبار والرهبان ، وتزيا بزيهم ، وأظهر التأله ، وما هى إلا غمضة عين وانتباهتها حتى يجيئه — زعم — الوحى ، فلما ظهرت النبوة فى قريش ، ونزل الوحى على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، امتلأت نفسه حقداً وحسداً ، وصد عن السبيل ، وبالغ فى العداء للمسلمين ، وقاتلهم مع مشركى مكة ، وجعل يرثى من قتل من كفار قريش فى بدر ، فكان طبعياً — وقد حرم النبوة — أن يدعيها ، فمنده آلانها — على زعمه — ولكنه لم يفعل ، أو يتنبأ رجل كعامر ابن الطفيل فقد كان سيد قومه ، وآلى على نفسه ألا ينتهى حتى تتبع العرب عقبه ، فما كان له — كما حدث عن نفسه — أن يتبع عقب هذا الفتى من قريش . وقد وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يضمر الغدر به ، وعرض معه أن يجعل الأمر له سنة ، ولنفسه سنة ، أو يجعل له الوبر ولنفسه المدر ، ولكن الرسول أبى ، فقال عامر : والله لأملأنها عليك خيلا جرداً ورجالا مردا ، ولأربطن بكل نخلة فرسا ، ولكنه — مع ما كان يحرص عليه من ملك العرب — لم يدع النبوة ، وإنما ادعاها قوم لم يكونوا على مقربة منها ، ادعاها مسيلمة بن حبيب ، وبعض كتب السيرة تحدثنا بأنه لما وفد مع قومه على رسول الله جعلوه فى رحالهم ليقوم بشئونها . وادعاها طليحة بن خويلد الأسدى ، وادعاها الأسود العنسى ، وادعاها لقيط بن مالك الأزدى فى عمان . ولم يحدثنا التاريخ عن واحد من هؤلاء قبل ادعائه النبوة بما يمكن أن يكون مؤهلا فيه لها ، عدا ما ذكروا من كهانة طليحة . ثم ادعتها امرأة ، ادعتها سجاح بنت الحارث التميمية ، فصح قول الشاعر :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها   كلاها وحتى سامها كل مفلس

ولم يخف هذا الأمر على أتباعها ، فقال أحدهم يسخر منها بعد أن تزوجت مسيلمة

أمست نبيتنا أنثى نطيف بها   وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

والذى نستطيع أن نقوله فى كل هؤلاء (ليس بمتنبىء صادق ، ولا بكذاب حاذق) فان أحداً منهم لم يستطع أن يتقن دوره الذى قام به ، وأن يخدع الناس عن دعوته . نعم كان منهم الكهان الذين مرنوا على استهواء العامة ، وكان منهم من تعلم

الحيل ليموه بها على قومه ؛ فقد قال الزمخشرى فى ربيع الأبرار : قال الجاحظ : كان مسيلمة قبل إدعاء النبوة يدور فى الأسواق التى بين دور العرب والعجم يلتمس تعلم الحيل والنيرنجات واحتيالات أصحاب الرقى والنجوم . اهـ . ثم جاء العصر العباسى فكان المتنبئون جماعة من الحمقى ، ولم يكن لهم تأثير لا فى العامة ولا فى الخاصة ، وإنما هو الجنون ، فان لم يكن فالحمق لا ريب فيه .

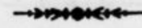
فكيف — إذن — استطاع هؤلاء المتنبئون أن يسخروا أقوامهم فى حروب دامية مع جيوش المسلمين ؟ وكيف استطاع مسيلمة — مثلا — أن يحشد أربعين ألفاً يقاتلون قتالا لا هوادة فيه ولا رفق ، حتى يقول فيهم بطل المسلمين خالد بن الوليد : شهدت عشرين زحفا فلم أر قوما أصبر لوقع السيوف ولا أضرب بها ولا أثبت أقداماً من بنى حنيفة يوم اليمامة . وحتى يقول فيهم رافع بن خديج : خرجنا ونحن أربعة آلاف ، فانتهينا إلى اليمامة فنتنتهى إلى قوم هم الذين قال الله فيهم (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) . ولماذا صبر هؤلاء حتى دوخوا المسلمين ، وقتلوا منهم ألفاً وثمانمائة ، وضحوا من رجالهم بعشرين ألفاً ؟ ليس السر قطعاً تصديقهم بنبوة صاحبهم ، فما كانوا يحاربون فى سبيل الدين ، وقد كانوا — أو على الأقل كثير منهم — على يقين من كذب هذا الادعاء . على أن هذا لم يكن شأن مسيلمة وقومه وحدهم ، وإن كان أكثر المتنبئين أتباعا — ولذلك سبب نحن ذاكروه متى انتهى بنا الكلام إليه — فقد كان وراء طليحة الأسدى نحو السبعمائة رجل ! وقبل أن نجيب على هذه الأسئلة يجب أن نذكر أن حركة التنبؤ تأخرت كثيراً ، ولم تظهر إلا فى أخريات حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما ظهر بعد وفاته .

وقد طال نظرى فى هذا الأمر ، ثم وجدت فى مقدمة ابن خلدون ما يصح تعليلا ، قال بعد أن تحدث عن النبوة والكهانة ، وانقطاع الكهانة فى عهد النبوة « فإنما كان ذلك الانقطاع بين يدى النبوة فقط ، ولعلها عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه ، وهذا هو الظاهر، لأن هذه المدارك كلها تخمد فى زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس ، لأن النبوة هى النور الأعظم الذى يخفى معه كل نور ويذهب » وهذا ولا شك تعليل نفسى جميل ، فإن النبوة بقوة سطوعها فى النفس تخمد فيها كل حركة توحى بها الشياطين ، وتشعر النفوس معها بأنها مضروب عليها من كل نواحيها ، فلا تفكر فى باطل — من هذا النوع — ولا تأتيه ، ولكن هذا التعليل — مع ذلك — ليس كل الحق فى موضوعنا ، فأنى لأرى أن تأخر ظهور المتنبئين كان مرجعه إلى أن العرب تركوا قريشاً تنازل النبى ، وتصطدم به ، وكانوا هم على هامش المعركة ، فلما كان عام الفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ورأى الأعراب أن الدعوة المحمدية قد مكن لها بدأوا يفكرون فى طريق يماندون بها هذه النبوة التى ظهرت ، وكانت هناك أسباب أدت إلى ظهور حركة التنبؤ فى أواخر أيامه صلى الله عليه وسلم .

ثم نعود إلى الإجابة على ما قدمنا من أسئلة فنقول : إن ثلاثة أمور عظيمة هى التى دفعت بهذه العشائر إلى أتون الحرب ، ليس منها يقينهم بنبوات أصحابهم ، أولها ما جاء به أولئك المتنبئون من وضع كثير من أوامر الدين عن أقوامهم ، فقد رووا أن مسيلمة وضع عن قومه الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنا . وفى القصة الموضوعة التى تصور لنا ما حدث بينه وبين سجاح التميمية أنه أصدقها بأن وضع عن قومها صلاتين مما جاء به محمد . والرواة يحدثوننا أن بنى تميم لا يصلون صلاة الفجر ولا صلاة العشاء الآخرة لأنهما مهر فتاتهم . ويروى عن طليحة أنه كان يقول لقومه : إن الله ما يصنع بتعفير وجوهكم ، وتقبيح أدباركم شيئا ، اذكروا الله ، واعبدوه قياماً . على أن أهم ما فى هذا الأمر أن المتنبئين أعفوا أتباعهم من الزكاة ، وهى السبب الأصيل الذى أدى إلى ارتداد العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . وثانيها تلك العصبية الجامحة التى كانت لا تزال تحتل نفوس العرب ، والتى تصورها لنا كلماتهم ؛ فقد رووا أن طلحة النمرى جاء اليمامة فقال : أين مسيلمة ؟ قالوا : مع رسول الله . فقال : لا ، حتى أراه ، فلما جاءه قال : أنت مسيلمة ؟ قال نعم . قال : من يأتيك ؟ قال : رحمن . قال فى نور أو فى ظلمة ؟ قال فى ظلمة ، قال طلحة : أشهد أنك كذاب ، وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر . ثم بقى مع مسيلمة حتى قتل فى موقعة عقرباء (كما فى ابن الأثير) ، كما روى أن عيينة بن حصن لما أتى طليحة ، وكان بين غطفان وأسد حلف فى الجاهلية قام وقال : إنى لمجدد الحلف الذى كان بيننا فى القديم ومتابع طليحة ، والله لأن نتبع نبياً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من

الشيوعية فى الاســـلام

بين رأى لجنة الفتوى ورأى السيد جمال الدين الأفغانى



كتب أحد الكتاب بحثاً تناول فيه رأى العالم الصحابى أبى ذر الغفارى فى توزيع المال فى الإسلام ، وانتهى منه إلى القول بوجود الشيوعية فى الإسلام ، فأحالت وزارة الداخلية هذا البحث إلى لجنة الفتوى بالأزهر لإبداء الرأى فيه ، فأصدرت اللجنة فتوى بهذا الصدد قالت فيها :

« إن من مبادئ الدين الإسلامى احترام الملكية ، وإن لكل امرئ أن يتخذ من الوسائل والسبل المشروعة لاكتساب المال وتنميته ما يحبه ويستطيعه ، ويتملك بهذه السبل ما يشاء . وقد ذهب جمهور الصحابة وغيرهم من الفقهاء المجتهدين إلى أنه لا يجب فى مال الأغنياء إلا ما أوجبه الله من الزكاة والخراج والنفقات الواجبة بسبب الزوجية أو القرابة وما يكون لعوارض مؤقتة وأسباب خاصة كاغاثة ملهوف وإطعام جائع مضطر ، وكالكفارات وما يتخذ من العدة للدفاع عن الأوطان وحفظ النظام إذا كان ما فى بيت مال المسلمين لا يكفى لهذا ولسائر المصالح العامة المشروعة كما هو مفصل فى كتب التفسير وشروح السنة وكتب الفقه الإسلامى » .

وبعد أن أشارت اللجنة فى فتواها إلى ما يكون من تطوع القادرين بالإنفاق فى وجوه البر عرضت لمذهب أبى ذر فقالت :

« وذهب أبو ذر الغفارى رضى الله عنه إلى أنه يجب على كل شخص أن يدفع ما فضل عن حاجته من مال مجموع عنده فى سبيل الله ، أى فى سبيل البر والخير ، وأنه يحرم ادخار ما زاد عن حاجته ونفقة عياله . هذا هو مذهب أبى ذر ، ولا يعلم أن أحداً من الصحابة وافقه عليه ، وقد تكفل كثير من علماء المسلمين برد مذهبه ، وتصويب ما ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين بما لا مجال للشك معه فى أن أبا ذر رضى الله عنه مخطئ فى هذا الرأى . والحق أن هذا مذهب غريب من صحابى جليل كأبى ذر ، وذلك لبعده عن مبادئ الإسلام وعما هو الحق الظاهر الواضح ، ولذلك استنكره الناس فى زمنه ، واستغربوه منه ... ولما كان مذهبه داعياً إلى الإخلال بالنظام والفتنة بين الناس طلب معاوية والى الشام من الخليفة عثمان رضى الله عنه أن يستدعيه إلى المدينة — وكان أبو ذر وقتئذ بالشام — فاستدعاه الخليفة ، فأخذ أبو ذر يقرر مذهبه ، ويفتى به ويذيعه بين الناس ، فطلب منه عثمان أن يقيم بجهة بعيدة عن الناس ، فأقام بالربذة بين مكة والمدينة .. وبها مات رضى الله عنه فى خلافة عثمان ..

ويبدو لى أن اللجنة لم تفرق فى فتواها بين الشيوعية والاشتراكية ، مع أن بينهما فرقا كبيرا ، وعلى هذا فقد خطأت أبا ذر فى رأيه ، وما كان أبو ذر شيوعياً ، ولا يرى هذا الرأى ، ولكنه لا شك كان اشتراكيا ، يدعو إلى رد مال المسلمين على المسلمين . وقبل أن أناقش حكم اللجنة هذا أورد فتوى فى هذا الشأن للمغفور له السيد جمال الدين الأفغانى وهى تخالف فتوى اللجنة تمام المخالفة ، فقد سأله أحد الباحثين عن مذهب الاشتراكية « سوسيالست » الذى ينادى به الغربيون ويرون فيه علاجاً حاسماً للحالة الاجتماعية القائمة فى بلادهم ، وهل هذا المذهب مما يقره الإسلام ويرتضيه فقال السيد رضوان الله :

« الاشتراكية الغربية ما أحدثها وأوجدها إلا حاسة الانتقام من جور الحكام والأحكام وعوامل الحسد فى العمال من أرباب

قريش . على أن عيينة هذا ، لم يدخل الإيمان قلبه — ولعل كل الذين ناصروا المتنبئين من سادات العرب كانوا كذلك — فقد روى أن عيينة لما أسر وطيف به المدينة وهو مكتوف جمل الصبيان يقولون : يا عدو الله ! كفرت بعد إيمانك ؟ فيقول : والله ما آمنت بالله طرفة عين . وهذه العصبية تفسر لنا تفسيراً واضحاً موقف كل متنبئ من عشيرته ، فإن كانت العصبية قوية كثر أتباعه ، وإن كانت ضعيفة قل هؤلاء الأتباع . ومن المشهور فى التاريخ أن ربيعة كانت شديدة الحسد للمضريين لما ظهر النبى منهم ، حتى قال المأمون (لم تزل ربيعة غضابا على الله منذ أرسل نبيه من مضر) وهذا يفسر لنا كثرة أتباع مسيلمة ، وشدة صبرهم على قتال المسلمين .

(للحديث بقية)

علي العماري
مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بأم درمان

الثراء الذين استعملوا ثروتهم فى السفه والسرف ، وبذلوها فى التبذير والترف ، على مرأى من منتجها ، والعامل فى استخراجها من بطون الأرض .. »

« أما الاشتراكية فى الإسلام ، فهى ملتحمة مع الدين الإسلامى ملتصقة فى خلق أهله .. وهذا خير كافل لجعلها نافعة مفيدة ، ممكن الأخذ بها ، لأن الكتاب الدينى وهو القرآن الكريم أشار إليها بأدلة كثيرة منها : إن المسلم أول ما يقرأ من فاتحة الكتاب : الحمد لله رب العالمين ، فيعلم أن للخلق رباً واحداً ، وهو مع سائر الخلق من المربوبين على السواء . ويرى ويعلم أن القرآن أتى على ذكر أرباب القوة ورجال الحرب والغزاة - ومن يتولى إمرتهم وحياتهم ، فخاطبهم آمراً ومعلماً ومدافعاً ومبيناً حقوق المستضعفين من الأمة الذين لم يتمكنوا من الاشتراك، مع من ذكر ليكون لهم من ذلك الجهاد وتلك المساعى نصيب إذ قال « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فلله خمسه وللرسول ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير » ، فهذه آية باهرة ، أوجبت على من يسمى مجاهداً ومخاطراً بحياته أن يكون مشتركا معه فى نتيجة غزواته وغنائمه من لم يكن مشتركا فعلا .. وهم لا شك من المستضعفين الذين إنما قعدوا عن الاشتراك فى الجهاد والسعى وراء الغنائم لعلل تختلف أشكالها وأنواعها ، ولكن الله لم يجز حرمانهم ، بل جعل لهم نصيباً من مساعى أولئك الأشداء الأقوياء المجاهدين الخائضين غمرات الموت . »

« كل ذلك تراه مبنياً على حكمة الاشتراك ، ولبث حكم هذه الآية جارياً ، وكان الرضاء به شاملا لمجموع المسلمين ، من مجاهد أو قاعد عن الجهاد لعلة ، فبدأ بالدرجة الأولى بعد الله ورسوله بذوى القربى من المجاهدين على درجاتهم ، ثم عطف على من دونهم فى المرتبة الثانية ممن ليس لهم فى المجاهدين أقرباء فقال : واليتامى ، ثم وسع نطاق الاشتراكية فقال : والمساكين ، ثم رأى أن يأخذ نطاقاً أوسع فقال : وابن السبيل ، أى عابره . فتم بذلك الشكل نوع من الاشتراكية لم يكن أوسع منه شكلا ، ولا أنفع .. »

ثم جاء بموضع آخر من الكتاب مقرعاً لمن يكنزون الذهب والفضة ، ثم حبذ وأثنى على الذين يؤثرون على أنفسهم بالعطاء والإسعاف والإطعام ولو كان بهم خصاصة .

« وهكذا ترى قانون الاشتراكية المعقول فى آيات القرآن تترى ، فلننظر هل عمل بهذا القانون ؟ وما كانت نتائج العمل به ؟ »

« نعم ، إن الأخاء الذى عقده المصطفى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار لهو أشرف عمل تجلى به قبول الاشتراكية قولا وعملا . فالمهاجر من المسلمين إنما استطاع أن يفر بدينه راضياً بهجر بلده ، وترك مسقط رأسه ، ومفارقاً أهله وذويه ، والخروج من ماله ومقتناه ، مسروراً أن يصل إلى دار الهجرة سالماً — والأنصارى ، وهو فى بلده مع أهله وذويه وماله ، قبل راضياً مسروراً أن يشارك أخاه المهاجر بكل معنى الاشتراك . حتى لو تطلع الإنسان منا اليوم ، وأشرف على تلك الأرواح الطاهرة لرأى من مجال الاشتراك روحاً وجسداً ، ما يبهر له عقله ، ولصح اعتقاده أن عمل الدين وتأثيره فى تلطيف الكثافة الجثمانية لا يضارعه مؤثر أو عامل آخر على البشرية ، ولرجعوا لو كانوا يعقلون ... »

« وبعد النبى صلوات الله عليه كان صاحب أكبر منصب وهو الخليفة لرسول الله يسير بسيرة نبيه من الاكتفاء بالقليل من العيش والكفاف منه ، ومجالسة الفقراء ومشاركتهم بكل معنى الاشتراك فى مظاهر الحياة الدنيا ونعيمها . فأهل الإسلام مع تمخض سلطان الحرية فيهم لم يروا فى سيرتى الصديق والفاروق رضوان الله عليهما ما يدعوهم إلى أقل تذمر أو تململ ، أو تفكير بمناهضة لسلطانهما ، أو تألب على أشكال حكمهما وإمرتهما ، أو إحداث شغب يعرقل مساعيهما فى الفتوحات ، بل كانوا يبذلون النفس والنفيس فى طاعة الخلفاء وتأييداً لشوكة الإسلام وتعميماً لعدل الشريعة السمحة ... »

وبعد أن أورد السيد الأفغانى جملة من الشواهد الدالة على اشتراكية الخليفتين الأولين ، وما تجلى من ذلك فى سياستهما وتصرفاتهما ، عرض لمذهب أبى ذر فشرحه فى إفاضة وأشاد به ، وسنعرض لذلك فى المقال التالى .

« الجاحظ »

من ديوان «هناء»:

قلب شاعر

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

« ليت ملهمتي الخالدة « هناء » تصغي لهذا القلب الذي يشدو والسكين تقطر دماً »

لي مضغة بين جنبي لا قرار لها ... كأنها الجنة ما بين أهوائي
هي الفؤاد الذي لولا نوازعه ... لكنت أرفل في أبراد نعماء
لا يستقر على حال مرزأة ... كالشلو تنتابه أنياب رقطاء
يمسي ويصبح خفاقاً تقلبه ... على بساط المآسي أنمل الداء
تجمع الأمل الزاهي بساحته ... كما حوى الحب ممزوجاً ببغضاء
فهو الذي حمل الآلام قاتلة ... حتى غدا عاجزاً عن حمل سراء
وهو العليل وقد خابت مطالبه ... بالطب .. بأمل تحنان الأطباء
وهو المحب وقد ظلت رغائبه ... بالحب .. بأمل إحسان الأحباء
يا للجريح لقد حار الأساة به ... وارحمتاه لميت بين أحياء

عجبت للشاعر الموهوب ترهقه ... حياته ويوافيها بأطراء
ما باله وهو في فجر الشباب يرى ... بالرغم من زهوه في زي بكاء
مدله ، ذاهل ، أسوان متشح ... بالهم يدأب في بيداء ضراء
لا تأخذ العين منه عند رؤيته ... إلا خيالا عليه برد غماء
أبقت عليه يد الأيام طابعها ... من بعد ما فتكت فيه يد الداء
كأنما الموت منه قيد أغلة ... أو قد يسير إليه سير إبطاء
إن كانت الخيبة الكبرى غنيمته ... بعد الطواف وراء الأمل النائي
فليملأ اليأس منه كل جارحة ... واليأس داء وترياق لأدواء
ماقيمة الأمل المنشود إن نظرت ... عيني الحياة فكانت جد سوداء

يا للجمال لقد حفت فواكهه ... بالمغريات وفيها متعة الرائي
هل يحرم الشاعر الموهوب لذتها ... وينعم الوغد فيها بعد أقصائي
يا لوعة أجج الحرمان جذوتها ... فأحرقت بلظاها كل أعضائي
لا تهدئي فعسى تذكو بشعلتها ... ذبالة خمدت ما بين أحشائي

سبع وعشرون ما أبقت على كبدي ... إلا غلالة أوجاع وأرزاء (١)

كأنها ويد الأقدار تنسجها ... قبر تشيده الدنيا لإيوائي
مرت على سنون العمر كالحة ... كأنها ماوعت ترجيع أصدائي
فمن هموم منيخات إلى محن ... ومن عناء إلى شكوى وبلواء
كأنني صخرة صماء لا كبد ... حرى تمج بآمال وأهواء

أشكو إلى الحب قلباً ظل منفرداً ... في وحدة كظلام القبر خرساء
حيران كالبلبل المأسور في قفص ... وحوله جنة حفت بآلاء
حران لا أمل يزهو فيسعدني ... ولا صباح الهوى يناى بظلمائي
ولهان والنصب القتال أنهكني ... هل من خميلة حسن ذات أفياء
حتام أظمأ والأقداح دائرة ... مثل الكواكب مابين الندماء

هذا الخيال الذي يسري على مهل ... للقبر شعلة أفكار وآراء
ينير درب الهدى للناس في زمن ... تخبطوا في دجاه خبط عشواء

أجريت قلبي ينبوعاً يلذ به ... كل البرية أحبابي وأعدائي
وما رجوت صفاء من نفوسهم ... وكيف أرجو صفاء الطين والماء
وقد وهبت لهم روحي وماملكت ... كفي، فلم يذكروا بالحمد آلائي
لئن ظلمتم شبابي في طراوته ... فأين ياظالمي الأفذاذ أخطائي ؟
أنا الشعاع الذي يخزي ظلامكم ... فليل جهلكم يعنو لأضوائي
إن كان يسعدكم ما تنعمون به ... فليس يسعدني عز الأذلاء
أنا الذي تملأ الأيام سيرته ... فهل يهدم مجدي كيد حرباء !
لا در در الذي يسعى لغايته ... أن لم تكن روحه تصبو لعلياء

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصري

(١) سبع وعشرون : عاماً عمر الشاعر حتى هذا العام ١٩٤٨ .

الأدب والفن في أسبوع

كذبة إبريل في الجامعة :

نشرت الأهرام أن مناظرة ستجرى فى كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول وموضوعها « الدستور المصرى أدى رسالته ولا يحتاج إلى تعديل » وذكرت أسماء من سيؤيدون الرأى وعلى رأسهم الأستاذ عباس محمود العقاد ، ومن سيعارضونه وفى مقدمتهم الأستاذ فكرى أباظة . وذهبت فى الموعد المحدد مع من ذهبوا ، وامتلأ المدرج المعين للمناظرة على سعته بجمهور كبير من طلبة الجامعة والأزهر وغيرهم ، وحل الموعد المحدد للبدء ، ثم انقضى بعده نحو نصف ساعة ، ولم يظهر على المنصة إلا الدكتور مظهر سعيد الأستاذ بكلية الآداب ، الذى نظر إلى الحاضرين ونظروا إليه ... ولم يظهر ما يدل على أن هناك مناظرة ... فقد كان اليوم أول إبريل ! واختلطت أصوات الضحك بصيحات الاستنكار

وكان موقف الأستاذ حرجاً ، ولكنه أخرج نفسه من هذا الموقف بلباقة ، إذ نهض وقال : أيها السادة ، كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول تحييكم تحية إبريل ... وقد وقعنا أنا وأنتم فى هذا «المقلب» ولكن لا عليكم فسأحدثكم عن « كذبة إبريل » من الوجهة النفسية والتاريخية . وقال الأستاذ : إن كذبة إبريل ظاهرة إنسانية لها اعتبارها ، فالناس يشقون طول العام ويعانون مايعانون فى مشاغلهم اليومية ، حتى تضيق نفوسهم بالجد المتواصل فيحتاجون إلى مناسبات ومواسم يفرجون فيها عن الكرب والهموم ، ولا شك أن فى بيئاتنا الشرقية كثيرين يضيقون بمداعبات إبريل ، على خلاف ما تقابل به فى البيئات الغربية من المرح والسرور .

وقال : إن التعليل الراجح لكذبة إبريل هو أن السنة كانت تبدأ فى التقويم القديم بشهر إبريل ، وفى القرن السادس عشر غير هذا المبدأ ، فجعل أول السنة شهر يناير ، وانقسم الناس فى فرنسا إلى فريقين ، فريق المجددين الذين قبلوا هذا التغيير ورحبوا به ، وفريق المحافظين الذين لم يعترفوا به وظلوا على اعتبار إبريل أول السنة ، يقيمون فيه حفلاتهم . وكان المجددون ، على مر السنين ، يسخرون من المحافظين حتى بلغت سخريتهم أن كانوا يرسلون إليهم دعوات فى أول إبريل إلى حفلات ومآدب لا حقيقة لها ، ومن هنا سار الكذب عادة فى هذا الموسم .

ومما قاله الدكتور مظهر أن الفرنسيين يسمون من ينخدع بكذبة إبريل « سمكة » وفى انجلترا يسمى أول إبريل « يوم المغفلين » ولما فرغ الدكتور من كلمته انصرف « السمك » أو كما يقول الانجليز ...

التنويه الأدبى :

أعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أنه قد ألف لجنة لدراسة الكتب القيمة فى الثقافة الأدبية العليا للتنويه بما يراه نافعاً منها ، كما نشرت « الرسالة » فى البريد الأدبى من العدد الماضى .

وقد كانت النية متجهة — قبل ذلك — إلى تتويج كتاب واحد فى العام ، عن طريق الإشادة الأدبية . ولكن رئى أن جوائز فؤاد الأول الأدبية تحقق هذا الغرض إلى جانب المكافأة المالية . وبطبيعة الحال لن يتقيد المجمع فى هذا التنويه بقيود «الميزانية» لأنه أدبى بحت ، ولهذا لن يقتصر على بعض الكتب دون بعض مما يستحق التقدير ، بل سيشمل كل ما يراه نافعاً دالاً على جهد وابتكار . وسيكون التنويه فى حفلات تقام لهذا الغرض .

ومما يذكر أن الأمر فى ذلك غير مقصور على النتاج المصرى ، بل سيشمل المؤلفات فى جميع البلاد العربية ، وقد كتب إلى حكومات هذه البلاد وإلى المجامع العلمية بها لتوافى المجمع بأحسن ما لديها من المؤلفات الأدبية .

النحت للضرورة :

كان من قرارات مؤتمر المجمع ، فى جلسته الأخيرة ، جواز النحت عند ما تلجىء إليه الضرورة العلمية . وقبل اتخاذ هذا القرار نظر المؤتمر فى تقرير لجنة ألفت من بعض الأعضاء لوضع

مبحث فى النحت ، وقد استهلت اللجنة التقرير بقولها « النحت ضرب من الاختصار وهو أخذ كلمة من كلمتين فأكثر . وقد نحتوا على منهاج الأفعال الرباعية فى الأفعال والخماسية فى الأسماء ، فنحتوا من الجملة فقالوا سبحل سبحلة فى النحت من سبحان الله وحمدل حمدلة من الحمد لله وبسمل من بسم الله ... الخ » وبعد أن عرضت جملة من صور المنحوتات فى العربية وأقوال العلماء فى النحت قالت : « المتقدمون على أن النحت سماعى فيوقف عند ماسمع وليس لنا أن ننحت ، ولعل هذا لأن النحت اختراع ألفاظ لم تعرفها العرب فلا تدخل فى لغتهم ؛ وقد نقل عن بعض المتأخرين نسبة القول بقياسيته إلى ابن فارس ، قال الخضرى فى حاشيته على ابن عقيل : ونقل عن فقه اللغة لابن فارس قياسيته ، ومثل ذلك نقل عن الشمنى » إلى أن قالت : « ونحن نقول بجواز النحت فى العلوم والفنون للحاجة الملحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة . وهذا نموذج لكلمات منحوتة وضعت لمصطلحات كيماوية ، وهى من وضع لجنة الكيميا والطبيعة فى المجمع » .

ومن هذه الكلمات :

حلمأ (حلل الماء)

شبزلالى (شبه الزلال)

حلكح ، يحلكح ، حلكحة . أو حلكل ، يحلكل ، حلكلة (حلل الكحول) برمائى (نحت من البر والماء)

نزجن (نزع الايدروجين)

شبغراء (شبه غراء)

وجرت مناقشة قال الدكتور طه حسين بك فى ختامها : « أحب أن أشير إلى شيء يجب ألا يفوتنا قبل إقرار أى كلمة من المنحوت ، ذلك أنه يجب علينا أن نستقصى فى البحث والدرس عند الحاجة إلى التعبير عن معنى من المعانى ، لعل هناك وسيلة من وسائل الاشتقاق أو المجاز أو لعل هناك كلمة سابقة موضوعة ؛ فيغنى هذا أو ذاك عن النحت ، فمثلا فى (شبه الغرائى) قد نصادف فى الأفعال العربية أفعالا تدل على التشابه . فأنا أرى أننا لا نلجأ إلى النحت إلا باعتباره ضرورة » ثم وافق المؤتمر على القرار السابق وهو « جواز النحت عند ماتلجىء إليه الضرورة العلمية »

وبعد فهل يستطيع المشتغلون بالكيميا والطبيعة أن يشتغلوا إلى جانب تحليل الكحول بنطق « الحلكحة » وأن يعالجوا ، إلى نزع الايدروجين ، لفظ « نزجن » ؟ ؟ أو ليس يكفيهم ما يلقون من عناء فى النزع والتحليل .. ؟

السينما الثقافية العربية :

شهدت يوم السبت الماضى فى القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية فلمين ، اسم أحدهما « التقدم الصناعى فى المملكة السعودية » والآخر « الحياة فى البحرين » ولقد عرض لنا الفلمان مناظر من هذه البلاد الشقيقة ، وعرفانا حقائق فى حياتهما يجب أن يعرف مثلها كل قطر عربى عن شقيقه فى هذا العهد الجديد عهد الجامعة والوحدة ، ولكنى لحظت إلى جانب هذه الحقائق ظواهر القصد إلى الدعاية بإبراز آثار الأمريكان والانجليز فى مرافق البلاد العربية .

وأود بعد ذلك أن أوجه الكلام إلى الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، فهى مهتمة بمشروع استخدام السينما الثقافية فى بلاد الجامعة ، وقد علمت أنها دعت الفنيين فى وزارة المعارف والجامعة الشعبية وبعض المنتجين إلى تأليف لجنة لبحث هذا الموضوع وتنظيم العمل فيه من ناحية اختيار أفلام وإنتاج أخرى تحقق الأغراض الثقافية العربية . أريد أن أنبه على أمرين :

١ — أن يأخذ تعريف البلاد العربية بعضها ببعض بوساطة الأفلام مكانا لائقا فى مشروع السينما الثقافية ، ولا يخفى ما فى ذلك من عوامل التقريب بين الشقيقات ، وما فيه من فوائد ليس أقلها وقوف كل عربى على نواحى الحياة فى بلاد تمتد فيها رقعة الوطن ، على المعنى العربى الشامل .

٢ — الحذر من الأجانب ، وخاصة الأمريكيين الذين يهتمون بالدعاية فى هذا المجال ، ولابد أن سيتقدم كثير منهم لعرض « خدماته » فى هذا المشروع ، فينبغى رفض هذه « الخدمات » أو مراقبتها إن كان لابد منها ، ليخلص العمل لأغراضه العربية الأصيلة .

متحف ثقافي :

قررت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية إنشاء متحف يجمع فيه ويعرض الوثائق المتصلة بمعارف البلاد العربية والغرض من هذا المتحف أن يجلو حالة هذه البلاد الثقافية الراهنة في صورة واضحة ، ويعين على مقارنة بعضها ببعض مقارنة صحيحة ويجعل من الإدارة الثقافية مركزا للدراسات والاستعلامات المتصلة بكافة شؤون الثقافة العربية ، كما يجعل منها واسطة دعاية مجدية لها

وقد أرسلت الإدارة بذلك إلى الحكومات العربية ، وطلبت إلى كل منها موافاتها بما يأتي :

١ — الكتب والأنظمة والقوانين والمناهج والتقارير والإحصاءات المطبوعة .

٢ — مجموعة الصور والمخطوطات التي تعطى فكرة واضحة عن المباني المدرسية والحياة العلمية والتعليمية .

أذاعة ما نشر :

كانت الإذاعة ، فيما مضى ، تقدم بعض الشعراء « ليقرأ من شعره » ولكنها جرت أخيراً على ألا تقدم إلا من يعد شيئاً للاذاعة . وهذا أمر طبيعي ، لأن الإذاعة لا بد أن يكون لها موضوع خاص ، وهو أيضاً يحفز على الإنتاج ؛ ولا يصح أن يكافأ على الكسل و « الاجترار » .

وقد كتب الأستاذ محمد الأسمر بجريدة « الزمان » يقول : « وما ينشره الأدباء في المجلات أو الدواوين يجب على الإذاعة ألا تحول بينه وبين إذاعته بحجة أنه نشر ، فجمهور القارئين قليل جداً بالنسبة للجماهير المستمعة التي لا تقرأ ولا تكتب » .

وهل الجماهير التي لا تقرأ ولا تكتب تستمع إلى الشعر والأدب؟ ثم إن المفروض أن الإذاعة تقدم ألواناً من نتاج الحركة الأدبية المتجددة ، والشاعر الذي يريد أن يدير « الاسطوانات » من ديوان كان قد أخرجه ، ما شأن الإذاعة به؟

وتصور أي مهزلة تكون عند ما تدعو الإذاعة عدداً من الأدباء ليتلو كل منهم ما تيسر من آياته ...

مولد شاعر :

نشرت مجلة « العالم العربي » في عددها الأخير (١٢) مقالا بعنوان « مولد شاعر » غير مذيل بتوقيع ، ولكن وضع في الفهرس مكان اسم الكاتب : « أبو نواس » وهذا المقال ، بعينه وجميع أجزاء جسمه ، نشر في « الرسالة » للآنسة نعمت فؤاد منذ خمسة أشهر (العدد ٧٤٨ الصادر في ٣ نوفبر سنة ١٩٤٧)

و « أبو نواس » له سرقات أدبية كثيرة أخذه بها النقاد ومؤرخو الأدب ، ولكن من كان يظن أن سيمتد به الزمن ويطول عمره حتى يسرق مقال الآنسة .. أو تراه يسرق حياً وميتاً .. أم ماذا .. ؟

مؤتمر الآداب الحديثة :

يجتمع الآن في باريس بجامعة السوربون المؤتمر الدولي لتاريخ الآداب الحديثة ، ويدور البحث فيه حول الأدب العصري والتطورات السياسية والاجتماعية .

ويتكون المؤتمر من ممثلي سبع عشرة أمة ، وكان قد دعى إلى حضوره الدكتور طه حسين بك ، فاعتذر من عدم استطاعته تلبية هذه الدعوة ، لأنه سيمثل مجمع فؤاد الأول للغة العربية في مؤتمر اللغويين ومؤتمر المستشرقين اللذين سيعقدان بباريس في شهر يولية المقبل ، ومن المشقة أن يسافر الآن ويعود ، ثم يسافر إلى هذين المؤتمرين .

العباس



تخيروا لنطفكم :

فى مساء الجمعة ٢ من إبريل سنة ١٩٤٨ احتج عالم كبير فى حديثه بالمذياع بخبر (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) على أنه حديث نبوى .

والمحدث العجلونى يقول فى كتابه (كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) المطبوع بالقاهرة : قال ابن الجوزى : فى سنده مجاهيل . وقال الخطيب البغدادى : كل طرقه ضعيفة . وقال أبو حاتم الرازى : ليس له أصل . وفى التحفة والنهاية : صححه الحاكم واعترض . .

وتصحيح الحاكم لا يوثق به ، لقول الذهبى فيه : صدوق لكنه يصحح فى مستدركه أحاديث ساقطة . ويرى الحافظ ابن حجر أن سبب هذا هو طروء غفلة وتخليط له فى آخر عمره أثناء تأليفه المستدرك . وقال ابن ناصر الدين : فيه تشيع وتصحيح واهيات ، على مافى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد) ج ٣ ص ١٧٧ .

والحديث الصحيح فى هذا الشأن هو .(... فاظفر بذات الدين تربت يداك) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ، وأحمد وأبو يعلى والبزار ، وغيرهم ، كما فى (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى) ج ٤ ص ٢٥٤ .

محمد أسامة عليبة

بين تيمور والنشاشيبى :

قرأت فى العدد الأخير من مجلة الكتاب ما كتبه الأستاذ محمد رجب البيومى فى ترجمة المغفور له أحمد تيمور ، ومما استوقف نظرى قوله « وكتاب النوادر مخطوط ثمين جمع فيه المؤلف ماوقعت عليه عينه من طريف الأخبار وشتى اللمح ؛ فهو يشبه نقل الأديب للأستاذ المرحوم النشاشيبى وكان تيمور يود أن يقدمه للمطبعة العربية فحالت منيته دون أمنيته » اه

والحقيقة أن كتاب النوادر يختلف عن نقل الأديب لأن الأول نوادر معينة مرتبة تحت عناوين جامعة ، فباب لنوادر النحو وباب لنوادر اللغة وباب لنوادر التاريخ وهكذا ، أما نقل الأديب فمدة مختارات ثمينة جمعت بلا ترتيب أو تبويب . ولقد رأيت أن أنبه إلى ذلك على صفحات الرسالة ، فقراؤها أعرف الناس بنقل الأديب وبالأستاذ رجب البيومى أيضاً .

منصف

أسس إصلاح التعليم الأولى فى مصر :

قرأت ما تفضلت (الرسالة الغراء) بنشره للشيخ (على زين العابدين منصور) عن هذا الكتاب . . وقد كنت أطمع فى أن توضح (الرسالة) أغراضه ومراميه العامة التى تهدف إلى نقد الأوضاع الحالية الرسمية وغير الرسمية التى تقف سداً حائلا وستاراً كثيفاً دون أن يكون المعلم فى مرحلة التعليم الأولى كريماً عزيزاً فى كل ناحية لينتج نفوساً كريمة عزيزة تتحكم فى المجتمع المصرى المنشود للمستقبل المأمول ! ومن الجلى أن هذا فى مبناه ومعناه متداخل فى رسالة مجلة الرسالة الناطقة بلسان الشعوب العربية المعبرة عن آمالها وآلامها القومية ... فلا غرو إذا حملناها هذه الأمانة ودعوناها إلى إنقاذ ذلك فى أمد قريب ...

خورشيد عبد العزيز
معلم دميره

كتاب تاريخ الأدب العربى فى شرقى الأردن

جاءنا من شرق الأردن أن النسخ المزيفة من كتاب تاريخ الأدب العربى تتداول بين الطلبة والقراء فى (إربد) ، وأن الذى يتولى تصريفها هو ناظر مدرسة إربد الثانوية ؛ وهو أستاذ فاضل معروف بكرم الخلق وحسن السيرة ، وقد تخرج فى مصر ؛ فلا نشك فى أنه يفعل ذلك بحسن نية ؛ ولكننا نرجو منه أن يساعد العدالة على كشف هذه الجريمة بأن يبلغنا أو يبلغ حكومة شرق الأردن كيف وقعت له هذه النسخ ، ومن أرسلها إليه من مصر أو من فلسطين ، وعليه منا سلام الله ورحمته .

سؤال لأعضاء المجمع اللغوى :

الله : هل أصل لفظ هذه الكلمة – لاه – فدخلت عليها أل للتعريف ، أم هل وضع هذا اللفظ معرفاً كما هو ؟ وإذا لم يوضع معرفاً فما أصله ، وكيف حرف وحول حتى صار على هذه الكيفية ؟ لا ننكر أن لفظ الجلالة أعرف المعارف ولكن نقصد هنا الناحية اللغوية فقط وننتظر الإجابة .

(سائل)

رسالة الفن :

زار محرر (الرسالة) الفنى معرض الجمعية الفوتغرافية المصرية المقام بصالة المعهد البريطانى بسكة المغربى رقم ٣ بالقاهرة ، وشاهد اللوحات البارعة التى عرضها الأعضاء ، ولاحظ المجهود العظيم الذى بذل فى إقامة هذا المعرض الجميل



ونحن إذ نسجل للجمعية نجاح معرضها الأول ونقدم التهنئة إلى رئيسها الأستاذ الدكتور أحمد موسى ، نرجو لها اطراد النجاح فى خدمة فن جميل تفتقر مصر إلى تعاون رجاله وتكاتفهم للنهوض به .

ويسر الرسالة أن تنشر لوحتين من لوحات الدكتور أحمد موسى مع أبيات من القصيدة التى هنأه بها تلميذه الفنان السيد رأفت :

فى رؤى الأحلام ؟ أم أين أنا ؟ | أم أساطير خيال ها هنـا
أم هو الفنان فى سبحاته | سارياً فى زورق الفن بنـا
يبهر الشيطان من أنامله | لحن أرواح يهز القننـا

لوحة السلم التى فاضت بها | روح فنان تسامى سننا



كم حسدتُ الطير فيها راحة | مالنا منها نصيب مالنـا
ضاحك فيها يناجى ضاحكا | وأمين الطير يرعى آمنـا
يا أبا ليلى ، وما ليلى سوى | زهرة الروض جمالا وجنى
أيها السارى لمجد خالد | تتحدى فى سراك الزمنـا
أيها السامى بفن باعه | أدعياء الفن فى سوق الغنى
وكلوا بالجنس من أقلامهم | ريشة ذلت وعقت وطنا
إنما الفن الذى علمتنا | عانق الروح وعاف البدنا



تضـــحية أم

للأديب عبد القادر صادق

« روى لى هذه القصة شيخ جليل زار الشرق الأقصى للتبشير » (الكاتب)

تشرف على المحيط الباسفيكي مدينة جميلة تسمى « أوزاكا » تمتد فى جنوبها سهول فسيحة مترامية الأطراف ، مبتدئة من ذلك الكوخ المتواضع، تحيط به أشجار باسقة عارية من الأوراق، أو مكتسية بها .

فى أمسية من أمسيات الخريف الكئيبة لعام ١٩٠٤ واليابان قد أعلنت النفير العام ، إذ تأزم الخطر عليها ، وأحدق بها أعداؤها الروس من الشمال الغربى ؛ راح الشبان يتقاطرون زرافات ووحداناً على مكاتب التسجيل ملبين نداء الوطن . فى هذه الأمسية الكئيبة ، وفى هذا الكوخ البعيد عن البلدة ؛ جلست الأم « شيمار » ساهمة مشردة الخواطر ، موزعة الأفكار ، تحيك بيديها جورباً من الغزل ، على عادتها ، من يوم أن توفى زوجها وترك لها ولداً فى التاسعة من عمره . لقد مضى على الأم عشرة أعوام ، وهى ما تزال تجد فى حياكة الجوارب طول النهار وطرفاً من الليل ، لتوفر لولدها شئون الحياة وأسباب العيش ، وهى تتعهده بالرعاية والعناية ، ساكبة عليه كل ما فى الأمومة من حنان . وكان الموقد أمامها ، والنار تئز فيه أزيزاً أشبه بالوسوسة ، فتبعث لها بالدفء والإيناس ؛ إنها لتنتظر خبر ولدها « فوزاكى » ذلك الشاب الذى ذهب لتسجيل اسمه فى عداد الجندين ؛ وإنها لتتخيله ، وهو الشاب الفارع القامة ، المفتول العضد ، القوى البأس ، بالبزة العسكرية متقلداً سلاحه ، وهو يشق خطوط الأعداء ويقارع كوارث الحرب ، متفوقاً فى فنون النزال والضرب ، تزين ساعده الأشرطة العسكرية ، وتملأ صدوره الأوسمة والأنواط البراقة ...

ويقطع عليها هذا الحلم اللذيذ دخول ابنها « فوزاكى » والوجوم يغشى سحنته ، والحزن يسيطر عليه ، فتهب إليه الأم لتتلقاه متلهفة ، تريد أن تضع فى تقبيله كل حنانها لخبره السار فى أن يكون من عداد الجندين ، ولكنها ترتاع لمرآه الواجم وهو يأخذ يدها بين يديه ، كأنه ينشد منها المعونة والعزاء ، متجهاً بها إلى الموقد :

— أماه ! ما أمر خيبتى عند ما علمت لجنة التسجيل أنى وحيدك ، وأن ليس من يقوم على رعايتك سواى . . . ولما اعترضت على ذلك أجابونى بأن القانون لا يسمح لأمثالى بالتجنيد .. وكان بينهم رجل وقور الشيبة ، جليل الهيبة ، رأف بحالى وتقدم نحوى وهو يقول : لا تحزن يا بنى ، إن خدمة والدتك نوع من خدمة بلادك . وقد ظن أنه بذلك يستطيع تعزيتى وتبديد خجلتى ، وأنا أنظر إلى رفاق طفولتى فى المدرسة ولداتى فى المعمل وهم يرتدون البزات العسكرية . . لست أنكر أننى وحيدك ، ولكن أما كان الأجل لك والأجدر بى ، أن أكون مدافعاً ومانعاً ضيم العدو لنا واستعباده لبلادنا فيتصرف كيفما شاء بأرضنا ومالنا ونسائنا ؟ ! ..

لا يمكن أن أتصور يا أماه شماتة الناس بى ، ونفورهم منى وهم يشيرون إلىّ بسخرية قائلين : هذا الذى تخلف عن خدمة بلاده والذود عن حياضها .. يا لسقوط همته ، ويا عالته على أمته ! لئن تطونى الأرض بين طياتها ، أحب إلى من سخريات الناس وشماتتهم . وإنى لأشعر فى أعماق قلبى العزم ، وفى غليان دمائى البأس ، يدفعاننى لأن أحيا لبلادى وأموت لبلادى ، وأن أحظى بشرف الجندية ، حيث تشرفك هذا يا أماه ! وتتشرف بلادنا بالعزة والكرامة فتقضى على مطامع أعدائها ..

كانت أمه ما تنفك طوال حديثه تنقل طرفها الوامق بين شفتيه ووجهه الحزين ، وقد أخذت رأسه بين يديها وراحت تواسيه :

— نعم ما قال هذا الرجل المطوف النصوح يا بنى : أن

خدمة والدتك نوع من خدمة أمتك ؛ ولكن هل هناك مانع من أن تقوم والدتك بخدمة بلادك ؟؟ ..

فرفع بصره إليها ، ليعى ما تقول .. ولكنها راحت تتابع حديثها ، متجاهلة دهشته ونظرات عينيه المستفهمة ، وكأنها مصممة على أمر ما ، وأناملها ما تزال تعبث بخصلات شعره الجميل ؛ ثق يا بنى بأنك ستكون فى خدمة بلادك وستتقدم رفاقك .. ولكن قل لى : ألست بجائع ؟ أجل ! أنت جائع ، لا شك أنك جائع !! ..

وانفلتت نحو صوان الأكل ؛ فشيعها بنظرات الوامق البار ، وهى تسير بخطوات وئيدة رزينة مولية له ظهرها ، ولمعت لعينيه شعرات الشيب كأسلاك من النور الساطع عند ما ضاحكتها رقصات ألسنة اللهيب من الموقد وحطت على عقصة شعرها الملتفة : يا لى من أحمق ! كيف لم ألحظها من قبل ؟ هكذا قال لنفسه ، وقد ارتد رأسه إلى راحتيه ، وساورته الهموم ولكن سقطة جسم على الأرض ردته إلى صوابه .. يا لهول ما رأت عيناه !.. أمه المسكينة مضرجة بدمها المتدفق .. المدية مغروسة فى صدرها ؟!..

تملكته روعة المشهد الأليم ، وأخذته الحيرة فما يستطيع أن يهتدى لعمل ينقذ به أمه ..

وتفطن أمه إلى ما يريد فتقول

– لا لا يا « فوزاكى » لا تحاول إنقاذى ، ولا تستدع أحداً .. فكر فى إنقاذ بلادك ، فى أمك اليابان لا أمك « شيحار » ! ..

لن أكون حائلة بين إشباع عواطفك الجائعة لخدمة بلادك ، ولن أكون السبب فى خيبتك وخجلتك بين أبناء قومك .. لن أحرمك شرف الجندية ، ولن أحرم اليابان خدمة أبنائها .. لقد وهبتك للبلاد فأنت ملك لها ، ولست ملكا لى ، ففى سبيلها ما وهبت ... سر على بركة الله ، وإلى الأمام بالرعاية والعناية والكرامة ..

وتأخذها سكرة الموت وهى تجالده ، آخذة انفاسها بعسر ومشقة . وقد بدا على وجهها نور سماوى لست تلقاه إلا على وجوه القديسين والأولياء الصالحين من دنيانا ، وراحت تقول متممة رسالتها ...

وهناك فى السموات العلى ، ألتقى بك وقد رويت عواطفك الملتهبة ، وقد تكللت بلادنا بالعزة والنصر ... هناك ألقاك لأتابع العناية بك ...

وأطبقت أجفانها لتتابع الحلم اللذيذ ... فى مجد اليابان وفى فتاها البطل العزيز .

(دمشق) عبد القادر صادق

خمســـة كتب جديدة

لمحمـــود تيمور بك

١ – عطر ودخان

طبعة ثانية مزيدة – تطلب من مكتبة الهلال بأول شارع الفجالة

٢ – نداء المجهول

طبعة ثالثة منقحة – تطلب من مكتبة الآداب بدرب الجماميز

٣ – قصص من الحياة المصرية

باللغة الإنجليزية – ترجمة الأستاذ دنيس جونسون دافيز

يطلب من مكتبة النهضة ن ٩ شارع عدلى باشا

٤ – أبو الهول يطير

مشاهدات وخواطر يسجلها سائح فى العالم الجديد

٥ – سلوى فى مهب الريح

قصة مصرية مطولة

الكتابان الأخيران يطلبان من

مكتبة الخانجي

ن ١١ شارع عبد العزيز

سكك حديد الحـــكومة المصرية

خط صحراء سيناء – القنطرة شرق – رفح

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بمناسبة استلام سكة حديد الحكومة المصرية خط صحراء سيناء الواقع بين القنطرة شرق ورفح (نهاية الحدود المصرية) ابتداء من أول إبريل سنة ١٩٤٨ سيسير الآن ستة قطارات ركاب أسبوعياً على الخط المذكور فى الأيام والمواعيد المبينة بعد .

مع العلم بأن الركاب القاصدين فلسطين أو القادمين منها سينقلون من والى قطار فلسطين بمحطة رفح أما المسافرون منهم بعربات النوم فيعمل لهم ترتيب خاص لمواصلة سفرهم بذات العربة دون الحاجة للانتقال .

المحطات	٧٥٠ درجة ١ و ٢ و ٣ وعربة نوم وعربة أكل السبت والأثنين والأربعاء	المحطات	٧٥١ درجة ١ و ٢ و ٣ وعربة نوم وعربة أكل الأحد والثلاثاء والخميس
القنطرة شرق . . . قيام	١٥ ٢٣	رفح . . . . . قيام	٣٠ ١٣
رمانة . . . . . . «	١٥ ٠	العريش . . . . . «	٣٠ ١٤
بئر العبد . . . . . «	٠٤ ١	مزار . . . . . . «	٣٣ ١٥
مزار . . . . . . «	٠٥ ٢	بئر العبد . . . . . «	٢٣ ١٦
العريش . . . . . «	٠٥ ٣	رمانة . . . . . . «	١٢ ١٧
رفح . . . . . وصول	٠٠ ٤	القنطرة شرق . . . وصول	١٠ ١٨

العدد ٧٧٢ — الاثنين ١٩ ابريل ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة		

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٧٢ — الاثنين ١٩ ابريل ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٣٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 772

Lundi — 19 — 4 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ — ١٩ أبريل سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من أقاصيص الجوارى فى عهد الرشيد :

بهـــيرة

[مهداة إلى صاحب المعالى إبراهيم دسوقى أباظة باشا]

— ١ —

— ما أجمل هذا الصوت ! من أين مصدره ؟

— من صوب النهر يا مولاى

— إن حلاوته وإيقاعه لينبئان عن ظرف بارع وصِبىّ نضر

— لعلها قينة فى زورق من زوارق المخنثين (١) ترفُّ على لهوم الماجن بالغناء والحسن كالعادة

— مل بنا إلى الشاطئ عسى أن نرى مصداق ما نسمع

وكان الرجل الذى سأل وأمر طويلاً بدين الجسم أشقر اللحية على وجهه جلالة السلطان ومهابة الملك ؛ أما رفيقه الذى أجاب وأطاع فكان مساوياً له فى العمر ، ولكنه كان ربعة القوام ، رقيق البدن ، أزهر اللون ، تتوسم الظرف من ملامحه ، وتتبين الذكاء من ألفاظه . وكانا يلبسان ملابس التجار ويمشيان مشية المستطلع بين القصور الناعمة القائمة على دجلة من كرخ بغداد فى أصيل يوم من أيام أبريل . وعلى ثلاث خطوات منهما كان يسير رجل وثيق التركيب عظيم البسطة يلحظ لحظات الصقر ورعاها بعين النمر . وكانت دار السلام يومئذ فى أيام العروس (١) من عهد الرشيد ، قد تجمعت فيها الدنيا ببهجتها وزينتها ، وفتنتها وثروتها ، فهى أشمة من الجمال والسحر ، وظلال من الرخاء والبِشر ، ونسمات من الرَّوح والعطر ، وأخيلة من الحب والشعر ، ومُتَع من نعيم التمدن الإسلامى القائم على لذة الروح والجسم ، وسعادة الدين والدنيا ، وراحة النفس والناس

***

اتجه الرجلان وتابعهما الصامت نحو الصوت فجرهما إلى بستان مشرف على النهر قد جلست على عريش من عرائشه الكاسية بأشتات الرياحين والزهر جارية فى وفرة الجمال وزهرة العمر ترسل هذا اللحن الغزلى الشجى الضارع كأنها تهدهد به حباً لا يهجع ، وتناجى به حبيباً لا يسمع !

فدار بين أعظم الرجلين وبينها هذا الحوار الرقيق :

— لعلك تودين أن يكون لهذا الغناء الساحر سامع !

— لو كنت أوده لما عز علىّ أن أجده

— وهل خلق الله مثل هذا الصوت ليتبدد فى الهواء ويضيع فى هذه الخلوة ؟

— سل البلبل حين يبعث الشدو : هل يريد أن يبعثه إلى أذنك ؟ وسل الشمس حين ترسل الضوء : هل تريد أن ترسله إلى عينك ؟ وسل الزهرة حين تبث العطر : هل تريد أن تبثه لأنفك ؟

— تبارك الله ! براعة فى الغناء وبراعة فى الذكاء وبراعة فى الحسن ! ماذا تسمين ؟

(١) كان يطلق هذا الاسم فى بغداد على أهل الترف واللهو والفتوة ممن يشبهون (أولاد الذوات) اليوم

(١) كان الناس يسمون عهد الرشيد لرخائه وجماله أيام العروس

— بهيرة

— ولمن تكونين ؟

— لسيدي علي بن وهب

قالت ذلك بهيرة ثم حيت الرجل وصاحبيه وانطلقت بين أشجار البستان كأنها عروس من عرائس الروح ازدهاها الربيع فطفرت من المرح راكضة راقصة

— لقد وقعت بقلبي هذه الجارية يا جعفر !

— إذا شاء أمير المؤمنين كانت في ملكه من الغد

— ٢ —

وفي غد ذلك اليوم انتقلت بهيرة بالشراء إلى قصر الرشيد بالرصافة ، وكان يموج بالحور والولدان موجان الفردوس ، حتى بلغ ما فيه من السراري والقيان زهاء ألفي جارية من الروميات والكرجيات والجركسيات والعربيات والحبشيات ، يرفلن في الأفواف الموشاة بالذهب ، والعصائب المرصعة بالدر ، والمناطق المنسوجة من المسجد ؛ ويخطرن بين دوائر الحرم موائس من الدلال ، نشاوى من الحسن ، ينفحن بالفتون والحب كما تنفح الزهور العاشقة بالعطور المغرية في ميمة الربيع ...

أحلها مسرور الخصي مقصورتها الأنيقة بين مقاصير سحر وضياء وخنث (١) وأفاض عليها من الوشي والزينة والحلي ما جعلها قطعة من الفن الجالي الخيالي لا تبلغها قريحة شاعر ولا عبقرية مصور . وانغمرت بهيرة في فيض الجمال والنور والترف واللذة ؛ ولكن هذا القصر الذي لا ثاني له في دنيا الناس لم يستطع بما فيه من النعيم الدافق والسرور المتصل واللهو المختلف والأشجار المحمولة من كل أرض ، والأطيار المجلوبة من كل سماء ، والأواوين المنجدة بالديباج والإبريسم ، والبرك المزدانة بالتماثيل والدمى ، والسلطان الذي خضع له الدنيا ، والجلال الذي اعتز به الدين ؛ لم يستطع بكل أولئك أن يمسح عن وجه بهيرة هذه الكآبة الناشية ولا هذا الشحوم الملح ، فقد كانت أشبه بالوردة المقطوفة على المائدة الغارقة في السرور الطافحة باللذة : تذوي وتموت وكل ما حواليها يزدهي وينتعش . فهل كان قصر الخليفة أضيق من قصر التاجر ؟ أم كانت سيادة ابن وهب أندى على قلب بهيرة من سيادة الرشيد ؟ واقع الأمر أن هذه الحال لم تطرأ على بهيرة في عيشها الجديد ، وإنما كانت تلازمها وهي في ملك ابن وهب ، وقد تذرع الرجل بالطب والحيلة واللهو إلى أن يرفه عن جاريته المحبوبة فما كانت تزداد على عنايته بها ورعايته لها إلا هماً على هم ؛ حتى استراب في حبها إياه فحاول أن يصل إلى سرها ويعرف متجه هواها فما استطاع . فلما ساومه النخاس عليها بالثمن الربيح نزل عنها غير آس ولا آسف

كانت بهيرة قبل عامين قد وهبت قلبها الخالي المنتظر لفتى من سراة بغداد الظرفاء فشغله كله وتغلغل فيه تغلغل السر ، وشاع به شيوع السرور . ثم تقلبت عليهما الأيام والأحداث وهما ثملان من رحيق الحب ، وادعان في ظل الأمان ، حتى نزل بالفتى ماينزل بالمترفين المتبطلين من كساد الحال وهجوم الفاقة ، فباع كل ما يملك ، ثم عاش على الأماني فترة من الدهر ؛ ورأى آخر الأمر أن من الإخلاص لحبيبته ألا يحملها وزر إسرافه وعواقب طيشه ، فباعها على الرغم من تشبثها به وإيثارها إياه من علي ابن وهب

ودأب يزورها يوماً بعد يوم وهي في قصر ابن وهب ، من وراء الحديقة ، ومن خلال السور ، وهي تنتظره في العريش الذي رآها فيه الخليفة يوم تنكره ، فيتساقيان كؤوس الهوى ، ويتناقلان حديث المنى ، ويتشاكيان حرقة الوجد ، وينظران نظرات الأسى المرير إلى دجلة والشباب الأحباب يشرقون على وجهه إشراق البسمة العذبة على ثغر السعيد ، فيذكران كيف كان هذا النهر الخالد مسرحاً لصباهما اللاهي ، وشاهداً على حبهما الخالص ؛ وكيف نظر إليهما الدهر الخؤون فتقوض الربع الآهل ، وتفرق الشمل الجميع ، وآل الأمر بهما إلى أن يكون بين قلبيهما غاذل لا يتغفل ، وبين جسميهما حاجز لا يقتحم !

كانت بهيرة وهي في قصر ابن وهب تستطيع أن ترى سليمان وأن تتحدث إليه وأن تترك للأقدار الرحيمة إسعاف حبيبها البائس بالثروة المرجوة فيستردها إلى ملكه ؛ ولكنها انتقلت الآن من عش الحمام إلى غيل الأسد ! فمن ذا الذي يستطيع الدنو من قصر الخلافة ؟ لقد ضرب الدهر بينها وبين

(١) هن الحظايا الثلاث اللاتي استأثرن بهوى الرشيد حتى قال فيهن :

إن سحراً وضياء وخنث ‍ ‍ ‍ هن سحر وضياء وخنث
أخذت سحر ولا ذنب لها ‍ ‍ ‍ ثلثي قلبي وترباها الثلث

حبيبها إلى الأبد ؛ فلا هو يستطيع الدخول إليها ولا هي تستطيع الخروج إليه ؛ فكأنه مات من دنياها وماتت من دنياه . وبيت الخلافة لأمثالها قصر في الأول وقبر في الآخر !

— ٣ —

على أن الهوى كالسكر لا يعرف المحال ولا يحس الخوف ولا يبصر العاقبة . فقد احتال سليمان حتى ظفر بثياب خادم من خدام جعفر بن يحيى . فكان يدخل قصر الرشيد في هذا الزي فلا يرتاب فيه الحراس ولا ينكره الخدم . وعرف مقصورة بهيرة فكان يتسلل إليها في الظلام أو في النفلة ، فيقضي معها ساعة من النهار أو هزيعاً من الليل ينضحان فيه غرامهما المسعور بالحديث المعسول والقبَل الندية

وفي ذات ليلة طغى عليهما الحب وعصفت برأسيهما الصبابة فتولدت فيهما ناشئة من الأمل والعزم . قال سليمان وهو يثبت نظره المتوقد في نظر بهيرة الساجي :

— لقد أعددت عدة الخلاص ومهدت لك سبيل الهرب

— وماذا أعددت يا سليمان ؟

أعددت لك هذا الثوب الغلامي فالبسيه واخرجي تحت الليل حين تخشع الأصوات وتهجع العيون ولا يدخل ولا يخرج إلا رسل الأسرار بين قصور السادة والقادة . وسأكون في انتظارك لدى مشرع القصب من دجلة

فقالت بهيرة ودمعها الساجم يتقاطر على خديها تقاطر الطل :

— أنسيت يا سليمان أني ملك الخليفة فلا أخرج منه إلا بالبيع أو بالعتق !

— لم أنس يا بهيرة ، ولكن الخلاص بغير ذلك محال

— وكيف يصفو لنا العيش يا سليمان وهو شقاء متصل بمعصية الله وخيانة الخليفة ؟

— ربك يا بهيرة أخفتي هذا الصوت في نفسك ، وفكري قليلاً في بؤسي وبؤسك . ليس لي غيرك وليس لك غيري ؛ أما الخليفة فله ألفا جارية ، وله أضعافهن إذا شاء . والله يا بهيرة يغفر الذنوب جميعاً

— ألا تظن ياسليمان أن العذاب في الحب عذب ، وأن الموت في سبيله شهادة ، وأن هذه الساعة التي نلتقي فيها على غفلة من الرقيب بين الخوف والأمن ، وبين اليأس والرجاء ، أدنى إلى الحب الصحيح والسعادة الحق من العيش الغرير الناعم على مراد الرذيلة ؟

— إن العشاق يا بهيرة لا يعيشون بعقول الخليين ولا يخضعون لقوانين المجتمع

وأسلس لسليمان الدمعُ والكلام فأوشك أن يحمل بهيرة على رأيه لولا أن قرع باب المقصورة قارع عنيف ، فاستطير قلب العاشقين من الرعب ، وأيقنا بالهلاك المحتم

وفتح الباب ودخل مسرور قهرمان القصر وسيد الموالي وحاجب الرشيد ، ومعه نفر من الحراس ، فأمر بالقبض على سليمان ، وكان قد سمع بآذان جواسيسه ما دار من الحديث بينه وبين بهيرة

— ٤ —

سِيق العاشقان إلى مجلس الخليفة الخاص متهمين بانتهاك حرَم الخلافة ، والمؤامرة على الفرار ، والخلوة الأثيمة . فسألهما عن جلية الخبر فأجاباه بصحته . واستفهم الشهود عن تفصيل الحديث فأدلوا به على نصه . وكان الخليفة مفتوناً ببهيرة لما جرَّب عليها من الوفاء والذكاء والصدق فعفا عنها ، ودفع بسليمان إلى مسرور ينفذ فيه حكمه

فتقبل العاشق المنكود الحكم عليه قبول من راض نفسه على التسليم بالقضاء المحتوم والأمر الواقع . وذهب به الموالي إلى لقاء الموت ، ولبثت بهيرة في حضرة الخليفة شاخصة لا تطرف ، واجمة لا تنطق ، كأنما أخرجها الجمود عن الحياة ، وفصلها الذهول عن الوعي . ثم رأرأت بعينيها في سكون ، وحركت لسانها ببطء ، وألقت بنفسها على قدمي الخليفة وهي تقول :

مولاي : إني أعلم أن الجريمة إذا مست الشرف ضاق بها العفو وقصُرت عنها الشفاعة ؛ ولكني أعلم كذلك أن حلمك لا يستخفه غضب ، وعفوك لا يتعاظمه ذنب . فهب لي دم سليمان فقد جنى عليه حبي ، وسعى إلى عدمه وجودي . وهو يا مولاي صادق النية سري الخلق بريء الساحة

فقال لها الخليفة : إن هذه الجريمةُ تنفي بوجهها الوقاح صورة الرحمة . فاسأليني ما شئت إلا العفو ، فاني لا أمنح إلا ما أملك

المقاصد الصهيونية

للأستاذ نقولا الحداد

ورد لى كتاب على يد مجلة « الرسالة » بإمضاء حسن (وبس) ، وليس فيه عنوان مرسله سوى أنه من المنصورة . ويقول كاتبه إنه مسلم ، وإنه طالب فى مدرسة الملك الكامل . والله أعلم . ويقول إن سنَّه ١٦ سنة ، ولكن عظته لى عظة ٣٦ سنة متواضعة لطيفة رقيقة. وفحواها أنه « لافرق بين اليهودى والمسيحى والمسلم » ، وهو يتمنى تحقيق ذلك الحلم السعيد الذى يرى فيه الشعوب جميعاً شعباً واحداً ، وأن اليهود ما هم إلا آدميون مثلنا . فلا يجوز أن نأخذهم بجريرة أجدادهم . إلى غير ذلك من الأمانى التى يتمناها كل واحد من الناس .

مرحى يا بنىَّ ! أشكر لك عظيم الشكر حسن ظنك بى ، وعطفك الخالص على اليهود ، واعترافك لهم بأنهم بشر مثلنا . وكان يحسن بك أن تبعث بهذه العظة إلى السيد جمال الحسينى الذى ذهب إلى لايك سكسس لكى يناقش هيئة الأمم فى مسألة صهيونى فلسطين لايهودها ؛ لأنه يعتقد أن يهود فلسطين القدماء هم بشر مثلنا عاشوا فى البلاد آمنين مسترزقين ، ولكنه يرى أن صهيونى فلسطين الوافدين عليها من مشرديهم فى أوروبا لكى يمتلكوها أرضاً وشعباً ودولة ؛ هؤلاء ليسوا بشراً بل أبالسة .

نحن لا نكره اليهود ، ولكنهم هم يكرهوننا ، ويلقبوننا بالجوييم البهائم ، وكلمة الجوييم هذه تطلق عندهم على كل من ليس يهودياً ، وقد عاشوا بين الجوييم فى فلسطين وغيرها قروناً وأبواب الرزق مفتوحة على مصاريعها ، والقلوب مفتوحة لمحبتهم وإكرامهم ؛ لأن مسيحنا قال : (أحبوا أعداءكم) فكيف بالأصدقاء ؟ وقد تبرع لهم مسيحيو أمريكا باثنين وسبعين مليونا من الريالات ليستعين بها المتشردون فى أوربا ، فإذا بهم ينفقونها فى فلسطين لمكايدة العرب ! وفى قرآنكم الكريم : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىٌّ حميم » ؛ وأما هم فيقولون إنه يحل لهم كل مايملك الجوييم ، يعنون النصارى والمسلمين والوثنيين على السواء من عهد موسى عليه السلام إلى اليوم والغد . وسلوكهم اليوم ناطق بهذه النيات الأنانية ومطابق لمنهاج استنوه لأنفسهم يعادون به الأمم ، ويهيئون أنفسهم لدولة عليا تسود الدول جمعاء وتستعبد الشعوب .

نحن لا ندين اليهود بما قاله موسى ؛ بل ندين الصهيونيين بما قاله حكماؤهم فى مواثيقهم ، أى البروتوكولات التى سننشر ماتقتطفه منها تباعاً مما يدل على ما يبيتونه للجوييم أمثالى وأمثالك وما تنطبق عليه أعمالهم أمس واليوم والغد .

نحن لا ندين اليهود الذين قاموا بين ظهرانينا وكانوا فى أمن وطمأنينة ، وإنما ندين الصهيونيين الذين جاءوا من وراء البحار ينفذون مواثيق حاخاماتهم الكبار فى سبيل إنشاء دولة صهيونية تسود العالم كله وتصبح جميع الدول تابعة لها ، وجميع الأمم عبيدها ، ويهود العالم كله أسياد الشعوب .

فقالت بهيرة : إذن تعدنى يا مولاى ألا يُقتل حتى أراه .

فقال لها الخليفة : لك هذا الوعد .

وأرسل وراء الجلاد يأمره أن يرد عليه سليمان قبل أن يمضى قضاءه فيه .

فلما خرج الرسول أدارت بهيرة بصرها فى السماء والفضاء والطبيعة ، ثم أرجعته وهو يفيض بالدمع والأسى ، ورددته فى نواحى البستان ، وفى جوانب المكان ، وفى مرايا الجدران ، وفى حليها الذهبية ، وفى حليتها اللؤلؤية ، وفى وجه الخليفة ؛ ثم أدخلت إصبعيها فى محجريها فاقتلعت بهما عينيها

فصاح بها الخليفة وقد أفزعه ما رأى :

— ويحك ما ذا صنعت بنفسك ؟

— فديت بعينىَّ حبيبى يا مولاى !

— وكيف ذلك يا حمقاء ؟

— ألست وعدتنى يا مولاى ألا يُقتل حتى أراه ؟ فالآن لا أراه ولا يُقتل !

كان أثر هذا الحادث بالغاً فى نفس الخليفة ، فبسط على العاشقين جناح رحمته ، ومهد لهما الحياة السعيدة فى ظلال نعمته . وقنعت الفادية العمياء من دنياها بالعيش على نور الحب وفى كنف الحبيب !

احمد حسن الزيات

نحن لا نفتئت على اليهود وإنما ندل الجوييم مسلمين ومسيحيين على مقاصد الصهيونيين لكي يحذروا مكايدهم .

واسمع الآن ما قالته مواثيقهم (بروتوكولاتهم) بشأن دولتهم قال الميثاق (البروتوكول) الثالث البند ٦ :

إن النـاس الذين هم تحت قيادتنا قد محقوا الأرستقراطية (سلطة الأعيان) الذين كانوا قوة الدفاع الوحيدة عن مصالحهم المرتبطة بهناء الشعب . فبإبادة الأرستقراطية يقع الشعب في قبضة اللئام من ناهبي الذهب الذين لا رحمة عندهم والذين وضعوا نير الظلم ثقيلا على أعناق العمال » (غير اليهود) .

البند ٧ :

« وأما نحن فنظهر على المسرح بمثل المنقذين للعامل من هذا الظلم . ومن ثم نقترح عليه أن يدخل في منظماتنا المحاربة — الاشتراكية والفوضوية والشيوعية التي نعضدها دائماً بواسطة الأخوية المزعومة المفروض أنها رباط الإنسانية ، وهي الماسونية الاجتماعية (أي الماسونية العمومية غير الماسونية اليهودية السرية التي تختفي عن الماسونيين على العموم) . والأرستقراطية التي بحكم الشريعة تمتعت بتعب العمال تغتبط برؤية هؤلاء العاملين يتغذون شابعين وصحتهم جيدة وأجسامهم قوية . وأما نحن فيسرنا العكس ، وإنقاص عدد هؤلاء الجوييم حتى قتلهم . إن قوتنا في إنقاص الغذاء الذي أضحى داء مزمناً ، وفي ضعف العامل وسقمه البدني ؛ لأن هذين الأمرين يتضمنان عبودية العامل لإرادتنا وإنه لا يجد في حكومته أو سادته قوة لمناهضتنا .

الجوع يخلق حق الرأسمال بالتحكم في العامل أكثر مما أعطت سلطة الملوك الشرعية من الحقوق للارستقراطية » .

ترى مما تقدم أنهم بدعوى العطف على العمال (وهم يعنون بالعمال كل مسترزق) يستخدمونهم لأغراضهم التي لا يفطن لها العمال على يد ماسونيتهم .

وقد رأيت أيضاً أن الاشتراكية والفوضوية والشيوعية هي من مخترعاتهم ، كما ترى في البند الثاني من الميثاق الرابع سر قوتهم غير المنظورة :

« من وماذا يستطيع أن يقاوم قوة غير منظورة كقوتنا ؟ فالماسونية العمومية التي ينتظم فيها الأمم (الجوييم) وهم كالعميان لا يرون ما أمامهم وما وراءهم ؛ إنما هي حجاب يحجبنا ويحجب أغراضنا . وأما منهاج عمل قواتنا فيبقى للعالم سراً مجهولا » .

ومما جاء في البند ٣ بعد الكلام عن الإيمان بالله من غير وحي ولا وجدان .

« ... بهذا الإيمان يُحكم الناس بحراسة أبرشية الكنيسة . ونسير نحن برضى وتواضع تحت قيادة الراعي الروحي خاضعين لتدبيرات الله على الأرض . هذا هو سبب أننا لا بد لنا أن ننقب تحت أساس كل إيمان لكي ننتزع من عقول الجوييم مبدأ الألوهية والروح ونضع مكانه الحسابات الرياضية والحاجات المادية »

وفي البند ٤ يقول « ... ولكي تشتق الحرية جماعات الجوييم وتدمرها يجب أن نجعل الصناعة على أساس المضاربات فتكون النتيجة إن ما يُستغل عن الأرض بالصناعة تتداوله الأيدي إلى أن يتسرب إلى أيدي جماعاتنا عن طريق المضاربات » .

يعني أن الجوييم يشتغلون في الأرض وتتسرب غلاتهم إلى أيدي الماليين بفعل المضاربات . ومن هم الماليون ؟ ؟

وبعد أن يتكلم الميثاق الخامس عن السيطرة الإدارية يقول في آخر البند الأول ... « هذه القوانين تقتل الحريات والتسامح مما يتساهل به الجوييم فتمتاز مملكتنا بالاستبداد النسبي بحيث يمكن أن نمحق أي جوييم يجرأ أن يقاومنا بالفعل أو بالقول » .

وفي البند ٦ : « قيل في الأنبياء إننا نحن الذين اختارنا الله نفسه لكي نحكم كل أرض ، وقد منحنا الله النبوغ لكي نستطيع أن نقوم بعملنا . فإذا كان في معسكر معاد لمعسكرنا نبوغ مجاهد ضدنا . فالضد الجديد لا يقدر أن يقاوم القديم المستقر؛ فالعداء بيننا يكون مهلكا ، والحرب تكون بلا هوادة ولا رحمة . حرباً لم يشهد العالم مثلها ... وإنما يكون نبوغ المعسكر الآخر قد جاء متأخراً فلا نخشاه ... إن جميع عجلات « المكنة » الحكومية تسير بقوة الآلة المحركة . وهذه الآلة في يدنا — الذهب إن علم الاقتصاد السياسي الذي استنبطه شيوخنا الحكماء منح الامتياز الملكي لرأس المال — وهو في أيدينا » .

فنرى في هذا البند أنهم يعتقدون اعتقاداً قلبياً أن الله اختارهم وحدهم شعباً له ، ومنحهم السلطة المطلقة على كل الأرض . فكيف نستطيع أن نعيش مع شعب يعتقد هذا الاعتقاد في نفسه

ويعتقد أن الشعوب الأخرى بهائم لا حقوق لها ولا حياة .

فى البنـد العاشر من نفس الميثاق الخامس نرى حيلتهم الشيطانية فى القبض على زمام الرأى العام ، وهو كما لا يخفى أقوى قوة اجتماعية وهو يقول : « لكى نقبض على الرأى العام يجب أن نضع الجمهور فى موضع الحيرة والارتباك بأن نبذر فيه آراء متناقضة فى كل ناحية مدة طويلة حتى تتضعضع عقول الجوييم وتتيه فى معارج الضـلال إلى أن يروا أن الأفضل ألا يكوّنوا لأنفسهم رأياً سياسياً . ولا يستقروا على رأى فى أية سياسة يفهمها الجمهور ، بل لا يفهمها إلا القادة الذين يقودون الشعوب ويرون أنفسهم متناقضين فيها . هذا هو السر الأول فى قيادة الشعوب فى بيداء الجهل » .

فى البند ١١ « السر الثانى المطلوب لنجاح حكومتنا يشتمل على ما يأتى : الإكثار من الخيبات الأهلية ، وانتشار العادات السيئة ، وتعقد ظروف الحياة المدنية بحيث يستحيل على أى واحد أن يعرف أين هو من الصواب فى هذه الفوضى حتى يصبح الواحد منهم لا يفهم الآخر . هذه الحالة المربكة تخدمنا فى ناحية أخرى ، تزرع الشقاق فى جميع الهيئات والأحزاب ، وتبدد القوى المتجمعة من مواضعها ، وتخضع القوى التى لا تزال ممتنعة عن الخضوع لنا ، وتثبط عزيمة أى شخص فى مقدرته أن يعرقل مساعينا . لا شىء أخطر لنا من الأشخاص المفكرين المبتكرين العباقرة . فإذا كان وراء أى مشروع نابغة من النوابغ يستطيع أن يخرب أو يعمر أكثر مما يستطيعه ملايين من الناس الذين زرعنا بينهم الشقاق . لذلك يجب أن نوجه ثقافة الجوييم بحيث أنهم إذا وقعوا على أمر يحتاج إلى ابتكار أو تفكير يسقط فى أيديهم ويرتدوا مخفقين ... إن المجهود الذى ينتج من حرية العمل يستنفد القوى إذا اصطدم بحرية أخرى . وبهذا الاصطدام تنشأ صدمة أدبية خطيرة تفضى إلى الإخفاق . بهذه الوسائل يمكننا أن نحبط قوى الجوييم حتى يضطروا إلى تقديم قوة دولية لأجل أمن العالم فتبتلع تدريجياً جميع قوات دول العالم من غير عناء وتؤلف حكومة عليا تسيطر على العالم ، وإذ نكون نحن اليد العاملة فيها بتمهيداتنا السابقة نقيم مكان حكام اليوم إدارة حكومتنا العليا ونسيطر على العالم . هذه الإدارة العليا تمد أيديها إلى جميع الجهات وتقبض على أزمة جميع السلطات وحينئذ تعجز أية قوة من الجوييم أن تقف فى سبيلها » .

هكذا قد وضع حكماء الصهيونية برنامج مساعيهم إلى اعتلاء عرش السلطة العالمية العليا . وجميع حركات الصهيونيين الآن وقبل الآن تدل على أنهم نشطون فى هذا السبيل ، وأن الهدف لم يعد بعيداً عنهم كثيراً . فهاهم يشتغلون فى صهيون فلسطين ، وروسيا تعضدهم من وراء الستار . فإذا لم يصد العالم كله الصهيونية والشيوعية جميعاً فقد يصيبون الهدف ويكون ذلك بفضل بلاهة بعض الساسة مثل ترومان وأمثاله .

ترقب يا عزيزنا حسن المقال القادم عن برنامج الصهيونيين فى ميدان العمل ورأس المـال . وثم لا تعود تلومنى إذا فتحت عينيك وأمثالك لمكايد الصهيونيين .

نقولا الحداد

لا، لا نملك تحريم تعدد الزوجات

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

لم أكد ألمح بين مواد فهرس الرسالة الصادرة فى ٥ إبريل الجارى هذا العنوان « نعم نملك تحريم تعدد الزوجات » حتى ساءلت نفسى : ترى من هذا الذى تطوع للدفاع عن قضية بينة الخسران ؟ وما إن رأيت العنوان مقرونا باسم صديقنا فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى حتى زاد إشفاقى على المدافع وخشيت عليه مغبة الأمر .

لكن سرعان ما تبددت مخاوفى حين طالعت المقال فوضح لى أن العنوان لا يترجم له . ويخيل إلى أن الأستاذ قد أغرى بمعارضة عنوان مقالاتنا المنشورة بمجلتى « المجتمع الجديد »(١) « والرسالة »(٢) تحت عنوان «هل نملك تحريم تعدد الزوجات» فاوقعه ذلك — دون ماقصد — فيما ظنه مأخذاً علينا من عدم المطابقة بين العنوان والمقال . فالأستاذ يقرنا على أن الشرع قد أباح تعدد الزوجات إلى أربع ولم يحرمه بأى نوع من أنواع التحريم ، ويؤيدنا فى انكارنا على معالى عبد العزيز فهمى باشا — أسبغ الله عليه ثوب العافية — ماذهب إليه من القول بأن الشرع يحرم ذلك ، وما ارتكبه دفاعاً عن هذا القول من « تعسف لم يقع نظيره من مسلم» بتأويله آى القرآن بما لا تحتمله ورده السنن الواردة بالاباحة وتسفيهه الاجماع المنعقد عليها قولا وعملا فى جميع العصور ... الخ ... لكنه (الأستاذ الصعيدى) يرى — مع ذلك — أننا « نملك تحريم تعدد الزوجات ، ولكن بطريق ما كان يصح أن يخفى على حضرة صاحب المعالى العالم العلامة عبد العزيز فهمى باشا ... » ولم يبين لنا هذا الطريق صراحة وإن كان قد أشار إليه بما يفهم منه أنه طريق التشريع الوضعى القائم على استعمال ولى الأمر ماله من سلطان على عماله قضاة كانوا أو مأذونين بمنعهم من تحرير وثائق رسمية لعقود الزواج المتضمنة للتعدد أو سماع الدعاوى المترتبة على هذه العقود .

فإن كان هذا ماعناه — ولا يمكن أن يكون قد عنى سواه — فقد أخطأ القصد إلى التحريم ، وإلى حقيقة هدف الباشا وما خفى ومالم يخف على معاليه . ذلك أن الطريق الذى أشار إليه قد لجأ إليه الشارع المصرى حقيقة فى نظائر لتعدد الزوجات تحقيقاً لمقاصده الاصلاحية بما يناسب تطور الزمن وتغير الأوضاع . ومن هذه النظائر مسائل إثبات النسب ، والنفقة ، والعدة ، وتحديد سن الزواج الذى أشار إليه الأستاذ ، لكن هذا الشارع لم يتناول هذه الأمور بتحريم قط ، وما كان له أن يفعل، إذ الحل والحرمة حكمان دينيان ، والحاكم هوالله وحده جل شأنه ، وإنما سلك الشارع المصرى طريقاً سلبياً لا علاقة له بحل ولا حرمة ، وهو كما قدمنا — طريق منع القضاة والمأذونين من سماع بعض الدعاوى وتحرير بعض الوثائق الخاصة بهذه الأمور . فلا ينبنى على ذلك أن ينقلب الحرام منها حلالا أو الحلال حراماً حتى يصح القول بأننا « نملك التحريم» وكل ما هنا لك أنه عطل من الآثار المترتبة على هذه الأمور ما يستلزم الوصول إليه قضاء القاضى أو تحرير الوثيقة وترك الناس بعد ذلك أحراراً يتزاوجون ويقر بعضهم لبعض بالنسب ويؤدون لزوجاتهم ما عليهم لهن من نفقات غير مقيدين فى ذلك إلا بأحكام الدين . ويعتبر صحيحا كل ما ينشئون بينهم من علاقات على هذا النحو ، وتترتب عليه جميع الآثار الشرعية عدا ما ذكرنا من الآثار المعطلة . فلو طلق مسلم مصرى زوجته ثم ولدت بعد الطلاق لأكثر من سنة ولم ينكر المطلق الولد ثبت نسبه منه شرعاً ، وترتبت للولد والوالد كافة الحقوق من نفقة وحضانة وولاية وتوارث وغيرها . ولو تزوج من يقل سنه عن ثمانى عشرة سنة بمن يقل سنها عن ست عشرة سنة فزواجهما صحيح شرعا تترتب عليه كافة الآثار الشرعية عدا المعطل منها . وكذلك الحال فى باقى الأمور التى سلك فيها الشارع هذا الطريق السلبى .

بل إن العلاقات التى تنشأ من هذا القبيل فى حدود الأوضاع الدينية صحيحة قانونا أيضاً وتترتب عليها كافة الآثار عدا ما نص على تعطيله . ومن ذلك أن مواقعة الزوج لزوجته التى يقل سنها عن ست عشرة سنة لا تعتبر جريمة ، فلو لم يكن هذا الزواج

---

(١) العدد ٣ .

(٢) الأعداد من ٧٦٤ إلى ٧٦٨ من السنة السادسة عشرة .

صحيحاً قانوناً لا عتبرت جريمة هتك عرض ولا نطبق على الزوج حكم المادة ٢٦٩ من قانون العقوبات — ومن ذلك أيضاً أن محكمة النقض والابرام قد أصدرت فى ٢٩ نوفبر سنة ١٩٣٠ برياسة معالى عبد العزيز فهمى باشا نفسه حكمها المشهور بعدم اعتبار ذكر الشهود سناً غير حقيقية لأحد الزوجين فى وثيقة العقد مع علمهم بسنه الحقيقية ، جناية تزوير بناء على أن واقعة السن ليست من الأركان الأساسية فى عقد الزواج لأنه يصح وينفذ وتترتب عليه أثاره الشرعية بدونها .

ولهذه الاعتبارات المتقدمة نرى الشارع المصرى يعبر عما تناوله من هذه الأمور بتعبير يتفق وحقيقة ما قصد إليه من معنى سلبى لا يتعرض فيه لحل ولا حرمة ، فيقول مثلا « لا تسمع الدعوى لنفقة عدة لمدة تزيد عن سنة من تاريخ الطلاق ، كما أنه لا تسمع عند الإنكار دعوى الأرث بسبب الزوجية لمطلقة توفى عنها زوجها بعد سنة من تاريخ الطلاق » (المادة ١٧ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩) بخلاف الأحكام التى أوردها متفقة وأحكام الشريعة ولو فى بعض المذاهب فقط ، كقوله « لا يقع طلاق السكران والمكره » (المادة ١ من المرسوم بقانون سالف الذكر) .

على أن سلوك المشرع المصرى لهذا الطريق السلبى مبنى على قاعدة شرعية مقررة وهى « تخصيص القضاء بالمكان والزمان والحادثة » إلا أن تطبيق هذه القاعدة فى مصر محل نظر ليس هنا مجال التبسط فيه . وحسبى أن أجتزىء ببيان أن المقصود بهذه القاعدة وما يتفق مع ماحدث من تطبيقها فى جميع عصور الإسلام المتقدمة ، هو تخويل ولى الأمر ، بما له من الولاية القضائية الملمة ، الحق فى تنظيم هذه الولاية بين قضاته بما يتفق والصالح العام ومصلحة المتقاضين وحال القضاة من أن بعضهم أكثر صلاحية للحكم فى بلد دون آخر ، وفى زمان معين دون زمان آخر ، وفى بعض الدعاوى دون بعض . وليس المقصود بهذه القاعدة حرمان المتقاضين من التمتع بالآثار المترتبة على ما أحله الشرع ، وإلا كان فى ذلك تعطيل لبعض أحكامه الخاصة بترتب الآثار المتقدمة على تصرفات أجازها مما لا يدخل فى نطاق هذه القاعدة ولا يمكن أن يكون مقصوداً بها . ولذا قرر جميع من تعرضوا لبيان هذه القاعدة من أمثال ابن فرجون فى تذكرته والماوردى فى أحكامه السلطانية أنه إذا كف ولى الأمر جميع قضاته عن سماع الدعوى بناء على هذه القاعدة ، وجب عليه أن يسمعها بنفسه كيلا تتعطل بعض أحكام الشرع ، فليرجع إلى ذلك من شاء .

ومما تقدم يتبين بجلاء للاستاذ عبد المتعال أن الطريق السلبى الذى أشار إليه ليس طريقاً للتحريم بحال فى وضعه الحالى ، بل ولا يجوز (شرعاً) أن يترتب عليه تعطيل لبعض الأحكام المترتبة على تصرفات شرعية صحيحة ؛ ولذلك لم يقل به معالى عبد العزيز فهمى باشا فى مسألة تعدد الزوجات ، وما كان هذا الطريق ليخفى على مثل معاليه ، ولكنه أراد شيئاً ، مغايراً لما عناه الأستاذ ، أراد « تقرير » التحريم بقانون على أنه حكم الشرع كما فهمه معاليه من النصوص القرآنية ، لا « إنشاء » حكم جديد

فعنوان مقالاتى فى الرد على معاليه يطابق موضوع النزاع بينى وبينه تمام المطابقة .

إبراهيم زكى الدين بدوى

من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد
المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون

مجلس الشورى لابليس

لشاعر الهند المرحوم الدكتور محمد إقبال

بمناسبة أسبوعه الذي سيقام في (لاهور) آخر هذا الشهر احتفالا بذكراه

ترجمة الدكتور السيد محمد يوسف

كلمة المترجم

لا يزال العالم مسرحاً للنزاع بين الحق والباطل . ولئن كانت كفة الحق رجحت في فترات من التاريخ ولا سيما إبان ظهور الإسلام ففي عصرنا هذا نرى الدنيا كلها تعانى نظاماً إبليسياً يقوم على أساس استعباد الإنسان للانسان . ومما يدعم هذا النظام أن الدين لم يعد يلعب دوراً إيجابيا في الحياة البشرية مع أنه بقى منه عناصر شتى في صورة مشوهة ممسوخة تعمل عمل الأفيون في تنويم الطبقات المهضومة الحقوق ، مثـل الاعتقاد بقضاء الله وقدره ، ولـكن أصبح من المقرر أخيراً أن الإنسانية متبرمة من هذا النظام وربما ظهرت هناك تيارات في الفـكر واتجاهات في العمل تدل على أن الإنسان قد بدأ يتفقد نوع النظام الذي يكفل له ما يعوزه تحت النظام الحاضر ، فتارة نسمع الأصوات تعـلو مدوية بـ« الحـكم للأمة »وتارة أخرى نرى الناس يعجبون بتعاليم ماركس ، ويهرعون إلى مبادئ الشيوعية التي كانت الفاشستية تمد قوتها لمناوأتها والقضاء عليها حين نظم الدكتور إقبال أبياته المترجمة فيما بعد في سنة ١٩٣٦ — نعم نلاحظ جميع هذه التيارات المتضاربة فيخيل إلينا أن النظـام الإبليسي قد صار على وشك الانهيار وأن فجر السـعادة سينبلج عن قريب . ولا غرو إذا استدعى هذا الحال عقد جلسة هامة لمجلس الشورى لإبليس يوم كانت بوادر الحرب الماضية قد لاحت في الأفق لـكل ذي بصيرة وخبرة . وهاهوذا الشاعر يطلعنا على ما جرى في تلك الجلسة بين إبليس ومستشاريه . والآن بعد أن اشتعلت الحرب العالمية ثم وضعت أوزارها ، وفرغت الشـعوب المختلفة من وضع القائمة لربحها وخسارتها — الآن نحن في موقف يسهل علينا فيه أن نحـكم على حسن تدبير إبليس أو بعبارة أخرى صـدق تنبؤ الدكتور إقبال وبعد نظره فيما صرح به من أن جميع الحركات الإصلاحية ليست في الحقيقة إلا أجزاء من خطة واحدة مدبرة من تلقاء إبليس الذي لا يهدد سلطانه إلا الإسلام .

أما الإسلام فإنه وإن كان خطراً عظيما بالقوة لـكنه ليس بخطر بالفعل ؛ لأن المسلم قد فقد الإيمان برسالته والثقة بنفسه ؛ فاعتزل معترك الحياة وتنازل عن الدنيا وما فيها فلا يهمه مصير الإنسانية وأوضاع العالم إذا هو شغل فـكره في الترف العلمي المفسد لقوة العمل مثل الإلهيات والـكلام؛ وإذن فليس على إبليس للاحتفاظ بسيادته على الأرض إلا أن يستمر في صرف نظر المسلم — عدوه الوحيد — عن الحياة والجهاد في سبيلها .

ولـكن مهما يكن الحال باعثا على الاطمئنان من ناحية المسلم فالخطر لا يزال متمثلا أمام إبليس في طبيعة الإسلام وجوهره ؛ لأن الإسـلام ينطوى على استنـكار الاستعباد بجميع أنواعه وتزكية الثروة وجعلها أمانة في يد المنعمين . وهاتان الناحيتان — السياسية والاقتصادية — هما اللتان تهمان الإنسانية في الوقت الحاضر . فلو اهتدت بمقتضى الظروف إلى اكتشاف مبادئ الإسلام -- الملك لله والأرض لله — لفسـد الأمر على إبليس . فلذلك نراه يسهر على حجب هـذا الطريق المستقيم عن أنظار الجمهور المتلمسين طريقهم في الظلام ليبقوا حيارى متطرفين تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال .

ومما يجب التنبيه إليه أن رسالة إقبال — رسالة الجد والعمل المنتجين — هي تسخير الأسباب المادية والسيطرة التامة على الأحوال والنظم الاجتماعية دون الخضوع لها ؛ فهو دائماً شديد الاغتباط بمظاهر الحركة والنشاط حتى في حياة إبليس ولا يملك الاستهزاء بالركود والجمـود في الملائـكة المشتغلين بالتسبيح والتقديس فقط كأنه يريد التأكيد بأن الفضل كل الفضل في المغامرة والمخاطرة لا في الانحياز وسلامة النفس . وهذا أسلوب مطرد للدكتور إقبال في معالجتـه لشخصيات موسوليني ولينين وماركس ؛ فإنه ينوه بحيويتهم دون أن يتقيد ببرامجهم . وسنرى هذا الأسلوب يتجلى أمامنا بصورة بارزة في هذه الأبيات المترجمة

السنة سنة ١٩٣٦ م

إبليس — هذه الدنيا لعبة العناصر من قدم ، تقطعت آمال سكان العرش الأعظم حسرات عليها ، قد أزمع الآن على خرابها ذلك المصرف للامور الذى سماها عالم الكاف والنون[1] أما أنا فقد أريت الأفرنج حلم الملوكية وأبطلت سحر المسجد والدير والكنيسة ، وإنى لقنت المعدمين درس القدر ؛ وألهمت المنعمين جنون الرأسمالية . أفيطيق أحد إطفاء النار المستعرة فيما تستند وقائعها إلى لوعة فى قلب إبليس ؟ وهل يطيق أحد قلع تلك النخلة التى تمتد أغصانها بتربيتنا نحن ؟

المستشار الأول — لا شك أن هذا النظام الإبليسى محكم ، إذ تأصل من جرائه العوام فى طريق الاستعباد . هؤلاء المساكين قد قدر عليهم السجود من الأزل حتى أصبحت الصلاة بدون القيام[2] من مقتضيات فطرتهم ، لا يمكن أبداً أن يتولد فيهم أمل . ولئن ولد أحياناً فلا بد من أن يموت أو يبقى فجا ناقصاً . إن من معجزات سعينا المتواصل أن أصبح المتصوفون وأئمة الدين كلهم من عباد الفردية وإنما كان هذا الأفيون يوافق طبع الشرق ، وإلا فعلم « الكلام » لا يقل شيئاً عن مزامير القوال . ولو بقى الاحتفال بالطواف والحج فما الذى يهمنا من أمره ؟ إذ أن سيف المؤمن المسلول قد فُل ، وعلى قنوط مَن يدل هذا الفرمان الجديد أى قولهم أن الجهاد محرم على المسلم فى هذا العصر ؟

المستشار الثانى — أخير هذا الضجيج بشأن « الحكم للجمهور » أم شر ؟ عجباً إذ لست مطلعاً على الفتن الناشئة فى الدنيا

المستشار الأول — إنى على علم ، ولكن خبرتى بالدنيا ترشدنى إلى أنه لا داعى للخطر أبداً من ناحية ما هو قناع للملوكية ليس إلا . نحن بأنفسنا خلعنا على الملوكية زى الجمهورية إذا تنبه ابن آدم قليلا إلى عرفان نفسه وتقدير ذاته . إن أمر الملكية يمتاز بماهيته الخاصة بحيث لا يقتصر أبداً على وجود « الأمير والسلطان » سواء أكان هنالك مجلس الملة أم أركان دولة أبرويز ، « السلطان »

عبارة عن كل من يطمح ببصره إلى زرع غيره . أو لم تر إلى النظام الجمهورى فى الغرب ؟ الظاهر مشرق ، أما الباطن فهو أظلم من جنكيز !

المستشار الثالث — كلما بقيت روح الفردية فلا داعى إلى الاضطراب . ولكن كيف تتسنى المعارضة لفتنة ذلك اليهودى الذى هو الكليم ؟ إلا أنه ينقصه التجلى وهو المسيح ؛ بيد أنه ليس معه صليب . ما هو نبى ولكنه متأبط كتاباً . يعوزنى التعبير عن نظرة ذلك الكافر الهتاك للأستار كأنما هى القيامة لاقوام الشرق والغرب . وهل يكون هناك أشنع من فساد الطبع هذا ؟ أعنى أن الارقاء قوضوا أطناب خيام مواليهم .

المستشار الرابع — انظر تر معارضة تلك الفتنة فى إيوان رومة الكبرى ؛ فإنا نحن قد جعلنا آل قيصر يحلمون بحلم قيصر مرة ثانية . من الذى يلتف بأمواج بحر الروم ، يعلو تارة مثل الصنوبر ، ويزمجر تارة أخرى مثل الرباب ؟

المستشار الثالث — أنا لا أسلم بالتبصر فى المواقب لمن فضح سياسة الإنجليز بمثل هذا الطريق .

المستشار الخامس — (مخاطباً إبليس) : يا من بحرارة أنفاسه يقوم أمر العالم ! كلما شئت أنت هتكت أية خبيئة . بفضل حرارتك يتحول « الماء والطين » إلى عالم الحرقة والزمجرة ؛ كما أنه بإرشادك يصبح أبله الجنة بصيراً بالأمور . إن الذى يعرف بين العباد الساذجين باسم « الرب » لا يبزك أبداً فى الخبرة بفطرة آدم . إن الذين يشتغلون بالتسبيح والتقديس والطواف لا غير ، لا يزالون خجلين ناكسى الرءوس أمام غيرتك . لئن كان جميع السحرة الإنجليز لا يزالون مطيعين لإرشادك على الرغم من ذلك ، فإنى فقدت الثقة بفراستهم . ذلك اليهودى الفاتن الذى برزت فيه روح مزدك قد أوشك أن يتمزق كل رداء من جراء جنونه . وقد أصبح الزاغ الصحراوى مساوياً للشاهين والصقر . ما أسرع طبيعة الدهر تبدلاً ! تلك التى ظنناها قبضة من الغبار قد تبعثرت وحجبت الأفلاك ، وبلغ الذعر من الفتنة المنتظرة بالغد إلى أن ارتعدت منه الجبال والمروج وضفاف الأنهار . يا مولاى إن العالم الذى يعول على سيادتك فقط ، ذلك العالم على وشك الانقلاب

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : (كن) فيكون

(٢) يؤكد الدكتور إقبال أن الخضوع لله يستلزم الاستعلاء وعدم الخوف بالنسبة إلى كل ما سواه والقيام فى الصلوة كأنه رمز للاستقلال والثبات فى وجه غير الله كما أن الأركان الأخرى ولا سيما السجود تعبير عن التسليم لله —

إبليس — (يخاطب مستشاريه) : إن عالم اللون والرائحة بما فيه من الأرض والشمس والقمر والسماء طبقاً على طبق ، إنما هو طوع بنانى . وسيشهد الشرق والغرب بعينيهما ما يعجبهما إذا ما أحميت أنا دم أقوام أوربا . إنما تكفى صرخة واحدة منى لحل كل إمام من أئمة السياسة وشيوخ الكنيسة على الفلواء . ولو كان أحد من السفهاء يرى أن الثقافة الحاضرة من صنع الزجاج فليجرب بنفسه كسر أدواتها من الكأس والكوب . إن الجيوب التى مزقتها يد الفطرة لا يمكن أبداً أن ترفأ بإبرة المنطق المزدكى . أنى يمكن أن يهولنى هؤلاء الشيوعيون المترددون إلى الأزقة قلق الأحوال موزعى الفكر مختلطى الأصوات ؟ ولكن لو كنت أشعر بخطر فهو من جهة تلك الأمة التى ما تزال شرارة الأمل مخبأة تحت رمادها . لا يزال يوجد بين هؤلاء القوم عدد قليل من الظالمين الذين يتوضأون بالدموع بالابكار . كل مطلع على بواطن الأيام يتأكد من أن فتنة الغد هى الإسلام لا المزدكية .

— ٢ —

أنا أعرف أن هذه الأمة لم تبق حاملة للقرآن ، وأن الرأسمالية هى بعينها أصبحت ديناً للعبد المؤمن . ولا يغيب عنى أن أكام شيوخ الحرم خلو من اليد البيضاء للاضاءة فى ليل الشرق البهيم . ولكنى أخاف من مقتضيات هذا العصر أن تؤدى إلى تبيان الشريعة النبوية . وحذار ثم حذار من الدستور النبوى فانه حافظ لناموس المرأة ، ومبتلى المرء ومكونه . إنما هو إنذار بالموت لجميع أنواع الاستعباد حتى لا يبقى بعده لا الفغفور أو الخاقان ولا المسكين المرابط بالطريق . هو يطهر الثروة ويزكيها من كل رجس ، ويجعل المنعمين أمناء على المال والثروة . وهل يكون انقلاب فى الفكر والعمل فوق هذا : « الأرض لله لا للملوك » يا حبذا لو بقى دستور كهذا مخبأ عن عيون العالم . ومن المغانم أن المؤمن نفسه يعدم اليقين (١) والخير فى أن يبقى هو مشتبكا فى الإلهيات مشغولا فى أوجه تأويل كتاب الله .

— ٣ —

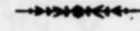
لا أضاء الليل المظلم للمتقى الذى تبطل تكبيراته طلسم الجهات الستة ! هل مات ابن مريم أم هو حى خالد ؟ هل صفات ذات الحق هى عين الذات أو منفصلة عنها ؟ هل المقصود من « الموعود » هو المسيح الناصرى أو المجدد المتصف بصفات ابن مريم ؟ هل ألفاظ كلام الله قديمة أو حادثة ؟ بأية عقيدة تنحصر نجاة الأمة المرحومة ؟ هذه المجموعة من اللات ومناة من صنع الإلهيات . أولا تكفى هى اشغل المسلم فى هذا العصر ؟ عليكم أن تجنبوه عالم العمل حتى تفشل كل خطة له فى ميدان الحياة . الخير كله فى أن يبقى المؤمن مستعبداً إلى يوم القيامة ، متنازلا لمصلحة الآخرين عن هذا العالم الذى لا ثبات له . إنما يليق به الشعر والتصوف اللذان يحجبان عن نظره مسرح الحياة . أنا لا أزال متخوفاً كل لحظة من يقظة هذه الأمة التى تنطوى حقيقة دينها على احتساب الكائنات . عليكم أن تشغلوه عن نفسه بالذكر والفكر وأن تحصروه فى المزاج الخانقاهى (أى الرهبانية)

السيد محمد يوسف الهندى

(١) يعنى الإيمان القوى بحيث لا يتطرق إليه شك وهو المحرك للعمل

ظواهر فى حياتنا الأدبية ...!

للأستاذ أنور المعداوى



فى حياتنا الأدبية ظواهر تستوقف النظر، وتغرى بالبحث، وتدعو إلى التأمل والمراجعة. وتستطيع أن تسمى كل ظاهرة من هذه الظواهر مشكلة؛ لأنها فى حقيقتها مشكلة تتعدد فيها الجوانب، وتتشعب الزوايا، وتبقى بعد ذلك فى انتظار العلاج! ولك أن تضع مشكلة النقد الأدبى فى مقدمة المشكلات التى تعانيها الحياة الأدبية عندنا فى هذه الأيام؛ فالنقد الأدبى فى مصر هو « نقد الأغمار » كما سماه الأستاذ العقاد وأصاب فى التسمية.

ولقد تناول الأستاذ العقاد هذه المشكلة فى معرض حديثه عن أحد الكتب التى ظهرت حديثاً حول فتنة عثمان، تناولها من زاوية الإشارة ولفت الأنظار، لا من زاوية النفاذ إلى مكامن العلل والأسباب، ومن هنا كانت اللفتة العابرة فى حديثه أشبه بلقطة « الكاميرا » السريعة التى تجيد اختيار الزاوية عند التقاط الصورة... أما أنا فأحب أن ألتقط الصورة من زواياها المتعددة لأستطيع أن أعرض للمشكلة لوحة لا تنقصها وفرة « الرتوش » !

أول زاوية يمكن أن ننظر منها إلى المشكلة هي أن أكثر الذين يتولون صناعة النقد لا يصلحون لها؛ فبعضهم تنقصه الثقافة الرفيعة فهو من أنصاف المثقفين، وبعضهم تنقصه التجربة الكاملة فهو من المبتدئين، وبعضهم ينقصه الذوق الرهف فهو من ضعاف الملكة وقاصرى الأداة! هذه الأركان الثلاثة من أركان النقد الأدبى نضعها مجتمعة فى كفة، لنضع فى الكفة الأخرى ذلك الركن الخطير الرابع ونعنى به الضمير الأدبى ... وهو وحده مشكلة المشكلات! وماذا تجدى الثقافة، وماذا تجدى التجربة، وماذا يجدى الذوق، إذا كان الضمير الأدبى لا وجود له؟ لا شىء يجدى على الإطلاق؛ لأن الضمير يوجه الثقافة فلا تجور، ويهدى التجربة فلا تضل، ويرشد الذوق فلا ينحرف ... وماذا نفعل وأصحاب الضمير الأدبى فى مصر هم فئة من ذوى الأهواء والأغراض، يسيرون فى ركاب هذا وذاك، يصفقون وليس هناك ما يدعو إلى التصفيق، ويهتفون وليس هناك ما يدعو إلى الهتاف؟! الضمير الأدبى فى مصر هو مشكلة المشكلات. وأعجب العجب أن الذين يتولون صناعة النقد فى هذه الأيام لا يشعرون بأنهم معرضون لميزان الناقدين، وأنهم حين يظفرون بثناء بعض الناس يفقدون احترام الآخرين ... إنهم لا يشعرون بشىء من هذا لأنهم أغمار، ولأنهم أصحاب أهواء وأغراض!

النقد الأدبى فى مصر تنقصه هذه الدعائم الأربع مجتمعة: الثقافة، والذوق، والتجربة، والضمير ... وأقول مجتمعة لأن هناك المثقف المحروم من الذوق، فهو قد يوفق حين يقدم إليك نظرية فى النقد الأدبى؛ ولكنه يخفق إذا ما وصل إلى مرحلة التمثيل والتطبيق؛ ذلك لأن موهبة الذوق الفنى عنده لم تنضج كل النضوج، والنقد فى أصدق صوره وأكملها لا يقوم إلا على التوفيق بين القاعدة والمثال ... وهناك المثقف الذى لم يمد ثقافته بروافد من التجربة الكاملة، ونعنى بها معالجة الكتابة فى النقد الأدبى على هدى الإحاطة التامة بأصوله ومناهجه ... وهناك المثقف الذى تجتمع له الثقافة والذوق والتجربة ولكنه يتخلى عن ضميره لقاء غرض من الأغراض!

هذه هى بعض الزوايا التى ننظر منها إلى من يتولون صناعة النقد فى هذه الأيام، وتبقى بعد ذلك زاوية لا تقل عن سابقاتها خطورة، وهى أن هؤلاء الناس تنقصهم صفة التخصص؛ فبعضهم يتحدث عن القصة وهو لا يعرف شيئاً فى فن القصة، وعن المسرحية وهو لا يدرك على أى الدعائم يجب أن يقوم البناء الفنى للمسرحية، وعن التاريخ الأدبى وهو لا يستطيع أن يفرق بينه وبين غيره من ألوان الدراسة الأدبية، وعن الشعر وهو محروم من نعمة الشعور! ومما يبعث على الأسى والأسف أن بعض الأدباء ممن كانوا يحذقون صناعة النقد قد انصرفوا عنها إلى الكتابة فى الصحف اليومية جرياً وراء المادة، غير مبالين بالفراغ الذى تحسه المكتبة العربية فى هذا المجال منذ سنين!

ونترك النقد الأدبى لنتحدث عن مشكلة أخرى هى مشكلة القصة المصرية الحديثة ... وأول شىء نقرره هو أن القصة عندنا لا تزال تخطو فتتعثر، سواء فى ذلك القصة الطويلة أو القصيرة

التحليلية أو الموضوعية ، التاريخية أو الذاتية ، ومرجع هذا إلى أن كتابنا القصصيين لا يسيرون على القاعدة التي وضعها مارك سوان حين قال : « يجب أن يكون للقصة تصميم فنى كذلك الذى يضعه المهندس المعارى للبناء ؛ أو كتلك المذكرات التى يعدها المحامى قبل مباشرة إحدى قضاياه » .. القصة عندنا ينقصها التصميم الفنى ؛ ينقصها كيف تبدأ ، وكيف تسير ، وكيف تنتهى ؛ دون أن يكون هناك شذوذ أو اضطراب فى هذه المراحل الثلاث ! وكتاب القصة عندنا ينقصهم الفهم الصادق لأصول الفن القصصى فى كثير من الأحيان ؛ فمنهم من يعتقد أن الواقعية فى القصة مثلا هى أن ينقل عن الواقع ، المادى المحس ، نقلا يتركز فى لفظ أو يتمثل فى عبارة ! الواقعية هى أن تنقل الحياة إلى الورق — لا كما كانت — ولكن كما يمكن أن تكون ... الواقعية هى أن تسير الحادثة مع مجرى الحياة ... الواقعية هى الصدق فى التعبير بحيث لا يطغى الخيال على الواقع ، ولا يجور الفن على الطبيعة . الواقعية بمعنى آخر هى الدقة فى تصوير انعكاس الحياة على حواس الفنان . فأين كتاب القصة المصرية من هـذه المعانى ؟! إنهم لا يفرقون فى كثير من الأحيان بين أصول القصة التحليلية والموضوعية ، ومن هنا تجدهم يحفلون فى كل قصة من هذا اللون أو ذاك بالنهاية المفتعلة والعقدة المنافية لمجرى الحياة ، ليحدثوا شيئاً من المفاجأة يثيرون به إعجاب القارئ ، ولو كانت تلك المفاجأة على حساب الفن ... مع أن القصة التحليلية حين تبلغ غايتها من تشريح العواطف والأهواء ، لا تكون محتاجة فى الغالب إلى المفاجآت ؛ لأن هدفها الأول هو وضع العواطف الإنسانية تحت مجهر التحليل النفسى !

وتلمس إلى جانب ما ذكرت بعض الظواهر الأخرى التى لا تزال تترك أثرها العميق فى بناء القصة المصرية ، تلمس الحوار المصنوع ، لأن كتابنا القصصيين يتخيلون أن فن الحوار يتمثل فى اللفظ الأنيق ، والمعنى الرشيق ، والعبارة الموشاة ، دون أن يرجعوا إلى الحياة ليروا إن كانت تطيق هذا كله أو لا تطيقه . الفن فى الحوار ليس هو الصناعة اللفظية ، ولكنه إنطاق الشخوص بما يمكن أن تنطقها به الحياة ، فلا يتحدث أحد الخدم مثلا كما يتحدث سارتر أو كسير كجورد ، ولا ينطق أحد الجهلاء كما ينطق بيكون أو ديكارت ! وننظر فنجد أكثرهم يحركون فى قصصهم شخوصاً من صنع المخيلة لا من صنع الحياة ؛ مخيلتهم هى التى ترتب المنظر ، وتحرك الشخوص ، وتصنع الحوار ، فتكون النتيجة زيفاً فى العمل الفنى يبعد القارئ عن جو الواقعية الذى تنشده كل قصة يرجى لها البقاء ؟ وتبحث عن تصوير الجو الشرقى والروح المصرية فلا تقع عليه فى كثير مما أخرجه كتاب القصة فى السنين الأخيرة . وهذا راجع إلى السطو على الفكرة فى القصة الغربية ونقلها بمهارة إلى القصة المصرية كما يفعل الأستاذ توفيق الحكيم ، تماماً كما تأتى بفنانية من غانيات باريس فتنزع عنها آخر ما ابتكرته محال الأزياء الباريسية ثم تلبسها « الملاءة اللف ! » قد تكون أجمل ، وقد تكون أكثر فتنة ، ولكنها تتعثر فى مشيتها ولا تستطيع أن تواصل السير . وكيف تستطيع وهذا اللباس الغريب يحد من حرية الجسم ورشاقة الحركة ؟!

وكثير من قصاصينا تنقصهم صفة الخروج إلى الحياة ... ومن هنا تفوح من قصصهم رائحة « الجدران المغلقة » ، وتنمى بها تلك الأركان المنزلة التى يقبعون فيها ليرسموا للحياة لوحة تستمد ظلالها وأضواءها وألوانها من جو المحال العامة والأندية الخاصة ... الفنان الحق هو من يخرج إلى الحياة ليستخدم كل حواسه فى تذوق معانيها ، وينقل كل ما يمكن أن يلهب الخيال فيها إلى لوحات من التصوير الفنى ، والفن — كما قلت غير مرة — ما لم يتصل بالحياة ، فهو جمود وجود وموت !

وإذا ما انتقلنا إلى المشكلة الثالثة وهى مشكلة المسرحية المصرية الحديثة فى أى لون من ألوانها سواء كان هذا اللون هو الدرامة أو الميلودرامة أو الكوميديا ، وجدنا أن خطوات العمل الفنى فيها أكثر تعثراً منه فى القصة ، ومرجع هذا أيضاً إلى أن من يعالجون كتابة المسرحية فى مصر أناس لا يلمون كل الإلمام بأصول الفن المسرحى . إن نجاح المسرحية يتوقف إلى حد بعيد على توفيق الكاتب فى اختيار الفكرة أولا ، ثم على تهيئة الجو المسرحى لفكرته تهيئة تعتمد أول ما تعتمد على بعث الحياة والحركة فى الحوار ، وفيما يعرض من نماذج بشرية يعتمد فى تحريكها عن جو الدمى وقطع الشطرنج ، وعلى عنصرى

من ظرفاء العصر العباسي :

٢ – أبو العينـــاء

١٩١ – ٢٨٣ ﻫ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

وما أستطيع — ولا أحسبك تستطيع — أن تكتم أعجابك بهذا الظريف وهو يدلك على مواطن الغنى من نفسه، ومواضع العزة في تصرفاته، إذ يوحى إليك أنه غض الطرف عن زهرة الحياة الدنيا، وكف البصر من متاعها القليل وعرضها الأدنى. فينشد مزهواً مرفوع الهامة :

الحمـــد لله ليس لى فرس ولا على باب منزلى حرس
ولا غـــلام إذا هتفت به بادر نحـــوى كأنه قبس
ابنى غـلامى وزوجتى أمَتى ملكنيها المِلاك والعرس
غنيت باليأس واعتصمت به عن كل فرد بوجهه عبس
فـــا يرانى ببـابه أبداً طلق المحيا سمح ولا شرس

إذن هو يحمد الله — الذى لا يحمد على مكروه سواه — على أنه لم يجعل له مالا ممدودا؛ فليس له خيل مسومة، وأفراس مطهمة، وليس له على الأبواب، حراس ولا حجاب؛ ولا له غلمان وجوار، كأنهم فى المبادرة نحوه شعلة من نار: وإنما غلامه الوحيد ابنه وفلذة كبده، وجاريته الفريدة هى زوجته التى دفع إلى أوليائها مهرها فملكها بعد وليمة عرسه... فحسبه اليأس مما فى أيدى الناس، فان فيه غنى النفس يعتصم به عن الذين يصعرون الخد، ويقطبون الجبين؛ بل ليأخذن ميثاق نفسه لما أفقرته هزاهز الدهر ثم قعدت به الأيام عن طلب الرزق ليمتزن بكرامته، فلا يقرع باب مخلوق متزلفاً متملقاً، ولا يسأل من الناس سمحاً ليناً لطيفاً، ولا شرساً قاسياً عنيفا، أعطوه أو منعوه!

يالها من مهارة!

أما وإن هذه المهارة عند أبى العيناء فى إبراز شخصيته هى التى أكسبته ثقة بنفسه لا تتزعزع، وأخافت كثيرين من التصدى لمعارضته، لأنه كان سريع الجواب حاضر البديهة لاذع النكتة؛ ما جابه إنساناً إلا غلبه، ولا ناقشه إلا أفحمه، ولا جادله إلا ظهر عليه.

ولا ريب أن اسماعه من الأصمعى وأبى عبيدة والانصارى والعتبى وأبى عاصم البنبيل الذين سبق أن ذكرنا أسماءهم فضلا كبيراً على فصاحته وبلاغته، ولسنه وظرفته؛ وعذوبة شعره وسهولة نثره، وحسن اختياره، فى رواية أخباره!

ولقد كانت حياة هذا الظريف حافلة بكل مدهش وغريب، فإذا كان قد عاصر قبل عماه المأمون والمعتصم والواثق، فأنه عاصر بعد عماه المتوكل الذى دام أربعة عشر عاماً فأمسى أبو العيناء فى السادس والخمسين، ثم عاصر ابنه المنتصر الذى دام ستة أشهر فأتم أبو العيناء السابع والخمسين، ثم المستعين الذى خلع بعد أن بقى أربعة أعوام فصار أبو العيناء فى الواحد والستين، ثم المعتز الذى خلع نفسه بعد ثلاثة أعوام فأصبح أبو العيناء فى الرابع والستين، ثم المهتدى الذى خلع بعد أقل من عام فأضحى أبو العيناء فى

التشويق والمفاجأة، وعلى التسلسل الفنى فى عرض الحوادث عرضاً لا تحس فيه انقطاع الصلة بين الفن والحياة. أما أساس العمل الفنى فى المسرحية فهو « الصراع »؛ الصراع النفسى والفكرى والفنى كما يقسمه واضع الدعامة الأولى للأدب المسرحى الحديث هنريك إبسن، وأما الصراع النفسى فهو ذلك الذى يكون بين ميول نفسية، والفكرى هو ذلك الذى يكون بين ميول ذهنية، والفنى هو ذلك الذى يتمثل فى عملية الحوار، من ناحية صدق الصلة بينه وبين كل شخصية تلعب دورها على المسرح. كل هذه الدعائم لا بد من توفرها ليتم البناء الفنى الكامل للمسرحية الناجحة، وقد نجد بعض هـذه الدعائم متوفراً فى المسرحية المصرية؛ ولكن مصدر إخفاقها هو خلوها فى كثير من الأحيان من عملية « الصراع » بأركانه الثلاثة مجتمعة، وبخاصة الصراع النفسى، فليس فيها منه إلا ومضات قليلة مبعثرة تشع هنا وهناك!

هذه هى الظواهر التى خرجت بها من دراستى لبعض جوانب حياتنا الأدبية فى السنين الأخيرة، وهى ظواهر تستطيع كما قلت لك أن تلمس فى كل منها مشكلة تتعدد فيها الجوانب، وتتشعب الزوايا، وتبقى بعد ذلك فى انتظار الملاح!

أنور المعداوى

الخامس والستين ، ثم المعتمد الذى ظل ثلاثةوعشرين عاماً فأشرف أبو العيناء على الثامن والثمانين ، ثم المفوض الذى خلع نفسه فى السنة ذاتها ، وأخيراً حضر ثلاث سنوات أو أربعاً من خلافة المعتضدتوفى على أثرها سنة اثنتين وثمانين ومائتين كما قال الدارقطنى، أو سنة ثلاث وثمانين ومائتين كما قال أبو جعفر بن أبى العيناء . ولا بأس إذا رجحنا رواية الابن فى هذا المقام . وهكذا فقد عاش أبو العيناء ثلاثة وتسعين عاماً ، أو قل إنه عاش قرناً إلا قليلا !

وما هذا بالعمر القصير ... فقد تقلبت فى حياة أبى العيناء عصور كثيرة فرأى فى خلالها ملوكا تعز وتذل ، وحكومات تحيا وتموت ، وأبطالا يسوقون الناس إلى الموت ثم يساقون إلى الموت، ورجالا أكبروا النظام فأسسوا وبنوا ، وجماعات استحبوا الفوضى فهدموا وحطموا : وكان لهذه المشاهد فى نفسه آثار كانت تتفاوت قوة وضعفاً ، وإيجاباً وسلباً ، وغموضاً ووضوحاً ، فتعلم الثقة بنفسه حـــين ألقى ثقته بالناس لاتنفعه ، ورأى بهجة الدنيا لاتستحق العناء لما قاسها بمصائبها التى تكدر صفوها ، فإذا هو يبكى على حرمانه ، ثم يزهد زهادة الفقير الضعيف ، ثم يتشكى إلى نفسه ، وينشد من صميم قلبه :

تولت بهـجة الدنيـــا   فـكل جـــديدها خلَق
وخان النـــاس كلهم   فـــا أدرى بمن أثق
رأيت معـالم الخـــيرا   ت سـدت دونها الطرق
فلا حســـب ولا أدب   ولا دين ولا خـلق !

وإن مجتمعاً خالياً من روح الثقة بين أفراده وجماعاته ، قد سدت الطرق دون معالم الخيرات فيه ، حتى أبطأ بالحسيب حسبه حين لم يسرع به عمله ، وجنى على الأديب أدبه حين كسدت بضاعته ، ولم يرفع المتدين دينه حين ضعفت مكانته ، ولم يعز الفاضل خلقه حين ضاعت كرامته — إن مجتمعاً هذه بعض أوصافه ليس بالمستقر الصالح ، ولا بالمثابة الآمنة .

لكن أبا العيناء — على سخريته بمجتمعه ، واستخفافه بأهل زمانه — قد أدرك الحقيقة التى لاتخفى على الحكيم ، وعرف كثيراً من أسرار القلوب وخبايا النفوس التى لا تكشفها إلا التجارب ، فوازن بين فصاحة الفصحاء وسوء حالهم ، وبين دراهم الأغنياء ونعومة عيشهم ، فعصر الألم قلبه ، وأنطق لسانه ، ففاض شعره بالحسرة وهو يقول :

من كان يملك درهمين تعلمت   شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقـدم الفصحاء فاستمعوا له   ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمـه التى فى كيسه   لرأيته شر البرية حالا
إن الغنى إذا تكلم كاذباً   قالوا صدقت وما نطقت محالا
وإذا الفقير أصاب قالوا لم تصب   وكـذبت يا هذا وقلت ضلالا
إن الدراهم فى المواطن كلها   تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة   وهى السلاح لمن أراد قتالا

ولما آمن بأن الدراهم هى لسان الفصيح ، وسلاح المقاتل ، بحث عنها فلم يجدها ، أو قل إنه وجد القليل منها ، فأخذ يعزى نفسه بالنكتة اللاذعة ، والدعابة الموفقة ، والرواية الطريفة ، يدخل بها السرور على قلبه المحزون وعلى قلوب جلسائه ومعارفه ، حتى اشتهر أمره بين أهل عصره ، وذاع صيته بين أعلى الطبقات وأوسطها وأدناها ، فنادم بعض الخلفاء والأمراء والوزراء ، كما حاور الأدباء والشعراء والظرفاء ، ثم ساير العامة العاديين : فكان الجميع معه على أمرهم مغلوبين ! . . .

— ٤ —

ويبدو أن المتوكل كان أشد الخلفاء رغبة فى اتخاذ أبى العيناء نديماً ، حتى قال ذات مرة لجلسائه : « لولا أنه ضرير لنادمناه » فلما بلغه ذلك قال : إن أعفانى من رؤية الأهلة ونقش الفصوص صلحت المنادمة » هذه رواية معجم الأدباء ، ونجد مثلها فى تاريخ بغداد (ص ١٧٤ ج ٣) . وكان هذا الجواب باعثاً على إرسال المتوكل فى طلبه . فلما دخل عليه فى قصره المعروف بالجعفرى سنة ست وأربعين ومائتين قال له : « ما تقول فى دارنا هذه ؟ فقال أبو العيناء : أن الناس بنوا الدور فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك :

فاستحسن كلامه ثم قال له : كيف شربك للخمر ؟ قال : أعجز عن قليله ، وأفتضح عند كثيره . فقال له : دع هذا عنك ونادمنا . فقال : أنا رجل مكفوف ، وكل من فى مجلسك يخدمك وأنا محتاج أن أخدم . ولست آمن من أن تنظر إلىّ بعين راض وقلبك على غضبان ، أو بعين غضبان وقلبك راض ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ؛ فأختار العافية على التعرض للبلاء . فقال : بلغنى عنك بذاء فى لسانك . . . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى وذم فقال « نعم العبد إنه أواب » وقال عز وجل « هماز مشاء بنميم » وقال الشاعر

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ولم أشتم النكس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لى الله المسامع والفما ؟

ما أحسنه من تخلص !

يعتذر أبو العيناء عن خبث لسانه بأنه لا يشتم إلا اللئيم ، ولا يهجو إلا الذميم ، كما أنه لا يثنى إلا على صاحب المعروف ، ولا يمدح إلا الحقيق بالمدح ، كأنه يريد أن يقنع السامع بصدقه فى شتمه وهجائه ، وفى مدحه وثنائه ؛ لأنه يذكرك بأن معرفة الشر باسمه ، أو الخير برسمه ، تدل على تفكير ساذج لا يعدو ظواهر الأمور ، ولصاحبه أذن لا يسمع بها ، ولسان لا ينطق به : لأن الإنسان الذى لا يعبر عما سمع وتفهَّم ملتو بيانه ، مائل ميزانه .

ولنا — أمام هذا العرض الواضح — أن نقرر أن أبا العيناء كان شديد الصراحة فى التعبير عن رأيه الخاص ، يحب مجابهة كل إنسان بما يلمس فيه من عيب ، وللعيب مقياس شخصى عنده لا يوافقه عليه كثير من الناس . ويبرز لنا هذا المعنى من نفسه جوابه الشافى لمن سأله : « إلى متى تمدح الناس وتهجوهم ؟ قال : ما دام المحسن يحسن ، وما دام المسىء يسىء . وأعوذ بالله أن أكون كالعقرب تلسب[1] النبى والذمى ! » .

ولقد تبلغ به صراحته مبلغاً يحمله على الاعتراف بما يؤذيه ، ولا سيما إذا غلبته النكتة على أمره . فانه ساعتئذ ينساق مع ما يجيش فى نفسه ، ومع ما يلذ لسامعه ، ولو اتهم برقة فى دينه ، وضعف فى يقينه ، وزلزلة فى عقيدته .

دخل يوماً على المتوكل فقدم إليه طعام ؛ فغمس لقمته فى خل كان حاضراً وأكلها . فتأذى بالحموضة ، وفطن الخليفة له فجعل يضحك . فقال : « لا تلمنى يا أمير المؤمنين ! فقد محت حلاوة الإيمان من قلبى » !

وإن رجلا يعرض بمحو حلاوة الإيمان من قلبه ليستر امتعاضه بدعابته — لرجل صريح ما فى ذلك ريب . ومثله لا يرى فى بذاءة اللسان عند اللزوم إلا وصفاً للواقع ، فهو فى سفاهته يتحدث عن صراحته ، لا يسأل عمن أمامه ، ولا يكترث بما يحيط به ...

كان المتوكل يكره التشيع لعلى بن أبى طالب وآله . فسأل أبا العيناء : « هل رأيت طالبياً حسن الوجه ؟ » .

قال : نعم ، رأيت ببغداد منذ ثلاثين واحداً . قال : تجده كان مؤاجراً (يؤجر نفسه) وكنت أنت تقود عليه . فقال : يا أمير المؤمنين أو يبلغ هذا من فراغى ؟ أدع موالى مع كثرتهم وأقود على الغرباء ؟

فقال المتوكل للفتح : أردت أن أشتفى منهم فاشتفى لهم منى ! »

وهذه صراحة منقطعة النظير لم يشجع أبا العيناء عليها إستخفاف المتوكل بالطالبيين ورميه إياهم بعبارات لا تليق بقدر ماشجعه عليها اعتقاده الخاص بآل البيت ورغبته فى إفحام الخليفة نفسه . ولست أعنى بهذا أنه كان متشيعاً لآل البيت ، فما يكون يأبه لشىء من هذا ، وإنما كان يكون لنفسه رأياً خاصاً فى كل من يلقاه : يصاحب من يريد ، ويخاصم من يريد ، ويهمه — قبل كل شىء — ألا يعلو عليه مخلوق .

وكما ظهر أبو العيناء بمظهر المدافع عن آل البيت ليفحم الخليفة المتوكل بجوابه ، خاصم يوماً علوياً ولم يكترث بتشيعه . فقال له العلوى : « تخاصمنى وقد أمرت أن تقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ؟ فقال : لكنى أقول الطيبين الطاهرين فتخرج أنت ! » .

فالرجل معارض من الطراز الأول ، ومولع بأن تظفر معارضته حيث كان ، وأمام كل إنسان مهما كان ؛ ولكنه إذا سمع مافيه مقنع لنفسه بعد طول الحوار رضى به ويبدى إعجابه ولو صدر من صبى أو غلام . نعرف هذا من قوله « أخجلنى ابن صغير لعبد الله ابن خاقان قلت له : وددت أن لى إبناً مثلك . قال : هذا بيدك ! قلت : كيف ذلك ؟ قال : تحمل أبى على امرأتك فتلد لك ابناً مثلى »

وأظن هذا عائداً إلى صراحته حتى بمثه إعجابه بالصغير على الخجل منه وعلى تسجيل هذا الخجل على نفسه . فلا تستغرب منه بعد ذلك أى موقف أمام المتوكل وغيره ترك فيه نفسه على سجيتها ، ولم يتكلف ولم يصطنع .

أنظر إليه وقد دخل على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو يلعب بالشطرنج فقال : فى أى الحيزين أنت ؟ فقال : فى حيز الأمير أيده الله . وغلب عبيد الله فقال : يا أبا العيناء قد غلبنا . وقد أصابك خمسون رطل ثلج . فقام ومضى إلى ابن ثوابة وقال : إن الأمير يدعوك . فلما دخلا قال : أيد الله الأمير ؛ قد جئتك بجبل همذان وما سبذان ثلجاً تخذ منه ما شئت ! » .

وهكذا لم يجد لمداعبة الأمير إلا ابن ثوابة ، فاتهمه بالبرودة

(١) تلدغ

وجعله جبلا من الثلج ؛ فما رجا لابن ثوابة وقاراً ، ولا استحيا من الأمير !

ومواقفه مع جميع الأمراء كواقفه مع الدهماء . ولقد حجبه أمير ثم كتب إليه يعتذر منه فقال : «تجبهني[1] مشافهة وتعتذر إلى مكاتبة ؟ » ، وشكا تأخر أرزاقه إلى عبيد الله بن سليمان ، فقال له : « ألم نكن كتبنا لك إلى ابن المدبر ؟ فما فعل فى أمرك ؟ قال : جرنى على شوك المطل[2] ، وحرمنى ثمرة الوعد . فقال : أنت اخترته . فقال : وما علىَّ وقد « اختار موسى قومه سبعين رجلا » فما كان منهم رشيد « فأخذتهم الرجفة » ، واختار النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتباً فلحق بالمشركين مرتداً ، واختار على بن أبى طالب أبا موسى الأشعرى حكما فحكم عليه ؟».

أما نوادره مع الوزراء فأكثر من أن تحصى ، وأبدع من أن تروى ، ولا معدى لنا عن ذكر بعضها من غير تعليق تمثيلا للقارىء وترويحاً عن نفسه :

دخل على أبى الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير فقال له : «ما الذى أخرك عنا يا أبا العيناء ؟ فقال : سرق حمارى . فقال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك . قال : فهلا أتيتنا على غيره ؟ قال : قعد بى عن الشراء قلة يسارى ، وكرهت ذل المكارى[3] ومنة العوارى » .

ووعده ابن المدبر يوماً أن يعطيه بغلا ، فلقيه فى الطريق . فقال : « كيف أصبحت يا أبا العيناء ؟ فقال : أصبحت بلا بغل » فضحك منه وبعث به إليه .

وحمله وزير على دابة ؛ فانتظر علفها . فلما أبطأ عليه قال : « أيها الوزير ! هذه الدابة حملتنى عليها أو حملتها علىَّ ! » .

وكان يتطاول على الوزير أحمد بن الخصيب حتى وضع كتاباً فى ذمه حكى فيه : « أن جماعة من الفضلاء اجتمعوا فى مجلس ، وكل منهم يكره ابن الخصيب لما كان فيه من الفدامة[4] والجهالة والتفغل ، فتجاذبوا أطراف الملح فى ذمه ؛ فقال أحدهم : كان جهله غامراً لعقله ، وسفهه قاهراً لحلمه . وقال آخر : لو كان دابة لتقاعس فى عنانه ، وحرن فى ميدانه . وقال آخر : كنت إذا وقع لفظه فى سمعى أحسست النقصان فى عقلى . وقال بعض كتابه : كنت أرى قلم ابن الخصيب ، يكتب بما لا يصيب ، ولو نطق لنطق بنَوْك عجيب . وقال آخر : لو غابت عنه القافية لنسيها . وقال أبو العيناء فى آخر هذا التصنيف : « كان ابن الخصيب إذا ناظر شغب ، وربما رفس من ناظره إذا عجز عن الجواب ، وخفى على الصواب ، واستولت عليه البلادة ، وعرى كلامه عن الإفادة ؛ وكان إذا دنوت منه غرك ، وإن بعدت عنه ضرك ، فحياته لا تنفع وموته لا يضر .

لذلك هجاه قائلا :

قل للخليفة يا ابن عم محمد   أشكل وزيرك إنه ركالُ
قد أحجم المتظلمون مخافة   منه ، وقالوا ما نروم محال
ما دام مطلقة علينا رجله   أو دام للنزق الجهول مقال
قد نال من أعراضنا بلسانه   ولرجله بين الصدور مجال
امنعه من ركل الرجال وإن ترد   مالا فعند وزيرك الأموال

فما زاد أبو العيناء على أن جعل ابن الخصيب ركالا يطلق رجله على الناس ، وطالب الخليفة بأن يضع فيه الشكال الذى تقيد به الدابة . وأحسب أن هذا منتهى ما يصل إليه الهجاء !

(البقية فى العدد القادم)

صبحى ابراهيم الصالح

---

(١) تؤنبنى حتى أنكس رأسى .
(٢) التسويف والإبطاء بالوعد .
(٣) المؤجر .
(٤) العى فى اللسان والغباوة فى الفهم .

من العصور الوسطى

إلى الأزمنة الحديثة (*)

تأليف هانز كوهين

٣ – المرأة الجديدة

خطت تركيا والشعوب الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى خطوة حاسمة فى العصر الحديث نحو تحرير نسائهم، ومساواتهن بالرجال أمام القانون وفى الحياة العامة. ولكن لا تزال مصر والأقطار العربية فى مفترق الطرق. وقد نشطت حركة تحرير المرأة فى مصر والبلاد العربية فى الجيل الماضى، وأحرزت نجاحاً فى مسألة قانون الزواج. ولعبت المرأة دوراً إيجابياً فى الجهود الوطنية من أجل الاستقلال منذ الحرب العظمى (الأولى).

وكانت صفية زغلول تقف دائماً إلى جانب سعد، ومثلته وهو فى منفاه، واستحقت لقب الشرف: أم المصريين. إذ التفت حولها مجموعة من سيدات المجتمع، ونشطن فى نصرة زغلول.

وقد قامت الحركة النسائية فى مصر بدور معقول تحت رئاسة هدى هانم شعراوى أرملة شعراوى باشا الذى اصطحب سعداً فى نوفبر ١٩١٨ عندما ذهب إلى المندوب السامى البريطانى لعرض المطالب المصرية. وفى مارس ١٩٢٣ أنشىء اتحاد نسائى مصرى. فأرسل وفداً إلى الاتحاد النسائى الدولى بروما. وقد أشارت هدى هانم شعراوى فى خطابها إلى التصورات الزائفة عن مركز المرأة فى الإسلام التى تسود الغرب.

وأعلنت أن الذى تحتاجه المرأة هو التعليم وتعديل قانون الزواج، لضمان مركزها اللائق بها.

وكان من نتيجة الحركة الوطنية الكبرى فى ١٩١٩ أن ظهرت المصريات بعد طول حجاب، فى وقت كانت الأمة فى حاجة إلى كل قواها لنيل الاستقلال. فاتحدث النساء مع الرجال، ولعبن دوراً عظيما فى الكفاح، كاتبات فى الصحف ومؤسسات للجرائد. وأسسن من مواردهن الخاصة مدارس للصناعات اليدوية للفقراء، وفتحن العيادات للأطفال المشردين، ونظمن الجماعات الأدبية والثقافية.

وقد يعتبر المشروع الذى يناقش قانون الزواج الإسلامى – المقدم فى عام ١٩٢٩ – نجاحاً أحرزته الحركة النسائية المصرية، إذ يجعل الطلاق أكثر صعوبة، وللزوجة الحق فى طلب الطلاق إذا أساء الزوج المعاملة لدرجة تجعل حياتهما غير محتملة.

ويمكنهما طلب الطلاق إذا هجرها زوجها لأكثر من عام، بدون سبب وجيه، أو إذا حكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر على الأقل. وفى المشروع قواعد جديدة تتحكم فى رفض الزوج إبقاء زوجته، وحالات النزاع حول الصداق. وترك الأبناء مع أمهم حتى سن التاسعة، والبنات حتى الحادية عشرة، وذلك فى حالة الشقاق والانفصال.

ويبطل الطلاق إذا أعلنه الزوج مضطراً، أو فى حالة سكر. وليس للقاضى أن يرفض طلاقاً، ولكن عليه مناقشة الأسباب ومحاولة النصح بالصلح. ومع أن هذه الشروط تمثل حدوداً واضحة فى تفسير القانون السابق، إلا أن شرط العقوبة على الزوج الذى نطق بالطلاق بدون توسط القاضى الشرعى – قد أحدث تغييراً عظيم الأهمية.

هذه الإصلاحات – إن لم تكن مست التقاليد – ترمى إلى اتخاذ مستويات قانونية ثابتة للأوضاع الاجتماعية. ولم يمانع المشروع فى تعدد الزوجات، بل جعل الزواج الثانى أكثر صعوبة. وذلك بأن حتم على الزوج أن يبرهن أمام القاضى الشرعى أنه فى مركز يمكنه – ماليا وأخلاقيا – بالقيام بحاجات زوجاته ومن يعولهم.

وفى مسألة تحرير المرأة نجد أن مصر أكثر تقدما من سوريا والعراق، وأن برنامج الحركة النسائية اجتماعى قبل كل شىء. فهو يقضى بإنشاء مدارس ومراكز تعليمية للنساء والفتيات المحتاجات، وتعليم بنات الطبقات الدنيا فى مدارس لتدبير المنزل، وتدريب ممرضات لرعاية الأطفال والمرضى.

وليست هناك معارضة جدية للحجاب سواء فى مصر أو سوريا. ولكن حادثاً وقع فى بيروت فى مايو ١٩٢٨ يدل على

(*) فصل من كتاب هانز كوهين (الوطنية والاستعمار فى الشرق الأدنى) الطبعة الانجليزية. لندن. ١٩٣٢

التغير التدريجي فى الآراء . فقد زاد عدد المسلمات اللائى ظهرن فى المجتمع سافرات فى هـذا الثغر . وقامت حركة احتجاج ، ووزعت المنشورات تدعو المسلمين لاتخاذ خطوات ضد السافرات . وفى الجمعة التالية تكلم الخطباء فى المساجد ضد هذه المنشورات ، وطالبوا باحترام الحرية الفردية . ثم نظمت الحركات النسائية فى سوريا وفلسطين والعراق .

وفى إبريل ١٩٢٨ انعقد أول اجتماع للنساء السوريات لمناقشة مسائل التعليم والتدريب المهنى ، وتعديل قانون الزواج . واقترح الاتحاد عقد مؤتمرات سنوية لنساء العرب ، تنعقد بالتتابع فى مصر وسوريا وفلسطين والعراق . وكان غرض الحركة النسائية فى فلسطين مناصرة الكفاح من أجل استقلال العرب . وفى مصر وسوريا توجد صحافة تدعو لمصالح المرأة ، وكثيراً ما يحررها النساء[1]

وفى يولية ١٩٣٠ انعقد مؤتمر لنساء البلاد العربية ، وكان يعتبر دليلا للوحدة الشرقية . وجاءت الوفود وأرسلت التقارير من الحجاز والعراق وتركيا وإيران وأفغانستان والهند الإسلامية كما أرسل الاتحاد النسائى الدولى مندوبة وقد أكدت رئيسة المؤتمر نور حمادة ضرورة حصر الكفاح فى رفع مستوى المرأة ثقافياً واجتماعياً ، وليس فى المطالبة بالحقوق السياسية . لقد كان حجاب المسلمة منافياً للطبيعة ، وسوف يزول من نفسه بارتفاع مستوى التعليم . وناقش المؤتمر تعديلات قانون الزواج ومسألة الخدمة الاجتماعية ، وطالب بإصلاح التقاليد الزوجية . فيجب على الرجل وزوجه أن يعرف كل منهما الآخر قبل الزواج ، وينبغى تقليل أهمية الشـوار purchase price بين المسلمين والصداق بين المسيحيين . وأعلن أن اتحاد المسلمات مع المسيحيات فى مصر والأقطار العربية سيجعل من الحركة النسائية عاملا هاماً فى التقدم الثقافى والاجتماعى .

ويعلل دخول الفلسطينيات فى هـذا المحيط من الوجهة الجغرافية فقط ؛ فالنسـاء فى الدوائر الأرثوذكسية واليهودية متساويات مع النسـاء العرب فى الثقافة والاجتماع . ثم إن اليهوديات اللائى هاجرن إلى فلسطين — من أوربا فى الخمس سنوات السابقة — قد أتين بالأفكار التقدمية فى النشاط الثقافى والاجتماعى والسياسى . فتذهب الفتيات كالفتيان إلى المدرسة ، وتلعب الجمعيات النسائية دورها فى الصحة والخدمة الاجتماعية . وبفضل جهود اليهوديات ضمن النساء المساواة التامة فى فلسطين . ولكن اعتبارات قومية تحول دون وقوع احتكاك مباشر بين الحركات النسائية اليهودية والعربية فى فلسطين .

وليس من شك فى أن الجماهير قد تنبهت إلى اليقظة الوطنية والسياسية ، وكفى بمواطفهم السياسية الملتهبة أمثلة واضحة . فشعروا بالمسئولية لمحو الأمية وإنشاء مكتبات شعبية ، وتأسيس المدارس وإقامة حلقات ثقافية .

حقاً ، إن الصحف السياسية تقرأ على نطاق واسع مدهش ، حتى الذين لا يعرفون القراءة فى القرى ، يستمعون إلى محتوياتها بصوت عال . ولكن مدى قراءة الكتب الجيدة أقل اتساعا ، وغالباً ما تجهلها الطبقات ، ثم إن معظم الصحف فقيرة فى المادة الثقافية .

وعندما تتحقق الأغراض الوطنية والسياسية ، فإن قوى الحركة يمكنها أن تتجه إلى الغايات الثقافية . ترجمة

(يتبع) محمد محمد على

(١) عن موضوع مركز المرأة فى الأدب العربى الحديث ، أنظر : Ettore Rossi Una Scrittice Araba Cottolica Mayy (Narie Ziyadah) in Oriento Noderno روما - السـنة ٥ ص ٦٠٤

وتدل كتابات مى بوضوح على الشعور بالوحدة التى تجمع المسلمين والمسيحيين . فقد ولدت فى ١٨٩٥ وهى كاثوليكية من أب لبنانى وأم فلسطينية وانتقلت إلى بيروت ثم إلى القـاهرة فى بداية نشاطها الأدبى . ويرجع تعضيد تعليم المرأة المسلمة ونهضتها الاجتماعية إلى اللبنانية المسيحية وردة اليازجى (١٨٣٨ — ١٩٢٤) والمصرية المسلمة عائشة عصمت تيمور (١٨٤٠ — ١٩٠٢) وملك حفنى ناصف (١٨٨٦ — ١٩١٨) ويتميز هؤلاء بالوطنية العربية الصادقة . وأول كاتب أيد تحرير المرأة المصرية هو قاسم أمين المتوفى عام ١٩٠٨ ، ومؤلف « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وكان تلميذاً لجمال الدين الأفغانى وصديق سـعد زغلول الذى أهدى إليه المرأة الجديدة

وفى مركز المرأة فى الأدب والصحافة منذ أكثر من ثلاثين سنة . أنظر : مارتن هارتمان : صحافة مصر العربية ١٨٩٩ ، ص ٤٦ — ٥٠ .

وقد ظهرت أول صحيفة عربية نسـائية فى مصر عام ١٨٩٢ باسم « الفتاة » تحررها سورية مسيحية هى هندبنت نوفل .

وقد أتمت أول فتاة مصرية الدراسة الثانوية كتلميذة خارجية عام ١٩٠٦ ثم شغلت مناصب هامة فى التعليم . وبعودة سعد زغلول فى ١٩٢١ ألح على زوجته أن تظهر بدون حجاب . وبلغ عـدد مدارس البنات الأميرية عام ١٩٢٨ : ٢٢٤ مدرسة تجمع ٦٠٠ و ٣٦ تلميذة . وقـد سمحت الجامعة المصرية للفتيات بالدراسة فى كليات الطب والعلوم والآداب وتقدم فى السنة الأولى (٢٨ — ١٩٢٩) سبع فتيات لدراسة الطب . وفى أوائل ١٩٣٠ أثارت المحاضرات حول مساواة الجنسين : احتجاج الدوائر الإسلامية المحافظة .

بين شيخ وشاب وفتاة

للأُســــتاذ ثروت أباظه

أما الشاب فأديب قانع من الأدب بتذوقه وتلذذه . قرأ أكثر ما كتبه المتقدمون ، فلمـا كتب المحدَّثون عزف عن القراءة . ولم يجد ما يبرر به هذا المزوف إلا أن يقول لم يعد فى البلد أدب . أصبح همّ الـكاتب أن يكتب عن الحب والمرأة ، كأن الدنيا قد خلت من كل شيء إلا الحب والمرأة . . فلم يعد فيها مجال للمثـل العليا ولا نصيب للموعظة الحسنة . . أين كتاب الأدب القديم وشعراؤه ؟ أين فلسفة المعرى ، وحكمة أبى تمام ، وأمثال المتنبى ؟ أين روائع ابن العميد ، وبدائع عبـد الحميد ، ورقائق ابن الزيات ؟ رحم الله الأدب !

وهكذا كان يعزى الشيخ نفسه عن اجتوائها حديث الشباب ، حديث الحب والمرأة .

وأما الشاب فهو ابنه ، أراده على أن يكون أديباً فكان ، ولـكنه كان على غير طراز أبيه . . كان الأب يؤثر الأدب القديم ويحب أن ينهل ابنه من موارده ، فأخذ يحفظه الأشعار المختارة لعباقرة الجاهلية والإسلام ؛ ولـكن ابن القرن العشرين لم يكن ليحتمل أن يقرأ كل كلمة مرتين : مرة فى الـكتاب ومرة فى المعجم . فـكره الأدب القديم بعد أن تزود منه ما يكفيه أساساً ونبراساً . ولمـا رأى الأب أن ابنه لا بد تارك الأدب لو بقى مقصوراً على قديمه سمح له أن يقرأ ما يشاء ، فقرأ أكثر ما كتب فى الأدب الحديث .

وأما الفتاة فهى زوجة الشاب ، وهى أيضاً أديبة بفطرتها ، لم توجه نفسها فى قراءتها توجيهاً معيناً ، ولـكنها مع ذلك ذات حس فنى دقيق وذوق أدبى مرهف .

أسرة تربطها أواصر القرابة والنسب ، ثم توثق هذه الرابطة بينها رابطة الأدب . . أحببت هذه العائلة وأصبح من بواعث الغبطة فى نفسى أن أزورها كلما تهيأت لى الفرصة . . وكان أن ذهبت ، فوجدت (الرسالة) بين أيديهم ، وكانت بها الحلقة الثالثة من (قصة فتاة) . . وهى ألتى يصف فيها الأستاذ الزيات الفتاة حبيسةً فى المزبة ، تلح عليه أن يجاوبها حباً بحب ، لا حباً بنصيحة . ويصفها وقد ملت الانتظار . . فيأتى بقصتها مع الجاموسة ، ثم روايتها مع ابن البستانى .

رأيت الشيخ يتوثب على كرسيه ، وقد رده الحنق شاباً ؛ ورأيت الفتاة مهتاجة فكأنما هى صاحبة القصة ، وكأن « س » اسمها الحقيقى ؛ ورأيت الشـاب يكتم فرحة تفيض على محياه ، فبدا فى وقاره وكأنه الشيخ ... وعجبت أن يغضب الشيخُ والفتاة لسبب واحد ؛ إذ العادة أنه إذا غضب الشيخ رضيت الفتاة ، وإن رضى غضبت . ولـكن السبب ، وإن اتحـد فى جوهره وهو المقال ، تشعب فى عرضه ، قال الشيخ :

— لولم يكن الزيات هو صاحب الرسالة لوثقت أن هـذا المقال مزور عليه . . لا حول ولا قوة إلا بالله ! لقـد كان أسلوبه وأدبه عزائى عما أصابنى فى الأدب الحديث . إنه وحده الذى كان يظهر جمـال الأدب الجديد حين يكسوه بالأدب القديم ، أيكتب هو أيضاً عن الحب ؟ وأى حب ! وعن الشهوة ؟ وأى شهوة ! لا ، لا يصلح قلم الزيات لهـذا الأمر . . ثم التفت إلىَّ وقال : قل له يرجع إلى ما كان عليه فإنه أولى به وأحرى .

قالت الفتاة : لا بأس يا عماه أن يكتب فى الحب ، ولـكن أهكذا يكون حب الفتاة ؟ أهى لا تحب إلا بهذه الصورة التى رسمها لها ؟ إن الـكاتب حين يكتب عن جنس بذاته يختار من بينه شخصية تتفق عناصرها وأغلب أفراد هذا الجنس

أفتاته « س » هى نموذج الفتاة المصرية ؟ أكل فتاة عصرية ترى فى الخطبة تجريباً وتدريباً ومتعة ، وأن هذا التجريب يكون ...

لم يدعها الشاب تتم الحديث بل اندفع قائلاً :

— حسبك . . حسبك . . فوالله ما غضبت لجنسك المجروح أن يتهم ، ولـكن غضبت لأنه يكشف الستار عن خبيئته ، ويبدد ذلك الوهم الذى كان يرين على دخيلته . تضحكن على الرجال فتدعين غموضه وإبناله فى الاستخفاء . . وظللنا نحن المساكين نقع فى حبائلـكن ونرتمى فى شباكـكن ، محاولين الوصول إلى ما تخفيه نفوسكن حتى نتمكن بعد ذلك من إقامة الحياة فى سننها

٢ – الشيوعية فى الإسلام

رأى لجنة الفتوى ورأى السيد جمال الدين الأفغانى

أوردنا فى المقال السابق ما أذاعته لجنة الفتوى بالأزهر عن « الشيوعية فى الإسلام » وما حكمت به على مذهب أبى ذر الغفارى من المخالفة للاجماع والخروج على مبدأ الإسلام ، ثم أوردنا فتوى السيد جمال الأفغانى عن « الاشتراكية فى الإسلام » ، وفى هذا المقال نورد ما قاله السيد عن مذهب أبى ذر وما أبدى من استحسان هذا المذهب . قال السيد رضوان الله عليه : « فى زمن قصير من خلافة عثمان تغيرت الحالة الروحية فى الأمة تغيراً محسوساً . ولشد ما كان منها ظهوراً فى سير العمال والأمراء وذوى القربى من الخليفة وأرباب الثروة بصورة صار يمكن بها الإحساس بوجود طبقة تدعى « أمراء » وطبقة تدعى « أشراف » ، وثالثة « أهل ثروة وثراء وبذخ » ، وانفصل من تلك الطبقات طبقة العمال وأبناء المجاهدين ، ومن كان على شاكلتهم من أرباب الحمية والسابقة فى تأسيس الملك الإسلامى وفتوحاته ، ونشر الدعوة ، وصار يعوزهم المال الذى يتطلبه طرز الحياة ، والذى أحدثته الحضارة الإسلامية ، إذ كانوا مع كل جريهم وسعيهم وراء تدارك معاشهم لا يستطيعون اللحاق بالمنتمين إلى العمال ورجال الدولة . وقد فشت العزة والأثرة والاستطالة ، وتوفرت مهيئات الترف فى حاشية الأمراء وأهل عصبيتهم ، وفى العمال وبمن استعملوه وولوه من الأعمال .. فنتج من مجموع تلك المظاهر التى أحدثها وجود الطبقات المتميزة عن طبقة العاملين والمستضعفين فى المسلمين ، تكون طبقة أخذت تتحسس بشىء من الظلم وتتحفز للمطالبة بحقهم المكتسب من مورد النص ، ومن سيرتى الخليفة الأول والثانى أبى بكر وعمر كان أول من تنبه لهذا الخطر الذى يتهدد الملك والجامعة

الواضح .. ولكن أبيتن هذا علينا . حتى جاءت فتاة فكشفت عن أهم جزء من ذلك السر ، فغضبت أنت وثرت .. ولكنك لم تعرفى كيف توجهين ثورتك ، مع أنها واضحة الهدف .

رأيت النقاش يطول فقلت :

— لقد والله ذكرتمونى بالمستمعين إلى شاعر الربابة ، حين كانوا ينصبون المعركة قبل أن يعرفوا النهاية .. انتظروا قليلاً حتى تكمل القصة .

وكملت القصة خريفاً وكانت قد ابتدأت ربيعاً . هكذا كان حقيقة ، أما على صفحات الرسالة فقد كملت أمس . فذهبت إلى هناك ، فإذا الشيخ ضاحك ، وإذا الفتاة جذلة ، وإذا الشاب يكفكف من فرح الشيخ ، ويخفف من سرور الفتاة .. قال الشيخ :

— ألم أقل لكم إن الزيات لا يمكن أن يكتب فى الحب لمجرد الحب .. لقد صدق ظنى فيه . إن القصة نصيحة مبذولة للفتيات من رجل خبر الدنيا وجربها .. وأبى أن يقصر تجاربها على نفسه . ألم تر إليه يقص قصة بلانكيت والخراف ثم الذئب ورواية الفتاة والشبان ثم الذئب أيضاً . إنها نصيحة أحسن تغليفها حتى تخف على السمع وتصل إلى القلب .

قالت الفتاة :

— لقد نالت تلك الفتاة جزاءها .. ولئن كشفت عن أسرار جنسها فإن أخاها قد أخذ بالثأر ؛ وما أظن مآلها إلا الموت المحقق

قال الشاب : « رويدك يا أبى ! وحسبك يا زوجتى ! فإن الرجل وإن ختم قصته بالنصيحة ، فما ذاك بمانع القصة أن تهدف إلى أهدافها الأخرى . فهى فن قبل أن تكون إرشاداً ، وهى تحليل نفسى قبل أن تكون هديا .. أما أنت فما هذا الكلام الغريب ؟ تعزين نفسك بأن البنت قد نالت جزاءها ، فهل ذلك هو الرد على حقيقة ما قالته عنكن ! لشد ما تهرفن أيتها النسوة حين تفحمكن الحجة . حاول الشيخ أن يجيب ، وحاولت الفتاة أن تغضب ، ولكننى قطعت عليهما القول والغضب :

— إن القصة حلوة ومرة ؛ يستطيع كل منكم أن يلتذ هذه الحلاوة وأن يكابد تلك المرارة . لينظر كل إليها من الناحية التى ترضيه . ولئن اختلفت هذه النواحى فإن ثمة زاوية لو نظرتم منها جميعاً ما اختلفتم : القصة قصة الفن ، والأسلوب أسلوب الزيات !

ثروت أباظة

الإسلامية ، الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى ، فجاء إلى معاوية ابن أبى سفيان وهو فى الشام ، وخاطبه بوجوب الرجوع إلى سيرة السلف وبتقليل دواعى السرف والترف وعدم التمادى فى مسببات الحسد ، والعمل على نزعها من العاملين من رجال المسلمين ، وذكر مواعظ كثيرة ، وعدد أخطاراً جمة من وجود طبقة فقيرة عاملة مفكرة فى المسلمين ، يكتنفها شظف العيش وقلة ذات اليد بين ظهرانى قوم أكثرهم ممن لا سابقة لهم فى الإسلام ولا لآبائهم ، ولا من الطبقات المحمودة ، ولا من المجهودات أو المميزات العلمية والجسدية ، ما يوليهم أو يمطيهم حق ما هم فيه من النعيم ، وطيب العيش والرخاء ، غير محض الانتماء والأدلاء بولاء لآل حرب وعمالهم .

فأجابه معاوية بما معناه : يا أبا ذر ، إن ما تقوله هو الحق ، ولكنى ليس فى استطاعتى الرجوع لا إلى سيرة الصديق وسيره ، ولا إلى العمل الذى كان يعمله الفاروق ، وغاية ما فى إمكانى الحث على بذل الصدقات والقول اللين إرشاداً لتخفيف دواعى الحسد ، وغير ذلك فلا سبيل إليه .

قال أبو ذر : قد نصحتك يا معاوية ، والدين النصيحة ، فاحذر أنت والخليفة عثمان مغبة ما أنتما عليه . وذهب من مجلس معاوية مغاضباً ، واجتمع مع طبقة المتألمين والمتذمرين من المسلمين وقص عليهم من سيرة السلف أشياء ، وأطلعهم على ما قاله عامل الشام معاوية بن أبى سفيان ، وأردفها بإعلانه مشاركته لهم فى كل ما يحسون به قلباً وقالباً . وبمختصر القول أنه شجعهم على النهضة والمطالبة بحق صريح لهم اهتضمه جماعة بغير وجه شرعى ، ولا باجتهاد إمام سلف ، فكان من وراء عمل أبى ذر هذا أن حصل شئ من التهييج والانفعال النفسى ما خشى معه معاوية وأعوانه سوء المصير .

فجمع معاوية كيده ، واستنجد دهاءه ، وبعث لأبى ذر ليلا بألف دينار ، فقبلها أبو ذر ، وفى الحال بادر لتعريقها على الفقراء والمعوزين من المسلمين . وفى ثانى يوم أرسل معاوية رسولاً وقال : يا أبا ذر ، أنقذنى من عذاب معاوية ، فإن الألف دينار لم يرسلها إليك وإنما غلطت ، فقال أبو ذر ، والله لم يبق معى من دنانيره ولا دينار ، فليمهلنى حتى آخذها ممن وزعتها عليهم من المستحقين فى المسلمين . وعلم معاوية صدقه وضاق به ذرعاً ، فكتب إلى الخليفة عثمان مستجيراً من إلفاآت أبى ذر ، وما أحدثه من التأثير فى النفوس . فأجابه متعجلا إرسال أبى ذر إليه ، فأرسله ، ولما تقابل مع عثمان لم يسمع منه أكثر مما سمع من معاوية ، وأنه لا يمكنه أن يفعل ما فعله الفاروق مع العمال من مصادرة ما عندهم من الثروة ، ولا أن يرجع ما كان من حالة مجموع المسلمين فى عهدى الصديق والفاروق إلا عن طريق الحث على بذل الصدقات والأحسان فقط . فقال أبو ذر : يا عثمان ، أما تذكر حديث رسول الله ومعناه : « إذا وصل البناء إلى سلع (جبل فى المدينة) واستعلى فى المدينة . . الحديث » وجبت الهجرة . وفى رواية أنه قال : يا عثمان : إن النبى صلى الله عليه وسلم أمرنى بالخروج منها إذا بلغ البناء سلعاً ، وها قد استعلى بناؤك وبناء قريبك معاوية وأعوانكما . فأستودعك الله تاركا لك ولمن استعملت من العمال أعمالكم ، والله من ورائكم محيط . فألح عثمان عليه أن لا يفعل ، فقال أبو ذر : إن رسول الله أولى أن يتبع ، وهاجر من المدينة . كان فى عمل أبى ذر هذا أنه قد أخذ بمحض النصح لخليفة المسلمين إذ ذاك « عثمان » وبنصح عماله ، وبالدفاع عن حقوق المسلمين كى لا تتكون طبقة اشتراكية يكون رائدها الانتقام ، بل دعاهم إلى العمل بنص القرآن والاقتداء بمن طبق ذلك النص عملا من الخلفاء كأبى بكر وعمر .. »

***

وبعد ، فهذه هى فتوى السيد جمال الدين الأفغانى فيما كان من رأى أبى ذر الغفارى وخلافه مع ولاة الأمور على توزيع المال فى الإسلام ، ورد مال المسلمين على المسلمين . وشتان بين رأى لجنة الفتوى فى مذهب ذلك الصحابى الجليل ، ورأى السيد الأفغانى ؛ فبينما ترى اللجنة أنه أخطأ الاجتهاد وخالف الأجماع يشهد الأفغانى برجاحة رأيه وسلامة مذهبه . وسنعود فى المقال التالى للتعقيب على فتوى اللجنة بما يوضح هذه المسألة التى تشغل الأذهان فى هذه الأيام ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

الفكاهة والكاريكاتير في الأدب العربي :

كان هـذا عنوان محاضرة الأستاذ كامل كيلاني في دار الاتحاد النسائي يوم الجمعة الماضي ، وقد كان أكثر من هناك من الجنس الناعم ، أوانس وسيدات ، ولذلك رأى الأستاذ أن يستعمل نون النسوة في خطاب الحاضرن أو الحاضرات (على مذهبه) ولم يعبأ بنا ولا بالنحويين ... ولـكن هل أرضاهن بهذا الصنيع ؟ أولسن هن المطالبات بإلغاء نون النسوة ؟ وقد احتججن عليه بعد الفراغ من المحاضرة احتجاجاً رقيقاً ؛ وهن — وإن أنـكرن نون الإناث — لم تفارقهن لوازمها في أثناء المحاضرة ، فهذه إحداهن تشتغل (بالتريكو) ولا يفوتها أن تبتسم لبعض الفـكاهات التي تأتي في سياق المحاضرة ، وتلك أخرى تفتح حقيبة يدها وتستغرق في النظر إلى مرآتها وتصلح شيئاً من زينتها ... ولا تنتبه إلى المحاضرة إلا على ضحكات صواحبها من تلك الفـكاهات . أفلا ترى الأستاذ على حق في تجاهلنا واستمسا كه بنون النسوة ...؟

بدأ الأستاذ كامل كيلاني بشرح لغوى خفيف لمعنى الفكاهة حتى قال : الفاكهة ثمرة الأرض والفـكاهة ثمرة العقل . ثم قال إن الإنسان يبلغ بالفـكاهة البارعة ما لا يبلغه بكثير الـكلام ، واستشهد بما قاله « سويفت » مؤلف « جلفر » في بعض قصصه : « ثم صفعه في احترام وأدب » وبمقالة برنارد شو لأحد اللوردات وقد قال له إنك تبغى المال من رواياتك ، قال له برنارد شو : وماذا تبغى أنت من أعمالك ؟ قال : الشرف . قال كل منا يسعى في طلب ما ينقصه .

ثم قال إن الأدب العربي زاخر بالفـكاهات التي تجسم الأشياء والمعاني تجسيما « كاريكاتيريا » فتبرز المقصود إبرازاً بالغاً يشبه في الأدب فن « الـكاريكاتير » في التصوير ؛ ومثل لذلك بقول الجاحظ في كيسان النحوى : « أعرف رجلا يسمع غير مايقال له ، ويكتب غير ماسمع ، ويقرأ غير ما كتب ، ويفهم غير ما قرأ » وقد نظم هذا أحد الشعراء فقال :

تقول له زيد فيـكتب خالداً ويقرؤه بكراً ويفهمه عمرا

ومما مثل به من هـذه الصور الأدبية « الـكاريكاتيرية » قول بعضهم :

أفرط نسـيانى إلى غاية لم يدع النسيان لى حسا
فصرت مهما عرضت حاجة مهمة أودعتها الطرسـا
وضرت أنسى الطرس في راحتى وصرت أنسى أنني أنسى

وقول ابن الرومي :

إن تطل لحية عليك وتعرض فالمخالى معروفة للحمير
علق الله في عذاريك مخلاة ولـكنها بغـير شعير
لو غـدا حكمها إلىّ لطارت في مهب الرياح كل مطير

وقوله :

أبو سليمان لا ترضى طريقته لا في غناء ولا تعليم صبيان
له إذا جاوب الطنبور محتفياً صوت بمصر وضرب في خراسان
وتحسب العين فكيه إذا اختلفا عند التنغم فـكى بغل طحان

وقول المتنبي :

وإذا أشـار محدثاً فكأنه قرد يقهقـه أو عجـوز تلطم

وقول أبي الفرج في بعض قصصه بالأغاني : « ثم خرجت من الخوخة لحية حمراء يتبعها رجل » ولعل محرر « آخر ساعة » نظر إلى هذا عندما كتب منذ نحو عشر سنوات في الحديث عن رجل من رجال السياسة كان معروفاً بطول شاربيه : « ثم خرج من السيارة شاربان يتبعهما رجل » .

وقال لى الأسـتاذ كامل كيلاني ، وقد عبرت له عن استحسانى لتسمية هذا الموضوع ، قال : كان بعض الغربيين ومن يحاكيهم يعيبون الأدب العربي بالمغالاة ، وهـذا هو نوع من المغالاة نراه مطابقاً في التعبير لطريقة فن من الفنون الحديثة .

أبو القاسم الشابي :

ألقى الأستاذ صالح جودت محاضرة عن أبي القاسم الشابي ، يوم الخميس المـاضي بنادى الاتحاد الأرثوذكسي . قال : عرف الأدب العربي هذا الشاعر لأول مرة في سنة ١٩٣٣ حينما نشرت له مجلة « أبولو » قصيدته المشهورة « صلوات في هيكل الحب » التي أثارت اهتماماً عظيماً وأنشأت مدرسة جديدة في الشـعر الحديث . كان أبو القاسم يؤمن بالسمو ، ويرى أن الشعر ليس

إلا تصويراً للحياة فى صورة رفيعة تتكافأ مع ما للشعر من قدسية الفن وجلاله ؛ ومصداق هذه النظرة فى قصيدته التى أشرنا إليها، هذه الأبيات فى نجوى حبيبته :

أنتِ، أنت الحياة فى قدسها السا   مى وفى سحرها الشجى الفريد
أنت فوق الخيال والشعر والفن   وفوق النهى وفوق الحدود
أنت قدسى ومعبدى وصباحى   وربيعى ونشوتى وخلودى

ثم قال : ولد أبو القاسم سنة ١٩٠٩ فى بلدة توزر بتونس ، وحفظ القرآن ، ثم التحق بالمعهد الزيتونى ، ثم بكلية الحقوق وتخرج فيها سنة ١٩٢٩ وكانت وفاته سنة ١٩٣٤ فى المنفى الذى اختاره لنفسه فى مكان يقال له باب حومة العلوج .

وقال أحد الأدباء التونسيين : إن أكبر مؤثر فى حياة الشابى ، موت حبيبته ، غير أننا لا نجد فى شعره ما يشير إلى صحة هذه الواقعة . إن حبيبته موجودة فى أكثر شعره ، أما موتها فلا أثر له .

أما المؤثر الثانى فى حياة الشابى وشعره ، فهو أنه كان مجدداً جريئاً صاحب دعوة تقدمية كبيرة فى الأدب التونسى ، أثارت عليه أدباء البيئة الجامدة المحافظة التى يعيش فيها ، فلقى منهم حرباً شعواء . حاربوا آراءه فى الأدب ، وأخيلته فى الشعر ، كما أنه لقى من ناحية أخرى كثيراً من عنت الفرنسيين المستعمرين لبلاده ، لأنه كان فى شعره الوطنى فولتير العربى ، الذى دعا شعبه إلى الثورة من أجل الحرية فى كثير من القصائد الصارخة ، ومنها قصيدة رائعة مطلعها :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة   فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى   ولابد للقيد أن ينكسر

ولكن الشعب لم يستمع إلى هذه الصرخات المدوية ، ولم يثر على القيد ، فوقف أبو القاسم يتهكم ويتألم فى قصيدة مدوية عنوانها إلى الشعب ، ومنها :

أنت يا كاهن الظلام حياة   تعبد الموت ، أنت روح شقى
كافر بالحياة والنور ، لا يصغى   إلى الكون قلبه الحجرى
أنت دنيا يظلها أفق الماضى   وليل الكآبة الأبدى
والشقى الشقى فى الأرض شعب   يومه ميت وماضيه حى

وهكذا اجتمعت على أبى القاسم حروب ثلاث ، حرب من الأدباء والشعراء الجامدين أو الحاقدين ، وحرب من الفرنسيين المستعمرين ، وحرب من نومة الشعب وعدم استجابته لصرخات الحرية . وقد كان كل هذا كفيلا بأن يهد كيانه ، فأصابته ذات الرئة ، وعاش عمراً قصيراً كعمر الزهر عند باب حومة العلوج ، يقرأ ، وينظم الشعر ، ويرعى الأغنام ، حتى مات ولما يتجاوز الخامسة والعشرين .

نشر الثقافة الأزهرية :

مما يحمد لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر اهتمامه بنشر الثقافة الأزهرية بين الشعوب العربية والإسلامية ، وقد تحدث أخيراً إلى أحد زعماء العرب فقال إنه يسمده أن يستطيع الأزهر إنشاء فروع له وتوجيه بعوث منه إلى كل البلاد الإسلامية ، ولكنه يرى أن على الأزهر أن يوجه اهتمامه أولا إلى الشعوب التى لا ثقافة لها ، وأن هذا هو ما اعتزمه ، إذ قرر إرسال بعوث إلى جنوب أفريقية وشرقها وإلى أوغندا وإرتيريا ، أما البلاد العربية التى تتوافر لها الآن عوامل الثقافة فهى فى غنى عن ذلك ، ومع هذا فإن الأزهر مستعد لأن يمدها بالمدرسين كلما طلبت حكوماتها إليه هذا .

وبهذه المناسبة نلفت النظر إلى أمر يتعلق بنشر الثقافة الأزهرية فى سائر البلاد العربية ، ذلك أن فى الأزهر كثيراً من البعوث الوافدة إليه من مختلف البلاد الإسلامية ، ومن المفهوم طبعاً أن الغرض من هذه البعوث هو أن يتزود أفرادها من الثقافة الإسلامية بالأزهر ، لينفعوا بها قومهم إذا رجعوا إليهم ، ولكن كثيرين من هؤلاء يقضون الأعمار فى مصر ، وتظل أرزاقهم من الأزهر جارية عليهم ، ولا يعودون إلى بلادهم . وأحسب أنى لست بحاجة إلى أن أقول إن مصر لا تضيق بهؤلاء الإخوان ، فهى ترحب بهم دائماً ولا تعتبرهم غرباء . ولكن المسألة هى أنهم ، بإقامتهم الدائمة هنا ، يفوتون الغرض الذى تنشده منهم بلادهم ، والذى من أجله أرسلتهم إلى الأزهر .

العربية فى الباكستان :

من أنباء الباكستان أن جماعة الثقافة العربية تطالب بتعميم تعليم اللغة العربية فى المدارس ، حتى تصبح هى لغة التعليم هناك ، وأن من أغراض هذه الجماعة نشر الثقافة العربية فى الباكستان ،

وأنها ترمى إلى تكوين جمهور يقرأ المؤلفات ودواوين الشعراء التى تصدر فى البلاد العربية .

وهذا أمر طبيعى ، فقد عرف المسلمون الهنود منذ الفتح الإسلامى بالإقبال على تعلم اللغة العربية ، وقد نبغ منهم فيها كثيرون فى الأدب وعلوم الدين ؛ ولغة التخاطب الحالية تحتوى على كثير من الألفاظ والتراكيب العربية . وشعور المسلمين فى الباكستان يتجه الآن نحو البلاد العربية ، وقد بدا أخيراً فى تأييدهم لقضية فلسطين ، ولا شك أن اللغة العربية وآدابها وثقافتها ، هى أهم ما يربطها بالبلاد العربية ، وهى وسيلتها إلى كتلة الجامعة العربية .

العرب وهيئة الثقافة الدولية :

عاد الأستاذ شفيق غربال بك من باريس ، حيث حضر اجتماع اللجنة التنفيذية لهيئة التربية والتعليم والثقافة الدولية (الأونيسكو) وهو عضو دائم فيها .

وقد قام الأستاذ شفيق بك بمساع لجعل اللغة العربية لغة رسمية لمؤتمر الهيئة إلى جانب اللغتين الانجليزية والفرنسية ، فكللت مساعيه بالنجاح .

ومن المعلوم أن هذه الهيئة تدعو إلى حسن التفاهم العالمى عن طريق التقارب الثقافى ، فمن أغراضها محاربة طرق التربية التى تغرس فى نفوس الناشئة فكرة السيادة العنصرية ، وهى لهذا تعنى بإعادة نشر التعاليم الديمقراطية فى ألمانيا واليابان .

وستعقد الدورة الثالثة لمؤتمر الهيئة العام فى بيروت ابتداء من يوم ١٤ أكتوبر القادم وستمثل به الدول العربية ، وتهتم الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، بتنسيق الصلة بهذا المؤتمر .

القصة والشعر :

ظهر من إحصاء فى الولايات المتحدة أن المجلات الخاصة بالشعر من أكسد المجلات ، ويقابلها المجلات القصصية التى تمد من أروجها ؛ والحال عندنا تشبه ذلك من حيث قلة الاهتمام بقراءة الشعر والإقبال على قراءة القصص ؛ وإن كان ليس لدينا الآن مجلة خاصة بالشعر بعد مجلة « أبولو » التى كان يصدرها الدكتور زكى أبو شادى وقد تعطلت منذ سنين ؛ كما أنه ليس لدينا مجلة خالصة لفن القصة الرفيع بعد مجلة « الرواية » التى أدغمت فى « الرسالة » وأرى أنه يجب المبادرة بفك هذا الإدغام لضرورة الاحتفاظ بمستوى القصة باعتبارها فناً من فنون الأدب ، لأن التسابق على تقديم مواد تافهة للقراءة السهلة ، يكاد ينحدر بالقصة إلى مستوى هذه المواد .

كتاب التسلية :

فى مقال بمجلة النداء عنوانه « الصحافة المصرية ... تطورت !! » قال الأستاذ سلامه موسى :

« إن الكتاب التافهين قد فشوا فى هذا المناخ الصحفى الجديد ، وصار دأبهم تسلية القراء دون أن ينفعوهم ، وهناك مجلات أسبوعية ليس فيها شىء آخر غير التسلية ، وهى حرب على الذكاء والفهم كما أنها تنشر الأمية السياسية بين القراء . والأب الذكى والأم المستنيرة التى تتبصر للمستقبل يجب أن يقاطعا مجلات التسلية حتى ينشأ أبناؤهما على جد ونقد وذكاء فى معالجة الشئون السياسية والاجتماعية ، لأن جرائد التسلية تبلد الذهن وتجعل القارئ يهتم بالتافه دون الجدى من الشئون ، ويصبح هذا الاتجاه خطته فى الحياة لا فى القراءة فحسب »

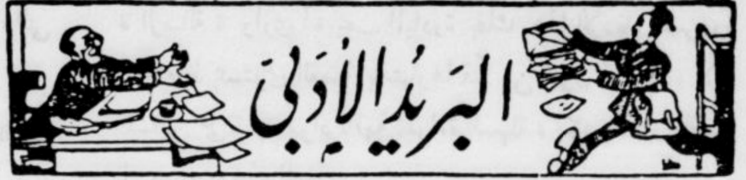
كتب مصرية لجامعة ألمانية :

طلبت إحدى الجامعات الألمانية إلى بعض المراسلين الألمان فى مصر ، أن يتصلوا بالمؤلفين المصريين ويطلبوا منهم نسخاً من مؤلفاتهم ليرسلوها إلى هذه الجامعة ، حتى تستطيع بذلك أن تعوض ما فقدته ، بسبب القنابل فى الحرب الأخيرة ، من المكتب والمخطوطات العربية التى كانت تحتويها مكتبتها .

معهد السينما :

اجتمعت لجنة النهوض بشئون السينما يوم الأربعاء الماضى برياسة وزير الشئون الاجتماعية ، لمواصلة بحث وسائل ترقية فن السينما ؛ وفى اجتماعها الأخير عهدت إلى يوسف وهبى بك وأحمد بدرخان ومحمد عبد العظيم ، وضع برنامج الدراسة فى معهد السينما المزمع إنشاؤه . وينتظر أن تبدأ الدراسة فى هذا المعهد فى العام الدراسى القادم ، وسيكون مستواه التعليمى مماثلا لمعهد التمثيل العالى ، وستتجه الدراسة فيه إلى الناحية النظرية والعملية فى وقت معاً .

العباس



الى معالى وزير العدل :

زار أحد الشعراء معالى أحمد مرسى بدر بك وزير العدل فى مكتبه بالوزارة ، فوجد من تواضعه وحسن استقباله وفرحته بلقاء الأدب ما أنطقه بهذه الأبيات :

أبى الله إلا أن تزيد تساميا   فما زادك الكرسى إلا تدانيا
وما حاجة العالى بأصل وسؤدد   ليطلب من جاه الوزارة عاليا
وما عجبٌ جمع النقيضين فى امرئ   بعدت ، ولكن كنتَ بالفضل دانيا
فما بدّل الكرسى منك جوانبا   ولا غيّر الكرسى منك نواحيا
ترى المجد أعمالاً كباراً وهمة   وغيرك يلقاه مُنى وأمانيا
وأوليتَنى بالعطف منك مآثرا   فقلدت جيدَ الشعر منك غواليا
وكدتُ أُمنّى النفس بالظلم مرة   لعلى ألاقى الحق عندك ثانيا

لى الزمخشرية :

كتب الأستاذ هارون محمد أمين فى بريد الرسالة الأدبى عدد ٧٦٥ تعليقاً تحت عنوان (لن لا تفيد تأكيداً ولا تأبيداً) تعقب فيه ما جاء فى كلام معالى عبد العزيز فهمى باشا من إفادتها لذلك وقال (والذى أعلمه أن لن كما ذهبت إليه جمهرة النحاة لا تقتضى تأبيد النفى ولا تأكيده ولم يقل بذلك إلا الزمخشرى) الخ ثم ذكر فى التدليل على إبطال ما ذهب إليه الزمخشرى قوله (واذكر فى الرد عليه أدلة منها أنه لم يقم دليل على كونها للتأبيد وأنها لو كانت كذلك للزم التناقض بذكر اليوم فى قوله تعالى : فلن أكلم اليوم إنسياً ، وللزم التكرار بذكر الأبد فى قوله تعالى : قل لن تخرجوا معى أبداً) ولا ريب أن ما ذكره الأستاذ هارون مبين فى مثل القاموس والمغنى وغيرها ؛ غير أن كثيراً من المحققين قد بحثوا هذا الموضوع وأتوا بما يختلف مع ما نقله الأستاذ هارون فرأيت أن ألفت النظر إليه :

ذكر الإمام الزمخشرى فى كشافه ومفصله : أن لن معناها تأكيد النفى ، ووافقه على ذلك كثير من النحاة كما ذكره الصبان فى حواشى الأشمونى والجلال السيوطى فى همع الهوامع . ونقل الأخير فى الإتقان أن العرب تنفى المشكوك بلا ، والمظنون بلن . وفى كلام سيبويه ما يؤيد هذا الرأى إذ يذكر أن لا نفى ليفعل ، ولن نفى لسيفعل والأخير مؤكد فى الإثبات فكذلك يكون نفيه . وقال السعد : إن منع إفادتها للتأكيد مكابرة .

أما دلالتها على التأبيد فقد نسبت للزمخشرى فى بعض نسخ أنموذجه وبعضها الآخر يتفق مع الكشاف والمفصل فى التعبير بالتأكيد دون التأبيد . ومهما يكن فنقطة الخلاف بين ما نسب إلى الزمخشرى وبين الجمهور هى : هل أن لن تستعمل على وجه الحقيقة فى غير التأبيد أم تختص به ؟ فالجمهور يقول بالأول والزمخشرى بالثانى . قال ابن مالك فى التسهيل : « وينصب المضارع بلن مستقبلا بحد وبغير حد ، خلافاً لمن خصها بالتأبيد » . وانتُقد رأى الزمخشرى هذا بما ذكره الأستاذ هارون . واتهمه ابن مالك بأن الحامل له على دعوى التأبيد اعتقاده بأن الله لا يرى فى الآخرة   وانتصر له بعض المحققين وأجاب عن التناقض المزعوم فى قوله تعالى : فلن أكلم اليوم إنسياً . بأن الزمخشرى لا يمانع فى استعمالها فى غير التأبيد مجازاً حتى يحصل التناقض . وعن التكرار فى : قل لن تخرجوا معى أبداً بأنه على تسليم وجوده لا محذور فيه ؛ إذ التكرار يرد فى كلام البلغاء للتأكيد. ورد على ابن مالك فى توجيه تلك التهمة بقوله : « إن ذلك خروج عن منصب المباحثة ؛ إذ بعد ثبوت إمامته فى العربية باتفاق أئمتها كيف ينسب إليه مثل ذلك الذى لا يصدر عن الجهلة ؟ فالإنصاف أن اجتهاده فى العربية المسلم له المبنى على تتبع مواطن الاستعمال قضى بحسب ما ظن بتأبيد نفيها ؛ وعليه خرج الآية الموافقة بحسب ظاهرها لمذهبه ، فقد بنى مذهبه على الاستعمال اللغوى دون العكس. على أن فى هذا البناء توقفاً ، إذ لا يمنع من التجوز فى الألفاظ ، فليس لما ذهب إليه كغيره من طائفته إلا الأدلة العقلية المبينة بردودها » ومما تقدم يتلخص أن لن تفيد تأكيد النفى عند كثير من المحققين كما أنها تستعمل حقيقة فى الدلالة على تأبيده وإن لم تتعين له خلافاً لما جاء فى كلام

الأستاذ هارون ، وأن الزمخشرى لم ينفرد إلا بدعوى التعميين ، على أن هذه الدعوى قد وافقه عليها ابن عطية أيضاً .

عبد الرحمن الفلهود
طرابلس الغرب

نشيد العرلى ! ! :

« اقترحت دائرة التوجيه الوطني في الهيئة العربية العليا (نشيداً يتفق مع روح الجهاد القائم فى أقطار العروبة ، يتضمن معنى الغناء فى أوزانه ، وينبض رجولة فى كل لازمة منه ، على أن يكون محدوداً لا يقل ولا يطل ...) وقد تخيرت هذا النشيد : »

نحن أبناء الصناديد الأباه قد ورثنا المجد لا نرضى سواه
فنهضنا نبتغى عز الحياه بقلوب كالرواسى لا تلين
لن ترى فينا جبان إن دعا يوم الرهان
وحنا رغم أنف الحدثان : لن يهان ! لن يهان !
سوف نمضى قدماً بين الأمم لا نبالى الموت ، لا نخشى الحمم
نبذل الروح إذا الخصم دهم ونوالى موكب النصر المبين
قد برزنا للجلاد مذ دعانا الاتحاد
وتعالى صوتنا فى كل واد : الجهاد الجهاد !

يا شباب العرب هيا للكفاح جردوا من عزمكم أمضى سلاح
وانزعوا من قبضة الدهر النجاح فلقد هان الذليل المستكين
أنت حر لا تضام يا فتى العرب الهمام
فتقدم لا تبالى بالحمام : للأمام ! للأمام

محمد سليم الرشدان
رام الله — فلسطين
ماجستير فى الآداب واللغات السامية

بين تيمور والنشاشيبى :

أحب أن أؤكد للأستاذ الفاضل « منصف » أن ما ذكرته فى مجلة الكتاب عن مخطوط « النوادر » هو الصحيح ، فقد رجعت فى ذلك إلى أناس قرأوا الكتاب بأعينهم ، ووصفوه بما ذكرت . ولو كنت بالقاهرة لنقلت له ما قاله الأستاذ محمد كرد على والسيد محمد الببلاوى فى هذا الصدد ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

على أن النسخة الخطية للكتاب لا تزال فى حوزة اللجنة المؤلفة لنشر مخطوطات تيمور ، فلا أقل من أن يتفضل أحد أعضائها الأفاضل فيحكم بيننا فى هذا الموضوع .

وقد يكون الأستاذ « منصف » قد قرأ فى النوادر نادرتين متتابعتين أو أكثر فى موضوع واحد ، فظن أن الكتاب مبوب مقسم ، والحقيقة أن هذا من قبيل التصادف فحسب ، وفى نقل الأديب ما يماثل ذلك ، بل إن النشاشيبى رحمه الله قد أفرد قبل وفاته عدة صحائف من نقله فى موضوع واحد ، هو الحث على الجهاد ، وكان ذلك بمناسبة الدفاع عن فلسطين ... هذا وللأستاذ المنصف تحياتى .

(الكفر الجديد) محمد رجب البيومى

حول قصة تضحية أم :

طالعت فى العدد الماضى من الرسالة القصة القيمة التى كتبها الأديب عبد القادر صادق من دمشق والتى قدم لها بأن رواها له شيخ جليل زار الشرق الأقصى للتبشير !

ولقد لاحظت أنها وقعت فى حرب ١٩٠٤ ، وهى سنة متقدمة جداً بالنسبة لسن الكاتب الفاضل ، وللمبشر الجليل !

ويؤسفنى أن أقرر هنا للحقيقة والتاريخ ، أن هذه من صنع مصر ، لم يصنعها خيال الأديب الكاتب ، ولا رواية الشيخ المبشر ، ولكن صاغها قلم هذا الضعيف — حسين الغنام — ونشرها فيما نشر من صور بطلات النساء التى كان ينشرها فى (جريدة الجلاء) بمدينة الإسكندرية . وكان ذلك عام ١٩٣٨ ... حتى أسماء الأبطال هى أسماء الأبطال ، مع تحوير طفيف ، وسبحان جامع الخواطر .. !

هذا مع اعتقادى أن للقصة أصلاً عربياً صرفاً ...

حسين مهدى الغنام

تصحيح :

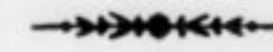
فى مقال الأستاذ « الجاحظ » « الشيوعية فى الإسلام » فى العدد (٧٧١) من « الرسالة الغراء » ورد استدلال فى كلام « جمال الدين الأفغانى » بقوله تعالى « واعلموا أنما غنمتم من شىء فلله خمسه » والصواب « فأن لله خمسه » وجاء بعد ذلك « ولذوى القربى » والصواب « ولذى القربى » والله الموفق .

على زين العابدين منصور



« نــــار ونور »

ديوان شعر للأستاذ محمد مجذوب



شعرنا العربى فى العصر الحاضر يعانى أزمة ..

ومعنى ذلك أننا نعانى أزمة شعورية .. أى أننا لا نستطيع أن نستوحى الحياة لنستمدّ منها الإلهام ، ولا نتعمق النفس الإنسانية لنسبر غورها .. ولا نمد أبصارنا إلى هذا الكون الواسع لنجول بأفكارنا فيه .. أى أننا لا نستطيع أن نخلو إلى أنفسنا ساعة نستوحيها ، ولا نعتمد على شخصياتنا لنستقل بأنفسنا ، ونؤمن بنظرتنا الذاتية .

نعم ! إن الشعر العربى فى أزمة محكمة ..

أساسها أننا لا نزال غير متفقين على معنى الشعر .. فكثيرون يحسبون أن كل من سطّر أبياتاً وقيدها بالوزن وسجنها فى (قارورة) القافية شاعراً من شعراء عصرنا المعدودين ..

وشعرنا يتلوى بين فئتين : فئة تغرق فى الإغراب ، وتولع بالطلاسم والأحاجى ، ولا تفرق بين الرموز السحرية ، والألفاظ الشعرية ، فتأتى بما لا يفهمه الناس ولا يتذوقونه .. ولا يمكن أن يُنسب إلى الشعر فى أية حال من الأحوال ؛ فتخنق العاطفة ، وتملأ شعرها بالصور المضطربة المتهالكة التى لا تستند إلى ركن من المعقول ..

وفئة لا تزال تعيش فى القرن الرابع الهجرى ؛ تحسب الشعر تقليد الشعراء القدامى ، والسير على مناهجهم ، وإحياء المديح والرثاء المتكلف ، وتظن الشعر كلمات محنطة ، وجملا متراصة ، وقوافىَ مسجونة لا يربطها نظام ، ولا تصل بينها وشائج قربى ، فترمى الناس بالفت ، وتعرض عليهم معارض للألفاظ المحنطة التى لا تحمل رصيداً من عاطفة ، ولا خفقة من إحساس ، ولا ذرة من إدراك . .

ونحن الآن فى عصر الذرة ، عصر النور والكهرباء ، عصر التيقظ والاندفاع إلى الأمام ، وكسر القيود ، وإدراك القيم السامية للحياة ، والتفكير العميق بالمثل العليا التى يجب أن تكون عليها الإنسانية لترفل فى برد السعادة ، وتتمتع بثمار الطبيعة ، وتنعم بأفياء الجهاد ... نحن فى عصر القومية ، عصر الاستقلال الذاتى ، فإذا رأينا فئة تلغز فلا نفهم شيئاً ، وأخرى تعبث ولا تصدر عن شىء ، فماذا يكون موقفنا منهما ؟

موقفنا منهما أن ننتصر لأمتنا الناهضة الباسلة ، ولقوميتنا النامية المتحفزة ، ولذاتيتنا التى تريد أن تستقل ، وتكوّن كياناً خاصاً بنا — نحن أبناء العرب وبنى العصر الحاضر . . — فإذا حددنا موقفنا رسمنا خطتنا بإزاء من يعتدى على قوميتنا ، ويلهو بنا ، وينتمى إلى الحط من شعرنا العربى عن قصد أو عن غير قصد.

وديوان (نار ونور) يمثل الفئة الثانية تمثيلا صادقاً ! ويعبر عن العقلية المحدودة ، والنظرة الضيقة ، والعاطفة الميتة التى عُرف بها شعراء هذه الفئة . فلننظر فى هذا الديوان :

الشعر — كما أفهمه — تجربة نفسية صادقة ، وتصوير دقيق لهذه التجربة .. فهو نتيجة لاستجابة عاطفية أو فكرية للمؤثرات الخارجية معروضة فى تعبير لغوى دقيق .. فنحن نعيش فى هذا العالم محاطين بأشياء كثيرة ، أحياء وجماداً .. والحياة التى تخفق بين جوانحنا تدفعنا إلى التأثر بهذه الأشياء إيجاباً أو سلباً . فما علينا إلا أن ننقل إحساسنا الصادق إلى القرطاس .

هذا هو الشعر فى أبسط تعاريفه ذو ركنين من العاطفة والتعبير الصادق .

فماذا حقق لنا الأستاذ المجذوب من هذين الركنين ؟

فى الديوان قصائد أملتها المناسبات ، وقصائد أخر تعبر عن آراء الشاعر فى الناس ، ونظرته إلى الحياة .

وأنا أمقت شعر المناسبات لأنه (كالسُخرة) الأدبية وكالتجارة التى يلتجأ فيها الشاعر إلى المراوغة والكذب ، وإلى الخداع والتضليل ، أضف إلى ذلك أن شعر المناسبات يقيد شخصية الشاعر التى يجب أن تظهر واضحة جلية طليقة فى كل ما ينظم .. وشعر المناسبات يدفع الشاعر إلى إرضاء الجماهير ، وإرضاء الممدوح ، وتملق العواطف

وفى قصائد المناسبات من هذا الديوان تظهر نفسية الشاعر

المضطربة : بتكلف المعانى ويسرف فى التكلف حتى يخيل إلينا أنه يعبث عبث الصبيان ، وينشأ من غير عاطفة أحسها ، ومن غير شعور اختلج فى نفسه . .

وتلك هى النكبة الكبرى فى هذا الديوان . فالشاعر يعرف الشعر رصف كلمة جنب أخرى ، ووضع بيت تحت بيت ، فتراه يرثى رجلا ، ويمدح محسنا ، ويحتفل بمولد طفل ، وينظم برقية تعزية ! . . وهذا أعجب ما عرفت فى هذا الباب .

فلنفرض على القارئ الكريم شعر المناسبات هذا . . شعر المناسبات الذى دافع عنه الشاعر ولم يحسن الدفاع كما لم يحسن التطبيق . . ولتكن عندنا أناة وصبر لنعرف منزلة هذا الشاعر الكبير . . ولنقرأ مدحه لمعالى مظهر باشا رسلان الذى يقول فيه :

آية الفن أن يفيض على الظلـم سميراً وفى الجمال فنونا !
فأدرها صهباء فى عرس الحق تردّ الوجود شعراً مبينا
المنى فى يديك قاصرة الطرْ ف فمتع بحسنهن (الجفونا) !
لفها النور فى وشاح من الخالـ د أراق الدجى عليه الشؤونا (؟)
وذرا فوقه الكواكب حمرا ء عليها دم الضحايا سخينا !

أقرأت هذا العبث اللفظى الذى لا طائل وراءه ؟ . . أرأيت المنى ومتعت (جفونك) — لا أهدابك — ؟ . . أرأيت دم الضحايا (السخين) . . ثم اقرأ هذا المدح ، وافهم الصفة التى أطلقها الشاعر على ممدوحه :

يارسول السلام والرحمة الكبر ى ورب الجحاجيح المنقذينا
ومنار الهداة للمدلج السا رى وغيث السماء للمجدبينا

لو بيعت هذه الألقاب فى السوق فهل تعرف كم يكون ثمنها ؟

إننا نمقت شعر المناسبات لأنه يطلق الألقاب دون استحياء ولاخجل؛ فهذا رسول السلام ، وذاك رب الرحمة ، وآخر غوث السماء ، ورابع أمام الفضيلة والإحسان والجود ...

ولننتقل إلى الرثاء لنقرأ رثاءه لغازى حيث يقول :

اختنق يا لواء حزناً فإن الشمس مخنوقة السنا فى الأعالى
اختنق إن فى اختناقك معنى غصة الدمع فى صدور الرجال
اختنق فالمصاب بالبطل المر موق (من شرفة النهى والخيال)
اختنق فالشآم سكرى وبغدا د ثكول والقدس فى زلزال !!

ولم يختنق إلا القراء المساكين من هذه المبالغات الغريبة .

إن رثاء الأستاذ المجذوب يذكرنا بشعراء الفترة المظلمة ، حين قبروا الفضيلة ، وكسفوا الشمس ، وخربوا الدنيا ، ورثوا الحق والإنصاف والكرم والمثل العليا . . لماذا ؟ . . لأن صاحبهم مات . . الله يرحمه . . أما سائر شعر المناسبات فنتركه لن أصابه السهاد !

ولنأت إلى أشعاره التى تضمنت آراءه فى الناس وفى الحياة .

والأستاذ المجذوب فى هذا الباب يحاول تقليد الصافى النجفى الشاعر الإنسانى الساخر . . وهيهات أن يبلغ ذلك ! . . لأن الصافى شاعر دقيق الملاحظة ، فياض الإحساس ، عاطفى المزاج ، إنسانى النزعة ، يفكر فينفذ إلى الأعماق ، ويصدر عن شخصيته القوية التى طبعت شعره بطابع خاص . تلك الشخصية التى كونتها حياة الصافى الخاصة ، وظروفه المحيطة به .

أما الأستاذ الشاعر فسخريته مصطنعة ، وآراؤه غير عميقة ؛ فإذا أراد أن يسخر استهزأ بالناس ، ولمن القدر والحياة . . كأن السخرية استهزاء بالناس وعبث بالأوضاع .

والهجوم على الناس أصبح (موضة) هذا العصر . . فإذا أراد رجل أن يرفع نفسه ، ويسمو متكبراً على حساب الآخرين ذم الناس والدنيا ، وكفر بكل شىء . . وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على (مركب نقص) . . فالنفس الكبيرة تحترم النفوس وإن كانت صغيرة . وأنا لا أنكر أن فى الدنيا شراً كثيراً ، وأن أوضاع الناس قائمة على شىء من الظلم والقسوة . . ولكننى أود أن لا ننخدع بالمظاهر الكذابة ولا أريد أن نلهو بالفقاقيع . . بل أريد الشاعر يختص بالانفعالات النفسية ، وبالخلجات القلبية أريد الشعر يرتفع إلى أعلى لا ليتحدث عن الصدق والكذب ، وعن غرور الناس وضلالهم حديث الحكيم أو الواعظ . . بل أريده تصويراً صادقاً للواقع ، وعرضاً دقيقاً للحياة .

والأستاذ المجذوب ينظم باللغة المهلهلة ، ولا يفرق بين لغة الشعر ولغة الجرائد اليومية . . والوزن والقافية جنيا عليه جناية كبيرة . . وكثيراً ما يفلت من يديه الوزن فيضطرب . . أما الحشو فكثيراً ما يلجأ إليه الشاعر للمحافظة على الوزن . ومن أمثلة (الزمان النائى ، والظلام المبيد ، والساحل المنكود) . .

والأخطاء اللغوية كثيرة أردت أن أحصيها فملت . والخلاصة أنى تكلمت عن هذا الديوان لأعرض صورة من صور هذه الأزمة الشعرية فى أدبنا العربى . . ولا نستطيع أن نظفر فى الديوان كله بغير قصيدة واحدة ترتفع إلى منزلة الشعر ، وهى (رثاء مستنقع) والحق أنها من أبدع الشعر وأصدقه وأكثره عاطفة وشعوراً .

غائب طعمة فرمان

مطبعة الرسالة

العدد ٧٧٣ — الاثنين ٢٦ أبريل ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٧٣ — الاثنين ٢٦ ابريل ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٣٤

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 773 — Lundi — 26 — 4 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧٧٣ « القاهرة في يوم الاثنين ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ — ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

دعويان منفصـــــلتان

للأستاذ عباس محمود العقاد

تلقيت من الأستاذ صاحب التوقيع خطاباً جاء فيه :

« ... قابلت فتى ممن يسمون أنفسهم بالتقدميين وهم يعلنون عن أنفسهم بصراحة . فبدأ يهاجم كعادتهم ، وكان محور هجومه عمر بن الخطاب . »

« اتفقنا من حوارنا على أن الغرض الأساسى للدين هو علاج الأمراض الاجتماعية ومنها الناحية الاقتصادية . فلا يكون هناك المعدم وصاحب الملايين . قلت إن نظام الزكاة فى الإسلام يحقق ذلك ، فقال : تعال مع لنرى هل أفلح هذا النظام فى عصر من العصور . إن محمداً قد أفلح بدينه فى نقل الناس من حياة العبودية إلى حياة حرة ، فتطلع الناس إلى حقوقهم وأخذوا يدركونها . وفى عصر عمر الذى بلغ فيه الإسلام أوجه ، حدث أنه كان هناك امرأة تطبخ الحصى لعيالها الجياع بجانب رجل يهب لبيت المال عدة ألوف من النوق ... ولا يوجد فى التشريع الضمان الاجتماعى الكافى الذى يمنع حدوث هذا الفارق . وتناولنا الكلام على الضريبة التصاعدية ، فادعى أن الإسلام لا يقر النظام التصاعدى فى الضرائب .. وأن شخصاً مثلى — وغيرى كثير — لم يؤهلهم تعليمهم للرد على هذه الدعاوى وإقناع من يضطربون من الشك من جراء ما ينفثه زملاؤهم التقدميون من آراء فاسدة . . فهلا توليت الجواب على هذه الآراء حتى تهدى الحائر وتخرس الضال .. ولكم منى الشكر ، ولو على قراء هذه الرسالة »

السيد محمد الغزى

معيد بكلية الهندسة : جامعة فاروق

***

والذى نريد أن نبدأ به هو الفصل التام بين أمرين مختلفين يجمع بينهما هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالتقدميين .

الأمر الأول فساد المجتمع الحاضر .

والأمر الثانى أن الشيوعية هى علاج هذا الفساد .

فمهما يكن من مرض زيد من الناس فليس هذا بشهادة طب لكل من يدعى القدرة على علاجه ، ولو كان من المشعوذين زيد من الناس مريض لا شك فى اشتداد المرض عليه . سلمنا . وذهبنا فى التسليم إلى غاية ما يريدون . ولكن مرضه هذا لا يشهد بالقدرة الطبية لكل من يعالجه ، ولا بصحة الدواء الذى يوصف له فى ذلك العلاج .

هذا شىء ، وهذا شىء آخر ، ولابد من الفصل بين مرض زيد ودعوى الطبيب . لأن الطبيب الجاهل أضر من المرض ، أو أضر من ترك المريض بغير علاج .

والشيوعية لم تثبت قط — نظراً ولا عملا — أنها هى الطبيب الصالح لعلاج الفساد فى المجتمع الحاضر . فقد كانت

روسيا أكثر من عشرين مليوناً من أبنائها ذهبوا فى المجاعات والأوبئة والفتن الأهلية ، وكلفتها حرية أبنائها الذين لا يملكون حق انتقاد الحكومة فيها ، ومضى عليها ثلث قرن من الزمان فى تطبيق دائم تعززه القوة الغالبة ، فكانت نهاية المطاف أن روسيا تأخذ بنظام الطبقات وتخشى أن تنكشف للعالم ، فيطلع العالم كله على فشلها ، ولا تزال محتاجة إلى إثارة الفتن فى كل بقعة من بقاع الأرض ، لتأمن على نظامها المتصدع الذى تخشى عليه الزوال .

أما أن الغرض الأساسى للدين هو علاج الأمراض الاجتماعية ، فهذا غير صحيح .

لأن الأمراض الاجتماعية عارض يتغير من عصر إلى عصر ، ومن بلد إلى بلد ، ومن سلالة بشرية إلى سلالة أخرى .

ولو كان الدين مسألة هذا المجتمع أو ذاك لوجب أن يكون لكل أمة دين ، وأن يتغير هذا الدين فى كل عشرين أو ثلاثين سنة ، وهذا غير الواقع الذى نراه .

إنما الدين علاقة بين الإنسان وبين هذا الوجود كله ، أو علاقة بين الموجودات الإنسانية وبين مصدر هذا الوجود .

ما الإنسان ؟ ما مصيره ؟ ما هو رجاؤه فى حياته ؟ ما هو قوام الحقائق والأخلاق فى ضميره ؟

هذا هو مناط الدين وهذه هى رسالة الدين .

فهو مسألة إنسانية تلازم الإنسان على توالى العصور ، وعلى اختلاف المجتمعات .

ثم يأتى إصلاح المجتمع من طريق إصلاح الضمير .

فإذا صلح الضمير صلح المجتمع من هذا الطريق .

وإذا سلمنا بالتطور فمعنى التطور أن يكون هناك عيب يتبعه كمال ، وأن يكون هناك خطأ يتبعه صواب ، وأن يكون هناك سىء يتبعه حسن ، أو حسن يتبعه ما هو أحسن .

فلا يصح أن يكون النقص دليلا على فساد النظام كله ، لأن التدرج يستلزم وجود النقص فى كل طور من الأطوار ، أملا فيما يعقبه من التمام والصلاح .

وليس الصلاح على كل حال هو منع التفاوت بين الناس . لأن التفاوت سنة من سنن الحياة ، بل علامة من علامات الارتقاء فى هذه الحياة .

لا تفاوت بين ذرة وذرة من ذرات الجماد .

لا تفاوت بين خلية وخلية من خلايا الجراثيم .

لا تفاوت بين حشرة وحشرة من صغار الحشرات .

ولكن التفاوت يزداد كلما ارتقى الكائن الحى فى معارج الحياة ، ولا يزال هذا التفاوت مطرداً حتى يبلغ غايته فى الإنسان، فيصبح الفارق بين إنسان وإنسان كالفارق بين الأرض والسماء تلك هى علامة التطور والارتقاء .

ومع هذا التفاوت الذى يلازم الارتقاء ، لا معنى لإلغاء التفاوت فى المراكز والأرزاق .

نعم إن المساواة واجبة فى الحقوق ، ولكن هذه المساواة لا ينبغى بحال من الأحوال أن تكون مساواة بين حق المجتهد وحق الكسلان .

لأن المساواة بين المجتهد والكسلان تجنى على الكسالى أنفسهم قبل جنايتها على المجتهدين .

فالحياة كلها حافز واستجابة Stimulus and Response

وليس فى الحوافز البشرية حافز أقوى من حافز الخوف من عاقبة الكسل والإهمال ، إذا رأى الناس أن الكسل والإهمال يحرمان صاحبهما حظه من الرزق والطمأنينة .

فإذا زال هذا الحافز زال الباعث على التقدم والنشاط واستخدام القوة الكامنة فى كل بنية حية، وانحدر الإنسان إلى حضيض الحيوان وإذا حدث هذا فالبلية فيه أعظم جداً من بلية آحاد من الناس يطبخون الحصى فى وقت من الأوقات ، لأنها بلية تحيط بالطبيعة البشرية كلها وتقضى على جميع حوافز الحياة .

وإذا كان التاريخ يروى لنا اليوم أن امرأة فى عهد عمر ابن الخطاب كانت تطبخ الحصى فأنقذها عمر ، فالفضل فى ذلك للنظام الذى جعل هذا الحادث مثلا يروى فى التاريخ ، ولم يطمسه بغشاوة الظلم والكتمان كما تنطمس اليوم ألوف الشكايات فى مجاهل سيبريا ، وفى ظلمات السجون ، وفى حنايا القبور ، فلا يعلم بها أحد من الناس فى ساعتها ، فضلا عن علمه بها بعد مئات السنين .

أما حديث صاحبك عن الضريبة التصاعدية فى الإسلام فهو

سياسة الصهيونيين المالية ونذالتهم

للأســـتاذ نقولا الحداد

أسأل الأستاذ لطيف مختار من بغـداد ، و « العاصف » (المهذب) المجهول العنوان ، والفتى الأديب حسن من المنصورة ؛ هؤلاء الذين لاموني فيما كتبت عن اليهود والتلمود والبروتوكولات الصهيونية — أسألهم : هل بلغ إليهم ما فعله الصهيونيون في بلدة دير يسين غربي القدس ، وفي بلدة ناصر الدين قرب طبرية وغيرهما من التقطيع بالأجنة في الأرحام والرضَّع على الصدور والأطفال في الأحضان ، ومصونات النساء في الخدور ، والشيوخ الضعفاء العزل من السلاح ، وما فعلوه في قرى أخرى حيث لا توجد حامية من الرجال للدفاع ضد قوة صهيونية تفوقها عدداً وعـدداً خمسين مرة ؟

هل عرف أولئك الذين لاموني فيما كتبت أن هؤلاء الصهيونيين الذين قرَّع بهم العالم في الجرائد والبرلمانات لأجل هذه الفظاعات يستهزئون بهذا التقريع ويفتخرون بهذه النذالة .

وهل يعلم الذين لاموني أن هذه هي أخلاق اليهود « يتمرجلون » على الأطفال والنساء ، ولـكنهم أمام أبطال العرب يفرون فرار الأرانب والفئران ، وأنهم في معاملاتهم حيث تقوم قوة الحق لسحق الباطل يكونون كما قال القرآن الشريف : « ضربت عليهم الذلة والمسكنة » .

هؤلاء هم الذين رأيناهم يتنكلون بالضعفاء ، ولـكنهم يخرون ساجدين أمام الرجال الأبطال . لماذا نطلب منهم المروءة والإنسانية ؟ أعرب هم ؟ هذه أخلاق العرب . العرب ينذرون أهل القرية قبل ضربها لـكي يخرج منها النساء والأطفال(١) .

لله ما أشرف النمور والفهود والذئاب ، وما أحنَّ الهـررة وأرق قلوب الـكلاب .

وهل علم الذين لاموني أن حاخام اليهود في فلسطين (حاكمهم

(١) وفي مظاهرة في بيروت احتجاجاً على فظائع اليهود أحاط الجنود بالحي اليهودي لـكي يحموا اليهود من غضبة الشعب . هكذا يرد العرب على نذالة اليهود .

حديث خرافة ، لأن ولي الأمر في الإسلام — مع قيام الشورى في حـكومته — يستطيع أن يفرض ما يشاء ، كما اقتضته مصلحة المجموع .

***

ولضريبة عمر في أعناقنا بقية على ما يظهر .

فقد جاءنا أيضاً هذا السؤال عن عمر بن الخطاب من الأديب صاحب الإمضاء . قال :

« ... في كتابكم عبقرية عمر أنه رضي الله عنه أوصى بوضع قواعد النحو ، بينما يقول أستاذنا الفاضل بأن الذي أوصى بوضعها هو علي بن أبي طالب ... فهلا تفضلتم بشرح هـذا الاختلاف ؟ ...

أحمد كمال الدين الفرابلي

طالب بمدرسة العروة الوثقى الثانوية بالإسكندرية

وجوابنا للطالب الأديب أننا اعتمدنا فيما كتبناه على مسند عمر في الجامع الـكبير حيث قال أبو مليـكة : « قدم أعرابي في زمان عمر رضي الله عنه فقال : من يقرئني مما أنزل على محمد ؟ فأقرأه رجل (براءة) فقال : « إن الله برئٌ من المشركين ورسولِه » بكسر اللام في رسوله . فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله قد برئٌ من رسوله فأنا أبرأ منه . فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه . فقال : يا أعرابي ! أتبرأ من رسول الله ؟ فروى له القصة . فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي . قال فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن الله برئٌ من المشركين ورسولُه . فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما برئٌ الله ورسوله منه . فأمر عمر رضي الله عنه ألا يقرئ الناسَ إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود فوضع النحو » .

وهذه رواية يصح التعويل عليها ، وقد ثبت على كل حال أن الفاروق رضي الله عنه كان ينكر بعض اللحن في كلام معاصريه ، ويوصي بحفظ عيون الـكلام لتمكين ملـكة الفصاحة وتقويم اللسان .

عباس محمود العقاد

أو حكيمهم) بعث برسالة إلى جلالة الملك عبد الله يدعى أنه استفظع هذه انفظائع التي فظَّعها اليهود والهاجاناه . لماذا يبعث الرسالة لجلالة الملك عبدالله وحده ؟ هل هناك سر سيظهر بمدئذ ؟ ونظن أن جلالة الملك عبد الله أجابه : إن كنت لا تستطيع أن تمنع هذه الفظائع فاستعف من منصبك وأنت زعيم المفظمين ، وإن كنت لا تتحمل حقيقة وقر هذه النذالة فاذهب إلى مغارة في جبل نبو جنوبى أورشليم حيث دفن النبى أرميا تابوت العهد المحتوى على اللوحين الحجريين اللذين كتب الله بأصبعه عليهما وصاياه ؛ واسمع هناك صوت الله « لا تقتل » ، واستغفر الله عن شعبك إن كان الله يقبل الاستغفار .

هؤلاء هم الذين إذا لامهم أحد لفظائعهم قالوا : « هى حرب إبادة » . ولكنهم يجهلون أنهم يبيدون عن بكرة أبيهم قبل أن تبيد كتيبة من العرب . لله ما أجهلهم !

هؤلاء أيها العاذلون هم اليهود الذين يريدون أن ينشئوا دولة يهودية فى فلسطين تكون دولة الدول الصهيونية التى تضع تحت أقدامها جميع دول العالم . هؤلاء أيها اللاحون هم الذين يجب أن نجاورهم ونعيش بين ظهرانيهم عبيداً أذلاء إذا نجحوا .

هؤلاء هم شعب الله المختار الذى يقول إن الجوييم غير اليهود من جميع الأمم هم بهائم .

هؤلاء هم الذين أشفقتم عليهم من قلبى وما علمتم أن قلبى ليس إلا فاضحاً برامجهم ومواثيقهم السرية ، وليست أعمالهم إلا تطبيقاً لمواثيقهم — بروتوكولاتهم . وإليك فصلا من مواثيقهم عن سياستهم المالية :

العمل ورأس المال — الميثاق السادس :

البند الأول : يجب أن ننشىء فى أول فرصة احتكارات ومخازن (مصارف) احتياطية للثروات الضخمة تتوقف عليها ثروات الجوييم (الناس الذين ليسوا يهوداً) إلى أن تهبط هذه إلى القعر مع اعتمادات الحكومة على أثر الهبوط السياسى (يعنى أن تضمحل هذه الثروات متى حصل انقلاب سياسى خطير) .

بند ٣ — يجب أن نعظم أهمية حكومتنا العليا بكل طريقة بحيث تكون ممثلة لحماية جميع الذين يخضعون طواعية لنا ولمصالحتهم (لأن هؤلاء أصبحوا فى يدنا نتصرف بهم كيف نشاء) .

بند ٤ — ستكون قوة أرستقراطية الجوييم قد ماتت (تجاه قوة المال طبعاً) فلا ينبغى أن نحسب لها حساباً ، وإنما يجب أن نحسب حساب أصحاب الأملاك منهم ؛ لأنهم يظلون ضارّين لنا بمعنى أنهم يعتمدون عليها فى مصادر أرزاقهم (فلا يحتاجون إلينا) ، ولذلك يجب أن نبذل كل جهد فى أن نجردهم من أملاكهم بأن نسعى إلى فرض الضرائب الثقيلة على هذه الأملاك وتحملها الديون الباهظة ، وهذا التدبير يضعف عمليات الامتلاك ، ويقلل الميل إلى التملك ، وبالتالى يجعل الملاك خاضعين لنا بلا قيد ولا شرط .

(ولهم طرق أخرى فى تجريد الناس من أملاكهم وأموالهم منها أن يسلطوا عليهم نساءهم فى أندية الدعارة كما كانوا يفعلون فى فلسطين وغيرها . يشترون الأملاك من أصحابها بالأثمان الباهظة والنساء يستردون هذه الأموال بثمن لا قيمة له عندهن ولا عند رجالهن ، وما هذا بالأمر المنكر عندهم كما ذكرنا فى البند ٢٢ من الميثاق الأول فى مقال سابق) .

بند ٥ — ولما كان الأعيان من الجوييم بحكم الإرث الطبيعى والاجتماعى لا يكتفون بالقليل فى إشباع شهواتهم فإذا عزَّ الكثير عليهم يتحرقون ويطيرون شعاعاً (لاريب أن الصهيونيين مصيبون فى هذه الفلسفة . فليس للأعيان صبر على المضض كما لليهود)

بند ٦ — فى نفس الوقت يجب أن نسيطر بكل جهدنا على التجارة والصناعة جميعاً ونجعلها تحت إرادتنا وإدارتنا . وإنما قبل كل شىء يجب أن ندير دفة المضاربات التى تلعب الدور الخطير فى تهيئة الموازنة بينهما (أى فى خضوع الصناعة لنظام المضاربات) لأن عدم دخول الصناعة إلى دار المضاربات يضاعف رؤوس الأموال فى أيدى الخاصة ويساعد على تقوية الزراعة بتحرير الأرض من عبء الديونة لبنوك الأراضى (وهذا أمر مناقض لمساعيهم فى السيطرة) ، والذى نبتغيه هو أن الصناعة يجب أن تستنزف من الأرض قوة العمل ورأس المال بواسطة المضاربات ، وهذه

تسرب إلى أيدينا جميع أموال العالم ، وحينئذ نترل الجوييم إلى درجة العمال ، وثمت يخر الجوييم ساجدين لنا رغم أنوفهم وإلا فلا يستطيعون أن يعيشوا .

(فترى مما تقدم اللعبة الشيطانية فى استنزاف الأموال بواسطة المضاربات المختلفة . ولهم طرق أخرى لسلبها كاليانصيب على اختلاف أنواعه ، والتأمينات والمراهنات المتنوعة كالسباق وصيد الحمام وأشكال القمار ونحو ذلك . كل هذه من اختراعاتهم)

بند ٧ — ولكى يتم هدم الصناعة عند الجوييم يجب أن يُساعد فعل المضاربات بفعل الترف الذى نشرناه بين الجوييم . لأن الترف يلتهم منهم كل شىء (المال والشرف والوطنية الخ) فيجب أن نرفع الأجور والماهيات ، فإن هذه لا تنفع العمال النفع الذى يتصورونه ؛ لأننا فى الوقت نفسه نرفع أسعار الحاجيات زاعمين أن ارتفاع الأسعار نشأ من انحطاط نتاج الزراعة والمواشى . ويجب أن نزعزع ما أمكن مصادر الإنتاج بأن نعوّد العمال على الفوضى والاعتصاب والإضراب وإدمان المسكرات ، وإلى جنب ذلك نبذل كل جهد فى أن نستأصل عن وجه الأرض جميع قوى الثقافة عند الجوييم .

(هل يمكن إبليس الرجيم أن يستنبط وسائل للهدم والتدمير أقوى من هذه ؟ إن هؤلاء الحكماء الصهيونيين هم أساتذة الأبالسة) .

البند ٨ — ولكيلا يفطن الجوييم إلى مقاصدنا هذه قبل مجىء الوقت الملائم لإعلان دولتنا يجب أن نوهمهم بأننا راغبون رغبة صادقة فى خدمة طبقات العمال وتقويم المبدإ الأساسى للاقتصاد السياسى الذى نسدد إليه ومنه جميع أنواع دعايتنا .

(أترى كيف أنهم يعملون أعمالهم الخبيثة من وراء ستار الأعمال الصالحة ؟) .

الميثاق التاسع :

بند ٢ — إن كلمات السر — الحرية والإخاء والمساواة — التى وضعناها نحن للماسونية لكى تظهر جمعية صالحة يجب أن تتغير متى تكونت مملكتنا إلى هذا التعبير : — حق الحرية وواجب المساواة ونظرية الإخاء — هكذا يجب أن نصوغها ، وبها نمسك الثور من قرنيه ، ونكون قد نقضنا بالفعل كل حكم ما عدا حكمنا ، وإن بقى بعض الأحكام السابقة قائماً فلا يكون نافذاً نفوذاً خطير الشأن . وإذا احتجت أية حكومة علينا فيكون احتجاجها صورياً فقط .

بند ٣ — لا يمكن أن تقوم موانع تحدد نشاطنا . إن حكومتنا العليا تقوم فى الأحوال والظروف غير الشرعية فتوصف بالدكتاتورية القوية المستبدة التى تنفذ رغائبها بالقوة القاهرة (إلى أن يقول الرئيس) : أنى فى موقف يسمح لى أن أخبركم بضمير صاف إننا نحن الذين نسن القوانين يمكننا فى بعض الأوقات المناسبة أن نتسامح فى القضاء والأحكام ؛ فنذبح من نذبح ونعفو عمن نشاء ، ونحن كزعماء لجماعاتنا نمتطى جواد القيادة ونحكم بقوة الإرادة المطلقة ؛ لأن فى أيدينا شراذم الأفراد الذين كانوا قبلاً الحزب القوى ، وقد انتصرنا عليهم ، والسلاح الذى فى أيدينا هو المطامع الأشعبية التى لا حدّ لها والجشع النارى ، والنقمة بلا رحمة ، والبغض والحقد الشديدين (نعوذ بالله . هذا هو عين ما نراه فى سلوك هؤلاء القوم مطابقاً لهذا البند) .

بند ٤ — منا نحن يصدر الذعر الشامل (كذا بكل قحة) ففى خدمتنا أشخاص لهم جميع صنوف الآراء والمبادىء والتعاليم من فوضويين ودعاة واشتراكيين وشيوعيين وحالمين بالمملكة الطوبارية utopia على أشكالها المختلفة . لقد ألقينا على رقابهم نير العمل لغرضنا . كل واحد منهم حامل على حسابه الخاص البقية الباقية من الحكم القديم لكى يطرحها فى الهاوية ، وبهذه الأفعال نرى جميع الحكومات فى عناء وشدة ، وكل منها تجتهد أن تنجو من هذه الشدة بأية تضحية ، ولكننا لا نمنحهم السلام والراحة ما لم يعترفوا بحكومتنا الدولية العليا ، وبخضوعهم المطلق لها .

بند ٦ — لقد ضجت الشعوب بوجوب تقرير أمر الاشتراكية فى اتفاق عام فى مؤتمر دولى ، ولكن انقسامهم إلى أحزاب مختلفة دفعهم إلى أيدينا لأنهم لا يقدرون أن ينفذوا خطة لهذا النزاع إذا لم تكن عندهم أموال للنفقة ، والأموال فى يدنا .

(هكذا يستندون إلى المال فى كل مكيدة يكيدونها) .

بند ٧ — يمكن أن نظن أن يتوصل ملوك الجوييم العقلاء البعيدو النظر إلى اتحاد عام (كالجامعة العربية مثلا) ولقاء هذا الاتحاد تنغمس قوة الغوغاء فى هياج أعمى ؛ ولكننا قد احتطنا

لكل حادث من هذا القبيل ، فقد أقمنا بين القوتين متراساً بشكل رعب متبادل بينهما (قوة الجند من جهة وثورة الرعاع من جهة أخرى) . بهذه الطريقة تبقى قوة الشعب الدمياء سنداً لنا . ونحن وحدنا نجهزها بقائد ، وبالتالى ندربها فى الطريق الذى يؤدى إلى هدفنا .

(لا تستغرب إذا قيل لك إن معظم الحروب والثورات ، ولا سيما الأخيرة منها نشأت من جراء مكايد صهيونية) .

بند ١٣ — (يقول الزعيم القائم فى مؤتمر الحكماء الشيوخ)

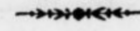
قد يلوح لكم أن الجوييم يقومون علينا فى يوم من الأيام إذا أحسوا بما هو جارٍ من استعداداتنا قبل أن يحين الوقت اللائم لإعلان حكومتنا . أجل . ولكن عندنا فى الغرب ضد ثوراتهم مناورات رهيبة تتصدع فيها القلوب الحديدية — المخابىء الخفية والسكك الحديدية تحت الأرض إلى غير ذلك من السراديب تمتد قبل مجىء الوقت المنتظر تحت العواصم والحواضر . فمن تحت الأرض تنسف هذه العواصم والمدن فتنتفض فى الهواء وتندثر كل أنظمتهم وسجلاتهم الخ . وفى مقال قادم خطتهم فى الصحافة .

نقولا الحداد

مشاهدات مسافر :

ألمانيا بعد الحرب

للدكتور محمد سامى الدهان



أجل أعود من جديد إلى هذا البلد الواسع الكبير ، يحفزنى أمران ؛ فأنا أسعى فى جمع تراثنا المخطوط من مكتبات ألمانيا المتفرقة فى غنى ، الموزعة فى نظام . وأنا أسعى كذلك فى أن أتعرف إلى الأساليب الحديثة فى كل شىء : فى المرونة والحياة ...

كان على أن أسجل « القديم » وأن أرسمه حيث كانت ألمانيا أمة تهتز لذكرها أمم ، فيهم من يرى عندها المثل الأعلى والغاية القصوى ، وفيهم من يكفر بحضارتها ويطيل فى ذمها. كان على أن أسجل هذه الزيارة الطويلة الواسعة من أقصى حدود الراين ، بطاحه ونجوده ، حتى برلين ؛ ومن هذه العاصمة حتى ليبزغ وميونيخ ونور نبرغ ، فالغابة السوداء وتوبنيكن ونهر الراين ؛ فى شهور عصيبة من عام ١٩٣٨ ، والعالم يضع أبواباً لحدوده ويخترع الأقفال من ورائها ؛ فكان لأنباء الحرب هام فى القلوب وجزع فى النفوس ونار فى الرماد ، وحمم تتوثب ، ودنيا ترجف ، وآمال تبنى، وأمان تتهدم . كان على أن أصف كيف كانت تخوض ألمانيا حرب الأعصاب فى الدعاية لجنسها والاستجابة لعرقها والجمع لشملها . وكنت وأنا أعبر الحدود البلجيكية الألمانية أقرأ فى صحف باريس أن القوم أعلنوا التجنيد وجمعوا الصفوف وأنهم على أبواب حرب ، وقد أقسموا أن يقفوا بين رغبة ألمانيا واستلاب السوديت .

وما من شرقى عربى يستطيع أن ينزل من القطار عشرات المرات ، وأن يلبس القناع الواقى عشرات المرات ، وأن يتمرن فى سفره على الاستعداد مع القوم لحرب عصيبة ، فلا يهتز له جنان ، ولا يرجف له قلب ! فقد تعلمت الحرب عن الأدب ، وجربت النضال عن الكتب ، فلست أفهم فتاة تحرس النفق ، وامرأة تفتش المارة ، وأخرى تحمل السلاح . ولست أفهم كيف يؤمن عشرات من الملايين بالحرب فى القرن العشرين ، يتقدمون إلى النار فى ثغور باسمة وقلوب هائمة ، لا يسمعون إلا لصوت واحد فى زحمة الأصوات ، ولا يتلفتون إلا لنداء واحد فى جلبة النداءات .

كان على أن أصف ما شهدت من اجتماع برلين ، وما سمعت من الأقطاب الأربعة من خطب موتيخ ، وما كان فيهما من تأخير الحرب عاماً كاملا . ولكن هذا كله غدا فى التاريخ ، وانطوى فى الحقب ، وتحدث عنه الناس فأكثروا ، ووصفه الكاتبون الغربيون فأسهبوا . ولعل لى رجعة إليه حين يحلو الكلام فيه .

أما الآن ، وقد هدأ غبار المعركة الصاخبة ، وسكنت ثورة العاصفة الجامحة ، فقد أحببت أن أعود من جديد إلى هذا البلد القديم لأرى القوم فى حال غير الحال ودنيا غير الدنيا .

ولن يكون السفر عن سبيل سفارة ألمانية وقنصلية جرمانية ، فقد تولى الحلفاء الأربعة فى كل عاصمة منح الإذن لمن له أن يطلب المرور . وفى باريس على مقربة من ساحة « التروكاديرو » شارع ضيق طويل على البناء الأوسط كتابة عريضة تعلن عن موقع « مصلحة الأمور الألمانية والنمسوية » . فإذا دخلت فسترى الضابط الإنكليزى والأميركى والفرنسى يتجاورون فى غرفة واحدة ويتحاورون فى لغة واحدة ، تنتقل من مكتب إلى مكتب ، وأنت تتقلب بين شارات ونجوم فلا تجد أثراً للسلطة الرابعة ، لأنك

تستطيع أن تقصد إلى أية منطقة إلا البلد الحرام ؛ حيث ركز الروس أعلامهم ، وبسط السوفيت ظلالهم . وإذا كنت تلح فى الزيارة فاذهب إلى برلين وهناك تستشير من بيدهم الحل ، فيمنحون الأذن أو يحرمون ..

يا لله ما أعجب الدنيا تتبدل فى أعوام عشرة فكأنها ما كانت ، وتتغير فى سنين فكأنها ما وجدت ، يزورها المرء وهى بستان جامع وهضاب نضرة وبلدان عامرة ثم يعود إليها فإذا هى جرداء قائمة وأكوام من أحجار حتى ليخيل إليه أنه يزور بلاداً أصابتها الزلازل ، أو انهارت عليها البراكين ، أو تقادمت عليها القرون ومسحت عليها العصور ، فيحسب أنه يزور مدينة أثرية يتلمس فى جنباتها التاريخ ويقرأ من خرائبها العبر . ذلك أول شعور يمس المرء حين يجتاز نهر « الراين » ، ويعبر الحدود . بل لعله وهو يتنقل فى قطار نخر من ربوع الاتزاس يكذب الخارطة بين يديه ويتهم نفسه بالجهل بالجغرافية فلا المعالم معالم ولا الحدود حدود .

واستقبلنا على الحدود جنود ألمانيون فى لباس نازى قديم بال لأنهم لا يملكون سواه ، وأقبلوا يفتشون الحقائب ، فما ينفكون يفتحونها ويغلقونها ، فيفتحون عيونهم للمنظر الجميل من مأكل لم يعرفوا طعمه منذ حين ، ولباس لم يعرفوا لمسه منذ أمد ، ثم يطبقون العيون على قذى ويشكرون المسافر ، ويحيلونه إلى السلطة المحتلة ، فتوزعه السلطة فى قطار من القطرات . ولن يشكو المسافر من القطار الذى يحمله والثمن الذى يدفعه ، فله الدرجة الأولى والثانية ، يمرح فيهما كما يشاء . وفى الثالثة سكان البلاد يتكدسون وقوفاً ، ويتعلقون بأطراف القطر وسلالمها ، كما يتعلق غلمان القاهرة بأطراف حافلات الترام سواء بسواء . وسيعجب الأجنبى للألمانى كيف يحيا اليوم ، فهو يقتطع الخبز الأسود الكبير لقمة بعد لقمة هى كل غذائه الذى رأيته فى يومين اثنين من رحيل القطار ، ويرى مناظر لا تصدقها عيناه . هذه امرأة مرضع نامت على جدار القطار وهى تحتضن وليدها ، وهذا شيخ سكت رفاقه عن استبداده فى الجلوس بالممر فنام جالساً ؛ وهذا شاب بلغ المحطة التى إليها يقصد وهو يعرف أنه بلغها لكن القوة خانته والجوع خذله فماله حيلة فى قيام ولا قعود ، فآثر البقاء ، وما ينتظر القطار الجياع ! ...

أما أنا فقد تعبت من مشاهد البشر ، وعدت إلى مكانى من العربة أتملق بالطبيعة فهى أم رءوم وحسناء وفية ، أمتع النظر بالغابة السوداء ونحن نجتازها ، نمر بين صفوف من أشجار كثيفة عالية ، وقد شق القطار طريقه بينها ، متلوياً فى سحر لا ينسى وفتنة لا تزول ، هى كل زاد المسافر فى ألمانيا اليوم .

فلما أظلم الليل انتشلنى النوم انتشالاً وما أيقظنى إلا صوت هذه الجموع الغفيرة فى المحطات ، فظننت أنه العيد ، فنحن فى يوم أحد ، وقد عرفت الألمانيين من قبل يعدون للأعياد عدتها والآحاد فرصتها ، فهم يرحلون من قرية إلى قرية لا يستقرون ولا يقيمون ، يتنقلون فى جمال الطبيعة ، يقطفون ثمرة الأسبوع ، ينتجعون مواقع الزهر والعطر ، والجبل المشرف ، والنهر المغنى ، ولكن رفيقى فى السفر أفهمنى أن الألمانى يسافر إلى الريف يوم الأحد من كل أسبوع فى اصطياد البطاطس وانتشالها من التراب ، فالأرض أم لا تؤمن بمذهب ، ولا تدين بسياسة ، والبطاطس بعض الغذاء قبل الحرب وكل الغذاء بعد النكبة ؛ فلا بأس فى أن يعد الألمانى أكياساً واسعة يجمع فيها كل ما تصل إليه يده فى السوق السوداء طعاماً لأسبوعه .

بلغنا محطة توبينكن ، فنزلت بين هذه الجموع المتراصة التى كانت ترقب القطار منذ الليل ، فأخذت سبيلى فى يسر غريب ؛ ذلك لأن للأجنبى سبيلا غير سبيل المواطن . غير أن العسر كل العسر فى أن تجد من يحمل الحقائب إلى المنزل ؛ فقد طفقت أبحث فى المحطة عمن يحملها وكنت أظنهم كثيرين لرداءة اللباس وفقر المظهر ، فلم يقبل على منهم أحد ، فلما أقبلت عليهم أعرضوا جميعاً ، ولما لجأت إلى تفسير وشرح ، وجدت من يرضى بلفائف التبغ جزاء ؛ فهى وحدها الرائجة وهى وحدها العملة النادرة .

وأخذت سبيلى إلى المنزل ماشياً ، فليس من عربات أو سيارات ولن أطمع فيها بعد الذى رأيت .

وعزفت عن التفكير إلا فيما جئت له ؛ فأنا أزور ثالث مدينة جامعية على « الراين » بعد بون وهايدلبرغ ، بل هى تمتاز عنهما بأنها من مهود الاستشراق ، ففيها ما ليس فى الجامعتين من مخطوطات عربية نفيسة ، ففيها المتنبى وأبو فراس وابن وحشية ؛ وفيها ليتمان و « بور » وفايشابلر من مشاهير المستعربين فلا أقل من أن أقيم أياماً أستعيد بين القدامى والمحدثين ذكرى عاطرة ؛ وأقوم بالتحية الطيبة قبل أن أرحل إلى الدير ...

سامى الدهان

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو العينـــاء

١٩١ - ٢٨٣ ﻫ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

(تتمة ما نشر في العددين السابقين)

— ٥ —

عرفنا أسلوب أبي العيناء مع الخلفاء والأمراء والوزراء ، فما رأيناه مع أحد منهم إلا صريحاً ؛ فلا يستغرب بعد ذلك إذا أفاض في مداعباته كل الإفاضة مع الطبقتين الوسطى والدنيا ، لأن معارفه فيهما كانوا كثيرين ، وكان — بحكم الصداقة — أشد رغبة في التفلت من كل كلفة ، وأكثر طواعية في الإقبال على كل ما يدخل السلوى على محبيه .

ولابد من الإشارة إلى تلك العلاقة القوية التي توطدت بينه وبين الجاحظ : فقد كانا صديقين لا كلفة بينهما ، بل قد اشتركا سوياً في وضع حديث « فدك » كما يعرف المشتغلون بعلم الحديث . وخلاصة هذا الحديث أن السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم طالبت بعد وفاته بنصيبها مما ترك ، وأنها بكت وأبكت لتصل إلى ما تبغي . والحديث باطل من أساسه كما اعترف أبو العيناء بذلك حين قال : « أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك » وقال إسماعيل بن محمد النحوي : « كان أبو العيناء يحدث بذلك بعد ما مات الجاحظ »[١] . وقد ذكره ابن حجر في (الموضوعات)

وإن علاقة بين اثنين تسمح لهما بوضع حديث مشترك لهي علاقة متينة لحمتها التفاهم وسداها الانسجام : فلا بدع إذا رأينا الجاحظ يسلك في مداعبة أبي العيناء سبيلا لا يسلكه إلا الأحبة ، ويقابله الآخر برضا وارتياح . والقصة التالية تلقي ضوءاً على نوع الصداقة التي استحكمت عراها بين الرجلين .

قال أبو العيناء : « كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي : أريد الخروج إلى فلان العامل ، وأحببت أن يكون مني إليه وسيلة ، وقد سألت مَن صديقه ؟ فقيل لي : أبو عثمان الجاحظ — وهو صديقك — فأحب أن تأخذ لي كتابة إليه بالعناية ؛ فصرت إلى الجاحظ فقال لي : في أي شيء جاء أبو عبدالله ؟ فقلت : مسلّماً وقاضياً للحق ، وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا . فقال : لا تشغلنا الساعة عن المحادثة وتعرف أخبارنا ... إذا كان في غد وجّهت إليك بهذا الكتاب ، فلما كان من الغد وجّه إلي بالكتاب ، فقلت لابني : وجّه بهذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته . فقال لي : إن أبا عثمان بعيد الغور ، فينبغي أن نفضه وننظر ما فيه . ففعل فإذا فيه : كتابي إليك مع من لا أعرفه ، فقد كلمني فيه من أوجب حقه ؛ فإن قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذممك . فلما قرأت الكتاب مضيت إلى الجاحظ من فوري . فقال : يا أبا عبد الله قد علمت أنك أنكرت ما في الكتاب . فقلت : أو ليس موضع نكرة ؟ فقال : لا ، هذه علاقة بيني وبين الرجل فيمن أعتني به . فقلت : لا إله إلا الله ما رأيت أحداً أعلم بطبعك ولا بما جبلت عليه من هذا الرجل ... علمت أنه لما قرأ الكتاب قال أمُّ الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف ، أم من يسأله حاجة . فقلت : ياهذا تشتم صديقنا ؟ فقال : هذه علامتي فيمن أشكره ! »[١]

ولم يكن الجاحظ يكتفي بمداعبته أبي العيناء على هذا النمط فإنه كان أحياناً ما يعذبه واجداً في تعذيبه ارتياحاً غامضاً في نفسه « كان الجاحظ يتقلد في خلافة إبراهيم بن العباس على ديوان الرسائل ، فلما جاء إلى الديوان جاءه أبو العيناء . فلما أراد أن يخرج من عنده تقدم إلى من يحجبه أن لا يدعه يخرج ولا يدعه يرجع إليه إن أراد الرجوع . فخرج أبو العيناء يريد الانصراف فمنع من الخروج ومن الرجوع إلى الجاحظ ، فنادى أبو العيناء بأعلى صوته : يا أبا عثمان قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك ! »[٢]

ومثل هذا النمط من التعذيب في الدعابة كثيراً ما نجده بين المتفاهمين من الأصدقاء . وكان من أشد هؤلاء صلة بأبي العيناء محمد بن مكرم والعباس بن رستم اللذان سئل عنهما مرة فقال : هما الخمر والميسر ، إثمهما أكبر من نفعهما . وأكبر الظن أن صلته بابن مكرم كانت أقوى ، لأن مداعباته له كثيرة مشهورة .

(١) لسان الميزان ص ٣٠٦ ج ٥

(١) تاريخ بغداد ص ١٧٥ ج ٣

(٢) المرجع السابق ص ١٧٨ ج ٣

وابن مكرم كان من هذا النوع من الأصدقاء الذى يحب أن يجد السرور لنفسه ولو بالتهكم على صديقه — وما أكثرهم فى كل زمان ومكان — وكان يرى فى عمى أبى العيناء فرصة لإيذائه لا رغبة فى الإيذاء نفســه فلا حاجة به إليه ، ولــكن ليستمتع بردود أبى العيناء المبتكرة ، وأجوبته اللاذعة .

حضره يوماً وأخذ يؤذيه ثم قال : الساعة والله أنصرف فقال أبو العيناء : ما رأيت من يتهدد بالعافية غيرك !

وقال له يوماً يعرض بالبلد الذى نشأ فيه : كم عدد المكدين (المتسولين) بالبصرة ؟ قال : مثل عدد البنائين ببغداد . فأجابه بأشد من تعريضه .

وأبو العيناء فى طرائفه مع ابن مكرم يسمى إلى إيلامه برده ، بمقدار تألمه من هزله وجده ، وهو إذا أراد أن يرسل الجواب لا يمنعه منه مانع ، ولا يصده عنا صاد ، لأنه يرى أن الحرية فى الدفاع أجدر من الحرية فى الهجوم !

ومهما اختلف الباحثون فى تحليل نفســية هذا الظريف فستحملهم النصوص الكثيرة على الاتفاق على رقة دينــه ، إذ كان يتعرض للدين فى مختلف المناسبات غامزاً لا يعبأ ولا يبالى .

قال له العباس بن رستم يوماً : « أنا أكفر منك . فقــال له : لأنك تــكفر ومعك خفير مثل عبيد الله بن يحيى وابن أبى دؤاد وأنا أكفر بلا خفارة » .

وأنا لا أصدق أن هذا من التظرف فى شىء ، إذ ما كان ليعترف بأنه يكفر بلا خفارة إلا لرقة دينــه ، وإن قوى الدين لا تسمح له نفســه أن يتظرف بشىء يتنافى مع الأدب فى اعتقاده ، بل يرى أن كل شىء يباح له الخوض فيه إلا الدين ، فإن له حرمة لا يحل مسها لمخلوق . أما صاحبنا فيرى من الظرف والكياسة أن يتظاهر بمخالفة الدين . قال مرة : « أنا أول من أظهر العقوق بالبصرة . قال لى أبى : يا بنى ، إن الله تعالى قرن طاعته بطاعتى ، فقال : « اشكرلى ولوالديك » فقلت له : يا أبت إن الله ائتمننى عليك ولم يأتمنك علىّ ، فقال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاق » .

وقد كتب أبو العيناء إلى صديق له ولى ولاية موعظة عجيبة أعتبرها وثيقــة على ضعف دينه . واقرأ إذا شئت ما كتب

« أما بعـــد فإنى لا أعظك بموعظة الله لأنك عنها غنى ، ولا أخوفك إياه لأنك أعلم به منى ، ولــكنى أقول كما قال الأول :

أحار ابن بدر قد وليت ولاية ... فــكن جرذاً منها تخون وتسرق

وكاثر تميما بالغنى إنما الغنى ... لسان به المرء الهيوبة ينطق

واعلم أن الخيانة فطنــة ، والأمانة حرفة ، والجمع كيس ، والمنع صرامة ؛ وليس كل يوم ولاية ، فاذكر أيام المعطلة . ولا تحقرن صغيراً ، فإن من الدور إلى الدور ، وإبلاء الولاية رقدة ؛ فتنبه قبل أن تنبه . وأخو السلطان أعمى عن قليل سوف يبصر . وما هــذه الوصية التى أوصى بها يعقوب بنيه ؛ ولــكن رأيت الحزم فى أخذ العاجل ، وترك الآجل » .

وهكذا خلط أبو العيناء فى هذه الموعظة العجيب أسلوبها كثيراً من الهزل فى الجد ، فما أحب لصاحبه الأمانة لأنها حرفة الخازنين ، ولا كره لصاحبه الخيانة لأنها فطنة وذكاء ، وما أحب له أن يجود بماله لأن فى المنع صرامة وحزماً ، ولا كره له أن يجمع القناطير المقنطرة لأن فى كنزها أبهة وفخراً . فلينتهز فرصة ولايته فإنها لا تسنح دائماً ، وليــكسب ما استطاع من الغنائم ليــكون حكيما حازماً ، وليضم الصغير مع الــكبير ، وليلق القليل على الــكثير ، وليجمع الفتيل والقطمير ، وليفتح عينيه على كل شىء دق أوجل ، فربما تعطل بعدعمل ، وربما أفل نجمه بعد أمل . أما الآخرة فنعيمها آجل بعــيد ، أين منه نعيم الدنيا القريب ؟

أفرأيت أعجب من هذه الموعظة ، وأغرب من هذه الوصية ؟

أما إنها — على مســحة الهزل فيها — لدعوة صارخة إلى اجتياز حدود الدين التى تضع سداً بين واجب الإنسان وطمعه ، وبين مسئوليته وجشعه ، وتسلك به سبيل الزهد عن ظهر غنى ، والعــفاف على قوة وقدرة . فما كان أضعف دينك يا أبا العيناء ! وما كان أشد تساهلك أيها الراوية الظريف !! ...

— ٦ —

وإذا أضفنا إلى انحلال تدينه سفاهة لسانه بطبعه وهجيراه أصبح واضحاً لدينا أنه كان متهالــكا على إرضاء هواه وإشباع شهوته ، وأنه ما كان ليتورع عن الخروج على أصلح التقاليد بنفسه بعد أن خرج عليها بتعبير لسانه ، لأن عفيف النفس يأبى

على ألفاظه أن تكون نابية ؛ أما وقد ترك صاحبنا نفسه على سجيتها فلابدع إذا كان خبيث اللسان؛ ثم لاغرو إذا كان خبيث العمل، ثم لا عجب إذا وصمه الناس بأنه مخنث ، حتى قال له ابن الجهم يوماً : يا مخنث ! فأجاب : « وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه » .

ولا يعنيني هنا أن أستمتع برده فما أنتظر من مثله غيره أو أقل منه ، ولكني أشير إلى أن للناس فيما أطلقوا عليه من أوصاف ما جرأهم من أعماله وتصرفاته . وهذا — على ما أعتقد — من الأسباب الجوهرية التي جعلت حفاظ الحديث يحكمون بضعف مارواه هذا الظريف ، بل إن بعضهم قد رماه بالكذب والوضع؛ فالخطيب في تاريخه — بعد أن ذكر الذين رووا عنه : وهم أحمد ابن عيسى المكي، وأبوعبد الله الحكيمي، ومحمد بن يحيى الصولي ، ومحمد بن العباس بن نجيح ، وأبو بكر الادمي القاري ، وأحمد بن كامل القاضي — قال : ولم يسند من الحديث إلا القليل . والغالب على رواياته الأخبار والحكايات[1] وروى عنه — لإظهار ضعفه — حديثاً ذكر سنده ثم حكم عليه بأنه غريب . وفي هذا الحديث أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتيَ النبي صلى الله عليه وسلم بطائر فقال : اللهم آتني بأحب خلقك إليك يأكل معي، فجاء علي فحجبته مرتين ، فجاء في الثالثة فأذنت له . فقال : يا على ما حبسك ؟ قال : هذه ثلاث مرات قد جئتها فحجبني أنس . قال : لم يا أنس ؟ قال سمعت دعوتك يا رسول الله ، فأحببت أن يكون رجلا من قومي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الرجل يحب قومه »[2].

علق الخطيب على هذا الحديث بقوله : غريب باسناده لم نكتبه إلا من حديث أبي العيناء محمد بن القاسم عن أبي عاصم ، وأبو العندي مجهول — وهو أحد رجال السند — واسمه لا يعرف ؛ ثم نقل عن أبي الحسن الدارقطني قوله : « أبو العيناء ليس بقوى في الحديث » وأكد هذا ابن حجر في (لسان الميزان) ثم روى عنه أنه قال : « أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك » وهذا الحديث الباطل من أساسه قد سبقت الإشارة إليه .

(١) تاريخ بغداد ص ١٧١ ج ٣

(٢) تاريخ بغداد ص ١٧٢ ج ٣

ولم يستحي أبو العيناء مدى حياته من تكرار رواية هذا الحديث الموضوع حتى قال إسماعيل بن محمد النحوي : « كان أبو العيناء يحدث بذلك بعد ما مات الجاحظ »[1] .

وروى عنه ابن حجر أيضاً حديث « مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل العين ، ودواء العين ترك مسها » وعلق عليه بقول الدارقطني : « لم يروه غير أبي العيناء »[2] .

ولست أستغرب أن يضعفه حفاظ الحديث ، فإن رجلا يعترف بجريمة الكذب على رسول الله ثم ينشر كذبه جدير به أن يتخيل ما شاء ليرضى ملكة الكذب المسيطرة على لسانه . وحريٌ أن يضحك ما طاب له ليبقى ضاحكا مدى الحياة لذلك كان أسلوبه واحداً لا يتغير : فلسانه سليط مع الجميع ، وربما كان أكثر تمكناً من الاسترسال مع العاديين من الناس لأنه لا يجد من الفارق بينه وبينهم ما يمنعه من التظرف كيف شاء .

قال له ابن الجماز المغني يوماً : « هل تذكر سالف معاشرتنا ؟ فقال : إذ تغنينا ونحن نستعفيك ؟ » . وقالت له قينة : « هب لي خاتمك وأذكرك به . فقال لها : اذكرى أنك طلبته مني ومنعتك»

وهو إذا استطاع أن يخفض من قدر محدثه ليكبر من قدر نفسه لا يتورع ولا يحتاط : اعترضه يوماً أحمد بن سعيد فسلم عليه فقال له أبو العيناء : من أنت ؟ قال أنا أحمد بن سعيد . فقال: إني بك لعارف ، ولكن عهدى بصوتك يرتفع إليّ من أسفل ، فما له ينحدر عليّ من علو ؟ قال : لأني راكب . فقال : عهدى بك وأنت في طمرين[3] لو أقسمت على الله برغيف لأعضك بما تكره » .

وهو يمازح من يعرف ومن لا يعرف ، ومن يروق لعينه وقد لا يروق لأعين الناس ، ولا يعنيه إلا أن يكون ضاحك السن ، سواء أضحك منه الفؤاد أم بات في هم دفين .

وقف عليه رجل من العامة فلما أحس به قال : « من هذا ؟ قال : رجل من بني آدم . قال أبو العيناء : مرحباً بك — أطال الله بقاءك — كنت أظن أن هذا النسل قد انقطع » .

وهذه الدعابات قليل من كثير تجد بعضها في معجم الأدباء

(١) لسان الميزان ص ٣٤٦ ج ٣

(٢) المرجع السابق الصفحة ذاتها ... (٣) ثوبين خلقين

فى ترجمة محمد بن القاسم أبى العيناء . ونلمح فى كل هذه الدعابات أو أكثرها إشارة عنيفة إلى تمرده على البشر ، وتشاؤمه منهم ، وقلة إيمانه بهم !

وجميل بنا أن نذكر أنه عاش فقيراً ، ولـكنه — على قلة ذات يده — كان يملأ قلبه العطف : يطعم المساكين ، ويرحم الضعاف العاجزين ، ويلذ له أن يداعبهم كما يداعب غيرهم لملهم يطربون : دعا سائلا ليعشيه فلم يدع شيئاً إلا أكله فقال له : « يا هذا ، دعوتك رحمة فتركتني رحمة »

بيد أنه إذا اشتدت به الحاجة لا يسأل من أى سبيل يجمع ماله : قال أبو العيناء « مررت يوماً فى درب بسرّ من رأى فقال لى غلام : يامولاى فى الدرب حمَلٌ سمين والدرب خال . فأمرته أن يأخذه ، وغطيته بطيلسانى وصرت به إلى منزلى . فلما كان من الغد جاءتنى رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : جعلت فداك : ضاع لنا بالأمس حمَل فأخبرنى صبيان دربنا أنك أخذته ، فأمر برده متفضلا . فكتبت إليه : يا سبحان الله ! ما أعجب هذا الأمر ! مشايخ دربنا يزعمون أنك بغَّاء وأ كذبهم أنا ولا أصدقهم ، وتصدق أنت صبيان دربك أنى أخذت الحمل ؟ قال : فسكت ولم يعاودنى » .

وهو فى العداوة خصيم مبين : يشمت ويتمنى الشر والضر . مر يوماً على دار عدو له فقال : ما خبر أبى محمد ؟ فقالوا : كما تحب قال : فمالى لا أسمع الرنة والصياح ؟ »

وعلى كل حال ، فقد كان هذا الشاعر الظريف من هؤلاء الأفراد الضاحكة وجوههم الباكية قلوبهم ، الذين نرى ظواهرهم لاهية ، ونرى حقائقهم قاسية . وكأنما رأى أن الهزل يسرّى عنه بعض ما يجده ، فبقى يضحك الناس عمرا طويلاً حافلاً ، وكان خير ما أرضاه أنه أراد أن يستوى على عرش الهزل استيلاء الحاكين على عرش الجد ، فكان له ما أحب منذ بلغ أشده حتى رد إلى أرذل العمر فات .

وبعد ، فكأنما كان هذا الظريف — حتى فى شيخوخته — يعاند الدهر ولا يريد أن يموت : فقد ركب سنة ثلاث وثمانين ومائتين سفينة إلى البصرة وكان فيها ثمانون شخصاً ، فنفضت العاصفة غضبتها ، وثارت الأنواء ثورتها ، فحطمت السفينة وأغرقت ركابها ، فما نجا منهم سوى أبى العيناء إذ تعلق بطرف الزورق فأخرج حيا[1] لـكنه لم يستطع أن يعاند الدهر من جديد فقد عاجلته منيته فى هذه السنة نفسها فمات كما جزم المسعودى فى (مروج الذهب)

مات وما زال الظرفاء يتندرون بدعابات أبى العيناء ؟

مات فسكت ذلك اللسان السليط ، وشلت تلك الحركة التى لا تعرف السكون !

ولـكن ... لقد عاش هذا الظريف ضاحكا طول الحياة ، حتى إذا حضره الموت أرسل دمعة أو دموعاً وهو يودع الدنيا قائلا:

يا ويح هذى الأرض ما تصنع أكل حى فوقها تصرع ؟
تزرعهم حتى إذا ما أتوا أشدهم تحصد ما تزرع !

وبعد ، فى كنوز الأدب العربى لآلىء نادرة كأبى العيناء ، خليق بأيدينا أن نقع عليها لنخرجها لشبابنا الناهض فتسحر القلوب وتخطف الأبصار .

صبحى إبراهيم الصالح

(١) لسان الميزان ص ٣٤٤ ج ٥

جامعة فاروق الأول

إدارة شئون الطلبة

عرضت غرفة الاسكندرية التجارية المصرية تقديم جائزة قدرها ١٠٠ ج تمنح عن أحسن رسالة للدكتوراه أو الماجستير فى « تاريخ الاسكندرية التجارى فى القرون الوسطى »

وقد وافقت الجامعة على ابلاغ ذلك إلى كليات الآداب والحقوق والتجارة للنظر فى منح الجائزة لأحسن رسالة تقدم لها فى الموضوع المذكور .

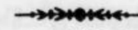
٩٢٥٩

من شواهد النبوة :

المتنبئــــون

للأستـــاذ علي العماري

« تتمة »



وثالث الأسباب التي دفعت بعشائر المتنبئين وأصحابهم إلى الصبر والصدق في حروب المسلمين الطمع في الملك والرغبة في السيادة . ولقد عرف المتنبئون كيف يأكلون الكتف ، فهم إن فاتهم — إحكام الكذب في دعواهم لم يفتهم استمالة أقوامهم بما يطمعونهم فيه من ملك العرب . وهذا أمر قد استقام لكل المتنبئين ، فأما مسيلمة فقد ابتدأ أمره بأن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب « من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد فأني قد أشركت معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قوم يعتدون » فرد عليه النبي « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب . السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » فلما جاء كتاب الرسول أخفاه ، وكتب عنه كتابا زعم أنه وصله بثبوت الشركة بينهما ، وأخرج ذلك الكتاب إلى قومه فافتتنوا به . وبهذا — إلى جانب ما قدمنا من أسباب — استطاع عدو الله أن يسخر هذه الآلاف المؤلفة في حرب مبيدة . وأما طليحة فقد ذكروا أن مما سجع به قوله « والحمام واليمام ، والصرد الصوام ، قد صمن قبلكم بأعوام ، ليبلغن ملكنا العراق والشام » . وسواء أصحت هذه المقالة أم لم تصح ، فإنها تدلنا على كل حال على الفكرة التي كان يبثها طليحة في قومه ، وهي أنهم إنما يطلبون الملك ، وسينالونه . وسجاح ما كان لها أن تجرر وراءها سادات قومها من تميم ، ووجوه أخوالها من تغلب إلا بهذه الأمنية الجذابة : « إنما أنا امرأة من يربوع ، فإن كان ملك فهو لكم » إذن فقد كانت العصا السحرية التي أمسك بها هؤلاء المتنبئون هي التلويح بالملك والسيادة لهؤلاء العرب الظامئين إلى السلطان . ولقد ألم الرافعي رحمه الله في كتابه « إعجاز القرآن » ببعض هذه الأسباب التي شرحناها . قال بعد الكلام عن بعض المتنبئين : « على أنه لا اتباع له من غير قومه ، ولا يشايعه من قومه ألا طائفة يستفزون لأمره ، ويعطفون عليه جنبات الناس حتى يجمعوا له أخلاطا وضروبا ، وقد تبعوه وشمروا في ذلك حمية وعصبية ، وحدبا من الطباع على الطباع ، فهم في غنى عن نبوته وقرآنه ، وإنما رأيهم الخطار بالأنفس والأموال على ما تنزعهم إليه الطبيعة مقاربة لمن قارب صاحبهم ، ومباعدة لمن باعد ، وعسى أن يرد عليهم ذلك مغنما ، أو ينفلهم من غيرهم ، أو يجدي عليهم بالعزة والغلبة ، أو يكون لهم سبيل منه إلى التوثب ، أن صادفوا غرة ، وأصابوا مضطربا إلى غير ذلك مما تزينه المطمعة ، ويهزبه الغرور ، ويقصد إليه بالسبب الواهي ، وبالحادث الضئيل ، وبكل طائفة من الرأي وبقية من الوهم ، وتستوي فيه الشمال واليمين ، وتتقدم فيه الرؤوس والأرجل ، مبادرة لا يدري أيهما حامل وأيهما محمول »

يضاف إلى كل ذلك ما ذكره ابن خلدون من أن بعض هؤلاء المتنبئين وأنصارهم كان يطمع في النبوة ، فلما لم تجئه عاند قال في فصل بعد الكلام على الكهان : « ثم إن هؤلاء الكهان إذ عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة ، ولا يصدهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب إلا قوة المطامع في أنها نبوة لهم فيقعون في العناد ، كما وقع لأمية بن أبي الصلت ، فإنه كان يطمع أن يتنبأ . وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم ، فإذا غلب الإيمان ، وانقطعت تلك الأماني آمنوا أحسن إيمان كما وقع لطليحة الأسدي وسواد بن قارب ، وكان لهما في الفتوحات الإسلامية الآثار الشاهدة بحسن الإيمان » .

* * *

قلنا في المقال السابق إن التنبؤ في العصر العباسي كان جنونا ، فإن لم يكن فهو الحمق لا شك فيه ، وإنما دعانا إلى هذا القول أنا وجدنا جمهرتهم غير جادين في هذا الإدعاء ، فلا أنصار ولا اتباع ولا غايات عظيمة يقصدون إليها ، كما كان هذا شأن أصحابهم السابقين ، ولذلك فإنا لا نلم بأخبارهم مؤرخين ، وإنما نلم بشيء منها فيه طرافة يستريح إليها الدارس ، ويستمتع بها القارئ ، فإن أخبارهم كما يقول صاحب العقد الفريد « حدائق مونقة ، ورياض زاهرة ، لما فيها من طرفة ونادرة ، فكأنها أنوار مزخرفة

أو حلل منشرة ، دانية القطوف من جانى ثمرتها ، قريبة المسافة لمن طلبها ، فإذا تأملها الناظر ، وأصغى إليها السامع ، وجدها ملهى للسمع ، ومرتعا للنظر ، وسكنا للروح ، ولقاحا للعقل ، وسميراً فى الوحدة ، وأنيساً فى الوحشة » وإنما كان الأمر كما يقول ابن عبد ربه لأن فى أخبارهم الغريب المطرب ، والطريف المعجب ، بل إن ادعاءهم النبوة نفسه كان مما يضحك الثكلى ، ويسرى عن المحزون ، لأنه اقترن بحمق وسخف . وحسبكم بقوم يفترون على الله الكذب ، ويزعمون أنه أرسلهم زورا وبهتانا ، دون أن يكمن وراء ذلك ما يكون كفاء لهذه الكذبة البلقاء ، ليس ببعيد عندى أن الأخباريين اختلقوا وتزيدوا ، وأرادوا مادة للسمر والتفكه فالتمسوها فى الجانبين ، والحمق ، وفى هؤلاء . ولعل اختيارهم لهذا النوع كان اختياراً موفقا إلى حد بعيد . نعم روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون رجلا كلهم يدعى النبوة. ولكن نحن لا ننكر أن قوماً ادعوا النبوة كما أننا لا نسلم — كذلك — أن هذه الأخبار كلها وقعت بالفعل . ومهما يكن من شىء فإن أحق جانب بالنظر فى أخبار هؤلاء هو جانب الفكاهة والملحة . على أن أصحاب السمر لم يخلوا المتنبئين القدامى من لاذع نكاتهم . وما أشك فى أن قصة زواج مسيلمة بسجاح وأنه اختدعها عن نفسها وأمهرها بإسقاط صلاتين عن قومها ، ما أشك فى أن هذه القصة وضعها مازح مفحش خبيث .

أما أخبار متنبئى العصر العباسى فإنهـا تدلنا فى جملتها على أنهم كانوا على حظ عظيم من الحيلة وحسن التخلص أو هكـذا أراد لهم الوضاع .

ادعى رجـل النبوة فى عهد المهدى فأدخل عليه فقال له : أنت نبى ؟ قال نعم . قال : متى نبئت ؟ قال : وما تصنع بالتاريخ ؟ قال : ففى أى المواضع جاءتك النبوة ؟ قال : وقعنا — والله — فى شغل ! ليس هذا من مسائل الأنبياء ، إن كان رأيك أن تصدقنى فى كل ما قلت فاعمل به ، وإن كنت عزمت على تكذيبى فدعنى أذهب عنك . فقال المهدى : هذا ما لا يجوز ؛ إذ كان فيه فساد الدين ، قال : واعجبا ! تغضب لدينك لفســـاده ، ولا أغضب أنا لفساد نبوتى ؟ ثم قال للمهدى : أحاكمك فيما جاء به من قبلى من الرسل ، قال : رضيت ، قال أكافر أنا عندك أم مؤمن ؟ قال : كافر ، قال فإن الله يقول : « ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ودع أذاهم » فلا تطعنى ولا تؤذنى ، ودعنى أذهب إلى الضعفاء والمساكين فإنهم أتباع الأنبياء ، وأدع الملوك والجبابرة فإنهم حطب جهنم . فضحك المهدى وخلى سبيله . ! !

وإذا كان هذا لجأ إلى آية من كتاب الله يستند إليها ويتخلص بها فإن غيره كان يعتمد على النكتة البارعة ، والأضحوكة الآخذة ، يتلمس بها الخلاص من قبضة الخليفة وبطشه ... أتى المأمون بإنسان تنبأ فقال له : ألك علامة ؟ قال نعم . علامتى أنى أعلم ما فى نفسك ! قال المأمون : قربت على ، ما فى نفسى ؟ قال : فى نفسك أنى كذاب ! قال : صدقت ، وأمر به إلى الحبس ، ثم أخرجه بعد أيام ، فقال : هل أوحى إليك بشىء ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال لأن الملائكة لا تدخل الحبس ! فضحك المأمون ثم أطلقه .

وجىء بمتنبىء — مقيدا — إلى سليمان بن على فقال له : أنت نبى مرسل ؟ قال : أما الساعة فأنى مقيد . قال : ويحك ! من بعثك ؟ قال : أبهذا يخاطب الأنبياء يا ضعيف ، والله لولا أنى مقيد لأمرت جبريل أن يدمدمها عليكم . قال : فالمقيد لا تجاب له دعوة ؟ قال : نعم . الأنبياء خاصة إذا قيدت لم ترتفع دعاؤها .

ولا أدرى ما الذى حمل الأخباريين على أن يشقوا لكل متنبىء طريق النجـاة إن لم تكن الدعابة هى غايتهم ؟ ! على أنهم إذا أوقعوا أحدهم فى مكروه التمسوا الفكاهة فى ناحية أخرى من خبره . ادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى الوالى الأموى وعارض القرآن ، فأتى به خالد ، فقال له ما تقول ؟ قال : عارضت فى القرآن ما يقول الله تعالى « إنا أعطيناك الكوثر » فقلت أنا ما هو أحسن من هذا : إنا أعطيناك الجماهر ، فصل لربك وجاهر ، ولا تطع كل كافر وساحر . فأمر به خالد فضربت عنقه وصلب ، فمر به أحد الظرفاء فقال : إنا أعطيناك العمود ، فصل لربك على عود ، وأنا ضامن ألا تعود .

هكذا كانوا يتندرون بهم ، ويسخرون منهم ، ونحن لا نجد فى عصرنا من يدعى النبوة وإنما نجد من يدعى الألوهية فى الدين وفى غير الدين ، فهل يصلى هؤلاء على عود ؟ !

على العمارى
مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

من أدب العراق :

المرأة فى شعر الرصافى

للشيخ محمد رجب البيومي

حيا الله الشعر العربى ، فلقد آزر النهضة الشرقية أتم مؤازرة ، فأيقظ عيونا نائمة ، وأسمع آذانا موصدة ، وطاح بجبابرة قساة ، وأدوا الكرامة الإنسانية ، وأزهقوا العزة القومية ، كما أسدلوا على الشرق الصريع ستورا مظلمة مخيفة ، تنصب خلفها المكائد الدنيئة ، ويتجبر فى ليلها الحالك شياطين البغى والاستبداد

ولقد كان الرصافى رحمه الله فى طليعة هؤلاء المباقرة المجاهدين ، فقد اتخذ من يراعه القوى صارما بتارا ، تنقل به من معركة إلى معركة ، فهو فى ميدان السياسة يشن الغارة على السرطان الاستعمارى ، ويقف فى وجه الطاغوت التركى ؛ وهو فى ميدان الاجتماع يحث على التعليم المنتج ، ويدعو إلى الاخلاق الرفيعة ، كما تراه يتغنى بماضى الشرق الزاهر ، ويندب حاضره المنكود ، حتى أثمر جهاده أى إثمار ، فهب العالم العربى ينقب عن تراثه الضائع ، ويستعيد مجده المغصوب .

وسأحاول اليوم أن أكشف عن أثر الرصافى فى النهضة النسوية ، كما أبين شعوره نحو المرأة كانسان ناضج ، وكيف أوحت إليه من المعانى والأخيلة ما ارتسم واضحاً فى مرآة شعره . ولا عجب فقد وجدت لزاماً بعد أن وقفت على مجهوده الموفق فى هذا السبيل أن أتحدث عنه إلى القراء .

***

لم تكن حال المرأة فى العراق خيراً منها فى مصر ، بل كان الحجاب والجهل من لوازمها الأكيدة فى كلا القطرين ، فارتفعت الدعوة بتحريرها أولا فى ربوع النيل ، واحتدم الجدال بين الأنصار والخصوم ، فكانت معركة طاحنة تردد صداها فى ربوع العراق ، فنهض الرصافى والزهاوى للمطالبة بحق الفتاة ، وتصديا للهجوم العنيف بما يملكان من بيان ، فكانت المقالات الضافية ، والقصائد الرنانة ، تعبر عن آرائهما الجديدة فى جرأة وعنف ، وواصل الرصافى جهوده ، فتألب عليه الجمهور ، وتعقبه الحاكم التركى فى غدوه ورواحه ، وهو لا يفتأ يناضل عن حق اعتقده ويقوض أركاناً عتيدة يراها غير صالحة للبقاء !

كان قاسم أمين فى مصر صاحب الرأى الأول فى حركته التحريرية ، وكان الشعراء والمثقفون يسيرون وراءه فى كثير من التحفظ والاحتياط ، أما فى العراق فقد كان معروف وجميل يقومان بعبء قاسم فى حماسة يصل بها إلى الثورة والاندفاع ، ومن هنا كانت مكانتهما الاجتماعية فى بغداد أقوى من مكانة شوقى وحافظ ومطران فى مصر ، والفرق بين هذين وهؤلاء فرق ما بين الخطيب والمصفقين مع التسامح اليسير ! !

على أن الرصافى كان فى دعوته يعدد أساليبه الشعرية ، فلم يسر على نمط واحد فى قوافيه ، فتارة يعمد إلى العاطفة ، فيرسم لك صورة قاتمة لبائسة جاهلة ، قضت عمرها سجينة مغلولة ، حُرّم عليها العلم فهو أرفع من أن يهبط إلى مستواها الوضيع ، وأذلها الفقر فهى تئن تحت براثن الجوع ، ثم ضرب حولها الحصار المنيع فهى لا تسعى إلى طلب القوت . ويتساءل بعد ذلك : فى أى طريق تسير ؟ والعيون راصدة ، والفاقة قاتلة ، اسمعه يقول

لم أر بين الناس ذا مظلمه	أحق بالرحمة من مسلمه
منقوصة حتى بميراثها	محجوبة حتى عن المكرمه
قد جعلوا الجهل صوانا لها	من كل ما يدعو إلى المأثمه
والعلم أعلى رتبة عندهم	من أن تلقاه وأن تعلمه
ما تصنع المرأة محبوسة	فى بيتها إن أصبحت معدمه ؟
ضاقت بها المعيشة إذ دونها	سدت جميع الطرق المعلمه
كم فى بيوت القوم من حرة	تبكى من البؤس بعينى أمه
قد لوحت نار الطوى وجهها	وأعمل الفقر بها ميسمه
عاب عليها قومها ضلة	أن تكسب القوت وأن تطعمه
من أى وجه تبتغى كسبها	وطرقها بالجهل مستبهمه ؟

وتارة يعمد الشاعر إلى الأدلة الخطابية ، فيسهل الغاية ، ويتفادى العاقبة حيث يستغنى بالحياء عن الحجاب ، وبالتهذيب والدراسة عن اللثام ، ثم يغضب أن يكون رجالنا ذئابا متنمرة ، ونساؤنا نعاجا مستكينة ، ويقيم البرهان على تأخر الشرق بتأخر فتياته ، فهن جزؤه المفلوح ، ونصفه الأشل ، فكيف يضمن البقاء

على حاله بدون تناسب ، والقاعدة غير ذلك ؟ إنه يقول :

شرف المليحة أن تكون أديبة   وحجابها فى الناس أن تتهذبا
والوجه إن كان الحياء نقابه   أغنى فتاة الحى أن تتنقبا
واللؤم أجمع أن تكون نساؤنا   مثل النعاج وأن تكون الأذؤبا
والشرق ليس بناهض إلا إذا   أدنى الرجال من النساء وقربا
فإذا ادعيت تقدما لرجاله   جاء التأخر للنساء مكذبا
من أين ينهض قائماً مَن نصفه   يشكو السقام بفالج متوصبا
كيف البقاء له بدون تناسب   والدهر خصص بالبقاء الأنسبا

ولا ينسى الشاعر فى دعوته التحررية ضغنه على المستعمرين ، فهو يرجع التوغل الاحتلالى إلى الأمهات وحدهن ، حيث كن إماء جاهلات ، فلم ينشئن أولادهن على العزة والكرامة ، فهانت نفوسهم ، وتحملوا جور الدخيل وتعسف الغريب ، وكأنه اصطاد عصفورين بحجر واحد حين قال :

أضافوا عليهن الفضاء كأنما   يغارون من نور به وهواء
ولو أنهم أبقوا لهن كرامة   لكانوا بما أبقوا من الكرماء
ألم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم   على الذل شبوا فى حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نفوسهم   تحمل جور الساسة الغرباء

وقد اشتهرت قصيدة معروف الثانية شهرة واسعة فتناقلتها الصحف المختلفة ، وسجلتها الكتب المدرسية مرات عديدة ، لأن ناظمها واضح صريح ، يذكر حجج الخصوم ويدفعها بالمنطق العقلى ، والدليل التاريخى . ولأمر ما تذكرنى هذه القصيدة الرائعة بأخت لها نظمها حافظ رحمه الله فى موضوعها الهام ، وكان لها من الشهرة مالقصيدة الرصافى ، ولكن روح معروف أكثر انقاداً ، وتفكيره أوسع أفقاً ، وإن اجتمعا معاً فى السلاسة والعذوبة. وكلا الشاعرين قد بدأ موضوعه بالدعوة إلى الفضيلة ، والتمدح بمكارم الأخلاق ، فقال الرصافى .

هي الأخلاق تنبت كالنبات   إذا سقيت بماء المكرمات
تقوم إذا تعهدها المربى   على ساق الفضيلة مثمرات
وتسمو للمكارم باتساق   كما اتسقت أنابيب القناة
وتنعش من صميم المجد روحاً   بأزهار لها متضوعات

وقال حافظ :

أنى لتطربنى الخلال كريمة   طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزنى ذكر المروءة والندى   بين الشمائل هزة المشتاق
ما البابلية فى صفاء مزاجها   والشرب بين تنافس وسباق
بألذ من خلق جميل طاهر   قد مازجته سلامة الأذواق

ومضى معروف فشبه الأم بالمدرسة ، وقارن بين ابن المتعلمة وابن الجاهلة ، فشبه هذا بنبت الفلاة ، وذاك بزهر الرياض ؛ واستمان بخياله ، فجعل صدر الفتاة لوحاً بديعاً تتراءى فيه صور الحنان الدافق ، ثم دلف إلى آراء المحافظين فدحضها فى هدوء وبساطة ، وبين موقف الشريعة الإسلامية من المرأة وكيف أخطأ الجامدون فنسبوا إلى الدين ما ليس منه ، واستدل بعائشة أم المؤمنين وما كانت عليه من فصاحة وفقه ، ثم عاد يتساءل فى تبرم

فما للأمهات جهلن حتى   أتين بكل طياش الحصاة
حنون على الرضيع بغير علم   فضاع حنو تلك المرضعات
نرى جهل الفتاة لها عفافاً   كأن الجهل حصن للفتاة
ونحتقر الحلائل لا لجرم   فنؤذيهن أنواع الأذاة
لئن وأدوا البنات فقد قبرنا   جميع نسائنا قبل الممات
حجبناهن عن طلب المعالى   فعشن بجهلهن مهتكات
وقالوا إن معنى العلم شىء   تضيق به صدور الغانيات
وقالوا شرعة الاسلام تقضى   بتفضيل الذين على اللواتى
لقد كذبوا على الاسلام كذباً   تزول الشم منه مزلزلات
أم المؤمنين إليك نشكو   مصيبتنا بجهل المؤمنات
فتلك مصيبة يا أم منها   (نكاد نغص بالماء الفرات)

(البقية فى العدد القادم)

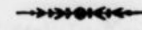
محمد رجب البيومى

٢ — الأعلام:

أحمد فتحى زغلول باشا

[فى مارس الماضى مضى على وفاة أحمد فتحى زغلول باشا ٣٤ عاماً]

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف



ولد أحمد فتحى زغلول فى قرية أبيانة بمديرية الغربية فى ربيع الأول سنة ١٢٨٩ هجرية ، وكان أصغر أنجال الشيخ إبراهيم زغلول أحد الأعيان البارزين فى تلك القرية ، ولكنه حرم حنان الوالد وعطفه ؛ إذ مات والده وتركه رضيعاً لم تتفتح عيناه للحياة بعد ، وكان شقيقه سعد زغلول فطيما ، وكانت والدتهما — وهى إحدى عقائل عائلة بركات — لا تزال شابة لا تتجاوز العشرين ، فنحت شبابها لولديها اليتيمين ، ووقفت نفسها على تربيتهما تحت رعاية أخيهما الكبير لأبيهما الشناوى زغلول الذى عنى بتعليمهما على ما كان معهوداً فى تعليم أولاد الأعيان يومذاك ، وكان أن نفع الله بالطفلين اليتيمين على خير ما يكون النفع للأمة والوطن ، فصار سعد إلى ما صار إليه فى زعامة الأمة وقيادتها ، وانتهى فتحى إلى ما انتهى إليه ، دعامة من دعائم الإصلاح التشريعى والاجتماعى ، ومنارة تهدى ركب الأمة إلى سواء السبيل .

ولم يكن اسمه أحمد فتحى ، وإنما كان اسمه فتح الله صبرى ، هكذا سماه والده ، وهكذا عرف فى حياته الأولى ، حتى انتهى من مراحل التعليم فى كتاب القرية ، وفى مدرسة رشيد الابتدائية ، ثم المدرسة التجهيزية ، ودخل مدرسة الألسن وصادف أن زار أحمد خيرى باشا ناظر المعارف يومذاك تلك المدرسة ، فأعجب بذكاء الشاب فتح الله صبرى ، وأدهشه ما لمس فيه من نبوغ خارق ، نخلع عليه اسمه أحمد ، ونحت من «فتح الله» إسم فتحى ، وهكذا سماه أحمد فتحى ، وأصدر أمره إلى المدرسة بقبوله بالمجان ، ورد ما دفع من المصاريف إليه ، وكانت هذه أول شهادة بالنبوغ لفتحى زغلول ...

وتخرج فتحى متفوقاً فى دراسته ، فأرسلته نظارة المعارف سنة ١٨٨٤ إلى فرنسا لدراسة الحقوق ، وقد رجع فى سنة ١٨٨٧ بعد أن حصل على شهادة الليسانس فى القانون ؛ فعين بقلم قضايا الحكومة ، ثم رقى رئيساً لنيابة أسيوط ، ثم رئيساً لنيابة الإسكندرية ، ثم مفتشاً بلجنة المراقبة ، ثم رئيساً لمحكمة الزقازيق فرئيساً لمحكمة مصر ، ثم اختير وكيلا لنظارة الحقانية ، وقد ظل فى هذا المنصب حتى انتقل إلى جوار ربه ...

تلك كانت حياة فتحى زغلول فى مناصب الحكومة ، وهى حياة يمكن للمؤرخ أن يجملها فى سطور ، وما كانت حياة الوظيفة فى يوم مجال عبقرية ولا مظهر نبوغ ، وإنما كان مجال عبقرية فتحى ومجال نبوغه فى ناحية الإصلاح التى رادها ، والتى رأى فى انتهاجها خدمة للوطن ونفعاً للأمة وإفادة لشباب طامح يتوثب للنهوض ، وينشد الحياة المهذبة الكريمة . فما هو ذلك المجال الذى اختاره فتحى للعمل ، وآثره بجهوده ونبوغه ؟

يقول فتحى باشا فى كلمة من كلماته : « إن من يخبر حال هذه الأمة ويقف على كنه خلقها ، ويعرف جيداً حقيقة خصالها ويدرك الصحيح من آمالها ، وينعم النظر فى أعمالها ، يقتنع بأن التربة زكية لا يفسد زرعها إلا شىء من البذور الرديئة ، وبأن الخلق الكريم يغشاه ستار من عدم العلم التام بالواقع ، وبأن الآمال كبيرة شريفة لكنها مشوبة بشكوك وأوهام تطوح بنا يوماً ذات اليمين ويوماً ذات الشمال . أما أعمالنا فثمرة هذا وذاك، تهتاج والسكون واجب ، ونلهو وكل النجح فى العمل ، وما كان شىء من كل هذا يكون لولا خطأ فى تقدير حقيقة حالنا ، وعدم التفات إلى حركة البيئة التى نحن فيها ، ونسيان لشىء كثير من الماضى ولهو عن الحاضر وعدم اهتمام بما هو آت . ومحال أن تدوم هذه الحال ، فلا بد لنا من إعداد العدة اللازمة لهذا التحول ، وما هى إلا العلم ؛ فإن العلم سلم الأمم إلى الحضارة ، وكاشف ظلمات الجهل ، ومسدد الآراء ، ومنجح كل مجهود ، وهو الذى ينقى الضمائر ، ويجمع شمل المتفرقين ، ويطهر السرائر ، ويوحد كلمة المتنافرين ، وينير البصائر فيهدينا إلى أن التآزر شرط التجاح ، وأن يد الله مع الجماعة ، وأن التباغض مجلبة الشر وأن التنابذ سبيل إلى الذلة » ...

هذا هو مارآه فتحى فى تشخيص داء الأمة ، وتقدير الدواء لها ، وعلى هذا اندفع ينشد العلم الصحيح لشفاء الأمة من دائها . العلم الذى « ينقى الضمائر ، ويطهر السرائر ، وينير البصائر » ، العلم الذى « يقوم الأخلاق ويبصر الأمة بما لها من الحقوق ،

وما عليها من الواجبات » ، وبين غسق القرن الماضى ، وغلس القرن الحاضر كانت تهز حياة الأمة دعوات الإصلاح المتتالية ، فكان الأستاذ الإمام محمد عبده يدعو دعوة الإصلاح فى الناحية الدينية ، وكان مصطفى كامل يحمل لواء الوطنية ، وكان قاسم أمين يدعو إلى النهوض بالمرأة المصرية ، وكانت هذه الدعوات يكتنفها ما يكتنفها من الضجيج والتدافع . أما فتحى زغلول فقد وقف فى ميدانه ينادى : « علموا الأمة . علموا الأمة » ، وانتحى من ذلك ناحية هادئة ، فعكف على التأليف والترجمة ، ونقل الآثار النافعة ، حتى يقيم من ذلك دعامة للأمة تنهض عليها إلى ما تنشده من الحرية والكرامة وقوة الشخصية .

وكان فتحى زغلول رجل ارتقاء لا رجل ثورة كما يقول أحمد لطفى السيد باشا ، وكان يرى أن الوصول فى الاصلاح إلى نتيجة مضمونة يقتضى إدراك الحقوق والواجبات ؛ حقوق الفرد وواجباته ، وحقوق الأمة وواجباتها ، ولهذا ابتدأ سنة ١٨٨٨ على أثر عودته من فرنسا بترجم كتاب «العقد الاجتماعى» لروسو ، ولكنه بعد أن قطع فيه شوطاً بعيداً تجاوزه ، وأقبل على ترجمة كتاب «أصول الشرائع» لبنتام فأتمه وأصدره بعد فترة وجيزة ، ثم مضى فى الترجمة والتعريب ، فعرب كتاب « خواطر وسوانح فى الإسلام » للكونت هارى دى كاسترى ، و « سر تقدم الإنكليز السكسونيين» لأدمون ديمولان ، و « روح الاجتماع » و « سر تطور الأمم » و «جوامع الكلم » و « حضارة العرب » لجوستاف لوبون ، و « خطاب مصطفى فاضل باشا إلى السلطان عبد العزيز » و « كتاب بورجار فى الاقتصاد السياسى » ، و « جمهورية أفلاطون » و « الفرد ضد المملكة » لسبنسر .

ومن هذه الكتب ما تم تعريبه وطبعه ، ومنها ما تم تعريبه ولم يطبع ، ومنها ما تركه رهن الإنجاز والإتمام ولا ندرى ماصنعت به الأيام .

أما فى مجال التأليف فقد ترك « كتاب المحاماة » و « شرح القانون المدنى » و « رسالة فى التزوير » ؛ كما ألف كتاباً « فى التربية العامة » فأتمه ولكنه لم يطبع فيما علمت . وهناك كتاب وهو كتاب « حاضر المصريين وسر تأخرهم » الذى ظهر سنة ١٩٠٢ من تأليف « محمد عمر » ، وكتب مقدمته فتحى باشا ، فإن بعض العارفين يعزون تأليف هذا الكتاب إلى فتحى زغلول باشا ، ويقولون إنه أخرجه على نسق كتاب « سر تقدم الإنجليز السكسونيين » الذى ترجمه ، ولكنه لم يضع اسمه عليه إيثاراً للسلامة نظراً لما تضمنه الكتاب من نقد شديد لاذع ...

وكان لفتحى باشا فى التعريب طريقة آثرها وارتضاها ؛ كان يقرأ الكتاب ويأتى عليه جملة ، ويتشرب روح المؤلف ويتقمص شخصيته ، ثم يأخذ بعد ذلك فى التعريب . قال أحمد لطفى السيد باشا : « ولفتحى باشا فى تعريبه شخصية تامة ممتازة فى طريقته وفى أسلوبه البيانى . أما نحوه فى التعريب فليس هو الالتزام الحرفى للأصل ، ولا المجافاة للأصل ، ولكن نحوه بين ذلك وسط مرضى . وأما أسلوبه فهو عربى خالص لا يعنى فيه بفضلة الزخرف والمحسنات اللفظية ، ولكنه مع ذلك متين الرصف ظاهر الرشاقة جذاب جداً » .

أما شخصية فتحى باشا فكانت شخشية العالم ؛ فالهدوء والرزانة ، والإخلاص للعمل ، وأداء الواجب قبل كل شىء ، والابتعاد عن مجال الضجيج والصخب . كل هذه كانت صفاته الظاهرة ، حتى أنه لم يكن يرى فى ميدان الحياة العامة إلا قاصداً لعيادة مريض ، أو مواساة رفيق ، أو متوجهاً لرد زيارة ، أو مشاهداً لحفلة أنس لا بأس أن يجد فيها شيئاً من الرفاهية ، وماعدا ذلك فكل وقته بين الدفاتر والقماطر ، والتحرير والتحبير ، كأنه كان يتعجل إنجاز مهمته قبل أن تعجله المنية . قال صديقه أحمد لطفى السيد باشا فيما رواه عنه :

« ما أنس لا أنس إذ دخلت إلى فتحى باشا فى داره بهليوبوليس فى يوم حر ذى لوافح محرقات . دخلت إليه وقت الهاجرة فوجدته على مكتبه ، وأمامه أوراقه منثورة ، وكتبه مفتوحة ، يقرأ ويراجع ، ويعرب ويكتب ، كذلك دأبه لا ينقطع عند خلوه من عمله الرسمى إلى عمل واحد بعينه ، كأن عادته فى العدل بين الناس جملته يعدل فى تقسيم فراغه بين المقاصد العلمية المختلفة . أو كأنه يجد فى الانتقال من عمل إلى عمل راحة وتنشيطاً . فقلت له : أتلك هى رياضتك فى الأجازة وراحتك فى حمارة القيظ؟ فقال وهو يبتسم : نعم هذه رياضتى . فخلفته فيما يظنه رياضة ، وبتخيله سعادة ، وخرجت أحمد الله على أن منا من ينفق صحته وملكاته ووقته فى سبيل العلم » .

هكذا عاش أحمد فتحى زغلول باشا للعلم ، وفى سبيله أنفق

صحته ووقته وجهده ، وفى عام ١٩١٣ م أدرك أهل الفضل مدى ما أدى الرجل فى هذه السبيل من مآثر ومفاخر ، فأقاموا له حفلة تكريم خطب فيها أعلام القانون والبيان فأشادوا بأياديه وجهوده فى خدمة التشريع والعلم ، وكم كان الأسف بالغاً إذ لم تمض على ذلك شهور حتى اختاره الله إلى جواره فى ٢٧ مارس سنة ١٩١٤ ، فكان الذين اجتمعوا لتكريمه ؛ هم الذين اجتمعوا لتأبينه . ولقد مضت على وفاة ذلك العالم الجليل أربع وثلاثون عاماً وما زالت الثروة العلمية التى خلفها خير زاد يقدم لأبناء الأمة فى فترة الانتقال التى يواجهونها ، وإن من المؤلم أن تبقى بعض الآثار التى خلفها فتحى باشا ولم يمهله الرحمن حتى يقوم بإذاعتها مطوية إلى اليوم .

محمد فهمى عبد اللطيف

فلسفة حياة :

الاعتراف بالعيـــوب

للأستاذ محمد خليفة التونسى

من العيوب ما يدل الاعتراف به عند الضرورة على شجاعة صاحبه ومعرفته الصادقة بنفسه ، ومنها ما يكون إظهاره ضرباً من ضروب القحة ، ومظهراً من مظاهر الاستهتار ، ولا ضرورة تلجىء الإنسان إلى الاعتراف بهذه العيوب .

والنوع الأول متصل غالباً بطبيعة الإنسان ، والنوع الثانى متصل بوقائعه التى سقط فيها وآثامه التى ارتكبها .

وحسب الإنسان بلاء أن يعرف الناس من ضعفه ما لايقدر على إخفائه عنهم مهما حاول إخفاءه ، وألا يزيدهم من كشف عوراته وتقديم الشواهد التى لم يروها حتى أراهم إياها ، ولم يطلعوا عليها حتى حدثهم بها .

من المفيد لمن يحاول إصلاح نفسه أن يعرف عيوبها ليسهل عليه علاجها ، ومن العبر المفيدة للناس أن يروا أمامهم إنساناً ذا نقائص استطاع أن يبرىء نفسه منها ، أو تفوق فى حياته عليها ونجح معها ، فإن هذه العبر تبعث فيهم التفاؤل فتبعثهم على البحث عن نقائصهم وطلب السلامة منها ومحاولة علاجها بطريقة هذا الإنسان أو بطريقة أخرى تلائمهم .

على أن من القحة والاستهتار ، والتمادى فى التهتك والفجور أن يذكر الإنسان نقائصه وخطاياه فى معرض المباهاة والفخار ، أو حباً فيما يسمى الصراحة ، بينما هو لا يقصد من وراء ذكرها التغلب عليها ، والكشف عن عواقبها الوخيمة ، وأن تكون عبرة له أو عبرة لغيره .

وما نفع الناس من أن يعترف لهم إنسان بعيوبه دون مطمع إلا أن يصفوه بالصراحة أو الشجاعة أو الإنصاف ونحو ذلك ، بينما هو فى مأمن منهم مهما صلحت الأحوال بينهم وبينه ، إذ لا موثق له ببقائها على صلاحها ، فهو — حين يعترف لهم بعيوبه — يكشف عن مقاتله لمن لا يستحيل ولا يستبعد أن يناصبوه العداوة والكيد .

ربما كان أقل ما يبتلى به منهم أن يقابلوه بالاشمئزاز والاحتقار ، وندر أن يكون فيهم من يقابلون عيوبه بالعطف والرثاء ، وأندر من ذلك أن يكون فيهم من يلقاها بالعلاج والإصلاح .

إن لم يكن بد للمريض بداء الكلام من الثرثرة فليثرثر بما ليس من عيوبه ، فإن لم يكن له بد من الثرثرة بها فلمن يتيقن لديه علاجها أو الوقاية من عواقبها ، فيكون مثله أمامه مثل المريض أمام الطبيب الحاذق الأمين حين يفضى إليه بأوجاعه دون خجل ولا ريبة ، فالاعتراف على هذا النحو عون للطبيب على فهم مرضه وتمكين له من إبرائه منه ، أو تخفيف آلامه عنه . وفى هذا صلاح له .

فإن لم يجد الإنسان هذا الطبيب الحاذق الأمين ولم يكن له بد من الثرثرة فعليه بمن يترقب عنده مقابلة عيوبه بالفهم والعطف ليحسن له الاعتذار والعزاء ، فيمده بالثقة والأمل ويكون مثله عنده مثل الابن عند أبيه المشفق الأمين ، يخطىء ابنه فيلقى خطاياه بالحنان والتسلية ولو لم يلقها بالإصلاح والتقويم ، وصاحب العيوب فى هذين الحالين آمن أن يقابل اعترافه بالاحتقار عند المودة ، والاستغلال عند الكريهة ...

محمد خليفة التونسى



مع الخزاف «مايودون»

للدكتور محمد بهجت

أحسنت الحكومة صنعاً باستقدام بعض الفنانين البارزين من فرنسا لمحاضرة طلاب الفنون الجميلة العليا والتحدث إلى أساتذتهم ومبادلتهم الرأى فى نواحى الفنون المختلفة، كما أحسنت كل الإحسان بإقامة معرض كبير حوى الكثير من صفوة أعمالهم بالسراى الكبرى بأرض الجمعية الزراعية، بلغ من أهميته أن حظى بزيارة ملكية.

ومع أن الإقبال عليه كان كبيراً لحد ما، إلا أن الكثرة من الطبقة المثقفة لم تستمتع به أو تفد منه شيئاً، وذلك لأن القائمين بأمره لم يعلنوا عنه الإعلان الكافى بالصحافة العربية أو بواسطة الإذاعة. ومن الناحية الأخرى أهملته تلك الصحافة إهمالاً معيباً كأن لم يقم معرض خطير للفن الحديث فى القاهرة أنفقت عليه الحكومة بسخاء وأولته الصحف الأجنبية بعض العناية. وكأن لا أثر لمثل هذا المعرض القيم فى تثقيف عقول الناس وإشباع نفوسهم بجمال الفن!

كانت معروضات الفنانين السبعة رائعة تسترعى الأنظار بطرافتها وروعتها وقوتها، ولا يسعنا إلا إحناء رؤوسنا إعجاباً بأعمالهم واحتراماً لنبوغهم جميعاً.

غير أن واحداً منهم كان مبرزاً فى الحلبة يسطع فنه بأقوى مما يقع على جانبيه من أضواء ساحرة، كان يستوقف جمهرة الزائرين لأطول وقت، ويشدههم بجمال فنه وينتزع منهم أضخم عبارات الإعجاب والإطراء — أستغفر الله — بل إنهم كانوا يخلعونها عليه جزافاً سماحاً. ذلكم هو جان مايودون الخزاف العالمى الفذ الذى مكنته إدارته الفنية لمصانع سفر الشهيرة لمدة ثلاثين عاماً أو أكثر من أن يقف على أدق أسرار هذه الصناعة قديمها وحديثها، وأن يخلق لنفسه طريقة فنية رائعة.

يجد المشاهد نفسه أمام فن جديد ذى طابع خاص، أهم مظاهره جمال عظيم فى أشكال الزهريات والقوارير والصحون التى صممت بعناية فائقة وذوق سليم حتى ليكفى أن تؤثر فى النفوس بجمالها الذاتى خالية من النقوش والألوان، ثم جمال ألوانها وانسجامها انسجاماً شعرياً عذباً، مع الذهب خالصاً فى بعض الحالات أو مختلطاً قليلا أو كثيراً بتلك الألوان. أما الرسوم التى عليها، فإما هى حيوانات زخرفية أشبه بغزلان راكضة، وإما هى أناسى من نسيج الخيال أو من عالم الأساطير، غير أنه لا توجد أسطورة ما ممثلة، أنها لا تعنى شيئاً ما بل هى مجرد أخيلة يستعين بها الفنان على إيجاد حركات جميلة أو مجموعة متناسقة من الألوان. وهو فى هذه الرسوم متأثر بالفن الإغريقى لحد كبير؛ وفى بعضها يلمس المشاهد أثر ميكائيل أنجلو.



ثم أن لكل قطعة «شخصيتها» وسحرها الخاص حتى ليصعب على المرء أن يختار لنفسه واحدة منها، ويود لو يراها مجتمعة كمجموعة من الدرر النوالى، ويكره أن ينفرط عقدها، كما أن كل واحدة منها تمثل فن (مايودون) وتظهر خصائصه بكل وضوح، مطبوعة بطابع ذوقه الرفيع.

وبينما كنت أستمتع مرة بمشاهد معروضاته إذ قدمنى إليه صديقى الأستاذ المصور أحمد صبرى، فراعتنى أناقته المعجبة، وقامته المديدة، وأكتافه العريضة، رأسه الكبير المكلل بشعر أشيب

رتيب ، وعيناه اللامعتان الفاحصتان . ربما كدنا نشقق الحديث حتى بدت لي منه روح مرحة وحماسة فياضة ونفس إنسانية عظيمة مخلصة ، شغفت بالحب والجمال ، ثم تواضع عجيب هو من خلق العباقرة القادرين . سألته أن يحدثني عن فنه فقال :



أستعمل في عجائني الطين النقي والسليس والطباشير والزجاج. والأخيران يجعلان لأوعيتي صلابة ورنيناً . وأستعمل من الألوان أكاسيد معادن الحديد والنحاس والكروم والمنجنيز والفضة والرصاص . ثم إني أستعمل الذهب مخلوطاً مع أكسيدى الزئبق والبزموت . والحق يقال أنني متأثر إلى حد كبير بتلك المواد التي كان الفرس والعرب يستعملونها في أعمالهم .

إنني أجهز تلك المواد بنفسي ، لا مساعد لي في ذلك . أحضر العجائن وأسوى منها الأوعية على أشكال شتى ثم أتركها على الأرفف لتجف ، وبعد ذلك أحرقها على درجة عالية من الحرارة (١٠٥٠ مئوية) فتكتسب صلابة كافية وتصير صالحة للعمل عليها في الخطوات التالية .. وفي كل صباح يصحبني كلبي العزيز ونجول معاً هنيهة في حديقتي الجميلة ، نذهب بعدها إلى المصنع الواقع وراء تلك الحديقة ، فألقى نظرة خاطفة على الأوعية فيروقني أحدها فأنتزعه من مكانه وأرسم عليه بالقلم الرصاص رسماً ما من غير سابق تحضير أو دراسة ، فأجعله حيواناً أو إنساناً أو شيهاً بهما ، حسبما يتفق مع طبيعة الوعاء وقد أزيد عليه أو أنقص منه؛

فإذا ما راقني الرسم وضعت لون الخلفية (١) ، ثم أدخلته النار وحرقته على درجة الحرارة العالية المذكورة لمدة معينة ، ثم أخرجه بعدها حتى يبرد ، ثم أضع عليه ألوان الرسوم التي أتخيرها بعناية وأدخله النار مرة أخرى . وبعد ذلك أضع الذهب . وقد يدعوني الحال إلى إحراق الوعاء مرتين أو ثلاثا بل وست مرات حتى يكون بعدها كاملا . وأحيانا لا يعجبني رسم أو لون ما فأغيره وأعيده إلى النار . وهنا سألته عما يعني برسومه — وقد حيرني أمرها — أهي موضوعات من القصص الأغريقي أو غيره ؟ فأجاب بالنفي قائلا : « إنها لمجرد الزخرفة » وإيجاد التآلف والتوازن ليس إلا . فيعطيها من الألوان ما ينسجم وألوان الخلفية ويجعل المجموعة كلها جميلة تطرب العين والفؤاد معاً . ثم إنه وافقني على ما لاحظته من تأثره بالفن الأغريقي ، وبفن ميكائيل أنجلو الذي كان يعكف على دراسته ، وبالفن الفرنسي الذي كان سائداً في عصر لويس الرابع عشر ، إلى أن قال : « ولكنني أحاول أن أتحرر منها تدريجياً ، وأختط لنفسي فناً خاصاً » .

وبعد أن حدثني عما شاهده من الفن المصري القديم وعن خصائصه وروائعه سألته عما تركه ذلك الفن في نفسه من أثر . وهنا حدجني بنظرة عميقة ثم اندفع يقول في حماسة ممزوجة بحرارة وألم : « كنت أظن أنني أوفيت على الغاية ؛ ولكنني اليوم أشعر بأنني قزم إلى جانب الفنان المصري القديم الذي يبرز الجمال بقوة ، بسيطاً هادئاً ، لا تكلف فيه ولا إجهاد . أصبحت أرى ضآلة عملي وتفاهته بجانب تلك الأعمال الجليلة الرائعة . إن كل هذا (مشيراً بيده إلى قطعه الجميلة) هراء معقد لا غناء فيه . لسوف أقلع عن كل ذلك . آه ! لقد بدأت أفهم الآن ، والآن فقط بعد أن بلغت الخامسة والخمسين ، ولم يبق من العمر إلا أقله ، ومن الجهد إلا أضأله . لشدما يؤلمني ذلك ! إن أخوف ما أخافه أن لا يسعفني الأجل بتحقيق ما تصبو إليه نفسي وما ينفجر به خيالي الآن . عندما أعود إلى باريس سوف أكب على العمل بهمة زائدة وأحاول أن أخرج فناً بسيطاً جيلا حلواً . سأحاول أن أخرج بعض ما تملته وشاهدته هنا ؛ وسيكون في ذلك نقطة

(١) وضعت كلمة الخلفية لتؤدي معنى الكلمة الفرنسية Fon أو الكلمة الإنجليزية Background وعسى أن يحى بها المجمع اللغوي .

التحول الماثلة فى حياتى الفنية التى أوشكت على الأفول » .

— وما رأيك فى مستقبل فن الخزف بمصر ؟

— لاينقصكم شىء من عناصر النجاح على ما أرى . فتربتكم غنية بأحسن المواد الأولية اللازمة للعمل ، وشبابكم على جانب وافر من الذكاء واستعداد للتوثب والابتكار . وكل ما ينقصكم هو فرن ذو حرارة عالية ! هذا كل ما فى الأمر . إننا نعرض عليكم بضاعتنا وفننا ، ولكنى أنا فرنسى أفكر برأس فرنسى ، ويجب أن تفكروا أنتم كذلك برؤوس مصرية .



— هل تعود إلى مصر مرة أخرى ؟

— لقد شغفتنى مصر والمصريون حباً . وأكبر ظنى أنى سأعود إليكم فى العام القادم حاملا بعض أعمالى الجديدة التى سأستوحيها من زيارتى لبلادكم الجميلة الغنية بالفن

وهنا أقبل بعض زملائه وأسر إليه شيئاً فاستأذن وانصرف

أما بعد فنرجو من وزارة المعارف أن تسن هذه السنة الحميدة فتستقدم إلينا كل عام بعض أساطين الفن من مختلف الشعوب حتى يتم التلاقح الفنى بيننا وبينهم ؛ شأنها فى ذلك شأن الفرق التمثيلية والجوقات الموسيقية ، كما نرجو أن تدفع فنانينا إلى الأمام بكل وسائل الترغيب والتشجيع حتى تستطيع مصر أن تبنى مجدها الفني الحديث على آثار فنها القديم .

محمد بهجت

المدير المساعد لقسم البساتين

وحشة شاعر...

للشاعر السودانى أبى القاسم عثمان

أيها الليل يا عدو حيـــاتى ومثير الجياش من أناتى
أنا أرهقت يا غشوم تماسا تى وأسكرت بالغناء فلاتى
عبثاً تستخف بالنغم الحلو وبالعطر فى ظلال حيـــاتى
مصر أوحت فأيقظت فى ضلوعى نغماً تســتحثه نزواتى
هتفت فيه بالضـــلالة أفرا حى وأوتارى التى فى لهـــاتى
فتوثبت فى مدارج ألحـــا نى وهللت فى مدى صلواتى
وتطلعت للشعاع طموحاً ساخراً بالظلام فى خلواتى
قبس الله قـــد أثار فتونى وأمات المحزون من آهاتى

فى روابى « سنار » ودعت أيا مى وذرّفت أدمعى وشكاتى
كنت أودعتها نوازع نفسى ألهبتهـا قساوة الذكريات
يا رفيقى لقـــد لمست بقلبى ما يعانى الغداة من صدمات
رحمتا فالضباب يزحم آفا قى ويغتال هدأتى وثباتى
ورماد الأوهام فى ليل إدلا جى أدال المسحور من نبراتى
قهقهات الأشباح أذكت جنونى لا رعى الله فترة القهقهات
أنا من صارع الحياة فأفنى عمره الغض فى صراع الحياة

لهف نفسى وقد حييت زماناً فى ضجيج الأغلاط والنزهات
ما الذى قدر الإله لنفس تعبت فى صياغة الأمنيات
غير أنى يزفنى لجهادى عبقرى الأهداف والغايات
سوف أجتاز محنتى لأغنى أغنيات الهروب والانفلات
مصر دنيا طلاقتى وكفاحى ومنى مهجتى ومحراب ذاتى
فيك أنسيت يا كنانة أوجا عى وأيقظت خافقى من سبات
أدركينى على البعاد فأنى قد سئمت الشرور فى الفلوات
فيك يا مصر ثلة من رفاق بهمو يستضاء فى الظلمات
شعراء يهزهم كل معنى من معانى التسبيح والفلسفات
فاذكرونى أحبتى إن عودى أيبســـته جسارة السافيات
أمسيات الخريف ضاعفن بأسى فذكرت الندى من أمسياتى

أبو القاسم عثمان

الأدب والفن في أسبوع

جائزة فؤاد الأول الأدبية :

نشرت « أخبار اليوم » أن لجنة جائزة فؤاد الأول الأدبية رأت تقسيم الجائزتين المخصصتين لسنتى ١٩٤٧ و١٩٤٨ بين أربعة أدباء ، هم الأساتذة عباس محمود العقاد والدكتور محمد حسين هيكل باشا والدكتور طه حسين بك والدكتور أحمد أمين بك ، ثم قالت :

« وعلم ذلك الأستاذ العقاد ، فارسل كتابا إلى وزير المعارف يحتج فيه على تقسيم الجائزة إلى جائزتين ، وعلى مساواة مؤلف له ١٧ كتابا بمؤلف له جزء من كتاب ، ويعني بذلك أنه أصدر خلال السنوات الخمس الأخيرة ١٧ كتابا بينما لم يصدر الدكتور طه خلال هذه المدة إلا الجزء الأخير من هامش السيرة ، وأن هذا الجزء ليس دراسة ولكنه تصوير لفترة من التاريخ الإسلامى .

كذلك أرسل الأستاذ العقاد كتابا آخر إلى رئيس ديوان جلالة الملك — مقدم الجائزة — شرح فيه تصرف اللجنة ، وقال إنه يخالف الفكرة التى أنشئت من أجلها الجائزة ، وقد أرسل معالى رئيس الديوان كتاب الأستاذ العقاد إلى وزير المعارف ، فأحاله إلى اللجنة وطلب إليها أن تبحث وجهة نظره ، وهل تقسم الجائزة ؟ ويستحسن أن يحتفظ بوحدتها لتكون تتويجا مناسبا للعمل الأدبى الذى أنتجه الفائز بها »

والواقع أن قانون الجوائز ينص على جواز التقسيم فى حالة تساوى قيمة النتاج ، ولكن اللجنة رجحت فكرة التوحيد لتحقيق التتويج الأدبى المقصود من الجائزة ، فرأت أن يمنح كلا من الجائزتين أديب واحد . وهى الآن بصدد النظر فى ثلاثة كتب ، هى « عبقرية عمر » للأستاذ العقاد ، و« الصديق أبو بكر » لهيكل باشا ، و « ظهر الإسلام » للدكتور أحمد أمين بك . أما كتاب الدكتور طه حسين بك وهو الجزء الثالث من « على هامش السيرة » فهو لا يدخل فى الموضوع الذى قررت اللجنة تخصيص هاتين الجائزتين له ، وهو « الدراسات الإسلامية الأدبية » على أن تكون جوائز السنين القادمة فى فنون الأدب الأخرى كالشعر والقصة . . الخ

ولذلك استبعدت اللجنة هذا الكتاب لأنه أقرب إلى التصوير الأدبى ، والمؤلف نفسه يقول فى مقدمته إنه ليس دراسة ولا تاريخا .

ويتصل ذلك بما قالته « أخبار اليوم » من أن الأستاذين المازنى وتوفيق الحكيم اعتذرا من عدم الاشتراك فى هذه المباراة ، وقد بينت فيما مضى أن جوائز فؤاد الأول ليست مباراة وإنما هى للتتويج ، فهى تشبه جائزة « نوبل » . وأضيف الآن إلى ذلك أن الأستاذين المازنى وتوفيق الحكيم لم يؤلفا كتبا فى الدراسات الإسلامية الأدبية — وهى موضوع الجائزتين — فى خلال السنوات الخمس الأخيرة ولا فيما قبلها ، فم يعتذران ... ؟

عضوية المجمع اللغوى :

رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى جلسته الأخيرة ، أن يؤجل الآن شغل الكرسى الذى خلا بوفاة أنطون الجميل باشا ، وذلك لفترة قد تتجاوز الدورة الحالية للمجمع

ومما يذكر أن أحد الأعضاء اقترح وضع قواعد لشغل الكراسى التى تخلو بالمجمع ، كالاعتماد على الآثار العلمية والأدبية للعضو المرشح للاختيار ، كما اقترح توزيع كراسى الأعضاء بحسب الاختصاص فى العلوم والفنون والآداب ، حتى إذا خلا مكان روعى فيمن يشغله أن يكون مختصا فى فن سلفه . ولم يبت فى شىء من ذلك برأى .

إمارة الشعر :

قال الأستاذ العقاد فى حديث له مع محرر « الزمان » وقد سأله عن رأيه فى إمارة الشعر :

الشعر مذاهب كثيرة ولكل مذهب شخصية بارزة ممثلة له . ولقد وجد فى انجلترا فى عصر واحد أكثر من عشرة شعراء لا يمكنك أن تسمى واحدا منهم أميرا للشعر . ومع ذلك يمكنك أن تقول إن كلا منهم كان إماما فى شعره . فأنت لا تستطيع أن تفاضل مثلا بين بيرون وشلي وكولردج من حيث العظمة الشعرية ، ولكنك ترى لكل منهم نمطا من الشعر يتفوق فيه ، فهو إمامه وإذا شئت فهو أميره ...

الأدب الرمزي :

وقال الأستاذ أيضاً وقد سأله المحرر عن رأيه في الأدب الرمزي :

كلمة الأدب الرمزي كلمة سخيفة ، لأن الأدب قبل كل شيء الافصاح ، فمن عجز عن الافصاح فأولى له أن يترك الأدب ، ومن كان لا يتكلم إلا بالرموز فخير له أن يخترع له لغة أخرى غير هذه التي تواضع الناس على التفاهم بها ، وليخترع إن استطاع نوعاً من الهيرغليفية القديمة تغني فيها الصور والإشارات عن الحروف والكلمات . إن ما يسمونه بالأدب الرمزي سواء في مصر أو في أوربا ليس له عندي أشرف من كلمة واحدة باللغة العامة وهي « تهجيص » !

نهر النيل في الأدب :

ألقى الدكتور محمد عوض محمد بك محاضرة عنوانها « نهر النيل في الأدب » بالاتحاد المصري الثقافي يوم الثلاثاء الماضي ، قال في أولها : أريد أن أطوف بالميدان الأدبي لكي أنظر إلى الشعراء أو الكتاب الذين كان النيل ملهماً لهم ودافعاً إياهم إلى بعض الانتاج الأدبي في موضوع نهر النيل ، وأنا لم أحاول أن أفتش في كل الآداب عما يتصل بالنيل ، فهذا العمل يحتاج إلى عصابة قوية من الباحثين ، إنما أريد أن أعرض ما عثرت عليه بطريق المصادفة المحضة ، ويسرني أن ألقى مساعدة من الأدباء في استكمال هذا البحث حتى تتكون لدينا مجموعة عظيمة لأدب نهر النيل تستحق أن يتألف منها مجلد ضخم .

ثم تتبع موضوع النيل في الأدب بالترتيب الزمني ، فبدأ بالأدب المصري القديم وأورد منه قصائد في النيل ؛ وتحدث عن ثلاث قصائد في موضوع النيل لثلاثة من كبار شعراء الانجليز هم شلي وكيتس وهنت ، فقال إن هؤلاء الشعراء الثلاثة اجتمعوا في يوم من سنة ١٨١٨ م واتفقوا على أن يؤلف كل منهم أنشودة موضوعها النيل ، على سبيل المنافسة الأدبية ، وقال إن هذا الاتفاق يرجع إلى أن اهتمام الناس في أوربا بنهر النيل قد أخذ ينتعش في أوائل القرن التاسع عشر ، وقد أخذ بعض المستكشفين يقوم برحلات للبحث عن منابع النهر ، ثم ينشر قصة رحلاته فيلفت الأنظار مرة أخرى إلى هذا الموضوع القديم .

ثم انتقل الدكتور عوض بك بعد ذلك إلى الأدب العربي فقال إننا نلاحظ أن نهر النيل لم يجد في الأدب العربي القديم من يعنى بشأنه سواء من زار مصر وأقام على ضفاف النهر أو من سمع به وكان من الجائز أن يصفه على السماع كما فعل الشعراء الانجليز. وقد أشار إليه القرآن الكريم : « أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي » ونلاحظ أن وصف الأرض بأنها تجري من تحتها الأنهار كثيراً ما ورد في وصف الفردوس . كذلك ورد ذكر مصر ونيلها في الحديث وفي الكتب التي تنسب إلى عمرو بن العاص ولكن ذكرها لم يرد على لسان الشعراء إلا قليلا . وقد زار مصر من كبار الشعراء العرب عدد ليس بالقليل منهم أبو نواس الذي مدح والي مصر « الخصيب » بشعر جميل لم يرد فيه ذكر النيل ومصر إلا عرضاً كما ترى في قوله :

أنت الخصيب وهذه مصر   فتدفقا فكلاكما بحر

وقد نشأ أبو تمام في مصر ولكنه لم يذكر في شعره مصر ونيلها مع أنه كان يسقي ماء النيل بالجرة في المسجد الجامع بمصر . كذلك زار مصر المتنبي وقد ذكر النيل عرضا في شعره . وهو وإن لم يهتم بالقول في النيل إلا أنه لم ينج من أثر النيل في شعره ؛ فإن أشعاره التي قالها في مصر هي أبدع وأروع مما ألفه قبل إقامته في مصر وبعدها . وأرجع الدكتور عدم اهتمام هؤلاء الشعراء بمعالجة موضوع نهر النيل إلى عدة أسباب ، أهمها أن وصف الأنهار والبحار والغابات لم يكن من الموضوعات التي ألفها شعراؤنا ، وأن الشعراء في أوائل العهد العربي لم يكونوا من المصريين، ولم يكثر ذكر النيل في الشعر العربي إلا بعد أن أصبحت العربية لسانا لأهل مصر ولغة أدبائهم . ومع ذلك فإن الشعراء المصريين كانوا في أول الأمر مقيدين بما ورثوه من تقاليد شعرية . ومما يلاحظ أن العصر الذي أخذ فيه الشعراء المصريون يعالجون موضوع نهر النيل كان الشعر قد أخذ ينحط كثيراً عما كان عليه في العصر العباسي الأول . وهم على كل حال كانوا يحسون بالنهر ويشعرون به فقالوا في التشوق إليه وفي وصفه وفي فيضانه والمقياس الذي يقاس به وفاء النيل وفي جزيرة الروضة ومنظر السفن في النهر

وأيام اللهو على ضفته والرياض التى يجرى وسطها وما إلى ذلك .

ثم انتقل الدكتور عوض إلى عصر النهضة الحديثة التى ازدهر فيها الأدب وأصبح شاعراً بوجود النيل إلى أن قال : إن شعراء مصر فى عصرنا هذا قد يخصون النيل بأبيات أو مقطوعات أو إشارات ، أما شوقى فقد جاراهم فى هذا ولكنه بزهم بأن خص النيل بقصيدة من أروع قصائده تجمع بين الوصف الصادق والخيال المبتكر والنزعة الفلسفية والنظر إلى النيل ككائن مستقل لا كعرض من أعراض الحياة ، وتجمع بين الوصف الشعرى وبين حوادث التاريخ ، وهى القصيدة التى أهداها شاعرنا إلى العالم المستشرق مرجليوث والتى يخاطب النهر فى أولها بقوله :

من أى عهد فى القرى تتدفق وبأى كف فى المدائن تغدق

وقال الدكتور : بهذه القصيدة نستطيع أن نقف أمام شعراء الغرب الذين تناولوا هذا الموضوع أمثال كيتس وشلى وهنت ، دون أن نخجل من تقصير أدبنا عن أدبهم فى موضوع شديد الصلة بحياتنا دون حياتهم .

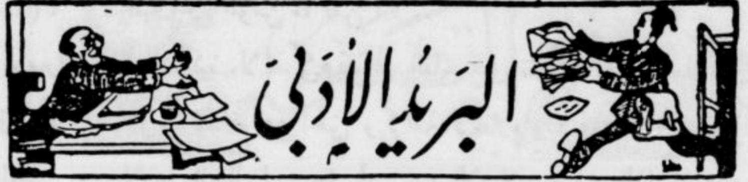
تحول فكرى فى أمريكا :

فى يوم الجمعة الماضى ألقى الأستاذ فؤاد صروف محاضرة فى قاعة يورت بالجامعة الأمريكية ، موضوعها « الاتجاهات السياسية والاجتماعية الحاضرة فى الولايات المتحدة الأمريكية » وهى حلقة من سلسلة محاضرات « العالم كما هو اليوم » التى ينظمها قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية .

بين الأستاذ المحاضر ما يسود الولايات المتحدة الآن من التيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، وقد أجملها فى ثلاثة ، فقال إن فى حياة الولايات المتحدة ثلاثة تيارات عميقة ، وهى خروجها من عزلتها ، وميلها إلى تعزيز نظام الاجتهاد الحر الذى يقوم على مبدأ « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » بتوفير أسباب العدالة الاجتماعية ، واتجاه أهل الفكر والتربية فيها إلى دراسة الأساس الخلقى الاجتماعى للحضارة الصناعية التى تعد الولايات المتحدة أتم مثال لها . وأوضح هذا التيار الفكرى بقوله : إن قيام الدولة الأمريكية فى قارة غنية صرف التربية الأمريكية خلال زمن طويل إلى تقديم دراسة التكنولوجيا (علم الحرف والصناعات) على دراسة العلوم الانسانية ، فالأب الذى يريد أن يقدم هدية إلى ابنه الصغير ، يميل على الأكثر إلى تقديم مجموعة من الآلات يلهو بها ، فيفككها ويركبها ؛ وهذا الانصراف إلى تقديم التكنولوجيا على دراسة الآداب القديمة ، هو الذى جعل تقدم أمريكا الصناعى شيئاً يبهر النفس فى سرعته وعظمته . ولست أريد أن أزعم أن طائفة كبيرة من الجامعات العريقة نبذت العناية بالعلوم الانسانية والآداب القديمة ، ولكن أقول إن العناية بتقديم التكنولوجيا هى الغالبة . بيد أن طائفة من رجال الفكر أخذت تدعو إلى نهج جديد ، فمشكلات العالم الحديث فى رأيها ليست مشكلات معرفة وإنتاج وحسب ، فقد تقدمت المعرفة تقدما عظيما وارتقت وسائل الانتاج الصناعى والزراعى ارتقاء باهراً ، فلم يغن كل ذلك فى حل المشكلات الاجتماعية وزيارة سعادة الناس ، ولكن المشكلات ترتد — فى رأيها — إلى جهل ما بالمعرفة ووسائل الإنتاج من قيمة اجتماعية ، فالاجتماع البشرى الذى يسير فى طريق الكمال ليس يكفيه أن تكثر فيه المعرفة وأن تتوافر فيه وسائل الإنتاج ، بل ينبغى له أن تكون المعرفة طريقاً إلى الحكمة ، وأن تفضى وفرة الانتاج إلى حسن التوزيع بين الناس ، فإلى الرضا والطمأنينة والسعادة ؛ وهذا التيار فى التربية الأمريكية لا يزال فى أوله ، ولكنه قوى زاخر .

ثم قال : إن مستوى المعيشة العالى أو الكافى ليس سوى مرحلة فى الطريق المفضى إلى مستوى صحيح للحياة ، والرخاء لا نفع فيه إلا على قدر ما يهيىء من جو يكفل سعادة العقل وسكينة النفس . ولن نستطيع أن نقيم على سطح الأرض حضارة صالحة للبقاء ، إذا أقمناها على الرخاء وحسب دون الفضائل العريقة ودون إدراك القيم الاجتماعية والروحية للأشياء المادية التى صرنا نحسن صنعها وعرضها . وإذن فاتجاه الأمة الأمريكية إلى استكشاف هذه القيم ودراستها والعودة بها إلى الأصول التى قامت عليها الأمة الأمريكية فى عهدها الأول هو أهم اتجاه حديث فى حياتها اليوم ؛ لأنه إذا استطاع الشعب الأمريكى أن يحل مشكلة حياده الخاصة ويصون فضائله العريقة وإيمانه بالمثل التى من أجلها هجر آباؤه الأولون قارة أوربا وفى سبيلها خاض حربين عالميتين ، فنى وسعنا أن نطمئن إلى أن ضمان حق الحياة والحرية وطلب السعادة فى حضارة تمد الرجل رجلا لا عبدا سوف يكون المصباح الذى يهتدى به الأمريكيون فى علاقاتهم بسائر الناس .

العباس



نعم نملك تحريم تعدد الزوجات :

ما كنت أظن أن يخفى ما كتبته تحت هذا العنوان بعدد الرسالة فى ٥ من إبريل سنة ١٩٤٨ م على صديقى الأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى ، حتى يرد ما لا يرد منه فى عدد (٧٧٢) من مجلة الرسالة ، لأنه لا ينكر أحد أن ينقلب المباح حراماً إذا نهى عنه ولى الأمر لمصلحة تقتضى النهى عنه ، كأن ينهى عن زرع القطن فى أكثر من ثلث الملك ، فتجب طاعته شرعاً فى ذلك ، وتحرم مخالفته فيه ، لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) فيكون زرع القطن فى أكثر من الثلث حراماً من هذه الناحية ، وإن كان فى ذاته مباحاً ، وقد يكون هناك ضرر من إطلاق زرعه ، ولكنه لا يصل إلى درجة التحريم إلا بنهى ولى الأمر عنه ، لأنه ليس بالضرر الذى يقتضى الحرمة

وكذلك الأمر فى تعدد الزوجات ، فلولى الأمر أن ينهى عنه إذا أساء المسلمون استعماله ، فيصير حراماً لنهيه عنه ، وإن كان فى ذاته مباحاً . وهذا أمر معروف بين العلماء ، لأن الله تعالى لم يبح لنا شيئاً إلا فى حدود المصلحة ، فإذا انتفت المصلحة انتفت الإباحة ، بل نص العلماء على أن من المندوب ماينقلب مكروهاً لسبب من الأسباب . وكل ما ذكره الأستاذ زكى الدين فى رد هذا لا يعدو أن يكون تنظيما فيه أو استثناء له من ولى الأمر ، بمقتضى ماله من حق التحريم والمنع . ولعل مما يدعو إلى هذا أن الناس لم يتهيئوا بعد لفهم هذا الحق ، بل يعدوه خروجاً على الدين ، فيحمل هذا ولى الأمر على أن يستثنى فى ذلك مايستثنى ، ولا يذهب فيه إلى آخر ما جعله الله من حقه .

عبد المتعال الصعيدى

١ – شرط رواية الحديث الضعيف :

فى صباح السبت ١٠ من ابريل سنة ١٩٤٨ حدثنا فى المذياع عالم أديب عن الجهاد ، وعزا الخبر المشهور (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ...) إلى النبى عليه صلوات الله وسلامه .

وفى معجم المحدث العجلونى المسمى (كشف الخفاء ومزيل الالباس ، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) ج ١ ص ٤٢٤ قال الحافظ ابن حجر : هو مشهور على الألسنة وهو من كلام ابراهيم بن علية . وقال العراقى : رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر .

ويشترط المحققون من المحدثين كالعز بن عبد السلام سلطان العلماء ، وابن دقيق العيد ، والنووى أن تكون صيغة رواية الضعيف صيغة تضعيف وتمريض مثل ورد ويحكى ويذكر ويروى

والفقيه ابن حجر الهيتمى يثبت ولعله فى كتابه الفتاوى الحديثية ، عدم جواز رواية أى حديث إلا بعد معرفة درجته من الصحة وغيرها

٢ – أول اكتتاب فى الاسلام :

فى (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس) وغيرها أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أراد التوجه إلى غزوة تبوك أو العسرة لأنها كانت فى زمن عسرة من الناس وجدب من البلاد حض أهل الغنى على النفقة فى سبيل الله والحملان والقوة والتأسى ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها ، بذل عشرة آلاف دينار وثلاثمائة جمل . وجاء أبو بكر بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم . وجاء عمر بنصف ماله ، واقتدى بهم أكثر الصحابة وأما النساء فقد تبرعن بحليهن . ومفصل أخبار تلك الغزوة فى (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى ج ٦ ص ١٩١ — ١٩٥ وج ٩ ص ٥٨ .

محمد أسامة علية

أعضاء مراسلون للمجمع اللغوى :

أصدر معالى الدكتور السنهورى باشا وزير المعارف قراراً بتعيين المذكورين بعد أعضاء مراسلين لمجمع فؤاد الأول للغة العربية وهم حضرات الأساتذة : جبرييل (روما — ايطاليا) ،

وأربرى (لندن — بريطانيا)، ولاوست (ليون — فرنسا)، يتبرج (أبسالا — النرويج)، خليل مردم وشفيق جبرى والأمير مصطفى الشهابى (سوريا)، ومحمد بهجت الأثرى (العراق)، وطاهر بن عاشور (تونس)، والشيخ محمد الحجوى وعلال الفاسى (مراكش)، والشيخ محمد نورالحسن (السودان)، وخير الدين الزركلى (المملكة العربية السعودية)، وعبدالله عبدالرحمن الأمين (من موظفى المعارف بالسودان).

وقد علمنا أن الأستاذ ميخائيل نعيمه من بين المرشحين عن لبنان والسيد اسحاق الحسينى من المرشحين عن فلسطين وعلمنا كذلك أن الهيئة متجهة إلى اختيار عضوين مراسلين لكل بلد. والطريقة المتبعة أن يتفق المجمع على الأسماء ثم يبلغها لمعالى وزير المعارف لاصدار القرار بتعيينهم

حول قصيدة :

فى مجلة «العالم العربى» لشهر إبريل الجارى قصيدة للآنسة الفاضلة فدوى طوقان بنابلس بعنوان «ليل وقلب». هذه القصيدة (بقضها وقضيضها) أذكر أنها نشرت فى مجلة «الرسالة» الغراء العدد (٧٤١) إلا أنه وقع تحريف فى بيت منها ؛ فهو فى الرسالة :

تخاف على زهرات (الصبى) تبددها كفه القاسية

وفى العالم العربى :

تخاف على زهرات (الربيع) تبددها كفه القاسية.

ويبقى أن نسأل : كيف يجوز إن جاز نشر قصيدة بعينها فى فى مجلتين سيارتين فى «مصر» واحد وقطر واحد ؟

ثم هل يقع اللوم على المرسل إن كان أرسل، أم على الناشر إن كان نقل ؟ الجواب الدراك، ننتظره من هنا أو من هناك !

(عين)

أين الأستاذ الطنطاوى :

ما لهذه الأحداث الكبيرة التى تلم بالشرق فتؤسيه، وبقلب المسلم فتدميه، وبدنيا العرب الهادئة الوادعة فتحيلها ناراً لاهبة لا تحرك من قلم الأستاذ (الطنطاوى) ماسكن !.. ولا تثير فى قلبه الحى المؤمن ما كمن ؟!..

كيف لا تذكى هذه المحن الفاجعة فى نفسه أوار العزة والنضال فيهب ليدافع عن الحق وكرامة الإسلام وقد عهدناه فارساً حراً لا يمل النزال !.. هل أيس من الإصلاح وكفر بالإنسان فألقى السلاح الذى جاهد به طويلا فى شبابه وكهولته حين أشفى على الأربعين ؟!..

(فتى الفيحاء)

استفهام :

استدعى نظرى قول الأستاذ «عبد القادر الناصرى» فى قصيدته «قلب شاعر»

حتام أظمأ والأقداح دائرة مثل الكواكب مابين النداماء

فقد بحثت فى قاموس «الفيروزابادى» فى مادة «ندم» فلم أجد جمعاً مثل قوله «النداماء» والمعروف أن الجمع إنما هو «نُدماء» و«ندامى» و«نِدام» أرجو توضيح ذلك. وحبذا لو قال «مابين الأخلاء» وقوله فى نهاية القصيدة «إن لم تكن روحه تصبو لعلياء» فالمعروف أن الفعل «صبا» يتعدى «بإلى» لا «باللام».

على زين العابدين منصور



من الأدب الايطالى :

ذلك الرجـــل !!

للشاعر الايطالى جبريل دانونزيو

بقلم الأديب محمد فتحى عبد الوهاب

كان قصير القامة ممشوقها ، تنوء رقبته برأس ضخم يميل قليلا إلى اليسار ، وقد اكتسى هذا الرأس غابة كثيفة من الشعر الكستنائى المسترسل إلى كتفيه فى تجعدات والتواءات ، تلعب به الريح لعبها بعرف الجواد ، ولحية كثة كلحية المتقشفين ، تركها دون تهذيب وقد تراكت عليها ندف صغيرة من القش . وكانت عيناه تتطلعان دائماً إلى موقع قدميه العاريتين ، حتى إذا ما رفعهما ظهر فيهما الغموض والابهام ، ولاح فيهما الرعب ، أو بدتا كما لو كانتا عينى مخبول تارة ، أو رجل محموم تارة أخرى . أو تشهد فيهما ما يجعلك تفكر فى الماء الأخضر الآسن اراكد فى حفرة ضيقة ، أو فى وميض السيف اللامع .

كان يرتدى سترة قديمة حمراء ، قد ألقى بها على كتفيه كأنها المعطف . وكان الناس يروون عنه شتى الأقاصيص ، ويتحدثون عن حب ، وخيانة ، واعتداء ، وهروب ...

كنت فى سن الثالثة عشرة عند ما قابلته أول مرة ، فجذبنى منظره . وكان ذلك فى يوم من أيام الصيف الحارة والميدان الكبير تغمره الشمس ، وقد أقفر إلا من بعض الكلاب تتسكع هنا وهناك ، والسكون يخيم على المكان ، اللهم إلا من ذلك الصرير الممل لعجلة السنان . وكنت قد اعتدت الوقوف برهة أراقب ذلك الرجل من خلف مصراعى نافذة غرفتى ، فأراه يسير فى بطء تحت شمس الظهيرة ، يختال فى جومن المظفة ، أو يزحف قرب الكلاب فى هدوء حتى لا تلاحظه ، ويلتقط حجراً يقذفها به فى خفة ثم يهرب متظاهراً بأنه شىء غير منظور ، فتقبل عليه الكلاب وتلتف حوله وهى تبصبص بأذنابها ، فينظر إليها ثم ينفجر ضاحكا ضحكات قصيرة صبيانية فأشاركه ضحكه .

وفى ذات يوم تمالكت شجاعتى ، وأطللت برأسى من النافذة ثم ناديته . فالتفت إلى فى سرعة ثم ابتسم ، والتقطت زهرة من الأصيص قذفت بها إليه ، ومنذ ذلك الحين أصبحنا صديقين .

وفى مساء يوم سبت كنت واقفاً على الجسر وحيداً أراقب حركة أسطول الصيادين وهو راجع من الصيد . كانت شمس يوليو البديعة تغرب ، وقد احمرت السماء بالسحب الذهبية ، وتوهج النهر الجارى صوب البحر وارتعشت أمواجه فى تلألؤ وزاه . وكانت الضفاف تحت الهضبات تلقى ظلها على الماء فتنعكس الأشجار ، وتظهر قممها كأنها نائمة على صفحة الماء فى ذلك الجو الحار . وجعلت القوارب تلقى مراسيها فى بطء وقد طوت أشرعتها البرتقالية الكبيرة ذات الخطوط الزخرفية السوداء . وابتدأت تفرغ حمولتها من السمك . وسرت الريح تحمل أصوات النوتية ورائحة المحخور .

والتفت فجأة ورائى فرأيت الرجل واقفاً يتصبب عرقاً ، وقد أخفى يده اليمنى وراء ظهره ، وأضاءت فمه ابتسامته الصبيانية المعهودة . فصحت أهتف باسمه وأنا أمد يدى المتخاذلة إليه فى سرور . وتقدم نحوى وقدم إلى بيده التى كان يخفيها باقة أنيقة من الخشخاش الأحمر وسنابل القمح الذهبية . فصحت وأنا أتناولها منه « أشكرك ، أشكرك ، ما أجملها ... »

وسحب يده على حاجبيه ، وجعل يمسح العرق المتساقط ثم ينظر إلى أصابعه المبللة ثم إلى، وأخيراً ضحك وقال « إن الخشخاش الأحمر ينمو بين القمح الأصفر هناك فى الحقول ، فرأيتها وأحضرتها لك فقلت لى » ما أجملها « وكانت الشمس هناك كالنار » .

كان يتكلم فى خنوع ، ويقف بين كل كلمة وأخرى كأنه يحاول أن يتبع خيط أفكاره . إن آلاف الصور المبهمة المضطربة كانت تتجمع فى ذهنه . فيحاول أن يبزها ويتشبث باثنتين

أو ثلاثة منها ، تلك التى كانت أكثرها ثبوتاً وأوضحها صورة ، وتهرب منه الصور الباقية . كنت ألحظ ذلك فى عينيه فأتعجب . وكأنه شعر بما يجول فى خاطرى ، فأدار رأسه صوب قوارب الصيد وقال وهو يفكر :

— هذا الشراع ، إنه شراعان ، واحد فى الهواء ، وواحد فى الماء .

كان لايدرك أن الشراع الأسفل انعكاس الشراع الأعلى على صفحة الماء . فجملت أشرح له ذلك قدر امكانى ، فاستمع إلى فى ذهول ، ثم ابتسم وتطلع إلى الأشرعة .

وسقطت زهرة من الخشخاش فى النهر ، فراقبها حتى اختفت مع التيار ، ثم قال فى صوت حزين لا يوصف « لقد رحلت بعيداً ، بعيداً جداً » وكأنها شىء عزيز لديه » .

وبعد لحظة من الصمت سألته « من أى قرية أتيت ؟ »

فالتفت صوب السماء يتطلع إلى صفاء لونها الزبرجدى . كانت الجبال القاتمة تظهر أمام الأفق كأنها جبار راقد . وامتد الجسر الحديدى فوق النهر يقطع السماء إلى صور صغيرة ، وظهرت خلفه الأشجار الخضراء وقد استحالت إلى أشباح قاتمة . واختلطت ضحكات الجنود فى الثكنات بصوت البوق

وأخيراً قال « كان عندى منزل أبيض ، نعم كان كذلك ، تحفه حديقة كبيرة من الفواكه . لقد اعتادت تريزا أن تحضر فى المساء . كانت جميلة ، إن عينيها ... ولكن ... »

وكف عن الكلام وقد ظهرت على عينيه الكآبة . ولكن سرعان ما عاد إلى هدوئه ، ثم انحنى لى ، وسار مبتعداً عنى وهو يغنى .

***

ومنذ ذلك الحين كنتُ كلما أراه يمر فى الطريق أناديه وأجود له ببعض الطعام . وفى ذات مرة قدمت إليه القليل من النقود الذى أعطتنى إياه والدتى ، فنظر إلىّ فى صرامة ، ثم دفع بها إلى فى احتقار ظاهر ، وأخيراً أدار ظهره ومشى دون أن يلتفت إلى .

وفى ذلك المساء قابلته خارج الميناء الجديد ، فتقدمت إليه قائلا

— سامحنى ، سامحنى .

فهرب كأنه حيوان جافل ، وفى لحظة كان قد اختفى عن أنظارى بين الأشجار . ولكن فى صباح اليوم التالى كان ينتظرنى على باب دارى ، وابتسم فى شجاعة ، ثم تقدم إلى باقة يانعة من زهور الزجريت . كانت عيناه مخضلتين بالدموع ، وشفتاه ترتمشان ... وعادت المياه إلى مجاريها .

وفى ذات مرة ، فى أواخر شهر أغسطس ، كنا جالسين فى نهاية الطريق وكانت الشمس قد توارت بالجبال . وقد امتدت أشجار الصنوبر حتى البحر ، وابتدأ القمر يرتفع فى بطء فى عنان السماء بين السحب القاتمة ...

ونظر إلى القمر ثم تمتم قائلا « انظر ! الآن تستطيع أن تراه .. تستطيع أن تراه »

وجعل يتأمله لحظة ثم قال « ذلك القمر ! إن له عينين وأنفاً وفماً كالبشر ، لست أدرى ما الذى يفكر فيه . من يدرى ؟ »

ثم جعل يدندن أغنية ذات لحن حزين ، من تلك الأغنيات التى يرتلها الأهلون عند قطف الكروم فى ليالى الخريف الحارة . وكان يلوح لنا عن بعد مصباحا قطار قادم فى سرعة ، فظهرا كأنهما عينا وحش تحدقان فينا . ومر القطار يهدر ويتعالى دخانه وصفيره عند عبوره الجسر الحديدى ، وعاد الصمت يخيم تدريجياً على الأرض الشاسعة .

ووقف الرجل على قدميه وصاح وهو يشير إلى القطار المبتعد « إذهب ، إذهب ، إذهب ، بعيداً ، بعيداً ، إنك تنساب كالتنين ، والنار فى داخلك ، النار التى وضعها فيك الشيطان »

ولن أنسى ما حييت منظره وهو واقف فى هذه اللحظة .. ولم يهدأ انفعاله الأبعد أن تلاشى صوت القطار وعاد الصمت يخيم على الطبيعة .

وعندما كنا فى طريقنا إلى الدار كان لايزال غارقا فى أحلامه

* * *

وفى ذات صباح جميل من سبتمبر ذهبنا إلى البحر . إن ذلك الاتساع السرمدى للماء الأزرق العميق كان ممتدا حتى الأفق المتألق ، وكانت قوارب الصيد تبحر أزواجا ، فتظهر كأنها طيور هائلة الحجم مجهولة النوع ، قدنشرت أجنحتها الصفراء القرمزية . وكانت الهضاب الرملية النحاسية ترقد على طول الساحل خلفنا وقد لاحت من ورائها الكتل الضخمة الخضراء من مزروعات

شجر الصفصاف .

قال فى صوت خافت وكأنه يخاطب نفسه فى لهجة التعجب والشعور بالخوف « يالهذا البحر الخضم الأزرق الضخم ! ويالهذه الأسماك الضارية المفترسة ! أن (أركس) هناك سجين فى قفص من حديد ، يصيح فلا يسمع أحد صيحاته . إنه لن يرجع ثانية . وهذه السفينة السابحة فى الماء ، أنهـــا تجلب الموت لـكل من يشاهدها »

ثم صمت .. وأقبل على الشاطئ حتى غمرت الأمواج البيض الصغيرة قدميه . من يدرى مالذى كان يحدث داخل عقل هذا المسكين الضعيف ؟

وبينما نحن مقبلان على الدار وقد التزم الصمت طول الطريق نظرت إليه فأخبرنى قلبى بأشياء غريبة .

وهمس أخيراً فى صوت خافت وهو يأخذ بيدى « إن لك أما فى منزلك تنتظر أوبتك لتقبلك » كانت الشمس تغرب فى الماء الصافى خلف الجبال ، والنهر يتلألأ بشتى الانعكاسات .

فسألته والدموع تتساقط من عينى وأنت ، أين والدتك ؟ »

فنظر إلى عصفورين فى الطريق ، والتقط حجراً سدده كأنه بندقية فى يده ، ثم أطلقه عليهما ، فوليا كأنهما السهام .

وصاح وهو يراقب طيرانهما فى السماء اللامعة وهو يضحك فى صخب « طيرا .. طيرا .. »

* * *

ومرت الأيام فلاحظت فيه تغيراً ، كأنما أصابته الحمى . كان ينطلق مسرعا إلى الحقول كأنه الجواد حتى يقع على الأرض مبهور الأنفاس ، أو يرقد الساعات مفترش الثرى دون حراك يحدق بعينه فى وهج شمس الظهر المحرقة . وعند ما يقبل المساء كان يلقى بمعطفه الأحمر على كتفيه ويتنزه جيئة وذهاباً فى الميدان ، يختال فى خطوات طويلة بطيئة كأنه عظيم اسبانى . وكان يتحاشانى ، ولا يجلب لى الزهور . وتألمت لهذا الهجر . كان الناس يدعون بأنه سحرنى . وفى ذات صباح ذهبت قاصداً لقياه . ولـكنه لم يرفع عينيه ، بل احمر وجهه كأنما مسته نار . فصحت فى اضطراب « ما الأمر ؟ »

— لاشىء ،

— بل هناك شىء .

— لا شىء .

— هذا غير صحيح .

ولاحظت أنه ينظر أمامه بعينين متقدتين ، فالتفت ، فوجدته يتطلع إلى فتاة ريفية حسناء واقفة أمام مدخل حانوت

وتمتم وقد شحب لونه : « تريزا » ففهمت أن الرجل المسكين كان يتخيل فى هذه الفتاة غادة بلدته التى أثرت على قواه العقلية وبعد يومين قابلها فى الميدان ، فاقترب منها مبتسما وهو يقول: « إنك أكثر جمالا من الشمس . فلطمته بقوة على وجهه

كان هناك بعض الصغار بالقرب منهما ، فجعلوا يسخرون منه بعد أن تركته الفتاة وحيداً مصدوما باهتا ، وابتدأت بقايا الخضر تطير فترتطم فى وجهه . والتفت إلى الصبية ، وهدر كالثور الجريح ، ثم أمســـك بواحد منهم وألقاه على الأرض كأنه من الأسمال

* * *

ورأيته ، يمر أمام نافذتى بين أيدى اثنين من رجال الشرطة مقيداً ، والدم يسيل من لحيته منحنى الظهر ، مرتعش الجسد ، والناس من خلفه يضحكون ويسخرون . نظرت إليه فامتلأت عيناى بالدموع

وكان الحظ قدواتاه ، فان الصبى لم يصب الا بجروح يسيرة ، وخرج من السجن بعد يومين

مسكين ذلك الرجل ! كان قد تغير تغيراً تاماً وأصبح مكتئب الوجه لايثق فى أحد ، غضوبا وكنت أراه فى بعض الأحيان ينفلت مساء فى سرعة كبيرة كأنه الـكلب ، ويختفى فى طريق مظلم قذر

وفى ذات صباح مشرق الشمس صافى السماء من اكتوبر وجدوه على خط السكة الحديدية بجانب الجسر وقد تمزق إربا حتى أصبح كتلة دامية مشوهة من اللحم، وانسحبت احدى ساقيه مع عجلات القطار الذى دهمه إلى مسافة بعيدة، وظهرت عيناه الخضراوان فى رأسه المقطوع الذقن المصبوغ الشعر بالدم القانى، تحدقان فى رعب هائل

مسكين ذلك الرجل ! كان يود أن يشاهد القطار عن قرب ، ولـكنه كان يبتعد ثم يبتعد — كما كان يقول — ذلك الوحش الطويل ذلك التنين الذى بداخله النار التى وضعها الشيطان !

محمد فتحى عبد الوهاب

العدد ٧٧٤ — الاثنين ٣ مايو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٧٤ — الاثنين ٣ مايو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٣٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 774
Lundi — 3 — 5 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ — ٣ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من علامات الساعة ...!

من علامات الساعة أن يتشجع اليهودي فيحمل سلاحاً ويشهد حرباً ويحرز نصراً ويحتل مدينة !!

ومن علامات الساعة أن يخرج اليهودي من البنك إلى الثكنة، ومن الدكان إلى الميدان، ليحارب العرب على فلسطين، ويثأر للفرنج من صلاح الدين !!

ومن علامات الساعة أن يكون لليهود جيش ينتصر على العرب في حيفا، وعلم يرفرف على المسجد في يافا، ودولة تريد أن تقوم في القدس !!

كذلك من علامات الساعة أن ينهزم العربي أمام اليهودي ولو ظاهرته مادية الأمريكان وخديعة الانجليز وشيوعية الروس؛ فإن الثعلب يحسبه أن يشم ريح الأسد من بعيد ليُجحر، وإن الفأر يحسبه أن يبصر الهر من فوق الجدار ليسقط !

يا لله ماذا نرى ؟ نرى الألوف من نساء العرب وأطفال العرب يخرجون من ديارهم مشردين في البر والبحر؛ يلتمسون في الشام المأوى، ويطلبون في مصر الأمن، وأهلوهم مصرَّعون على ثرى الوطن الحبيب السليب بعد أن قذفوا في صدر العدو آخر رصاصة، ودفعوا غائلة الجوع بآخر كسرة، وافتدوا وطن الآباء بآخر رمق !

يا لله ماذا نسمع ؟ نسمع أن تل أبيب تحكم يافا، وأن راية صهيون تخفق على مسجد (حسن بك)، وأن بني إسرائيل يذبِّحون الأبناء ويستحيون النساء في دير ياسين !

لقد سمعنا أن اليهود يحتلون البلاد بالنساء والذهب، ولكننا لم نسمع قبل اليوم أنهم يحتلونها بالرجال والحديد ! !

ماذا جرى حتى استجملت الناقة يا يهود، وماذا جرى حتى استنوق الجمل يا عرب ؟ ! جرى أن اليهود يعملون ونحن نقول، ويجدّون ونحن نهزل، ويبذلون ونحن نبخل، ويتعاونون ونحن نتخاذل، ويتكلون ونحن نتواكل !

للجامعة العربية في كل شهر مؤتمر، وفي كل أسبوع مجتمع، وفي كل يوم قرار، وفي كل ساعة تصريح، وفي كل دقيقة خطبة؛ وكل أولئك يحمله الهواء إلى المجاهدين المجهودين أصواتاً لا تدفع سيارة، ولا ترفع طائرة، ولا تحشو مدفعاً، ولا تملأ بطناً، ولا تبعث قوة. فإذا جاء يوم العمل نظر بعضهم إلى بعض، فإذا الأول واقف لأن ترومان لم يتقدم، وإذا الثاني ساكت لأن بيفن لم يتكلم، وإذا الثالث مترجح لأن الآخرين لم يستقروا على رأى !

كنا قبل أن تنشأ (الجامعة العربية) أهواء متشعبة وآراء متضاربة وقوى متفرقة؛ فكنا نجد عذرنا في هذا الانقسام، ونعزو فشلنا إلى هذه الفرقة، ونهدد خصمنا بأن في جمعتنا الخلاص منه، وفي وحدتنا القضاء عليه؛ فلما أذن الله لأوطاننا أن تتصل، ولدولنا أن تتحد، ابتلانا بمحنة فلسطين ليعلم العدو المتربص ماوراء العربي إذا تجمع شمله، وما غناء الإسلام إذا تجدد حبله

(البقية على الصفحة التالية)

فالجامعة العربية اليوم في ميزان الأقدار وامتحان الشدائد ؛ فإذا رجحت كفتها على اليهودية رجحت في كل أمة ، وإذا ثبت معدنها على المحك في هذه الأزمة ثبت في كل أزمة .

إن مستقبلنا رهن بهذه المعركة ؛ فإذا كسبناها كسبنا جل ما نبغي ، وإذا خسرناها خسرنا كل ما نملك . ذلك لأن اليهود لا يستطيعون أن يقيموا لهم دولة في فلسطين إلا على عمد من الجهة الغربية أو الجهة الشرقية . وأياً ما تكن هذه العمد فإنها التدمير والتكفير والفوضى إذا كانت شيوعية ، وإنها الاستعمار والاستئثار والبلوى إذا كانت رأسمالية .

احمد حسن الزيات

الصحافة في الميثاق الصهيوني

للأستاذ نقولا الحداد

قرأت أخيراً أن في العراق حركة صحفية هائلة ؛ فقد صدرت تصريحات لجرائد جديدة عديدة ، وأنبئنا بصراحة أن لليهود نفوذاً كبيراً فيها . وإذا كان اليهود قد مدوا أنوفهم للجرائد العراقية فلا بدع أن يفعلوا هنا في مصر أكثر من هذا وأجهر . عندنا هنا أربع جرائد أفرنجية صهيونية ، ومجلة عربية شهرية . وفي كل جريدة من جرائدنا الحالية العربية صهيوني أو أكثر يسيطر عليها لقاء خدمة اقتصادية هي استجداء الإعلانات لها من أرباب المصالح اليهودية عن يد شركة الإعلانات الشرقية وهي صهيونية

وقيل لنا بالأمس إن إحدى جرائدنا الكبرى قد باعت ٤٩ بالمئة من قيمتها لشركة الإعلانات الشرقية ، وما بقي منها إلا اثنان بالمئة لكي تتحول السيطرة القانونية عليها إلى الشركة المذكورة ، ولكن الشركة لا تعجز عن الحصول عليها بأية الطرق ، فيصبح عنق تلك الجريدة الموقرة تحت نير الصهيونية تفلح به الدعاية الصهيونية على كيفها . ثم ما لبثنا أن قيل لنا إن الجريدة نفسها اشترت الشركة كلها . ثم قيل لنا إن الجريدة والشركة اندمجتا معاً في شركة واحدة ، ولا اعتبار لأي الفريقين أثقل يداً في الشركة المزدوجة ، لأن الموظفين الذين كانوا يديرون الحركة في شركة الإعلانات لا يزالون فيها وكلهم يهود . فهي شركة محايدة صورياً وصهيونية فعلا . كل هذا لا يهمنا كثيراً إلا أننا نعلم أن الصهيونيين بسطوا يدهم على رأس الصحافة العربية المصرية . حدث هذا في الوقت الذي نسخط فيه على الصحافة الأميركية التي أصبحت تحت سلطان الصهيونيين وصار الرأي العام الأميركي للمئة وخمسة وثلاثين مليوناً من الأميركان بقيادة الصهيونيين . فإذا بقيت أصابع الأخطبوط الصهيوني تتغلغل في الرأي العام العربي أصبح العرب خضعاً وسجداً عقلا وإحساساً واقتصاداً للنفوذ الصهيوني

وإليك الميثاق الثاني عشر من برنامج الصهيونيين في الصحافة :

البند الأول : إن كلمة « حرية » التي تفسر تفسيرات مختلفة نحن نفسرها هكذا :

البند ٢ — الحرية هي أن يكون لك الحق أن تفعل ما يخوله لك القانون . إن هذا التفسير يكون في أكثر الأحيان العادية خادماً لنا لأن القانون في يدنا بل نحن القانون . القانون ينفي أو يثبت ما نحن راغبون فيه طبقاً لبرنامجنا . فإذاً الحرية بأي معنى تكون في يدنا .

البند ٣ — تستخدم الصحافة هكذا :

ما هو الدور الذي تلعبه الصحافة اليوم ؟ الصحافة تثير العواطف التي تقتضيها غايتنا ، وتهيج الإحساسات التي تخدم أنانية الأحزاب وغاياتها . والجمهور لا يعلم ولا يفهم ماذا تخدم الصحافة من الأغراض الحزبية السخيفة التافهة الباردة . نحن نسرج الشعب ونلقي على ظهره البرذعة وكذا نفعل بحاصلات المطابع والصحافة . وإلا فكيف نرد هجمات الصحافة إذا كنا أهدافاً للكتب والرسالات التي تهاجمنا ؟ إن نتاج الدعايات التي تستوجب النفقات الثقيلة بسبب ضرورة الرقابة عليها ستكون مورداً كبيراً لدولتنا لأننا سنفرض عليها ضريبة طوابع خاصة ونطلب من أصحابها ضمانات مالية قبل أن تصدر ، ورخصة لكل صحيفة ومطبعة ، وهذا الإجراء يكون ضمانة لحكومتنا ضد كل هجوم عليها من قبل الصحافة والطباعة . لأننا في محاولة كل هجوم نضرب غرامة ثقيلة بلا رحمة ولا شفقة . ولا يخفى أن الأحزاب لا تبخل على الجرائد بالنفقات اللازمة لها لأجل الدعاية . وإنما يمكننا أن نقفل أفواه هذه الدعايات ضدنا عند ثاني هجوم تهجمه علينا ؛ وذلك بمعاقبتها بالغرامة الثقيلة

لا أحد يجرأ أن يضع أصبعه على فم معصومية حكومتنا ، وعندنا عذر لإغلاق أية جريدة أو مطبعة ، وهى أننا ندعى أن الجريدة تقلق الرأى العام وتهيجه بلا مبرر .

(يقول خطيب جلسة الحكماء) — أرجو أن تلاحظوا أن يكون لهؤلاء المهاجين لنا محررون لجرائد نحن أنشأناها ولكنها لا تهاجم إلا نقطاً فى سياستنا وإجراآتنا . كنا قبلا قد قررنا تنقيحها وتغييرها ، فكأنها تهاجم الريح .

البند ٤ — لا يذاع على الجمهور أية إذاعة إلا بإرادتنا وتحت سيطرتنا . إن الأنباء والمنشورات حتى اليوم هى تحت سيطرتنا ، لأن جميع أنباء العالم مركزة فى مراكز خاصة تتهافت إليها الأخبار من جميع أقاصى الأرض وتتوزع منها إلى جميع أنحاء العالم ، وجميع وكالات هذه المراكز فى أيدينا فتذيع ما نمليه نحن عليها .

(يمكنك أن تقول إن هذا هو الحاصل اليوم) .

البند ٦ — فلنوجه الآن أنظارنا إلى مستقبل الصحافة : كل من يرغب أن يكون ناشراً أو كاتباً أو طابعاً يجب أن يكون حاصلا على دبلوم من جامعة أو مدرسة مختصة بتخريج الناشرين والكتاب . وبحسب قانون هذا الدبلوم يمنع الناشر من النشر عند أول خطأ يرتكبه . هذه التدابير تكون وسيلة ثقافية فى أيدى حكومتنا التى لا تسمح للجمهور أن يقاد فى غير الطريق الذى نرسمه نحن إلى بركات النجاح . هل يوجد واحد منا يجهل أن هذه البركات الخيالية هى السبيل المؤدى رأساً إلى التخيلات التى تلد علائق الفوضوية بين الناس وبينهم وبين الحكومة ؛ لأن الرقى أو تصور الرقى يدخل إلى الحكومة فكرة التحرر ، ولكنه يعجز عن إقامة حدود للتحرر ، وجميع الذين يدعون أنهم أحرار هم فوضويون ولو بالفكر ، وكل واحد منهم يحاول أن يتصيد طيف الحرية ، ويقع فى فوضى الاحتجاج على تقييد الحرية لا لغرض سوى حب الاحتجاج لا لأجل التحرير .

البند ٧ — نأتى الآن إلى المطبوعات الدورية . فهذه سنفرض عليها وعلى كل مطبوعة ضرائب بوضع طوابع على كل صفحة ، ونفرض أيضاً ضمانة مالية . والكتب التى تقل عن ٣٠ صفحة تضاعف الضريبة عليها ونعتبرها كراريس ؛ أولا لكى يقل عدد الكراريس والمجلات التى هى أردأ المطبوعات السامة . وثانياً لكى يوجب هذا التدبير على الكتاب أن يتوسعوا فى الكتابة وتكون كتبهم كثيرة لكى يتجنبوا عبء الضريبة . فيقل قراؤهم ، وفى الوقت نفسه نجعل مطبوعاتنا التى نؤثر بها على عقلية الجمهور رخيصة فى متناول كل واحد لكى يقرأ بنهم وشوق . لأن الضريبة تقلل الطموح الأدبى وتخور عزيمة الكتاب . وتقل الغرامات يجعل أرباب القلم معتمدين علينا ، وإذا قام بعض الكتاب يكتبون ضدنا فلا يجدون من يطبع لهم . وعلى الناشر أو الطابع أن يحصل على إذن للطبع والنشر . وهكذا يتيسر لنا أن نعرف نيات أضدادنا فنصدها ولو بحجج واهية .

البند ٩ — الأدب والصحافة هما أهم القوى الثقافية . ولذلك ستملك حكومتنا أقوى الجرائد والمجلات ، وهذه تخمد أنفاس كل نفوذ لكل صحيفة مستقلة تنشر أموراً ضدنا ، وبالتالى نملك بتأثير جرائدنا كل تأثير على الرأى العام . وإذا منحنا رخصا لنشر جرائد يجب أن يكون لنا ثلاثون جريدة وعلى هذه النسبة تكون الصحف المستقلة . وهذا التدبير لا يثير شبهة الشعب ضدنا ، ولا سيما إذا جعلنا بعض الجرائد التى نصدرها معارضة فى الظاهر لنا فتكثر ثقة الشعب بها ، وإنما تكون المعارضة فى السطحيات . ولذلك تقوى ثقة الشعب بنا نحن أيضاً ، وتدفع إلى يدنا الخصوم المعارضين الذين يشتبهون بمقاصدنا ، ويقمون فى فخاخنا ولا ضرر منهم لنا .

البند ١٢ — تكون جرائدنا من كل لون : ارستقراطية جمهورية ثورية حتى فوضوية بحسب مقتضى الحال ؛ ويكون لها يد فى كل رأى عام . فإذا نبض نابض فى إحدى هذه الأيدى المحركة يقود الرأى العام فى اتجاه مقاصدنا . لأن الضعيف المنفعل ينفذ قوة الحكم ويذعن إلى أية إشارة منا . وهؤلاء القوم المغفلون الذين يظنون أنهم مرددون رأى جرائدهم ، يرددون بالفعل الرأى الذى نحن نرغب فيه ، ويظنون عبثاً أنهم يتبعون رأى جرائدهم ولكنهم بالحقيقة سائرون فى ظل رايتنا .

البند ١٤ — إن مهاجمة خصومنا لنا تخدم أغراضنا من جهات أخرى ، وهى أن رعايانا يقتنعون ويعتقدون أنهم حاصلون على ملء الحرية فى الكلام والنشر ، وهكذا يتحول أنصارنا إلى اليقين بأن جميع الجرائد المخالفة لنا ليست إلا فقاقيع فارغة لأنها غير قادرة على أن تجد أثراً جوهرياً فى مخالفتها لأوامرنا .

البند ١٥ — إن قواعد التنظيم التى لا تراها أعين الجمهور هى من أضمن الوسائل لكسب ثقة الجمهور إلى جانب حكومتنا .

إن هذه الطرق تجعلنا من حين إلى آخر في مركز يجعلنا قادرين على أن نثير العقل الاجتماعي أو أن نهدئه في المسائل السياسية حسب رغبتنا، فنقنعه أونشوش عليه أونضمضمه. فالآن الصدق، وغداً الكذب. ننشر الحقائق ثم ننشر ما يخالفها، نفعل هذا حسب مقتضى المصلحة، نفعله بكل حذر؛ بجس الأرض قبل أن نضع أقدامنا. سيكون لنا نصر مبين على خصومنا أو معارضينا لأنهم لايملكون جرائد تستطيع أن تعطى التعبير الصحيح عن آرائهم بسبب خطتنا في معاملة الصحافة، ولذلك لا نضطر أن نجحدها إلا جحداً سطحياً وهم يظنون أنهم يتمتعون بحرية الصحافة.

الملخص: النفاق في مذهب الصهيونيين هو ملح الصحافة وبهارها بل هو «شطتها» أيضاً. هو البهار الذي يشهي القراء للقراءة. فلذلك ترى الجرائد مبتلاة بالأخبار الكاذبة فلا تدري إن كان الخبر الذي تقرأه صادقاً أو كاذباً، وشركات الأخبار مبتلاة بسيطرة الصهيونيين عليها كبلوى الجرائد. تقرأ اليوم خبراً فتصدقه لأنه معقول فلا يشعرك بغش فيه، ثم لا تلبث أن تقرأ غداً نقيضه أوتكذيباً له. ولا يمكن جمهور القراء أن يشكوا في صدق ما يقرأون وإلا فلا يصدقون خبراً. لا يمكنهم أن يميزوا بين الخبر الصادق والخبر الكاذب؛ لأنه ليس في ما ينشر شبهة تضلل الظن. إن اختلاق الأخبار وتمويجها هو سجية في الصهيونيين يستغلونها لأغراض شيطانية لا تنكشف إلا بعد حين، وقد تقرأ خبراً ضد مصلحتهم فلا تلبث أن ترى أنه كاذب ولكنه نفعهم).

(منذ صارت قضية فلسطين في هيئة الأمم كانوا يذيعون أن عندهم جيشاً من الهاجاناه يبلغ ٨٠ ألفاً. ولما جاء دور القتال لم يظهر عندهم أكثر من ٨٠٠ جندي. فكانوا كلما وقعوا في ورطة مع العرب يهرعون إلى الجيش البريطاني لكي ينجدهم. ولما بدت مسألة التقسيم وشعروا أن العرب متحفزون للدفاع أذاعوا أنهم طلبوا من أميركا ٤٧٢ مليون دولار وستأتيهم تواً، فما أتاهم شيء. ثم أذاعوا أن القائد الكبير فوزي بك القاوقجي قتل في معركة فاصلة. فما لبث القاوقجي أن أذاع في الراديو أنه يفقأ حصرمة في عيونهم. وهكذا لهم كل يوم كتاب من الأكاذيب في الجرائد والمجلات والأنباء التلغرافية التي في حوزتهم. فيجب الحذر من قبول الأخبار).

البند ١٧ يشرح التعليمات للصحافة من حيث ارتباطها بأسرار الماسونية التي لا يباح بها، وكل صحافي مقيد بأسرارها كأنها أسرار المهنة، وكل فرد من الصحفيين يخشى أن يبوح بسر لئلا يتهم بفضيحة، وما من أحد خال من فضيحة.

البند ١٨ — فحواه أنه لا بد من إلهاب عقليات أهل الأقاليم عند ضرورة التأثير في العاصمة، ومصدر هذه التهيجات في كل حال يكون «نحن» على قصد أن الرأي الذي قبل في العاصمة يكون حائزاً لتأييد الأقاليم.

البند ١٩ — حين نكون في فترة الانتقال من الحكم القديم إلى حكمنا الجديد أي إلى ما نظفر به من السيادة يجب أن لا نسلم بما نقلته الصحف من خيانة أحد من الشعب. يجب أن يكون نوع الحكم الجديد يرضى كل فرد من الناس. يجب أن يرى فيه الشعب أمانيه محققة وأن الاجرام قد زال. ويجب أن يقتصر البلاغ على المجني عليه والشهود فقط. يعني أن لا تنشر الجرائد أخبار الجرائم لكي يقتنع الشعب أن الأمن مستتب تمام الاستتباب

هذا ملخص الميثاق الثاني عشر عن الصحافة، وإلى الملتقى مع القراء في حين آخر.

حاشية: قرأنا أن معظم عرب حيفا هاجروا إلى سوريا ولبنان، وفي بعض الروايات أن المهاجرين تجاوزوا الأربعين ألفاً وبعضهم رفع الرقم إلى ثمانين ألفاً. وقد قيل لنا إن بعضهم هاجروا إلى مصر لكي تتحمل مصر تبعتها من هذه النكبة. أليس مؤلماً مفزعاً أن يفرّ أهل الدار منها، وأن الضيوف المغتصبين يبقون فيها فيستولون على جميع ممتلكات العرب كما فعل بنو إسرائيل يوم «جرجرهم» موسى إلى أرض كنعان فنهبوا فرش الكنعانيين وحللهم وطناجرهم الخ — التاريخ يعيد نفسه. وإذا كانت الدول العربية لا تنقض بكل قواها على تل أبيب من جميع النواحي، ويدكونها دكاً ليضطروا اليهود أن يخلوا حيفا لكي يأتوا لإنقاذ تل أبيب رغم أنوفهم — إذا لم تفعل الدول العربية كلها هكذا في وقت واحد استعجل اليهود وغزوا يافا ثم القدس وسائر مدن فلسطين، ثم انتقلوا إلى عمان فإلى دمشق فإلى بيروت فإلى مصر، إلى جميع ممالك العالم، وحينئذ يصح حلم الصهيونيين.

إن ما يتظاهر به اليهود في حيفا من الإنسانية نحو العرب إنما هو مكر فلا تصدقوه. لايخرجون عن طبيعتهم، فحذار منهم!

نقولا الحداد

عبد الله بن ســـبأ

للدكتور جـــواد على

هذا رجل تقرأ خبره فى كل كتاب من كتب « العقائد والفرق » ، وفى أكثر كتب التاريخ التى تعرضت لموضوع « الفتنة » التى حدثت فى أيام الخليفة « عثمان بن عفان » ، وفى حادث مقتل الخليفة « على بن أبى طالب » فى الكوفة بعد تلك المؤامرة السياسية التى دبرها نفر من المعارضين لسياسة الخليفة وسياسة « معاوية بن أبى سفيان » و « عمرو بن العاص » بطل رواية التحكيم .

وقد وضع الدكتور طه حسين كتاباً أسماه « الفتنة الكبرى[١] » بحث فيه عن عصر الخليفة الشهيد « عثمان بن عفان » ، وعن العوامل التى أدت إلى حدوث تلك الفتنة التى فرقت شمل العرب بعد ألفة ، وضعضعت صفوف المسلمين إلى اليوم .

وقد تعرض الدكتور فى الفصل الثالث عشر من كتابه لعبد الله بن سبأ الذى كانت له يد طولى فى هذه الفتنة على رأى جمهور من المؤرخين . وقد ذهب الدكتور إلى أن الرواة المتأخرين قد أكبروا من شأن هذا الرجل وأسرفوا فيه حتى جعل كثير من الرواة القدماء والمتأخرين هذا اليهودى المسلم مصدراً لما كان من الاختلاف ، إلى أن قال :

« ولست أدرى أ كان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن ، ولكنى أقطع بأن خطره — إن كان له خطر — ليس ذا شأن ، وما كان المسلمون فى عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم طارئ من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان ، ولم يكد يسلم حتى انتدب لنشر الفتنة وإذاعة الكيد فى جميع الأقطار[٢] » .

وقد علق على الكتاب جماعة من الكتاب منهم الأستاذ السيد محمود محمد شاكر الذى نشر بحثاً قيماً فى مجلة « الرسالة » عن « الفتنة » ، وعن علاقة « عبد الله بن سبأ » بها[١] ، وقد أنكر على الدكتور رأيه فى هذا اليهودى المسلم ، صاحب الفتنة ، وصاحب تلك الآراء الفاسدة التى رددها ولقنها جماعة من السذج وهم فى صدر الإسلام على مايقوله أصحاب كتب العقائد والتاريخ .

والواقع أن خبر « عبد الله بن سبأ » ، وخبر الفرقة التى استجابت لدعوته ، وخبر الفتنة التى أثارها فى العراق وفى مصر خاصة ، وخبر تلك المقالة المنسوبة إليه ، فى المال وفى الرجعة وفى الوصية ، وفى الغلوّ فى حب على بن أبى طالب ؛ كل هذه من المسائل التى تحتاج إلى دراسة وبحث ، ورجوع إلى المصادر ، ومقارنة تلك المصادر بعضها ببعض ، وترتيبها ترتيباً زمنياً ، ونقد رجال الرواية ، وفحصها فحصاً دقيقاً حتى يتمكن المؤرخ من الحكم فى هذه القضية حكماً قطعياً ، وما نقوله لم يتم حتى الآن .

وقد لقى موضوع « عبد الله بن سبأ » عناية خاصة من المستشرقين ولا سيما من يهود المستشرقين . وأعتقد أن السبب واضح ؛ فهنالك طائفة منهم كانت على علمها وتدقيقها تتعصب على الإسلام ، وتتمسك حتى بالتافه من الروايات وبالأحاديث الموضوعة التى نص علماء الحديث على كذبها ، وتتخذها حجة لإثبات أثر اليهودية أو النصرانية فى الإسلام وفى أصول الدين .

ومن جملة أولئك المستشرقين « هربلو » « D Herbelot » و « دى سامى » « De Sacy » و « فايل » « weil » و « فون كريمر » « Von Kremer » و « دوزى » « Dozy » و « مور » « Muir » و « أوكست ميلر » « August Muller » و « فان فلوتن » « Λan Vloten » و « كريتس » « Crotz » المؤرخ اليهودى المعروف ، و « ولهوزن » « wellhausen » و « هرشفلد » « Hirschteld » و « هوتسما » « Houtsma » . فى مادة « عبد الله بن سبأ » فى « دائرة المعارف الإسلامية » ، و « اسرائيل فريد لندر » « Israel Friedlaender » ، وقد بحث عن عبد الله بن سبأ بحثاً مفصلا ، وجمع كل ما أمكنه جمعه من الروايات التى وردت فى الكتب العربية عن هذا اليهودى .

(١) الدكتور طه حسين . الفتنة الكبرى ١ عثمان . دار المعارف بمصر ١٩٤٧

(٢) الفتنة ص ١٣٢

(١) « الرسالة » العدد ٧٦١ يوم الاثنين ٢ فبراير سنة ١٩٤٨ السنة السادسة عشرة والعدد ٧٦٢

ورد خبر عبد الله بن سبأ فى كتب الأدب والتاريخ ، ويرجع أصل هذه الروايات إلى العصر الأموى ، وإلى رواة الكوفة أو البصرة ، أى رواة أهل العراق ، وممن ذكرهم « الجاحظ » المتوفى سنة ٢٥٥ للهجرة وهو أديب كبير صاحب أحاديث لطيفة ، ذكرهم فى كتابه الشهير « البيان والتبيين » فى « كتاب العصا[١] » وقد أخذ روايته عن حباب بن موسى عن مجالد ، عن الشعبى ، عن جرير بن قيس ، الذى قال : قدمت المدائن بعد ما ضرب على ابن أبى طالب كرم الله وجهه فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لى ما الخبر ؟ فقلت : ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ، ويعيش من أشد منها . قال : لو جئتمونا بدماغه فى مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه[٢] . وقد نقل عن الجاحظ جمهور من المصنفين نقلا يمكن معرفته عند مطابقة الروايات ومقارنة بعضها ببعض .

وورد خبر « ابن سبأ » فى كتاب « المعارف » لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة ؛ وقد تعرض له فى معرض « الفرق » فقال : « السبأية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ ، وكان أول من كفر من الرافضة ، وقال على رب العالمين ، فأحرق على أصحابه بالنار[٣] » .

وقد اعتمد أكثر المؤرخين على رواية أبى جعفر بن جرير الطبرى المؤرخ والمفسر والفقيه الشهير ، المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة[٤] ، وقد اعتمد عليه أكثر المستشرقين كذلك . نقلوا عنه نقلا بالحرف الواحد ، ونقلوا عنه اقتباساً ؛ فمن أخذ عنه ابن مسكويه صاحب كتاب « تجارب الأمم[٥] » ، والمؤرخ المعروف « ابن الأثير » أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى عز الدين صاحب كتاب « الكامل » فى التاريخ[١] ؛ المتوفى سنة ٦٣٠ للهجرة الذى اعتمد على تاريخ الطبرى وضمنه كتابه بعد حذف الأسانيد .

ومن المؤرخين الذين اعتمدوا على الطبرى عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ للهجرة (١٤٠٦ للميلاد) صاحب كتاب « العبر وديوان المبتدإ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر[٢] » ، والعالم الشهير المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ للهجرة (١٤٤٢م[٣]) ، والسيوطى المتوفى سنة ٩١١ للهجرة فى كتابه « حسن المحاضرة[٤] » .

أما رواية الطبرى فترجع إلى السرى عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسى[٥] ، وسنتحدث عن هذه السلسلة بعد أن ننتهى من ذكر المصادر التى تعرضت لخبر عبد الله بن سبأ .

ونجد فى « العقد الفريد » لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة روايات عن عبد الله بن سبأ وعن أتباعه السبأية الذين قال عنهم : « السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ عليهم لعنة الله ، وفيهم يقول السيد الحميرى :

قوم غلوا فى علىّ لا أبا لهم ... وأجشموا أنفساً فى حبه تعبا
قالوا هو ابن الإله جل خالقنا ... من أن يكون له ابن أو يكون أبا

وقد أحرقهم على رضى الله عنه بالنار[٦] » .

وقد ذكر ابن عبد ربه رواية أخرى نسبها إلى الشعبى فى حديث له مع مالك بن معاوية جاء فيها « أحذرك الأهواء المضلة وشرها الرافضة ، فانها يهود هذه الأمة ، يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية ، ولم يدخلوا فى الإسلام رغبة ولا رهبة من الله ، ولكن مقتاً لأهل الإسلام وبغياً عليهم ، وقد حرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ونفاهم إلى البلدان ، منهم عبد الله بن سبأ نفاه إلى ساباط ، وعبد الله بن السوداء نفاه إلى

---

(١) البيان والتبيين طبعة حسن السندوبى ج ٣ ص ٤٦ القاهرة سنة ١٩٢٢
(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٦
(٣) كتاب « المعارف » ص ٢٦٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٤ ص ٣٠٠ طبعة أوربا .
(٤) الطبرى طبعة أوربا ج ١ ص ٢٩٤٢ ج ٥ ص ٦٦ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ومواضع أخرى .
(٥) طبعة Cactani « كيتانى » ج ١ ص ٤٢٨ سنة ١٩٠٩

(١) « الكامل » طبعة مصر ج ٣ ص ٤٨ ، ٦٠ ، ٦٤ طبعة « تورنبك » Tornberg ج ٣ ص ١٢١ ومواضع أخرى .
(٢) راجع الجزء الثانى القسم الثانى ص ١٣٩
(٣) خطط طبع بولاق ج ٢ ص ٣٤٣
(٤) حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٤٩
(٥) الطبرى طبعة أوربا ج ١ ص ٢٩٣٢ ج ٥ ص ٩٨ طبعة مصر
(٦) العقد الفريد طبعة محمد سعيد العريان ج ٢ ص ٢٣٦

الانكليز حلقة الشر المفرغة

للاستاذ محمد البشير الابراهيمى

رئيس تحرير (البصائر) الجزائرية

أيها العرب !

إن الإنكليز هم أول الشر ووسطه وآخره ، وإنهم كالشيطان منهم يبتدىء الشر وإليهم ينتهى . وإنهم ليزيدون على الشيطان بأن همزاتهم صور مجسمة تؤلم وتؤذى وتقتل ، وجنادل مسومة تهشم وتحطم وتخرب ، لا لمة تلم ثم تنجلى ، وطائف يمس ثم يخنس ، ووسوسة تلابس ثم تفارق . ويزيدون عليه بأنهم لا يطردون بالاستعاذة وتذكر القلب ويقظة الشواعر ، وإنما يطردون بما يطرد به اللص الوقح من الصفع والدفع والأحجار والمدر ، ويدفعون بما يدفع به العدو المواثب ، بالثبات المتين للصدمة ، والعزم المصمم على القطيعة وبت الحبال ، والإرادة المصرة على المقاطعة فى الأعمال ، والإجماع المعقود على كلة واحدة كـكلمة الإيمان « إن الإنكليز لـكم عدو فاتخذوهم عدوا » . رددها كل عربى بلسانه ، ويحملها عقيدة جنانه ، وربيطة وجدانه ، وخير ما يقدمه من قربانه .

قد غركم أول الإنكليزى فأعيذكم أن تغتروا بآخره بعد أن صرح شره ، وافتضح سره ، وانكشف لـكم لينه عن الأحساك والأشواك . وقد تمرس بكم فعرف الوالج والخارج من نفوسكم قبل أن يعرف أمثالها من بلادكم ، وحلل معادن النفوس منكم قبل أن يحلل معادن الأرض من وطنكم ؛ وعجم أمراءكم فوجد أكثرهم من ذلك الصنف الذى تلين أنابيبه للماجم ، وتدين عروبته للأعاجم .

قد علمتم أنه هو الذى وعد صهيون فقوى أمله ، ولولا وعده لـكانت الصهيونية اليوم — كما كانت بالأمس — حلما من الأحلام يستغله (الشطار) ، ويتملل به الأغرار .

وعلمتم أنه انتدب نفسه على فلسطين فكان الخصم والحكم فى قضيتها ، وأنه ما انتدب إلا ليحقق وعده؛ وأن فى ظل انتدابه ، وبأسنة حرابه ، حقق صهيون مبادىء حلمه فانتزع الأرض منكم بقوة الإنكليز وقوانين الإنكليز ، وفتن ضعفاءكم بالخوف وفقراءكم بالمال حتى أخرجهم من ديارهم ، واتخذ الصنائع والسماسرة منكم ، وبنى المدن بأيديكم ،ومهد الأرض بأيديكم ،وشاد المصانع بأيديكم، وأقام المتاجر وبيوت الأموال لامتصاص دمائكم وابتزاز أرزاقكم .

وعلمتم أن الإنكليز هم الذين سنوا الهجرة بعد الفتح ليكاثروكم بالصهيونيين على هذه الرقعة من أرضكم ، فلما انتبهتم للخطر غالطوكم بالمشروع منها وغير المشروع . ومتى كانت هجرة الوباء والطاعون مشروعة إلا فى دين الإنكليز ؟

وعلمتم أن بريطانيا هى التى جرت ضرتها البلهاء أمريكا إلى محادتكم وجرأتها على احتقاركم لتكيدها وتكيدكم ، ولتحل بالسياسة ما عقده الاقتصاد بينكم وبين أمريكا من صلات ؛ وأنها هى التى ألبت عليكم الأمم الصغيرة ودويلاتها حتى إذا جالت الأزلام وأيقنت بالفوز أمسكت إمساك المتعفف ، وتظاهرت بالروية والحكمة ، وجبرت خواطركم بالحياد ، وملأت الدنيا تنويها بهذا الحياد الفاضح ، فكانت كالقاتل المعزى ...

يا ضيعة الآداب الإسلامية بينكم ! إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، وقد لدغتم من الجحر الإنكليزى مرات فلم تحتاطوا ولم تعتبروا . وخدعتم من الجانب الإنكليزى كرات فلم تتعظوا ولم تتبصروا . خدع خلفكم كما خدع سلفكم ، واستهوى أمراءكم

الحاذر وابن كروس[1] ... » ، ونجد فى رواية ابن عبد ربه شيئاً جديداً لا نجده فى الروايات المتقدمة .

وقد سبق أن أوردنا رواية أخرى عن عبد الله بن سبأ نسبت إلى الشعبى كذلك ، وهى رواية الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » غير أنه لم يسمه « عبد الله بن سبأ » بل دعاه « ابن السوداء » ، ونجد فى رواية صاحب « العقد الفريد » أن الشعبى قد فرّق بين « عبد الله بن سبأ » وبين « عبد الله بن السوداء » فجعلهما رجلين مختلفين نفى أحدهما إلى « ساباط » ، ونفى الثانى إلى « الحاذر » ، ونجد مثل هذا التفريق فى كتب أخرى .

جواد على

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤١ راجع نفس الرواية فى ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٣٤

وكبراءكم ودعاكم إلى موائده الفقار فلبيتم . وما رأى منكم فى كل الحالات إلا المجاملة ، واستمرار المعاملة ، وما أنس منكم إلا التهافت على أعتابه ، والتملق بأسبابه .

فيا ويحكم ... أكل ذلك لأن الانكليز أغنياء وأنتم فقراء ، أو لأنهم أقوياء وأنتم ضعفاء . كلا ... إنهم لأغنياء بكم وبأمثالكم من الأمم المستخذية ، وليسوا أغنياء عنكم . وإنهم لأقوياء بما يستمدونه من أرضكم وجيوبكم فاقطعوا عنهم المددين يضووا ويهزلوا ، واخذلوهم فى مواطن الرأى والبأس ينخذلوا ، وعمروا جزوتكم تخرب جزيرتهم . إن لبدة الأسد هى بعض أسبابه إلى زرع الهيبة فى القلوب ؛ ولكن لبدة الأسد البريطانى لبدة مستعارة . فلو أن كل أمة استرجعت شعراتها من تلك اللبدة التى تكمن وراءها الرهبة لأمسى الأسد هرا مجرود العنق معروق الصدر بادى الهزال والسلال .

إن الغنى عمل وتدبير . فلو عملتم لكنتم أغنياء . وإن بدء الغنى من غنى النفس بالتعفف عن الكماليات ، وقطعها عن الشهوات . وإن القوة مشيئة لا جبر ، فلو شئتم أن تكونوا أقوياء لكنتم . وإن بدء القوة من قوة الأخلاق ، وقوة الاتحاد

***

هذا أول الإنكليز عرفتموه ، فهل عرفتم آخرهم ؟ إنهم كانوا أداة تفريقكم فى الماضى ، وكانوا عونا للزمان عليكم ، فلما رأوا شملكم إلى اجتماع ، وجامعتكم إلى تحقق ، جمعوا لكم كل ما عندهم من مكائد ومصائد ... إنهم ينطوون لكم على العظائم ؛ وإن فى جعبتهم ما فى جعبة الحاوى من حيات . وإن فى أيديهم عروق الجسم العربى يضغطون على أيها شاءوا متى شاءوا . فى أيديهم قضية مصر يساومون بها وبما كسون ، وفى أيديهم قضية السودان يلوحون بها وبما كسون ، وفى أيديهم قضية ليبيا يشاغبون بها ويشاكسون ، وفى قبضتهم شرق الأردن بما فيه ، وما شرق الأردن إلا خيط الخنق وشريط الشنق فتله الإنكليز بأيديهم وأمرّوا على الأيام فتله ، لأمرهم بالقوه إن لم تهبوا وتذبوا ، وفى أيديهم العراق ومنابعه ، واليمن وتوابعه ، ولهم على سوريا ولبنان يد ممنونة ، فى طيها مدية مسنونة . وفى أيديهم مفاتيح الجزيرة ، وأمراء الجزيرة ، وقد أعدوا لكل قفل من أقفالها مفتاحاً ، ولكل أمير من أمرائها مقودا من رغبة أو رهبة . ولهم مع ذلك من بينكم العيون الراصدة ، والألسنة الحاصدة . وفيكم مع ذلك الآذان السامعة ، والهمم الطامعة ، وفى سجلاتهم ذممكم وهممكم وقيمكم ، قدروها تقديرا ، وأوسعوها تحليلا وتدبيرا .

إنهم ما حركوا مشروع سوريا الكبرى فى ميقات معلوم إلا ليفتنوا بعضكم ببعض ، ويغروا بيتاً ببيت ، وقريشاً بتميم . فينخرق الإجماع وتفترق الجامعة . وإن هذه النقطة هى أعلى ما يصل إليه الدهاء الإنكليزى ، كما أنها أعسر امتحان للضمير العربى الذى يتمنى أن يتكتل العرب ولكن بدافع من أنفسهم لا على يد عدوهم . وإن الانكليز لقادرون على تحريك غيرها من الفتن المفرقة . وإنكم — أيها العرب — لا تردون كيدهم إلا بإجماعكم على تحديهم ، واجتماعكم على إيقاف تعديهم ، وإقامة جامعتكم على اعتبار مصلحة العرب ووطن العرب فوق الأغراض والأشخاص .

إنكم لا تردون كيدهم بقوة جامعة الدول العربية ، حتى تسندوها بجامعة الشعوب العربية ، فحركوا فى وجوههم تلك الكتلة متراصة يرهبوا ثم يذهبوا .

لسنا فى هذه الكلمة حقائق مريرة ، وأومأنا إلى قضايا يسوءنا أن نزيد حمأتها مدا . ولكن ما عذرنا إذا أمسكنا عن الشرح ، ولو كان فيه جرح ! وقد تأدى إلينا من تراث أجدادنا العرب هذه الحكمة الغالية « من كتم داءه قتله » .

(الجزائر) محمد البشير الإبراهيمي

تولستوى الحـــائر (*)

للأستاذ محمود الخفيف

أتم تولستوى « أنا كارينينا » وقد أصبح فى روسيا أحد رجالها المعدودين ، وفى أدبائها فارسهم المعلم ، وأصبح فى أوربا أحد القلة الأفذاذ من أساتذة الفن وأعلامه . وإنه لذو ثراء عريض ، وذو بنين ، يسكن إلى زوجة اختارها لنفسه عن بينة وحب ؛ وهو إلى ذلك يتمتع بالعافية ، وقد وهبه الله جسماً قوياً لا تسكن حيويته ولا تفتر قوته . وإن موهبته الفنية لتمد اليوم أكثر مدها وإن روسيا كلها لتنظر إليه نظرتها إلى أعظم من أنجبت من رجال القلم فى تاريخها ، حتى لقد اغتدى اسمه لها مفخرة قومية ، واغتدت به تباهى بأن صار لهـا فى أدب الدنيا صفحة مرقومة ومقام معلوم .

ولكنه بين عشية وضحاها ينظر فإذا بهذا كله عنده لا شىء ، وإذا به يشعر أنه شقى لم يذق مثل شقائه أحد أو يعذب عذابه أحد على الرغم مما يحيط به مما يراه الناس من أسباب السعادة والنعيم .

إنه ليتقلب على فراشه إذا جنه الليل مسهد الجفنين . ولقد يئن أنين المحموم بل لقد يجهش فى الظلام كما يجهش الصبى ؛ وإنه ليثب من فراشه فيذرع الحجرة حتى يتنفس الصبح ... وإنه ليجلس إلى مكتبه مطرقاً أو محدقاً فى الفضاء ، لا يفتح كتاباً ولا يرفع قلماً ؛ وإنه ليعتزل زوجته ، ويتنكر لأبنائه أو يشيح بوجهه عنهم ؛ وإنه ليدفن وجهه ساعات بين كفيه ؛ وإنه ليسرع ذات مرة إلى بندقية صيده فيبعدها ويغلق من دونها باباً مخافة أن يقتل بها نفسه ؛ وإنه ليترك ما يأتيه من رسائل فى غُلفها ، ولا يحب أن يلقى أحداً من صحابته ؛ وإن زوجته لتمتلىء فرقاً وحزناً حتى لتكاد تذهب نفسها عليه حسرات ؛ وإن أولاده ليعجبون ولكنهم واجون ..

ماذا دهاه ؟ إن حاله هذه حال من تلقى ضربة فى الظلام تركته يترنح من الألم ، وكلما أوشك أن يفيق أخذه دوار فتركه



يتخبط ويهذى ، لا يدرى متى يعود إليه صوابه ...

ولكن تولستوى لم يتلق الضربة على حين غفلة ، فإنه منذ صدر شبابه تهجس فى نفسه أسئلة عن الحياة ومعناها ، والغرض منها ؛ ولقد رأينا كيف ألحت عليه هذه الأسئلة وهو فى القوقاز وشغلته آماله وأحلامه بالصيت والأسرة السعيدة ؛ كما شغله عمله على تحقيق هذه الآمال ، وعمله فى التعليم والمجلة والزراعة ؛ ولكن تلك الأسئلة كانت تعاوده بين حين وحين ، وهى فى كل مرة أشد إلحاحاً عليه منها فيما سلف ...

وعظم إلحاحها عليه بعد زواجه فقد كان له قبل الزواج بعض ما كان يزيح عن نفسه هواجسها من أمل حلو . فلما بات الأمل حقيقة ماثلة ، التفتت نفسه إلى ما كان يكربها ..

وظهر أثر تلك المخاوف قوياً أثناء كتابته قصتيه الكبيرتين فيما أجراه على ألسنة بيير والبرنس أندرو وليفن ؛ ولقد خاف ليفن أن يقتل نفسه من اليأس لأنه لا يرى فى الحياة إلا العذاب ثم الموت . .

(*) من كتاب تولستوى — يصدر فى منتصف شهر مايو عن دار الرسالة بالقاهرة .

وكان يصل به الحال أحياناً أثناء كتابته «أنا كارينينا» إلى ما يخيفه ويخيف زوجته كما أسلفنا، حتى لم يعد أكثر من مرة بينه وبين الجنون إلا خطوة، وما زاده التأمل إلا حيرة ولا دراسته الفلسفة إلا تشاؤماً وضيقاً ...

وواجهته تلك الأسئلة بعد «أنا كارينينا» مواجهة مخيفة وماد في إلحاح وفي ضيق يقول لنفسه: لماذا؟ ما وجودي وما الغرض منه؟ ما هذا الذي يسمى حياة؟ ولم كانت الحياة؟. قال في كتابه «اعتراف» يصف هذه الحال «لقد أخذتني الحيرة حتى لا أدري فيم أفكر؛ فإذا نظرت مثلا فيما عسى أن أعلمه أولادي قلت لنفسي: وفيم هذا؟ أو إذا فكرت فيما عساه أن ينهض بالفلاحين سألت نفسي: وماذا يعنيني من هذا؟ أو إذا ذكرت ما عسى أن أكسبه من صيت بما كتبت قلت: سوف تغدو أبعد صيتاً من جوجول أو بوشكين أو شكسبير أو موليير أو من كتاب الدنيا جميعاً، فما جدوى ذلك؟ ولم أحر جواباً قط، وتلح الأسئلة عليّ حتى ما تقبل ريثاً؛ فيجب أن تاتي جواباً على الفور؛ فإن لم أجب عليها صار مستحيلاً عليّ أن أعيش ... ولكنني لم أجد ما أجيب به ... وأحسست أن ما كنت أضع عليه قدمي قد ذهب هباء، فليس ثمة ما أقف عليه؛ وما عشت زماناً عليه قد ولى، ولم يبق لي شيء. وبلغ بي الحال أن أصبحت أنا الرجل القوي الثري لا أطيق أن أعيش؛ وصارت تدفعني قوة لا تقاوم لأضع لحياتي حداً على صورة ما. ولست أستطيع القول: إني رغبت أن أقتل نفسي، فإن القوة التي كانت تنتزعني من الحياة كانت أقوى وأشمل وأوسع مدى من أن تكون مجرد رغبة. لقد كانت قوة شبيهة بتلك التي كانت من قبل تربطني بالحياة ولكن في اتجاه عكسي».

ويصور لنا حاله بإحدى الخرافات قال: «هناك خرافة شرقية قديمة عن سائح أقبل نحوه وحش هائج في أحد السهول؛ فلجأ هذا السائح هرباً من الوحش إلى جب ناضب، ولكنه وجد في قاع الجب غولاً قد فغر فاه ليلتقمه، ولما رأى السائح التعس أنه لا يستطيع أن يصعد من الجب مخافة أن يلتهمه الوحش الثائر وأنه كذلك لا يستطيع النزول إلى قاعه مخافة أن يلتهمه الغول، فقد أمسك بفرع من النبات انبثق من صدع في الحائط وتعلق به؛ وأحس بالتعب يدب في يديه شيئاً فشيئاً، وشعر أنه سوف يسلم نفسه عما قليل لا محالة إلى الهلاك الذي يتربص به من فوقه ومن أسفل منه، ولكنه لن يزال متعلقاً بالغصن؛ ثم إنه ما لبث أن رأى فأرين أحدهما أبيض والآخر أسود، وقد دارا حول ذلك الغصن، وأخذا يقرضانه؛ وأيقن السائح أن الغصن لن يلبث حتى يقطع فيسقط هو في فم الغول؛ وبينما يرى ذلك، ويعلم أنه هالك لا محالة، إذ يبصر بقطرات من الشهد على بعض أوراق الغصن فيصل إليها بلسانه ويلعقها ... وهكذا أتعلق أنا بغصن الحياة، وإني لأوقن أن غول الموت يتربص بي وأنه سوف يمزقني كل ممزق. ولست أستطيع أن أدرك لماذا وقعت في مثل هذا العذاب. ولقد حاولت أن ألعق الشهد الذي كانت لي فيه سلوة من قبل، ولكنني لم أعد أجد في الشهد ما يلذني؛ وما برح الفأران الأسود والأبيض، وهما الليل والنهار يقرضان الغصن الذي تعلقت به، ورأيت الغول في وضوح، ولم يعد للشهد طعمه الحلو. وليس أمام ناظري إلا الغول الذي لا مهرب منه والفأران، ولن أستطيع أن أدير عيني عن ذلك؛ وليس هذا حديث خرافة، وإنما هو الحق الذي لا ينكر والذي يفطن إليه كل إنسان»

لم يجد تولستوي معنى للحياة، فما هي إلا عبث، بل إنها واللاشيء سواء؛ ذلك ما رجع به من طول تأمله ومن طول قراءته شوبنهور وكانت وغيرهما، وذلك ما أجاب به عن تلك الأسئلة التي ظلت سنين تلح عليه وتعذب نفسه.

وهذا اللاشيء هو ما أفزعه، ثم إن انتهاءه إليه بعد طول التفكر هو الضربة التي تلقاها في الظلام والتي تركته يترنح ويصرخ من أعماق نفسه الحائرة: ما هذا؟ أين أنا؟ ولم جئت هنا؟ وإلى أين مصيري؟

لقد اهتدى البرنس أندور إلى الحب كما اهتدى بيير، واهتدى ليفن إلى السمو بالروح الخالدة والعزوف عن مطالب الجسد الفاني، ولكن تولستوي خالقهم لم يهتد إلى شيء، وظل حاله كما كان حال ليفن قبل هداه حين وصفه بقوله «عند ذلك تبين في جلاء أن كل حي إلى فناء، وأنه هو نفسه ليس أمامه ما يتطلع إليه إلا الألم ثم الموت، ثم الفناء الأبدي؛ ولذلك استقر رأيه على أنه لن يستطيع بعدُ أن يعيش على هذه الحال؛ فإما أن يجد تفسيراً للحياة أو فليقتل نفسه»

(البقية في العدد القادم)

محمود الخفيف

مشاهدات مسافر :

٢ – ألمانيا بعد الحرب إلى الدير .....

للدكتور محمد سامى الدهان

هذه « توبنكين » كمهدى بها تحتضن نهر الراين فى فخر وزهو فتتلوى حوله الجنائن والبيوت ، وتداعب شطئانه الأبنية والجسور . ولا تزال بيوتها قائمة فى هندسة غريبة تتوالى صاعدة من السفح إلى القمة فتكسب الجبل الذى تقوم عليه جمالاً وجلالاً. ولو أتيح لك أن تنظر من القمم حولها إلى المدينة لانبسطت أمامك المدينة الحسناء خلال رقعة من الخضرة والماء فتانة خلابة لم تغير الحرب منها إلا فى بيوت سقطت فأصبحت أكواماً ، وحوانيت خلت من البضاعة فغدت خاوية ، وواجهات للمخازن أقفرت إلا من إعلان كبير عن الكمية من الزبدة والخبز والخضار التى توزع خلال الشهر . ويدهشك أن ترى الألمان وقوفاً فى صفوف متلاحقة أمام كل بائع ، تنتظر فى صبر عجيب نصيبها الضئيل من خبز يناله الألمانى ليومه كله ونأتى عليه فى غداء واحد ؛ وزبدة ينتظرها الألمانى لأسبوع بأجمه ، ونصيب مثلها فى فطور واحد ، ولباس قديم جديد تبمثه عبقرية الفقر والحاجة حيا بعد البلى . ويدهشك كذلك أن ترى نظام المقايضة والمبادلة بين البضائع والحاجيات ، وقد عاد إلى ألمانيا فى القرن العشرين بعد أن دفنته منذ قرون .

لا تزال توبنكين موطن الجامعة يقبل إليها الطلاب الناشئون مشغوفين حريصين ، ويملئون مقاعد المكتبة دءوبين جشمين ، يعملون حتى تضج معدهم الصغيرة بالجوع وأجسادهم الهزيلة من الغذاء . ماتت أفراحهم وحفلاتهم التقليدية حول كئوس الجعة ؛ وخمدت أغانيهم وأهازيجهم فى الشوارع والحفلات ، وتفردت النساء والأطفال بالحدائق والحقول لأن الشباب الألمانى بين العشرين والثلاثين غائب عن الميدان وهو اليوم فى الأسر أو فى القبر .

ولا تجد أكثر ما تجد فى هذه المدينة إلا شيوخاً وعجزة قد استعملوا للكنيسة أكثر أوقاتهم ، أو للبيوت يزرعون حدائقها الصغيرة ، منها يأكلون وعليها يقتاتون . وما هى إلا سياحة قصيرة حتى يمل المسافر النظر والنزهة ، فيستريح إلى صديق ودود يستمع منه الشكوى والحرمان والشجاعة والأمل .

ولى فى هذا البلد أصدقاء مستشرقون منهم ليتمان Littemann وفكتور بور Viktor Burr وڤايسڤايلر Weirsweiler . أما الأول فما يزال يبتسم فى فلسفة للحياة ، فى أسلوب شرقى ، ويتحدث عن ماضيه فى فلسطين ومصر بلهجة عربية ، ويعتز بطلابه ، وفيهم آنسة تترجم « الأيام » للدكتور طه حسين بك إلى اللغة الألمانية ، وطالب يؤلف رسالة عن « الفيح القسى فى الفتح القدسى » للعماد الأصفهانى ، وآخر يؤلف عن العامة والأزجال ، يسترشدون برأيه فى بيته أو فى معهد العلوم الشرقية. وهذا وهذا غاصان بالكتب العربية الجليلة النادرة . فمن شاء أن يعود إلى الشرق وهو فى ألمانيا فليقصد الرجل . وأما فيكتور بور فهو قيم المكتبة العامة ، يؤلف عن العرب والبيزنطيين فى أناة ودقة وعلم عرف بها أساتيذه وأجداده وأما الثالث فليس فى المنطقة ، وإنما وقمت الهدنة وكان فى « غوتنجن » فأصبح من نصيب المستعمر الجديد . وحظه فى هذا كحظ المخطوطات العربية سافرت خلال الحرب من أماكنها إلى مخابىء أمينة . فلما انتهت الحرب أصبحت البلد فى دولة ومخطوطاتها فى دولة . فى الجنوب مخطوطات الشمال وفى الغرب مخطوطات الشرق . ففى كل منطقة مخطوطات المنطقة الأخرى ، فماذا فى هذه المنطقة من مخطوطات ؟ لعل أصدقائى من المستشرقين لا يعرفون ذلك بل لعلهم لا يسمون إلى هذه المعرفة فى هذه الظروف ...

والألمانى يجهل ما يجرى فى بلاده الآن ، وقد عادت به النكبة قروناً فى ركب الحضارة . فقد انقطعت المواصلات الحسنة أو كادت ، وتباطأ البريد حتى لكأنه معدوم ، فالبرقية من برلين إلى غيرها تقطع أربعة أيام أو ستة ؛ والرسالة تطوى المسافات فتفتحها أيد وتغلقها أيد فى رقابة غريبة ، فإذا وصلتك فأنت بها سعيد . فليس عجيباً إذاً أن يجهل الألمان ما فى منطقتهم من خزائن ثمينة ، ذلك لأن الحكومة النازية نقلت أكثر المكتبات إلى مخابىء نائية وأحاطت هذا النقل بالكتمان ، وحرمت إذاعة الخبر ، ليجهل الحلفاء مواطن التحف ، وليجنبوها غاراتهم المنيفة التى اشتدت فى الشهور الأخيرة قبل الانكسار .

واختارت أحد مخابئها هذه القرية ، بين جبال عالية لا تصلها الطائرات فإذا وصلتها لم تنل منها . وليس فى هذه القرية الصغيرة ما يحوى الكنوز ويضم التراث ويكفل المخطوطات إلا حصن واحد جبار هو هذا البناء الكبير بناء الدير . فما من سبيل إذاً إلى بلوغ بعض أمنيتى إلا أن أدخل الدير ...

لبثت يومين كاملين أفكر فى الدير وفى السبيل إلى الدير ، فقد انقطعت الأسباب بين أكثر المدن الكبيرة فكيف نبلغ هذه القرية ، وليس من قطار مباشر يصلنا بها ، وليس من مهاجرين يقصدون إلى الدير ؛ وكيف أقنع من حولى أن ثمة مخطوطات عربية يجب أن أراها ؟ ! جزعت حين عرضت الأمر على أصدقائى من الألمان فضحكوا . إن السكان لا يبلغون المأكل والملبس ، ونحن نفتش عن زينة الحياة وترف العلم ، نحيى الكتب القديمة ونمنى بالأوراق الصفراء ، والأشخاص حولنا يتضورون جوعاً ! فما أعجب الدنيا !

استطعت بعد جهد أن أقنع سيارة تقلنى فى شروط قاسية ؛ بعضها أننا سنقطع أياماً فيما يجتازه المسافر من قبل فى ساعات ، والسيارة هى السيارة ، ولكن جهازها اليوم عجيب لا يأكل إلا الخشب وقد حرم «السائل» النادر هو كذلك . فماج السائق إلى برميل كبير يرمى فيه قطعاً من الخشب تحترق خلال بعض الساعة فإذا الجهاز يؤذن بالحركة وإذا نحن نمضى فى الطريق .

لا أستطيع أن أتصور عواطفى الآن ، ولست أذكر أكان علىّ أن أضحك أم أحزن . فصوت السيارة غريب ، ودخانها الأسود كان يلفح مع الريح وجوهنا ، فنفرح أن السيارة جادة ، وما هى إلا ساعة حتى تهدد بالوقوف لأن المحرك جاع ، فلنفرغ بعض الكيس من الخشب ولنمض كذلك فى مرتفعات ساحرة ووديان فتانة ؛ تنسينا هزل الزمان وسخرية الأيام ، وما يصنع الإنسان بالإنسان حتى بلغنا القرية التى نقصد إليها ؛ وإذا القرية لا تعدو عشرات البيوت فى واد جميل عطر ، وإذا بناء الدير يقوم فى عظمة لحراسة الوادى والإشراف على خيراته .

دخلنا سور الدير ، وقرعنا الجرس ؛ فإذا الكاهن البواب يسألنا عن الغرض والغاية ؛ فتولى صديق الكلام ورجا عنى أن « ألقى الأب الأول » Pater Prior كما يسمونه فهو رئيس الآباء وراعى الدير . فدخلت حجرة الانتظار بين صور القديسين والصلبان ، ولبثت واقفاً واجماً حتى فتح الباب فإذا الأب المنتظر قد سلخ فى السن ، وعلى عينيه نضارتان سوداوان ، وعلى صدره صليبه الذهبى الكبير المتدلى ، فسارعت إلى الأرض جاثياً على الركبة اليسرى واستلمت يده أفتش عن الخاتم الذى أقبله بشفة مرتجفة وقلب مضطرب لئلا يخوننى التمثيل فيكشف أمرى وتبوء مهمتى بالفشل وأعود أدراجى لا ألوى على شئ .

انفرجت أسارير الرجل المحترم ورحب بى وعرف من لهجتى الألمانية أنى غريب وأنى قدمت المنطقة لأزور القرية للمرة الأولى ، وأن ليس فى القرية من سكن آوى إليه . فالفنادق مستشفيات خاصة بجرحى الحرب ، وأنى لاجئ إليه ، وليس من سلطان للاستعمار عليه . فقد وعدت المدنة بأن تحترم الأديان وبيوت الله ، فهو وحده يحكم القرية والدير ، وإليه هنا المرجع والمآب .

فهم الرجل فى كلمات ، وأجاب فى لطف بالغ ووقار جميل بأن الدير بيت للجميع وأن ما فى الدير ملك لله ، وأنه موكل بصحبتى قيم المكتبة فهو دليلى إلى المخطوطات ، وصديق إلى اكتشاف المخبئات . وقرع الجرس فانحنى كاهن صغير من « الإخوان » ، وانفتل يطلب الأب غالوس Pater Galus وسألنى فى هذه الفترة القصيرة وقد فهم حرمتى للمكان وغربتى بين السكان ليتأكد أنى لست من البروتستانت الكثرة فى ألمانيا ؛ فديره للكاثوليك وهم قلة فيها يتكاتفون ويتعاونون . ولست أدرى كيف أجبت ، ولست أذكر كيف تكلمت ، وإنما أعرف أن قلبى وقف عن الخفقان لحظة خلت أنى أقضى إثرها ، وأنى أجبت من غير أن أعلم : أجل يا أبى الكبير أجل ! فرجانى فى تبسط جميل أن أصطنع الحرية فى طلب ما أريد ، فشكرت له ، وانحنيت على يده ثانية أودعه كما استقبلته لألقى الأب القادم وألقى بين يديه بمقاليد الأمر وماجئت له

وما هى إلا دقائق حتى كنا ننحنى فى الكنيسة أمام المعبد نقدم واجبات التحية فى الاحترام قبل أن يحين العشاء .

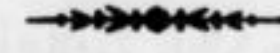
ويشاء الله أن تتتابع المراسم الصعبة فى أقل من ساعة . فالدخول إلى الأكل له نظامه فى الدير . يدخل الآباء واحداً بعد واحد وهم يرتلون ؛ ويتبعهم الإخوان فى أثرهم وهم يرتلون ؛ ثم يدخل ضيوف الدير ، وفيهم ثلاثة طلاب وأستاذان ، وهم كذلك يرتلون ، وأنا ساكت واجم أنظر يمنة وأنظر يسرة فى طرف خفى وقلب وجل ، قبل الدخول ، لئلا أخطئ فى الحركة وأشذ عن هذا النظام الدقيق .

ووقفنا دقائق أمام المائدة ونحن خشوع سكوت ملتفين حول

لطائف من العصر المملوكي :

التـــورية

للأستاذ محمود رزق سليم



التورية ضرب من البديع ، والبديع — بلاريب — فن جميل من فنون القول . سواء اختلفت النظرات إليه أم ائتلفت . إذ الفن في جوهره مظهر الفنان ومستجاب وحيه ومرتاض عاطفته به يصور وجدانه ويرسم فكرته ، ابتغاء التأثير في سامعه وهو في هذا يجرى وفق ذوقه ويسير قيد مزاجه . فإذا نهج على قواعد أخرى فإنما هي قواعد قد ارتضاها هذا الذوق ، واطمأن إليها هذا المزاج . فلا عليه إلا أن يصور ويرسم . فإن بلغ فيه من سامعيه ومعاصريه حد الإعجاب ، فذلك عهده به وأمله فيه ورجاؤه منه . وإلا فقد بذل ما استطاع ، وقدم ما قدر عليه . وهو بين هذا وذاك فنان لا يغض من فنه نقدنا قد ولا إزراء مزر .

ولقد كان فن البديع أغلى فنون الحديث ومسالك الأسلوب عند أدباء العصر المملوكي وشعرائه . ملك على القوم أحلامهم وذلل أقلامهم فلا تجرى إلا بين أرسانه ، ولا تجول إلا وسط ميدانه ، فوردوا موارده وعنها صدروا . ومدوا موائده وإليها ابتكروا . وكانوا بذلك أدنى أدباء عصر إلى تمثيل أهله ، وأقرب شعراء حقبة إلى تصوير معاصريها .

نقول ذلك ، لا على سبيل المبالغة ، بل على سبيل الحق والصدق. ذلك أن الشعب المصري طبع من عهد بعيد على أن يسلك في حديثه مسالك البديع ترفيها للخطاب ، وتجميلا للألفاظ ، وتجميعاً للمعاني ، وإلماعا إلى الذكاء وتوقد الذهن ، وإشعاراً بحضور البديهة . فهو يجنس ويورى ويطابق ويقتبس ويضمن ، ولا ينى يبعث في خلال ذلك النكتة إثر النكتة والفكاهة غب الفكاهة ، فيها دلالات عدة واتجاهات شيء ينم عنها اللفظ بمنطوقه مرة وبمفهومه مرة وبملابساته مرة ، وهكذا .

لا نحاول هنا أن ندرس مبعث هذه الروح فيه ، ولا أن نتتبع أسبابها . ولا نحاول أن نرجعها إلى عواملها الطبيعية من ذكاء ، أو طيب عيش أو طيب مناخ ، أو إلى عواملها الاجتماعية من كبت عاطفة أو مقاساة حرمان أو كون التياع . أو من خب في لذة ، أو تطرف في ترف ، أو غلو في سرف . أوغير ذلك مما يتطلب له المرء مخرجاً في القول فلا يجد إلا هذه الضروب البديعية ، ففيها له التنفس والمراح . يجمع في أحدها العديد من المعاني ثم يترك السامع يقلبها بين يديه ويختار من بينها ما يلذه ويروقه ، فهو بذلك يحمله على التفكير معه ، ويدفعه إلى مشاركته ، ويسرى بخياله إلى شيء التصورات ، ويتنقل به بين مختلف المعاني ، ويكفيه بذلك فنا .

سرت هذه الروح في الشعب خلال حديثه حتى كانت له سمتاً وشارة ، وعرفت عنه منذ أمد ، ونمت نمواً عجيباً في العصر المملوكي . ولعل حياة الزخرف والدهان ، التي كان يفيض بها العصر ، كان لها أثرها في هذه النمو العجيب ، الذي نضح على أدباء العصر وشعرائه فكانوا — كما ذكرنا — أدنى إلى تمثيله وتصوره .

موائد طويلة ومقاعد من خشب في قاعة كبيرة استوعبت مئتين من الآباء والإخوان مع ستة من الضيوف جملت في وسط القاعة ، وحولنا من الجهات الأربع سكان الدير ، وقد أخذوا أماكنهم في نظام عجيب . وتصدر القاعة الأب الكبير ، فلما أذن لنا ارتمينا على مقاعدنا من غير أن نرفع البصر أو نحرك عضواً من الأعضاء نستمع إلى الإنجيل يتلى علينا من منبر عال باللاتينية ثم بالألمانية . وطاف الإخوان بالأواني يحملون العشاء فأصبنا ماء ساخناً يسمونه حساء ، وسلطة من العشب الأخضر عليه ماء وملح ، ثم طبقاً من البطاطس المطبوخ ، وختمنا بالحلوى وهي من الخبز الأسود قد تناثرت على بعض أطرافه ذرات من السكر . ولكننا لم نر اللحم ولم نذقه فهو عنا غريب .

وانتهى العشاء الكامل الشامل فأرسلنا الشكر إلى البارئ وخرجنا كما دخلنا في نظام جميل ، وكل يهنىء رفيقه على الصحة ويسأله عن شهيته في أكلة اليوم — على عادة الألمان في آدابهم وولائمهم — .

لم أبال بهذا الغذاء أكان دسماً أم لم يكن لأني أمني النفس بغذاء الغد من مخطوطات العرب !

فإلى الغد أيها الآباء ! ..

سامي الدهان

واعتقادى أننا — معشر المصريين — لا نزال حتى اليوم ندرج فى هذه المدارج ، ونطرق تلك السبل ، برغم فراهة كتابنا وحذق شعرائنا وحرية أدبائنا ، وإزاحتهم ربقة البديع عن أعناقهم وتغلغلهم وراء المعانى والأفكار ، وسوقهم خلف الدقائق ، وأخذهم من الفلسفة وإمعان النظر بنصيب ، ظهرت عوارضه على إنتاجهم وأساليبهم . ولكننى أعتقد أنهم - رغم حسناتهم تلك - لا يمثلون بأساليبهم العصر الذى فيه يعيشون . ومن كان فى ريب من هذا ، فليسر فى طرقات القاهرة ، وليمر السمع إلى نكات العامة ومحاورات الباعة ومحادثات المارة . فليلج الأسواق الجامعة والمنتديات الحافلة وماشاكلها . فليصت إلى أساليب الناس فى الحديث ، وإلى مدى امتلائها بالتوريات اللطيفة والتضمينات الطريفة والتجنيسات والمطابقات والتلميحات وغيرها من محسنات البديع ، لاتكاد تخلو منها عبارة ، أوتفرغ منها إشارة. والجمهورفى ذلك يصدر عن طبع سليم وفطرة قويمة . فهو يعكس فى أسلوبه تصوراته الباطنة وانفعالاته الخفية الكامنة — فإلى أى مدى صار أدباؤه المعاصرون مرآة له فى مسالك أسلوبه ومناهج حديثه ؟

ليست عندى ريبة فى أن أدباء العصر المملوكى أدنى إلى تمثيل عصرهم أسلوبا وتصويراً — كما ذكرت — وإذا كان الشعب فى مجموعه ذافن فى مسالك القول فهؤلاء كانوا ألسنته المتكلمة وعواطفه المترجمة . فهم بدورهم فنانون صادقون . ومصورون ماهرون .

وصحيح أن هناك من النقاد الحديثين من وضع لنقده مقياسا يعنى فيه بالبحث عن المعانى المبتكرة والتصورات الجديدة والأفكار المفيدة . كأنه يريد من الشعر ألا يكون إلا فلسفة وإلا حكمة وإلا مثلا ، وإلا دستورا صامتا من دساتير الحياة . وأن يكون كذلك فى كل عصر من العصور . وبهذا المقياس يزيف أدب العصر المملوكى ويزيف شعره ، حتى ليتساءل عن أدبائه وشعرائه ويقول أين كانوا يعيشون ؟

والحق أن جلال الأدب فى أسلوبه ، وجماله فى طريقة أدائه وأن صدقه فى أن يعبر عن عاطفة الأديب وشعوره ، وأن يحسن فى تصويره . ولاريب أن ضروبا كثيرة من البديع تعين الأديب على ماهو بصدده من فن فى التعبير والتصوير، ومن أبرزها التورية والتضمين والجناس والطباق . وهذه كانت من أهم دعائم الأسلوب فى العصر المملوكى .

أنا لا أدافع عن البديع ولا أحدث عن مذهبى فيه . وإنما أحببت له العدل ، وأردت له الإنصاف . فقد كان مزاج الأدب وقوام الأسلوب فى عصر من العصور المصرية . ولم يكن ذلك غريباً منه حينذاك ، بل الغريب ألا يكون . وكيف كان إنتاجه فهو قمين باعادة النظر فيه من مؤرخى الأدب بيننا . أحب ألا يتأبوا على البحث فيه ، وألا يعتروا فى حصافته قبل أن يبدءوا ببحثه فليعيدوا فيه النظر بعد إحسان الظن به . ويقينى أنهم سينصفونه وسيجدون فيه شيئاً جديداً مفيداً ممتعاً .

والبديع بعد هذا كله ، أو قبل هذا كله ، فن — بلاريب — جميل ، كما أشرنا . وقد استطاع أدباؤه أن يبرزوا بصورة عملية واضحة ما فى هذه اللغة الكريمة من مزايا ولطائف وضروب جمال فى تكوين ألفاظها وتناسق كلماتها . وأبانوا كيف أقدرهم هذا التكوين والتناسق على التلاعب بالأسلوب والإبداع فى الحديث ، فأظهروا ما خفى فى هذه الألفاظ من أسرار ، وأشعروا الناس بجمال الترادف والاشتراك والتضاد فيها ، وجلوا اللغة فى ثوبها المرن المطاط الذى كثيراً ما يتسع للمعانى المتنافرة التى تندعن الذهن حينا كيفية اجتماعها وطريقة تآخيها .

وكانت التورية أحب أنواع البديع عند أدباء العصر المملوكى وأجل مابرعوا فيه منها . وأفضل ما أبدعوا فيه المعانى ، وأجل ما أحسنوا فيه التصوير ، لم يشذ منهم عن هذا النهج شاذ . وصحيح أن الصلاح الصفدى — كما بينا فى مقال النقد الأدبى — أغرم بالجناس وجن به دون أدباء عصره ، ولكنه إلى جانب هذا كان من شعراء التورية . قال ابن حجة الحموى :

« هذا النوع — أعنى التورية — ماتنبه لمحاسنه إلا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب . ولعمرى إنهم بذلوا الطاقة فى حسن سلوك الأدب إلى أن دخلوا إليه من باب التورية فإن التورية من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث فى القلوب ، ويفتح أبواب عطف ومحبة . وما أبرز شمسها من غيوم النقد إلا كل ضامر مهزول ، ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول . »

وقال أيضاً : « وقع الإجماع على أن المتأخرين هم الذين سموا إلى أفق التورية وأطلعوا شموسها . ومازجوا بها أهل الذوق السليم لما أداروا كئوسها . وقيل إن الفاضل هو الذى عصر سلافة التورية لأهل عصره . وتقدم على المتقدمين بما أودع منها فى نظمه ونثره . فإنه — رحمه الله تعالى — كشف بعد طول التحجب سترحجا بها . وأنزل الناس بعد تمهيدها بساحاتها ورحابها . وممن شرب من سلافة عصره . وأخذ عنه وانتظم فى سلكه بفرائد دره : القاضى ابن سناء الملك ، ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كأسها . ومتمسكين بطيب أنفاسها . إلى أن جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها . والواسطة فى عقد جمانها . كالسراج الوراق وأبى الحسين الجزار ، والنصير الحمامى وناصر الدين حسن ابن النقيب ، والحكيم شمس الدين بن دانيال ، والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر . »

وهؤلاء الأدباء الستة الذين ذكرهم ابن حجة هم من شعراء العصر المملوكى وفى نصف القرن الأول منه تقريباً . وقد توالى من بعدهم أدباء فحول آخرون هم حلبة ابن نباتة ومنهم الصفدى وابن الوردى وابن اللبانة والحلى والاسعردى والعمرى والمعمار ، وتوالت الحلبات من بعدهم — كما سنبينه إن شاء الله فى مقال آخر — وكلهم يسير تحت راية التورية ، وعاصرهم فى بلاد الشام آخرون . قال الصلاح الصفدى يذكر بعضهم :

« وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم ، وتأزر نصرهم ولأن فى هذا النوع هصرهم وبعد حصرهم . كل ناظم تود الشعرى لوكانت له شعراً . ويتمنى الصبح لوكان له طرسا ، والغسق مداداً والنثرة نثراً . ماجلا من بنات فكره خوداً إلا شاب لحسنها الوليد . وسيرها فى الآفاق وبين يديها من النجوم جوار ومن الشعراء عبيد . كالشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصارى شيخ شيوخ حماة . والأمير مجير الدين بن تميم . وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى . ومحيى الدين بن قرناص الحموى . وشمس الدين ابن العفيف . وسيف الدين بن المشد . »

وقال أيضاً : « ولاتقل أيها الواقف على هذا التأليف : لقد أفرطت فى التعصب لأهل مصر والشام . على من دونهم من الأنام . وهذا باطل ودعوى عدوان . وحمية لأوطانك وما جاورها من البلدان . فالجواب أن الكلام فى التورية لاغير . ومن هنا تنقطع المادة فى السير . ومن ادعى أنه يأتى بدليل وبرهان فالقياس بيننا والشقراء والميدان . »

وبعد فما هى التورية ؟ قال ابن حجة يعرف بها :

« هى أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو أحدهما حقيقة والآخر مجاز . أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية . فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك »

والتورية — كما يرى القارىء — تحتاج إلى إلمام باللغة وإلى نزعة أدبية سليمة ، وإلى لطافة فى الحس . وهى إحدى طرق أداء المعنى . والفرق بينها وبين أداء المعنى فى حيز الدلالات اللفظية هو الفرق بين الأدب واللغة . والمورى مجدد لأنه يضع أمام السامع صوراً من المعانى عدة متشابكة فى بعض أجزائها ، متماسكة فى بعض ملابساتها ، فيدفع السامع إلى التنقل بخياله والتجول بفكره بين صورها الشتى حتى يقع خاطره على المعنى المقصود ، دون أن يشعر بثقل أو يحس بجهد ، بل بالعكس يتنقل بينها كما يتنقل بين أجزاء روضة ، وبين ثنيات بستان ، ويكون لذلك أثره فيه فيلطف حسه ويرق خياله ويتسع تصوره ، وهذه دعائم نفسية تقوم عليها دولة الأدب . وقد نقل ابن حجة قول الزمخشرى فى التورية حيث قال : « ولا نرى بابا فى البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ، ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام صحابته رضى الله عنهم اجمعين . فمن ذلك قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » لأن الاستواء على معنيين أحدهما الاستقرار فى المكان ، وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود ، لأن الحق تعالى وتقدس ، منزه عن ذلك . والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقريب المذكور » — ويهمنا من كلام الزمخشرى حديثه عن التورية . أما ما استشهد به من القرآن الكريم ففيه نظر . لأنه كان يدين بالاعتزال .

ومع ذلك فيه نظر من ناحية أخرى ، إذ يعتبر تأويله هنا من باب الكناية مثلالامن باب التورية . وهذا يجرنا إلى الإشارة إلى أن التورية — فى جوهرها وفيما نشعر — ليست فى حدودها الضيقة

التي وضعها فيها علماء البلاغة بل أنها أوسع نطاقاً وأبعد آفاقاً. أو أنها على الأقل ذات صلة وثقى بأنواع البلاغة والبديع، كالكناية والمجاز والإلغاز والمحاجاة والتوجيه والتلميح والإبهام والجناس، وأن بينها وبين هذه الأنواع أموراً متشابهة لا تفرق بينها إلا دقائق معنوية، وهذه الأمور تشعرنا بأنها جميعاً تحت إلى التورية بأوثق الصلات. على أن هذا موضوع يحتاج إلى بحث ومعاودة ونظر جديد. فلنتركه الآن لنطارف القارئ ببعض نماذج التورية التي أثرت عن أدباء العصر المملوكي، وكثير منها في الغزل والوصف والشكوى والمدح والإخوانيات. ومنها ما يلي:

كان السراج الوراق مقيماً بالروضة، فكتب إليه نصير الدين الحمامي موريا بها فقال:

كم قد ترددت للباب الكريم لكي ... أبل شوقي وأحيي ميت أشعاري

وأنثني خائباً مما أؤمله ... وأنت في روضة والقلب في نار

فكتب إليه السراج الوراق:

الآن نزهتني في روضة عبقت ... أنفاسها بين أزهار وأثمار

أسكرتني بشذاها فانثنيت بها ... وكل بيت أراه بيت خمار

فلا تغالط فمن فينا السراج ومن ... أولى بأن قال إن القلب في نار

وقال أبو الحسين الجزار موريا بصناعته:

إني لمن معشر سفك الدماء لهم ... دأب وسل عنهم إن رمت تصديقي

تضي بالدم إشراقاً عراصهم ... فكل أيامهم أيام تشريق

وقال الجزار موريا بلفظ «الطوق»:

أنت طوقتني صنيعاً وأسمعتك شكراً كلاهما ما يضيع

فإذا ما شجاك سجعي فإني ... أنا ذاك المطوق المسموع

وقال ابن دانيال الموصلي موريا في «قوام»:

أيا سائلي عن قد محبوبي الذي ... فتنت به وجداً وهمت غراماً

أبى قصر الأغصان ثم رأى القنا ... طوالا فأضحى بين ذلك قواما

ومن توريات الشاب الظريف في كلمة «باقل»:

ولو أن قساً واصف منك وجنة ... لأعجزه نبت بها وهو باقل

ومن توريات جمال الدين بن نباتة في كلمة «راحة»:

يا غائبين تملّلنا لغيبتهم ... بطيب لهو ولا والله لم يطب

ذكرت والكأس في كفي لياليكم ... فالكأس في راحة والقلب في تعب

وقال أيضاً في «الكمال» وهو مسمى به:

أرى جلستي عند الكمال تميتني ... غبونا ونفسي بالملوم يفوت

وما تنفع الآداب والعلم والحجا ... وصاحبها عند الكمال يموت

وقال متغزلا موريا في «حمل وقد»:

سألت النقا والبان أن يحكيا لنا ... روادف أو أعطاف من زاد صدها

فقال كثيب الرمل ما أنا حملها ... وقال قضيب البان ما أنا قدها

وورى محيي الدين بن عبد الظاهر في «الأوراق» فقال متغزلا:

ذو قوام يجور منه اعتدال ... كم طعين به من العشاق

سلب القضب لينها فهي غيظي ... واقفات تشكوه بالأوراق

ومن طرائف التوريات ما خرج مخرج الجناس، قال ابن حجة «قد تقرر أن ركني الجناس يتفقان في اللفظ ويختلفان في المعنى لأنه نوع لفظي لا معنوي. وهو نوع متوسط بالنسبة إلى ما فوقه من أنواع البديع: والتورية من أعز أنواعه وأعلاها رتبة فإذا جملت الجناس تورية انحصر المعنيان في ركن واحد، وخلصت من عقادة الجناس».

ومن جناس التورية قول بدر الدين الدماميني يصف ابن حجر العسقلاني:

حمى ابن علي حوزة المجد والعلى ... ومن رام أشتات المعالي وحازها

وكم مشكلات في البيان بفهمه ... تبينها من غير عجب ومازها

ومازها من ماز يميز أو بمعنى لم يدخله الزهو.

فأجابه ابن حجر بقوله:

بروحي بدراً في الندى ما أطاع من ... نهاه وقد حاز المعالي فزانها

يسائل أن ينهى عن الجود نفسه ... وهاهو قد بر العفاة ومانها

ومانها، من مانه بمعنى كفاه. أو مانها من النهى.

ويطول المقام إذا ذهبنا نتحدث عن التورية ونستشهد لأنواعها من شعر هذا العصر. فحسبنا ما مر.

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

من أدب العراق :

المرأة في شعر الرصافي

للشيخ محمد رجب البيومي

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

أما حافظ فقد جعل الأم مدرسة كصاحبه ، وزاد فرفعها إلى قمة عالية فكانت عنده أستاذ الأساتذة الذين ملأوا الدنيا وشغلوا الناس ، كما شبهها بروض زاهر ، يورق ويثمر إذا تعهده الحيا بالرى ، وأعلن تبرمه بحالتها الراهنة ، فذكر أنها ليست أثاثاً يقتنى فى الدور ولا درراً تصان فى الأحقاق ، فيجب أن تتبوأ مكانها فى المجتمع . وهو مع هذه الصيحة يحتاط أكمل احتياط ، وينظر إلى البداية والنهاية معا فى وقت واحد ، فيخوف من السفور ، ويحدد مهمة المرأة الاجتماعية ، فهى ربة بيت تنهض بأعبائه ، وتضطلع بشؤونه .

قال شاعر النيل :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً   بين الرجال يجلن فى الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع   يحذرن رقبته ولا من واقى
يفعلن أفعال الرجال لواهياً   عن واجبات نواعس الأحداق
فى دورهن شؤونهن كثيرة   كشؤون رب السيف والمزراق

وإذن فحافظ متحفظ فى ثورته ، وكل ما يريده أن تخرج الفتاة إلى مدرستها ثم ترجع إلى البيت الذى تديره ، ولا كذلك الرصافى ، فهو يمشى مع السفور إلى أبعد شوط ، ويرى أن المرأة كالحمامة لها ريش يجب أن تطير به ، وسجع يلزم أن ترده ، وإلا لما خلق الله لها ذلك ، وكان التعلل بالشريعة نغمة متصلة ، رددها المحافظون فأطنب الشاعر فى دحض هذه الحجة ، وأخذ يكرر قوافيه المتلاحقة فى نقضها . ومما قاله فى ذلك فوق ما قدمناه :

وأكبر ما أشكو من القوم إنهم
يعدون تشديد الحجاب من الشرع
وذلك أنا لا تزال نساؤنا   تعيش بجهل وانفصال عن الجمع
أفى الشرع إعدام الحمامة ريشها
وإسكاتها فوق الغصون عن السجع

فقد أطلق الخلاق منها جناحها   وعلمها كيف الوقوف على الزرع

وقصائد الرصافى فى هذا الموضوع أكثر من أن تحصر ؛ فقد كان يرى الدفاع عن حقوق المرأة أمانة فى عنقه ، يجب أن يؤديها بغير تمهل وانتظار . وقد أفلح الشاعر فى دفاعه أى فلاح ، وعاش حتى رأى المرأة الشرقية كما أحب لها من تقدم وصمود ، فماد يمجد فى مواهبها ، ويبالغ فى مكانتها ويفخر بنهضتها التى تمت فى وقت يسير . وما ظنك بزارع كادح بذل جهده الدائب فى شق التربة وغرس الثمرة ، وصادف من الصخور ما كاد يهشم معوله ، ويبدد قوته وما زال يتعهد غرسه بالماء حتى رآه — بعد لأى — جنة مورقة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، هكذا كان معروف ! !

وهنا نتساءل بعد ما أسلفناه من جهاد الشاعر عن موقفه العاطفى من المرأة ، وهل ملكت يوماً زمام فؤاده ؟ وماذا أوحت إليه من فاتن الغزل ورقيق النسيب ؟ ؟

وقبل كل شىء نذكر أن الرصافى قد تزوج مرة واحدة فى حياته ، أثناء إقامته بتركيا ، ولم يكتب له التوفيق كزوج مسؤول ، فطلق امرأته بعد مدة وجيزة ، وألقى العبء عن كاهله ، كما صنع شاعر النيل ؟

كما لم يحدثنا أحد من معارفه بأنه أحب فتاة معينة ، أو أنشأ علاقة مع امرأة بذاتها ، وإن كنا نعلم أنه كان إباحياً متحللا يبحث عن شهوات الجسد من أى طريق . وأنت تنظر إلى ماروى عنه من صادق النسيب ، فتجده ينظر إلى النساء بمنظار واحد ، فهو ينازل هذه وتلك دون أن يدخر فى قلبه شجنا مبرحاً ، أو لوعة حارة . وإذن فمعروف يهوى الحسن مجرداً عن ذاته كما يراه فى كل لون ووضع ؛ فهو يحب البيضاء إذ تتألق كالبدر ، ويعشق الحمراء إذ يتذكر بها طلوع الشمس ، ويميل إلى السمراء والصفراء جميعاً فى وقت واحد !! وقد يظن بعض الناس أن هذا خيال شاعر لا حقيقة له ، والواقع غير ذلك ، فالجمال لا يقف عند لونه ، وإنما يتعداه إلى الخفة والمرونة . وكأنى بالرصافى وقد وجد قلبه أعظم من أن يختص بواحدة ، فهام بجميع الملاح . اسمعه يقول

وقفت عليكن قلبى الذى   يمر به الحب مر السحاب
فنكن أحببت هذى وتى   والفيت عذبا بكن العذاب

فنكن بيضاء ما مثلها   (عدا حمرة الخد) ألا القمر
فتلك التى طاب لى وصلها   كليلة البدر طاب السمر

ومنكن حمراء جذابة حكى وجهها الشمس عند الطلوع
أرى عينها وهى خلابة فأمسك بالكف منى الضلوع

ومنكن صفراء فى لونها كأن قد تردت شعاع الأصيل
إذا ما تمشت على ضعفها أصحت هبوب النسيم العليل

ومنكن سمراء تحكى الدمى وتبعث فى القلب ميت الهوى
على شفتيها يلوح اللمى فتوقد فى القلب نار الجوى

ومنكن من هى مثل الرياح لها فى ذرى كل قلب هبوب
تريد غلاب جميع الملاح وتبغى عذاب جميع القلوب

فمنكن طرا بوادى الهوى أهيم وإن لم تعد عائدة
ألا إن حبا بقلبى انطوى كثير فلم تكفه واحدة

وطبيعى أن يكون الرصافى فناناً ماهراً فى نظرته إلى المرأة ، فهو يصفها فى دقة وحذق وكأنما أحاط بحركاتها واحدة فواحدة . وقد صور ملهى للرقص فى بغداد ، فكدنا نراه فى القاهرة . والذى يهمنا منه تلك اللوحة الرائعة التى رسمها للراقصة الفاتنة ؛ فقد تكلم عن ثوبها الحريرى تخيل إلى أنه حائك ماهر يصفه لزميله كى يصنع مثله . وانتقل إلى حركاتها السريعة فكاد يسبقها فى الخفة والوثوب ، على أنه يطير معها فى الجيئة والذهوب ، ولن أترك القارىء حتى أضع أمامه جانباً من هذه اللوحة ، فالفن يشوه بالتلخيص أقبح تشويه ، قال معروف :

خطرت والجمال يخطر منها فى حشا القوم جيئة وذهوبا
وعلى أرؤس الأصابع قامت تتمطى تبخترا ووثوبا
يمهس الأنس أن تروح ذهابا وبعيد ابتسامه أن تؤوبا
نحن منها فى الحالتين نرانا نرقب الشمس مطلعاً ومغيبا
حركات خلالها سكنات يقف العقل بينهن سليبا
وخطى تفضح العقول اتساقاً نظمتها تسرعا ودبيبا
لو غدا الشعر ناطقا بلسان لتغنى بوصفها عندليبا
أظهرت فى الجمال من كل عضو لعبا كان بالعقول لعوبا
مشهد فيه للحياة حياة تترك الواله الحزين طروبا

وله من هذا السياق النضيد شىء كثير .

هذا وقد رأيت بعض من كتبوا عنه غب وفاته يعدون ما تنزل به فى المرأة تقليداً واحتذاء ، وحجتهم فى ذلك أن الشاعر لا يهدف إلى فتاة معينة ، وأنا أقول : إن من الخطأ البين ألا نفرق بين ما تفتتح به القصائد من عبارات التشبيب وبين ما يجيش بصدر الشاعر فهتف به . نعم قد يكون الأديب فى إنتاجه متجها إلى عناصر غير الحب واللوعة ، ولكن هل يكون معنى ذلك أنه تناسى عاطفته التى تختلج فى حناياه ، وتتجاهل غريزته التى تموج فى خلاياه ، فإذا قال غزلا فاتنا قيل له من فتاتك ؟ ما اسمها ؟ وفى أى بيئة نشأت ؟ وبأى ثقافة تميزت ؟ وإذا مر الشاعر فى طريق مزدحم ، فوقعت عينه على حسناء ساحرة ثم اختفت عنه فى لجج الزحام الحاشد ، دون أن يعلم عنها أى شىء ، أنقول له : حطم يراعك ، ومزق طرسك ، لأن فتاتك غير معروفة باسمها وصفتها فلا ينبغى أن تنسب بها وإلا كنت صانعا أى صانع ! ! هذا والله شىء عجيب ! !

إن شاعراً يحترم فنه كمعروف لا يمكن أن ينشىء غزلا دون أن تشتجر فى صدره العواطف ، ولنا أن نعد من تشبيبه التقليدى ما يجىء عرضاً من المرأة فى موضوع خاص ، يهدف إلى فكرة خاصة ، لا تتصل بالحب من قريب أو بعيد ، كقوله فى قصيدة « العالم شعر » .

وبيضة خدر إن دعت نازح الهوى
أجاب ألا لبيك يا بيضة الخدر
تهادت تريني البدر محدقة بها
أوانس إحداق الكواكب بالبدر
فلله ما قد هجن لى من صبابة ألفت بهاطىّ الضلوع على الجمر
تصافح إحداهن فى المشى أختها فنحر إلى نحر، وصدر إلى صدر
مررن وقد أقصرت خطوى تأدبا وأجمت أمرى فى محافظة الصبر
فطأطأن للتسليم منهن أرؤسا عليها أكاليل ضفرن من الشعر
فألقيت كفى فوق صدرى مسلماً
وأطرقت نحو الأرض منحنى الظهر
وأرسلت قلبى نحوهن مشيعاً فراح ولم يرجع إلى حيث لا أدرى
وقلت وكفى نحوهن مشيرة ألا إن هذا الشعر من أجمل الشعر

فهذه الأبيات من قصيدة وصفية ، نظمها الرصافى ليعلن أن الطبيعة ديوان شعرى ممتاز ، وأخذ يقلب صفحات الديوان ، فرأى فى سكون الليل قصيدة عاطرة عدها من (أحسن) الشعر ، ورأى فى طلوع الشمس قصيدة بارعة عدها من (أبدع) الشعر ، ورأى فى وحشة المقابر قصيدة باكية عدها من (أفجع) الشعر ،

اتجه إلى المرأة فنظم الأبيات المتقدمة لأنه يرى فى ركب حواء قصيدة ساحرة من (أجمل) الشعر، وإذن فالكلام هنا عن المرأة تقليدى سانج، حيث لم تكن صاحبة الفكرة التى تقوم عليها القصيدة. ومن الظلم البين أن نسحب هذا الحكم على جميع ما ترنم به معروف عن المرأة. وليت شعرى من ينكر صدق العاطفة فى قوله عن فتاة مجهولة.

فتنت الملائك قبل البشر   وهامت بك الشمس قبل القمر
ومسّ بك السمع قبل البصر   وغنى بك الشعر قبل الوتر
فأنت بحسنك بنت العبر

يروح الشتاء وتصحو السما   ويأتى الربيع بهــا غنما
فيطلع فــوق الثرى أنجما   ويبتسم الزهر بعــد الغما
فأنت ابتسامة ذاك الزهر

فطرفك بالفتر كم قد روى   نشيد الغرام يهد القوى
وما أنت شاعرة فى الهوى   ولكنما الشعر فيك انطوى
فآية حسنك إحدى الكبر

فهذا الشعر لو روى لشاعر ممن اشتهرت صاحبته لعد من قوافيه المختارة، فهل يليق بعد ذلك أن نتساءل عن الملهمة، من هى؟

فإذا لم نجد الإجابة الواضحة، حكمنا على الشاعر بالتقليد والصنعة دون تريث!! الحق أننا سطحيون.

ولا بد لنا أن نتكلم عن اتجاه الرصافى فى أقاصيصه الاجتماعية فقد جعل المرأة عنصر الأقصوصة الهام، فلا مناص له من أن يصور خوالجها الهامة، ونوازعها الراجفة، مما يتطلب دراسة عميقة لنفسية حواء. ولهذا كان الشاعر فلسفى النظرة دقيق المنحى، وإن خدع قارئه برونق الديباجة وسلاسة التركيب. ولو ذهبنا نستقصى ما روى له فى هذا المضمار لا متدبنا حبل البحث، ولكننا نضع أمام القارىء قصيدة «أم ليتيم» كنموذج لطريقة الشاعر، فهو يريد أن يندد بالتحزب الدينى، والتعصب المذهبى، وما يجر ذلك من نقص فى الأموال والأرواح، فقام فى قصته برحلة إلى الأحياء المعدمة، فى هدأة الليل، وسمع أنيناً مؤلماً يرن فى كوخ بائس فعرفه، حتى إذا بدأ الصبح أتاه، فرأى به أرملة حزينة — هى بطلة قصته — وأمامها طفل جائع تملله بالطعام، وندع معروفاً يصف لنا الأم الجائعة وما وقعت فيه من التناقض الغريب، حيث جمعت بين الضحك والبكاء فى لحظة واحدة، فهو يقول.

وقفت لديها والأسى فى عيونها   يكلمنى عنها وإن لم تكلم
وساءلتها عنها وعنه(١) فأجهشت   بكاء وقالت أيهــا الدمع ترجم
ولما تناهت فى البكاء تضاحكت   من اليأس ضحك الهازئ المتهكم
ولكن دموع العين أثنــاء ضحكها   هواطل مهما يسجم الضحك تسجم
فقد جمعت ثغرا من الضحك مفعما   إلى محجر باك من الدمع مفعم
فتذرى دموعا كالجمان تناثرت   وتضحك عن مثل الجمان المنظم
فلم أر عيناً قبلها سال دمعها   بــكاء وفيها نظرة المتبسم
وقلت وفى قلبى من الوجد رعشة   أمجنونة يا رب فارحم وسلم

ويسير الشاعر فيذكر حنان الأم الرءوم وكيف ضمت إليها ابنها فى شفقة وعطف، وماذا قال لها الطفل وهو يسأل عن أبيه؟ وكيف أجابته بما يريده الشاعر من أقصوصة فوصفت ما دار بين المسلمين والأرمن من مذابح تجرى دماؤها باسم الدين؟ استمع إلى كل ذلك فى قوله.

وظلت له(٢) ترنو بعين تجودها   بفذ من الدمع الغزير وتوأم
سلى ذا الفتى ياأم أين مضى أبى   وهل هو يأتينا مساء بمطعم
فقالت له والعين تجرى غروبها   وأنفاسها يقذفن شعلة مضرم
أبوك ترامت فيه سفرة راحل   إلى حيث لا يرجى له يوم مقدم
مشى أرمنيا فى المعاهد فارتمت   به فى مهاوى الموت ضربة مسلم
على حين ثارت للنوائب ثورة   أتت عن حزازات إلى الدين تنتمى
فقامت بها بين الديار مذابح   تخوّض منها الأرمنيون فى الدم
ولولاك لا خترت الحمام تخلصا   بنفسى من أتعاب عيش مذمم

ومهما يكن من شىء فالمقام لا يسمح أن نلم بغير هذه القصة الشجية، ذات المغزى الرائع، مما نظمه الشاعر الكبير، ففى كل قصة منظر مختلف لفتاة بائسة، داهمتها الخطوب. ولا ضير على الرصافى إذا أكثر من تصوير هذه المآسى الدامية فقد نشأ فى أمة مزقتها الملل، وتحرشت بها الأحزان، فتقاطرت من عينه الدموع!!

أين أنت يا معروف؟ وكيف خمدت جذوتك الملتهبة، وسكن فؤادك الخافق الجياش؟ ووقف ذهنك الموار.

سكت فلم نسمع غناءك مشجياً   فيا بلبل القطر الشقيق ترنم!

(الكفر الجديد)   **محمد رجب البيومى**

(١)، (٢) الضمير فيهما تعود إلى الطفل.

ترجمة وتحليل :

١ - أمنية الشـــاعر !

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

... أما الشاعر فإنه مفخرة الأدب الفرنسي « الفونس دى لامرتين » ، وأما الأمنية فإنها قصيدة عصرها من حبة قلبه ، فكانت زفرة حرّى تحترق بلهيبها عبرات الذواقين لهذا النوع من الشعر المثالي الرفيع .

وهذه الأمنية تصوير دقيق لما يجيش فى نفس الشاعر المرهف الحس الذى لا ينى يعبر بشعره عن الآفاق التى يدرك عظمتها ولا يصل إليها مهما بذل من الجهد ، وعن العوالم التى يحس روعتها ولا يبلغها مهما ارتقى فى الأسباب .

نظم لامرتين هذه القصيدة - كما حدث عن نفسه - « فى فترة من حياته تحولت فيها فكرته - التى كانت لا تتوخى غاية ، ولا تبين أمنية ، ولا تمنى بهذه الأرض ومن عليها - تحولا طبيعياً منتظراً نحو السماء وبانيها ، ونحو الطبيعة وبارئها ، فأمست أناشيده كلها دينية . يومئذ عرف أرواحاً كانت تقواها ثمرة دموعها ، وعرف أرواحاً أخر كانت عبادتها كأريج الربيع الفواح تحت أضواء الشمس المشرقة التى تمتع القلب بالبشر والسرور . ولقد أحب أن تكون روحه من هذه الأرواح الأخر .

حطم الألم أعصابه ، ورده صامتاً لا يبين ، جاحداً لا يؤمن ، يائساً لا ينتج . ثم أقبلت عليه السعادة بعد إدبار ، فحببت إليه الإيمان وزينت فى قلبه ألحانه ، فعاد ناعم الفكر ، رخى البال (*)

فى تلك الفترة التى عاد فيها إلى إيمانه أو عاد إليه إيمانه نظم قصيدته فى مدينة من مدن إيطاليا تسمى (ليفورن) (Livourne) سنة ١٨٢٧ . ولست أدرى ما الذى يربط قلبى بقلب لامرتين، فما تأملت إحدى قصائده إلا أحسست كأنه ينظمها بلسانى أو أنثرها عن لسانه ، أو يكتبها من لوحة قلبي وأتلوها فى لوحة قلبه ؛ وما أريد بهذه الكلمة أن أعلو بنفسى إلى أفق هذا الشاعر العظيم فى روعة تصويره ، وسحر خياله ، فما ينبغى لى هذا ولا أستطيعه ؛ إن أريد إلا أن أتيح لقلمى بعض العذر فى ترجمة قصائده وتحليلها كلما وجدت فراغاً ، وآنست رغبة .

(*) Llarmonies Poétipues of Religieuses p 302

لم يبح لامرتين لنفسه تصوير أمنيته إلا بعد أن أعلن عجزه ، واعترف بعى لسانه : فشعوره أسمى من أن يترجم عنه ما تيسر له من الكلمات المحدودة ، وتفكيره أعلى من أن يذيعه لسانه العى الذى لا يحسن الابتكار والتوليد .

١ - « آه ! لو كانت لى كلمات وصور ورموز
ترجمت عن شعورى !
ولو كان لسانى العىّ قادراً على التعبير
لأذاع تفكيرى ! »

أما وقد أبت الكلمات الحية ، والصور الناطقة ، والرموز الموضحة ، أن تواتيه وتكون مطواعاً لقلبه ولسانه - فليس أمامه إلا سلوك المنهج الذى سلكه الشعراء من قبله - وسوف يسلكونه من بعده - فليمثل مثول الخاشع الخاضع بين يدى السماء ، وليصف حكمتها بأرفع ما يجرى به لسانه من آى المديح والثناء ؛ فالتقديس لها ، والسرمدية عنها ، والأزلية منها ، لأنها ما أخرجت من ظلمات العدم شيئاً إلا أدخلت عليه نور الحياة ، ولا أبدعت للوجود كائناً إلا علمته لحناً ينشده فيطرب ، ولا بثت فى السقف المرفوع كوكباً إلا أنزلت عليه وحياً يتلوه فيرضى ، ولا حددت للمسافات موضعاً إلا جعلت له مغنى تصدح بلابله فيشجى السامعون . .

٢ - « إنها الحكمة قدسية سرمدية وروح أزلية ،
تُعد العالم كله بالحيـاة !
فللكلّ كائن لحنه ، ولكل كوكب وحيُه ،
ولكل موضع مغناه ! »

ويمضى لامرتين فى تأمله فيرى أن ينبوع هذه الأنغام كلها نغم واحد ، ولكنه ليس عادياً توقعه أنامل العاديين ثم يفتر بفتورهم ، ولا عبقرياً تتلاعب به قلوب العباقرة فيختنق بموتهم ؛ وإنما هو نغم خالد لا يفتر ، قديم لم يتغير ، أزلى لن يختنق . أخذ من عيون الطبيعة سحراً يسبى القلوب ، ومن وقارها هيبة تأسر النفوس ، ومن خلاقها العظيم رهبة تعجز العقول . ومع أن جرْس هذا النغم رتيب لا يتبدل فإنه حلو فى الإسماع كلما تكرر ازداد حلاوة .

٣ - « ما لهؤلاء إلا نغم واحد ، ولكنه كالطبيعة ساحر مهيب ،
وكخلاقها عظيم ذو جلال !
وإن هـذا النغم الخـالد ، بجرسه الرتيب ،
لمحبوب يا إلهى فى كل مجـال ! »

وكيف لا يكون هذا النغم محبوباً وهو موسيقى مختلفة الإيقاع؟ فنه صوت الرياح إذا هبت تداعب الأمواج، وصوت البحر إذا تنهد شوقاً أو زمجر ضجراً، وصوت الصاعقة إذا توعدت انذاراً، ودوت غضباً. وهل من غبي بين البشر لا يعرف ماذا تعني هذه الأصوات؟

٤ — «فإذا الرياح هبت على الأمواج، وإذا البحر تنهد أو زمجر،
وإذ الصـــاعقة قدمت بالوعيد ...

ليت شـــعرى، هـــل من غبي بين البشر،
يســـأل عما تريد؟؟ ...»

كلا ... لن يسأل عن مرادها سائل، فإنها تفصح بلسان مبين عن كل ما تروم: فما مداعبة الرياح للأمواج، وما تنهد البحر وزمجرته، ولا دوى الصاعقة ووعيدها، إلا مظاهر من رحمة الله وقهره، تتجلى تارة في جلاله وقدرته وفضله، وتارة في غضبه وانتقامه وعدله. ولو سألت الرياح عن أغانيها، والبحار عن تأوهها وأنينها، والصواعق عن إنذارها ووعيدها، لقالت: إنها تسبح بحمد الله، وإن من شيء إلا يسبح بحمده؛ ولتداعت إلى الفرار إذا ذر شارق من نور وجهه، أو لاح بارق من نور ظله؛ ولتنادت إلى السكوت، واجتمعت على الإصغاء، وائتلفت لسماع النغم الوحيد الذي يرسله من لدنه ليملأ الدنيا ألحاناً وأغاريد!

٥ — «قال قائل منها: يا لجلال الله! وقال ثانيها: يا لقدرته وفضله!
وقال آخرها: يا لغضبه وانتقامـــه!

ثم ولى أحدها هارباً من إشراق وجهه، وقال آخر: قد لاح بظله!
أينها السموات والأرض أصيخي لكلامه!»

بيد أن الفرق واضح بين الإنسان وهذه الطبيعة، فإن هذه تنطق بلسان الحال فيغنيها عن لسان المقال، وذاك أوتي لسان المقال ليعبر عن لسان الحال، ومقاله متوقف على الألفاظ، وما الألفاظ إلا قوالب للمعاني لا تنبض بالحياة، ولا جناح لها فتحلّق في الأجواء، أو تنطلق في الآفاق، كهذه الطيور التي تهيم في كل مكان، وتحط على كل شجرة، وتهبط كل واد، وتعلو كل جبل، وترى كل شيء. ولئن كانت فكرة الإنسان خالدة لا تموت — لأن موحيها الحي القيوم كتب لها الحياة — فإن ألفاظه المعبرة عنها لأصداء ترجع الأصوات، وما كان لصدى أن يدوم، فلا يلبث أن يزول.

٦ — «لكن الإنسان الذي خلقته، هذا الذي يفهم الطبيعة،
لا يهتدي بغير الألفاظ إلى المعاني الرفيعة؛

«وإن ألفاظاً فاقدة الحياة مهيضة الجناح، إذا قيست بفكرته التي لا تموت
كانت أصـــداء وشيكة السكوت!»

مسكين هذا الإنسان الذي ينشد الحقيقة فلا يظفر إلا بصداها، ويروم الانطلاق من سجنه والتفلت من قيده، فيضرب بينه وبين رغبته بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب: فمثله كمثل العاصفة يحدق بها الغمام من كل جانب؛ ويطبق عليها من كل مكان تماسده فيضحك، وتحاول تمزيقه فيبتسم، وتود لو انفجرت لتفارقه فيصفح عنها لتلازمه، فلا هو بتارك لها منفذاً، ولا هي بقادرة على الفرار. أو كالموجة محبوسة في هذا البحر الميمون تود لو رأت عالماً سواه، إلا أن الشاطئ يقف في طريقها سداً منيعاً، فتثور في وجهه فتلطمه لتتغلب عليه فلا يتزحزح، وتهدأ ثائرتها فتغسل قدميه لتسترضيه فلا يبالي، وتعيد الكرة من غير أن تصيب نجاحاً، فتيأس من العلو عليه، وتقنع بسجنها قناعة العاجز الساخط، لا قناعة الراضي المقتدر.

٧ — «روحه كالعاصـــفة ... في الغمام تزمجر،
ولا تســـتطيع أن تنفجـــر

أو كالموجـــة الحبيسة تلطم الشـــاطئ وتجلوه،
ولا تســـتطيع أن تعلوه!»

واللوم على كل حال روح الإنسان لا ملهمها، لأن هذه الروح مغرورة تحاول أن تجتاز الحد الذي وضع لها، فيدركها التعب، ويسرع إليها الضنى: تريد أن تبرهن على قوتها وهي ضعيفة، وعلى علمها وهي جاهلة، وعلى مقدرتها وهي عاجزة؛ فهي كهذا النسر الصغير الذي لم ينبت ريشه بعد، يريد أن يطير كما تطير النسور، ويريد أن يسابقها منذ تفتحت عينه على عالم النور، ولكنه يتبين ضعفه فيقنع نفسه بالوثوب على الأرض، ثم يتبين عجزه فإذا هو قانع بالترفق في دبيبه، يمشي مشية الحذر، ويبطئ إبطاء الذي يزحف شاكا مستريباً.

٨ — «وتتعب نفسها وتضنيها كأنها نسر صغير،
لم ينبت له بعـد شـكير

تتفتح عينـه على عالمه، فيـترفق في الدبيب،
ترفق الزاحف المستريب!»

(التتمة في العدد القادم)

صبحى ابراهيم الصالح

عبد القادر الحسيني!

للأستاذ أحمد مخيمر

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . . . »

نلت الشهادة فاهنأ أيها البطل بمثل عزمك تبنى مجدها الدول
أمامك الجنة الخضراء تفتحها لك الدماء التى أهرقت والأسل
السابقون من الأبطال قد دخلوا والصاعدون من الأحرار قد وصلوا
ودوا لحب الوغى لو أنهم رجعوا ليقتلوا مرة أخرى ، كما قتلوا
يعانقون ظباها ، وهى هاوية كأنما الطعن فى لبّاتهم قُبل
ستلتقون على أنهارها زمراً ، وفوق أرواحكم من خلدها ظُلل
والدوح يرقص والأنوار هامسة والطير تدنو، وتستعلى، وترتحل

يا ابن الحسين! دموع الحزن جارية وناره فى طوايا القلب تشتعل
على شبابك نبكى لوعة وأسًى وإن يكن لحياة الخلد ينتقل
شمس طوتها المنايا وهى مشرقة صبحاً ولم يدن من آفاقها الطفَل
وزهرة من نضير الزهر ذات ندى لم يشبع الفل منه غصنها الخضِل
على ابتسامك ، والهيجاء عابسة والنار تصرخ ، والأسياف تقتتل
على اقتحامك ، والأبطال شاكية وللدماء على أبدانها سبل
على إرادة مرهوب العزيمة ، لا ريث إذا طمت البلوى ، ولا عجل
كأنها هَبَّةُ الإعصار جارفة ، ودفعة السيل ، والعسّالة الذُّبل
إن يقتلوك فبالذل الذى شربوا من راحتيك ، وبالضيم الذى نهلوا
ملأتهم بظلام الخوف ؛ فانطلقوا وفوق أعينهم من ليله سدُل
من لا تبادره بالسيف بادره من نفسه القاتلان الجبن والوجل
لو لم يُعنهم بنو التاميز ما حملوا رمحاً ، ولا قاتلوا لو أنهم حملوا
أخس ما شهدته الأرض من أمم كأنهم من قرار الذل قد جبلوا
للموت ما ولدوا ، للقبر ما حشدوا ، للخسر ما بذلوا ، للضيم ما نسلوا
الذائقون على كفّيك مصرعهم والتائهون ، فلا مهل ولا جبل
والكاذبون إذا أبطالكم صدقوا والقائلون إذا شجعانكم عملوا
والحاشدون ألوفاً لا غناء بها يوم الصدام ، وخير منهم رجل
لهم من الحرب أفلال ، ومسكنة ، وذلة ، ولك الأسلاب والنفل . .

يا حامى القدس من كيد يُرادُ به خلا العرين ، ومات الضيغم البطل
أغناك عزمك عن نظم ، وعن خطب فلم تزل بلسان السيف ترتجل
أرسلتها كلمات منه دامية حمراء آذانها الأخلاد والقلل
بريقها وهى تهوى فى مقاتلهم بلاغة خشيت لألاءها المقل
لو لم تكن بك قد هامت مضاربه لما غدا وله من حزنه ألل
يبكى . فأبكى ، ولم تبرح مدامعه لما قضيت مع الباكين تنهمل
يرنو لشبليك محزوناً ، ونائحة وراء نعشك ثكلى شفها الخبل
قد أذهلتها المنايا ، فهى حاسرة بين الحشود ، فلا خدر ولا كلل
لم يُبق فى قلبها التوديع من جلد إن الفراق بغيض ليس يحتمل !

يا حامى القدس ، دعهم يشمتون فما يستأخر العمر يوماً إن دنا الأجل
فى حومة المجد والأرماح مشرعة لقيت حتفك ، والأبطال تنتضل
فما جبنت على يأس ، كما جبنوا ولا خذلت على روع كما خذلوا
ولا أدرت وجوه الخيل مدبرة فى الموقف الضنك من خوف وقد فعلوا
وليس أشرف من موت حظيت به والنصر دانٍ إلى عينيك مقتبل
والنقع فوق رءوس القوم يثقله من الدماء التى أهرقتها بلل
وللكماة على أسلابهم فرح ، وللسيوف على أشلائهم زجل
وراية العرب تستعلى ، ورايتهم ممزق جانبيها العار والخجل . .

يا ابن الحسين تحيات نرددها ما أشرق الصبح ، أو ما ابيضت الأصل
غامرت فى الشرف الأعلى ففزت به وجاذباك إليه الحب والأمل
ونلت فى حومة الهيجاء ما طمحت يوماً إلى مثله آباؤك الأول
جنات عدن إلى لقياك ظامئة والسابقون لدار الخلد ، والرسل
من لؤلؤ قصرك الثاوى على شرف يرف فى ساحته البشر ، والجذل
والماء من ربوات الخلد يدفعه لظله الأبد المذخور والأزل
والظل بالماء فى الشطآن مقترن والماء بالقصر دون الظل متصل
وللملائك تسبيح وهينمة كما ترنم شاد بالهوى زجل
فانعم بخلدك فى أبهائه فرحاً إن الخلود جزاء أيها البطل . .

(الزقازيق) أحمد مخيمر

الأدب والفن في أسبوع

جوائز فؤاد الأول :

كان يوم الأربعاء ٢٨ إبريل الماضي يوم الذكرى الثانية عشرة لوفاة المغفور له الملك فؤاد الأول . وفي ذكرى فؤاد الأول احتفل بتوزيع جوائز فؤاد الأول في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الأول ، وهكذا اجتمعت كل هذه المعاني في هذا اليوم المشهود كما قال معالي وزير المعارف في كلمته التي افتتح بها الحفل . ثم أعقب معاليه معالي الأستاذ علي عبد الرازق رئيس لجنة الفحص لجائزة الآداب ، فمعالي الدكتور محمد بهي الدين بركات باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة القانون ، فسعادة الدكتور حسن صادق باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة العلوم ؛ وتحدث كل منهم عن أعمال لجنته وخصائص المؤلفات التي فاز أصحابها بالجوائز . وقد تضمنت كلمة رئيس لجنة الأدب أن اللجنة رأت نفسها إزاء كتب ثلاثة لم تستطع أن تفاضل بينها لتختار منها اثنين لجائزتي سنة ١٩٤٧ وسنة ١٩٤٨ فقررت فوز كل من الثلاثة بجائزة كاملة .

وأعلن رئيس لجنة العلوم قرار اللجنة المتضمن إرجاء توزيع جائزتها إلى العام القادم .

والفائزون في الأدب هم — وفق ترتيب حروف الهجاء — الدكتور أحمد أمين بك ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والدكتور محمد حسين هيكل باشا . وقسمت جائزة القانون بين الدكتور حلمي بهجت بدوي والدكتور محمود حسين أبو عافية .

الألفاظ والأساليب في المجمع اللغوي :

ألفت بمجمع فؤاد الأول للغة العربية في العام الماضي ، لجنة الألفاظ والأساليب ، واختير الأستاذ أحمد أمين بك رئيساً لها والأستاذ علي الجارم بك كاتب سرها ، وحددت أغراضها بالبحث فيما يرد بالصحف والمؤلفات الحديثة ، وما يجري على ألسنة المثقفين من ألفاظ وأساليب ، لمعرفة الصحيح من غيره ، وتعديل ما ليس بصحيح ، ووضع صحيح بدلا مما لا يمكن تعديله ؛ على أن تعرض ما تنتهي إليه على مجلس المجمع ، ثم تذاع قراراته فيها بعد ذلك على الجمهور في الصحف .

وقد بحثت اللجنة كثيراً من تلك الألفاظ والأساليب ، وأعدت في اجتماعها الأخير قرارات في ستة عشر لفظا وأسلوبا ، وعرضت على مجلس المجمع الذي شرع في مناقشتها بجلسة يوم الاثنين الماضي ، وسيوالي النظر فيها في الجلسات التالية وستذاع عقب إقرارها . ومن الألفاظ التي وافق عليها المجلس لفظ « مهرج » لمن يضحك الناس . وقد بنيت صحة هذا اللفظ على قرار سابق للمجمع يجيز تضعيف الثلاثي للتعدية والتكثير ، والموجود في اللغة « هرج » ثلاثياً بمعنى خلط ، فالمهرج هو الذي يخلط في كلامه لإضحاك الناس ، وقد استحسن الدكتور طه حسين بك هذا الاستعمال وأبدى رأيه في أن يضمن « المعجم اللغوي الكبير » الذي يشرف الدكتور طه حسين على إعداده ، كل ما يعتمد من الألفاظ والأساليب التي تبحثها اللجنة .

الاستفتاءات اللغوية :

ومن عمل لجنة الألفاظ والأساليب النظر فيما يرد على المجمع من استفتاءات لغوية وأسلوبية ، وتتولى الإجابة عليها ، ثم ترسل هذه الإجابات إلى أصحابها .

ولعل من المفيد أن ينشر من هذه الإجابات ما يرى في نشره فائدة عامة ، فأقترح على اللجنة أن تضم مثل هذا إلى الألفاظ والأساليب التي تذيعها .

وقد ردت اللجنة على ثمانية استفتاءات . ومن الطريف أن بعض هذه الاستفتاءات ورد من طبقات شعبية ، وهي ظاهرة سارة لما تدل عليه من رغبة هذه الطبقات في استعمال الصحيح من اللغة ، ومن ذلك استفتاء من رئيس نقابة عمال التنجيد ، يسأل فيه عن كلمة « تنجيد » ليستعملوها في تسمية النقابة إن كانت صحيحة أو يدلهم المجمع على صحيح بدلا منها إن لم تكن كذلك ، فأرسل المجمع إليه بصحتها .

القصص الإنساني :

تنقل الأستاذ محمود تيمور بك في الأسبوع الماضي بين الجامعات الثلاث : جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، وجامعة فاروق

بالإسكندرية، والجامعة الشعبية بدمنهور، حيث ألقى محاضرات فى « القصص الإنسانى » وقد تضمنت هذه المحاضرات آراء شخصية للأستاذ المحاضر، بناها على تجاربه وممارسته لفن القصة فتجلت فيها أصالة البحث والتفكير، وكذلك تعرض فى هذه المحاضرات للكثير من القضايا التى يتنازع فيها النقاد خاصة بالمذاهب الأدبية والفنية فقد ناقش الفكرة التى تنادى بتجنيد القصة للاصلاح الاجتماعى وتناول الأعمال الفنية للآراء والمشكلات القومية — مناقشة دقيقة خلص منها إلى القول بأن إجراء ذلك عبث بالفن، وأن الكاتب إن لم يكن حراً طليقاً فلا صدق فى فنه، وأنه إذا كان صادقا قوى الإلهام واستطاع أن يحس إحساسا عميقاً بمبدأ من المبادىء أو مشكلة من المشكلات، استطاع أن يعبر عنها فى عمل فنى يجد فيه المصلح الاجتماعى تأييداً لقضية الإصلاح أو تعزيزاً لمبدأ من المبادىء. فأما أن يتكلف الكاتب معالجة إحدى هذه المشكلات أو يذعن لرغبة من الرغبات الخارجية فى هذا الصدد، فإنه يكون متكلماً كاذباً على نفسه وعلى الإلهام الفنى.

وكان فيما تناولته المحاضرة حديث عن التاريخ بين العالم والفنان، وقد شرح الفرق بين موقف المؤرخ والقصاص من أحداث التاريخ ومشاهده، فقال إن العالم مضطر أن يذعن للحقائق ويتحرى دقة الأرقام وصدق الوقائع، فأما الفنان فإنه يقرأ هذه الحقائق ويتمثلها، ثم يترك لوحيه الفنى أن يلهمه صورة لا تكذب على التاريخ برسومها وأعلامها، ولكنها ليست ترجمة تاريخية مبنية على وقائع، ثم قال إن المؤرخ العالم قد يقرب من المؤرخ الفنان إذا اصطبغ أسلوبه وتصويره بصبغة فنية، وكذلك المؤرخ الفنان قد يقرب من المؤرخ العالم إذا التزم الدقة التاريخية جهد الإمكان، ولكن الذى لا شك فيه أن مهمة كل منهما تختلف عن مهمة الآخر وأن النظرة إلى كل منهما يجب أن تكون نظرة خاصة وأن تقدر عملهما على هذا الاعتبار.

وقد أفاض المحاضر القول فى مذهب ما وراء الواقع وأثره فى القصة الفنية وفى الرسم والرقص والموسيقى، وقال إن هذا المذهب يستمد من العقل الباطن ويجب أن يكون له رقيب من العقل الواعى وإلا كان كالبركان يقذف بالحمم وكالعباب يطغى موجه إلى حد الإغراق.

وختم الأستاذ تيمور بك محاضرته بالإشارة إلى أن القصة الخالدة هى القصة التى يتوافر حظها من العناصر الإنسانية الثابتة بغرائزها وطبائعها، والتى لا تقتصر على جاذبية اللون المحلى والموضوعات الوقتية، والتى لا تعتمد على قضايا المنطق والحكمة ولا تؤثر الوعظ المباشر والنصح الظاهر والتأييد المكشوف للقضايا الاجتماعية. ثم ألمع إلى أن خير الطرق فى تربية النشء بالقصة هو أن نضرب صفحاً عن الأمثال والمواعظ الجامدة التى لا يحس الناشىء أثرها فى واقع الحياة، وأن نستعيض عن ذلك بقصص إنسانية تربى فى النشء فطنة وتبصراً بالحياة التى يعيشها فلا يعرف حين يمارس هذه الحياة أن أصحاب الأمثال والمواعظ كانوا يتكلمون عن عالم لا صلة له به ولا وجود له فى حياته.

الاتجاهات الاجتماعية فى العالم العربي :

كان موضوع « الاتجاهات السياسية والاجتماعية الحاضرة فى العالم العربي » أو بعبارة أدق كان استيفاء الكلام فى هذا الموضوع، آخر حلقة فى سلسلة « العالم كما هو اليوم » التى نظمها قسم الخدمة العامة فى الجامعة الأمريكية، فمنذ أسابيع تحدث فيه الأستاذ محمد صلاح الدين بك، وأوردنا خلاصة حديثه فى حينه، وكان كله فى الاتجاهات السياسية، أما الشق الثانى من المحاضرة وهو الاتجاهات الاجتماعية فقد ضاق عنه الوقت فى المرة الأولى، فكان موضوع الحديث الذى ختمت به السلسلة فى يوم الجمعة الماضى بقاعة يورت التذكارية.

قال إن الهدف الذى يرمى إليه العالم العربي الآن هو التمتع بالاستقلال والحرية، والتمتع بالحياة الدستورية الديمقراطية التى تقوم على سلطة الأمة، وتهدف إلى أن تحيا الأمة حياة إنسانية كريمة؛ والعالم الآن تسوده مبادىء اجتماعية، هى فى نفس الوقت اقتصادية، يقصد بها تحقيق سعادة الناس؛ وهى الرأسمالية التى تمثلها أمريكا، والشيوعية التى تتمثل فى روسيا، والاشتراكية كما تطبقها الحكومة البريطانية، ومدار الخلاف بين هذه المبادىء على الإنتاج والتوزيع. فالرأسمالية تقوم على الحرية فى السعى وترك ثمرات العمل لأصحاب الجهود، والمبدأ الشيوعى يجعل المجموع الذى تمثله الحكومة يملك كل شىء، وتوزع المنتجات على الجميع، ولكن هل تقسم بالمساواة المطلقة، أو على حسب الحاجة؟ الواقع أن ما يجرى فى البلاد الشيوعية يحجبه « الستار الحديدى » الذى يمنع تسرب الأخبار الحقيقية، على أنه يؤخذ

مما يرد من الأخبار أن الملكية الآن فى روسيا موجودة فى غير أدوات الإنتاج ، كالمنازل والأثاث ، أما أدوات الإنتاج كالأراضى الزراعية والمصانع ، فلا يملك الأفراد شيئاً منها ؛ وكل يأخذ على حسب جهده ، ورجال الفكر وأهل الفنون هم أحسن الجميع حالا لكثرة مكاسبهم . وأما الاشتراكية المعتدلة فهى التى تطبقها الحكومة البريطانية وهى طبعاً تقر الملكية الفردية ، ولكن مبادئها تتمثل فى تأميم بعض المرافق ، أى تنظيم الحكومة له وقيامها عليه ، وبقية المرافق يقوم بها الأفراد والشركات ، كما تتمثل فى رعاية الحكومة للطبقات الفقيرة وفرض الضرائب التصاعدية وغير ذلك .

وبعد أن أفاض المحاضر فى شرح تلك المبادىء من الوجهة العملية وبيان ما يؤخذ على الرأسمالية وما تعاب به الشيوعية قال : تتسرب أخبار هذه المبادىء إلى مصر وإلى سائر البلاد العربية ، فتشغل الأذهان بالتفكير فى أيها يصلح أن يقوم عليه النظام الاجتماعى عندنا . وأسلم سبيل أن نسعى وراء أمر واحد ، هو العدالة الاجتماعية ، فنسعى لرفع مستوى الحياة عامة ، وتحقيق العدل بين الطبقات ، ونستطيع أن نضع خطوطاً عامة لتحقيق العدالة الاجتماعية فيما يلى :

١ — التخلص من السيطرة الأجنبية التى هى سبب ما نحن فيه من جهل وفقر ومرض .

٢ — تقريب مسافات الخلف بين الطبقات بمختلف الوسائل كالضرائب التصاعدية وتحسين أحوال الطبقات الفقيرة .

٣ — ضمان العمل لكل مواطن ورفع الأجور ووضع حد أدنى لها بحيث يكسب العامل ما يقوم بجميع حاجاته .

٤ — أن نعطى المواطنين فرصاً متساوية ، وذلك بتعميم التعليم والتداوى ، بحيث يكون كل منهما ميسوراً لكل فرد من أبناء الأمة .

٥ — الضمان الاجتماعى بجميع أنواعه ، كالتأمين من العجز عن العمل والشيخوخة ورعاية من يتركهم المتوفى من الأولاد وغير ذلك .

وحذر فى ختام المحاضرة من الاستجابة للدعوات الهدامة لما فيها من خطر التدخل الاستعمارى ، إلى مخالفتها للأديان ونظام الأسرة ، وإلى ما تؤدى إليه من الحجر على الحرية العامة بالنسبة للأفراد ، لأن الحكومة فيها هى صاحبة الحرية المطلقة ؛ ودعا إلى التزام الحيدة فى المبادىء الاجتماعية وفى السياسة المالية .

تعقيب :

ومما يلاحظ أن المحاضرين الآخرين فى الاتجاهات السياسية والاجتماعية فى البلاد الغربية ، كانوا يصفون الاتجاهات « الحاضرة » أما صلاح الدين بك فقد كان مجاله — كما رأيت — شرح المبادىء العالمية ، وبيان ما يجب أن تكون الحال عليه عندنا ؛ ويخيل إلىّ أنه عمد إلى ذلك فراراً من حرج الكلام فى حالنا التى تبلغ غاية السوء ، وماذا يقول ؟ إن جميع تلك المبادىء تضع رفع مستوى المعيشة العام فى مقدمة ما تعنى به ، فأين نحن حتى من الرأسمالية الأمريكية ؟! ولو أن باحثاً أراد أن يعرف المبدأ الاجتماعى الذى نسير عليه ، لما وجد له غير اسم واحد ، هو « الظلم الاجتماعى » .

الشروق :

أصدر الأستاذ حسن كامل الصيرفى فى الأسبوع الماضى ديوانه الجديد « الشروق » والأستاذ الصيرفى من رواد الشعر الحديث ، له « سلوك شعرى » خاص فهو لا يقول فى المناسبات وقل أن يشترك فى الحفلات ، لا يلتزم إلا بالدوافع الشعرية الخالصة ، وهو يدع شعره يسير بنفسه فلا يدفعه بما يدفع به بعض الناس أشعارهم . وديوان الشروق من القليل الذى يثبت وجود الشعر فى هذه الآونة .

العباس



معرض الرسام زهدي :

أقام الرسام زهدى معرضاً فى نادى الصحفيين هذا الأسبوع تحت رياسة الوزير العالم معالى إبراهيم دسوقى أباظه باشا عرض فيه سلسلة من الرسوم تمثل الوقائع المتتابعة للتاريخ المصري والعوامل التى سيطرت على توجيهه منذ الحملة الفرنسية حتى نهاية حكم إسماعيل باشا ، وليس هذا فى الواقع بالعمل الهين ، فإنه اتجاه يقتضى الدراسة والاستيعاب والإندماج الروحى فى جو ذلك التاريخ حتى يمكن أن ينفعل إحساس الفنان بحقائقه واتجاهاته فيرسمها بريشته وكأنها أجسام حية ناطقة تتمثل مشاهدها للنظر والفكر .

والتعبير عن الحقائق التاريخية بقلم المؤرخ أسهل بكثير من التعبير عنها بريشة الرسام ، لأن المؤرخ يسرد لك الوقائع على ما تؤدى إليه المقدمات من نتائج ، وتدل عليه الإتجاهات من حقائق ، أما الرسام فإنه لابد أن يعرض عليك فى هذا شيئاً يستوقف النظر ويثير الإحساس ويوحى إلى الذهن ، وهذا كله ما وفق إليه ذلك الرسام المصرى المؤمن بفنه وبوطنه وبفكرته .

وحقائق التاريخ حين تظهر فى معرض الفن تكون أروع مظهراً وأشد تأثيراً وأبقى على الزمن وأخلد ، فإننا ما نزال نتغنى بحروب الإغريق ووقائعهم التاريخية ، لا كما دونها المؤرخون ، بل كما أنشدها فى القديم شاعر ضرير إسمه هوميروس .

لهذا كان اتجاه الرسام زهدى إلى تصوير حقائق التاريخ المصرى ووقائعه فى فترة من فترات التطور أجل خدمة نحو قوميتنا ونحو تاريخنا يؤديها الفن ، ولقد تجلت فى رسومه دراسة المؤرخ وتمحيصه للحقائق ، إلى جانب ما تجلى من روعة الفن وبراعته . وإن من الواجب على وزارة المعارف أن تضع يدها على هذه الرسوم التى تمثل تاريخنا الحديث أروع تمثيل ، فتضمه فى كتاب إلى طلاب المعاهد والمدارس وأبناء الوطن ، وبهذا تؤدى ما قصد إليه ذلك الفنان البارع من خدمة التاريخ المصرى والقومية المصرية .

لو أن فناناً أجنبياً عرض على وزارة المعارف مثل هذا العمل لوقفت أمامه خاشعة وقامت له مهللة ، وبفتح فى الميزانية اعتماد ضخم لإخراجه .. ولكنه اليوم عمل فنان مصرى صميم كأروع ما يجب أن يكون ، فهل آن لنا أن نؤمن بالنبوغ المصرى فنؤازره وننتفع به ؟

محمد فهمى عبد اللطيف

النحو الجديد :

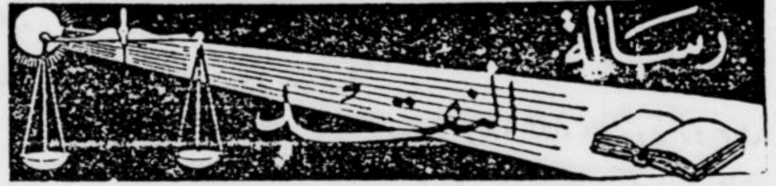
أخرجت دار الفكر العربى فى هذه الأيام كتاب النحو الجديد للأستاذ عبد المتعال الصعيدى ، فكان فتحاً جديداً فى باب التجديد ، لأنه قلب نحو سيبويه رأساً على عقب ، وأصابه فى الصميم من أصوله وفروعه ، ودل بهذا على أن دعاية التجديد بيننا ليست جعجعة لا طحن لها ، وإنما هى حركة ستتناول الصميم من علومنا ، وستميدنا علماء نجتهد ونجدد كما كان يجتهد ويجدد علماؤنا الأولون ، ولا شك أن جمود علومنا القديمة هو الذى يقعد بنا جميعاً عن النهوض ، لأن التكاسل يعدى ، كما قال الشاعر :

تثاءب عمرو إذ تثاءب خالد ... بعدوى فما أعدتنى الثؤباء

لقد ابتدأ كتاب النحو الجديد بدراسة محاولات التجديد الحديثة فى قواعد النحو ، فدرس المحاولة الأولى للأستاذ إبراهيم مصطفى فى كتاب إحياء النحو ، وفى رد الأستاذ محمد عرفة عليه فى كتاب النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ، ثم درس المحاولة الثانية فى تقرير اللجنة التى ألفتها وزارة المعارف لتيسير تدريس قواعد اللغة العربية ، وفى تقرير اللجنة التى ألفت بدار العلوم للرد عليها ، ثم درس المحاولة الثالثة للمؤلف فى تيسير قواعد الإعراب بمجلة الرسالة سنة ١٩٣٨ م ، ثم درس المحاولة الرابعة للأستاذ أمين الخولى فى تذليل اضطراب الإعراب والقواعد ، ثم درس المحاولة الخامسة للأستاذ شوقى ضيف فى إلغاء نظرية العامل لابن مضاء القرطبى فى كتاب الرد على النحاة

ثم ختم هذه الدراسة التى تسجل أعظم ثورة على نحو سيبويه بوضع آجرومية جديدة للنحو ، وهى آجرومية تراعى غاية النحو الكبرى من تمثيل الإعراب لمعانى الجمل العربية ، وقد حذفت على هذا الأساس كل حشو فى النحو ، كباب البناء وباب الاشتغال ، ثم أضافت أبواباً منه إلى أبواب ، لأن التفرقة بينها تخرج بالنحو عن غايته من تمثيل الإعراب للمعانى ، وقد حققت مع هذا ما أرادته وزارة المعارف من تيسير قواعد الإعراب

(ص)



« طفولة نهــــر »

لنزار قبانى

للأستاذ أنور المعـــداوى

نزار قبانى ؟ .. أين كان هذا الشاعر وأين كنت ؟ !

ما أكثر ما يقع فى يدى من دواوين الشعر فى هذه الأيام ، فلا أكاد أقبل عليها حتى أعرض عنها .. إلا هـذا الديوان ! لقد لقيت صاحبه منذ شهر لأول مرة ، وأسمعنى بعض شعره لأول مرة ، ولم أشأ يومئذ أن أقطع برأى فى فنه خشية أن يكون قد قدم إلى خير قصائده .. أما الآن ، فأستطيع وأنا مطمئن أن أقدم هذا الشعر إلى الناس .. وأن أقدم صاحبه .

وقبل أن أضع هذه المجموعة الشعرية فوق مشرحة النقد ، أقول إنها تثير مشكلة طال حولها الجدل وسوف يطول ، ما دام هناك أناس ينشدون الفن للفن ، وأناس ينشدون الفن للمجتمع . أما أولئك فهم الذين يفهمون الفن وأصوله ، وعلى أى الدعائم يجب أن تقام . وأما هؤلاء فلا يريدون للفن إلا أن يسير فى ركاب المجتمع ولو تنفس برئتين صناعيتين ، غافلين عن أن رسالة الفن ما هى إلا صدق التعبير عن الحياة ، التعبير عما فيها من جمال وقبح من تناسق وشذوذ ، من خير وشر ، من حرية وقيود !

سيقول من لا يفهمون رسالة الفن إن « طفولة نهر » ما هو إلا صلوات فكر فى محراب الجســـد ، أو صلوات روح ، أو صلوات شعور .. وسأقول أنا إنه صلوات فن ؛ وحين يرتفع صوت الفن بالصلاة يجب أن تخمد كل الأصوات ! إن الدفاع هنا ليس دفاعاً عن صاحب هذا الشعر ولكنه دفاع عن الفن .. إن الفن الصادق لا يعرف القيود ، ويوم يتشح الفن بغلالة واحدة من غلائل النفاق الاجتماعى فقل إنه قد انحرف عن الجوهر الأصيل فى رسالته ، وهو أن يعبر عن الحياة فيصدق فى التعبير ! .. عش فى أعماق الحياة ، واستخدم كل حواسك فى تذوق هذه الأعماق فإذا استطعت أن تعبر فى صدق عن انعكاس الحياة على حواسك ووقعها على شعورك فقد أنتجت فناً ؛ وبهذا المقياس نستطيع أن ننظر إلى « طفولة نهر » وإلى كل أثر فنى تبدعه القريحة ! لقد كنت أود أن أطيل الدفاع عن رسالة الفن ، ولكن الشاعر سبقنى فدافع عن شعره فى كلمات صادقة حين قال : « الشعر يحيط بالوجود كله .. وينطلق فى كل الاتجاهات فترسم ريشته المليح والقبيح ، وتتناول الترف والمبتذل ، والرفيع والوضيع .. ويخطىء الذين يظنون أنه خط صاعد دائماً ، لأن الدعوة إلى الفضيلة ليست مهمة الفن ، بل مهمة الأديان وعلم الأخلاق .. وأنا أؤمن بجمال القبح ، ولذة الألم ، وطهارة الاثم ، وهى كلها أشياء صحيحة فى نظر الفنان . يقول كروتشه فى نقد المذهب الأخلاقى فى الفن : إن العمل الفنى لا يمكن أن يكون فعلا نفعياً يتجه إلى بلوغ لذة أو استبعاد ألم ، لأن الفن من حيث هو فن لا شأن له بالمنفعة . وقد لوحظ من قديم الأزمان أن الفن ليس ناشئاً عن الإرادة ، ولئن كانت الإرادة قوام الإنسان الخير فليست قوام الإنسان الفنان ؛ فقد تعبر الصورة عن فعل يحمد أو يذم من الناحية الخلقية ، ولكن الصورة من حيث هى صورة لا يمكن أن تحمد أو تذم من الناحية الأخلاقية ؛ لأنه ليس ثمة حكم أخلاقى يمكن أن يصدر عن إنسان عاقل ويكون موضوعه صورة . إن الفنان فنان لا أكثر ، أى إنسان يحب ويعبر . ليس الفنان من حيث هو فنان عالماً ، ولا فيلسوفاً ، ولا أخلاقياً . وقد تنصب عليه صفة التخلق من حيث هو إنسان ، أما من حيث هو فنان خلاق فلا نستطيع أن نطلب إليه إلا شيئاً واحداً هو التكافؤ التام بين ما ينتج ، وما يشعر به »

لقد وفق نزار قبانى فى عرض قضية الفن فى هذه الكلمات الصادقة التى تخيرتها من كثير . وحين استشهد برأى كروتشه ، وهو رأى يقطع خط الرجعة على الرجعيين .. وحين نفذ إلى مكامن الهدف بهذه الإصابة البارعة فى قوله : « ولو صح لنا أن نقبل ما زعمته المدرسة الأخلاقية فى الفن لمات الفن مختنقاً بأبخرة المعابد .. ولوجب أن نحطم كل التماثيل العارية التى نحتها ميشيل أنجل ، والصور البارعة التى رسمها رفائيل ، لأنها إثم يجب ألا تقع عليه العين ؛ ولو ذهبنا مع أشياع هذه المدرسة إلى حيث يريدون ، لوجب أن نخرج من حظيرة الشعر الجيد قصيدة النابغة التى قالها فى زوجة النعمان

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

ولكن علينا أن نملن النابغة ، ونعتبره ضالا لا يستحق أن نقرأ سيرته وأشعاره ! »

أنا مع نزار قبانى ولو وقفت وحدى إلى جانبه ، وسأصغى إليه بكل جوارحى حين يهمس فى قصيدته « حلمة » :

يا حرف نار سابحاً في ركبتي عطور
يا كلمة مهموسة مكتوبة بنور
سمراء ، بل حمراء ، بل لونها شعوري
أم قبلة تجمدت في مهدك الصغير
مظلة شقراء فوق قسوة الهجير
إبريق وهج عالق بهضبتي مرور
أم أنت شباك هوى مطرز الستور
فراشة محروقة الجنح على غدير
دافئة كأنها ... مرت على ضميري

هكذا تمضى أوزانه وقوافيه ، متفقة والجو الذى يتنفس فيه شعره ، جو الأوزان القصيرة والقوافى الراقصة ، أما الصورة الوصفية فتستمد بذورها من خصوبة الحقل الشعرى واتساع مداه . . . ومن هنا تستمد الوثبة الشعرية قوتها من وثبتين أخريين ، هما الوثبة الشعورية والوثبة الموسيقية .

تعال نستمع له مرة أخرى فى قصيدته « وشوشة » :

فى ثغرها ابتهال يهمس لى تعال
إلى انعتاق أزرق حدوده المحال
نشرد تيارى شذا لم يخفقا ببال
لا تستحى فالورد فى طريقنا تلال
ما دمت لى مالى وما قيل وما يقال !
وشوشة كريمة سخية الظلال
ورغبة مبحوحة أرى لها خيال
على فم يجوع فى عروقه السؤال

هنا ظلال من النفس تلتقى بظلال من الحياة ، وبضوء من هنا وضوء من هناك يتم العمل الفنى ، مستمداً خطوطه من التجربة الشعورية ؛ من وقدة العاطفة واشتعال الوجدان . . أرأيت إلى الرغبة المبحوحة ؟ الرغبة التى تتنزى فلا تقوى على الانطلاق ؟ الرغبة التى تريد أن تهتك حجب الصمت ولكنها بحت من التردد والتهيب والإحجام ؟ الرغبة التى لم يبق منها على الفم والإخيال يلوح ثم يختفى ؟ وأى فم ؟ فم يجوع السؤال فى عروقه .. ولا يبوح !

ويحلق الفكر فى آفاق من رهبة الفناء ، وتهوم الروح فى أودية النسيان التى يبلى فيها كل جديد ، ولكنها تهويمات لا تخلو من يقظة تومض تحت الرماد ، وتلتمس العزاء فى خدعة الخلود ... وتكتمل الألوان فى الصورة المنتزعة من معرض الحياة .

أما الإطار فمن صنع الخيال السابح وراء الوهم ، المتشوق إلى ارتياد المجهول ، وتمضى التجربة الشعورية إلى منتهاها حين يقول فى قصيدته « سؤال » :

تقول : حبيبى إذا ما نموت ويدرج فى الأرض جثماننا
إلى أى شىء يصير هوانا أيبلى كما هى أجسادنا ؟
أيتلف هذا البريق العجيب كما سوف تتلف أعضاؤنا ؟
إذا كان للحب هذا المصير فقد ضيعت فيه أوقاتنا !
أجبت ومن قال إنا نموت وتنأى عن الأرض أشباحنا ؟
سنحيا .. وحين يعود الربيع يعود شذانا وأوراقنا
إذا يذكر الورد فى مجلس مع الورد .. تسرد أخبارنا !

وحين يطول الانتظار ، ويعصف القلق بجمال الرؤى والطيوف ويتوثب الشوق الملح إلى القادم الممعن فى إبطائه ، تكون النفس الإنسانية فى ارتقابها ولهفتها قد أنكرت كل شىء ، وكفرت بكل شىء ... استمع له يصف لحظة انتظار :

جمت وجاع المنحدر ولا أزال أنتظر
أنا هنا وحدى على شرق رمادى الستر
مستلقياً على الذرى تلهث فى رأسى الفكر
وأرقب النوافذ الزرق على شوق كفر

هل أحسست الفكر حين تلهث ، والشوق حين يكفر ؟ ! وحين يقبل الحبيب الغائب ، تقبل معه الدنيا ، وتقبل الذكريات تشق طريقها من وراء الزمن ... ويقبل الصبا بجنونه وأحلامه وأوهامه :

قالت صباح الورد .. هذا أنت صاحب الصفر
ألا تزال مثلما كنت غلاماً ذا خطر ؟
تحملنى على الذرى لعباً . . وتقطيع شعر
فإن نهضنا كان فى وجوهنا ألف أثر !
قلت لها الله ما أكرمها تلك الذكر !
أيام كنا كالعصافير ... غناء وسمر

نسابق الفراشة البيضاء ... ثم ننتصر
ونكسر النجوم ذرات ... ونحصى ما انكسر
فيستحيل حولنا الغروب شلال صور ...
حكاية نحن ... فعند كل وردة خبر
إن مرة سئلت ، قولى : نحن دورنا القمر !

هنا وفى كثير من القصائد الأخرى لنزار قبانى ، تلمس أن اكتمال الوحدة الفنية مرجعه إلى تسلسل التجربة الشعورية ، وتناسق الظلال المنعكسة من النفس والحياة .

وأود أن ألفت النظر إلى أن هذا الشاعر يصوغ معانيه أحياناً فى ألفاظ قد تبدو لأصحاب المدرسة المادية فى التعبير وكأنها قد استخدمت فى غير مواضعها ؛ وهى تبدو لهم كذلك لأنهم يعيشون فى رحاب الظلال المادية للألفاظ ، ولو عاشوا فى رحاب ظلالها النفسية لوجدوا كل شىء فى موضعه من الشعر ، لأنه فى موضعه من الشعور... إن الشعر ما هو إلا ترجمة صادقة للشعور الصادق ، فلا ضير من أن يستخدم فيه اللفظ الذى تتفق ظلاله وظلال النفس ، وتتسق إيحاءاته مع منطق الإحساس ! ومهما يكن من أمر فإن لمشكلة الظلال النفسية والمادية فى اللفظ قضية شغلت القدماء كما شغلت المحدثين ، وهى قضية سنعرض لها فى مقال نتناول فيه بالنقد أصحاب المدرسة المادية فى التعبير قديماً وحديثاً أولئك الذين لا ينظرون إلى الألفاظ إلا من خلال هياكلها المظمية!

كل ما آخذه على صاحب « طفولة نهد » ، هو تلك القوالب النثرية التى يصب فيها شعره أحياناً ، وما يرد فى بعض أبياته من ألفاظ ابتذلت من كثرة الاستعمال ، مما يعصف بجمال القالب الشعرى ، ويذهب بأثر الإيقاع الموسيقى . استمع له مثلا فى هذين البيتين :

ما دمت لى سر السماء معى وهذه الأقمار أقمارى
وأنجم السماء لى مئزر وفوق جفن الشرق مشوارى

إن كلمة « مشوارى » هنا كلمة سوقية لا تتفق أبداً وهذا الجو الشعرى الذى عاشت فيه ، ولو وردت فى النثر لما استسغتها ، فما بالك بالشعر ؟

واستمع له مرة أخرى فى هذين البيتين :

هو الدفء لا تذعرى إن رأيت قميصك نهب تدفع قه
فما عدت يا طفلتى طفلة سيهمى الشتا قيمة بعد قيمه

نهب تدفع قة ؟ ! .. إضافتان ثقيلتان على السمع ، لا تكاد تطيقهما الأذن العادية ، فما بالك بالأذن الموسيقية ! ألا تحس هنا أن القالب قد بدأ أقرب إلى النثر منه إلى الشعر ؟

واستمع له مرة ثالثة فى هذين البيتين :

لمى تحارير الهوى وأمضى أنا فى السحاب وأنت فى الأرض
غورى مع الشيطان لا أسف ولتبتلعك زوابع البغض

لست أدرى كيف تحتمل الصياغة الشعرية كلمة « غورى » هذه .. لقد اهتز صرح الجمال الفنى فى البيتين تحت وطأة هذه الكلمة !

مآخذ قليلة كنت أرجو أن يخلو منها هذا الديوان ، ومهما يكن من أمر فإنها لا تمنعنى من القول بأن نزار قبانى شاعر .. وشاعر موهوب .

أنور المعداوى



العدد ٧٧٥ – الاثنين ١٠ مايو ١٩٤٨ – السنة السادسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٣٨

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 775
Lundi — 10 — 5 — 1948

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٥ « القاهرة فى يوم الاثنين أول رجب سنة ١٣٦٧ — ١٠ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فى مذاهب الأدب

للأستاذ عباس محمود العقاد

قد يغنى التمثيل حيث لا يغنى الدليـل ، ولا سيما فى تلك المسائل التى تتفق فيها الآراء ولا يقع الخلاف عليها فى الحقيقة إلا لاختلاف الأسماء .

ومن هذا القبيل مسألة الحكم على المذهب الرمزى بينى وبين الكاتب الألمعى الأستاذ فريد بك أبو حديد .

فقد سألنى مندوب « الزمان » عن هذا المذهب فقلت له : إن كلة الأدب الرمزى كلة سخيفة ؛ لأن الأدب قبل كل شىء إفصاح ، فمن عجز عن الإفصاح فأولى أن يترك الأدب . ومن كان لا يتكلم إلا بالرموز فخير له أن يخترع له لغـة أخرى غير هذه التى تواضع الناس على التفاهم بها . وليخترع إن استطاع نوعاً من الهيرغليفية القديمة تغنى فيها الصور والإشارات عن الحروف والكلمات » .

ووجه المندوب هذا السؤال إلى زميلنا الأستاذ أبى حديد بك فقال : « لا أوافق الأستاذ العقاد فيما ذهب إليه بخصوص الأدب الرمزى ؛ فإن كان هذا الأخير من نوع بيجماليون لبرنارد شو ، وأهل الكهف لتوفيق الحكيم ، وتاييس لأناتول فرانس ، فانه يعد من أسمى أنواع الأدب . ولعل اختلاف الرأى بين العقاد وبينى يرجع إلى أن الصورة التى فى ذهنى عن الأدب الرمزى قد تغاير تلك الصورة التى فى ذهن العقاد عنه » .

وهكذا أفاد تمثيل الأستاذ فريد للأدب الرمزى المقبول عنده فى التقريب — بل فى التوحيد — بين القولين .

فكل هذه الروايات التى تعجب الأستاذ تعجبنى ، وترتقى عندى إلى الرتبة الأولى فى فن المسرح والرواية .

ولكنى لا أحسبها من أدب « المذهب الرمزى » الذى تكثر الدعوة إليه بين الفرنسيين خاصة فى هذه السنوات الأخيرة ، لأنها لا تعمى ولا تتعمد التلبيس ، ولكنها من أصرح مايقرأه القارئون وإذا توسعنا فى التعبير فهى عندى من الرمز السائغ وليست من الرمز الممنوع .

لأننى — حين أجبت عن ذلك السؤال — عنيت الرمز الذى يلجأ إليه الكاتب عمـداً وله مندوحة من الإفصاح ، أو عنيت الرمز الذى يهرب من النور وليست له معذرة فى الهرب منه .

أما الرمز على إطلاقه فليس هو بممنوع ولا مستهجن ، وقد بينت أنواعه فى مقال بمجلة الكتاب نشر فى أول السنة الماضية فقلت فيه بعنوان « مسوغات الرمزية » .

« إن التعبير بالرموز عادة قديمة فى تعبير الإنسان ، بل عادة قديمة فى بديهة الإنسـان . فالحالم مثلا يعبر فى منامه عن شعور الضيق أو الخوف بقصة رمزية .. والكاتب الذى لم يعرف الحروف الأبجدية يرمز إلى المعانى بالشخوص والرسوم . وكهان الديانات يرمزون ويعمدون كثيراً إلى الكنايات والألغـاز ... والنساك

المتصوفون يرمزون لأنهم لا يستوضحون المعانى الغامضة التى تجيش بها نفوسهم فى حالة كحالة الغيبوبة ... وكان بعض الدول يقهر الرعية على عقيدة لا يدينون بها وقد يدينون بغيرها ، فيشيرون إلى عقائدهم برموز يفهمونها .. وقد يكون الرمز اختصاراً لعبارة مفهومة أو صورة ظاهرة ... فالرمز شيء مألوف فى تعبير الإنسان وفى طبيعة الإنسان ، ولكنه مألوف على حالة واحدة لا يخلو منها معرض الرمز والكناية ، وهى حالة الاضطرار والعجز عن الإفصاح ... فإذا لوحظت هذه الحالة فالرمز أسلوب متفق عليه لا يحتاج إلى مدرسة تنبه الأذهان إليه . فالخيالى لا يستشير مدرسة من المدارس لتشير عليه أن يحلم بالصور والتشبيهات ... والشاعر لا يعاب إذا مثل لنا الكواكب والأزهار فألبسها ثياب الأحياء . ومن ضاق به اللفظ فعمد إلى التخييل والتشبيه فالناس لا يحسبونه من هذه المدرسة أو تلك ؛ لأن المدرسة التى يصدر عنها فى هذه الحالة هى مدرسة البديهة الإنسانية حيث كان الإنسان .

هذه الرموز الطبيعية هى الرموز التى نعجب بها كما يعجب بها الأستاذ فريد .

أما الرموز التى وصفناها بالسخف فهى تلك الرموز الملفقة فى غير حاجة ولغير علة ، إلا ذلك الهراء الذى يتحدثون فيه عن « اللاوعى » ... و « اللاشعور » ، ويقولون إنهم يعبرون به عما لا يعيه العقل ولا يحيط به الحس الظاهر ، وهى جهالة منهم يسوقهم إليها أن الكلام عن « اللاوعى » وعن « اللاشعور » شيء جديد ، وكأنهم يحسبون أن الإنسان قد خلق مجرداً من هذا « الوعى الباطن » أو هذا الشعور الذى لا يعى نفسه قبل أن يتكلم عنه النفسانيون المعاصرون .

والواقع أن « اللاوعى » قديم فى الإنسان ، وأنه قد صدر عنه فى تخيله وتفكيره قبل أن نطلق عليه هذه الأسماء ، وإذا كان المعاصرون قد كشفوه أو أطلقوا عليه الأسماء فذلك أدعى إلى كشفه وتوضيحه ، لا إلى طغيانه على العقل والحس وإلغاء هذا وذاك كأنهما معطلان فى تعبير الإنسان وتفكيره ، عاجزان عن الإبانة والأداء .

فالتعمية المقصودة لغير علة هى الرمزية السخيفة التى ننكرها ولا نسيغها ، وهى وليدة التشدق بالمبتدعات الحديثة فى مذاهب علم النفس عن غير فهم ولا تمييز بين ما هو حديث فى الكشوف العلمية وما هو حديث فى طبيعة الإنسان .

إن الكلام الحديث عن طبيعة العقل كالكلام الحديث عن طبيعة النظر أو حقائق النور والإضاءة ، ونحن لا نغير نظارنا إلى الأشياء لأننا عرفنا عن دقائق العين ما لم نكن نعرف ، وكذلك لا نغير شعورنا بالدنيا لأن علماء النفس أطلقوا على الملكات النفسية فينا أسماء لم يعرفها الأقدمون .

ولكن هذه الطائفة التى تسمى نفسها بالمدرسة الرمزية تظن أننا قد خلقنا خلقاً جديداً بعد ظهور تلك المصطلحات على الألسنة فتلغى ما كان من تفكير وتعبير لغير سبب ، وتتعمد أساليب التعمية لأنها سمعت أن الوعى الباطن غير الوعى الظاهر ، وهما فى الحقيقة قد كانا كذلك منذ أول الزمان .

فليكن فى الأدب « رامزون » ، لأن الرمز أقرب إلى التوضيح والتأثير .

أما الرامز الذى تظهر له الحقائق فيضع يديه على عينيه لكى لا يراها ، فهو لا يرينا شيئاً قط يستحق أن نراه .

***

وقد سألنى مندوب الزمان أيضاً عن كلية الآداب ، فقلت له إن هذه الكلية لم تخرج أديباً واحداً منذ نشأت ، وأن الشبان الذين نبغوا منها فى الأدب قد نبغوا بجهودهم وملكاتهم على الرغم من سوء التعليم هناك ، وقيامها فى الغالب على قواعد الانتفاع وحب الظهور .

وسئل الأستاذ أبو حديد فقال : « أوافقه بتحفظ . وهذا التحفظ يرجع إلى أن الجامعة المصرية وليدة ربع قرن فلا ننتظر منها بعد ما ننتظره فى ربع قرن آخر ، وأملى أن تكون النتيجة طيبة » .

ولست أريد أن أخالف الأستاذ فى هذا التحفظ إلا بما يرضيه ويرضى الحقيقة .

فالأستاذ أبو حديد من خريجى مدرسة المعلمين العليا ، وهذه المدرسة قد أنشئت لتخريج المعلمين ولم تنشأ خاصة لتخريج الأدباء .

ولكنها — مع هذا — لم تنقض عليها سنوات حتى أخرجت للعربية أدباء من طراز محمد السباعى وعبد الرحمن شكرى وإبراهيم

٢ - عبد الله بن سبأ

للدكتور جواد على

وجاء فى تاريخ الطبرى : « كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء »[1]. واكتفى فى مواضع أخرى من تاريخه « بابن السوداء » [2] وفى العبارة الأولى شرح لكلمة « ابن السوداء » ويدل ما ذكره الطبرى على أن أم عبد الله كانت سوداء اللون وأنها كانت قريبة من الزنوج أو من أصل زنجى قريب أو بعيد ، وأن أباه كان من اليمن وإن كنا لا نعرف اسمه كما لا نعرف اسم أمه ، وأنه كان يهودياً إلى أيام عثمان .

وفى البيان والتبيين » [3] حديث جاء فى بعض فقراته « فلقيني ابن السوداء وهو ابن حرب » ولست فى شك من أنه

(١) الطبرى ج ٥ ص ٩٨ (طبعة المطبعة الحسينية) .
(٢) الطبرى ج ٥ ص ٦٦ ومواضع أخرى .
(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦ ؛ طبعة السندوبى القاهرة سنة ١٩٢٧

يقصد « بابن السوداء » عبد الله بن سبأ الذى يتحدث عنه أصحاب كتب الفرق ، لأن المقالة المنسوبة إلى هذا الرجل هى نفس المقالة التى ينسبها الرواة الآخرون إلى عبد الله بن سبأ ، كما يذكر مؤرخون ورواة أن « ابن سبأ » هو « ابن السوداء » فهل عرف الجاحظ ذلك ، أم أنه قصد شخصاً آخر ؟ على كل حال فالمهم فى الرواية أنه نص على اسم والد « ابن السوداء » فدعاه « حرباً » ولكن أى « حرب » هو ؟ فهنالك مئات من الأشخاص عرفوا بحرب . ثم من كان والد حرب ؟ ومن أى قبيلة كان ؟ ذلك ما لم يتحدث عنه الجاحظ ولا غير الجاحظ من الكتاب أو الرُّواة أو المؤرخين . وقد فرَّق بعض الرُّواة بين « عبد الله بن السوداء » و« عبدالله بن سبأ » فجعلوا كل واحد منهما شخصاً ، ومن هؤلاء ابن عبد ربه ، والبغدادى ، ومن أخذ عنه مثل الاسفرائيني . ويعتقد المستشرق « إسرائيل فريد لندر » أن هذا التفريق الذى جاء فى كتاب « البغدادى » سببه الرواية المنسوبة إلى الشعبي ونصها : « وقد ذكر الشعبي أن عبد الله ابن السوداء كان يُعين على قولها . وكان ابن السوداء فى الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد فى التوراة أن لكل نبى وصياً [1] إلى آخر الرواية ، وكان قد ذكر قبل ذلك اسم « عبد الله بن سبأ » فحدث هذا الاختلاف ولكنه كان يقصد فى الواقع شخصاً واحداً لا شخصين[2]

ويظهر مثل هذا الاختلاف ولكن بصورة أخرى فى موضع من كتاب « العقد الفريد » للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة . فى الموضع الذى ذكر فيه رواية مفصلة للشعبي عن « الرافضة » — وأكثر الروايات التى تتعرض لبحث الرافضة هى من روايات الشعبي — جاء فيها « وقد حرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ، ونفاهم إلى المدائن : منهم عبد اللّه بن سبأ ، نفاه إلى ساباط ، وعبد اللّه ابن السَّبَّاب ، نفاه إلى الحاذر ، وابن كروَّس » . فذكر الشعبي فى رواياته هذه اسم شخصين : « عبد الله بن سبأ »

(١) الفرق بين الفرق فى بحث الشيعة والغلاة . ص ٢٢٣
(٢) Israel Friedlaender, seper, 2. a 28

المازنى ومحمد جلال وكامل سليم وأحمد زكى والعبادى وعوض محمد وفريد أبى حديد ومحمد بدران .

فالمسألة إذن مسألة البيئة والاستعداد لا مسألة الزمن الطويل أو القصير .

ولا فضل لمدرسة ننتظرها خمسين سنة لتخرج لنا أديباً أوجلة أدباء ؛ فإن تعليم المدرسة برنامج محدود السنوات ، وليست هى أمة تتولد فيها الأجيال وتحسب أطوارها بالعشرات من السنين . وإذا تم برنامج بعد برنامج ولم نشعر لتمامه بأثر فى النهضة الأدبية فذلك هو الإفلاس بعينه ، أو ذلك هو الدليل على أن الأديب الذى يخرجه لنا نصف قرن من الزمان هو وليد الأمة فى تطورها وليس وليد المدرسة التى كان ينبغى أن تمطيه ثمرتها فى بضع سنوات .

حقق الله أمل الأستاذ فى النتيجة الطيبة ، ولكن قبل خمس وعشرين سنة إن شاء الله ... !

عباس محمود العقاد

و « عبد الله بن السباب » والذي يطالع هذا الموضع يتصور أنه الثاني من زعماء الغلاة في حب علي بن أبي طالب ، وأنه كان من حزب عبد الله بن سبأ ، وأن اسم والده هو السباب »

ولكن إذا ما درسنا كتب الفرق وجدنا أنها تسمى أتباع عبد الله بن سبأ « السبائية » كما تسميهم « السبابية » في ذات الوقت . جاء في كتاب البغدادي « الفرق بين الفرق » « الفصل الأول من فصول هذا الباب ، في ذكر قول السبابية ، وبيان خروجها عن ملة الإسلام . السبابية أتباع عبد الله بن سبأ الخ »(1) وقد تكرر ورود هذه التسمية في كتب أخرى . وأرى أنها لم تأت عن اشتباه أو عن خطأ في الكتابة ، بل جاءت من سبّهم الخلفاء . وقد ظهر السبُّ بينهم على مايظهر قبل أيام عثمان . ولما جاء الإمام إلى العراق أنكر عليهم ذلك . وظلت فرقة منهم ماضية في سبها ، كما سبَّ الخوارج سائر الصحابة ممن اشترك في الحوادث السياسية منذ عهد عثمان فما بعد . والظاهر أن القدماء كانوا يطلقون على تلك الجماعة «السبابية» وعلى الواحد منهم «السبابي» نسبة إليهم تمييزاً لهم عن الفرق الأخرى التي ظهرت بعد وفاة الرسول ، كالذي رواه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة في كتابه « عيون الأخبار » عن المغيرة من أنه كان « سبابياً » وأنه كان من الغلاة (2)

وكان « المغيرة » وهو المغيرة بن سعد مولى لبجيلة من السبابين . وقد أصلح جماعة من المحققين والناشرين المخطوطات القديمة واستبدلوا « بالسبابية » السبائية و « بسبابي » سبائي لشيوع « السبائية » وشهرتها . ورد في النسخة الخطية «لعيون الأخبار » « وأما المغيرة فكان مولى لبجيلة وكان سبابياً وصاحب نير نجات » فاستبدل محقق هذا الكتاب بكلمة « سبابياً » كلمة «سبائياً» أي من السبائية « أتباع عبد الله بن سبأ . وقد اعتمد في ترجيحه هذه الكلمة على ما جاء في مفاتيح العلوم للخوارزمي(3) وعلى ما جاء في العقد الفريد (4) وفي القاموس(5)

(1) الفرق بين الفرق ص ٢٢٣
(2) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٨
(3) مفاتيح العلوم ص ٣١ طبعة أوربا
(4) العقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧
(5) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ ، القاموس مادة سبأ .

كما استبدل السيد سعيد العريان محقق « العقد الفريد » « بعبد الله بن السباب » عبد الله بن السوداء . ومعنى هذا أن عبد الله بن السوداء شخص آخر غير عبد الله بن سبأ كما جاء ذلك لدى البغدادي . وأعتقد أنه لا داعي إلى هذا التبديل فلعل « ابن السباب » من « السبابية » وهي إحدى المصطلحات القديمة التي كانت تطلق على الجماعة التي كانت تسبُّ قسماً من الصحابة . وعلى كل فنحن لا نعرف أي شيء عن هذا الشخص الذي سماه الرواة « عبد الله بن السباب » ولا عن الشخص الآخر الذي سمّاه صاحب العقد الفريد « ابن كروّس »(1)

ويذهب أكثر الرُّواة إلى أن « عبد الله بن سبأ » هو من أهل اليمن . وقال بعضهم أنه من حمير؛ ولذلك قيل له «الحميرى»(2) وقد عرف « كعب الأحبار» وهو يهودي مسلم بالحميرى كذلك؛ غير أننا لا نستطيع أن نقطع بأنه كان من حمير أي من صميم « حمير » فيجوز أن يكون من المنتسبين إليها بالولاء . وهنالك رجل آخر له شهرة في التأريخ قيل عنه أيضاً إنه كان يهودياً أو من أصل يهودي ، هو« وهب بن منبه » ثم أسلم أو أسلم أهله . وقد ميز عن صاحبيه بلقب هو « الأبنوى » ويعني هذا اللقب أنه كان من « الأبناء » أي من أبناء جنود الفرس الذين كانوا قد جاءوا إلى اليمن قبل الإسلام لطرد الأحباش . وزعم الطبري في تأريخه أنه كان من أهل صنعاء (3) أما الشعبي فقد ذهب إلى أن عبد الله بن السوداء كان من أهل الحيرة . ونحن لا نستطيع رفض رواية الطبري كما لا نستطيع قبولها . ولا نستطيع أيضاً تصديق رواية الشعبي ولا تكذيبها . حتى أننا إذا ما أخذنا بالرواية الثانية فإنها لا تتعارض مع الرواية الأولى إذ يجوز أن يكون من أصل يماني هاجر إلى الحيرة في العراق (4) . كما أن من الجائز أن يكون اسم « سبأ » هو الذي أوحى إلى الرواة بهذه القصة قصة موطن « عبد الله » وانتسابه إلى اليمن ومن اليمن في صنعاء .

وأستطيع أن أقول وأؤكد أن اشتهار « عبد الله »

(1) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤١
(2) ابن حزم . Shiiteo 1, 37
(3) Friedländer, S' 22 .
(4) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٢٣

بابن السوداء لم تكن شهرة تسره ، كما لم تكن شهرة تسر أتباعه إن كان له أتباع حقاً . وقد استعملت هذه الكلمة دوماً للتحقير والازدراء . وقد عير بها « عمار بن ياسر » حينما تجاسر وتطاول على الخليفة عثمان بن عفان فكان من جملة ما قاله الخليفة « ويلى على ابن السوداء ! لقد كنت به عليما » (١) وقد عير بها « المقداد ابن الأسود » فقيل له « يا ابن السوداء » (٢) . ولما غضب أبو ذر الغفارى على كعب الأحبار قال له « يا ابن اليهودية » و « يا ابن السوداء » (٣) .

ويكاد يكون فى حكم الإجماع بين الرواة الذين ذكروا خبر عبد الله بن سبأ أنه كان يهودياً . وقد أيد علماء الشيعة ذلك أيضاً مثل النوبختى والكشى والكلينى المحدث الشيعى الشهير صاحب كتاب « الكافى » فى أحاديثه عن الإمام الصادق فى عبد الله ابن سبأ (٤) . ويظهر من دراسات هذه الروايات أنها ترجع فى الواقع إلى أوائل العصر العباسى وأواخر العصر الأموى .

وقد كانت « صنعاء » عاصمة اليمن فى أيام الأحباش قاعدة مهمة لليهود . والظاهر أنهم أقاموا بها منذ مدة قبل غزو الأحباش لليمن . وأنهم صاروا يشعرون بطمأنينة بال وراحة فى هذه المدينة ، فربطوا حوادثها بالتوراة وقالوا إنها مدينة « أزال » « أوزال » التى ورد خبرها فى الكتاب المقدس (٥) . فهل كان « عبد الله بن سبأ » أحد هؤلاء اليهود الذين حافظوا على ديانتهم إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان حتى إذا أسلم تملكته حمى التنقل من مكان إلى مكان ومن قطر إلى قطر داعياً الناس إلى دعوات غريبة ، طمعاً فى إثارة الفتنة وخلق الفوضى فى صفوف المسلمين . فزار الحجاز وذهب إلى البصرة فالكوفة فالشام فمصر ، واتصل بكل هذه الأقطار عن طريق المراسلة حتى تمكن من تأجيج نار فتنة لم تخمد حتى اليوم ؟

والعجيب أن رجلا كهذا الرجل لم يسجل الرواة حوادثه ولا أخباره ، ثم ينصاع له شيوخ من شيوخ المسلمين ، ولا يتقدم أحد لقتله أو سجنه على هذه المقالات التى كان يظهرها وهو فى صورة مسلم يدين بالإسلام .

ذكر الطبرى أنه لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث سنين بلغه أن فى عبدالقيس رجلا نازلا على حكيم بن جبلة ، وكان حكيم ابن جبلة لصاً ، إذا قفل الجيوش خنس عنهم فسعى فى أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه . ومن كان مثله فلا يخرجنّ من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً . فحبسه ، فكان لا يستطيع أن يخرج منها . فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع إليه نفر فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح . فقبلوا منه واستعظموه . وأرسل إليه ابن عامر فسأله ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب فى الإسلام ورغب فى جوارك . فقال مايبلغنى ذلك ، أخرج عنى . فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها ، فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم » (١)

والمعروف أن ولاية « عبد الله بن عامر » على البصرة ، بعد عزل أبى موسى الأشعرى عنها ، إنما كانت فى سنة تسع وعشرين للهجرة فى عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢) فيكون مجىء عبد الله ابن سبأ إلى البصرة إذاً فى سنة ٣٢ — ٣٣ للهجرة ، أى فى السنة الثالثة من حكمه كما أخبر بذلك الطبرى ...

(للبحث بقية)

جواد على

(١) الطبرى حـ ٥ ص ٩٠

(٢) الطبرى حـ ٥ ص ٦٤

(١) اليعقوبى حـ ٢ ص ١٤٧

(٢) اليعقوبى حـ ١ ص ١٨٧ طبعة « Houtsma » وص ١٩٨

(٣) Fridländer ' P ' 28

(٤) راجع الكافى فى أحاديث الامام الصادق . طبعة محمد عبد الرحيم

(٥) Hastings . P, 958 . Harris ' el — Yemen . P ,313·

لا، لا نملك تحريم تعدد الزوجات

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

كان صديقنا الأستاذ عبد المتعال الصعيدى يقرر فى رده الأول علينا أننا « نملك تحريم تعدد الزوجات » ولكن بطريق مخالف لطريق معالى عبد العزيز فهمى باشا ، « وقد سلكه أولو الأمر حديثاً فى نظائر لتعدد الزوجات » ، وأشار إلى هذا الطريق بمثال هو « تحديد سن الزواج ونحوه مما جرى العمل الآن به ، وألفه الناس بعد أن ثاروا عليه عند تشريعه » ؛ مما يفهم منه بوضوح أنه طريق التشريع الوضعى القائم على استعمال ولى الأمر ما له من سلطان على عماله مأذونين كانوا أو قضاة بمنعهم من تحرير وثائق رسمية لعقود الزواج المتضمنة للتعدد أو سماع الدعاوى المترتبة على هذه العقود .

فلما بينا له — تعقيباً على رده — أنه قد أخطأ القصد إلى التحريم بما أشار إليه من طريق سلبى لا تعلق له بحل ولا بحرمة ، وأن ما ينشأ بين الناس من علاقات شرعية فى الأمور التى تناولها المشرع الوضعى بطريق المنع المتقدم ، يعتبر صحيحاً شرعاً وقانوناً وتترتب عليه جميع الآثار المترتبة على سواه ، عدا تحرير الوثيقة وسماع الدعوى وهما الأثران المطلان خلافاً لما هو النظر الصحيح فى « قاعدة تخصيص القضاء » ، راح — فى رده الثانى — يحرر مراده بأن لولى الأمر « أن ينهى عنه (تعدد الزوجات) إذا أساء المسلمون استعماله ، فيصير حراماً لنهيه عنه ، وإن كان فى ذاته مباحاً » كما ينهى عن زرع القطن فى أكثر من ثلث الملك » فيكون زرع القطن فى أكثر من الثلث حراماً من هذه الناحية وإن كان فى ذاته مباحاً ... هكذا يقول الأستاذ .

وظاهر مما تقدم أن معالم هذا الطريق الأخير تغاير المعالم التى أقامها للطريق الأول تمام المغايرة ، فذاك طريق ليس له سوابق فى التشريع المصرى الحديث ولا القديم على الأقل فيما يتعلق بنظائر تعدد الزوجات التى مثل لها الأستاذ نفسه بتحديد سن الزواج ؛ فلا ينطبق عليه إذن القول بأنه «قد سلكه أولو الأمر حديثاً فى نظائر لتعدد الزوجات » ، وبالتالى لم يألف الناس هذا الطريق ، فلا ينطبق عليه القول بأنه « مما جرى العمل الآن به وألفه الناس بعد أن ثاروا عليه عند تشريعه » . كما أن ما ذكره الأستاذ نفسه فى ختام رده الأخير من « أن الناس لم يتهيأوا بعد لفهم هذا الحق (حق ولى الأمر فى التحريم) ؛ بل يعدوه خروجاً على الدين » يبين بجلاء أنه لم يكن الطريق الذى عناه فى رده الأول ووصفه بأن تحريم تمدد الزوجات بواسطته « كان مطلباً سهلا لا يحتاج إلى ما تكلفه (الباشا) فى أمره » ، والذى تنطبق عليه هذه الأوصاف كلها إنما هو الطريق الذى فهمناه من رده الأول وأشرنا إليه فيما تقدم .

والظاهر أن الأستاذ قد استشعر — قبل سواه — هذا التغاير التام بين الطريقين وأنه لا يستساغ معه اعتبار ثانيهما تحريراً للمراد من الأول ، فحاول أن يعقد بينهما وشيجة قربى إذ قرر فى ختام رده الأخير ما يتضمن أن العلاقة بين الطريقين علاقة الفرع بأصله . فالطريق الذى قررنا أنه هو ماعناه فى رده الأول ولا يمكن أن يكون قد عنى سواه ، متفرع — فى رأيه — على الطريق الوارد فى رده الأخير ولا يعدو أن يكون « تنظيما فيه أو استثناء له من ولى الأمر بما له من حق التحريم والمنع . ولعل مما يدعو إلى هذا أن الناس لم يتهيأوا بعد لفهم هذا الحق ... الخ » والواقع خلاف ذلك لأن الطريقين متغايران — كما قدمنا — تمام التغاير ، ولا يمت أحدهما إلى الآخر بالصلة التى حاول الأستاذ عقدها بينهما ولا بما يماثلها . فهما وإن كانا من حق ولى الأمر — فيما يرى الأستاذ — إلا أن حقه فى كل منهما لا بد من إرجاعه لأصل مغاير لأصل الآخر ؛ فحقه فى منع عماله من تحرير وثائق أو سماع دعاوى معينة راجع إلى (سلطته التنظيمية) عليهم باعتبارهم أدواته فى مباشرة (ولايتى التنفيذ والقضاء) . أما الحق المنسوب له فى التحريم فلا مندوحة من إرجاعه إلى (سلطة تشريعية) لولى الأمر تتعلق بأفعال المكلفين عامة مما يقتضيه تعريف الحكم الشرعى .

وحتى على التسليم بأن طريقه الجديد مما يصح اعتباره تحريراً لمراده بالطريق الأول ، فهو مع ذلك غير مؤد إلى الغاية التى قصد إليها إلا وهى التدليل على دعواه أننا نملك تحريم تعدد الزوجات ، إذ لم يرد عن أحد من القائلين بحق ولى الأمر فى النهى عن المباح

تولستوى الحـــائر (*)

للأســـتاذ محمود الخفيف

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ما الحياة إلا وهم . وما سعينا فيها إلا عبث . وما أنفسنا وأولادنا إلا طعام للدود . وما مسراتنا وملاهينا إلا كأصوات الخائفين من الأطفال فى ظلام الغابة اللفاء يدرأون بها عن أنفسهم الخوف . وما ذلك الذى نسـميه فى الحياة جمالا إلا غرور ، إن كل ذلك إلا باطل ؛ وإن هو إلا اللاشىء . ذلك ما أفضى به إليه تأمله ، وذلك مايعذبه ويفزعه ويحيطه باليأس من جميع أقطاره وليته ينسى ! ولـكن أنى له النسيان وهـذه الحياة نفسها تذكره أبداً بفزعه الأكبر منها ؛ وهو ما فـكر فيها لمجرد الفكر فى ذاته ، ولـكن شيئاً مبهماً خفياً ظل يوجه نفسه هذه الوجهة منـذ حداثته ، لا ينقطع عنه إلا ليعود إليـه أقوى مما كان ، وما زال حتى وقف به على حافة الهاوية ...

وما قصر أو تهاون فى درس أو قعد عن استقصاء . قال : « ولـكنى ربما كنت قد سهوت عن شىء أو أخطأت فهم شىء . ذلك ما تحدثت به إلىّ نفسى مراراً ؛ فليس من الممكن أن تـكون مثل هذه الحال من اليأس أمراً طبيعياً فى الإنسان . ثم بحثت عن تفسـير لهذه المسائل فى كل ناحية من نواحى المعرفة بلغها الناس ، وبحثت بحثاً مؤلماً طويلا ، لا لمجرد الفضول والنظر ، وقضيت فى بحثى الشاق زمناً ، بالنهار وبالليل ، أجدُّ كما يجد من أشرف على الهلاك حين يطلب النجاة ؛ فلم أعد من ذلك بطائل »

لم يدع شيئاً من العلوم النظرية ولا من العلوم التجريبية ، ولـكنه لم يجد فى العلم بغيته . فما بلغ العلماء من العلم إلا بعض ما يتصل بأبحاث المختصين والمحترفين ، أما ماله صلة بالمشكلة الأساسية وهى مشكلة الحياة ، فقد أهملوه أو جهلوه . يقول عن العلماء « إنهم هكذا يجيبونك : أما عن سؤالك : ماذا أنت ولم تعيش ، فليس لدينا جواب ، وليس هذا مما نشغل أنفسنا به . أما إذا أردت أن تعلم قوانين الضوء أو قانون الاتحاد الـكيميائى أو غيرها فلدينا أجوبة واضحة محددة عن ذلك لا تقبل الجدل » .

ولم يدع شـيئاً مما له فى الفلسفة صلة بمسائل الحياة ، فقرأ سقراط وبوذا وسليمان الحـكيم وشوبنهاور واضرابهم ، ولـكنه لم يرجع من فلسفتهم إلا « بأن كل شىء فى الحياة عبث ، وأن السعيد هو ذلك الذى لم يولد » .

ماذا يقول سـقراط ؟ أليس هو القائل : « إننا نقرب من الحقيقة كلما أخذنا فى الابتعاد من الحياة ، وأن حياة الجسد شر وباطل ؛ وعلى ذلك فالقضاء على حياة الجسد من النعيم ، وينبغى علينا أن نطلبه ؟ » وماذا يقول بوذا ؟ أليس هو القائل : « إن من المستحيل أن نعيش وفى نفوسنا أن الألم أمر لابد منه ، وأننا سوف يلحقنا الضعف ويصيبنا الـكبر ويدركنا الموت .. ألا إنه يجب علينا أن نتخلص من هذه الحياة ؟ » .

وماذا يقول سليمان ؟ أليس هو القائل « عبث فى عبث وباطل فى باطل ، وماذا يجنى الإنسان من عمله تحت الشمس ؟ يمضى

(*) من كتاب « تولـــستوى » الذى يظهر بعد أيام عن دار الرسالة بالقاهرة .

أن هـذا يجرى فيما وردت بحله نصوص (تفصيلية) محكمة فى الـكتاب والسنة كما هو الحال فى تعدد الزوجات (وليست هذه النصوص — فيما أعتقد — موضع خلاف بينى وبين الأستاذ عبد المتعال) ، ولا تفيد عباراتهم جريانه الا فيما هو من قبيل « المصالح المرسلة » التى لم يشهد لها الشارع بحل ولا بحرمة فتكون — قبل نهى ولى الأمر — على أصل الأباحة ، أو « سد الذرائع » بالنهى عما يدخل تحت نصوص (أجمالية) بالإباحة إلا أنه يتخذ ذريعة لارتكاب محرم . والحرمة المستفادة من نهى ولى الأمر فى هذه المواضع وما شابهها تـكون مستندة فى الواقع إلى دليل عام من الـكتاب أو السنة ، فلا يقال إنها شرعت بنهى ولى الأمر ابتداء . على أن مسـألة نهى ولى الأمر عن المباح — حتى فى نطاق هذا التحديد الذى بيناه — مسألة خلافية ، القول فيها طويل والرأى غير مستقر ؛ فهى ، من كل الوجوه ، ليست بالذى يصح أن يعول عليه فى مثل هذا الباب .

أما ما استشهد به من موضوع « زراعة القطن » فلا يصلح للاستشهاد لأنه قياس مع الفارق الـكبير ، وهذا ظاهر .

ابراهيم زكى الدين بدوى
المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

جيل ويأتى جيل غيره والأرض هى الأرض قائمة أبداً ؛ وكل ما كان هوماسوف يكون ، وما عمل هوما سوف يعمل ؛ ولا جديد تحت الشمس . ولن يذكر ما مضى من الأشياء ، وكذلك ماهو آت فسوف لا يذكره من يأتى بعده » .

وماذا قال شوبنهور ؟ أليس هو القائل : « الحياة هى ذلك الذى كان يجب ألا يكون ... هى الشر ؛ وإن انتهاءنا إلى اللاشىء هو الخير الوحيد فيها » .

وهذه الحكمة الهندية القديمة كيف تصور الحياة ؟ « كان سكياموني أميراً شاباً يعيش عيشة سعيدة حُجب عنه العلم بالمرض والكهولة والموت . وخرج الأمير ذات يوم للنزهة فبصر بشيخ فقد أسنانه ، يتعثر فى مشيته ، ويبعث منظره الرعب فى النفس ، فسأل ذلك الأمير الذى لم يكن له علم بالشيخوخة حتى ذلك اليوم سائق عربته ، وقد أخذه العجب : ماذا يكون ذلك ؟ وكيف وصل الرجل إلى هذه الحال التعسة الكريهة ؟ ولما علم الأمير أن ذلك حظ الناس جميعاً ، وأنه سوف يصيبه لا محالة يوماً ما ، لم يستطع أن يستمر فى نزهته ، وأمر سائقه فعاد به إلى القصر ليتفكر فى هذه الحقيقة . ثم أغلق من دونه الأبواب وجعل يتفكر . ويرّجح أنه وجد عزاء لنفسه ؛ فقد خرج ثانية للتنزه مبتهجاً سعيداً ، ولكنه أبصر هذه المرة مريضاً منهدماً أعشى العينين مرتعش البدن ، ولما لم يكن للأمير علم بالمرض فقد وقف وسأل عن ذلك . ولما علم أنه المرض ، وأن كل إنسان عرضة له وأنه هو نفسه ، وهو الأمير القوى السعيد ، قد يمرض فى غده ، لم يطق متابعة سيره وعاد ثانية إلى قصره ليتدبر ويبحث عن عزاء ويرّجح كذلك أنه أصاب عزاء ، فقد خرج يتنزه للمرة الثالثة . ولكنه فى هذه المرة وقع على منظر جديد ؛ فقد أبصر رجالا يحملون شيئاً ما ، فسأل ماذا يكون ؟ ولما أخبر أنه رجل ميت قال متعجباً : ميت ؟ وما الميت ؟ وأخبر أن الإنسان إذا أصبح مثل ذلك الرجل صار ميتاً . فدنا الأمير من الجثة وكشف عنها غطاءها ونظر فيها وسأل ماذا يحدث بعد ذلك ؟ فأخبر أنها سوف تدفن فى الأرض واستفهم عن سبب ذلك فأجيب : لأن الميت سوف لا يعود إلى الحياة وسوف يتعفن وينتج الدود . وسأل الأمير أذلك حظ الناس جميعاً ؟ وهل يحدث لى مثل هذا ؟ وهل أدفن وأتعفن وأنتج الدود ؟ أتقول نعم ؟ إذن فإلى القصر . ولن أخرج بعد ذلك أبداً طلبا للمتعة.

ثم إن سكياموني فقد كل عزاء ، وأيقن أن الحياة أعظم شر ، وجعل همه كله أن يتخلص منها ويخلص غيره » .

هكذا تُصور الحكمة الهندية الحياة وهكذا رآها تولستوى ، ولقد فكر كثيراً فى أن يتخلص منها ...

ولكنه يرى كثيراً غيره من الناس يعيشون لاتزعجهم الحياة ولا يكربهم التفكر فيها ، فإذا كان لم يجد فى العلم هداه ولا فى الفلسفة ، أفلا ينظر فى حياة الناس ليرى كيف يرضون ولا يشقون مثل شقائه ؟

وعرف من الناس فى الحياة أربعة أنماط : ففريق هم الجهلاء الذين لايدرون أن الحياة عبث وسخف ، وليس له فى هؤلاء فائدة ؛ لأنه لايستطيع أن يعود جاهلا . وفريق يعلمون سخفها ، ولكنهم مع علمهم يوطنون أنفسهم على تحملها ، وهو لايقدر أن يجاريهم فهو متبرم ساخط . وفريق هم الجادون العاملون الذين يتخلصون من الحياة على أية صورة ، وهو لا يستطيع أن يفعل فعلهم لأن شيئاً خفيا يمنعه من ذلك كلما أغراه اليأس . وفريق يرون الحياة زوراً وعبثا وأن لاخير فى مستقبل ولا رجاء ، ومع ذلك فهم يتعلقون بها وإن تعذبوا ، وهو من هذا الفريق .

على أن هناك فريقاً خامساً لا يدخل فى هذه الأنماط الأربعة ، هم أولئك الذين لا يكترث لهم أحد ، وينظر إليهم السادة نظرتهم إلى الدواب ، وهؤلاء قد وجدوا لهم فى الحياة معنى يعيشون عليه ، معنى لا يتصل بالمعقول ولا بالفلسفة ، وذلك هو الإيمان .

ولكن إيمان هؤلاء يقوم على أساس من الأرثوذكسية عقيدة الكنيسة الروسية الإغريقية ، وهى ما لا يستطيع أن يحمل عقله على قبوله ...

يا للحيرة ! إن العقل يفضى به إلى إنكار الحياة نفسها ، وإن الإيمان يقتضى أن يعطل العقل ... أى بلاء هذا ؟ وأى ليل معتم !

ولكنه علم فيما علم قول المؤمنين إنه لا بد من إعداد النفس للايمان حتى تؤمن ؛ وإذاً فليدع العقل جانباً وليناقش رجال الدين ، ولينظر فى كلامهم لعله يصل إلى قلبه ، وليقرأ ما كتبه آباء الكنيسة ، وليطالع سير القديسين ، وليتعبد فيقيم الشعائر جميعاً ، وليزر الأديرة ، وليذهب إلى الأب الصالح أمبروز ، ذلك

الذى كان يستعينه جوجول والذى استعانه دستويفسكى وسولوفييف ؛ وفعل ذلك جميعا ولكن الشك ما زال يأخذ بخناقه ويكاد يزهق روحه ...

ويقرأ العقيدة الأرثوذكسية ، وكلما أمعن فيها سخر منها وبعد عن التصديق بها . فما هذا التثليث ؟ وما هذا التحول إلى دم المسيح ولحمه ؟ وما تلك المعجزات التى تنسب إلى القديسين ؟ وما تلك الأدعية والصلوات والطقوس ؟ أذلك مما يقبله العقل ؟ كلا ثم كلا

ثم يحاول أن يطرد الجحود من نفسه فربما كان الجحود هو ما يحول بينه وبين الإيمان . ويقول لنفسه دائما إنه مستعد لأن يؤمن . قال فى كتابه « اعتراف » يصف ذلك : « لقد اتجهت صوب الإيمان لأنى لم أجد شيئا خارجه إلا الخراب . وعلى ذلك فما دمت لا أستطيع أن أطرح عقيدتى جانبا فقد صدقت وخشعت . وقد أحسست فى قلبى من القنوت والخشوع ماجعلنى أفعل ذلك . ثم إنى عدت فخشعت وازدردت الدم واللحم من غير سخرية فى نفسى رغبة منى فى أن أصدق ؛ ولكنى أذكر ما مر بى من صدمة وأرى ما ينتظرنى فيما هو قادم ، فلا أملك أن أظل مصدقا » .

وإذ يرى نفسه فى بحرلجى من الحيرة يسأل نفسه : ماذا يريد أن يعرف على التحديد ليلتمس السبيل إلى معرفته ؟ فيكتب على رقعة : لماذا أنا حى ؟ ماسبب حياتى وحياة غيرى من الناس ؟ وما هدف حياتى وحياة غيرى ؟ ماذا تعنى ثنائية الخير والشر التى أحسها فى نفسى ؟ ولماذا هى قائمة فيها ؟ وعلى أى وجه ينبغى أن أحيا ؟ وما الموت ؟ وأهم من ذلك كله وأكثره تعقيداً كيف أنجى نفسى ؟ ذلك أنى أحس أنى هالك ، فإنى أعيش ثم أموت ؛ وإنى أحب الحياة وأخاف من الموت ، فكيف أنجى نفسى ؟ »

وإذا لم يبق له إلا الدين والإيمان ، فأى إيمان ؟ إنه إذا قارن فى نفسه بين تلك الأوقات التى آمن فيها بالله وبين تلك التى أنكر فيها الله ، وجد الأولى نيرة فيها شفاء للنفس، ووجد الثانية مظلمة فيها العناء ، ولكن الإيمان بالله شىء ، والإيمان بما تقول الكنيسة الأرثوذكسية شىء آخر ...

ولا يزال يطيل القراءة فى العقيدة الأرثوذكسية ، ولا يزال يقرأ الأديان جميعاً فى كتبها ، ولا يزال يزور الأماكن المقدسة علها توحى إلى نفسه الإيمان ، ومن ذلك مدينة كييف وماتزدحم به من كنائس وأديرة قديمة . ولا يزال يستفهم القسيسين والطيبين من الطاعنين فى السن من الناس . ولا يزال يقيم الشعائر ويعظمها . . ثم لا يعود من ذلك جميعاً بشىء إلا الجحود بما تقول الكنيسة .

تلك حال تولستوى وما صنع فى تلك السنوات التى أعقبت زواجه حتى أتم كتابه « أنا كارينينا » .ثم تلقى الضربة التى جملته يتخبط فى الظلام ، والتى جملته يلقى بعيداً بحبل كان فى متناوله مخافة أن يشنق نفسه ، ويحمل دون بندقيته قفلاً غليظاً كيلا يصوبها إلى قلبه . وما تلك الضربة إلا أنه بعد طول عنائه يرى الحياة لاشىء ، ولكم يزعجه اللاشىء ويوبق روحه ويزعزع فؤاده!

ولكن إذا كان لا يحب أن يقتل نفسه فما معنى أن يستسلم لليأس ؟ وكيف يحيا إذن ويطيق حياته إذا كان لا يرضى الموت ولا يرضى الحياة ؟

إذن فليجاهد على وعورة الطريق وبعد الشقة وظلمة المفازة ، ليجد معنى للحياة ترتاح له نفسه ، ويسعد به البشر . ولئن وقف به ما سلف من جهاده وقفة التائه الذى يخيفه الفضاء والظلام ، فلخيرله أن يمضى لعله يجد بعد الضلال هدى وبعد العذاب راحة . ولأن يتحمل وعثاء السفر مهما عظمت أهون عليه من هذه الوقفة التى تكاد تلقيه فى قرار سحيق ...

لقد قضى من عمره قرابة ثلاثين عاماً يعمل للفن ، فليقض ما بقى من عمره عاملاً على تقرير معنى الحياة ، وليس ما يمنع أن يكون الفن أداته فيما هو قادم إذا لزم الحال ...

وسوف يعمل تولستوى دائباً ناصباً ، حتى ليعد جهاده فى سبيل غايته من أروع فصول الكفاح فى خطى البشرية ، فليس أبلغ فى معانى البطولة من تحمل مثل ما سوف يلقاه من عذاب ، ولا من الصبر على مثل ما سوف يعترض له من صعاب . ولسوف يغدو تولستوى فى تاريخ الفكر الحديث ، والأدب الحديث ، والفن الحديث ، بجهاده الهائل منقطع القرين فى إخلاصه وحميته وثباته . أجل ، وسوف يرتفع إلى منزلة وسط بين الأنبياء والناس.

محمود الخفيف

لا أثر للمغازلة في روسيا

مترجمة عن مجلة انترناشونال دايجست

بقلم الأستاذ توفيق ضعون

هذا ما بدا لأحد سكان غربي أوروبا عند ما زار موسكو ، وقد عاد منها مقتنعاً أن « الرفيق كوبيد » أصبح شيئاً غير مرغوب فيه في وطن ستالين . أما روايته في هـذا الصدد فهي ما يلي :

لقد ألف سكان غربي أوربا مشاهدة المطارحات الغرامية على أنواعها ، وفي جملتها تبادل القبل في الشوارع والمتنزهات ، والتشجيع على المغامرة الذي يلقاه الرجال من الغواني . فلا بدع إذن أن يعجب الباريسيون أو سكان أي مدينة من كبريات المدن الأمريكية للمحافظة التامـة على الآداب العمومية التي يلقونها في موسكو .

ممـا لا ريب فيه أن هذه المدينة التي تعج بضعفي عدد سكان باريس هي واحدة من « أنظف » بلدان العالم ؛ إذ أن العلاقات اليومية بين الرجال والنساء خاضعة لقواعد التعفف والصون التي جرى عليها الأقدمون . فلا عواهر يخطرن في الأسواق ، والرجال والنساء ، شباناً وكهولا ، لا يتبادلون القبل علانية ، ولا يسيرون متشابكي الأذرع ولا متضامـين لـكي يثبتوا للملأ ما يضمره أحد الفريقين للآخر من حب وإعزاز . وجـل ما رآه الزائر عجبان يتنزهان ، وقد أخذ كل منهما بذراع الآخر في احتشام كلي ، فيخيل إليه أنهما زوجان انقضى على قرانهما عقد من السنين .

ومما استرعى انتباهي بنوع خاص أنني بينما أنا واقف في مطار كالينغراد في انتظار طائرة تقلني إلى موسكو ، تجلى أمامي مشهد وداع مدهش جرى بين جندي مبتور الذراع وخطيبته الحسناء المسافرة ؛ فمنذ ما أزف الموعـد أخرجت الفتاة من محفظتها تفاحة قدمتها للجندي فتناولها مبتسما ، وبادلها بدوره إهداءها بضمة من أزهار كان قد اقتطفها من حقل مجاور . والظاهر أن تعرضهما للأنظار ربكهما إلى حـد أنهما افترقا دون عناق . وصعدت الفتاة إلى الطائرة حيث لبثت مستغرقة في تفكيرها لاهية عن كل ما حولها باستثناء لحظات خاطفة كانت تلقي فيها نظرة أسى من النافذة ، أو تصوبها إلى طاقة الزهر الصغيرة التي زودها بها خطيبها الجندي ، وعبثاً حاولت الترفيه عنها ، فقد رفضت بأدب وحزم كل ما عرضته عليها من سكائر وحلوى .

وفي غضون الأسبوعين اللذين قضيتهما في موسكو تكررت أمامي المشاهد الدالة على المحافظة إلى أقصى حدودها . ولم يتفق لي ألبتة أن رأيت مطارحة من المطارحات الغزلية الشائعة المألوفة في المدن الأوروبية والأمريكية . فإن تلك النظرات الخاطفة التي يتبادلها المارة عادة في باريس أو نيويورك ، والتي تعبر عن التباهي بالجمال أو الأناقة أو الإعجاب بهما مفقودة تماماً في موسكو . والذي وثقت منه أن الفتاة أو المرأة في العاصمة الروسية لا تدرك معنى لأدلة الحب والإعجاب ، أو هي تأخذ نفسها بواجب تجاهلها فإن أنت أطلت النظر إليها عزت ذلك منك إلى تبينك لطخة علقت بأنفها فتحاول إزالتها بمنديلها .

وإذا رأيت امرأة جالسة على مقعد في حديقة عامة فلا تخش إذا أنت جاورتها أن تحدجك بغضب ، أو تخلي مكانها ؛ إذ هي لا ترى في صنيعك ما يريب أو يدعو إلى الاستهجان . وإذا جرؤت على سؤالها عن الوقت أو استطلعتها رأيها في الطقس أجابتك بكل بساطة معينة لك الساعة ومعربة عن شعورها بنقص الحر أو اشتداده بالنسبة إلى ما كان عليه في الأحد الفائت .

ولا يصح أن يُعزَى ما يبديه الذكور في موسكو من الفتور أو التحفظ إلى نقص في جاذبية إناثها ، فهن على العكس من ذلك بارعات الحسن ، وجمال بعضهن رائع فتان . فهناك الموسكوفيات الذهبيات الشعور السمهريات القوام ، والشماليات ذوات البشرة العاجية والأعين الزرق ، والقوقازيات الفاتنات اللحاظ المفترات الثغور . ولـكن برغم كل هذه المغريات يندر أن يميرهن الرجال التفاتاً . وحتى اليوم لا أعلم سبباً لهذا الفتور وعدم المبالاة يبديهما الرجال نحو أبرع النساء جمالا سوى اعتبارهم الاحتفال بالجمال إلى حد التدله ، إخلالا بالآداب العامة .

وممـا يلفت النظر بنوع خاص هو أنه بين زهاء الألفين من اللوحات العصرية المعروضة في المتحف الفني لا يوجد رسم واحد عار . وفي أثناء إقامتي في المدينة أعرت مديرة المنزل دفتراً أودعته ما أوحاه إليّ خيالي من رسـوم عارية لآدم وحواء في

الفردوس . فلم يكد يقع نظرها على الرسم الأول حتى أعادت إلىّ دفترى قائلة : « اسمح لى أن أعيد إليك بضاعتك إذ لا سوق فى روسيا للرسوم البذيئة ! » ، ولا يتوهمن القارئ أن بين تلك الرسوم ما يريب أو يخدش العفاف ؛ فإننى لو كنت فى باريس لما تحرجت أن أطلع عليها راهبة في دير سان سوبليس فلا ترى فيها ما يوجب الإغضاء . والأغرب من ذلك أن الكثيرين من أصدقائى فى موسكوا كدوا لى أن تلك المديرة لا تعد من المتطرفات فى التصون .

وربما كان أشد ما حيرنى سلوك الرجال ؛ فهم متطرفون فى كتمان عواطفهم الجنسية . ومما أذكره فى هذا الصدد أننى بينما كنت مسافراً فى طائرة أخذت أسلى نفسى بمطالعة عدد من مجلة « ليف » حتى إذا ما استوعبت جل ما يهمنى من مواده دفعته إلى ضابطين روسيين مجاورين لى ، فراحا يقلبان صفحاته دون أن يستوقفهما ما حفل به من رسوم الفتيات ذوات الجمال الرائع والهندام البارع ، شأنهما فى ما مرا به دون مبالاة من صفحات المواد لجهلهما اللغة الإنكليزية . أما الصفحة الوحيدة التى أطالا فيها التحديق فهى تلك التى تضمنت إعلاناً عن معمل دراجات آلية .

ولا يزال ذلك الاحتشام المحسوس الملموس فى روسيا سراً مغلقاً علىّ ، وربما كان من أول الأسباب الداعية إليه هو أن النساء فى الاتحاد السوفيانى ، باستثناء أقلية لا يؤبه لها ، أصبحن على قدم المساواة مع الرجال ، ففى كل مكان تقوم المرأة بأعمال كانت وقفاً على الرجال ، كقيادة الحوافل ، وبيع تذاكر السفر فى محطات السكك الحديدية ؛ حتى أن تنظيف المجارى تقوم به النساء . وكثيراً ما تبصر إحداهن خارجة من الأعماق وقد علت وجهها وثوبها الأقذار بعد أن غاصت فيها بحذائها الساق الضخم .

ومن الجهة الثانية نرى أن الروسيين قد أعياهم إدراك مفهوم الغربيين للأسلوب الأصلح فى العلاقات بين الجنسين . ومن الأمثلة الطريفة على تقصيرهم فى هذا المضمار هو ما شاهدته فى (فيانا) ، فقد دُعى عدد من الفتيات الفرنسيات المجندات إلى حفلة اجتماعية أقامها ضباط روسيون . ومما لا ريب فيه أن الفرنسيات لم يجاوزن فى سلوكهن الحد الذى ألفنه مع أبناء جنسهن . وكان الروسيون الذين تجنبوا كل أنواع المنازلة أن رافقوا بكل أدب مدعواتهن إلى منازلهن ، ولكنهم لم يتمالكوا أن أبدوا منتهى الاستغراب عند ما رأوا الفتيات يودعنهن عند الباب ولم تدع واحدة منهن رفيقها للدخول وتناول فنجان من الشاى أو كأس من الشراب .

وهذا لا يعنى أن الغريب المقيم على سفر فى موسكو لا يستطيع أن يصادق فتاة روسية ، على أن علاقته بها تختلف كثيراً عما لو كان فى باريس أو لندن أو نيويورك . مثال ذلك أن الفتاة الموسكوفية تستاء إذا حاول رفيقها أن يدفع ثمن ما تتناوله من طعام أو شراب ؛ فهى تصر على دفع حصتها من النفقة ، ولا تقبل هدية إلا إذا كان فى استطاعتها أن تقدم ما يضارعها فى أول فرصة تسنح .

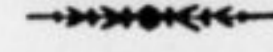
وقد اتفق لى أن قدمت يوماً لفتاة عرفتها هدية صغيرة فردت علىّ فى الحال بطاقة من الأزهار . وفى ظرف آخر قدمت لفتاة موسكوفية زجاجة عطر أتيت بها من باريس فما كان منها إلا أن قدمت إلىّ على الأثر كيساً من البرتقال .

وها أنا قد عدت من روسيا مندهشاً لتحرر الروسيات من سلطان الحب . ولا بد لى من الاعتراف بأن العلاقات الجارية بين الجنسين فى العاصمة الروسية تدهش إلى أقصى حد الرحالة الذى تتالت أمامه فى كل مكان الشواهد الدالة على ما كان للحرب من الأثر فى تداعى الأخلاق ، وما عقبها من الفوضى الأدبية فى البلدان الأوروبية دون استثناء .

توفيق ضعون

مذبحة الأبرياء في قرية دير ياسين

للأستاذ على محمد سرطاوى



تقع قرية دير ياسين البالغ عدد سكانها (٧٠٠) نسمة ، غربى بيت المقدس ، بين المستعمرات اليهودية ، وكانت تعيش مع اليهود على أحسن ما تكون الصداقة ، ولم يعتد أحد من سكانها على أحد من اليهود .

ويوم كانت البلاد تشيع ابنها البار ، وبطلها العظيم ، الشهيد عبد القادر الحسينى ، بطل القسطل ، إلى متواه الأخير ، انقضت جموع غفيرة من اليهود المسلحين على تلك القرية وأعمنت فى السكان الآمنين قتلا وذبحاً : فبلغ عدد القتلى (٢٥٠) قتيلا . وكان من بينهم (٢٥) امرأة عاملا ، (٥٠) امرأة مرضعا ، و (٦٠) امرأة أو فتاة ذبحن ذبح الخراف فى أفظع مظاهر القسوة . ثم جمعوا (١٥٠) امرأة وبعد أن مزقوا ملابسهن ، واعتدوا عليهن ، أركبوهن سيارات مكشوفة ، وطافوا بهن الأحياء اليهودية . وكان الجمهور الصهيونى المتمدن المهذب يرجمهن بالحجارة ويبصق عليهن ، ويشتم دينهن ، ونبيهن ؛ والجلادون واقفون فوق رؤوسهن ، يتباهون بهذه البطولة ، والجمهور يهتف لهم ، ويطيل التصفيق ، حتى إذا ما أنعبهم الطواف بهن ، أوصلوهن إلى طرف الأحياء العربية ، وأخذوا يقذفونهن إلى الأرض ، ويطلقون الرصاص فوق رؤوسهن كبرا وجبروتاً وإرهاباً !

والذى يتراءى أن الباعث النفسى الذى يحرك هؤلاء الناس ، إلى أعمال وحشية من هذا النوع ، لا يعود فى أصله إلى وطنية صحيحة ، ورغبة صادقة فى العيش بسلام فى جزء من الأرض ، وإنما يعود إلى شعور هذه الطائفة ، أفراداً وجماعات ، بالعجز والجبن ، والبعد عن الرجولة والشجاعة ، لأن الرجل الشجاع لا يستبيح لنفسه أن يقتل طفلا أو امرأة فى مثل هذه السهولة ، ثم يتباهى بما عمل من بطولة ، وبما صنع من معجزات .

والتاريخ الحافل بالاضطهاد الذى ذاق مرارته اليهود ، فى الزمن البعيد والقريب ، كان كافياً ليترك فى أعماق نفوسهم ثورة جامحة مدمرة ، على أى عمل يقترف على أيديهم ، أو بسببهم ، يتصل بالأساليب التى اضطهدوا بها ، لو كانت لهم ضمائر تنتعش فيها الكرامة الإنسانية .

والذى ينشد الحرية والاستقلال لا يطلبهما عن طريق محاربة استقلال الآخرين وحريتهم . وإنسان من هذا النوع خليق بأن يحرر نفسه من ذل الزمن ، وأن يتحرر من القيود والنزعات الهمجية التى لا تسيطر إلا على الشعوب الساذجة التى لم تنل قسطاً من يقظة الضمير ، قبل أن يرفع عينيه إلى مصادر النور !

وليس مقياس مدنية شعب من الشعوب ، هو مقدار ما يملك من قوة مادية ، وإنما هو مقدار ما يملك من قوة روحيه تدفعه إلى حب الخير ، وإلى التمرد على الظلم فى جميع صوره ومظاهره ! والعقبات الزمنية التى يقف أمامها شعب من الشعوب فى طريق سيره نحو الأبد المجهول ، ليست إلا اختباراً عملياً ، يقدمه ذلك الشعب للحياة ، لترى مقدار ما فى طبيعته من حب للشر أو الخير ليمنحه التاريخ الشهادة التى يستحقها .

ولقد يخدع شعب من الشعوب نفسه ، ويدور حول الحقائق ويتحلل من شخصيته الصحيحة فى سيره مع تيار الحياة ، ولكنه لا يلبث أن يعود إلى قواعد نفسه مهزوماً مدحوراً ، كما يعود إلى نفسه وطبيعته المجرم الأفاق الذى يتظاهر بالورع المزيف ، والتقوى التى ليس لها فى حسه وجود .

ولقد كلف الطموح الجنونى ، فى الأمس القريب ، ألمانيا والعالم أجمع ، ضحايا ، وآلاما ، ومتاعب ، كانت نهايتها انهيار هتلر ونظامه ، ومن ورائهما ألمانيا العظيمة ، تلك الأمة التى دمرها ذلك الطموح ، وجرعها مرارة الذل والخضوع .

واليهود ، وهم حفنة فى حساب العدد ، يطمحون إلى السيطرة على سبعين مليوناً من العرب ، بانتزاعهم فلسطين ، وهى قلبهم الخفاق ، غير مقدرين النتائج الوخيمة التى ينطوى عليها هذا الاندفاع الجنونى .

والفظاعة المتناهية ، فى صور القسوة والبربرية والهمجية ، التى يعتدون بها على النساء والأطفال والشيوخ ، حتى على جثث الشهداء ، سياسة يحسبون أن اتباعها يرهب العرب ويوصلهم إلى ما يريدون منهم . وقد نسوا أو تناسوا ، أن العرب أمة عريقة فى المجد ، شديدة البأس ، لا تلين لأساليب العنف ، ولا يزيدها ذلك إلا عنفواناً وصبراً وجلداً وتصميما على الأخذ بالثأر ، مهما

بين الشيوخ والشباب

للاستاذ عباس خضر

تجرى بين الحين والحين مناوشات بين أدباء الشباب وشيوخ الأدب ، تتمثل فى نقدات خفيفة من الشباب للشيوخ ، قليلها فى أعمال أدبية معينة ، وأكثرها تفنيد لمسلك بعضهم فى الإنتاج التافه المسف الذى يختلف عن سابق جدهم وإبداعهم ، ولبعد أكثرهم عن ملابسة الحياة وواقع الناس فيما يكتبون ، فهم — فى رأى الشباب وبعض الشيوخ — إما هاذرون مسفون ، أو معتصمون بالقباب الذهبية .. ولا أقول الأبراج العاجية .

وتتمثل تلك المناوشات أيضاً فى حملات بعض الشيوخ على الشباب ورميهم بالقصور فى التحصيل واستكمال الأداة ، وأنهم يحاولون هدمهم ، ويقولون إن عليهم أن يجدوا ويكدوا ليصلوا إلى ما يبتغون ويظفروا بما يأملون . وقد كتب الأستاذ المازنى مرة يتساءل : هل يحفر الشيوخ قبورهم بأيديهم ؟ ماذا يريد هؤلاء الشباب ؟ وضرب مثلا للشباب ما بذله من جهود فى التحصيل وما عاناه فى مقتبل حياته الأدبية .

وأخيراً كتب الأستاذ توفيق الحكيم مقالا فى «أخبار اليوم» بعنوان « آمال الجيل » أشهد أنه كان لبقاً فيه ، إذ بث فى أوله وفى وسطه روحا طيبا فى معالجة العلاقة بين الجيلين . ومما قاله « ما الذى سيحدث فى العشرة أو الخمسة عشر عاماً المقبلة ؟ هل الأمل معقود على طائفة من الأدباء يمكن أن تبرز بنوبتها فى الصف الأول ، لتمضى فى رفع مشعل الأدب والفكر فى هـذا البلد ؟ ! أو أنه كما يقال ليس فى الإمكان أبدع مما كان ؟ ! » وقال : « ونحن إذا جلنا اليوم فى حديقة الأدب المصرى لوجدنا أشجارا مملوءة بعصير الحياة ، مونعة بأزهار الفن .. لا ينقصها إلا أن ننظر إليها بعين الرضا ، وأن نتخيل ماستكون عليه غدا من سموق وارتفاع .. » ومضى يتساءل عن واجبهم نحو أعلام الغد ويعترف بانصرافهم عنهم إلى أن ختم المقال بقوله : « غير أن المشكلة التى تحيرنا دائماً هي : وسيلة المعونة ! .. أهى فى تجنيب الجيل الجديد

تطاول الزمن ، ومهما جسمت التضحيات .

ولقد سبق للغرب أن شن هجومه على الشرق باسم الدين ، فى الحروب الصليبية ، وفى فلسطين نفسها ، فلم يهن العرب ، وبقيت الحرب بينهم وبين أوربا سجالاً قرابة قرنين من الزمن القاسى ، تمكنت فى نهايته من طردهم منها . وها هو التاريخ يعيد نفسه ، ويحمل إلى شواطىء فلسطين جماعات مشردة ، أفاقة ، مجرمة ، من الهوان على أنفسهم وعلى الحقيقة ، أن يحسب لهم العرب حساباً ، مهما امتلأت أيديهم من أدوات الفتك والتدمير والغدر والنذالة التى يطفح بها تاريخهم القديم والحديث ، إن جاز أن يكون لجماعات من هذا النوع تاريخ أو ما يشبه قصة تفوح منها روائح القبور والجيف .

إن العرب وهم شعب عريق فى المجد ، لن يقابل أعمال اليهود البربرية بمثلها ، بل يمضى وراء أولئك الأنذال أشباه الرجال ، يعلمهم درساً قاسـيا ، ويهدم على رؤوسهم المجرمة ، صروح الأوهام ، متبعاً فى ذلك وصية أبى بكر ، أول خليفة ، لأول جيش يفيض على أطراف الهلال الخصيب من الجزيرة الجبارة ، من عدم الاعتداء على النساء والأطفال والشيوخ . وحينما احتل الصليبيون بيت المقدس ، تباهوا بأن خيولهم كانت تسبح فى دماء النساء والأطفال والشيوخ الذين استجاروا برحاب المسجد الأقصى فذبحوهم فيه . ولكن صلاح الدين الأيوبى حقن دماء أولئك القساة ، وسمح لهم بالخروج من بيت المقدس حين تم له طردهم منها

ولو عقل اليهود ، وقدر لهم ، أن ينظروا إلى قلوب العرب الكريمة الرحيمة ، قبل هذه البربرية ، لوجدوها تفيض بالحنان والرحمة ، ولتأكدوا من أنها أبر بهم وأحنى عليهم من تلك القلوب المستعمرة التى تتخذهم الآن وسيلة للاعتداء على حرية العرب الذين طالما أغدقوا عليهم العطف فى كل عصور التاريخ .

والعرب فى كافة أقطارهم ، مصممون على سحق الصهيونية المجرمة ، فى فلسطين ، لا حباً فى سفك الدماء ، ولكن دفاعاً عن الشرف العربى الذى استباحوه فى رعونة جنونية . والويل لهم حينما تدنو ساعة الإنتقام والثأر لشرف المسلمات فى دير ياسين ، اللائى طالما صرخن ، وا معتصماه ! وللعرب سبعة معتصمين الآن يثأرون للشرف المستباح . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

علي محمد سرطاوي

أخطاءنا ، أم هي في إشماره بأخطائه ؟ أهي في إعداده قبل الظهور ، أم في إظهاره قبل الإعداد ؟ ! ثم أولئك الذين قطعوا في فنهم شوطا وظهروا بعض الظهور ، وبدت مواهبهم متألقة كقطع النور ، أعلينا إزاءهم واجب ؟ ما هو ؟ وما السبيل إلى الوفاء به ؟ .. إنا جميعاً لعلى استعداد أن نؤدى واجبنا ولن نحجم عنه أبداً ، إذا عرفنا الوسائل وملكنا الأسباب ! »

ولا أرانى فى حاجة إلى قدر كبير من الألمعية لأدرك أن المقصود من المقال هو هذا الختام الذى انحسرت عنه تلك الروح الطيبة .. وقد استعان على إبراز هذا المقصود بعبارات التهكم من مثل « أم فى إظهاره قبل الإعداد ؟ ! » كما استعان على ذلك بنقط التعجب وعلاماته التى حرصت على إثباتها فى مواضعها . وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن هذا المقال من أسلحة كتلة الشيوخ . فهو يشبه « مشروع مارشال » من حيث أن كلا منهما يرمى إلى مكافحة الكتلة الأخرى .. فكأنه يقول : هؤلاء الشباب الذين يتطاولون علينا — ماذا يريدون منا ؟ وماذا نصنع لهم ؟

ولكى أثبت للاستاذ الحكيم حيادى وبراءة هذا الذى أكتبه من تلك الناوشات التى لن تفضى إلى حرب ذرية على أى حال — أسارع فأقره على حيرته وحيرة الشيوخ فيما يصنعون لهؤلاء الشباب » وإن فى هذه الثروة الأدبية الضخمة التى كونها أدباء الجيل ، لمدرسة الشباب ، وقد تخرجوا فيها فعلا ، فما هو الإعداد إن لم يكن هذا ؟ أيعقدون لهم فصولا فى النصح والإرشاد ؟ ولا أخفى أننى أبتسم عند ما أسمع أن كبار الأدباء قصروا نحو الجيل الجديد وأن عليهم أن يأخذوا بيدهم .. إلى آخر هذا الكلام الذى لا أرجعه إلا إلى العى ...

على أن هناك جانبا عمليًا لا يملك كل الكبار فيه شيئاً ، وهو النشر والتشجيع على الإنتاج . ومن الحق أن أقرر أن من يبدهم شىء من ذلك تراهم يشجعون كثيراً من الشبان الناضجين ويقومونهم ، وإن كان بعضهم يقصر عنايته على بطانته والسائرين فى زكابه ..

ولا أريد أن أسترسل فى ذلك الذى جرتنى إليه دعوى ذوى العى والراغبين فى الوصول دون عناء . أما ذوو الكفاية والكرامة من الشباب فما تلك دعواهم ، إنما هم يشقون طريقهم بأقلامهم ، لا ينتظرون من أحد معونة ولا يداً ، وهم إزاء ما يشاهدون من إسفاف الكبار ، يرون أنهم أقدر على تلبية روح عصرهم الجديد ، فإن لم يتيسر لهم ذلك الآن فهم فى الطريق إليه .

أما النقد الأدبى ، وقد تخلى عنه الكبار لأسباب منها : المجاملات الشخصية ، والرغبة فى الدعة الذهنية ؟ فإن الشباب يحاولونه . وتعوقهم عوائق كثيراً ما تأتى من الشخصيات التى يتناولها النقد ؛ فما يكاد يظهر نقد فى صحيفة حتى يصيح المنقود : هؤلاء الشباب الذين لم يقرؤا كما كنا نقرأ ... الخ — يريدون أن يهدمونا ... ولا أجد غضاضة فى أن أصرح بأن مجاملات المشرفين على النشر من أكبر عوائق النقد الأدبى ، وهم يقولون لك : ترفق ، ولا تكن عنيفاً . أكان أساتذتنا أدباء الجيل مترفقين فى نقد من كان قبلهم ... ؟ أو فى نقد بعضهم بعضاً أيام الحماس والفتوة ... ؟ لقد كانوا يتبادلون شتائم يخرجون فيها عن حدود الذوق والفن والأدب . ولاشك أن أئمة النقد الآن — على قلته — قد ارتقت وهذبت . بل هى رقت إلى حد أفسدها ... وهو حد التقارض والمصانعة .

فكيف يفزع من هذا النقد الرفيق من ذلك ماضيه فى النقد ؟ أما الأستاذ توفيق الحكيم خاصة فليس له ماض فى النقد الأدبى ، وهو لا يميل إلى الاشتباك فى المعارك الأدبية ، ولذلك نراه يتخذ أسلوباً « حكيما » فى الفزع من النقد .. يقرأ ما يكتب عنه ، ثم يعقد فصلا فى أخبار اليوم يتظاهر فيه بأنه يعالج موضوعاً مستقلا ، وما هو فى الواقع إلا تبرير لما يؤخذ عليه ... وأستطيع أن أرجع دافع كل مقالة كتبها فى ذلك إلى شىء كتب عنه . ثم جاء أخيراً يسأل : ماذا نصنع ؟ تناقش ياسيدى وجهاً لوجه ، وتدفع الحجة بالحجة ، أو تسكت إن أخذتك العزة بالإثم ...

والحق الصريح أن أكثر نتاج الكبار فى هذه الأيام لا يعجب الشباب ، ولا يعجب كثيراً من الكبار أنفسهم ، ويعز على الجيل الجديد أن يفجع فى أساتذته ، وأن مما يمكن أن يصنعه هؤلاء الأساتذة أن ينفضوا الغبار عن تماثيلهم القديمة المقدسة لدى الشباب ..

أمنية الشـــاعر!

لشاعر الحب والجمال لامرتين

بقلم الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

... وكأنما عز على لامرتين أن يتعب روحه ويضنيها فى البحث عن الله، أو كأنما شعر أنه أوفى من بحثه على الغاية التى يحق للبشر أن يوفوا عليها — فآثر أن يستريح راضياً بأمنية يتمناها مخافة أن يلجئه طول البحث إلى الكفران والجحود، فتاوه مشتاقاً إلى الحقيقة، ثم تمنى خاصة واحدة من خواص الملائكة، فنفض بصره عن حياتهم السرمدية، وعن سعادتهم الأبدية، ولم يرج سوى الإلهام له وللناس: لأن الإلهام هو الذى أرضى الملائكة ربها فسمعت وأطاعت، وحرية التفكير هى التى بعثت البشر على الانطلاق فخضعوا طوعاً أو كرهاً؛ ولكن الذين خضعوا كارهين ما برحوا يستغربون لماذا ألهم الله غيرهم الطاعة فأنشدوا لحن الخلود، ولم يلهمهم هم فعاشوا فى شقاء من بعده جحيم؟..

«٩ — إن ما أتمناه من الملائكة ليس حياتهم السرمدية،

لا، ولا سعادتهم الأبدية!

ولكنه الإلهام. هذه الحاسة التى يستطيع بها القلب الجحود،

أن ينشد لحن الخلود!»

ويخيل إلى الشاعر أن الله أجابه إلى رجيته، فأنار بصيرته بوميض من الإلهام؛ فإذا هو لا يكتم فرحه بما يجول فى نفسه، ولكنه يقر بأنه لا يقدر على إبداء هذا المعنى السامى الذى انكشف له، فكان أعظم من الأمواج الصاخبة، ومن الصواعق الغاضبة، فيترك سره لليل ليظهر الناس عليه:

«١٠ — يســاور نفسى شىء أرق من الصَّبا اللعوب،

سيذيعه الليل ويُفشيه!

شىء أعظم من الموج، ومن الصاعقة الغضوب،

وقلبى لا يستطيع أن يبديه!»

ويقارن لامرتين بين هذا الوميض الذى انكشف لبصيرته وبين أسرار الطبيعة التى احتجبت عن بصره، ويتسمع إلى لحن الوجود النفاذة إلى أعماق النفوس، فيرى أنه لم يؤت من الإلهام إلا قليلا، ويرى أن لتَبَج البحر لحناً أوقع من لحنه، وللجذوع الغابات نَفَساً أروع من نغمه، وللعواصف الهوج نشيداً أقوى من نشيده، وللأنهار الجارية أغاريد أحلى من أغاريده: فالبحر لا يقذف إلى ضفافه أمواجه إلا ليسمع شكواها، وجذوع الغابات لا ينحنى بعضها إلى بعض إلا لتلحن نجواها، والعاصفة لا تملأ صدر السحاب إلا لتضاعف صوتها فى أعماقه، والأنهار لا تتنفس إلا لتعلم الناس موسيقاها؛ فلكل منها مزمار يطلق منه أنغاماً تسبح بحمد الله وتقدس له، وكلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه ... أما الإنسان فإنه مهما صفت نفسه وراق قلبه يتمنى أن يحسن الغناء كما تُحسنه الأمواج، والجذوع، والعواصف، والأنهار، وكل مظهر من مظاهر الطبيعة البكر، ثم يجد أمنيته تصّاعد فى عالم مجهول، ثم لا يدرى أتعود عليه بالإخفاق أو النجاح. إلا أنه أخيراً يخفق فيعلم أن مزماره من صنع يده وهو لا يصنع إلا كاملا، وأن مزامير الطبيعة من صنع الله وهو لا يصنع إلا كاملا ...

«١١ — أيها الخضم الذى يقذف إلى ضفافه أمواجه الشاكية!

يا جذوع الغابات المتناجية!

يا عاصفة يمتلئ بها السحاب، ويا أنهاراً أنفاسهـــا خرير!

آه! لو أوتيت هذه المزامير!»

ويلتفت الشاعر إلى نفسه، ثم يخاطب روحه التى تمنّت كثيراً ولم تجب إلا قليلا، ويعجب كيف يصبر نفسه مع الحب الذى يضطرم فى أحشائه كأنه نار لا ينطفىء لها لهيب، أو إعصار ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، ويتألم لهذه الروح التى جعلت حب الله صلاتها وتسبيحها، وتقربت إليه بخفى ندائها، ولم ترجُه إلا أن يشرق عليها بنور معرفته، لينقذها من حماسة كلها لهيب، ومن ذهول كله وحشة، ثم لم يستجب لها بشىء. ولو شاء أن يستجيب، لأسر فى أعماقها اسمه الحبيب؛ ولو أسر اسمه لرضيت روح الشاعر، واطمأن قلبه، واهتدى عقله.

«١٢ — وا روحاه! هذا الإله الذى يضرمك حبه كأنه نار ..

أو تحترقين به كأنه إعصار!

لو استجاب – وأنت مشدوهة ذاهلة – لحماستك الجياشة اللاهثة،
لأسر اسمه فى لفظة واحدة!»

وهنا يهتف بلامرتين صوت خفى : لا تعجل فإن الله يسر اسمه ، وما عليك إلا تلتمس زمانه ومكانه فتسمعه : يسر اسمه فى أذن الطبيعة فتهمس به شفتاها وهى مختلية فى صومعتها ، بعيدة عن الدنيا وضجتها ، قريبة من السماء ورحمتها . . . حينئذ تجلس الطبيعة إلى السماء جلسة المستلم إلى المعلم ، فتحفظ منها اسم الله وتناجيه معها ، ثم تنتظران كلتاهما تنفّسَ الصبح ليفضى إليهما بأسرار الملأ الأعلى ، أو ترقبان عسعسة الليل لتسمعا سمر الكواكب ، فما يسمر منها كوكبان ، إلا على ذكر الخالق الرحمان .

« ١٣ – إن هذا الاسم لسرٌ تهمس به الطبيعة فى الخلوات ،
كما تحفظه السموات !
وكلما طلع الفجر أفضى بهذا السر ، وكلما تسامر كوكبان ،
كان صداهما الشجى الفتان!»

ويفرح الشاعر بما ألقى إليه الهاتف ، ويظن أنه وقف منه على السر المنشود ، وأنه قد وصل به إلى اسم المعبود ، فما عليه إلا أن يسهر ليله فيسمع الكواكب السامرة ، أو يثب مع الفجر ليعى أسراره الباهرة . . وفى هذين الوقتين السعيدين يريد أن تمسى كلها حواسه أذناً تسمع وقلباً يعى ؟ بل يريد أن تمسى العواصف والأعصار ، والأرض والنيران والبحار كلها آذاناً صاغية ، لأن من سكت فى هذين الوقتين نائما يسكت لنفسه ، ومن ضج نائما يضج عليها . ويريد من الرياح أن تقف لتتعلم هذا الاسم بعد أن طربت بألحانه ، ومن السموات أن تسترجعه وتردده بعد أن ثملت بخمرة عرفانه : فقد « خشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً » .

« ١٤ – إن العواصف والأعصار ، والأرض والنيران والبحار ،
خليقة أن تسكت لسماعه !
وإن الرياح الطروبَ بألحانه ، حريّة أن تقف لعرفانه ،
والسموات لاسترجاعه ! »

وما أحوج المتألم إلى ذكر هذا الاسم العظيم وترداده ، لأن لوسيقاه رنة تشفى السقيم ؛ ومن أجدر من لامرتين بالراحة وهو تعب ، وبالشفاء وهو عليل ، وبالسرور وهو حزين ؟

لقد كان فى الأثناء مضطرب الفكر ، موزع النفس ، متزايل المشاعر ، حتى أنه نظم قصيدته المعروفة (مالروحى حزينة Pourquoi Mor âme Ea est Triste) فلم يكن أحب إلى قلبه من وسيلة يتحول بها من أزمات نفسه الحادة إلى السكينة والاستقرار

ألا وإنه قد وجد هذه الوسيلة ، وهى التى ستأسو ما جرحته يد الحياة ، وهى التى ستحيل وادى أتراحه جنة أفراح . فليقذف بحزنه بعيداً ، وليلق بأساه ظهرياً ، وليستدبر كل ما يعكر عين قلبه ، وليستقبل الحياة من جديد برضا وارتياح !

وتغمره السعادة وتلابس روحه ، ويضع فى كفة ميزان ما نال من لذتها الحاضرة وفى كفة أخرى ما لازمه من ألم التعاسة الماضية ، فيجد نعيمه أرجح ، ويلقى التذاذه أغلب ، فلا يقيم لطول الزمن وقصره وزناً ، ويرى أن لحظة إعانه تعادل إعدام حياته ، ويخشى أن تفارقه هذه السعادة التى لا يمكن أن تدوم لأنها بسعادة الملائكة أشبه ، وهى بين البشر كالنسيم المعطر يضوع بنفحاته ، ثم يعود من حيث أقبل تاركاً هذا المأخوذ برائحته للأعاصير والعواصف ، وللرياح والأنواء ، يغالبها وتغالبه ويصارعها فتصرعه .

خاف أن تزايله هذه السعادة إذا بقى على قيد الحياة ، فتمنى أن تكون ختام حياته ، وآخر لحظاته ، ليلاقى الحقيقة التى سعى إليها بوجه ناضر ، وليقف فى أول شاطىء ما تخضمه من آخر : فأرسل هذه الأبيات الأخيرة بحرارة الشاعر ، وحماسة المؤمن :

« ١٥ – هذا الاسم وحده معاداً غير ممنون قمين أن يأسو سقامى
فى هذا الوادى من الآلام !
لجدير بى أن أهتف غير محزون : لينصرمْ آخرُ أيامى ،
فقد مجدت الإله ، ومرحى بالحمام!»

وإنك لتجس فى هذه القصيدة روحاً متصوفة تذكرك بالذين سلفوا من أصحاب النزعة الروحية المجردة ، فمن أين لهذا الشاعر مثل هذه الروح ؟

ويزول عجبك متى علمت أن لامرتين – وإن لم يتلق التصوف علماً ، أو يذقه مسلكا – كان صوفى المزاج ، مستمداً

طرائف من العصر المملوكي :

الســـبعة الشهب

للأستاذ محمود رزق سليم

جرت عادة الشعر ، أو اعتادت الطبيعة الشاعرة في كل أمة ، وفي كل جيل من أجيالها أن تنجب ، وأن تلد لنفسها من نجبائها رسلا يؤدون للناس رسالتها ، ويقضون دينها ، ويوفون للحياة حقها . فيكونون سر ربتها النابضة وبصيرتها الوامضة ، وبنودها الخافقة ولسنها الناطقة . ويحيون في جيلهم دولة الشعر والأدب .

ولو أننا تتبعنا العصر المملوكي من أوله إلى آخره ، وهو زهاء قرون ثلاثة ، تضم أجيالا ستة — إذا قدرنا لكل نصف قرن جيلا — لوجدنا في كل جيل منها حلبة من الشعراء ، جالوا في الميدان ، فرسان رهان ، مالكين الأعنة شارعين الأسنة . والأدب اللباب مسلس لهم في الزمام ، مرخ في الخطام . ليصلوا منه إلى الغاية ، ويوفوا على النهاية . ولأدركنا أن الشاعرية المصرية ما كانت قط عقيما ، وأن شعراءها ما كانوا أبداً مقصرين .

وإذا ذكرنا ما كان يحيق بالعصر وأدبائه ، من مثبطات الهمة وموهنات العزيمة ، ومن منغصات العيش ومقعدات الأمل وموئسات الأدب ، ثم رأينا أن شعراءه — بالرغم من هذا — انطلقوا في كل واد ، وسرحوا في كل مسرح ، حتى اتسعت في القول آمادهم ، وبعدت آفاقهم ، وقضوا حق الشعر فخاضوا منه أفانين ، وأدوا رسالة الأدب فأبدعوا منه آيات . لعرفنا أي شعراء وأي أدباء كان هؤلاء الأسلاف .

ونرى بين المتعاصرين منهم — فيما نرى — وشائج الأدب موصولة ، وصلاته حافلة ، وروح سارية متوثبة ، ودعوته قائمة منشورة . لا يخلو أحدهم من مطارحة صديق أو معارضة رفيق ، أو مداعبة صاحب ، أو مفاكهة خليل ، أو مسامرة نجي ، أو ممابثة شجي . أو مسابقة إلى مكرمة شعرية ، أو مباراة في مأثرة أدبية .

وأولى حلباتهم حلبة الجزار والوراق ، وابن عبد الظاهر والشاب الظريف . ثم حلبة ابن نباتة والحلي والصفدي وابن الوردي والشهاب بن فضل الله . ثم حلبة القيراطي والموصلي وابن مكانس وابن أبي حجلة . — وهكذا لا تكاد تخلص من حلبة إلا إلى أختها ، ولا تغادر طائفة إلا إلى غيرها . وإذا ذهبنا ننوه برجال

للترهب لو تهيأت له الظروف لنشأته في بيت يقدس التقى والزهد والعفاف .

وإني لشاعر في قرارة نفسي بأن هذا المقال موجه إلى طائفة من الناس تتذوقه ، وقد يقرؤه غيرهم فلا يجدون الحلاوة التي وجدوها . ولقد أحسن لامرتين إذ وجه هذه القصيدة مع قصائد أخرى من نوعها تجاوز الأربعين في ديوانه (أنغام شعرية ودينية Harmonis Poétiques ét Religieuses إلى طائفة خاصة وصفها في مقدمة الطبعة الأولى بقوله :

« في هذه الدنيا قلوب حطمها الألم ، ونبذها المجتمع ، تنزع إلى عالم أفكارها وإلى عزلة أرواحها لتبكي أو تنظر أو تعبد . فهل أطمع أن يدعو أصحابها أشعاري تقدس العزلة كما يقدسونها إلى الشعور بالارتياح نحو أنغامها ، وأن يقولوا أحياناً إذا أصاخوا إليها : « إننا لندعو بأقوالك ، ونبكي بدموعك ، ونبتهل بأناشيدك ؟ » .

لو أن بعض هـذه الأرواح التي ليست في هذا العالم مطلقاً تستجيب في سرها لأصواتي الخافتة الضعيفة . ولو أن بعض القلوب التي ما زالت قاسية تتفتح وتذرف دمعة جديدة ؟ ولو أن بعض هاتيك الأرواح الحساسة التقية تفهمني وتعرفني وتبلغ سويداء قلبي وتُتِمُّ بينها وبين نفسها ألحاناً لم أزد على أن ضربت على بعض أوتارها فإن هذا حسبي ، وإن هذا لغاية متمناي ، بل إن هذا لأبعد من أن أرجوه ! »

وإني لأعتز بهذه الكلمة الجياشة بأنبل العواطف الإنسانية في توجيه هـذا المقال الذي أرجو مخلصاً أن يكون فاتحة لهذه الموضوعات .

وبعد . . . فهذه أمنية الشاعر كما صورها لامرتين : روح تسبح ، وخيال يحلق ، وقلب يؤمن ، وسعادة تغمر ، ورضا واطمئنان يجملان الحياة .

صبحي ابراهيم الصالح

كل حلبة عادين مآثرهم ، ذاكرين مفاخرهم ، لاحتاج المقال إلى أكثر من مجال .

والسبعة الشهب الذين عنونا بهم المقال ، يكونون حلبة من تلك الحلبات ، أو على وجه أدق هم فريق من حلبة تعاصر رجالها وتعدد أبطالها . وقد اجتمعوا فى القاهرة فى وقت واحد ، وكان كل منهم يلقب بشهاب الدين وهم سبعة من الشعراء الذين ذاع صيتهم وملأ شعرهم فجاج القاهرة وغمر أسماعها ، حتى أطلق عليهم القاهريون هذه التسمية « السبعة الشهب » وعرفوا بها ، وسجلتها لهم كتب الأدب والتاريخ .

هؤلاء الشهب السبعة هم : الشهاب بن حجر العسقلانى ، والشهاب بن الشاب التائب ، والشهاب بن أبى السعود ، والشهاب ابن مبارك كشاه الدمشقى ، والشهاب بن صالح ، والشهاب الحجازى ، والشهاب المنصورى .

لمت هذه الشهب معا فى سماء القاهرة فى أواسط القرن التاسع الهجرى ، وليسوا أول الشهب اللامعة بها ولا آخرها ، فقد سطع بالقاهرة من الشعراء غيرهم من يدعى « شهاب الدين » مثل شهاب الدين بن العطار المصرى المتوفى عام ٧٩٤هـ ، ولكن ميزة هؤلاء المتشابهين فى ألقابهم وحرفهم أنهم تعاصروا واجتمعوا بها فاقترنت ألقابهم ، وأضفى عليهم هذا التعاصر والاجتماع ثوبا من الجلال والشهرة .

وفضلا عما اشتهر به كل منهم على حدة من الفضل ، عقدت المودة أواصرها بينهم — أو على الأقل بين بعض منهم وبعض ، واتصلت بينهم وشائج الأدب وروابط الفن ، فتبادلوا بالشعر مقارضات الثناء ومطارحات الإخاء ، ونمت فيهم مظاهر التعاطف والألفة مع التسابق فى مضمار الأدب .

أما شهاب الدين بن حجر العسقلانى فهو قاضى القضاة العالم الفقيه الحافظ الراوية المؤلف المؤرخ ، صاحب كتاب « الدرر الكامنة » و « فتح البارى » و « الإصابة » وغيرها من ذخائر الفقه والتاريخ والحديث . وهو الأديب الشاعر الناثر . وفى إحدى مقالاتنا السابقة جلينا صفحة من أدبه وروينا فيها طرفا من شعره ، ذاكرين أن له ديوان شعر مخطوطا قيما لا يزال قابعا مجفوا فى رف من رفوف دار الكتب المصرية . ولا بأس هنا أن نذكر أنه قال الشعر فى أغراض عدة منها النبويات والمدائح والإخوانيات والغزل وغيرها . وقد وشح وقطع ، وطارح وورى وألغز وحاجى ، إلى غير ذلك .

ومن لطيف أغزاله قوله :

صب لاقياك بالأشواق ممعود ... فقيد صبر عن الأحباب مفقود
ناء عن الأهل والأوطان مغترب ... وواحد ماله فى الصبر موجود
متيم قد بكى بعد الدموع دما ... كأنما هو فى عينيه مفصود
النار ذات وقود فى جوانحه ... شوقا وفى خده للدمع أخدود
يا مخجل الشمس بالأشواق إن فتى
طلعت فى داره وما لسعود
أمرت قلبى ومذ حجبت عن بصرى
تيها فكان له بالقرب تبعيد

روى أن شهاب الدين بن مباركشاه مدح ابن حجر بقصيدة دالية . وروى أن شهاب الدين الحجازى كان يطارح ابن حجر شعراً .

وكان ابن حجر أول شهاب منهم خبا ضوءه وغاب شعاعه ، وأسلم للمغيب ، وكان ذلك فى عام ٨٥٢ هـ وقد رثاه الشهابان الحجازى والمنصورى . فقال أولهما من قصيدة رائية :

كل البرية للمنية صائره ... وقفو لها شيئا فشيئا سائره
والنفس إن رضيت بذا ربحت وإن
لم ترض كانت عند ذلك خاسره

ومنها يصفه :

فكأنه فى قبره سر غدا ... فى الصدر والأفهام عنه قاصره
وكأنه فى اللحد منه ذخيرة ... أعظم بها درر العلوم الفاخره

وذكر الشهاب المنصورى أنه سار فى جنازته ، فأمطرت السماء على نعشه ، وقد قرب إلى المصلى ، ولم يكن الوقت وقت مطر فقال :

قد بكت السحب على ... قاضى القضاة بالمطر
وانهدم الركن الذى ... كان مشيدا من حجر

أما شهاب الدين المعروف بالشاب التائب فهو أحمد بن على ابن محمد القرافى القاهرى الشافعى . ذكر السخاوى فى الضوء أنه كان أديبا فاضلا جيد الخط ، أخذ العلم والأدب عن ابن

الهمام والشمني والحصني ، وقرأ توضيح ابن هشام . وأنه كان يطارح بشعره . وممن طارحهم الشهاب المنصوري ومن شعره موريا في حسناء اسمها شقراء :

سبقت لميدان الفؤاد بحبها شقراء تجذب مهجتي بعنان
فترا كبت حمر الدموع وشبهها مذ جالت الشقراء في الميدان

والشاب الثالث هو ثاني المودعين من الشهب ، فقد توفى عام ٨٦١ هـ .

وبهذه المناسبة نذكر أن هناك شابا ثاثباً آخر ولد بالقاهرة سنة ٧٦٧ هـ ، واسمه أحمد بن عمر بن أحمد ، ولقبه شهاب الدين أيضاً ، كان يتعاطى العلم حتى عد في الفضلاء ، ويجلس على موائد الأدب حتى عد في الأدباء . وكان ينظم الشعر ويميل إلى الصوفية حتى اعتقد فيه بعض الناس ، ومات بدمشق عام ٨٣٢ هـ . روى ذلك السخاوي في الضوء أيضاً .

أما شهاب الدين بن مباركشاه ، فهو أحمد بن محمد حسين القاهري الحنفي . تلقى العلم على ابن الهمام وابن الديري ، وغيرهما . وصنف بعض الكتب ، ومنها كتب أدبية مثل « السفينة » . وبرع في نظم الشعر ، قال عنه ابن إياس : « كان من أعيان الشعراء » ، حسن اتصاله بكثير من أعيان عصره ومنهم ابن حجر العسقلاني ، وقد روينا أنه مدحه بقصيدة دالية . ومن شعره يشبه عشرة بعشرة قوله :

فرع جبين محيا قامة كفل صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل هـــلال صباح بانة نقا آس إقاح شقيق نرجس در

وله في القناعة :

لي في القناعة كنز لا نفاد له وعزة أوطانني جبهة الأسد
أمسي وأصبح لامسترفدا أحدا ولا ضنينا بميسور على أحد

والشهاب بن مباركشاه هو ثالث من توارى من الشهب ، فقد توفى عام ٨٦٢ هـ .

أما الشهاب الرابع فهو شهاب الدين بن أبي السعود ، وكان هو والشهاب بن صالح كثيري المطارحة . وقد توفى في مكة عام ٨٧٠ هـ .

وشهاب الدين بن صالح ، اسمه أحمد بن محمد بن صالح ، قال عنه ابن إياس « كان عالما فاضلا وأديبا شاعراً ماهراً » ويعرف بابن صالح ، وبسبط السعودي . والسعودي هو جده شمس الدين كان عالما وأديباً مصنفا .

وقد أكب ابن صالح على دراسة علوم الدين والعربية حتى برع في كثير منها ، متتلمذا على جلة شيوخ عصره مثل القاياتي والشمني والنويري . وأقبل على فنون الأدب حتى حذقها ، وأجاد في نظم الشعر ، فانسجم لفظه ومعناه . وطرق أبواب المديح والإخوانيات ونظم العلوم . وطارح أنداده من كبار الشعراء ويقال إنه كان أرق شعراء عصره نظما . ويفضله صديقه شرف الدين العطار على ابن حجر العسقلاني وابن نباتة المصري . وكان هو وشهاب الدين بن أبي السعود فرسي رهان . واتصل بأعيان عصره ومنهم الكمال ابن البارزي . وكان ذكيا سريع الإدراك . وقد نظم العقائد النسفية شعرا . ويحدثون عنه أنه هجر الشعر بأخرة وجنح إلى العلوم .

ومن شعره يشبب بمن اسمه « فرج » ويوري ومضمنا :

شـكا فؤادي هم الصد يا فرج وفيك أصبح صدري ضيقا حرجا
واستيئس القلب حتى رحت أنشـــده

يا مشتـكي الهم دعــه وانتظر فرجا

ومدح السخاوي صاحب الضوء اللامع ، ومن قوله فيه :

وقد حفظ الله الحديث بحفظه فلا ضائع إلا شذى منه طيب
وما زال يمــلا الطرس من بحر صدره
لآلىء إذ يمــلي علينـــا ونكتب

ومات ابن صالح في عام ٨٧٣ هـ . وهو خامس الشهب ظعنا .

أما سادسهم فشهاب الدين الحجازي ، المولود في القاهرة عام ٧٩٠ هـ . واسمـه أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الخزرجي الشافعي . كان سريع الحفظ . وقد بدأ حياته التعليمية بدراسة مذهب الإمام الشافعي وحفظ حديث الرسول عليه السلام . وغير ذلك من علوم الدين . ثم أقبل بجماع نفسه على الأدب ، وأجاد في قرض الشعر حتى طار صيته في الآفاق ، وطارح العسقلاني ، وراسل الشهاب المنصوري ، وغيرهما .

وكان الحجازي خفيف الروح لطيف المعاشرة طريف المحاضرة . ويبدو لنا أنه كان عالي الهمة وثابا إلى المكرمات الأدبية ، فقد روى أنه جمع شعره ونثره في ديوان . وله مختصر في شرح

المقامات . وله شرح على الملقات . وصنف كتبا أدبية عدة منها تذكرة فى نحو خمسين مجلدة ، وكتاب قلائد النحو فى جواهر البحور . وكتاب فى الألغاز وكتاب فى الحماقة مرتب على حروف المعجم . — وفى دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة محلاة بالذهب من كتابه « روض الآداب » وهو مجموعة أدبية مرتبة على خمسة أبواب : المطولات والموشحات والمقاطيع والنثريات والحكايات . ويبدو أنه لم ينجب ، وذلك لقوله :

قالوا إذا لم يخلف ميت ذكرا
ينسى ، فقلت لهم فى بعض أشعارى
بعد المات أصيحابى ستذكرنى عما أخلف من أولاد أفكارى

ومن شعره :

قصدت رؤية خصر مذ سمت به فقال لى بلسان الحال ينشدنى
انظر إلى الردف تستغنى به وأنا مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

وقد مات الشهاب الحجازى عام ٨٧٥ هـ عن خمس وثمانين سنة تقريباً ، فرثاه صديقه الشهاب المنصورى بقصيدة منها :

لهف نفسى على أفول الشهاب تحفة القوم نزهة الأصحاب
كان فى مطلع البلاغة يسرى فتوارى من الثرى بحجاب
فقدت به أيامى المعانى ويتامى جواهر الآداب
هطلت أدمع السحاب عليه وقليل فيه دموع السحاب

وبموت الحجازى أصبح الشهاب المنصورى وحيداً لا شهاب غيره فقال يرثى زملاءه الستة :

خلت سماء المعانى من سنا الشهب فالآن أظلم أفق الشعر والأدب
تقطب العيش وجها بعد رحلة من تجانبوا بالمعانى مركز القطب
تعطلت خرد الأيام من درر كانت تحلى بها منهم ومن ذهب
لو تعلم الأرض ماذا ضمنت بطرت بهم كما يبطر الإنسان بالنسب
ولو درى المسك أن الأرض قبرهم لود نشقة عرف من شذى الترب

وقد أصبح المنصورى من بعدهم شاعر عصره غير منازع ، ورأس أدبائه غير مدافع . واسمه أحمد بن محمد بن خضر السلمى ، ويعرف بالهائم القاهرى . كان جيل الهيئة متعففاً عن الناس . مهر فى نظم الشعر وسلك به أبواب الغزل والوصف والمدح والرثاء وغيرها . وقد عاش بين سنتى ٧٩٩ هـ ، ٨٨٧ هـ ، ومات بعد أن نيف على الثمانين ، وبعد فالج أصيب به فأقعده زمنا . وقد جمع شعره فى ديوان كبير . وتقدم لنا من نظمه أمثلة . ومن قوله فى الشكوى :

ليت شعرى وفى الزمان خطوب وبلاء يختص بالأحرار
هل لميت قضى عليه طبيب من كفيل أو آخذ بالثار

وقال متغزلا فيمن اسمه « شاهين » مع التورية :

قد صاغك الله من لطف ومن كرم وزاد حسنك بالإحسان تزيينا
فاخفض جناح الرضا واصطد طيور وغى
من جو إخلاصنا إن كنت شاهينا

هؤلاء هم السبعة الشهب . ولو مدنا التاريخ بالكثير من أخبارهم لكان للبحث فيهم مجال أوسع ، ولكن هذه الآثار التى قدمنا عنهم تدل على علو كعبهم ورسوخ قدمهم فى الأدب والشعر ، فهى منهم كالعنوان من الكتاب ، واللمحة من الشهاب .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

نامي...

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

نامي فإن الليل قد جاء   ومضى النهار، وكان ضوضاء
والنهر نام، فلم يعد ماء   لا ... بل ملاكا رائع الطهر

نامي لدى صدري؛ ففي صدري   دنيا من الأنغام والشعر
إن كنت أنت خميلة الزهر   فأنا الهزار يهيم بالعطر

واستقبلي حلم الصبا العذب   فيه تطير عرائس الحبّ
هو صورة لنوازع القلب   ما أروع الصور التي تغري!

إني سأقضي الليل سهرانا   أرعى الصبا غضًّا وفينانا
لا ... لا تخافي لست سكرانا   إني بدأت أفيق من سكري

لا بأس إن قبّلت يا ليلى   ثغراً يضيء بنوره الليلا
أترين أني آثم؟ كلا   ليست أثاماً خمرة الثغر

لا بأس إن داعبت يا ليلى   (كأسين!) ما أغلى وما أحلى!
أنا إن لعبت فلم أزل طفلا   لعب الطفولة غير ذي وزرِ

قومي فإن الفجر قد لاحا   والبلبل الغرّيد قد راحا
يستقبل الأنوار صداحا   ويطير من زهر إلى زهر

والزهر داعبه الندى فصحا   واهتز في أوراقه فرحا
قد خلته في غصنه قدحا   في كفّ أغيدَ مائل الخصر

وسرى النسيم مُنى وأفراحا   تشدو فيشدو الكون أرواحا
وتشير عطر الزهر فوّاحا   فإذا الوجود يفيض بالسحر

هذا الصباح يبث في نفسي   دنيا من الأفراح والأُنس
هاتي المدام، وقربي كأسي   أو قربي شفتيك من ثغري

قومي اسمعي أنغامي السّكْرى   تذكي الحنين، وتبعث الذكرى
قد أرسلتها نفسي الحيرى   لتذيع ما بالنفس من سرِّ

قومي نطر في أُفقنا السامي   أنشودة من وحي أحلامي
ذهب الظلام، وتلك أنغامي   تهتز بين أشعة الفجر

قومي نغني غنوة الحب   فوق الربا الريانة العشب
ما بال هذا الواله الصب   لا يستقر اليوم في صدري؟!

ما باله كالطائر النزق   طال الحنين به إلى الأُفُقِ؟
تمضي الحياة به على قلق   من ذلة الحرمان والأسْر!

قومي اسأليه الآن في عطف   ماذا تريد؟ وما الذي تُخفي؟
سيجيب: أمنيتي التي تشفي   هي قبلة من ثغرك البِكْر

هي قبلة تُهدى إلى نفسي   أمل الشباب، وبهجة العرس
وتنير مثل أشعة الشمس   فيذوب فيها كالندى عمري

ساعي البريد

للأستاذ شفيق معلوف

ساعي البريد وما ينفك منطلقاً   وكل باب عليه غير موصود
يسعى بأكداس أوراق مغلفة   تفوح منهن أطياب المواعيد
خلف النوافذ أجفان مشوقة   إليه تخفق من وجد وتسهيد
بدا فهز عقود الغيد مقدمه   هز النسيم لحبات العناقيد
كم قبلة من فم العشاق يحملها   على يديه ويهديها إلى الغيد

يا ساعياً بابتسامات توزعها   على الشفاه بلا منٍّ وترديد
كم وجه أم عجوز إن برزت له   لم تُبقِ من أثر فيه لتجعيد
تلقي إليها كتاباً إن يصب يدها   شدته باليد بين النحر والجيد
كأن كل غلاف منك ملتحف   بابن إلى صدر تلك الأم مردود

وكم وكم رقعة كالحظ مشرقة   وهبتها كل كابي الحظ منكود
يا واهباً كل بشرى حين جدت بها
راحت تكذب عنك الفقر بالجود
أبعدَ بذْلك فينا ما بذلت نرى   عينيك في مأتم والناس في عيد
لو تعلم الناس يوماً أنها سلخت   أيامها البيض من ليلاتك السود!

شفيق معلوف



كتاب الكندى إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى (١)

حققه وقدم له الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

لم تمض إلا أربعة أشهر أو خمسة على كتاب « معانى الفلسفة » الذى ألفه الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى حتى أتحف جناح الفلسفة فى المكتبة العربية بكتاب من كتب فيلسوف العرب يعقوب الكندى ، وهو الكتاب الذى بعث به أول فيلسوف من فلاسفة العرب إلى الخليفة العباسى .

ولم يكن غريباً على فلاسفة المسلمين أن يبعثوا بكتبهم إلى الخلفاء ، ولم يكن جديداً على « الكندى » نفسه أن يراسل الخلفاء فى مسألة من مسائل العلم ، فقد ذكر ابن أبى أصيبعة فى « طبقاته » أن للكندى رسالة إلى المأمون « فى العلة والمعلول » .

وتحمل مراسلات الفلاسفة للخلفاء والأمراء معنى تشجيع هؤلاء لأولئك ، وهى فى ذاتها دلالة من الواقع والتاريخ على ما كان يقوم به الخلفاء من احتضان العلماء وتقريبهم ومعونتهم على أداء الرسالة الجليلة التى نصبوا أنفسهم لها ، وأضنوا أنفسهم فى سبيلها .

وعنوان الرسالة نفسه « فى الفلسفة الأولى » يحمل سؤالا يرد على الخاطر لأول وهلة ؛ فهل هناك فلسفة أولى تقابلها فلسفة ثانية وثالثة ورابعة ؟ وهل هناك فلسفة أولى تقابلها على سبيل الطباق البلاغى فلسفة آخرة ؟ كما يقال فى الشهور القمرية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ؟ وكما يقال فى صفات الله : هو الأول والآخر ؟ ؟

ظننت أول الأمر أن الفلسفة الأولى هى فلسفة اليونان التى اشتغل بها العرب فى إبان نهضتهم فى الترجمة ، فقد أكبوا على فلسفة اليونان ونقلوها إلى اللسان العربى الذى كانت الفلسفة شيئاً جديداً عليه . ولكن الدكتور الأهوانى يقول فى مقدمته التحليلية النفيسة للرسالة إن اصطلاح «ما دون الطبيعيات» هو نفسه « الفلسفة الأولى » ص٥٥ ؛ وقد يكون ذلك مقبولا لو أن عنوان رسالة الكندى هو « كتاب الفلسفة الأولى أو ما دون الطبيعيات » ، ولكن العنوان هو كما يذكر الدكتور الأهوانى « كتاب الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد » ، ويستنبط المحقق من هذا النص أن ما دون الطبيعيات غير التوحيد ، ولكنه ينسى ما يقوله الكندى فى أحد مواضع الرسالة أن الفلسفة هى علم الربوبية والوحدانية — أو التوحيد — وينسى ما يقوله الكندى فى موطن آخر : (إن علم العلة الأولى سمى بحق الفلسفة الأولى) .

ورسالة الكندى فى الفلسفة الأولى لا تزيد على نصف الكتاب المطبوع اليوم إلا قليلا . أما النصف الأول فهو تحقيق علمى دقيق فى ترجمة الكندى ونشأته ومنزلته فى تاريخ الفلسفة الإسلامية وأسلوبه فى الكتابة الفلسفية وتحليل الرسالة ذاتها ، وقد أضاف هذا التحقيق كثيراً من القيمة لهذه الرسالة التى كان للدكتور الأهوانى فضل نشرها فى لغة العرب لأول مرة ، وهو فضل نسجله دائماً مع الشكر لكل من يزيح ستراً عن أثر من آثار المسلمين إبان نهضتهم فى زماننا هذا الذى تدعونا فيه دواع كثيرة إلى كشف الغطاء عن كل أثر إسلامى صغر أو كبر .

وإذا كنا أخذنا فى عدد ماض من مجلة « الرسالة » على الأستاذ فؤاد جيمان عدم استيفاء التحقيق والتحليل لكتاب « ميزان الحكمة » الذى ألفه الحكيم الرازى ، فان الدكتور الأهوانى كان فى الحق بعيداً عن موضع المؤاخذة حين أخرج رسالة الكندى فى الفلسفة الأولى هذا المخرج الذى يجرى على أسلم قواعد نشر المخطوطات . وإذا كان لم يقع لصديقنا الأهوانى من مخطوط الكندى إلا نسخة خطية واحدة فانه فى الحق قد عنى نفسه فى التحقيق والمراجعة على الرغم مما عاناه من رداءة الخط وكثرة التصحيف وعدم الإعجام فى النسخ .

---

(١) نشر دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى — ١٤٨ صفحة من القطع الصغير .

ولا أقول إن تحقيق الرسالة الكندية المتصمية قد أوفى على الغاية، وخاصة حينما لا يكون بين يدى الناشر إلا مخطوط واحد يجتهد فى تخريج الغامض من نصوصه على ما يقتضيه السياق حيناً أو على ما يوحى به الحدس أحياناً ... مما يحمل الناشر على أن يقول هذه العبارة التقليدية ... : (فى الأصل كذا ولعلها كذا) ولعل مايقع من اضطراب أوغموض فى أسلوب الكندى مردود فى بعض الأمر إلى ما عند الناسخين من تخليط وتصحيف. والدكتور الأهوانى يعترف معى بأن الكندى الذى تقع له العبارات البليغة فى بعض رسائله ويحدث له التعبير المشرق « فى رسالة فى الحيلة لدفع الأحزان » لا يقع له الغموض فى بعض ما كتب إلا حين يحمله التفلسف على التوعر.

وأخشى أن يكون الكندى مظلوماً فى الذى قيل من رداءة أسلوبه. فهل كان هو ينقل الرسائل عن اليونانية بنفسه أم كانت تنقل له ؟ فاذا كانت تنقل له فليس الذنب فى الأسلوب ذنبه، ولكنه ذنب الناقل ... ألم يختلف مؤرخو الحكمة الإسلامية فى كتب الكندى اختلافاً يدعو إلى العجب ... فابن النديم يقول عن كتاب جغرافية بطليموس إنه نقل للكندى نقلا رديئاً ... ويقول القفطى إن هذا الكتاب (نقله الكندى إلى العربية نقلا جيداً). فأنت تقف أمام هذا التناقض موقفاً لا تدرى وجه الحق فيه.

ويذكر ابن النديم أيضاً أن كتاب « الإلهيات » لأرسطو نقله أسطات المترجم للكندى الفيلسوف. فيزيدنا شكا فى رسائل الكندى وصحة نقله إياها من اللسان اليونانى ... على أن صديقنا الدكتور الأهوانى لايبالى بأمثال هذه الشكوك ويمضى فى رسائل الكندى كأن الطريق إليها مأمون العثرات ...

ويظن بعض الناس عمداً أو خطأ أن الكندى مسيحى سريانى. وقد وقع فى هذا الوهم الفيكونت فيليب طرازى فى كتابه القيم « عصر السريان الذهبى ». ومن عجب أن هذا الكتاب طبع سنة ١٩٤٦، وطبع قبله كتاب للمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق وفيه نفى لمسيحية الكندى وتحقيق لهذه المسألة تحقيقا لا يدع مجالا للشك فيها. وأظن أن الكونت طرازى قد وقع له كتاب الشيخ مصطفى عبد الرازق لأنه يفتخر بمكتبته العامرة فى بيروت فما معنى الإصرار على الأمر بعد تبين الحق فيه ؟ ؟ وقد أشرت إلى ذلك فى مجلة « الكتاب » عدد فبراير سنة ١٩٤٦ ص ٦١٦، ولعل الدكتور الأهوانى رأى أن هذه الحقيقة فى إسلامية الكندى وعربيته لا تحتاج إلى مزيد من التحقيق أو التقرير.

والكندى لم يتهم بالانتساب إلى يونان كما يقول الدكتور الأهوانى فى صفحة ٢٣. والظاهر أن المسألة اختلطت على الدكتور وهو ينقلها عن « المسعودى » فى كتابه « مروج الذهب » فلم يقل الكندى إنه يونانى، ولكنه كان يذهب مذهب القائلين فى الأنساب أن يونان أخ لقحطان. وشتان بين هذا وذاك. أما الشاعر الذى هجا الكندى لهذا الخلط فى الأنساب فهو أبو العباس الناشىء من طبقة ابن الرومى فى الإجادة وما كان يستحق من الناشر هذا التنكير بقوله عنه « أحد الشعراء » ... وصحة البيت الأخير من أبيات « الناشىء » كما يلى :

وتخلط يونانا بقحطان ضلة ... لعمرى لقد باعدت بينهما جداً

ويظهر أن الكندى مبتلى باضطراب الناس فى حياته وفى آثاره وفى قيمته الفلسفية ؛ فالدكتور مدكور يقول عنه إنه كان ممهداً للفلسفة الإسلامية ولم يكن فيلسوفا. والدكتور أبو ريدة يقول عنه إنه كان فيلسوفا بالمعنى الواسع الذى يتمثل فى فلاسفة اليونان. والمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق يقول إن ما بأيدينا من آثاره لا يمكن من استخلاص مذهبه الفلسفى نسقا كاملا. وأغرب ما فى هذا الاضطراب أن شهرة الكندى كانت موضعاً للخلاف عند الناس. حتى أن الدكتور الأهوانى يقرر فى ص ٣٦ أنه كان عديم الشهرة، وأن رداءة أسلوبه كانت علة فى عدم شهرته. وأين هذا من قول الناشر نفسه فى صفحة ٣٨ بأن الكندى اشتهر بالفلسفة، وكأنه بهذا يناقض نفسه ... وأين هذا من قول القفطى عنه : (إنه المشتهر فى الملة الإسلامية بالتبحر فى فنون الحكمة الخ).

بقيت كلمة واحدة فى مقدمة الدكتور الأهوانى لرسالة الكندى فى الفلسفة الأولى، فقد بلغت من وضوح المقاصد وسلامة المنهج وسهولة التعبير مبلغاً يهنىء الأستاذ عليه، وخاصة إذا قيست بالرسالة نفسها وما فيها من غموض فى بعض المواطن. وكأن الدكتور الأهوانى يعنى أن يقول بهذا الوضوح المقصود أن الغموض التعبيرى ليس دائماً من أدوات الفلسفة ولا من لوازمها.

محمد عبد الغنى حسن



جولات فى القاهرة

تأليف ر . ل دبفنشير

هى العناية الآلهية التى أنقذت القاهرة من التدمير كلما شبت الفتن واحتدمت الحروب. فتقاصرت دونها قنابل الألمان وماحشدوا من جيش وعتاد ، وتحطمت قبل أن تصل إليها قوى المغول المدمرة المخربة ، وارتد عنها الصليبيون فى ذلة وانكسار ، وبقيت القاهرة وحدها تحمل تراث الإسلام الفنى المجيد ، كاملا غير منقوص ، واحتفظت القاهرة بسلسلة متصلة الحلقات لكل عصور الأسر الاسلامية الحاكمة ، من يوم أن شاء الله لدينه أن يستقر على ضفاف النيل ... ونجد هذا التراث فيما ورثناه من عمائر وتحف ومخطوطات ، تظل دائما تذكرنا بجمال الماضى وعظمته وجلاله ، وتظل دائما تحفزنا على استرجاع مجد أجدادنا ، فنعيد للاسلام قوته وعزته وروعته .

فإن تكن المؤلفة قد اختارت القاهرة تجول بين آثارها الاسلامية شارحة أصولها الفنية فى هذا الكتاب ، فقد أحسنت الاختيار . وإن يكن للمؤلفة فى أعناقنا — نحن العرب — جميلا لفرط غيرتها وتحمسها لآثار الإسلام ، أو لأنها اتخذت من الصحافة منبراً تلقى من فوقه الإرشاد للعناية بآثار الإسلام ، فدفعت المسئولين إلى المحافظة عليها ، فإننا قوم لا ننكر الجميل .. ولكن الأمر الذى استحقت من أجله عطف جلالة الملك الراحل ورعاية جلالة الفاروق المعظم ، فأنعم عليها بنشان الكمال فى عيدها الثمانينى ، إنما هو صدقها فى دعوتها للآثار الإسلامية ، نراه واضحاً فيما تكتب من مؤلفات أو تلقى من محاضرات ، صححت بها شعور آلاف من الأجانب الذين كانوا لا يدرون عن القاهرة إلا تلك الاكاذيب المخترعة التى حشرها فى أدمغتهم مرتزقة الاستعمار ، وكتاب أقاصيص الخيال الدنىء .

وكتاب « جولات فى القاهرة » هو دراسة تاريخية وافية لمختلف العمائر الإسلامية ، من مساجد وأضرحة ومدارس وتكايا وقصور ومنازل خاصة ، أو قناطر وأسبلة وأسوار وبوابات مع إلمامة طيبة بمحتويات دار الآثار العربية وما ضمت من تحف نفيسة . وقد اتبعت المؤلفة فى تبويب كتابها هذا طريقة الجولات بحيث يستطيع القارىء أن يقوم بنفسه بهذه الجولات وأن يدرس الآثار الإسلامية فى القاهرة جملة وتفصيلا دون أن يصعب عليه الأمر أو يصيبه ملل أو كلال .

فيتناول الكتاب أهم الآثار القائمة فيقدم للأثر لمحة سريعة عن تاريخ حياة صاحبه ، والأحوال التى بنى فيها الأثر ، والآراء التى أثيرت حوله ، ويرد عليها ، ثم يدرسه من الناحية المعمارية ، ويشرح الأساليب الفنية التى اتبعت فيه ، والتأثيرات الغريبة التى اقتبسها الفنان المسلم بعد أن صقلها بما يلائم ذوقه وفنه ودينه

وبالرغم من أن الفنان المسلم كان منكراً لذاته ، ممتزاً بفنه ، فلم يكن كثير الاهتمام بذكر اسمه على كل العمائر التى بناها ، أو التحف التى صنعها ، إلا أن المؤلفة تشاء أن ترد إليه حقه واعتباره الأدبى فتقول : « ويبدو لى أن الفنان المسلم الذى عاش فى تلك الأيام كان عاشقاً للجمال لذاته ، بل كان مخلصاً فى محبته لنتاجه ، فنرى مثلا صانع الفخار المصرى يفرغ غاية الجهد فى العناية (بشبابيك القلل) وهو يعلم تماماً أنها خافية محجوبة عن الناظرين » ...

وترد على الذين يتهمون المسلمين بهدم عمائر غيرهم ليحصلوا منها على مواد البناء : « حقاً أن المسلمين كانوا يستولون على أعمدة الكنائس المسيحية والمعابد المصرية القديمة ليستعملوها فى عمائرهم ... ولكن مسيحى إيطاليا كانوا أيضاً يتبعون نفس الطريقة ، فدمروا المعابد الرومانية الكلاسيكية ليحصلوا على أعمدتها » ...

وطالما نقدت احتلال القوات الانجليزية للقلعة واستعمالهم مسجد الناصر محمد بن قلاوون « ففى سنة ١٨٨٥ كان هذا المسجد محولا إلى سجن حربى ، إلا أن أحد الضباط الانجليز زاد الأمر سوءاً لحوله إلى مخزن للذخائر فى سنة ١٩١٥ فبات عرضة للنسف بين لحظة وأخرى فيختفى من عالم الوجود أثر فنى جميل » .

على أن طول الاحتلال للقلعة ترك هذه المنطقة بكراً ، فى حاجة إلى الكشف والتنقيب « فان دراسة الأستاذ كرزويل لم



طيبة تكشف عن أسرارها :

ها هي ذي جمعية الآثار القبطية تسجل نصراً جديداً . وهي، منذ إنشائها عام ١٩٣٤ ، تعمل دائبة حتى نالت تقدير الأوساط العلمية في العالم . وقد استطاعت أخيراً ، بفضل أريحية سيدة مصرية فاضلة ، أن تباشر حفرياتها الأولى . وعهدت بذلك إلى الأستاذ شارل بشتلي سكرتيرها النشط ، والعضو بجمعيات علمية ، مصرية وأجنبية ، عديدة ، والمعروف بأبحاثه القيمة في علمي الآثار والأجناس والتاريخ .

والآثار القبطية ، كما نعلم ، حلقة من حلقات الآثار المصرية ، يبدو تاريخ مصر بدونها ناقصاً . ولقد كانت مصر مسرحاً للمسيحية في أول عهدها الحافل بالآلام والاستشهاد . فانعزل النساك في صحارى طيبة . وكان رهبان طيبة يتكاتبون على كسرات الفخار Ostraca ، ثم على الرقوق في عصر متأخر. فكان لرسائلهم تلك فضل الكشف عن طريقة معيشتهم ومشاغلهم والكثير من عادات عصرهم .

وفي ١٩١٤ قدر لمتحف المتروبوليتان للفن بنيويورك أن يكتشف ببلدة القرنة دير إيفانوس . وكان فيما اكتشف كسرات فخار وأوراق بردي تشير إلى دير الأنبا فيبامون .

وفي أواخر عام ١٩٤٧ قام الأستاذ شارل بشتلي بالكشف عن هذا الدير .

ودير الأنبا فيبامون من القرن الرابع للميلاد . وهو يقع من الأقصر على ثمانية عشر كيلو متراً ، في ظل صخرة عمودية تعلو إلى خمسة وعشرين متراً ، وقد طمر تحت الرمال والأحجار . وقد وجد على الصخرة نقش جنائزي يذكر اسم راهب : الأنبا براهيم ، واسم الدير ، فقطع الشك باليقين وشرع في رفع الأنقاض .

وقد اكتشف أولا مخزن للنبيذ ، وأكد ذلك تحليل المادة السوداء التي وجدت ببقايا الجرار . ثم الإسطبلات وحظائر

تتمد الأجزاء الشمالية من قلعة صلاح الدين ، أما الأجزاء الجنوبية الغربية من القلعة فقد عثر فيها على طغراء قايتباي وبعض الأقبية والعقود التي ترجع إلى القرن الرابع عشر مما يثبت لنا وجود عمائر في هذه المنطقة » .

وبعد أن أفاضت في شرح نواحي القوة في عظمة العمائر الطولونية ، وفخامة المساجد الفاطمية ، وجمال المدارس الأيوبية ، وجلال القباب ورشاقة المآذن المماليكية ، تكلمت عن الفن الإسلامي في مصر إبان الحكم التركي ، وأبانت كيف أن البلاد أصيبت بنكبة فنية قاسية على يد السلطان سليم الأول .

ويحدثنا التاريخ عن أن الأتراك ملؤوا سفائن من الفسيفساء ومصبعات الرخام (Marble Panel) وتحف خشبية منقوشة الخ . . . وحشدوا معها زبدة الفنانين المصريين وأرسلوهم إلى القسطنطينية — وأن واحدة على الأقل من هذه السفائن قد غرقت بما فيها من حمل غال ثمين .

وتنفرد دار الآثار العربية بمجموعتها المشهورة من المشكاوات الإسلامية . وتود المؤلفة أن توجه نظر القارىء إلى هذه الثروة الفنية الرائعة وتلح عليه بزيارتها والاستمتاع بجمالها . . . والحق الذي لا مراء فيه هو أن القاهرة تفخر بامتلاك كنزين ثمينين لم تر الدنيا مثلهما : هذه المشكاوات ، وكنوز توت عنخ آمون .

والكتاب من بواكير إنتاج « دار النشر للجامعات المصرية » أخرجته في ثوب فني قشيب تنافس به كبريات دور النشر الأوروبية ومحلى بحوالي نيف ومائة صورة لمختلف العمائر والتحف الإسلامية أكثرها من عمل الأستاذ كريزويل ، وخريطة مساحية كبيرة مبين عليها مواقع الآثار في مدينة القاهرة ، وقائمة طويلة بأسماء وتواريخ أهم الآثار الإسلامية بالقاهرة مرتبة حسب التدرج الزمني .

والكتاب رغم أنه جامع في دراساته التاريخية الأثرية ، إلا أنه وضع في أسلوب رشيق جذاب وبطريقة يفيد بها المثقفين عموماً ، والزائرين أصحاب الوقت المحدد ، وعشاق الفنون الإسلامية المشغوفين بها .

(القاهرة) مصطفى كامل ابراهيم
وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

الضأن والأفران والأهراء وملحقات الدير جميعاً .

واكتشف كذلك مومياوان ، ولا شك أن إحداها للأنبا إبراهيم ، وهما ملفوفتان فى كفن من الكتان وقد حنطتا تحنيطاً كاملا . ولم يعثر على غيرهما . ولا شك أن الرهبان الآخرين دفنوا فى المقبرة القريبة من هذا المكان وقد اكتشفت من عهد قريب .

وقد عثر أيضاً على الخلوات والكنيسة التى لم يبق منها غير المصاطب ، وكان الرهبان يجلسون عليها وقت القداس ، ثم بعض صلبان طليت بالأحمر ، وبقايا صورة حائطية ، ونقوش عديدة .

ونظام الخلوات على طريقة القديس باخوميوس ، أى خلوات مشتركة ؛ فتتضمن الحجرة سريرين أو ثلاثة أسرة من البنيان .

ويظهر بعض الرسوم حالة المسيحيين حينذاك . فيبدو فيها آثار مصر القديمة وذكرى عهد وثنى غير بعيد .

اكتشف علماء الآثار مناطق اعتزال الرهبان فعلا ، كما أنهم وصلوا بفضل النقوش وغيرها إلى معرفة الكثير من عاداتهم وعادات عصرهم . ولكن دائرة الفكر والعقيدة بقيت مغلقة . فهل قدّر لهذا الكشف أن يفتح لنا ما أغلق ؟ إن الأستاذ شارل بشتلى بعد تقريره ليرفعه إلى جمعية الآثار القبطية ، فنرجو له التوفيق .

عدلى طاهر نور

فلسطين والأدب :

فلسطين ... اسم إذا ذكر دمعت العيون وتحرقت الأكباد وانفطرت القلوب ، لا من بغى الصهاينة ووحشيتهم ، ولا من شد أزر الدول الأجنبية لهم ، فلم يجل بخاطر عربى ومسلم يوماً أن يترك الصهاينة عدوانهم وشرهم ، أو يهجر الإنكليز خداعهم ومكرهم ،أو يعدل الفرنسيون عن خصومتهم وجنونهم ، أو يُعرض الأمريكان عن تألبهم علينا (وحرانهم) .. ولكن الذى تتقطع النفس عليه حسرات هو هذا الجمود الذى ران على عقول بعض الكبار فأبلاها ، وتغلغل إلى حبات قلوبهم فأقساها ، حتى غدوا لا يعدون فلسطين فى هذه المحنة المصيبة إلا بخطب وبيانات ووعود وتصريحات ، والشعوب مهتاجة ، والأعداء يبطشون ، والدنيا تنتظر، والتاريخ يرتقب ،ليروا ماذا نحن فاعلون!

فن واجب الأدباء وقادة الفكر إزاء هذا أن يشعروا هؤلاء بواجبهم وينهضوا بهممهم ويشحذوا من عزائمهم . وللأدب فى هذا الميدان جولة وصولة ؛ فهو الذى يفصح عن رأى الشعب ويبين عن شعوره ، ويفتح العيون الساهية على الواقع المرير ، ويحرك بعض الآذان لينتبه أصحابها فيشعروا بشعور الناس ويفكروا بعقول الأمة ويتقدموا بعزيمة الشعوب ...

وها قد شق الأستاذ (الزيات) للأدباء الطريق وضرب أحسن المثل ، واستن الاستاذ (نقولا الحداد) هذه السنة الحسنة والأمل أن يسير أدباؤنا فى هذا الركب وينهجوا هذا النهج .

فطوبى لمن حطم الكأس وكسر الدف وودع الحب وهجر الروح وتقدم إلى حلبة الكفاح ليذكى النار ويلهب النفوس واهباً قلبه وقلمه (لفلسطين) حتى يأتى نصر الله . إلا أن نصر الله قريب .

المعادى **(فتى الفيحاء)**

الاتجاهات الدينية فى الفلسفة الحديثة :

هذا هو موضوع المحاضرة القيمة التى ألقاها الأستاذ البطاوى فى دار جماعة ابن رشد الثقافية فى الأسبوع الماضى . وقد استحق الأستاذ منا الإعجاب والتقدير حينما عالج هذا الموضوع رغم خطورته حيث تكلم عن الفوضى الاجتماعية والتضارب الفكرى والمذهبى بعد الحرب الثانية ، وحيث تكلم عما يبدو — « بعد اكتشاف السلاح الذرى » وقوف الدول الكبرى صاحبة الأمر والنهى عليه ، وعن خشية الإنسانية من الفناء إن هى أقدمت على حرب عالمية أخرى — ما يبدو بعد كل هذا وغيره من بشائر تتجه بالفلسفة الحديثة اتجاهاً شاملا سريعاً نحو الدين لكى تنقذ الإنسانية بوضعها إياها فى حماه الأمين ، وخاصة بعد أن تحقق كثير من الباحثين أن الفلسفة المادية تهوى بالمثل العليا إلى الحضيض وتدفع بالأمم إلى الأنانية البغيضة والتشاحن الذى يؤدى إلى الحروب والهلاك .

على هذا النمط سار الأستاذ فى محاضرته مستشهداً بأحدث الآراء فى الشرق والغرب للفلاسفة والباحثين فى هذا الموضوع مقارنا بينها وبين أقوال القدماء عقب الحرب السبعينية وبعد الحرب العالمية الأولى ليخلص من كل هذا إلى تلك النتيجة الخالدة : وهى أن « الفلسفة الحديثة بدأت بالفعل تتجه اتجاهاً دينيا » .

إلا أن إعجابنا بمقدرته لا يمكن أن يحملنا على التغاضى عن خطأ أو سهو عرض فى أثناء الحديث عن « الاثنينية Dualism » وأحب أن يتفضل فيحدد موقفه منه على صفحات هذه المجلة الغراء ؛ فإن له من الأهمية والخطورة ما يدركه كل دارس للفلسفة الحديثة



يا حياتي

صورة في أربعة مناظر

للأديب فؤاد السيد خليل

المنظر الأول :

جلس الضابط متكئاً على أريكة فى منزله ، وقد وضع رجلا على رجل متصنعاً هيئة الجد والوقار التى يظهر بها فى نقطة البوليس التى يشرف عليها ، وجلست زوجته بجانبه مطأطئة رأسها تدعو الله فى سرها أن تكون العواقب سليمة . ووقف ابنه أمامه عارى الرأس واضعاً يديه خلف ظهره وقد التمعت عيناه وبدت على وجهه أمارات هى مزيج من الخوف والتحدى . وقال الوالد بعد فترة من الصمت الذى أراد به أن يلقى الرعب فى قلب ابنه كما تعود أن يلقيه فى قلوب المجرمين :

— لم عدت من القاهرة ؟

— أظنك علمت أن المدرسة أضربت وأغلقت لمدة شهر .

— أظنك ؟ !

— ألم تعلم يا بابا ؟

— أهكذا يخاطب الولد أباه ؟

— ماذا أقول إذن ؟

— أتجيبنى على سؤال بسؤال ! لقد ساءت أخلاقك كثيراً فى القاهرة !

— يظهر أنك متعب اليوم !

— أتسخر منى يا كلب !

وانتفض الوالد وقد احتقن وجهه وبرزت عيناه ورفع يده ليهوى بها على وجه ابنه ؛ غير أن الولد قال له : لا تضرب . وأخذ الرجل وارتمى على مقعده قائلا فى حشرجة تشبه حشرجة المحتضرين .

— ألست أباك يا على ؟

— وأنا ألست ابنك يا بابا ؟

وكانت الزوجة قد أخذت بهذا التطور السريع فى سير (المعركة) فلم تستطع أن تتكلم أو تتحرك أو حتى أن تفكر ، ولكنها استردت بعض جأشها فقالت لابنها : اخرج يا على . فخرج يمشى فى خطوة عسكرية كأنه طالب فى الكلية الحربية أو فى كلية البوليس لا فى كلية الزراعة ولكن لا غرو فالولد سر أبيه .

نظرت الزوجة خلسة إلى زوجها فوجدت الدموع تترقرق فى عينيه فوضعت وجهها بين يديها وأجهشت بالبكاء ، فتمالك الرجل نفسه بسرعة وقال لها : لا تبكى ولا تحزنى فلا بد من طرده من البيت . غير أن الزوجة رفعت رأسها بسرعة وقالت له :

— ماذا تقول ؟

— أقول إن هذا الولد يحزننا ويتحدانا ، وسيفسد أخلاق إخوته ، وقد حصل على التوجيهية وأصبح قادراً على الاستقلال بنفسه فليذهب إلى جهنم إذن .

— ألم يكمل لك أبوك دراستك ؟

فكأننا يعرف أن ديكارت لم يكن « دخيلا » على « الأثنينية » كما ذكر المحاضر فى كلامه عن الفلسفة فى فجر نهضتها الحديثة ؛ بل نعرف أنه كان « أثنينيا » إلى أبعد حدود « الأثنينية » ، وهو بعد حقاً وليس زعما كما قال — مؤسس الإثنينية التى تقول بوجود الروح مع وجود المادة فى العصور الحديثة . وما كان هذا ليخفى على باحث مثل الأستاذ المحاضر يعلم تمام العلم أن جمهرة مؤرخى الفلسفة يعدون ديكارت مؤسس الفلسفة الحديثة ، ويعلم من كتب ديكارت نفسه — كما ذكر فى محاضرته القيمة أنه مؤمن بالله وبخلود الروح ، أما جهلنكس الذى أثنى عليه الأستاذ وقدمه على ديكارت ، فإنى لست أعرف له من فضل سوى أنه هذب أقوال ديكارت فى الأثنينية وعدلها إلى مذهب Occasionalists أو « الإتفاقيين » .

أما أن يكون الدخيل أصيلا والأصيل دخيلا فهذا أمر لا يستقيم أبداً ولا يمكن أن ترتاح إليه نفس .

دكتور سمير الناصري

— كان أبي يضربني (بالمركوب) فلا أرفع عيني فيه .

— ذلك زمن وهذا زمن .

— فهمت الآن . أنت التي دللته وأفسدت أخلاقه . أخرجي معه إذن .

— أنا أخرج معه ! أتطردني !

— يجب أن يكون بيتي مثال النظام والطاعة وحسن الأخلاق

— وماذا صنع ابنك حتى استحق منك كل هذا ؟ !

— ألا تعلمين أنه ينفق ثلث مرتبنا وحده في القاهرة على ملذاته ، ولولا الفدانان لمتنا جوعا .

— أتستطيع أنت أن تعيش الآن في القاهرة بما يعيش به ؟

— كنت أعيش بربع هذا المبلغ . إن ابنك يدخن ويحب أيضاً ياعزيزتي !

— يحب ! يحب من ؟

— يحب طالبة معه في الكلية .

— لا تصدق هذا الكلام . إنه لا يزال في الثامنة عشرة .

— ولكنها هي تزيد على العشرين واسمها سعدية عبدالعظيم .

— أهذا صحيح ؟

— نعم . أنا واثق . وهو يذهب إلى بيتها كل يوم بحجة المذاكرة .

— قد يكون هذا السبب صحيحا .

— أتصدقين هذا الكلام الفارغ !

— ألا يذهب إليها بعلم أهلها !

— لا أدري !

— أنك تسيء الظن دائماً .

— وفضلا عن ذلك فهو شيوعي !

— من قال لك هذا ؟

— هو نفسه عندما قدم في أجازة نصف السنة ، كان يلومني على أنني أؤجر الفدان بأربعين جنيها ويطالب مني أن أؤجره بثلاثين ليستطيع الذي يزرعه أن يأكل مثلنا .

— ليتنا نستطيع ذلك !

— ونموت جوعا !

— وهل هذا دليل على أنه شيوعي ؟

— كل آرائه وتصرفاته وإخلاقه تدل على أنه شيوعي . وأقسم بالله إن لم يرجع عن غيه لأكونن أول المبلغين عنه ...

المنظر الثاني :

قال حسين بك تخري للحاج عبد العظيم مبروك :

— لا أستطيع تخفيض الإيجار يا حاج عبد العظيم ، إن نفقاتنا كثيرة وستزيد علينا الضرائب .

— كفى الله الشر .

— حضرات موظفي الحكومة لا يكتفون بمرتباتهم ولايشبعون .

— قد يكونون معذورين يا سعادة البك .

— وماذا تصنع الحكومة ؟ تأخذ من جيوب الناس وتعطيهم؟

— بل تعطيهم من المالية .

— والماليه ياحاج عبد العظيم من جيوبنا .

— الذي أفهمه أن المخدوم مكلف بالانفاق على الخادم .

— وهل يجب أن يأكل خادمك اللحم والفاكهة ويلبس الحرير .

— إن خادمنا تأكل مما نأكل وتلبس مما نلبس ، ولذلك فهي أمينة جداً ، تحافظ لنا على اللقمة وعلى المليم .

— ارسلها لي يا حاج عبد العظيم . إن خادمي اللص اللمين سرق من محفظتي خمسين جنيها .

— حاضر .

— حاضر صحيح ، أو فك مجالس ؟

— ياسلام ياسعادة البيك ! والله لوطلبت سعدية بنتي جارية لأرسلتها اليك .

— اشكرك ! وهل هي كبيرة ؟

— انها في الجامعة ياسعادة البك .

— الخادم في الجامعة ؟ !

— بل سعدية بنتي ياسعادة البك .

— أهي جميلة ياحاج عبد العظيم ؟

— انها في نظري جميلة جداً ياسعادة البك . هذه بعض صور لها عملتها لتلصق واحدة منها على البطاقة .

— بطاقة التموين ؟

— بل بطاقة الدخول في الكلية بعد الأضراب .

— أكانت مضربة ؟

— كانت الكليه كلها مضربة .

— حتى البنات يضربن !

— انهن يتعلمن من الذكور ياسعادة البك .

— لعنة الله على الذكور وعلى الأناث ! (ماعدا سعديه طبعاً ياحاج عبد العظيم .

اشكرك ياسعادة البك .

— وإكراما لهذة الصورة سأعفيك الآن من تحديد ميعاد لدفع المتأخر .

— اشكرك ياسعادة البيك !

— على شرط أن ترسل إلى الخادم الآن.

— على العين والرأس .

المنظر الثالث :

كانت الآنسة سعدية عبد العظيم مضطجعة على سريرها تقرأ فى كتاب (الكيمياء الصناعية) وكانت أمها تقف بجوارها تكاد تطفر الدموع من عينيها وتقول لها :

— ردى علىّ يا سعدية . اسمعى كلامى أنا أمك .

— كلة واحدة الن أتزوجه .

— أهذا كلام عاقلة ؟ حسين بك الغنى العظيم ترفضه فتاة فقيرة !

— عجوز وقبيح الشكل والأخلاق !

— يا ندامة يا بنتى ! الرجل عيبه جيبه . ما له حسين بك سيد الرجال !!

— لا أريده .

كونى عاقلة يا سعدية . حسين بك هو الذى يؤجر والدك أطيانه ونحن مدينون له بألفى جنيه وقد وعد بالتنازل عنها وتخفيض الإيجار أيضاً ، وسيعطيك (شبكة) جميلة ثمينة ولا يطلب منا أى جهاز . وهذا كنز يا ابنتى نزل علينا من السماء .

— وكانت سعدية قد عادت إلى القراءة فى كتابها وكأنها لم تسمع شيئاً من هذه المحاضرة الطويلة المغرية . فابتسمت أمها وقالت : خلاص ! سأقول لوالدك إنها موافقة .

— من قال ذلك ؟ يستحيل ! يستحيل ! تزوجوه أنتم ! أما أنا فلا .

وهنا لم تتمالك الأم نفسها فأخذت تجهش بالبكاء وتلطم خديها وتقول . يا خسارة التربية ! ستخربين بيتنا يا فاجرة . لا كنتِ ولا كانت أيامك . وكأنما تأثرت ابنتها فاعتدلت وقالت لأمها بصوت كأنه صادر من القبر . سأعمل ما فيه راحتكم .

وأسرعت الأم تزف إلى زوجها هذه البشرى .

أما سعدية فكانت تناجى نفسها قائلة : يريدون أن يبيعونى له كأننى سلعة أو جارية ! وما ذنبى أنا إذا كان سى حسين بك يظلم أبى فى الإيجار وهو يريد تخفيض الإيجار ، فيطلب من الحكومة سن قانون لتخفيضه . أما أنا فسأترك لهم منزلهم وأعول نفسى وأتمم تعليمى .

وفى اليوم التالى لم تعد سعدية إلى منزل والديها .

المنظر الرابع :

بعد هذه الحوادث بشهر واحد وفى ضحى أحد الأيام كانت الشمس المشرقة الجميلة تشرق فى أنحاء الديار المصرية على المناظر الآتية :

١ — الطالب على عبد الحميد يجلس مكتئباً في غرفته وقد أمسك بيده ورقة الفصل من الكلية لعدم تسديد المصروفات .

٢ — الضابط عبد الحميد حمدى حزيناً فى منزله وبجواره زوجته يقرآن خطاباً بخصم خمسة عشر يوماً من مرتبه لاشتراكه فى إضراب ضباط البوليس .

٣ — الفلاح محروس جاب الله يقف واجماً أمام جاموسته التى تباع بأبخس الأثمان لتسديد ما عليه من إيجار الفدادين للضابط عبد الحميد حمدى .

٤ — زوجة محروس جاب الله تجلس فى غرفة مظلمة حاملة بين يديها طفلها الذى يئن ويتلوى وهى تظن أن عليه عفريتاً وما به إلا الحمى الشوكية اللعينة .

٥ — الآنسة سعدية عبد العظيم مبروك تجلس أمام طفل صغير لصديقة لها تعلمه وتنتهز فرصة اشتغاله بالكتابة فتخرج من حقيبتها صورة للطالب عبد الحميد وتنظر إليها بحب وإشفاق .

٦ — حرم الحاج عبد العظيم فى بيت متواضع مع باقى أطفالها تبكى وفى يدها ورقة طلاقها

٧ — الحاج عبد العظيم يتوجه إلى أحد المحامين الشرعيين ومعه إعلان من المحكمة الشرعية .

٨ — حسين بك نخرى فى قصره الفاخر وقد أخرج من محفظته صورة جميلة للآنسة سعدية .

وكان كل من هؤلاء يتأوه قائلا : « يا حياتى » .

فؤاد السيد خليل

العدد ٧٧٦ — الاثنين ١٧ مايو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٧٦ — الاثنين ١٧ مايو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٤٠

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 776

Lundi — 17 — 5 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ رجب سنة ١٣٦٧ — ١٧ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

لمن هذه القوة فى فلسطين ؟

إذا قلت إن القوة التى فى فلسطين لليهود ، فكأنما قلت إن للأرانب دولة فى غاب الأسود ! ومن ذا الذي يصدق خبراً تناصرت على تكذيبه أدلة الشريعة والطبيعة والعِيان ؟ فالقرآن يخبر أن الله ضرب على اليهود الذلة والمسكنة بما عصوا وعدَوا ؛ فمن يزعمُ الآن أن مُلاك إسرائيل يعود ، فقد كذب القرآن وصدّق التلمود . والطبيعة تشهد أن الغريزة تفقد شهوتها بالتعطيل ، كما يفقد العضو وظيفته بالترك : فغريزة الافتراس فى الحيوان ضعفت فى الإنسان بالإهمال ، على مدى الحقب الطوال ، حتى أصبحت أثراً فى العض ورمزاً فى التقبيل . والأظفار المخمسة فى رِجل البهيم تطاولت عليها الدهور وهى تتسلق وتنشب ، فاعتراها الضمور والذبول حتى صارت أثراً تاريخياً وراء الحافر أو الظلف . واليهود منذ فرق شملهم (بختنصر) ، وبتّ حبلهم (أدريان) أخذت تضعف فيهم غريزة الدفاع عن النفس بالقوة حتى ماتت فى مدى خمسة وعشرين قرناً لم يدافعوا عن حياتهم فيها إلا بخداع الثعلب وتملق الكلب وتلون الحرباء . فمن أين لهم الأكف التى تحمل السلاح ، والقلوب التى ترفد الأيدى ؟ أما العيان — وهو مصداق النقل وشاهد العقل — فيثبت أن اليهود ثعابين من غير سم ، وبراكين من غير نار . هل رأيت يهودياً دخل فى عنف وإن هان ، أو جرؤ على ظلم وإن

قل ؟ أنا نفسى شهدت لبعضهم منظراً لا أنساه حتى أموت ، ولا أذكره إلا ضحكت : قضيت الصيف فى بغداد سنة ١٩٣٠ ، والصيف فى بغداد لفحات من جهنم بالنهار ، ونفحات من الفردوس بالليل . فالبغداديون يميتون أيامه فى السراديب ، ويحيون لياليه على دجلة . ففى ليلة قمراء من هذه الليالى ركبتُ أنا وصديق (الحسنى) زورقاً من زوارق النزهة ، فيه السمك (المسجوف) والفاكهة الطيبة . وسار بنا الزورق يتهادى حتى توسط النهر ، فوقع فى أسماعنا من ضفاف الكرخ غناء وعزف . فقلنا للنوتى : اتبع طريق هذا الزورق اللاهى . فقال فى لهجة الناضب الأنوف : ولما ذا نتبع نحن ولا يتبعون هم ؟ هؤلاء يهود ! ولو شئتم أتيتكم بالمغنى والعازف ! فدهشت ولم يدهش صديق . وحاذى المركب المركب ، فإذا رهط من شباب اليهود لا يقلون عن العشرة ، قد انتظموا عقدين على جانبى المركب ، وفى الوسط مائدة مستطيلة عليها الطعام والشراب والزهر ، وفى الصدر مغنية حسناء تضرب على العود ، وكهل بدين ينقر على القانون ، وشاب أنيق يعزف على الكمان . فلما رأونا سكنت الحركات ، وخشعت الأصوات ، وتجمعت الأكتاف ، وتدلت الأطراف ، وشخصت الأعين ؛ ونادى ملاحنا بلهجته العراقية الآمرة : « تعالْ يا بنت ! تعالْ يا ولدْ ! » وانتظرت أن أرى الغضب والإباء ، أو التردد والوناء ، فلم أر إلا القوم يخلون للجوقة الطريق واجفين ، ويساعدونها على الانتقال واقفين ! ولو كنا جرينا مع النوتى على مذهبه ، لنقل كل ما كان فى مركبهم إلى مركبه !

(البقية على الصفحة التالية)

لمن هذه القوة إذن؟ إنها للاتحاد الذى جعل النحل تهزم جيشاً بأسره، ومكن للبراغيث أن تخرج (النمروذ) من قصره. وإنها للعلم الذى ينقـل على أجنحة النحل قذائف تدك المدن، وينبت فى أفواه البراغيث أنياباً تقتل الفيـلة. وإنها للمال الذى يسخر المصانع الأمريكية لتسليح اللص، ويجبر الممالك الأوربية على تأييد الباغى.

فهل أعد العرب العدة لهذه الأقانيم الثلاثة، أم لا يزالون يعتمدون فى دفاعهم على الفتح والوراثة؟

احمد حسن الزيات

٣ ــ عبد الله بن ســـــبأ

للدكتور جواد على

رأيت أن أقدم رواية وردت إلينا عن « عبد الله بن سبأ » هي رواية تعود إلى القرن الثالث للهجرة. وهى أقدم من رواية الطبرى، والطبرى أول من تعرض « لابن ســبأ » فى تفصيل واطناب بالنسبة لحوادث الفتنة. وقد تعرض « أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى وهو من رجال القرن الثالث للهجرة ومن رجال الشيعة لعبد الله بن سبأ فى معرض كلامه عن فرق الشيعة؛ وهى رواية مهمة لأنها تمثـل رأى الشـيعة فى هذا الرجل، وما قالوه فيه. وأنت إذا ما قرأت ما كتبه النوبختى عن « السبأية » تيقنت من أن بعض علماء الـكلام قد نقلوا عنه.

قال النوبختى: « السبأية أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وقال إن علياً عليه السلام أمره بذلك. فأخذه علىّ فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله. فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟ فصيره إلى المدائن. وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علىّ عليه الـسلام، أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام؛ وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع ابن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة؛ فقال فى إسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله فى علىّ عليه الـسلام بمثل ذلك. وهو أول من شهر القول بفرض إمامة على عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه.

فمن هنا قال المخالفون إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية. ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعى على بالمدائن قال للذى نعاه: كذبت! لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلا، لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل؛ ولا يموت حتى يملك الأرض.

والنوبختى من المعاصرين لابن قتيبة الدينورى صاحب كتاب المعارف « المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة » وللطبرى « المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة » ولابن عبد ربه « المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة ». ولعالم شيعى آخر ذكر « ابن سبأ » بعبارة تكاد تكون عبارة النوبختى بعينها وهـــذا الرجل هو « أبو عمرو ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الـكشى » صاحب كتاب « معرفة أخبار الرجال » وقد عاش فى بغـداد وكانت داره من الدور المقصودة، وملتقى طلاب العلم. ولابد لنا من ذكر عبارة الـكشى عن « عبد الله ابن سبأ » لنتمـكن من تكوين فكرة عنه وعما ورد فيه

وقد أخذ الـكشى روايته هذه — على ما يقوله — عن ابن قولويه عن سعد بن عبد الله بن أبى خلف القمىّ عن محمد بن عثمان العبدى عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سنان عن أبيه، وتنتهى هذه السلسلة بالإمام جعفر الصادق المتوفى سـنة ١٤٨ للهجرة. والمعاصر للخليفة العباسى المنصور.

جاء فى كتاب معرفة أخبار الرجال أن الإمام قال « إن عبد الله بن سبأ كان يدعى النبوة وزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله (تعالى عن ذلك)، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال نعم أنت هو، وقد كان ألقى فى روعى أنك أنت الله وأنى نبى. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك! قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب. فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب، فأحرقه بالنار وقال إن الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقى فى روعه ذلك ».

وذكر رواية أخرى هى أن الإمام جعفر الصادق ذكر عبد الله بن سبأ فقال « لعن الله عبد الله بن سبأ! إنه ادعى الربوبية فى أمير المؤمنين عليه السلام، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً. الويل لمن كذب علينا؛ وأن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله فى أنفسنا نبرأ إلى الله منهم؛ نبرأ إلى الله منهم ».

إلى أن قال « ذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته فى

يوشع بن نون وصي موسى بالغلو فقال بعد إسلامه ، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فى علىّ عليه السلام مثل ذلك . وكان أول من أشهر القول بفرض إمامة على ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم ، فن ههنا قال من خالف الشيعة أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية » (١) .

والعبارة الأخيرة هى نفس العبارة التى ذكرها النوبختى فى كتابه « فرق الشيعة » عن عبد الله بن سبأ ، وحيث أن الشخصين كانا متعاصرين ، فن الجائزان يكون قد نقل أحدهما عن الآخر ، غير أن مقدمة خبر كل واحد منهما عن « عبد الله ابن سبأ » وعن السبائية تدل على أنهما أخذا معا من مصدر آخر لعله أقدم من مصدرهما . والظاهر أنهما أخذاه عن كتاب لا رواية لأن الكشى يسلك سبيل الأخباريين والرواة فيذكر عادة فى كل رواية سلسلة الرواية ، ولم يفعل ذلك فى هذه العبارة التى يظهر أنها كانت عبارة كتاب آخر وأنهما نقلاها نقلا يكاد يكون حرفياً من « ذكر بعض أهل العلم » إلى آخر هذه الفقرة . ولعلهما نقلا ذلك عن كتاب آخر يعود إلى سعد بن عبد الله الأشعرى القمىّ المتوفى سنة ٢٩٩ أو ٣٠١ للهجرة ، وهو عالم له مصنف فى هذا الموضوع .

ومما يستحق الملاحظة كذلك أن النوبختى كان قد ذكر فى آخر خبره عن السبأية أن عبد الله بن سبأ لما بلغه خبر مقتل الإمام علىّ وهو بالمدائن « قال للذى نعاه : كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا ، لعلمنا أنه لم يمت ، ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض » (٢) .

وهذه العبارة قريبة فى المعنى من العبارة التى ذكرها الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » والتى نسبت إلى جرير بن قيس ، ولعلهما أخذا من منبع واحد واستعمل كل واحد منهما العبارة التى اختارها لهذا المعنى .

ونجد فى كتاب « الفرق بين الفرق » لعبد القاهر ابن طاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة ذكراً « لعبد الله ابن سبأ » فى معرض حديثه عن الفرق ومنها فرقة « السبأية » اتباع عبد الله بن سبأ وقد سماهم « السبابية » وقد عرفت هذه التسمية بهذه الصورة فى كتب أخرى (١) . وقد نقل عنه « أبو المظفر عماد الدين شاهفور طاهر بن محمد الاسفرائينى المتوفى سنة ٤٧١ للهجرة (٢) . نقل عنه نقلا يكاد يكون بالحرف لذلك يكرر ما ذكره البغدادى فى هذا الباب . واختص عبد الرازق بن رزق الله بن أبى بكر بن خلف الرسفى من رجال القرن السابع للهجرة كتاب البغدادى وأدخل ما ذكره البغدادى فى كتابه (٣) .

ويعد كتاب « الملل والنحل » للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ من أهم المراجع التى تعرضت لبحث « عبد الله بن سبأ » وأتباعه « السبائية » وقد اعتمد عليه جماعة من العلماء منهم الإيجى المتوفى سنة ٧٥٦ للهجرة (٤) وعلي الأخص المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ للهجرة . الذى نقل عنه نقلا حرفياً (٥) ؛ ثم المؤرخ الشهير ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ للهجرة (٦) . والجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ للهجرة صاحب « شرح المواقف » فى علم الكلام للايجى المسمى « المواقف فى علم الكلام » (٧) .

ونضيف إلى هذه المراجع ما ذكره ابن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ للهجرة فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » وقد دعاهم « السبابية » (٨) . وما كتبه أصحاب الكتب الأخرى .

(البقية على صفحة ٤٥٧)

(١) كذلك :
(٢) فرق الشيعة ص ٢٢

(١) راجع عنه ابن خلكان « وفيات الأعيان » طبعة « ده سلان » ح ١ ص ٤١٥ وطبعة مصر ح ١ ص ٤٢٣ ، الكتبى « فوات الوفيات » طبعة مصر سنة ١٢٩٩ ح ١ ص ٢٩٨ ، السبكي طبقات الشافعية الكبرى المطبعة الحسينية ح ١ ص ٢٢٨ و ح ٣ ص ٢٣٨ فما بعد .
(٢) راجع عنه السبكى طبقات ح ٣ ص ١٧٥ ، له « التبصير فى الدين » وكتاب التفسير الكبير Brockilmann , Suppz , 1 . P 731 996
(٣) راجع كتابه « مختصر كتاب الفرق بين الفرق » إخراج الدكتور فيليب حتى مصر مطبعة الهلال سنة ١٩٢٤
(٤) راجع كتابه « المواقف فى علم الكلام » « طبعة Saerensen » ص ٣٤٢ وله كتب أخرى راجع فى تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ح ٣ ص ٢٥١
(٥) المقريزى خطط ح ٢ ص ٣٥٢
(٦) راجع المقدمة طبعة « Quatremér » ص ٣٥٨
(٧) تاريخ آداب اللغة العربية ح ٣ ص ٢٥١
(٨) راجع طبعة مصر سنة ١٣١٧ — ١٣٢١ للهجرة فى خمسة مجلدات .

الغيظ المحـــزن!

للأستاذ نقولا الحداد

ألا يغيظنا أن عرب فلسطين يفرون أمام فظائع اليهود الخبثاء، وينشردون فى البلاد العربية هنا وهناك، وأولئك الدخلاء الصهيونيون الأرازل يتمكنون فى البلاد وينهبون بيوت العرب، ويفطرون ويتغدون ويتعشون من طعام العرب، ويلبسون ثياب العرب، ويملكون أثاثهم وأمتعتهم — يفعلون هكذا كما فعل أسلافهم من قبلهم منذ ٣٢ قرناً حين ساقهم موسى من مصر إلى أرض كنعان حيث طردوا الكنعانيين من بلادهم وتناهبوا أرزاقهم؟! هل يعيد التاريخ نفسه؟

ألا يحزننا أن هؤلاء الجبناء الخبثاء ينكلون بنساء العرب وأطفالهم وعجزتهم كما ينكل الذئاب والنمرة بفرائسها من الحملان والكباش والفراخ، ونحن نقرأ أخبار هذه الفظائع وأكبادنا تتقطع، وقلوبنا تتمزق!

ألا نخجل أن نرى إخواننا، وهم أهل البلاد، يفرون أمام الدخلاء فرار النعاج من الضواري ونحن نتفرج ونسمع ونقرأ ونتألم، ولا ننتقم من هؤلاء الأشرار شر انتقام؟ لماذا؟ لأننا نريد أن نتحامى غضب البريطانيين قبل أن ينتهى انتدابهم. وهؤلاء الذئاب يستغلون صبرنا، وطيبة قلوبنا، وتمسكنا بالإنسانية وشرف الخلق.

يا قوم ... لا ينفع مع هؤلاء الأشرار الطغاة العتاة قول يسوع الناصرى يوم علقوه على خشبة الصليب: «يا رب اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». فهم يهزأون حين «نحول لهم الخد الأيسر» ويستبلهوننا ... لا ينفعنا مع هؤلاء الأشرار إلا قول القرآن الكريم: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم»

كان على الجنود العرب أن يقتصوا منهم على الأثر؛ رضى الانكليز أو غضبوا. كفانا يا قوم استخذاء كما استخذى الانكليز لليهود الاثام. حسبنا مراعاة لخاطر الانكليز وهم يحمون اليهود دوننا ولم يقوموا بواجب المحافظة على الأمن كما يدعونها سبباً لبقاء انتدابهم. ولو شاؤوا الأمن لاستطاعوا أن يحقنوا كل دم فى فلسطين، وعندهم ٩٠ ألف مقاتل، ولكنهم كانوا يبتهجون أن يروا هذه المجازر ويشاهدوا تلك الفظائع الوحشية، فحتى متى نداريهم ونراعى خاطرهم؟

والآن ماذا قررتم أن تفعلوا أيها العرب الرجال مع هؤلاء الأنذال الذين لا يعرفون ما هى الإنسانية، وليس لهم قلوب بشرية! كيف يجب أن تعاملوا هؤلاء الكلاب الغلاظ الرقاب ذوى القلوب الصلاب؟

يجب أن تقرروا منذ الآن أن تكافئوا هؤلاء الأردياء هكذا:

أولا — مصادرة جميع أملاك اليهود وأموالهم فى البلاد العربية كلها باعتبار أنهم كلهم صهيونيون، وأن العدوان فى فلسطين هو عدوانهم وهم شركاء فيه. تصادر أملاكهم كما صودرت أملاك الطليان والألمان فى الحرب؛ وأن يعوض من هذه الأموال على عرب فلسطين ما نهبه الصهيونيون وما خربوه وما خسر العرب فى كل ناحية بسببهم.

ثانياً — يجب أن يذاع هذا الحكم على الصهيونيين لكى يعلموا أن كل ما يأتونه من المنكر فى البلاد العربية على الإطلاق يتحمل وزره إخوانهم فى كل بلد عربى، ولكى يعلم اليهود الذين فى مصر وغيرها من البلاد العربية أن كل مال جمعوه للصهيونيين يجب أن يسدد من أموالهم؛ لأن المال الذى فى أيديهم هو مال عربى، وقد اكتسبوه من العرب فلا يمكن أن يرسل إلى الصهيونيين لكى يحاربوا العرب به.

ثالثاً — أن يبلغ صهيونو فلسطين أن كل ما نهبوه من أموال العرب، وكل ضرر أوقعوه على العرب سيؤخذ التعويض عنه منهم أضعافاً يوم الحساب بعد إخماد عنفوانهم يوم الهزيمة، وأن كل نفس أزهقوها من أنفس العرب يجب أن يدفعوا ديتها أضعافاً، وأن كل نفس من أنفس النساء والأطفال والشيوخ سيقدمون مقابلها أضحية على مذبح الإله مارس.

رابعاً — أن يعلم هؤلاء اليهود الصلاب الرقاب أنهم لا يعاش معهم بعد قمع ثورتهم؛ بل يجب أن يطردوا من البلاد العربية كلها.

هذا ما نتوقع أن يفعله قادة الجيوش العربية منذ الآن إن كانوا يحسنون القيادة ويستحقون الزعامة ويرغبون فى صيانة حقوق العرب التى أضاعها تراخى الزعماء وتواكلهم. حسبكم يا قوم استخذاء!

نقولا الحداد

الفن الإنساني

للأستاذ أنور المعداوي

(مهداة إلى الفنان الإنساني محمود تيمور)

الصلة بين الفن والإنسانية صلة لا يحسها إلا الفنان الإنسان ... ولقد قلت مرة — وما زلت أقول — إن الفن إذا لم يستمد وميضه وحرارته من نبضات القلب الإنساني ، كان وميضه كوميض البرق ، وكانت حرارته كحرارة الحمى ... ! وكل أثر فني تبدعه العبقرية أو تصوغه القريحة ، لا يترك أثره في النفس ولا بقاءه على الزمن ، ما لم تلتق ومضة الفكر فيه بخفقة القلب ، ولفتة الذهن بحركة الشعور ، ومنطق العقل بفورة الوجدان ... بشعاع من هنا وشعاع من هناك ، يشق ضوء الفن طريقه إلى فجاج الروح ، وشعاب النفس ، ومسارب العاطفة ، وبغير هذا كله يخبو البريق في الفن ، وتبهت الصورة ، وتفنى صفات الخلود !

من أعماق النفس وأغوار الحياة ينبع الصدق في الفن ... ولن يتهيأ الصدق في الفن مالم يستخدم الفنان كل حواسه في تذوق الحياة : يرقب ، ويتأمل ، ويهتك الحجب ، وينفذ إلى ما وراء المجهول ؛ فإذا استطاع أن ينقل كل ما يلهب الخيال فيها إلى لوحات من التصوير الفني ، فهو الفنان ... وإذا استطاع أن ينقل إلى هذه اللوحات كل ما في القلب الإنساني من نبض وخفوق ، فهو الفنان الإنسان ... وعلى مدار القوة والضعف في تلك النبضات ، يفترق العمل الفني عن مثيله في كل فن من الفنون ...

الفن الإنساني هو أن يكون الفن انعكاساً صادقاً من الحياة على الشعور ... وأن يكون الشعور مرآة صادقة تلتقي على صفحتها النفس الإنسانية في صورتها الخالدة ، بكل ما فيها من اشتجار الأهواء والنزعات ... هنا تتحقق المشاركة الوجدانية التي تتمثل في ذلك التجاوب الروحي بين الفن وصاحبه ، وبين الفن ومتذوقه ، وبين الفن والإنسانية ، بكل مافيها من اختلاف الميول والأذواق .

ولسنا نقصد بهذا إلى أن يسير الفن في ركاب المجتمع ... كلا ، وإنما ندعو إلى أن ينطلق الفن انطلاقاً يتحرر فيه من كل قيد يفرضه عليه طلاب الشعور المزور والانفعال المصطنع . عندئذ يستطيع الفن أن يتنفس في أجواء لا يحس فيها مرارة الاختناق ، وعندئذ يلتقط الفن من طريق الحياة — وهو في ظل الحرية — كل ما يتبقى فيها من رواسب العواطف المتباينة في النفس الإنسانية .

إن الفنان هو من يعبر عن الحياة فيصدق في التعبير ... وإلى هنا يكون الفن قد أدى رسالته التصويرية ، وهي رسالة تهدف إلى التصوير الأمين والعرض الصادق ، ولكن هاتين الميزتين قد تهتز لهما في نفسك عاطفة الإعجاب ، دون أن تهتز لها مكامن الشعور ... إن الإعجاب بالأثر الفني شيء والاهتزاز له والتأثر به شيء آخر ؛ وهنا تبرز لنا الناحية الأخرى من رسالة الفن وهي الناحية الإنسانية ، تلك التي يكتمل معها الخلود في العمل الفني . إقرأ للقصاص الفرنسي جي دي موباسان أقصوصتين من أقاصيصه هما « الحلية » و « ولد »[1] ، تعجب بالأولى وتهتز من أعماقك للثانية ، ثم قارن بين الأقصوصتين تجد البون شاسعاً بين أثر هذه وتلك في حساب الشعور . وما أبعد الفارق بين فن يترك أثره في الذهن ، وفن يترك أثره في النفس ... إن موباسان فنان مبدع هنا وهناك ، ولكنه في « الحلية » فنان فحسب ؛ فنان يستلهم قلمه ... أما في « ولد » فهو فنان وإنسان ؛ إنسان يستلهم قلبه ... !

واقرأ بعد ذلك « رينيه » لشاتوبريان و « رفائيل » للامرتين و « آلام فرتر » لجوته ، تلمس أن نبضات القلب الإنساني في هذه القصص الثلاث ، لم تبلغ من القوة والصدق والعمق ما بلغته في « أدولف » لبنجامان كونستان ؛ ومن هنا كانت « أدولف » في رأي النقاد أكثرها بقاء على الزمن لأنها أكثرها إنسانية .. ولقد قرأت هذه القصة مرات ، ولا أذكر أني قرأت غيرها أكثر من مرة ، بل لا أذكر أن قصة تركت في نفسي من الأثر مثل ما تركت « أدولف » ؛ ذلك لأن الفن إنما يقاس بمقدار أثره في النفس ومدى صلته بمنف الوجيب في القلب الإنساني .

وأنت حين تقرأ هذه القصص الثلاث ، تشعر أن كلا منها قد وضعت للجيل الذي عاشت فيه فهي لا تكاد تصلح إلا له ، وأن الفارق بينها وبين « أدولف » هو الفارق بين الفن التصويري الذي يقف بك عند فترة من الزمن لا يتعداها ، وبين الفن الإنساني الذي يتخطى حدود الزمان والمكان(*) ولقد بلغ من عمق الصلة بين الفن والإنسانية في « أدولف » ، أن اكتشف

(١) قام بنقل هاتين الأقصوصتين إلى العربية الأستاذ الزيات في كتابه « من الأدب الفرنسي » ، ومما يجب الإشارة إليه أن الأقصوصة الأولى قد نقلها إلى العربية أكثر من قلم ، ولكن قلم الأستاذ صاحب الرسالة — فيما أعلم — هو خيرها رقة وأمانة وأصالة

(*) (الرسالة) : هذا رأي نسمعه لأول مرة ، فكان على الكاتب أن يذكر الدليل الذي اعتمد عليه ، والنص الذي استند إليه .

النقاد أن هذه القصة لم تكن إلا تصويراً صادقاً لحياة مؤلفها ، وأن « أدولف » لم يكن فى الحقيقة إلا بنجامان كونستان ، وأن « إلالينورا » لم تكن إلا الكاتبة الفرنسية مدام دى ستايل !

« أدولف » هى قصة القلب الإنسانى فى كل جيل من الأجيال ، يقرؤها كل إنسان فيشعر أنها قد كتبت له ، ويكاد يجد نفسه فى كل سطر من سطورها ... وهذا هو الفن الإنسانى الذى تتلقاه الإنسانية جديداً على مر الزمن ! ... الفن الذى يأخذ مادته من أعماق النفس ، ونبضات القلب ، وأغوار الحياة .

وعلى ذكر القصص الإنسانى أقول إنى شاهدت منذ أيام فى إحدى دور السينما قصة من القصص النادرة ، تدور حوادثها حول حياة الموسيقار روبرت شومان ... ولن أنسى أن هذه القصة قد هزتنى هزاً عميقاً ، لا بموسيقاها ولا بروعة تمثيلها ، ولكن بما حفلت به من لمسات إنسانية نفاذة استطاع كاتبها أن يدفع بها إلى مكامن الشعور فى النفس الإنسانية ؛ ولقد خرجت بعد انتهاء العرض وأنا أستعيد فى نفسى بعض تلك اللمسات التى حشدها الكاتب فى قصته ليصور بها الجانب الإنسانى فى حياة شومان ... ولعل مشهداً واحداً من مشاهد هذه القصة يقف وحده متفرداً ليترك أثره العميق فى النفس والحس ؛ هو ذلك الذى ظهر فيه شومان وزوجته وتلميذه يهيئون طعامهم بأيديهم بعد أن تخلت الطاهية عن خدمتهم .. هنا يقف الثلاثة حيارى أمام دجاجة ! . . لا تقوى نفوسهم الفنانة الشاعرة على ذبحها ؛ تمسك الزوجة بالسكين فتخونها قواها فتدفع بها إلى زوجها ، واضمة ثقتها فيه كرجل لا يرتاع لرؤية الدماء .. ويجمع الموسيقار أشتات شجاعته ، ولكنها تتناثر هنا وهناك فلا يبقى إلا العزم الخائر أمام شبح الجريمة ! . . ولا تجد الزوجة بداً من الاستنجاد بالرجل الآخر ليرد للرجولة كرامتها ، ولكن الرجل الآخر ما يكاد يقترب من الضحية والسكين فى يده حتى يرتد ضعيفاً مسلوب الإرادة أكثر إخفاقاً من صاحبه .. ولا تزال السكين حائرة بين أيديهم المرتجفة ، ولا تزال الدجاجة على قيد الحياة ! .. ويهتف روبرت شومان وهو ينظر إلى زوجته وتلميذه ، يهتف من أعماقه : لقد خلقت للعزف لا للذبح ! !

بمثل هذه اللمسات الرائعة ، ترتفع القصة فى الغرب إلى آفاق مشرقة من الفن الإنسانى .

وإذا ما تركنا الفن الإنسانى فى القصة إلى الفن الإنسانى فى التصوير ، تبرز لنا لوحتان فريدتان هما « العذراء والطفل » لرفائيل و « الجيوكوندا » لدافنشى . وعلى كثرة ما أخرج عباقرة الرسم من لوحات للعذراء والطفل فإن لوحة رفائيل تقف وحدها متفردة ، لا بظلالها وأضوائها وألوانها ، بل بشىء آخر هو قوة الوجه ... المعبر عن الإنسانية فى أنبل ملامحها ، وأجمل سماتها . إن الريشة التى أبدعت هذه اللوحة ريشة إنسان قبل أن تكون ريشة فنان ؛ إنسان أنطق أسمى مراتب الأمومة فى نظرات السيدة العذراء ، وأسمى مراتب النبوة فى نظرات السيد المسيح ... ومن هنا شقت لوحة رفائيل طريقها إلى القمة ، بينما وقف غيرها لا يتخطى السفوح ، لأن هذه من صنع المخيلة ، وتلك من صنع الشعور

من هذه الزاوية الإنسانية التى نظر منها الفن إلى رفائيل فى « العذراء والطفل » ، ينظر الفن مرة أخرى إلى ليوناردو دافنشى فى « الجيوكوندا » ... هى لوحة تمثل امرأة ، ولكن أية امرأة ؟ ! لقد استطاع دافنشى الإنسان أن يبعث فى عينيها العميقتين نظرات قديسة ، وفى شفتيها الرقيقتين ظل ابتسامة لا ترتسم إلا على شفتى ملك . وفى العينين والشفتين ركز دافنشى الإنسانية بكل ما فيها من معانى النبل والطهر والبراءة ، ولهذا كانت « الجيوكوندا » تمثل ذلك الجمال الروحى المتصل بالسماء ، بينما كان غيرها يمثل ذلك الجمال المادى المشدود إلى الأرض !

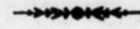
من كل هذه الأمثلة التى قدمتها إليك تستطيع أن تخرج بشىء واحد ، هو أن الفن إذا لم يستمد وميضه وحرارته من نبضات القلب الإنسانى ، كان وميضه كوميض البرق ، وكانت حرارته كحرارة الحمى ... !

أنور المعداوى

على ذكرى حوادث فلسطين !

عار لا يمحى

للأستاذ شكرى فيصل



حين فتحت عينى فى الصباح كنت كالذى يستيقظ من حلم مرعب ... لم أكن شهدت ما يؤرقنى ويزعجنى ، ولكنى أعلم أنى أويت إلى فراشى وعلى شفتىّ هذه الأسئلة التى يدور بها ذهنى وينطلق بها لسانى : ما ذا تفعل هنا ؟ أى شيء هذا العلم الذى تجهد له ، وتمنى فيه الوقت والصحة والشباب ؟ ما يكون من شأن العربية التى تعمل لها وتنطوى جنديا من جنودها إن قدر لصهيون أن تحقق أحلامها ، وأن ترفع أعلامها ، وأن تنشىء سلطانها فى هذه البقعة من البلاد العربية ... أين يقع هذا العمل الذى تحبس نفسك عليه من هذه المعارك التى تدوى ، والنفوس التى تستشهد ، والبلاد التى توشك أن تضيع بين حمق القيادات ، وحقد الزعامات وأطماع السياسات ، وحقارة الأغراض ... أين أنت ... وما شأنك وهذا الطريق ؛ لا طريق غيره قبل أن تسوى معالمه ، وترفع صواه ، وينتهى إلى غايته من طرد العدوان ، وصد الطغيان ، ورد الغزو الأحمق .

ولم تكن هذه هى الليلة الأولى التى أواجه فيها هذا الحساب المسير ... فقد كانت هذه الأسئلة تتخذ ألف لون ، وتصطبغ ألف صبغة ... وكانت تأخذ علىّ مسالكى فى النهار إذا ابتدأ النهار ، وفى الضحى إذا ارتفع الضحى ، وفى الظهيرة حين أقطع فى الظهيرة هذا الطريق الذى تستلقى عليه الظلال مكدودة ممزقة ، بين الجامعة وهذا البرج العاجى القريب الذى أعيش فيه ... وكانت تسد علىّ دروبى كلما هممت أن أعمل أو أفكر أو أكتب ، فلا يكون فى طاقتى أن أخلص منها أو أنتهى بها إلى رأى حاسم . كانت تتجاذبنى موجات من لهبة الروح وخمود الجسم ، من دفقة القلب وخور الأطراف ، من قسوة الواقع ومن رخاوة النشأة .. فلم يكن لى أكثر من أن أرتد إلى هذا الماضى ألعن هؤلاء الذين سيطروا على ثقافتنا من رجال الانتداب ، فزينوا لنا الحياة جنة وحريرا ، وما كانت إلا لهباً وسعيرا ، وجهاداً كبيرا ...

وفى خطى مضطربة سريعة ، كنت أمضى لأمد يدى إلى الباب أجذب الجريدة التى ترك الموزع نصفها ممتداً إلى داخل البيت ونصفها الآخر على العتبة الخارجية ، فعل الرجل المعجل المسرع

***

وبدأت أقرأ ... وكان نبأ ... وكانت لحظات هى مزيج من الذهول العميق والدمعة الثرة .

حيفا ! ... إن كل صورة من صورها تنتثر أمام عينى فى وضوح شائك حاد ... إن أطيافها التى كانت فى ذهنى كالضباب المعتم تشرق فى لحظة سريعة فى مثل لهب النار المتأججة ، وتسطع فى مثل تألق البرق النير ... إن أصواتها التى كانت صدى ضئيلاً ، محيلاً ، بعيداً ، فى خاطرى لترن فى أذنى فى مثل القصف المفزع . إنى لأنظر فى الصحيفة التى بين يدى ولكنى لا أرى حروفاً ولا أشهد كلمات ... وإنما أرى هذه المدينة التى مررت بها مرات ومرات فى طريقى إلى القاهرة ، وفى طريقى إلى دمشق . إنى لا أحس ما حولى ... لكأنى فى هذه اللحظات أذرع هذا الشارع ، شارع الملوك ، وأنحنى أدخل فى الشوارع القديمة التى تمتد وراءه ... إنى لا أسمع هذه الأصوات التى تتعالى هنا تحت نافذتى ، وإنما أنا أستمع إلى هذه الأصوات التى « كنت أعيش معها يوماً من كل عام ... إن آلافاً من الصور السريعة ، المتتابعة ، المتلاحقة ، تغزونى : الفندق والمطعم وسكة الحديد ، المحطة القديمة التى أقامها العثمانيون ، والمحطة الجديدة التى أقامها اللصوص المنتدبون ... المدينة القديمة والدكاكين الواطئة والأسواق المغطاة والتجار الدمشقيون وأبناؤهم وإخوانهم وجيرانهم ... باعة الكتب هؤلاء الذين كنت أرقب عندهم مطبوعات فلسطين وما يتيح الوضع القلق للمؤلفين الفلسطينيين أن ينتجوه ... المسجد الجامع الذى كنت أصعد إليه على سلم رخامى عريض ، والمسجد الآخر الذى كنت أجتاز إليه سوقاً ضيقة مثقلة بالعتمة ... آلاف العمال العرب ، والوجوه العربية ، واللسان العربى بهذه اللهجة التى كانت تضم فى حيفا كل لهجات فلسطين ؛ هذه كلها كانت تنثال علىّ وتنطلق من ذا كرتى كالنبع الفوار المضطرم ... لم يبق فى حيفا شارع أو طريق ، مشهد ، أو موقف ،

دكان حقير أو جليل ، شيخ كبير أو عامل صغير ، عامل دءوب من عمال المحطة ، أوصديق كريم من التجار ، أومجاهد نازح منذ نزح فيصل المظيم عن دمشق ... لم يبق فى حيفا القديمة أو حيفا الجديدة هذه التى كنا نسعى إليها فى مقر المراقبة لنعرض جوازاتنا وأوراقنا وأقلامنا ونتاج عامنا الدراسى على قوم بكم عجم نستأذنهم المرور بهـا فى بلادنا وأوطاننا ... هذه كلها عاشت فى ذهنى مرة واحدة ... لقد انتفضت كما ينتفض العصفور الجريح بعد أن تكون مرت به سكين بارقة بيضاء وخرجت وردية حمراء .

***

والآن ... ماذا بقى من حيفا هذه التى عرفنا ... ماذا أبقت منها بلاغات الزعماء ، وتصريحات الرؤساء ، وأحقاد قادة العرب . يا ويلى حين أتمثل أى شىء أبقت الحادثات من حيفا ... إنى لأجد النار التى تكوينى ، والسياط التى تؤذينى ... إنى أهرب من نفسى لأنى أخجل من نفسى أن أقول الذى كان ... ليس فى يدى هذه الأداة الطيعة التى تنساب فوق هذه الأوراق ، فقد كفرت بالأقلام والأوراق ... وماذا يقول الكاتبون إن كتبوا ... ويح الذين يسألونهم أن يكتبوا ، كأنما يسألونهم أن يقصوا عليهم قصة من تاريخ قديم لأمة منقرضة ، يزينون حواشيها ببلاغة القول ، ويفيضون على أطرافها بريق الأدب ، ويذهبون ببعض مواقفها فى شطحات الخيال ، وينمقون نظمها بروعة الأساليب ، ثم يدعونهم أن ينعموا بما فيها من فن أو بيان ؛ والمصيبة التى تحل فى فلسطين مصيبتهم ، والوطن الذى يُغتصب وطنهم ، والأعراض التى تنتهك أعراضهم ، ومواكب الذين أجلوا عن ديارهم أمام أعينهم فى كل عاصمة من عواصم العرب ... كأنما لا تزال هناك حاجة إلى حمية تستثار ، وحماسة توقظ ، ومقالات تكتب وتنشر .

وماذا يكتب الكاتبون ؟ هل يسجلون الخزى ، ويؤرخون العار ؟ ... هل يقولون كان هنا مسجد فاندثر المسجد ، وكان هنا سوق فسويت السوق بالتراب ، وكان هنا حرمات وذكريات فديست الحرمات ودفنت الذكريات ... أفيستطيع القائلون أن يقولوا كان هنا أعراض فانتهكت الأعراض ، وكان أطفال ونساء فهام الأطفال والنساء على وجوههم ؟ كان هنا مدينة عربية ثانية الموانىء العربية على البحر العربى ثم مرت بها ساعات مجنونة مسحورة فانتزعت من أهلها ، وأطبق عليها الأعداء من فوق ، فى مثل سرعة اللص الغادر ، وخفة المجرم المدرب ، وتنظيم الكيد المبيت ... فلم يدعوا فيها أثراً لعروبتها ... ثم طفقوا يغنون ويرقصون ويشربون على أشلاء القتلى وأنفاس المنكوبين الحرى ... ثم مضوا يفعلون ويفعلون ، وتتصاعد عشرة آلاف « وا معتصماه » من عشرة الآف قلب ، قلب طفلة غريرة ، وفتاة نضيرة ، وزوجة وفية ، وامرأة حامل ... ثم لا يكون فى أمراء العرب ، ورؤساء العرب ، وأقطاب العرب ، من مشارق الحجاز وهضاب نجد ، وغوطة دمشق ، وغابة بيروت ، وظلال الوادى ، « معتصم » واحد يسرع إليها بجيشه ، لايحميها ، ولكنما يتخذها جنة ووقاء لأعراضه وأوطانه التى سيسرى إليها الداء ... وإنما يكون فيها « معتصمون » بالهدوء يخافون لوم اللائمين فى الدنيا ولا يخافون عذاب الله فى الآخرة وذلة الخزى فى التاريخ ... ويرجون السيادة بعد أن انتزعت منهم صرة السيادة ، ويأملون لذراريهم الخير ولم يبق شىء من الخيرلهم حتى يورثونه ذراريهم ؛ ويلتزمون الحذر ، وما هو إلا الضعف والخور ... ويتدفقون بالأحاديث ولا يزالون ، لا تحس فيها وهج النار ، ولا تجد لها رائحة البارود ، ولا تسمع لها قصف المدفع وثقل العتاد ، ولا تشعر أن وراءها جلبة جيش ودوى تكبير ... وإنما هى لا تزال تنضح بالعطف ، وتنشر السلم ، وتنثر الأزاهير ، ثم لاتنسى أن تحتمى بآيات من كتاب الله وأحاديث رسول الله ... والويل لهم من يوم الله ... ما كان الله ليرتضى منهم هدوء الموت وسياسة الضعف ، وحذر الجبناء .

***

أى عار هذه المذلة التى يلقاها العرب فى محنتهم الحاضرة ! . أى قدرة على الحياة هذه التى يستطيعون أن يباهوا بها ، أن يتقدموا بها إلى العالم المتمدن برهاناً إذا ظل الكرمل هو الكرمل ، وظلت حيفا فى قبضته فى إسار الذل وذل الهوان ! ... أى خديعة أرادها لهم هؤلاء الحياديون الذين يصدر عنهم الشر وينتهى إليهم الشر . أى بلاهة سيرميهم بها التاريخ إن لم يرفعوا هذا الإصر ، ويحطموا هذا الذل ، ويستنقذوا الشرف الذى غلب عليه المكر ، واصطلحت عليه عوامل الغزو والسلب ، وبات طريداً شريداً تنزف من جراحه

الدماء ، من ورائه نار ومن أمامه بحر ، ومن دونه ودون الإنقاذ قوم ينامون على الوعود ، ويستكينون للثقة ، ويلينون لمعسول الأحاديث الخلب ، ويؤازرون أعداءهم بالأمن ويحملون إليهم السلام حملا على جثث من قتلاهم ، وأشلاء من موتاهم ، ودماء من دمائهم !!

كانت فى هذه البقعة من الأرض حيفا عربية ... ولن يكون فى قدرة أحد من الذين يتطلعون إلى المجد العربى ، ويعملون ليقظة الإسلام أن يتحدث عن الشعب العربى ، عن توثبه ، عن أمله العريض ، عن جامعته ووحدته ، قبل أن تعود حيفا عربية من ذروة الجبل إلى قدميه اللتين تستلقيان على شاطىء البحر وأمواجه ، قبل أن يغسل هذا العار الذى يكسو كل هضبة من هضاب الكرمل ويقف عند كل ثنية من ثناياه ، ثم يرمى بأرجاسه وأحجاره بعيداً ، بعيداً ، فى سط البحر ... قبل أن يقف عشرات المؤذنين فى عشرات المساجد ينادون من جديد : الله أكبر ، الله أكبر .

لن يكون فى أعناقنا ولاء لأى واحد من هؤلاء الذين يتمثل فيهم سلطان العرب قبل أن يمحى هذا العار .. إن فى يد كل زعيم عربى أثرا من رجس ، وإن أيدينا لن تصافح من جديد إلا أولئك الذين طهروا أيديهم من هذا الرجس وغمسوها فى دم أعدائهم سبع مرات متواليات .

***

لا الذين يحمون بيوت الله ، ولا الذين ينقمون لرسول الله ، ولا الذين يحيون شرع الله ، ولا الذين يدعون العروبة قبل محمد نبى الله ... ليس أحد من هؤلاء جميعا أهلا لأن يكون حيث يريد أن يكون حتى يكشف غمة هذا الخزى الذى يعيش فى وطأته كل هذه الملايين ... وحينذاك ... حينذاك فقط سيكون فى الخالدين ... سيكون فى هذه الصفحة المشرقة التى يشع فيها وهج محمد ، والتى تنثال عليها بحروف متوهجة نيرة أسماء سعد وعمرو وطارق وموسى وصلاح الدين ونور الدين وإبراهيم باشا .

أما قبل ذلك ... فدعونا نردد قول الله : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل ... ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً .

القاهرة (ص . ب ١٣٧٥) **شكرى فيصل**

عبد الله بن سبأ

(بقية المنشور على صفحة ٤٥١)

ونستطيع أن نقول بعد مقارنة المراجع التى ورد فيها ذكر عبد الله بن سبأ ، أننا لم نجد حتى الآن أى مصدر يفصل لنا حياة هذا اليهودى المسلم ، وقد ذهبت أكثرها إلى أنه كان من أهل اليمن وأنه كان من مدينة « صنعاء » عاصمة اليمن والتى لمع ذكرها فى عهد الأحباش خاصة ، وأنه كان يهودياً فأسلم وصار يتنقل فى الأقطار الإسلامية حتى انتهى به المطاف فى العراق حيث نزل البصرة ثم الكوفة ثم الشام ؛ غير أنه لم يجد من بين الشاميين أنصاراً ، فذهب إلى مصر حيث راجت دعوته هناك ووجد له أتباعاً ، ولعب دوراً كبيراً فى الفتنة التى أثارها على الخليفة عثمان .

وقد عرف هذا الرجل بصورة عامة باسم « عبد الله » وأما اسم والده فهو « سبأ » . ويندر ورود هذه الكلمة على أنها اسم شخص (١) . وقد ورد فى بعض الكتب على أنه عبد الله ابن وهب أو وهاب بن سبأ(٢) . أو عبد الله بن وهب السبائى(٣) نسبة إلى سبأ . وزعم أنه كان على رأس الخوارج . ويعنى بهذا أنه من « سبأ » أى من أهل اليمن ، فهو من أصل عربى جنوبى على زعم الرواة (٤) . وربما كانت هذه النسبة هى التى جعلت الأخباريين يتصورون أن اسم والده هو سبأ . على كل حال لا نستطيع أن نعرف اسم والده بالضبط .

وقد اشتهر عبد الله كذلك بابن السوداء ، ويظهر من رواية الطبرى أنه إنما قيل له ذلك لأن أمه كانت سوداء ، فعرف بابن السوداء . وقد فرقت بعض المصادر بين « عبد الله بن سبأ » و « ابن السوداء » فجعلت بعضها عبد الله بن السوداء رجلا آخر كان يعين السبائية « السبابية » على قولها ، وأنه كان فى الأصل يهودياً غير أنه كان من أهل الحيرة (٥) .

جواد على

(١) القاموس طبع كلكتا حـ ١ ص ٢١
(٢) خطط مقريزى حـ ٢ ص ٣٥٦
(٣) Friedländer , P , 19 ذهبى مشتبه طبعة « De Jang » حـ ٢ ص ٢٥٠
(٤) الاشتقاق لابن دريد ص ٢١٧ بين شعب وبين اسم شخص .
(٥) البغدادى فى مادة « السبابية » .

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى
سفير إيران بمصر

سعادة الدكتور قاسم غنى سفير ايران بمصر شخصية علمية من الطراز الأول ، لم يعش عليه فى مصر الأشهر معدودات ومع ذلك استطاع أن يكسب لنفسه ولأمته أصدقاء ممتازين ، لا فى المحيط الاجتماعي والدبلوماسى فحسب ، ولكن فى المحيط العلمى أيضاً ، وقد كان ذلك واضحاً فى قاعة المغفور له على ابراهيم باشا بكلية الطب ، ثم فى قاعة دار الحكمة حيث ألقى الدكتور السفير العالم محاضرتيه عن « تاريخ الطب الإسلامى » فكنت ترى الحاضرين مزيجاً مختلفاً مابين سياسيين ووزراء وعلماء وأطباء وآباء روحانيين وغيرهم مالم نألف قاعات المحاضرات فى مصر شهوده كثيراً ، وكلهم أصدقاء للدكتور قاسم غنى معجبون بعلمه وأدبه وفضله ولقراء الرسالة عهد بهذا العالم البحاثة من قبل ، فقد قدمه اليهم سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى عدد من اعدادها . وهو الآن مهتم بنقل كتابه العظيم الذى الفه بالفارسية عن « التصوف الإسلامى » إلى اللسان العربى .

وقد ظفر صديق من أصدقاء الدكتور والرسالة بهذا البحث العلمى القيم ، الذى ألقى فى كلية الطب ودار الحكمة فآثر به قراء الرسالة ، وها نحن أولاء نقدمه فى أعداد متوالية شاكرين معجبين :

« الرسالة »

١ — طب العرب فى الجاهلية :

فى بدء ظهور الإسلام عند ما كانت الشريعة الجديدة لم تتجاوز بعدُ حدود القبائل العربية فى الحجاز إلى سائر بلاد العالم كان معظم القبائل العربية ، مثل بقية القبائل البدوية لا يهتم بالعلوم والفنون المختلفة ؛ وكان جل اهتمامهم منصباً على التعمق والتوسع فى علوم العربية وأحكام الشريعة الإسلامية .

وبما أن معالجة المرضى وتمريضهم من الأمور الطبيعية لدى الإنسان ، وأن لجماعات البشر حتى فى بداوتها غريزة حفظ الحياة ، وأن حاجتها لتسكين آلامها وأوجاعها تجبرها على البحث عن العلاج اللازم لأدوائها وأوجاعها ؛ فكان لابد من أن ينشأ بينها نوع من الطب والعلاج البدائى وقد كان . فقد ظهر وشاع طب من هذا القبيل بين القبائل العربية البدوية .

وقد كان الطب الشائع بين القبائل العربية فى مبدأ ظهور الإسلام عبارة عن بعض المعالجات التجريبية ، مقرونة بأعمال السحر والخرافات كما كانت الحال لدى أكثر القبائل الرحل ، وكما لا يزال شائعاً إلى يومنا هذا لدى بعض الأقوام غير المتحضرة ، فإن عوامل شتى كالمصادفات والتجارب والاختبارات ومشاهدة الطبيعة ، والنظر فى أحوال المرضى واتباع الغرائز الطبيعية والدوافع الفطرية وتقليد الحيوان ، والتدبر والتفكر فى أعماله ، دفعت الإنسان للوصول إلى تدابير طبية ، وهدته إلى اتخاذ وسائل علاجية ، ثم أضيف إلى ذلك كله بالتدريج ، عقائد ومعارف وافتراضات صحيحة وغير صحيحة مثل الشبه الموجود بين الإنسان والعالم الأكبر ، وتأثير النجوم والكواكب والأجرام السماوية الأخرى فى الإنسان ، وعبادة الأرواح ، والاعتقاد بتناسخها ، وعودتها إلى الأجسام ، والإيمان بوجود الجن والشياطين والأرواح الخبيثة ، وحلول الشياطين والأرواح الشريرة فى بدن الإنسان وتسبيبها الآلام المبرحة ، إلى غير ذلك من المعتقدات ، فتكون من مجموع ذلك كله نوع من الطب ، كما أشرنا إليه آنفاً .

وقد كان جماعة من الشيوخ المجربين ومن بعدهم أبناؤهم والمتصلون بهم ممن كانوا يشاهدون التجارب والمعالجات التى يقوم بها الشيوخ ، كانوا يقومون بعلاج المرضى؛ وهؤلاء يمكن اعتبارهم أطباء تلك الحقب . وكان عدد قليل من العرب ممن درسوا الطب فى البلاد المجاورة لجزيرة العرب ، ولا سيما إيران يزاولون مهنة الطب بين قومهم، منهم الحارث بن كلدة الذى كان قد درس الطب فى مدرسة جند يسابور ، وابن أبى رمثة التميمى ، وكان جراحاً معروفاً ، وزينب ،وقد اشتهرت بمعالجة الرمد والجراحات .

وقد كان ظهور الإسلام سبباً فى لم شعث القبائل العربية البدوية ، إذ أنشأ جامعة سياسية ودينية واجتماعية قوية لهم ، استطاعت فى زمن وجيز أن تقلب أوضاع العالم المحتضر حينذاك رأساً على عقب ، وأن تخلف امبراطوريتى الفرس والروم .

وقد كان من آثار غلبة العرب على أقوام كانت تسبقها فى الحضارة والعلوم والفنون أن اقتبس العرب كثيراً من علوم تلك الأقوام وفنونها ، فإن تقدمهم السريع واستقرار مدنيتهم ، كانا يستلزمان هذا الاقتباس .

ولابد لمعرفة مصادر الطب الإسلامى من أن نلقى نظرة إجمالية على تاريخ الطب قبل الإسلام وفى العصر الأول الإسلامى لنعرف كيف ومن أى الأقوام وعن أى طريق وصلت تلك العلوم ! ومن جلتها الطب إلى العرب ، والحالة التى كانت عليها تلك العلوم عندما تلقاها المسلمون عنها . وبعد ذلك نستطيع أن نعرف إلى أى حد خدم المسلمون هذه العلوم ومبلغ ما نالته تلك العلوم على أيديهم من تقدم وعظمة .

٢ — مصادر الطب الإسلامى :

لقد أسلفنا القول فى أن الأمم القديمة جميعها كان لها نوع من الطب والعلاج ، وأن تاريخ ظهور الطب هو تاريخ ظهور النوع البشرى ، أعنى أن الأمراض والأوجاع المختلفة لازمت الإنسان الأول منذ بدء الخليقة وأن الآثار التاريخية التى اكتشفت عن الإنسان الأول تدل على وجود آثار بعض الأمراض لديه ، ومن الثابت أن الإنسان — مثل سائر الحيوان — كان يبحث بحكم الغريزة والفطرة والإيحاء الطبيعى عن علاج لتسكين آلامه وإبراء أمراضه .

وقد كان لدى بعض الأمم القديمة كالصينيين وسكان ما بين النهرين ومصر وإيران والفنيقيين واليهود طب مدروس مدون ، وكان الطب يعتبر لديهم مهنة خاصة لهـا ناحيتان علمية وعملية ، غير أن اليونان من الأمم القديمة تعتبر الأمة التى بلغ الطب لديها شأواً عظيماً من الرقى ، وكان له لديها شأن جليل .

وكان بلوغ الطب هـذه المنزلة الرفيعة لدى اليونان بفضل بُقراط الذى يُدعى بحق (أبا الطب) .

لقد عاش بقراط فى عصر من أزهى عصور الرقى العلمى فى اليونان ، أعنى عصر بركليس الذهبى الذى ظهر فيه كثير من عظماء اليونان أمثال توسيديد ، وفدياس وسوفوكل وأوريبيد . ويعد بقُراط بحق أعظم أطباء الأمم القـديمة علماً وعملا ، وقد بقى زهاء ألفى عام شخصية طبية مسيطرة على عالم الطب فى الدنيا كلها ، وقد كانت أقواله وآراؤه المرجع الوحيد فى هذا الباب وعليها المعول طوال هذه الحقبة حتى النهضة الأوروبية .

وإن الشطر الأكبر من المعارف التى رتبها ونظمها بقراط عن الطب مأخوذ ومقتبس من سائر الأمم أو اليونانيين السابقين عليه فى الزمان ، غير أن له فضل دراسة كل هذه المعارف ونقدها والوصول عن طريق النقد والبحث العلمى إلى معارف ومعلومات جديدة .

وقد كانت هـذه هى الطريقة التى جرى عليها كثير من مواطنيه أمثال أفـلاطون وأرسطو كلٌ فى بابه — فقد اقتبسوا من معارف الأمم التى سبقتهم أوالتى عاصرتهم ، واستفادوا منها ، ولكنهم لم يكتفوا بذلك ، بل درسوا تلك المعارف ، ونقدوها نقداً علمياً دقيقاً ، وفرقوا بين أصولها وفروعها وغثها وسمينها ورتبوا استنتاجاتهم وبوّبوها على خير وجه ، ووضعوها فى متناول طالبى العلم فى العالم أجمع .

لقد خلص بقراط الطب من أجواء الهياكل والمعابد المشبعة بالأسرار والألغاز ، وحرره من قيود الكهنة ورجال الدين ، وأقامه على أسس العلوم الحيوية الصحيحة ، وأرجع المرض والحياة لقوانين طبية ثابتـة ، وبرهن على أن الوصول إلى تلك القوانين الثابتة ممكن عن طريق دراسة الطبيعة دراسة دقيقة وافية ، كما بين الروابط التى تربط العلة بالمعلول . وقد جعل أساس كل بحوثه الطبية الدرس والتجربة بعد أن وازنهما بالنظر والاستدلال والمنطق واهتدى بهديهما ، ولاءم بين التجارب العملية والأمور النظرية ، وقد وُفق فى ذلك توفيقاً عظيماً .

يعتقد بقراط أن الإنسان جزء من الطبيعة والكون ، وكما أن كل كائن حى فى هذا الوجود مرتبط بالطبيعة طبقاً لقواعد مقررة وقوانين ثابتة ، كذلك الإنسان فإنه خاضع لهذه القواعد والقوانين نفسها ؛ والموازنة بين العوامل الطبيعية هى الصحة والحياة ؛ وإن قُوى الفرد كلها تهدف لإيجاد هذا التوازن والتعادل .

وعند ما يختل هذا التوازن لعلل خارجة ، تبادر جميع قُوى الفرد لدفع هذه العوامل الخارجية والعلل الضارة وإيجاد التوازن المطلوب وإقراره ، وأن مهمة الطبيب مقصورة على خدمة طبيعة الفرد ومساعدتها فى هذا المسعى الحيوى الذى تقوم به ، ولذلك كان يسمى الطبيب بخادم الطبيعة .

وحيث أن تشريح الجثث الإنسانية كان غير مستطاع حينئذاك وكان علم التشريح وعلم وظيفة الأعضاء ناقصين تبعاً لذلك، فإن المعارف التى كانت لدى بقراط عن الطب لم تكن كبيرة من

حيث الكم ، فإن دائرة معارفه عن الأمراض كانت ضيقة لا يستطيع بها إيضاح تطورات المرض وتحولاته كما ينبغي ؛ غير أن معارفه كانت على مبلغ عظيم من الأهمية من حيث الكيف .

لقد بنى بقراط طريقته على أساس علمي متين ، فقد فصل الطب عن الدين فصلاً تاماً وجعل حالة المريض نفسه أساساً لعلاجه .

ويتضح من صيغة القسم المعروف بعهد بقراط ومن الرسائل الطبية التي ألفها ، أنه قد حدد بوضوح تام حقوق الطبيب ووظائفه وواجباته الأخلاقية والاجتماعية ، كما يتبين من ذلك كله أنه قد أضفى على هذه المهنة صورة خلقية ، وجعل منها عملاً إنسانياً وقياماً بالواجب محتماً ، وكان هو نفسه مثلا حياً للأخلاق الفاضلة من إيمان بالحق ودفاع عنه وحب للخير وإيثار وعطف على المرضى والموجعين ، وهمة عالية في نشر العلم والعرفان وغيرة عليها لا تجارى .

وقد ترك بقراط للعالم مجموعة طبية تعتبر أقدم تراث طبي قدم للبشرية ، وأثمن مجموعة ، ألا وهي المجموعة الأبقراطية Corpus - Hippocraticum - وفيها بحوث عن جميع النواحي النظرية والعملية في الطب ؛ وتعد أهم مصادر الطب الإسلامي .

واحتذى إبنا بقراط وصهره وبعض تلاميذه من بعده حذوه وترسموا خطاه في بحوثهم الطبية . وأضاف إليها أفلاطون وأرسطو بنظرتهما الفلسفية آراء في كليات الطب . ثم ظهرت في المدن وبعض الجزر اليونانية مجامع أوحلقات مهمة لدراسة الطب . وبرز كثير من الأطباء الكبار في هذا المجال وكانوا جميعاً مع تفاوت في الدرجة من شراح مؤلفات بقراط وآثاره إلى أن أصبحت الإسكندرية مركزاً للعلوم الطبية اليونانية ، وأجيز تشريح جثث الموتى وتقدم علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء تقدماً كبيراً .

فالإسكندرية كانت بالنظر لموقعها الجغرافي وماضيها الاجتماعي محل اختلاط شتى القبائل والأقوام الإفريقية والآسيوية والأوربية وكانت من أهم المراكز الاجتماعية والثقافية في الدنيا القديمة ، لذلك تجمع فيها معارف مختلفة من مصادر شتى أضيفت هذه كلها إلى طب بقراط .

وقد انتشر طب اليونان بين الروم أيضاً ، وكان معظم القائمين بمزاولة هذه المهنة من اليونانيين أنفسهم إلى أن ظهر في القرن الثاني للميلاد ، أستاذ عظيم آخر في عالم الطب ، وهو جالينوس .

أجل ، كان هناك في الحقبة الواقعة بين عصر أبقراط وعصر جالينوس عدد من كبار الأطباء أمثال تيوفراست Théophraste وديبيكلس Deocles ، وسلس Celse ، وديوسقوريدوس Dioseoride ، وبليناس الحكيم Pline L. ancien وكاليوس أورليانوس Caelius Aurélianus ، وارته Artée وغيرهم . وقد أضاف كلٌّ منهم شيئاً جديداً إلى المعارف الطبية القديمة كما أظهر بعضهم نظريات حديثة أحياناً . غير أن أساس الطب بصورة عامة لم يتغير عما كان عليه في زمن بقراط ، إلى أن ظهر جالينوس العظيم من برغامس Pergames وهو من يوناني آسيا الصغرى ، فكان الشخصية الطبية العظيمة الثانية بعد بقراط .

لقد تلقى جالينوس دروسه الأولى في مسقط رأسه ، ثم استمر في تلقي العلم في جزيرة كورينتس Corinthes ، ثم رحل إلى الإسكندرية ، فتلقى فيها الطب علماً وعملاً ، ثم شدَّ رحاله إلى جزيرة قبرص وجزائر أخرى من جزائر البحر الأبيض المتوسط وفلسطين ، وكانت رحلاته كلها للدرس والبحث عن الأعشاب الطبية والاتصال بعلماء تلك البلاد ، ثم عاد بعدها إلى موطنه ومارس مهنة الطبِّ هناك مدة ، ثم استقرَّ به المقام في روما وأسس فيها حلقة لدرس الطب في حمى مارك أورل .

وكان عالماً محباً للعلماء والفلاسفة واشتغل أيضاً بمزاولة الطب هناك ، وكان يقوم في نفس الوقت بتربية جماعة من تلاميذه كما كان يقوم بتأليف مؤلفات مهمة في علم الطب أصبحت فيما بعد مصدراً من أهم مصادر الطب الإسلامي .

وكان جالينوس يعد بصفة خاصة أستاذ علم التشريح غير منازَع مدى أربعة عشر قرناً ، أي من القرن الثاني للميلاد إلى القرن السادس عشر منه . وكان جميع أطباء القرون الوسطى ومن ضمنهم الأطباء المسلمون يدرسون التشريح عن طريق مؤلفاته ، حتى ظهر في القرن السادس عشر للميلاد الطبيب البلجيكي الشهير فزال من علماء التشريح الكبار (١) مؤلف في التشريح برهن

(١) Anbrè Vésale أكبر علماء التشريح في القرن السادس عشر للميلاد ، وقد كان يقوم بتشريح جثث الموتى طبقاً للطرق العلمية الصحيحة وله مؤلف عظيم في التشريح أوضح فيه الأخطاء الموجودة في تشريح جالينوس

فيه على وجود نقائض فى تشريح جالينوس فأسقطه من الاعتبار.
والخلاصة أن اليونانيين وضعوا أساس علم الطب بالاستعانة بمعارف سائر الأمم وتجاربهم . ومن أهم رجالهم فى هذا الصدد بقراط العظيم الذى أقام بحوثه على أساس البحث والتحليل والنقد العلمى والتجارب ، فأبرزه لنا بصورة علمية صحيحة ؛ وسعى خلفاؤه من بعده فى هذا البناء على تلك القواعد المتينة . ثم تقدمت الدراسات الطبية فى الإسكندرية ؛ وظهر بعد ذلك جالينوس فى القرن الثانى فدون معارف العلماء المتقدمين وأظهرها بصورة علمية منظمة واضحة .

وقد تهيأت مقدمات سقوط امبراطورية روما الغربية نتيجة لضعفها وفساد الإدارة فيها وحدوث حوادث اجتماعية وسياسية مختلفة ، ووقوع حروب وتفشى أمراض ، ثم سقطت تلك الإمبراطورية ، ونتج عن سقوطها أن مراكز العلم والحضارة أصبحت هدفاً لهجوم القبائل البربرية ؛ إذ أن هؤلاء البرابرة انحدروا من جبال الإلب واستولوا على إيطاليا ، وكان من جراء ذلك أن العلوم والفنون ومن ضمنها الطب لم تتوقف عن التقدم فحسب ، بل عادت القهقرى ثانية ، واستولى على الطب السحر والشعوذة والدجل والخرافات ، وحلت التمائم والعزائم محل العقاقير والأدوية الطبية مرة أخرى .

ولم يكن انتشار الدين المسيحى واعتناق الناس له بصورة رسمية فى روما الشرقية — الامبراطورية البيزنطية) مشجعاً للعلماء إذ أن الكنيسة كانت تعتبر العلم والفلسفة مخالفين للشرع نوعا ؛ ما لذلك قامت بسد أبواب المدارس والقضاء على المجامع العلمية واعتبرت العلماء والفلاسفة كفرة مارقين عن الدين . ففى القرن الخامس للميلاد مثلا أغلقت الكنيسة أبواب مدرسة الرها (أوس) وكانت قائمة محل أورفة الحالية — وطردت منها النسطوريين فرحل جماعة منهم إلى إيران والتجأت إليها ، وكان لبعضهم فضل كبير فى تقدم مدرسة جندى سابور . وكان هؤلاء — النسطوريون من اتباع نسطوريوس أسقف القسطنطينية الذى نفى منها بناء على طلب المجامع الدينية بتهمة الابتداع فى الدين ، والذى مات حوالى سنة ٤٤٠ ميلادية بمصر ، وتفرق معظم اتباعه وتلاميذه فى بلاد سورية وبين النهرين وإيران وعاشوا فيها ونشروا الحضارة اليونانية فى أرجائها وفى سائر بلاد الشرق بترجمتهم للمتون اليونانية إلى اللغة السريانية (الأرامية الحديثة) وتأسيسهم المدارس فى (الرها) و (نصيبين) وبعض المدن الأخرى ، واشتغال بعضهم بتدريس العلوم المختلفة كالرياضيات والفلسفة والطب وغيرها فى مدرسة جند يسابور . وفى القرن السادس الميلاد عندما طرد الفلاسفة الوثنيون الأفلاطونية الحديثة Neo Platénien من الأسكندرية بناء على أمر الامبراطور جوستنيان الأول واضطهدوا أولى هؤلاء وجوههم نحو بلاد المشرق وانضموا إلى النسطوريين . وانضم إليهم كذلك جماعة من اليهود والأقباط ممن كانوا على اطلاع واف على علوم اليونان وقاموا جميعاً بنشر العلوم والمعارف اليونانية ومن جملتها الطب فى بلاد الشرق .

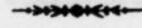
هذا مجمل تطور الطب قبل الإسلام ذكرناه مقدمة لما نريد أن نبسط فيه القول فيمابعد . وبعد هذه المقدمة ليس فى وسعنا أن نفهم بصورة جلية كيف كانت حالة هذه العلوم عند ما اتجه نحوها المسلمون وبأية درجة كانت فى متناول أيديهم ، وما مبلغ اقتباسهم منها ؛ وأخيراً ما هى الخدمات التى أسداها المسلمون لتلك العلوم و كيف أسديت إليها .

(يتبع)

الأحـــــــلام

بين التأويل الفلسفي والتعليل العلمي

للأستاذ عبد العزيز جادو



« إنما نحن كالمادة التي صنعت منها الأحلام » قولة قصد بها شكسبير دون شك ، المساعدة على إيضاح لغز الوجود . ولكن السرّ تحوّل فقط من « نحن » إلى « المادة التي تصنع منها الأحلام » . فما هي مادة الأحلام ؟

منذ بداية القرن الحالي ، أجاب كثيرون عن هذا السؤال كلٌّ بما يعتقده صواباً . وأحدث نظرية نعرف أنها تتعلق بهذه المادة التي تصنع منها الأحلام ، هي التي قامت في الزمن الذي سجلته التوراة : كان الحلم نبوءة ؛ لذلك كان يحتاج إلى تعبير . ومن هذا الإعتقاد ، نشأت أنظمة للتعبير متفاوتة في الإجادة والإتقان . فالتفسيرات أو التأويلات التي كان يستعملها سيدنا يوسف تبدو بسيطة نوعاً . فحُزَمُ القمح إذ تنحني تعبيرها أن إخوته يقدمون له الولاء والطاعة . ورؤيته الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين ، تنبئ بصورة ما ، عن عظمته المستقبلة

« يُوسُفُ أيُّها الصِّدِّيقُ أفتِنَا فِي سَبْعِ بقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأكلهنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبعِ سُنبلاتٍ خُضرٍ وأُخرَ يابسات لعلي أرجعُ إلى الناس لعلهمْ يعلمون . قال تزرعون سَبْعَ سنين دأباً فما حصدتمْ فذرُوهُ في سُنبله إلاّ قليلاً مما تأكلون . ثمّ يأتي منْ بعْدِ ذلك سبعٌ شداد يأكلنَ ما قدَّمتم لهنَّ إلا قليلاً مما تحصِنُون . ثمَّ يأتي منْ بعْدِ ذلكَ عامٌ فيه يُغاثُ الناس وفيه يُعصرُون »(*)

إذن كان يوُسُفُ أكبر مُفسر للحلم على أنه نبوءة من نبوءات المستقبل . ولكننا سمعنا في الأربعين سنة الأخيرة عن شخص آخر — إسرائيلي كيوسف — كثير الكلام عن التأويل والتفسير — هو سيجموند فرويد .

وخلافاً لما يرى رجل الأحلام القديم من أن في الحلم نبوءة لإرادة الله ، يرى فرويد أن في الحلم سجلاً للماضي ، وأن فيه دليلاً أو إشارة إلى رغبة الحالم أو إرادته .

وقد تجرمت عشرات القرون بين الرجلين ، وطال العهد بين الزمنين ، ولكن لا يزال فهمُنا لمعظم الظواهر الطبيعية العامة كما هو لم يتقدم إلا يسيراً ، وما أظنه سيتقدم ولو تقدمت بنا الأزمان .

وإنه لحقٌّ أن كتب الأحلام ما زالت متداولة ، ولكن منزلتها لا تتجاوز منزلة قراءة البخت بواسطة « الكوتشينة » أو الفنجان ، أو قراءة الأخلاق بواسطة خطوط راحة اليد . فتفسير الأحلام قد انحط إلى درجة كبيرة .

وعندنا الآن نظريتان مشهورتان عن مسببات الأحلام : إحداهما عالجها هنري برجسون ؛ والأخرى وهي التي سلفت الإشارة إليها عالجها فرويد . وكان للنظرية الأخيرة أهمية واعتبار أكثر مما كان للأولى ، ويرجع هذا في الغالب ، إلى أنها تكوّن عنصراً هاماً في نظام علاج يعرف بالتحليل النفساني .

فبرجسون ، كفيلسوف ، يعالج الأحلام على أنها أحلام وحسب . وفرويد ، كعالم ، يهتم بها على أنها علامات أو دلائل للحالات العاطفية ، والشئون الحيوية .

ومن رأينا أن كلتا النظريتين ضرورية ، يجب الأخذ بها لتفهم أسباب جميع أحلامنا .

ولنأت هنا بعبارة مسهبة لبرجسون ، تلم بلباب النظرية ، وتجمع أشتات الموضوع . يشرح فيها استمرار حواسنا أثناء النوم في استقبال التأثيرات والانفعالات ؛ فالعيون سريعة التأثر بدرجات الضوء ، والآذان تتأثر بالصوت ، والجسم في مجموعه يتعرض للتأثيرات أو الانفعالات الخارجية . أما داخلياً فالأعضاء المختلفة أيضاً تسبب إحساسات للتسجيل ، إحساسات مزعجة ربما تكون من الأعضاء الهضمية ، أو من القلب ، أو الرئتين :

الذكريات المكبوتة :

« وقصارى القول ، أن في النوم الطبيعي ، تكون حواسنا قطعاً قابلة لتأثيرات خارجية ... وبعيد على إحساس حقيق أننا

(*) جاء في سفر التكوين من التوراة « فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد . قد أخبر الله فرعون بما هو صانع . البقرات السبع الحسنة هي سبع سنين . والسنابل السبع الحسنة هي سبع سنين . هو حلم واحد . والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التي طلعت وراءها هي سبع سنين . والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً هو الأمر الذي كلمت به فرعون . قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع . هو ذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيما في كل أرض مصر . ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً . فينسى كل الشبع في أرض مصر ويتلف الجوع الأرض »

نصنع حلمنا أو نلفقه ؟ إذن كيف نلفقه ؟ . .

« إن ذكرياتنا ، فى لحظة معينة ، تصوغ شكلاً هرمياً مجسماً تطابق قمته حاضرنا ... ولكن ، من وراء الذكريات التى تحشد فى شغلنا الحاضر ، وتظهر بوساطتها ، يوجد أخرى غيرها آلاف وآلاف غيرها ، تحت المنظر الذى قام الشعور بتدبيجه ووراءه ... وإنها لتتوق أحياناً إلى الضوء : ومع ذلك فإنها لا تحاول أن تنهض إليه ؛ لأنها تعرف أن هذا مستحيل ، وإننى أنا ، مخلوق حىّ ومتصرف ، عندى ثمة شىء آخر أقوم بعمله غير إشغال نفسى بها .

« غلبنى النعاس ، إذن تلك الذكريات المكبوتة ، التى تشعر بأنى تركت العائق جانباً ، ترفع المزلاج عن الباب السرّى الذى يُبعد بينها وبين حقل الشعور ، وتبدأ فى التحرك والثورات ، ومن ثَمّ تنهض وتنتشر إلى الخارج — لتؤدى فى ليل اللاشعور رقصة طيفية همجية . وتندفع إلى الباب الذى لا يزال (مواربا) وتتزاحم جميعها لاجتيازه . ولكنها لا تقدر ؛ فهناك كثير ، كثير جداً . من هذه كلها ، على أيها يقع الاختيار ؟ . .

« سهل علينا الحدس والتخمين . الآن فقط ، عندما نستيقظ كانت الذكريات المحتملة هى التى استطاعت أن تطالب بوصل موقفى الحاضر بإحساساتى المطابقة للواقع ... وهكذا إذن من بين الذكريات الطيفية ، ذكريات تتوق إلى وزن نفسها مع اللون ، والصوت . وبالاختصار مع المادية ، تلك الذكريات التى تعقبها هى التى يمكنها أن تماثل لون التراب الذى أحسه وأراه ، والضوضاء الخارجية أو الداخلية التى أسمعها ، وغيرها ... فعندما يحدث هذا الاتحاد بين الذاكرة والإحساس ، فإننى أحلم .

« الإحساس عنيف حار ، ملوّن ، فيه ذبذبة ، وهو فى الغالب حىّ ، ولكنه غامض ؛ والذاكرة واضحة وصافية ، ولكنها بدون مادة ولا حياة لها .

الإحساس يتوق إلى قالب يجمّد فيه ميوعته ؛ والذاكرة تتوق إلى مادة تملأها وتدكها — وبالاختصار لتستوعبها . فهما منجذبان كلٌّ إلى الآخر ؛ والذاكرة الطيفية ، يجعلها نفسها مادية فى الإحساس الذى يمدها باللحم والدم ، لتصبح مخلوقاً يعيش فى حياة من حيواتها، حلم ...

« ميلاد الحلم إذن ليس سراً ... فما الفرق الجوهرى بين الكينونة فى حلم والكينونة فى يقظة ؟ نجمل الكلام فى ذلك بأن القوى العقلية ذاتها قد تمت ممارستها ، سواء كنا فى حالة اليقظة ، أو فى حالة الحلم ؛ ولكنها تتوفر فى الحالة الأولى ، وتسترخى فى الثانية . والحلم هو الحياة العقلية الصحيحة ، ناقصة جهد التركيز » .

هنا نرى أن نظرية برجسون الملخصة فى هذه الكلمات ، بسيطة غاية البساطة . عنصران يشتغلان لتلفيق حلم : إحساس ، ووضع صورة منسوج حولها بوساطة الذاكرة ، ضوء يومض من نافذتى بينا أكون نائماً ؛ فتنسج ذاكرتى حول هذا الإحساس بالضوء قصة معقولة ومقبولة . هذه القصة أو هذا التعليل هو حلمى

كثير من الأحلام المألوفة لدى معظمنا يمكن أن تفسر على ضوء هذه النظرية . قد نحلم بأننا مسافرون بقارب فى البحر ، وتحدث بمض طوارئ صغيرة لها صلة بالمغامرة ، ولكن العنصر السائد هو برودة الهواء . فنحن شاعرون ببرودة كما لو كنا مسافرين بالبحر . ونستيقظ فنجد أن غطاءنا منزلق عن السرير ، الأمر الذى نالنا منه برد شديد .

أو أننا قد نرى حلماً من تلك الأحلام التى نعيش فيها كما لو كنا فى نعيم ؛ كأن نكون مثلاً محلقين بلطف وبشكل توقيعى فى أجواء الفضاء الفسيح . وإنه لبسيط كما أنه ممتع ، فماذا علينا لو قلنا لأصدقائنا كيف يعملون مثلنا ؟ ولكن للأسف ، لقد فقدنا اللعبة حالما استيقظنا من النوم . والتفسير الصائب المعقول حسب نظرية برجسون ليس إلا نسمة فى الغرفة قريبة منا تداعب الفراش أو قميص نومنا ذاته . ولكن أرجلنا لم تستند على الأرض ، فنشعر فى غير وضوح بهذه الحقيقة . ولا يمكن أن نكون سائرين فتفعل ذاكرتنا الباقى ، إذ تؤلف القصة ، ونرى أنفسنا طائرين . والاعتقاد بأن ماناً كله يؤرق الغالب فى أحلامنا ولاسيما فى جعلها غير سارّة ، يتصل تقريباً بهذه النظرية . والإحساس فى هذه الحالات هو المضايقة التى يسببها عسر هضم ينشأ من أكلة ثقيلة.

ولنرجع الآن إلى الرجل الذى قلب نظام الاتجاه نحو الأحلام؛ ليس هذا مجال الأشارة إليه إلا فيما يتعلق بما مضى ، والتأثير الهائل الذى له على الفكرة اليوم ؛ العبارات والتعبيرات التى أبدعها موجودة تقريباً فى كل ما يتصل بآداب العصر الحاضر ؛ والمواد التى كتبت مرة لتبرهن على أنه كان ذا تأثير فى الأدب غير مرغوب فيه ، مهنته الملاجية استعملت لكى تكون ضد اختيار طرائقه فى التدريب . ولكن تأثيره لا يزال مستمراً سواء كان

للخير أو للشر .

كثيراً ما نظن عن الحلم أنه مشوش ومقلق لنومنا ، ولكنه بالنسبة لنظرية فرويد يُعد بمثابة حارس . فالحلم يقي النائم من الاستيقاظ ، سواء بواسطة منبهات خارجية لحواسه ، أو بواسطة منبهات داخلية تهيئها انفعالات ، أو أفكار غير سارّة . ومثل الحلم كمثل أم تقول لطفلها الذى تعرف أن أصواتاً أو مشاهد غير عادية تخيفه « لا تخف ، إنه لم يكن إلا الهواء يداعب الأغصان »

كل حلم يعبر عن رغبة :

لكى نفهم هذه النظرية على حقيقتها يلزمنا أن نضع نصب أعيننا بضع قواعد ثابتة : كل حلم يعبر عن رغبة ، والحلم الرمزى هو إشباع مستتر لرغبة مكبوتة . وفى الأحلام ننال ما نصبو إليه نفوسنا أخيراً ، ولكن — « ليس هناك حلم واحد لا يمكن أن يظهر بواسطة التحليل ليعتدى على بعض قوانين أخلاقية أو شرعية » وإن التشبث والإصرار على هذين المبدأين هو الذى يسبب — فى الغالب — ذلك السخط على فرويد . ولا نرى فى الحقيقة سبباً للانزعاج أو الشك فى هذه البيانات .

ومن المحقق أن أى شخص متأمل ، أمين فى تأمله ، سيعترف بأنه غالباً ما يتمنى امتلاك ما ليس فى حوزته ، ويرغب فى حوادث وعواطف يعرف أنها مطابقة لسبل حياة الزمن الحاضر ولا يمكنه امتلاكها . وما نسميه رغباتنا الشرعية أو القانونية لا نكبتها بل نعبر عنها ونصرّح بها ، ونحاول أن نحصل عليها أو على الأقل نسمح لها ببعض الاشتراك فى حيواتنا . وإن مجرد الرغبات فى الأشياء الممنوعة هى التى نخرجها من عقولنا ، ظناً منا أننا بعملنا هذا قد محوناها وحطمناها . ولكن هذا يبدو مريباً ومبهماً . وإنها لتبدو أقوى بنوع ما مع القوى الخبيثة المكتئبة . وستجد طريقها إن لم يكن فى حياة يقظتنا إذن ففى نومنا .

نحتاج فضلاً عن ذلك إلى أن نفهم أن هناك محتويين لكل حلم ، كما كانت آراء المفسرين مثل يوسف . فهناك المحتوى الحرفى أو الظاهر ، إذ تحلم بحصان شرس . والمحتوى المجازى أو الكامن فى مثل هذا الحلم ، هو التعبير عن رغبة جنسية غير قانعة طبقاً لتفسير فرويد .

والمعنى الكامن كثيراً ما يبدو للحالم محرّفاً ، أو متنكراً لكى يستطيع المرور من « الرقيب » الذى يدل عليه اسمه ، والذى يحاول فى النوم دائماً أن يُخفى العناصر غير المناسبة عن عقولنا . هنا يأخذ فرويد على نفسه مسئولية ما ذكرناه آنفاً بأن جميع رغباتنا المكبوتة مخجلة وفاضحة لنا كمتمدينين ، فهى فى النوم لا يمكن أن تظهر بدون تحريف . فيلزمها إذن أن تتقنع

تأويل بسيط :

هنا الكثير مما يشمئز منه الشخص المحافظ على التقاليد ، ويحجم عن قبوله ، ولكن حينما يبدأ التأويل يكون هناك الرفض المنيف ، أو الإستخفاف ، أوالسخرية من قبَل الكثير ، لماذا تكون الحية والشمسية وسيقان الورد المستقيمة وغيرها من الأشياء البريئة لماذا تكون فى الأحلام رُموزاً للأعضاء المستترة من جسم الإنسان ؟ ولماذا يكون الحلم الذى فيه خيل ، على وجه التخصيص ، وأحياناً أنواع أخرى من الحيوان ، أوالحلم بصعود سلالم ، أو السير فوق ممر من تحته ثغرة واسعة ، لماذا تكون هذه الأحلام « المقلقة » رموزاً لرغبة جنسية لم تشبع ؟ .

يجب أن يُفهم تماماً أن هذه الرموز لم يخترعها فرويد ، ولم يذكرها بطريقة اعتباطية ، ولكنها اكتشفت فقط . ومنبعها فى لا شعور الفرد أو الذرّية . ولقد حلل فرويد وأتباعه آلافاً وآلافاً من الأحلام .

وفيما يلى نقتبس عبارة لبريل Brill أتى فيها بحلم وتعليله ، أو بالأحرى ، بمعنييه الظاهر والباطن .

« حلمت إحدى مريضاتى أنها رأت ولدها الأكبر مُكفناً فى تابوت ، وكانت مع ذلك غير مكترثة به قط . ولما قيل لها إن الحلم يقوم مقام إشباع الرغبة أصرَّت على أن هذه النظرية خاطئة ، إذ أنها لا تضمر أى رغبة كهذه بخصوص ابنها . ومع ذلك فقد أظهر التحليل النفسانى الحقائق التالية :

مات زوجها تاركاً لها طفلين ؛ ثم تزوَّجت من أرمل له هو أيضا طفلان . وكان الزوجان سعيدين ، ولكن نظراً لأن لهما أربعة أطفال فإنهما لا يستطيعان القيام بتربية من يأتى بعدهم . وكثيراً ما أعربت الزوجة عن رغبتها الأكيدة فى الحمل من زوجها الثانى لكى تقوى الرابطة بينهما ، ولكن وجود أربعة أطفال فى الأسرة يعوق هذه الرغبة . فالحلم يشبع رغبتها بأن يريها أن فى الأسرة ثلاثة أطفال وحسب »

عبد العزيز جادو

القول للسيف

للأستاذ حسني كنعان

يتساءل عشاق الأدب من قراء « الرسالة » المجاهدة في وسط هذه الغمرة العاتية التي تغمر سماء فلسطين الدامية أين هو الأستاذ الطنطاوي وأين قلمه العذب ومقالاته النارية وقوله الفصل ؟ لماذا توارى عن المسرح ولم نعد نرى له أثراً في أزالة الغمة وتفريج السكرب بما كان يكتبه عن البلاد العربية كلما حزب الأمر وبلغ السيل الزبى والحزام الطبيين ، فكأن السائلين حفظهم الله وأنسأ في آجالهم يظنون أن القضية قضية أشعار تقرض ومقالات تنشر وأقوال تقال وقرارات تقرر واجتماعات تعقد ورجالات من الساسة اليعربيين تطير متنقلة بين العواصم العربية للمشاورة والمداولة ، وقد غرب عن بال السائلين أن العالم العربي بأسره جماعاته وأفراده قد سئم هـذا النوع من الجهاد وبات يرقب الأعمال الحاسمة ، أجل لقد برم الناس من سياسة الأقوال وباتوا يرقبون الأعمال الجدية فالقضية اليوم قضية دولارات تنثر ، وطائرات ترجم ، وزحافات تقذف وقنابل تفتك ومتفجرات تبيد وتهدم ، لقد ظن العرب وإن بعض الظن اثم ، أن هؤلاء الواغلين في أقدس بقعة من بقاع الأرض العربية ، هم من أنسال أولئك اليهود الذين عهدناهم يجوبون الحارات والأحياء ويذرعون الشوارع سحابة يومهم لا يني الواحد منهم عن الصياح بملء فيه : (طرابيش عتق للبيع ، أحذية عتق للبيع) ليتبلغوا بهذه التجارة المحطة بلغ العيش ، فتلحقهم صبيه الحارات والأحياء ترجمهم بقشور البطيخ والليمون والبرتقال إستخفافاً بأمرهم واستهانة بهم ...

كلا ياساده ! فنحن أمام عصابة من الأوروبيين المدربين على القتال والإجرام والفتك نساء ورجالا أطفالا وكهولا . قاءتهم أوروبا وبعثت بهم الدول الاستعمارية للعيث في أرضنا فساداً . قوم خلق منهم الاضطهاد المتلاحق أمة ناقمة على البشرية متمردة متعطشة للدماء والفتك والدمار . لا ترعى عهـدا ولا ذمة . غشيت سماء الوطن المقدس من هـذه الطغمة سحابة دكناء أثاروها على العزل الآمنين الوادعين في فلسطين موجة إرهابية جنونية لا هوادة فيها ولا رحمة . بقروا بطون الحبالى وذبحوا الأطفال وقضوا على الأجنة ومثلوا بالكهول والعاجزين . ولقد ركبوا في حوادث حيفا وطبرية ويافا وغيرها من المدن والقرى التي أوغلوا فيها رؤوسهم وجن جنونهم فتفننوا في الذبح والتقتيل والتشريد والتبعيد والنهب والسلب، وحتهم في إجرامهم وعضدتهم سيدة البحار صديقة العرب التقليدية ! أجل مهدت لهم هذه الدولة الأفعوانة الرقطاء طريق الغزو ومنعت العرب من الدفاع عن أنفسهم وحالت دون الوصول إليهم ... إن العين لتدمع والفؤاد ليبكي دماً على ما ألم بأهل فلسطين من مصائب وإحن ، كوارث أحدقت بهم تتضاءل أمامها كارثة الأندلس . خرجوا من ديارهم مروعين مذعورين لا يلوون على شيء ، فلا الأب يعرف أين بنوه ، ولا الإبن يعرف مصير أبويه . تركوا في المدن المجتاحة أموالهم وأملاكهم وخرجوا على الشاطئ ناجين بأنفسهم . ولقد نيف عدد النازحين على المئين من الآلاف . وصلت طلائعهم من الكتل البشرية إلى دمشق وهم على آخر رمق يجودون بدمائهم ، تتراءى لك المسغبة والمتربة والمذلة والمهانة في تقاسيم وجوههم التي تحمل الأنوف الشماء والحمية والعزة والكرامة ، قوم شردهم البغي والظلم (الانكلو صهيوني) والغدر والمؤامرات الدنيئة فحلت بهم المصيبة التي تركت الرءوس بيضاً ، وبيض الوجوه سوداً ، لا تنفع معها شكوى ولا يجدي أنين . كل هذا وقع على مرأى ومسمع من الدول الغربية التي يتشدق زعماؤها ورؤساؤها بالسلام والوئام . والدول العربية مافتىء رجالاتها عاكفين على القرارات والمداولات والمشاورات ولا نقول إنهم قد أخذوا غدراً ووقع الذي وقع وهم في غفلة عنه ، فلقد كان هذا الأمر متوقعاً حدوثه منذ عهد بلفور المشئوم فما أعدوا له عدة ، وما أقاموا له وزناً . وهاهم اليوم يتحينون فرصة زوال الدولة الطاغية عن الأرض المقدسة وزوال نفوذها وسلطانها ليقفوا في اليوم الموعود أمام شذاذ الآفاق يناقشونهم الحساب ، ويثأرون لبني سحنتهم ونحلتهم منهم ، وتلك الدولة تخادع وتماطل ونطاول في الجلاء وتلف وتدور ، كيما تظل مسيطرة وباسطة سلطانها لتتم الوعد الذي قطعته على نفسها لإقامة الدولة الصهيونية . أفبعد الذي حصل نطلب من الأستاذ الطنطاوي والسرطاوي أن يخوضا غمار معركة قلمية في هذا السبيل والحكم فيه للسيف كما ترى ؟ فأين هي السيوف العربية ؟ وأين هم الضاربون بها ؟ وأين القوى والعتاد ؟ نسأل الله السلامة والعافية للقطر

ماذا تعرف عن السودان؟

للأستاذ إيليا حليم حنا

قطر جميل بطبيعته الفطرية ، غنى بموارده الكثيرة التى لم تستغل . مساحته أكثر من ثلاثة أضعاف القطر المصرى ويبلغ سكانه نحو ثمانية ملايين نسمة .

سكان النصف الشمالى منه عرب مسلمون شديدو الاعتزاز بأصولهم ، حتى أنك عندما تسأل أحدهم عن جنسيته لا ينسب نفسه إلى القطر كله بل إلى قبيلته .

أما سكان الجنوب فهم زنوج ، لهم رطانات عديدة ومعظمهم وثنيون عراة الأجسام .

ولا تختلف مظاهر الحياة فى السودان كثيراً عنها فى صعيد مصر بل تتفق فى كثير من التقاليد واللهجة مع الفارق فى الملبس الذى يتكون من عمامة بيضاء وجلباب أبيض .

أما الموظفون فيلبسون الملابس الأفرنجية والقبعة ويسمح لهم بلبس الجلاليب والعمائم البيضاء فى مكاتب الحكومة .

والنساء فى المدن محجبات يخرجن مؤتزرات بملاءات خفيفة بيضاء اللون غالباً ، ولا يظهر هذا الرداء من أجسامهن شيئاً غير أعينهن . وزيارتهن لبعضهن تكون بعد غروب الشمس عادة .

والمرأة السودانية على جهلها تلمح فيها ذكاء فطريا وروحاً خفيفا ؛ وهى تقدس الشجاعة فى الرجل، فإن جبن مرة فمعنى هذا عندها أنه تجرد من رجولته وهو فى هذه الحالة يفضل الموت على وصمة العار هذه .

والسودانى شجاع لا يعبأ كثيراً بالآلام بل يستسيغها فى سبيل الاعتزاز بالنفس والكرامة ؛ وهو كريم إلى حد كبير ، مضياف يصل كرمه إلى حد الاسراف ، كما أنه ديمقراطى بطبعه يخالط ويجالس من هو أقل منه فى الجاه والمركز الاجتماعى . فالعظيم والحقير كلاهما لا يرى للفوارق وجوداً . والسودانيون لا يعبأون بالألقاب ؛ وبلغ لهم أن ينادى بعضهم بعضا بالاسم المجرد . والشخص العادى إذا تحدث عن كبير فى المركز الاجتماعى يقول (فلانا) بدون لقب ، ولكنه لا يجرد من لقبه فى سياق الحديث رجل الدين أو الرجل المسن .

والسودانيون يبذلون كل ما فى طاقتهم لتعليم الأبناء حتى أن هذه الرغبة القوية جعلت المدارس الموجودة اليوم لا تكفى حاجة الجميع . وهم لا يرون أى غضاضة فى أن يبعثوا بناتهم إلى المدارس الأولية ؛ ولكن فئة قليلة جداً ترسلهن إلى المدارس الوسطى ؛ لأن الفتاة عندما تصل إلى هذه المرحلة من التعليم تكون غالباً فى طور المراهقة .

والحكومة مهتمة بالتعليم الأولى أكثر من اهتمامها بالتعليمين المتوسط والثانوى . وعدد المدارس الوسطى (الابتدائية) الحكومية والأهلية فى السودان كله ٢٣ مدرسة للبنين ، ومدرستان ثانويتان حكوميتان ، وواحدة أهلية . ماعدا المدارس المصرية والتابعة للجاليات المختلفة .

والشاب السودانى الآن يقبل على التعليم برغبة صادقة ، ويرى أنه الوسيلة الوحيدة التى توصله إلى الرقى المنشود وتحقيق الأمانى القومية .

والأمن مستتب فى السودان على رغم قلة رجال الحفظ ؛ وهذا يرجع إلى أن السودانى ليس شريراً بطبيعته . ويدهشك أن ترى المساجين يسيرون ووراءهم رجل البوليس وهم غير مقيدين بأغلال . وبعضهم يشتغل بخدمة الموظفين الحكوميين بأثمنونهم على متاعهم وأرواحهم . والغريب أنهم لا يفكرون فى الهرب وهم مطلقو السراح ...

والحياة الاجتماعية تختلف باختلاف المدن ، فالمدنية تكاد تكون غربية فى العواصم مثل الخرطوم ، وشرقية فى المدن التى

الشفيق وأزالة المحنة والغمة عنه ، كما أننا نسأله ونتوسل إليه أن تنقلب أسنة هذه الأقلام المُرهفة فى أيدى أصحابها إلى دبابات ، وطيارات ومدافع ، وقنابل ومتفجرات تأتى على جذور الصهاينة من أساسها ؛ عندئذ يرى أستاذنا الزيات وصديقنا الطنطاوى وطه والعقاد والمازنى وأحمد أمين وغيرهم من كبار كتابنا فى طليعة القادة اليعربيين الذين يرفعون رايات العروبة رفافة خفاقة على المجاهدين الأعالب ، ويعيدون أمجاد العرب .

(دمشق) حسنى كنعان

أكثر سكانها من الوطنيين مثل أم درمان أما أهل الجنوب الزنوج فتكاد تكون معيشتهم فطرية .

أما المعيشة فاللحوم والطيور والأسماك رخيصة جداً . ويبلغ ثمن أقة اللحم الضأن عشرة قروش . ويوجد من الخضر مايوجد في مصر، ولكن أسعارها هي والفاكهة أكثر ارتفاعاً . وهنا أزمة مساكن أشد مما هي في مصر والايجارات أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب .

أما جو السودان فإنه جميل جداً في مدى ثمانية شهور ، فمن نوفمبر إلى منتصف ابريل جفاف واعتدال ، وهذا هو وقت الشتاء . ويبدأ الحر من أواخر إبريل إلى أواخر يونيو، ولكن عندما ترتفع درجة الحرارة تسقط الأمطار فتلطف الجو . أما يوليو وأغسطس فإنهما أجمل الشهور في السودان : جو ممطر منعش وطبيعة ساحرة فاتنة . ولا أغالي إن قلت إن الجو خلال هذين الشهرين لا يقل عن جو الأسكندرية صيفاً ، ويمتاز عليه بالأمطار اللطيفة . وتنقطع الأمطار في سبتمبر . وقد يسقط فيه مطر خفيف يسميه الأهالي (الرشاش) أو مطر (البُخَات) أي السعداء لأنه قد ينزل في مزرعة ولا ينزل في نفس الوقت في المزرعة التي تجاورها تماماً . وخلال سبتمبر حتى معظم أكتوبر يكون الجو مشبعاً بالرطوبة اللطيفة ، وتكثر في الهواء الحشرات المختلفة الألوان والأشكال. وهي غير ضارة ...

والطبيعة في السودان فاتنة جذابة ؛ فهناك أرض الجزيرة بأقطانها ومحصولاتها المختلفة ، وفي كردفان تتجلى البداوة بإبلها التي تسير على الكثبان الرملية الصفراء والابقار والأغنام والماعز في مراعيها الجميلة التي تنبتها الأمطار؛ والجنوب بمياهه التي تنساب في الوديان صافية تنبت الخيرات وتجعل الأرض جنة بما فيها من الثمار المنوعة المتوافرة وغيرها من خيرات الله الوفيرة التي لو استغلت لجعلت السودان من أغنى الأقطار .

هذه لمحة خاطفة عن السودان غرضي منها أن يتعرف أبناء وطني حقيقة هذا الشطر الجنوبي من وادي النيل الذي يجهل عنه المصريون الشيء الكثير .

إيليا حليم حنا
دبلوم عال في التربية
دبلوم صحافة

الأبيض — السودان

البـــدر

للأستاذ عثمان حلمي

قل لي إذا اسطعت أيها البدر ... هل لك سر وما هو السر
ظللت من أول الزمان على ... صمتك لم يفش سرك الدهر
مستبشر الوجه في العيون إذا ... رنت وفيها الرجاء والبشر
أو عابساً في عيون من عبسوا ... أو ساخراً عم نورك السخر
كنت مع الأولين في زمن ... ولى وولوا فالهم ذكر
وأنت في الآخرين ترمقهم ... بمقلة ملء لحظها حِذر
باق على الدهر ما لسعيك من ... نهاية في السرى ولا عصر
وعمرك الدهر في الوجود ولو ... أن المدى في حسابنا شهر
تمر في رجعة فما لهمُ ... مروا ولم يرجع الأُلى مروا
أبليت في الأرض من مررت بهم ... ولم تزل أنت أنت يا بدر
كم عاشق سره ضياؤك إن ... أساءه من حبيبه هجر
ناجيته في ظلام وحشته ... نجوى غريب أضره الفكر
وشاعر هام من ضيائك في ... خياله واستخفه الشعر
سمعت في البعد همس مهجته ... بكل ما قد أجنه الصدر
وكاد من فرحة ومن طرب ... يجن سكراً وما به سكر
أشمت من نشوة السرور به ... بالنور ما لا تشيمه الخمر
في مقلتيك اللتين أبصرتا ... كل تليد وطارف خـتر
عند ابتسامي أرى ابتسامهما ... وشع في الذعر منهما الذعر
قل ليَ كم شامخ مررت به ... أصابه بعد رفعة حَدَرْ
هوى وران الثرى عليه ولم ... يبق لَعمري لأمره أمر
سيان في الأرض روضة أُنف ... لديك إما مررت أو قبر
ألم ترعك القبور صامتة ... وقد غدت ما لمدها حصر
وأنت في وحشة تمر على ... رُقودها والرقود لم يدروا
ما بالهم طال ليلهم وأبى ... من طوله أن يعوده فجر
وما لهم قد رضوا برقدتهم ... وهل لهم في رضائهم عذر
يا هول سر ظللت تكتمه ... عنا ولم يفش سرك الدهر

عثمان حلمي

الأدب والفن في أسبوع

«اليونسكو» :

يزور مصر الآن الدكتور جوليان هكسلى المدير العام للمؤسسة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (المعروفة باليونسكو) وقد حضر إلى مصر بعد زيارة طويلة لسائر البلاد العربية وتركيا وإيران ، حيث اجتمع بهيئاتها الثقافية والتعليمية تمهيداً للمؤتمر القادم لهذه المؤسسة الذى سيعقد بلبنان فى أواخر هذا الصيف .

وقد ألقى الدكتور هكسلى محاضرة عن (اليونسكو) وأغراضها فى الجمعية الجغرافية يوم الأحد الماضى ، فبين كيف نشأت فكرتها والمراحل التى مرت بها إلى الآن ، قال إن فكرة المؤسسة نبتت فى لندن خلال الحرب ، إذ رأى جماعة من رجال التعليم والثقافة من مختلف الأمم أن يقوموا بجهود فكرى لتحقيق السلام العالمى ، ورأو أن السبيل إلى ذلك هو العمل على تآلف الثقافات لإزالة الريبة بين الشعوب ، لأن أسباب الحرب تنشأ فى الذهن فلا بد من التقريب بين الأذهان والعقول ليتحقق حسن التفاهم والإخاء . ولما انعقد مؤتمر سان فرنسيسكو فى سنة ١٩٤٥ وتباحث بعض أعضائه فى شئون التعليم — نص فى ميثاقه على إنشاء مؤسسات للعناية بعشا كل التربية ، تكون مستقلة مع بعض الاتصال بهيئة الأمم المتحدة .

وقد انعقد مؤتمر الهيئة العام لأول مرة بباريس فى العام الماضى ، فقرر السعى لإصلاح بعض نظم التربية فى بعض الدول ، قصد الوصول إلى التعاون الفكرى الصحيح ، وكان من قراراته :

١ — تنظيم حملة عالمية للقضاء على الأمية بتحديد المستوى الأدنى للتعليم فى جميع الأمم .

٢ — تنظيم بحوث عالمية للكشف عن الدوافع النفسية والاجتماعية التى دفعت العالم إلى التطاحن فى الحرب العالمية .

٣ — العمل على إزالة الحواجز المانعة من التعاون الفكرى بين الأمم المتنافسة .

الدكتور هكسلى :

والدكتور هكسلى مدير « اليونسكو » فى الستين من عمره ، وهو كاتب وشاعر وعالم بيولوجى ، له مؤلفات فى العلوم والآداب والاجتماع ، منها كتاب «نحن الأوربيين» الذى فند فيه نظريات النازى المتعصبة تفنيداً يقوم على أسس علمية صحيحة ، وله دراسات قيمة فى مشروعات الإصلاح الاجتماعية . ومن آرائه فى المشكلات العالمية أن الانتصار فى الحرب لا يؤدى حتما إلى إنقاذ المدنية من الخطر الذى يهددها ، وإنما الذى يكفل إنقاذها هو مقدرتها على إزالة أسباب الخوف والظلم واليأس ، وهى تستطيع تحقيق هذه الغاية إذا وضعت نصب أعينها أن المجتمع البشرى يتألف من كل لا يتجزأ تتوازن فيه الحقوق والواجبات وأن القيم الاقتصادية فى هذا المجتمع يجب أن تخضع للاعتبارات الاجتماعية .

مصر و « اليونسكو » :

وقد انضمت مصر إلى المؤسسة منذ نشأتها ، فقد اشترك الدكتور محمد عوض محمد بك فى اجتماعاتها الأولى بباريس ، وكان له جهود كبيرة فى وضع منهج العمل للجنة العلوم الاجتماعية إحدى لجان المؤسسة . ويمثل مصر الآن فى اللجنة التمثيلية ، الأستاذ شفيق غربال بك ، وقد أشرنا قبل الآن إلى مساعيه التى كللت بالنجاح فى اعتبار اللغة العربية من لغات المؤسسة الرسمية . ولمصر فى باريس مكتب أنشأته وزارة المعارف المصرية ليكون على اتصال دائم بسكرتارية « اليونسكو » فيبلغ الوزارة مشروعات الهيئة وبرامجها وما ترغب إطلاع الحكومة المصرية عليه من مقترحاتها وقراراتها ، ويبلغ الهيئة ما تريد الحكومة المصرية إبلاغها إياه من مثل هذه المقترحات والقرارات .

للتعريف العالمى :

وقد رغب الدكتور هكسلى إلى معالى وزير المعارف ، أن يزوده بأسماء الهيئات الثقافية والفنية والعلمية المصرية ، حكومية وغير حكومية ، وأسماء الشخصيات الهامة من علماء وأدباء وكتاب وفنانين ، ممن يجب أن يعرفهم العالم .

وتعمل الآن فى إعداد ذلك إدارة التسجيل الثقافى التابعة للادارة العامة للثقافة بوزارة المعارف .

الدكتور طه حسين :

كانت هيئة « اليونسكو » أرسلت إلى الدكتور طه حسين بك تدعوه إلى اجتماع لجنة ترجمة الآثار الأدبية العالمية الذى سيعقد فى باريس ابتداء من ١٨ مايو الحالى . وقد سافر الدكتور طه يوم الخميس الماضى إلى فرنسا لهذا الغرض .

مجلة الكاتب المصرى :

وقد أعلن الدكتور طه فى الأهرام قبل سفره ، باعتباره رئيس تحرير مجلة « الكاتب المصرى » — أن إدارة المجلة قررت وقف إصدارها « لأسباب لا تتصل بمحرريها ولا بقرائها » .

وقد علمت أن دار الكاتب المصرى ستتوقف أيضاً عن أعمال النشر التى تقوم بها إلى جانب إصدار المجلة ، بعد أن تفرغ مما هى بصدده . وواضح من عبارة الدكتور طه « لأسباب لا تتصل بمحرريها ولا بقرائها » أن احتجاب المجلة قد يرجع إلى الناحية المادية . ومن الإنصاف أن أقول أن إنتاج دار الكاتب المصرى ومجلتها ، لم يكن يختلف — من حيث اللون العام — عن إنتاج المجلات الأدبية ودور النشر الأخرى .

وقد أشار الدكتور طه فى بيانه الوجيز إلى الملتقى بينه وبين القراء فى ميدان آخر ، ويقال إنه سينضم إلى مجلة أدبية شهرية أخرى ، وقد يتولى رياسة تحريرها .

طريقة جديدة :

أعادت إحدى هيئات النشر والتوزيع ، طبع كتاب « صندوق الدنيا » للأستاذ المازنى ، وظهرت فى الصحف إعلانات عنه منوعة مختلفة الصيغ والأشكال ، وجاء فى أحدها للتمثيل على محتويات الكتاب :

« الجدة التى لبست مريلة وذهبت إلى المدرسة » .

« حلاق القرية يحلق على الأرض للأستاذ المازنى » .

« أبو الخوارق وابن الزوابع يتضاربان على الممر » .

« الشيخ الذى (زغزغه) المازنى ففقد وقاره » .

وهذه الطريقة فى الإعلان مجدية فعلا فى التشويق إلى الكتاب ؛ ولإقبال الناس على مؤلف للأستاذ المازنى أثره فى التثقيف والانتفاع من القراءة الأدبية . ولكن مقتبها — مثلى — لشؤون الأدب والثقافة ، لا يصح أن يغفل تسجيل أمر جديد كهذا ... فقد كان مثل هذه الطريقة يتبع من قبل فى مؤلفات ينادى عليها الباعة بمثل « المرأة التى أكلت ذراع زوجها ! » دون أن يثبت مؤلفوها أسماءهم عليها .

أما الجديد فهو الإعلان بمثل ذلك عن مؤلفات أدبية معروفة لأدباء معروفين كالمازنى . ولست أعترض ، ولكنى — كما قلت — أسجل ...

من طرف المجالس :

غشيت مجلس ثلة من الأدباء ، فلاحظت أنهم إذا قدم عليهم قادم جديد ، عرفه أحدهم باسمه ، ثم يقول لأصحابه فى شبه همس: أبو نواس ! أو يقول : ابن الرومى !

ثم علمت أنهم اصطلحوا على ذلك ، فإذا كان القادم من غير أهل الخير وليس من ذوى الوفاء فهو ممن يصفهم أبو نواس بقوله :

وقح ، تواصوا بترك البر بينهم ... تقول: ذا شرهم، بل ذاك، بل هذا

وإن كان وفيا لإخوانه ، فهو من أصحاب ابن الرومى القائل :

وخلين تما بى ثلاثة إخوة ... جسومهم شتى وأرواحهم معا
موافين أهواء توافت على هوى ... فلو أرسلت كالنبل لم تعد موقعا
إذا ما دعا منا خليل خليله ... بأفديك لبانا مجيباً فأسمعا

من طرف الإذاعة :

لست أدرى لم عادت الإذاعة إلى ما كانت قد تركته من تقديم بعض الشعراء « المحبوبين لديها » ليقرأوا من أشعارهم ! فقد سمعت أخيراً أحد هؤلاء يذيع قطعا قديمة مختلفة من شعره ، ينتهى من قطعة ، فيذكر عنوان أخرى ويلقيها ، وهكذا ... فذكرنى هذا الصنيع بما يفعله « شكوكو » حين ينتقل من « سلم لترماى » إلى « اللباريق » و « حسن أبو على سرق المعزة » !!

وسمعت فى حوار بأحد « البرامج الخاصة » من يقول : نحن يا سيدى قوم بدائيون ! وهذا البرنامج أخرجه فلان الفلانى ووضعه فلان آخر ، وبطبيعة الحال راجعه مراجع وأقره ؛ فلم يتنبه أحد من هؤلاء إلى أن الذى يفهم أن هناك بدائيين وغير بدائيين — لا يصح أن يكون بدائيا !

أدب المناسبات :

كتب الأستاذ محمود تيمور بك كلمة فى « الزمان » بعنوان « أدب المناسبات » قال فيها : « جرت أقلام طائفة من الكتاب على الغض من شأن القطع الفنية ، بحجة أنها وليدة مناسبات كانت راهنة ، وأ كثر ما اتجهت إليه سهام هذا النقد شعر المراثى والمدائح ونحوها » .

وناقش الأستاذ تيمور هذه القضية إلى أن قال : « والمقياس الصحيح للفصل فى تلك القضية الأدبية أن الفنان بين حالتين :

« حالة قدرة على استيحاء الموضوع أيا كان ، واستجابة حقة للاستنامة الذاتية التى يحيا بها الموضوع فى قرارة النفس . وفى هذه الحالة من القدرة والاستجابة ينجلى التعبير وتتبين مرتبته : غثا كان أم سمينا .

« وأما الحالة الأخرى فهى حالة الحمل على النفس ، وتكليفها أن تستشعر ما لا تحس ، دون أن تكون منها استجابة ، ودون أن تأذن للموضوع بأن يحيا بين حناياها حياة حقة . وفى هذه الحالة الأخرى يخرج التعبير سقطاً لا روح فيه ، وفجا لا مذاق له ، يبدو عليه أثر التصنع والكذب » .

الفن المعاصر :

أقام جماعة من الشبان الفنانين المصريين ، معرضاً لأعمالهم فى التصوير والنحت بدار إدارة خدمة الشباب تحت رعاية معالى وزير المعارف ، وقد افتتحه معاليه فى الأسبوع الماضى ، ويشرف على المعرض الأستاذ حسين يوسف أمين وهؤلاء الشبان (جماعة الفن المعاصر) هم : ابراهيم مسعودة ، وكمال يوسف ، وسمير رافع وعبد الهادى الجزار ، ومحمود خليل ، وسالم عبد الله الحبشى ، وماهر رائف ، وحامد ندا ، وهم جميعاً يتجهون بفن التصوير اتجاها جديداً يساير التطور الفكرى وينتفع بالثقافات الحديثة ، فلم يعد الفن المعاصر يتمشى مع مجرد تسجيل المناظر للهو والرفاهية وإنما هو يقوم على غزو الطبيعة وسيطرة العلم والوعى بالأوضاع الاجتماعية وبمدى ارتباط الفن بالحياة .

وهؤلاء الفنانون ، وإن جمعتهم مدرسة فنية واحدة ، يسلك كل منهم فى إنتاجه مسلكا يلائم شخصيته . وأروع ما فى هذه المعرض أنك تلاحظ ذاتية الفنان فى لوحته ، ويبدو لك فى كثير من هذه اللوحات عمق فلسفى ونظرات فنية موضوعية ، وإن كان بعضها غير مفهوم ... لى على الأقل .

المجمع العلمى العراقى :

أنشىء بالعراق فى أوائل هذا العام مجمع جديد هو « المجمع العلمى العراقى » وقد اختير لرياسته الأستاذ محمد رضا الشبيبى . وأعراض هذا المجمع هى :

١ — العناية بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشئون الحياة الحاضرة .

٢ — البحث والتأليف فى آداب اللغة العربية وتاريخ العرب والعراقيين ولغاتهم وعلومهم وحضاراتهم .

٣ — دراسة علاقة الشعوب الإسلامية بنشر الثقافة العربية

٤ — حفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة وإحياؤها

٥ — البحث فى العلوم والفنون الحديثة وتشجيع الترجمة والتأليف وبث الروح العلمى فى البلاد .

العباس



كلمة أخيرة في تعدد الزوجات :

لا أدرى فيم يخالفنى صديقى الأستاذ زكى الدين بدوى ، وقد وافقنى على أن لولى الأمر أن يمنع من تعدد الزوجات بمنع سماع الدعوى فى أكثر من زوجة واحدة ، فليس بعد هذا إلا ما يراه من أن هذا طريق سلبى لا تعلق له بحل ولا بحرمة ، ولو صح هذا لما كان هناك معنى لثورة كثير من العلماء كلما شرع ولى الأمر فى منع سماع الدعوى فى مثل ذلك . والحقيقة أن منع سماع الدعوى فى مثل ذلك يراد به منع الناس منه ، وبهذا يرى بعض العلماء أن ما أباحه الله للناس لا يصح منعهم منه ولو بالمنع من سماع الدعوى فيه ، ولا يصح لولى الأمر أن يتبرم به أو يحاول الحجر فيه على الناس بأية وسيلة ، وهذا إلى أن القاضى كان يباح له شرعاً سماع الدعوى فى مثل ذلك ، بل كان يجب عليه أن يسمعها ويحكم فيها بحكم الله تعالى ، لأن القاضى يجب عليه شرعاً سماع الدعوى من صاحبها ، ويجب عليه شرعاً أن يحكم فيها بما أنزل الله فى أمرها ، فإذا منعه ولى الأمر من سماعها كان فى ذلك تحريم لما أباحه الله له ، بل لما أوجبه عليه ، فيثور كثير من العلماء لذلك أيضاً ، ويرون فيه خروجاً على الدين ، وانتهاكا لحرمة الشرع ، فكيف بعد هذا كله يرى الأستاذ زكى الدين بدوى أن المنع من سماع الدعوى طريق سلبى لا تعلق له بحل ولا بحرمة .

وقد وافقنى الأستاذ زكى الدين بدوى أيضاً على أن هناك من يقول بحق ولى الأمر فى النهى عن المباح ، ولكنه ذكر أنه لم يرد عنهم أن هذا يجرى فيما وردت بحله نصوص تفصيلية محكمة فى الكتاب والسنة كما هو الحال فى تعدد الزوجات . ولا شك أنه لا فرق بين مباح ومباح فى ذلك النهى ، ونحن إنما نرى النهى عن المباح عند الحاجة إليه ، وعند إساءة المسلمين استعماله ، وإذا كان فى ذلك خلاف بين العلماء فمن الواجب على الأستاذ المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد أن يكون مع من يعطى ولى الأمر هذا الحق ، لما فيه من المرونة فى التشريع ، وعدم الوقوف فى المباح عند حالة واحدة ، ولو تغيرت الظروف والأحوال وصارت الإباحة فيها مصدر بلوى للمسلمين ، وهو بهذا أجدر من الأستاذ الذى تخرج بين جدران الأزهر فقط ، ولم يشاهد جامعات باريس وفؤاد .

لقد كان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى خلافة أبى بكر ، وفى صدر خلافة عمر ، ولكن الناس خالفوا ذلك فأوقعوه ثلاثاً ، فأمضاه عمر عليهم عقوبة لهم ، وأخذ الأئمة الأربعة بحكم عمر فى ذلك ، فحرموا على الناس الرجعة بعد الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، وقد كانت مباحة لهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى خلافة أبى بكر وفى صدر خلافة عمر . فليدع الأستاذ زكى الدين بدوى القافلة تسير ؛ لأنه لا يصح من مثله أن يضع فى طريقها العقبات .

عبد المتعال الصعيدى

إلى علماء الدين وأساتذة التاريخ :

يا أصحاب الفضيلة والسادة ! ما قولكم – جعلكم الله أنصاراً للحق على الدوام – فيما جاء فى مقال الأستاذ حيدر الشيرازى أحد موظفى المجلس الحسبى بمصر المنشور فى صحيفة منبر الشرق فى عددها ٤٧٩ فى ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٧ ٥ دسمبر سنة ١٩٤٧ فى الصفحة الخامسة بأن (مدينة النجف كانت جبلا وهو الذى قال فيه ابن نوح سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ، فأوحى الله إليه : ياجبل ، أيعتصم بك منى؟ فتقطع قطعا قطعاً وصار رملاً ثم بحراً عظيما كان يسمى (نى) ثم جف فسمى (نى جف) أى نجف ؛ وإن الخليفة هارون الرشيد علم بموضع قبر الإمام على كرم الله وجهه فأمر أن تبنى قبة فبنيت القبة ونقشت وفرشت وأضيئت ؛ وإن الحمر إذا دخلت مدينة النجف انقلبت خلا ؛ وإن الكلب لا يدخلها ، وإن نادر شاه حاول إدخال كلب معه فقاوم الكلب حتى قتله نادرشاه ، وحاول إدخال النبيذ فانقلب خلا) هذا ما يقوله الأستاذ الفاضل الشيرازى فما هى كلمة العلم الصحيح والتاريخ الأمين يا علماء المسلمين والعرب ؟

(الرياض) **ابن سلوم**

حرمة القرآن :

قرأت في عدد من الرسالة قصيدة لشاعر معروف في ذكرى الزعيم مصطفى كامل جاء فيها هذا البيت :

لك سيرة يتلو الشباب فصولها كالآى من ياسين والأحقاف

فحز في نفسي هذا التشبيه ، وكنت أود لهذا الشاعر أن يتجنب مثل هذه التشبيهات التي لا تليق بجلال كتابنا الكريم . ولست أدرى لم يلقى الشعراء بأنفسهم إلى هذا المأزق الضيق ؟ ويتقحمون في هذا المسلك الوعر ؟ إن كان هو قصد الإطراف والإجادة ، فليعلموا أن مثل هذه التشبيهات مما يسخف بها الشعر ويسمج ، فإن من سمات الشعر الجيد ألا يمس الشعور العام في أية ناحية من نواحيه ، ولا شك أن المتدينين يجدون شيئاً كثيراً من الامتعاض والاشمئزاز حين يقرأون أمثال هذه التشبيهات التي تسلك بعض كلام البشر مع القرآن الكريم في قَرَن .

وأنا أعرف أن الذى ساق بعض شباب الجيل إلى مثل هذه التعبيرات السمجة هو ما قاله شوقى في رثاء إسماعيل صبرى:

لو كان للقرآن بعدُ بقية لم تأت بعد رثيت في الأعراف

ولكن من قال أن كل شىء جاء من شاعر كبير كشوقى أو كالمعرى يكون أصلا يحتذيه الناشئون ، على أن الذى دعانى إلى أن أكتب هذه الكلمة هو أن هذا الشاعر نفسه ذكر هذا المعنى في رثاء شوقى ، فهو يقول عن شعره :

رب تلميذه أكب عليـــه مثــــل أكبابه على قرآنه

فإذا تجاوزنا هذا الشاعر إلى غيره من ناشئة الجيل وجدناهم منساقين في هذا التيار ، لا يشعرون بما في مثل هذه من حمق وسخافة . سمعت مرة شاعراً يمدح عظيما فيقول : (تخذوك بعد إلههم معبوداً) .

وقرأت لآخر في هذه الأيام يمدح شيخاً جليلا فيقول :

شمس تضىء المشرقين كأنها شمس الرسول سماؤها أم القرى

هو نفحة الرحمن أرسله هدى للعالمين ورحمة وتبصرا

إلى ترهات كثيرة ، وأباطيل مستقبحة من أمثال هذه التشبيهات الجريئة ، وإنى أحب أن أعلم من لم يكن يعلم أن مقام القرآن ومقام الرسول أحق بالصيانة ، وأجدى ألا يوضع واحد منهما في هذه الموازين .

علي العماري

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمي بأم درمان

سمه وصايا أبي تمام :

من أعجب ما قرأت وصية أبى تمام — شاعر المعانى — للوليد بن عبيد البحترى — تلميذه — قال « تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، وأحسن الأوقات لتأليف شىء أو حفظه وقت (السحر) .. » . قلت : وفي جعل أبى تمام الثلاث — رحم الله أبا تمام — أخطاء ثلاثة :

١ — جعل للشعر (أو النظم) أوقاتاً ومواعيد !

٢ — وأفاد أن النظم يحسن ويلطف على قلة هم وغم !

٣ — ثم ثلث أثافيه بأن (السحر) أحسن أوقات النظم والتأليف !

والشاهد أن وصية (مولد المعانى) إن هى إلا وصية صانع لصبى يعلمه الصنعة فيقول — بعد الذى سبق من القول « وكن كأنك خياط يقطع الثوب على مقادير الأجسام » ولا يقول كما قال بشر بن المعتمر : « وعاوده عند نشاطك » فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت هنالك طبيعة أو جريت في الصناعة على عرق .. » .

وبعد : فقد أذكرنى هذا القول أو هذه الوصية « التمامية » مانراه في هذه الأيام من شعر الصنعة أو شعر (المناسبات) الذى يقال في كل آن من الحادثات أيا كانت الحادثات . فليتق الله الشعراء والشاعرات !

(الزيتون) **عدنان**

العزة بالاسم :

وقعت في مقالى « بين الشيوخ والشباب » بالعدد الماضى من الرسالة — هنات مطبعية يدركها القارىء بفطنته ، ولكن الفقرة التالية جاءت هكذا : « تناقش ياسيدى وجهاً لوجه وتدفع الحجة بالحجة ، أو تسكت إن أخذتك العزة بالإثم » وكانت هذه العبارة موجهة للأستاذ توفيق الحكيم ، لتجنبه مواجهة من ينقده . وواضح أنه لا يأتى بذلك إثماً حتى يعتز به ، وإنما أصل التعبير « إن أخذتك العزة بالاسم » وهذا هو المقصود بطبيعة السياق .

عباس خضر

الكتب

أبو الهـول يطير

تأليف الأستاذ محمود تيمور بك

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

عندما قرأت هذا العنوان فى إعلانات الصحف قلت لعل الأستاذ تيمور يعنى بأبى الهول نفسه ، فهو رمز المصرى كما هو رمز الصمت . وفى التسمية دلالة لا بأس بها ، فنحن نستعير كثيراً من الأشياء المصرية كالنيل والأهرام وما إلى ذلك دلالة على القومية المصرية . حتى إذا شرعت فى قراءة الكتاب اتضح لى أنى كنت واهما فيما ذهبت إليه ، لأن المؤلف لا يقصد نفسه بهذه الاستعارة ، وإنما يقصد الطائرة التى أقلته من مصر إلى أمريكا ، أو إلى الولايات المتحدة على وجه التحديد ، بلاد الحضارة والمدنية الحديثة ، أو الدنيا الجديدة كما يقولون .

ولا ريب فى أن أمريكا تستحق من الشرق أن يتعرف إليها ، بعد أن أصبحت محط أنظار العالم ، وبعد أن انتقلت إليها الحضارة العلمية الحديثة ، فانتهت إلى كشف القنبلة الذرية ، فسبقت بذلك سائر الدول التى كانت تحمل لواء العلم والمدنية .

كنا إذن فى حاجة إلى معرفة هذه الدولة العظيمة الناشئة ، وما فيها من نظم اجتماعية ، وأحوال عمرانية ، وتقاليد يصطبغ بها أهلها ، وعادات تشيع فى سكانها .

وهذا ما فعله الأستاذ محمود تيمور بك فى كتابه « أبو الهول يطير » . صور فيه رحلته إلى تلك البلاد ، وسجل ما شاهده فى السماء والأرض ، والفندق والشارع ، والمطعم والملهى ، وفى كل مكان ، وفى كل ركن من الأركان ، فكان الناقل الأمين الذى شاهد بعين المصرى الشرقى تلك البلاد الجديدة الغريبة .

فهى إذن رحلة « أمريكانية » كان من الخير أن يصورها لنا المؤلف فى هذا الأسلوب الطائر ، حتى تلائم ما عرفناه عن أمريكا التى تحسب حساب السرعة والزمن فى كل عمل . فإذا كان ابن بطوطة أو ابن جبير يقطع الواحد منهما الرحلة فى أعوام ، فلا عجب أن تجد محمود تيمور يقطعها فى شهور . وأن يصل من القاهرة إلى نيويورك فى ساعات .

نقول إن عين الشرق هى التى سجلت ما فى هذا الكتاب من كتب وأطياف وظلال . والشرق مؤمن بطبعه ، وكان الشرق مهبط الأديان منذ قديم الزمان . انظر معى إلى ما يقوله تيمور فى صفحة ٨٠ « ما زال حديث السماء على تطاول الزمن ، وترادف الحقب ، وتطور المقول ، هو صاحب السلطان الأول على المشاعر والنفوس ... لطالما سمعنا فلاسفة الفكر ينادون بأن العقيدة الدينية على وشك الانهيار ، ولكننا لا نلبث أن تواجهنا حقائق تسخر من هذا الزعم الموهوم ... إن العقيدة ، مثلها كمثل كرة المطاط ، إذا قذفت بها ورأيتها جادة فى هويها إلى الأرض لم تحسب لها من رجوع . ولكنك لا تعتم أن تراها قد وثبت إليك فى عنفوانها أقوى مما كانت من قبل ... » .

فأنت ترى أن الرحلة لا تصف المشاهد الحسية فحسب ، بل تذهب إلى أعماق الحقائق الروحية ، فيحدثنا صاحبها عن الفلسفة والعقيدة والإيمان بالله ، والدفاع عن الأديان .

على أننا ننكر على الأستاذ تيمور قوله : إن فلاسفة الفكر ينادون بالإلحاد ، فهى تهمة لصقت بالفلاسفة وهم منها براء . وقد قيل مثل ذلك عن ابن رشد فيلسوف قرطبة ، ووقع فى محنة شديدة كادت أن تودى به . على أنا نرى أن الفلاسفة كانوا دعائم العقائد يقوونها بسند الفكر والبرهان ، كما فعل ديكارت فى براهينه الرياضية فى إثبات وجود الله .

وقد نقلت العبارة السابقة من الكتاب لغرض آخر غير هذا النقد الذى وجهته ، ذلك أنى أحببت أن أعرض على القارئ لوناً من أسلوب الكاتب فى كتابته .

ولقد صحبت تيمور فى قصصه منذ زمن بعيد ، فقرأت له تلك « الأقصوصات » ، ويعنون بذلك القصة الصغيرة ، مثل « مكتوب على الجبين وقصص أخرى » و « أبو على وقصص أخرى » .

فكنت أعجب به قاصاً ، كما أعجبت به كاتب رحلة . والميزان ومبعث الإعجاب عندى هو تلك اللذة التى نشعر بها عند قراءة هذه القصص ، فلا نكاد نبدأ فى قراءتها حتى ننتهى إلى نهايتها ، دون شعور بملل أو سأم ، بل يدفعنا فيها دافع قوى من الشغف والتلهف على تتمة القصة .

وقد يختلف النقاد فى الحكم على أدب تيمور وقصصه ، ولا أعد هذا الخلاف مطعناً عليه ، فكل أديب مشهور لا بد أن يكون موضع الخلاف بين النقاد ، وكذلك كان شوقى فى شعره ، رفعه بعض الحكام إلى مرتبة الإمارة فى الشعر ، وقال البعض الآخر إنه ناظم لا روح فيه .

يقول النقاد الذين لا يعجبهم أدب تيمور إنه شعبى ينزل إلى مستوى الجمهور لا فى عباراته وأساليبه فحسب ، بل فى ألفاظه .

ونحن نرى أن هذه السهولة السهلة هى التى يتميز بها قلم تيمور ، والتى تجعل له طابعاً خاصاً يميزه عن غيره ،

ولم تمنع السهولة أن يكون صاحبها أديباً ، بل نحن فى حاجة إلى هذا اللون الذى يبعد بنا عن الأدب التقليدى ، وعن ترسل الجاحظ ، وسجع ابن العميد ؛ ذلك لأننا فى عصر يجمل جمال الموضوع فى صدقه وقوة تعبيره ، ولا حاجة بنا إلى التزويق والتأنق والتكلف مما يصرف الكاتب والقارئ معا عن لذة الفكر الخالص .

وهذا الأستاذ أحمد أمين لا يتكلف بل يكتب كأنه يتحدث فيعرض ألوان الفكر الإسلامى منذ فجر الإسلام وضحاه ، فأفاد واستفاد منه الناس فى غير عناء . وهذا المازنى لا يغرب ولا يتأنق بل تحس كأنه يخاطب العامة ، ومع ذلك فهو أديب لم يطعن فى أدبه طاعن ، ولم يقل قائل إن أسلوبه غير بليغ . أليست البلاغة كما قال ابن المقفع « هى التى إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها فإذا حاول عجز » ...

محمود تيمور إذن من هذا الطراز الذى يجرى قلمه بما يجيش فى صدره ، وما تختلج به نفسه ، وما تراه عينه ، فتقرأ له كأنك تستمع إليه .

وأكبر الظن أنه يصطنع بعض الألفاظ العامية المستملحة التى لا تجد لها نظيراً فى الفصحى ، لأنه يريد ذلك ، أو يريد أن يدخل هذه الألفاظ فى قاموس اللغة العربية حتى تندرج فيها . وهذا مذهب لا بأس به .

وهو كذلك يستعمل بعض الألفاظ الجديدة التى استحدثت ، ولعله بتسجيلها يدفع إليها مع الزمن الحياة . أنظر إليه وقد نزل فى باريس وذهب إلى مقهى « كافيه دلابيه » المشهور إذ يقول « لنتناول قدحاً من تلك القهوة الممزوجة باللبن ، مفخرة هذا المشرب البعيد الصيت ... ولنحظ بجلسة نستعيد فيها ذكريات الماضى الحبيب ، وننقل النظر فى الغادين والرائحين من أهل باريس ، نتملى بما يبدونه من أناقة ورشاقة وظرف ، وهم يتزاحمون على طوار الطريق ... »

وفى هذه العبارة التى ننقلها لفظتان جديدتان ، المشرب وهو يعنى المقهى ، والطوار أى التروتوار .

وعلى هذا النسق تجد عشرات وعشرات من الألفاظ يجريها فى أثناء التعبير ، فلا تحس فيها غضاضة أو تكلفا . وهذا فضل لا ينكر فى تذليل اللغة العربية لألفاظ الحضارة الحديثة .

وبعد ، فإنى أحب للقارئ أن يمتطى متن هذا الكتاب ، ليطير به فى جواء الفكر ، وينقله إلى الدنيا الجديدة ليسعد فيها بعض لحظات .

أحمد فؤاد الأهوانى

(الرسالة) : آفة النقد عندنا الترديد والتقليد . فالدكتور الأهوانى يردد نغمة قديمة لم يبق لها فى الآذان رجع . كان النقاد يأخذون على أسلوب الأستاذ تيمور فى نتاجه الأول أنه أقرب إلى العامية فى ألفاظه وتراكيبه ، فنقش هذا الرأى فى أذهان الناس ، وصرفهم الكسل العقلى عن استئناف النظر فيه بالموازنة والنقد ، فلم يلاحظوا تطور أسلوب الكاتب على إدمان الجهد وكر السنين ، من الابتذال إلى السمو ، ومن السهولة إلى الجزالة ، فيما كتب بعد ذلك من مقالات وقصص . ومن أثر هذا الجمود العقلى أن الناس قد اعتقدوا فى كل كاتب من كتابنا ، وزعيم من زعمائنا ، رأياً لا يتحولون عنه ولا يغيرون منه . فلو كان عندنا نقد يجارى التطور ، ولنا رأى يساير النهوض ، لحكمنا على الكاتب بآخر ما يقول ، وعلى الزعيم بآخر ما يعمل . ويظهر أن الأستاذ الناقد يخلط بين السهولة والابتذال ؛ فإن السهولة من الصفات الجوهرية للبلاغة ، ولا يعيبها على الكاتب إلا مجذوب من مجاذيب الصوفية ، أو مجنون من مجانين الرمزية



المنبـــوذة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

عند ما دخلت استراحة المسافرين بمحطة لوبان ؛ صوبت أولى نظراتى إلى الساعة ، فوجدت أنه لا يزال أمامى متسع من الوقت حتى يصل قطار باريس السريع . وشعرت فجأة بالإجهاد كأنى قطعت عشرة فراسخ سيراً على الأقدام . فنظرت حولى لعلى أرى على الجدران ما أقتل به الوقت فلم أجد شيئاً . فخرجت ووقفت أمام مدخل المحطة ، وأنا أقلب الفكر فيما يرفه عن نفسى إلى أن يصل القطار .

كان الطريق أمامى قد نمت على جانبيه أشجار الفتنة بين صفين من مختلف المنازل الصغيرة ، وقد ارتفع الطريق صعـداً ؛ فبدت نهايته كأنها حديقة بعيدة .

وكان مقفراً إلا من هرة تتسكع فى الطريق فى خفـة ، وكلب يسرع فى مشيته يشتم قوائم الأشجار باحثاً عن فضلات الطعام ...

واجتاحتنى موجة حزينة من الشعور بالخيبة . ما العمل ... ؟ ما العمل ؟ وجدت أنه لا مفر لى من الانتظار الممل بمقهى المحطة الصغير . وتصورت نفسى جالساً وأمامى قدح من الخمر لم تمسـه شفتاى ، وجريدة محلية عافت نفسى قراءتها ، عند ما بدت أمامى جنازة قادمة من شارع جانبى لتخترق ذلك الطريق أمامى .

شعرت عندئذ أن منظر مركبة الموتى قد فرج عن نفسى .

لقـد ربحت على الأقل عشر دقائق من فراغى الطويل . وتضاعف فجأة انتباهى عند ماشاهدت الميت لا يشيعه سوى ثمانية رجال كان أحدهم يبكى فى حرارة والآخرون يثرثرون ويتحدثون أثناء سيرهم . ولم يشترك فى الجنازة أى قس . ففكرت وأنا أخاطب نفسى « هاهوذا دفن مدنى » ولكن سنح لى خاطر : مابال المئات من ذوى الأفكار الحرة الذين يعيشون فى البلدة لا يشتركون فى إبداء شعورهم فى مثل هذه المناسبة ؟ إن سير هـذه القافلة السريع قد دل على أنهم سيدفنون الفقيد دون احتفال دينى .

ودفع بى فضولى إلى افتراض فرض ممقد بعيد . ولكن ؛ بينما كانت المركبة تمر أمامى ، إذ بفكرة تنبعث فى خاطرى هى أن أشيع المركبة مع هؤلاء المشيعين وبذلك أشغل من وقتى الضائع ساعة على الأقل ؛ فسرت وأنا أتظاهر بالحزن خلف الآخرين .

والتفت آخر اثنين منهم إلى فى دهشة ، ثم تحدثا فى صوت خافت . فاعتقدت أنهما يتساءلان عن سبب وجودى وأنا الغريب عن هذه البلدة . ثم استشارا الاثنين اللذين أمامهما ؛ فالتفتا ناحيتى يتطلعان إلى فى فضول . فضايقنى ذلك الأمر ، وعزمت على أن أضع حداً له ؛ فاقتربت منهم ، وقلت بعـد أن بادلتهم التحية : « أرجو المعذرة أيها السادة إذا كنت قد قطعت عليكم حديثاً ، ولكنى عند ما شاهدت الجنازة دفعت نفسى إلى الالحاق بها دون سابق معرفة بالفقيد الذى تشيعونه » .

فرد أحدهم قائلا « إنها فقيدة » .

فدهشت ، وسألت : « إذن هى جنازة مدنية ، أليس كذلك ؟ » .

فأجاب آخر يشرح لى قليلا : « نعم ، ولا . إن القس رفض أن ندخل بها الكنيسـة » .

فبدرت منى آهة من الدهشة لأنى لم أفهم ما يعنى .

فصرح قائلا فى صوت خافت : « إنها قصة محزنة . إن هذه الشابة قد انتحرت . وهذا هو السبب فى عجزنا عن إجراء الطقوس الدينية قبل دفنها . إن من تراه يبكى هنا هو زوجها » .

فقلت بعد تردد « إنك لتدهشنى وتثير فضولى . هل أنتهك سرا إذا ما رجوت أن تقص على هذه القصة ؟ إذا كنت تشعر بأن ذلك فضولا منى فاعتبر كلامى كأن لم يكن » .

فأخذ الرجل بذراعى دون كلفة وقال : « كلا .. ليس ما يمنع أن أسرد عليك وقائعها . فلنبطئ فى السير قليلا حتى نكون آخر

المشيعين ، ولدينا من الوقت ما يكفى للسرد قبل أن نصل إلى المقبرة عند الأشجار التى تشاهدها هناك »

ثم طفق يحدثنى قائلا « تصور أن هذه المرأة الشابة السيدة بول هامون كانت ابنة أحد التجار الأثرياء السيد فونتانل . وكان قد حدث لهـا حادث رهيب وهى فى سن الحادية عشرة . لقد اعتدى عليها خادم ، وكادت تموت خزيا وعارا من ذلك الحادث الأليم . وأظهرت المحاكمة الرهيبة أن تلك المسكينة كانت ضحية ذلك الوحش مدة ثلاثة أشهر . فحـكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .

ونمت الفتاة الصغيرة وقد تلطخت بالعار ، منبوذة ، وحيدة ، بلا رفيقات ولا عطف وأصبحت أمام الأهلين كأنها مسخ أو أعجوبة من الأعاجيب . كانوا يتحدثون عنها فى همس ، ويتكلمون عن « الصغيرة فونتانل » فى غمز ، ويديرون ظهورهم عند رؤيتهم لها فى الطريق . حتى المربيات ، كان أكثرهن يأبين الالتحاق بخدمتها . وكانت العـائلات تبتعد عنها كأنها وباء تخشى أن تنشره الفتاة فيسرى إلى من بالقرب منها .

أى شفقة تعتريك لو كنت قد شاهدت هذه الطفلة المسكينة وهى تراقب الأولاد يمرحون ويلعبون فى السـاحة بعد ظهر كل يوم . كانت تجلس وحيدة أو تقف بجانب خادمتها تشاهد حزينة ما يحدث دون أن تشترك مع الأولاد فى لهوهم . وعندما كانت تنتابها نزوة من الأغراء لا تقاوم ، كانت تتقدم فى خجل وخوف وتدخل فى زمرتهم فى خطوات مترددة ، وكأنها شاعرة بعارها . وسرعان ما ينهض الأمهـات والعمات والمربيات من مقاعدهن ويأخذن بأيدى الأولاد ويجذبنهم بشدة بعيدا عنها ، وتبقى الصغيرة فونتانل وحيدة ، والهـة القلب ، مذهولة ، ثم تنفجر باكية وقد امتلأ قلبها شجنا ، وأخيراً تسرع إلى خادمتها تخفى وجهها المخضل بالدمع فى مئزرها .

وكبرت الفتاة وازدادت حالتها سوءا . وكان الناس يحولون بينها وبين مثيلاتها من الفتيات كما لو كانت مصابة بالطاعون . ولم يكن لدى الفتاة شىء تتعلمه ، لا شىء البتة . لقد قطفت الثمرة المحرمة قبل أوانها وامتلأ جسمها بالأنوثة قبل أن يحين ذلك الوقت الذى تحاول فيه كل فتاة أن تقرأ المستقبل المجهول فى وجه الرجل ليلة الزفاف .

كانت كلما عبرت الطريق بصحبة مربيتها ، ينظر إليها الناس وهم فى خشية منها ، فتغض الطرف شـاعرة بالعار الذى يثقل كاهلها . وكانت الفتيات الساذجات الغريرات يتغامزن عند رؤيتها فى خفية ، ويحولن أنظارهن عنها كلما التقت أعينهن بعينيها .

وكانوا قليلا ما يحيونها ، ويتظاهرون بعدم رؤيتهم لها . حتى الصبية كانوا ينادونها « مدام باتست » اسم ذلك الخادم الذى اعتدى على عفافها .

كانوا لا يعرفون مقدار العذاب الذى تعانيه هذه الفتاة . فقد كانت قليلة الـكلام لا تبتسم مطلقاً . حتى أهلها ، كانوا يضيقون بها كأنهم يحقدون عليها من جراء تلك الهفوه الشنعاء . إن الرجل الفاضل لا يمد يده بمحض ارادته إلى المجرم الذى أفرج عنه ، ولو كان ابنه ، أليس كذلك ؟ وعامل السيد والسيدة فونتانل ابنتهما كأنها من طريدات السجون .

كانت جميلة ، شاحبة اللون ، ذات قامة هيفاء ، وصمت وقور . ولو لم يكن ذلك الحادث لـكنت من المعجبين بها .

ولما قدم الحاكم إلى البلدة بعد غياب ثمانية عشر شهراً استحضر معه سكرتيراً خاصاً ، وهو شاب غريب الأطوار كان يعيش فى الحى اللاتينى بباريس . فرأى الآنسة فونتانل وأحبها . وقصوا عليه قصتها فلم يأبه بها ؛ بل قال إن ذلك يضمن مستقبلها .

وغازلها ثم طلب يدها وتزوجها . وكان لا يخجل من التزاور معها ؛ فكان البعض يرد الزيارة ، والبعض يحجم عنها .

وسار الحادث مع الزمن فى طريق النسيان ، وأخذت السيدة مقامها فى المجتمع . وكانت تعبد زوجها كما لو كان إلهاً . ألم يرد إليها شرفها ؟ ألم يقاوم المجتمع ويكافح الناس من أجلها ، ويواجه الإهانات بسببها ؟ لقد كان يقوم بدوره فى شجاعة قل أن تجدها فى الرجال .

وحملت فتفتحت أمامها الأبواب كأنما تطهرت تماماً بالأمومة . إن ذلك لشىء مضحك . ولـكنها الحياة !

وسار كل شىء فى طريقه العادى ، حتى حانت حفلة البلدة

السنوية ، وأقبل الحاكم يحيط به سكرتيره وحواشيه وأصحاب الجاه لتوزيع الجوائز على المتسابقين ، وأنت تعرف بالطبع مايحدث من خلاف ومنافسة وغيرة بين الناس فى مثل هـذه الحفلات ، وما أكثر أن يفقد البعض رشدهم . كان كل سيدات البلدة قد حضرن لمشاهدة هذه الحفلة . وتقدم رئيس فرقة الموسيقى لبلدة دى مورميون ؛ فقلده بول هامون وساماً من الدرجة الثانية . فقذف رئيس الفرقة بالوسام فى وجه السكرتير صائحاً « احتفظ به لباتست — فأنت مدين له ولى بوسامين من الدرجة الأولى » .

كان هناك حشد كبير من الناس فسرعان ماضجوا بالضحك كان جمهوراً خشناً غير مهـذب ، واتجهت كل الأنظار صوب السيدة المسكينة . أواه يا سيدى ، ألم تشاهد قط امرأة جنت ؟ لقد كنت بين الحاضرين فى تلك الحفلة ، وشاهدتها وهى تحاول النهوض فتسقط على مقعدها ثلاث مرات متتالية ، كأنها تريد الهرب فيقيدها عجزها عن اختراق هذه الجموع المتكاثرة المحيطة بها . وسمعت صوتاً من جهة ما يصيح : « أهلا .. أهلا .. بمدام باتست » فضج بعض النـاس بالضحك واشمأز البعض الآخر .

وهبت عاصفة من الضوضاء والهرج ، واهتزت الرؤوس وترددت الأصوات ، وتطلعت الأنظار تشاهد وجـه تلك التعسة ، وحمل الرجال زوجاتهم على أذرعتهم ليشـاهدنها ، وتساءل النـاس أينهن ؟ أهي تلك التى ترتدى ثوباً أزرق اللون ؟ وكان الأولاد يصيحون صياح الديكة ، وانفجر القوم يضحكون ضحكات عالية ، ولـكنها لم تتحرك من مكانها ، كانت جالسة فى ذهول على المقعد الوثير كأنها ساعة خصصت لهذه الحفلة تتطلع إليها الأنظار ، ولم تستطع حراكا ، ولم تتمكن من إخفاء وجهها . كانت جفونها تنطبق ثم تنفتح كأن هناك ضوءا باهراً يحرق عينيها . ولهثت كأنها جواد يصعد مرتفعا من الأرض . كان كل هذا يمزق قلبي تمزيقاً .

وأخذ السـيد هامون برقبة رئيس فرقة الموسـيقى ذلك الشخص الوقح وألقاه على الأرض وسط الضوضـاء الهائلة . وتوقف الاحتفال ، وبعد ساعة كان السيد هامون فى طريقه إلى الدار برفقة زوجه . كانت مرتجفة الجسد صامتة لم تفه بكلمة واحدة . وفجأة تسلقت حاجز الجسر دون أن يتمكن زوجها من منعها ، ثم ألقت بنفسها فى النهر .

واستغرق إخراجها ساعتين من ذلك الماء العميق . كانت بالطبع قد فارقت الحياة » .

* * *

صمت المتحدث لحظـة ثم عاد بعدها يقول « ربما كان من الأفضل لها أن تصل إلى هذه النهاية المؤلمة . فإن هناك أشـياء تحدث فلا يمكن محوها . وهأنذا عرفت الآن لماذا رفض القس أن يفتتح أبواب الـكنيسة لها . فإنه لو كان الدفن دينياً لشيع الجنازة كل أهل المدينة . ولـكن ذلك الانتحار وتلك القصة الأليمة حملت العائلات على الاحجام عن تشييع الجنازة . ولذلك كان من الصعب أن يشيعها القس .

***

وعبرنا باب المقبرة ؛ وانتظرت فى تأثر بالغ نزول الناووس فى القبر لأقترب من ذلك الشـاب المسكين الذى كان يبكى وينتحب . وشـددت على يده معزيا ، فنظر إلىّ فى دهشة من خلال دموعه ثم تمتم قائلاً : « شكراً يا سيدى ، شكراً » .

ولم آسف أبداً على اشتراكى فى تشييع هذه الجنازة .

الاسكندرية **محمد فتحى عبد الوهاب**

مطبعة الرسالة

العدد ٧٧٧ — الاثنين ٢٤ مايو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٧٧ ــ الاثنين ٢٤ مايو ١٩٤٨ ــ السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٠٤٢

مجلة الموسوعة الأدبية للعلوم والفنون

16 em Année No. 777 — Lundi — 24 — 5 — 1948

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٧ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٧ — ٢٤ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مقاييس الأعمال

للأستاذ عباس محمود العقاد

أعمال الناس لا تقاس بمقياس واحد .

لأنها قد تقاس بحسب النيات ، وقد تقاس بحسب الغايات ، وقد تقاس بحسب الأشخاص الذين يتولونها ، وقد تقاس بحسب المناسبات التي تقع فيها .

فتختلف المقاييس على حسب اختلاف هذه الأحوال .

مثال ذلك أنك تنهى الطفل الصغير عن طعام يثقل عليه وتستبيح أنت تناوله ، وتكون على صواب في الحالتين .

وأنك قد تنهاه في حالة المرض عن طعام تبيحه إياه في حالة الصحة ، ولا تخطىء في هذا الاختلاف .

وأنك قد تمنع أخاك الصغير عن معاشرة أناس ، ولا ترى أنت حرجاً في معاشرتهم ، لأنك لا تخشى منهم على نفسك كما تخشى منهم عليه .

وقد يحدث العمل الواحد فيتلقاه رجل بالاستخفاف ويتلقاه غيره بالغضب ، ولا اختلاف في الأمر غير اختلاف المزاج .

وقد يغتفر إنسان ما ليس يغتفره غيره ، لتفاوت بينهما في وجهة النظر ، وإن كان كلاهما من أفاضل الناس .

هذه الملاحظة ، أو هذه الملاحظات ، تزيل كثيراً من اللبس فيما يعرض في سيرة عمر بن الخطاب من الاختلاف بين حكمه على بعض الأعمال وحكم النبي عليه السلام على تلك الأعمال ، وكل ما يستفاد من ذلك أن أفق الأخلاق الإنسانية واسع فسيح ، وأنها تتسع لكثير من العوارض والأطوار ، ولا يستفاد من ذلك حتماً أن هناك تناقضاً في الأعمال والأحكام .

وقد سألني الطالب النجيب « حسين حسين الجزار » ، بمدرسة فاروق عن بعض هذه الأعمال التي اختلفت فيها وجهات النظر بين النبي والفاروق ، فرأيت من المفيد في دراسة النفس الإنسانية ، وفي دراسة العظماء على الخصوص ، أن أبين الوجه الصحيح في النظر إلى هذه الفروق ، بحيث يبدو من هذا النظر أن عمل النبي جائز من النبي ، وأن عمل الفاروق جائز من الفاروق ، ولا تناقض هناك ، ولا غرابة في كلا الأمرين .

سألني الطالب الأديب عن قصة الجارية التي كانت تضرب بالدف بين يدي النبي ، فما هو إلا أن دخل عمر حتى وجمت الجارية وأسرعت إلى الدف تخفيه . فقال النبي إن الشيطان — أو إن شيطانها — ليخاف منك يا عمر !

وموضع العجب عند الطالب النجيب أن تعمل الجارية في حضرة النبي ما لا تعمله في حضرة الفاروق .

ولا عجب هناك ؛ فإن كل ما هنالك من الفرق بين الأمرين أن الجارية أنست إلى سماحة النبي ، ولم تأنس إلى شدة عمر . ولا غرابة في الشدة هنا أو السماحة هناك

والكلام في هذه القصة عن شيطان الأغاني والشعر

والأهازيج : أى عن شيطان الفنون على الإجمال ، وليس شيطان الفنون فى حكم الدين أو الأخلاق كشيطان المعاصى والشرور .

والمرجع – بعد – فى هذه القصة إلى الجارية ومن تأنس إليه . وقد تغنى جارية فى حضرة السلطان ، ولا تغنى فى حضرة رئيس الشرطة مثلا أو قائد الجيوش ، ولا يقال إن هذا أو ذاك أعظم عندها من السلطان . فإنما المسألة كلها فى هـذه المواقف مسألة الأنس والارتياح . وليس لنا أن نسأل مغنياً أو فناناً ، لماذا يرتاح إلى هذا المقام ، ولا يرتاح إلى ذلك المقام .

ولم يكن عمر رضى الله عنه يحرم ما أحله النبى عليه السلام فى هذا الصدد . فقد قرأ الطالب الأديب ولا شك أن عمر سمع ضجة فى مكان فقيل له إنه عرس . فقال : هلا حركوا غرابيلهم: أى طبولهم . فلا تحريم فى الأمر ولا تحليل ، وإنما هو كما قدمنا مسألة ارتياح « شخصى » لا يحاسب عليه صاحبه بحساب الإلزام .

وسأل الطالب الأديب كذلك عن قصة الأسود بن شريع ، الذى كان ينشد النبى بعض الأماديح ، فاستنصته النبى مرتين إذ دخل عليهما عمر والشاعر لا يعرفه . فصاح : وا ثكلاه ! من هذا الذى أسكت له عند النبى ؟ فقال النبى : هذا عمر . هذا رجل لا يحب الباطل .

ويسأل الطالب : كيف يقبل النبى ما لا يقبله الفاروق ؟

وينبغى أن نعرف أولا ما هو معنى الباطل المقصود فى هذه القصة . فإن الباطل قد يكون بمعنى المزاح : يقال بطل فى حديثه بطالة أى هزل ومزح . وقد يكون بمعنى الشيء الذى لا غناء فيه ، أو الشيء الضائع ، أو الشيء الذى تقل جدواه ، وقد يكون مقابلا للحق مقابلة الشيء وما لا يشبهه ، لا بمقابلة النقيض للنقيض .

وموضع السؤال الحق هنا : أى الرجلين كان أولى بحفاوة النبى عليه السلام ؟ الأسود بن شريع أو عمر بن الخطاب ؟

ولا خلاف فى الجواب .

أما أن النبى يتسع صدره لكلام لا يتسع له صدر عمر ، فليس من اللازم أن يمنع النبى كل ما يمنعه أصحابه ، ولو كانوا على صواب . ونحن نرى مصداق ذلك فى كل شريعة وكل نظام وفى كل زمان . فإن القضاء قد يدين مجرماً بحكم القانون ، ثم يعفو عنه الملك لسبب يراه ، ولا يقال إن فى الأمر مخالفة للعدل أو للشريعة ، وإنما هو اختلاف للتقدير الذى قضى بالعفو ، والتقدير الذى قضى بالعقاب .

واختلاف التقديرين بين النبى العظيم وصاحبه العظيم ، كما قلنا فى عبقرية عمر « هو الفارق بين إنسان عظيم ورجل عظيم . فالنبى لا يكون رجلا عظيما وكفى ، بل لابد أن يكون إنساناً عظيما ، فيه كل خصائص الإنسانية الشاملة التى تعم الرجولة والأنوثة والأقوياء والضعفاء ، وتهيؤه للفهم عن كل جانب من جوانب بنى آدم ، فيكون عارفاً بها وإن لم يكن متصفاً بها ، قادراً على علاجها ، وإن لم يكن ممرضاً لأدوائها ، شاملا لها بعطفه ، وإن كان ينكرها بفكره وروحه ، لأنه أكبر من أن يلقاها لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة » .

والمعنى البسيط الذى يفهم من هـذا الفارق ، ومن جميع الفوارق ، أن النبى ليس هو عمر ، وأن عمر ليس هو النبى ، وأنهما لا يلزم أن يكونا على نمط فى الفهم والشعور ، وإن كان لكل منهما نصيب من العظمة ومكارم الأخلاق .

***

وسؤال آخر فى علم النفس يسأل عنه الطالب الأديب فيقول : « إن العالم الإيطالى يقرر أن من صفات العبقرية الطول البائن ، أو القصر البين » ثم يسألنى : « لماذا لا يجد الأستاذ من هذا القول ! أليس الطول البائن زيادة عن الحد المطلوب ، أو عن تناسب القوام ؟ » .

ومن الواجب أن نذكر أننا لا نتكلم هنا فى فروض وتقديرات ، ولكننا نتكلم فى واقع لا شك فيه ، وهو أن عمر كان طويلا مفرطاً فى الطول ، وكان كما وصفوه يمشى كأنه راكب ، وكان مع هـذا عبقرياً بشهادة النبى وشهادة الصحابة وشهادة الأعمال .

فلا حيلة لنا فى هـذه الصفة ، ولا نخرج منها بالفروض والتقديرات .. كان طويلا وكان عبقرياً . فلماذا نقول إن لمبروزو قد أخطأ فى تصويره للازمات العبقرية ، وهو قد أصاب ؟

وبعد فالكلام عن العبقرية غير الكلام عن التناسب . لأن

للتحقيق والتاريخ :

واحة جغبوب

فى مذكرات دولة إسماعيل صدقى باشا

للأستاذ أحمد رمزى بك

١ — تلقى العالم العربى بترحاب مذكرات دولة صدقى باشا لأنها كشفت بعض ما خفى من أسرار السياسة ، وأصبحت تتم حلقات الوثائق التاريخية . وقد انتظر الكثيرون أن يكون لها نفس الروعة والأثر اللذين تتركهما فى نفس القارئ مذكرات تشرشل وغيره من جبابرة السياسة فى القرن العشرين .

٢ — والمطلع عليها فى مجلة المصور يشهد بأن دولته قد بذل جهداً فى تحريرها وجمع موادها بعد مضى فترة طويلة على الحوادث ، بدليل أنه لم ينقل إلينا شيئاً واقعياً حياً أو صورة حية لما سجله قلمه وقتئذ ، ولكنه تناول بأسهاب بعض المسائل العامة ، ومر مروراً على حوادث أخرى . وإنى ألتمس له العذر فى ذلك لأن صفحات المجلة لا تتسع لأكثر من ذلك .

٣ — ومن قبيل ما تناوله دولته باختصار مسألة واحة جغبوب وخليج السلوم : فقد رسمها بقلمه ليقنع القارىء بأن السياسة الحزبية صورت الاتفاق بصورة سوداء ، مع أنه وفق فى حل هذه المسألة توفيقاً انتهى به إلى نتائج معلومة سبق أن وضعتها السياسة المصرية أمام أعينها ، وأنه بهذا الاتفاق حقق لمصر أهدافاً معينة هى من عمله وحده .

٤ — والذى نعلمه هو أن الحدود العثمانية القديمة كانت تجعل السلوم داخل الأراضى الطرابلسية ، وأن احتلال السلوم حدث مرتين : الأولى فى سنة ١٩١١ بواسطة الجنود المصريين عقب إعلان الحرب بين تركيا وإيطاليا مباشرة ، والأخرى فى الحرب العالمية الثانية عقب انسحاب القوات السنوسية منها ، وبقيت بيد القوات المصرية منذ ذلك التاريخ إلى أن عقد الاتفاق المشار إليه بين مصر وإيطاليا .

٥ — جاء الاحتلال الأول بناء على أوامر كتشنر تنفيذاً للاتفاقات السرية التى عقدتها الحكومة البريطانية مع إيطاليا التى تنص على إدخال جزء من الأراضى العثمانية فى الأراضى المصرية مقابل الحصول على صمت الحكومة البريطانية ، وحياد مصر إزاء اعتداء إيطاليا على أملاك الدولة العثمانية فى طرابلس .

٦ — وهذه الاتفاقات من قبيل اتفاق سنة ١٩٠٦ الخاص

العبقرية تفوق خارق للعادة ، والتناسب محافظة على نسب الأشياء التى جرت بها العادة ، فلا يمكن أن يكون الشيء خارقاً للعادة ، ومتناسباً على حسب العرف المألوف فى سائر المناسبات .

إن خرق العادة يستلزم بنفسه مخالفة العادات ، ولهذا كان لزاماً أن نرى فى جملة العباقرة صفات يخالفون بها سواد الناس ، وقد تكون هذه المخالفة شذوذاً فى حالات ، ورجحاناً فى حالات أخرى . بل قد يكون الرجحان كما يقولون « على حساب » صفات أخرى ينقص فيها العبقرى عن سواد الناس ، لأنه زائد عليهم فى ملكات العبقرية والنبوغ .

فلم يخطىء لمبروزو حين سجل هذه الملاحظات ، وهو لم يسجلها ظناً منه وتخميناً لا يستند إلى دليل ، بل سجلها وهو يقرنها بالصفات المعروفة عن كثير من عباقرة العلم والفنون والسياسة والحروب ، فإذا بفريق منهم بالغ فى الطول ، وفريق بالغ فى القصر ، وإذا بأناس منهم تبرز فضائلهم كما تبرز نقائصهم على طرفين متقابلين . وقد رأينا فى التاريخ الحديث دهاة سياسيين تجاوزوا الطول المألوف من أمثال ريشليو وبسمارك وبيكنسفيلد وتاليران ، ورأينا فيه عباقرة دهاة أقصر من القوام المعتدل بين الناس ، كنابليون وعبد الحميد وموسولينى ، فلم يكن فى هذه المشاهدات تفنيد لرأى العالم الإيطالى ، بل كان فيه تعزيز وتأييد

ومن مزايا الدراسات النفسية ولا ريب أنها تُرينا الصفة وما يقابلها فى معارج العظمة والعبقرية . فلا نقول إننا نتناقض ونتعارض ، بل نقول إن العظمة الإنسانية أفق رحيب يتسع لشتى الأطوار وشتى الصفات .

عباس محمود العقاد

بتعيين حدود مصر الشرقية فى سينا : غير أن الأولى سرية مكتومة والثانى اتفاق عام بين مصر المحتلة والدولة التى كانت يوماً ما صاحبة السيادة صورق عليه ونشر على العالم .

ولكل منهما هدف واحد : هو ضمان الدفاع عن الأراضى المصرية فى حالة حرب سواء كان الهجوم من جهة الشرق أو الغرب .

٧ — ويعجب القارىء أن هذا الهدف كان من ضمن ما أوصت به قرارات لجنة الدفاع الدائمة للامبراطورية فى وزارة الحربية البريطانية منذ عام ١٩٠٦ ، وبعد حرب البوير ١٩٠١ وانتهائها مباشرة .

٨ — فى سنة ١٩١٥ انتهت حملة الدردنيل بالفشل ، واضطرت الحكومة البريطانية إلى إيجاد لجنة تحقيق لمعرفة نتائج أسباب هذا الفشل : واستعرضت اللجنة قرارات وخطط الدفاع البريطانية ، فظهر أن تفاصيل حملة مهاجمة المضايق وضعتها وزارة الحربية البريطانية مع اشتراك الأميرالية فى عام ١٩٠٦ ، وأن مشاكل الدفاع عن الأراضى المصرية درست من ذلك العهد ، وأن توصيات لجنة الدفاع نفذت باتفاق ١٩٠٦ لأبعاد الحدود العثمانية عن منطقة القنال ، وكان من ضمن أبحاثها دراسة الحدود الغربية والحصول على خليج السلوم بناء على إلحاح الأميرالية .

٩ — والدليل على ذلك اتفاق ملنر — شالويا بين بريطانيا وإيطاليا عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة ، وهو يؤكد ما ورد بالاتفاقات السرية الخاصة بتوزيع أسلاب الدولة العثمانية بعد الحرب ، وفيه تعترف بريطانيا بسيادة إيطاليا على جغبوب ، وتعترف إيطاليا بضم السلوم وما يتبعها إلى مصر .

١٠ — إذن فالمفاوضات التى أشار إليها دولته ، وهدد بقطعها وسافر من أجلها ، كانت تتناول مسائل شكلية للحدود الجديدة بوضع علامات عليها وتعديلها لإدخال بعض الآثار ، ولا تتناول لب الموضوع بل تقرحالة سابقة مهدت لها الدبلوماسية الأوروبية كل المراحل بين دولتين عظيمتين تحددان مناطق نفوذهما وقواعد الحوار بينهما ، ولم ينقصها سوى إقرار الحكومة المصرية لتسجيل حالة قائمة من المبدأ .

١١ — والمستندات والوثائق وأقوال الرجال الذين اشتركوا فى هذه المفاوضات كلها تدل على أن الجانب المصرى ، أخذ الناحية المظهرية لأسباب عدة يرجع معظمها إلى المتاعب الداخلية التى تلقاها الحكومة من المعارضة . وقد سمعنا هذا من رجال إيطاليين تولوا مناصب هامة ، واشتركوا فى هذه المفاوضات من المبدأ ؛ فقد صرحوا بأن اللجنة المصرية الإيطالية نفذت بالضبط ما كان قد اتفق عليه بين إيطاليا وبريطانيا ، وكان موقف الجانب المصرى ، مظهرياً أكثر منه جدياً : ومنهم السنيور كوخ ، وزير إيطاليا المفوض والذى كان يشغل وظيفة مستشار بسفارة أنقرة ، وكان من ضمن من اشتركوا فى هذه المباحثات .

١٢ — وعلى كل حال فان موقف دولته إزاء إيطاليا كان مشرباً بروح المودة بدليل زيارته لموسولينى ، وهى زيارة لم تكن قاصرة على مسألة السلوم وجغبوب ، وإنما كانت لتقدم الشكر على تمهل الدكتاتور سنوات فى عدم احتلال واحة جغبوب ، حتى يتم الاتفاق مع الحكومة المصرية عليه : وقد جاء هذا بالنص فى كتاب « تقويم القوات الإيطالية المسلحة » طبعة ١٩٢٧ (صفحة ١٠١١) : إن الحكومة الإيطالية لم تشأ أن تحتل الواحة عسكرياً قبل أن تحصل على اعتراف الحكومة المصرية لها بهذا الحق » . هذا طبعاً حفظاً لتقاليد الوداد التى لا تريد أن تمسها : ولا نستبعد أن يكون الثمن الذى طلبه الدكتاتور بصبره الطويل ، هو إتمام هذه الزيارة ، وكان يهمه موافقة بريطانيا عليها .

١٣ — ذلك لأنه كان فى وسعها احتلال جغبوب بعد اتفاق « ملنر شالويا » مباشرة ، ولكنه انتظر حتى تم امضاء الاتفاق المصرى ، فاحتلت جغبوب يوم ٧ فبراير سنة ١٩٢٦ بقوتين مسلحتين قامتا فى وقت واحد ، إحداهما من طبرق ، والأخرى من البردية ، وتلاقتا فى الواحة ، لإسدال الستار على مأساة بدأت فى عام ١٩٠٢ حينما دخلت إيطاليا فى مفاوضات مع دول الاتفاق الثنائى فرنسا وروسيا . والذى أصبح ثلاثيا بانضمام بريطانيا إليه نهائياً ، ولا تخلو فترة ولا مرحلة فيه من دون تفاهم واتفاق على احتلال أماكن استراتيجية ، أو الاعتداء على حق من حقوق الأمم المظلومة : ثمناً لخروج إيطاليا من تحالف ، ودخولها فى تحالف مضاد للدول

أحمد رمزى

الإنســـانية الصادقة
روح القصة الفنية
للأستاذ محمود تيمور بك

الإنسانية فى القصة لا تكبر أو تصغر بما تحفل به من نوع الشخصيات وطراز الحوادث ، وإنما تقوى الإنسانية فى القصة بمقدار نصيبها من الصدق فى تقمص المشاهد والمرئيات ، سواء أكانت حيواناً أم جماداً أم من النبات ، وسواء أكانت من سنة الطبيعة أم من الخوارق والمعجزات والأساطير .

فما دام الكاتب يتقمص الموضوع ، ويسبغ عليه ذاتيته ، فإن الشخصية القصصية تبدو على وضعها الحق ، وتنطق بما هو مقدر عليها أن تقوله ، وتجرى الحوادث فى مجراها الذى لا حِوَلَ عنه ، وتتوائق المشاهد فى ألفة وانسجام ، فتخرج القصة وحدة متناسقة لا يحس القارئ فيها من نفرة ولا شذوذ ، على الرغم مما قد تحتويه من تهاويل وتعاجيب .

لا يوهن من إنسانية القصة إلا ضعف التقمص ، وانغلاق الإحساس الذى ينحدر بالكاتب إلى مزالق الكذب والزور ، ستراً للضعف ، وتعويضاً من ذلك الانغلاق .

فأما الخوارق أو الأساطير أو ضروب الجماد والنبات وما إليها ، فتلك لا تحول بين القصة واتصالها بالإنسانية ، إذا عرف الكاتب القصصى كيف تمتزج روحه بالطبيعة والوجود ويحيا الكون فيه كما يحيا هو فى الكون ، فيستطيع أن يحيى تلك الموضوعات فى نفسه ، ويهبها من ذاته ، ويكون كأنما قد عاش عيشتها ، وكتبت عليه حياتها ...

ليس روح الفن الإنسانى إلا أن يمتزج الفنان بما يحيط به من موجودات ، يبادلها الحياة والشعور وكأن بينه وبينهـا « وحدة وجود » ...

وعلى أساس هذه الحقيقة بقيت القصة الإغريقية خالدة الأثر وأقيمت بها دعامة القصة العالمية ، مع أن قصص الإغريق مناطها الأساطير والخوارق ، ولكنها أساطير تهتز فيها خفقات الحياة ، وخوارق تتمثل فيها نزعات النفس . ولذلك ظلت تستجيب لها الأزمنة والعصور على تعاقبها ، لما يسرى فيها من روح إنسانية صادقة .

ويارب تمثال لفنان صادق التعبيـر قوى الأداء ، تقف أمام حجره فلا تكاد تتوهم سماته الناطقة ، حتى تحس أواصر الإنسانية تؤلف بينك وبينه . ويا رب شخصية قصصية رسمتها أنامل كاتب فنان ، لا يكاد يطالعها القارئ حتى يحس لها وجوداً فى المجتمع وأصالة فى الحياة ، فيعيش معها كأنها حى متميز من بين الأحياء الذين تربطه بهم مختلف الصلات .

فلا غرو أن نرى أبطالا من خلق الفنانين تتوهج ذكراهم ، وتتمثل حياتهم ، فيزاحمون بشخصياتهم الممتازة أولئك الأبطال الآدميين الذين يعمر بهم تاريخ العصور .

وعنصر الصدق فى التعبير الإنسانى ، قد يبلغ من قوته فى الأعمال الفنية أن يكتب الخلود لمحاولات بدائية يعوزها الكثير من عناصر الفن الأخرى .

فما لا ريب فيه أننا نهتز لمشاهدة قطعة من الفن البدائى ، تمثالاً كانت أو صورة أو قصة ، إذا توسمنا فيها لوامع إنسانية تثير فينا شعور الصلة بيننا وبينها . ولعل هذا سر بقاء القصص الشعبى على تعاقب الحقب مثاراً لشعورنا ، ومهزة لإعجابنا ، مع افتقار هذا اللون من القصص إلى كثير من عناصر القصص الفنى القمينة بأن تخلده على وجه الزمان .

ولا يتوافر الصدق فى التعبير الفنى إلا لمن أوتى قدرة على التقمص الحق ، أو الاستيحاء والاستلهام لما يريد التعبير عنه من موجودات الكون وموضوعات المجتمع وشئون الحياة .

وكلما قوى تقمص الفنان صدقت إنسانيته فجاد عمله ، وإنما تنقص درجة الجودة ، ويضعف التعبيـر ، على قدر الوهن الذى يعترى الفنان فى تقمصه .

ففى ميدان الرقص مثلا هيهات أن تحس الراقصة تأدية موضوعها إلا إذا عاشت فيه وتمثلته كل التمثل ، فتؤدى بحركاتها وإيماءاتها واختلاجاتها حياة الموضوع الذى اتخذته مادة للتعبير . وهل فى طوق راقصة أن تؤدى الرقصة المعروفة ب« موت البجعة » حق أدائها إن لم تتقمص روح هذا الضرب من الطير وتمزج نفسيتها بنفسيته ، فكأنما هى الطائر ، تعـبر عنه بمقدار

عبد الله بن ســــبأ

للدكتور جواد على

— ٤ —

رأيت أن مجىء عبد الله بن سبأ إلى البصرة ونزوله على بنى عبد القيس إنما كان على زعم « يزيد الفقعسى » فى السنة الثالثة من حكم عبد الله بن عامر الذى ولى إمارة البصرة فى عام ٢٩ للهجرة . أى فى سنة ٣٢ — ٣٣ للهجرة . وإنه نزل على حكيم ابن جبلة ، وزعم صاحب هذا الحديث الذى دونه الطبرى أنه ، أى حكيم بن جبلة كان من أشرار الناس ومن مشاهير قطاع الطرق وأنه كان يذهب إلى أرض فارس « فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب من يشاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان بن عفان فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه ؛ ومن كان مثله ، فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً . فحبسه ، فكان لا يستطيع أن يخرج منها »[1] وقد كان « حكيم بن جبلة » من الناقين والشاغبين على الحكومة ، وكان على رأس الجماعة التى ذهبت إلى المدينة واشتركت فى الفتنة المؤسفة التى أدت إلى استشهاد الخليفة ، وكان قد أظهر أنه يريد الحج ، وكان فى الواقع على اتفاق مع سائر الشاغبين وعلى اتصال محكم بمشاغبى الكوفة وأهل مصر[2] .

ولست أزعم لك أن نزول عبد الله بن سبأ فى دار هذا اللص المشاغب كان حقاً ، ولست أزعم لك أيضاً أن ذلك كان باطلاً ؛ ولكنى لا أبيح لك سراً أن قلت لك بأنى غير مطمئن إلى هذا الحديث الذى يرويه « يزيد الفقعسى » ولا إلى أكثر أحاديث هذا الراوية . لقد كان هوى « ابن جبلة » وجماعته من أهل البصرة مع « طلحة » فلم اختار ابن سبأ النزول على هذا الرجل من بين سائر رجال البصرة . وقد كان هواه مع على . وقد كان فى البصرة أناس يميلون إلى على أيضاً ، والذى أنزل هذا الرجل على « حكيم بن جبلة » فى نظرى هو « يزيد » نفسه صاحب هذا الحديث لغرض سينجلى لك فيما بعد .

لم يتحدث الطبرى عن نشاط عبد الله بن سبأ فى البصرة ولا عن الفتنة التى أثارها فى جنوب العراق . وكل ما قاله أن الوالى بعد ما سمع بخبر هذا الذى « الذى رغب فى الإسلام ورغب فى جوار ابن عامر » قال له « أخرج عنى ، فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر[3] .

ولم يتحدث الطبرى ولا غيره عن نشاط هذا الذى فى الكوفة . والظاهر من كلامه أن إقامته بها كانت قصيرة ، وأنه لم يحصل على النتائج التى كان يريدها من هذا البلد ، فسافر إلى الشام . ولا ندرى بالطبع متى وصل الشام ، والذى نستطيع أن نقوله أنه بلغ مقر « معاوية بن أبى سفيان » بعد خروجه من الكوفة ، وأن ذلك كان بعد سنة ٣٢ — ٣٣ للهجرة .

ويدعى الطبرى استناداً على أقوال « يزيد الفقعسى » أيضاً أنه

---

(١) الطبرى حـ ٥ ص ٩٠

(٢) شرح نهج البلاغة لعز الدين أبى حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد حـ ١ ص ١٦٢ طبعة دار الكتب العربية الكبرى .

(٣) الطبرى حـ ٥ ص ٩٠

بمقدار فهمها لكنهه واستصفائها لسريرته ؟

على أن القدرة على التقمص لا تكفى فى اكتسابها الرغبة والإرادة والمحاولة ، وإنما هى فى أغلب ما تكون استجابات نفسية تستبد بما بين أحناء الضلوع .

وهذه القدرة على التقمص لا تسلس بالمظاهر ، ولا تتأتى بضروب التكلف والصنعة ، فلا بد أن تستند إلى مؤثرات طبيعية وتأثرات باطنة .

وحسبنا مثلا لذلك شخصية « المتعبد » ، فقد تعاقب على محاولة تقمصها ألوف من سدنة المعابد وعمار الصوامع متخذين لها أقصى ما فى الوسع من ظواهر ورسوم ، يسبغون المسوح ويرددون الأناشيد ويرتلون الصلوات ، ولكن القليلين من هؤلاء جميعا هم الذين استطاعوا أن يتقمصوا شخصية « المتعبد » على حقيقتها ، فوسموا تعبيرهم عن هذه الشخصية بميسم الخلود . وهذه أناشيد « أخناتون » التى يناجى بها ربه ماتزال تتقد فيها حرارة الإيمان ، لأنها وحى قوى لمتعبد صادق الإحساس ، صادق الأداء .

محمود تيمور

« لما ورد ابن السوداء الشام لقى أبا ذر فقال يا أبا ذر ، ألا تعجب إلى معاوية يقول : المال مال الله ؛ ألا إن كل شيء لله ؟ كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين » فتأثر أبو ذر من مقالته وذهب إلى معاوية فقال : « ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله يا أبا ذر، ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ؟ قال فلا تقله . قال فإنى لا أقول إنه ليس لله ، ولكن سأقول مال المسلمين »[١] .

وخرج أبو ذر مغضباً من معاوية غير مقتنع بقوله ، وصار ينادى فى أهل الشـام ويقول : « يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء . بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذاك وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس ، فكتب معاوية إلى عثمان أن أبا ذر قد أعضل بى ، وقد كان من أمره كيت وكيت . فكتب إليه عثمان أن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها ، فلم يبق إلا أن تثب فلا تنكا القرح . وجهز أبا ذر إلىّ وابعث معه دليلاً وزوده وارفق به وكفكف الناس ونفسك ما استطعت ، فإنما تمسك ما استمسكت . فبعث بأبى ذر ومعه دليل »[٢]

وذهب « ابن سبأ » وهو بالشام إلى رجل آخر توسم فيه الانقياد والإذعان لمقالته بسهولة ، وهذا الرجل هو « أبو الدرداء » وتحدث إليه بالحديث الذى ذكره لأبى ذر محاولاً إغراءه غير أن « أبا الدرداء » كان حذراً ذكيًا فقال له « من أنت ؟ أظنك والله يهوديا » فأتى عبادة بن الصامت وأظهر له نفس المقالة « فتعلق به فأتى به معاوية فقال : هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر »[٣]

فيظهر من حديث « يزيد الفقعسى » الذى حكاه الطبرى عن طريق « سيف » أن نداء « أبى ذر » هذا وتحريكه الفقراء على الأغنياء إنما كان بتحريض « ابن سبأ » والحديث كله كما قلت فى حاجة إلى تمحيص . فقد غادر « أبو ذر » الشام فى عام ٣٠ للهجرة ، وترك « المدينة » فى نفس هذه السنة إلى الربذة حيث

(١) الطبرى حـ ٥ ص ٦٦ ، ابن الأثير حـ ٣ ص ٤٧
(٢) الطبرى حـ ٥ ص ٦٦ راجع عن علاقة عثمان بأبى ذر شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد حـ ١ ص ٢٤٠ فما بعد
(٣) الطبرى حـ ٥ ص ٦٦

أقام بها إلى أن اختاره الله إلى جواره فى سنة اثنتين وثلاثين للهجرة أى قبل مجىء « ابن سبأ » إلى البصرة[١] . ومعنى هـذا أن مجىء « عبد الله بن سبأ » إلى الشام كان بعد وفاة « أبى ذر » وبعد خروجه من الشام بما يزيد على سنتين .

ثم إن صاحبنا « أبوذر » لم يكن من أولئك الرجال البسطاء السذج الذين كانوا يستجيبون لدعوة رجل لا يعرف من أمره شيئاً ، وقد رأيت أنه سبَّ « كعب الأحبار » وقد كان أعلى من هذا النكرة « ابن سبأ » درجة وعلماً ومقاماً ، وأقدم من أخيه فى الدين إسلاماً ، حينما تعرض لبحث فى حضرة الخليفة الشهيد ورجل يقول لكعب الأحبار « يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا والله لتسمعن منى أو لأدخل عليك »[٢] . أو « يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا »[٣] . ثم لا يكتفى بذلك وهو فى حضرة خليفة بل يرفع محجنه فيشج ناصية كعب حتى يضطر الخليفة إلى استرضاء كعب والاعتذار منه . إن رجلاً مثل هذا لا يمكن أن يسلم نفسه إلى مسلم حديث العهد بالإسلام لم يعرف من أمره غير المشاغبة والتجول بين الأقطار . ثم يقنع بدعوته بمثل تلك السهولة التى لا تتناسب مع ما عرف عنه من صلابة أبى ذر وشدة تمسكه برأيه .

وقد روى كثير من المؤرخين قصة « أبى ذر » بشكل آخر قالوا إنه كان يتلو قوله تعالى : (والذينَ يكنزُونَ الذَّهبَ والفضَّةَ ولا يُنفقونها فِى سبيل اللهِ فبشرْهُمْ بِعذَابٍ أليم) وتعليقاته المعروفة الواردة فى حديث « يزيد الفقعسى » أيام كان فى المدينة ، وقبل ذهابه إلى الشام كان يقول ذلك لما شاهد من الثراء الذى انهال على بنى أمية وآل مروان ، فضاق أغنياء المدينة به ذرعاً فنفى إلى الشام لعلهم بأن « معاوية » رجل ذكىّ حليم يكفيهم هذا الرجل ويلهيه . فلما يئس منه ووجد أنه أصبح خطراً على أهل الشام أعاده إلى المدينة ، ثم استقر بالربذة إلى أن وافاه الأجل فى سنة اثنتين وثلاثين للهجرة[٤] . والمعروف عنه أنه كان زاهداً وكان ينفق ما يصيبه من مال ويدعو إلى ذلك منذ أيام

(١) الطبرى حـ ٥ ص ٨٠
(١) الطبرى حـ ٥ ص ٦٧
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد حـ ٢ ص ٢٤٠
(٤) الطبرى حـ ٥ ص ٦٧ . وابن الأثير وكتب التأريخ الأخرى

الرسول . فقصة « عبد الله بن سبأ » مع « أبي ذر » قصة موضوعة أعتقد أن واضعها هو « يزيد » أو « سيف » ولم يؤيدها رواة آخرون مثل « زيد بن وهب » وغيرهم ممن ذكروا سبب نفى أبي ذر (١) .

ولم يتحدث « يزيد الفقعسى » صاحب أحاديث عبد الله ابن سبأ عن نشاط هذا الذى فى الشام وعن مدة إقامته فى هذا البلد . والذى يفهم من أقواله أنه لم يتمكن من عمل أى شىء فى « دمشق » وأن « معاوية » لم يقبض عليه ، وأنه غادر أرض « بنى أمية » إلى أرض أخرى هى « مصر » ليزرع فى ذلك البلد بذور الفتنة التى زرعها فى العراق

وفى « مصر » على ما يظهر من روايات الطبرى لقى « ابن سبأ » نجاحاً كبيراً ، وترأس فى هذا القطار الفتنة التى أدّت إلى استشهاد الخليفة . ويظهر من أقوال « يزيد الفقعسى » أنه جاء وهو فى مصر بمقالة جديدة تضمنت عدة آراء فيها « الرجعة » و « الوصية » و « الإمامة » ثم اختتم كل هذه المسائل الهامة « بالطعن على الأمراء » وبالمكاتبة مع الأمصار الأخرى فى عيوب الولاة . وقد تمكن بأساليبه المعروفة من إهاجة الرأى العام ومن تسهيم الأقطار فكان أن غادر وفد مصر يريد الحجاز ، وكان أن غادر وفد البصرة متظاهراً أنه يريد الحج ، وكان أن تألبت كل هذه الوفود على الخليفة ولم ترحل عن مدينة الرسول حتى قتل . وكان من أهم أبطال الفتنة بمصر « عبدالله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر » .

وأما الذى يظهر من أقوال الرواة الآخرين فهو أن هذه المقالات المنسوبة إلى « ابن سبأ » إنما كان قد وضعها فى العراق وأنه وضعها فى مكان مناسب جداً لمثل هذه الآراء وهو « الكوفة » التى عرفت بميلها إلى على وأولاده ، وبانقلابها على علىّ وأولاده فى الوقت نفسه .

والواقع أن محيط الكوفة هو صورة صادقة للمحيط الوسط الذى كان بين الحضارة وبين البداوة . وبين الإطاعة للأمراء وبين الميل إلى الفوضى ومعصية الأمراء والطعن على أصحاب الحل والعقد . ولا غرابة فى ذلك فقد كانت هذه البلدة على سيف الصحراء ، وقد كانت ممصرة عصرت فيها أجناس وأنواع من البشر ، فلا عجب إن رأينا فيها ذلك الخليط العجيب وذلك الانقلاب السريع .

ولم يذكر أحد من الرواة غير « يزيد الفقعسى » هذه المقالة على أنها كانت من صنع « ابن سبأ » فى مصر . وحديث « عبد الله بن سبأ » فى مصر هو من روايات هذا الراوية ليس غير . أما أصحاب الأخبار الذين تحدثوا عن « عبد الله بن سبأ » مثل « الشعبى » وأمثاله فقد وضعوه فى العراق وجعلوا مكانه الكوفة ومنفاه « ساباط المدائن » ولم يبعدوه إلى أكثر من ذلك كالذى فعله « يزيد » .

(للكلام صلة) **جواد على**

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد جـ ٢ ص ٢٤٠

من مغمورى العلماء

للأستاذ محمد كرد على بك

على ابن ربن

فى المؤلفين من لم نعرفهم إلا بصفحات قليلة مما أبقت عليه الأيام من ألوف صفحات كتبوها ، ومنهم على بن ربّن الطبيب الفيلسوف المتفرد بالطبيعيات . نشأ هذا العظيم فى طبرستان ؛ يتصرف فى خدمة ولاتها ، وكتب للمازيار بن قارن ، ووقعت فتنة فى بلاده فخرج إلى الرى ، وهناك قرأ عليه محمد بن زكريا الرازى الحكيم المشهور ، واستفاد منه علماً كثيراً . ثم رحل ابن ربّن إلى العراق فبان فضله ، وأسلم على يد المعتصم ؛ فقربه ، وظهر بالحضرة فضله ، وصار من أطباء البيت العباسى ، وأدخله المتوكل على الله فى جملة ندمائه . وقالوا إنه كان بموضع من الأدب .

ألف ابن ربّن كثيراً فى الطب والصحة ، وأهم كتبه على ما يظهر كتاب فردوس الحكمة ، وهو معلمة (انسيكلوبيذيا) طبية عامة أنجزه فى بغداد . وهناك أخذ عنه حنين بن إسحق . وله كتاب فى الآداب والأمثال على مذاهب الفرس والروم والعرب . وعرفنا ابن ربن من كتاب له صغير أسماه : « الدين والدولة » أثبت فيه نبوة الرسول (ص) إثبات عالم عارف بالأديان الأخرى ، ولا سيما اليهودية والنصرانية . وكتابه هذا يدل على اضطلاعه بالحكمة ، وأنه ما انتحل الإسلام إلا عن بصيرة . وقد جوّد الكلام عن الصحابة ، وجميل سيرتهم ، وعفتهم عن المال والرفاهية ؛ كما جوده فى فصل أمية الرسول (ص) .

ومن أجمل ما فى كتاب الدين والدولة نقول عن الكتاب المقدس والنبوات ، عليها مسحة من البلاغة أكثر من الترجمات المتداولة ، ولعلها منقولة عن الترجمات الضائعة من التوراة والإنجيل ؛ إذ أنه ترجمها هو بنفسه لما كتب كتابه . ويطالعك هذا الكتاب : بأن مؤلفه الحكيم الطبيب العظيم هو من أعظم علماء الأديان ، وأنه دان بالإسلام وهو رجل ، وعرف سورة الاحتجاج على أرباب الأديان الأخرى وإفحامهم ببراهينه . وقيل إن أمير المؤمنين المتوكل ساعده على هذا التأليف . ولو لم تبق الأيام عليه لنسى حتى اسم على بن ربّن ؛ اللهم عند أفراد قلائل يعانون درس الحكمة القديمة والطب القديم .

مثال من كلام ابن ربن : قال فى الدلائل على تصحيح الأخبار : رأينا أمماً كثيرة العدد ، عظيمة القدر ، موصوفة بالأفهام والأصلاح ، يشهدون لعدة من الخبثة الكذابين بجميع ما ادعوه ؛ مثل الزنادقة والمجوس ؛ إما تقليداً أو إلفاً ، وإما غباوة ومحكا ، وإما إجباراً أو كرهاً ، كما فعل زرادشت متنبيء المجوس فانه لم يزل يتأتى لبشتاسف الملك حتى وصل إليه ، وزرع من وساوسه فى صدره ؛ ثم لم يزل يختله بذكر الله ، والدعاء إليه ، ويفتل فى الذروة والغارب حتى ختله عن دينه ، ولواه إلى رأيه . ثم أظهر له ما كان يضمره من الشرك ، وزين له نكاح الأمهات والبنات ، وأكل القذر المذر من النجاسات ؛ فكان الملك بعد ذلك هو الذى أكره أهل مملكته على دينه . وفعل مانى شبيهاً بذلك ؛ فإنه ظهر فى زمان كان الغالب فيه دينان : النصرانية والمجوسية ؛ فاختدع النصارى بأن قال لهم إنه رسول المسيح عليه السلام ، وخلب المجوس بأن وافقهم على الأصلين . فلما وجدنا من الإجماع ما هو هكذا ، ووجدنا منه ما هو كالإسلام ؛ علمنا أن قبول كل إجماع فتنة ، ورد كل إجماع ضلالة ...

ابن حبان

كان أبو حاتم محمد بن حبان البستى (٣٥٤) مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ عالماً بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ، فعدّ من طبقة البخارى فيه ؛ حتى قيل إن صحيحه أصح من سنن ابن ماجه . سافر ما بين الشاش والإسكندرية ، وأدرك العلماء والأئمة والأسانيد العالية . وكان وعاء من أوعية العلم فى اللغة والفقه والحديث والوعظ ، عارفاً بالطب والنجوم والكلام ، عاقلا معدوداً فى الرجال . صنف فخرج له من التصنيف فى الحديث ما لم يسبق إليه . وولى قضاء سمرقند وغيرها من المدن ، ثم صُرف عن القضاء فيما قيل بدعوى أنه زعم أن النبوات علم وعمل . وصنف لأبى الطيب المصعبى كتاباً فى

القرامطة ، والقرامطة كانوا يهددون ملك العباسيين . وقال بعضهم إن له أوهاماً أنكرت فطعن عليه بهفوة منه بدرت ، ولها محل لو قبلت . وقتله الخليفة بدعوى أنه يعرف بعض العلوم الرياضية وهو فى الثمانين من عمره . والغالب أن قتله كان سياسياً فى أمر يضر ببنى العباس . قالوا كانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته وقد سبَّلها ووقفها وجمعها فى دار رسمها بهـا جعلها لأصحابه ، واتخذ مسكناً للغرباء الذين يقيمون بها وأهل الحديث والمتفقهة ، وجعل لهم جرايات يستنفقونها داره ، وأوصى وصيته أن يبذل كتبه لمن يريد نسخ شىء منها من غير أن يخرجها منها . وذكروا أن السبب فى ذهاب كتبه تطاول الزمان ، وضعف السلطان ، واستيلاء ذوى العيث والفساد ، على تلك البلاد ، وجهل أهلها ، فلم تعاور بالنسخ ؛ فضاع أصلها ، ولم يكثر فرعها .

قال أحمد بن ثابت : ومن الكتب التى تكثر منافعها ، إن كانت على قدر ما ترجمها به واصفها ، مصنفات أبى حاتم محمد بن حبان البستى ، ومنها كتاب الصحابة وكتاب التابعين وكتاب أتباع التابعين ، والفصل بين النقلة ، وعلل أوهام أصحاب التواريخ ، وعلل حديث الزهرى ، وعلل حديث مالك ، وعلل مناقب أبى حنيفة ومثالبه ، وعلل ما استند إليه أبو حنيفة ، وغرائب الأخبار ، وما أغرب الكوفيون عن البصريين ، وما أغرب البصريون عن الكوفيين ، وكتاب أسامى من يعرف بالكنى وكنى من يعرف بالأسامى ، والفصل والوصل ، ومناقب مالك ، ومناقب الشافعى ، ووصف العلوم وأنواعها ، والهداية إلى علم السنن ، ومحجة المبتدئين ، والعالم والمتعلم ، والوداع والفراق ، والتوكل والتقاسيم ، والأنواع ، وكتاب الثقات ، وكتاب الجرح والتعديل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب صفة الصلاة ، ومراعاة الإخوان ؛ إلى عشرات غيرها من الأجزاء فى الشريعة والحديث والفقه خاصة .

ولم يطبع من جميع هذه الكتب المحررة سوى كتابه : « روضة العقلاء » قسمه إلى زهاء خمسين مطلباً أبتدأ كل مطلب بحديث يتعلق به ، وأتبعه بما قصد بيانه ، ووشاه بشواهد كثيرة من الشعر وغيره ببيان باهر ساحر ، يستفيد منه الكبير والصغير ، ويتأدب به الأمير والأجير ، ويغنى غناءه فى تهذيب الرجال والنساء ويتقل المؤلف الكلام المنظوم والمنثور بالرواية على أصول المحدثين ، ومنظومه كله جدير بالاستظهار والاستشهاد لما ضمنه من عظات ونكات ، يتكلم من عنده كلاماً يدل على العقل الواسع ، والطف الأداء ، وقد يورد فى أكثر الفصول قصصاً تروق العامة والخاصة ، ويخاطب العقل وما يجدر بصاحبه عمله . وقد نسق تأليفه تنسيقاً عجيباً لم يخلّ به من أوله إلى آخره ؛ فجاءت مطالبه متساوية الحجم والفائدة ، آخذة من الحسن والإحسان بأوفر نصيب .

ومما قاله : لا يكون المرء بالمصيب فى الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب . والعاقل يكون حسن المأخذ فى صغره ، صحيح الاعتبار فى صباه ، حسن العفة عند إدراكه ، رضى الشمائل فى شبابه ، ذا الرأى والحزم فى كهولته ؛ يضع نفسه دون غايته برتوة (خطوة) ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية فى كل شىء صار إلى النقص ، ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال ، كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأى إلا بالانتحال ، كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان . ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه ، أخاف أن يكون حتفه فى أقرب الأشياء إليه . رأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون . والواجب على العاقل أن يتجنب أشياء ثلاثة ، فانها أسرع فى إفساد العقل من النار فى يبس العوسج : الاستغراق فى الضحك ، وكثرة التمنى ، وسوء التثبت . لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطيق ، ولا يسعى إلا لما يدرك ، ولا يعِد إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد ، ولا يطلب من الجزاء ، إلا بقدر ما عنده من الغناء ، ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى عليه نفعه منه . وهنا رأينا فى بعض كلامه ما أثر قبل زمنه لعبدالله بن المقفع . وختم هذا الكلام بما أنشده عبد الرحمن بن محمد القاتلى :

فمن كان ذا عقل ولم يك ذا غنى
يكون كذى رجل وليست له نعل
ومن كان ذا مال ولم يك ذا حجى
يكون كذى نعل وليست له رجل

محمد كرد على

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى
سفير إيران بمصر

— ٢ —

٣ — تعريب الكتب الطبية :

ظهر الدين الإسلامى فى أوائل القرن السابع الميلاد وفى خلال سنوات قليلة قهر المسلمون الامبراطوريات وامتد نفوذ الإسلام إلى البلاد الواقعة فى مابين السند والقوقاز وعمها جميعاً، ثم بلغ أفريقية الشمالية وأسبانيا حتى بعض جزر بحر الروم مثل صقلية وسردينية وغيرها.

وانقضى القرن الأول من الهجرة بالغزو والفتح وتأسيس الحكومات العربية العظيمة فاستولى المسلمون على بلاد كانت مراكز للحضارة، ودخلت بلاد، كانت تعتبر حواضر للعلوم والفنون مثل دمشق وقيصرية والاسكندرية فى حيازتهم؛ وفى أثناء هذه الفتوح وعندما كان المسلمون مشغولين بتدعيم أسس ممالكهم أدركوا أن من المحتم عليهم أن يقتبسوا من حضارات البلاد المفتوحة والأمم المغلوبة ما يمكن اقتباسه، فبدأوا بذلك وبلغت هذه الفكرة شأوها بوجه خاص فى عهد الخلفاء العباسيين حينما كان للايرانيين شأن كبير فى إدارة أمور المملكة الاسلامية، فألحق بكل مسجد مدرسة، وأنشئت مكتبات، وأسست مستشفيات، وبدأوا فى تدريس جميع العلوم ولا سيما علوم الشريعة والطب والفلسفة فى مدارسهم.

قلنا إن النسطوريين وحكماء الأسكندرية الذين سبقت لهم الهجرة إلى المشرق ثم اليهود والأقباط والسريان كانوا قد هيأوا مقدمات هذه النهضة الفكرية قبل بدئها بقرنين ولا سيا السريان منهم وهم من أبناء عمومة العرب، وذلك بنقل علوم اليونان من السريانية إلى العربية. وسنذكر فيما بعد لمحة عن الترجمة عند العرب يمكننا أن نقسم المسلمين الذين اشتغلوا بالعلوم المختلفة ومنها الطب إلى طبقتين: المترجين والمؤلفين.

فالمترجمون منهم كانت براعتهم مقصورة على القيام بالترجمة، وكانوا يتقنون اللغة العربية كما يتقنون السريانية أو اليونانية أو كلتيهما فيقومون بترجمة العلوم من إحدى هاتين اللغتين إلى العربية وكان هذا كل عملهم.

أما المؤلفون فهم الذين كانوا قد درسوا كل المؤلفات والآثار المترجمة وكان لهم بحث ونظر وآراء خاصة حول مادرسوه وتآليف ظهرت فيها شخصياتهم العلمية بصورة واضحة. كان بعضهم يدخل ضمن كلتا الطبقتين مثل يعقوب الكندى فى الفلسفة، ويوحنا بن ماسوية وحنين بن اسحق فى الطب، فإنهم مترجمون كما أنهم فى الوقت نفسه مؤلفون وأصحاب نظر ورأى خاص. فقد كان حنين بن اسحق (ويسميه مترجمو اللغة اللاتينية فى القرون الوسطى يوهاينتيوس yohannittius) من نصارى الحيرة وكان فى شبابه يبيع العقاقير الطبية ويدرس الطب فى نفس الوقت على يوحنا بن ماسويه. ويروى أنه ألقى على أستاذه يوما فى مجلس درسه كثيراً من الأسئلة مما أثار غضب الأستاذ، فقال له ما لأهل الحيرة وللطب؟ كان الأجدر بك أن تطوف بأزقة الحيرة وتصرف النقود فتألم حنين من كلام أستاذه وآلى على نفسه أن يتعلم اليونانية ليستغنى بها عن أستاذه فى تعلم الطب، وقد أتقنها ثم عاد إلى جنديسابور وبرز فى فنه حتى عد من طراز جبرائيل بن بختيشوع وابن ماسويه وأضرابهما أى أنه يدخل ضمن الطائفتين المؤلفين والمترجين.

وكان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان أول أمير من بنى أمية اهتم بعلوم اليونان اهتماما خاصاً حتى لقب (بحكيم آل مروان) فقد جمع هذا الأمير نظراً لشغفه بكشف أكسير الكيمياء حكماء اليونان المقيمين فى مصر فى رحابه وطلب إليهم أن يعربوا المؤلفات اليونانية والمصرية عن أكسير الكيمياء من اللغتين اليونانية والقبطية، وهذا حسب ما يعتقد ابن النديم أول نقل فى الاسلام من لغة إلى لغة.

يقول برتلو Marcelin Berthelot فى مؤلفه عن تاريخ الكيمياء فى القرون الوسطى: (كان جل هم الكيماويين الحصول على الأكسير الأعظم وحجر الفلاسفة، غير أنهم خلال تجاربهم للوصول إلى هدفهم هذا وفقوا لاكتشافات كبيرة فى الكيمياء

ولا تزال المصطلحات الكيماوية التي وضعها العرب مثل الكحول — والأنبيق — وغيرهما متداولة في جميع اللغات الأوروبية تشهد بما كان للعرب في هذا الفن من سابقة وفضل) .

وهناك أمر هام أرى لزاما على أن أشير إليه وهو أن لوكلرك Leclerc يشير في مؤلفه (تاريخ طب العرب) إلى أنه يعتقد أن مبدأ تاريخ اقتباس العرب من علوم اليونان يجب أن يرجع إلى ما قبل زمن خالد بن يزيد بمائة سنة أي أنه يعتقد أن تاريخ فتح مصر يجب أن يعتبر مبدأ لعهد اقتباس العرب من علوم اليونان ؛ فإن يحيى النحوي وكان من ملازمي عمرو بن العاص وخواصه هو نفسه — حسب معتقد لوكلرك — يوحنا فيلوبونوس john PHIloponus شارح كتاب أرسطو وكان في الأصل من القسس اليعقوبيين وقام بترجمة بعض المؤلفات اليونانية إلى العربية بعد إسلامه . ويشير ابن النديم في الفهرست ضمن ذكر أسماء مؤلفاته ومقالاته إلى أنه قام بشرح بعض مؤلفات جالينوس الطبية .

وعلى أي الأحوال فإن من المسلم به أنه قد ترجمت في زمن خالد ابن يزيد بن معاوية كتب في الكيمياء والطب وعلوم أخرى من اليونانية .

ويذكر ابن النديم مترجما باسم (اصطفن القديم) ويقول إنه قد ترجم كتباً في الصنعة أي الكيمياء وغيرها إلى العربية لخالد بن يزيد . وكانت هذه الحقبة مقدمة لظهور العلماء أصحاب الرأي والنظر .

ففي عهد المترجين في القرن الأول الهجري أو بعد ذلك بقليل كانت تراجم كتب الطب وسائر العلوم من اليونانية مزيجاً من الأصل المترجم عنه مع عادات المسلمين ومبادىء الصحة في الإسلام ، ونادرا ما نجد طبيباً مسلماً يبدي رأياً أو نظراً خاصاً ، بل كانوا على الأغلب الأعم يسيرون على النهج الذي سار عليه القدماء في حين أنا نجد في العصور التالية أي في عصور النهضة العلمية الإسلامية علماء كبارا تجاوزوا مرحلة الترجمة والتتلمذ فكان لهم استقلال في الرأي والنظر . ومع أن أساس معارفهم مقتبس ومأخوذ من علوم اليونان — ومع أنهم معترفون بفضل بقراط وجالينوس اللذين يذكرون دائما أسميهما بكل تجلة واحترام — إلا أن النظر والرأي ظاهران بصورة جلية في مؤلفاتهم . وتجد فيها أحياناً نقداً لآثار القدماء ومؤلفاتهم ، فترى الأطباء المسلمين يقومون بتجارب جديدة في الطب ، وتراهم يطبقون تعاليم طبية مفيدة على المرضى في المستشفيات كما ترى منهم شيئاً كثيراً من الابتكار والابتداع ولا سيما في طرق العلاج واستعمال الأدوية والعقاقير . وقد ترك علماء هذا العهد مؤلفات كثيرة قيمة في هذا الصدد .

وفي هذا العهد نرى الرازي يبدي شكوكا على أقوال جالينوس كما نرى ابن سينا ينتقد فلسفة المشائين في مقدمة مؤلفه حكمة المشرقيين . وفي هذه العصور أصبحت الأندلس وبغداد من مراكز الطب المهمة حتى قيل إنه كان في مكتبة قرطبة وحدها ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون .

ويختلف حكم الناس بالنسبة للخدمة التي أسداها المسلمون لعلم الطب؛ ففريق يعتقد أنه لو لم توجد الحضارة الإسلامية لضاعت آثار بقراط وجالينوس وأمثالهما في ظلام القرون الوسطى ولخسرها العالم إلى الأبد ، وان بقاء هذه الآثار العلمية والمؤلفات كان بفضل وجود المسلمين واهتمامهم بها ، وإن هذا التراث العلمي الغالي لم يسلم بفضلهم من الفناء والضياع فحسب ، بل أضيف إليه الشيء الكثير .

ولما ضعف المسلمون فيما بعد وخرج كثير من البلاد كالأندلس من يدهم كان خيرما تركوه لأخلافهم ذلك التراث العظيم من العلوم والفنون .

هذا رأي فريق ، غير أن فريقاً آخر يرى ، ورأى معظمهم ناشيء عن الجهل أو الغرض أو التعصب ، أن خدمة المسلمين للطب ليست بذات بال ، فان هذا التراث العلمي بقي مدة كأمانة لدى المسلمين ورجال الكنيسة ، لكنهم لم يضيفوا إليه شيئاً من عندهم حتى جاءت النهضة الأوروبية فتسلمه منهم رجال ذلك العهد واستفادوا منه .

والحق وسط بين هاتين العقيدتين المتضادتين المتطرفتين ، فلاريب أنه لولم يقم المسلمون — بجمع آثار المتقدمين من العلماء وترجمتها ونقدها وشرحها وتفسيرها بتلك الدقة العظيمة لضاع الشيء الكثير من آثار اليونان العلمية . وخير شاهد على ذلك أن كثيراً من مؤلفات اليونان في الطب قد ضاعت نسخها الأصلية

ولم يبق منها إلا ترجمتها العربية مثل الكتاب السابع من التشريح لجالينوس ؛ فالموجود منه الآن — هو ترجمته العربية ليس غير .

زد على ذلك أن بعض الأطباء من المسلمين قد أسدوا إلى عالم الطب خدمات عظيمة ولاسيما في الطب العملي والجراحة ؛ وقد برز كثير منهم في هذا المجال أمثال علي بن العباس المجوسي الأهوازي وأبي القاسم بن خلف الزهراوي .

فان لم نقل إن كل ما وجد في القرون الوسطى من علوم الطب كان بفضل الأطباء المسلمين فلا أقل من انصافهم بذكر الحقيقة وهي أن الطب في القرون الوسطى مدين للطب الإسلامي والأطباء المسلمين ديناً عظيما .

والذين يقصرون فضل حفظ التراث العلمي القديم على العرب لحسب مبالغون في قولهم هذا كذلك ؛ فهؤلاء يقولون أنه لولا المسلمون لانقطعت الصلة تماما بين النهضة الأوروبية والعلوم اليونانية القديمة . وليس مايقولونه كل الحق فان قسطاً عظيما من الكتب العلمية اليونانية كان موجوداً في أديرة المسيحية ، وقد درسها وبحث فيها عدد من رجال العلم وحفظوا للعالم علوم اليونان وطرائق بحثهم ودراستهم العلمية .

وأهمية الطب الإسلامي تقتصر على أنه كان طوال قرون عديدة أي منذ انحطاط الحضارة والعلوم عند اليونان إلى زمن النهضة الأوروبية أهم مصادر علوم اليونان وأصدقها . ولا يفتنا أن نذكر هنا أن الطب الإسلامي كسائر العلوم التي انتشرت بين المسلمين — وإن كان معظمه مأخوذاً عن مؤلفات اليونان وكتبهم فان قسطا منه مأخوذ ولا شك عن مصادر إيرانية وهندية وسريانية . ومن أراد التفصيل فليراجع الفهرست (طبعة مصر صفحة ٣٤٠ وما بعدها) وفيه أسماء المترجمين الذين ترجموا إلى العربية من اللغات المختلفة ومنهم ابن المقفع وكثير من آل نوبخت الذين نقلوا إلى العربية كثيراً من الكتب الفارسية .

ويجدر بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن كثيراً من هذه الكتب التي عربت عن الفارسية الساسانية كان أصلها يونانيا ترجمت إلى الفارسية في عهد الساسانيين ثم قام بتعريبها الايرانيون أنفسهم ؛ ومن هذه الكتب كتب في المنطق[1] والطب ترجمها ابن المقفع إلى العربية ، وكتاب في الطب أيضاً لثياذوسيوس[1] (Thécdseaus) الطبيب الخاص لسابور الثاني عرب من الفارسية

وقد كان للايرانيين أثر واضح في الطب بصفة خاصة عن طريق مدرسة جند يسابور . فبرغم أن أساس التعليم الطبي في تلك المدرسة كان الطب اليوناني إلا أنه قد اصطبغ بصبغة إيرانية بالتدريج ، وكان للقريحة الايرانية أثر كبير ونفوذ عظيم في منهج التعليم بها .

وقد ترجمت كتب أخرى من اللغات الهندية والقبطية إلى العربية ذكر ابن النديم كثيراً من أسمائها وأسماء الذين قاموا بتعريبها . (يتبع)

(١) توجد نسخة نادرة من كتاب المنطق لابن المقفع في مكتبة الإمام الرضا بمشهد (خراسان) ويرجح أن تكون نسخة فريدة وقد نسخت عنها في المدة الأخيرة بضع نسخ بأجازة المكتبة المذكورة .

(١) واسمه في الكتب العربية تياذوق

من لندن :

معركة العروبة فى فلسطين

أهدافها ووسائلها

للأستاذ إبراهيم زكى أباظه

قد لا يصل هذا العدد من الرسالة إلى أيدى القراء إلا بعد انتهاء الانتداب البريطانى المشئوم على فلسطين ، ودخول الجيوش العربية إليها وسحق الأخطبوط الصهيونى الذى يبث الويل والدمار حيثما سار وحل ... وفى حمأة هذه الحوادث وهذا الاختلاط فى الوضع ، تطيش رؤوس وتضيع حقائق هى أجدر ألا تغيب عن أنظار الباحث الحكيم والمخطط البعيد النظر ... إذ بينما يسير انتباه العالم بكامله الآن نحو الطرفين الرئيسيين فى القضية وهما العرب واليهود ليرى نتيجة صراعها ، نجد من النادر وجود امرئ يحدد مسئولية بريطانيا ويفيها حقها من اللوم على ما يجرى فى البلاد المقدسة من سفك دماء وتدمير ...

إن كل عليم بتطورات القضية الفلسطينية ليدرك تمام الإدراك أن بريطانيا هى الجانية الأولى والأخيرة فى كل ما وقع وسيقع ؛ وإنه لما يؤلم ضمير كل محب للعدالة ، أن يجد فى بريطانيا اليوم ممثلة لأعظم مهزلة ، بل وإنه ليجد فى سلوكها وتصرفاتها الحاضرة كل ما هو تدنيس للحقيقة وتدليس لحرمة التاريخ وقداسته ذلك أنها بعد أن خلقت المشاكل بعناصرها للوطن القومى اليهودى وباستخدامها الحراب لحمايته ووضع أسسه ، نجدها الآن وقد وقفت تندب حظها فى أن العرب واليهود يصبون عليها اللوم والعقاب بلا مبرر على حد رأيها ، بل وإنك لتراها تتباكى بسبب ما نزل بأبنائها من قتل وشنق وهى فى ذلك كله تتخذ موقف البرىء المجنى عليه ، والنبيل العادل الذى افترى عليه ... ولسان حالها يقول كالشيطان الذى قال بعد أن حبب الكفر إلى قلوب العباد . إنى برىء مما تشركون .. إن العالم والتاريخ والعدالة لتخط اليوم لبريطانيا صفحة مذلة وعار وخزى بتمثيل هذا الدور الشائن والذى لم يقتصر على الادعاء بالبراءة بل تعداه إلى ترك بلاد مقدسة طوال الثلاثين عاماً الماضية تحت رحمة صهيونية آثمة ، تتسلح علنا ولا من محتج ، وتستعد للحرب والفتك بالأبرياء وليس من إدارة تحاسبها على ذلك فى كثير أو قليل ، وتعمد إلى إرهاب ينمو ويتسع وينتظم تحت سمعها وبصرها وليس من تحذير أو ردع ، حتى بات العرب العزل يجابهون بمجزرة بربرية فى دير ياسين وغيرها لا تقل إجراماً وتعطشا للدماء عن مذبحة سانت بارثلمبو أو مذابح سبتمبر ... ومع ذلك لم تقدم انجلترا على عمل تتخذه لحماية الأرواح ... هذه حقائق ما كان أجدر بنا أن نعلمها حق العلم ونحن نخوض هذه المعركة الحاسمة ضد عدو غادر أثيم كالصهيونية ... بل وعند انسحاب البريطانيين انسحاب الجانى المتلبس بجريمته .

الصهيونية والشيوعية :

ليست علاقات الصهيونية بالشيوعية بالشىء الحديث ، وليست بخافية على كل من له إلمام بسير التاريخ الحاضر ، بل وليست من سوء الحظ بالشىء البسيط الوحيد الذى غفل عنه قادتنا ورجالاتنا . . . إذ من ينسى أن منشىء الشيوعية الأول هو ماركس اليهودى ؟ وهل من الجائز أن تنسى البلشفية الحاضرة دينها له ؟ هل تنسى اليهودية صلة النسب بهذا الرجل ومذهبه ؟ وهل من الجائز أن ينسى ستالين وأعوانه ذلك وينسوا واجبهم فى معاهدة التوسع الصهيونى ؟ ثم من ينسى أن نظام الاستقرار والاستعمار الزراعى فى فلسطين هو تطبيق نموذجى للأصول الشيوعية كما هى فى روسيا قلبا وقالبا ؟ ومن ينسى أن من بين المهاجرين اليهود الأولين لفلسطين ، جماعات روسية ركزت نفسها فى الزوايا والنقاط الحيوية فى فلسطين حيث جعلت منها مراكز لخزن السلاح وتدريس أصول الإرهاب وبث التعاليم الفوضية ؟ وعلى من يجهل ذلك أن يذهب إلى مستعمرات شمال شرق فلسطين ومرج ابن عامر ليجد ألوف النشرات المعنونة بـ « مبادىء القومية » و « وبدعة الديانة » التى جلبها معهم يهود شرق أوربا ؟ وليجد هذه كلها مع الكميات الهائلة من الذخيرة والأسلحة ... هذا منذ عام ١٩٢٠ وكما يعترف به اليهود

الروس آنئذ ... ثم من يجهل أن يهود البلقان — تلك البلاد التي هي الوطن التقليدي للإرهاب المحترف في العصر الحاضر — يقيمون الآن في فلسطين في عدد هائل وكلهم متدرب فائق الخبرة بالفنون العسكرية التي اكتسبها أثناء الحرب الحاضرة في حركات المقاومة ، وجميعهم يرحب بروسيا كحامية للبلقان ، ويرحب بأن يكون لها العون والنصير لإيجاد قاعدة بل وقواعد نشاط في الشرق الأوسط بادئين بفلسطين ؟ إن الشرق الأوسط كله الآن يعج بهذه القوى الخفية والوكلاء السريين ، كما تعج بهم موانىء دول البلقان ، وكلهم متلهف للعمل ، تواق للفتك والمغامرة من أجل فلسطين والصهيونية ، وروسيا راعيتها الأولى ... فعلينا أن نذكر هذا ونفكر في عواقبه ! !

مجموعة من الأخطار :

إن كل عليم بأصول الحضارة والتاريخ والعقلية اليهودية لا بدّ أن يفطن إلى فكرة على جانب من الأهمية وهي « أن الروح التجارية صفة بارزة في الشخصية اليهودية أينما حلت ومهما بلغت من علم وثقافة ، وهي الميزان الوحيد في نشاطهم الدنيوي والأخروي سواء أكان ذلك في شراء بيضة ، أو إنجاز صفقة ، أو أداء صلاة ، أو الحصول على فلسطين » ولا يصد اليهودي عن نيل ما يبتغيه إلا أن يرى أن إهدار دمائه هو الثمن لما يرجو الحصول عليه ؛ وعندئذ يرجع خاسئاً مدحورا ، ولكن ليعاود ذلك بوقاحة وتكرار ، وبكل ما أوتيه من غدر واحتيال ؛ لا يردعه عن ذلك رادع إنساني أو مثل أعلى ... وكم يجدر بقادتنا أن يفهموا هذه الميزة البارزة في عقلية الصهاينة ونشاطهم في هذا الكون ...

بالأمس طالبوا بوطن روحي في فلسطين ، ثم ببضعة أفدنة يزرعونها ، ثم ببيوت ومدن يبنونها ، ثم بالحصون والقلاع يرفعون سمتها ، ثم بالدولة يضمون أسسها .. ثم ماذا ؟ مطالب أثر مطالب . إذا ما أفلحوا فيها — لا سمح الله — فسيطالبون باللقمة في فم العربي يسلبونها ومعها يسلبون دعامة الحياة والبقاء .

بالأمس عُلق البريطانيون على أعواد المشانق وبالأمس اغتيل قادتهم في القاهرة وروما وبريطانيا نفسها ، بقنابل بريدية ، ونسف البنايات ودك المعاقل ... إلى آخر ما هنالك من وسائل لن تقف عند حد في وحشيتها كل ذلك لأن الصهيونية تخيلت أن هذا البريطاني أو ذلك كفر بمطالب الصهيونية ، أو لأنه احتج على أمر نبا عنه ذوقه ، أو لأنه أعرب عن رأى لم يوافق إنجيل الصهيونية ومطامحها الخطيرة ، فكان جزاؤه سفك الدم ! ثم نما الخنجر الصهيوني فإذا به ذو حدين مرهفين ، أخذ ثانيهما يفتك بالعدو الأصيل — العرب ، فمن قرى تدمر ، وأطفال ونساء حوامل تبقر بطونها ، وتنهش لحومها ، وذلك على مرأى من العالم المتمدين وعلى مرأى من الجيوش العربية ... ! ! فأمام هذا البلاء وأمام هذا الكابوس الذي فرضه الإرهاب الصهيوني على أعدائه السياسيين وعلى الرأى العام العالمي ، من يجرؤ على القول أن المصير المشئوم الذي ناله الكثيرون ، بعيد عن أن ينال ملوكنا في قصورهم ، وقادتنا في بيوتهم ، وأطفالنا في أحضان أمهاتهم ، ومساجدنا وكنائسنا ، وقبورنا وآثارنا ، ومقدساتنا وحرماتنا ! ! ومن يضمن أن يترفع هذا الإرهاب الأثيم والغدر البربري عن تدمير كل ما شدناه من آثار وتاريخ وأمجاد وحضارة ؟ إن سلامة الشرق الأوسط بأسره في كفة الميزان ؛ فعلى الملوك والعواهل والوزراء أن يحزموا أمرهم ويجمعوا رأيهم لتقليم هذا الأخطبوط الصهيوني الخطر ... ! وإلا فليس من البعيد أن يقال في عهد الملك الفلاني ، ضاعت فلسطين ثم بتفريطه في الدفاع عنها ، حلت ببلاده هو النوائب والبلايا ... وفي عهد القائد الفلاني فقدت فلسطين ومنها سارت جيوش الأعداء واحتلت بلاده . هذه أفكار ليس للتشاؤم دخل فيها ، ولكن علينا أن نتأهب للأمر وألا نلدغ من جحر مرتين ... لقد قلنا من خطر الصهيونية وخفى علينا ما في البلاد من أوكار ومكامن ، ومن قوى وأخطار وجيوش انقلبت بين عشية وضحاها إلى قوى نظامية قادرة على صب الويلات ، وإهراق الدماء بدون مقاومة تذكر :

منذ عشرين قرنا من الاضطهاد المزعوم الذي جلبه اليهود على أنفسهم ، غليت قلوبهم بالحقد والضغينة على الإنسانية جماء ،

أخذ يتطور الآن بعد تكتلهم في فلسطين إلى حملة من الانتقام تهدف لتصفية الحساب مع كل فرد أو مجموعة سبق فى زعمهم أن ساهموا فى تعذيب اليهود واضطهادهم ، وهذه ملفات الوكالة اليهودية حافلة بخطط الانتقام ، ولم ينس الصهاينة حوادث العراق عام ١٩٤١ ، ولا حوادث الشعوب التى اعتدت أفرادها على أقلياتهم فى بلادها ، ومن بين هذه الشعوب الشعب البريطانى والشعب الألمانى ، ولكن فى المقدمة سيأتى طبعاً كل ما يزعمونه ويختلقونه من اضطهاد حل بهم فى البلاد العربية المجاورة ، كما أن كل كلمة فاه بها أمير أو زعيم كلها مرقومة فى سجلاتهم ، وهم متعطشون لتسديد الحساب بلا رفق ولا هوادة ، وكلما استقر بهم المقام فى فلسطين وتمكن لهم الحال فيها تعاظمت الأخطار وهذبت الخطط لانتقام مروع دام يصبونه على العروبة ودولها .

أبرزت الحوادث العديدة فى السنين العشر الماضية الصلة الوثيقة بين صهيونى فلسطين ويهود الأقطار العربية ، والنشاط السرى الواسع ، والوكالات والمنظمات التى يديرها هؤلاء الآخرون حتى ثبت الآن أن أفراد العصابات الإرهابية التى تفتك بالآمنين فى فلسطين يتألف أغلبها من يهود عرب جُلبوا ودربوا تحت إشراف الخبراء اليهود الأوربيين ، وبسبب معرفتهم العربيـة وملامحهم العربية سهل عليهم تنفيذ تلك المهمات الإجرامية التى عهدت إليهم . ولا يسعنا أن نغفل هنا ذكر سارة أرنسون وأفراد أسرتها التى اختصت بالتجسس فى الشرق وبين القبائل فى الصحراء السورية فى الحرب العالمية الأولى . وأن لهذه الأسرة وكلاء لا يزالون يقومون بنفس المهمة ، كما أن الخدمة السرية للوكالة اليهودية لها قلم خاص للاستخبارات فى الشرق الأوسط العربى ، وهو نشيط وله أساليب هدامة مُريبة فى تنفيذ خططه . وقد أثبت يهود اليمن وعدن ويهود حلب بصورة خاصة مهارة تذكر فى هذا السبيل ... إن يهود البلاد العربية جيوب غدر وأعوان هجوم ، خطرها بالغ وسمها نقيع إذا ما اقترن غدرها بالتوجيه المصرى والتنظيم الأخصائى تحت إرشاد الأخطبوط الصهيونى فى فلسطين .

أما توزع اليهود فى العالم فله ميزة بالغة استغلها اليهود كل الاستغلال وعصروا كل خبرات الأمم التى عاشوا بينها وجلبوها إلى فلسطين لا للاستقرار فحسب ، بل للامتداد والتوسع . وإذا ما علمنا نتاج اليهود الاقتصادى وقوتهم المالية أدركنا الاحتمالات الأكيدة الناجمة عن ذلك فيما لو سمح لهم بالتركز فى الأرض المقدسة ، وليس إنشاء أسطول ضخم ، وجيش عصرى ومصرف دولى ، وإذاعة قوية ، وجامعات ومعاهد ، وحصون وقلاع ، وقواعد غزو ، إلا نماذج من هذا التوسع العتيد الأكيد .

إن هذه مجموعة من الأخطار نقدمها هدية — قبل فوات الأوان — إلى أولئك الذين يتقلدون المناصب ويتحكمون فى توجيه الرأى العام العربى ، ويوجهون سياسته ويناصرون العروبة ويشدون أزرها ، لا بدافع التشاؤم والوجل بل كصرخة يرسلها عالم متألم ، يؤمن بأن الاعتراف بالحقيقة مهما كانت مُرة قاسية هى أولى الخطوات لتسديد الخطر ، وحزم الأمر وخوض المعركة بصبر وبلاء يجدر بالصادقين الذين عاهدوا الله على النصر أو الفناء ، دفاعاً عن العروبة وأمجادها وتراثها الغالى التليد .

مبررات دخول الجيوش العربية :

مضى على انفجار الغدر الصهيونى أكثر من شهرين ، أريقت خلالها دماء ، وأزهقت أرواح ، واحتلت مدن ، واقترفت جرائم هزت وغى الإنسانية ، وروعت أحاسيس البشرية ، وستبقى مذبحة دير ياسين الشاهد الدامى على جريمة فاقت بربرية النازيين ، بل غطت على فظاعة القتل بالغاز والخنق وجرائم القرون الوسطى ، وكل ذلك من جماعات متشردة أعدت ودربت للفتك وفرض دولة يهودية فى الشرق ، وليس لأحد منهم صلة أو حق بهذه الأرض العربية الصميمة . ومما لا شك فيه أن يهود العالم يمولون الاعتداء والجرائم الصهيونية فى فلسطين ، كما أن حركة التجنيد اليهودية على قدم وساق فى كافة الأقطار وتحت أسماء مختلفة أغلبها تحت اسم « حركة الشباب العبرى » ، ولهم معسكرات فى كل مكان تعد الجند وتجمع القوى ، كما صدرت نماذج التحاق بالجيش لكافة الشباب اليهودى العالمى للخدمة فى ميادين فلسطين فى الحال

عند ما يطلب إليهم ذلك ، كما أخذ الكثير من هؤلاء يتسرب إلى فلسطين بكافة الطرق ومعهم تدريبهم العسكري الفائق ، هذا وإن الأخصائيين الروسيين يقودون الآن الفرق اليهودية المرابطة فى عشرات الموانىء فى البلقان ، وكلها عازمة على غزو عام مسلح للأراضى المقدسة .

وعلى العموم فكفة السلم فى الشرق الأوسط الآن هى فريسة لتيارات عنيفة عسكرية وسياسية واقتصادية . وإذا ما علمنا أن دول الشرق فتية الاستقلال حديثة المهد ، وجدنا لأنفسنا كل مبرر يمليه الحق والعدل والأمن والسلام ، وكلها تفرض واجباً سريعاً حاسماً لدخول الجيوش العربية واجتثاث الصهيونية حتى لا تعود إلى شرورها وأخطارها الفادحة .

خطط وأهداف :

القضاء على الصهيونية كقوة عسكرية ، وخنق انتشارها كعقيدة سياسية ، وإدماج فلسطين كدولة عربية ، كجزء فى جامعتنا ، وإيجاد إدارة مدنية شاملة لكافة الرعايا — هذه هى بالايجاز ما يجب أن تهدف له الجيوش العربية عند دخولها إلى فلسطين ...

تقوم فى تل أبيب الآن معاقل إرهاب ومستودعات أسلحة ومصانع تجعل من المدينة خطراً يهدد سلامة الشرق ، وإذا رأى الإنجليز فى تدمير برلين العمل الوحيد لصون السلم العالمى والقضاء على رأس الثعبان النازى ، فدمار تل أبيب وزعها ، كنواة لدولة يهودية ، من مخيلة اليهود ، عمل ضرورى لا مفر منه إذا أردنا أن نكون عمليين فى أعمالنا وخططنا لحفظ السلم فى الشرق . فهذا الوكر الذى يحتله ربع مليون إرهابى عنيد يجب أن يلقى نفس المصير الذى لقيته برلين وخاريخوف وهامبرج ، ووجودها على قيد الحياة بكل ما يكمن فيها من أخطار سيكون برهانا — يوماً ما — على عقم تفكيرنا ، وقصر نظرنا .

إن الصهيونية كالنازية فى أهدافها ووسائلها؛ هى مذهب خالط الدم واللحم واخترقه إلى العظم فى جسم كل يهودى ، لذا أصبح من الواجب على القيادة العربية ، إعداد منهج يحفظ لليهود حياتهم كأفراد خالين من شوائب الصهيونية ، كمبدأ هدم وسيطرة ، والاستعاضة عنها بثقافة سلمية أخوية تمكن اليهودى العيش بهدوء وأمن مع الجمهرة العربية فى فلسطين . . . إن محق الصهيونية كمبدأ خفى هو إنقاذ لمستقبل الشرق . وكخطوة جوهرية فى هذا ، يجب على القيادة ألا تغفل عن فرض رقابة شريعة فى الدقيقة التى تدخل جيوشها الأراضى المقدسة على الشواطىء وإيقاف الغزو الذى ستقوم به ألوف صهيونية عدة تنتظر الأوامر بالنزول إلى البر .. إن كل صهيونى يقدم حديثاً إلى فلسطين ، هو خبير عسكرى مُنتدب لمهمة خاصة فى الدولة الصهيونية المزعوم إنشاؤها . .

إن دخول الجيوش العربية حادث بالغ الأهمية فى تاريخ العروبة ؛ فهو أول عمل مشترك تقوم به الجامعة لحفظ حياتها ، وسيشخص العالم بأبصاره ليرى كفاءتها وحنكتها فى مراحل حياتها الأولى ، وسيقبل حكمها وحلها لقضية فلسطين ، حتى ولو فرض بالقوة كما يتطلب الموقف الآن ، وسيكون حقيقة واقعة إذا ما اقترن ذلك بإيجاد إدارة مدنية ذات كفاءة وحنكة حتى ولو كانت عربية صميمة . إن الحنكة والشجاعة من القائد البارع تخضع لها رقاب الأعداء ولو كان ظالماً . هذا درس تعلمته البشرية خلال تجارب عديدة رغم عدم اعترافها به . وإن كل هوادة ، أو تراخ فى هذه المرحلة الحاسمة معناها الانهزام أمام الإرهاب وانتحار الجامعة العربية ، وتحطيم الأهداف والمبادىء والمطامح التى علقتها عليها ملايين الشباب فى أطراف العالم العربى هذا يوم تشخص فيه عيون الأيتام والأطفال والنساء ، والمروعين حتى الطامحين إلى القتال ، ولكن يعوزهم السلاح والدراية ، بل وعيون العالم أجمع ، لترى جيوش العروبة تخوض معركة التحرير لإنقاذ فلسطين وإراحة العالم من قلق وخوف عجزت بريطانيا وهيئة الأمم المتحدة بسبب مطامحها وأنانيتها عن إيجاد الحل العادل لها .

إن هذا يوم له فى تاريخ العروبة ما بعده ، فاجعلوه مشهوداً أغر — وللعروبة نصر محتوم وظفر محقق .

(لندن) ١٩٤٨/٥/١١ — ابراهيم زكي أباظه
المحامى

الربيع الخـــالد ...

« إلى جيش النصر الظافر ... فى فلسطين »

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

ليس الربيع لنا دوحاً وأنهاراً ... ولا غنـاء وأنداء وأزهارا
ولا رُبى مرحات الأيك وارفة ... كجنة الخلد آصالا وأسحارا
ولا نسيما تحس الغيد نفحته ... عطراً ولفحته فى القلب إعصارا
ولا أهازيج أطيار تسيل كما ... سال الندى عبقاً من كف آذارا
بل الربيع الموشى فى مباهجه ... روح الحياة بدا كا لنبع ثرارا !
روح تغلغل فى الدنيا فبد لها ... بالجدب خصباً وبالظلماء أنوارا
يرى على الأرض أشجاراً وأودية ... وفى السموات أطيافاً وأطيارا
وإنمـــا هو سر لا قرار له ... وإن تبلج أزهاراً وأقمـــارا
أرى الربيع شباباً ضاحكاً نضراً ... كالبحر مصطفقاً والنجم سيارا
فإن توارى شتاء فهو أجنحة ... تهيم فى الأرض إقبالاً وإدبارا
وتقتنيه الصحارى فى بواطنها ... تشكو صدًى ثار فى أعماقها نارا
فيمتلى السحب رجيها وبوسمها ... رعداً وبرقاً فيهمى الغيث مدرارا!!
وللطبيعة إحســاس تحس به ... نور الدجى وترى للجهر أسرارا
ليست زهور الروابى فى خمائلها ... إلا قلوباً وأسماعاً وأبصارا !
وللطبيعة أسرار يبـوح بها ... فم الربيع عشيات وأبكارا
تفيض بالبهجة الكبرى.وما كبه ... أنسا وبشرا وأضواء وأعطارا
منذا يراه ربيعاً واحداً ألقـا ... وقد تمدد أطواراً وأوطارا ؟
لكل نفس ربيع فى قرارتها ... رأته رأياً ولم تبصره إبصارا !
والعين لا تبصر الأكوان حالية ... إلا بنفس ترى الأوكار أفكارا!!
ورب ذى بصر أعمى البصيرة لا ... يرى بشار حسن هز « بشارا »
إذا رأى الشمس والأقمار سافرة ... فقد رأى حجباً شتى وأستارا
وأنت يا فتنة للقلب آسرة ... يا روضة من رياض الخلد معطارا
يا صورة لربيع الحب مؤتلقاً ... ندى ونداً وأزهاراً وأثمارا
أرى بعينك لى سحراً وساحرة ... وفى محياك لى خمراً وخمارا
أنت الحياة التى تجلو الربيع لنا ... يعانق الشرق إجلالا وإكبارا
وما الربيع سوى الحرية انبعثت ... فى الشرق عزماً على الأعداء جبارا
ليعلم الغرب أن الشرق ناجزه ... بالنـــار ناراً وبالبتار بتارا !
حتى نجدد لتـــاريخ سيرتنا ... مهاجرين كما كنـا وأنصارا
وما فلسطين إلا الجنة اقتربت ... لمن يذيق «اليهود» النار والعارا
هيا إليها على أشلائهم لنرى ... معنى الربيع وجيش النصر جرارا
العرب كم رفعوا للحق ألوية ... ومصر كم حررت بالسيف أمصارا

خواطر مسجوعة :

الحـــكمة

للأستاذ حامد بدر

قيل لِمَ لمْ تطل فى مقالك ؟ قلت وما عيب ذلك ؟ . إن المعنى العزيز ، فى اللفظ الوجيز ، كالحسناء الرشيقة ، فى الحلة الأنيقة . والمعنى الضئيل ، فى اللفظ الطويل ، كالجسم الغث ، فى الثوب الرث . وقد تأتى الحكمة فى كليمات ، ولا تأتى فى صفحات . كما يجزل لك السخى المعطاء ، ولا يشعرك بمناء . ويثقلك الشحيح بمن طويل ، لو يعطيك القليل !

فالحكمة درس كبير ، فى أوجز تعبير ، يمليه قلب بصير ، ويؤيده تجريب كثير ، فتمجب من سطور ، تتيه على الشذور ، لأنها أغنى من الكتب ، وأغلى من الذهب ، ينبعث نورها من حلك المداد ، كنور القلب ينبعث من السواد . نخذ من الحكمة ثروة قرون ، ولا تمشىَ بحثاً عن ثروة قارون . إن فى الحكمة ثراء كبيراً ، (ومنْ يُؤتَ الحكمةَ فقدْ أوتى خيراً كثيراً)

أجل فى الحكمة ثراء ، يفتقر إليه الأثرياء ، ونور لا تغنى عنه سعة البصرين ، ولا أشعة القمرين . ثراء يملأ الجنان ، بالرضا والإيمان ، ونور تتضاءل عنده الأنوار ، وتنكشف أمامه الأسرار ، فقلب الحكيم غنى بما فيه ، عامر بما يحويه ، وعينه نافذة وإن لم تكن نجلاء ، وحسبك أبو العلاء !

والحكيم إن فكر ارتقى ، وإن عبر انتقى . فالحكمة بنت الفكرة العالية ، فى العبارة الغالية ، بل هى من الأدب غايته ، ومن البيان آيته . و كثيراً ما تمتُ إلى الشعر بلحمة ، (وإن من الشعر لحكمة) إلا أنها ليست حكما لطبع جائر ، ولا وحياً لشعور ثائر . بل تجىء عند هدوء النفس ، واعتدال الحس ، بعيدة عن عسف الغلواء ، بريئة من سرف الأهواء .

الأدب والفن في أسبوع

الثقافة والمثقفون :

هذا هو عنوان المحاضرة التي ألقاها الدكتور محمود عزمي بك يوم الثلاثاء الماضي في الاتحاد الثقافي المصري .

تتبع المحاضر مدلول الثقافة في العصور المختلفة حتى العصر الحديث ، وانتهى من ذلك إلى تعريف « الثقافة » بأنها الجانب العقلي للحياة الاجتماعية ، وأنها تشمل المعارف ذات الأثر العملي النافع في الحياة ، فهي شاملة بمعنى أن المثقف هو الذي يأخذ من كل فن بطرف ، وهي ذات صبغة حيوية لارتباط المعلومات بالحياة العملية الواقعة .

ولذلك لا يعد الباحث المختص في أي فرع من فروع العلم ، أو فن من الفنون ، مثقفاً ، ما لم يلم ببقية العلوم والفنون إلماماً نافعاً . وأشار المحاضر إلى ما توصف به الثقافة من نحو « الثقافة الفرنسية » أو « الثقافة العلمية » قائلا إن معنى الشمول الذي تدل عليه « الثقافة » لا يتفق مع هذا التخصيص .

وقال إن الكلمة التي كانت تدل على ذلك المعنى الشامل لألوان المعرفة في العصور العربية المتوسطة ، هي كلمة « أدب » فقد كانت تطلق على الشعر والنثر والتاريخ والفقه والتفسير والحديث والفلسفة والمنطق وغير ذلك . ولكن في العصر الحديث أخذت كلمة « أدب » المعنى الفني المعروف . وهنا قص المحاضر قصة طريفة تدور حول البحث عن كلمة عربية تقابل كلمة « كالتير » الإفرنجية حتى اهتدى إلى « الثقافة » فأطلقت على هذا المعنى . قال : كنا طلبة في باريس من مختلف البلاد العربية في وقت ثار فيه هناك جدل حول معنى الثقافة ، فألفنا جمعية أسميناها « جمعية التهذيبات العربية » ولما عدت إلى مصر واشتغلت بالتدريس ، كنت أحتاج إلى كثير من الأسماء العربية للمدلولات الحديثة ، ودلني بعض الناس إلى كتاب « المخصص » لابن سيده ، فاستفدت كثيراً منه ، وقيل لي إنه مما ينفع في هذا المجال مؤلفات خريجي دار العلوم الذين تعلموا في بعثات بأوربا ، وقرأت هذه المؤلفات ووجدت فيها كثيراً مما أطلب ، ومرة وقفت على كتاب لأحدهم وهو الأستاذ حسن توفيق العدل ، اسمه « سياسة الفحول في تثقيف العقول » فأمسكت بكلمة « تثقيف » وراجعت بعض المعاجم حتى وجدت في « أساس البلاغة » كلمة « الثقافة » بمعنى طلب العلوم والمعارف ، ثم كتبت مقالا بجريدة السياسة عنوانه « الثقافة البيضاء المتوسطة » فعقب عليه الدكتور طه حسين في فصل من فصوله التي كان يكتبها بعنوان « حديث الأربعاء » واستحسن كلمة « الثقافة » ولكن لم يعجبه وصفها بالبيضاء المتوسطة .. ذاهباً إلى أن الإضافة أحسن فيقال « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » بدلا من ذلك العنوان .. وبعد ذلك سارت الكلمة حتى الآن . وقال المحاضر إنه رجع إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية وسأل عن مكان كلمة « الثقافة » في أعماله ، فقيل له إن المجمع لم يتعرض لها بشيء إلى الآن ، سوى ما تضمنته الأصول المعدة للمعجم الوسيط من أن « الثقافة » هي الإلمام بالمعارف المختلفة إلماماً حسناً .

تصوير الكاتب لغير بيئته :

نشط الأستاذ محمود تيمور بك أخيراً في الكتابة عن القضايا والمذاهب الأدبية ، ومن ذلك ما نشرته له مجلة « الاستديو » في عددها الأخير بعنوان « هل يحيا القصاص حياة أبطاله ؟ » وقد تعرض في هذا المقال لاتصال الفنان ببيئته وغير بيئته وأثر ذلك في فنه ، وقال « ولبعض النقاد عذرهم فيما يرتأون من أن القاص يجب أن يكون قد مارس حياة الصعلكة مثلا ليجيد التصوير لشخصية الصعلوك ، وأن يكون قد عاش عيشة الفلاح ليتحدث عن نفسية الفلاح » ثم قال : « على أن هذه الفكرة في وجاهتها وأصالتها ، وفي صدق أمثلتها ، ليست كل الرأي في هذا الصدد ؛ ولا يمكن أن تكون هي الحتم اللزام الذي لا سبيل غيره إلى تجويد وإتقان ؛ فقد يكفي أن يخالط الفنان طبقة من الناس ، ولوناً من الحياة ، نوعاً من المخالطة قل أو كثر ، فسرعان ما يتأثر بهذه الطبقة وذلك اللون ، وسرعان ما يجد في هذا التأثر مدرجة لإجادة الوصف والتعبير ، تسعفه الفطنة ، وتمده البصيرة ،

ويحلق به الخيال فى الآفاق والأعماق » .

وقال أيضاً : « ومن الطريف أن فى صميم الميدان الأدبى أمثلة تثبت عكس ما يراه النقاد من أن ابن البيئة أولى من يجيد تصويرها ، فقد يكون الفنان نزاعاً إلى نوع من الحياة غير الذى يحياه ، طلاعاً إلى جديد من العيش ، وإن كان أدنى من عيشه ، وأحفل بالمشقة والكبد ؛ فيبعثه الحرمان والنزوع إلى تمثل تلك الحياة المنشودة والاستمتاع بها فى عالم الخيال ، ومن ثم يستبين تعبيره قوياً حياً يصور بيئة غير بيئته ، وطبقة غير طبقته ، وحياة غير حياته » .

ولك أن تلاحظ أن ذلك ينطبق على الأستاذ تيمور نفسه ، لما يشيع فى قصصه من تصوير ألوان من الناس بعيدة عن حياته فى طبقته ، فهو إذ يفصل القول فى هذه القضية ، إنما يصدر عن إحساس وتجربة . على أننى أضيف إلى ما بينه ، أن الفنان الذى يطرأ على بيئة جديدة يسترعى انتباهه فيها ما يراه الفنان المقيم بها أمراً عادياً لا يستحق الالتفات ، لطول الألفة والمباشرة

مثال :

ثم أريد من تلك الفقرات التى نقلتها من كتابة تيمور أن تكون مثالا لتعليق « الرسالة » على ما كتبه الدكتور الأهوانى بالعدد الماضى عن أسلوب تيمور ، ولعله يرى أن هذه الكتابة أقرب إلى « ترسل الجاحظ » منها إلى كثير مما يكتبه بعض الكتاب فى هذه الأيام ... وهى كتابة تيمور التى عدّ الدكتور من مزاياها أن تبعدنا عن ترسل الجاحظ ! ..

معرض الكتاب للطفل والناشىء :

أقامت وزارة المعارف بدار خدمة الشباب (٧ — شارع سليمان باشا) « معرض الكتاب للطفل والناشىء » وهو يضم مجموعات من الكتب العربية والإنجليزية والفرنسية والأمريكية الخاصة برياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية ، وقد شاهدت بينها مجموعة لا بأس بها من الكتب الأدبية العامة (غير المدرسية) وقد ضمها المعرض لأنها مقررة للقراءة الأدبية فى مكتبات المدارس الثانوية ؛ والمعرض بطبيعة الحال لا يضم كل الكتب المؤلفة للطفل والناشىء ، وإنما يحتوى على كثير منها ، ولا سيما الكتب غير العربية ، والمعروض منها هو المستعمل بمصر فى المدارس المصرية أو الأجنبية ، ومع هذا فإن القسم العربى أقل من كل قسم من الأقسام الأخرى ، ولم يعجبنى أن تأخذ هذه الأقسام صدارة المكان ، فقد كان يجب أن يتقدم القسم العربى مهما كان حظه من الكمية والمادة والمظهر .

والغرض من هذا المعرض أن يقف الزائرون من رجال التعليم والمؤلفين والناشرين والآباء والأمهات — على مدى ما وصلت إليه كتب الأطفال والناشئين . وقد رأيت المعرض زاخراً بعدد كبير من السيدات « الأجنبيات » يتأملن ويتصفحن باحثات عن الغذاء العقلى لأولادهن ، وأرسلت البصر فى جوانب المكان فلم تقع عينى على امرأة مصرية .. وليس ذلك لاحتجابها ، فقد رفع الحجاب ؛ ولا لاحتشامها ، فهى فى السينما ...

الطبيعة بين الشعر والعلم :

ألقى الدكتور محمد حسين هيكل باشا يوم الجمعة الماضى محاضرة بنادى رابطة خريجى معاهد فرنسا وبلجيكا وسويسرا ، كان موضوعها « الطبيعة بين الشعر والعلم » استهلها ببيان أنه سيتحدث حديثاً قوامه رواية مشاهد وليس القصد منه التفكير فى نظريات أو مذاهب وآراء . ثم بدأ بالحديث عن « مساقط النياجرا » التى تقع بين أمريكا وكندا ، فقال إنها من عجائب الدنيا السبع ، ومناظرها بما يحيط بها من حدائق من أجمل مناظر الدنيا ، ومن عجيب أمرها أن المقبل عليها لا يبهره أول ما تقع عليه عينه من مشاهدها ، ولكن كلما أنعم الناظر فى مفاتنها أحاط بها وتجلت له عظمة الطبيعة على نحو يعجز عن وصفه أبلغ الكتاب وأقدر الشعراء . وحول هذه المساقط جنات فسيحة متدرجة فى الارتفاع بحيث يرى الإنسان المساقط من أى مكان فيها . ومما يزيدها جمالاً بالليل ما يسلط عليها من الأشعة الكهربية الملونة ؛ وكل ذلك قد جعل منها بحق « جنة شهر العسل » وهنا ساق هيكل باشا دعابة قال فيها إنه عندما زار هذه المساقط لم يكن مثل الكثيرين الذين يقضون فيها شهر العسل ، لأن الذى كان يرافقه إنما هو الأستاذ جورج حبيب سكرتير فنى مجلس الشيوخ .. ولذلك لم يكن تأثيرها الشعرى فيه بالغاً ، وإنما راعه كثيراً ، عناية أهل تلك الجهات باستخدام العلم فى تجميلها

والانتفاع بها ، فأنشأوا مهابط كهربية (عكس المصاعد) تهبط إلى عمق خمسين متراً في الأرض ، فإذا نزل النازل لبس ثياباً من الجلد لأنه يكون قريباً من مستوى رشاش الماء ، فيستمتع بمنظر لا مثيل له ؛ وبالقرب من المساقط محطة كهربية قوتها حوالى ١٧٥ حصاناً كلها مستمدة من مياه المساقط التي تنحدر إليها في جوف الأرض . ثم قال : هناك يشعر الإنسان بقوة الطبيعة وعظمة العلم . قلت في نفسي وقد شهدت المساقط والمحطة الكهربية : أيهما أبدع وأروع سحر الطبيعة أو عقل الإنسان ، الطبيعة كما هي أو بعد تهذيب الإنسان لها وتسلطه عليها ؟ أعتقد أن علم الإنسان حين يختلط بالطبيعة وحين يندمج فيها ، هو بعض هذه الطبيعة ، كالصخور التي تتغير أوضاعها بفعل الطبيعة ، فالإنسان قوة من قوى الطبيعة .

ثم إنتقل هيكل باشا إلى « الريفيرا » فتحدث عن جمالها واقتران العلم بالشعر هناك أيضاً ؛ وقال إن زرقة البحر الأبيض المتوسط جميلة في الإسكندرية ومرسى مطروح ، وفي غيرهما ، ولكنها لا تبدو رائعة أخاذة كما تبدو على ساحل « الريفيرا » الممتد من مرسيليا إلى جنوة . ثم قال : منذ ثماني عشرة سنة زرت الأقصر ، وركبت الباخرة منها إلى أسوان ثم من أسوان إلى القاهرة ، وكنت في خلال الرحلة أشعر بالرضى والطمأنينة لجمال النيل وزرقة مائه ولما كنت أستشعره من الآثار المصرية القديمة القائمة على شواطئه ، ولكن هل استطعنا أن نخلق على شط النيل « جنة لشهر العسل ؟ » ونحن نخطر فوق مياهه فهل ارتقينا « بالإنسان » المقيم في واديه إلى مرتبة الإنسان ؟ لا أزال أذكر منظراً رأيته مكرراً في تلك الرحلة ، الفلاح يزرع قطعة من الأرض يقتات منها هو وعياله ، ينقل الماء إليها من النيل بوساطة رجل عنده المجرى يرفع الماء إلى ثان ، والثاني يرفعه إلى ثالث ، والرابع يوزعه على الزرع . ولا شك أن الحال لم تتغير إلى الآن ، وقد بلغنا عن طريق العلم ما بلغنا في معرفة طرق رفع المياه ، ولكن لم نستخدمه في راحة هؤلاء الناس .. أليس مما يجرح القلب أن نهمل هؤلاء الناس وندعهم يشقون ؟ أليس واجباً أن نعمل وأن ننشر آراءنا في الناس ؟ أقول هذا وأنا أعترف أني من المسئولين عن التقصير في هذا المجال ...

من طرف المجالس :

اعتدت أن ألتقي ببعض الأصدقاء يوماً من الأسبوع بمشرب في القاهرة ، وكثيراً ما أجد هناك من لا أرتاح إلى مجلسه ، فأعتبر ذلك ضريبة للقاء الأصدقاء !

وذات يوم أقبل علينا صديق من غيبة طويلة ، ففرحنا به وشاعت البهجة في نفوسنا لقدومه . وبينما نحن نمرح ونمزح إذا « ضريبة تصاعدية » تفرض علينا في شخص صاحب يأبى إلا أن يكون شاعراً ، قد أعد قصيدة طويلة من الشعر « الوسط » فنغص علينا بإلقائها على أسماعنا ... والبلوى بهذا الصاحب أنه لا عيب فيه إلا شعره الذي يحرص على ألا تفوتنا بدائعه ! فلو أنه ممن لا تقتضى صحبته المودة لسهل التخلص من الإنصات لإنشاده ..

أفضيت بأمر هذا الشاعر إلى الأستاذ كامل كيلاني ، فابتسم ثم قال : ألا تعرف أني قلت في مثله أبياتاً منها :

فزكاة صحبته سماع قصيدة أبياتها قد زلزلت زلزالا
فإذا أبيت فقد عققت صداقة وإذا رضيت فقد حملت جبالا

أوربا فقط :

دعت رابطة « مصر — أوربا » إلى حفلة ساهرة يوم الخميس الماضي بالنادي اليوناني الذي تتخذه مقراً مؤقتاً لها ، أو هكذا تقول .. فقد كان كل ما في الحفلة التي دعت إليها « رابطة مصر — أوربا » أوربيا ، كان هناك موسيقى أوربية وغناء أوربي . أما مصر ، وهي الشطر الأول من اسم الرابطة ، فلم يكن يدل عليها هناك إلا الطربوش رئيس الرابطة المصري . وكانت الرابطة قد دعت قبل هذه الحفلة بنحو أسبوع إلى سماع محاضرة لأحد الأجانب باللغة الفرنسية ، ولم تدع مرة إلى محاضرة عربية ، فلماذا لم يسموها « رابطة أوربا » من غير إقحام مصر المسكينة .. ؟

هل رابطة « مصر — أوربا » اتحاد مصري انجليزي آخر .؟

التأليف المسرحي :

عانت الفرقة المصرية في العام المتصرم أزمة في التأليف المسرحي فلم تقدم في هذا الموسم من الروايات المؤلفة الجديدة سوى رواية



فلسطين والأدب :

قرأت ما كتبه « فتى الفيحاء » فى العدد السابق من (الرسالة) فاهتز كيانى وكادت تذهب نفسى حسرات لما قارنت بين موقف أدبائنا وشعرائنا من أبناء وطنهم وأشقائهم ، وموقف بيرون الشاعر الانجليزى من يونان .

فبيرون لم تكن تربطه باليونان لغة أو وطن أوجنس ، ومع ذلك أبت عليه نفسه أن يرى طلاب الحرية وخطاب المجد يكافحون الناصب ويدفعون المحتل ولا يكون لهم من نصرته نصيب ، فهجر راحته ووقف نفسه على اليونان ليكون له فى إعانة الضعفاء قسط وفى بناء الحرية مقام .

فصرخت من أعماق نفسى وا خجلتاه ! أعقمت الأمة العربية فلم تلد بيرونا واحداً ؟

ولكن سرعان ما تبدل الخوف أمناً حين رأيت (الرسالة) تفتتح معركة فلسطين الأدبية فأرسلها صاحبها(١) مدوية مجلجلة تنعى على ساسة أوربا وقادة أمريكا لصوصيتهم الكافرة وصليبيتهم المتطرفة ، وتأليبهم الجائر على العرب ابتغاء مرضاة يهوذا ومصانعة لأبناء صهيون . ثم ثنى على ذلك(٢) فصور نفسية اليهودى وقد اقتربت الفريسة منه بعد أن أحكم لها الشباك ، ثم بدا له فارتد عنها مذعوراً ، فلم يغره فى هذه المدة وهج الذهب الذى عبده منذ خلق ، ولم تأمره السادة التى ما زجت نفسه وانحدرت إلى عروقه من أسلافه ، لأن ذلك قد يعوق سير الصهيونية ويضر مصلحة إسرائيل . ثم ثلث(٣) فأنذر بقيام ساعة العرب قريبا وكيف لا تكون قريبة وقد استنوق الجمل واستجملت الناقة ، فحمل اليهود السلاح ومهدوا الحرب وأحرزوا النصر واحتلوا المدن ؟

ثم انتظرنا بعد ذلك أن يستجيب أدباؤنا الكبار لنداء العروبة والأخوة فتتوارد على (الرسالة) مقالاتهم وقصائدهم لتسجل فى ديوان العرب المشترك محنة فلسطين ، فتشجع الخائف وتطمئن الحائر وتضيف عزيمة إلى عزائم المجاهدين . انتظرنا أن يحرك سقوط حيفا ومذابح دير ياسين وتشريد أبناء فلسطين مواطن العطف من نفوس شعرائنا فيبرز رثاء لمن استشهد ، ومواساة لمن شرد ، وناراً تلظى على نفاية البشر وشذاذ الآفاق !

ولكن انتظارنا ذهب عبثا !

وبعد فأنا لنرجو من أدبائنا أن يصححوا موقفهم من فلسطين وأن ينظروا من أبراجهم العاجية بمنظار يكبر لهم الآلام الشديدة والمحن القاسية ليروها ، فينصروا أهلها بألسنتهم وأقلامهم ويضموا إلى مجدهم الأدبى شرف الجهاد فى سبيل حماية المسجد الأقصى وعروبة فلسطين .

(شبرا) **أحمد الجنادى**
عضو البعثة السورية

(١) الرسالة عدد ٧٥٤ .
(٢) العدد ٧٥٦ .
(٣) العدد ٨٧٤ .

واحدة هى « الناصر » لعزيز أباظة باشا ، وباقى ما قدمته إما مترجم أو مقتبس أو مؤلف قديم . ولم يبد إلى الآن ما يدل على انفراج هذه الأزمة ، على رغم ما قيل من اعتماد مبالغ من المال لتشجيع التأليف للمسرح .

ومما يدل على ذلك أن لجنة ترقية التمثيل العربى ، لما أرادت أن تكمل هذا النقص فى وضع برنامج الفرقة فى الموسم القادم ، قالت إن الظروف الحاضرة لا تسعف الفرقة بالمسرحيات التى تؤدى رسالة الأدب المسرحى الرفيع على الوجه الأكمل ، وهى لذلك ترى ضرورة الاستعانة بالمسرحيات القديمة التى سبق أن أخرجتها الفرقة القومية وأحرزت النجاح . ومن هذه المسرحيات « مجنون ليلى وكليوبترا » لشوقى ، و « قيس ولبنى والعباسة والناصر » لعزيز أباظة ، و « حواء الخالدة » لمحمود تيمور ، وتقدم مع هذه الروايات مسرحيات مترجمة سبق إخراجها وتمثيلها أيضاً .

وقد انكشفت الضجة التى ثارت حول المسرح فى أواخر هذا العام ، عن انضمام يوسف وهبى إلى الفرقة المصرية ، أما تزويد الفرقة بمؤلفات مسرحية جديدة فلا تزال بإزائه علامتا أسف واستفهام ..

العباس

حول الفن الإنساني :

قلت في العدد الماضي من الرسالة وأنا أتحدث عن الفن الإنساني ، إن قصة « أدولف » للكاتب الفرنسي بنجامان كونستان تعد في رأي النقاد أكثر القصص الذاتية بقاء على الزمن ، لأنها أكثرها إنسانية .. فهي أبقى من « آلام فرتر » لجوته و « رينيه » لشاتوبريان و « رفائيل » للامرتين ؛ وإن الفارق بينها وبين « أدولف » هو الفارق بين الفن التصويري الذي يقف بك عند فترة من الزمن لا يتعداها ، وبين الفن الإنساني الذي يتخطى حدود الزمان والمكان .

قلت هذا فعقبت الرسالة عليه بقولها : إن هذا رأى نسمعه لأول مرة ، فكان على الكاتب أن يذكر النص الذي اعتمد عليه ، والدليل الذي استند إليه

وردى على هذا التعقيب هو أنى كتبت في مجال العرض والتحليل لا في مجال التحقيق العلمى .. وإذا كانت الرسالة تريد النص والدليل ، فحسبى أن أنقل للقارئ رأيين في « أدولف » يتفقان في المعنى وما ذهبت إليه ، أحدهما للكاتب الفرنسي الكبير بول بورجيه ، والآخر للناقد الفرنسي فردينان برونتيير . يقول بورجيه : « إن أدولف لتعد مثلا أعلى للقصة الذاتية ، ولقد بقيت من كل القصص التي ظهرت في القرن التاسع عشر أحفلها بالحياة ، وأكثرها إنسانية ، وأشدها أسراً للشعور ، ولا توجد قصة أخرى تهزنى كما هزتنى هذه القصة » . ويقول برونتيير : « إن أدولف قصة إنسانية لا يمكن أن ترقى إلى حقيقتها التحليلية قصة أخرى » . ويلاحظ أن الرأى الأول قد شمل في مجال التفضيل قرناً كاملا هو القرن التاسع عشر ، وفي هـذا القرن ظهرت آلام فرتر ورينيه ورفائيل .

وإذا كانت الرسالة تريد دليلا فحسبى أن أقول إن كلا من القصص الأربع تصور حياة مؤلفها ممثلة في عواطفه الإنسانية وتجاربه النفسية .. وهنا يقف الناقد ليلمس ظاهرة فريدة تحدد القيم الذاتية للأثر الفنى ، هى أن « أدولف » تصور العواطف الإنسانية عند كونستان وغير كونستان ، من أصحاب الشعور والوجدان . . وأن آلام فرتر ورينيه ورفائيل لا تصور هـذه العواطف إلا عند جوته وشاتوبريان ولامرتين !

هذا حكم يصدره النقد إذا ما أقام الدراسة الفنية على أسس وطيدة من الفهم النفسى ، ولا عجب بعد ذلك إذا ما قررت أن أن الفارق بين « أدولف » وبين القصص الثلاث هو ما ذكرت ولعلى أكون قد قدمت النص والدليل ...

أنور المعداوى

(الرسالة) : لا ، يا أستاذ أنور ! إن شرط النقل الصحة ، والصحة لا تتحقق في النص إلا إذا نقل بلفظه من كتاب معلوم ، وصفحة مرقمة ، وطبعة معينة . أما دليلك فلا ينهض إلا إذا أثبت بالطريق العلمى أن الإنسانية في جوته وشاتوبريان ولامرتين من نوع خاص فتعبيرهم عنها لا يعم ، وأنها في كونستان وحده من نوع عام فتعبيره عنها لا يخص . ويبقى أن تقنعنا إذا سلمنا لك صحة النقل أن هذين الناقدين الفرنسيين قد حكما لأدولف هذا الحكم بالنسبة للأدب الأوربى لا بالنسبة للأدب الفرنسى حتى يجوز أن يدخل (فرتر) في هذا الحكم

شرح وإيضاح :

أراد الأستاذ الفاضل السيد على زين العابدين منصور في العدد ٧٧٣ من مجلة الرسالة الغراء ، أن نوضح له كيف جوزنا لفظة « نداماء » الواردة في قصيدتنا « قلب شاعر » المنشورة في العدد ٧٧١ من الرسالة الغراء :

حتامَ أظمأُ والأقداحُ دائرةٌ مثل الكواكب ما بين النداماء

مع أنه بحث في قاموس « الفيروزابادى » في مادة « ندم » فلم يجد لها جمعاً سوى ، ندماء ، وندام ، وندامى . ونود أن نقول للأستاذ منصور أن مد المقصور وقصر الممدود ضرورة من الضرورات التي أجازها علماء العروض ، ولما كانت لفظة ندامى — مقصورة فيكون مدها « نداماء » وكذلك لفظة « مولاى » مقصورة ، وعند مدها يقال « مولاء » وقد استعمل ذلك أبو نواس كثيراً في شعره ، فقال من قصيدة منشورة في ديوانه المطبوع بالمطبعة الحميدية المصرية عام ١٣٢٢ هـ ص — ٢٠٢ في باب الخمريات :

إنى لأشرب من عينيه صافية صرفاً وأشرب أخرى مع نداماني

وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

يا رب مجلس فتيان سموتُ له والليلُ محتبس في ثوب ظلماء

ولا نظن أن أبا نواس الشاعر ، وهو حجة في اللغة ، يورد لفظة في شعره دون أن يكون متأ كداً من أن علماء اللغة أجازوها

أما قول الأستاذ منصور أن فعل « صبا » يتعدى بـ « إلى » لا بـ « اللام » في قولنا « إن لم تكن روحه تصبو لعلياء » فهذا اعتراض ضعيف لأن « اللام » تقوم مقام « إلى » في كثير من الأحايين . فنحن نقول : ذهب إليه وذهب له ،

(البقية على صفحة ٦٠٥)



فى الأدب الحديث(*)

تأليف الأستاذ عمر الدسوقى

الأستاذ عمر الدسوقى من أدبائنا المبرزين ، الواسعى الاطلاع ، الدائبين على البحث والتنقيب ، القادرين على التمحيص والتحقيق ، وهو ذو قلم بارع سيال ، وأسلوب قوى متين ، يشهد له بتمكنه من الآداب العربية والآداب الأجنبية على السواء .

أخرج لنا حديثاً كتابه « فى الأدب الحديث » وهو من الكتب الجليلة القيمة التى استوفت حظها من البحث والتحقيق ، ولقد قرأ مؤلفه الفاضل واستقصى كل ماله علاقة بالأدب الحديث حتى بلغت مراجعه أكثر من خمسة وثمانين مرجعاً بعضها عربى وبعضها أجنبى ، وبعد أن هضم هذه المراجع أخرجها لقراء العربية فى هذا الثوب القشيب ، المركز المعلومات ، الممحص الباحث ، فى أسلوب عربى مبين ، وعرض رائع جذاب .

استعرض المؤلف الفاضل الأدب الحديث من يوم أن بدأ يحبو إلى أن شب واكتهل وصار مارداً عملاقاً فى جيلنا الحاضر .

استعرض النهضة فى عصر محمد على . شارحاً السبل التى سلكها للنهوض بالشعب المصرى ، ورفعه إلى مستوى الأمم الناهضة ، مبينا أن الاتجاه فى عصر محمد على كان علمياً بحتاً لحاجة النهضة إلى العلوم ، وأن الآداب لم يكن لها إلا نصيب ضئيل ، ثم انتقل إلى عصر اسماعيل فتكلم عن النهضة فى عصره ، وعن الجمعيات العلمية التى قامت ، والمدارس الأدبية التى نشأت ، مترجماً لأصحاب هذه المدارس ، وواقفاً عند البارودى باعث الشعر الحديث وقفة طويلة ، خرج منها مبيناً إلى أى حد حاكى البارودى القدماء وقلدهم ، وإلى أى حد جدد واخترع . وعرج منها على النهضة فى بلاد الشام مبيناً أثر الإرساليات التبشيرية فيها ، وانتقل من ذلك إلى النهضة الجديدة فى الأدب العربى التى اتخذت لها لوناً خاصاً ، والتى ظهر فجرها فى أخريات إسماعيل وعهد توفيق حينما منيت مصر بالاحتلال الأجنبى وازدياد نفوذ الأجانب وما كان من تنبه المصريين إلى الخطر الداهم ، ومصادفة ذلك وجود السيد جمال الدين الأفغانى الذى ألهب النفوس وحرك العزائم وأيقظ الهمم ، وما كان من جراء ذلك من ظهور الأدب القومى .

ثم انتقل إلى الكلام عن الاحتلال الانجليزى وفرض اللغة الانجليزية على تلاميذ المدارس المصرية ، وما كان من أثر ذلك من اتصال الأدب العربى والفكر العربى اتصالا مباشراً بالفكر الغربى ، وما كان من أثر هذا من اتجاه الأدب العربى إلى المسلك الذى سلكه حتى يومنا هذا .

ولقد بين إلى أى حد أثر الأدب الغربى فى الفكر العربى وفى ألوان الأدب واتجاهاته وأساليبه نثراً وشعراً ، دارساً بعض الألوان الجديدة التى قدمت للقارىء فى أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وبعد أن بين ما للترجمة فى النهضة الأدبية الحديثة واتصال بالفكر الأوروبى بين ما للمستشرقين من جهد فى سبيل اللغة العربية وآدابها وبحث العقيدة الإسلامية ومذاهبها ، ونشر ماعفت عليه الدهور وأغفلته يد النسيان من كنوز اللغة العربية معرفاً بأشهر المستشرقين المحدثين ومنتهياً من ذلك كله إلى الكلام عن القصة والمقالة ، وهما الثوبان الجديدان اللذان ظهر فيهما النثر الحديث .

ولقد دعاه كلامه عن القصة إلى أن يتعرض بالتخطئة إلى ما قاله المستشرقون ومن حذا حذوهم كالأستاذ أحمد أمين بك ، من عقم الخيال العربى لخلو الأدب العربى من القصة ، على أننا نخالف الأستاذ عمر الدسوقى فى ذلك ونؤيد الأستاذ أحمد أمين بك ، وسنفرد هذا ببحث خاص ليس هذا مقامه .

والحق أن هذا الكتاب فى رأينا من أحسن المؤلفات فى دراسة هذا العصر الحديث ، ولقد وفق فيه مؤلفه توفيقاً كبيراً يستحق عليه كل شكر وإعجاب .

(كرمة ابن هانىء) كمال بسيونى

(*) أخرجته حديثاً مطبعة الرسالة

تربية سلامه موسى

تأليف الأستاذ سلامه موسى

ما قرأت فى اللغة العربية سيرة كتبها صاحبها عن نفسه خالفه فيها توفيق كالتوفيق الذى أصابه الأستاذ سلامه موسى لما سجل أخيراً سيرته وأصدرها فى كتاب عنوانه « تربية سلامه موسى » . فهو كتاب أصيل فريد يمتاز بالصدق والإخلاص ، ويبسط آراء الكاتب وانفعالاته وما استثاره من أحداث ، وما استفزه على التفكير ، ويرد لأساتذته المفكرين ديناً ، ويرشد أبناء الجيل الجديد إلى وسائل الكفاح الذهنى وطرق التجاوب بين الإنسان والمجتمع الذى يحيط به .

والأستاذ سلامه موسى إنسان ، بشرى ، يؤمن بالإنسانية وبالبشرية ، ويرى أن العالم « قرية » لجميع قطانه ، وأن الفضيلة موجودة فى كل مكان حتى عند الزنجى الجلف الذى جافته الحضارة وطمست الجهالة مسام ذهنه . وهو ما فتئ يعطف على كل كائن : على الفراشة ، وعلى الدابة ؛ وما برح يؤكد كل حركة إصلاحية مستقبلية ، سواء كانت هذه الحركة من جانب المرأة للتحرر من قيود الرجعية الآسرة ، أو من جانب المستذلين من الشعوب ، أو من جانب الراسفين فى أغلال الجهل الواقعين فرائس للمرض والفقر . والأستاذ سلامة صريح صراحة غير مألوفة فى مصر وفى الشرق ، حتى إنه ليقول عن نفسه « أخطأت حين اعتنقت المذهب النباتى » و « كتبت مقالا عربدت فيه وفسقت » ويقول « وقعت فى فجر شبابى فى عربدة جنسية ذاتية » ويقول « تقاضيت جنيهين فى شهر مرتباً من وزارة الشئون الاجتماعية » ، ويوغل فى اعترافاته إيغالا لا ضابط له إلا الحقيقة .

وقد يسأل القارئ : وما دخل « حياة » سلامه موسى فى « تربيته » ؟

والواقع أن الأستاذ سلامه ما سرد سيرته إلا ليوطئ بها لبسط فلسفته فى التربية والتهذيب الذاتى . فهو يتحدث عن نشأته والبيئة التى أنبتته والمشكلات التى اعترضته ليبين كيف تسنى له أن يستجيب لهذه العوامل وكيف تحقق له أن يتلمس أسباب الملاج فكان يصيب أحياناً ويخطئ أحياناً شأن كل راغب فى الاستطلاع ، تواق إلى تحصيل معارف كونية موسوعية .

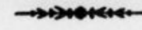
وناحية ذات شأن تعرض لها الكاتب فى كتابه هى الحديث عن تاريخ الكفاح المصرى فى سبيل الاستقلال ، والجهاد لنفض غبار الاستعمار عن أديم الوادى ، وتصويره لهذه الأحداث تصوير انفعالى قوى . ألا ترى كيف بكى يوم قال له فرنسى وقح « الانجليز أسيادكم » وعاد إلى فندقه يتبرز دماً ومخاطاً . ألا ترى كيف أن حادث دنشواى الفاجع جعله فى حالة غثيان وذهول لا يستطيع الطعام أياماً . أو لا ترى أن الشئ الوحيد الذى أعرب الأستاذ سلامه عن أسفه عليه فى كتابه هذا هو أن الرقابة قيدت حرية كتابته خمسة عشر عاماً فى الحربين العالميتين الأولى والثانية . لم يأسف على فقد أمه ولا على فقد شقيقاته ولا على السجن الذى زج به فيه قدر أسفه على تكبيل حرية قلمه فى هذه الفترة الطويلة .

والأستاذ سلامه يعيش للمستقبل لا للماضى فيقول إن الطاقة الذرية أنشأت عنده مركب نقص ما فتئ يعانيه منذ ما انفجرت قنبلة نيومكسيكو ثم قنبلة هيروشيما . ويقول إنه فى السنوات العشر القادمة — إذا جاز له أن يرجو مد عمره فيها — سيدرس الذرة درساً مستفيضاً ولو اقتضاه ذلك استئجار مدرس خاص لأن خطورتها أكبر من أن يهملها رجل مثقف . وأمنيته فى هذه السنوات التى لما تجئ هى أن يزور أوربا ويطوف فى أرجائها ، ولكنه يخشى إن فعل أن تعمد السلطات المصرية إلى تجريده من جنسيته كما فعلت من قبل بالأستاذ محمود حسنى العرابى حين انتهزت فرصة سفره إلى ألمانيا وجردته من جنسيته لا لسبب إلا لدعوته التحررية الفكرية . وهو يريد أن يختم حياته فى الريف المصرى لأنه يرى فيه جمالا لا يراه فى المدن ، يريد أن يصادق الخراف والحمير والبقر والشجر ، يريد أن يتحدث إلى النجوم ويحيى الشمس فى الصباح ويضحك مع الماء يجرى بين النبات ويأكل الخس والفجل على حرف القناة .

وبعد ، فهذا كتاب تلونه مرتين وأرجو أن أتلوه مرتين أخريين على القليل فقد شغل تفكيرى ونشط حواسى وأنهض

الفعل الارادى

تأليف الدكتور أبو مدين الشافعى



فى مصر اليوم حركة ظاهرة ونشاط ملموس من جانب المهتمين بالدراسات النفسية .

ولدراسة علم النفس مكانتها فى العصر الحديث ولقد فطنا فى مصر أخيراً إلى هذا ، فصار عندنا علماء أفاضل يعملون على نشر علم النفس ودراسته بالأساليب الحديثة والوسائل العلمية .

والكتاب الذى أعرض له الآن ، هو للدكتور أبو مدين الشافعى مدرس علم النفس بكلية الآداب ، وهو نتيجة دراسات طويلة وتجارب كثيرة وعمل متصل فى هذا الباب . ولذا استوفى الكتاب جانب العرض النظرى للافكار المتعلقة بالإرادة والأعمال الإنسانية وفكرة الجبر والاختيار ، كما أنه شمل كثيراً من التجارب الدقيقة التى استفاد الدكتور من إجرائها إيمانه الشخصى بالعمل الذى يؤديه والنتائج التى يقول بها غير معتمد فى هذا على الأعمال التى انتهى بها مؤلفو الغرب وعلماؤه إلا من ناحية التوجيه والأسلوب فحسب . ولذلك كثيراً ما تراه يخالف الرأى الذى يذهبون إليه ويجمعون عليه خصوصاً وأنه فى دراسته إنما يهتم بالشخصية المصرية التى لها من الظروف والأحوال ما يختلف اختلافاً كبيراً عن سواها .

والذى يدلك على أن الدكتور يقدم إليك مادة استوفى بحثها واستكمل أداتها هو أنه قد تخصص فى هذا الموضوع بالذات . فله كتاب سابق هو كتاب الانتباه الإرادى وكتاب آخر باسم التعب . فدراسته ليست مرتجلة ، بل هى نتيجة تخصص وعناية طويلة بالموضوع . وهذا يظهر لك من قوله : « يمكن عد الانتباه الإرادى أهم ركن للفعل الإرادى ، إذاً فدراسة الانتباه هي المقدمة الضرورية لدراسة هذا الفعل . وعملية العزم تبدأ فى مرحلة الانتباه أو الاختباء وتنتهى بالتنفيذ »

فهو إذاً قد نظم عمله بحيث بدأ بدراسة الانتباه ليخلص فى النهاية إلى دراسة الفعل الإرادى نفسه . وهو لا يدرسه نظريا على الطريقة القديمة ، وإنما يعمد إلى التجارب فيستمد منها الدليل على الخطوات التى يخطوها فى هذا السبيل . ولذلك كان عمله متصلاً بجسم الإنسان ونفسه معا بحسبانهما وحدة لا يمكن أن يدرس منها جانب على انفراد . « وليمكن الوقوف على هذه المرحلة من الفعل الإرادى لابد من إلقاء نظرة على أسسه البيولوجية لنوضح الفروق بين أنواع الفعل بوجه عام ، ولنصل إلى مميزات الفعل الإرادى ، وما هو دور الكف والتركيز فى عملية التنفيذ» وهو لا يعنى بالجسم وأوضاعه على هذا الوجه فحسب ، بل يؤمن أيضاً من ناحية أخرى بأنه لابد من بحث صلة الفعل الإرادى بالعوامل النفسية البحتة قبل التطور الذهنى والانفعال والضبط ، على أن يكون هذا البحث على نمط علمى بعد أن طال النقاش حوله فى الميدان الفلسفى » .

فأساس نظرته إذاً هو التكامل . وهذا يتجلى بوضوح فى محاولة الربط بين العوامل النفسية فى الفعل الإرادى وبين الحديث عن الوسائل التى تحدد لنا حالات الجسم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يقول بوجود صلة بين النشاط الإرادى وما يسميه بالمجال الحيوى وهو المجال الذى يضمن للشخص توازناً عاماً يحقق به أغراضه الحيوية . وعنده أن المجال الحيوى يتوقف على مجالات أخرى مثل المجال الجسمى والمجال الاجتماعى والمجال الطبيعى والمجال الذهنى ، فالمجالات الثلاثة الأولى يشمل كل منها المجال الذى يسبقه ، فالمجال الطبيعى يشمل المجال الاجتماعى ، ويشمل هذا بدوره

عزيمتى وأرشدنى إلى آفاق كان حرياً أن لا أقف عليها . كتاب بدل عندى قيم الأشياء وجعلنى أستمير من الطفل رغبته الدائمة فى الاستطلاع وإلحاحه المستمر فى الاستفهام والسؤال .

وكأنى بالأستاذ سلامه موسى يريد أن يقول لقرائه : كونوا كونيين ... إفتحوا أذهانكم لكل جديد ... لا تعيشوا بعيداً عن الواقع ... انهلوا من موارد المعرفة غزيراً ، ... قاوموا السلفية والتأخرية والجمود ... تعصبوا للبشرية عامة ... آمنوا فبغير الإيمان لا يكون للحياة معنى ... أطلبوا مزيداً من الحياة لتزدادوا ثقافة واتساع فكر .

وديع فلسطين

(المحرر بالمقطم — القاهرة)

المجال الجسمى ، وأما المجال الذهنى فإنه يربط بين هـذه المجالات كلها .

فهو إذن عالم يدرس مسـائل الاجتماع ومظاهر الطبيعة ، وحالة الإنسان ، ينتهى منها جميعاً إلى الرأى الذى يعمل به فى علاج الحالات المرضية المختلفة . وليس أدل على نزاهته العلمية من قوله : « ولم يكن بيير جانيه مخطئاً حين نسب إلى النشاط الحركى وإلى العمل العضلى قدراً من الجهود أكبر مما يبذله النشاط الذهنى ، وذلك لأن الأفعال الفكرية ، أفسح حرية من الأفعال الحركية الخارجية » . فهذا الرأى يخالف ما هو شـائع بين عامة الأدباء الذين يريدون أن ينسبوا إلى أنفسهم امتيازاً على العامة فى المجهود الذى يبذلونه ، والمشاق التى يتكبدونها ، والذين يقولون دائماً أن نشاط الذهن أثقل على النفس وأدعى للتعب من المجهود اليدوى .

والذى أعتقد أن الذى أفاد الدكتور كثيراً فى دراسته هو عنايته بالدراسة العملية من جهة واشتغاله بمعالجة الحالات المرضية من جهة أخرى . ولذلك كثرت فى كتابه الأمثلة التى يذكرها تأييداً لفكرته فى أنه إذا شئنا معالجة المرض النفسى فعلينا أولا وقبل كل شىء أن نغير من المجال الذى يعمل فيه الشخص المريض ، كما أنه من الواجب أن نوفر له الجو الذى يتلاءم مع طبيعة مرضه ؛ فالحالات المرضية الداخلة فى نطاق علم النفس تحتاج إلى معرفة طرق التغيير ولا تكتفى بالوقوف على الحالة الراهنة وعلى نوع المرض . ففكرة المجالات الحيوية من شأنها أن توجد لنا حلولا كثيرة لأمراض بقيت ألغازا إلى يومنا هذا وعلى هذا الأساس قال بصراحة الطبيب والعالم معا : « فالعدد الكبير من المصابين بالأمراض العقلية فى العالم لا يمكنه أن يجد الشفاء بين جدران المستشفيات ، ويتطلب أغلبهم مجالا خاصاً يساعدهم على استرجاع توازنهم العقلى وضبطهم الإرادى . فمن العبث إذاً محاولة علاج المصاب بالشعور بالنقص عن طريق الوعظ أو الحقن ، فلا بد من أن نضمه فى المجال الذى يرجع له ثقته بنفسه ليقاوم حسب مقدرته الخاصة » .

والذى آخذه على الدكتور هو أنه كان يذكر أحياناً كثيرة بعض أسماء العلماء باللغات الأجنبية دون محاولة ترجمتها صوتياً فى ألفاظ عربية . وكذلك كان يغفل أحياناً عند ذكر الكتب وأسمائها . والأفضل أن يذكر الكتاب بلغته الأصلية وبالترجمة العربية لاسمه فى الوقت نفسه . ومن حيث المراجع التى أشار إليها فى أسفل الصفحات تعد دقيقة ومتقنة ، بيد أنه ينقصها الترجمة بل إن الترجمة العربية لها وحدها تكفى طالب علم النفس والقارئ العادى . وآخذ عليه أيضاً أنه مقل فى الكتب التى يظهرها مع حاجتنا الماسة إلى مجهود كبير فى هذا الباب من الدراسات النفسية . ونحن فى بدء نهضة علمية من هذا النوع يفيدها الاطلاع والقراءة أكثر مما يفيدها عمل الدكتور الخاص فى معمله أو فى عيادته . وحبذا لو قام مع بعض تلاميذه بترجمة بعض الكتب الهـامة التى تعد من المراجع الأساسية فى علم النفس . وأما من جهة اللغة التى كتب بها الكتاب فعلى الرغم من سلامتها ومن امتيازها على كتاباته السابقة فإنها ينقصهـا عنصر المرونة والتوضيح . فكثيراً ما كان الدكتور يكتفى بالفكرة يذكرها عارية فى جملة أو جملتين دون أن يحاول تفنينها وربطها بما يليها ربطاً جيداً . ومن هنا بدا الكتاب جملة من اللمحات والضربات الخاطفة ...

وهذا ، على كل حال ، لا ينقص من قدر الكتاب ، بل على العكس يدل على أن الكمال الإنسانى مستحيل . وللدكتور منا الإعجاب بعمله القيم النفيس .

عبد الفتاح الديدى



ليـــلة فى القبر

للاســـتاذ نجاتى صدقى

مات الأديب بعد أن قضى عمراً حافلاً بالإنتاج الأدبى ، فقد ترك ثروة أدبية تقع فى ثلاثة عشر كتاباً ، وهى تعالج مواضيع مختلفة من تاريخية ، وعلمية ، واقتصادية ، وروايات وقصص .

وفى منتصف الليلة الأولى من دخول الأديب القبر جاءه الملكان الكريمان منكر ونكير ، ويالها من ليلة !

فنبه ناكر الميت قائلا : إيه يا رجل قم ! . .

وقال له نكير : هيا انزع عنك هذا الرداء الأبيض لنرى ما يضم فى طياته من صفحات سود ! ..

فذعر الأديب لهذه المفاجأة ونهض متثاقلا ، فرأى نفسه قبالة ملكين جبارين يحمل أحدهما هراوة حديدية ضخمة ، ويحمل الثانى تحت إبطه كتاباً كبيراً .

وقالا له : نحن الملكان اللذان أخبرك عنهما الشيخ أثناء إيداعك هذه الحفرة .. فرجاؤنا ألا تنزعج من زيارتنا غير المنتظرة ، فنحن لم نأت إلا للقيام بواجباتنا المقدسة ، وإنا لنتمتع بسلطات لا حد لها ، فنطرق القبور دون استئذان ، ولا نميز بين غنى أو فقير ، رجل أو امرأة ، فتى أو فتاة ، طفل أو طفلة ...

وسنشرع الآن فى محاسبتك حساباً تمهيدياً ، وعليك أن تكون معنا صريحاً ، وتيقن بأننا لن نرحمك إن حاولت المداورة أو المراوغة .

وسأله منكر حامل الهراوة : ما اسمك ؟ . وما مهنتك ؟

فأجاب الميت — اسمى (٠٠٠٠) ومهنتى الأدب ! ..

ففتح نكير الكتاب الكبير ، وقلب صفحاته قليلا إلى أن عثر على اسم المرحوم .. وانكب يطالع مع ناكر ما كتب عنه فى عشر صفحات طوال ، ولما بلغا نهاية ترجمة حياته التفتا إليه والشرر يتطاير من أعينهما .

وقال له نكير : حياتك مليئة بالآثام ، وسنحاسبك الآن حساباً عسيراً ، قل لنا أأنت صاحب كتاب (النجاة فى الصدق) وغيره من الكتب الكثيرة ؟ ..

الميت : نعم ..

نكير : أتعترف بأنك كنت تدس السم فى هذا الكتاب وفى غيره ، وأنك كنت تنشر الإلحاد فى الناس ، وتبث فيهم الإباحية ؟ ..

الميت : هذه تهم باطلة ، وإنى لأحتج عليها بكل ما أوتيت من قوة .. إنك أيها الملك الكريم تردد ما قاله خصومى فى . والواقع أننى كنت أنشر المعرفة فى قرائى ، وأبث فيهم روح الحرية .. كنت أرفع الغشاوة عن أعينهم وأدلهم على طريق الهدى والصواب .

نكير : لقد بدأت تراوغ ؟ .. والتفت إلى منكر وقال له : اضرب !

وهوى منكر بالهراوة على ظهر المرحوم وقدميه بضربات شديدة جعلت سكان القبور المجاورة يرتعدون فرقاً من هول ما يجرى فى قبر جارهم الجديد ، وكان الأديب يصرخ وسط هذا العذاب ويقول : إن عملكما هذا غير شرعى .. وستظهر براءتى فى يوم الحساب الأكبر .. ماذا تريدان منى ؟ .. إننى نشرت المحامد فى قرائى ، وكشفت النقاب عن مساوىء الناس وشرورهم ، وبينت لهم أخطاءهم ونقائصهم .. ثم إننى إذا كنت قد وضعت مؤلفات وأنا على قيد الحياة مشبعة بشىء من الحرية والصراحة ، فثقا بأننى عوقبت عليها ، وسجنت ، واضطهدت ، وليس لديكما مبرر لمعاقبتى مرة أخرى !

فتوقف منكر عن الضرب ، وتابع نكير قوله للمرحوم الأديب : إسمع أيها المتهم .. نحن نضاعف العقاب على الكتاب المفكرين ونجعلهم فى الرتبة الأولى بين المتهمين ويليهم الأشقياء واللصوص ! .. فالشقى عندنا ينتهى أمره بموته .. أما الكاتب

لجريمته لا تنتهى بموته ، بل على النقيض من ذلك فإن مفعول سمومه يزداد جيلا بعد جيل .. وهذا عين ما فعلته كتاباتك وما ستفعله فى المستقبل .

والتفت إلى منكر وقال له بحزم : اضرب ! .. اضربه بشدة على أصابعه التى كانت تقبض على القلم ! . .

وهوت الهراوة على يدى المرحوم ، وكان يصرخ ويتلوى من شدة الألم ، ثم حاول المقاومة لكن رأسه ارتطم بحجر فانطرح مغشياً عليه ، فمسح ناكر وجهه بيده فأفاق ثانية وقال رحماً كما أيها الملكان الكريمان . إننى دعوت فى كتاباتى إلى حرية الإنسان ، فقبحت جميع أنواع الظلم والطغيان ، ونبهت فى قرائى حب الفنون ، وحدثتهم عن الحب ، والموسيقى ، والغناء ، كما حدثتهم عن لؤم النفس ومساوئها ، ومظاهر خستها وانحطاطها ؛ وقد فعلت ذلك متمتعاً بحرية القول التى خولتنى إياها الهيأة الاجتماعية ، وكان رائدى دائماً الإصلاح ، والإصلاح لا غير .

فقاطعه نكير قائلا : قلت لك لا تحاول أن تضللنا ، إنك متهم بتفرقة الأبناء عن الآباء ، وبإيقاع الشقاق بين أسرة وأخرى ، وحى وآخر ، وجماعات وجماعات ، هذا والله وحده يعلم ما ستسفر عنه كتبك من شرور فى الأجيال القادمة .

والتفت إلى منكر قائلا للمرة الثالثة : اضرب وافهمه بأنه لا زال فى دون التحقيق ! ..

وانهال منكر على الأديب بالهراوة ، وهذا ينقلب على نفسه ، ويعول مستنجداً ولكن دون جدوى .

وهنا تدخل نكير وأشار على منكر بإيقاف الضرب منبهاً إياه إلى أن الساعة بلغت الثانية بعد منتصف الليل ، ثم التفت إلى المرحوم الأديب وقال له : نكتفى بهذا القدر هذه الليلة ، وانتظر قدومنا غداً عند منتصف الليل أيضاً فلنا معك حساب بصدد مجموعة قصصك المسماة (المدينة الشقية — وقصص أخرى) ثم إننا سنوالى زياراتنا إليك فى ثلاث عشرة ليلة على التوالى لنبحث معك فى كل ليلة آثام كل كتاب على حدة .. فإلى الغد أيها المتهم .

وعاد الملكان الكريمان فى منتصف الليلة الثانية إلى قبر الأديب ولكن لشد ما أدهشهما أنهما وجدا القبر خاوياً ! . .

نجاتى صدقى

(بقية المنشور على صفحة ٥٩٩)

كما نقول : صبوت إليه وصبوت له .

هذا ما عن لى كتابته جواباً على استفهام الناقد الفاضل ، وعسى أن يتصدى عالم جليل من علماء اللغة ، فيشرح لنا ذلك .

وللرسالة وصاحبها الجليل ، فائق تحياتنا . وشكرنا على فضله وأدبه

بغداد **عبد القادر رشيد الناصرى**

رد . . . وعجب

كنت نشرت فى العدد (٧٧١) من الرسالة الزاهرة « قصة تضحية أم » ولشد ما تملكنى العجب حين طالعت فى العدد (٧٧٢) الذى تأخر وصوله عشرة أيام بسبب أزمة النقل البريدى المستحكمة فى هذه الأيام ؛ كلمة للأستاذ الفاضل حسين مهدى الغنام تحت عنوان « حول قصة تضحية أم » نفى فيها صياغتى للقصة ، وروايه الأستاذ الجليل جمال الدين الجيلانى فى أصلها وأسماء شخصياتها ، وادعى أنه نشرها فى جريدة « الجلاء » بمدينة الإسكندرية عام ١٩٣٨ . وهو العام الذى كنت فيه ، فى الرابعة عشرة من عمرى ؛ وأنا لم أسمع باسم هذه الجريدة من قبل ، وأظن أنها لم ترد للشام بعد ؛ وأن الأستاذ الراوى كان مقرباً فى بلاط حيدر آباد الهندى آنئذ ؛ ثم ما ذا يمنع رواية قصة أو حادثة قد مضى على حدوثها خمسمئة سنة مثلا .! وبعد فهذا عجب . ولعله يزيد عجبى لو أطلع على صورة هذه القصة التى صنعها قلم الأستاذ حسين مهدى الغنام لأعرف مقدار التحوير والتصوير واجتماع الخواطر !

عبد القادر صادق

تصويب :

قال الأستاذ العمارى فى العدد الأخير من الرسالة « والذى ساق بعض شباب الجيل إلى هذه التعبيرات السمجة هو ما قاله شوقى فى رثاء اسماعيل صبرى .

أو كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت فى الأعراف »

والحقيقة أن الكاتب قد أدخل بيتين خالدين لشوقى فى بيت واحد ، فقد قال شوقى أولا فى رثاء مصطفى كامل .

أو كان للذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت فى القرآن

ثم قال ثانياً بعد خمسة عشر عاماً فى رثاء اسماعيل صبرى .

لو أن عمراناً نجارك لم تسد حتى يشار إليك فى الأعراف

(سرس الليان) **محمد محمد الفاضى**

العدد ٧٧٨ — الاثنين ٣١ مايو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٧٨ — الاثنين ٣١ مايو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٤٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 778 | Lundi — 31 — 5 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ رجب سنة ١٣٦٧ — ٣١ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

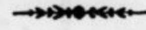
لله جيش الفـــاروق!

إن فلسطين لتشهد وهى ترى جيشنا اليوم على أرضها للمرة الرابعة أنه هو جيش رمسيس الثالث بيأسه ونجدته، وأنه هو جيش صلاح الدين بإيمانه وشدته، وأنه هو جيش إبراهيم ببسالته وجرأته، وأنه هو جيش الإسلام الذى ورد فيه القول المأثور: « إذا فتح الله عليكم بمصر فاتخذوا بها جنداً كثيفاً، فإن هذا الجند خير أجناد الأرض ». والتاريخ الذى سجل لجيشنا الأصيل النبيل هذه الشهادة المقدسة، لا يزال يسجل ثَبَتَها بما ينقل من مساعيه الصادقة ومداعيه الخطيرة حقبة بعد حقبة. والواقع الذى جرى بالأمس ويجرى اليوم، لا يزال يؤيد أن هذا الجند خير أجناد الأرض، لا لأنه قهر الحجاز ولم تقو على قهره تركيا، ولا لأنه فتح عكا وقد عجز عن فتحها نابليون بجيش فرنسا، ولا لأنه سحق الجيش التركى بقيادة (مولتكه) فى نصيبين ولم تستطع سحقه روسيا؛ ولكنه خير أجناد الأرض لأنه خرج من أسر انجلترا سليم الروح، نقى الجوهر، صليب العود، شجاع القلب، شديد الطماح، بعد خمس وستين سنة قضاها فى قبضة المحتل، غريباً فى وطنه، بعيداً عن حصونه، مجرداً من سلاحه، تساومه سيطرة الإنجليز على عزته، وتراوده رخاوة الكسل على حميته، وتغالبه دعة الفراغ على بطولته. وبأيسر من بعض هذا انكسر بأس الجيش الفرنسى خرّ على أقدام الألمان مبذول القيادة، ضارع الخد، لا يحفزه حافز من ذكرى جان دارك، ولا يحجزه حاجز من مجد نابليون.

كان الشامتون والمتشائمون يقولون إن الاحتلال صير مصر امرأة، لها الزينة والمتاع، وعلى عشاقها النفقة والدفاع، حتى زين العبث لبعض الساسة فى الزمن الأخير أن يزوجها من إنجلترا زواج الأبد لتضمن الكاسب وتأمن الغاصب. وجعل الإنجليز منذ مُنى باحتلالهم وادى النيل يمكنون لهذه الفكرة الخبيثة من نفوس الشعب، فيزعمون أنهم دخلوا مصر ليحفظوا العرش، وأنهم احتلوا مصر ليحموا البلاد، حتى أنسونا ونحن عشرون مليوناً أننا زعزعنا عرش الخلافة ونحن مليونان ونصف! ثم عملوا لدوام هذه الحال، فسرحوا الجيش، وزيفوا التعليم، وعاثوا فى النفوس، وعبثوا بالضمائر، وسلطوا الأهواء على عقول الخاصة، والأدواء على جسوم العامة، حتى إذا حسبوا أنهم بلغوا ما أرادوا انتفضت الأمة المقبورة فزال الكفن وذهب العفن وفار الدم الحر وثار التاريخ المجيد، واستهلّ وعينا القومى فى مُلك فؤاد وحكم سعد، ثم بلغ رشده فى ملك فاروق وحكم النقراشى. ثم جاءت قضيتنا فى مجلس الأمن فكانت معركة الحق كسبناها بالقلم، وأعقبتها قضية فلسطين فكانت معركة القوة وسنكسبها بالسيف؛ وكان انتصارنا فى هاتين القضيتين دليلا من أدلة الواقع على أن أمتنا بخير: ملك مشمر الشباب موفق الرأى مؤيد العزيمة، وحكومة نزيهة النفس حرة الإرادة شعبية النزعة، وشعب ذكى

أحرب تشب أم ثورة تقمع؟

للأستاذ نقولا الحداد



فى أخبار الأمس أن الجامعة العربية طلبت إلى هيئة الأمم الاعتراف بدولة عربية فى فلسطين . فإن كان هذا الخبر صحيحاً فهو مثل قولك : إن الولايات المتحدة الأمريكية طلبت من هيئة الأمم أن تعترف بدولة أمريكية فى أمريكا . فلا أصدق أن الدول العربية طلبت الاعتراف بدولة موجودة من زمان !

إن الدولة الفلسطينية كانت موجودة قبل الانتداب البريطانى ، وقد جاء الانتداب البريطانى اعتداءاً عليها فكتم أنفاسها . فلما انتهى الانتداب ، أو تنازلت عنه بريطانيا ، عادت الدولة العربية الفلسطينية إلى كيانها الطبيعى ، فلا معنى لمطالبة الجامعة العربية لهيئة الأمم بالاعتراف بدولة عربية فى فلسطين ، لأن هذه الدولة كانت موجودة قبل أن توجد هيئة الأمم ، بل قبل أن توجد عصبة الأمم المرحومة التى فرضت الانتداب ، فلا داعى لأن تعترف بها هيئة الأمم الآن ، وإلا فعليها أن تعترف بدولتى انكلترا وفرنسا اللتين خرجتا من الحرب السابقة دولتين كما كانتا !

وتحرير الخبر أنه لما وقعت الحرب الكبرى السابقة اتفق الإنكليز مع المغفور له الشريف حسين ، على أن يشترك معهم فى محاربة الأتراك ، حتى إذا تم النصر لهم كانت البلاد العربية المتخلفة عن الدولة العثمانية دولة عربية قائمة بنفسها تحت حكم الشريف حسين كملك عليها .

وقد برّ الشريف بوعده ، ودفع بجنوده إلى ساحة القتال مع الإنكليز وحارب الأتراك . ثم تمّ النصر للحلفاء — ولولا معاونة العرب ما انتصر الإنكليز . لأن العرب كانوا المنصر الفعال فى تلك الحرب — ولكن الإنكليز لم يبرّوا بالوعد . بل نقضت بريطانيا وعدها بخيانة فاضحة ، إذ تقاسم الإنكليز والفرنسيس ميراث الدولة العثمانية فى الشرق العربى ، وتولت فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان ، وإنكلترا على فلسطين (ومعها شرق الأردن) والعراق . وبقى الملك حسين ملكاً فى الحجاز كما كان من قبل . وكان من طغيان الانتداب الإنكليزى إعلان وعد بلفور الشيطانى بوطن قومى لليهود وما تلاه من تدفق اليهود على فلسطين وتسليم بريطانيا لهم زمام الطغيان فى البلاد كما هو معلوم ، وليس غرضى من هذه الفذلكة أن أبسط مكر بريطانيا وفظائع الصهيونيين . وإنما غرضى أن أثبت أن الدولة العربية فى فلسطين كانت موجودة كنتيجة للحرب الكبرى الأولى . وإنما لؤم السياسة البريطانية خنقها وترك للصهيونيين الحبل على الغارب فى استعمارها . ولما سقط الانتداب البريطانى الذى كان جاثماً على صدرها تنفست ونهضت على قدميها . إذن لا داعى لأن تطالب الجامعة العربية هيئة الأمم بالاعتراف بها . بل على هيئة الأمم أن تلتمس من الدولة العربية أن تعترف بها (أى بالهيئة) وأن تضمها إليها كعضو شرعى أصيل فيها .

أما اليهود الذين فتحت بريطانيا لهم صدر فلسطين لكى يكون لهم وطناً قومياً فهم دخلاء غرباء جنساً ولحماً ودماً وروحاً ونفساً وقلباً وكبداً الخ . فالدولة التى أعلنوها وطالبوا الدول بالاعتراف بها ، إنما هى دويلة مزيفة ملفقة ، دولة تمثيلية . فهى كما لو قام السوريون واللبنانيون فى أمريكا يُعلنون دولة سورية لبنانية لهم ، فما قيمة هذا الإعلان ؟

فلما زال كابوس الانتداب البريطانى عن صدر فلسطين عادت الدولة الفلسطينية إلى كيانها ، وإذا باليهود الدخلاء يدعون حصة فى المملكة الفلسطينية العربية . ثم يثورون فى سبيل الحصول على هذه الحصة . ولذلك قام العرب يقمعون هذه الثورة إذاً ما يسمونه حرباً فى فلسطين ليس بالحقيقة حرباً ، بل هو قمع ثورة صهيونية خسيسة لئيمة نجسة (جوييم بلغتهم) . ولولا أن الانتداب الإنكليزى أظفرهم بعنق فلسطين ، ويسر لهم

الفؤاد سهل القياد نافذ الهمة ، وجيش جرىء الصدر مثالى النظام فدائى الخطة . وإن أمة تقوم نهضتها على هذه الأركان السليمة لا بد أن تبلغ مكانها المرموق فى ركب الحياة .

إن جيشنا بأعماله الباهرة يرحض عنا بالفعل عار الكلام ، ويكشف عنا بالقوة ذل الضعف ، ويفاوض خصمنا فى الميدان على استقلالنا التام . فقدموا العون لمن يبنى لكم المجد ، وابذلوا المال لمن يبذل فى سبيلكم الروح ، ولا تنسوا أننا منذ دخل فلسطين بدأنا نعيش .

احمد حسن الزيات

أيها المليـــك العظيم !

للأستاذ شكرى فيصل

« جرت التقاليد على ألا يدلى جلالة ملك مصر بأحاديث ، ولـكن جلالته تفضل فأذن بالإعراب عن وجهة نظره فى مشكلة فلسطين فقال فى الجواب عن خير الوسائل لوقف النزاع المحتدم بين العرب واليهود : إنه لابد من استخدام القوة... »

الصحف اليومية ١٢ / ٥ / ١٩٤٨

أيها المليك الشاب ! فى كل هذه الفترة التى كانت تتأزم فيها قضية فلسطين كنا ، نحن الشباب ، ننظر حوالينا هنا وهناك ، نرقب اليد التى تخلع القفاز ، والإرادة التى تطيح بالحذر ، والقوة التى تستطيع أن تدل على نفسها فى ساعات الحاجة إليها ، فلم نلمح اليد ، ولم نجد الإرادة ، ولم نحس القوة ... وإنما حملونا على أن نعيش فى خور الأمل ، وفى قلق الترقب ، وفى حمّى الانتظار ... وتطلعنا فحجبوا عن أعيننا الواقع ، وتأملنا فخدروا هـذا الألم بالحذر الخادع ، وتساءلنا : أين موقع العرب اليوم من موقع العرب الأولين ؟

وطفرت من أعيننا دموع ، وارتسمت على شفاهنا تمتمات فيها غضب وغيظ ويأس ، أو ما يشبه اليأس ، وطافت بأذهاننا ذكريات من التاريخ فيهـا إنكار للذات ، وفناء فى الواجب ، لم نجد لها فى واقعنا الأليم أشباهاً ولا أشباحاً ... فطوينا التاريخ القديم كأنما كنا ندفنه ، وقفزت من أمامنا صـور من التاريخ القريب : صورة من فيصل ، وصورة من غازى !

أما الأولى ، فهى صورة النبل السرى ، والإيمان القوى ، والإحساس الرفيع ... صورة فيصـل يطرح العداوات ويولى ظهره لها ، ويهزأ بالثارات ويضحك منها ، وتظهر له مصلحة العرب الـكبرى فينسى عرش أبيه الذى كان يريده ملـكا واسعاً فى بلاد عربية واسعة ، فإذا هو منفى صغير فى جزيرة ضيقة صغيرة ، ويسافر إلى ابن السـعود يصالحه ويقبله ... لا تخفق فى صدره ذكرى أبيه القريب ، ولـكنما يتحرك فى ضميره صوت جده الأعلى محمد ، ولا يرتسم فى صفحته عاله الصغير ، وإنما ينفسح من أمامه

استعمارها وملـكهم حقوق العرب فيها ، وحرم العرب حقوقهم لما أمكنهم أن يستفحلوا هـذا الاستفحال ، وأن يستعدوا هذا الاستعداد للقتال كأنهم عالمون أنهم سيصطدمون يوماً من الأيام مع العرب . وقد جاء هذا اليوم .

وقد أدرك العرب اليوم أنهم لا يحاربون يهود فلسطين فقط بل هم يحاربون يهود العالم كلهم وكل من هم تحت ضغط اليهود المـالى وضغطهم السياسى . ولذلك يبذلون النفس والنفيس هنا وفى أمريكا وغيرها لـكى يؤيدوا هذه الدولة المزيفة .

وغريب أنهم وهم فى جميع ممالك العالم متألبون لإنشاء دولة صهيونية شيوعية يستنـكرون على الدول العربية أن تعاون شقيقتها فلسطين المغلوبة على أمرها ، ويطلبون من هيئـة الأمم أن تنهى الدول العربية عن مساعدة هذه الشقيقة .

وما انبرت الأمم العربية لهـذه المساعدة ، إلا لأن برنامج الطغيان الصهيونى شامل لجميع دول الشرق الأوسط ، ولا سيما الدول العربية . فـكيف لا تنبرى إذن ؟

وفى التاريخ أمثلة عديدة على معاونة الدول بعضها لبعض إذا أحست أن الخطر مقبل عليها . فى أوائل هذا القرن استجار أهل كوبا من ظلم الأسبانيين المستعمرين ، فهبت الولايات المتحدة الأمريكية لإنقاذ الـكوبيين من ظلم الأسبان بحجة أن هؤلاء جيرانهم فلا يطيقون أن يسمعوا أنين جيرانهم ويبقوا صامتين . فحاربت أمريكا أسبانيا وخلصت كوبا من بين براثنها ، ثم ردت لها استقلالها . فإذا كانت أمريكا تجير كوبيا بحكم الإنسانية والجوار ، أفـلا يجب على العرب أن يهبوا لإنقاذ فلسطين من براثن الصهيونيين ، والصهيونية خطر عليهم جميعاً .

الحمد لله ، إنه ليس لهيئة الأمم قوة بوليس دولى تنفذ قراراتها بالقوة ، وإلا طغى الظلم واستفحل الاستبداد وقتـل الحق بيد ترومان ما دام هذا المغفّل تحت سلطان شرذمة متمولين يمدونه بالدعاية له فى الانتخاب إذا أيدهم فى طغيانهم .

والحمد لله ، أن الشعب الأمريكى شـعر أن ترومانهم يتهور بمصلحتهم وهو ألعوبة فى يد اليهود ، إذ اتضح لهم صبح الحق وهو انتصار العرب فى جهادهم المقدس ...

نقولا الحداد

الذى ليرسم صورة الامبراطورية العربية الكبيرة التى بغنى فيها فيصل وابن السعود ، ليعيش فيها العرب سادة أحراراً وكراماً أبراراً

وأما الصورة الثانية ، فهى من غازى هذا الشبل ... صورة فيها الجرأة الذكية الرائعة ، والضربة المسددة البارعة ، والعزم الأبى المتدفق ، والجد الثائر الذى يريد أن يتحقق ... صورة فيها كل مكارم الفتوة ، وعزائم النبوة ، وحماسة الإيمان ... صورة هذا الشاب الذى يغضب للحق ، ويثور للعرب ، ويتطلع إلى المستقبل الذى يلتقون فيه فى ظلال رسالتهم الخالدة لينطلقوا بها من جديد ، فيحطم العقبات التى كان الأعداء يزرعونها ، ويبدد الأوهام التى كانوا ينثرونها ، والأحلام التى يعيشون عليها ، لا يبالى فى ذلك إلا إرادة الوطن العربى الكبير !

صورتان من فيصل وغازى فى التاريخ القريب كنا نرقبهما فلا نجدهما ، ونتطلع إليهما فلا نظفر بهما ، ونطوى الليل لا تغمض لنا عين ، ونفنى النهار إفناء لا يهدأ لنا خاطر ولا ينعم لنا بال ، ونعيش فى جحيم القلق وسعير الترقب ... صورتان من عظمة فيصل واندفاع غازى ، نبشنا عنهما الأرض ، ودرنا نسأل عنهما السماء ، وطرقنا للظفر بهما كل باب ... وكاد يعصف بنا اليأس ويتولانا القنوط أن نقع عليهما أو على إحداهما ... لولا أن الله أراد بالعرب الخير ، فإذا الصورتان ، صورة العظمة ، وصورة الاندفاع ، صورة الحكمة ، وصورة القوة ، تبرزان من جديد فى مثال حى عامل كريم ، فى مثالك أيها الملك المعظم !

* * *

إن آلافاً من الشباب الذين يتقلبون على الجمر ، يقرءون حديثك السامى الذى أذنت باذاعته ، وإنهم ليحسون أن قضيتهم التى كانت تلتمس الحكمة والقوة معاً ، فلا تجد إلا حكمة عاجزة أو قوة خائفة قد وجدت عندك غايتها ، وحققت طلبتها ، وبلغت هدفها ، ولم يتجاوب الضمير العربى العام مثل هذا التجاوب الحى حين سمع : « لا بد من استخدام القوة ! »

إنه يعرف ماذا يعنى الملك المعظم حين يقول : « لا بد ! » ... إنه يحشر فيها كل عزمات الأبطال منذ دخل العرب بيت المقدس حتى دخلها النبى ... إنها همسة الأمان لأرواح آلاف الشهداء الذين سقوا فلسطين بدمائهم ، وغذوها برفاتهم ، وأقاموا من أجسامهم سياجاً لها !

لقد كان العرب فى حاجة إلى كلمة واحدة هى خير من عشرات الصحف ، ولقد قلت يا مولاى هذه الكلمة ، وسيترجمها الشعب العربى إلى عمل وعزيمة واندفاع ... لقد كنا نأمل أن تنفرج عنها فى مثل صراحتها الشفاء ، فلم يكن لها غير هذه النفس الكبيرة تنهض لها فى جلاء ووضوح وبيان .

* * *

إن حديثك المعظم ، أيها الملك المعظم ، هذا الذى ابتعث من أعماقنا الإيمان بعد أن كدنا نفقد الإيمان ، وأزاح عن وهجه عتمة الضباب وكدرة الظلمات ، فارتد صقيلا مشمساً ، وعاد إليه نوره بعد الذى فعلت به الحادثات وألقت عليه النوازل من ظلال معتمة سوداء ... فليبارك الله لك فتوتك ، فمع هذه الفتوة يجد الفتيان المتفتحون للمجد التجاوب ، ويحسون لها فى أعماقهم الألفة ... وليحفظ عليك شبابك ، ففى هذا الشباب الحكيم الجرىء ضاعت الحكمة القلقة والقوة الوجلة !

وسيحفظ لك التاريخ أنك قلت فهزأت بالقيود وضحكت من السدود . وإنا لنرقب أن يحفظ لك التاريخ أنك فعلت فرفعت البنود ، وجزت الحدود ، حدود تافهة مصطنعة هى عارضتان من الخشب ، وشبكة من القطن ... فعلى بركة الله !

(دمشق) شكرى فيصل

عبد الله بن ســـبأ

للدكتور جواد على

— ٥ —

ذكر البلاذرى فى كتابه « أنساب الأشراف » كل أخبار أبى ذر ، غير أنه لم يتطرق إلى خبر التقاء « عبـد الله ابن سـبأ » بأبى ذر فى الشام ، ولا فى أى مكان آخر (١) . وقد جاء البلاذرى فى كتابه هـذا بروايات عن أبى ذر لم ترد فى الطبرى مما يدل على أنه قد اغترف من منابع لم يغترف منها صاحب التأريخ . وأن أصحاب تلك الروايات لم يعرفوا عن هذا اللقاء شيئاً ، ولو عرفوه لما تركوه .

ونجد مضمون رواية الطبرى عن نظرية « أبى ذر » فى المال فى « أنساب الأشراف » ونجد أنه كان يقول بها وهو فى المدينة قبل ذهابه إلى الشام ، وأن معاوية أرسل إليه ثلاثمائة دينار، وأن حبيب بن مسـلمة الفهرى أرسل إليـه مائتى دينار فردها . ونجد أشياء أخرى لم ترد فى الطبرى ؛ كل ذلك حمل معاوية على توجيه أبى ذر إلى المدينة خوفاً من إفساده أهل الشام عليه (٢) .

ويظهر من رواية « يزيد الفقعسى » أيضاً عند الطبرى أن «عبد الله بن سبأ» أصاب نجاحا كبيراً بمصر ، وأنه وجد هنالك أتباعاً وأنصاراً ، وأنه لقنهم « الرجعة » و« الوصية » و« الطعن على الأمراء » وأنه صار يكاتب الأمصار ويدعو إلى الفتنة (٣) . حتى ألب الناس على ولاتهم وحكامهم وقاموا بتلك الحادثة الأليمة التى آلت إلى مذابح وفتن كانت سبباً لتفريق الـكلمة وحدوث الحروب .

وأن الخليفة رضى الله عنه حينما أدرك خطورة الموقف أراد الوقوف على أسـبابها ، ومعرفة العوامل التى أدت إلى حدوثها « فأرسل محمد بن مسلمة إلى الـكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، وفرق رجالاً سواهم ، فرجعوا جميعاً قبل عمار فقالوا أيها الناس ما أنـكرنا شيئاً ولا أنـكره أعلام المسلمين ولا عوامهم . وقالوا جميعاً الأمر أمر المسلمين ، إلا أن امراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم . واستبطأ الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبى سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر وقد انقطعوا إليه ، منهم عبد الله ابن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر » (١) .

وهذه الرواية الأخرى هى فى حاجة إلى نقد ودراسـة ، فالظاهر من روايات الطبرى نفسها أن « عمار بن ياسر » كان فى المدينـة فى هذا الوقت (٢) ، وأن أهل مصر كانوا يراسلونه ويتصلون به عن طريق المكاتبة ، وأنهم عند ما وصلوا إلى المدينة كان بها ، والمعروف أن علاقة الخليفة بعمار لم تـكن على مايرام ، فلا يعقل إرساله لأداء مثل هذه المهمة . والذى ذكره البلاذرى أن الفتنة التى ظهرت بمصر كانت ترجع إلى أعمال « محـمد بن أبى بكر » و « محمد بن أبى حذيفة » حتى إن الوالى « عبد الله ابن سعد بن أبى سرح » اضطر إلى وضع رقابة صارمة عليهما لئلا يفسدا الناس ، حتى إنهما عند ما طلبا الخروج معه فى الغزو أعد لهما سفينة مفردة لئلا يفسدا عليه الناس ، فرض محمد بن أبى بكر فتخلف وتخلف معه ابن أبى حذيفة ، ثم إنهما خرجا فى جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلا وقد أوغرا صدور الناس .

فلما بلغ عثمان ذلك دعا بعمار بن ياسر وسأله الشخوص إلى مصر ليأتيه بصحة خبر ابن أبى حذيفة وحق ما بلغـه عنه من باطله ، وأمره أن يقوم بعذره ويضمن عنه العتبى لمن قدم عليه . فلما ورد عمار مصر حرض الناس وانضم إلى جماعة ابن أبى حذيفة ثم أرجع بعد ذلك إلى المدينة (٣) .

ولم يذكر البلاذرى أن صاحب الفتنة هو « عبـد الله بن السوداء » ويتفق الطبرى مع البلاذرى فى هذا الخبر فى كل شىء سوى وجود هذا الشخص الذى قيل إنه « عبد الله بن سبأ » وقد عزا المسعودى هـذه الحركة إلى محـمد بن أبى بكر (٤) . ولا أريد هنا أن أجرد اليهود من المؤامرات التى دبرت للـكيد بالإسـلام ، وحوادثهم فى ذلك كثيرة مشهورة يكفى أنهم هم الذين دسوا السم للرسول وأنهم كانوا يتولون نشر دعاية خبيثة بين المسلمين اضطرت « الخليفة عمر بن الخطاب » إلى اتخاذ موقف حاسم مشرف تجاههم أنقذ به العرب والإسلام . ولـكنى

(١) البلاذرى أنساب الأشراف حـ ٥ ص ٥٢
(٢) المصدر نفسه ص ٥٣ (٣) الطبرى

(١) الطبرى حـ ٥ ص ٩٩ (٢) الطبرى حـ ٥ ص ١٠٦
(٣) البلاذرى حـ ٥ ص ٥١
(٤) المسعودى مروج الذهب حـ ١ ص ٤٤٠ (المطبعة البهية)

لا أريد فى الوقت نفسه أن أسلم بدعوى من يصدق الروايات والأخبار فأسلم بأن المسلمين كانوا يصدقون كل ما كان يقال لهم بلا تفكير ، وأن يهوديا نكرة لم يعرف مركزه فى اليهود ولا منزلته فى الإسلام يستطيع أن يلعب هذا الدور الذى قصه علينا « سيف بن عمر » عن جماعة عن « يزيد الفقعسى » وأنه يستطيع أن يضحك من عقول المسلمين ، وأنه يضع لهم مقالة ومقالات ثم يجادل الإمام إلى حيا ، ثم يدعى بعد وفاة الإمام أنه لم يمت وأنه حى يرزق فى السحاب .

ورجل هذا شأنه فى الدسائس والفتن والمؤامرات كان من الواجب الإشارة إليه بشىء من التفصيل ، والتنبيه عليه ، وكان فى وسع « معاوية » القبض عليه والتنكيل به بين الناس . ولم نجد فى شعر الرثاء الذى قيل فى قتل الخليفة « عثمان » واستشهاده ما يشير إلى هذا اليهودى الفاتن ، وقد ورد من هذا الشعر فى الطبرى وفى البلاذرى وغيرهما ما فيه الكفاية (١) .

ويظهر من تأريخ الطبرى أن المشاغبين الذين حاصروا المدينة وكانت غالبيتهم من المصريين كانوا يعرفون « بالسبائية » كذلك ، وأنهم كانوا من المحبين للفتن وأنهم لما سمعوا خطبة « على بن أبى طالب » بعد مبايعته قالوا :

خذها إليك واحذرن أباحسن   إنا نمرُّ الأمر إمرار الرسن
صولة أقوام كأسداد السفن   بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلَين كالشطن   حتى يمرنّ على غير عنن(٢)

والظاهر أنهم شاغبوا على « على بن أبى طالب » وأنهم تركوا المسكر ولم يمتثلوا الأوامر وأنهم كانوا يحبون الفوضى والخروج على النظام .

وإن الأمر بعد مقتل الخليفة أصبح فوضى ، فثار العبدان على الرؤساء وخرج الأعراب لما تراءت لهم علامات الغزو وإمكان الانتقام من أهل المدن . ونجد هذه الفوضى واضحة مرسومة فى خطبة « على بن أبى طالب يخاطب بها طلحة والزبير » يا إخوتاه ! إنى لست أجهل ما تعلمون ، ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟هاهم قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موضعاً لقدرة على شىء مما تريدون ؟ قالوا لا ، قال فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله ، إن هذا الأمر أمر جاهلية ، وإن لهؤلاء القوم مادة ؛

(١) الطبرى ج ٥ ص ١٥٠ ، البلاذرى ج ٥ ص ١٠٢ فما بعد
(٢) الطبرى ج ٥ ص ١٥٨

وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً . إن الناس من هذا الأمر إن حرك ، على أمور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق . فاهدؤوا عنى وانظروا ما ذا يأتيكم ثم عودوا .

واشتد على على قريش ، وحال بينهم وبين الخروج على حالها . فلما ذكرله ذلك ذكرفضلهم وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك . ونادى : برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه (١) عندئذ تذامرت السبائية والأعراب وصاروا يشاغبون على علىّ . ولما أراد علىّ إخراج الأعراب وإرجاعهم إلى مياههم أبت السبائية ذلك وأطاعهم الأعراب (٢) .

فالظاهر من هذه الروايات أن حالة من الفوضى قد عمت الأمصار بعد مقتل الخليفة « عمر بن الخطاب » الذى كان قد سيطر على الأمور سيطرة تامة . وأن الذين كان فى قلوبهم مرض وزيغ انتهزوا فرصة مقتل الخليفة وارتباك الأمر واستبداد الولاة بالرأى دون سائر الرؤساء ، فأثاروها فتنة وفوضى أدت إلى حدوث ذلك الوضع الشاذ ، فأفلتت الأمور من أصحابها وخرج العبيد والمستضعفون على قريش ، وانتهز الأعراب هذه الفرصة وقد كانت أخلاقهم وطباعهم مكبوتة فى أيام « عمر » واتفقوا مع المهيجين الذين دعاهم الطبرى بالسبائية والذين شاركوا حتى فى المشاغبة على « على » عند ما رأوا منه أنه كان يريد استتباب الأمن والقضاء على الفتن وإعادة سلطة قريش كما رأيت .

ولا ندرى لم دعاهم الطبرى «سبائية» ؟ ألأنهم أتباع « عبدالله ابن سبأ ؟ » ولكن أين كان هذا الرجل فى هذا الوقت ؟ ولم لم يشترك مع المصريين أو غيرهم عندما ذهبوا إلى المدينة وقد نسبت أكثر المصادر سبب الفتنة إلى أشخاص آخرين ؟ أم لأن جمهرتهم كانت من أهل اليمن ، وقد كانت العادة أن يقال لهم « سبايين » أو « حميرين » كما كانت فى مصر جالية كبيرة منهم قبل الإسلام وبعده ، فقيل لهم لذلك « سبائية » ولا علاقة لهذه السبائية بسبائية عبد الله بن سبأ ؛ وأن هذه « السبائية هى التى دعت الأخباريين لسبب ستراه إلى خلق أسطورة « عبد الله ابن سبأ » هذا الذى جعلنا الرواة نكتب عنه هذه المقالات . فاختلقوا شخصاً يهودياً مسلماً أبوه من سبأ وأمه سوداء من

(١) الطبرى ج ٥ ص ١٥٨
(٢) الطبرى ج ٥ ص ١٥٩

فى تاريخنا الحديث :

مواقف حاسمة ...

(لمؤرخ معاصر)

فى سجل الثورة المقدسة صفحات مشرقة من المجاهدة والتضامن ، والمفاداة .. يجدر بالقوم أن يرجعوا إليها ، وأن يقفوا عندها يتأملون ماضيهم ، ويتدبرون حاضرهم ، ويرسمون مستقبلهم : ليربطوا حلقات جهادهم الموصول .

كانت مصر يومئذ تمتحن بنار الثورة ، وكانت الطريق واضحة ، والأهداف واحدة ، فلم يكن أبالسة الاستعمار «وسماسرته» قد جعلوا من كراسى الحكم أصناماً بعد ..

وأراد اللورد كيرزون أن ينال من وطنية المصريين ، وأن يغمز ثورتنا أمام العالم ... وكانت جهودهم فى لوزان وفرساى قد أثمرت ، وأقفل سدنة السلام وحراس العدالة أبواب مؤتمر الصلح فى وجه مصر — هذا ، ولم يكن المداد الذى سطرت به أنشودة الدكتور ويلسون قد جف .. تلك الأنشودة الجميلة ، ذات الألحان الأربعة عشر التى كانت الأفيون الذى خدر الرأى العام فى الشرق مدة الحرب الأولى . فلما وضعت هذه أوزارها ظن المصريون أن حقوقهم ستكون موضوع الاعتبار .. وإن هى إلا معركة فقهية بيننا وبين الانجليز .. ولكن القوم نازلونا بسلاح غير شريف ، وحملوا أعضاء مؤتمر الصلح على إهانة العدالة ؛ وأذاعت[1] « دار الحماية » فى مصر اعتراف ويلسون بالحماية البريطانية على مصر .. ولم يفت ذلك فى أعضاد المصريين ، ولم يزد النار المقدسة إلا اشتعالا ، وبذل الأعمام أموالهم وأرواحهم فى تطهير الأرض الحرام من برابرة الغرب ، وعصابات الاستعمار .

وأعلنت الأقدار هزيمة القوة فصرح اللورد كيرزون أن ثورة مصر إن هى إلا حركة مملولة يرتجلها الغوغاء ... ولو قد كانت هذه الحركة جدية لاشترك فيها الموظفون وهم صفوة الأمة وأرشد

(١) ٢٢ إبريل ١٩١٩ .

الأحباش أو غير ذلك كما رأيت .

ولاشك عندى فى أن هذه العناصر ، سبائية سميتها أم كانت مسخرة ومحرضة ، حرضها أناس كانوا يسعون منذ عهد الرسول إلى خلق الفتن وتفريق العرب إلى شيع وأقسام ، وأنها حاولت الكيد لمن كان يعرف فيه الحزم والعزم ، وأن مقتل الخليفة « عمر » لم يكن بتلك الصورة البسيطة الساذجة التى رسمها الأخباريون ، بل كان خطة منظمة مدبرة يعرف بها جماعة . وأن نفراً كان لهم اتصال وثيق بذلك الرجل الذى صنع تلك الآلة للفتك بالخليفة .

يكفيك أن تقرأ خبر « كعب الأحبار » مع « عمر بن الخطاب » لتعرف منه أن « كعباً » هذا كان يعرف المؤامرة وأن الخليفة أحس بذلك من حديث كعب . جاء كعب إلى عمر قبل مقتله فقال : يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت فى ثلاثة أيام .

قال : وما يدريك ؟

قال كعب الأحبار : أجده فى كتاب الله عز وجل التوراة .

فقال عمر : الله ! إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ! ؟

فقال كعب : اللهم لا ، ولكنى أجد صفتك وحليتك ، وأنه قد فنى أجلك .

فقال عمر : وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً !

فلما كان من الغد جاءه كعب فقال : يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقى يومان . ثم جاءه من غد الغد فقال : ذهب يومان وبقى يوم وليلة وهى لك إلى صبيحتها ، فلما كان الصبح خرج عمر وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استوت جاء هو فكبر ، ودخل أبو لؤلؤة فى الناس فى يده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه فضرب عمر ست ضربات[1] .

لا أدرى هل تحسن الظن بعد ذلك « بكعب » وتقول معه إنه كان يجد كل شىء حتى القتل فى التوراة ، أم أنك ستخرج وأنت به شاك وتقول كما قال عمر . الله ! إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ! ؟

جواد على

(١) الطبرى ﺟ ٥ ص ١٢

عناصرها ، وفى هذا السبيل أثنى على الموظفين أجل الثناء لأنهم لم ينقطعوا عن أعمالهم أثناء الثورة التى اجتاحت البلاد .

وحاجَّنا السير وليم برونيت فادعى أن الأقباط لم يستجيبوا لدعاة الإضراب ، وأشاع الثناء على الموظفين ، والإشادة بحسن سلوكهم .

ولكن مصر لم تشرب العسل المسموم ، وإنما أكرهت الأنجليز على ابتلاع آرائهم ، ووضع ألسنتهم فى جيوبهم .. وكان رد البلاد عليهم حاسماً رائعاً :

فأما الأقباط فأكذبوا ادعاء الغاصبين ، وخرج القسيسون والرهبان إلى المساجد ، وخطب القمص سرجيوس فى الأزهر ، وفتحت الكنائس للشيوخ والعلماء ، ومشى مشيخة الأزهر يحملون بساط الرحمة فى جنازات الشهداء ، وخفقت الأعلام ذوات الصليب والهلال ، وتواصف الناس مقالات سينوت بك حنا « الوطنية ديننا ، والاستقلال حياتنا » ، وكانت ترانيم القوم قصيدة الشيخ ابراهيم سليمان :

الشيخ والقسيس قسيسان وإن تشأ فقل : هما شيخان .!!

كانت سياسة الاستعمار تريد تسليط البلد على نفسه ، وكانت ترمى إلى تشتيت قوته ، وتوجيه تيار الثورة فى غير مجراه ... ولكن مصر المتحدة لطمت هذه السياسة لطمه اليمة ، وعرفت كيف ترد سهام الإنجليز إليهم .. لم يكن فى مصر مسلمون وأقباط ، وإنما كان فيها مصريون : مصريون لهم صوت واحد يدوى بالاستقلال « وأن الوطن للجميع ، والدين للديان » .

وأما الموظفون فقد جاء ردهم على مزاعم الانجليز مفحماً ، وجاء فى أهرام أول إبريل سنة ١٩١٩ تحت عنوان المسألة المصرية فى مجلس النواب « أن العناصر الأكثر رزانة من السكان لا تستحسن هذه المظاهرات » . فأسرع هذا وأمثاله بالموظفين إلى الإصرار على دحض مزاعم المستعمرين ، وإسقاط حججهم أمام العالم ، وكان الإضراب هو الرد البليغ الذى لا رد سواه . وكتبت أهرام ٢ إبريل سنة ١٩١٩ تحت عنوان شعور الموظفين « أنهم لاحظوا أن بعضهم أخطأ فى فهم شعورهم فى الأحوال الحاضرة فقرروا الإضراب عن العمل غداً (الخميس) ويوم السبت المقبل فى جميع الوزارات والمصالح » وعلى هذا يكون بدء الإضراب يوم الخميس الثالث من إبريل ، وعلى هذا جرى المنشور الحكومى الذى أذيع على الصحف فى أول مايو سنة ١٩١٩ عند ما أرادت الحكومة أن تؤاخذ الموظفين فتقطع رواتبهم أيام الإضراب ؛ فقد حدد منشور « الحقانية » أيام الإضراب وقدرها سبعة عشر يوماً من ٣ إلى ٥ إبريل ثم من ٩ إلى ٢٢ منه .

ويقول عبد الرحمن بك الرافعى : إن الإضراب بدأ بالفعل يوم الأربعاء ٢ إبريل ولكنه صار عاما يوم الخميس ٣ إبريل .

ويبدو أن الحركة قد بدأت قبل هذا . ولعل الموظفين لم ينتظموا أعمالهم من أواخر مارس بعد أن تناقلت شركات البرق خطاب اللورد كيرزن الذى أراد به أن يسعى بالمصريين بين أنفسهم حتى يكفيه بعضهم شر بعض ... ولكن الحركة لم تأخذ سبيلها إلى أسماع العالم إلا فى هذا التاريخ ربما اجتمع كبار الموظفين لتحديد الإضراب وتنظيمه ، وكتابة العرائض ، والموافقة عليها ، ورفعها إلى عظمة السلطان وإبلاغها الحكومة البريطانية . وكان للحركة قادة من أمثال عبد الرحمن فهمى ، وأمين الرافعى ، ومحمود سليمان باشا ، وعبدالله سليمان أباظه ؛ وكان من زعماء الموظفين على ماهر بك « صاحب المقام الرفيع » وحلمى عيسى بك « باشا » وزكى العرابى أفندى « باشا » وإبراهيم دسوق أباظه أفندى « باشا » وأحمد شرف الدين أفندى « بك » والأستاذ عاطف بركات ، والأستاذ حسن نشأت .

وكان للحركة معاقل سرية كان من أهمها منزل الأستاذ ابراهيم دسوق أباظه ، وعبد الهادى الجندى ، ومراد الشربينى ... وفى هذا الجو تألق اسم البطل الشهيد أحمد ماهر ، ومحمود فهمى النقراشى ، وظهر الخطيب المتدفق شكرى كيرشاه .

وفى يوم الأربعاء ٩ إبريل صدر الأمر رقم ٢٦ لدولة رشدى باشا بتأليف وزارته الرابعة ، وكانت حركة الموظفين قد بدأت بعد استقالة وزارته الثالثة ، وكانت استقالته هذه من المواقف الكريمة التى أيدت وجهة النظر المصرية ، وكان السيرونجت قد طلب إلى رشدى باشا أن يؤجل البت فى استقالته حتى يتصل بحكومته فى لندن لإقناعها بالسماح له ولعدلى باشا بالسفر إلى أوربة ، ولكنه أصر على أن يسمح بالسفر لكل من يشاء من المصريين .. وقبلت الحكومة البريطانية سفر الوزيرين دون أعضاء الوفد فاعتبر هذا رشدى باشا رفضاً لمطالب الوزارة الوطنية ، وأصر على استقالته ... فلما ألف وزارته الرابعة ظن أن الموظفين سيعاونونه ، ويعودون

إلى أعمالهم ... مادام الإضراب قد أعلن وأدى نتيجته ؛ وكان المنشور السلطاني قد أذيع في يوم الثلاثاء ٨ إبريل بعودة النظام ورفع الحجر على سفر المصريين وإطلاق سراح زغلول ، وصدقى ، ومحمد محمود ، وحمد الباسل .

ولكن الموظفين أصروا على الاستمرار في إضرابهم وألفوا لجنة من مندوبي الوزارات والمصالح من سبعة وخمسين عضواً .

وفي ١٠ إبريل [1] اجتمعت اللجنة بوزارة الحقانية فشرطت للعودة شروطاً فيها كثير من التعنت ، ورفعوا بهذه الشروط قراراً إلى رشدى باشا . ويستدعى رئيس الوزراء زعماء الموظفين فيجيبون دعوته إلا على بك ماهر ، وفي هذا الاجتماع كرر الوزير للموظفين طلب فض الإضراب ولكنهم أصروا على موقفهم ، واشترطوا أن تعتزل الوزارة الحكم ... تلك الوزارة التي أيدت الثورة وكانت في الجبهة الشعبية من يوم تأليفها .

وفي يوم الثلاثاء ١٥ إبريل طلعت الصحف ببيان آخر من رشدى باشا يدعو فيه الموظفين إلى العودة ، ويلقى عليهم مسؤولية الاستمرار في الإضراب .. ونشرت جريدة المقطم يوم ١٨ إبريل سنة ١٩١٩ أن رشدى باشا استدعى بعض أعضاء لجنة الموظفين ، وناقشهم طويلا ، وبين لهم خطر الموقف ، وانفض الاجتماع دون الوصول إلى قرار نهائي .

ويقف رشدى باشا موقفاً كريماً فيقبل اعتزال الحكم إن كان ذلك رغبة الموظفين ، وأطلع الوزراء رؤساء الموظفين على نص كتاب الاستقالة قبل أن يرفعوه إلى عظمة السلطان .. وتتوالى الحوادث بسرعة فيجتمع بعض أعضاء لجنة الموظفين ويقررون العودة . كان ذلك يوم ٢١ إبريل ؛ وفي اليوم الثاني أذاع الجنرال اللنبي منشوراً يقضى باعتبار كل موظف مستقيلا إذا لم يعد إلى عمله وأذيع المنشور في الصحف — الاهرام ٢٣ / ٤ / ١٩١٩ وفي نفس هذا العدد تكذيب بتوقيع محمد عاطف بركات ومحمد زكى الإبراشي : « لا صحة لما جاء في بعض المنشورات من أن اللجنة العليا للموظفين قد قررت الاستمرار في الإضراب ...

إن حركة إضراب الموظفين عام ١٩ كانت حركة رائعة موفقة لولا أنهم تمادوا فيها بعد زوال أسبابها .

(١) الاهرام والمقطم ٢١ / ٤ سنة ١٩١٩

إنها قصة رائعة لم يحسنوا ختامها ... وحسبك أنها انتهت بسقوط وزارة رشدى وكان سقوطها خسارة كبيرة ... وفي نفس اليوم الذي عادوا فيه كان اعتراف ويلسون بالحماية الإنجليزية على مصر تتناقله شركات البرق في العالم .

ولقد صحب هذه الحركة مواقف غاية في النبل والشجاعة ، والإيثار ... فمن ذلك أن الإنجليز طلبوا إلى الوزارة اعتقال زعماء الحركة ونفيهم فأبت الوزارة هذا ، وردت على الإنجليز بأن « رؤساء الإضراب هم زهرة الشبيبة المصرية فلا نقبل أن يهانوا ، ولا نستطيع تحمل مسئولية اعتقالهم ، وإذا بدا لقوة أجنبية أن تعتقلهم فسنكون نحن « الوزراء » أول الثائرين ... »

والذين سموا بأيام الحماية ، وعهود المستشارين والإشراف ، واستئثارهم بالحكم والنفوذ يعرفون إلى أى حد كان رشدى باشا رجلا فذا ومثلا نادراً في الشجاعة والاستبسال ، ويعرفون إلى أى حد ظلم الموظفون الرجل ، وحرموا حكومته من العون والتأييد ...

وأراد الإنجليز أن يأخذوا الموظفين بإضرابهم فجاء في أهرام الخميس الأول من مايو سنة ١٩١٩ منشور الحقانية بعنوان « موظفو الحكومة أيام إضرابهم عن العمل » : تقرر مبدئيا قطع مرتب مدة الإضراب وقدرها سبعة عشر يوما من ٣ إلى ٥ إبريل ثم من ٩ إلى ٢٢ منه — من جميع الموظفين والمستخدمين الوطنيين مع حفظ الحق في إبداء المعارضات . أما إعانة الرتب فتصرف كاملة طبقاً للتعليمات الخاصة بها »

وقبل الموظفون ذلك ، ولكنهم طالبوا ألا يعامل صغار الموظفين بذلك ... ويثور هؤلاء ويأبون أن يكونوا أقل من رؤسائهم بذلا وتضحية حتى يقنعهم الرؤساء بقطع الرواتب عن نصف مدة الاضراب .

هذه صفحة من تاريخ اليقظة المصرية ننفض من عليها غبار الليالي . وكم في سجل الثورة المقدسة من صفحات يجدر بالمصريين أن يرجعوا إليها ، وأن يقفوا عندها ... ليتأملوا ماضيهم ؛ حتى يتدبروا حاضرهم ، ويرسموا مستقبلهم ... ويربطوا حلقات جهادهم الوصول ...

(مؤرخ)

صفحة الماضي :

زيارة لحصن الأكراد (*)

أدب وحرب

للأستاذ أحمد رمزى بك

١ — لزيارة حصن الأكراد قصة لا بأس من إيرادها على سبيل الفكاهة كدخل لهذا الحديث ، فقد سبقتها زيارة لحصن آخر هو قلعة مدينة طرابلس . ولم يكن لدى برنامج موضوع لزيارة القلاع والحصون التى أنشأها الصليبيون أو احتلوها بالمشرق ، وإنما جاءت الزيارتان وليدتى المصادفة . وإليكم ما دفع إليهما .

٢ — حينما جاء الجنرال جورو الفرنسى إلى مدينة طرابلس عقب احتلال فرنسا للبلاد بعد جلاء الجيوش البريطانية عنها ، استقبل فى قلعتها استقبالا غريباً ، فقد تلقاه جماعة من جنوده ، وقد لبسوا لباس فرسان الهيكل Templier ومقابلة الاسبتار Hospitaliers ومعنى هذا الاستقبال مظاهرة صليبية بعد سبعمائة سنة من انتهاء هذه الحروب . وخطب الجنرال وأظهر سروره باسترجاع فرنسا لمعقل من معاقل الصليبيين . وقد عد هذا العمل من أخطاء جورو التى سجلت عليه ، لأن فرنسا لم تفتح هذه البلاد بجيوشها حتى تحتفل باسترجاع حصن نزع منها . ثم إن عقلاء الفرنسيين أشاروا بحجة إلى أن هذه الحروب كانت حرباً عامة اشترك فيها الفرنسيون وغيرهم من الألمان والإنجليز . وكانت نهاية الحروب خروج الصليبيين بعد هزيمتهم ، فليس من الحكمة فى شىء أن تلصق هذه الحروب ونتائجها بالشعب الفرنسى وحده .

٣ — كان قد مضى أكثر من عشرين عاماً على هذه الحوادث حينما زرت مدينة طرابلس ، فإذا بأهل المدينة يتحدثون عنها ، وكأنها حصلت من أيام . لله در الجنرال جورو ! لقد كان أهل طرابلس رجال رباط ومثاغرة منذ القدم ، فإذا هو يذكرهم بماضيهم ، وإذا هم من جديد من المرابطين المثاغرين الذين لم يفقدوا شيئاً من حماسة آبائهم وأجدادهم ، وكان أن تحادثنا فى موضوع مدينة طرابلس وكيف دخلتها جيوش الملك المنصور سيف الدين قلاوون وانتزعتها من أمراء الصليبيين ؛ وتحمس الجمع فخرجنا إلى قلعة طرابلس ، وقرأنا الكتابة التى سجلها الفاتح على باب القلعة : وكان أثر هذا الاستقبال الفرنسى أن أوجد وعياً قومياً وحماساً فى قلوبنا .

٤ — وأمضينا سهرة حول فتح طرابلس وسير حملتها ، فإذا بالحديث يتناول قلعة الحصن أو حصن الأكراد وهى التى قامت منها الحملة التى استولت على طرابلس ، وكان أن تقررت زيارتنا للحصن المنيع فى يوم من أيام عام ١٩٤١ حينما كانت الحرب العالمية الثانية فى أشد أدوارها وطأة : فقمنا فى أكثر من ست سيارات على طريق حمص ، وما كدنا نترك محطة تل كلخ حتى ظهرت لنا القلعة العظيمة بأبراجها تطل علينا من فوق رابية لا يقل ارتفاعها عن ستمائة وخمسين متراً عن سطح البحر ، وهى فى ضخامتها وعظمتها توحى إلى الناظر إليها بأنها تتحدى الأجيال . فكأن الزيارة الأولى جاءت من وحى الاستقبال الفرنسى ، وأتت زيارة حصن الأكراد نتيجة لما لمسناه ورأيناه عند زيارة قلعة طرابلس: كان كل هذا بغير قصد معين .

٦ — وتمت هذه الزيارة فى يوم بأكمله . فقد صعدت بنا السيارات إلى قمة هذا المرتفع ، ورأينا الأراضى الخصبة التى كان يسيطر عليها أصحاب الحصن ، وظهر لنا البحر من بين المرتفعات : ورأينا كيف كان أهل الحصون يتخابرون بالنيران الموقدة . وحينما نزلنا من السيارات واتجهنا إلى باب الحصن أخذتنا الرهبة لدى قراءة ما كتب بالخط النسخ الجميل من مثال العصور المملوكية القديمة فى مصر . فأخذنا نحاول القراءة ، فأتى إلينا من باع لكل منا بطاقة قد صورت عليها الكتابة الخالدة :

٧ — بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بتجديد هذا الحصن المبارك ، فى دولة مولانا الملك السلطان الملك الظاهر العالم العادل

(*) نص المحاضرة التى ألقاها الأستاذ أحمد رمزى بك الممثل السياسى لمصر بسورية ولبنان من ٣٩ — ١٩٤٤ عن زيارته لقلعة حصن الأكراد بسورية فى نادى خريجى جامعات فرنسا وسويسره وبلجيكا فى مساء يوم الجمعة ١٦ إبريل ١٩٤٨

المجاهد المرابط ... ركن الدنيا والدين أبو الفتوح بيبرس قسيم أمير المؤمنين ، وذلك بتاريخ يوم الثلاثاء خامس وعشرين من شعبان سنة ٦٦٩

٨ — لا أخفى عنكم أنها كانت وكأنها نفحة من نفحات مصر تستقبلنا . أما أنا فقد كنت سريع الخطى ، أقفز ذات اليمين وذات اليسار ، كنت أرى الحصن بأبوابه وأبراجه وأسواره وطبقاته وكأنه قطعة من بلادنا .

وصعدت على الدرج وقلت من هنا صعد أبو الفتوح بجنده وأمرائه ، ومررت إلى الرحبة الأولى فإذا الحصن الثانى له روعة أكبر من الروعة التى يراها الإنسان للباب الأول : ومن هذا المدخل يصعد الداخل إلى مكان القيادة ، فرأيت كيف أبقى الزمن آثار أقدام الحرس ، وحيث موضع الرماح التى كان يحملها النيادبة كنت أراها على يمين الداخل وشماله حتى صعدنا إلى الأماكن العالية : حيث كانت حجرات الرئيس ومائدته ومكان عبادته .

٩ — هذه هى النظرة الأولى لهذه الزيارة ، وقد جعلتها موضوع حديثى الليلة ، فلا تنتظروا منى أن أحدثكم حديث العالم فى فن هندسة التحصين وعمارة القلاع قديمها وحديثها ، ولا أن تسمعوا منى حديثاً فى التاريخ وعلم الآثار ، وإنما حديثى الليلة هو حديث رجل مرّ بحصن من حصون القرون الوسطى فأخذته روعة المكان ، وغمرته ذكريات عن بلاده وهو بعيد عنها ، فإذا به ينادى هذه الحجارة القائمة ، ويحدثها ويسمى إلى منادمة الماضى سعياً قد يجعل هذا المكان يبوح بسره وينطق بما كان عليه من أمجاد القرون الماضية .

١٠ — فالمعلومات التى أقدمها لم أحاول جمعها على طريقة علمية منطقية بالبطاقات ، ولم تكن نتيجة خطة معينة ، أو بحث قصدت به أن أقف بينكم اليوم لأنقله إليكم ، وإنما هى نتيجة مطالعات متفرقة فى أوقات متباعدة ، وهذه المطالعات أثارتها زيارتى لهذا الأثر ورغبتى فى إشباع نفسى منه .

١١ — فهناك فريق من الناس يؤمنون بأن قيمة بعض الأشياء هى فى مقدار ما تثيره فى أنفسهم من انتباه أو وعى أو رغبة فى الاستزادة من التعرف إليها ، ثم فيما تتركه هذه الأشياء فى عقولهم وأذهانهم من دوافع قد تلازمهم مدة طويلة من الزمن ، وتدفعهم إلى عمل أشياء نافعة أحياناً .

١٢ — وإنى أتشرف بأنى من هؤلاء الذين يؤمنون بأن التاريخ والآثار وكثيراً من محاسن هذه الدنيا ، هى حية ما دامت تؤثر فينا وتجعلنا نشعر بشعور معين ، ونحت إيحاء هذا الشعور نقوم بإتمام عمل من الأعمال النافعة المفيدة . وأعترف بأنى مدين لزيارتى حصن الأكراد بشىء كبير من هذا الإيحاء الذى لازمنى مدة طويلة ونفخ فى روحى حماساً ، للتعرف على أشياء ، والإيمان بمصور كانت فى مخيلتى قائمة يحيط بها الكثير من الضباب . فأخذت أتحين الفرص لزيادة معلوماتى عنها وشغل أوقات الفراغ فى تعرف هذه الأيام والكشف عما وراء الحجب من أشياء قد تكون معلومة لأهل الاختصاص ، ولكنها كانت على كل حال مجهولة لى .

١٣ — لا بد أنكم اشتقتم إلى التعرف على هذه القلعة السورية ، والتى أمضيت كل هذه المدة دون تحديد موقعها ، والتحدث إليكم عنها بعد أن طال حديثى عن مقدمات هذه الزيارة . ولذا أنقل إليكم ما كتبه الأستاذ الجليل محمد كرد على ، صاحب خطط الشام إذ قال : قلعة الحصن ، أو حصن الأكراد أو الكرك Crae des Chevaliers ولا تزال محفوظة منذ عهد الصليبيين على ما هى عليه ، وهى آية فى باب الهندسة العسكرية فى القرون الوسطى ناطقة بلسان حالها بأن هؤلاء نزلوا الأراضى المقدسة .

١٤ — قال : فلننظر بعده إلى ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان فقد كتب : منذ أكثر من سبعمائة عام حصن الأكراد هو حصن منيع ، حصين على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب وهو المتصل بجبل لبنان ، وكان بعض أمراء الشام قد بنى فى موضعه برجاً ، وجعل فيه قوماً من الأكراد كطليعة بينه وبين الفرنج وأجرى لهم أرزاقاً ، فخافوا على أنفسهم فجعلوا يحصنون هذا البرج إلى أن صار قلعة حصينة ، منعت الفرنج من كثير من غاراتهم فنازلوه ، فباعه الأكراد ونزحوا لبلادهم ، وملكه الفرنج وهو فى أيديهم إلى هذه الغاية (أى إلى

عهد ياقوت الحموى) وبينه وبين حمص يوم واحد ، ولا يستطيع صاحب حمص أن ينتزعه من أيديهم .

ثم اختلط عليه الأمر فجاء بذكر الدواية فى حصن الأكراد ويقصد فئة الاسبتار أصحاب الحصن فقال عنهم : هم قوم من الفرنج يحبسون أنفسهم لقتال المسلمين ويمنعون أنفسهم عن النكاح — يقصد إيمانهم بالرهبنة — ولهم أموال وسلاح ويتعاطون القوة ويعالجون السلاح ولا طاعة لأحد عليهم . انتهى كلامه .

١٥ — وهذا رأى لكاتب عربى قبيل استعادة الحصن من أيدى الصليبيين : ويهمنا قبل الانتقال من هذا التعريف أن نصحح لياقوت ؛ فأصحاب الحصن هم جماعة الاستبار لا الداوية .

١٦ — والاسبتار هم Les Hospitaliers والداوية هم الهيكليون نسبة إلى هيكل سليمان أو المعبد Les Templiers وهما منظمتان صليبيتان ، كان الغرض الأساسى من تأليفهما مد يد المساعدة لرواد الأراضى المقدسة الذين تنقطع مواردهم ، أو يقعدهم المرض ، ومن هنا نفهم كلمة Hisplar ثم ألقى عليهما واجب حماية الحاج .

ثم انتهى الأمر بهما إلى أن أصبحتا قوتين عسكريتين منظمتين لمحاربة المسلمين . وقد حصلت كلتاهما على حق احتلال القلاع والحصون ، وعلى حق إدارة المقاطعات وفرض الضرائب ، وعلى حق عقد المعاهدات والهدنة والصلح . فأصبحت كل منظمة حكومة داخل حكومات الصليبيين ، ووصل عدد المنتمين لهاتين المنظمتين إلى ١٥٫٠٠٠ مقاتل ، وكانوا على ثلاثة أصناف :

١ — الفرسان : من طبقة النبلاء من مختلف شعوب أوروبا وهم الذين يتولون مناصب الشرق الكبرى .

٢ — الضباط : ويمكن أن يلحق بهم أبناء الطبقات الوسطى .

٣ — الكتاب : ويتولون وظائف الكتابة والأعمال الدينية الثانوية .

١٧ — وكان حصن الأكراد معقلا من معاقل الاسبتار : وهم الذين زادوا على أسواره وبنوا الأبراج العالية . وأهم ما بقى من آثارهم القاعة الكبرى ومسكن رئيس الفرسان Logis du Maitre وغير ذلك . وقد تسلموا الحصن من أمير مقاطعة طرابلس لوجود الحصن على الحدود .

١٨ — وكانت القواعد المتبعة أن يقسم جماعة الاسبتار ، أو الهيكليين على الدفاع حتى الموت ، ولا يعفون من قسمهم إلا بأمر أعلا من عميد الهيئة (Le Grand Maitre) فكانوا أهل رباط يتقربون إلى الله بقتال المسلمين بغير هوادة ، وكانوا يعتبرون من مات فى قتال الإسلام شهيداً ، ومن عوائدهم (التى أخذوها عن المسلمين وأهل الشرق) اطعام أربعين مسكيناً لمدة أربعين يوماً ، وإخراج زكاة العشر للفقراء عن جميع المحاصيل ، بل فرضوا على أنفسهم إخراج رغيف عن كل عشرة أرغفة تخبز فى مطاحنهم .

١٩ — وكانت المنافسة على أشدها بين المنظمتين ، بل كانت تنتهى أحياناً إلى العداء المفتوح ، وفى منطقة حصن الأكراد كانت قلاع صافيتا وطرطوس فى يد الهيكليين .

٢٠ — وللمنتظمتين تاريخ طويل فى الحروب الصليبية ، ويبرز اسم عميد كل منهما فى كثير من الحوادث ، وفى توجيه سياسة الأمارات اللاتينية . ولذا أفرد المؤرخون المؤلفات الطويلة للتحدث عنهم .

٢١ — ويهمنا من أمرهم ما كان لهم من السلطان فى حصن الأكراد ، فقد ذكر صاحب كتاب :- Les Hospitaliers en Terre Sainte كشفاً بأسماء من تولوا وظائف كبرى من الاسبتار بحصن الأكراد ابتداء من ١١٦٥ إلى ١٢٦٧ وخصوصاً المعداء nes Chatelails ذكر من بينهم . - Pierre de Mirmandi ' Raymond de Pignani Arnaud de Mon-thrn . ويؤكد الكثيرون أن رفاقهم لا يزالون فى أقبية الكنيسة التى كانت بالحصن .

ولقد رأيت فى متحف الحصن مجموعة من الجماجم البشرية ، وعليها آثار ضربات السيوف ، فهل هى لقوم الاسبتار أم لجماعة من المسلمين ؟ هذا ما يقف التاريخ حائراً أمامه .

(يتبع) أحمد رمزى

حول دولة صهيون المزعومة :

بيت العنكبوت ! ...

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » . قرآن كريم

تزعم أسرة العناكب أنها عاشت حيناً من الدهر في بيت تام البناء ، مكتمل الأثاث ، كثير المتاع ؛ وأن صروف الزمان وعواديه أخرجتها من بيتها بغير حق ، فتقطعت بها الأسباب ، وسُدَّت في وجهها الأبواب ، وأصبح شملها مشتتاً بعد اجتماع ، وأمسى حبلها مبتوتاً بعد اتصال ...

وتزعم أسرة العناكب — فوق ذلك — أن طائفة منها طوفت في الآفاق ، فما ثُقِفت في بلد إلا ساماها أهلوه سوء العذاب ، حتى انتهى بها التطواف إلى البقعة المباركة التي أُخرجت منها ، فبدا لها أن تتخذ فيها بيتاً واحداً يضم « قومها » فحشرت ونادت فما أجابها منهم إلا أصوات بعيدة في الشرق والغرب ، وفي الشمال والجنوب ، فأوحت إليهم أن انسجوا خيوطكم بكرةً وعشياً ، ثم هاجروا إلينا لواذاً ، ثم ائتونا صفاً ، فسنبني معاً بأيدينا ذلك البيت الذي حرمتنا منه الحياة ، في الأرض المقدسة التي أخرجنا منها شرَّ إخراج !

وانهمكت طائفة العناكب في إعداد تصميم البناء ، وراحت تعمل في ضمير الخفاء ، بينما أنشأت أخواتها تنسج لها الخيوط تباعاً ثم تمدها إليها من كل مكان ، فتجمع بعضها على بعض وتفتلها فتلا محكما لتجعل منها حبالا تستطيع أن تصطاد بها إذا احتالت ما تشاء .

وصبرت العناكب طويلا على الذلة مضروبة عليها ، والمسكنة محيطة بها ... ولكن حبالها التي تجمعت لديها بالصبر ، سهلت عليها بالمكر أن تصطاد الثعلب الذي يخدع ولا يخدع ، والذئب الذي يأكل ولا يشبع ، والحرباء التي تتلون ولا تخشع ، فامتطت ظهورهم إلى غايتها ، وسخرتهم جميعاً لخدمتها ، فأسقطوا من كرامتهم لأعزازها ، وذلوا أمامها ذلة العبيد للسيد الجبار !

وعجب الناس للثعلب كيف خدع وهو الذي لم يتقن إلا الخديعة والمكر ، وللذئب ما الذي أرضاه فقنع وإنه لا تقنعه إلا الفريسة البكر ، وللحرباء لم شحب لونها وامتقع وإن وجهها ليتخذ ألف لون في كل شهر ... وخف عجب الناس حين تبين لهم أن خيوط العنكبوت التي استحالت حبالا قد سولت للثعلب الماكر أن في مكنتها أن تصنع له المعجزات فواعدها سراً وعده المشئوم ؛ وللذئب الكاسر أنها ستقتنص له الفرائس السمان فساعدها علانية على بيتها المزعوم ؛ وللحرباء المتلونة أنها ستكون ملك يدها وطوع إشارتها فأيدت الباغي الغشوم ، وانتصرت للظالم على المظلوم !

ولم يدر الثعلب على مكره ، ولا الذئب على حذره ، ولا الحرباء على نفاقها ، أن العنكبوت على وهن خيوطها كانت أسرع منهم مكراً ، وأكثر منهم حذراً ، وأشد منهم نفاقاً ...

ثم تصرمت الأيام ، وقويت الصلات بين هذه العناكب وأصحابها الثلاثة ، فتعاهدوا على أن يدبروا لأسد الغاب مكيدة يخرجونه بها من عرينه ، فإن الله قد ضرب على أذنه سنين عدداً ، فنام نومة الشِّبع بعد أيام ذات نصب وعذاب ، وغط غطيط المتعب إذ يحلم بالأماني العذاب ، ولم يدر بخلده أن العناكب قد صنعت من حبالها شباكا ، وأنها اغتنمت فرصة نومه فألقت عليه هذه الشباك ، واستعانت بحيلة الثعلب وقوة الذئب وتدبير الحرباء على زحزحته عن موضع رقاده ؛ فصحا في استرخاء الكسول ، وتثاءب تثاؤب الملول ، ثم ردد بصره في حيرة وذهول ، كأنه لا يصدق شيئاً مما يرى ، فما كان للثعلب أن يسعى للمكر به ، وما كان للذئب أن تطوع له نفسه الدنو منه ، ولا كان للحرباء — تلك الحرباء الحقيرة التي ليس لها سلاح إلا التلون والنفاق — أن تجرؤ على الغدر به ؛ فليحاول تمزيق الشباك بأنيابه ومخالبه ، وليزأر زئيره المرعب ، وليثر ثورته الغاضبة ، فلعل أشباله تسمع زئيره فتستصرخه ، ولعلها لا تكون بعيدة عن العرين الذي رباها فيه ، ولا نائمة في الغاب كما كان

نائماً ، ولا هى تنغط مثلما كان يغط ؛ أو لعلها لا تكون مشغولة بأكلها وشرابها ، تعدو على الفرائس فتلتهمها ، وترد العيون لتشرب ماءها ، لاهية عن عرينها وعرين آبائها وأجدادها فإن للصوص لغدراً تضل معه حكمة الحكماء ، وأن للجبناء لمكراً تعجز عنه شجاعة الشجعان ..

ولما سمع الثعلب والذئب والحرباء زئير الأسد نكصوا على أعقابهم وقد أصاب قلوبهم من الهلع ما جعل دماءهم تجمد فى عروقهم ، وكادوا يعلنون للعناكب نقضهم لما أبرموا معها ، ورجوعهم عما به وعدوها ، وولائهم للأسد الذى يعرف كيف ينتقم لنفسه منهم ومنها ، لولا أنهم رأوا أسرابها تتغافل الأسد فتدب على ظهره ، وتجرى بين يديه ، وتغشى فوق عينيه ، وهو لا يكاد يحس بها لصغرها وحقارتها ، فظن الأصحاب الثلاثة أن العناكب لم تعلُ رأس الأسد إلا لأنها أشد منه قوة ، ولم تَعُم من جسده حيث تشاء إلا لأنها أعظم منه بأساً ؛ واستطاعوا أن يستعيدوا رباطة جأشهم ، وطفقوا يهتفون للعناكب هتاف الإعجاب والتشجيع ، بل استبد بهم الغرور ، فنادوا الفيلةَ والنمور ، والدببة والقرود ، حتى الغزلان والفهود ، والبغال والحمير ، والهررة والكلاب ، لينقلبوا على سيد الغاب ، ويعترفوا بعرينه للعناكب ، فهذه شريعة الذئاب والحرباوات والثعالب ! .

واجتمعت على أصواتهم الوحوش الشرسة ، والحيوانات الأليفة : فنها ما كان يعوى ، ومنها ما كان يزمجر ، ومنها ما كان ينبح ، ومنها ما كان ينهق ، ومنها ما كان يخور ؛ فاختلطت من أصواتها النكراء موسيقى عجيبة لا تطرب من الناس أحداً إلا ترومان الأحمق ، وأتلى الطائش ، وستالين المغرور .

بيد أن هذه الأصوات لن تغنى العناكب شيئاً ، فلقد سمع الأشبال زئير الأسد ، فصحوا من نومهم كما صحا من نومه ، وتناسوا أحلامهم كما تناسى أحلامه ، وأقسموا لا يذوقون الأكل ولا الشراب ، حتى يخرجوا العناكب من الغاب ، ويلقوا درساً بليغاً على الثعالب والحرباوات والذئاب ...

وإن سهول مصر وجبال لبنان ، وبطاح سورية وواحات العراق ، وأودية الأردن ونجود الحجاز ، ورمال الجزائر ورياض اليمن ، وإن كل بقعة تهتف بالإسلام ، وكل أرض تنطق بالضاد لتنظر من بعيد إلى البلاد المقدسة ... إلى فلسطين عرين العروبة لترى رأى العين كيف ينتصر أشبالها الأشاوس ، وكيف يحفظون البيت لأسياده ، وكيف يمزقون بنفخة واحدة ما نسجته يد المنكبوت .

يومئذ تندم بريطانيا التى ظنت أنها تخدع ولا تخدع ، وتعض أناملها من الغيظ أمريكا التى عرفها العالم تأكل ولا تشبع ، وتزهق نفس روسيا التى مردت على النفاق ولم تخشع . ويومئذ تعلم العنكبوت البلهاء أن الأولياء الذين اتخذتهم من دون الله لا يستطيعون أن يبنوا لها بيتاً ، ولا أن يوطئوا لها كنفاً ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، و « يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١)

صبحى ابرهيم الصالح

---

(١) سورة الروم الآيات ٤ — ٥ — ٦

من تاريخ الطب الاسلامي

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غني

سفير إيران بمصر

— ٣ —

لقد كان بدء نقل الكتب العلمية إلى اللغة العربية كما ذكرنا آنفاً — بعد استقرار الحكم العربي ، وأن أكثر المترجمين كانوا من أمم غير عربية ، وأحياناً من غير المسلمين كالسريان والعبريين ومن الإيرانيين المسلمين منهم ، والنصارى واليهود والمجوس ، غير أن النهضة العلمية الحقيقية بدأت في العصر العباسي ، وكان للإيرانيين حينذاك نفوذ كبير وشأن في الدولة عظيم .

ففي هذا العصر ترجمت كتب علمية على درجة كبيرة من الأهمية ، ولا سيما في زمن خلافة المأمون . وكانت أمه وزوجته إيرانيتين ، وكان نفوذ الإيرانيين قد بلغ في عهده غايته ، ففي هذا العصر حصل العرب بطريق الفتح ، أو بإيفاد بعوث خاصة إلى بلاد الامبراطورية البيزنطية ، أو بالشراء أو المبادلة على كثير من الكتب اليونانية النفيسة ، أو ترجمتها السريانية ، فجمعوها في مكتبة الخليفة المسماة (بيت الحكمة) ، وقام بتعريبها مهرة المترجمين . ويروى بعض المؤرخين المسلمين عن سبب اهتمام المأمون بالعلوم الفلسفية وغيرها قصة ملخصها أن المأمون رأى أرسطو في منامه وسر من كلامه ، فرغب في قراءة مؤلفاته . لذلك أحضر كتبه وأمر بترجمتها إلى العربية .

ويروى ابن النديم بهذا الشأن هذه الرواية :

(إن المأمون رأى في منامه كأن رجلا أبيض اللون ، مشرباً حمرة ، واسع الجبهة مقرون الحاجب أجلح الرأس أشهل العينين ، حسن الشمائل ، جالس على سريره . قال المأمون : وكأني بين يديه قد ملئت له هيبة ، فقلت من أنت؟ قال : أنا أرسطاليس . فسررت به وقلت : أيها الحكيم ، أسألك؟ قال سل . قلت ما الحسن؟ قال ماحسن في العقل . قلت ثم ماذا؟ قال ما حسن في الشرع ، قلت ثم ماذا؟ قال ما حسن عند الجمهور . قلت ثم ماذا؟ قال ثم لا ثم . وفي رواية أخرى قلت زدني ، قال من نصحك في الذهب ، فليكن عندك كالذهب . وعليك بالتوحيد . وهو يعتقد أن هذا المقام كان من أوكد الأسباب في إخراج الكتب ، غير أننا نرى كما سبق القول في ذلك ، أن ظهور الفلسفة والعلوم في الإسلام كان أمراً طبيعياً وكان من مستلزمات الحضارة ، وأن اتصال المسلمين بالأمم المتحضرة كان يوجب عليهم الاكتساب من علومهم ومعارفهم .

وكما أن اللغة اللاتينية كانت لغة العلم في جميع البلاد الأوربية طوال القرون الوسطى ، أصبحت اللغة العربية بالتدريج ، لغة العلم والعلماء بين المسلمين . وكان العلماء والمسلمون من كل قوم ولغة يؤلفون مؤلفاتهم بها ليستفيد منها جميع المسلمين . وبتوالي الزمن أصبحت المصطلحات العلمية التي وضعت في اللغة العربية ، كالنقد الرائج يتلقاها الجميع بأحسن قبول .

هذا ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن للغة العربية خصائص ومزايا تجعلها صالحة لوضع المصطلحات الجديدة فهي من أغنى لغات العالم ، ففي اللغة العربية مثلا وزن (فُعال) وأكثر الكلمات التي على هذا الوزن ، مثل صداع وزكام وجذام ودوار وبحار (دوار البحر) وخمار وغيرها تدل على الأمراض ، وتلك مزية قلما تتوفر في لغة أخرى ، إلى غير ذلك من مزايا لا تعد ولا تحصر .

وقد وضع العرب في بعض الأحيان بمهارة متناهية ، كلمات عربية تؤدي معاني الكلمات اليونانية بدقة مثل كلمة تشخيص مقابل كلمة ديا جنوسيس Diagnosis ، وتقدمة المعرفة مقابل پروجنوسيس Prognosis كما أنهم كانوا في أحيان أخرى يأخذون نفس الكلمات اليونانية بصورتها الأصلية مع تحريف بسيط يناسب النطق العربي مثل كلمات (ذوسنطاريا) و (إيلاوس) و (ذيابيطوس) .

وهذه الكتب المترجمة إلى العربية هي التي ترجمت من العربية إلى اللاتينية في القرون الوسطى ، وترجمت معها المؤلفات الطبية لمحمد بن زكريا الرازي ، وعلى بن العباس المجوسي الأهوازي ، والشيخ الرئيس ابن سينا ، وأبي القاسم الزهراوي وأضرابهم ، ودرست في مدارسهم وبعد ذلك بزمن طويل أي في العصور الحديثة عرف الأوربيون المتون اليونانية الأصلية لتلك التراجم ؛ وبعد العثور على المتون الأصلية ، فقدت التراجم العربية رونقها السابق .

يذكر ابن النديم في الفهرست (١) أسماء ما يقارب السبعين مترجماً من هؤلاء المترجمين مع ذكر الكتب التي قاموا بتعريبها واللغة المترجم عنها ، كما أنه يذكر ضمن بيان ترجمة الحكماء والأطباء اليونانيين أسماء مؤلفاتهم التي ترجمت إلى العربية مع ذكر أسماء الذين قاموا بترجمتها ، أو الذين قاموا بإصلاح الترجمة بعد مراجعتها على الأصل اليوناني أو السرياني ، غير أن أكثر هذه الكتب قد ضاع مع الأسف على أثر الحوادث المختلفة .

وها نحن أولاء نذكر هنا كنموذج أسماء بعض كتب بقراط وجالينوس المهمة المترجمة إلى العربية مع ذكر أسماء الذين قاموا بترجمتها (٢) .

١ — كتاب عهد بقراط تفسير جالينوس : ترجمه إلى السريانية حنين بن إسحق ثم نقله إلى العربية حبيش وعيسى بن يحيي

٢ — كتاب الفصول لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه حنين بن إسحق في سبع مقالات إلى العربية .

٣ — كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه حنين بن إسحق إلى العربية .

٤ — كتاب الأمراض الحادة لأبقراط تفسير جالينوس : ترجم عيسى بن يحيي ثلاثاً من مقالاته الخمس إلى العربية .

٥ — كتاب أبيذيميا لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه عيسى بن يحيي إلى العربية :

٦ — كتاب الأخلاط لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه عيسى بن يحيى إلى العربية .

٧ — كتاب الماء والهواء لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه حنين بن أسحق إلى العربية .

٨ — كتاب طبيعة الإنسان لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه حنين بن إسحق وعيسى بن يحيى إلى العربية .

ويلاحظ أن معظم كتب جالينوس نقلت إلى العربية بواسطة حنين بن إسحق أو تلاميذه ، مثل عيسى بن يحيى ، وحبيش . كان حنين بن إسحق من أشهر علماء عصره وأكثرهم إنتاجاً ، فإن سبعة أعشار مؤلفات بقراط قد ترجمت بواسطته ، والقسم الباقي منها ، وكذلك الشطر الأكبر من مؤلفات جالينوس قام بترجمته هو أو بعض تلاميذه .

وكان حنين ينقل على الأغلب الكتب اليونانية إلى السريانية ثم يقوم تلاميذه بنقلها من السريانية إلى العربية ، ثم يراجعها هو بنفسه ويصححها . وقد قام هو بنقل بعض الكتب من اليونانية إلى العربية مباشرة ، ويتضح من مجموعة ترجماته أنه كان متضلعاً للغات في الثلاث: اليونانية والسريانية والعربية تضلعاً تاماً

وقد قام حنين بن إسحق وابنه إسحق بن حنين وتلاميذه بترجمة بعض مؤلفات جالينوس بالكيفية التي ذكرناها في ترجمة كتب بقراط منها كتاب (الصناعة) وكتاب عن (النبض) وكتاب في (العلاج) و(المقالات الخمس في التشريح) وكتاب (الاسطقسات) وكتاب (المزاج) وكتاب (القوى الطبيعية) وكتاب (العلل والأعراض) وكتاب عن أمراض (الأعضاء الباطنية) وكتاب كبير عن (النبض) وكتاب عن (الحميات) وكتاب عن(بحران المرض) وكتاب عن(أيام البحران) وكتاب في (حفظ الصحة) وكتاب (التشريح الكبير) وكتاب عن (اختلاف التشريح) وكتاب (تشريح الحيوان الميت) وكتاب (تشريح الحيوان الحي) وكتاب عن (علم بقراط في التشريح) وكتاب عن (علم أرسطو في التشريح) وكتاب (تشريح الرحم) وكتاب (حركات الصدر والرئة) وكتاب (علم النفس) وكتاب (الصوت) وكتاب (حركات العضل) وكتاب (الحاجة إلى النبض) وكتاب (الحاجة إلى التنفس) وكتاب (العادات) وكتاب (آراء بقراط وأفلاطون) وكتاب (فوائد الأعضاء) وكتاب (سوء المزاج) وكتاب (الأدوية المفردة) وكتاب (الأورام) وكتاب من (المولود في الشهر السابع) وكتاب عن (سوء التنفس) وكتاب (تقدمة المعرفة) وكتاب عن(الفصد) وكتاب عن صرع الأطفال وكتاب عن الأغذية وكتاب (الكيموس) وكتاب معالجة الأمراض الحادة وكتاب تركيب الأدوية وكتاب في أن الطبيب الفاضل (فيلسوف) وكتاب عن الكتب المنسوبة إلى بقراط ، وبيان الكتب المقطوع بصحة نسبتها إليه ، وكتاب في الترغيب في درس الطب ، وكتاب عن اختبار الطبيب ، وكتاب

(١) صفحة ٣٤٠ — ٣٤٢ طبع مصر
(٢) الفهرست صفحة ٤٠١ طبع مصر

فى أن قوة النفس تابعة لمزاج البدن ، وكتب أخرى ترجمت جميعها بهمة حنين بن اسحق وتلاميذه مثل حبيش بن الحسن الأعثم وعيسى بن يحيى واصطفن بن بسيلى وابراهيم بن الصلت ونجله اسحق بن حنين وأخرين .

وقد نقلت مؤلفات أخرى لمشاهير الأطباء اليونانيين إلى العربية مثل كتاب (تشريح الأحشاء) وكتاب (الأدوية المستعملة) لأوريباسيوس Oribase وكتب عدة من مؤلفات روفس(Rnfus d'Ephése) منها كتاب تسمية أعضاء الإنسان وكتاب اليرقان ، وكتاب أمراض المفاصل ، وكتاب عن أمراض الحنجرة والبلغوم والذبحة ، وكتاب عن النساء العواقر ، ووصايا صحية ، وكتاب الصرع ، وكتاب حمى الربع وكتاب ذات الجنب وذات الرئة وكتاب عن القيء وكتاب عن الدوار القاتل وكتاب عن أمراض الكآبة والمثانة وكتاب فى الجراحات وكتاب عن صحة الشيوخ وكتاب عن التوليد وكتاب اختباس الطمث وكتاب الأمراض الزمنة على رأى (بقراط) وكتب أخرى منها كتاب عن (أمراض العيون وعلاجها) وكتاب عن الدودة الوحيدة من مؤلفات الطبيب الشهير اسكندروس طراليتيوس Alexandre de Tralles وبعض كتب بولس الأجانطبى Paule d'Egine منها كتاب أمراض النساء وكتاب (الأدوية المفردة) لديسقوريدس Dioscoride وهو من أعاظم علماء الأدوية والعقاقير وقد قام برحلات كثيرة للبحث عن خواص الأعشاب والنباتات إلى كثير من البلاد والجزائر النائية .

ولحنين بن اسحق العبادى المترجم العظيم المذكور المتوفى حسب رواية ابن النديم فى صفر من العام الستين بعد المائتين من الهجرة ، غير كل هذه الكتب المترجمة مؤلفات هامة كثيرة منها كتب فى الطب مثل كتابه فى الأطعمة وكتاب فى تقسيم علل أمراض العين وعلاجها وكتاب عن الأسنان واللثة وكتاب عن أوجاع المعدة وعلاجها وكتاب عن المولود فى الشهر الثامن .

ومن كبار المترجمين الذين يدين الشرق لخدماتهم العلمية قسطا بن لوقا البعلبكى ويقول ابن النديم فى ترجمته (كان يجب أن يقدم على حنين لفضله ونبله وتقدمه فى صناعة الطب ، ولكن بعض الإخوان سأل أن يقدم حنين عليه وكلا الرجلين فاضل) .

إن معظم ما قام بترجمته قسطا بن لوقا فى الهندسة والأعداد والموسيقى ، غير أن له كذلك تراجم جيدة جداً فى الفلسفة والطب منها كتاب (الدم) وكتاب (البلغم) وكتاب (الصفراء) وكتاب (السوداء) وكتاب (علة الموت الفجاءة) وكتاب (أيام البحران) وكتاب (الفصد) .

وينتسب عدد كبير من كبار مترجمى اللغة العربية لمدينة حران . وكانت تسمى هلنو پوليس (Helleno polis) لحبهم العظيم للمعارف اليونانية وعرف هؤلاء بالصابئين . وليس هنا مجال التحدث عن أصلهم وديانتهم .

وأشهر علماء حران ومترجميها ثابت بن قرة ونجله أبو سعيد سنان بن ثابت ونجل هذا الأخير أبو الحسن وآخرون من أنجاله وأحفاده وقد اشتهروا جميعاً بالعلم وحسن الترجمة .

ومن أعاظم علماء القرن الثالث الهجرى أبو يوسف يعقوب ابن اسحق الكندى المعروف بفيلسوف العرب ، وكان متبحراً فى علوم القدماء ، وله مقالات ومؤلفات نفيسة فى كل فرع من فروع العلوم المختلفة ومنها الطب . وينسب له ابن النديم فى سياق ذكر مؤلفاته فى العلوم والفنون المختلفة الكتب الآتى ذكرها فى الطب :

رسالة فى (طب بقراط) ورسالة فى (الأطعمة والأدوية القاتلة) ورسالة فى (الأبخرة التى تنقى الهواء وتزيل منه آثار الأوبئة) ورسالة عن (الأدوية التى تزيل آثار الروائح المؤذية) ورسالة فى (كيفية الأدوية المسهلة وجذب الاخلاط) ورسالة فى (حفظ الصحة) ورسالة فى (أسباب بحران الأمراض الحادة) ورسالة عن (الأعضاء الرئيسية فى الإنسان) ورسالة عن (كيفية تركيب الدماغ) ورسالة عن (علة الجذام والشفاء منه) ورسالة فى (عضة الكلب الكلب) ورسالة فى (الأعراض التى تظهر بسبب البلغم) ورسالة عن (علة موت الفجاءة) ورسالة عن (أوجاع المعدة والنقرس) ورسالة عن (الطحال) ورسالة عن (فساد جسد الحيوان) ورسالة عن (مقدار فائدة صناعة الطب) ورسالة عن (الطعام) وأخرى عن (فساد الطعام) .

والآراء جد مختلفة فى قيمة هذه التراجم ومبلغ جودتها أو رداءتها .

يقول پونيون Pognon (وكان قنصلا لفرنسا بحلب وقد طبع عام ١٩٠٣ المتن السريانى لأحد مؤلفات بقراط مع ترجمته

فى ليبزيك) أن التراجم السريانية غامضة ومعقدة وهى تراجم لفظية لدرجة أن معانى بعض الجمل لا تفهم ، وأن تركيب الجمل والعبارات فيها مشوش ، ومفردات اللغة مستعملة لغيرما وضعت له من المعانى . وسبب ذلك أن المترجين كانوا يجتهدون فى أن تكون ترجمتهم صادقة ومطابقة للأصل على قدر الإمكان ، ولذلك كانوا عند ما يواجهون جملة صعبة يكتفون بوضع الترجمة اللفظية للكلمات اليونانية مكان الكلمات الأصلية دون أن يفكروا فى معنى العبارة كلها ، وإن جهلوا معنى الكلمة اليونانية اكتفوا بكتابتها عيناً بالحروف السريانية ؛ لذلك كله ترى فى تلك التراجم كثيراً من العبارات غير الصحيحة والجمل غير المفهومة .

إن هذا العيب يصدق إلى حدّ ما على بعض هذه التراجم ولاسيما الكتب التى ترجمت فى مبدأ تعرف المسلمين على فلسفة اليونان وعلومهم ، فقد كان لهذه التراجم نواقص كثيرة من وجهة فن الترجمة ، ولذلك كثيراً ما نرى ابن النديم يقول فى الفهرست (قام بترجمة الكتاب فلان وأصلحه فلان) .

وكان من أسباب نقص هذه التراجم نقص اللغة السريانية نفسها وضيق أفقها بالنسبة للغة اليونانية التى تعتبر من أغنى لغات العالم وأوسعها دائرة ، وقد كانت لغة الخطاب والتأليف قروناً عدة ألف بها أمثال هوميروس واشيل وتوسيد يد وديموستن وبقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم .

ومن أسباب نقص هذه التراجم غير ما ذكرنا عدم وجود مصطلحات علمية وفلسفية لدى السريان أو عدم معرفة مترجمى الحقبة الأولى منهم بتلك المصطلحات .

ومن البديهي أنه عند ما ترجمت هذه الكتب المترجمة مع ما فيها من العيوب والنقائص التى يشير إليها يوبون إلى اللغة العربية ازدادت عن أصلها بُعداً وأضيفت إلى غموض الترجمة وإبهامها الشيء الكثير وأصبحت استفادة الطب منها من أصعب المشكلات .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى ترجمة حياته التى أملاها على تلميذه أبى عبيد عبد الواحد بن محمد الفقيه الجرجانى (١)

(وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه والتبس على غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لى محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا أعرف المقصود به ، وأيست من نفسى وقلت هذا الكتاب لا سبيل إلى فهمه ، فإذا أنا فى يوم من الأيام حضرت وقت العصر فى سوق الوراقين وبيد دلال مجلد ينادى عليه فعرضه على فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة فى هذا العلم ، فقال لى اشتر منى هذا فإنه رخيص أبيعكه وصاحبه محتاج إلى ثمنه فاشتريته بثلاثة دراهم فإذا هو كتاب لأبى نصر الفارابى فى أغراض كتاب ما بعد الطبيعة ورجعت إلى بيتى وأسرعت إلى قراءته فانفتح على فى الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان صار لى محفوظاً على ظهر القلب وفرحت بذلك وتصدقت ثانى يومه بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى)

ويفهم من هذا أن الترجمة كانت فى بعض الأحيان ضعيفة ورديئة لدرجة أن قريحة كقريحة ابن سينا كانت تحتار فى تفهم معناه وتيأس من ذلك .

فإن شئنا أن لا نعدو الحق والإنصاف فى حكمنا يجدر بنا أن نذكر أن نشر العلوم اليونانية وتعميمها ووضعها فى متناول طلبة العلم وتقريبها لفهمهم كان بفضل الطبقة الثانية من المترجين الذين كانوا قد فهموا تلك العلوم بأنفسهم فهماً جيداً . وكانت ترجمتهم واضحة يفهمها طالب العلم بسهولة ، وبفضل هؤلاء وبيركة دراساتهم وتحقيقاتهم العلمية وتصحيحهم للتراجم السابقة حلت المشكلات العويصة .

أما قول بعض النقاد أن التراجم لا تفهم دون مراجعة الأصل فمبالغ فيه .

يعتقد لوكلرك Leclerc أن النقل المباشر من اليونانية إلى العربية حسن بصورة عامة ، والكتب المترجمة بهذه الطريقة مترجمة بذكاء عظيم وقريحة وقادة وذوق سليم ، غير أن النقل من العربية إلى اللاتينية ، وكان يقوم به مترجمون غير ملمين باللغات ، كان ناقصاً ومشوهاً ، فالذين يحكمون على الترجمات العربية عن طريق ترجماتها اللاتينية قد سلكوا طريقاً خطأ . ويذكر لوكلرك مثالا حياً لهذا فيقول إن بعض أقسام القانون لابن سينا لا يفهم جيدا ، أو قل لا يفهم أبداً باللاتينية ؛ والسبب هو أن المترجم لم يكن يعرف العبارة العربية فى الأصل ، أو لم يكن يتقن اللاتينية التى ترجم إليها .

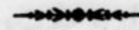
(يتبع) قاسم غنى

(١) عن صورة لنسخة خطية من ترجمة ابن سينا ومؤلفاته لابن عبيد الجرجاني محفوظ فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٧٠ ر ل

طرائف من العصر المملوكى :

أساليب العامة فى الشعر الفصيح

للاستـــاذ محمود رزق سليم



نشأ الشعر العربى أول ما نشأ فصيحاً . وعاش فصيحاً زمناً طويلا بعد نشأته . لم تزايله فصاحته ولم تتحول عنه عربيته ، حتى اختلط العرب بالعجم وبخاصة فى عصر بنى العباس . فأدى هذا الاختلاط إلى فساد السليقة العربية وانحراف اللسان الفصيح . وتكونت اللغة العامية ، وتفاوتت طرق أداء المعانى فيها عن مأثور العربية . وألف العرب التخاطب بها ، وتناقل المعنى بأساليبها .

ومنذ ذلك الحين أخذ كثيرون من أهل الغيرة على لسان القرآن والحديث يكافحون سيلها ويدرءون خطرها . ولـكن جرت الحوادث دون غايتهم ، وتتابعت الأيام دون ما أملوا . وعاشت العامية ، ولا تزال تعيش ، طاغية بين جماهير الأمم العربية . إلا أن لغة العلم والأدب والشعر ، ظلت بمنأى عن العامية إلى حدما ؛ غير أنها لم تسلم جملة من رذاذ منها يصيبها ، ومن رشاش ينتثر عليها .

ونعنى بالأساليب العامية ، الطرق الـكلامية والعبارات التى يؤدى بها العامة مضمون أفكارهم ومتبادر معانيهم بدون حرص منهم على تحرى قواعد العربية فى نحوها وصرفها .

والأساليب العامية بهذا ، تفترق افتراقا ما ، عن أساليب العامة . ولبيان ذلك نقول : إن فى كل أمة من أمم الأرض غابرها وحاضرها ، طبقتين متميزتين ، كما تجمع بينهما جوامع عـدة ، تفرق بينهما فوارق شتى ، وهما العامة والخاصة .

أما الخـاصة فهى الطبقة النابهة ، التى سلـكت إلى الثقافة مسالـكها ، وبلغت من التعليم حظاً موفوراً ، وأوتيت بجانب ذلك ذكاء فى القريحة ، ورهافة فى الحس ، وطلاقة فى اللسان ، وقوة على التعبير . فيقع خاطرها على الفريد من المعنى ، والجـديد من الرأى ، أو يسمو إلى الرائع من الصور ، والبديع من الأخيلة ، فيسجل الشوارد ، ويقيد الأوابد . وهى بذلك وبعد ذلك ، تنشر نوازعها على العامة ، فتؤثر أثرها الجليل فى حياتهم وحياة الأمة جماء . فتقتعد الخاصة بذلك ، منها مقعد القيادة والتوجيه .

والخاصة لها أساليبها وطرق أدائها للمعانى ، بل لها مفرداتها بل ومصطلحاتها ، ولغتها هذه أوسع من لغة العامة نطاقاً وأبعد آفاقا ، وأقدر على إحكام النظرة وتحديد الفكرة ، وهذه أوصافها فى جملتها لا فى تفصيلها .

أما العامة فهى من عدا الخاصة ، من عمال وصناع وزراع وتجار ومحترفين حرفاً لا تنزع إلى إنتاج فكرى أو أدبى . بل هى حرف آلية تجرى على سَنن من التقليد .

وللعامة كذلك أساليبها وطرق أدائها للمعانى ، بل ولها مفرداتها ومصطلحاتها . غير أن لغتها هذه أضيق أفقاً من لغة الخاصة ، وأضعف منهـا قدرة — فى جملتها — على التعبير عن رقيق المعانى وعميق الأفكار . ولا تخلو من كلة جامعة ، وحكمة بارعة ، ومثل مضروب ، وقولة مأثورة ، وطرفة نادرة . ونستطيع أن نحدد « لغة العامة » بأنها اللغة الشعبية الدائرة على الألسن ، التى ابتذلت عباراتها ومفرداتها — فى نظر الخواص — بكثرة الاستعمال .

وفى الأوساط العربية ، كانت لغة الخاصة ولغة العامة فصيحتين معربتين ، قبل أن تنحرف العربية فى التخاطب وقبل أن تتولد العامية . فلما انحرف لسان التخاطب — كما ذكرنا — وتولدت العامية ، زادت الفرقة بين لغة الخاصة ولغة العامة . وزادت الألفة بين العامة والأساليب العامية .

والآن نرى أن لغة العامة تغلى عليها الأسـاليب العامية والمفردات العامية ، المشوهة بالتحريف واللحن وترك الإعراب وبالدخيل ، ونحو ذلك . غير أنها فى جوهرها عربية . وفى جعبتها — كما أشرنا — كثير من الأمثال والحكم والـكلمات الجامعة والعبارات الرائعة والتشبيهـات السـائغة والـكنايات اللطيفة ونحو ذلك .

والخاصة لا تقيم دائماً على لغتهـا بل كثيراً ما تصطنع لغة العامة فى حديثها كلما عاشت كما يعيش سائر الناس وكلما استراحت من أداء رسالتها فى علم أو أدب .

وإزاء هذا يحرص العلماء والأدباء حينما يتصدون للتأليف

والنظم ، على أن يهجروا لغة العامة ، ويتناسوا مبتذلاتها ، ليسلم لغتهم رونقها وبهاؤها ، ويبقى لها سموها ومقدرتها وجلالها . غير أنهم — وهم من الشعب وإلى الشعب — لا يستطيعون مهما حرصوا ، أن يزيحوا عن كاهلهم نيرها جملة . بل تبقى منها فى لسانهم لوثة ، تتردد نفثاتها بين الآن والآن ، بوعى أو بغير وعى .

هكذا كان حال شعراء العصر المملوكى حينما يتصدون لنظم الشعر . كانت أساليب العامة يتردد صداها بين الفينة والفينة فيما ينظمون . وفى العصر المذكور كان سيل العجمة طاغيا على البيئات العربية ، بسبب شدة اختلاط العرب بغيرهم من الأجناس ، وبخاصة الجنس التركى الذى كان له حينذاك الحكم والسلطان . فكان لذلك أثره فى سيادة العامية ، فلا غرابة أن رأينا منها لوثة فى ألسنة الشعراء . بل الغرابة فى ألا تكون . والشعراء أقرب أنواع الأدباء إلى الشعب ، وأدقهم حسًّا به ، وأعمقهم إدراكا لما فى بيئاته وأشدهم تأثراً بما فى محيطاته .

غير أن بعض النقاد فى العصر الحديث ينعى على هؤلاء الشعراء ما تهاووا إليه من أساليب العامة ، ويتخذ ذلك ذريعة إلى وصفهم بضعف ثقافتهم وقلة بضاعتهم من العربية . وهذا — فى رأينا — حكم جائر . فاصطناع الأديب للغة العامة ، قد يغض من أدبه باعتباره أديبا عربيا ، ولكنه لا ينبغى أن يتخذ دليلا على ضعف ثقافته أو قلة بضاعته . والشاعر المثقف تنسل إلى شعره أساليب العامة دون وعى منه ولو كان حريصاً . وذلك لألفتها وجريانها على لسانه فى حياته العادية ؛ والأدلة كثيرة فى كافة عصور الأدب .

وصحيح أن بعض شعراء العصر المملوكى كان أميا ، ولكنه نظم بالعربية الفصيحة وهذه مفخرة للعصر ، وصحيح كذلك — بجانب هذا — أن كثيراً من شعرائه ، وممن اندست أساليب العامة إلى شعرهم ، كانوا على جانب عظيم من الثقافة ، ومؤلفاتهم خير شاهد على ذلك ، كابن عبد الظاهر وابن فضل الله والعسقلانى وابن نباتة وابن الوردى والصفدى وابن حجة .

وإذا كانت أساليب العامة قد أخذت سبيلها إلى ألسنتهم ، وظهرت أطيافها فى أبياتهم بدافع الاختلاط والتأثر بحياة العامة ولغتهم ، فهناك دوافع أخرى لا نستطيع أن نتجاهلها أو ننساها ومنها الرغبة فى الإيضاح ، وحب الدعابة والتفكه ، والاستجابة لدواعى البديع ، فقد تحلو التورية أو يجمل الجناس ، إذا روعى الاستعمال العامى . ومن هنا نفهم أن بعض الشعراء تعمد هذا الاستعمال لغاية من الغايات .

وليس معنى استعمال الأساليب العامية أن نظل عامية محرفة أو غير معربة ، بل كثيراً ما تجرى مجرى الفصيحة . وقد ينقذها اصطناع الشاعر لها مما تردت فيه من الابتذال .

ونحن نعرض هنا على انظار القارئين نماذج من شعر العصر المملوكى ، ذاكرين أن دراسة ما فيها من أساليب العامة تعمل على ربط لغتنا بلغة أسلافنا ، وتعين على فهم مدى تطور أساليبنا العامية فضلا عما تقدمه من الأدلة على سمو الروح الأدبية وأصالتها لدى شعراء العصر المذكور ؛ فمن ذلك ما يلى :

نعلم أن بائعى « الكتاكيت » ينادون فيقولون : « يا ملاح اللاح » . ويبدو أن هذا النداء كان معروفاً فى عصر المماليك ومستعملا فى نفس المعنى . وقد كان أحد نواب الشافعية ، وهو بدر الدين الدميرى محمد بن يوسف المتوفى عام ٨٨٧ هـ ، معروفاً بين الناس بـ « كتكوت » فاتخذ بعضهم ذلك وسيلة إلى مداعبته فقال فيه الشاعر على بن برد بك موريا بملاح اللاح وفيه دلالة على ما ذكرنا قال .

إن الدميرى صديق فلا أسمع فيه قول واش ولاح
ولا أرى كالغير تقبيحه بل هو عندى من ملاح اللاح

وقال محيى الدين بن عبد الظاهر :

يارب كأس صرت من شربها من بعد رشفى ريق معشوق
ملتهب الأحشاء ناراً لأن شربتها منه على الريق

وفى الشطر الأخير تعبير عامى ، ويتضمن تورية لطيفة . فقد ورى بعبارته عن المعنى المقصود ، وهو أنه شرب الكأس بعد رشف ريق معشوقه ، وكان الريق أحلى وأجل إطفاء لنار أحشائه من الكأس .

وقال جمال الدين بن نباتة فى الشكوى :

قل عونى على الزمان فأصبحت صبوراً على مراد الزمان
حابس اللفظ واليراع عن النا س فلا من يدى ولا من لسانى

وفى الشطر الأخير عبارة عامية تدل على ضعف الحيلة ، وفى البيت كله لف ونشر . وفيه اكتفاء :

وقال شمس الدين بن دانيال الموصلي يشكو حظه كذلك ، ويذكر أنه باع حماره وعبده مما ، فأصبح بذلك فقيراً لا يملك شروى نقير ولا قطمير . وفى بيته الثانى — مع الاكتفاء ومع اللف والنشر المرتب — مجانة يفطن لها الأديب . قال :

ما عاينت عيناى فى عطلتى أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى وقد أصبحت لافوقى ولا تحتى

وقال زين الدين عمر بن الوردى متغزلا فى تاجر مليح :

وتاجر شـاهدت عشاقه والحرب فيما بينهم سـائر
قال : عـلام اقتتلوا هكذا قلت : على عينك ياتاجـر

والمعنى العامى للعبارة الأخيرة « بصراحة وعلى المكشوف » فورى به عن المعنى الذى يريده وهو أنهم اقتتلوا بسبب ما فى عينه من فتنة وسحر . ولا تزال العبارة مستعملة فى عاميتنا بنفس المعنى الأول .

وقال صلاح الدين الصفدى يصف جرة خمر :

وجـرة أظهـروها والراح فيهـا كمينة
شممت طينة فيهـا فرحت سكران طينة

وقال ابن الوردى فى لاميته المشهورة :

واهجر الخمرة إن كنت فتى كيف يسعى فى جنون من عقل

وشاهدنا فى عبارة « إن كنت فتى » وهى ترادف الاستعمال الشائع الآن وهو « إن كنت جدع » أى إن كنت شهما . وبدهى أن معنى فتى لا يفيد لغة معنى شهم . وقال ناصر الدين بن النقيب يشكو نحول جسده :

يقول جسمى لنحولى وقد أفرط بى فرط ضنى وا كتئاب
قملت بى ياسقم ما لم يكن يلبس والله عليه الثياب

وتفيد العبارة الأخير بمعناها العامى الذى لا يزال شائعاً حتى اليوم ، « أنه لا يطاق » ، وورى بها عن شدة نحول جسمه حتى إنه لم يعد يصلح لثياب يرتديها .

ومن لطيف توريات ابن نباتة بالأسلوب العامى ، قوله متغزلا .

سألت النقا والغصن يحكى لنا غارى
روادف أو أعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها وقال قضيب البان ما أنا قدها

وشاهدنا فى العبارتين « ما أنا حملها » ، « ما أنا قدها » .

وقال صفى الدين الحلى فى معرض النزل واصفا الصباح :

والصبح قد أخلقت ثوب الدجى يده
ولـيته جاء للعشاق بالخـلق

وهجا ابن أبى حجلة المغربى ، الصلاح الصفدى فقال :

إن ابن أيبك لم تزل سرقاته تأتى بكل قبيحة وقبيح
نسب المعانى فى النسيم لنفسه جهلا فراح كلامه فى الريح

وقال سراج الدين الوراق يتغزل موريا :

ومهفهف عنى يميل ولم يمل يوماً إلى فقلت من ألم الجوى
لم لا تميـل إلى ياغصن النقـا فأجاب كيف وأنت من جهة الهـوا

وقال برهان الدين القيراطى :

يا هاجرا أو قمـنى هجره وصـده فى حالة صعبة
أخـذت قلبي بالتجنى وما تركت لى منه ولا حـبة

وفى البيتين عبارات عامية ، وفى الثانى تورية فى « حبه » .

وقال ناصر الدين بن النقيب :

ودعتهم ثم انثنيت بحسرة تركت معالم معهدى كالبلقع
ورجعت لا أدري الطريق ولا تسل رجعت عـداك المبغضون كرجعى

وشاهدنا فى الشطر الأخير ، وترادف عبارته العبارة العامية « رجع رجعة الأعادى » .

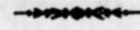
وبعد فهذا باب يتطلب المزيد من البحث ، وفى دراسته — بلاريب — نفع للادب والتاريخ .

(حلوان) **محمود رزق سليم**

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

قولوا لمن ملأ الزمان تشدقاً

للأستاذ حسن الأمين



أعيا البيان وخاب فيك المنطق … النار أجدى فى الكفاح وأصدق
طيبى فلسطين الأبية واسلمى … وطناً له يعنو الزمان ويطرق
لا تيأسى فملء يمينك فيلق … ملء الربى وعلى يسارك فيلق
اليعربيون الأباة تواثبوا … من كل فج للوغى وتدفقوا
يهتاجهم للبأس أروع مشئم … ويهـــزهم للأريحية معرق
نسلتهم الصحراء أبطالا إذا … ساروا إلى غاياتهم لم يُلحقوا
إنى لتصبينى الصحارى سمحة … وتروقنى فيها الظبى والأينق
ويهيج وجدى الليل فى تلماتها … ويهزنى فيها الصباح المشرق
ويثيرنى والنخـل أتلع جيده … عصفورة فوق النخيل تزقزق
ومواكب يشدو جرير حولها … طرباً ويهتف بالفخار فرزدق
وتشوقنى والذاريات عواصف … نار القرى بين البيوت تحرق
« شبت لمقرورين يصطليانها » … أعشى أضربه السرى ومحلق
والطلعة السمراء لوحها الضحى … ولوى معاطفها الغرام المحرق
وربابة اراعى الطروب ونغمة … يشدو بها فى الليل صب شيق
وتثير أشواقى وتبعث صبوتى … أطلال رامة والنقا والابرق
وأحن للعرب الذين تحدروا … منها فسادوا فى الورى وتفوقوا
ملكوا الزمان فما استباحوا ذمة
ورعوا الشعوب فأحســنوا وترفقوا
أكرم بأبناء الصحارى إنهم … أحرى بتكريم الحياة وأخلق

***

قولوا لمن ملأ الزمان تشدقاً … بالعدل أين العدل يا متشدق
أمن العدالة أن تقسم أرضنا … ويباد فيها قومنا ويمـــزقوا
وتبيت ترتع فى حماك مسودا … وحماى للشذاذ نهب مطلق
أيبيحهم وطنى الكريم وأمتى … مـــترلف لنوالهم متملق
أين المواثيق العذاب وأين ما … قد غنوا فيها وما قد زوقوا
(الأحمر) الريان أذكاها لنا … مثل الذى أذكى العدو (الأزرق)

***

صبراً فلسطين الصبور لقد دنا … يوم يمض الظالمين ويرهق
الغرب الأقصى المروع هاجه … أن تستضامى عنوة والمشرق
ستثور مصر والعراق ومكة … ستهب عمان إليك وجلق
ستنص بالقتلى السهول وترتوى … شم الجبال من الدماء وتغرق
حطين ! ... والفتح المبين مخلد … هلا قصصت على الفرنجة ما لقوا
تلك الوقائع لا تزال جديدة … تخضر منها الأمنيات وتورق
يا نسمة الشام الحبيبة هدهدى … روحا بصالية الجوى تتحرق
أنا فى هواى بجلق متبغدد … وعلى الفرات ودجلة متدمشق
فتحملى من (قاسيون) نوافحا … يشفى بعاطرها الفؤاد الشيق
واتلى على من الحية قصة … يزهو بها وجه الإباء ويشرق
أمشت دمشق إلى النضال أأقبلت … منها الزواحف والخيول السبق
أسرت إلى الثغر المنيع أأسرعت … للفتح تحتوش المدى وتطوق
الطائرات محومات والظبى … متوثبات والمـذاكى تمنق
يا نسمة الشام الحبيبة عللى … قلباً على الوجد المبرح يخفق
رنو إليك وشوقه متضرم … ملء الضلوع ودمعه مترقرق
هبى على من الجبال لعلنى … أستاف عرف الطاعنين وأنشق
الواردى الماء الفرات وما دروا … أنا ننص على الفرات ونشرق
والعاتبين وما دروا أنالهم … أوفى على العهد القديم وأوثق

(نزيل بغداد) حسن الأمين

الأدب والفن في أسبوع

شاعر يتبرع بجائزته لفلسطين :

كان الأستاذ إلياس فرحات من الفائزين فى مسابقة الشعر التى أجراها مجمع فؤاد الأول للغة العربية هذا العام ، وهو عربى مهاجر يقيم فى البرازيل ، وقد فاز بجائزة قدرها سبعون جنيها لم ترسل إليه بعد .

وأخيراً تلقى المجمع كتاباً من الأستاذ إلياس يبلغه فيه أنه متبرع بجائزته لصالح فلسطين ويرجو تحويلها إلى جامعة الدول العربية لضمها إلى الأموال التى يكتتب بها فيما يختص بفلسطين ، ويقول الأستاذ فى كتابه إن هذا المبلغ هو كل ما يملك من مال .

رسالة الكاتب :

أذاعت محطة لندن العربية يوم الخميس الماضى ، حديثاً للدكتور طه حسين بك فى « رسالة الكاتب » بدأه بقوله : لو سئل الجاحظ عن رسالة الكاتب ما هى و كيف يقوم بها ، لدهش لهذا السؤال وما فهمه ، وليس الجاحظ وحده ، بل لووجه نفس السؤال إلى معاصريه ومن قبله من كتاب العرب واليونان والرومان وغيرهم لكان موقفهم منه نفس الموقف ، وذلك لأن الكتابة فى تلك العصور لم تكن إلا مظهراً من مظاهر التفكير العقلى ، لا تكلف فيها ، ولا احتياج إلى سؤال وجواب ، والقراء لم يكونوا فى حالة تهيئهم لمثل هذا السؤال ، ولم يكونوا يشعرون إلا بالحاجة إلى قراءة ما يكتب الكاتب ، لا يسألون عن مهمته ومنهجه وما إلى ذلك . إنما يأتى السؤال عن مهمة الكاتب حين تتقدم الحياة الفنية وتتعقد الصلات بين الكاتب والقراء ، وحين تصبح الحياة نوعا من الترف ، وحين يكثر الكتاب وتتنوع مذاهبهم ويختلف تناولهم لنواحى الحياة المتعددة المعقدة ؛ وقد كان الكتاب القدماء قلة وكان إنشاؤهم على قدر الحاجة العقلية الطبيعية ، أما الآن فقد كثر الإنتاج وأصبح زائداً على حاجة الحياة الإنسانية فى العصر الحديث ، وتعقدت الصلة بين الكاتب والقارئ تعقدا شديداً ، فصار القارئ يسأل الكاتب : ماذا يكتب وما هى مهمته ؟ وصار الكاتب يسأل القارئ عما يريد أن يقرأ وما يحب أن يكتب له .

ثم قال الدكتور طه : والآن أجيب عن السؤال باعتبارى كاتباً يكتب ، ويشعر أن له صلات بقرائه ، ويشعر أيضاً بما توجبه هذه الصلات من التبعات . مهمة الكاتب أن يحقق نفسه أولا ، بمعنى أنه يكتب ما يصور نفسه وشخصه وآراءه فى الحياة ، فالكاتب شخص مستقل له طريقته فى التفكير ، وله طريقته فى الحكم على الأشياء ، وله طريقته فى التصوير والتعبير ؛ والكاتب الحر يكتب ما تمليه عليه حريته لا يفكر فى رضاء القارئ ولا سخطه

وهناك أمر ثان لا ينبغى أن يغفله الكاتب ، وهو أنه لا يكتب لنفسه وحدها ، وإنما يكتب ليقرأه الناس ، فهو أداة اجتماعية إلى جانب كونه إنسانا حراً ، فبالحرية والتضامن الاجتماعى يستطيع أن يحقق شخصيته ثم يكون أداة نافعة فى البيئة التى يعيش فيها ، وهذه البيئة قد تكون ضيقة جداً ، وقد تتسع قليلا ، وقد تتسع كثيراً . فالكاتب الذى يكتب فى الفلسفة مثلا إنما يكتب لنظرائه الفلاسفة وبيئتهم محدودة ، والكاتب الذى يكتب فى المسائل الأدبية والفنية بيئته أوسع ، والكاتب الذى يكتب للجمهور الضخم يكتب فى حياة الناس ويتصل بمنافعهم المختلفة ؛ وهو على كل حال يجب أن يكون نافعاً فيما يكتب ، ويجب أن يفكر فيمن يكتب لهم وفى صلاته بهم . ولا ينبغى أن يحصر فكره فى هؤلاء الذين يقرأونه الآن ، بل يجب أن ينظر إلى من يأتى بعدهم من الأجيال . فمهمة الكاتب تحقيق شخصيته وأن يكون أداة نافعة للبيئة الاجتماعية التى لا يحدها زمان ولا مكان .

أناشيد الجهاد :

اهتمت الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية ، بإعداد طائفة من الأناشيد العربية المناسبة للحالة الحاضرة ؛ وقد فرغت من إقرار أربعة أناشيد سترسلها إلى إدارة الإذاعة المصرية لإذاعتها ثم تبعث بها أيضاً إلى الإذاعات العربية الأخرى .

وأول هذه الأناشيد نشيد مطلعه :

أشرق الفجر فسيروا فى ضيائه ... ودعا الحق فهبوا لندائه

إنه وحى السماء .

إنه صوت الإباء .

للإخاء للعلاء .

وهو من تأليف الأستاذ محمد مجذوب مدرس الأدب والعربية بتجهيزى البنين والبنات بطرسوس (سوريا) وهو الفائز بالجائزة الأولى فى مسابقة الأناشيد التى نظمتها الإدارة الثقافية : وكان هذا النشيد قد لحن فى القاهرة فجاء تلحينه غير موفق ، ورئى إرساله إلى ضباط الموسيقى بالدرك اللبنانى لتلحينه ولا يزال هناك .

والنشيد الثانى ، وهو الفائز بالجائزة الثانية فى المسابقة ، للاستاذ محمد مرسى معلم المدرس بمدرسة الرمل الابتدائية للبنات بالاسكندرية ، وأوله :

إننا العرب الكرام عرشنا فوق أبراج السماء

شرقنا مهد السلام مجدنا فيه معقود اللواء

وقد لحنه معهد الموسيقى :

والنشيد الثالث للأستاذ حسن أحمد باكثير ، وأوله :

قد بدأنا الكفاح وشحذنا الرماح

وامتشقنا السلاح وملأنا البطاح

بجيوش العرب نحن نحن العرب

وقد لحن هذا النشيد قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية كما لحنه معهد الموسيقى . ومما يذكر أن صاحبه تبرع به لفلسطين فلم يأخذ عنه جائزة .

والنشيد الرابع وضعه الأستاذ الصاوى شعلان بناء على طلب الإدارة الثقافية ، وقد لحنه معهد الموسيقى ، وأوله :

إلى المجد هيا شعوب العرب إلى نهضة صبحها قد أنار

لنا فى العروبة أعلى نسب يتوج بالنور شمس النهار

الإذاعة المسكينة :

كتب الأستاذ محمد الأسمر بجريدة « الزمان » يلفت نظر المشرفين على الإذاعة المصرية إلى قراءة أحد قارئى القرآن بها آيات من سورة البقرة أولها « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله » ذاهبا إلى أن قراءة هذه الآيات لا تناسب الظروف والملابسات الحاضرة ... إلى أن قال : « لقد كانت الإذاعة فيما أذاعته صباح أمس من القرآن الكريم مثل القرىء الذى جاءوا به ليقرأ فى حفل زواج ما تيسر من القرآن فقرأ قوله تعالى : « الطلاق مرتان » .

والقارىء العادى حين يقرأ هذا الكلام يظن أن فى القرآن الكريم ما يؤيد قضية اليهود فى فلسطين وأن قارىء القرآن بالإذاعة تلا الآيات التى هى فى صالح اليهود ، وكانت إدارة الإذاعة عن ذلك من الغافلين !! وعليها بعد ذلك أن تراقب قراءة القرآن حتى لا يذاع منها ما يمس سلامة الجيش فى هذه الظروف العصيبة !! .

أما الآيات الكريمة فحاشاها أن تتضمن شيئاً من ذلك ، وإنما هى — على عكس ذلك — تتضمن تخاذل اليهود فى القتال وتخالفهم لنبيهم . وأما الإذاعة فهى مسكينة دائماً ... مسكينة فيما تأتيه ويؤخذ عليها فعلا ، ومسكينة فى ابتلائها بمن يريد أن يدلى بدلوه فى مؤاخذتها ولو بغير حق ..

الدول العربية فى مؤتمر اليونسكو :

ألفت لجنة فى وزارة المعارف برياسة الأستاذ شفيق غربال بك وكيل الوزارة ، للنظر فى موضوع اشتراك مصر فى مؤتمر هيئة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) الذى سيعقد بلبنان فى أواخر هذا الصيف . والمفهوم أن لجاناً مماثلة بوزارات المعارف فى الدول العربية تنظر فى هذا الموضوع ، على أن ترسل كل هذه اللجان تقاريرها إلى اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية التى تعمل على توحيد وجهة النظر العربية فى المؤتمر ووضع خطة مشتركة ، وستجتمع اللجنة الثقافية لهذا الغرض بالاسكندرية فى ٢١ أغسطس القادم .

ترشيح فارس الخورى لرياسة اليونسكو :

أذاعت وكالة الأنباء العربية من دمشق أن وزير المعارف السورية صرح بأن الحكومة رشحت دولة فارس الخورى بك لرياسة مؤسسة الثقافة والتعليم والاجتماع فى هيئة الأمم المتحدة ليكون خلفاً للأستاذ هكسلى عندما تنتهى مدة رياسته وأن الدول العربية وبعض الدول رشحت دولته لهذا المنصب الكبير .

ولا شك أن الأستاذ فارس الخورى أهل لهذه الرياسة ، فهو رجل عالى ممتاز باتساع ثقافته وومضات فكره ، وأن توليته هذا المنصب تعد للبلاد العربية كسباً كبيراً .

ومما يذكر بجانب ذلك أن ساسة الدول الاستعمارية فى هيئة الأمم المتحدة أصبحوا يضيقون به لما دأب عليه من تفنيد سياستهم وفضح أساليبهم بقوة حجته وبيانه الناصع الساخر . وكم يودون أن يتخلصوا منه ، ولعلهم واجدون فى رياسته للهيئة الثقافية متنفساً لصعدائهم ...

دراسات عالمية فى التربية :

ورد على وزارة المعارف من هيئة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة أنها قررت إقامة دراسات صيفية للتربية يحضرها مربون تندبهم وزارات المعارف فى بلاد الدول الأعضاء ، وذلك بغية أن ترفع هذه الدراسات مستوى التربية والتعليم فى أنحاء العالم ، وأن تكون — إلى ما يلابسها من اجتماع المربين من مختلف الدول — وسيلة إلى توثيق الصلات وزيادة التفاهم الدولى .

وقد قررت وزارة المعارف ندب الآنسة رضية الغريب لحضور الدراسات الخاصة بموضوع « تربية المعلمين » والتى ستكون فى لندن من منتصف يولية إلى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٨ ، وندب السيدة إحسان العابد لحضور الدراسات الخاصة بموضوع « تزويد النشء بمعلومات وافية عن هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة » والتى ستكون فى « ليك سكسس » من ٧ يولية إلى ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٨ .

التنويه الأدبى :

اجتمعت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ونظرت فى موضوع التنويه بالكتب الأدبية ، وانتهت إلى ما يلى .

١ — تؤلف لجان من أعضاء المجمع فى أكتوبر من كل عام لكل فرع من فروع الأدب من شعر وقصص وبحوث ودراسات أدبية ولغوية الخ . ويكون من وظيفة كل لجنة تتبع ما يصدر فى العالم العربى من كتب تتصل بموضوع التنويه وقراءتها ، وتقديم تقرير عنها للجنة العامة للأدب ثم لمجلس المجمع .

٢ — يقتصر عمل كل لجنة على ما يصدر من الكتب فى هذه الموضوعات فى العالم السابق ، على أن تنظر مع ذلك فى الكتب التى قدمت إليها فعلا .

٣ — فى ضوء تقارير اللجان الفرعية تتخذ لجنة الأدب قرارها فيما يصح أن ينوه به .

٤ — لا تكون الكتب المترجمة موضعاً للبحث والقراءة والتنويه إلا إذا كان المترجم من أمهات الكتب العالمية التى تعود على العالم العربى بفائدة محققة وكان فى ترجمته ما يضيف ثروة إلى اللغة العربية .

٥ — يكون التنويه بالكتب فقط ، لكن يجوز للجنة الأدب أن تقترح على المجلس التنويه بخير المؤلفين ذوى الآثار الأدبية الممتازة ممن خدم الأدب مدة طويلة فيستحق التقدير .

٦ — ينص فى قرار التنويه على أن ما تنوه به اللجنة هو خير ما قدم إليها لا خير الكتب الموجودة .

وقد عهد إلى الأستاذ محمود خلاف سكرتير لجنة الأدب ، الاتصال بدور النشر والمكاتب والجامع والهيئات العلمية وإدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف ، لجمع خير الكتب التى ظهرت فى العالم العربى سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ .

من طرف المجالس :

كنا فى ندوة الرسالة ، وكان الحديث فى ترجمة الآداب ، وأن كثير ممن يتصدرن للترجمة لا يراعون الدقة فيها ، فقال أحد الزملاء .

تصور أن أحد هؤلاء يقول فى حوار رواية ترجمها من الانجليزية : « أنت أكرم من حاتم يا لورد ! »

العباس



١ ــ رائد التراث العربي (١)

ألفه الأستاذ جان سوفاجيه وترجمه الأستاذ صلاح الدين المنجد

مؤلف هذا الكتاب هو المستشرق الفرنسي الأستاذ جان سوفاجيه رئيس دائرة تاريخ الشرق الإسلامي ، وقد اقتبس منه الجزء الذي بين يدينا ، وترجمه الأستاذ صلاح الدين المنجد رئيس ديوان مصلحة الآثار العامة في الجمهورية السورية . ألفه مؤلفه للمتبدئين من طلاب الاستشراق الفرنسيين ، وهو فهرس للمراجع وفهارس المراجع لا سيما الأجنبية ، مرتب حسب الموضوعات ، وهو قسمان : أولهما في كتب المراجع والوثائق كتاريخ الآداب الشرقية والقرآن والحديث والنحو والمعاجم والرحلات والتراجم ، وثاني القسمين في مصادر تاريخ الإسلام وتشمل مصادر تاريخ النبي والأمويين والعباسيين والسلاجقة والمغول والعثمانيين .. وقد كتب له الأستاذ المنجد مقدمة عرف فيها المؤلف وبين غرضه في كتابه ونقده . والكتاب مفيد لمن يطلبون الوقوف منا على ما كتبه المستشرقون من شتى الأقطار في تراثنا لأنه فهرس لبحوثهم فيه ، وقد وصفه الأستاذ المنجد بقوله « مسرد نقدي جامع لكل ما ألفه علماء الشرقيات عن التراث العربي في مختلف العصور والموضوعات » وهو تعريف به غير جامع ولا مانع كما يقول المناطقة : فمؤلفه يغفل عن كثير من منشورات المستشرقين ومؤلفاتهم ، وقد أشارت إليها دائرة المعارف الإسلامية ويذكر بعض ما كتب الشرقيون — وهم غير مستشرقين — بينما يغفل عن بعض ، ويحيل الباحث إلى مصادر عربية (٢) ليس لها ترجمة في لغة أجنبية . مثال ذلك أنه يشير — في قسم الفرق — إلى كتاب النوبختي عن الشيعة الذي نشره ريتر Ritter في استنبول سنة ١٩٣١ م ، ولا يذكر كتاباً أعم فائدة منه هو كتاب « مقالات الإسلاميين » للأشعري وقد نشره ريتر نفسه في استنبول سنة ١٩٣٠م والكتابان من سلسلة واحدة ، هي المنشورات الإسلامية للمستشرقين الألمانيين ، وكل حلقاتها مطبوعة حوالي هذا الوقت ، كما أن المؤلف يغفل في الموضوع نفسه عن « مختصر الفرق بين الفرق » للرسعني وناشره الدكتور فيليب حتى Professor - AMerican University of Beirut , Formerly Lecturer Columbia Univesity ' New york . بينما يذكر له في مكان آخر كتابه تاريخ العرب History of the Arabs وهو شرق لا مستشرق ، والكتب الثلاثة الأولى لم تترجم فيما نعلم إلى لغة أوربية . وهناك تقصير في الكتاب يحسن التنبيه إليه هو أن المؤلف لا يذكر أسماء الكتب في العربية واللغات الأوربية غالباً . بل يكتفي بقوله كتاب فلان ، ويقصر المترجم فلا يستدرك على المؤلف هذا النقص فيسده ، وذكر الكتاب في العربية أهم من ذكر مؤلفه ، ونحن نذكره قبل مؤلفه ، وقد نغفل عن ذكر المؤلف فلا نحس بخسارة كبيرة والأوربيون على العكس من ذلك وهاك فقرة تمثل ذلك وتمثل سمات أخرى ، جاء (في ص ٥٠) ما نصه « كتاب البغدادي الذي نقل القسم الأول منه إلى الإنكليزية K . ch . Seelye وطبع في نيويورك عام ١٩١٩» فماذا يفهم القارىء العربي الناشىء من ذلك ؟ ما اسم كتاب البغدادي في العربية ؟ وما اسمه في الإنجليزية ؟ أرجل مترجم أم امرأة ؟ متى طبع حقاً ! واسمه في العربية « الفرق بين الفرق » واسمه في الإنجليزية « Moslem Schisms and Sects » ومترجمته — لا مترجمه — السيدة كيت كامبرز سيلي Mrs Kate Chamders Seelye . وطبع في نيويورك سنة ١٩٢٠ كل ذلك كان حرياً بالأستاذ المنجد استدراكه ، ولعله فاعل في في الطبعة التالية .

قد يكون هذا الكتاب جليل الوفاء بغرضه لمن وضع لهم وهم طلاب الاستشراق الفرنسيون كما ذكر الأستاذ المنجد في مقدمته ، ولكن ما أقل فائدته التي تعود على الباحث العربي والتي لا فائدة غيرها تبرر نقل الكتاب ، ومن أجل ذلك نترقب حلقات السلسلة التي وعد بها الأستاذ المنجد لتكون دليلاً لباحثينا صغاراً وكباراً على مصادر التراث العربي فنحن به أجدر وعلى فهمه أقدر

(١) نشرته دار العلم للملايين وطبعته مطبعة الكشاف بيروت سنة ١٩٤٧ ٠ ٣٨٣ صفحة .

(٢) يغفل المؤلف في هذه المصادر عن كل كتب التراجم التي وضعت في الجرح والتعديل ، ولقد حل وضعها في هذا الشأن واضعي فهارس دار الكتب المصرية على عدمها — تساهلا — في فهرس مصطلح الحديث لا فهرس التاريخ ، وفهرس التاريخ أولى بها

٢ – شاعرية أبى فراس[1]

ألفه الضابط العراقى نعمان ماهر السلمانى

٢ – ومؤلف « شاعرية أبي فراس » الأديب نعمان ماهر الكنعاني الرئيس في الجيش العراقي . ويسرنا أن يقبل على البحث والتأليف ضباطنا العرب كما يفعل الضباط في البلاد الغربية ، ولا يقتصروا على دراسة عملهم الذي اختصوا به فإن مشاركتهم في المعرفة بحثاً وتأليفاً أمر ضروري لهم أولا ومفيد لغيرهم ثانياً . فإن المشاركة تفتق أذهانهم ، وتخصب حياتهم وتبصرهم حتى بعملهم العسكري ، وتجنبهم الجفاف العقلي والنفسي وتملأ فراغهم بما يعود عليهم وعلى غيرهم بالخير . هم في حاجة المعرفة ولا سيما الأدبية التي هي قسط مشترك ، لأنهم « ناس » أولاً « وجنود » ثانياً ، ولا غِنى للانسان إنساناً وجندياً في هذا العصر المعقد المستنير من المعرفة ولا سيما الأدبية لأن الأدب هو التعبير عن الحياة ، ولهذا نرحب بهذه الرسالة من ضابطنا الأديب ونتمنى له ولأمثاله مزيداً من البحث والتأليف .

تتضمن الرسالة إهداء ومقدمة وبحثاً في « شاعرية أبي فراس » ومختارات من شعره .

فأما الإهداء فلجيش العراق ، ولا عجب فالموضوع شاعرية « جندي » قضى عمره القصير في خوض الحروب والأسر بسببها

وأما المقدمة فكاتبها الدكتور المحقق المعروف مصطفى جواد ، وهي « كلمة في أدب القرن الرابع » وربما كانت هي ذاتها مفيدة ولكن لا موضع لها في الرسالة ، وقد كان حرياً بالدكتور جواد أن يجمل سبباً بينها وبين موضوع الرسالة أو مؤلفها كأن يستبدل بهذا الحشو المضطرب الزائد بياناً لمنزلة أبي فراس بين أدباء عصره أو شعرائه خاصة ، أو يلقى ضوءاً على حوادث عصره المتصلة به – ولا سيما أن الرسالة خالية من ذلك – تستبين فيه منزلة الشاعر أو بيئته التي نشأ فيها ، أو كان يعرف القراء بالمؤلف أو يجلى منهجه في كتابه أو ما إلى ذلك . بل لو اقتصر الدكتور – وهو الباحث اللغوي النحوي الذي طالما سوّد الصفحات في الكتب والصحف والمجلات عرضاً يتتبع المؤلفين بالتزييف – على تصحيح أخطاء الرسالة لكان فيه بلاغ .

وأما البحث فهو – فيما نعلم – أول بحث مستقل في موضوعه ، وهو خال من الحشو والفضول ، وإنه ليدل على فهم « جندي » مستقيم مستقل يتأدى إلى غرضه بحزم وثقة دون أن يعتوره تردد ولا التواء .

والبحث مقسوم عشرة أقسام أولها في أسلوب أبي فراس ، وثانيها في معانيه المبتكرة ، وثالثها في موضوعات شعره إجمالاً والموازنة بينها من حيث إجادته وكثرة قصائده فيها وهو رتبها هكذا نازلاً : الفخر فالغزل فالمدح فالوصف فالرثاء فالحكمة . ويذكر أن هجاءه كان نادراً ويبين أسباب ذلك كله ، ورابعها في فخره ، وخامسها في مديحه ، وسادسها في وصفه الطبيعة والمعارك ، وسابعها في غزله ، وثامنها في رثائه ، وتاسعها في حكمه وأمثاله ، وعاشرها في أسره ورومياته التي قالها في أسره شاكياً أو مستعطفاً أو عاتباً أو ثائراً ، وفي خلال ذلك أحكام لا نوافق على كثير منها وإن كنا نقر بعضها ونطمئن إليه .

وأما المختارات فقد أحسن اختيارها شواهد على أقسام البحث : أولها خمسة طويلة من « رومياته » متممة للقسم العاشر وتليها ستة « متفرقات » قصيرة شواهد على الأغراض الأخرى

والبحث « مدرسي » في منهجه ودراسته ، ومن أجل ذلك جاء « خفيفاً » سهلا بسيطاً . وإذا كان لم يعطنا « صورة » ولا « ترجمة » حيّة نابضة لشخصية أبي فراس من خلال دراسة شاعريته في شعره وهو « ديوان شخصيته » فقد رسم أمامنا خطوطاً بارزة من هذه « الصورة » ، وعين لنا معالم واضحة من هذه « الترجمة » وكشف لنا كثيراً من العواطف والآمال التي كانت تصطرع وتغور في قلب هذا « الجندي » الطموح ، وفي هذا بلاغ أي بلاغ من ضابطنا الأديب .

ولعله معيد النظر بعد في رسالته في ضوء « ديوان أبي فراس » في طبعته الجديدة التي أخرجها منذ أسابيع الدكتور محمد سامي الدهان ، فإنها أوفى بمطلوبه لزيادة نصوصها ، وصحة ضبطها ، وفهارسها المفصلة ، وخلوها من عيوب الطبعة القديمة التي شكاها ضابطنا الأديب في مطلع بحثه ، وإنا لآثار قلمه الناضج إن شاء الله منتظرون .

القاهرة **محمد خليفة التونسي**

(١) طبعة خاصة بمطبعة الكاتب في بغداد سنة ١٩٤٧ ، تسعون صفحة من القطع المتوسط



مسألة نحوية:

جاءني من بعض الطلاب النجباء في السنوات التوجيهية أن أساتذتهم قد لاحظوا في مذكراتهم على « عبقرية عمر » أن في الصفحة الخامسة والأربعين منه خطأ نحوياً حيث جاء فيها أن عمر رضي الله عنه « تفقد رجلا يعرفه فقيل له إنه يتابع الشراب ، فكتب إليه : إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطوْل لا إله إلا هو إليه المصير »

قالوا : والصواب « ذا الطوال » لأنه صفة لله ، والله في الجملة مفعول لفعل أحمد في أولها ...

وظاهر من ملاحظة الأساتذة أنهم قد فاتهم أن عمر رضي الله عنه إنما اقتبس آية من القرآن الكريم في أول سورة غافر وهي : « حم تنزيل الكتابِ منَ اللهِ العزيز العليم ، غافِر الذّنب وَقابل التوْب شَديد العقاب ذي الطوْل لا إله إلا هو إليه المصير ... »

وقد جرت عادة عمر وعادة المسلمين عامة أن يقتبسوا الآية بنصها ولا يغيروا فيها مراعاة لموقعها من إعراب كلامهم الذي اقتبسوها فيه .

ومن ذلك في الكتاب نفسه أن عمر قال لمن هابوه : « ... كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عبده وخادمه ، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة ، وكان كما قال الله : بالمؤمنين رؤوف رحيم » ص ١٧

ولو أنه أجاز التغيير في الآية الكريمة مراعاة لموقعها من إعراب كلامه لقال : « رؤوفاً رحيماً » خبراً لِكان .

هذا هو الوجه فيما أوردناه من كلام عمر واقتباسه .

على أنه لو لم يكن اقتباساً لما صح الجزم بتخطئته على جميع الوجوه ، لأن باب الاتباع في النحو معروف ... ومنه « جحر ضب خرب » بكسر الباء في خرب ، وصوابها أن تضم لأنها وصف جحر وليست بوصف لضب ، وإنما كسروها على الاتباع

ونحن نود من كل من يعثر بخطأ في الكتاب أن يعلنه ، ولكن بعد مراجعة نفسه ومراجعة مصادره . لأن المحاسبة بعد المراجعة أول خصلة تستفاد من سيرة ابن الخطاب ...

عباس محمود العقاد

جددوا ميثاق عمر فقد نقضه اليهود !

رضي الله عن الفاروق عمر بن الخطاب ، وأبقى ذكره في الخالدين ، فقد زان الإسلام والمسلمين بورعه وتقواه وألمعيته ، وكان ملهماً ينكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل ما يعرف به خلجات القلوب ووساوس النفوس ، ولذا كانت أحكامه وقضاياه مضرب المثل إلى اليوم في الحكمة والقوة والوضوح .

وكان أن شرط على أهل الكتاب شروطاً متى أخذوا بها وحافظوا على نصوصها فقد أمنوا على أنفسهم وذريتهم وأموالهم . وقد صار ميثاقه هذا دستوراً للأمة المحمدية في جميع الأزمنة والعصور ، يجدده حكام المسلمين وملوكهم وقت الحاجة تنبيهاً لمن أخذ عليهم وتأديباً .

« وقد جدد هذا العهد السلطان الناصر حسن بن قلاوون ، فقد جمع اليهود والسامرة وغيرهم ، وجدد عليهم البيعة ، وشرط شروطاً ، وأرسل بذلك مراسيم إلى بلاد مصر والشام ليجمع النائب بها أكابر اليهود ، وأن يقرأ عليهم نص كتاب الإمام عمر بن الخطاب ليعتمدوا أحكام الشريعة المطهرة فيما يلزمهم من الشروط التي يترتب عليها عقد الذمة اقتداء بالشروط العمرية فيهم وتقريراً لأحكامها ، وتجديداً لما تقادم من أيامها ، وتعظيماً لدين الإسلام وأهله »

وهذه الشروط سطور في آخرها[1] . وأن يرشدوا المسلمين ، ولا يطلعوا على عورات المسلمين في منازلهم ، ولا يضربوا أحداً من المسلمين ، ومتى خالفوا ذلك فلا ذمة لهم ، وقد حل فيهم ما يحل في أهل الشقاق والمعاندة . .

شطانوف **محمد منصور خضر**

(١) لطائف المنن : للشعراني

١ — سؤال :

يقول امرؤ القيس : ولا سيما يوم بدارة جلجل ، ويستعمل المعاصرون هذه الكلمة فيقولون مثلا « الأمل فى النصر كبير بفلسطين سيما وقد تدخلت القوات العربية النظامية » فأى الاستعمالين أصح ؟

(الرسالة) : الأصح استعمال امرىء القيس ولا يجوز غير ذلك .

٢ — غورى :

عاب الأستاذ أنور المداوى كلمة « غورى » فى شعر نزار قبانى بالعدد ٧٧٤ من الرسالة ، وهى كلمة صحيحة من غار يغور . ولعل الذى دعا الأستاذ إلى هذه التخطئة أن العامة استعملت هذا الفعل بمعنى قريب جداً من هذا المعنى .

٣ — استمارة :

قال الأستاذ (العباس) فى معرض الحديث عن محاضرات تيمور بك « وقال إن هذا المذهب يستمد من العقل الباطن ، ويجب أن يكون له رقيب من العقل الواعى » .

والمفهوم أن الباطن والواعى اسمان لمسمى واحد . فما رأى الأستاذ مع كبير تقديرى له ؟

عثمان موسى

كوستى : السودان

مجلة الأمير فاروق الثانوية بالقاهرة :

أهدى إلينا الأستاذ إسماعيل بك خيرى ناظر مدرسة الأمير فاروق الثانوية ، مجلة المدرسة السنوية حافلة بشتى الموضوعات العلمية والأدبية بأقلام أساتذة المدرسة وطلبتها ، وبهـا حديثان مهمان للكاتبين الكبيرين الأستاذين عباس محمود العقاد وأحمد حسن الزيات . والمجلة رائعة التنسيق جميلة التبويب حسنة الطبع . والفضل فى ذلك لمراقبها الأستاذ بدوى طبانة ، ورئيس تحريرها الطالب حسين حسين الجزار .

إعلان عن جوائز فاروق الأول سنة ١٩٤٩

تعلن وزارة المعارف العمومية أن الموضوعات التى سيمنح المصريون عن الإنتاج فيهـا جائزة فاروق الأول لعلوم الحياة المؤجلة من سنة ١٩٤٨ وجوائز فاروق الأول الثلاث لسنة ١٩٤٩ وهى جائزة علوم الحياة ، وجائزة العلوم الكيميائية والعلوم الجيولوجية ، وجائزة العلوم الاجتماعية هى : —

١ — علوم الحياة ، ويدخل فيها بنوع خاص النبات والحيوان والفسيولوجيا والطفيليات والتشريح البشرى والحيوانى والطب وفروعه والأحياء المائية .

٢ — (أ) العلوم الكيميائية ، مثل الكيمياء العضوية ، وغير العضوية والكيمياء الحيوية ، والتغذية .

ب — العلوم الجيولوجية ، مثل الجيولوجية ، وعلم الطبيعيات الأرضية (الجيوفيزيقا) والتعدين .

٣ — العلوم الاجتماعية : —

أ — علم الاجتماع ، وعلم التربية ، وما يتصل بذلك من العلوم .

ب — الفلسفة وعلم النفس ومايتصل بذلك من العلوم .

ج — التاريخ .

د — الجغرافيا .

هـ — الآثار .

ويشترط فى الإنتاج الذى يقدم لنيل الجوائز : —

١ — أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والإنتاج القومى ، وتقدم العلوم .

٢ — أن يكون قد سبق نشره ولم يمض على نشره لأول مرة أكثر من خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣ — أن يكون باللغة العربية الفصحى ويرسل الإنتاج من أربع نسخ إلى الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى موعد غايته ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٨ .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الأربع ١٠٠٠ جنيه ، وسيكون موعد منح هذه الجوائز يوم ١١ فبراير سنة ١٩٤٩ لمناسبة عيد الميلاد الملكي السعيد .

٩٤٧٥

العدد ٧٧٩ — الاثنين ٧ يونيو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٧٩ - الاثنين ٧ يونيو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٤٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 779

Lundi — 7 — 6 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ رجب سنة ١٣٦٧ — ٧ يونيو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

زعيمان

للأستاذ عباس محمود العقاد

والزعيمان هما أحمد عرابى المصرى، وإبراهام لنكولن الأمريكى، وكلاهما كان صاحب دور حاسم فى تاريخ وطنه، وكلاهما كانت سيرته موضوع كتاب من تأليف كاتب واحد، وهو الكاتب المحقق الأستاذ محمود الخفيف.

تقرأ فى الصفحات الأولى من كتاب أحمد عرابى: « مهما يكن من الأمر فما أحسب أن فى الناقين على عرابى من يستطيع أن يمارى فى أنه كان زعيم حركة وداعية فكرة، وأنه — أخطأ أو أصاب — كان مخلصاً فيما يفعل أو يقول، وأنه قبل ذلك كله، وفوق ذلك كله، كان أول مصرى فلاح فى مصر الحديثة نجم من بين عامة الفلاحين فى قرية من قرى مصر فاضطلع بقضية من القضايا الوطنية الكبرى ».

ثم تقرأ الكتاب إلى صفحاته الأخيرة فتخرج منه بهذه الصورة التى ارتسمها المؤلف وثبت ألوانها وظلالها بالوقائع والأسانيد وجمع لها من الوثائق ما لا غنى عنه فى فهم هذا الزعيم، ولا فى فهم مصر الحديثة وعوامل نهضتها ودخائل تاريخها فى الجيلين الأخيرين:

ومما لا شك فيه أن زعيم الثورة المصرية فى القرن التاسع عشر قد أصاب وأخطأ، وقد نجح وأخفق، وقد أحسن وأساء. ولكنه لم يكن قط خائناً متواطئاً مع الإنجليز على مصلحة وطنه كما افترى عليه خصومه، وإنما خانه التوفيق كما خانه بعض أعوانه، وكان تصرف الإنجليز معه بعد إخفاقه تصرفاً طبيعياً لا غرابة فيه إذا رجعنا إلى المعهود من سياستهم ومن خططهم فى معاملة أمثاله، فهم لم يرفعوا عنه العقوبة القصوى لتواطؤه بينهم وبينه قبل الثورة العرابية أو بعدها، ولكنهم فعلوا ذلك لأنهم لم يعاقبوا أحداً من الزعماء الوطنيين بعقوبة أشد من عقوبته كما رأينا فى مصر والهند والسودان وأفريقية الجنوبية وغيرها من البلدان التى كانت لهم يد فى محاسبة زعمائها، ولأنهم من الجهة الأخرى كانوا يسوغون احتلالهم لمصر بفساد الأحوال فيها، فلم يكن فى وسعهم أن يحكموا بأقصى العقوبة على رجل يثور على فساد الأحوال.

وليس تمحيص التاريخ المصرى، ولا تمحيص الزعيم المصرى، كل ما يستفاد من قراءة كتاب الأستاذ الخفيف عن فترة الثورة العرابية، فإن أساليب السياسة الأوربية فى القرن العشرين، وأساليب الاستعمار الأوربى على العموم، بعض ما يستفاد من هذا الكتاب الذى يعد فى بابه قليل النظير.

***

أما سيرة إبراهام لنكولن فهى السيرة الوحيدة التى ظهرت فى اللغة العربية لهذا الرجل العظيم، وهى سيرة لم يستوعبها كتاب واحد ولا كتب عدة فى اللغة الإنجليزية بين المتكلمين بها

أو القادرين على الاطلاع فيها ، حيث يعلم الناس كثيراً من تاريخ الولايات المتحدة ، فيستغنون عن إقحام هذا التاريخ فى سيرة هذا الزعيم أو ذاك .

والواقع أنه لا توجد فى التاريخ كله فائدة أو عبرة لا تستخلص من سيرة إبراهام لنكولن فى حياته الشخصية أو حياته العمومية سواء تعلقت هذه العبرة بأطوار العظماء أو بأطوار الأمم فى نشأتها ، أو بأطوار السلم والحرب ، أو بعجائب الأخلاق ونقائض الآراء .

فقد يستغنى القارئ بسيرة مستوفاة لإبراهام لنكولن عن سير مئات من العظماء ومئات من الحوادث ، ولا يفوته شيء ذو بال .

وهنا موضع الصعوبة فى استيفاء كتاب عربى لهذه السيرة الجامعة ، وقد كانت صعوبة قائمة أمام كل مؤلف تعرض لهذه السيرة من الغربيين فضلا عن الشرقيين .

ويستطيع القارئ أن يعرف لنكولن معرفة صحيحة من كتاب الأستاذ محمود الخفيف ، لأنه يعرفه كما كان عظيما غاية فى البساطة ، بسيطاً غاية فى العظمة ، أميناً فى السياسة ، سياسياً فى الأمانة ، فكها يضحك الثكالى ، وحزيناً لا يفارقه حزنه مدى الحياة ، كريماً فى الصداقة والخصومة : يقف جلسات الوزارة ليستقبل فلاحاً صديقاً من رفقة صباه ، ويقهر خصومه كل القهر فلا ينتقم منهم ولا يفكر فى إذلالهم ، بل يعرف لهم حقهم ويصون عليهم كرامتهم ، ويسعى فى ذلك كأنه يسعى فى مكافأة ولى من أوليائه يدينه بالحب والوفاء .

تلك صفات لهذا الرجل العظيم تعرفها من هذا الكتاب ، ولكنك مع هذا لا تحيط بكل شيء ولا تعرف كل شيء ، بل تعرف مالا بد منه ويبقى من وراء هذا التعريف الضرورى مجال واسع للمزيد .

ومن المباحث التى تجاوزها الكتاب ، ما يساعد القارئ كثيراً على تعليل هذه الصورة الصادقة التى تتجلى له من سيرة هذا الزعيم العجيب .

فليس فى الكتاب تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه ، وليس فيه إلمام كاف بسلسلة المصادفات المتوالية التى ساقته إلى رئاسة الجمهورية ، وليس فيه تعليق على مقتله ، ولا عن المتآمرين عليه ، يشرح هذه الجريمة شرحاً يناسب مكانها فى تاريخ الإجرام عامة وفى تاريخ الولايات المتحدة على التخصيص .

ولا تتم العبرة من تاريخ لنكولن إذا لم تكن نشأته وارتقاؤه إلى رئاسة الجمهورية ، وحقائق مصرعه موضع اهتمام خاص يفوق كل اهتمام بغيرها من الموضوعات .

فقد كان لنكولن مديناً بتعليمه لأمه ، ولولا هذه العناية من أمه لعاش ومات فلاحاً لا يسمع أحد باسمه فى غير بلده الذى يعيش فيه .

وقد كانت هذه العناية وراثة من أعجب الوراثات ، لأن أمه كانت من سلالة غير شرعية لفتاة بلغ من رغبتها فى العلم — على خلاف عادة النساء والرجال فى زمانها ، أنها أقبلت على دروسها الخاصة فأحبت أستاذها واستسلمت له وتعرضت للمهانة فى سبيله .

وكان لنكولن يعلم هذا ويتحدث به على دأبه من الصدق والصراحة ، وكان يعزو إلى هذه السلالة كثيراً من خلائقه وميوله ، ولا سيما الميل إلى المعرفة والاستزادة منها ولو لم تكن من لوازم عمله ، كاقباله على تعلم الهندسة والفلك ودراسة شكسبير وبعض الآثار اليونانية ، وهو محام لا يحتاج إلى هذه المعلومات .

وقد كان من الجائز جداً ألا يصل إلى رئاسة الجمهورية ، لأنه لم ينجح قط فى انتخاب أو ترشيح إلا كان للمصادفة فى اللحظة الأخيرة أكبر الأثر فى هذا النجاح .

وعمل المصادفة فى تواريخ العظماء يفتقر إلى توضيح هذه المواقف وتحليل أسبابها وملابساتها ، لأننا نرى فيها عمل العظيم وعمل البيئة فى توجيه أكبر الحوادث التى اشتغل بها التاريخ .

أما مقتله فلا يفهم على حقيقته من التاريخ الأمريكى إلا إذا عرف القاتل وعرفت دواعيه إلى اقتراف هذه الجريمة ، وجملة ما يقال عنه أنه ممثل فاشل أراد أن يعوض فشله فى أدواره المسرحية بهذا الدور من أدوار المغامرات المعهودة فى تاريخ البلاد الأمريكية ؛ ولولا عوارض شخصية فى طبيعة هذا المفتون لما وقع الحادث على الإطلاق .

***

والذى يبدو للوهلة الأولى من كتابى الأستاذ الخفيف أنه موفق فى تحقيق معلوماته وفى وزن أبطاله .

إلا أنه حين يحتاج إلى الميزان المشترك بين أبطال متعددين ، يضطرب فى الميزان بعض الاضطراب .

ومن أمثلة ذلك فى تاريخ لنكولن أن كلامه عن بطله صحيح ، وأن كلامه عن دوجلاس مزاحمه صحيح ؛ ولـكنه إذا عرض الرجلين على « الميزان المشترك » لم يبلغ من الدقة ما يبلغه من وزن كل منهما على انفراد .

ومن أمثلته فى تاريخ أحمد عرابى أنه لم يحرر الميزان كل التحرير عند الحـكم على عرابى ومن يعده مثلا ، أو عند الحـكم على سائر النابهين الذين اشتركوا فى حوادث الثورة العرابية .

فقد يكون عشرات من الرجال فى الحادث الواحد مختلفين متنابذين ، ويكون لـكل منهم حقه من الرأى ، وحقه من العذر وحقه من التعظيم .

ولـكننا نلاحظ هذه الـملاحظات العابرة وننتهى منها إلى تقدير لا شك فيه لـكتابى المؤلف عن هذين الزعيمين ، وذلك أنهما على التحقيق مصدر لاغنى عنه للعلم بـكلا الرجلين فى اللغة العربية ، وإن الصعوبة التى واجهت مؤلفهما الفاضل لا تغمط الجهد الـكبير الذى توفر عليه ، فاستحق به ثناء الناقد وإقبال القارئ واستزادة المستزيد

عباس محمود العقاد

منارة الماضى :

٢ ـ زيارة لحصن الأكراد

أدب وحرب

للأستاذ أحمد رمزى بك

٢٢ — لفت حصن الأكراد أنظار رجال الآثار والعلماء من أواخر القرن الماضى ، وكتبوا الـكثير عنه ، ولهم المطبوعات والرسوم التى تدل على عملهم المتواصل .

٢٣ — وكان آخر ما ظهر من عمل جدى إنشائى : هو عمل البعثة التى أقامت أكثر من عشر سنوات ابتداء من عام ١٩٢٧ وظهرت نتيجة أبحاثها فى المجموعة المساة Les Châteaux de Croisées التى طبعتها مصلحة الآثار الفرنسية تحت عنوان Le crac des eheva liers وهو كتاب من أعظم الـكتب الأثرية تأليف Deschamps ويزيد من قيمة هذا العمل أن البعثة أعادت هذا الحصن إلى بعض رونقه القديم ، وأخذت فى هذا العمل سنوات عدة ، ولذا جاء عملها من الوجهتين : الأثرية والعلمية من الأعمال الخالدة .

٢٤ — وإنى إذ أشير إلى هذا أرجو أن أجد من السلطات المصرية والسورية اهتماماً يفوق هذا الاهتمام لإعادة قلاع القاهرة ودمشق وحلب إلى ما كانت عليه فى إبان سـطوتها وعزها على نمط لا يقل فى قيمته العلمية والأثرية عما قامت به بعثـة حصن الأكراد الفرنسية .

٢٥ — وأُخذ على البعثة الفرنسية هدمها لقبور من ماتوا من المسلمين ودفنوا داخل الحصن ، ومنهم من كان يحـكم هذا الحصن باسم مصر نائباً عن السـلطة المصرية ، أذكر من ذلك تربة الأمير صـارم الدين قايماز الظاهرى السعيدى أول نائب للسلطنة بعد الفتح ، توفى سـنة ٦٧٣ ودفن بالحصن . وحقق سوبرنهيم Sobernheim الـكتابة التى على شاهد القبر ورسمها ، وليس لهـذه التربة أثر بعد الترميات ، ولم يـكن من حقوق البعثة أن تعبث برفات قائد مصرى كبير بعد أن رقدت بالحصن الذى افتتحته جنوده مئات السنين .

٢٦ — اعتاد الناس حينما يتحدثون عن أثر مثل حصن الأكراد أن يشـيروا إلى الحروب الصليبية وأثرها ونتائجهـا وبعض حملاتها ، وموضع هذا الأثر فى تاريخ هـذه الحروب : ولا شك فى أن هذه الطريقة واجبة الاتباع ، ولـكنى سأخالف هذه القاعدة من بعض النواحى .

٢٧ — ذلك لأن أغلب حملات الحروب الصليبية قد أصبحت معروفة ومتداولة ، ولم يعد من المفيد إعادة الـكثير مما قرأه الناس عنها : ثم قد يتسع البحث إلى مناطق تبعدنا عن الغاية التى رسمناها لأنفسنا وهى حصن الأكراد وزيارته .

٢٨ — ولذلك سنشير إلى المنطقة التى فيها حصن الأكراد وأثرها فى الحروب الصليبية ، ونأتى ببعض النتائج التى حصـلنا عليها من أثر هذه الحروب فينا .

٢٩ — يفسر الأتاتورك مصـــطفى كمال رئيس الجمهورية السابق تاريخ الحروب الصليبية بأنها الهجوم المضاد الأول من

الدول المسيحية ضد الإسلام : لأن الفتوحات الإسلامية وانتصارات المسلمين أثارت بوقفتها هجوماً مضاداً Contere Aittaque فهو يرى أن حروب الصليبيين الأولى كادت تقتلع ملك المسلمين بأكمله ، وأن وقفة الحروب الصليبية فى الامارات اللاتينية أوجد الحرب الثابتة فى المراكز المحصنة ، والتى دامت حتى أتم المسلمون أهبتهم ، وجاءت هجماتهم التالية التى قذفت بالفرنج إلى الساحل : فكانت الرد على الهجوم المضاد المسيحى .

٣٠ — فى فترة الهدوء والاستجمام بين الهجومين أنشأ الصليبيون خطاً من الحصون والقلاع ، يبدأ من خليج العقبة ويمر بالكرك والشوبك ، ويلتقى مع سلسلة الحصون التى تحمى أنطاكية ، وتنحدر مع جبال العلويين حتى جبل لبنان .

فى منطقة الوسط تماماً يقع مثلث مكون من الحصون الثلاثة : فى الشمال مصياف، وفى الجنوب حصن الأكراد ، وإلى الغرب صافيتا

٣١ — فهذا المثلث الواقع على منطقة جبلية يسيطر على عدة طرق حيوية بالنسبة لمقاطعة طرابلس الصليبية ، وعلى مناطق زراعية خصبة تجعل المحتلين لهذه القلاع لا يهتمون بغير قلاعهم وأملاكهم ، ويسهل عليهم الاتصال فيما بينهم بالنيران لتبادل المساعدة ، ولصد كل عدوان يأتى إليهم . ولذلك استمرت هذه البقعة شوكة فى جنب المسلمين منذ أيام صلاح الدين ومن قبله إلى أيام الملك الظاهر بيبرس .

٣٢ — والحرب هى الحرب فى كل الأزمان تتطور قواعدها وأساليبها ولا تتبدل أهدافها . فهدفها الأول : هو تحطيم قوة المقاومة لدى الخصم وتدميره .

ولاشك فى أن الحملات الصليبية الأولى لم تصل إلى أغراضها ؛ فإن قوة المسلمين لم تحطم فى يوم من الأيام — وإن الفترة بين دخولهم فلسطين وإخراج صلاح الدين لهم من القدس بعد معركة حطين كانت من فترات الثبات والتركز كما قال مصطفى كمال . وقد دامت ٩٠ عاماً — وكانت كل المعارك الصغيرة من قبيل الهجمات التعرضية التى يقوم بها جيش من وراء الاستحكامات ثم يعود إليها بعد إتمام غرضه .

٣٣ — هذه الاستحكامات الدائمة هى القلاع التى أشرنا إليها والتى تمكن صلاح الدين بعد هجومه العام من انتزاع أكثرها من أيدى الصليبيين ، ولكنه توفى قبل أن يتم العمل الذى بدأه لذلك وبقى حصن الأكراد لم يسلم إليه ، وعادت حالة الاستقرار والهدوء من وراء القلاع ، وإن كانت تغيرت عقلية ملوك الصليبيين فأصبحت مصر هدفاً لحملاتهم للقضاء عليها حتى يتم لهم تحطيم قوة المسلمين وتدميرها تدميراً تاماً .

٣٤ — وهناك حقيقة لا بد من إعلانها وهى تتلخص فى إفلاس الخلافتين العباسية فى بغداد والفاطمية فى مصر فى اتخاذ موقف يسمح لكل واحدة أو لكلتيهما معاً من البروز كقوة مجاهدة مكافحة تصلح لقيادة المسلمين فى عراك يمثل الموت والحياة للعالم الإسلامى . فهذا الموقف السلبى انتهى بهما إلى النتيجة الطبيعية المحتمة وهى زوال الخلافة الفاطمية من الوجود وضعف الخلافة العباسية إلى أن صفيت على يد هولاكو .

٣٥ — والقارئ لأخبار الصليبيين عند نزولهم لدمياط وخصوصاً لأخبار نشاطهم وحماسهم عندما وصلت لهم أنباء استيلاء التتار على بغداد يخيل إليه أن قواد الصليبيين قد وثقوا من أن العالم الإسلامى قد زال من الوجود بزوالها مع أن أثر الخلافة العباسية كان ضئيلا جداً فى الحروب الصليبية لدرجة لا يصدقها العقل

٣٦ — والفضل الأكبر فى صد الحروب الصليبية وإعداد أول هجوم إسلامى على معاقل الصليبيين فى فلسطين هو لمصر تحت قيادة صلاح الدين الذى ورث هذا النشاط عن نور الدين الشهير .

وهذا ما أدركه كتاب الصليبيين ، وما شعر به قوادهم بعد وقت طويل، وما باح به الجنرال كاترو بقوله : إن مصر فى مطالبتها بعودة الدستور والحياة النيابية فى سوريا ولبنان إنما تريد أن أن تلعب الدور الذى لعبه من قبل صلاح الدين فى شئون دمشق

٣٤ — والعمل الحاسم لآخر هجوم إسلامى كان لمصر تحت قيادة الملك الظاهر بيبرس هذا الهجوم العام الذى سقطت فيه انطاكية وحصون الشمال ، وأخيراً حصن الأكراد وغيره من حصون الوسط .

٤٨ — ولو أعقبت وفاة بيبرس فترة هدوء واستجمام لعادت الحروب الصليبية مرة أخرى ، ولكن قلاوون وابنه الأشرف كانا أسرع إلى مداومة الزحف واستغلال الموقف ، فلم يقف الهجوم الثالث حتى حقق ما كان يؤمله كل من صلاح الدين وبيبرس ، فسقطت طرابلس ثم عكا التى قال عنها الشاعر فى مدح الأشرف خليل بن قلاوون :

صدمتها بجيوش لو صدمت بها ... صم الجبال أزالتها ولم تزل

(البقية فى العدد القادم)

أحمد رمزى

بين بدر وأحد :

الفـــــدائى الأول

للأستاذ عمر الخطيب

مد الليل جناحه وشمل السكون ظلام دامس ... وتحرك الجيش الصغير فى هدأة الليل وغمرة الظلام من المدينة يتقدمه القائد الأعظم (رسول الله) ومن ورائه أصحابه كالكواكب المتلألئة حول البدر المنير ... ساروا وقد سبقتهم الخيال إلى ماء (بدر) حيث يعسكر المشركون الذين تجمعوا ليحبطوا دين الله ويقتلوا رسول الله ويؤذوا أصحابه (الصابئين) ... فاستحث القوم جيادهم وأسلسوا لها القياد ، وقلوبهم تخفق شوقاً للجهاد ، ونفوسهم ترقص طرباً بلقاء أعداء الله الذين آذوهم وأخرجوهم من ديارهم ... ولم يكن أحب للمسلم إذ ذاك من خوض ساحات الشرف حيث يصول ويجول ويجندل الأقران ويصدع الشجعان ، وقد آلى على نفسه أن يستشهد فى سبيل العقيدة التى يؤمن بها ، والمبدأ الذى ملك عليه لبه ...

ولما كانوا (بعرق الظبية) استشار الرسول أصحابه ، فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما ، وقام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله ، امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون » !

وسكت الناس بعد أن استمعوا لمقالة المقداد ، فقال رسول الله : أشيروا على أيها الناس ، وكان يريد بكلمته الأنصار الذين أعطوه موثقاً أن يؤازروه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ...

فقام صاحب رايتهم (سعد بن معاذ) وقال : لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال : أجل ؛ فقال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا ... على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك ... فوالذى بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد . فتهلل وجه الرسول واطمأنت نفسه ، ووثق من إخلاص الجند لقائدهم واستبسالهم فى سبيل دينهم

***

جاء (أنس بن النضر) ، وقد كان غائباً عن المدينة ، فغدا إلى المسجد ليؤدى الفريضة خلف رسول الله ويستمع إلى حديثه العذب الجميل ويجتمع مع إخوانه الصادقين ليتدارسوا القرآن ، ويتعاونوا على الخير ، ويفكروا فيما يرفع شأن دينهم ويحقق لهم أمانيهم ... وما إن دخل المسجد حتى ألفى نفسه وحيداً بين شيوخ كبار ، وصبية صغار ، يركعون ويسجدون، ويضرعون ويبتهلون، فراعه أن يجد المسجد على غير ما ألفه ، واستوضح من القوم الخبر فأنبؤوه بأن الرسول فى غزوة يقاتل المشركين ... فأفلت من يده ودمعت عينه ندماً على ما فاته من الجهاد مع رسول الله ، ورجع خائباً إلى بيته وفى قلبه أسى وفى صدره غصة وفى نفسه حسرة !

***

ورجع المسلمون من (بدر) ، وقد نصر الله حزبه وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، وقتلوا من قريش مقتلة عظيمة ، ونالوا منها مغانم كثيرة ، ومكن الله المسلمين من أعدائهم حتى صرعوا رؤوس الجاهلية وأقطاب الشرك ... عادوا وأكاليل النصر فوق هاماتهم يتقدمهم الرسول الكريم ، فاستقبلتهم المدينة جذلة فرحة ، وزغرد النساء ، وأنشد الصبيان ، والقلوب مفعمة بالعزة والفرح ... وجاء (كعب بن مالك) شاعر الرسول ينشد :

عجبت لأمر الله والله قادر ... على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشراً ... بغوا وسبيل البغى بالناس جائر
وقدحشدوا واستنفروا من يليهم ... من الناس حتى جمعهم متكاثر
وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقل منهم عزيز وناصر
فلما لقيناهم وكل مجاهد ... لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيرُه ... وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كأنها ... مقاييس يزهيها لعينيك شاهر [1]
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا ... وكان يلاق الحين من هو فاجر
فكب أبوجهل صريعاً لوجهه ... وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به ... وليس لأمر حمّه الله زاجر [2]

(١) مقاييس : جمع مقباس وهو شعلة النار

(٢) حمه الله : قضاه وأراده .

وما إن استقر بالرسول المقام ووزع الغنائم على الجنود وأعطى كل ذى حق حقه حتى جاءه (أنس بن النضر) والدموع تذرف من عينيه والأسى يعقد لسانه والحسرة تلوح من أسارير جبينه ... جلس أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ليعتذر عما صنع ويعطيه عهداً وموثقاً على أن يكون الجندى الأمين و (الفدائى) الصادق إذا ما حارب الرسول المشركين مرة أخرى ...

قال: «يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين. لئن الله أشهدنى قتال المشركين ... ليرين الله ما أصنع ...

* * *

رجعت قريش إلى مكة تبكى قتلاها وناح النساء عليهم شهراً كاملاً بعد أن جززن رؤوسهن .. رجعوا وقد تركت (بدر) فى نفوسهم أثراً عميقاً حز فى قلوبهم وحفزهم إلى العمل على الأخذ بالثأر ولم الشمث وجمع الشتات والاستعداد لمعركة أخرى ينتقمون فيها لما أصاب ساداتهم يوم بدر ويمحون عار الهزيمة الذى لحقهم وكاد يودى بمكانتهم بين العرب وقد أدركوا أنهم إن لم يأخذوا على يد هؤلاء المسلمين ويفصموا عروتهم ويضعفوا قوتهم فسيقضى على قريش بالذلة والضعة بعد العزة والمنعة.

وعزموا على القتال وحشدوا الجموع وجهزوا الجيش والتقوا مع المسلمين جانب (أحد) وكان المسلمون إذ ذاك قلة وقد باغتهم العدو وأصبح قريباً من ديارهم.. وكان اليوم يوم جمعة، فصلى الرسول بالناس وأخبرهم بأن النصر لهم ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم؛ ولبس لأمة الحرب وتقلد السيف وتقدم بالمسلمين نحو (أحد) وأمر بعضاً من أصحابه أن يرابطوا فى أعلى الجبل وأن يرشقوا المشركين بالسهام، وأوصاهم بأن لا يتركوا مكانهم حتى ولوظهر المسلمون على أعدائهم ... ودقت الساعة وابتدأت المعركة فكان النصر فيها بادىء ذى بدء حليف المسلمين إذ حملوا على أعدائهم حملات صادقة زعزعتهم وقذفت فى قلوبهم الرعب وأدركوا أنهم إزاء قوم ذوى بأس شديد يكرهون الحياة ويطلبون الموت نصرة للعقيدة ودفاعاً عن المبدأ .. فتراجعوا وفروا منهزمين .. ولما رأى (النابلة) أن العدو قد انهزم وترك وراءه الأموال والمتاع والسلاح نسوا أمر رسول الله فتركوا أماكنهم وأسرعوا لينالوا ما بقى من الغنائم ... وهنا اغتنم الأعداء الفرصة فكروا عليهم من خلفهم وأخذوا مواقعهم وأشرفوا عليهم وشرعوا يرمونهم بالنبال، وجعل الفرسان يحملون عليهم بالسيوف حتى رجحت كفة الأعداء وكاد يقضى على المسلمين ...

* * *

رأى (أنس بن النضر) ما أصاب المسلمين وكيف أن الله قد أخذهم ببعض ما كسبوا، وذكر العهد الذى قطعه لرسول الله على نفسه، وثارت فى نفسه عزة الإسلام وطفرت الدمعة من عينيه حزناً على ما أصاب المسلمين فرفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعنى أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعنى المشركين)» ثم امتطى صهوة جواده واستل سيفه وشرع رمحه وتقدم نحو صفوف الكفار فاستقبله (سعد بن معاذ) فقال له أنس (يا سعد بن معاذ! ... واهاً لريح الجنة! إنى لأجد ريحها ورب النضر عند هذا الجبل) وألفى أبا بكر وعمر وقد انتحيا جانب الجبل وألقيا بأيديهما فقال: ما يجلسكم! ... قالوا: قتل رسول الله[1]، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه) ثم ألقى بنفسه فى أتون المعركة واستقبل الموت استقبالا رهيباً لا عهد للناس بمثله وقد وهب روحه (فداء) للاسلام الذى آمن به والرسول الذى اتبعه.

* * *

انجلى غبار المعركة وهدأ صليل السيوف ورجعت الجيوش أدراجها وبقى من المسلمين من يلم القتلى ويحمل الجرحى ... وافتقد المسلمون (أنس بن النضر) فلم يجدوه بين الجرحى أو القتلى فاشتد حزنهم عليه وعظم مصابهم به وأيقنوا بأنه قد أصبح أسيراً فى يد المشركين يسومونه سوء العذاب وينتقمون منه شر انتقام؛ وبعد قليل جاءت أخته (الربيع) لترى أخاها فألفت المسلمين حيارى لا يعرفون من أمره شيئاً، وأخبروها بأنهم لم يجدوه بين القتلى أو الجرحى، فأنعمت النظر فى وجوههم التى مثل بها المشركون فلم تجد بين هذه الوجوه التى شوهها الأعداء ما يدل على أن أخاها منهم، وكادت تقطع بما قطع به القوم لولا أن وقع بصرها عفواً على (بنانه) وكان جميل البنان فعرفته بها وأيقنت أنه (أنس)

---

(١) وكان المشركون قد أذاعوا هذا بين المسلمين ليفرقوا جمعهم.

كم بيننا من الكتاب؟

للأستاذ عبد المنعم الصاوى

من الكاتب ؟ ...

إذا كان كل من يحمل قلماً يستطيع أن يخط به كلاما يمكن أن يقرأ ، ويؤدى إلى معنى من المعانى ، أيا كان هذا المعنى .

إذا كان هذا يسمى كاتباً ، إذن لجاز لنا أن نسمى أطفال المدارس الابتدائية كتاباً ! !

وإذا كان الكاتب هو ذلك الذى يستطيع أن يملأ عدة أعمدة من صحيفة أو مجلة أو كتاب ، فى أى وقت يشاء ، أو فى أى وقت يطلب إليه أن يكتب ...

إذا كان هذا هو الكاتب ، إذن لأخرجنا الكتابة عن نطاقها الفنى ، وحدودها المتسامية ، وجعلناها أقرب إلى الصناعة منها إلى الفن الجميل المتسامى ! !

فمن إذن الكاتب ؟ ... من هو ؟

هو الذى يحمل قلماً ، وفكرة ، وأمانة .. فأما القلم فوسيلة ، وأما الفكرة فنهج ، وأما الأمانة فهى الهدف .

وليس القلم هو ذلك الشىء الصغير المتواضع الذى يستطيع أى إنسان أن يملكه ، ما دام يستطيع أن يدفع ثمنه الزهيد الصغير ... وإنما القلم معنى من المعانى الكامنة فى النفس ، قبل أن تكون كامنة فى الجيب ، أو فى محال بيع الأقلام بمختلف أنواعها . .

هذا المعنى الكامن فى النفس ، يستمد عناصره ، ووجوده ، وكيانه كله ... من الدم ، والألم ، والقلب معاً .

وليست الفكرة ، هى أن تدرس كتاباً ، أو عدة كتب .. أو أن تنتهى من دراسة ، ولو كانت جامعية .

لا ، ليست هذه هى الفكرة ، وإنما هى قبل كل شىء فلسفة تتخذها بعد أن تكون قراءات الزمن فى الكتب وفى الحياة ، وتجارب السنوات وشدائد الأيام ، واستقصاء المعارف والحقائق الكونية الراسخة فى طبيعة البشر . . بعد أن تكون كل هذه العناصر قد تفاعلت فى نفس إنسانية ذواقة ، متفتحة ، مشرقة ، لماعة ، بارعة ، فاستقرت أخيراً فيها حقيقة واحدة ، تكون منهجاً واحداً ، يتخذه الكاتب فلسفة فى الحياة .

وليست الأمانة هى أن تحمل رسالة معينة وتسعى إلى تحقيقها بمختلف الوسائل . . ليست هذه هى الأمانة ... وإنما هى اسمى من هذا بكثير .

هى أمانة الكاتب لقلمه المستمد من دمه وعرقه وآلامه وقلبه ... أمانته تجاه هذا القلم ، فإذا هذا القلم أقدس ما يملك ، لا يستبيح لنفسه أن يتجنى عليه باستعماله استعمالا غير مشروع ، أو استعمالا يجاوز الحق ، ولو فى واحد من مائة ، فإن مجاوزة الحق تتساوى : واحداً فى المائة ، ومائة فى المائة .

وهى أمانة الكاتب تجاه منهجه الذى كونته الدراسات والقراءات والتجارب والدموع ... لا يتصرف فى هذه الفكرة إلا فى حدود تتسق معها ولا تنبو عنها .. ولا تتنافر أو تتناحر مع فلسفة الكاتب فى حياته .

وهى أمانة الكاتب تجاه مجتمعه الذى يعيش فيه ... أمانته تجاه العقول والأفكار التى تتناول إنتاجه وتتأثر به ، وتحذو حذوه ...

وهى أمانة الكاتب تجاه التاريخ الذى يتناوله ، ويسجل عليه ما أفاد ، وما أضر ، ويضمه فى القائمة البيضاء ، أو ينخفض به إلى مستوى الذين لا يرتفعون عن القائمة السوداء .

إذا توفرت هذه العناصر كلها فى شخص فهو الكاتب ،

فأكبت عليه وهى تبكى ووقف المسلمون إزاءه يترحمون عليه ويسألون الله له الجنة .

* * *

يقول أنس بن مالك (فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون) .

ويقول (كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه من المؤمنين « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؛ فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا »)(١) .

(المعادى) عمر الخطيب

(فى الفيحاء)

(١) روى حديث أنس الشيخان البخارى ومسلم .

وإلا لم يكن كاتباً ، وأصبح من الجناية على المجتمع وعلى الأفكار وعلى الأخلاق ، وعلى مستقبل الجيل أن يعد هذا الشخص كاتباً ... بل أصبح من الجناية فعلا ، أن تفتح لأمثال هذا الإنسان المتجنى صفحات الصحف ، وأنهار المجلات ، وأبواب دور النشر .

والسؤال الآن هو : كم كاتباً في مصر ؟

في مصر سبع صحف يومية تصدر كل صباح ، وثلاث تصدر كل مساء ، عدا المجلات الأسبوعية التي لا يدركها الحصر ، غير المجلات الشهرية ، والنشرات الكثيرة المديدة .

وفي كل صحيفة من هذه الصحف ، مقال واحد على الأقل ، أما في المجلات فكل منها تحوى عدة مقالات .

ولو أننا استعرنا الطريقة الأمريكية في الأحصاء ، لأمكننا أن نقول إن القراء المصريين يواجهون كل يوم بحوالي عشر مقالات وقصص لعشرة كتاب ...

ومعنى هذا أن هناك سبعين قلماً تسود هذه الصفحات البيض ، وتطلع بها على القراء ! !

كم مقالة من هذه المقالات ، وكم قلماً من هذه الأقلام ، يستحق أن يمنى به عقل واحد ، أو تفكير واحد ، أو قارىء واحد ؟ . .

وكم من هؤلاء الكتاب ، لهم أقلام ، وأفكار ، وأمانات ؟

هل هم هؤلاء الحزبيون الذين لا يمسكون أقلامهم إلا ليصفوا وجه كبير بأنه أقرب إلى وجوه الملائكة طهراً ... ويصفوا ذاك الكبير بأنه مقلوب السحنة يحاكي الشياطين !!

أم هم أولئك الذين يتعرضون لخفايا السياسة ، دون أى علم بعلم السياسة أو فن السياسة أو خفايا السياسة ... ويتبجحون فإذا هم يوجهون ، ويرسمون الخطوط وينقدون ، بل ويكيلون اتهامات لا حصر لها ، زاعمين أن لهم مكان القيادة بين الساسة والزعماء ! !

أم هم هؤلاء الذين يتناولون حقائق الفن بأقلام هزلت وضعفت حتى لا تكاد ترى ولا تبصر ، فإذا الكلام عن الفنون كله وصف لعيون هذه الممثلة أو تلك ، أو صيحات هذا الممثل أو ذاك ، أو هزات بطن هذه الراقصة أو تلك !!

أم هم أولئك الذين ينتجون ألوان الأدب من شعر وقصة ومسرحية ، دون دراية بفن ولا علم ... ودون أن تكون لديهم ملكة الخلق والانتاج ، فإذا إنتاجهم كله وصف سخيف ، وحوار ممل ، وحوادث تهدف إلى استغلال أرخص العواطف وأحط النزعات !!

أين هم إذن ... على صفحات الصحف والمجلات ؟ .

لو استطعنا أن نجد واحداً أو اثنين أو ثلاثة ... فمن يكون بقية السبعين ؟

هل هم كتاب ؟

لست أجيب ، وإنما أترك الإجابة لقراء هؤلاء المساكين ... بقيت الكتب .. ودور النشر التي أصبحت مفتوحة الأبواب لكل طارق .

كم من هذه الكتب يمكن أن يكون ذا فائدة أو أثر للقراء ... ؟

وكم من كتابها يصح أن يعدوا بين الكتاب ؟

إننا لحسن الحظ نجد أن عدد قراء الكتب ، المنكوبين بما فيها قليل ، ولهذا يهون الشر .

ما سبب هذا الوضع الغريب المخجل الشاذ ؟

وماذا يكون علاج هذه الحالة العجيبة ؟

وكيف يمكن أن تتعدل هذه الأوضاع الغريبة ؟

نترك هذا الآن ... إلى عودة .

عبد المنعم الصاوى
الأستاذ بقسم الصحافة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى
سفير إيران بمصر

— ٤ —

ذكرنا فى حديثنا السابق مجملا عن طب العرب فى الجاهلية ، ونبذة عن مصادر الطب الإسلامى وتأثير علوم اليونان فيه ، وتحدثنا عن كيفية نقل علوم اليونان وسائر الأمم إلى العربية ، وذكرنا أن المسلمين بدأوا ترجمة العلوم منذ القرن الأول الهجرى أى من بدء تعرفهم على الأمم الأخرى واتصالهم بها ، وقلنا إن هذه التراجم قد تحسنت بالتدريج واتسعت دائرتها حتى بلغت ذروتها فى زمن المأمون ، وكان للإيرانيين حينذاك نفوذ كبير فى المجتمع الإسلامى ، أى عندما كانت النهضة العلمية الإسلامية فى أوجها ، وإن عدداً كبيراً من مترجمى هذا العصر قام بإصلاح التراجم السابقة .

وفى حديثنا اليوم سنتكلم بإيجاز عن هذا العصر ثم نتحدث عن ظهور كبار الأطباء المسلمين من أصحاب الرأى والنظر وعن مطالعاتهم ودراساتهم فى الأمراض والعلل وعلاجها ، وفى مطالعاتهم عن أحوال المريض بجانب سريره ، ونذكر نبذة عن البيمارستانات عند المسلمين .

كان المأمون مهتما بهذا الأمر لدرجة أنه كان يبعث الهدايا الثمينة لملوك الروم ويسألهم مقابل ذلك الإذن فى إنفاذ بعض المختار من كتب الفلسفة والعلوم القديمة المخزونة المدخرة لديهم إليه ، وكان من جملة شروط الصلح بين الخلافة الإسلامية ، وامبراطورية روما الشرقية ، أن يأذن امبراطور الروم للمسلمين بشراء الكتب العلمية اليونانية من البلاد التابعة له ، وكانت الكتب التى تصل إلى المأمون خير الهدايا التى يبعث بها إليه الملوك .

يقول ويتينجتون wittington فى مؤلفه عن تاريخ الطب :

« إن فتوح المسلمين العلمية ليست بأقل أهمية من فتوحهم للبلاد وغزوهم لها » (١)

(١) Browne , Arabian Midicine

وقد اقتدى بالمأمون كثير من السراة الأغنياء من أهل الفضل والذوق وبذلوا جهوداً كبيرة فى ترجمة الكتب العلمية ونقلها إلى العربية .

وكان من نتائج هذا الاهتمام والتشجيع أن ظهر عدد كبير من مهرة النقلة فى ذلك العصر .

يذكر المؤرخون أن المأمون كان يعطى حنين بن اسحق العبادى ما يعادل وزن الكتب التى يقوم بنقلها إلى العربية ذهباً

وكان يشتغل فى دار الترجمة التى كان يرأسها حنين أكثر من تسعين مترجماً بنقل الكتب ، ومن مشاهيرهم ابن أخته حبيش الأعسم ، وعيسى بن على ، وعلى بن يحيى ، وأيوب الأبرش ، وحجاج بن مطران .

وبفضل جهود هؤلاء وعلو هممهم وبصرف الأموال الكثيرة وتحرى الدقة المتناهية نقلت إلى العربية كتب كثيرة نفيسة حقاً نجد فى كثير من كتب التاريخ ، ولا سيما فى كتاب الفهرست لابن النديم ، أسماءها وعناوينها بالتفصيل . غير أن كثيراً من هذه الكتب قد ضاع بسبب ما أصاب القسم الأكبر من البلاد الإسلامية فى القرن السابع للهجرة من الخسائر نتيجة لحملة المغول عليها . وليس لدينا الآن من آلاف الكتب غير أسمائها ؛ وربما كان هناك كتب كثيرة ضاعت وضاعت معها أسماؤها أيضاً

وينبغى ألا يغيب عن بالنا أن شيوع عقيدة الأشاعرة الجامدة الشديدة التحفظ ، وتغلبها على طريقة المعتزلة الحرة فى البحث العلمى والدينى ، وعوامل كثيرة أخرى كانت قد أثرت فى النهضة العلمية الإسلامية فحدت من تقدمها قبل حملة المغول ، إلا أن هذه النهضة العلمية كانت لا تزال بعد على شىء من القوة ، وكان مقام العلم والأدب لا يزال شامخاً إلى أن جاءت حملة المغول كالسيل الجارف فأصابتها بصدمة قوية فلم تقم لها بعد ذلك قائمة .

إلا أن حملة المغول هذه لم تصب العلوم الطبية بما أصابت به غيرها من العلوم من ضرر ، لأن أفراد قبائل المغول على رغم بربريتها كانوا يهتمون بصحتهم وسلامة أبدانهم ، لذلك فقد حفظوا كتب الطب من الاضمحلال والضياع ، كما أن حبهم الشديد للشهرة وخلود الذكر كان من الأسباب التى صانت كتب التاريخ من الضياع والفناء .

إن هذه العاطفة أعنى حبهم للشهرة وخلود الذكر لم تصن كتب التاريخ من الضياع فحسب ، بل كانت سبباً لتأليف كتب

أخرى نفيسة فى هذا الباب ، مثل تاريخ جهانكشاى للجوينى ، وجامع التواريخ لرشيد الدين بن فضل الله الحمدانى ، وتاريخ الوصاف لفضل الله الشيرازى ، وتاريخ كزيده لحمد الله المستوفى القزوينى ، وهى كلها معتبرة من الآثار والمؤلفات التاريخية الخالدة

والخلاصة أن أكثر المؤلفات التى نقلت فى عهد المأمون إلى العربية كانت تراجم متقنة تدل على دقة المترجمين وحسن قريحتهم ، وأن تبويب الكتب المترجمة إلى فصول ومقالات وأبواب مع ذكر المراجع والمصادر التى نقلت عنها التراجم تدل على ذوقهم السليم .

وبعد أن تعرف المسلمون عن طريق هذه التراجم على مصادر الطب الأصلية ، وبعد أن عم البحث العلمى وأنشئت البيمارستانات والمعاهد العلمية وتكونت حلقات الدرس — ولهذا بحث مهم خاص ليس الآن محله — بدأ دور استقلال الأطباء المسلمين فى بحثهم وتأليفهم . وفى هذا العهد الجديد شرع هؤلاء بتدوين ما فهموه من التراجم فى مؤلفات خاصة حسب ذوقهم الخاص ، وأضافوا إلى ذلك كله خلاصة مطالعاتهم وتجاربهم الشخصية فكان من نتاج ذلك كتب مستقلة فى الطب للمؤلفين المسلمين .

وكان لمسلمى إيران خدمات مهمة فى هذا الباب أيضاً لسابقتهم وماضيهم الطويل فى الطب منذ عهد الساسانيين بفضل المدارس الطبية العظيمة التى كانت فى إيران ومنها مدرسة جنديسابور . لذلك فإن كثيراً من الأطباء ذوى الرأى والنظر والأساتذة الكبار والمؤلفين المشهورين كانوا من الإيرانيين ولا سيما فى القسم الشرقى من البلاد الإسلامية .

أما الطب فى المغرب والأندلس ، فإن له بحثاً خاصاً مستقلا ؛ والكلام فى أحوال فلاسفة تلك البلاد وأطبائها كابن رشد وابن زهر وخلف بن العباس الزهراوى الشهير بجراح العرب وابن جلجل وابن وافد واسحق بن عمران وأحمد بن الجزار القيروانى وأضرابهم ، يحتاج لبحث طويل فى عدة محاضرات ، ولا سيما الكلام عن أثرهم فى البلاد المجاورة لأسبانيا والطلبة الذين وفدوا إلى الأندلس من سائر بلاد أوروبا للدرس والتحصيل ، والكتب العربية التى نقلوها إلى اللاتينية والعبرية وغيرهما — وهذه كلها أمور ذات شأن تقتضينا أن ندرسها دراسة عميقة ، ونخصها بمحاضرة أخرى إن سمح الوقت بذلك .

كان أكبر همّ معظم العرب فى العصور الإسلامية الأولى هو درس اللغة العربية وعلوم القرآن والشريعة ، ولم يكونوا ليهتموا كثيراً بسائر العلوم .

يقول جولد زيهير Gold Ziher المستشرق المعروف وهو من أكبر المستشرقين تضلعاً فى اللغة العربية ، وله اطلاع واسع على الفقه الإسلامى — إن عدد علماء العرب حتى فى علوم القرآن والشريعة كالتفسير والحديث والفقه كان أقل من عدد العلماء من غير العرب فى هذه العلوم أيضاً .

ومن الأمور التى استرعت نظر الأستاذ ادوارد براون فأشار إليها فى مؤلفه (الطب الإسلامى) إن الأطباء العرب ولا سيما المسلمين منهم لم يكونوا محل ثقة العرب واعتمادهم فى العلاج ؛ وقلما كانوا يرجعون إليهم فى ذلك . ويستشهد الأستاذ براون برواية ذكرها الجاحظ فى كتاب البخلاء عن طبيب مسلم من العرب اسمه أسد بن جانى أكسد ، فقال له قائل: « السنة وبئة والأمراض فاشية وأنت عالم ولك جد وخدمة ، ولك بيان ومعرفة ، فمن أين تأتى هذا الكساد ؟ قال أما واحدة فإنى عندهم مسلم ، وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب ، بل قبل أن أخلق ، أن المسلمين لا يفلحون فى الطب . واسمى أسد ، وكان ينبغى أن يكون اسمى صليباً ومرايل ويوحنا وبيرا (ويقصد الأسماء اليونانية أو السريانية أو الآرامية) وكنيتى أبو الحارث ، وكان ينبغى أن تكون أبو عيسى وأبو زكريا وأبو إبراهيم (أى كنى اليهود أو النصارى) وعلى رداء قطن أبيض، وكان ينبغى أن يكون رداء حرير أسود ؛ ولفظى لفظ عربى ، وكان ينبغى أن تكون لغتى لغة أهل جند يسابور (يقصد لسان أهل إيران) . والخلاصة أن معظم الأطباء الكبار من المسلمين فى عصر النهضة العلمية والاستقلال الفكرى فى الإسلام كانوا من الإيرانيين ، وكان أطباء هذه الحقبة من أصحاب الرأى والنظر ممن جازوا مرحلة التقليد والتسليم لآراء أسلافهم ؛ فإنهم كانوا يبذلون غاية الجهد ويعملون رأيهم فيميزون بين الصحيح والسقيم من الآراء ، ويضيفون إليها من عندهم الشىء الكثير ؛ وخير مثال لهؤلاء محمد بن زكريا الرازى الذى جمع فى مؤلفيه كتاب المنصورى وكتاب الحاوى كل المعارف الطبية التى كانت موجودة فى زمنه من مؤلفات من سبقه من الأطباء من يونانية وغير يونانية ، وانتقدها نقداً علمياً

يدل على علو كعبه وطول باعه وإحاطته التامة ، وزاد عليهما مشاهداته وتجاربه الشخصية ، كما أنه ألف كتاباً فى الحصبة والجدرى ، ولم يكن أحد من الأطباء الذين سبقوه ، قد عرف أن هذين المرضين مرضان مستقلان . وله غير هـذه الـكتب رسائل خاصة عن تجاربه الشخصية ومطالعاته فى البيمارستانات ، وبجانب فراش المرضى ، ورسائل أخرى فى المبادئ الخلقية التى يجب على الطبيب مراعاتها والسير بموجبها بحكم الواجب ، وفى هذه الرسائل أيضاً تتجلى اختباراته الشخصية بوضوح تام .

ومن مؤلفات الرازى كتاب باسم شكوك الرازى على كلام جالينوس فاضل الأطباء فى الـكتب التى نسبت إليه ؛ ولدى نسخة خطية منه يقول فى مقدمتها :

(إنى لأعلم أن كثيراً من الناس يستجهلوننى فى تأليف هذا الـكتاب ، وكثيراً منهم يلوموننى ويعنفوننى على مناقضة رجل مثل جالينوس فى جلاله ومعرفته وتقدمه فى جميع أجزاء الفلسفة ومكانه منها ، وأجد أنا لذلك مضضاً فى نفسى، إذ كنت قد بليت بمقابلة من هو أعظم الخلق على منة ، وأكثرهم لى منفعة ؛ به أهديت ، وإثره اقتفيت ، ومن بحره استقيت ، مما لا ينبغى أن يقابل به العبد سيده ، والتلميذ أستاذه ، والمنعم عليه ولى نعمته ، وبودى يشهد الله أن هذه الشـكوك التى أنا ذاكرها فى هذا الـكتاب ، لم تكن فى كتب هذا الرجل الخير الفاضل العظيم قدره ، الجليل خطره ، والعام نفعه ، الباقى فى الخير ذكره ، لـكن صناعة الفلسفة لا تحتمل التسليم للرؤساء والقبول منهم ولا مساهلتهم ، وترك الاستقصاء عليهم ، ولا الفيلسوف يحب ذلك من تلاميذه والمتعلمين منه كما قد ذكر ذلك أيضاً جالينوس فى كتابه فى منافع الأعضاء حيث وبخ الذين يكلفون أتباعهم وأشياعهم القبول منهم بلا برهان . وكان أكثر ما عزانى وسهل على أن هـذا الرجل الجليل لو كان حياً حاضراً لم يلمنى على تأليف هـذا الـكتاب ، ولم يثقل ذلك عليه إيثاراً منه للحق وحباً لتقصى المباحث . إلى أن يقول : « وأما من لامنى وجهلنى فى استخراج هذه الشكوك والـكلام فيها فإنى لا أرتفع به ولا أعده فيلسوفاً إذ كان قد نبذ سنة الفلاسفة وراءظهره ، وتمسك بسنة الرعاع من تقليد الرؤساء وترك الاعتراض عليهم .

هذا أرسطاطاليس يقول — اختلف الحق وفلاطن وكلاهما صديقان لنا ، إلا أن الحق أصدق لنا من فلاطن . وهو يقاومه ويناقضه من أجل آرائه ، فقد ناقض أرسطاليس فى أوضح أجزاء الفلسفة بعد الهندسة الذى هو المنطق يبين غلطه فى كثير من المواضع ، حتى أنه يتعجب ويقول : لست أدرى كيف ذهب على الحـكيم هذا المعنى وهو فى غاية الوضوح !

وتذكرنا هذه القدمة بمقدمة أخرى للشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه حـكمة المشرقيين وفيها ينتقد فلسفة المشائين .

والذى يتبين من مطالعة هذه القدمة أن تحولا فكرياً عظيما كان قد طرأ على ابن سينا فى أخريات أيام حياته نتيجة المطالعة والدرس ، إذ نراه يبدى آراءه دون أن يتقيد بفلسفة المشائين ، ويبينها حسب فلسفة اليونان ولو خالفت فلسفة المشائين، أو باينت آراءه التى كان قد أبداها الشيخ نفسه حتى ذلك التاريخ

وبما أن النمو العقلى والفـكرى عند الحكماء والفلاسفة وتقدمهم فى هـذا الباب يشبهان إلى حد كبير تقدم الأطباء المسلمين فى العلوم الطبية ، أعنى أن النسبة بين أطباء عصور النهضة وعهد ظهور التأليف المستقلة ، وبين مترجمى الـكتب الطبية فى العصور الأولى من الإسلام هى نفس النسبة بين مترجمى المؤلفات الفلسفية فى العصور الأولى ومترجمى كتب الفلسفة فى العصور المتأخرة ، أرى أن أذكر لحضراتكم هنا هذه المقدمة القيمة .

(يتبع)

من مغموري العلماء

للأستاذ محمد كرد على بك

ابن حبان — (بقية ما نشر فى العدد ٧٧٧)

من الحكايات التى ساقها ابن حبان قوله: سمعت إسحق بن أحمد القطان البغدادى بتستر يقول : كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء ، كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم . فقال لى دخلت يوماً على أحمد بن حنبل ؛ فإذا هو مغموم مكروب . فقلت . مالك يا أبا عبد الله ؟ قال : خير . قلت : ومع الخير ؟ قال : امتحنت بتلك المحنة (القول بخلق القرآن) حتى ضُربتُ ثم عالجونى وبرأت ، إلا أنه بقى فى صلبى موضع يوجعنى هو أشد علىَّ من ذلك الضرب . قال : قلت اكشف لى عن صلبك ، قال : فكشف لى فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط ؛ فقلت : ليس لى به معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا . قال : فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بينى وبينه فضل معرفة . فقلت له : أدخل الحبس فى حاجة ؟ قال : ادخل . فدخلت وجمعت فتيانهم ، وكان معى دريهمات فرقتها عليهم ، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بى ؛ ثم قلت : من منكم ضُرب أكثر ؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً، وأشدهم صبراً . قال : فقلت له أسألك عن شىء ؟ قال : هات . فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ، ضرب على الجوع للقتل سياطاً يسيرة ؛ إلا أنه لم يمت وعالجوه وبرأ ؛ إلا أن موضعاً فى صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر . قال : فضحك . فقلت : مالك ؟ قال : الذى عالجه كان حائكا . قلت : فما الحيلة ؟ قال : يُبطُّ صلبه ، وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها ، وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته . قال : فخرجت من الحبس ؛ فدخلت على أحمد ابن حنبل ، فوجدته على حالته ؛ فقصصت عليه القصة . قال : ومن يبطه ؟ قلت : أنا . قال : أوَ تفعل ؟ قلت : نعم . قال : فقام فدخل ثم خرج وبيده مخدتان ، وعلى كتفه فوطة ؛ فوضع إحداهما لى والأخرى له ؛ ثم قعد عليها ، وقال : استخر الله . فكشفت عن صلبه وقلت : أرنى موضع الوجع . قال : ضع إصبعك عليه ؛ فإنى أخبرك به . فوضعت إصبعى وقلت : هاهنا موضع الوجع قال : ههنا أحمد الله على العافيه . فقلت : ههنا ؟ قال : ها هنا أحمد الله على العافية . فقلت : هاهنا ؟ قال : ها هنا أسأل الله العافية . قال: فعلمت أنه موضع الوجع . قال: فوضعت المبضع عليه فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم حتى بططته . فأخذت القطعة الميتة ورميت بها ، وشددت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله : اللهم اغفر للمعتصم . قال : ثم هدأ وسكن ؛ ثم قال : كأنى كنت معلقاً فأحدرت . قلت : يا أباعبد الله إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ، ورأيتك تدعو للمعتصم . قال : إنى فكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكرهت أن آتى يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومة . هو منى فى حلّ .

ومن حكاياته أيضاً : أنبأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة ، حدثنا محمد بن عثمان العجلى قال : لما حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم عن ثوبان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فإذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم ؛ فإن لم تفعلوا فكونوا زراعين أشقياء . فمى به إلى المهدى فبعث إلى شريك فأتاه فقال : حدثت بها ؟ قال : نعم. قال : عمن رويتها ؟ قلت : عن الأعمش. قال : ويلى عليه ! لو عرفت مكان قبره لأخرجته فأحرقته بالنار . قلت : إن كان لمأموناً على ما روى . قال : يا زنديق لأقتلنك . قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم . قال : والله لأقتلنك. قلت : أو يكفنى الله . قال : فخرجنا من عنده فاستقبلنى الفضل بن الربيع فقال : ليس لك موضع تهرب إليه . قلت : بلى . قال : فانه أمر بقتلك . قال : فخرجت إلى جبل ، فخرجت يوماً أتجسس الخبر فأقبل ملاح من بغداد ، فاستقبله ملاح آخر من البصرة ؛ فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين . قلت يا ملاح قرب فقرب .

الماوردى سنة ٤٥٠

إمام فى الفقه والأصول والتفسير ، بصير بالعربية ، كاتب من الطراز الأول ؛ نشأ فى البصرة ، وتولى القضاء فى بلدان كثيرة ، وكان شافعى المذهب ، وقيل إن فيه عبقة من الاعتزال . صنف

كتباً لم ينشر بالطبع منها غير « الأحكام السلطانية » و « أدب الدنيا والدين » و « أعلام النبوة » و « قانون الوزارة » ، ومن كتبه الضائعة « الحاوى » فى الفقه ، قيل لم يصنف مثله . وله تفسير القرآن الكريم ، والنكت والعيون ، والإقناع فى المذهب ، وغير ذلك ، وعمّر ستاً وثمانين سنة وسكن بغداد بأخرة .

هـذا موجز ما ترجم له المترجمون ، وما أثر من كتبه غاية الإبداع فى تصنيفه ، تظهر فيها شخصيته ، وتتجلى تجاربه ومعرفته بأمور الدول ، وتاريخ الحركات الفكرية والسياسية فى الإسلام . تتمثل الماوردى وأنت تقرأ الأحكام السلطانية عالماً عصرياً قتل الحياة تجربة ، وما دوّن للناس إلا ما ينفعهم بإيجاز لا خلل فيه ، وهو من الكتب التى إذا قرأتها مرة ساقتك بدون تقصد منك إلى معاودة قراءتها ؛ بل لو قرأتها مرات شاقتك فتتصفحها مرة ومرة . وحقاً إن هـذا السفر الممتع هو مرجع فريد فى فنه : كتاب فى جرم صغير ونفع غزير . ولو لم يكن له غيره من المصنفات لكفى أن يعدّ صاحبه من أعظم المؤلفين المجودين وأنت إذا حدقت النظر فى هذا الإبداع تراءى لك أن الماوردى لم يتقن من فنون العلم غير هذا العلم ، وإنه شغل بوضعه زمناً طويلاً فى حياته ، فقد جمع هذا العظيم إلى معرفته الكاملة بشرع الإسلام معرفة توازيها فى سياسة الناس ، وحسن القضاء بينهم ، وقيام الدول ونُظمها . ولقد أفاض فى الأحكام السلطانية فى الخلافة ، وتقليدها ، والوزارات وأنواعها ، والإمارات والولايات ، والقضاء وضروبه ، والمظالم والنقابات والجبايات من خراج وجزية وصدقات وحمى وأرفاق وإقطاعات ، وكلام على أنوع الدواوين ، وأحكام الجرائم والحسبة والمنكرات والمعروفات ، وغير ذلك مما له مساس بأحوال المجتمع ، وفيه مقنع لمن ادعوا أن المسلمين أيام عزهم كانوا يسيرون على غير قوانين مدونة . وما أشبه كتاب الأحكام السلطانية بالشريعة الإسلامية يصلح لكل جيل وكل قرن ، لا يعروه عتق ولا وهن . وأنت كلما أمعنت النظر فى صفحاته زدت حرمة لصاحبه ، وإعجاباً بما خطته أنامله على القرطاس ، ولا نعدو الحق إذا قررنا أن كتاب « أدب الدنيا والدين » هو أيضاً من أمتع ما كتب علماء الأخلاق والتربية ، مصادره الكتاب الكريم ، والسنة الصحيحة ، وأقوال الحكماء والبلغاء ، وفيه طائفة من الشعر البديع والنثر المنسجم ؛ لو درسه الطالب أجزاء عن المطولات ، وكان له مادة يستشهد بها مدى حياته .

وبعد فان الماوردى لا يعدّ من المكثرين جداً من التآليف ، ولكنه يحشر فى المجودين جداً فيه ؛ فهو نابغة عصره فى تطبيق مفاصل الشريعة ، واستبطان أسرارها ، أتى بجديد ما كان يعرفه الناس ، ولا اهتدت إليـه القرائح قبله ، وأخذ من القديم كل ماينفع ويرفع ، وكان له من توليه القضاء درس حال البيئات الكثيرة ومن طول عمره معوان على تفهم ما قرأ وثقف ودرس ، وتمثل ماروى وروى . وبتفرغ قلبه من هموم الحياة فرغ وقته لنشر أنوار علمه ؛ فأخذ بمجامع القلوب فى حياته ومماته ، وكان اعتداله وإخلاصه ما كف الألسن عنه حياً ، وخالف عرف أبناء جيله فى مسائل اجتهد فيها فتحملوه وما تبرموا به ، وا كتفى من دنياه بما أعطته فكان خير معلم ومرشد .

ولقد روى فى أدب الدنيا والدين شيئاً دل على بعد غوره وفرط دهائه قال : وربما صنع ذا السفاهة من طلب العلم أن يصور فى نفسه حرفة أهله وتضايق الأمور مع الاشتغال به حتى يسمهم بالأدباء ، ويتوسمهم بالحرمان ؛ فإن رأى محبرة تطير منها ، وإن وجد كتاباً أعرض عنه ، وإن رأى متحلياً بالعلم هرب منه ، كأنه لم ير عالماً مقبلاً وجاهلا مدبراً . ولقد رأيت من هذه الطبقة جماعة ذوى منازل وأصول ، كنت أخفى عنهم ما يصحبنى من محبرة وكتاب لئلا أكون عندهم مستثقلا وإن كان البعد عنهم مؤنساً ومصلحاً ، والقرب منهم موحشاً مفسداً .

وهاك مثالاً واحداً من إخلاصه فى قضائه وتحريه للحق : لمـا أمر الخليفة أن يزاد فى ألقاب جلال الدولة ابن بويه لقب « ملك الملوك » لم يُفتِ مع من أفتى بجواز ذلك ؛ مع أنه كان من خواص جلال الدولة ، فلما أفتى بالمنع انقطع عنه . فطلبه جلال الدولة ، فمضى إليه ، على وجل شديد ؛ فلما دخل قال له : أنا أتحقق أنك لو حابيت أحداً لحابيتنى لما بينى وبينك ، وما حملك إلا الدين ؛ فزاد بذلك محلك عندى .

وقال عن نفسه فى كتابه أدب الدنيا والدين : ومما أنذرك به من حالى أننى صنفت فى البيوع كتاباً جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس ، وأجهدت فيه نفسى ، وكددت فيه خاطرى ، حتى إذا تهذب واستكمل ، وكدت أعجب به ، وتصورت أننى أشد الناس اضطلاعا بعلمه ؛ حضرنى وأنا فى مجلسى أعرابيان

فسألانى عن بيع عقداه فى البادية على شروط تضمنت أربع مسائل لم أعرف لواحدة منهن جواباً ، فأطرقت مفكراً ، وبحالى وحالهما معتبراً ؛ فقالا : ما عندك فيما سألناك جواب ... أنت زعيم هذه الجماعة ؟ فقلت : لا . فقالا : واهاً لك ، وانصرفا ثم أتيا من يتقدمه فى العلم كثير من أصحابى ؛ فسألاه فأجابهما مسرعاً بما أقنعهما ، وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه . فبقيت مرتبكا ، وبحالهما وحالى معتبراً ؛ وإنى لعلى ما كنت عليه فى تلك المسائل إلى وقتى . فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة تذلل بها قياد النفس ، وانخفض لها جناح العجب ؛ توفيقاً منحته ورشداً أوتيته . وحق على من ترك العجب بما يحسن أن يدع التكلف لما لا يحسن ، فقد نهى الناس عنهما واستعاذوا بالله منهما .

محمد كرد على

نهاية شاعر

للأستاذ على العمارى

كانت ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة فى السنة الثالثة والعشرين بعد الهجرة ليلة فاصلة بين عهدين من عهود الإسلام : عهد الأمن والسلامة والهدوء ، وعهد الغدر والعدوان والفتنة ؛ فقد تنفس صبحها عن حادث جليل ، وجناية مروعة اهتزت لها أركان الدولة العربية ، وأحدثت فى الإسلام الحدث ، وأى نازلة أروع من قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؟!

فى هذه الليلة ولد لرجل من رجالات قريش طفل أسماه (عمر) وكناه (أبا الخطاب) . ذاك أمير العدل والحزم والحكمة ، وهذا أمير اللهو والغزل والشعر ، لذلك كان أهل التقوى إذا تذاكروا — فيما بعد — شئون هذه الليلة جرت على ألسنتهم هذه الكلمة (أى حق رفع ، وأى باطل وضع)(١) .

نشأ (أبو الخطاب) كما ينشأ لداته من فتيان قريش المترفين يسحب ذيول الصبا ، ويجرى ملء عنانه فى مراتع الهوى والجمال . غنى واسع ، وجاه عريض ، وعز باذخ ، وقد أعانه على ذلك وسامة محبب ، وظرف يعشق ، ولسان ساحر ، وقلب شاعر ، وإنما تركه سراة قريش ، وأغضى عنه شيوخها ، يمتع فى مجالى شبابه ، ويفتن فى ذكر فنونه وفتونه ، ويتبع فتياتها ، ويشبب بهن (رعاية لأسرته ، وفخراً بشاعريته ، وترقباً لتوبته)(١) .

وربما كانوا يرجون أن يرفع فى الشعر قدرهم ، ويعلى فيه سناهم ، ولقد نالوا من ذلك ما أرادوا ، فإن العرب كانت تقر لقريش بالفضل فى كل شىء إلا الشعر ، حتى نبغ ابن أبى ربيعة فأقرت لها بالشعر أيضاً .

وكأنما أغرته كل هذه الأسباب مجتمعة ، فاندفع لا يلوى على شىء ، وسدر فى غوايته لا يبالى أحداً ، وكان عبثه لا يكاد يتعدى النساء ، فهو يواعدهن ويتحدث إليهن ويختدعهن ، ثم يودع ذلك كله فى شعر قصصى رقيق ، وأسلوب لين عذب (وإن له لموقعاً فى القلوب ، ومدخلا لطيفاً ، لو كان شعر يسحر لكان هو)(٢) . (فلشعر ابن أبى ربيعة لوطة بالقلب ، وعلق بالنفس ، ودرك للحاجة ، وما عصى الله بشعر قط أكثر مما عصى بشعر ابن أبى ربيعة(٣)) . وقد جمح به الصبا والغزل ، فاتخذ أيام الحج مواسم لصبواته ، ومشاعر البيت الحرام مرابع لهواه :

ليت ذا الدهر كان حتما علينا ... كل يومين حجة واعتمارا

وهكذا كان ينظر هو وأترابه لأيام الحج :

تلبث حولا كاملا كله ... لا نلتقى إلا على منهج
فى الحج إن حجت وماذا منى ... وأهله إن هى لم تحجج

ما منىً وما أهله إن لم يلق صاحبته ؟

ولم أر كالتجمير منظر ناظر ... ولا كليالى الحج أفلتن ذا هوى
وكم مالىء عينيه من شىء غيره ... إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

نعم كان شعره السحر ، يستميل به القلوب ، ويستنزل به المتأبى ، ويتأنس الشارد ، وينزل الأعصم من فنده ، وكأنما انفجر له — وحده — ينبوع الشعر الغزل ، فورد منه المنهل الصافى النمير . وليس هنالك شك فى أن سروات الناس ، بل وعامتهم أحسوا بالشر يتمثل فى شعره ، ورأوا رءوس الشياطين تطل من قوافيه ، فخافوا على فتياتهم أن يتصباهن هذا العبث ، ومنعوا أن تدخل دفاتره البيوت ، أو يسمر به مع ربات الخدور ، وقالوا: « ما دخل على العواتق فى خدورهن شىء أضر عليهن من شعر عمر بن أبى ربيعة » . وقال هشام بن عروة : « لا ترووا فتياتكم شعر عمر لا يتورطن فى الزنا تورطاً » .

(١) الأغانى ج ١ ص ٧١

(١) تاريخ الأدب العربى للزيات ص ١٠٣
(٢) الأغانى ص ٧٨ (٣) زهر الآداب ج ١ ص ٢٨٥

غير أن هذا الشاعر يتنصل من كل ما ينسبه إلى نفســه ، ويزعم أنه يقول وقلبه مطمئن بالإيمان ، ويذيع فى الناس .

إنى امرؤ مولع بالحسن أتبعه   لا خطر لى منـه إلا لذة النظر

وما نلت منها محرماً غير أننا   كلانا من الثوب الورد لابس
نجيين نقضى اللهو فى غير مأثم   وإن رغمت الكاشحين المعاطس

ويساير بعض فتيان قريش، وقد تقدمت به السن فيقول له: يا ابن أخى قد سمعتنى أقول فى شعرى : قلت لها وقالت لى ، وكل مملوك لى حر إن كنت كشـفت عن فرج حرام قط ، فيقول الفتى : قمت وأنا متشـكك فى يمينه فسألت عن رقيقه فقيل لى : أما فى الحوك فله سبعون سوى غيرهم .

ويمرض فيجزع أخوه الحارث جزعاً شديداً ، فيقول له عمر : أحسبك إنما تجزع لما تظنه بى ، والله ما أعلم أنى ركبت فاحشة قط

وهكذا يحاول أن يدفع عن نفسه ما وقر فى أذهان الناس مما أخذوه من شـعره ، فيصدقه قوم ، ويؤكدون عفته وطهارته ، فيذكر بعض الرواة أن عمر عاش ثمانين سـنة فتك منها أربعين سنة ، ونسك أربعين سنة . ويروى صاحب الأغانى عن الزبير بن بكار قال : « لم يذهب على أحد من الرواة أن عمر كان عفيفاً ، يصف ويعف ، ويحوم ولا يرد » . ويكذبه آخرون ، ويجابهونه بهذا التكذيب ، ويعتمدون فيما يعتمدون على اعترافه على نفســه فى بعض الأحايين ، وتشك طائفة ثالثة فى مبلغ قوله من الصدق حتى معاصروه أنفسهم لا يطمئنون إلى شىء من هذا .

ولاشك أنه بذلت محاولات كثيرة لرده عن غوايته ، وصرفه عن حياة اللهو والعبث . ويبدو أن شيئاً منها لم يفلح ، وأن الأمر كان كما يقول عبد الملك بن مروان : « أما أن قريشاً تعلم أنك أطولها صبوة ، وأبطؤها توبة »(١)

وفى بعض الروايات أنه تاب على حدود الأربعين ، ونذر لئن قال بيتاً ليعتقن به رقبة ، ثم انصرف إلى بيته مهموماً مكتئباً ، وربما مكث على هذه التوبة أياماً ، لكن الحنين عاوده ، والشوق إلى الشعر استبد به ، فأطرق وفـكر ، فأدركت جارية ما بنفسه من أسف على توبته فقالت له إن لك لأمراً ، فاندفع يقول شعراً ، فـكان تسعة أبيات ، فأعتق تسعة من عبيده ، وفى هـذا الشعر يقول :

تقول وليـدتى لـما رأتنى   طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً   وهاج لك الهوى داء دفيـنا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء   إذا ما شئت فارقت القرينـا
فقلت شـكا إلى أخ محـب   كبعض زماننا إذ تعلـمينا
وذو القلب المصاب وإن تعزى   مشوق حين يلق العاشـقينا

ولعـل أخاه الحارث — وكان ديناً عفيفاً لم تلد أمة خيراً منه كما يقول عبد الملك — كان أكثر الناس وعظاً له ، وربما حاول غير مرة أن يكبح جماحه ، ويصرفه عن صويحباته ، وربما بذل فى ذلك غاية وسعه ، وأفرغ له كل جهده ، ولـكنه لم يفلح أيضاً ؛ وعاد يقول : « ما أرى عمر ينتفع بوعظنا » أغراه بالمـال ، وبعث به إلى اليمن حيث أخواله ، رجاة أن يثوب إلى رشده ، ويقلع عن أباطيله إذا فارق هذه البسمات الوضاء ، وترك تلك الوجوه الصِّباح التى ألفها وألفته ، ولـكن الحنين يراجعه ، والشوق يعاوده ، إلى صاحبته الثريا فيقول :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا   إذا حللنا بسـيف البحر من عدن
لا داركم دارنا يا وهب أن نزحت   نواك عنا ولا أوطانكم وطنى
فلست أملك إلا أن أقول إذا   ذكرت لا يبعدنْك الله ياسكنى
بل ما نسيت ببطن الخيف موقفها   وموقفى وكلانا ثم ذو شجن
وقولهـا للثريا يوم ذى خشب   والدمع منها على الخدين ذو سنن
بالله قولى له فى غـير معتبة   ماذا أردت بطول المكث فى يمن
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها   فما أخذت بترك الحج من ثمن

وهكذا يعتذر بغير العذر ، ويتكئُ على غير عصاه ، وإلا فما لهذا الفاتك والحج يتعلل به ، ويتباكى على فوته ؟ !!

ومهمـا يكن من أمره فإن طول نظرى فيما أحاط بأخريات حياته يقضى على أنه نسك ، ولـكنه لم ينسـك استجابة لوعظ واعظ ، ولا خضوعاً لإرادة مريد ، وإنما رأى الستين نقلت على كاهله ، والسن تخونته ، وغزلان الحجاز تنفر منه ، بعد أن انطفأت جمرة شبابه ، وخمد مشبوب عاطفته ، فماذا يصنع ؟ هربت منه اللذات ، وتنـكرت له الصبابات ، فليمل إلى جنب الله ، وليستجب لداعى التوبة ، وهو يرى الموت على حبل ذراعـه ، وينظر قبره قد حفر ، وإنهـا لفرصة قد انتهزها ، لما تولى عمر ابن عبد العزيز الخلافة بعث إليه فلما جاءه قال له : هيه :

(فلم أركا لتجمير منظر ناظر) وذكر له البيتين اللذين ذكرناهما آنفاً ، ثم قال : فإذا لم يفلت الناس منك فى هـذه الأيام ، فتى

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة .

اللقيـــطة

للأستاذ حسنى كنعان

إن هـذه الوليدة التى أولدها « ترومان » بالأمس معترفاً بصراحة نسبها ، وسماها أهلوها « دولة إسرائيل » ما كادت تتلقفها أيدى القابلات الآسيات حتى تلقفتها يد عزرائيل وخنقت فى مهدها قبل أن تهبط الأرض وتتفتح عيناها للنور وتستنشق النسيم ، حتى أن بعض أعضاء مجلس الأمن من المحبذين لهـا اضطروا إلى استبدال هذا الإسم تحت تأثير ممثل سورية العـلامة الداهية الأسـتاذ فارس بك الخورى ، فأطلقوا عليها « السلطات اليهودية » ، وبهذا التأثير وهذه الحملة الصادقة قضى على أحلام اليهود ودفنت آمالهم ، وبات من المحقق أن يبحث لها مولدوها عن قبر بدلا من هـذا المهد الذهبى الذى كان ينتظرها طوال هذه السنين التى تمخضت بها . وهكذا شأن كل وليدة لقيطة غير صريحة النسب ، فاعتراف بعض الدول الموالية لأهلها بها لم يفت فى سواعد العرب المناضلين المـكافحين عن عروبة الديار التى يراد إقامة المهد فيها ، ولم يفل من عزاءهم ومضائهم . إن الأمة العربية جماء من أقصى حدود النيل إلى تهامة فنجد فاليمن فإلى الغوطتين وشواطئ فينيقية فإلى مياه الرافدين والأردن كلها هبت هبة رجل واحد وبقلب واحد شاهرة الحسام فى وجه هذه اللقيطة الباغية ، وفى وجه كل من لف لفها أو والاها أو قال بقولها ، ولن تتراجع عن تصميمها ما لم يكتب لهـا النصر — بإذن الله — أو الموت والإبادة — لا سمح الله ولا قدر — !

وليست الأمة العربية وحدها هى التى ستكون حائلا دون نموى وتقوى هذه اللقيطة الأفعى ، بله جميع الأمم الشرقية التى تتاخم حدود أراضيها للبحر الأبيض المتوسط ، ستكون عوناً للعرب على خنق اللقيطة وعدم السماح لها بالظهور والبقاء . وستقف بجانبها دول أوربية لها ضمائر تساند العرب فى حقهم . وسوف لا تتكرر مأساة التصويت على التقسيم مرة ثانية ، لأن الدول بدأت تتراءى لها مناورات البيت الأبيض والـكرملين ، وبدأت تنظر إلى القضية الفلسطينية العادلة بغير النظرة التى كانت تنظرها يوم عرضت على التقسيم والتصويت . .

حتى أن الشعب الأمريكى جله إن لم نقل كله ناقم على سياسة حكومته لتحيزها لجانب دون آخر ، لأن الأوربيين والأمريكيين وإن كانوا لا يمتون إلى العرب بصـلة أو نسب ، فإن بعضهم « عندهم ضمـائر » ... ودليلى على ذلك حادثة المستر كارلتون عميد الـكاية الأمريكية فى الشهباء وقنصل أمريكا الفخرى ، والحديث الذى دار بينه وبين المحافظ الأستاذ عادل العظمة الذى جاء فيه أن اعتراف المستر ترومان بالدولة اليهودية « التى ولدت ميتة » لا يعبر عن وجهة نظر الشعب الأمريكى ، وهو يعبر عن رأيه بمفرده ... وإن جميع الأمريكيين يعرفون مكر اليهـود وخداعهم ومقدرتهم على اشـتراء الضمائر والأصوات والتلاعب بالعواطف ببذل الأموال وبذل أشياء أخر .

ثم قال العميد : « إن الأغلبية فى الشعب الأمريكى تشجب عمل ترومان وتمقته ، وسيظهر أثر ذلك فى الانتخابات الآتية ،

يفلتون ؟ أما والله لو اهتممت بأمر حجك لم تنظر إلى شىء غيرك ؛ ثم أمر بنفيه ، فقال : يا أمير المؤمنين أوخير من ذلك؟ قال: وما هو ؟ قال : إنما هو الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر ، وأجدد توبة على يديك . قال : أو تفعل؟ قال : نعم . فعاهد الله على التوبة

والذين يؤكدون أن عمر تاب رهبة من خليفة المسلمين يجهلون كل الجهل طبائع النفوس إذا عمرت ، فإن الرجل مهما أسرف على نفسه ، فسيجد من تقدم سنه ما يوحى إليه بالإنابة إلى الله ، ولاسيما إذا كان ماتصبو إليه نفسه غير ممكن، ويجهلون كذلك مكانة ابن أبى ربيعة فى قريش ، وأنه أرفع — لو أراد — من أن يخضع لتهـديد خليفة . وكيف وهو الذى شبب ببنات الخلفاء وأخواتهم ؟

ورواية أخرى تحدثنا أنه مد خطوه إلى أبعد من ذلك ، فإنه عرض على الخليفة يغزو فى البحر ، وكأن الله أراد به الخير ، فمات شهيداً . قال عبد الله ابن عمر رضى الله تعالى عنهمـا : « فاز ابن أبى ربيعة بالدنيا والآخرة ؛ غزا فى البحر فأحرقوا سـفينته فاحترق » (١)

على العمارى

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

(١) البيان والتبيين حـ ٣ ص ٧٧ : ط . الخطيب

حيث ينتظر أن يسقط فيها هذا الصهيونى الأول سقوطاً مريعاً ما بعده من سقوط ... »

فرد عليه المحافظ شاكراً له هذه العواطف الفياضة نحو العرب وقضيتهم العادلة . وقال فيما قاله : يحق للسوريين أن يدهشوا كل الدهشة لموقف الشعب الأمريكى النبيل الذى لم تمت فيه الضمائر ولم تبلغ منه الغايات ، فالسوريون قاطبة يقدرون مزايا الإخلاص والحرية والعدالة فى الشعب الأمريكى الذى لهم بينه جاليات ومؤسسات ، وما من أحد ينكر فضل الدنيا الجديدة على المدنية والحضارة . ولأمر ما صوت السوريون للأمريكيين مفضلهم على جميع أمم أوربا يوم عرض عليهم الانتداب عام ١٩٢٠ ، عندما أبصروا أن لا بد من انتداب دولة ما من الدول الحليفة عليهم »

وكان لكلمة عطوفة المحافظ التأثير الحسن لدى العميد الأمريكى ، ذهب بعدها شاكراً ، مودعاً بمثل ما استقبل ، وهذا دليل قاطع على نفرة الشعوب الحرة من سياسة حكوماتها ، ومقت الصهيونية المتجنية الآثمة العاتية .

فالأمة العربية بأسرها لا يرتضى واحد من رجالاتها المسئولين أن يمثل الدور الذى مثله من قبله أبو عبد الله الصغير فيستحق لعنة الأحفاد كما استحقها ذلك الخليفة « الضعيف الإرادة » .

وإنما نريد كل واحد منهم أن يمثل ذلك الدور الذى مثله المعتصم العباسى ، فيلبى نداء الفتاة العربية السبية فى فلسطين ، كما لباها ذلك الخليفة بعمورية .

وبهذا يصبح كل عربى فى نفسه معتصماً ، فلا يتخلف أحد عن إجابة النداء والواجب . إن فى تقديم الدم كما فعل طلاب المدارس العليا بدمشق ، وذلك بتقديم دمائهم لجرحى المجاهدين ، وهى أقصى ما يملكونه ، أو فى المال أو فى التضحية بكل ما يمتلكون

إن هذه الجيوش العتيدة الزاحفة إلى ساحات الجهاد فى الأراضى المقدسة ، أولى القبلتين ، لتطهيرها من أرجاسها وأنجاسها تخوض اليوم هناك مع شذاذ الآفاق معركة الموت أو الحياة ، وهى لن تتراجع عن تصميمها — كما جاء سابقاً — ما لم يكتب لها الظفر بدفن اللقيطة وأهلها ... وما غلب قوم عن قلة إن كانوا متساندين متعاضدين ، والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده ، وهو جدير بمنحه للمؤمنين ...

وإن مصر وهى المتبنية لهذه الحركة التحريرية نظراً لنمو نواة الجامعة العربية فى واديها وعلى ضفاف نيلها السعيد ، لن يعجزها المال والرجال ، وتكتل الشعوب العربية فى ظليل راياتها لمتابعة هذه الحركة حتى النصر النهائى ، فإما رايات خفاقة إلى الأبد ، وإما ميتة شريفة — لا قدر الله — وحياة خالدة عامرة بالجهاد والمفاخر ...

وليست هذه هى المأثرة الأولى التى حفزت هذا القطر الشقيق إلى تبنى قضايا العرب ، وهى مأثرة من مآثر لا تزال ماثلة للعيان فى الزحف المصرى لإقامة الدولة العربية الكبرى فى ظل ساكن الجنان جد الأسرة العلوية محمد على باشا وولده إبراهيم ...

(دمشق) حسنى كنعان

فى أخريات الشباب

للأستاذ حسين الظريفى

أصبحت لا غضا ولا ذاويا   أحيي شباباً لم يعد ذاهيا
مالت إلى المغرب شمس له   كان الضحى أمس بها ضاحيا
لقد مضى عهد الصبا وانقضى   مقتضيا أوطاره قاضيا
إذا تذكرت أحايينه   كنت به القصة والراويا

يا حسن أيام بصدر الصبا   لم يبق منها الدهر لى باقيا
كانت بها لى ميعة من صبا   أسحب من أذيالها الضافيا
تغفل عينى عين دهرى إذا   ما رحت فيها لاعباً لاهيا
لا أحسب الشمس سوى غادة   تستأسر الحاضر والباديا
دانيـة منا على نأيهـا   يا رب ناء لم يكن نائيـا
إذا أطلت من عل لم تدع   شيئاً على وجه الثرى خافيا
كانت ترى منى أخا غفلة   عما جرى أو لم يزل جاريا
طفلا ترى فى جنبات الحمى   لم ير أهلوه له ثانيـا
وطالما كانت على دجلة   تبصر منى كاتبا ما حيا
ألبس من أنوارها حلة   لا تعدم العاطل والحاليا
وقد أظل الصبح مستدفئاً   من شدة البرد بها شاتيا
ولا تغيب الشمس حتى أرى   عنها بديلا ولها قافيا
وربما من سحاب بها   فاتخذت منه لها واقيا
تبدو نجوم الليل من بعدها   مبدية ما لم يكن باديا
أطمع أن تطرح فى راحتى   ولو بذلت الثمن الغاليا
وما لعينىّ هلال بدا   إلا وأعجبت به رائيـا
أحسبه من فضة زورقاً   من الحبيبين جرى خاليا
والبدر يهدى الليل من نوره   ما لم يعد ليلا به داجيا
لم آلفه للشمس إلا أخا   كان وما زال لها تاليا
وكلما مر نسيم الصبا   مر بجنبى رائقا صافيا
ولم يزل دهرى بى ماضيا   لا تعبا يوما ولا وانيا
حتى انجلى شرخ شبابى به   مستهديا مهتديا هاديا
يبسط من راح الهوى راحة   ولم يكن من راحة صاحيا
إذا دعته للعلى دعوة   أدرك فيها المثل العاليا
شرخ شباب ما تذكرنه   إلا وقد عددت له ثانيا
يحضرنى معتملا آملا   ورائحاً فى يومه غاديا
صاحبت مذ صاحبته مهجة   تفتح الحب بها ناميا
ثم استوى فيها على سوقه   ثم تبدى زاهراً ذاهيا
ثم انثنى يعطى الجنى عن غنى   يشبع من كان به طاويا
غذيت آدابى بأثماره   وما يزال الطاعم الكاسيا

سقيا لشرخ من شباب مضى   ما كنت فى يوم له ساليا
أصبح أبياتاً يغنى بها   فتطرب السامع والشاديا
حليت ديوانى بها قائلا   لولا حلاها لم يكن حاليا
لم تبق عندى من شبابى سوى   بقية لست لها باقيا
ولست بالجاهل ما فى غد   ولو على الناس بدا خافيا
كأننى بالشيب فى لمتى   أوقد ناراً وانتضى ماضيا
لا يترك الدهر له صاحبا   حتى يرى شيخاً به فانيا
ذان الجديدان يجدان بى   ولا يجددان لى باليا
فلا أطاش الله لى رمية   كنت عليهما بها راميا

حسين الظريفى

الأدب والفن في أسبوع

عاصفة بولندية حول « بانت سعاد »:

لأول مرة تقع في يدي — من بريد الرسالة — « النشرة الإخبارية » للمفوضية البولونية بالقاهرة ، وثبتت عيني بها على موضوع أخذ نحو صفحتين منها ، جعل عنوانه « خطاب مفتوح إلى الدوائر العلمية : كعب بن زهير بين وارسو والقاهرة — قصة مخطوط عربي قديم »

وتتلخص القصة كما رونها النشرة في أن مستشرقين يملكان نسختين خطيتين لقصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير ، وهذان المستشرقان هما البروفسور كوفالسكي البولندى ، والدكتور فيشر الألماني ؛ أما فيشر فقد أهدى نسخته إلى دار الكتب المصرية ، وأما كوفالسكي فهو يعمل منذ ثلاثين عاماً في تصحيح المخطوط وإعداده للنشر ، وأبلغ المستشرقين بشروعه في العمل « كما أعلن احتفاظه بحق الأسبقية في هذا العمل » ولما شرع في طبع الكتاب جاءت الحرب فتوقف نشر الكتاب وما كادت تنتهي حتى استأنف عمله ، وأتم طبع الكتاب . وفي يناير سنة ١٩٤٨ بلغ كوفالسكي أن دار الكتب المصرية في سبيل إعداد المخطوط الذي لديها للنشر معتمدة في ذلك على ما تركه لها فيشر ، فأرسل إليها كتاباً « يعرب فيه عن رأيه في أن قيام دار الكتب بإعداد مخطوط انتهى طبعه بالفعل ، مضيعة للوقت وإسراف في الجهد والمال ، وأن من المصلحة العلمية توحيد الجهود والاقتصار على ما أتمه بالفعل » ولما لم يتلق رداً على هذا الكتاب أرسل إلى المفوضية البولندية بالقاهرة لتتصل بدار الكتب في هذا الشأن ، فكتبت المفوضية إلى الدار تسأل عن حقيقة هذا الموضوع ، فلم تتلق منها رداً « فأرسلت أحد موظفيها في يوم ١٧ مارس ١٩٤٨ فقابل حضرة مدير دار الكتب الذي أبلغه صحة ما وصل إلى علم البروفسور كوفالسكي ، وأن الأستاذ أحمد زكي العدوى رئيس القسم الأدبي في الدار يقوم في الوقت الحاضر بإعداد المخطوط وأنه أنجز نصفه تقريباً . ووعد حضرة مدير دار الكتب ممثل المفوضية بإرسال رد رسمي إلى المفوضية بوجهة نظر الدار ، ولكن لم يصل هذا الرد إلى المفوضية » .

ثم ختمت النشرة الموضوع بقولها : « ولما كانت مهمة المفوضية هي حماية حقوق المواطنين البولنديين ، ولما كانت المفوضية حريصة كل الحرص على تجنب أي شائبة تشوب العلاقات الثقافية بين بولندا ومصر والعالم العربي ، فإنها تنشر هذه القصة لتحيط المهتمين بالأمر بأسبقية البروفسور كوفالسكي في هذا العمل العلمي ، وهي ترجو مخلصة في أن يوفر الآخرين (كذا) الجهد والمال الذي يبذل لإنجازه بالفعل » .

وأول ما يسترعي النظر في هذه القصة هو اشتغال المستشرق كوفالسكي بتصحيح قصيدة « بانت سعاد » منذ ثلاثين عاماً ، وحرصه على إعلان أسبقيته في إخراجها وطبعها ، مع أنها غير محتاجة إلى كل هذا الجهد ، ومع أنها كما قال جورجي زيدان في آداب اللغة العربية « طبعت مراراً بمصر وأوربا وشرحها كثيرون منهم ابن دريد والتبريزي وغيرهما في العصور المختلفة إلى الآن ، ومن الأصل والشروح نسخ كثيرة في مكاتب برلين ولندن والاسكوريال ومصر وغيرها » .

والظاهر أن المخطوط الذي طبعه كوفالسكي هو ديوان كعب ابن زهير وفي جملته قصيدة « بانت سعاد » وأن المفوضية البولندية لم تفهم عنه تماماً ، ويدل على هذا أيضاً أن النسخة التي أهداها فيشر إلى دار الكتب المصرية (والتي تقول النشرة إنها مثل نسخة كوفالسكي) هي مخطوط جامع لشعر زهير بن أبي سلمى وابنه كعب ، وقد وصفه فيشر في كتابه المصاحب للمخطوط ، إلى مدير دار الكتب المصرية (وكان إذ ذاك الدكتور منصور فهمي) بقوله : « يحوى هذا المخطوط القديم ديوانين من الشعر العربي القديم ، أحدهما للشاعر الجاهلي الكبير زهير بن أبي سلمى والآخر لابنه كعب بن زهير شاعر « البردة » . وسبق أن قلت لكم : إن من رأيي أن هذا المخطوط القديم جدير بأن يصور تصويراً شمسياً وأن تضم النسخة المصورة إلى مجموعة المخطوطات التي بدار الكتب المصرية . كذلك جدير بأن يصدر في طبعة منقولة عن هذه النسخة المصورة . واليوم لازلت عند رأيي هذا وعلى أي حال فديوان كعب بن زهير جدير بهذا ، لأنه لا يعرف له نسخة ثانية . وهذا سبب عدم نشره حتى الآن ماعدا البردة » وقد نشر هذا الكتاب في صدر « ديوان زهير بن أبي سلمى » الذي أخرجته دار الكتب المصرية والذي قالت في أول مقدمته :

« هذا ديوان زهير بن أبي سلمى ، وسيليه فى النشر ديوان ابنه كعب . ولم يعرف شعر كعب مجموعاً فى ديوان قبل ذلك وسنشرع فى إخراج شعر كعب عقب ظهور هذا الديوان الجامع لشعر زهير وقد اعتزمت الدار نشر هذين الديوانين بعد أن اهتدت إلى مخطوط جامع لشعرهما محفوظ بمكتبة الجمعية الشرقية الألمانية بمدينة هلة يرجع تاريخه إلى سنة ٥٣٣ هجرية » .

ودار الكتب تعمل الآن فعلا فى إخراج ديوان كعب بن زهير ، وقد تولى إتمام تصحيحه الأستاذ عبد الرحيم محمود بعد وفاة الأستاذ زكى المدوى فى أوائل مايو الفائت ، وقد أوشك الأستاذ عبد الرحيم على الفراغ منه ، وستصدره الدار قريباً .

ومما يذكر أن الأستاذ الميمنى الهندى عثر فى استامبول على مخطوط لديوان كعب بن زهير مع شرح له ، وأرسله إلى دار الكتب لطبعه ، فوجدت الدار أن شرح مخطوط فيشر (وهو للسكرى) أوفى من شرح مخطوط الميمنى (وهو للاحول) ومع ذلك فهى تستفيد من شرح الأحول فى تصحيح المحرف من شرح السكرى وغير ذلك .

ومن غريب الاتفاق أن المستشرق كوفالسكى توفى فى أول مايو الماضى فقد نشرت المفوضية البولندية نبأ وفاته فى نفس النشرة التى فصلت فيها الموضوع الذى نحن بصدده ، وغرابة الاتفاق أنه توفى فى الأسبوع الذى توفى فيه الأستاذ زكى المدوى ..

وقال لى الأستاذ مرسى قنديل مدير دار الكتب المصرية : جاء إلى موظف مصرى بالمفوضية البولندية ، وكلمنى فى هذا الموضوع ، وعرض على ملازم من عمل المستشرق كوفالسكى فى ديوان كعب بن زهير فوجدتها تختلف عن عملنا فى بعض النواحى فنهجه يفيد المستشرقين أكثر مما يفيد القارئ العربى بخلاف منهجنا الذى يتجه إلى تحقيق الفائدة الكاملة للقارئ العربى ، على أننا ننشر ديوان كعب بن زهير تنفيذاً للبرنامج الموضوع لإحياء آدابنا العربية ، ولنا فى ذلك طريقتنا وجهودنا الخاصة ، فهل نقطع العمل فى إخراج كتاب لأن أحداً ما أبلغنا أنه أخرج هذا الكتاب ؟

وبعد فماذا تريد المفوضية البولندية ؟ إنها تذكر أمرين : « حماية حقوق المواطنين البولنديين » و « الحرص على العلاقات الثقافية بين بولندا ومصر والعالم العربى » فما هو حق المواطن البولندى الذى طبع كتاباً تطبعه دار الكتب المصرية ؟ إن كانت تريد إعلان سبقه فلم يعتد أحد على هذا الحق ؟ وإن كانت تبغى النصح لنا بادخار الجهد والمال وعدم بذلهما فى عمل تم مثله كما قالت ، فنحن أدرى — مع الشكر — بتقدير قيم العمل فى خدمة أدبنا ، ولا أريد أن أظن أنها ترمى إلى عدم المنافسة فى بيع نسخ الديوان ..

أما « العلاقات الثقافية » فإن الأمر لا ينبغى أن يمسها بسوء ... وهو على كل حال أهون من حادث السفينة البولندية فى مياه تل أبيب ، ومن تأييد بولندا قيام دولة يهوديه بفلسطين فإذا كان هذا وذاك لم يؤثرا فى العلاقات السياسية فإن ديوان كعب بن زهير سيمر هو أيضاً بسلام .

دعاء جديد :

وضع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر دعاء ، ليقنت به المسلمون فى صلاتهم ، نصه :

« اللهم انصرنا فإنك خير الناصرين ، وثبت أقدام عبادك المجاهدين ، واضرب بسيوفهم أعناق أعدائك الباغين ، وأنزل سكينتك على قلوب المؤمنين ، وأيدهم بنصر من عندك مبين ، يا أرحم الراحمين ، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »

وقد ألف فضيلته هذا الدعاء لمناسبة الحال الحاضرة ، حال القتال فى فلسطين ، وفضيلته يعلم أن المجاهدين فى فلسطين لا يحاربون بالسيوف ، ولو أن السيوف كانت أسلحتهم لما طالت أعناق أعداء الله الباغين ، فدونها إذن حقول الألغام ومرامى المدافع ومساحب الدبابات والمصفحات .

وذلك الدعاء — ولا شك — تجديد ، فقد ألفه شيخ الأزهر زيادة على الدعاء المأثور ، ولكن التعبير بالسيوف لا يتلاءم مع هذا التجديد ، فهلا قال فضيلته بدلا من ذلك :

« واضرب بقاذفات قنابلهم مستعمرات الصهيونيين ، ودك بدباباتهم ومدافعهم حصون الباغين ، واجعل ألغام الأعداء برداً وسلاماً على عبادك الفدائيين » .

أغنيات قومية :

قالت إدارة الإذاعة إنها عنيت منذ بداية الحرب واشتراك الجيش المصرى فيها ، بتقديم برامج حماسية لتقوية الروح القومية وإن المطربين بها اتجهوا بوحى من شعورهم ، وبتوجيه فى إدارة

الإذاعة ، إلى هـذا الغرض مما أضفى على برامجنا لوناً جديداً لم يكن مألوفاً منذ وقت طويل .

قرأت هذا الكلام فى مجلة الإذاعة ، ثم سمعت مطرباً يغنى إحدى الأغنيات التى وصفتها الإذاعة بأنها قومية ، سمعته يردد :

ما نفوتش مطرحنـا إحنـا العرب إحنـا

وسمعت مطربة تغنى أغنية « قومية » أيضاً مطلعها :

عايز أعيش عايز اتهـنى عايز أشوف نفسى فى جنة

فهل قصـارى جهادنا أننا « ما نفوتش مطرحنا » ؟ وهل يُضفى الذى « عايز يتهنى » لوناً جديداً على برامج الإذاعة ..؟

فرحة النصر :

كنت قرأت إعـلاناً عن ظهور ديوان شـعر منثور اسمه : « وحى القيثارة » لزينب محمد حسين . ولم يتح لى بعـد أن أقرأ هذا الديوان ، ولـكنى قرأت لصاحبته بالعدد الأخير من جريدة الحوادث قصيدة عنوانها « فرحة النصر » قالت فيها :

« إن حبيبى الشجاع فى سبيل الحق قد ذهب بعيدا ...
تحرسه عين الله ودعوات قلبى الشاب ...
وتهتف له ملائـكة السماء هتافات الحب وتباركه ...
غداً تعود إلى يا بطلى الحبيب مكللا بأ كاليل النصر ...
وفى عينيك نظرة مشرقة جذابة ...
تتحدث عن بطولتك وجهادك ...
وبسمتك الرقيقة تزيدها شجاعتك فتنة وجمالا ...
وصوتك الهادىء المعبر . . يضفى بكلماتك المتحمسة على رجولتك قوة ومهابة ... »

لم أستطع أن أخفى ارتياحى إلى هذا المسلك الشـعرى وإن يكن فى أول الطريق ، فهذه الشاعرة تحس بما حولها ، وتؤدى مشاعرها هذا الأداء السليم الصادق الذى ينم على شخصية الأنثى وحسن تقديرها للبطولة .

وإذا كنا قد اغتبطنا بالمقاتل الشجاع فى فلسطين فإنا نغتبط أيضاً بشاعرة تحدثه هذا الحديث ...

مسابقة أدبية ثقافية :

قررت وزارة المعارف تنظيم مسـابقة أدبية ثقافية ، تمنح للفائزين فيها جوائز مختلفة ، وهى كما يلى :

١ — تمثيليات قصيرة للمسرح المدرسى ، وقيمة جائزتها الأولى أربعون جنيهاً للتمثيلية ذات الفصـل الواحد ، وسبعون جنيهاً لذات الفصلين ؛ وقيمة الجائزة الثانية ثلاثون جنيهاً لذات الفصل الواحد ، وخمسون جنيهاً لذات الفصلين .

٢ — تمثيليات قصيرة للاذاعة المدرسية ، وجائزتها الأولى ثلاثون جنيهاً ، والثانية عشرون جنيهاً .

٣ — المسرحيات العامة ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٤ — القصة الطويلة ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٥ — القصص القصيرة ، وجائزتها الأولى خمسة وعشرون جنيهاً ، والثانية عشرون جنيهاً .

٦ — بحوث أدبية وفنية ، وجائزتهـا الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٧ — بحوث فى التاريخ والآثار ، وجائزتهـا الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٨ — الرحلات ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٩ — العلوم المبسطة ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

الباطن غير الواعى :

عقب الأديب « عثمان موسى » على فقرة مما كتبته فى تلخيص محاضرات تيمور ، تقتضى تفريقاً بين العقل الباطن والواعى — قال : « والمفهوم أن البـاطن والواعى اسمان لمسمى واحد » .

ويظهر أن هذا الفهم مستقر عند الأديب فى عقله الباطن ، وكان فى حاجة إلى مراقبة من عقله الواعى . .

من قال لك يا سـيد عثمان إن الباطن والواعى اسمان لمسمى واحد ؟ ! . .

العباس



على هامش كتاب :

سعد زغلول من أقضيته (*)

« إلى القانونى الأديب الأستاذ
عبد حسن الزيات تحية شكرى وإعجابى »

للأستاذ عدنان الخطيب

خسارة :

عرف الشاب « العمل الحكومى » صغيراً ، عرفه فى أبشع صورة وفى أجلها ، عرفه يوم كان « راتبه » يملأ جيبيه وكلتا يديه ، عرفه جميلا فى مظهره ومكانته عند الناس ، ولكنه عرفه قبل كل شىء سماً قاتلا يميت المواهب ، ويقضى على ما فى النفس الأبية من عزة وكرامة ، عرفه قيداً فى عنق صاحبه ، يحد من نشاطه ويقيد من حركاته ، ومازال يضيق حوله حتى تنفلج أعصابه وتنشل حركته ، ثم لا يكون إلا كالقبر لا هواء فيه ولا نور ، ولا حيلة لمن فيه إلا انتظار يوم البعث والنشور ، يوم الإحالة على « المعاش » والاعتكاف فى البيت شيخاً أحنت الأيام عظامه ، وتصلبت منها شرايينه ، ينتظر يومه الأخير ، كما كان ينتظر آخر الشهر يوم القبض ووفاء الديون .

نعم عرف الشاب « الوظيفة » وخبر حقيقتها فجزع من مصير كمصير أربابها ، وهو الذى شرب لبن الكرامة والأنفة رضيعاً ، وعشق الحرية وجوّها يافعاً ، ثم كان جريئاً بفطرته ووراثته ، لا يعرف كبيراً لا يقال الحق فى وجهه ، ولا يعترف بفضل لمن لم يكن من أهل الفضل ولا الفضيلة من صفاته ، جزع من أن تطول أيامه فيها فتخف قدرته على الانفلات من أسارها ، فتركها غير آسف عليها ، ثم ساح فى الأرض ليزيد فى علومه وتجاربه ، ويرضى ضميره وطموحه ، وعاد يعمل حراً طليقاً فى المهنة التى ارتضاها لنفسه وأحب العمل فيها على منهج رسمه بنفسه ، وأسلوب يتفق وآماله ومبادئه .

بدأ الشاب يعيش المعيشة التى كان يهواها ويصبو إليها ، وأخذ يملأ أوقات فراغه بتدوين ذكرياته ورحلاته ، وكان « للوظيفة » وقصص « الموظفين » حظ منها عظيم . لقد فضح شيئاً من حياتهم والجو الذى يعيشون فيه ، وحلل نفسية « الموظف » تحليلا ليس فيه رفق ولا محاباة ، وإن كان فيه بعض العطف وكثير من الشفقة . قرأ الناس بعض ما نشر من هذه الذكرات فعجبوا منها واستغربوا ما فيها . أضحك بها بعض زملائه القدماء ، وأبكى الكثير منهم على نفوس أفسدها جو « الوظيفة » وحياة خسروا فيها أثمن ما فى الحياة ، خسروا فيها حرية التفكير ، ولذة الانطلاق من القيود .

هذه هى قصة الشاب الذى خسر اليوم حرية « المحامى » التى أحبها ، وجو « المحاماة » الذى عاش فيه طلقاً عاملا على تحقيق رغباته العلمية ، وبلوغ أهدافه الثقافية .

أليس من الغريب أن يخبرك هذا الشاب بنفسه أنه ترك اليوم مهنته ليقوم « بعمل حكومى » كلف به ، وهو الذى رفض قبله عدة مرات تكليفاً له فى « الوظائف » العامة قيمته ، وفيه تقدير لدراسة عالية أضافها إلى دراسته القانونية . إن قائداً من قواد الجبهة الوطنية ومعلماً من معلمى الإخلاص والنزاهة يدير اليوم وزارة العدل فى سورية ، يطلب من الشاب أن يؤدى « خدمة مدنية » فى جبهة « القضاء » الوطنية فيحار الفتى ويكاد يرفض لولا أن ثقة الطالب ثقة غالية نادرة لاتباع ولا تشترى بمال ، ولولا أن مقر « الخدمة » فى « جبهة » لا ذل فيها ولا صغار ، ولا يخرج من فيها إلا ظافراً منتصراً ما دام ناصع الجبين و « سلاحه أبيض » لا يعرف صدأ الأيام ، ولم تلوثه « رغبة أو رهبة » ؛ نعم كاد يرفض لولا أنه ما يزال يشعر بقوة ومناعة يستطيع معها دفع ما وضع على عاتقه يوم يجد فيه أعراض « الوظيفة » أو شيئاً من سمومها الفتاكة .

من غرائب المصادفات :

للمصادفات فى هذه الحياة أثر عظيم ، ولغريبها تاريخ يدون

(*) أخرجته مطبعة الرسالة بالقاهرة فى عام ١٩٣٩ .

ويقرأ ، وجعلها من النوادر التى تذكر وتنشر ، فإن فى ذكرها متعة ولذة ، وإن فى نشرها اعترافاً بجمالها وتقديراً لموقعه من النفس الشاعرة المقدرة .

لقد أخرج القانونى الأديب الأستاذ عبده حسن الزيات كتابه القيم عن القاضى العظيم سعد زغلول سنة ١٩٤٢ ، وقد أحب يوم عقد مؤتمر المحامين العرب فى دمشق التلطف بإهدائى نسخة منه لو وجد معه من الكتاب نسخة ، ثم عاد الأستاذ الصديق إلى مصر وانقضت على عودته بضعة أشهر عمل فيها على ما يظهر ، على إخراج كتابه الظريف « من يوميات محام » وما كادت الصحف تعلن خروج الكتاب إلى الأسواق ، حتى سارعت إلى إرسال من يقتنى لى نسخة منه ، ويعود الرسول يخبرنى على لسان بائع الكتب ، أن الكتاب لم يصل بعد إلى دمشق . وتشاء الصدف أن يدخل إلى مكتبى ساعتئذ ساعى البريد يحمل إلى رزمة مصدرها مصر ، ففضضت غلافها ، فإذا هى كتاب « سعد زغلول من أقضيته » موشحاً بإهداء يدل على رقة فى الشمائل ، وكرم فى الأخلاق ...

وضعت الكتاب أمامى وأخذت أفكر فى تلك المصادفة الغريبة ، وأبت الصدف إلا أن تأتى بالعجائب ، فأتلقى فى تلك الجلسة مرسوماً جمهورياً يدخلنى فى عداد « القضاة » ، ويُنيط بى عضوية دائرة الجنح والجنايات فى مدينة حمص !! ... ولئن كانت هذه المصادفة من الغرائب فهى بلاشك أجمل مالاقيته فى حياتى منها ، لمكانة سعد من نفسى ، وهو القائد العظيم والزعيم المرشد المحبوب ، ولما أكنه للاستاذ الصديق عبده حسن الزيات من آيات التقدير والإعجاب بأدبه الرفيع وأخلاقه السامية .

صلة القانون بالأدب :

سئلت مرة عن رأيى فى صلة القانون بالأدب ، فأجبت السائل وكان جوابى مقالاً نشرته مجلة « الصباح » السورية ، بدأت فيه بتعريف الأدب والقانون ، ثم ألمت إلى تاريخهما اللذين يتصلان بالإنسانية فى مهدها ، وبعد أن تكلمت عن صلاتهما فى الماضى قلت « ولاشك أن صلة القانون بالأدب أصبحت بحكم المستوى الثقافى العام ، أحكم ارتباطا ، وأكثر تداخلا ، كما أصبح رجل كل منهما يشعر بأنه لا يستطيع الانفراد بأحدهما دون أن يتمه بالآخر ؛ فرجل الأدب وهو اليوم صاحب رسالة اجتماعية هامة ، لم يعد فى إمكانه الاستغناء عن الثقافة القانونية ليؤدى رسالته على وجهها الأكمل ، وليتبوأ المركز اللائق بمن يحمل مثل رسالته ، رسالة الحياة الخالدة . إن الأديب فى العصر الحديث أصبح محتاجاً إلى الإلمام بكثير من الثقافات على اختلاف أنواعها ، والثقافة القانونية فى مقدمة هذه الثقافات ، وبقدر سمة هذا الإلمام وعمقه يبرهن الأديب للناس أنه فى صميم الحياة التى يحمل رسالتها » .

ثم تكلمت عن رجل القانون فقلت إن حاجته « إلى الأدب كحاجة المادة إلى الروح لتصبح جسما حياً ، ومكانة القانونى فى المجتمع إنما تتناسب فى قيمتها مع حظه من الأدب ومميزاته الأدبية سواء كان مشرعاً أو قاضياً أو محاميا ... »

ولقد فصلت هذا القول بالكلام عن حاجة رجال التشريع والقضاء والمحاماة إلى الأدب ومنه قولى : « والقاضى يجب أن يكون أديباً يحسن الأبانة عن وجوه الحق ، قادراً على مناقشة دفوع المحامين اللحانين بلغة صحيحة لا تترك لهم مجالا للبحث أو التذمر . تقرأ قراراته فتقرأ علماً وأدبا يستهويانك وإن لم تكن ذاصلة بها ، وكثير من المثقفين يقرأون أحكام بعض القضاة فيعجبون بالتفكير السليم والفقه القانونى يعرض بأسلوب متين ولغة راقية ، بينما يعرض المشتغلون بالقانون عن تتبع أحكام أكثر المحاكم لضعف لغتها وتفكك أسلوبها مما يشوه المادة القانونية إن وجدت فيها » ثم ضربت مثلا فقلت : « فالميزات الأدبية ، مثلا ، هى التى جعلت نجم القاضى سعد زغلول يتألق فى سماء القضاء كما تألق فى سماء السياسة والوطنية . وشخصية سعد القاضى كانت موضوعاً طريفاً طرقه أحد رجال القانون الأدباء ، عزز به مكانة سعد فى النفوس وأضاف إلى شخصيته لوناً جديداً من ألوان الخلود » .

وكان كلامى هذا صورة خاطفة وأثراً من آثار قراءتى لكتاب « سعد زغلول من أقضيته » يوم صدوره . أما اليوم فلا بد من عودة إلى « سعد » عودة فيها تؤدة « القاضى » وتدقيقه واستيعابه ، وفيها دراسة التلميذ الطموح لشخصية يعتقد أن صاحبها مثال يحتذى ومرشد تقتفى آثاره ، وقائد تستلهم من روحه الشجاعة بعد أن قدر لهذا التلميذ النزول إلى ساحة الجهاد التى خلف الزعيم فيها آيات من الجهد والبطولة .

كتاب الزيات :

لا شك فى أن كتاب الأستاذ الزيات يعتبر أول كتاب من نوعه فى العربية ، فموضوعه شخصية سعد زغلول من خلال احكامه فى القضاء ، وبالرغم من صعوبة العمل الذى أخـذه المؤلف على عاتقه ، ووعورة الطرق التى سلـكها توصلا إلى غايته ، فقد انتهى إليها بعد أن ملأنا إعجابا بأدبه وطول أناته ودقة تمحيصه وعمق تتبعاته ، وتقديراً لما بذله من جهود جبارة وأوقات ثمينة قضاها فى تتبع آثار سعد القضائية ، ونسخ ما عثر عليه من احكامه بعد قراءة ملفاتها المطروحة فى مستودعاتها ما يقرب من نصف قرن .

وأنا أرى أن أفضل تقريظ لهـذا الـكتاب أقوم اليوم به ، بعد مرور سنتين على صدوره ، اهداء هذه الباقة التى اقتطفتها من حديقة الأستاذ الزيات إلى الألوف من قراء « الرسالة » الذين لم تتح لهم فرصة قراءة هذا الـكتاب الفريد الذى يقع فى اربعمائة صفحة قسمت إلى تسمة فصول ، هذه زبدتها بعناوينها مرتبة بترتيبها فى الـكتاب .

١ — ثورة المصلح وغيرة العادل :

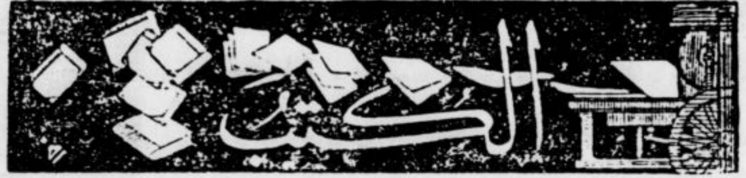
أصدر سعد أحكاماً كثيرة فى دعاوى رفعت إليه ، وإنها لأحكام خالدة تجلت فيها روح الثائر المصلح والحاكم العادل ، أحكام تملأك اعجاباً وتقديراً ، أحكام كل مافيها ينبئ (عن قريحة قانونية ذات مرونة ولباقة ، ونفس شديدة الاستجابة لأوامر العدل المطلق ونواهيه) ، وأن الحـكم الواحد منها ليخدم (اغراضاً اجتماعية ووطنية كبيرة قبل أن يخدم صاحب حق بإبانته حقه : يخدم القضاء بما يؤكد ويصان استقلاله ، ويخدم العدالة بما يمهد أمامها من طريق أفسده الشوك ، ويخدم التشريع بما يوضح له من نقصه وسخفه ، ويخدم الفقه بترحيب آفاقه وتسديد خطاه فى سبيل العدل والمعقول) ؛ فإن أردت الدليل على هذا الـكلام فاسمع ما يقوله سعد فى أحد أحكامه [... لا يمكن أن يكون المراد بهذه الأعمال الإجراءات الاستبدادية المخالفة للعدل والقانون والمضرة بحقوق الأفراد وليست فيها مصلحة عامة للناس ، لأن ذلك لا ينطبق بوجه من الوجوه على مبدأ الحـكومات العادلة ، ولا يصح أن تتضمنه شرائعها] !

وسعد الذى كان يطبق القانون على الناس لم يكن ينظر إلى القانون كنصوص مجردة واجبة التطبيق ، بل كان ينظر إلى القانون كوسيلة غايتها (اثبات جوهر الحق والعدل ، ونفى الغش والحيلة والغصب ، وأن مسباره هذا لينتظم احكامه) جميعاً ؛ وهو إذا حاول مرّة أن يقضى على حيلة تسلب شخصاً حقاله ، رغب إلى القانون ألا يحاول حماية المحتال لأنه من العار [أن يمنح القانون حقاً ثم يجيز الحيلة لاسقاطه] .

لقد كان سعد يصدر من وراء قوس القضاء أحكاما جديرة بالخلود لأنها كانت (تستخلص الحق من ركام الانكار واللجج) وإن هى اصطدمت يوماً بصلابة القانون وجدتها (قد لانت شيئاً تحت معول بناء حازم ، فى حزمه رفق ، وفى رفقه عدل ، وفى هدمه خلق وإيحاء وتجديد وتشييد) ..

إن حكماً يحوى هـذه الفقرات [... أن وقوع مثل هذه التصرفات بحجة اظهار الفاعل أو كشف الحقيقة ، أشد خطراً على النظام العام من خفاء الجانى أو تخليصه من العقاب ، لأنه لا شيء أسلب للأمن ، وأقلق للراحة ، وأزعج للنفوس ، من أن يعبث بالنظام من عهد إليه حفظ النظام !] ليس بحكم (قاض يفصل فى تهمة أفراد ، إن هو إلا — حكم — مصلح ثائر يعرف للثورة قواعدها ، وللتمرد إبانه ، واجتماعى مرشد يثبت للمجتمع بالعدل اركانه ، ورجل دولة حريص على « تحـديد المسؤليات وتعيين المسؤلين ») .

(يتبع) عدنان الخطيب



أثر التشيع فى الأدب العربى (١)

للأديب محمد سيد كيلاني

مؤلف كتاب « أثر التشيع فى الأدب العربى » هو الأديب محمد سيد كيلانى ، والمؤلف وكتابه حريان بأن نهش بهما ونبش لهما ، فقد ألف الأديب كتابه على نحو مقبول [سنعرضه] وهو طالب بالسنة الأولى بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وأسلوبه فيه واضح سليم يدل على وضوح موضوعه فى ذهنه وتمكن قلمه منه ، بل إن أسلوبه فيه أسلم وأوضح من أسلوب كثير من أساتذته فيما يخرجون لنا اليوم ، ونحن نقرر هذه الحقيقة آسفين ، والمؤلف يتناول كثيراً من أطراف موضوعه المختلفة ويعرضها عرضاً رفيقاً واضحاً . ولذلك كله نتلقى كتاب مؤلفنا « الطالب الأديب » بالرضا والغبطة على رغم ما لنا عليه من مؤاخذات كثيرة سنذكر بعضها بعد .

الكتاب مقدمة تبين أقسام البحث ، وأربعة أبواب : الباب الأول فيه فصلان : أحدهما تحدث فيه الأديب بالخلافة وتفرق الآراء فيمن تكون له بعد موت النبي وموقف الأحزاب المختلفة من ذلك وموقف كبار الصحابة ولا سيما أبو بكر وعمر ، ثم خلافتهما وخلافة عثمان ، وموقف الصحابة بعد قتله من على . والفصل الثانى : حديث سطحي بفرق الشيعة ومعتقداتها . والباب الثانى يبدأ بمقدمة فى مقتل الحسين وما لحق بالعلويين عامة زمن الأمويين والعباسيين ، ويليها فصلان : أحدهما فى النثر الشيعى ، ويبدأ : بالخطابة فالرسائل فالأحاديث الموضوعة فالقصص فنحل الشيعة بعض أوليائهم وأعدائهم القول وأكثره تكرار لما فى القصص . والفصل الثانى فى خطباء الشيعة وفيه ترجمة لعلى ونقد ممتع واف لكتاب « نهج البلاغة » المنسوب إليه ، ولا ترجمة لغير على هنا فيما عدا إشارة خاطفة إلى أنه لم يظهر بعد على من الخطباء غير الحسن والحسين ، وأن الشيعة انصرفوا عن نشر الدعوة بالخطابة إلى نشرها سراً ، وأن لفاطمة خطباً نسبت إليها ولعلى بن الحسين رسالة تعرف برسالة الحقوق . والباب الثالث فى الشعر وهو فصلان : أولهما فى الشعر الذى نحله الشيعة بعض أوليائهم وأعدائهم ، كعلى وأبى طالب ومعاوية وعمر ويزيد بن معاوية والوليد بن يزيد ؛ وثانيهما فى الشعر الذى قاله شعراء الشيعة فى التشيع ، وأغراض هذا الشعر : كالمدح ، والرثاء ، والهجاء ، والدفاع عن حق على وبنيه فى الخلافة ، وشعر النقائض بين شعراء الشيعة وخصومهم من الشعراء . والباب الرابع فى : شعراء الشيعة وفيه ترجمة لعشرة شعراء هم : الكميت ، وكثير ، وعبد الله بن عمر العبلى ، والسيد الحميرى ، ودعبل ، وابن الرومى والمفجع البصرى ، والشريف الرضى ، ومهيار ، وابن هانىء الأندلسى .

وقد توخى المؤلف فى كتابه النهج العلمى لجنبه ذلك كثيراً من المزالق ، ولكن صحة المنهج لا تغنى وحدها ولابد معها من وعى ناضج يحسن استخدام المنهج ، وهذا ما ليس فى وسع الأديب ولداته . والكتاب يعتمد على مراجع كلها — إلا واحداً — قديمة ، ولو اعتمد على المراجع الحديثة إلى جانبها لأنارت له الطريق . وهذا هو السر فى أن كثيراً من أقسام الكتاب بتراء ، وفى تهجم الأديب على بعض الصحابة كعمر وتصديقه خرافة المؤامرة الثلاثية بينه وبين أبى بكر وأبى عبيدة ، ولم يشر الأديب إلى مصدرها . وأظن أن مخترعها الأب لامنس المستشرق وهو قسيس اشتهر بقدحه فى الإسلام ورجاله ، ولو قرأ الأديب كتاب « عبقرية عمر » للأستاذ العقاد لبان له زيفها . ولقد كانت عبقريات العقاد وابن الرومى كفيلة بتجنيبه كثيراً من هذه المزالق ، كما أنه غفل فى بعض الفصول عن مراجعها الصحيحة كالفصل الذى كتبه فى فرق الشيعة ومعتقداتهم ، وكان حرياً به أن يعتمد على كتاب « فرق الشيعة » للنوبختى وهو أقدم وأوفى مرجع فى موضوعه ومؤلفه أجدر المؤلفين باحترام آرائهم فى هذا الموضوع . ولا يزال كثير من العلماء غير محيطين بفضل هذا الكتاب ومؤلفه ، وكان عليه أيضاً أن

(١) نشرته « لجنة النشر للجامعيين » وطبعة دار الكتاب العربى بالقاهرة سنة ١٩٤٧ م ، وصفحاته ١٦٤ ، يطلب من مكتبة مصر بشارع الفجالة — ثمنه ١٥ قرشاً



في المملكة الأردنية الهاشمية :

لمناسبة قيام القيادة العليا للدول العربية المحاربة في عمان ، أنشر هذه الكلمة ، أوجز فيها القول عن وصف حاضرتها وبعض مدنها ، وتجارتها ، وشؤونها العلمية وغير ذلك :

في الصيف الماضي هبطنا (عمان) حاضرة المملكة فرأيناها مدينة جميلة تتسع شوارعها المعبدة تارة وتضيق تارة ، وهي في واد تكتنفه جبال تقوم عليها أكثر بيوت المدينة ، ودورها حديثة البناء من الحجر الأبيض المنحوت ، وفيها دور لا تقل حدائقها عن بعض حدائق دور مصر الجميلة . وفيها بضعة مساجد جليلة .

وكان لعمان في هذه الحرب شأن عظيم في التجارة ، وقد كانت البلد الوحيد في الشرق الذي يسمح لتجاره بالاستيراد من أوربة ، لذلك قصدها التجار من سورية وفلسطين وغيرهما فصدروا منها كثيراً مما كانت غاصة به من البضائع .

وأهل المملكة الأردنية عرب أقحاح ، يشتغلون بالزراعة والتجارة وتربية الأغنام . وتنتج أرضها فواكه من كل الثمرات، وذلك لجودة تربتها في أوديتها ومرتفعاتها ، ولطيب مائها .

وقد خطت هذه المملكة الصغيرة في عددها ، الكبيرة في مساحتها ، خطوات التنظيم والعمران والتعليم والحضارة بمدة يسيرة ، وذلك بفضل عناية مليكها العالم ، واعتماده على أهل العلم من السوريين والفلسطينيين وأهل البلاد ، وقد قاربت أن تضاهي الأقطار الأخرى في الإقبال على العلم وفي نسبة المتخرجين الذين يردون مناهل الجامعات . وجل أساتذة مدرستها الثانوية من خريجي الجامعة الأمريكية ببيروت . وفيها مدرسة للعلوم الدينية ، ومدرسة للصناعة تعلم النشء بعض الحرف . يضاف إلى ذلك مدارس عسكرية قائمة في المعسكرات . وفيها صحف ثلاث ، ونواد عدة ، من أكبرها نادي جلالة الملك حسين الذي يختلف إليه كثير من الأدباء لالقاء المحاضرات المتمة . وفيها من علماء شنقيط والمغرب وسورية وفلسطين وغيرها . وسكان الحاضرة نحو خمسين ألفاً يعيشون عيشة مدنية مترفة . وفيها آثار مدرج فرعوني عتيق ، وفي جبلها آثار قلعة قديمة .

وأما مدينة (السلط) التي تبعد عن عمان نحو نصف ساعة بالسيارة ، فأبنيتها أبنية المدن لا أبنية القرى ، وبيوتها قائمة على ثلاثة تلال . وكانت فيها حركة تجارية طيبة ، لكنها انتقلت إلى عمان . وفيها مدرسة ثانوية كبيرة قائمة على ربوة شاهقة تطل على واد أغن ممرع . وفيها مسجدان ، وآثار قلعة عتيقة ، ويشرب أهلها من عينين فيها . ويسمون لمد الكهرباء إليها . ومواردها من كرومها التي تمشي فيها نحو ثلاث ساعات ، وهي محيطة بالمدينة من كل ناحية . والعنب والزيت هما المحصولان اللذان تنتجهما هذه البلدة الجميلة ، فتصدر منهما إلى كل مكان ،

يعتمد على كتابي فجر الإسلام وضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين بك ، ومقالات الإسلاميين والإبانة للأشعري ، وإلى جانب هذا التقصير في بعض الفصول ، فضول في بعضها الآخر ، فهو في الباب الرابع يطيل الشواهد التي لا موضع لها ، ولا يكتفي في تراجم الشعراء بما يتصل بتشيعهم بل يطيل تراجمهم ، ويكتفي في تراجم أكثرهم ببضعة سطور في تشيعهم . ومن أقسام الكتاب التي يجدر التنويه بها ما كتبه في نقد نهج البلاغة والتشكيك في صحة نسبه إلى علي وهذا الشك — وإن كان قديماً — قد أيده الأديب بحجج له قوية طريفة .

وإذا كان الأديب مسئولا عن كل ما أشرنا إليه من مآخذ كالاضطراب والتقصير في جانب والفضول في جانب ، وكالأخطاء التاريخية واللغوية التي نكتفي بالإشارة إليها عن التمثيل لها — لجدير بنا إنصافاً له أن نحمل بعض هذه المسئولية على الضرورة التي تكره صاحبها على عمل قبل استكمال معداته له ، وإلا ناله من وراء العصيان شر متطير ، وأن نحمل بعض المسئولية على المرشدين الذين نصبوا للارشاد إن بالحق وإن بالباطل — فإذا ما استرشدوا لا يرشدون .

محمد خليفة التونسي

وفى جبالها كثير من الينابيع التى تروى وديانها المكتظة بالأشجار والأثمار المختلفة . ويبلغ سكانها نحو ١٨ ألفاً جلهم متحضرون يشتغلون بالتجارة والزراعة . وكانت السلط فى زمن الدولة العثمانية مركزاً للتجارة ومركزاً للحكومة . وفيها جبل يرتفع نحو ألف متر عن سطح البحر ، فيه مقام للنبى يوشع ، تظهر من عنده أنوار بيت المقدس .

وفى طريق الذاهب من عمان إلى القدس أغوار قريبة من البحر الميت تزرع فيها الخضر فى الشتاء ، ولا سيما فى (الشونة) الزاخرة بحدائق الموز التى تبعث بثمراتها إلى فلسطين بلا انقطاع . وفيها تربة صالحة لإنبات ما يخرج فى أراضى البلاد الحارة . ويخترق هذه الأغوار نهر الأردن المعظم . وفى (الشونة) يقضى جلالة الملك فصل الشتاء ، ويؤمها كثيرون من جهات مختلفة لدفئهـا . وهى منخفضة نحو ٣٠٠ متر عن سطح البحر . ولو أتيح إصلاح الرى فى هـذه الأغوار لأفاضت على الناس من خيراتها وبركاتها ما يكفى الملايين .

وأما (إربد) فقاعدة وسط سهول فسيحة ، وهى فى طريق المسافر من عمان إلى دمشق . وهواؤها ألطف وأبرد من هواء عمان فى الصيف ، إلا أن مرتفعات عمان تضاهيها فى ذلك . وهى من المدن الكبيرة فى شرق الأردن . وكانت تابعة فى زمن العثمانيين للواء عجلون الذى يشمل الرقة وجرش والطيبة والمزار . وحول إربد قرى فيها آثار كثيرة كقرية (رأس قيس) وغيرها

أما (جرش) فقرية فيها جامع كبير بناه الشاميون المقيمون فيها ، وجامع قديم أقامه الجركس سكان القرية الأولون ، وأعظم ما فيها هى آثارها الرومانية المدهشة فى الجبل . ويشرب الناس هناك من عين فيها عذبة ...

من شئون الحرب فى الإسلام :

أوصى أبو بكر قواده بوصايا خليق أن يوصى بها كل قائد ، منها :

١ — أحسن صحبة جندك .

٢ — ابدأهم بالخير وعدهم به .

٣ — إذا وعظتهم فأوجز ، فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً .

٤ — أصلح نفسك يصلح لك الناس .

٥ — أكرم رسل عدوك ، وأقلل مكثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، وأنزلهم فى ثروة عسكرك ، وامنع من قبلك من محادثتهم وكن المتولى لكلامهم .

٦ — أصدق الحديث تصدق المشورة .

٧ — اسهر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار .

٨ — أكثر حرسك وبددهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجآتهم فى محارسهم ، وأحسن أدب الغافل وعاقبه فى غير إفراط ، وأعقب بينهم فى الليل واجعل النوبة الأولى أطول من الآخرة .

٩ — لا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها .

١٠ — لا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ، ولا تجسس عليهم ، ولا تكشف للناس عن أسرارهم .

١١ — جالس أهل الصدق والوفاء .

١٢ — أصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس .

١٣ — ستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له .

لما التقى الجمان فى وقعة اليرموك قال رجل لخالد القائد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد : ما أكثر المسلمين وأقل الروم ! إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال .

وقال عكرمة : قاتلت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كل موطن ثم أفر اليوم ! ثم نادى (من يبايع على الموت ؟) فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور فى أربعمائة من فرسان المسلمين ثم حملوا أمام فسطاط خالد حتى ضعضعوا الروم ، وهجم خالد بين خيلهم ورجلهم ، فانهزم فرسان العدو وتركوا الرجال . ولما رأى المسلمون خيل الروم تريد الفرار أفرجوا لها فتفرقت . وقتل الرجالة واقتحموا فى خندقهم وهوى فيه ألوف مؤلفة بين قتيل وجريح ودارت الدائرة على الروم ... وكان المسلمون نحو خمسين ألفاً ؛ والروم أكثر من مائتى ألف ...

محمد أسامة عليبة



أقصوصة روسية :

تحـــفة يتيمة !

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

بقـلم الأديب كمال الدين الحجازى

وصل «ساشا سميرنوف» إلى عيادة الطبيب «كوشلكوف» يحمل تحت إبطه شيئاً ملفوفاً .

كان ساشا وحيد أمه فسأله الطبيب : كيف حالك يا ولدى ؟ فأجاب شكراً أيها الطبيب ، إن أمى ليعجز لسانها عن شكرك على حسن صنيعك بشفاء ولدها ! فقال الطبيب : إننى لم أعمل سوى ما يفرضه الواجب على كل طبيب . فقال الولد : إن أمى فقيرة أيها الطبيب الفاضل ولا تملك سوى هذه التحفة الثمنية التى أحملها بين يدىّ والتى أرجو أن تتقبلها . فقال الطبيب : لا داعى لذلك ولا ضرورة له . ولـكن ساشا أصرّ على تقديم الهدية إليه وألح عليه بقبولها ، وقال إن رفض الهدية يعد إهانة له وتصغيراً من شأنه ومن شأن أبيه الذى أورثه ذلك الأثر الفنى والذى هو بمثابة تذكار منه ، فقد اعتاد أبوه أن يشترى الآثار البرنزية ويبيعها من عشاق الآثار القديمة . ثم وضع الأثر على المنضدة .

كان الأثر شمعداناً من البرنز ، جلس على قاعدته تمثالان لامرأتين عاريتين على هيئة حواء ، يستحى المرء من وصفهما ، كان هذان التمثالان يبتسمان ويميل أحدهما على الآخر بدلال كأنه يقبله ويتأهبان للرقص ! ولما أنعم الطبيب النظر فى الهدية حك رأسه وقال : لا ريب أنها تحفة فنيـة ولـكنها ... لست أدرى ما أقوله ، فالشيطان يوسوس فى صدور الناس ! وهل من اللائق أن أضع هذا التمثال الملوث على المنضدة ؟ فقال ساشا غاضباً : ولم لا يا دكتور ؟ إنك تحمل على الفن حملة شديدة . إن هذا عمل فنى خالد . إن الروحانية تتمثل فيه بأجمل صورها . ولا ريب أن الناظر إليه سينسى كل ما يحيط به من الأمور المادية ويتطلع إلى المثل العليا ! دقق النظر فيه تجد الجمال والروحانية تدعوانك إليهما ! فقال الطبيب : إنه أثر خالد يا ولدى ، ولـكنك تعلم أننى متزوج ، وأعتقد أن من غير اللائق أن أضعه فى هذه الغرفة التى يغشاها كثير من النساء والأولاد دائماً . فقال ساشا : أنك تنظر إلى التمثال نظرة الشك والريبة وتتطلع إليه بأعين السوقة وعامة الناس ، ويجب أن تسمو عن ذلك يا دكتور . إنه الأثر الوحيد الذى أورثنيه أبى وقد آليت لأهدينه إليك ، فقد شفيتنى من المرض . فقال الطبيب ، وقد أراد التخلص من هذه الورطة ، لا بأس يا ولدى ، ضعه على المنضدة . وضع ساشا الشمعدان كما أشار وقال للطبيب : آسف إذ لم أجد رفيقه ولـكنى سأجد فى البحث عنه ، ولم يدر الطبيب ما يقصده ساشا من رفيقه أو شريكه ، ثم ودعه وخرج .

أراد الطبيب التخلص من هذا التمثال ونظر إليه ملياً ، فخطر بباله أن يهديه إلى صديقه المحامى الذى كان مديناً له ببعض النقود وقال فى نفسه : إنها فكرة حسنة ، سأقدم إليه هذه التحفة وهو رجل أعزب كالطير الطليق . سار الطبيب إلى مكتب صديقه المحامى ، وبعد أن شكره على حسن دفاعه عنه وخدماته السابقة له ، رجا منه أن يتقبل منـه هدية متواضعة وهى تمثال البرونز النفيس . وما إن وقع نظر المحامى عليه حتى أعجب بجماله ولـكنه بعد أن أدمن النظر فيه قال : أعتذر يا صديقى من قبوله ، فإن أمى تزورنى دائماً ، كما أن مكتبى يؤمه كثير من الناس كل يوم ! فقال الطبيب : لا تقل ذلك يا صديقى ، إن من نكران الجميل أن ترفض مثل هذا الأثر الفنى . فقال المحامى متهكماً : «حبذا لو كانت السيقان مصقولة أو مغطاة ببعض ورق التين على الأقل» ولـكن الطبيب لم يأبه له واغتنم فرصة انشغاله ببعض شأنه ووضعه على مكتبه وانصرف .

تأمل المحامى فى هذا الأثر وهم بقذفه من نافذته ولـكن بدءه

لم تطاوعه فقد كان الأثر جميلا ، وقال فى نفسه : ليس لى إلا أن أقدمه هدية إلى الممثل الفكاهى « شوشكين » فإن الممثلين يحبون مثل هذه الأشياء الفنية البديعة .

ولما قدم الأثر إلى شوشكين أعجب به أيما إعجاب ، كما أعجب به كثير من الناس الذين رأوه ، وقد غصت غرفته بالمتفرجين والممثلين الذين كانوا يأتون إليه فى أى وقت يشاؤون . ولما رأى شوشكين هذا العدد الغفير من الناس لم يجد بداً من التخلص من هذا الأثر الذى جلب إليه كثيراً من التعب والشقاء ، وتمنى لو كان التمثال صغيراً ليتمكن من وضعه فى درج مكتبه ، ففكر فى بيعه لأحدى النساء المولعات بمثل تلك التحف الفنية ، ولم يلبث أن باعه لها .

وبعد يومين بينما كان الطبيب كوشلكوف جالساً فى عيادته ، فتح الباب فجأة ودخله ساشا وهو يحمل شيئاً ملفوفاً بين يديه ، والابتسامة تداعب شفتيه وقال للطبيب : إنك لا تستطيع أن تتصور مقدار سرورى وابتهاجى ، فقد استطعت بعد جهد جهيد أن أحصل على رفيق التمثال وشريكه ، وأن والدتى تشاركنى الفرح أيضاً ، ثم وضع ساشا الشمعدان على الطاولة فرحاً مسروراً وخرج .

نظر الطبيب إلى التمثال وقال فى نفسه : « ترى هل شعر ساشا بأن تمثال حواء الذى أهدانى إياه قبلا كان ينقصه تمثال آخر لن تستطيع حواء أن تعيش بدونه ، فأحضر لها تمثال آدم ! ! .

(القدس) **جمال الدين الحجازى**

الندوة الأدبية

وزارة المعارف العمومية — إعلان

مسابقة الثقافة العامة لسنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩

تعلن الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف عن مسابقة ثقافية لسنة ١٩٤٨/٤٩ فى الموضوعات التالية ، وبالجوائز المبينة أمام كل منها وهى .

١ — تمثيليات قصيرة للمسرح المدرسى — وقيمة جوائزها الأولى ٤٠ ج لتمثيلية الفصل الواحد و ٧٠ ج لتمثيلية الفصلين وقيمة جوائزها الثانية ٣٠ ج لتمثيلية الفصل الواحد و ٥٠ ج لتمثيلية الفصلين .

٢ — تمثيليات قصيرة للاذاعة المدرسية — وجائزتها الأولى ٣٠ ج والثانية ٢٠ ج .

٣ — المسرحيات العامة وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج .

٤ — القصة الطويلة وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج .

٥ — القصص القصيرة وجائزتها الأولى ٢٥ ج والثانية ٢٠ ج .

٦ — بحوادث أدبية وفنية وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج .

٧ — بحوث فى التاريخ والآثار وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج

٨ — الرحلات وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج .

٩ — العلوم المبسطة وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج وعدد جوائزها اثنتان أولى ، وأربعة ثانية .

وآخر موعد لقبول موضوعات هذه المسابقة هو آخر نوفبر سنة ١٩٤٨ ويمكن الاتصال بادارة التأليف بوزارة المعارف للحصول على الشروط المفصلة لهذه المسابقة .

٩٤٨٦

سكك حـــديد الحكومة المصرية

تسير قطارات سريعة بين مصر والأسكندرية

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من أول يونية سنة ١٩٤٨ ستسير المصلحة قطارات سريعة فاخرة بدرجة أولى وثانية وبولمان بين مصر والاسكندرية تقف فى محطة طنطا وسيدى جابر فقط فى المواعيد الآتية :—

المحطـــات	٩٩١ سريع درجة أولى وثانية وبولمان	٩٩٣
مصر قيام	٤٥ ر ٧	٠٠ ر ١٨
طنطا وصول	٤٧ ر ٨	٠٢ ر ١٩
طنطا قيـام	٥١ ر ٨	٠٦ ر ١٩
سيدى جابر «	١٧ ر ١٠	٣٢ ر ٢٠
الاسكندرية وصول	٢٥ ر ١٠	٤٠ ر ٢٠

المحطـــات	٩٩٠ سريع درجة أولى وثانية وبولمان	٩٩٢
الاسكندرية قيام	١٥ ر ٧	٣٠ ر ١٧
سيدى جابر «	٢٥ ر ٧	٤٠ ر ١٧
طنطا وصول	٤٩ ر ٨	٠٤ ر ١٩
طنطا قيـام	٥٣ ر ٨	٠٨ ر ١٩
مصر وصول	٥٥ ر ٩	١٠ ر ٢٠

السفر بهذه القطارات سيكون على أساس حجز المقاعد مقدماً مع دفع الرسم الآتى :—

٢٠٠ مليم للدرجة الأولى .

٥٠ مليم للدرجة الثانية .

عن المسافة كاملة ونصف هذه القيمة عن المسافة إلى طنطا أو منها ، ويمكن للركاب الحصول على تذاكرهم قبل ٤٨ ساعة من موعد سفر القطار تفتح شبابيك التذاكر فى هذه المحطات من الساعة ٧ إلى الساعة ٢٢

مَطبَعة الرِّسالة

العدد ٧٨٠ — الاثنين ١٤ يونيو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٨٠ — الاثنين ١٤ يونيو ١٩٤٨ — السنه السادسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٤٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 780

Lundi — 14 — 6 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧٨٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ شعبان سنة ١٣٦٧ — ١٤ يونيو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أدباء معـــــاصرون

أرشحهم للخلود

لحضرة صاحب المعالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظة باشا

رئيس جامعة أدباء العروبة

يسألني السائلون عمن أرشحهم للخلود من أدبائنا المعاصرين، وأحسب إلى أن يكون الجواب على صفحات « الرسالة » القراء .

***

إذا ما ذكر الناثرون ، كان أول من أذكره ، وأول من يستأثر بإعجابي ، الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات ، فهو أقوى كتاب العصر ديباجة وأنقاهم أسلوبا وأعرفهم بالصيغ العربية الصحيحة ، ومن أراد البيان العربي في أسمى درجاته فعليه بما يكتبه الزيات .

أما الكاتبان القادران ، العقاد ، وهيكل ، فإن عنايتهما بالوضوع الذي يعالجانه — وهما أقدر كتابنا جميعاً من الناحية الموضوعية — أقوى من عنايتهما بسمو الديباجة وإشراقها ؛ وبالديباجة يعنى أشد العناية ، الكاتبان الكبيران ، المازني ، وتوفيق دياب .

وإذا كان الذين ذكرتهم من الناثرين قد كتب لهم الخلود فعلا ، فقد كنت أود أن أرشح للخلود بجانبهم بعض الناثرين من الشباب ، لكني أراهم مع الأسف لا يولون هذه الناحية من الأدب الرفيع ما تستحقه من اهتمام ، ولا أجد بينهم من يحاول أن يبلغ في هذا الفن الجيل درجة الكمال .

أما الشعراء ، فإذا تجاوزنا الذين بلغوا القمة من زمان بعيد ، كمطران والعقاد والجارم ومن إليهم ، فإن لدينا ممن يلونهم شعراء لا شك أنهم سيبلغون في العالم العربي أعلى مكانة . ولست أدرى من يكون أولهم ؟ ففي بعض المواقف يمتاز أحدهم ، ثم يبزه سواه في موقف آخر . وقد يتفوق عليهما زميل ثالث في موقف جديد ؛ لهذا تصعب المفاضلة بينهم . فهل يكون الأول ناجى ، أم طاهر أبو فاشا ، أم غنيم ، أم العوضى الوكيل ، أم الغزالى ، أم حمام ، أم الصاوى شملان ؟

وكثيراً ما تفوق الخناوى ومخيمر والجرنوسى والجنبلاطى وعبد المنعم إبراهيم وشمس الدين وغيرهم .

وهنا كلمة لا بد منها ، وهى أن هؤلاء الذين نوهت بهم ، هم من شعراء جامعة أدباء العروبة ، وليس المقصود بشعراء الجامعة أعضاء مجلس إدارتها وحدهم ، فإن لها أعضاء أنصاراً ، كالشاعرين الكبيرين رامى والأسمر ، وهما من أكبر شعراء هذا الجيل .

وإنى لحريص على أن أصحح فهما خاطئا سرى إلى بعض الأذهان وأثار حملات لا مبرر لها ، فأقول إنى لا أحتكر لرجال جامعة أدباء العروبة المجد الأدبي في هذا العصر ، وإن كانوا في الحقيقة أقوى مجموعة عرفها التاريخ الأدبي الحديث ، وأنا أعد الجامعة

مكونة من أعضائها العاملين ومن أنصارها جميعاً. أما أعضاء مجلس إدارتها فهم فوق مقدرتهم الأدبية الممتازة، أنشط الأدباء وأشدهم دأبا، وأغزرهم إنتاجا، وأكثرهم مثابرة على خدمة الأدب والأدباء، وتنظيم المهرجانات، وإحيائها بخطبهم وقصائدهم التي يحملها المذياع إلى دنيا العروبة فتملأ مسامع الملايين في سائر الأقطار العربية، وتحفز النفوس إلى طلب المجد، وتغرس فيها الشجاعة ومكارم الأخلاق.

وإن لشعراء الجامعة لآثارا أدبية جديرة بالخلود، أراني نخوراً بأن أعرض ما يحضرني منها في هذه الساعة.

فهذا ناجي يقول في «الغريب».

يا قاسيَ البعد كيف تبتعد ؟ ... إني غريب الديار منفرد
إن خانني اليوم فيك قلت غد ... وأين مني ومن لقاك غــد
إن غـداً هوة لنا ظرها ... تكاد فيها الظنون ترتعد
أطل في عمقها أســائلها ... أفيك أخفى خياله الأبد ؟
يا لامس الجرح ما الذي صنعت ... به شــفاه رحيمة ويد ؟
مـلء فؤادي لظى وأعجبه ... أني بهـــذا اللهيب أبترد !

ومن شعره الوطني :

مر الغزاة بمصر وانتهوا زمرا ... فأين بالله تيجان ودولات
كأن صخرة أقـدار تحطمهم ... وما من القدر المحتوم إفلات
مروا ومصر على التاريخ باقية ... كأنما حولها للنور هالات
فاعجب لمنطق أذيال يقوم له ... محض من الزور وشتته الضلالات
ومسرح في الليالي لا جديد به ... لــكن يعاد عليه الذئب والشاة

ومن شعر طاهر أبي فاشا في قصيدة وطنية نظمها لدى عودة دولة النقراشي باشا من أمريكا بعد دفاعه المجيد عن قضية مصر في مجلس الأمن :

ألق عن وجهها الغضوب النقابا ... لا تخاصم إلى الذئاب الذئابا
أمر الأمر قادةٌ رعهم شيوخا ... عاقروا الصبر وادّرعهم شبابا
وأدر لحنك الذي أيقظ الثو ... رة واخمر في صهده الأعصابا
أمة تنشد الســلام فما با ... ل حمام السلام أمسى غرابا ؟
والذي يطلب الحياة سلاما ... كالذي يطلب الحيـاة سرابا

ومن شعر غنيم في قصيدة «ثورة على الضارة».

ذرعتم الجو أشباراً وأميالا ... وجبتم البحر أعماقا وأطوالا
فهل تقصتم هموم الكون خردلة ... أو زدتموا في نعيم الكون مثقالا
يا طالما حدثتني النفس قائلة ... أنحن أسعد أم أجدادنا حالا ؟

ومن قصيدة له في الكلب البوليسي «هول»

كلب ينم على الخفــاء ... تمشي العـدالة في خطاه
إن قال أرهفت النيا ... بة سمعها وصغى القضاه
قد بات يرعى الأمن «هو ... لُ» وغيره يرعى الشياه
شيخَ الكلاب أخفت ذئـ ... ب الإنس لا ذئب الفلاه
وأنفت من صيــد البزا ... ة فصدت صياد البزاه
وسلبت كلب الكهف ما ... بيديه من عــز وجاه
لم تقض في النوم الحيا ... ة كما قضى فيها الحياه
إن طوقوك فطالمـــا ... طوقت أعناق الطغاه

ومن قصيدة لحمام في «القمر»

ويا رقيبا على العشاق مؤتمنا ... السر عندك مكنون ومدخر
ويا رسولا من الماضي الرهيب إلى ... من كان يخشع للماضي ويدّكر
ويا شهيداً على أعمالنا يقظا ... عدلا، ويا مقلة يرنو بها القدر
يا من يعيش بأعمار مجددة ... وكل يوم يرى الأعمار تختصر
يا قيصراً عرشه الدنيا وما وسعت ... وجنده الأنجم الوضاءة الزهر
يا صورة من جمال الله مشرقة ... والشاعر الحق تسبي لبه الصور
إليك يا بدر عتبا كنت أكتمه ... فالآن يا بدر لا كتم ولا حذر
أتذكر الحرب إذ ثارت جهنمها ... وطار منها على آفاقنا شرر
وكنت للخصم جاســوسا فكم نزلت ... على هـــدى نورك الغارات والغير
قد سخروك لشر ما خلقت له ... لا بأس يا بدر إني عنك أعتذر!
كم ليلة لحت فيها شاحبا أرقا ... كأنما شفك التطويف والسهر
أوضقت بالظــلم يغشى الأرض قاطبة ... أأنت مثلي طريد الظــلم يا قمر ؟!

ومن شعر عبد المنعم إبراهيم في العروبة

الجود والحلم والأقدام والأدب ... شمـائل علمتها للورى العرب
الصيد إن ركبوا والصفو إن طربوا ... والعفو إن غلبوا والنار إن غضبوا
السحر ما كتبوا والطهر ما شربوا ... والبحر ما وهبوا، والأمر ما رغبوا

هذه شواهد من أشعارهم، بل أزهار من رياضهم، وإن لهم ولإخوانهم لبدائع وروائع، زادهم الله اتقانا وإحسانا، وجعلهم للأدب والعروبة أسنادا وأركانا.

إبراهيم دسوقي أباظة

صور من الحياة

للدكتور عبد العزيز برهام

(إن قول الحق لم يدع لى صديقاً)
(أكثم بن صيفى)

لا يجرح غير الحقيقة (مثل فرنسى)

جمعتنى الصدفة بصديق قديم كنت آخذ عليه دائماً إخلاف المواعيد . زرته فى مقر عمله فوجدت عنده عدداً عديداً من الزوار كلهم يرجوه فى أن يشفع له عند فلان أو فلان فى أمر كذا أو كيت ، ورأيته يمنيهم جميعاً بقضاء حاجاتهم ، فيخرجون من لدنه ، وقد امتلأت نفوسهم بالآمال ، وظنوا أنفسهم قاب قوسين أو أدنى من بلوغ المرام . ولكنهم ما كادوا يبرحون مكتبه حتى تنفس الصعداء ، والتفت إلىّ وعلى شفتيه ابتسامة ثم قال : أفّ لهؤلاء الناس ! أيظنوننى عبداً مسخراً لهم ؟ ما أكثر ما هم عليه من بله ! قلت : وماذا يحملك على أن تمنيهم كل هذه الأمانى ؟ قال : وماذا يضيرنى ، وقد بلغ الحمق بالناس أن يصدقوا كل ما يقال لهم ؟ أولا يسرك أن تراهم وقد خشعت أبصارهم أمامك ، وانخفضت أصواتهم ، وبدت عليهم الذلة والمسكنة ، وهم يضرعون إليك بالرجاء ؟ قلت : وأى لذة فى هذا ؟ قال : إن فيها لذة لا يشعر بها إلا من من يمتثل ما أمر به . قلت : أما آن لك أن ترعوى يا (نيرون) زمانه ؟ قال : وأنت ! أما آن لك أن تقصد فى نصحك ؟ قلت : بلى . ثم افترقنا .

انقضت ثلاثة أشهر لم أر فيها صديقى ، ثم عدت إليه أزوره ، ولشد ما كانت دهشتى عند ما رأيت بين زواره فريقاً ممن رأيتهم عنده من قبل يطلبون شفاعته ، وإذا به يعود فيمدهم ويمنيهم . لم أطق صبرا على رؤية هذه المسرحية الوجمة ، فلت عليه بعد أن صرف واحداً منهم بالحسنى ، وكنت أرى فى مظهره ما يستاهل المساعدة : أتنوى حقاً قضاء حاجة هذا الرجل ؟ فقال ، وهو يهمس فى أذنى : وكيف لى بقضاء ما يطلب ؟ إنه يطلب أن أعينه فى وظيفة ممرض ، وأنا لا أعرف من أطباء الصحة أحداً . قلت : ففيم إذن كل هذه الأمانى المعسولة ؟ قال : دعه ، فستنجلى له الحقيقة يوماً ما ، وسيريحنى من تردده الممل علىّ . قلت : ولماذا لا تصارحه بها ؟ قال : يالك من غر ! أتريد أن أقول له إننى لا أعرف من أطباء الصحة أحداً ؟ قلت : ولم لا ؟ قال : هذه حماقة لا أرضاها لنفسى .

لم أكد أسمع منه هذا الحديث حتى بهت فاستدعيت الزائر الذى انصرف ، وكان لا يزال على مرأى منا ، وقلت له على مسمع من الجالسين : أيها الأخ ! إن فلاناً هذا يأسف لأنه لن يستطيع قضاء أمرك ، فهو لا يعرف أحداً من أطباء الصحة .

فوقف الرجل مشدوهاً من سماع هذه الكلمات ، وهو لا يكاد يصدق ما يسمع ، وكأن لسان حاله يقول : ففيم إذن كانت كل هذه المقابلات ؟ وانتفض صديقى انتفاضة تدل على الغضب البالغ فلقد فوجىء بما قلت . ثم التفت إلىّ يقول : هذا لا يليق بى أن تقوله . هذه إهانة لا أقبلها منك . قلت : أو ليس ما قلت حقاً ؟ قال : وما كل حق يقال . قلت : ولكن هذا الرجل يجب أن يعرف إلى أين يسير ؟ قال : لا شأن لك بى وبأمورى . ثم مدّ إلىّ يده وهو يقول : وداعاً ، يا صديق . فوقفت وانصرفت وأنا أقول : وداعاً لا لقاء بعده .

* * *

وأردت أن أتزوّج ، فأوصيت كل من تصلنى بهم صلة أن يمنينونى فى البحث عن « نصفى الثانى » . ثم طرقت بابى ذات مساء سيدة هى منى بمنزلة الوالدة ، ووجهها يطفق بشراً . وما كادت عينها تقع علىّ حتى صاحت : أبشر يا صاح ! فقد وجدت ضالتك المنشودة . إنها فتاة فى ريعان الشباب ومقتبل العمر ، من أسرة كريمة ، وإن لم تكن غنية . قلت : وهل نقلت إليهم ما تعرفين عنى ؟ قالت : لقد قلت عنك كيت وكيت ، وقلت إنك تملك خمسين فداناً . قلت : فى أى بلد ؟ قالت : لا أدرى . قلت : فكيف إذن قلت ذلك وأنت تعلمين أننى لا أملك قيراطاً واحداً ؟ قالت : أو لست جديراً بأن تملك هذا المقدار وأكثر منه ؟ قلت : الجدارة شىء والواقع شىء آخر . وما كان لك أن تقولى غير الحقيقة .

التقيت بأصهارى « الجدد » وكان استقبال بالغ الحفاوة ، وترحيب لا نظير له ، ثم اتفقنا على كل شىء ، ولكن ... وما أقسى لكن هذه ! دار بخلدى أن هؤلاء الأصهار « الجدد »

أساتذة الجيل :

أحمد تيمور باشا

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

« إلى الصديق الكريم ، والباحث المحقق ، الدكتور محمد سامى الدهان ، وفاء بما وعدته من الإفاضة فى الحديث عن أولئك الأساتذة الأماثل الذين مهدوا الطريق أمام هذا الجيل... »

تيمور ، بفتح التاء ، ويحققها بعض العلماء بالكسر ، كلمة تركية ينطقها الأتراك فى لغتهم دمير أو دمور ، ومعناها عندهم الحديد ، وكانت تستعمل لقب تمجيد فى المملكة العثمانية ، والولايات التابعة لها ، وبها لقب السيد محمد كاشف جد الأسرة التيمورية ، وأول من وفد منهم إلى مصر ...

وأصل السيد محمد هذا من بلاد كردستان بولاية الموصل ، ويذهب آل تيمور فى إثبات نسبهم إلى أنهم من أصل عربى اعتماداً على ما ذكره ابن الكلبي وابن خلكان ، من أن نسب الأكراد ينتهى إلى عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء ، أو ينتهى إلى عدنان كما ذكر بعض العلماء . على أن آل تيمور يذهبون من ناحية أخرى إلى أن جدتهم زوجة السيد محمد كاشف ، وهى السيدة عائشة الصديقية ، كانت كريمة السيد عبد الرحمن الاستانبولى ، وهو كما يقولون شريف النسب ، صريح العروبة ، كان يتولى الكتابة فى الديوان الإسلطانى للسلطان سليم الثالث ، وكان السلطان يحبه ويقربه ويثق به ، فلما قتل السلطان فرّ إلى مصر ، وعاش فى رعاية عزيزها محمد على باشا مكرماً إلى آخر حياته ...

ولقد كان السيد كاشف جد الأسرة التيمورية من رجال السيف ، وقد جاء إلى مصر فى رفقة محمد على مع الجند الذين أرسلهم السلطان لتثبيت سلطة الخلافة العثمانية على مصر بعد خروج الفرنسيين منها واضطراب الأحوال فيها ، وقد كانت بينه وبين محمد على فى أول أمرهما صداقة ومودة . فلما تم الأمر

الذين سأكون واحداً منهم ليس من اللياقة أن أحبس عنهم حقيقة زوتى ، فجمعت أطراف شجاعتى « وصححت » المعلومات التى وصلتهم عنى . وما كنت أدرى أننى بهذا القول قد بخست فى نظرهم من قدر نفسى ، فلم أكد أصل منزلى ، حتى لحق بى رسولى ، والغضب باد على وجهه ، وهو يصيح فى وجهى : لقد أفسدت كل شىء ! قلت : ماذا ؟ قال : مالك وللحديث عن أطيانك ؟ لماذا لا تتركهم فى ضلالتهم ؟ لقد اعتذروا من عدم قبولك صهراً لهم ، وفهمت أن السبب هو أنك قلت لهم إنك لا تملك شيئاً . أو ما كان الأحرى أن تموه عليهم حتى ينتهى كل شىء ؟ قلت : لا أستطيع . وإياك أن تفعلى هذا مرة ثانية . قال : إذن فأعفنى من هذه المهمة ووداعاً ياصديق ! قلت : وداعاً

* * *

وكنت ذات يوم منهمكاً فى عملى ، وقد قدرت للفراغ منه ساعة من زمان ، وإذا بزميل لى يقتحم على الباب ، والبشر يطفح من وجهه ، ويقطع علىّ سلسلة أفكارى ، وهو يدندن بألفاظ لم أفهم لها معنى . ثم قال : أما تهنئنى ؟ قلت : بلى ، ماذا أصبت ؟ قال : كنت مع المدير الآن أحمل إليه « توصية » من فلان باشا وقد وعدنى بترقيتى فى الشهر القادم . قلت : ولكننا لا زلنا على بعد ستة أشهر من الميزانية الجديدة ؟ قال : وما شأن الميزانية الجديدة الآن ؟ قلت : لأن الترقية إنما تكون على درجات خالية وقد استنفدت المصلحة فى ترقياتها الأخيرة جميع ما لديها من درجات . قال : كيف ، وقد وعدنى بما قلت لك ؟ قلت : لقد خدعك . قال : هذا محال ؛ وخير لك أن تبشر ولا تنفر . قلت : لقد أعذر من أنذر . قال : لا ، إنك تسعي بقولك هذا فى تثبيط همتى ، ولا تود لى خيراً ؛ إن المدير لا يكذب . قلت : شأنك وما تريد . قال : الآن قد كشفت ما تنطوى عليه نفسك من حسد لى ، وحقد على ، وكان أولى بك أن تفرح لفرحى . قلت : لو أن هناك ما يستحق الفرح . فانفلت زميلى من الغرفة حانقاً ولم أعد أرى وجهه . ثم مضى شهر أعقبه شهر آخر ، ثم تلته شهور أخرى وصاحبى لا يزال ينتظر الترقية الموعودة . ولكن هذا لم يحل دون تجنبه إياى ، ونشره بين زملائى أن فلاناً يكره الخير للناس ، ثم روايته القصة بصوره تؤيد ادعاءه . وما أقل المحققين للأخبار !

دكتور

عبد العزيز برهام

لمحمد على باشا فى الولاية على مصر ، فرب إليه صاحبه القديم ، وأخذ يعتمد عليه فى تنفيذ خططه وتدبيراته ، وقد كان ساعده فى حادثة الفتك بالمماليك فى مأدبة القلعة ، كما كان عضـده فى إخماد ما كان من فتن وما قام من ثورات ، ولما أرسل محمد على ابنه طوسون على رأس الحملة المصرية لحرب الوهابيين أرسل برفقته السيد محمد ، فأبلى فى هذه الحرب بلاء حسناً ، وكان أن عينه محمد على كاشفاً على الشرقية ، وهو مثل منصب المدير فى هـذه الأيام ، ومن ثمّ لزمه لقب كاشف وعرف به ، حتى إذا ما استقرت الأمور فى الحجاز عينه والياً للروضة الشريفة ، فبقى هناك خمس سنوات ، ثم عاد إلى مصر ، وتخلى عن الأعمال الرسمية ، ولـكنه بقى مع محمد على على حسن الصلة والمودة . وفى أواخر حياته انقطع للعبادة ، وعكف على الأخذ بأسباب الصلاح والتقوى حتى توفى عام ١٨٤٨ م وهو فى حدود الثمانين من العمر ولم يترك من الخلف إلا ابنه إسماعيل .

لم ينشأ إسماعيل على غرار والده ، ولم يكن له مثل غرامه بالجندية وأساليب النضال ، ولـكنه نشأ من صغره وفى طبعه الميل إلى العلم والأدب ، وقد عنى والده بإشباع رغبته ، فأحضر له المعلمين فى العلوم العربية والدينية ، وعهد إلى أحد رجال الترك الأفنداذ بتعليمه اللغة التركية وآدابهـا ، ولقد كان هذا التعليم المنزلى للعلوم الإسلامية والآداب التركية هو المظهر السائد بين الأسر الـكبيرة فى مصر يومذاك ، إذ كانت روح الدولة إسلامية خالصة ، وكانت الصلة بين مصر وتركيا صلة خلطة ونسب ودين أكثر مما هى صلة حكم ، وكان رجال الحـكومة كلهم أو جلهم من الأتراك ، وكانت الطبقة العالية تتكون من الأسر التركية التى وفدت على مصر فملـكت الضياع والثروات والمناصب ، ومن ثم كانت اللغة التركية والآداب التركية لها مـكانة كبيرة فى نفوس الخاصة ، وكانت الأسرات الـكبيرة تحرص عليهـا وتراها غاية الـكمال فى تثقيف أبنائهم وإعدادهم لمناصب الحـكومة ودواوينها ، كما هو الشأن اليوم فى الحرص على تعلم الإنجليزية والفرنسية .

برع إسماعيل فى الإنشاء التركى ، وأخذ بحظ وافر من الثقافة التركية ، لهذا ولما كان من متانة الصلة بين والده وبين محمد على باشا ، فقد شمله محمد على بعطفه ، واتخذه كاتباً خاصاً له ، ثم عينه وكيلا لمديرية الشرقية التى كان والده كاشفاً عليها من قبل ، ثم زاد فى العطف عليه فعينه مديراً ، وظل إسماعيل فى هـذا المنصب ينتقل من مديرية إلى أخرى . ولـكن يظهر أن حياة الإدارة وما تقتضيه من الصرامة لم توافق طبعه الأدبى وإحساسـه المرهف ، ولهذا سعى بنفسه عند محمد على فى التخلى عن هذا المنصب والعودة إلى الديوان فحقق له رغبته ... ولمـا تولى عباس باشا الأول عينه وكيلا لديوان كتخدا ، وكان أكبر ديوان فى الحـكومة المصرية ، وكان وكيله يعتبر أكبر رجال الدولة بعد الوالى ، فله الإشراف على جميع شئون الدولة مثل ما لرئيس الوزراء فى هذه الأيام ، ومنصب كهذا يقتضى لا شك من صاحبه كثيراً من اليقظة والحذر ، ولـكن إسماعيل كما قلنا كان صاحب طبع أدبى لا يسنده فى مثل هذا المركز السياسى ، ولهذا لم يلبث أن عزل من هذا المنصب بوشاية كاشح ، غير أن عباس باشا تبين حقيقة الأمر فأعاده ناظراً لخاصته . ولمـا تولى سعيد باشا أرجعه إلى الديوان كما كان من قبل ، ولـكنه لم يلبث أن استقال لإهانة لحقته من الوالى ، وكأن الرجل كان قد عاف الحياة الحـكومية وشبع منها ، أو كأن ما أحاط به من ظروف اضطرته إلى الخروج من الديوان الخديوى مرتين قد بغضه فى تلك الحياة فظل بقية عهد سعيد وشطراً كبيراً من عهد إسماعيل منعزلا عن الناس ، عاكفاً على كتبه وتدبير الأمور فى أملاكه ، وجعل من داره نادياً للسمر والمذاكرة مع أهل العلم والأدب . وفى آخر حياته أنعم عليه إسماعيل باشا برتبة الباشوية ، واختاره ناظراً لخاصة ولى عهده توفيق باشا ، ولـكنه توفى بعد ستة شهور من تولى هذه النظارة سنة ١٨٧٢م ولم ينجب إلا ابنتين كبراهما السيدة عائشة عصمت تيمور الشاعرة المعروفة ، وابنا هو المغفور له أحمد تيمور باشا ، كما ترك خزانة كتب تضم كثيراً من النوادر ، وخاصة فى اللغة التركية وآدابهـا ، ولـكنها ضاعت وبعثرت ، ولم يبق منها إلا فهرسها ...

نشأ المغفور له أحمد تيمور يتيما ، لم ير والده ، ولم يتمتع بحنان الأبوة ، فقد ولد عام ١٨٧١ م ، أى قبل وفاة والده بعام واحد ، فتعهدته شقيقته الـكبرى السيدة عائشة تيمور بالرعاية ، وتولته بالتثقيف ، والتعليم ، وكان الابن صورة ممتدة للأب فى هدوء الطبع ، والميل إلى العلم ، والشغف بالثقافـة ، فدرس العلوم

الأولية على مدرسين خصوصيين بالمنزل ، ثم أخذ يدرس اللغة العربية على الشيخ رضوان محمد أحد العلماء المشهورين فى ذلك العهد واللغة الفرنسية فى مدرسة كلير ثم على الأستاذ عبيدبك ، كما أخذ فى دراسة التركية والفارسية . وكان بطبعه ميالا إلى الإفادة والتحصيل ، فنبغ فى دراسة اللغات الأربع . وإذا كان أحمد تيمور لم يحضر عهد والده ولم يتمتع بتلك الندوة العامرة التى كان يقيمها فى بيته لمذاكرة العلماء ومسامرة الأدباء ، فإن الله قد هيأ له من ذلك ندوة أحفل فى دار ابن أخته محمود توفيق بك ، فكان يتردد عليها للافادة . ويحدثنا تيمور باشا بطرف من أخبار هـذه الندوة فى الترجمة التى كتبها لصديقه محمد أفندى أكمل فيقول : « وكان أول التقائى بالمترجم فى دار ابن أختى محمود توفيق بك ، وهى إذ ذاك مجمع الأدباء ومحط رحال الفضلاء ، فلما رأيته استغربت شكله واستملحت محاضرته ، ثم رأيته يناقش الأدباء ويطارحهم الشعر ، فدنوت منه وكنت صغيراً فى أول الطلب ، وقد تعذر على فهم باب أفعل التفضيل ، وأجهدت نفسى فى درسين متواليين على تفهمه ، فلم يفتح على بشىء فيه ، فسألته عنه فأوضحه لى بعبارة سهلت على فهمه ، فكان بعد ذلك كثيراً ما يقول لى ممازحاً : إذا ذكرت شيوخك فاذكرنى معهم ولا تنسنى ... »

وهناك شيخان جليلان تتلمذ عليهما أحمد تيمور ، وكان لهما أبعد الأثر فى توجيهه وفى ثقافته ، وكان رحمه الله يذكرهما دائماً بالإجلال والتبجيل ، أولهما العلامة اللغوى الشيخ محمد محمود الشنقيطى ، وثانيهما العلامة المنطقى الشيخ حسن الطويل .

أما الشنقيطى فقد كان تيمور باشا يقصد إليه فى داره ، ويجلس أمامه لتلقى الدرس ، وكان الوقت يطول به وهو متربع على الأرض ، فكان حينما يشعر بألم ويريد أن يبدل رجلا بأخرى يقول الشنقيطى له : لا تتألم يا أحمد ، فقد كنا نقطع بالراحلة شهوراً وراء البحث والاستقصاء عن مسألة علمية . ويحكى تيمور باشا عن نفسه فيقول : وأشار على مرة أستاذنا العلامة الشنقيطى أن أطالع أمالى أبى على القالى مطالعة إمعان وتدبر ، ولم تكن طبعت بعد ، فاستنسخت منها كراريس عكفت على مطالعتها ، واحتجبت عن الناس بضعة أيام ، حتى استوفيت ما بهذه الكراريس ...

وأما الشيخ حسن الطويل فيظهر أنه كان أشد خلطة وأعلق بنفس أحمد تيمور ، وهو يعتبره أستاذه الذى قومه وثقفه وأخذ بيده إلى الطريق المستقيم ، وقد كتب تيمور باشا ترجمة مطولة لهذا الأستاذ الفاضل أورد فيها سبب اجتماعه به وتحدث عن مدى انتفاعه بعلمه وفضله فقال : « أما سبب اجتماعى به وقراءتى عليه ، فإنى كنت خرجت من المدارس بعد تلقى ما يتلقى بها من العلوم المعروفة وأنا فى سن العشرين ، وقد علق بالعقيدة شىء من آثار التربية بهذه المدارس ، إلا أنى كنت مولعاً من الصغر بالإسلام ومحاسنه والمطالعة فى السيرة النبوية ، ومناقب الأصحاب والخلفاء الراشدين ، فكان ينشرح صدرى لأشياء وينقبض من أشياء تعرض لى فيها شبهات ، ثم كنت أعرض ما يظهر لى من مكارم الشريعة ومقاصدها على ما عليه الناس من البدع والمحدثات التى تمسكوا بها وجعلوها من الأصول الدينية ، فأجد التصادم والتناقض ، فصرت أتردد على كثير من كبار علماء الأزهر وغيرهم لعلى أجد عندهم مفرجاً ، فأراهم أحرص من العامة على هذه الخزعبلات حتى كدت أحكم بأنها من الدين ، وأن الأمر دائر بين شيئين : فإما أن يكون الدين دين خرافات وخزعبلات تنفر منها الطباع السليمة ، وإما أن يكون ما نراه حقاً ، ولكن يمنعنا من قبوله إلحاد تأصل فى النفس ، حتى أرشدنى بعض الأصحاب للمترجم ، فأخذت فى السؤال عنه من أهل العلم ، فكانوا ينفروننى منه حتى بالغ بعضهم ورماه بالزندقة ، فقلت : إذا كنت لم أجد طلبتى عند من تسمونهم بالصلاح والورع فلعلى أصيبها عند الزنادقة . ثم سعيت فى الاجتماع به ، وسألته القراءة عليه والاهتداء بهديه ، فقرأت عليه العلوم العربية والمنطق ، وأعدت عليه الصرف وعلوم البلاغة بتوسع ، ثم قرأت طرفاً من الحكمة . ولما رآنى مجداً فى التحصيل قرر لى درساً ثانياً بعد العشاء كنا نقرأ فيه كتب الأدب ونحوها . وكان من عاداته الخروج إلى الريف كل خميس ترويحاً للنفس ، فكان يسافر إلى ضيعتنا التى بقويسنا أو إلى حلوان حينما نسكن بها شتاء ، فكنت أقضى معه هذين اليومين فى مطالعة واشتغال ، حتى فى حالة المشى والتنزه كنت أحمل الكتاب معى وأسمعه فيه ، فيقرر لى المسائل ونحن سائران . . . فكان اجتماعى به ومصاحبتى إياه من أكبر نعم الله علىّ فى دينى ، ولو لم يكن له على سوى تصحيح العقيدة وتأديبى بآداب الحنيفية السمحة لكفى

« للحديث بقية »

محمد فهمى عبد اللطيف

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غني
سفير إيران بمصر

— ٥ —

يقول ابن سينا فى المقدمة المذكورة :

« وبعد » فقد نزعت الهمة بنا إلى أن نجمع كلاماً فيما اختلف أهل البحث فيه لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة أو ألف ، ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفاً عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا فى كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم ، مع اعتراف منا بفضل أفضل سلفهم (يعنى أرسطو) فى تنبيهه لما نام عنه ذووه واستاذوه ، وفى تمييزه أقسام العلوم بعضها عن بعض ، وفى ترتيبه العلوم خيراً مما رتبوه ، وفى إدراكه الحق فى كثير من الأشياء ، وفى تفطنه لأصول صحيحة سرية فى أكثر العلوم وفى إطلاعه الناس على ما بينها فيه السلف وأهل بلاده ، وذلك أقصى ما يقدر عليه إنسان يكون أول من مدّ يديه إلى تمييز مخلوط وتهذيب مفسد ويحق على من بعده أن يلموا شعثه ويرموا ثلماً يجدونه فيما بناه ويفرعوا أصولا أعطاها فما قدر من بعده على أن يفرغ نفسه عن عهدة ما ورثه منه وذهب عمره فى تفهم ما أحسن فيه والتعصب لبعض ما فرط من تقصيره ، فهو مشغول عمره بما سلف ، ليس له مهلة يراجع فيها عقله ، ولو وجدها ما استحل أن يضع ما قاله الأولون موضع المفتقر إلى ما زيد عليه أو إصلاح له أو تنقيح إياه .

وأما نحن فسهل علينا التفهم لما قالوه أول ما اشتغلنا به ولا يبعد أن يكون قد وقع إلينا من غير جهة اليونانيين علوم وكان الزمان الذى اشتغلنا فيه بذلك ريعان الحداثة ، ووجدنا من توفيق الله ما قصر علينا بسببه مدة التفطن لما أورثوه . ثم قابلنا جميع ذلك بالنمط من العلم الذى يسميه اليونانيون (المنطق) — ولا يبعد أن يكون له عند المشرقيين اسم غيره — حرفاً حرفاً فوقفنا على ما تقابل وعلى ما عصى ، وطلبنا لكل شيء وجهة فحق ما حق وزاف ما زاف .

ولما كان المشتغلون بالعلم شديدى الاعتزاء إلى (المشائين) من اليونانيين كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور فانحزنا إليهم وتعصبنا للمشائين إذ كانوا أولى فرقهم بالتعصب لهم — وأكملنا ما أرادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا أربهم منه وأغضينا عما تخبطوا فيه ، وجعلنا له وجهاً ومخرجاً ونحن بدخلته شاعرون وعلى ظله واقفون . فإن جاهرنا بمخالفتهم ففى الشيء الذى لم يكن الصبر عليه ، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل . فمن جملة ذلك ما كرهنا أن يقف الجهال على مخالفة ما هو عندهم من الشهرة بحيث لا يشكون فيه ويشكون فى النهار الواضح . وبعضه قد كان من الدقة بحيث تعمش عنه عيون هؤلاء الذين فى العصر — فقد بلينا برفقة منهم عارى الفهم كأنهم خُشب مسندة يرون التعمق فى النظر بدعة ، ومخالفة المشهور ضلالة كأنهم الحنابلة فى كتب الحديث لو وجدنا منهم رشيداً أثبتناه بما حققناه — فكنا ننفعهم به ، وربما تسنى لهم الإيغال فى معناه فعوضونا منفعة استبدوا بالتنفير عنها .

ومن جملة ما ضننا بإعلانه عابرين عليه — حق مغفول عنه يشار إليه فلا يتاتى إلا بالتعصب . فلذلك جرينا فى كثير مما نحن خبراء بجدته مجرى المساعدة دون المحاقة . ولو كان ما انكشف لنا أول ما انصببنا إلى هذا الشأن لم نبد فيه مراجعات منا لأنفسنا ومعاودات من نظرنا — لما تبينا فيه رأياً ولاختلط علينا الرأى ومرى فى عقائدنا الشك ، وقلنا لعل وعسى . لكنكم أصحابنا تعلمون حالنا فى أول أمرنا وآخره وطول المدة التى بين حكمنا الأول والثانى ، وإذا وجدنا صورتنا هذه فبالحرى أن نثق بأكثر ما قضيناه وحكمنا به واستدركناه ، ولا سيما فى الأشياء التى هى الأغراض الكبرى والغايات القصوى التى اعتبرناها وتعقبناها مئين من المرات . ولما كانت الصورة هذه والقضية على هذه الجملة ، أحببنا أن نجمع كتاباً يحتوى على أمهات العلم الحق الذى استنبطه من نظر كثيراً وفكر ملياً ، ولم يكن من جودة الحدس بعيداً واجتهد فى التعصب لكثير فيما يخالفه الحق فوجد لتعصبه وما يقوله وفاقاً عند الجماعة غير نفسه ، ولا أحق بالإصغاء إليه من التعصب لطائفة إذا أخذ يصدق عليهم فإنه لا ينجيهم من العيوب إلا الصدق .

وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلا لأنفسنا — أعنى الذين يقومون منا مقام أنفسنا — وأما العامة من مزاولى هذا الشأن

فقد أعطيناهم في (كتاب الشفاء) ماهو كثير لهم وفوق حاجتهم، وسنعطيهم وفي اللواحق ما يصلح لهم زيادة على ما أخذوه، وعلى كل حال فالاستعانة بالله وحده ».

ويظهر لنا من هذه المقدمة الفرق الشاسع بين المترجمين ومتتبعي فلسفة اليونان الذين كانوا يتلقون آراء فلاسفة اليونان في جميع الأحوال بأحسن قبول ويعتبرون عقولهم منتهى ما يصل إليه العقل، وبين الحكماء أصحاب الرأي والنظر من المتأخرين أمثال ابن سينا ممن لم يكونوا يرون في عقول فلاسفة اليونان أقصى مايبلغه العقل البشري ولم يكونوا يتقبلون آراءهم كحقائق لا تقبل الشك والجدل.

كان يرى الشيخ الرئيس أن فلسفة أرسطو تعتبر كاملة لزمان أرسطو فحسب، وأن للأجيال القادمة أن تبدي فيها رأيها تنقدها وتصحح ما تراه فيها من الخطأ كما كانت نظرة الرازي لأراء جالينوس في الطب.

وهناك أمر آخر أرى من المناسب أن أشير إليه وهو أن ابن سينا لم يقتصر في كتابه (الشفاء) وهو عن فلسفة المشائين — على نقل ما وصله من أقوال أرسطو عن طريق التراجم بل أنه (أي كتاب الشفاء) هو حاصل ما فهمه هو نفسه من فلسفة أرسطو

اتصل أبو عبيد الجوزجاني تلميذ الشيخ وصاحبه وجامع أكثر كتبه بابن سينا في جرجان وصاحبه حتى آخر أيام حياته أي ما يقارب خمسة وعشرين عاماً ولازمه في كل حال وكل مكان لم ينفك عنه في سفر أو حضر، وكان الراوي الثقة الذي نقل إلينا تاريخ حياة الشيخ.

يقول أبو عبيد هذا في شرح أحوال الشيخ : « ثم سألته أنا شرح كتب أرسطو طاليس فذكر أنه لا فراغ له إلى ذلك الوقت، وقال ولكن إن رضيت مني بتصنيف كتاب أورد فيه ما صح عندي من هذه العلوم بلا مناظرة مع المخالفين ولا اشتغال بالرد عليهم، فعلت ذلك، فرضيت به.

وكان بعد محمد بن زكريا الرازي وقبل زمن الشيخ الرئيس ابن سينا طبيب آخر وهو علي بن العباس المجوسي الأهوازي، وكان تلميذاً لأبي ماهر موسى بن سيار المجوسي وله كتاب جامع في الطب اسمه (كامل الصناعة الطبية) ألفه وقدمه لعضد الدولة الديلمي الملقب بشاهنشاه أو ملك الملوك. وكان طبيبه الخاص ومن هنا سمي الكتاب بالملكي.

ينتقد علي بن العباس في مقدمة مؤلفه هذا — وهو من الآثار الخالدة في الطب الإسلامي، جميع الأطباء الكبار الذين سبقوه.

تراه يقول في المقدمة المذكورة :

فأما أبقراط الذي كان أمام هذه الصناعة وأول من دونها في الكتب فقد وضع كتباً كثيرة في كل نوع من أنواع هذا العلم، منها كتاب واحد جامع لكثير مما يحتاج إليه طالب هذه الصناعة ضرورة، وهذا الكتاب هو كتاب الفصول، وقد يسهل جمع هذه الكتب حتى تصير كتاباً واحداً حاوياً لجميع ما قد يحتاج إليه في بلوغ غاية هذه الصناعة، إلا أنه استعمل فيه كسائر كتبه الإيجاز حتى صارت معان كثيرة من كلامه غامضة يحتاج القارىء لها إلى تفسير، وأما جالينوس المقدم المفضل في هذه الصناعة فإنه وضع كتباً كل واحد منها مفرد في نوع من أنواع هذا العلم وطول الكلام فيه وكرره لما احتاج إليه من الاستقصاء في الشرح وإقامة البراهين والرد على من عاند الحق وسلك سبيل المغالطين، ولم أجد له كتاباً واحداً يصف فيه ما يحتاج إليه في درك هذه الصناعة وبلوغ الغرض المقصود إليه منها للسبب الذي ذكرته آنفاً.

وقد وضع أوريباسيوس كتباً وكذلك فولس الأجنطي ورام كل واحد منهما أن يبين في كتابه جميع ما يحتاج إليه، فوجدت أوريباسيوس قد قصر في كتابه الصغير الذي وضعه لابنه (أوناقس) وإلى عوام الناس، فلم يذكر في الكتاب الذي وضعه لابنه (اسطات) في تسع مقالات فإنه لم يذكر فيه شيئاً من الأمور الطبيعية التي هي الاستقصات من الأمزجة والأخلاط والأعضاء والقوى والأفعال والأرواح إلا اليسير، ولم يذكر في هذين الكتابين شيئاً من العمل باليد؛ فأما كتابه الكبير الذي وضعه في سبعين مقالة فلم أجد فيه إلا مقالة واحدة فيها ذكر تشريح الأعضاء. وأما فولس فلم يذكر في كتابه من الأمور الطبيعية إلا اليسير. وأما أمر الأسباب والعلامات وسائر أنواع المداواة والعلاج باليد فقد بالغ في بيانه؛ إلا أنه لم يذكر ما ذكره في كتابه على طريق من طرق التعليم. وأما المحدثون فلم أجد لأحد منهم كتاباً يصف فيه جميع ما يحتاج إليه في مداواة

الأمراض والعلل وأسبابها وعلاماتها وما سوى ذلك فذكره على جهة الإيجاز من غير شرح واضح ؛ ومع ذلك فإن ترجمته ترجمة سوء رديئة تعمى على القارئ له كثيراً من المعانى التى قصد إلى شرحها ولا سيما من لم ينظر فى ترجمة حنين وأشباهه . وأما يوحنا بن سرابيون فإنه وضع كتاباً يذكر فيه شيئاً سوى مداواة العلل والأمراض التى تكون بالأدوية والتدبير ولم يذكر العلاج الذى يكون باليد ، وترك أشياء كثيرة من العلل ولم يذكرها من ذلك أنه ترك من علل الدماغ ذكر العلل المعروفة بالقطرب والعشق والاسترخاء الحادث عن القولنج ولم يذكر فى علاج العين مداواة النتوء على ما ينبغى ولم يذكر علاج السرطان فى العين وغير ذلك من علل الأجفان .

وأما مسيح فإنه وضع كتاباً نحا فيه النحو الذى نحاه هرون فى قلة شرح الأمور الطبيعية والأمور التى ليست بطبيعية مع سوء ترتيبه لما وضعه فى كتابه من العلم وقلة معرفته بتصنيف الكتب .

وأما محمد بن زكريا الرازى فإنه وضع كتابه المعروف بالمنصورى وذكر فيه جملا وجوامع من صناعة الطب ولم يغفل عن ذكر شىء مما يحتاج إليه ، إلا أنه لم يستقص شرح ما ذكره لكنه استعمل فيه الإيجاز والاختصار وهذا كان غرضه وقصده فيه ؛ فأما كتابه المعروف بالحاوى فوجدته قد ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه المتطببون من حفظ الصحة ومداواة الأمراض والعلل التى تكون بالتدبير بالأدوية والأغذية وعلاماتها ، ولم يغفل عن ذكر شىء مما يحتاج إليه الطالب لهذه الصناعة من تدبير الأمراض والعلل ؛ غير أنه لم يذكر فيه شيئاً من الأمور الطبيعية كعلم الاستقصات والأمزجة والأخلاط وتشريح الأعضاء ولا العلاج باليد ولا ذكر ما ذكره من ذلك على ترتيب ونظام ولا على وجه من وجوه التعاليم ولا جزأه بالمقالات والفصول والأبواب . والذى يقع لى من أمره وأتوهمه على ما يوجبه القياس من علمه ومعرفته لصناعة الطب وتصنيف الكتب وفهمه فى هذا الكتاب إحدى الحالتين : إما أن يكون وضعه وذكر فيه ما ذكر من جميع علم الطب ليكون تذكرة له خاصة يرجع إليه فيما يحتاج من حفظ الصحة ومداواة الأمراض عند الشيخوخة ووقت الهرم أو النسيان أو خوفاً من آفة تعرض لكتبه فيعتاض منها بهذا الكتاب ، وكذلك لكثرة تجريده التآليف من التعظيم ، وإما أن ينتفع الناس به ويكون له ذكر حسن من بعده ، فعلق جميع ما ذكره فيه تعليقاً ليعود فيه فينظمه ويرتبه ويضيف كل نوع منه إلى ما يشاكله ويثبته فى بابه على ما يليق بمعرفته لهذه الصناعة فيكون الكتاب بذلك كاملا تاماً فعاقه عن ذلك عوائق وجاءه الموت قبل إتمامه ؛ فإن كان إنما قصد به هذا الباب فقد طول فيه الكلام وعظمه من غير حاجة اضطرارية دعته إلى ذلك حتى قد عجز أكثر العلماء عن نسخه واقتنائه إلا اليسير من ذوى اليسار من أهل الأدب فقل وجوده ، وذلك أنه ذكر فى صفة كل واحد من الأمراض وأسبابه وعلاماته ومداواته ما قاله كل واحد من الأطباء القدماء والمحدثين فى ذلك المرض من أبقراط وجالينوس إلى إسحق بن حنين ومن كان بينهما من الأطباء القدماء والمحدثين ولم يترك شيئاً مما ذكر كل واحد منهم من ذلك إلا أورده فى هذا الكتاب وعلى هذا القياس فقد صارت جميع كتب الطب محصورة فى كتابه هذا .

وأما أنا فإنى أذكر فى كتابى هذا جميع ما يحتاج إليه فى حفظ الصحة ومداواة الأمراض والعلل وطبائعها وأسبابها والأعراض التابعة لها والعلامات الدالة عليها مما يستغنى الطبيب الماهر عن معرفته إلى أن يقول (وأنا ممثل لك مثالا للطريق الذى أسلكه فى كتابى هذا من صفة الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها وأجمل ذلك فى ذات الجنب) .

(يتبع)

منارة الماضي :

زيارة لحصن الأكراد
ادب وحرب

للأستاذ أحمد رمزى بك

(تتمة ما نشر فى العددين السابقين)

٣٩ — ويرجع الفضل إلى إحراز هـذا النصر إلى عقيدة القضـاء على الفرنج وإنهاء الحروب الصليبية إنهاء تاماً ، تلك العقيدة التى تملـكت عقول الجنود والقواد وملوك مصر منذ بدأ بيبرس حملاته والتى تتلخص فى الاستيلاء على الحصون والقلاع وعدم ترك الفرصة حتى تسترد الولايات اللاتينية استمدادها مرة أخرى ، وعليه أفرغ كتاب الفرنج جعبة شـتائمهم على هؤلاء الأبطال ، وكتب جبون مؤرخ الحروب الصليبية يقول : « ساد سكون محزن غريب مظلم على طول ذلك الشاطىء الذى ظل زماناً طويلا تتردد فيه أصداء النزاع العالمى وتمر عليها كتائب المقاتلة »

٤٠ — أنشـأ الصليبيون معاقل وأبراجاً فى الحصون التى احتلوها تشهد لهم بطول الباع والأناة وللعرب والبيزنطيين ، بل وللفرس وغيرهم آثار تشهد لهم أيضاً :

وهذا فن يهم أربابه ، وقد أخرجت البعثة الفرنسية حجارة نحتها العرب وأخرى نحتها الفرنج من أسوار حصن الأكراد ، وفى أسوار قلعـة القاهرة من الحجارة ما نحته أسرى الفرنج ، فقد كانت الطريقة المتبعة استعمال الأسرى فى هذه الأعمال .

٤١ — وقد استعمل حصن الأكراد وغيره من الحصون فى فترات الهـدوء التى دامت بين هجومين عظيمين : استعمل كرأس حربة مدة احتـلاله بالصليبيين لإدخال الرعب فى قلوب المسلمين ، ثم كلجأ يلجأ إليه المقاتلة والفرسان بعد عودتهم من حملة موفقة ليستجموا ويستعيدوا قوتهـم ليعودوا مرة أخرى إلى الغزو .

٤٢ — وقد بقى حصن الأكراد ١٣٠ عاماً وهو رأس حربة كما قلنا يهددون بها حمص وما حولها ، ويحولون دون المسـلمين والاتصال بالجهات التى تحت حكمهم فى بعلبك والبلاد الأخرى المجاورة لها .

٤٣ — ولـما شعر المسلمون بأهمية هذا الموقع العسكرى وأذاه فى صـفوفهم لجأوا إلى نور الدين الشهيد صاحب دمشق الذى جمع جنوده فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ونزل تحت حصن الأكراد ، فبينما هو فى معسكره وفى وسط النهار ، دهمته كتائب الفرنج من خلف الجبل القـائم عليه الحصن ، وأحاطت بالجيش الإسلامى وهو على غير أهبة فأعملت فيه السيف ، وقصد الافرنج خيمة العادل نور الدين ، فكاد أن يقع أسيراً لولا رباطة جأشه وسرعة خاطره إذ خرج من الباب الخلفى وركب فرساً للنوبة ، وكانت بقيدها الخلفى فنزل أحد أتباعه من الأكراد فحلها وقتل لساعته ، ولولاه لوقع نور الدين فى الأسر .

٤٤ — وفى هـذه الحادثة بالذات يقول أبو الفرج عبيد الله ابن سعد الموصلى من قصيدة فائقة :

بنى الأصافر ما نلتم بمكركم ... والمكر فى كل إنسان أخو الفشل
وما رجعتم بأسرى خاب سعيكم ... غير الأراذل والأتباع والسفل
هل آخذ الخيل قد أردى فوارسها ... مثال آخذها فى الشكل والطول
أم سالب الرمح مركوزاً كسالبه ... والحرب دائرة من كف معتمل

وفيها يخاطب نور الدين :

لا نـكبت هتك الأقدار عن غرض ... ولا انثنت يدك الأيام عن أمل

٤٥ — وبرغم ما فى القصيدة من محاولة الاعتذار أمام الهزيمة والفرار ، فإن العملية الحربية الصليبية كانت ناجحة إذ تجلى فيها عنصر المفاجأة وظاهرة السرعة بدليل تتبع المنهزمين حتى حمص . والفضل للموقع الممتاز لحصن الأكراد ، ذلك الموقع الذى أتعب المسلمين أكثر من قرن من الزمن كما قلنا .

٤٦ — ولدينا من قبيـل هذا المقال الـكثير من الهجمات والمتاعب التى سببتها حامية حصن الأكراد الصليبية لمدينتى حمص وحماة وغيرهما من بلاد المسلمين .

ففى عام ٥٩٩ زحف الفرنج من حصن الأكراد إلى مدينـة حماة فركب صاحبها وحاربهم فى رمضان . وجاء فى السلوك ضمن حوادث سنة ٦٠٣ أن الملك العادل الأيوبى صاحب مصر خرج من مصر إلى العباسة ومنها إلى دمشق ثم برز إلى حمص ، وذلك

عقب الحملات المتتالية التي شنتها حامية حصن الأكراد وتمدد الغارات على كل من حمص وحماة، ونازل الحصن وأسر خمسمائة رجل من أطرافه. ولقد نازله قبله صلاح الدين وغيره من ملوك المسلمين ولكنها كانت جميعاً حملات تمرضية استكشافية، أو إذا شئت تأديبية ضد المقاتلين من جماعة الصليبيين المستحكمين في هذه القلعة ولم يعقبها حصار كامل الأهبة والاستعداد كما حدث بعد ذلك.

٤٧ — وقد بقي هذا الحصن قذى في أعين المسلمين يهدد بلادهم حتى تم فتحه في عام ٦٦٨ هجرية على يد الملك الظاهر بيبرس سلطان مصر وصاحب الفتوحات وهو ما سنفرد له فقرة خاصة تأتي بعد ذلك.

٤٨ — وقبل أن يتم الفتح على يديه اتبع طريقة أسلافه، وهي المجاب التمرضية السريعة لجس نبض الحامية واستنفارها للخروج من وراء الخنادق والأبراج؛ ففي هذا العام أي في ٣ جمادى سنة ٦٦٨ ركب الملك في مائتي فارس وأغار على أطراف الحصن ثم صعد إلى الرابية ومعه قدر أربعين من الفرسان فخرج عليه عدة من الفرنج ملبسين بالدروع فحمل عليهم وقاتلهم وتتبعهم حتى دخلوا الحصن. وتقول الرواية إنه صاح بهم ليدعوا رفقاءهم إلى الخروج، وأشار إلى عدد من معه وأنهم جميعاً بأقبية بيض أي غير مدرعين بالزرد والحديد.

وتشير الرواية إلى أنه عاد إلى مخيمه وأطلق الخيول في المروج الخضراء والمزارع التي كانت حول الحصن.

٤٩ — وكانت هذه آخر الحملات التأديبية إذ سقط الحصن بعدها في أيدي الملك الظاهر الذي بادر إلى ترميمه وإعادة إصلاح أبراجه وخنادقه واتخاذه نقطة ارتكاز لجيوشه في عملياته الحربية ضد الفرنج المحتلين لمقاطعة طرابلس، فأصبح حصن الأكراد رأس حربة موجها إلى الغرب بعد أن كان موجها إلى الشرق أي إلى قلب الأراضي الإسلامية.

٥٠ — ولهذا الوضع أمثلة في الحروب الحديثة فإن الزائرين لمنطقة جبال الكارسو في شمال إيطاليا لابد عاينوا الحصون الكائنة في جهة سان ميشيل وسابوتينو حيث لا تزال أماكن المدفعية التي استعملها النمسيون وأماكن تلك التي استعملها الإيطاليون بعدهم ظاهرة.

٥١ — وتحدثنا الرواية بالتفصيل عن بعض ما قام به الملك الظاهر فقد أمضى أياماً في الصيد، وكان يصنع السهام بيده وريش النشاب، وكان يحضر العمارة بنفسه ويشحذ همم العمال ويشجعهم بل كان يشمر وينقل الحجارة على كتفيه، وكان ينزل في الخندق ويحفر بيديه. ولما أتم العمارة وأعاد تركيب المنجنيقات أمر بتجربتها أمامه ليعرف أماكن سقوط حجارتها ومدى إصابتها للأهداف.

٥٢ — وتنتظم الحياة مرة أخرى بحصن الأكراد إذ تولى القيادة فيه الأمير حسام الدين قيماز الذي مر ذكره: وأطلق عليه اسم نائب حصن الأكراد والسواحل والفتوحات على رأس حامية مؤلفة من ٥٠٠ جندي وعشرة أمراء طبلخانة و ١٥ أمير عشرة

٥٣ — وبمقارنة هذه الحامية تظهر أنها أقل مما كان يحتل الحصن من جنود الصليبيين إذ كانت تتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣ آلاف وهؤلاء يدخل بينهم الخدم والزراع وطوائف من أهل البلاد.

٥٤ — وبعد حسام الدين قيماز تمين سيف الدين بلبان الطباخي ثم الأمير علم الدين سنجر الدواداري. ويوسع المهتمون بالتاريخ المصري استكمال هذا الكشف حتى يكون مكملا للكشف الذي ضم أسماء من تولوا القيادة بالحصن أيام الاحتلال الصليبي.

٥٥ — انتهى الحصن في عهد المنصور قلاوون إلى أن أصبح مركز تجمع الجيوش التي حشدت هناك للزحف على مقاطعة طرابلس، وكان الطباخي يقود الحامية من البرج الذي كان يحتله عميد الاستبار، ويبعث بطلائعه لاكتشاف الأماكن التي نزلها الجنود قبل حصار طرابلس.

٥٦ — وفي عهد الملك الأشرف خليل بن قلاوون اشتركت الحامية في أعمال الحصار الرائعة حول مدينة عكا وقد قامت ومعها المجانيق التي ركبها الملك الظاهر ومن بينها منجنيق هائل أطلق عليه اسم المنصوري.

٥٧ — أتينا بصورة من الحياة والقتال في الحصن في العهدين الصليبي والإسلامي لكي تسهل المقارنة وتركنا فتح الحصن على أيدي المسلمين جانباً حتى لا يكون فاصلا يضيع المقارنة بين العملين.

٥٨ — فقد أشرنا إلى عملية قام بها الملك الظاهر تشبه الهجمات التى اعتادها ملوك المسلمين وأمراؤهم ولم يكن يرمى من ورائها إلى هدف معين . وسترى فى حملته على حصن الأكراد كيف يلجأ إلى أساليب المفاجأة والسرعة وتضليل الخصم .

٥٩ — فى السنة التى أتم فيها الملك الظاهر إنشاء الجسر والقناطر القائمة بقرب شبرا ، قرر فتح حصن الأكراد الذى استعصى على غيره من الملوك والأمراء .

٦٠ — وإليك برنامج السفر : غادر القاهرة فى ١٨ جمادى الآخرة ، وصل دمشق الخميس ١٨ رجب ، وفى المدة السابقة لوصوله أى بين ١٨ جمادى و ١٨ رجب أشغل العدو إذ ابتدأت الحملات الخاطفة ضد قلاع الصليبيين فى :

جبلة . وسقطت حصون اللاذقية . صافيتا . المرقب . الجدل . القليمات . طرطوس :

٦١ — فى يوم ١٩ رجب الموافق ٣ مارس سنة ١٢٦٧ تجمعت قوات الملك الظاهر أمام حصن الأكراد .

ونلاحظ فى هذه الأعمال اختفاء الهدف الرئيسى حتى اللحظة الأخيرة .

٦٢ — جاء إليه ابنه الملك السعيد والأمير بيليك الخازندار وبمجرد وصولها بدأت أعمال الحصار : إذ أخذت الجنود فى نصب المجانيق وعمل الستائر لحماية الرماة .

٦٣ — اقتحمت الأسوار الثلاثة على التوالى عنوة ما عدا البرج الأخير الذى استحكم فيه فرسان الاسبتار حتى آخر مراحل الحصار .

٦٤ — فى ٧ شعبان سقطت الباشورة الثانية التى تؤدى إلى الحصن الداخلى ، ودخلت العساكر البلد بالسيف وأسروا من فيه من الجبلية والزارعين ثم أطلقوهم .

٦٥ — وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان طلبت الحامية الأمان فأمنهم الظاهر وتسلم البرج الأخير فدخله وكتبت البشائر وترتب أرباب الوظائف بالحصن من جهة المملكة المصرية أى النواب والقضاة وبقى بيد مصر حتى دخول السلطان سليم ديار الشام ، فزال ملك مصر عنها كما زال عن غيرها من البلاد .

* * *

٦٦ — هذا هو حصن الأكراد الذى توجهنا لزيارته وصرنا بأقسامه ، ووقفنا أمام أبراجه ، وفيها أبراج بناها المنصور قلاوون ، ولا تزال الأسماء والآيات القرآنية كما كانت .

٦٧ — ودخلنا أماكن الخيول ، وقد كشفت عنها البعثة الفرنسية فرأينا ما أدهشنا : أثر حوافر الخيل ومواضع ربطها والحديد الذى كانت تشكل به . لقد كان الردم يغطى كل هذا ، ولما أخرجته يد الإنسان من تحت التراب إذا به كما كان يوم تركه أصحابه منذ مئات السنين .

٦٨ — وكان للحصن آبار ومجار للمياه حينما كشف عنها وجدت أوانى من النحاس من عصر الملك الناصر محمد ورؤوس النبال والرماح .

وعدت من الحصن وقد غمرتنى نفحة من تلك النفحات التى تؤذن بخروج الإنسان من طور ودخوله إلى طور جديد من أطوار الحياة : فقد تغيرت نظرتى إلى بعض الأشياء ، وأخذت طريقاً لإشباع نفسى بتقليب صفحات الماضى الذى بدأت أحس بأننا قطعة منه .

٧٠ — وإذا بى أؤمن بأن تاريخ مصر والشام وحدة لا تتجزأ ، وأن أية محاولة للفصل بينهما تؤدى بنا إلى نتائج معكوسة أى تقرير مبادىء سلبية يقصد أصحابها توزيع القوى والعزائم وتجريح الأمم وإنقاص الدور الذى ألقته علينا الأقدار وحمله لنا التاريخ كقوة مقاتلة منشئة منتصرة .

٧١ — وها نحن نعيش فى عصر طابعه السرعة والإقدام ، والبناء والخلق والتجديد ومع هذا لا نزال نسير على خطوات وئيدة والزمن يعدو أمامنا : ذلك لأن عوامل التفكك والانحلال والسلبية لا تزال تعمل فى صفوفنا وتعوقنا عن الأهداف الكبرى

٧٢ — هل كان الذين انتصروا فى هذه الحروب وقادوا الحملات وتغلبوا على الحوادث لهم نظرة خاصة ومنطق خاص حتى تغلبوا على قوات تفوقهم : وأحرزوا النصر ، وأننا لا نستطيع أن تكون لنا مثل نظرتهم ومنطقهم ومثلهم العليا ؟

إن الذين خاضوا هذه المعارك أظهروا نهاية ما يمكن من الإقدام حينما وجدوا القيادة الصالحة ، فهل يجدها معاصرونا الآن؟ إن استمرار الكفاح والجهاد لمدة تقرب من قرنين لهو أظهر دليل على أن صفات الاستمرار والمداومة ثابتة فى الصفوف بين الأمم الإسلامية ، ولا تحتاج إلا لمن يظهرها ويحسن قيادتها وتوجيهها.

٧٣ — ونحن لا نعيد الحروب الصليبية بمآسيها ومتاعبها

طرائف من العصر المملوكى :

أدب الحـــرب

للأستاذ محمود رزق سليم

ما أكثر امتلاء العصر المملوكى بالحروب الخارجية ، وما كان أسرع ملوكه وأمراءه إلى تلبية ندائها كلما دعت ، والاستجابة لهـا كلما أهابت . ومن يتصفح تاريخ هذه الحقبة الفريدة من تاريخ مصر يجد أن جيشها كان يكافح عدوين لدودين طاغيين معتدين ، همـا التتار والفرنجة . ولم يكن فى كفاحه متجنياً ولا معتدياً ، وإنما كان يذود عن ممتلكات مصر وأرض المسلمين ومقدساتهم ؛ فلم تـكن حروبه حروب أطماع وأهواء ، ولـكن حروب دفاع ورد اعتداء . فهى حروب مشروعة لهـا سند من الدين والعقل والقانون .

أما التتار فكانوا فى بداءة أمرهم وفى جملته ، وثنيين جهلاء ، وسفاكين للدماء . وما دفعهم من أقاصى بلادهم فى آسيا ، إلا حب الفتح والاستعمار . وما أشبههم فى العصر الحديث — لا بألمانيا وحدها — ولـكن بكل دولة من تلك الدول الـكبرى الفاغرة فاها للشرق وخيرات الشرق تبغى استلابها والتهامها ، استلاب اللصوص والتهام القطاع . وكان يظن أنهم القوة لا تهزم ، فـكفكف المماليك غربهم ، وفلوا سيوفهم ، وردوهم داحرين على أعقابهم فى جملة مواقع حاسمة قاصمة . وزالت بذلك خرافة قوتهم .

أما الفرنجة فقد حركتهم إذ ذاك أطماع استعمارية كذلك ، وشنوا الحروب على سواحل البحر الأبيض الشرقية تحت ستار من المسيحية — والمسيحية الطاهرة منهم براء — وكانت هذه السواحل من شمال البلاد الحلبية إلى الشامية إلى الفلسطينية فى جملة ممتلكات مصر ، يعيش فيها جميعاً شعب واحد متحد المشارب مجتمع الأهواء متجانس المقومات ، له دينه ولغته وجنسه وتقاليده وله مشاعره المتشـابهة ومصالحه المشتركة . فذاد عنها سلاطين مصر الأباة ، عارفين للدين حرمته ، وللوطن كرامته ، ودافعوا عنها دفاع المستميت ، لا ونى ولا وجل .

وإلى جانب ذلك كلـه كانت لهم حروب أخرى بعضها لتأديب أمير شق عصا الطاعة ، أورد عدوان جار من جيرانهم ، أو نحو ذلك . وأبدى كثير منهم سـلاطين وأمراء وجنوداً ضروباً من الشجاعة خارقة .

وكانت هذه الحروب — فى كثير من ظروفها — منشطة لشياطين الشعراء والأدباء ، فتابعوا سيرها وتحولاتها ، مستمنحين منها الوحى ، مستشمرين الإلهام . فدحوا الملوك والأمراء الذين أبدوا من ضروب الشجاعة والمهارة ما استحق التخليد ، وكان لأعمالهم أثر مجيد فى الانتصار . وحمسوا وفاخروا بما نال جيش مصر من الظفر ، ووصفوا الوقائع وملابسها من حوادث وما صاحبها من آلات القتـال ، كالرماح والسيوف والخيل واللامات ، وسجلوا بذلك كله كثيراً من حوادث أجيالهم ، وشاركوا العصر إلى حد ما فى آلامه وأحلامه .

ولم يقصر الـكتاب الناثرون عن إخوانهم الشعراء فى هذا المضمار . فقد كان بمصر حينئذ ديوان من دواوين الدولة خاص

وإن كانت تتكرر على مقربة منا فى فلسطين ولـكننا نقول : إننا فى حاجة وقت السـلم إلى صفات لا تقل عن الصفات التى تحتاجها الأمة وقت الحرب بل قد تزيد .

٧٤ — إننا فى عصر يتطلب انتزاع النصر فى السـلم كما انتزعه أسلافنا فى الحرب ؛ وتحضير هذا يتطلب جمع القوى المشتتة وتنظيمها وتعبئتها ، وهذا التنظيم نوع من الـكفاح الدائم المستمر

٧٥ — إنه يتطلب نوعاً من الهدوء والثبات والتركيز ، والاقدام وهى من قبيل الصفات التى تمكن بها أسلافنا من انتزاع النصر فى المعارك التى ذكرتها أو أشرت إليها فى الـكلام عن حصن الأكراد ولا أشك فى أن هذه الصفات كامنة فينا وأؤمن أنها ستخرج فى القريب لـكى نحقق فى السلم ما يرى الـكثيرون أنه بعيد التحقيق وليس فى طاقة شعوب الشرق أن تقوم به ، ولـكن وثبتها نحو تحقيق مثلها العليا ستجعل هذا الرأى حقيقة ماثلة للعالم أجمع .

أحمد رمزى

بالكتابة وهو « ديوان الإنشاء » تصدر عنه الرسائل الرسمية العامة . ويلى أمر الكتابة فيه حذاق المنشئين وبارعوهم . وكان فى جملة الرسائل التى يعنون بكتابتها « البشارات » وهى أنواع ، ومنها : البشارة بانتصارات الجيش على أعدائه ، فيوصف فيها تحرك الجيش واستعداده للاشتباك فى القتال وما يأتيه السلطان أو أعوانه من ضروب المغامرة والشجاعة ، وما يصبونه على عدوهم من أهوال ، وما يصيبونه بعد هذا من نصر وظفر ، إلى غير ذلك . وكانت هذه الرسائل تكتب بعبارة أدبية طريفة مطولة يجرى أسلوبها على الطريقة الفاضلية أو النباتية ، يبدع فيها الكتاب ما شاء لهم الإبداع والفن الكتابى الذى يسلكون سبله . وتنشر هذه الرسائل على الناس أو تتلى فى الجامع . فهى إلى حد ما شبيهة بما يكتبه مراسلو الصحف فى أيامنا ، ممن يصحب الجيوش فى تحركاتها . وذلك لما يسرى فيها من روح أدبية ونزعة عاطفية . ومن هنا تفارق البلاغات الرسمية الحربية التى يذيعها أولو الشأن اليوم عن حركات الجيش فى لطف وإيجاز. ولو استطعنا جمع هذه البشارات كلها لكان لنا منها سجل أدبى رائع عن حروب المماليك وانتصاراتهم .

وقد روى أن الظاهر بيبرس سلطان مصر غزا فى الشام ، واستطاع بجيشه المصرى أن يوقع بالتتار ويذل الفرنجة ويفتح المدن المنيعة ويدك الحصون المستعصية . وقد شارك جنوده وعماله بيده فى أداء أعمالهم ، وأظهر خوارق من المغامرات . ولما فتح قيسارية — وكانت من قلاع الفرنجة ومدنهم الحصينة — كشف بلادها وقوّم خراجها ، ووزع ذلك كله على أمرائه الذين شاركوه فى جهاده . وكتب بذلك « مكتوب جامع بالتمليك » وهو ضرب آخر من الرسائل الرسمية . وقد جاء فى مطالعه بعد الحمد والصلاة ما يلى فى وصف الانتصار :

« إن خير النعمة نعمة وردت بعد اليأس ، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس . فأكرم بها نعمة وصلت للأمة المحمدية أسباباً ، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبواباً . وهزمت من التتار والفرنج العدوين ، وربطت من اللج الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين . وجعلت عساكر الإسلام تذل الفرنج بغزوهم فى عقر الدار ، وتجوس من حصونهم المانعة خلال الديار والأمصار . وتقود من فضل عن شبع السيف الساغب إلى حلقات الإسار . ففرقة منهم تقتلع للفرنج قلاعاً وتهدم حصوناً ، وفرقة تبنى ما هدم التتار بالمشرق وتعليه تحصيناً . وفرقة تتسلم بالحجاز قلاعاً شاهقة ، وتتسنم هضاباً سامقة ، فهى بحمد الله البانية الهادمة ، والقاسمة الراحمة . كل ذلك بمن أقامه الله وجرده سيفاً ففرى ، وحملت رياح النصرة ركابه تسخيراً فسار إلى مواطن الظفر وسرى . وكونته السعادة ملكا إذا رأته فى دستها قالت تعظيما له ما هذا بشرا ... » إلى آخر هذا المكتوب .

وقد نظم أديب عصره وشاعره محيى الدين بن عبد الظاهر ، هذه الأبيات يصف فيها جنود مصر ومغامرات بيبرس فى حرب التتار ، فقال :

تجمع جيش الشرك من كل فرقة … وظنوا بأنا لا نطيق لهم غلبا
وجاءوا إلى شط الفرات وما دروا … بأن جياد الخيل تقطعه وثبا
وجاءت جنود الله فى العدد التى … تميس لها الأبطال يوم الوغى عجبا
فعمنا بسد من حديد سباحةً … إليهم فما استطاع العدو له نقبا

واعتقادنا أن هذه الأبيات بقايا قصيدة طويلة بارعة للقاضى محيى الدين . وهى تحدثنا فى طلاقة ووضوح بما كان ثم من شجاعة بيبرس وجنوده . فإنه خاض نهر الفرات بنفسه للقاء التتار على شاطئه الآخر ، فاندفع جنوده فى إثره خائضين ، فدحروا العدو وشتتوا شمله . وفى البيت الثالث يصف الشاعر الجنود بأنها جنود الله ، وفى ذلك دلالة على عقيدتهم فى أنهم إنما يخرجون للجهاد فى سبيل الله وحماية دينه . وقد أبدع الشاعر فى البيت الرابع إذ يقول « فعمنا بسد من حديد » كناية عما يلبسون من درع وعما يحملون من سلاح ، وعما لهم من كثرة ، وعما فيهم من جراءة . وهذه أهم أدوات النصر ، وقد انتصروا فعلا ، فإن العدو لم يستطع لهذا السد العظيم نقبا ، وفى العبارة الأخيرة شىء من الاقتباس وفيه إشعار بتشبيه سدهم هذا بسد ذى القرنين .

وقد نظم الشاعر بدر الدين يوسف بن المهمندار فى نفس الواقعة أبياتاً بديعة دقيقة الوصف رائعة التصوير تنضح بالمجد وتوحى بالفخار وتسجل عظمة أولئك الأسلاف الصيد ، والغطارف الصناديد : ومن هذه الأبيات قوله :

لو عاينت عيناك يوم نزالنا … والخيل تطفح فى العجاج الأكدر
وقد اطلخم الأمر واحتدم الوغى … ووهى الجبان وساء ظن المجترى
لرأيت سدا من حديد ما يرى … فوق الفرات وفوقه نار تُرى

ومنها :

ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزبى … ومن الفوارس أبحرا فى أبحر
لما سبقنا أسهما طاشت لنا … منهم إلينا بالخيول الضمر
لم يفتحوا للرمى منهم أعينا … حتى كحلن بكل لدن أسمر
فتسابقوا هربا ولكن ردّهم … دون الهزيمة ربع كل غضنفر

وانظر حسن التعليل ، أو توكيد المدح بما يشبه الذم ، فى قوله :

ما كان أجرى خيلنا فى إثرهم … لو أنها برءوسهم لم تعثر

ومنها :

وجرت دماؤهم على وجه الثرى … حتى جرت منها مجارى الأنهر
والظاهر السلطان فى آثارهم … يذرى الرءوس بكل عضب أبتر
ذهب الغبار مع النجيع بصقله … فكأنه فى غمده لم يُشهر

ومن سلاطين مصر الأشرف خليل بن قلاوون . وقد حارب كذلك فى بلاد الشام وفتح مدينة « عكا » الحصينة بعد أن رماها بالمنجنيق وهدم سورها وقلعتها . وكانت بيد الفرنجة . فدحه القاضى شهاب الدين محمود الحلبى بقصيدة بائية فى نحو خمسة وستين بيتاً . قال فى مطلعها :

الحمد لله ذلت دولة الصلب … وعز بالترك دين المصطفى العربى
هذا الذى كانت الآمال لو طلبت … رؤياه فى النوم لاستحيت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدها … فى البحر للشرك عند البر من أرب
عقيلة ذهبت أيدى الخطوب بها … دهراً وشدت عليها كف مغتصب
لم يبق من بعدها للكفر مذ خربت … فى البحر والبر ما ينجي سوى الهرب
كانت تخيلنا آمالنا فنرى … أن التفكر فيها غاية العجب
أما الحروب فكم قد أنشأت فتنا … شاب الوليد بها هولا ولم تشب
سوران بر وبحر حول ساحتها … دارا وأدناها أنأى من العطب
مصفح بصفاح حولها أكم … من الرماح وأبراج من اليلب
مثل الغمائم تهدى من صواعقها … بالنبل أضعاف ما تهدى من السحب
كأنما كل برج حوله فلك … من المجانيق ترمى الأرض بالشهب
ففاجأتها جنود الله يقدمها … غضبان لله لا للملك والنشب
كم رامها ورماها قبله ملك … جم الجيوش فلم يظفر ولم يجب
لم ترض همته إلا الذى قعدت … للعجز عنه ملوك العجم والعرب

ثم أخذ الشاعر فى مدح السلطان ثم وصف جيشه ووصف الحرب منوها بالأغراض المتوخاة منها ، إلى غير ذلك من الأغراض الشعرية .

وفى عام ٦٩١ هـ فتح السلطان الأشرف خليل قلعة الروم ، فهنأه شاعره هذا وهو القاضى محمود الحلبى بقصيدة رائية على نمط القصيدة السالفة فى الروعة ودقة الوصف وجمال التصوير ووضوح المعنى . وقد بدأها بوصف راية السلطان وهى صفراء اللون ، فكان له من اصفرارها مدد جيل لوصفه قال :

لك الراية الصفراء يقدمها النصر … فمن كيقباذ إن رآها وكيخسرو
إذا خفقت فى الأرض تهدى بنورها … هوى الشرك واستعلى الهدى وانجلى الثغر
وإن نشرت مثل الأصائل فى وغى … جلا النقع من لألاء طلعتها البدر
وإن يممت زرق العدى سار تحتها … كتائب خضر تحتها البيض والسمر
كأن مثار النقع ليل وخفقها … بروق وأنت البدر والفلك والبحر
لها كل يوم أين سار لواؤها … هدية تقليد يقدمها الدهر
وفتح بدا فى إثر فتح كأنما … سماء بدت تترى كواكبها الزهر
فكم وطئت طوعا وكرها معاقل … مضى الدهر عنها وهي عانسة بكر

وكان الأديب ابن حجة الحموى من خلصان سلطان مصر الملك المؤيد شيخ المحمودى اتصل به قبل سلطنته أيام أن كان أميراً فى بلاد الشام ، وقدم إلى مصر بعد سلطنته وأقام فى خدمته ردحا . وكان المؤيد قبل سلطنته قد وقعت فتن بينه وبين سلطان مصر حينذاك الناصر فرج بن برقوق . فانهزم فرج أمامه فى ضيعة من ضياع الشام اسمها « اللجون » فكان ذلك مثاراً لشاعرية ابن حجة إذ مدح المؤيد وذكر المعركة ووصف ما دار فيها موفقا فى كثير من أبياته . فقال يخاطب المؤيد :

يا حامى الحرمين والأقصى ومن … لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله إن الله نحوك ناظر … هذا وما فى العالمين مناظر

فرج على «اللجون» نظم عسكرا — وأطاعه فى النظم بحر وافر
فأبنت منه زحافه فى وقفة — يا من بأحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بأسرهم — دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة — فكأن هاتيك السروج مقابر

ومنها :

وإذا مددت يراع رمحك ماله — إلا قلوب الدارعين محابر
ونمال خيلك كالعيون ومالها — إلا جماجم من قتلت محاجر

ويعتبر القتال بين السلطان فرج وأميره شيخ حربا أهلية إذ أن كليهما من رجال الطبقة الحاكمة المصرية حينذاك وما كان أكثر الحروب الأهلية ووقائعها فى هذا العصر !

ويطول بنا المقال لواسترسلنا فى الحديث . غير أننا نختتمه بأن نذكر أن الرجالين كانوا فى عداد الأدباء عناية بذكر الوقائع ووصف الحروب ، وأن الشعراء طرقوا فى باب الوصف ، السيوف والرماح ونحوها من آلات القتال ، ومنهم من أخرج غزله مخرجاً حماسيا ، فاستعار لأدواته وملابساته ماللحرب من أدوات وملابسات . — ومن لطيف ما يروى أن الأمير «الطنبغا الجوبانى» الذى كان نائبا عن سلطان مصر فى كفالة الشام ، زمنا دعا فضلاء الأدباء لكى ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح ، وعددها أربعة . فتبارى فى ذلك كثيرون . ومنهم فتح الدين ابن الشهيد فقال على لسان الرمح :

إذا النبار علا فى الجو عثيره — فأظلم الجو ما للشمس أنوار
هـذا سنانى نجم يستضاء به — كأننى علم فى رأسه نار
والسيف إن نام مل‌ءالجفن فى علق — فإننى بارز للحرب خطار
إن الرماح لأغصان وليس لها — سوى النجوم على الميدان أزهار

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

زعـــيمان

للأستاذ محمـــود الخفيف

هما أحمد عرابى وإبراهام لنكولن ، يجمع بينهما فى مجال الزعامة أن كليهما كانت الحرية متصلة بطبعه ، وأن كليهما اضطلع بقضية كبرى فى قومه خلد بها اسمه ، ويجمع بينهما فى هذا المقال وفى مقال فى العدد السالف من « الرسالة » بنفس العنوان ما تفضل به من حديث عنهما ، أو بالأحرى عن كتابىَّ فيهما ، الناقد الكبير الأستاذ العقاد .

ولقد أثار ما كتب الأستاذ الجليل أعظم اهتمامى ، فإنى لأنزله من نفسى منزلة الأستاذ ، تلك المنزلة التى ينزله إياها بالحق جمهور القارئين فى العالم العربى ، وأحرص على الإفادة من كل ما يكتب فى الأدب ، فكيف إذا كان ما يكتب متصلا بكتابين أخرجتهما ؟

على أن اهتمامى بما قال عن الزعيمين كان أعظم مما ذكره متفضلا عن الكتابين ، وللأستاذ الكبير عظيم شكرى على ما تفضل به علىَّ من ثناء أرجو أن أظل له عاملا .

وإن الحديث عن هـذين الرجلين لفرصة يجب ألا تفوت ، فقد أردت بكتابى عن أولهما الدفاع عنه لاعتقادى أنه ظلم ، وأن ظلمه مما يشين هذا الجيل الذى أصاب حظاً غير قليل من الثقافة ؛ وأردت بكتابى عن ثانيهما أن أجمل منه ، وهو الشخصية العالمية المحبوبة ، قدوة لشبابنا ، ومثلا لسادتنا وكبرائنا ... وإن الشباب والكهول فى كل أمة متمدنة ليقرأون عشرات الكتب فى سيرته ويجدون فيه للعصامية المثل الأعلى !

أما عن عرابى ، فحسبى مما بلغت بدفاعى عنه أن أقول فى غير زهو أو فخر : أنه ما من قارئ لكتابى حدثنى عنه إلا آمن لى ، ورأى فى عرابى ما كان من قبل ينكره أو يأخذه فى كثير من الشك والتردد ، وهو أنه زعيم قومى مخلص لعقيدته فذ فى وطنيته ؛ وحسب عرابى أن يشهد له بالإخلاص والوطنية من زعماء الكتاب فى جيلنا هذا أستاذنا الجليل صاحب « الرسالة » ، الذى شرفنى فجعل عملى فى الدفاع عن عرابى عمل إميل زولا فى الدفاع عن دريفوس ، ثم أستاذنا الكبير العقاد الذى نفى عن عرابى فى كلمته الأخيرة ما اتهمه به المفترون ظلماً والجاهلون ، والذى تفضل فقال عن كتابى : « إنه يعد فى بابه قليل النظير » .

ومما أطيب به نفساً أن أجد رأى الناس عن عرابى قد أخذ يتغير ، فالصحف والمجلات تتحدث عنـه اليوم على أنه زعيمنا الأول ، ويشيع فيما تكتب عنه كثير من التحمس له ، والمثقفون فى ندواتهم يذكرونه بالخير ويأسفون على ما لحقه فيما سلف من ظلم ؛ فإذا كان مرد هذا أو بعضه إلى ذلك الدفاع الذى دافعت به عنه ، فأى اغتباط ذلك الذى تشعر به نفسى ، ومعاذ الله أن أقصد بهذا إلى شىء من الفخر ، وإنمـا هو شعور الراحة فى نفس من يوقن أنه أنصف رجلا قضى نحبه مظلوماً وقد أحسن إلى بلاده ، وأنه أول من تصدى إلى هذا الإنصاف . وليغفر لى القارئ ما قد يجده فى كلامى هذا مما يشبه الزهو .

***

وأما عن لنكولن ، فقد أخذ الكاتب الكبير على كتابى مآخذ قرأتها فى كثير من الترحيب والاطمئنان ، فالعقاد من يصدر فى النقد عن أستاذية توجب هذا الاطمئنان ، وتوجب معه الاهتمام والحرص على الانتفاع من جانب كل مؤلف وإن علا كعبه فى التأليف ؛ وأنا بالضرورة أولى بالاهتمام والحرص على الانتفاع ، ومقامى فى التأليف مقام المبتدئ ؛ غير أنى أحس فى بعض ما ذكر الناقد الفاضل ما لا ترتاح إليه نفسى ، وأؤكد للأستاذ الكبير أن أذكر ذلك عن إخلاص وصدق رغبة فى الفهم والتعلم ، وهى على أية حال فرصة طيبة لأسمعه رأيى لعله يتفضل بإرشادى إلى موضع الخطأ فيما أقول ، وفرصة طيبة للحديث عن لنكولن لعل فى الحديث عنه ما فيه للقارئ بعض الفائدة ...

أخذ الأستاذ على كتابى « أنه ليس فيه تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه » ؛ وهذا الذى يأخذه على الأستاذ حق لا مرية فيـه ، ولـكن كيف السبيـل إلى معرفة هؤلاء الأسلاف ؟ هذا هو موضع التساؤل بينى وبين الأستاذ الجليل .

لقد عرف لنكولن أول ما عرف نجاراً ابن نجار أمى ، وولد فى كوخ وسط الأحراج والأدغال البرية بعيداً عن دنيا الحضارة ، ولم يحدثه أبوه عن أسلافه إلا قليلا ، ومرد ذلك إلى بيئته وجهله ، وكان حديث أمه أقل لمـا أحاط بسيرتها من ملابسات ذكرتها بوضوحها فى الكتاب ، نقلا عن لنكولن ، إذ أفضى بها ذات مرة إلى صديقه هرندن ولم يعد إليها أبداً ، حتى لقد كانت إذاعتها على لسان صديقه مثار جدل وضجة فى الولايات المتحدة كلها .

ولم يتحدث لنكولن نفسه عن أسلافه إلا قليلا ، لأنه لم يكن يعرف عنهم إلا القليل ؛ ولقد كان يقتضب الحديث عنهم اقتضاباً كأنه يكرهه ، بينما يفيض إذا تحدث عن نشأته في بيئته الأولى .

لهذا حار كتاب حياته في معرفة أسلافه ، وتحت يدي أكثر من عشر تراجم له ومن بينها كتاب إميل لدوج الذي عرف باستيعابه كل شيء ، وأهم منه كتاب صديقه وزميله في المحاماة هرندن الذي كان أعلم الناس به ، وهو الذي اعتمد عليه لدوج وغيره ، وهؤلاء جميعاً لم يذكروا عن أسلافه إلا القليل وما لهم في ذلك حيلة ...

افتتح هرندن الفصل الأول من كتابه بقوله : « لم يكن لدى مستر لنكولن عادة ما يقوله إذا تحدث عن نفسه وعن آبائه وتاريخ أسرته قبل مجيئهم إلى إنديانا أكثر من تلك الحقيقة ، وهي أنه ولد في الثاني عشر من فبراير سنة ١٨٠٩ في ناحية هاردن بكنطكي ؛ وكان إذا تحدث عن هذا الموضوع ، وقليلا ما تحدث ، يفعل ذلك في كثير من التردد والتحفظ » ؛ وأورد هرندن بعد ذلك بقليل قول لنكولن لأحد أصدقائه فيما بعد ، وكان يسعى لكتابة تاريخ حياته : « لماذا تمنى نفسك يا صاحبي سكربس ؟ إنه لمن أكبر الحمق أن تحاول أن تجد شيئاً ذا بال في شخصي وفي حياتي الأولى . إنك لتستطيع أن تحصرها في جملة ، وتجد هذه الجملة في مرثية جراي وهي « سيرة الفقراء القصيرة البسيطة »

وأنا أرجو من أستاذنا العقاد ، وهو أطول مني باعاً وأكثر اطلاعاً ، أن يرشدني إلى ما أقف منه على أسلاف لنكولن ؛ وإني لشديد الحرص على إرشاده ، ذلك أن الأستاذ الجليل قد عقب على ذلك الذي أخذه على مما يتصل بأولئك الأسلاف بقوله : « ولا تتم العبرة من تاريخ لنكولن إذا لم تكن نشأته وارتقاؤه إلى رئاسة الجمهورية ، وحقائق مصرعه موضع اهتمام خاص يفوق كل اهتمام بغيرها من الموضوعات » ؛ ولقد تشعر هذه العبارة من لم يقرأ كتابي بأني لم أهتم بنشأته وارتقائه إلى رياسة الجمهورية ، والواقع أن نشأته وارتقاءه إلى رياسة الجمهورية استغرقت من هذا الكتاب الذي يقع في خمسين وثلثمائة صفحة كبيرة نحو ثلثيه ، فقد تحدثت حديثاً طويلا عن حياته وهو صبي في الغابة ، ثم وصفت أخلاقه شاباً يعمل في حانوت ، وقد خرج من الغابة ، ويعمل في البريد ، وفي تخطيط الأرض ، ثم انتقلت إلى اشتغاله بالمحاماة ، وإلى تدخله في السياسة ، واختياره عضواً في الكونجرس ، وما زلت أتتبع في تفصيل ارتقاءه في المحاماة والسياسة ، واهتمامه بمسألة الرق ، وردوده على خصومه ، وما كان من الأحوال السياسية المحيطة به ليفهم سيرته حق الفهم من لا يلم بتاريخ الولايات المتحدة ، حتى بلغت ترشيحه للرياسة ، فبينت في إسهاب كيف رشح ، ومن نافسه ، وما قيمة منافسيه ، ثم شرحت المركة الانتخابية في استيعاب لا أذكر له نظيراً في كتاب واحد مما قرأت ، وأخيراً بلغت بسيرته ارتقاءه للرياسة ، وأعتقد أني وضحت ذلك جميعاً مع جهلي بتاريخ أسلافه ، ذلك الجهل الذي لم تكن لي ولا لغيري فيه حيلة ...

وثمة مسألة أخرى أخاصم ناقدي الكبير فيها خصاماً شديداً ، وهي أنه ذكر عن كتابي أنه « ليس فيه إلمام كاف بسلسلة المصادفات المتوالية التي ساقته إلى رياسة الجمهورية » ؛ وليسمح لي الأستاذ الكبير أن أقول له — وهو العليم الذي لا يُعلّم — أن المصادفات إذا كان لها شأن في حياة بعض العظماء ، فإن لنكولن أحد من تخلو حياتهم من المصادفات خلواً تاماً . ولعله أوضح مثل في هذا الصدد ، وإلا فأي عصامية أقوى من عصاميته ؟ وما عمل المصادفات في حياة نجار ابن نجار شق طريقه في الحياة كما كان يشق طريقه بين أحراج الغابة ، فقيراً لا جاه له ولا نسب يعتمد عليه ، وما زال يتكئ على نفسه حتى أصبح رئيس الولايات المتحدة ؟ كلا ، ليس للمصادفات دخل في حياة لنكولن ، بل لقد كانت تعترض له أشد الصعاب ، وقد كان يخفق مرات فيما يسعى إليه ، ولقد نافسه في حزبه خصوم شداد ، وكاد يتغلب عليه سيوارد أقوى خصومه ، فيظفر بأغلبية المؤتمرين من الحزب الجمهوري الذين أرادوا ترشيح رجل من الحزب للرياسة ؛ ولقد كان هو ينتظر الفشل ويتحدث به إلى هرندن ؛ وإذا كانت المسألة مسألة اختيار يقوم على الموازنة والخصومة ، فأي دخل في ذلك للمصادفة التي تقوم على الحظ ؟ ذلك — كما أسلفت — ما أخاصم فيه ناقدي الفاضل ، وكنت أحب أن يضرب مثلا لأثر المصادفة في حياة لنكولن . والحق أني حرت في قوله « وقد كان من الجائز جداً ألا يصل إلى رئاسة الجمهورية ، لأنه لم ينجح قط في انتخاب أو ترشيح إلا كان للمصادفة في اللحظة الأخيرة أكبر الأثر في

هذا النجاح » . ولـكم يسرني ويسر قراء الأستاذ الـكبير أن يضرب لنا بعض الأمثلة لما يذكر .

وذكر الأستاذ الفاضل عن الـكتاب قوله : « وليس فيه تعليق على مقتله ، ولا عن المتآمرين عليه » ؛ والحق أنها جريمة غير محددة الدوافع أشبه بجريمة أبي لؤلؤة في ضيق نطاقها المعلوم . وأما بطل الجريمة فلم يذكر شيئاً ، ولم يصل القصاص فيها إلا إلى ثلاثة أشخاص من شركائه ؛ وخير ما يقال عن ذلك القاتل ما ذكره الأستاذ العقاد نفسه حين يقول : « وجملة ما يقال عنه أنه ممثل فاشل أراد أن يعوض فشـله في أدواره المسرحية بهذا الدور من أدوار المغامرات المعهودة في تاريخ البلاد الأمريكية ، ولولا عوارض شخصية في طبيعة هذا المفتون لما وقع الحادث على الإطلاق » ... وأظن أنه لا محل بعد هذا لأن يؤخذ على الـكتاب أن « ليس فيه تعليق على مقتله ولا عن المتآمرين عليه » فضلا عما أوجبه الأستاذ من اهتمام خاص بحقائق مصرعه فيما أوجب من أمور ذكر أن العبرة من تاريخه لا تتم إلا بها .

بقيت مسألة واحدة ، وهي أن الأستاذ الجليل يرى أني — كما يبدو لأول وهلة من كتابي — موفق في تحقيق معلوماتي ووزن أبطالي ، إلا أني حين أحتاج إلى الميزان المشترك بين أبطال متعددين أضطرب في الميزان بعض الاضطراب ، وقد يكون هذا صحيحاً ، ولـكني لا أستطيع الجزم بصحته كما لا أستطيع الجزم بنفيه ؛ وذلك لأني لست أذكر أني عنيت بالميزان المشترك ، فقد كنت أصف كل شخص وحده ، ولم أصدر حكما على لنكولن بعد الموازنة بينه وبين غيره ، ولهذا لم تتضح في ذهني عبارة الأستاذ الناقد : « ومن أمثلة ذلك في تاريخ لنكولن أن كلامه عن بطله صحيح ، وأن كلامه عن دوجلاس مزاحمه صحيح ، ولـكنه إذا عرض الرجلين على الميزان المشترك لم يبلغ من الدقة ما يبلغه من وزن كل منهما على انفراد » .

وبعد ، فإني أعود فأقدم للأستاذ الجليل عظيم شكري على فضله ، وأعبر له عن بالغ سروري واهتمامي بنقده ، وشديد حرصي على الإفادة من إرشاده ونصحه ، فذلك دأبي معه في كل ما أقرأ له منذ نشأتي ...

الخفيف

مزامير :

أين راحـــت ؟

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

— ١ —

« إلى راهبة الضحى السمراء
في أغـلالها الجديدة ... »

لم أكد أسبح في وادي شذاها
وأذل المطـر من عاني ذراها
وأصيد السـحر ، لو كانت رباها
ها جمات بين ألفاف الأبد
كل ظل حول جنبيها رصـد ..

لم أكد .. والـكأس في كفي صاد
وعلى أغصانهـا الخمر تنادي
حانة فيها ... وأخرى في فؤادي
أقبلي ... والـكأس كادت تتقد
ومددت الـكف .. لـكن لم أكد

لم أكد .. والنهر نشوان الضفاف
وخطا الزورق أرست بالمطاف
والهوى ما بين عب وارتشاف
حائر السـكرة عات مستبد
وهي بركان توارى في جسد

لم أكد .. حتى تلفت إليهـا
فإذا النار صـلاة في يديها
وإذا وعـد هفا من حاجبيها
فأرقت الـكأس إيماناً بغد
وارتقبت الوعد ... لـكن لم تعد !!

محمود حسن إسماعيل

الأدب والفن في أسبوع

لماذا خاضت مصر معركة فلسطين ؟

كان هذا عنوان الحديث الذى ألقاه بالإذاعة معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا وزير المواصلات ، ولم يكن هذا الحديث كالذى عهدناه من الوزراء والسياسيين الذين تحكمهم الرسمية والدبلوماسية ، ولم يكن حديث رجل فارق الشباب ، إنما كان حديث « شاب » مصرى عربى ، استثمر مصريته وعروبته ، وواتاه البيان العربى ، فراح يتدفق فى حماس وقوة ، ولم يقف فى الحق عند حد ، بل كان صريحاً جريئاً لاذعاً . حمل على الولايات المتحدة حملة شعواء ، إذ قال : إننا دخلنا الحرب مضطرين بسبب المعاملة الجائرة التى عاملتنا بها هيئة الأمم والولايات المتحدة على الخصوص ، وهى التى كانت فى أثناء الحرب تنادى بالمبادئ السامية ، فأصبحت تزود عن المطامع الصهيونية . وليس هناك ظل من الشك فى أنها ضغطت على الدول لتحصل على أغلبية تقول بالتقسيم ، وقد اعترف ممثلو تلك الدول بذلك وأعلنوه . وندد معاليه بموقف الرئيس ترومان قائلا : إن موقفه يدعو للعجب والدهشة ، فهو فى سبيل عدد ضئيل من الصهيونيين لا يبلغ نصف مليون من المشردين والأفاقين والمرتزقين من حثالة الشعوب لفظتهم بلادهم فانهالوا على فلسطين من كل فج لا على أساس من الجنسية أو اللغة أو أى مقوم من مقومات الشعوب ، بل على أساس الدين وحده — فى سبيل هذه الحثالة يمزق الرئيس ترومان ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، ويعبث بالمبادئ التى أعلنها العالم بأسره ممثلا فى تلك الهيئة من احترام الحريات وحقوق الشعوب والمساواة بين الأمم ؛ ومن أجل هذه الحثالة الشريرة المحتالة يقف الرئيس ترومان إلى جانب وزمان زعيم الصهيونية ، فينزله فى البيت الأبيض ، ويحمله على الظهور بجانبه فى صورة فوتغرافية وهو يقبل منه التوراة هدية ، وفى صورة أخرى وهو إلى جانبه يحتضن شارة العصابة الصهيونية متلفعاً بها فخوراً رغم أنف العدالة الدولية . من أجل هذه الحثالة يعرض بلاده لعداوة ثلثمائة مليون من المسلمين فى أنحاء الأرض — الرئيس ترومان المحب الواله والصب المدنف والمغرم المدله الشغوف بالصهيونية !

ثم قال معاليه : دخلت مصر الحرب مكرهة ، لأنها لم تجد عدلا لدى هيئة الأمم ، فاعتقدت أن العدل لن يكون إلا إذا دعمه السلاح . دخلت مصر الحرب دفاعاً عن فلسطين وعن نفسها ، فإن قيام دولة صهيونية تتاخمها فيه القضاء عليها من كل وجهة ، وقد اكتشفنا بعد التوغل فى فلسطين أننا كنا نعيش على فوهة بركان ، لأن استعداد الصهيونيين بمصر ، وضبط العدد الهائل من الجهازات اللاسلكية والمدافع والبنادق والخرط الدقيقة وقوائم الاكتتابات ، مما يدعو للأسف والدهشة ويضعف حجتى فى إقناع الكثيرين بوجوب التفرقة بين اليهود والصهيونيين . دخلت مصر الحرب — كما قال صديقنا فوزى بك فى مجلس الأمن — لأن النار اشتعلت فى دار جارنا ، فوجب علينا أن نطفئها . وكان من حقه أن يقول بأن النار اشتعلت فى بيتنا ، لأننا والجار نسكن بيتاً واحداً . دخلناها تضامناً مع البلاد العربية الشقيقة المحبوبة ، التى عاهدناها على أن نكون يداً واحدة ، إذا هددنا خطر وقفنا ندافع عن حياتنا ونذب عن كياننا ، والعالم بأسره يتطلع إلينا ، فلا يحسبنا بعد الآن كمية مهملة ولق لا يساوى قلامة ! !

العالم يطل على مصر

يتحدث الأستاذ محمد رفعت بك فى الإذاعة عن شئون عالمية تتصل بمصر ، وكان يسمى سلسلة أحاديثه « مصر تطل على العالم » فلما شغلت مصر بال العالم منذ دخلت جيوشها فلسطين للقضاء على الصهيونية ، أطلق على تلك الأحاديث « العالم يطل على مصر » وفى هذا الأسبوع تحدث عن المسألة الفلسطينية فتناول عدة نقط هامة ، منها أن الغرب لما هاله انتصار الشرق ، أراد أن يقاومه بالدبلوماسية ، فلجأ إلى مسألة الهدنة ، وهو ليس مخلصاً فى ذلك وإنما يريد أن يحمى الصهيونية من بطش العرب ، فى الوقت الذى يغض فيه عن أعمال الهولنديين بأندونسيا ، وهو ينتصر للعصابات الإرهابية فى فلسطين فى الوقت الذى يساعد فيه على العصابات الشيوعية فى اليونان . وقال الأستاذ : إن ما كان مجلس الأمن قرره من وقف القتال بأندونسيا لم يحسم الموقف هناك بل صارت الحال أسوأ مما كانت لاستمرار حرب العصابات ، مما يدل على أن القتال لا ينتهى بوقف الحرب بين الجيوش

النظامية ما دامت أسبابها قائمة .

ومن النقط التي تناولهـا رفعت بك ، أن العرب حينما يستجيبون لطلب الهدنة إنما يستجيبون لنداء الإنسانية والشرف الدولى ؛ ولا يفيدهم وقف القتال ما دامت شروط الهدنة تنص على احتفاظهم بمراكزهم ، لأنهم قابضون على معظم المراكز الهامة فى فلسطين وخاصة أنهم الآن يطوقون تل أبيب وكر الصهيونيين ومقر حكومتهم المزعومة . وقال إن اليهود إن أخلوا بشرط من شروط الهدنة فللعرب أن يستأنفوا القتال كما تنص على ذلك القوانين الدولية .

أعمال المجمع اللغوى :

أرسل مجمع فؤاد الأول للغة العربية إلى إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف ، بياناً شاملا بمثابة تعريف بالمجمع بناء على طلب الإدارة لتضمينه السجل الثقافى لسنة ١٩٤٨ التى تعمل الآن فى إعداده .

ومما تضمنه ذلك البيان موجز عن أعمال المجمع منذ إنشائه إلى الآن ، ونوجز هذا الموجز فيما يلى :

١ — اتخذ المجمع طائفة من القرارات العلمية واللغوية فى قياسية الصيغ والتعريب والاشتقاق والتضمين ونحو ذلك ، لتوسيع آفاق العربية والعون على أداء الأغراض العلمية والفنية التى جاءت بها الحضارة الحديثة .

٢ — وجه المجمع أكبر همه إلى المصطلحات العلمية والفنية ولا سيما ما يدخل فى التعليم الثانوى ، فاستخرج طوائف منها فى علوم الأحياء والرياضة والطبيعة والموسيق والطباعة والتصوير والكهرباء واللاسلكى وتاريخ القرون الوسطى والمغنطيسية وغير ذلك ، وتبلغ هذه المصطلحات نحوا من عشرة آلاف مصطلح ، وقد دخل كثير منها فى كتب التعليم وفى قوانين بعض الأمم العربية والثقافة العامة .

٣ — وضع المجمع نظاما ناجحة لتعريب الأعلام الأجنبية للممالك والبلدان ، حتى يزول الاضطراب فى كتابتها أو النطق بها ، واستحدث رقوما وعلامات تلحق بالحروف العربية ليمكن النطق بالعلم الأجنبى على وجه الدقة ، وأصدر قائمة بأعلام بلاد السودان والحبشة والصومال وشمال إفريقية وغرب آسيا على وجهها الصحيح

٤ — عنى المجمع بمشكلة الكتابة العربية قصداً إلى وضع نظام يكفل أن تؤدى الحروف إلى نطق الكلمة نطقاً سديداً ، وقد أرصد جائزة مقدارها ألف جنيه لمن يقدم له أحسن اقتراح فى تيسير الكتابة العربية ، وقد تلقى المجمع فى هذه المسابقة أكثر من مائتى مقترح ، وما تزال قيد النظر .

٥ — عنى المجمع بمشكلة القواعد ومناهجها فى التعليم رغبة فى التيسير على الناشئين ، وقد درس مشروعاً لهـذا التيسير على أساس المشروع الذى وضعته لجنة ألفتها وزارة المعارف من قبل لهـذا الغرض ، وبعثت به إلى وزارة المعارف لوضع كتاب على أساسه ، وفى هـذا العام قرر المجمع أن تضع لجنة فنية هذا الكتاب .

٦ — قرر المجمع تأليف معجم لغوى لأوساط المثقفين يجرى فى ترتيبه وتنسيقه على أحدث الأساليب المصرية ، على أن يضمن إلى الألفاظ العربية أشهر الكلمات المستحدثة ، وتوضح أعلام الحيوان والنبات بالصور والرسم ، وقد أنجز معظم هذا المعجم .

٧ — قرر المجمع الشروع فى وضع المعجم اللغوى الكبير الحاوى لألفاظ اللغة العربية واستعمالاتها مع التوسع فى اختلاف المعانى وأصول الكلمات .

٨ — قرر المجمع أن يؤلف معجما لألفاظ القرآن يراد به أن يعين المثقفين على أن يتزودوا من ألفاظ القرآن الكريم وتعابيره .

٩ — يقوم المجمع بالإجابة عما توجهه إليه شتى المصالح الحكومية وطوائف العلماء والمؤلفين ، لترجمة ما يحتاجون إليه من المصطلحات وما يرغبون فى تصحيحه من الألفاظ .

١٠ — قرر المجمع طبع معجم الدكتور فيشر أحد أعضائه ، وهو معجم لغوى تاريخى يعتمد على النصوص الأدبية القديمة ، وقد توقف العمل فى هـذا المعجم لانقطاع الدكتور فيشر عن مصر بسبب الحرب .

١١ — قرر المجمع جمع ألفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة قصداً إلى العمل على التقريب بين الفصحى وبين لغة الحياة الاجتماعية .

١٢ — عنى المجمع بتشجيع الإنتاج الأدبى الحديث ، وذلك بعقد مسابقات أرصد لها ثمانمائة جنيه سنويا فى ميزانية المجمع .

١٣ — نشر المجمع أربعة أجزاء من مجلته ، وقريباً يصدر العدد الخامس من المجلة مشتملا على القسم الرسمى فى الدورات التى لم تتضمنها الأعداد السابقة

تعدد المجامع في البلاد العربية :

ومما تضمنه البيان السابق أغراض المجمع ، وأهمها أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر .

وقد أتيت في عدد مضى من الرسالة على أغراض المجمع العلمي العراقي الذي أنشيء في أوائل هذا العام ، وأهم أغراض هذا المجمع المحافظة على سلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشئون الحياة الحاضرة . وفي سورية ، من زمن المجمع العلمي العربي ، وهو يتفق مع مجمعي مصر والعراق في الغاية التي يعمل لها ، فالثلاثة مجامع لغوية عربية أهم ما تعنى به سلامة اللغة ومسايرتها للحياة العصرية ، وهـذا يقتضي بطبيعة الحال وضع ألفاظ ومصطلحات ، وقد يضع أحدها لفظاً لشيء غير الذي يضعه الآخر لنفس الشيء ، بل لا بد أن يحدث هذا . ونتيجة ذلك اختلاف البلاد العربية ذات اللغة الواحدة في بعض كلمات هذه اللغة ومصطلحاتها ، بل إن هذا الاختلاف واقع فعلا فلم لا تتجمع هذه المجامع في مجمع واحد تكون له صفة « العالمية العربية » ويكون من عمله توحيد ما تختلف فيه البلاد العربية من أسماء لمسميات حديثة ، وتوحيد المنهج في العمل لتحقيق الأغراض اللغوية والأدبية والثقافية التي تتصل بمهمة هذه المجامع ويكون المجمع المنشود فوق كل ذلك صرحاً من صروح الوحدة العربية التي أصبحت حقيقة واقعة . وبدل أن يكون كل مجمع من المجامع الحالية مرتبطاً بحكومته المحلية ، يصبح المجمع الموحد مرتبطاً بجامعة الدول العربية .

هرف لغوي :

في إحدى ليالي هذا الأسبوع سمعت متحدثاً بالمذياع أثار انتباهي بطريقة إلقائه ، والعناية بإعراب الكلمات ، وإخراج الحروف من مخارجها ، ومراعاة قواعد الوقف والوصل ، وتعطيش الجيم ، وما إلى ذلك . ولم يكن الحديث في اللغة ولا في الأدب ، فالإذاعة لا تذيع في اللغة ، والأدب فيها قليل . . على أن أحاديث الأدب لا تظفر بمثل هذه العناية التي يبذلها محدثنا ، وإنما كان الحديث في السياسة ، ولهذا كان انتباهي وعجبي .

وقد زاد هذا العجب عندما انتهى المتحدث وقال المذيع : سمعتم الدكتور فلان بك . لأن الرجل ليس من أهل ذلك . . ولم يعهد أحد من قبل على مثل هذه الحال من إخراج القاف من أقصى الحلق ، وقضم همزة الوصل ، وملء الشدقين باللفظ ، وتنغيم حرف اللين الأخير . .

ومن قبل ذلك سمعت الرجل بأحد النوادي يلقي محاضرة بخيل إلى أنه اختار عنوانها كلمة معينة ، ليذكر جهاده في أنه أول من اهتدى إلى استعمالها في مدلولها الحديث ، ولكن أسلوبه في هذه المحاضرة كان على عهده الأول ، ولم يكن قد بلغ هـذا الطور الذي بدا في إذاعته الأخيرة .

قل لي هكذا ! كدت أصيح بهذه الكلمة عندما سمعت اسم صاحبنا يتردد في أثناء الحديث عن شغل الكرسي الذي خلا بمجمع فؤاد الأول للغة العربية بوفاة أنطون الجميل باشا .

ومن أعمال المجمع ذات الأثر الحميد أنه قرر تأجيل شغل هذا الكرسي متجهة نيته إلى شغله في العام القادم . وأثر هـذا القرار المفيد ظاهر في صالح اللغة العربية كما رأيت على لسان المتحدث الفاضل ، ومن يدري فقد ينهج آخرون مثل هذا النهج القويم ، ولا شـــك أن استمرارهم عليه عاماً يكسبهم قدرة على الفصاحة ويعيد إلى الدقة اللغوية اعتبارها لدى بعض « التقدميين »

من طرف المجالس :

كان بيد أحد الجالسين مطبوع صغير كتب عليه «ملحمة» وهو نشيد طويل قدمه صاحبه إلى جامعة الدول العربية ليكون « نشيد العروبة » وقدم له بتقاريظ من بعض الكبراء والزعماء

ودار الحديث حول انتقاد هذا الصنيع وهو إقحام الكبراء في الحكم على الشئون الأدبية والفنية .

ثم أقبل أحد الأصحاب وأخذ مجلسه ، فقال لمن بيده « الملحمة » :

— ما هذا ؟

— نابلسي فاروق . . .

العباس



من خدع المستعمرين :

(مقدمة إلى المجاهدين من شمال أفريقة)

بتاريخ ٥ مايو سنة ١٨٦٥ أرسل نابليون الثالث ملك فرنسة إلى مسلمي الجزائر بمهد ننشره تبياناً لمقدمات الاستعمار ، وخدع المستعمرين المختلفة :

السلطنة الفرنسية — إعلان من حضرة الامبراطور سلطان الفرنسيين إلى جميع المسلمين في المملكة الجزائرية : إن الدولة الفرنسية لما وضعت قدمها في وطن الجزائر منذ ٣٥ سنة لم يكن مرادها تمزيق شمل سكان الوطن المذكور ، بل المراد خلاصه من الظلم المترادف عليه منذ أحقاب . وقد جاءتكم بحكم أعدل وأبلغ رشداً مما كانت عليه القوانين التركية التي خلفناها . ومع ذلك فإنكم في السنين الأولى من الاستيلاء وقع لكم قلق واضطراب لرؤيتكم أمة أجنبية تتصرف فيكم ، فلذلك قاتلتم من خلصكم من الظلم . ومعاذ الله أن نظن أن ما صدر منكم يومئذ كان ذنباً يوجب الملام ، بل نجل ما جبلتم عليه من الخصال الحربية التي حملتكم على رفع السلاح في وجوهنا ، وأنتم منتظرون قبل الإذعان لنا إجراء حكم الله .

ولكن قد نفذ حكمه بما أراد فليس إلا الرضا بما قدرته الحكمة الإلهية التي تبلغ المرء إلى الخير في الغالب وتضطره أحياناً إلى عدم نيل مراده وخيبة قصده وعكس اجتهاده .

ومثل ما وقع بكم حل بأسلافنا منذ عشرين قرناً فقد هجمت عليهم أمة أجنبية ، فلم يخضعوا لها وقابلوها مكافحين ثم هزموا . ومن يومئذ تحولت حالهم إلى أحسن منها ، وهو مبدأ تاريخ رقيهم ، وإن (الفولر) أسلافنا لما انهزموا تخلقوا بخلق الرومانيين المنتصرين عليهم . وبالانصال الدائم ، مع اختلاف فضائلهم وعاداتهم تولدت منهم على مرور الأزمنة هذه الأمة الفرنسية التي وقت الله لها وقتاً لتنشر في الدنيا ما ألهمها الله من محاسنها .

ومن يدرى ! لعل العرب في يوم آت يجدون مساعدة وعونا على الاستقلال في بلادهم ، كما كانوا قبل في القرون الماضية مسيطرين على بعض سواحل البحر الأبيض المتوسط ولكن لا يكون ذلك إلا بعد صلاح أحوالهم واختلاطهم بالأمة الفرنسية .

فارضوا أيها العرب بما حكم الله به ، وقد قال تعالى (تؤتى الملك من تشاء) وحيث أقدرني الله على هذا الملك بقدرته ، أريد أن أصرف أموركم بما يؤمن مصالحكم وخيركم ، وقد قررت لكم ملكية الأرض التي كنتم تستغلونها تقريراً قاطعاً مستمراً ، وأجللت مقام كبرائكم مع احترام دينكم ، ورغبتي أن أزيد في رفاهيتكم وأن أشرككم في حكم الوطن ، أكثر مما أنتم عليه الآن ، كما أرغب في مساهمتكم في أنواع خيرات التمدن . لكن ذلك مقرون بشرط طاعتكم واحترامكم لمن ينوب عني في الحكم وأخبروا إخوانكم المغرورين بأن استمرار سعيهم بعدم الطاعة سيعود بالخسران عليهم ، فالمليونان من العرب لا يقدرون على معاندة أربعين مليونا من الفرنسيين . وحيث تحققتم بأني سلطان عليكم فاعلموا أني محام لكم ، وأن كل من عاش طائعاً في ظل حكمنا فله حق المساواة ، واذكروا أنكم منتسبون إلينا إذ كنتم منذ عشرة أعوام أحرزتم نصراً مع جنودنا ، ووقف أولادكم إلى جنب أبنائنا في المعارك التي وقعت في القرم وإيطالية والصين والمكسيك ، ولا تنحل الرابطة التي تقع في ساحات الحرب . وقد رأيتم قوتنا وما نفعله بعدونا عند عدوانه ، وما نبذله من مودتنا حين توده . فاعتمدوا معشر العرب على الدولة الفرنسية لأن شؤونكم وشؤونها متحدة ، ومن يهدى الله فهو المهتد ، كما في القرآن .

انتهى من (جريدة المؤيد) بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩١١ .

من شئون الحرب في الإسلام :

وفي حصار العرب لدمشق ولد للبطريق الذي على دمشق ولد فدعا قومه فأكلوا وشربوا وتركوا مواقفهم الحربية ، ولم يعلم سوى خالد فإنه كان لا ينام ولا ينيم ولا تخفى عليه من أمور الروم خافية ، وكان قد اتخذ حبالا كهيئة السلم ، فلما أمسى ذلك اليوم

نهض مع بعض رجاله وقال للجند : إذا سمعتم تكبيراً على السور فاصعدوا إلينا واقصدوا الباب . فلما وصل مع رجاله إلى السور ألقوا الحبال فصعد عليها الرجال ، وكان المكان الذى صعدوا إليه أحصن موضع بدمشق وأكثره ماء ، ثم استوى على دمشق .

* * *

وفى وقعة أجنادين بعث قائد الروم من يأتيه بأخبار المسلمين ، فلما عاد قال (بالليل رهبان ، وفى النهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ، ولو زنى رجم ، لإقامة الحق فيهم) فقال القائد إن كنت صدقتنى لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها .

* * *

وفى فتح القادسية ظل رستم قائد الفرس مدة يعرض على قومه مصالحة المسلمين فلم يقبلوا ، فنصب سريره ورتب جنده ، وجعل أمامه الفيلة ، كما أن يزدجرد وضع جنداً بين المدائن والقادسية لتأتيه بالأخبار . أما سعد بن أبى وقاص فقد كان به دماميل لا يستطيع الجلوس بسببها ، فاختص قصراً له ثم عبأ الجند وحثهم على القتال . ثم التحم الجيشان ، وارتجز الشعراء ، فاشتد عواء الفيلة وأجفالها ، ثم انكسر الفرس وأسر هرمز من ملوكهم ، ووقعت الصناديق عن الفيلة ، وكانت سبعين فيلا وهلك من عليها ، ثم أعادوها فى ثالث يوم فدمروا أيضاً . ثم هبت ريح قلبت سرير رستم فقام يستظل بظل بغل فضربه هلال بن علقمة فقتله ، وطيف برأسه ، فتفرق الفرس وأخذ العرب رايتهم الكبرى ، وكان عدد قتلى العرب فى هذه الوقعة نحو ثمانية آلاف ، وعدد قتلى الفرس زهاء ثلاثين ألفا . وبسببها سقطت بلاد العراق فى يد العرب حياهم الله .

الطلاق الثلاث بلفظ واحد :

فى ص ٥٧١ من عدد « الرسالة » ٦٧٦ (لقد كان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر ، وفى صدر خلافة عمر ، ولكن الناس خالفوا ذلك فأوقعوه ثلاثا فأمضاه عمر عليهم عقوبة لهم ، وأخذ الأئمة الأربعة بحكم عمر فى ذلك) ...

وفى سنن البيهقى وعند الطبرانى وغيرهم بأسانيدهم : كانت عائشة بنت الفضل عند الحسن بن على ، فلما بويع بالخلافة هنأته ، فقال الحسن : أتظهرين الشماتة بأمير المؤمنين ، وأنت طالق ثلاثا — ومتعها بعشرة آلاف — ثم قال لولا أنى سمعت جدى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أو سمعت أبى يحدث عن جدى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا طلق الرجل امرأته ثلاثا عند الأقراء أو طلقها ثلاثا مبهمة لم تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، لراجعتها وإسناده صحيح .

ومن الدليل على وقوع الثلاث بلفظ واحد فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام حديث الملاعنة المخرج فى صحيح البخارى ، حيث قال عويمر العجلانى فى مجلس الملاعنة : كذبت عليها إن أمسكتها يا رسول الله ، فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره النبى عليه الصلاة والسلام ، ولم يرد فى رواية ما أنه عليه الصلاة والسلام أنكر عليه ذلك ، فدل على وقوع الثلاث مجموعة ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليدع الناس يفهمون وقوع الثلاث بلفظ واحد لو لم يكن هذا الفهم صحيحاً . قال ابن حزم : لولا وقوع الثلاث مجموعة لأنكر ذلك عليه . وفهم البخارى أيضاً من هذا الحديث ما فهمته الأمة جماء من الوقوع حيث ساق هذا الحديث فى صحيحه فى (باب من أجاز طلاق الثلاث) .

وفى المجموع الفقهى عن زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليهم السلام أن رجلا من قريش طلق امرأته مائة تطليقة فأخبر بذلك النبى عليه الصلاة والسلام فقال بانت منه بثلاث وسبع وتسعون معصبة فى عنقه . وبمعناه أحاديث فى (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٤ ص ٣٣٨) ، ومن حديث ابن عمر قال أرأيت لو طلقتها ثلاثا أكان لى أن أراجعها فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لا ، كانت تبين ...

وأما حديث ابن عباس (كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ...) الذى أخرجه مسلم فى صحيحه . فقد رده النقاد لعلل كثيرة ، منها :

١ — مخالفته لمذهب راويه ابن عباس فقد ثبت عنه أنه يرى أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثا . روى ذلك عنه عطاء



حديث البرد أو البرداء :

قرأت من أسابيع حديث الدكتور زكي مبارك الأسبوعي في صفحة جريدة « البلاغ » الأدبية ، فوجدته يفتتح الحديث بالبرد وخوفه منه ، وشدة هلعه من آثاره في جسمه ، ثم ختم الحديث — حديث البرد — بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في البرد : اتقوا البرد ، فإنه قتل أخاكم أبا الدرداء .

ويغلب على الظن — بل أكاد أكون جازماً — أن تلك القولة إنما هي سجعة سجع بها بعض المتفاصحين فإن أبا الدرداء — واسمه عويمر بن مالك الأنصاري الخزرجي — لم يمت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يخبر الرسول عن وفاته بسبب البرد أو غير البرد من أسباب الموت المتعددة ، بل عاش إلى ما بعد ذلك بأمد طويل ، فقد عاش إلى سنة ٣٢ من الهجرة حيث توفي في الشام وقد ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي الدرداء هذا عويمر حكيم أمتي . وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الفازي عويمر . وكان أبو الدرداء رضي الله عنه تاجراً من كبار تجار المدينة قبل الإسلام ، وصار بعد أن أسلم من نساك الفرسان ، وشجعان النساك . عليه رضوان الله .

(حلوان) برهان الدين الداغستاني

١ — طريق الهجرة النبوية :

كنت استدركت على الأستاذ الحصاني بعض مواضع مر بها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته ، معتمداً على (عيون الأثر في فنون المغازي والسير) لابن سيد الناس — طبعة مصر — و (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي) — طبعة مصر — مما لم يذكره الأستاذ محمود الحصاني في (خريطة الهجرة النبوية) وقد زارني عالم أديب نجدي فاطلع على هذه الخريطة وعلق عليها

وعمرو بن دينار ومالك بن الحارث ومحمد بن إياس والنعمان بن أبي عياش وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم ، بل طاوس نفسه راوي الحديث السابق عنه .

٢ — انفراد طاوس بروايته ، وإنه لم يتابع عليه ، وقال القاضي اسماعيل في أحكام القرآن وقال غيره أيضاً : طاوس يروي أشياء منكرة منها هذا الحديث ...

٣ — وجود انقطاع في الحديث ، وفي صحيح مسلم بعض أحاديث منقطعة .

٤ — إن أبا الصهباء أحد رواته إن كان مولى ابن عباس فهو ضعيف على ما ذكره النسائي ، وإن كان غيره فهو مجهول .

٥ — إن في بعض طرقه (هات من هناتك) وجل قدر ابن عباس عن أن يواجهه أحد من الصحابة في طبقته فضلاً عن مولاه بمثل هذا الخطاب ، وعلى تقدير إجابته يكون الجواب من هناته المردودة باعترافه ، وقد اشتهر حكم رخص ابن عباس عند السلف والخلف .

٦ — استحالة خروج عمر رضي الله عنه على الشرع بالرأي ، وسكوت الصحابة على ذلك .

٧ — حديث ركانة الذي بمعنى هذا الخبر ، هو حديث منكر على مايقول الجصاص وابن عبد البر وابن الهمام والحافظ ابن حجر ، وأعله البخاري بالاضطراب ...

٨ — حديث ابن عباس لفظه محتمل ، وعند الاحتمال يسقط الاستدلال .

هذه كلمة موجزة استخلصتها من (الاشفاق على أحكام الطلاق) و (ذيول تذكرة الحفاظ) و (أحكام القرآن للجصاص) و (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي) .

لاظ أوغلي :

كانت الإذاعة المصرية أذاعت كلمة مقتضبة عن هذا الرجل ، فأزيد عليها بأن معنى اسمه (ابن لاظ) وهي قبيلة قوقازية على ساحل البحر الأسود ، وهي فرع من الجركس . وكان سلاحدار خسروباشا والي مصر قبل محمد علي باشا ، ثم تولى في عهد محمد علي باشا الكتخدائية (وزارة الداخلية) بعد إقالة طوبوز أوغلي .

محمد أسامة عليبة

بما يأتى — وأهل مكة أدرى بشعابها — :

١ — منازل ثقيف هى فى الطائف وما حوله ، وليست لهم منازل فى شمال خيبر .

٢ — الرجيع من منازل هذيل بقرب مكة ، لا فى شمال المدينة .

٣ — بماث بالثاء المثلثة ، لا بالتاء المثناة .

٤ — بواط بدون أل التعريفية ، على ما فى (عيون الأثر) ومعجمات اللغة .

٥ — العشيرة هى من قرى ينبع النخل وبقربها ، لا على الساحل .

٦ — العيص هى قرية تابعة لينبع ، وليست على الساحل .

٧ — بئر معاوية صوابها (بئر معونة) فى أرض بنى عامر .

٨ — بنو زبيد مسا كنهم رابغ وما يجاورها ، ولم يكونوا هنا فى عهد الهجرة بل كانوا باليمن .

٩ — غران بالنون ، لا بالراء .

١٠ — وادى حنين يقع بين نخلة ومكة ، لا فى شرق نخلة .

١١ — عكاظ هو فى الجنوب الشرقى من الطائف ، لا فى الشمال الغربى منها .

١٢ — كرا الواقع بين الطائف وعرفات هو بالراء لا بالدال ، وهو جبل عظيم ، وأما (كدا) فهى ثنية بمكة ، وتسمى الآن (ريع الحجون) .

١٣ — الوتير هو بالتاء المثناة ، لا بالثاء المثلثة .

١٤ — نخلة ليست موضعاً واحداً ، بل هما واديان عظيمان بقرب مكة ، أحدهما وادى نخلة اليمانية ، والآخر وادى نخلة الشامية ويجتمعان فيكونا وادياً يسمى مر الظهران ، يصب فى البحر الأحمر ، فى جنوب جدة .

٢ — من أوهام الأقلام :

١ — لكم تداولت أقلام الكتاب « حبذت عمل فلان » يريدون بذلك استحسنت عمله . مع أن أئمة اللغة أمسكوا عن الإقرار بصحته ، إلا صاحب القاموس فقد قال : « لا تحبذنى أى لا تقل لى أنت حبيبى » وقد أثبته تباهياً على الجوهرى فى أن القاموس أغزر مادة من الصحاح ، وقال صاحب التاج : فى زيادة مثله على الصحاح نظر . فلو تسامح أعلام اللغة فى استعماله ما تسامحوا فى جواز دلالته على المعنى الذى استحدثه له بعض كتاب هذا الزمن .

٢ — وأحلوا « المواطن » فى موضع « الوطنى » مع أنه لا يدل على شيء مما يعنون ، فهو اسم فاعل من واطنت فلانا على هذا الأمر إذا أضمرت فى نفسك أن تفعله معه .

٣ — ويستعملون « الحياد » فى عدم الدخول فى الحرب ، مع أنه من اللفظ المهمل عند العرب ، بهذا المعنى فالاعتزال أدل من غيره على التنحى عن الحرب ، قال الحارث بن عباد :

قد تجنبت وائلا كى يفيقوا وأبت تغلب على اعتزالى

٤ — ويقولون « لبثوا هناك برهة من الزمن » يعنون به وقتاً قصيراً . مع أن البرهة هى الوقت الطويل . وللوقت القصير ألفاظ كثيرة عند العرب ، منها « هنيهة » .

٥ — ويقولون « إخصائى » والصواب « متخصص » وهو المنقطع إلى ممارسة فن واحد يحذقه . لأن الإخصاء هو سل الخصيتين . وقول القاموس : « أخصى تعلم علماً واحداً » خطأ .

٦ — ويقولون « المخابرة — المخابرات » والصواب « المراسلة » لأن المخابرة هى المزارعة على نصيب معين .

انتهى بإيجاز من (المناظرة اللغوية الأدبية بين الأساتيذ : عبد الله البستانى والمغربى والكرملى) المطبوعة بمصر .

محمد أسامة عليبة

حول كلمة (غورى) :

فى نقدى لديوان « طفولة نهد » للشاعر السورى نزار قبانى يقول الأديب الفاضل عثمان موسى معقباً على بعض ما قلت فى نقدى لديوان « طفولة نهد » إننى عبت على كلمة « غورى » فى شعر نزار قبانى ، وهى كلمة صحيحة من غار يغور ، وإن الذى دعانى إلى هذه التخطئة هو أن العامة استعملت هذا الفعل بمعنى قريب جداً من هذا المعنى … والشيء الذى أود أن أقوله له هو أن الزاوية التى نظرت منها إلى الكلمة بعيدة كل البعد عما ذهب إليه فأنا — مع على بأن الكلمة صحيحة — لم أتعرض لها بالتخطئة وإنما تعرضت لها من ناحية تأثيرها فى الصياغة الشعرية ؛ لأن كلمة « غورى » حين ترد فى بيت من الأبيات تجعل القالب الشعرى أقرب إلى النثر منه إلى الشعر .. ولا يعيب المعانى مثل صبها فى قوالب نثرية .

هـذا هو كل ما قصدت إليه ، وعلى الأديب الفاضل أن يرجع إلى ما كتبت ، وأن يراجع بعد ذلك نفسه ! . .

أنور المعداوى



على هامش كتاب :

٢ – سعد زغلول من أقضيته

« إلى القانونى الأديب الأستاذ عبده حسن الزيات تحية شكرى وإعجابى »

للأستاذ عدنان الخطيب

٢ – الغيرة القومية :

فى مصر قضاءان ، كان الأجنبي منها دائرة تحصيل وتشجيع للأجانب على امتصاص أموال البلاد ، والتمادى فى الاستملاء على أصحابها الشرعيين ، يوم كان (.. يقاد الفلاح الأمى ، ويقاد المصرى الذى يتصبب عرقاً فلا يملك وقار نفسه حين يستطيع أن يقرأ أنباء الوفيات فى صحيفة عربية ، وتقاد الأرمل الغرير ، يقاد هؤلاء ، ويقاد من هو أجهل منهم وأضعف إلى أقلام كتاب المحاكم المختلطة فيمضون أو يبصمون أوراقاً لا يميزون أسفلها من أعلاها ، ولا يجرأون أن يرفعوا عيونهم إلى الموثق المعظم الذى يحررها ، ثم ينصرفون وبقال « عقود رسمية » لا يكلف تنفيذها هذا الدائن الرابى أو المخاتل ، إلا أن يدفعها إلى أقلام المحضرين أو ينزع بها ملكية العقار ، فهى كالحاكم أو أقوى ، هى الحكم الذى ظهر بغير دفاع ، وبغير مستندات ، وبغير معارضة ، وبغير استئناف ، وبغير التماس .

وكان القضاء الأهلى مفخرة يفاخر بها الشرق العربى إذ كان فيه رجال كسعد وإخوانه ، تقرأ أحكامهم فتجد فيها (فقهاً جباراً سليما ، وعقلا قانونياً بالطبع ، لا تختلط عليه شمرة بشمرة) وإذا انتهيت منها انتهيت (إلى نتيجة لا ترضى القانون وحده ، ولكنها ترضى العاطفة الوطنية أيضاً) .

اسمع سعداً يرد على مصرى أحب أن يحتمى بالقضاء الأجنبى صارخاً فى وجهه [لا سلطة لقوانين المحاكم المختلطة إلا على الحقوق المختلطة] ، وهناك أحكام كثيرة إن قرأتها وجدت فيها صورة صادقة عن (جهاد سعد الأول فى مكافحة الامتيازات وتمصير القضاء) ذلك الجهاد الذى أثمر معاهدة مونترو يوم ظفر (تلامذة سعد وأصدقاؤه بتقليم أظافر نظرية الصالح المختلط) والذى نرجو أن ينتهى قريباً بقطع كل يد أجنبية تنقص من استقلالنا ، وفى وجودها اعتداء على حريتنا أو عدم ثقة بعدالتنا ، ونحن يوم كنا فاتحين غالبين ، لم يكن فى الدنيا عدل غير عدلنا .

٣ – النصوص عن العبث :

(فى قواعد الاجراءات مدنية وجنائية ، وفى دفوع الخصوم ، تحكمات كثيرة قد يؤدى تطبيقها تطبيقاً أعمى إلى نتائج غير عادلة ومضحكة أحياناً) ولكنك إذا رأيت قضاء سعد عندما يصطدم بتلك التحكمات رأيته (قضاء جمع بين السلامة والحكمة) وإذا قرأت الأسباب التى يستهل بها أكثر أحكامه قرأت أسباباً (محكمة قوية التدليل ... تنبئ عن التحرر من الشكليات وصون الحق من أن يضحى فى سبيلها إذا أمكن تضحيتها هى بغير خرق للقانون) فاسمع سعداً يقول فى حكم له [إن هذا يعتبر خطأ فى التطبيق . وكان يوجب الغاء الحكم المطعون فيه لو أنه أضر بالمتهم] أو قوله [إن الخطأ فى تطبيق القانون لا يكون وجهاً للنقض إلا إذا نشأ منه ضرر] لا بل انظر سعداً حين يقرر [أن عدم تبيان تاريخ الحكم المستأنف فى عريضه الاستئناف لا يستلزم بطلانها إلا إذا ترتب عليه عدم تمييزه عما عداه] لتعرف سعداً أى القضاة كان فى سعة أفقه وتحرر فكره ، واستجابته للحق المجرد .

٤ – وضع الأمور فى نصابها وصبر القضاء :

(دقة التمييز بين المتشابهات هى ميزة الفقيه الأولى ، والصبر من ألزم وأجل ما يتحلى به القاضى الكامل) وقد كرس الأستاذ الزيات هذا الفصل (لبيان مدى تمكن هاتين الصفتين من عقل سعد ومن نفسه) وهو لم يحاول فيه أن يكيل الثناء لسعد كيلا (بالحق وبالباطل ، إنما كان يحاول تحليله) ودراسة آثاره دراسة عميقة تصور للقارىء عظمة سعد فى تفكيره ، وعظمته فى أخلاقه

وأنك إذا قرأت حكما من الأحـكام التى نقلها لعجبت أن ترى الدائرة التى أصدرته (لا تهمل فى أسـبابها أن تؤاخذ ، وتتعب ولا ترى عبثاً أن تسمع إلى المبطل لتقول له بعد ذلك — أو لتقول للناس فهو أدرى بنفسه — بأسباب طويلة مفصلة ، كيف وفيم كان مبطلا) ولوجدت خير شاهد على كل هذا فى مثل قول سعد [نعم إن ذلك ربما يفضى إلى ... ولـكن عكسه يؤدى إلى ... » ثم «وحيث أنه وإن كان الحـكم الصادر فى مواجهة أحد الشركاء فى حق غير قابل للانقسام لا يسرى على بقيتهم فإن قطع المدة الخ» ثم « وليس هذا لأن ... بل لأن ...]

إن جميع تلك الأحكام التى صدرت عن دائرة فيها سعد يكفيك النظر إليها لتقر الأستاذ الزيات على أن محررها كان سعداً لاعتبارات عديدة وفى طليعتها (ظاهرة اللوم يوجـه إلى دفاع الحـكومة وصوت المرشد والمعلم الذى لا يأسف حين تسـنح له فرصة تشبع فيه شهوتين : شهوة الإرشاد للاصـــلاح ، وشهوة الإرشاد للاستعلاء على الضعاف والمهملين)

اقرأ تلك الأحكام ، اقرأها لتعرف معجباً كيف كان (يضع « المعلم » ويضع « الفقيه » كل شىء فى نصابه) وكيف كان « القاضى » يصبر صبر القاضى العادل الرزين .

٥ — حرية الدفاع وحقوقه :

كان فى سعد (حرص القاضى العادل على مظهر العـدل ، وحب الخطيب الترافع لسماع المرافعات) وكان لا يعترض صاحب حق أو صاحب دعوى فى الدفاع عن موقفه ... ولا يضيق فرص الدفاع أمام شاك أو مشـكو) والأستاذ الزيات لا يعنى بلفظـة « الدفاع » هذه (الترافع عن المتهم فقط ، إنما يعنى الدفاع عامة فى الميدان المدنى والجنائى ، ويعنى به هذا المعنى الفنى المتخصص الذى يرادف « المحاماة » و « المحامين ») فسـعد الذى يقول إن [حفظ النظام الذى من أهم أركانه ألا يحكم انتهائياً على أحد إلا بعد تمـكينه من الدفاع عن نفسه] يوجب [أن يكون الدفاع عن المتهم حراً خالياً عن جميع المؤثرات التى تقيد المحامى]

ولـكن سعداً إن احترم الدفاع ولم يضيق عليه لم يكن ليتساهل معه إذا تجاوز حقوقه أو أخل (فى نظـام التخاصم ، أو لم يحفظ للقضاء هيبته) وهو لم يتأخر مرة عن أن يصدر حكما يعرض فيه بمن أخل بالنظام ، إن قرأته رأيت فيه (عصا المؤدب ترتفع ... وهو كاشر عن نابه ، ممتد بقعـــده العالى ، يغمه السخط على هؤلاء الذين اجترأوا على مقامه ، اجتراء إن لم يبلغ حد الخلاف لأمره ، فقد بلغ حد التصرف بغير إذنه !) بل إنه لا يتأخر أحياناً عن الرد على المحامين وهو (يبيع لهم بضاعتهم ويأخذهم بمنطقهم ، ويقيدهم بحبال من صنعهم) ؛ بل هو لم يتأخر مرة أو مرات عن إحالة بعض المحامين إلى مجلس التأديب لأنهم أهملوا واجباتهم ، أو لأنهم استعملوا الخديعـة مع خصومهم ؛ وليس هذا بمستغرب من قاض لم يتأخر عن القول [أن الخطـة التى جرت الحـكومة عليها فى هـذه الدعوى لا توجب ارتياح القضاء لأعمال مندوبها فيها]

(لا توجب ارتياح القضاء ! وليس هذا بالقليل حين يصدر من القضاء !

وليس هذا بالقليل حين يصدر على الحكومة ! إنه اتهام ! فإدانة ! فعقاب !!)

٦ — الفقه الشرعى :

درس سعد فى الأزهر ، فتفقه فى الدين ، ثم درس الحقوق وتقلد منصب القضاء ، وأخذ يحكم بين الناس بموجب القوانين المدنية الحديثة ، ولـكنه (لم يهمل الإفادة من دراسته الفقهية الأزهرية ؛ بيد أنه لم يتعمد التعالم بها وإقحامها فى غير مقحم ، وإنما كان يضعها موضعها حين يكون العرض لها والأخذ منها أمراً لازماً أو شبه لازم) لقد أصدر مرة حـكماً يقول فيه [إن المعول عليه فى الشريعة الغراء ... هو الموافق للعدل ، إذ لا يجوز لمدين أن يتبرع بمال تعلقت به حقوق الغير]

لقد كتب سعد هذا الحـكم وهو بلاشك (مغتبط بما وجد عند الشريعة الإسلامية من رأى معول عليه ، اغتباط القاضى العادل حين يجد النص « الموافق للعدل ») وإذا علم القارىء أن صاحبى سعد فى حكمه هذا كانا أجنبيين لا يجد أية صعوبة فى (تمييز الولد العظيم لهذا الأثر العظيم)

٧ — القاضى المحافظ :

تكلم الأستاذ الزيات فى كتابه كثيراً عن (ثورة المصلح وغيرة العادل ، وتحرره من الاوضاع وتمرده على شكليات القانون والبحث عن الحق أنى ثقفه ، وتوفير العدل من كل طريق) ولـكنه أسرع فى فصله السابع إلى الـكلام عن سعد المحافظ

حتى لا (ترسم للرجل فى الأذهان المتسرعة الشغوفة بالأحكام المطلقة صورة ذات أود لا تصدق التعبير عنه أولا تستوفيه) ونقل لنا أحكاماً من قراءتها نجد سعداً ليس بالمحافظ الجامد ولا بالمجدد المائع ، بل هو القاضى المفكر الذى (يستقصى الحقيقة) وينطق بالحكم الذى يرضى وجدانه ، وليس فى أحكامه (ما يند عن مزاج محافظ ، وليس فيها أيضاً ما يتعارض مع مزاج مجدد) .

وليس أجمل من هذه الفقرة يختم بها الأستاذ الزيات فصله إذ يقول (ويتصل بمعنى المحافظة الروح العائلى الذى يطالعنا فى أكثر من حكم واحد : كره سعد من نظار الوقف أن يتحيفوا حقوق المستحقين ، وأبى على بعض الورثة أن يتملكوا حصص الآخرين بما يزعمون من وضع يد مستطيل ، ثم كره من صغار الأخوة أن يستأدوا كبارهم الريع عما مضى ، ذلك بأنهم حيوا فى أكنافهم ، فليكن الريع فى النفقة ، ولتكن الأسرة وحدة ، ولتظل المحبة أخوة متآخين على سرور متابلين .

فإذا دخلت الجريمة بين الأخ وأخيه ، أو بين الوالد وبينه ، فالويل للجرم الأثيم : لن يظفر من رفق سعد واسماحه بغير (القصاص) الجسيم .

٨ — القاضى الجنائى :

خير كلمة وصف بها الأستاذ الزيات سعداً القاضى الجنائى (هى كلمة « الموزون ») وصفه بها بعد أن نقل كثيراً من أقضيته الجنائية ، وأثبت كيف كان كل واحداً منها (قضاء رفيقاً عادلا موزوناً كما أثبت أن سعداً لم يكن (بالقاضى الذى يجهل أو يجهل وظيفته الاجتماعية ، ولا شك أن القاضى الجنائى الذى يقدر دوره الاجتماعى حق قدره لا يستطيع أن يحمل لوزن العقوبة ميزاناً من نحاس أو حديد ، فميزان هذا شأنه لن يغنى مهما يكن مدى انضباطه) انما العدالة (تريد ميزاناً حساساً مستجيباً بلون العقوبة باللون المناسب للمتهم ، ويفردها كما يقول أصحاب علم العقاب) .

كان سعد إذا اقتنع لا يتأخر عن الإدانة أبداً ، ولكنه كان (لا يكتفى بأن يقتنع ، وإنما يرى حقاً عليه للعدل والضمير الاجتماعى والمتهم نفسه) أن يقنع كل الناس (بما اقتنع به) ، ومع كل هذا فقد سمح كاتب جلساته لنفسه بأن يقول عنه أنه كان (يبتعد عن الإعدام ، وأنه كان يتهم بأنه ما زال فى قضائه متأثراً بحرفة المحاماة والدفاع عن المتهمين) والحقيقة الناصعة أن أحكام سعد كلها ليس فيها (تضييع لحق الجماعة ، ولا إهدار لمصلحة الفرد والدفاع) ؛ أسمعه ، وقد تألم من عقوبة حصلت بنتيجة خطأ ، كيف ثار وصرخ (إن العدالة الإنسانية التى وضع القانون لاحترامها تأبى إيلام نفس بعقوبة) تنتج عن خطأ . لا بل أسمع هذا المبدأ على لسان سعد المشرع [لا يجوز أصلا أن يلقى الشخص عقابه ويعذب ويتألم ، بينما تكون العدالة لا تزال مشتغلة بشأنه ، باحثة فيما إذا كان مستحقاً لذلك العقاب أم لا)

وصفوة القول أن قاضينا الجنائى (لم يكن بالمتحرج فى تأويل النص المعاقب ، ولا بالمترخص فيه ، ولم يكن الجانح إلى الإدانة ، أو الشغف بالتبرئة ، ولم يصطنع قسوة الحكم كبدأ ، ولا اختط التسهل طريقة) بل كان القاضى الذى (عرف ابن بلين وابن يقسو) أنه كان (القاضى الموزون) .

(البقية فى العدد القادم) عدنان الخطيب

سكك حديد الحكومة المصرية

قطار اكسبريس (راس البر) بين القاهرة ودمياط

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه ابتداء من ١٠ يونيه سنة ١٩٤٨ وحين صدور إعلان آخر سيسير قطار اكسبريس (عربة صالون بولمان ودرجة أولى وثانية وثالثة) بين القاهرة ودمياط ثلاث مرات فى الأسبوع يغادر القاهرة فى الساعة ٠٠ ٨ ويصل إلى دمياط فى الساعة ٠٥ ١٢ أيام الثلاثاء والخميس والسبت ويعود من دمياط فى الساعة ٠٠ ١٧ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٠٥ ٢١ أيام الأربعاء والجمعة والأحد .

وذلك وفقاً للمواعيد الآتية :

المحطات		٩٣٩ اكسبريس عربة بولمان ودرجة ١ و ٢ و ٣	
مصر	قيام	٠٠	٨
بنها	»	٤٠	٨
الزقازيق	وصول	٠٩	٩
	قيام	١٤	٩
ههيا	»	٣٢	٩
أبو كبير	»	٤٦	٩
كفر صقر	»	٠٣	١٠
السنبلاوين	»	٢٦	١٠
المنصورة	وصول	٤٨	١٠
	قيام	٥٨	١٠
شربين	»	٢٦	١١
دمياط	وصول	٠٥	١٢

المحطات		٩٤٠ اكسبريس عربة بولمان ودرجة ١ و ٢ و ٣	
دمياط	قيام	٠٠	١٧
شربين	»	٤١	١٧
المنصورة	وصول	٠٧	١٨
	قيام	١٥	١٨
السنبلاوين	»	٣٩	١٨
كفر صقر	»	٠٤	١٩
أبو كبير	»	٢٣	١٩
ههيا	»	٣٦	١٩
الزقازيق	وصول	٥٢	١٩
	قيام	٥٧	١٩
بنها	»	٣٠	٢٠
مصر	وصول	٠٥	٢١

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨١ — الاثنين ٢١ يونيو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٧٨١ — الاثنين ٢١ يونيو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٠٥٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 781 — Lundi — 21 — 6 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٦٧ — ٢١ يونيو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فى النقد التـــاريخى

للأستاذ عباس محمود العقاد

يشيع فى هذا العصر نقد التاريخ ، لأن أبواب التاريخ على اختلافها قد أصبحت من موضوعات الدراسة الشائعة فى المدارس والجامعات ، وأصبح التعليق عليها من عمل الأساتذة والطلاب والقراء .

وقد لاحظنا أن نقدة التاريخ عندنا يثبتون وينفون ، ويصوبون ويخطئون ، ويعرضون للروايات والأسانيد بين قبول ورفض ، وبين ترجيح وتوهين ، ولكن الكثيرين منهم لا يلتفتون إلى الفرق بين صحة الرواية ودلالة الرواية ، وهما شيئان مختلفان ، لأن الرواية الصحيحة قد تكون خلواً من الدلالة فى تاريخ الأمة أو سيرة العظيم ، وقد تكون الرواية الكاذبة أدل على الأمة أو على العظيم من كل خبر صحيح .

لهذا لا يصح أن يكون عمل الناقد التاريخى مقصوراً على إثبات الصحيح وإسقاط غير الصحيح ؛ لأن الخبر الذى له دلالة نفسية أو دلالة اجتماعية لا يسقط من سجل التاريخ ، وإن كان مقطوعاً بكذبه أو مشكوكا فيه ؛ فإنما المهم — جد المهم — فى التاريخ هو ما يدل عليه .

ولنذ كرمثلا لذلك ما قيل عن حروب الإمام على رضى الله عنه مع كفرة الجن فى الكهوف والمغاور ، وما كان من تأليبه الجن المسلمين على الجن الكافرين فى أيام الدعوة الإسلامية .

فقل فى صحتها ما تشاء . قل إنها كذب محض وتوليف من نسج الخيال ، ولكنك لا يجوز لك من أجل ذلك أن تلق بها فى سلة المهملات كما يقولون ، لأنها لا تكون من المهملات وفيها دلالة على شىء كثير ، وفيها بيان للفارق بين « شخصية » على وشخصية غيره من الشجعان فى نظر الناس .

لم لم ترو أمثال هذه المعارك عن خالد بن الوليد ؟ إن خالدا رضى الله عنه كان من أشجع فرسان العرب والإسلام ؛ فليس اعتقاد الشجاعة فى إنسان هو الذى يوحى إلى الخيال أن يتمثله فى تلك الصورة وينسج حوله أشباه تلك الروايات ، ولكنها الشجاعة وشىء آخر غير الشجاعة ، وهو الإيمان بقدرة غيبية أو بسر من الإسرار الإلهية يملكه هذا الشجاع ولا يملكه ذلك الشجاع .

وإذا بلغ من رواية « خيالية » أنها تريك كيف كان بطل من الأبطال فى نظر الناس ، فتلك دلالة نفسية لا تظفر بها فى كثير من صادق الأخبار .

هذه التفرقة بين حجة الرواية ودلالتها هى التى نلاحظها فى إيراد بعض الروايات التى نشك فيها أو نقطع بنفيها ، ولكننا لا نسقطها من الحساب عند الكتابة عن سيرة عظيم من العظماء لأنها لا يصح أن تسقط من الحساب وفيها دلالة عليه أو على نظر الناس إليه .

لاحظناها في سيرة كل عظيم من عظماء العرب الذين كتبنا عنهم ، ولو أننا أسقطناها لفاتنا أن نفهم حقيقة العظيم كما كان ، وأن نفهم حقيقته كما كان في نظر الناس .

من ذلك في سيرة عمرو بن العاص أننا أوردنا رواية ابن الكلبي حيث قال : « لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل غزة ، فبعث إليه علجها أن ابعث إلى رجلا من أصحابك أكلمه ففكر عمرو وقال : ما لهذا أحد غيري ، وخرج حتى دخل على العلج فكلمه ، فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله : فقال العلج : حدثني ! هل في أصحابك أحد مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هذا ؛ إني هين عليهم إذ بعثوا بي إليك وعرضوني لما عرضوني له ولا يدرون ما تصنع بي . فأمر له بجائزة وكسوة وبعث إلى البواب : إذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ما معه . فخرج من عنده فمر برجل من نصارى غسان فعرفه ، فقال : يا عمرو ! قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج . ففطن عمرو لما أراده ، ورجع فقال له العلج : ما ردك إلينا ! قال : نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يسع بني عمي ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد . فقال : صدقت . أعجل بهم ، وبعث إلى البواب أن خل سبيله » .

فهذه القصة تذكر ويقال فيها إنها غير مقطوع بصحتها ، ولكنها تذكر لدلالتها النفسية ودلالتها التاريخية . وكذلك فعلنا حين عقبنا عليها فقلنا « إنها لا تؤخذ على علاتها في تفصيلاتها ولا يلزم أن تصح أصولها ولا فروعها ، ولكنها تدل – ولو كانت مؤلفة – على أشياء قريبة من الحقيقة ، بل لا بد أن تكون قريبة منها ، لأن صدق الأخبار عامة لا يستقيم ولا ينتظم بغيرها . فمن تلك الأشياء شهرة عمرو بالدخول في أمثال هذه المداخل العويصة التي يجرب فيها حيلته كما يجرب إقدامه . ومنها أن عرب الشام كان فريق منهم على الأقل ينظر إلى الحرب بين الروم والمسلمين نظر العصبية الجنسية على ما بينهم من الفارق في العقيدة ... الخ »

وهكذا فعلنا فيما رويناه من فراسة عمر بن الخطاب وملكاته الغيبية واشتهاره بها بين المسلمين . فإن الرواية في هذا المقام تذكر وتشفع بالتعقيب عليها وبيان حكم العلم والتاريخ فيها ، ثم تؤخذ منها دلالتها على كل فرض من الفروض ، وإن كان بعض هذه الفروض إنها مخترعة أو أنها نقلت مع المبالغة فيها والزيادة عليها .

***

فرق إذن بين الصحة والدلالة في الروايات التاريخية .

وفرق آخر – شبيه بهذا الفرق – بين أمرين آخرين لا يعطيان حقهما من التفرقة ، وهما النفي وعدم التصديق .

فإذا مر بك خبر مقرر فجزمت بنفيه فأنت المطالب بالدليل .

ولكنك إذا مر بك خبر من الأخبار فلم تصدقه فأنت الذي تطالب الدليل ، وليس عليك أن تقيم دليلا لأنك لم تصدق خبراً تعوزه الأدلة ، بل كل ما عليك أن تذكر أسباب الشك أو أسباب عدم التصديق .

وهذا الذي فعلناه فيما روى عن وأد الفاروق لبنت من بناته ، فإن الرواية ناقصة تبعث الشك ولا تطرد مع سائر الأخبار ، فليس علينا أن نصدقها ولا يقال إذا نحن لم نصدقها إننا مطالبون بدليل أو أننا نفينا كلاما بغير برهان .

ولعلنا نقرب الفرق بين الأمرين بتشبيه عصري من مسائلنا المعهودة في الدعاوى اليومية . فكلام المدعى لا يلزمك ما لم يقم دليلا عليه ، ولكن حكم المحكمة يلزمك فلا تنقضه أنت إلا بدليل أقوى من أسبابه التي بنى عليها .

***

ومن الفروق التي نعرض لها في هذا الصدد ذلك الفرق البعيد بين الحوادث كما تدل عليه في ذاتها ، وبين الحوادث كما تدل عليه في تقدير صاحبها الذي تنسب إليه .

ولنضرب لذلك مثلا من حديث مكتبة الاسكندرية .

فإننا أشرنا إليها واتبعناها بالأدلة التي تبرىء الفاروق من تبعة إحراقها ، ثم قلنا إن الفاروق لا يلام على إحراقها لو صح أنه أحرقها وهو غير صحيح ؛ لأنه لا يطالب بعلم الفلسفة اليونانية ولا يتبين صلاح تلك الفلسفة من أحوال أهلها . « فقد كانوا على شر حال من الضعف والفساد والجهل والهزيمة والشقاق والتهالك على سفساف الأمور . فإذا كان عمر غير مطالب بعلم الفلسفة اليونانية أو غير ملوم على فوات الاطلاع عليها ، وإذا كانت أحوال الأمم التي هي أهلها لا تدل على قيمتها بل تسوغ الاعتقاد بخلوها من كل قيمة ، فأين هو العيب في تفكيره إن صح أنه فكر على

ضربت عليهم الذلّة والمسكنة

للأستاذ نقولا الحداد

يدعى اليهود أن الذى حملهم على اختلاق دولة يهودية هو أنهم مضطهَدون فى كل مكان . لأنهم أقلية مسحوقة فى كل مكان . فإذا صار لهم دولة لجأوا إليها فراراً من الظلم والاضطهاد إذا صدق زعمهم هذا فليعتبوا على ربهم لأنه صرّح فى القرآن الشريف أنهم : ضُربتْ عليهمُ الذّلةُ والمسكَنةُ . وليسألوا ربهم يهوَه رب الجنود لماذا ضربهما عليهم دون سائر البشر .

والله ما هم بمضطهَدين . بل هم مضطهِدون (بفتح الهاء فى الأولى وكسرها فى الثانية) .

كيف يكونون مضطهَدين وقد جمعوا ثروات العالم وبها يتحكمون بالضعفاء والمنكوبين ؟ كيف يكونون مظلومين وهم خمسة ملايين فى الولايات المتحدة الأمريكية يسيطرون على ١٣٠ مليوناً ؟ وكيف يكونون مظلومين ومضطهَدين وهم يحاربون الآن بمائة واثنين وسبعين مليون ريال تصدق عليهم بها الأمريكيون المسيحيون المغفلون بصفة كونها إعانة لمشرديهم فى أوربا ؟ وكيف يكونون مضطهَدين وقد منحتهم إنكلترا المشوم وعد بلفور وأطلقت يدهم فى فلسطين فلكوا أثمن ما فيها وأعز ؟ وأخيراً جاءت أمريكا ومنحتهم مملكة ودولة فى فلسطين ومنها يبسطون أيديهم على جميع أمم الشرق .

ماذا يريد هؤلاء الأذلاء المساكين بعد هذا ؟ أيريدون أن يكونوا أسياد العالم والعالم كله مملكتهم وأن تكون أمم الأرض عبيداً لهم حتى يرضوا عن الله ؟

العالم لا يضطهدهم ولكنه يكره أعمالهم وتصرفاتهم الناقضة للانسانية ، ألا يتساءلون فيما بينهم لماذا يكرههم جميع الأمم ؟ فى كل بلد أقليات فلماذا لا تشتكى هذه الأقليات من الاضطهاد ؟

لماذا لا يعقدون مؤتمراً شاملا من أساطينهم من جميع جهات العالم ليبحثوا سبب بغض العالم لهم فيزيلوا السبب ويعودا إلى حظيرة الأمم محبوبين مكرمين ككل أمة وشعب ؟

لا نظنهم يجهلون سبب كره العالم لهم . إنهم يعلمون السبب وهو أنهم يكرهون العالم كله ، لأن كل من ليس يهودياً هو فى نظرهم « جوييم » ومعناه فى لغتهم نجس دنس رجس . وهم

هذا النوال ؟ » .

وقد جاءنا من الطالب النجيب « السيد رشاد هاشم » بمدرسة الزقازيق الثانوية تعقيب يقول فيه : « إن كونهم على شر حال لا يعطى القوة حقاً : إذ لو فرضنا أن عدواً غاضبا هجم علينا ونحن ضعاف بشر حال والقرآن بيننا أيجوزله أن يحرق القرآن ؟ »

وقبل كل شىء نحب أن يذكر الطالب النجيب أن الفاروق لم يحرق كتاب الدين فيضرب المثل هنا بما يقابله وهو القرآن ، وإنما أحرق فيما زعموا أوراقاً لا يعتقدها أصحاب ملة ، وترك الكتب التى يدينون بها وهو يعلم أنها تخالف الإسلام .

ثم نحب أن يذكر أننا لا نعطى القوة حقاً وإنما ندفع عنها لوماً ، وإن مثل الفاروق ومكتبة الاسكندرية كمثل رجل باع بيتاً فيه كنز مدفون يساوى أضعاف ثمن البيت . فأنت لا تتهمه بالجهل لأنه لم يطلع على خبر ذلك الكنز ، ولا تتهمه بالسفه لأنه باع البيت بأقل من قيمته المدخرة فيه ، ولا تقول إنه لا يعرف قيمة الكنوز ، لأنه لم يدخلها فى ثمن البيت .

كل ما هنالك أنه لا يتهم على أساس معقول ، وليس من اللازم أن نقول إنه كان على حق أو على صواب .

وهذا هو الفرق بين دلالة الحادثة فى ذاتها ، ودلالتها كما تدخل فى تقدير صاحبها الذى نسبت إليه .

فالذى يحسب على الفاروق هنا هو ما يدخل فى تقديره ، ولا لوم عليه أن أحرق مكتبة الاسكندرية بهذا التقدير .

***

وهذه الفوارق بين الصحة والدلالة ، وبين حق النفى وحق الشك ، وبين الحادث كما وقع والحادث كما أريد ، ألزم ما يكون استحضاراً عند قراءة التاريخ ، بل عند مباشرة كل عمل من أعمال الحياة .

عباس محمود العقاد

يتصرفون مع الناس بمقتضى هذه العقلية الخبيثة . فيحللون لأنفسهم مال « الجوييم » ويستحلون سفك دمهم واغتصاب أملاكهم وهضم حقوقهم . ولا يردهم تلمودهم عن هذا . بل بالعكس يبيح لهم كل هذا وأكثر منه . لا يردهم عن هذه الإباحية إلا قوانين البلاد وقضاؤها . فإذا أمكنهم أن يفعلوا فعلتهم ويتحاشوا القضاء فلا خوف عندهم من الله لكي يردهم .

قد ينبري بعضهم وبعض متناصريهم لتسفيه قولي هذا واعتباره افتئاتاً عليهم وتحاملاً . فليقل المتشيعون لهم : ماذا يحسبون تفظيع اليهود في دير ياسين وطبريا وميرون وغيرها بالأطفال والنساء والشيوخ ؟ هل يفعل هذه الفظائع من يخافون الله ؟ هل يفعله المتمدنون ؟

وماذا يفسر المدافعون عنهم تعمدهم تسميم الآبار في غزة بميكروب الكوليرا والطيفوئيد لكي يباد الجيش المصرى هناك عن آخره .

والله إن الذى لم يفعله هتلر بهم فعلوه هم بالعرب . تورع هتلر عن استعمال الغازات السامة وعن تلويث المياه بالميكروبات المرضية . وأما هم فلا يتورعون . فما ذا كان هؤلاء اللئام يقولون لو فعل العرب بهم مثل فعلتهم ؟!؟ ولكنهم يعلمون جيداً أن العرب لا يرتكبون هذه الدناءات . ولهذا هم يستغلون هذه النزاهة العربية .

كم مرة تعهدوا بهدنة وكانت الهدنة من مصلحتهم فنقضوها ما سكت العرب عن القتال احتراماً للهدنة حتى أسرعوا إلى الخيانة والغدر .

والغريب أن هؤلاء المنافقين يترجون الصليب الأحمر أن يسمع لهم العرب بإخراج ٦٠٠ امرأة وطفل من القدس القديمة لكيلا يقتتلوا تحت وابل رصاص العرب . يطلبون هذا الطلب لأنهم يعلمون جيداً أن العرب يشفقون على الأطفال والنساء فيريدون أن يستغلوا شفقة العرب . ولكن جلالة الملك عبد الله لم يعد يصدق مكرهم فأبى أن ينيلهم هذا الاستغلال .

وهل تنطوى هذه الهدنة الأخيرة ذات الـ ٤ أسابيع من غير أن ينقضها الصهيونيون مراراً ؟ والعرب يصبرون عليهم صبر الكرام . لا أعتقد أن هذه الهدنة تطول فسينقضها اليهود وثم ينقضُ العرب عليهم انقضاضهم الأخير فيمحقونهم .

العرب لم يقترحوا الهدنة لأنهم لا ينتفعون بها بل يأبونها ، ولأنها من مصلحة الصهيونيين . وما رضى العرب بها إلا لكيلا يقال إن العرب لا يريدون سلاماً . فليعلم العالم الآن من يريد هدم السلام .

إني أتخيل دولة صهيون الخيالية تقول مع شمشون الجبار : « عليّ وعلى أعدائي يا رب » إذا شبت الحرب العالمية الثالثة بسببهم . هذه هي أخلاق هذه الطائفة التي تدعى أنها مضطهدة . وهي ذليلة مسكينة ولكنها غادرة خائنة ، فكيف تستحق الشفقة اللهم إنها لا تنال الشفقة إلا من المتيَّم بها عاهل الأمريكان الذى يهون عليه أن يضحى بمصلحة بلاده وبسلام العالم على مذبح رضى الصهيونيين . ولا يزال هذا الأحمق يتحبب لليهود ويستضيف زعيمهم ويزمان على الرغم من أن أمريكان الشرق قد احتجوا على سياسته الخرقاء . ولكن يظهر أنه لا يحسب حساباً إلا لاحتجاج أمريكان أمريكا نفسها وسيظهر احتجاجهم في أنهم لن ينتخبوه .

وقد علمت من مصدر ثقة أن جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود أبلغ الشركة الأمريكية المتعاقدة معه على البترول ، أنه سيضرب بالعقد الذى بينهما عرض الحائط ، إذا كان ترومان سيسلح الصهيونيين أو يؤيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

نقولا الحداد

الجنس والحضارة

للأستاذ عبد العزيز جادو

لقد كان قليلا ذلك الذى فهمناه عن اللاشعور وصلته بالأحلام ، وعن الجنس وظواهره العقلية العجيبة قبل أن يبدأ سيجموند فرويد عمله العظيم . فلقد أوضحت دراسة التطور العلاقات التى بين كل المخلوقات الحية ، وتماثل البناء التشريحى بين كثير من الأجناس . ولا يزال علم السيكولوجيا يعوزه بعض استكشافات لتوطد أركانه نهائياً على أساس ثابت من قانون ؛ وليتتبع النمو التدريجى للعقل من بسيط إلى مركب .

ومما يجدر بالذكر أن الدكتور بريور De Breuer الذى عمل معه فرويد أول الأمر فى « الملاجات الناطقة » Talking treatments لاحظ بعض أعراض شاذة فى حالة امرأة شابة عزاها إلى الهستيريا . وعجز عن إزالة هذه الأعراض باستخدام التنويم المغنطيسى ، الذى كان يزاول فيما مضى بتوسع أكثر من الآن ، وكان شائعاً إذ ذاك فى صناعة الطب ، وأخذت حالتها تزداد سوءاً . ولاحظ الدكتور بريور أن مريضته فى حالات « ذهولها » تتمتم مع نفسها . فجعلها تكرر الكلمات التى تفوهت بها ، وبهذه الطريقة علل الباعث على الفكر التى تسلطت على عقلها حتى توالدت . وكان الأثر لمنشأ هذه الأوهام والتخيلات التى تسلطت على الفتاة هو فى الواقع وجود « الدوافع المخبوءة » Hidden Motives الشركة فى مظاهر اللاشعور التى تفوق الحصر فى علاقاتها بالحياة اليومية وبالحالات العقلية المرضية .

وعاد فرويد ، الذى كان يدرس فى ذات الوقت على العالم الشهير شاركوت Charcot. — إلى فينا ليلتقى بالدكتور بريور ، الذى كان يستعمل حينذاك « طريقة المسهل Cathartic. Method » . وظهر لفرويد أن بريور لم يفهم تماماً علاقة هذه الطريقة بالسيكولوجيا العلاجية ، فأقنعه بإتمام أبحاثهما فى الإجراءات التى ابتكرها حديثاً ، ومع ذلك فقد أضاع بريور بعض حماسته بخصوصها .

ولم تتزعزع ثقة فرويد فى كشفه ولم تفتر همته . فواصلا استقصاءاتهما مدة من الزمن تراءى لهما فى نهايتها إقامة الدليل على قيمة كشفها ، وانتهيا إلى النتيجة بأن العاطفة المحبوسة فى مريض إذا ما عوقت فى طريقها إلى الإفلات الصريح ، فإنها تتحول إلى أعراض شاذة ، إما فيزيقية وإما عقلية . وبملاحظة مرضاهما فى عيادتهما ، وجدا أن الأعراض كثيراً ما يكون لها صلة ببعض حادثات فى حياتهم . وقادهما هذا إلى الاعتقاد بأن الاختبارات المرضية Pathological كانت تتعلق بأخرى قبلها ، وتلك التى كانت قبلها ليست فى حاجة إلى الباثولوجية فى طبيعتها ؛ وأن التجارب التى سبقتها زودت المصادفة الباثولوجية الأخيرة بخلق عقلى . وبعد أن تعاون فرويد وبريور معاً مدة من الزمن فى هذه الملاحظات والتجارب انفصلا أحدهما عن الآخر فقد دب الخلاف إذ لعب الجنس دوره فى تكوين العصاب Neuros s . وهكذا مضى فرويد قدماً بمفرده ثم نشر تطبيقاً عملياً من نتاج مجهوده . بسماحه لمريضه أن يتكلم بكل ما يدور بخلده ، وبعد ملاحظة بالغة منتهاها فى الدقة ، اقتنع بأن أى شىء يحدث للمريض له صلة مباشرة أو غير مباشرة (يجرح) ما فى لا شعوره .

وفى عام ١٨٩٥ ألقى فرويد أولى محاضراته عن اكتشافاته ، التى قدر لها أن تكون بشيراً بميلاد التحليل النفسانى . Osycho analysis . ولقد تبعه بادىء الرأى ثلاثة نفر من الوسط الطبى هم أدلر Odler ، وستيكل Stekel ، وسادجر Sadger . ولكن فى سنة ١٩٠٠ بدأ يانج Yung وثلة صغيرة من أتباعه الفيزيقيين ، يستعملون الطريقة الفرويدية بعيادة طب الأمراض العقلية فى زوريخ . وبعد ثمانية أعوام ، وبناء على دعوة يانج قام أول مؤتمر لمدرسة الفيزيقيين هذه فى سالزبورج .

عند ذلك أخذ الطلبة الجادون ذوو الضمير الحى يدخلون الميدان أفواجاً . وظهرت المؤلفات الفكرية والانتقادية تحمل طابعى مقدرة المدرسة وحمية الرائد . ومن ميدان علم النفس العلاجى انتشر علم التحليل النفسانى ، وامتد إلى ميادين علم الأساطير Mythology والحواديت Folk - lore . وبدأت تظهر الشروح التى تعوزها التفسيرات السيكولوجية ، وبدأت تطغى على أساطير الجنس البشرى وخرافاته . واتضح أن رغبات السلالة البشرية التى كانت تتوق إلى الرضى خلال العصور جاء وصفها فى الخرافات والأساطير ، وأنه إذا فهم الشخص المفتاح

السرى الذى يعده به التحليل النفسانى لأمكنه أن يفسر معنى كل تلك القصص القديمة . فقد قال علماء التحليل النفسانى أن عواطف البشر لونها فنان أعمى على لوحة من الفكر .

ومن المعروف قطعاً لدى علماء الأنتربولوجيا أن الرمز لعب دوراً هاماً فى الانتاج البدائى لعقل الإنســان . بل إن طريقتنا اليوم فى التعبير عن الفــكر قائمة على أساس صورة من الرمزية ؛ فالمهندس الذى يتصور تجويف مدخنة ، والموسيقى الذى يوفق السيمفونيات السماوية ، والفنان الأديب ، كل أولئك يستعملون الرموز كثيراً . وقد أشار أندريه تريدون André Tridon فى أحد مؤلفاته إلى أن : « لغة جميع الشعوب رمزية ، ودائماً ما يفرض الإنســان فى كلامه مقارنات بين مظاهر ثابتة فى الطبيعة وأجزاء من جسم الإنسان . فنحن نتكلم عن فم النهر أو الـكهف ؛ وعن مهاد الأرض أو جوفها أو بطنهـا ؛ وعن قمة الجبل أو سفحه . ونقول إن فى البطاطس عيوناً ؛ وأن اللون داق » ، وحقائق جافة ، وأننا نشم رائحة التعب وغير ذلك .

كيف دخلت هذه التعبيرات فى كلامنا ، وكيف سبر علماء التحليل النفسانى صلتها بأسس تفكيرنا ؟ .. لن نحتاج إلى كبير عناء لنعرف أن هناك معنى عميقاً وراء كل هذا اللف فى كلامنا . إن علاقة ما ، ليست معروفة إلى الآن ، كانت متوثقة بين عناصر ثابتة موجودة فى اللغة وهى الفـكرة البدائية عند بنى الإنسان .

والإنسان يملك فى داخل نفســه اتجاهين : يوصف أحدهما بالتقارب أو المـائل نحو المركز Tentripetal ؛ والآخر بعيد أو منحرف عن المركز Tentrifugal . الأول يميـل إلى نقله إلى الأمام ؛ والآخر يظهر رغبة صريحة للرجوع إلى حالة بدائية . ونرى هـذا الاتجاه ، مثلا ، فى البناء التشريحى للانسان حيث تثابر أحياناً بعض أعضاء جرثومية ثابتة على النمو ، يشيع التعب المظلم فى الإنســان . ولقد سرد ميشنكوف Metchnikotf فى مؤلفه القيم « طبيعة الإنسان »[1] أمثلة كثيرة عن النشاز الموجود فى تشريح الإنسان ، وهل يمكننا أن نشير إلى «النشاز» فى بنائه العقلى أيضاً ؟ أن نيتشه Nietzsche ، الذى سبق علماء التحليل النفســانى ، تنبأ بكثير من كشوفهم ، فذكر فى أحد مؤلفاته : « فى نومنا ، وفى أحلامنا ، نمر بجميع فـكر البشرية القديمة . وأعنى بهذا أن الإنسان يدرك فى أحلامه ما أدركه أثناء حالات اليقظة منذ آلاف السنين . فالحلم يرجع بنا إلى حالات قديمة من التهذيب الإنسانى ، ويقدم لنا الوسيلة لتفهمها بطريقة أجدى وأحسن . أبدى هذه الملاحظة أخيراً علماء النفس المشتغلين بالفروض الحديثة التى أظهرتها نظريات فرويد وحسنتها ، كما أنها الملاحظة قررت ما لهذا الفيلسوف الشهير من بُعد نظر ونفاذ بصيرة .

لايخفى أن لـكل شخص دافعاً جنسـياً Libido يطالب بإرضاء رغباته . وإذا لم يقدم له هذا الإرضاء بوسيلة سوية فإن الميل إلى الرغبة يكون فى حل من التسرب من أضعف نقطة فى خط التقييد . وإذا لم يتم هذا أيضاً ، فهناك تسليم من العقل لما يسـميه علماء التحليل النفسانى بالتعالى أو التسامى . هـذا لأن الرغبة تتسرب من خلال قنوات لا يستعملها العقل لمنفعته حين تـكون الرغبة قادرة على الإرضاء بطريقة اعتيادية . ومن قوانين الطبيعة أن القوة تميل إلى قهر العوامل المـكبوتة فى بيئتها بغض النظر عما تـكون عليه هذه العوامل . وليس من قوة فى الطبيعة أعظم ولا أكثر أهمية — حسب الترتيب البيولوجى للأشياء — من الدافع الجنسى .

يقول العالم النفسانى المعروف كوريات Ioriat : « إن الفكر اللاشعورية موجودة وفعّالة فى الفرد العادى كما هى فى المريض بالأعصاب . والفـكر اللاشعورية أو الآراء غالباً ما تظل هكذا ، لأن قوة يطلق عليها المقاومة تمنعها من أن تصير شعورية . ويعمل الـكبت كثيراً ما يلتقى بالفشـل وعدم التوفيق ، لأن الدافع المـكبوت الرغبات والعقد النفسية تواصل البقاء فى اللاشعور ومن ثم تبعث إلى الشـعور بديلا متنكراً فى هيئة أعراض عصابية »[1] . حينما ينقضى النهار وما فيه من مؤثرات ، يدخل الفرد فى دولة النوم ، فتتسلل الرغبات اللاشعورية لتمثل دورها فى هيئة حلم . ولـكن هنا ، كما فى حالة اليقظة ، يكون الرقيب مُتنبهاً يقظاً ، وبالتالى تسدل على المشهد ستار الرمزية لتخفى طبيعة الرغبات الواقعية التى تعلن عن نفسها .

وفى هذا الصدد كتب أحد تلامذة فرويد التقدير الآتى : « إن الرقيب هو الذى يجبر الأحلام على اتخاذ لغة الرمزية الغامضة لـكى يكفل إمكان ترتيب رواية المادة الجنسية فى الأحلام . فإذا أقنع الشخص نفسه بفائدة الرمزية المظيمة فى ترتيب رواية المادة الجنسية فى الأحـلام ، لا بد أن يصطدم بالسؤال عما إذا كان

(١) The Nature fo Man

(١) Hbnormal Psychology P . 18

كثير من هذه الرموز تبدو كأنها حروف اختزال بمعنى ثابت لكل الحالات . ويجب أن نلاحظ بهذه المناسبة أن هذه الرمزية لا تتعلق بالأحلام فحسب ، ولكنها تتعلق أيضاً بفكر لا شعورية لأناس ، وإنها لكائنة في « الحوادث » والأساطير وفي الأمثال السائرة وفي الحكم المأثورة وفي النكات كوجودها في الأحلام . ومن بين هذه الرموز المستعملة أشياء كثيرة تمنى بانتظام الشيء ذاته ؛ وفوق هذا ، وفي الغالب ، فإن الفهم العام والنشاط الجم إنما يعتمد على عقلية هذه المخلوقات »(١)

ولكل جيل دستوره الخاص بمعاملته وعاداته ، وفكره ، وآدابه ، وقيمه ، الخ .. وهذه كلها تلقي قيودها على الفرد وعلى رغباته . وإذن فلكل جيل بنوع ما ، يمكن أن يقال إن له مرتبته اللاشعورية . والجماعة لا تنفك تغير البيئة على الدوام لأن الفرد يضطرها أن تختار وترتب لنفسها المقاييس التي لا يمكن عملها دائماً له ليعيش لها . والفرد إذ يحاط بسور من القمع الذي تسببه الجماعة ، لا يسمح له بالتحدث في هذا البحث الحيوي بالطريقة الصريحة التي يعالج بها أي موضوع آخر ذي أهمية لوجوده . ولا يخرج الأمر كله عن كونه تحريماً tadoo . ومن هنا ينشأ الإحساس بأنه لابد من وجود شيء قبيح يختص به . وهكذا ترقى المرتبة في اللاشعور — مرتبة الكبت . وقد تبدو كلها واضحة في الظاهر . والفرد يدور حول واجبه اليومي ولا يظهر أي أعراض لطبيعته الجنسية . ولكن ، في أعماق عقله توجد شخصية تختلف تمام الاختلاف عن التي تظهر سطحياً

ولقد أوضحت تقصيات علماء الأمراض العقلية كل هذا بمهارة فائقة . ولوحظ مرة تلو أن السيدات الفضليات اللاتي يعانين هيئة معينة من الانحراف العقلي يتفوهن بسباب عنيف وفحش شديد . والنساء الخليعات ، من جهة أخرى ، اللاتي يعانين نفس هيئة المرض بالذات لا يمكنهن إظهار هذا المرض بالصيغة التي تظهرها أخواتهن الأحسن منهن . والصورة الواضحة للكبت ونتيجته تؤثر على بعض الأنواع .

ودراسة مذهب الروحيين Animism يمدنا بالدليل الأول عن المادة . فالإنسان القديم يعتقد أن له نفساً أو روحاً تحرك حياته على هذه البسيطة . وتنتقل هذه الروح بعد الممات إلى دائرة أو بيئة أخرى لتبقى موجودة ككيان مستقل . وما كان الجسم إلا مجرد مسكن للنفس ، وكان ينظر إليها كمخلوق ممتاز . ولم يكن هناك بالتأكيد أي فهم لتأثير الجسم على العقل كما هو معروف في هذا الزمن .

ويأتي الإنسان بالتدرج ليكبر نفسه كي تحيط بأشياء لا حياة لها . ويعتقد بأن لكل شيء روحاً . فالريح الصاخبة التي تثور في الغابات فتحطم كل ما يصادفها في طريقها لها روح والنسيم العليل الذي يسلم جسمه لنوم مريح فيه روح ولكن الإنسان في الوقت ذاته يعتقد أن هناك وراء الحياة جميعها تكمن قوة غامضة — التكوين . الجنس — فرد رغباته الجنسية وإحساساته إلى أشيائه المؤلهة . والانفعالات البشرية في الطبيعة ، كيفما تكن ، كانت محجوبة فوق الآلهة . وبعد مدة من الزمن أصبح الجنس الصيغة الأصلية لعبادة الإنسان وعقيدته . وكان هذا في حال من الشعور الاجتماعي في كثير أو قليل من الصفاء . وأصبح الجنس قبيحاً بظهور الحياة المعقدة ، أو كما اصطلح على تسميتها الحضارة . والإنسان المجرد بالنسبة إلى الطبيعة يبدو أقل الأجناس بالنسبة لانحطاط الفكر ولكنه أسماها في الوظيفة .

والإنسان اللاشعوري يظل مخلوقاً طبيعياً . فهو يعبر عن رغباته سواء سُمح له بذلك أم لم يسمح . والطريقة التي يعبر بها عن ذلك تتوقف على مقدار التحديدات التي تفرضها عليه البيئة . وهو يرى جاذبية سرية لدافعه الجنسي في أشكال وفي أبنية أشياء كثيرة في بيئته كما تعود أن يرى حين كان همجياً . وإنه ليختبر صنفاً من الإرضاء الجنسي بتفرسه فيه وترك أفكاره تجول كما يريد . وبعض عوامل البيئة كالقصص الفكهة والصور الفنية التي من طراز معين ، خلقت بصراحة لهذا الميل الذي يميل إليه الإنسان ، وإنها تقدم المنفذ لبعض النماذج المكبوتة .

فالإعلان مثلا له جاذبية على الشاهد أساسها الروابط الجنسية . وإعلانات الحائط الكبيرة والرسوم التي تعلن عن المنتجات التجارية ، بمظهرها ذي الرونق الزاهي لنساء نصف عاريات ، ترسم بجلاء ووضوح أن الإنسان سينظر إلى شيء يفتنه جنسياً ، أسرع وأطول مما ينظر إلى أي شيء آخر ليست فيه هذه المزايا . والإنسان يرغب ، بوعي أو بغير وعي ، في إطالة لذته الجنسية . والدافع الجنسي بفطرته سيتمسك بأي شيء يساعده في هذا الاتجاه . فهو راقد في طبيعة الإنسان ذاتها للسعي وراء اللذة والعمل على اجتناب الألم .

(١) Freud's Theories of the Neurosis , P . 105 Dr . Hitchman

وإطالة الحب بوساطة العنصر الروحى أشار إليها الفيلسوف كنت بقوله : « وعلى قدر سرعة الذهن فى النشـاط ، فهو لا يتوانى عن بذل تأثيره أيضـاً فى المحيط الجنسى . وسرعان ما اكتشف الإنسان أن منبه الجنس Atimulus الذى اعتمد فى الحيوانات على مجرد دافع دورى غالباً ما يكون وقتياً ، كان فى حالته الخاصة مقتدراً على الإطالة ، وفى الغالب على الزيادة والكثرة بواسطة قوة التخيل (١) » .

ونجد أن الرغبة تتحقق فى شـكل رمزى لا فى الأحلام فقط ، سواء أحلام النوم أو أحلام اليقظة ، ولـكن فى الشعر والموسيقى والفن والأدب ، الخ ...

والحياة فى طريقها السريع لتكون أكثر تعقيداً ، وسرعة الحياة الحديثة تجبر الإنسان على تنظيم نشـاطه اليومى بالنسبة للزمن الذى تسمح به بيئته . فركبات الترام المزدحمة ، والمطاعم ، والملاهى ، والحوانيت ، والشوارع ، تشهد على ازدياد السرعة التى جلبتها الحضارة الحديثة ملايين الأنفس تسير قطعانا ضمن الحدود الضيقة بالمدينة . وهذه الحاجة التى تتطلبها السرعة الجنونية ترقى فى عقولنا هيولية غامضـة chaos . وبلاد اليونان لم تنجب مفكريها العظام إلا لأنها منحت سـكانها وقتاً للراحة ، هذا الوقت الذى يعد من المستلزمات التى لا تقدر قيمتها لـكل نفس فنانة .

وفى أثناء كل هذه السرعة وكل هذا التزاحم ، كيفما يكن ، تعمل الجنسية صامتة على التأثير فى الإنسان والضغط عليه وإقناعه ، وحثه طوال حياته . ولـكن الإنسان لا يعير كل هذا أى التفات . فهو جد مشغول بالعوامل الموضوعية فى بيئته ، هذه العوامل التى هي ، بعد كل هذا ، أكثر وضوحاً وأكثر أهمية فى نظره . وفى بعض الأحيان تكشف الجنسية عن نفسها مع نسمات الصيف الرقيقة ، وفى أحيان أخرى ، مع عواصف الشتاء الهوجاء . ولـكننا فى كل الحالات نتعامل مع المادة نفسها — الليبدو . وأعمال الليبدو لا تخضع للتأثير مع مرور الزمن . هذا التأثير الذى أصبحنا نعرفه الآن وندريه بواسطة استقصاءاتنا السيكولوجية .

عبد العزيز جادو

(١) The Probable Beginning of Human History Publisked in 1786

الذين جنوا علينـــا

الذين جنوا علينا ... فبذروا فى طبعنا الحرمان ، وغرسوا فى قلبنا الألم ، وأقاموا حياتنا على دعائم من الشك اليائس ، والحيرة المضنية ، والفكر الحزين ، والحسب الغشوم ... بيت ومدرسة وتقاليد ! فى أرجاء البيت ، تحكم الوالد ... فنع النافع ، وأجاز الضار ؛ وفى حلقة الدرس ، أفلس الأستاذ ... فدرس الغث وترك المفيد ، وعنى بالقشور وأهمـل اللباب ، وفى جحيم البيئة ، تسلطت التقاليد ... ففرضت الحياء ، وأكسبت الجـبن ، والتواكل ، وراضتنا على خلق العبيد !

ومن ثم ، فلم يكن أمل فى ابتكار ، ولم يعد رجاء فى انتظار ، وأرواحنا ظماءى إلى المعرفة حنانة إلى الثقافة ، عطشى إلى الجمال ، يعتمها البيان العالى ، ويشجيها الأسلوب الرصين ، ويطربها اللحن البديع ، فتندفع فى غير تحفظ ، وتسرع فى غير اعتدال ، لتلحق ركب الفن والأدب ، والحب والخير ، علهـا تصيب من ثمار الأذهان مفيداً ، ومن قرائح المباقرة جديداً ، يؤهلها لأن تدرك وجودها فى الحياة ... وما عاش فاقد المعرفة ، وما خلق صدىء الشاعر ، وما تمتع بليد الأحساس ، وليس جدير بالبقاء ، حى لا تختلط ذرات الحب الأسمى ، بدمائه وقلبه ، وأهازيجه وأفكاره حتى ذلك الحيوان الأعجم !

تلك هى محنـة الشباب الأبى ، فى عصرنا الحر ، حرمان رهيب عنيف ، يتلاشى مع الزمن ، أو يتحطم مع العصيان ، فتنطلق الغرائز على سجيتها متطرفة ، ويستجيب الفرد لشهواته طائماً ، ويجد اللذة فى أن يركب رأسه ، فـلا يسمع من أبويه نصيحة ، ولا يطيع لأستاذه رأيا ، ثم يدفع الثمن أجراً غاليـاً ، من ثقافته وجهده ، ومن صحتـه وسمعته ، وعلى حساب مستقبله وكرامته ، ويذهب ضحية بريئة ، لأخطاء جسيمة ، وتوارثناها فيما خلف لنـا الماضى البعيد ، من جهالة وخرافة ، ومن محن وارزاء ! أيها الآباء المشفقون على أبنائـكم ، والأساتذة المحبون لتلاميذهم ... لن يقيم هـذا الموج ، قانون يسنه البرلـمان ، ولا سلطة يمنحها الناظر ، ولا شدة يطبقها الوالد ، ولن يصلح الخلل فى معاهدنا ، والضعف فى السنتنا ، والغثاثة فى ثقافتنا ، إلا تربية قويمة ، وتنشئة مستقلة ، وتعاون بين البيت والمعهد ، وثقة بين الوالد والمربى وحرية للابن أن يعبر عما يريد ، وأن يعالج ما يحب !

فإن أبيتم لنـــا الانحصار للدرسة ، وخناق البيت ، وقبر المواهب ، ووأد الرغبات ، فلا تعذرونا — إذا خرجنا إلى الشارع نهتف ، أو بقينا فى الدرس نصفق ، أو أسلمنا فكرنا وعقلنا ، لتيارات لا تتفق ورسالتنا السامية ، وما يعلقه الوطن على جهودنا وبحوثنا من خير عظيم …

الطاهر أحمد مكي

أسـطورة

للأستاذ على عبد الحي الحسني

من الأساطير التى سمعناها فى الصغر وبقيت فى غضون الذاكرة ، وبعض ثناياها أن رجلا اعتدى عليه عفريت من الجن بمثل ما كان يعتدى به الجن على البشر فبرز الرجل بكل ما أوتي من حول وطول وبكل ما قدر عليه من سلاح وشكة ليقتله .

هجم الرجل على العفريت بكل سـلاح ماض ولم يدع فى القوس منزعا لكنه لم ينكأ عدوه ولم يصب منه مقتلا .

وما زال الرجل يعيد الكرة بعد الكرة ويجرب سلاحاً بعد سلاح والعفريت ساخر منه غير محتفل به كأنه من نفسه على أمان ، ومن سهام الرجل وهجماته فى حصن حصين .

حار الرجل فى أمره وأعياه أمر العفريت وكاد يقطع من قتله الرجاء إذ أخبره أحد العقلاء أن روح هذا العفريت فى حوصلة ببغاء وهذه الببغاء فى قفص من حديد ، وهذا القفص معلق فى غصن شجرة ، وهذه الشجرة فى غابة كثيفة يسكنها سباع ضارية وحيات فاتكة ، وعقارب سامة ، ودونها خرط القتاد ، وحولها شم الجبال .

وما زال الرجل يطلع جبلا بعد جبل ، ويقطع وادياً بعد واد ويقتل وحشياً بعد وحش ، حتى خلص إلى هذا القفص وخنق هذه الببغاء ، ولم يكد يقتلها حتى حدثت رجة عظيمة دارت بها الأرض والفضاء ، وأظلمت بها آفاق السماء ، وصاح العفريت صيحته الأخيرة وكان جثة هامدة .. وهكذا قتل الرجل عدوه بعد ما لقى منه عرق القربة .

لعلك سمعت هـذه الأسطورة من عجوز فى البيت تحكيها لأحفادها أو أسباطها فررت بها مستهزئاً وقلت :

حديث خرافة يا أم عمرو !

نعم إنها لحديث خرافة وأسطورة من أساطير الأولين ، ولكنها تفيدنا بأن كل حى له مقتل ووريد ولا يؤثر فيه عدو حتى يصيبه فى مقتله ويقطع منه الوريد ، وأن دون ذلك المقتل وحول هذا الوريد حواجز وحصوناً .

وقد تسلط على الأمة الإسلامية عفريت من الحياة الجاهلية واعتدى عليها بصنوف من الخبال وضروب من الأذى والوبال ظهرت فى كثير من أخلاقها وأفعالها كاستخفاف بأحكام الشرع وتجرؤ على المعاصى ، ووقوع فى محارم الله ، واستعباد لعباد الله وإمعان فى الشهوات ، وإسراف فى سبيل التنعم واللذات ، وتهافت على الخسائس والرذائل ، وفرار من مكارم الأخلاق والفضائل « وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا » .

والناس طبقات : « عامة » و « أوساط » و « عظماء » .

فأما العامة فساكين تدور حولهم رحى الحيـاة بسرعة لا يرفعون فيها إلى الدين والسعادة الأخروية والاستعداد للموت رأساً ، وإنما همهم أن يؤدوا ضرائبهم ، ويجمعوا لأيام فراغهم ، ويكسوا عيالهم فهم يكدحون فى الحياة كدح الحمير والثيران لا يتبعون إلا للراحة الموهومة ، ولا يستريحون إلا للتعب الواقع ، فهم من البيت إلى الدكان ، ومن الفراش إلى المصنع أو السوق أو الإدارة ، ومن نصب إلى نصب ، ومن هم إلى هم ، لا تنتهى همومهم ولا تنقضى متاعبهم ، حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها .

وأما الأوساط فهم أسوأ منهم حالاً وأكدر منهم بالاً ، عذبهم الله بالحرص والجشع ، ينظرون دائماً إلى من فوقهم ، ولا ينظرون أبداً إلى من دونهم ، فهم فى هم متواصل وأحزان متسلسلة وشقاء مستمر وتدمر جبار وشكوى قائمة وأنين باق ، يجرون فى رهان لا ينتهى ، ويسابقون جياداً لا تكل ولا تسبق ، لا يزال قصب السبق بعيداً كلما انتهوا إلى غاية أخرى فجروا وراءها وهى تبتعد عنهم كما يبتعد الأفق من الطفل الذى يحاول دركه وشعاع الشمس الذى يريد قبضه ، وهكذا يتمثل منهم « المثل الأعلى » فى الغنى والثروة والرخاء والجاه ، فيموت الواحد منهم كثيباً منكسراً لم يستعد ليوم الجد ولم يأخذ لنفسه عدتها ، ويأتيه الموت فيقول « رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين »

وأما العظماء من الملوك وأبناء الملوك والأمراء فإنهم يريدون

أن ينتهموا الدنيا طولا وعرضاً ، وينتهبوا المسرات جرياً وركضاً لا يشفى غليلهم ولا يروى غليلهم وهم من دقائق الراحة إلى دقائق ، ومن بدائع إلى بدائع ، ومن ابتكار إلى ابتكار ، ومن لذيذ فى الطعام والشراب إلى ألذ ، ومن حديث من مستحدثات المراكب والقصور والأزياء إلى أحدث ، لا تكفيهم فى ذلك موارد قطر بأسره ، ومنابع ثروة أمة بطولها ، حتى يلجأوا إلى استقراض وتجارات وضرائب جديدة وإتاوات ولا يبالون فى سبيل ذلك أن يرهنوا بأيدى عدوهم رداء الزهراء أو كساء أبى ذر أو شملة أويس أو مصحف عثمان أو صمصامة عمرو بن معدى كرب أو رمح الزبير أو بردة كعب بن زهير ويهيئوا صبوحاً أو غبوقاً .

وقد هجم على عفريت الجاهلية جيش من المصلحين فصاحوا به من كل جانب ورموه عن قوس واحدة ولكن لم ينكأوا عدوهم ولم يصيبوا منه مقتلا .

ألقى الوعاظ والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر دروساً فى الأخلاق وأحاديث فى الترغيب والترهيب ، وطمعوا الناس فى الجنة وحذروهم من النار وبشروهم بالوعد وخوفوهم من الوعيد فسمع الناس كل ذلك فى هدوء ، ولم يحرك منهم ساكناً ولم يغير منهم خلقاً .

ألف المؤلفون كتباً جاءوا فيها بكل رقيق ، أوردوا فيها حكايات زهد العمرين ، وتقشف على بن أبى طالب ، ومواعظ الحسن البصرى ، وكلمات ذى النون المصرى ، ورقائق الفضيل بن عياض ، وزهديات أبى العتاهية ، وفصاحة الواعظ ابن الجوزى وتحليل الإمام الغزالى .

قوارع تبرى العظم من كلم مض

فقام الأغنياء والأمراء والملوك فاقتنوا هذه الكتب وزينوا بها مكاتبهم وتحدثوا عنها إلى ندمائهم وزائريهم فى لباقة ورشاقة ولكن لم تنفذ سهامها من العيون إلى القلوب ولم تجاوز أحاديثها تراقيهم .

قام الخطباء البارعون فألقوا خطباً أصمت الصم واستنزلت العصم فسمعها هؤلاء وأثنوا على براعتهم وفصاحتهم ومضوا لسبيلهم لم يبكوا على زلة ولم يقلعوا عن سيئة ولم يحدثوا لله عهداً لقد كان والله أقل من هذا يهز القلوب فى الجوانح ويستفرغ الدموع من الشئون ويرجف القصور ويقلب عروش الملوك ، ويحمل من أبناء السلاطين والأمراء مثل ابن أدهم وشقيق البلخى ، يسمع أحدهم — وهو خارج فى قنص أو رائح فى لهو — قارئاً يقرأ : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » الآية فيقول والله لقد آن ، والله لقد آن ، ويرمى آلات اللهو ويخرج من أبهة الملوك وحشمة السلاطين إلى تبذل الفقراء وتقشف الزهاد .

فهل فقدت الألفاظ على تعاقب الأيام معانيها ، أم اعتلت الأذواق أم استعجمت اللغات أم ماذا ؟

إن شيئاً من ذلك لم يقع ، ولكن نفسية الإنسان تغيرت تغيراً عظيماً . كان أمر الدين فى الزمان الماضى — برغم جميع أدوائه وعيوبه الخلقية والاجتماعية — جداً غير هزل . وكان أمر الدين يعنى كل واحد ويهمه كما تهم الحقائق والأمور الواقعة ، وكان دونه فى بعض الأحيان حجب من الترف والطبع والرسم وسوء المعرفة وقلة العلم فإذا ارتفعت هذه الحجب وتطرقت دعوة الدين إلى القلوب لم يحل دون التوبة وإصلاح الحال شىء .

أما الآن فقد أصبح الدين موضوعاً تاريخياً أو حديثاً علمياً بحتاً ، وأصبح الحديث عنه فى المجتمع العصرى كالحديث عن كوكب المريخ وعجائبه وعن القطب الشمالى وأخباره لا يعود على المتحدث والمستمعين بضرر أو نفع ولا يطالبهم بعمل أو ترك ولا يمسهم فى صميم مسائلهم ولا يعنى الإنسان ولا يهمه فى حياته إلا بمقدار ما يتظرف بمعرفته ودراسته فى بعض المجالس أو ما يحادث به أهله عند الحاجة أو ما يجلب به نفعاً ويدفع به ضراً فى مجتمع لا يزال يدين بالدين أو يحترمه فليس له إلا قيمته المادية المؤقتة .

وأصبحت الحياة وتكاليفها جد الجد ولب اللباب وأصبحت مسائلها هم الشيخ ودروس الصبى وشغل الشاب ، وأصبح الجهاد فى سبيلها والنجاح فى ميدانها ، مقياس الفتنة والذكاء ومعيار الظرافة واللباقة ورمز المروءة والشهامة .

وهنا يقف الداعى الدينى حائراً فى أمره كيف يواجه هذه العقلية الجامدة والنفسية الباردة فى سبيل الدين ، أنه واجه العقول الثائرة على الدين فأخضعها ببراهينه ، وشكوكا وريباً تمكنت

من النفوس فسلها بحكمته وملأ القلب إيماناً وطمأنينة ولكنه ههنا يجد نفسه فى موقف غريب لم يعهده ، فلا إنكار ولا جحود ولا إباء ولا استكبار ، ولا عناد ولا اعتراض ، ولا دليل ولا فلسفة ولكن حياد تام فى مسألة الدين واستغناء عن كل مايتصل بالآخرة ، وإخلاد الأرض ، ورضًى بالحياة الدنيا واطمئنان بها .

هنا يقف الداعى حائراً فى أمره كيف يواجه هذه النفسية ومن أى باب يدخلها ، إنه يجد حولها غشاء من حب الدنيا والمال فلاسبيل إليها ولا نفوذ فيها إلا بطريق الدنيا والمال ، وأن سبيل الدين غير سبيل المال ، وأن طريق الغيب غير طريق الحس والشهود ، فماذا يصنع ومن أين يبدأ ؟

إنه ألقى على القوم مواعظه ووجه إليهم خطابه وحكمته وأجلب عليهم بخيل العلم والبراهين ، فذهب كل ذلك فيهم سدى وأجابه لسان الحال قائلا « قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون » .

قرأنا فى حكايات « ألف ليلة وليلة » أن السندباد البحرى وجد بيضة عنقاء فظنها لكبرها وضخامتها وملاستها قصراً من رخام فدار حولها لعله يجد باباً يدخل منه فى داخل القصر ودار مراراً عديدة ، ولكنه لم يجد باباً وعرف بعد ذلك أنها بيضة عنقاء لا قصر من القصور .

كذلك يدور الداعى حول هذه النفسية المستديرة التى استهوتها الدنيا ، وغشى عليها حب المال أو الحياة فلا يجد فيها منفذاً ينفذ منه إلى النفسية وينزل فى أعماقها فيقطع منها الرجاء وينقلب منها خاسئاً وهو حسير .

روح هذا العفريت الجاهلى إذن هو الإخلاد إلى الأرض والرضى بالحياة الدنيا وعبادة المال والمادة ...

هذا مقتل هذا العفريت وهذا أبهره ووريده .

وإنما ضاعت فصاحة الفصحاء ، وخطابة الخطباء ، وبلاغة المؤلفين ، وأصحاب البراع وإخلاص المخلصين وحكمة الحكماء لأنهم لم يضربوا على الوتر الحساس ولم يصيبوا العدو فى مقتله .

بلغت المادية أوجها فى عهد الاستيلاء الأوربى وأصبحت فلسفة وفناً وحياة ودنيا ، وليس مظهر من مظاهر حياتها ، ولا مركز من مراكز نشاطها اليوم إلا والفضل فيه يرجع إلى أوربا وسيطرتها السياسية والاقتصادية مباشرة أو بواسطة والى غزوها التجارى والمالى .

نافس تجار الغرب بدافع من حب الغنى والثروة واحتكار الأموال — فى الصناعة والانتاج وغزوا ببضائعهم الشرق وامتصوا بها دماءه ، ولم يقض ذلك لبانتهم لأن نطاق الضرورة ضيق والجشع ما له نطاق فنافسوا فى انتاج دقائق المدنية وفضول الصنائع وكماليات الحياة وصبوها على الشرق صباً واستهلكوا فى ترويجها كل ذكاء وأدب وفلسفة وسياسة ، واستغلوا سذاجة الشرق وحبه للدعة والفخر ، فما لبثت هذه الدقائق والكماليات إن دخلت فى أصول المعاش ولوازم الحياة فى الشرق ، وأصبح الذى لا يتحلى بها لا يعد من الإحياء ، ولا يعامل فى المجتمع معاملة سواء ، وأخذت بتلابيب الشرق وأذهلته عن الدين والآخرة ، وعن كل شىء غيرها فى الدنيا ، وهاجت عليه هموماً لا إرجاء لها وبعثت فيه شرها للمال لا نهاية له ، وأجنحت عليه الحياة حجباً لا يسمع فيها إلا « هل من مزيد » .

وما يكاد الشرق يصل إلى هذه المنتجات وشروط الحياة على جسر من المتاعب والمصائب وعلى طريق من شوك وقتاد ، ولا يكاد يتحلى بها إلا وتصبح هذه المستحدثات آثاراً عتيقة وأطماراً بالية ، ويهجم عليه الغرب بطراز حديث من المنتجات والمصنوعات فينكص على عقبيه ويتزود لاقتنائها بالمال اللازم — بوجه مشروع أو غير مشروع — ولا يكاد يطلع بها على مجتمعه إلا ويرحل المنسوخ ويحل الناسخ — وهكذا لا يزال من حياته فى جهاد مضن شاق ، ومع المصانع الغربية والتصدير الغربى فى رهان دائم يسبقه فيلحقه ويلحقه فيسبقه ، ولا يزال من عيشه فى مضض وغصص يتجرعه ، ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت .

أفسدت المدينة الغربية والتجارة الغربية طبائع أهل الشرق وأذواقهم على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ، ألانت منهم القناة وأطفأت فيهم جمرة الحياة ، وأحدثت فيهم التخنث الأوربى . وأصبحت الفروسة العربية والنخوة التركية والفتوة الفارسية والبطولة الهندية والغيرة الأفغانية حديثاً من أحاديث التاريخ وأصبحت الحياة فى حواضر الشرق بل وفى بواديه نسخة قاصرة ممسوخة من الحياة الغربية المصطنعة لها ضرائها وليست لها سرائها ولها الغرم دون الغنم .

أصبح الناس فى كل بلاد فى تيار الحضارة الغربية يسيل بهم سيلها الجارف ولا يملكون من أمرهم شيئاً وأصبح الوالد لا يملك ولده والداهل لا يملك أهل بيته بل وأصبح الإنسان لا يملك نفسه أمام الهوى وانتقاد المجتمع اللاذع ووخز الضمير وغاص الناس فى بحر المدينة إلى آذانهم فترى الصعاليك من العجم يغدون فى حلة ويروحون فى أخرى ، وترى الحفاة العراة العالة من العرب رعاء الشاء ، يتطاولون فى البنيان ويتفاخرون باقتناء السيارات الأمريكية من أحدث الطراز وآخر الأنواع ، حتى يخاف أن تنقرض الخيل العتاق من أرض الجزيرة التى ملأت التاريخ والأدب لجديثها وأخبارها .

شحنت البضائع الغربية أسواق الشرق الإسلامى وأنبتت شرائين التجارة الغربية وعروقها — وهى طلائع السيادة الغربية وسيطرتها السياسية وسهامها التى لا تطيش — فى جوف أقداس البلاد الإسلامية واحشائها وجاست خلال الديار وأصبح أهلها عالة على البضائع الأجنبية حتى عادوا لا يتصورون الحياة والمعيشة بغيرها ولا يقضون حقوق الأعياد والأفراح إلا بها ، وامتصت هذه البضائع أموالهم بل دماءهم كالإسفنج تشربها فى بلادهم ، وصبتها فى بلادها — وهكذا أصبح ما يكسبه المسلم بعرق جبينه وكد يمينه وبرز ميتة فى أخلاقه ، وعلى حساب دينه ينتقل إلى البلاد الأجنبية .

التجأت الحكومات الإسلامية لتحقيق مشاريعها العمرانية كما تقول أو لقضاء مآرب رجالها كما يقول الناس إلى الاستدانة من الدول الأجنبية نخفت لذلك ورحبت به ورضخت لها بعض المال على شروط تجارية وامتيازات سياسية ، وأقبلت على البلاد الإسلامية تحلب ضرعها وتستخرج الذهب الوهاج وماء حياة الصناعة والتجارة (البترول) من بطونها وتهتبل فرصة العمل فى أرضها فتنشط ارسالياتها وتنشر فى أهلها المسلمين « رسالة الدين والحضارة » وتلحق عدواها المميتة فى الجهالة والفقر والبداوة ، ويتهافت الفقراء الذين أجهدتهم الضرائب وتكاليف الحياة على أجورها وخدمتها تهافت الفراش على الضوء والجياع على المائدة وهكذا أُصبحت بلاد الإسلام بين أخطار من التنصُّر والإلحاد والاحتلال الأجنبى » .

ثم هنالك « الطابور الخامس » وهو ذلك الأدب المسلول المسموم الذى ولدته الثورة الفرنسية وارتضعته الفوضى الخلقية، والإباحة فى أوربا وغذته الشيوعية ، ذلك الأدب الخليع المستهتر الذى ينبت فى القلوب النفاق ، ويسقى غرس الشهوات ويقوض دعائم العمران ويفسد نظام الأسرة ويسخر من كل فضيلة ويستهين بكل ادب ونظام ويزين للقارىء مذهب اللذة والانتفاع وانتهاز الفرص ويلخص التاريخ ويوجز الفلسفة والعلم فى حب المال والميل الجنسى ، ويصور العالم كله كأنه ليس إلا ظهور هاتين العاطفتين وليس وراء ذلك حقيقة علمية أو مبدأ سام ، أو غرض شريف .

وقد انتشر هذا الطابور فى أنحاء العالم عن طريق الأدب ، والروايات والمجلات والراديو ، والسينما وتأثر به الحاضر والبادى وتحدثت به العوانق فى خدورها ، وصار ينخر صرح الحضارة الدينية والأدب الإسلامى حتى تسرب العطب اليوم إلى لبابه .

وهكذا أصبح العالم كله شعوباً وحكومات وأفراداً تحت سلطان المادية والجاه والشهوات ، قد شغلت منه كل موضع ومنفذ وملكت عليه جميع مشاعره ، واستهلكت فى سبيلها جميع مواهبه وقواه وتفكيره وذكائه ، وخلقت فى الإنسان نفسية لا تؤمن إلا بالمحسوس ولا تفكر إلا فى اللذة والمنفعة والسعادة الدنيوية ولا تهتم إلا بهذه الحياة ومطالبها الكاذبة التى ما أنزل الله بها من سلطان والتى إنما فرضها على الإنسان الحياة المزورة والمجتمع الفاسد والتجارة الجشعة .

كيف يحل فى هذه المادية الدين الذى أساسه الإيمان بالغيب وإيثار الآخرة على العاجلة الذى يقول « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة هى الحيوان لو كانوا يعلمون » والذى يقول « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » والذى يقول نبيه صلى الله عليه وسلم « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » ويقول « حفت الجنة بالمكاره » .

إذن فالمادية فى هذا العصر هى علة الملل وعدو الدين الألد ومزاحمه الأكبر ، وأن أوربا هى زعيمها الذى تولى كبرها ووكرها الذى تطير منه وتأوى إليه وفيه تبيض وتفرخ .

فأين ذلك البطل الذى يمثل قصة الآدمى مع الجنى على مسرح التاريخ والواقع ؟!

لكهنو (الهند) **على عبد الحى الحسنى**

خطرات فى الأدب المعاصر :

١ ـ حالة أدبنـــا

أدبنا عكر لا لون له ولا طابع ولا شرعة ولا منهاج ولا هدف . أدبنا أكسح تنقصه الحيويه وتعوزه الروح ويفتقر إلى التوجيه الصحيح .

ونحن نريد أدباً يدفع إلى المجد ؛ يغذى الفكر ويهذب المشاعر ويروض النشء على تذوق كل جميل وفى هـذه الصدور اليائسة ينفخ هزة الحياة لتشعر وتفكر ثم تعمل لتحيا سعيدة .

أدبنا عكر لأن فيه من كل مذهب بدعة ، ولكل طائفة شرعة ، ولكل أديب أو متأدب دعوة ، وكل ثائر ناقم يمجد نهجه ويعيب غيره . فمن مشرق يتمسك بالقديم البالى ؛ يركب نهج القديم باسم الاصالة ، ويفتعل فى الأدب باسم القومية ، وعلى المعنى يجنى باسم التعمق ، وعلى اللفظ باسم الجزالة بل وعلى الأدب باسم الأدب . هذا القديم ضال فى غوايته ، تائه فى ضلالته ، ناس أو متناس أن الأدب فن رفيع من فنون الحياة يتجدد بتجددها ويتأثر بكل مافيها من مؤثرات اجتماعية كانت أوفلسفية أو علميه ، وأن أدب أية أمة مهما تعالى وتسامى متأثر بالآداب الأخرى مؤثر فيها .

وأساتيذ المدرسة القديمة وتلاميذها من أدبائنا كثيرون ، ومعظم أدب هؤلاء دوار فى مجالات القديم ، وأكثر موضوعاته لا تعدو اجتراراً لمآثر الماضى ، ومناهل هذا الأدب فى المعاجم ونبش وريقات الماضى .

ولهذا الطراز من الأدب أسلوبه الخاص ، فلغته عربية سليمة ، وألفاظ جزلة ومعان عميقة وتراكيب مرصوفة لها موسقة النفوس . وهى لغة القرآن فلها قدسيتها ورفعتها وإذن فهى اسمى من أن تؤنس بغريب ، وأوسع من أن تقصر عن أداء معنى ، وأرفع من أن تنالها يد التحوير والتغير ... أما خيالاته فصافية هادئة إلا أن أجواءها ساجية حزينة قل أن تجد فيها تصويراً حركيا أو ومضاً نابضاً بالحياة .

ومن مغرب قـدر له أن يطلع على شىء من أدب الغرب فبهره التجديد وانغمس فيه ثم عاد يحمل رزماً من الطرائق والمناهج وجهر يدعو لتطبيقها كاملة غير منقوصة . وليته درى أن لكل بيئة خصائصها وفى كل مجتمع ميزات ينفرد بها ولكل قوم أمزجتهم وأهواءهم ، فما يصلح فى بيئة قد لا يصلح كله فى الأخرى ، وما يستساغ عند قوم يمجه آخرون .

هذا بالإضافة إلى أن أسس الخبرات الشائعة فى أى مجتمع من المجتمعات تختلف باختلاف طموحه الفنية ومراتب حضارته وأن أى عزم لبناء صرح جديد لا بد وأن يسند بهذه الأسس .

وابتلى الأدب العربى بحملة المشاعل المستعارة ، فهذا داعية جديد أمه فرنسا رشف لبنها واستطعم أدابها فلكته رقتها وأسرته طرائق تصورها وبهرته مناهج البحث الفرنسية فعاد يدعو لتطبيقها وافية كاملة . وهذا آخر لقف العلم فى انكلترا أواتصل بعلومها وأدابها فانغمس فى رومانتيكية الانكليز وماع ممها وهام فى دنا أريافها ثم عاد يدعو إلى البساطة والتحلل من القيود قيود الشعر وتعقيدات النثر ... وثالث ألمانى الثقافة واقعى النزعة جاء يحمل على هذا الأدب الضعيف اللين المائع لأن القوة ـ فى نظره ـ هى المظهر السامى للكائن الحى والأدب مظهر من مظاهر الحياة يصورها ويمثلها ويعالجها فلا بد وأن يكون قوياً .

وأدب هؤلاء المجددين متلون وفق أهواء كل منهم ، مصطبغ بنهج من درس عليه ، متأثر بطرائق من أخذ عنه وتكاد أساليبه تمتاز بأنها أسلس قياداً للقارىء فلغته عذبة ألفها فى حياته العامة ، ليس فيهـا الغريب الشاذ ولا العميق المعقد . ولئن كان جرس الكلمة ورنين العبارة وموسقة السبك هى أنصار الأسـلوب القديم فى إثارة مشاعر القارى فلا شك أن وضوح الفكرة وبساطة التركيب وطرافة الموضوع هى أهم ما يعتمد عليهـا الأسلوب الجديد فى استهوائه نفوس قرائه .

وموضوعات هذا الأدب بنت الواقع تصوره وتعالجه فهى منه وإليه ، ومعظمها إما من صميم حياتنا أو منقول مترجم . وفى الأولى ملح كوميدية عذبة وفى الثانية روائع رومانتيكية مزيدة .

من تاريخ الطب الاســـلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى
سـفير إيران بمصر

— ٦ —

من كل ما ذكرنا نستطيع أن نفهم مبلغ التطور الفكرى والنضج العلمى الذى كان قد بلغــه العلماء والأطباء المسلمون فى القرنين الثالث والرابع من الهجرة ويعدان فى الحقيقة عصر كمال الرقى العلمى لدى المسلمين ، ومن أهم العصور فى تاريخ تكامل الثقافة والعلوم عند البشر .

فى هذا العهد ظهر كثير من الأطباء الكبار من أصحاب التآليف المهمة فى المسلمين ، كانت آثارهم ومؤلفاتهم تدرس فى المدارس ، وكتب العلماء مئات من الشروح والحواشى عليها ، وترجمت مؤلفاتهم إلى اللاتينية ، ودرست فى مدارس أوربا الطبية وكانت مدار علم الطب عندهم ، وكان كثير منهم من إيران ، وقد بلغت شهرة خمسة منهم حداً عظيما وخلدت أسماؤهم فى تاريخ الطب وهم:

١ — على بن ربن الطبرى صاحب كتاب (فردوس الحكمة) وكتب أخرى فى الطب ، وقد تلقى عنه الطب محمد بن زكريا الرازى كما روى معظم المؤرخين .

٢ — محمد بن زكريا الرازى وهو أكبر الأطباء المسلمين ومن أعظم الأطباء والكيماويين فى العالم ، وله تآليف متعددة فى الطب والكيمياء .

٣ — على بن العباس المجوسى الأهوازى وكان طبيب عضد الدولة الديلمى ، ومن تأليفاته كتاب (كامل الصناعة الطبية) .

٤ — الشيخ الرئيس أبو على بن سينا الفيلسوف والطبيب المشهور مؤلف القانون فى الطب والشفاء والنجاة والإرشادات ورسائل أخرى فى الفلسفة .

٥ — السيد إسمعيل الجرجانى مؤلف كتـــاب (ذخيرة خوارزم مشاهى) فى الطب باللغة الفارسية .

٥ — على بن ربن الطبرى :

وقد كان على بن رَبَّنْ الطبرى متقـدماً عليهم فى الزمان ، ويعتبر مؤلفه (فردوس الحكمة) أول تأليف طبى مستقل لأطباء المسلمين ، لذلك نكتفى فى حديثنا هـذا بذكر مجمل من تاريخ

وبين هاتين الفئتين المجددين ودعاه القديم تأرجح الأدب العربى ، وبين الأثنتين تاه السبيل وطال عليه الأمد .

وفى الأجواء الجديدة تعالت صيحات حق صارخة من « الشاعرين بأنفسهم » الذين يؤمنون أن على الإنسان أن يستغل جميع خبراته ومواهبه فى سبيل شىء واحد هو أن يعيش واعياً نافعاً متعاوناً ؛ وهدف هؤلاء « أن يكون درس الأدب وتاريخه على منهج تصححه الخبرة الإنسانية بالحياة والنفس والجماعة ويمثل التقدم الإنسانى والرقى العقلى » ، وعلى رأس هؤلاء أستاذنا الجليل أمين الخولى ويحرص هذه الفئة على « ألا يكون درس الأدب وتاريخه تناولاً سطحياً وترديداً تقليدياً لما لا يساير تقدم الإنسانية ورقى الحياة العقليه » .

هـذه الفئات الثلاث أهل الأدب الحى والثوار المجددون ودعاة القديم قد التفت جميعها فى حلبة واحدة هى هذا الشرق العربى واستمر التصادم وطال التنافس فطالت على أدبنا نقاهد الانتقال . واشتد التزاحم فكثر النتاج لكنه ظل كدراء وتأرجح أدباؤنا بين مذاهب هذه الفئات يميلون إلى التجديد باسم المرونة والوقتية ومع القديم باسم الإصالة والقومية فجاءوا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وتذبذب نتاجهم فجاء ضخما كبيراً لكنه ظل كدرا لا لون له ولا طابع ولا شرعة ولا منهاج . بل ولا هدف .

ونحن إذ نقدر للقديم أصالته نؤمن أن الاستمانة به فى السبك الجديد ضرورة وأن الاعتداد به مفخرة ، ولكننا ندعو ألا يلهينا هذا القديم عن خلق أدب حى يصور مسراتنا وآلامنا ومشاكلنا فنستطيبه أنفسنا وتأنس به ، كما أننا نأمل أن تنظم هذه الاندفاعات التجديدية تنظيما أساسه التبصر ورائده الإصلاح لأنا نريد أن يكون لنا أدب حى دفاع يخلق من ناشئتنا جيلا يتذوق الجمال ويقدر الفن ويملأ صدورهم بسمات .

وفى هـذه النفوس الذابلة ينفتح هذه الحياة لتنطلق راضية مطمئنة تستقبل عالم الغد ...

(القاهرة)

حياته مقتبساً مما ذكره معظم المؤرخين عنه وما ذكره هو نفسه في مقدمة مؤلفه كتاب فردوس الحكمة .

هو أبو الحسن على بن سهل بن ربن الطبرى وكان من أسرة برعت في العلوم ، وتولت أهم الأعمال لولاة طبرستان ، وكان أبوه من أبناء كتاب مدينة مرو ذوى الأحساب والآداب ، وكانت له براعة في الطب والفلسفة ، يقدم الطب على صناعة آبائه ، وقد قام بتثقيف ابنه وتعليمه العربية والسريانية عــلاوة على الطب والهندسة والفلسفة والعبرانية وقليلا من اليونانية أيضاً ، والدليل على أنه كان له إلمام بهذه الألسنة أنه قد شحن فردوس الحكمة ببسط القول في الهندسة والفلسفة وشرح فيه بعض اللغات اليونانية ، ونشر ترجمة باللغة السريانية .

وبعد أن فرغ من التعلم في طبرستان ، توجه إلى العراق وأقام بها وأخذ يتطبب فيها ، وبعد أن عين مازيارين قارن لولاية طبرستان من قبل العباسيين ، ترك على بن ربن الطب وأسرع إلى هناك ، وتولى الكتابة في ديوان مازيار ، واستمر في عمله حتى قتل مازيار ، ثم توجه إلى الرى وعاد فيها إلى التطبب ثانياً ، وهناك أخذ الرازى يقرأ عليه الطب ، ثم رحل إلى سرمن رأى وأقام بها وفيها وفقه الله للانتهاء من تأليفه فردوس الحكمة وكان ذلك في العام الثانى من خلافة المتوكل على الله .

يقول ابن أسفنديار في المجلد الأول من مؤلفه تاريخ طبرسان ما ترجمته أن الخليفة المعتصم عين علياً بن ربن الطبرى بعد مازيار بديوان الإنشاء فوجدوا معانى ما يكتب أقل منها في مازيار ، فسألوه عن العلة فقال إن مازيار كان يكتب تلك المعانى بلغته ، أما أنا فإنى أدونها بالعربية وفي هذا ما يدل على قوه عقل مازيار .

ولما تولى المتوكل الخلافة دعاه إلى الإسلام فلباه واعتنقه ، فلقبه بمولى أمير المؤمنين ، ولشرف فضله جعله من ندمائه ، وفي رواية لابن النديم أنه أسلم على يد المعتصم .

وقد اختلف المؤرخون في دين على بن ربن ، فقال بعض مشاهيرهم ومنهم محمد بن جرير الطبرى أنه نصرانى ، وقال آخرون منهم كالقفطى إنه من اليهود .

يقول القفطى : « وكان له تقــدم في علم اليهود والربن والربين والراب أسماء لمقدى شريعة اليهود » ، ويظهر من هذا الكلام أن سبب وقوع القفطى وغيره ممن يعدونه يهودياً ناشىء من كلة (ربن) إذ أن هذه الكلمة تطلق عادة على العلماء المتبحرين في علوم الدين عند اليهود — وقد كان لأبيه كما روى عن على بن ربن نفسه وعن غيره من المؤرخين — إحاطة تامة بالكتب المقدسة وعلوم التوراة — أما بعد نشر كتاب (الدين والدولة) بواسطة الأستاذ منغانا المستشرق ، وفيه يصف على بن ربن نفسه أيام نصرانيته لا يبقى أى شك في أنه كان من النصارى وأن الذين يعدونه يهودياً مخطئون ، وسبب وقوعهم في هذا الخطأ هو لقب والده (ربن) .

أما تآليفه فهى حسب رواية ابن النديم وابن أبى أصيبعة والقفطى كالآتى :

١ — تحفة الملوك

٢ — فردوس الحكمة

٣ — كناش الحضرة

٤ — منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير

٥ — كتاب في الأمثال والأدب على مذاهب الفرس والروم والعرب ، وقد أضاف إليها ابن أبى أصيبعة كتباً أخرى منها :

١ — كتاب عرفان الحياة أو إرفاق الحياة

٢ — كتاب حفظ الصحة

٣ — كتاب في ترتيب الأغذية

٤ — كتاب في الرقى

٥ — كتاب في الحجامة

ويجدر بنا أن نزيد عليها كتابين آخرين هما :

١ — (الدين والدولة) الذى نشرته مطبعة المقتطف والذى يشير على بن ربن نفسه في مقدمة مؤلفه (فردوس الحكمة) إلى أنه قام بنقله إلى السريانية بعد إنجاز تأليفه .

٢ — كتاب الرد على أصناف النصارى الذى أشار إليه المؤلف في مطاوى كتاب الدين والدولة .

وقد ذكر ابن أسفنديار في مؤلفه تاريخ طبرستان[١] مؤلفاً آخر له باسم (بحر الفوائد) ولم يسلم من عوادى الزمان من كل هذه المؤلفات التى ذكرناها غير ثلاثة كتب هى :

١ — كتاب فردوس الحكمة في الطب

٢ — كتاب حفظ الصحة ، وتوجد نسخة منه في مكتبة بودلين باكسفورد .

٣ — كتاب الدين والدولة ، وقد طبع بمطبعة المقتطف ،

(١) تاريخ طبرستان مؤلف عام ٦١٣ هجرى .

٣٠٥١

ونذكر هنا نبذة عن كتاب فردوس الحكمة ، قام بمراجعة هذا الكتاب وطبعه ونشره الدكتور محمد زبيو الصديق أستاذ جامعة لكنو فى مطبعة أفتاب ببرلين بتشجيع المرحوم الأستاذ ادوارد براون المستشرق الإنجليزى المعروف وإرشاده — وكان طبيباً محباً لإحياء الكتب الطبية — وبمساعدة أوقاف جمعية جيب التذكارية) وذلك بمراجعة النسخ الخطية الثلاث الموجودة فى أوربا والنسختين الموجودتين فى الهند [1] وكان ذلك عام ١٩٢٨ بعد وفاة الأستاذ براون .

وقد كان كتاب (فردوس الحكمة) معروفاً منذ بدء تاريخ تأليفه حتى إن أشهر المؤرخين محمد بن جرير الطبرى كان يطالعه وهو مريض قد لزم الفراش ، واستشهد به الرازى والسمودى وياقوت وأبو ريحان وغيره من المحققين فى مواضع شتى من كتبهم [2] .

والكتاب مقسم إلى سبعة أنواع من العلوم ، والأنواع مقسمة إلى ثلاثين مقالة ، والمقالات إلى ثلاثمائة وستين باباً .

ونجتزىء فى حديثنا هذا الآن بالإشارة إلى أن النوع الأول من الكتاب مشتمل على مقالة واحدة يذكر فيها أنه أخذ المعارف التى ضمنها كتابه من بقراط وجالينوس وآخرين من علماء الطب ومن كتب أرسطو وسائر الفلاسفة ومن آثار معاصريه كيوحنا ابن ماسويه وحنين بن إسحق ، وأضاف إلى ذلك كله خلاصة كتب أخرى طالعها وألحق بها زيادة فى الإفادة مقالة خاصة فى كتب الطب .

وفى أبواب هذا المقالة يتحدث عن كليات المسائل الفلسفية والعلوم الطبيعية من قبيل الهيولى والصورة والكم والكيف وتأثير الفلك والأجرام السماوية والهواء والشهب والحيوان البرى والبحرى والهوائى وغير ذلك . وفى النوع الثانى ويحتوى على خمس مقالات يشرح المسائل الطبية كالحمل والجنين وعلل العقم والعقر وخلقة الأعضاء والحواس والقوى المدبرة فى البدن والقوى النفسانية والرؤيا والكابوس .

وفى النوع الثالث يبحث عن الأغذية وأنواعها والكمية اللازمة من أنواعها المختلفة وقوة كل نوع منها .

وفى النوع الرابع وهو أكبر أنواع الكتاب وأكثرها تفصيلا يتحدث أولا عن الأمراض بصفة عامة كالبحث عن الأمراض الخاصة بكل دورمن أدوار الحياة والأمراض الخاصة بكل فصل من فصول — السنة وعلة هيجان الأخلاط والطبائع ثم يشرح بعد ذلك الأمراض الخاصة بكل عضور من أعضاء الجسم من قمة الرأس إلى أخمص القدم ويتحدث عن العلاج والفصد والحجامة وخصوصيات كل دواء وذكر علاجه .

وفى النوع الخامس يبين خواص الأشياء وروائحها وألوانها وفى النوع السادس منه يتحدث بالتفصيل عن المواد الغذائية والأدوية المختلفة كالحبوب والغلال والبقول والخضر والفواكه والزيوت واللحوم والمربيات والمخللات والأدوية المفردة والعقاقير والمسهلات ويذكر فيه أيضاً منافع أعضاء كثير من أنواع الحيوان وعن السموم وعلاماتها وترياقها والمراهم والأضمدة وغيرها .

وفى النوع السابع يتكلم عن الماء والهواء والأقليم والفصول والعلاقة الموجودة بينها وبين الصحة والمرض وفائدة علم الطب .

ويتبين من مطالعة كتب على بن ربن أنه لم يسهب فى الكلام عن الجراحة العملية والتشريح بينما نراه فى النوع الرابع من الكتاب وهو أهم قسم فيه ويولف خمسى الكتاب على وجه التقريب ، يتحدث عن الأمراض بتفصيل كلى غير أنه لا يذكر حتى فى هذا النوع شيئاً مهما عن تجاريه الشخصية أو مطالعاته عن المرضى فى المستشفيات على عكس تلميذه المظيم الذى يمكن اعتباره أكبر الأطباء المسلمين أعنى محمدبن زكريا الرازى فإن كل كتبه ومؤلفاته مشحونة بمطالعاته الخاصة فى المستشفيات وبتجاربه المختلفة وبحوثه الدقيقة الشخصية .

ويستفاد من هذه الكتب الثلاثة الباقية من آثار هذا الرجل المظيم أنه فضلا عن مهارته فى العلوم العربية والأدب وحسن الإنشاء ومعرفة اللغات المتداولة فى زمانه كان عالماً بالطب والفلسفة والنجوم أيضاً كما أنه كان لديه اطلاع واسع على الديانات اليهودية والنصرانية والإسلامية .

وينسب بعض الكتاب الذين دونوا سيرة على بن الطبرى إليه أقوالا تعتبر من الحكم والأمثال السائرة (السلامة غاية كل سول — طول التجارب زيادة فى العقل — التكلف يورث الخسارة — شر القول ما نقض بعضه بعضاً — الطبيب الجاهل مستحث الموت .

(يتبع)

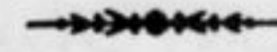
(١) النسخ الخطية الثلاث الموجودة أحدها فى المتحف البريطانى وهى أكمل نسخة موجودة والأخرى فى مكتبة (جوتا) بالمانيا والثالثة فى مكتبة برلين أماالنسختان الموجودتان فى الهند فاحداهما نسخة خاصة ملك كمال الدين الطبيب الهندى بلكنو والأخرى فى مكتبة رامفور

(٢) من مقدمة الدكتور الزبيرى على كتاب فردوس الحكمة

٨ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

من التاريخ الحديث

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود



منذ أن عرف الإسلام طريقه إلى بلاد النوبة ، أشرق في قلوب أهلها ، إشراق الشمس تبدد حلكة الظلام وأضاء أفئدتهم ، وأفهمهم معنى الوطنية الصادقة ، وأنها ليست كلمة تلوكها الألسنة ، ثم لا يكون لها بعد هذا أثر يذكر ، أو خبر يذاع وينشر ، أو عمل تدفع إليه النفس التواقة إلى المجد ، والمستطلعة إلى العزة ، والسيادة والعظمة .

ويفهم هذا المعنى السامي ، بدأ الامتزاج الحقيقي في جميع نواحي الحياة ، والمشاركة في أسمى أهدافها ، وأنبل غاياتها ، وعلموا أن المصريين إخوانهم في الدين ، وشركاؤهم في العقيدة . والاتجاهات والميول ، لا يكادون يختلفون في ناحية من النواحي ، أو شأن من الشئون ... وأن التزاوج والإصهار ، ومبادلة المنافع ، والمشاركات الوجدانية بين الأفراد ، كل أولئك لاشئ الفروق ، وكان دليلا عمليا على فهم النوبيين لحقائق الدين ، وإدراك دقائقه ، وأسراره التي تخفى على الكثيرين من أبناء وطننا العزيز .. !!

ومنذ هذا الوقت خمدت في نفوسهم عاطفة التناحر والتواثب ، وزالت الرغبة في السيطرة والإعتداء ، وتلاشت روح الكراهية والعداء ، فأخلدوا إلى الهدوء والسلام ، وجنحوا إلى الطمأنينة والاستقرار ، وأيقنوا أن الامتزاج بينهم وبين المصريين أمر واقع لا شك فيه ، عن إخلاص ونقاء ، وحب وصفاء ، وليس حديث خرافة أو خيال .

ومن هذا الحين تجلت عواطف النوبيين نحو مصر ، سامية نبيلة ، كلها الحب الذي لا يعرف البغض ، والإخلاص الذي لا يعرف الرياء والمكر ، أو النفاق والخداع .

وما أروع النوبي حين يخلص ، وهو دائما المخلص الأمين ، الذي يحترم العلائق ، ويقدس الروابط والوشائج ، ويرعى العهد والزمام . !

ومن هذا الحين كذلك استفادت مصر من جهود أبناء النوبة الذين ساهموا جدياً في بناء النهضة المصرية الحديثة ، مدفوعين بوازع من ضمائرهم الحية ، ودافع من إيمانهم العميق .

وقد اعتمد محمد علي باشا على النوبيين في تكوين الجيش الأول ، كما يقول سمو الأمير المرحوم عمر طوسون في كتابه : صفحة من تاريخ مصر . إذا كانت الفرقة السادسة المسماة بالإفريقية ، تتركب من جنود نوبيين ، وجنود سناريين ، كانوا عماد النصر ، والظفر في شتى الميادين ، ومختلف النواحي .

وكم شهدت بلاد النوبة بفخر عظمة الجيش المصري الحديث ، أيام الخديو إسماعيل باشا سنة تسع وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية .. ذلك الجيش الذي درب أحسن تدريب ، ونظم خير نظام ، ولم يفت في عضده صحارى بلاد النوبة الرحبة وفيافيها الجدباء ، فكان العتاد الحربي ينقل على ظهور الجمال ، ومتون السفن الشراعية والتجاريه ، حتى يصل إلى مديريه خط الاستواء ، التي فتحها المصريون بدمائهم ، وبذلوا في سبيلها أرواحهم رخيصة هينة ، ويريد الإنجليز الآن انتزاعها ظلما وغدراً باسم العدالة والديمقراطية . وكم باسم الحق تراق الدماء ، وتزهق الأرواح باطلا وزوراً .

وقد لعبت بلدة كرسكوا ، وهي في منتصف الطريق بين الشلال وحلفا تقريباً ، دوراً هاماً أيام إسماعيل باشا ، إذ كانت تصل إليها المعدات والعتاد الحربي ، ثم ينقل هذا كله على ظهور الإبل إلى بربر والخرطوم .

وقد شهدت توشكى — وهي بلدة قرب حلفا — أهم حوادث الثورة المهدية سنة تسع وثمانين وثمانمائة وألف ميلادية ، حين حاول عبد الرحمن ولد النجومي غزو مصر ، طامعاً فيها ، راغباً في الاستيلاء والسيطرة عليها ، فخرج من دنقلا في مايو سنة تسع وثمانين وثمانمائة وألف ميلادية ، في جيش لا نظام له ، على الرغم من كثرة عدده ، وكانت الحكومة المصرية عالمة بحركاته ، إذ كان سردار الجيش المصري حينذاك رجلا اشتهر بالحكمة والروية ، والحنكة وبعد النظر . ووقعت مناوشات بين الجيشين قرب حلفا ، وما كاد يصل جيش السودان توشكى حتى التحم المقاتلون ، واشتد القتال ، وحمي الوطيس . وتمكن الجيش المصري من القضاء على عبد الرحمن ولد النجومي ، ومعظم جيشه .

وسر بذلك الخديو توفيق باشا ، فأرسل إلى السردار تهنئة بهذا النصر ، وأقيم مقام عظيم في توشكى ضم جميع من مات من الجيش المصري ، ونقش فوقه باللغة العربية حفراً :

« شيد هذا الأثر تذكاراً لواقعة توشكى التي حصلت في ٦ من

ذى الحجة سنة ١٣٠٦ هـ ، وانهزم فيها جيش الغصاة السودانى المرسل تحت إمرة عبد الرحمن ولد النجومى . فشتتوا بعد قتل أميرهم .. وفى هـذا القبر دفنت جثث العساكر المصرية الذين استشهدوا وهم فى الميدان »

وكأنما كانت هـذه الواقعة فألا حسنا على البلاد ، فامتدت سلطة الحكومة المصرية إلى سرس (جنوباً) ، وزلزل هذا الخبر التعايشى وجنوده ، فأخذت تتداعى أركان الدولة المهدية ، ويتقوض بناؤها حجراً بعد حجر

وقد سار الخديو توفيق بنفسه بعد الواقعة فى بعض معيته إلى توشكى ، وهناك فى هذه البلدة النوبية الواقعة على الشاطىء الغربى للنيل ، والتى لا تبعد عن عنيبة أكثر من عشرة أميال تقريباً ، وقف الخديو توفيق أمام قبر شهدائها . وفى نفسه عواطف متباينة ، ومشاعر مختلفة . وأحاسيس متضاربة ، يتأمل ما أظهره عساكره من شجاعة وإقدام ، وما أبداه جنده من جرءة واستبسال وسرعان ما فاضت دموعه ترحما على هؤلاء الأبطال القتلى الذين بلغ عددهم فى هذه الواقعة ستة وعشرين قتيلا فقط .. !!

وفى الدر ، وإبريم ، وتوشكى ، وأبى سمبل عائلات من المماليك ، بيض الوجوه ، ضخام الجسوم ، يختلفون اختلافاً واضحاً عن بقية الأهلين من النوبيين الأصليين ، فلهم من المماليك نعرتهم ، وحدتهم ، واعتزازهم العجيب بأنفسهم ، إلى حد يدفعك إلى العجب ، ويوقعك أحياناً فى الحيرة والارتباك ، ويذكرك تواً بقصة التركى الذى فقد الحكم والسلطان ، والصولة والصولجان ، فلم يعدمه فى مجموعة من القلل ملأها ماء ، وجلس بها على قارعة الطريق ، يأمر وينهى ، ويتحكم دائماً فى كل من ساقه حظه العاثر إلى الشرب منها !! ..

وهؤلاء يطلقون على أنفسهم لفظ (كشاف) والواحد منهم كاشف ، وهم بقايا المماليك الذين فروا من مصر ، عقب المذبحة المشهورة ، مذبحة القلعة التى بيتها لهم محمد على باشا سنة إحدى عشرة وثمانمائة وألف ميلادية — إلى مختلف بلدان الصعيد . ولما أرسل محمد على باشا ابنه إبراهيم باشا لجمع الضرائب فى الصعيد ، طارد فلول المماليك ، وهاجمهم فى أوكارهم التى لجأوا إليها ، فأوسعوا الخطا إلى الجنوب ، واستقر ببعضهم المقام فى بلاد النوبة ، وطابت له فيها الإقامة ، فألقى بها عصاه ، وقرت فيها عينه ، إذ وجد الجو خالياً ، والأهلين فى طبيعتهم الهدوء والطاعة

وقد كان هؤلاء يحملون معهم كثيراً من الجواهر والذهب ، مما خف حمله وغلا ثمنه ، وارتفعت قيمته ، فأمكنهم أن يسيطروا على النواحى التى نزلوا بها فى هذه البلاد بما معهم من أموال ، والمال مفتاح كل مغلق ، وميسر كل صعب ، ومسهل كل عسير . أضف إلى ذلك النعرة التركية التى تطمح دائماً إلى السيادة والعظموت ، والقوة والجبروت ، والسيطرة والرهبوت ، الأمر الذى مكن لهم فى هذه الجهات سلطاناً وقوة ، وثبت أقدامهم ، ورفع شأنهم ..

وبتوالى الزمن ، وانقطاع المماليك عن مبعث السلطان ، وموطن العظمة ، واضطرارهم إلى الاحتكاك بالأهلين فى شتى نواحى الحياة ، وبخاصة بسبيل الرزق والعيش ، وبطول العشرة وما طبع عليه النوبيون من أمانة ووفاء ، تزوج هؤلاء من النوبيات ، وتزوج منهم النوبيون ، وأصهر كل إلى الآخر ، فتلاشت بعض خصائصهم ، وأصبحوا مصريين مخلصين ..

ومهما يكن من شئ ، فقد ازداد حب النوبيين لولاة الأمور فى مصر ، وبخاصة أيام المغفور له الملك فؤاد الأول ، الذى ملأ بهم قصره . وتضاعف هذا الحب للمليك المحبوب فاروق الأول حفظه الله ، فغصت بهم دراوين الحكومة ، فكانوا مثال العفة والنزاهة ، والأمانة والإخلاص ..

عبد الحفيظ أبو السعود

المتنبي وكافور

للآنسة نعمت فؤاد

المتنبي شعور ملتهب دفاق ، ونفس طلعة لا تهدأ بالجمام . وكان هو فى شعره يصدر عن هذا الشعور ويترجم عن هذه النفس : آلامها وآمالها . شجاه أن يثب ابن خالويه عليه فى حضرة سيف الدولة وليه وصفيه والذى أرسل فيه غرر مدائحه وكرائم أشعاره . يثب عليه ابن خالويه فى حضرته ويضرب وجهه بمفتاح كان بيده فيشجه ، ويرى سيف الدولة ما حدث فلا يدافع عن أبى الطيب ! إنها لكبيرة ...

ليتهد إلى مصر إن بها كافوراً ، وقد سار إليها قبله أبو نواس فى إمارة الخصيب فأعطاه حتى رضى .

وفد المتنبي على مصر وحده وتخلف عنها هواه حيث بقى فى حلب لا يريم . إن أمير بنى حمدان لم يمسسه بسوء ولكنه كبر عليه أن يمس بالسوء وهو حاضر فيسكت فيكون سكوته إقرار .

وكان الأستاذ أبو المسك كافور يحب العلماء والشعراء ويقربهم إليه كما جرت بذكره السير . ولعل نفسه الطموح كانت تهفو إلى شاعر يقصر عليه هواه ، ويبنى علاه ، ويخلد مجده . ومن كالمتنبي صدق شاعرية وبعد صيت ؟ أتراه نفس على سيف الدولة شاعره ؟ أم أراد أن يقال عنه « عظيم القدر مقصود » ؟ كما حكى المتنبي .

إذن لم يكن بدعا من كافور أن يكرم وفادة المتنبى . فما إن نزل أخلى له داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم ... يتألف قلبه ويعطفه عليه فهتف المتنبي به كالطير يلذ له التغريد وقد توفر له الماء والحب والشجر .

نحن نعرف المتنبي فى مدائحه لسيف الدولة شاعراً مفلقاً جهير الذكر ولكن قد يكون الصوت واحداً وتختلف درجاته . إن للمتنبي هنا شاعر آخر . إنه يمدح وكأن به من مدحه غضاضة أتحسب أنه منشرح النفس وهو يستهل أولى مدائحه فى كافور بهذا المطلع :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن أمانيا

إنه عند علماء البديع بعطامه هذا غير موفق ... وكذلك عندى ...

اصحب المتنبي فى هذه القصيدة تعرف مهمته وتتبين مقصده إنه لم يقصد كافوراً مادحاً بقدر ما قصده مسترفداً بل لعلك ترى أنه يهدف إلى مرمى أكبر من العطاء . أنصت إليه :

وغير كثير أن يزورك راجل   فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذى جاء غازيا   لسائلك الفرد الذى جاء عافيا

ألم أقل لك أنه شاعر طموح ؟

وهذه النغمة لا تقف عند هذه القصيدة بل تطرد فى كل قصائده التى نسميها « الكافوريات » وإليك الشاهد :

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لهم   إلى غيوث يديه والشآبيب
إلى الذى تهب الدولات راحته   ولا يمن على آثار موهوب
وهبت على مقدار كفى زماننا   ونفسى على مقدار كفيك تطلب
إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية   فجودك يكسونى وشغلك يسلب

***

فارم بى ما أردت منى فإنى   أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كا   ن لسانى يرى من الشعراء

أصح عندك ما أقول ؟

إن المتنبي هنا فى مصر يمدح لينال ... ينال مالا وينال جاها . إنه يرى نفسه من الملوك وإن رآه الدنيا شاعرا .

ونلاحظ فى كافوريات المتنبى أنه حينما يمدح كافوراً فإنما هو مدح كالذم .

بنى كافور دارا بإزاء الجامع الأعلى على البركة وطلب من أبى الطيب أن يذكرها فقال يهنئه بها :

إنما يفخر الكريم أبو المسـ   ك بما يبتنى من العلياء
مستقل لك الديار ولو كا   ن نجوما آجر هذا البناء

أنظن أنه يستقل له الديار حقيقة ؟ إنى أحسبه يتهانف عليه فى سره حين طلب منه أن يذكر داراً وقد عوده سيف الدولة أن يسجل أفضالا وإلا فما معنى قوله فى البيت الثانى :

إنما يفخر الكريم أبو المسـ   ك بما يبتنى من العلياء

ألست ترى معى أنه يعرض له أن الفخر إنما يكون بما يكسب حمداً أو يخلد مجداً ؟

الفخر بالعلياء لا بالبناء . هذا هو رده على طلب كافور .

وقال يذكر قيام شبيب العقيلي على الأستاذ كافور وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

ولله سر فى علاك وإنما كلام العدى ضرب من الهذيان

ألست تلمس النكته فى الشطر الثانى من البيت الأول ما دمت تعرف أن كافوراً كان عبداً بشع الخلقه ؟

أما البيت الثانى فإنه يفضح شعوره إزاء كافور . إنه ينعى على الأقدار حكمها فى أن تملك هذا وتتركه هو مثلا ! فلا يجد مخرجاً من حيرته سوى أن يردد القولة الشعبية « له فى كده حكم » أو بأسلوبه هو :

« ولله سر فى علاك »

ونلحظ عند المتنبى لونا ثالثاً وهو أنه لا يفتأ يذكر كافوراً بسواد لونه وهو يمدحه !

ومن قول سام لو رآك لنسله فدى ابن أخى نسلى ونفسى ومالية

يريد أن كافوراً من نسل حام ، يريد أنه عبد

وفى قصيدته التى يستقل له فيها الديار يقول :

تفضح الشمس كلما ذرت الشمـ س بشمس منيرة سوداء

إن الشمس لو كانت سوداء لما سميت شمسا ولكنه يريد أن يذكر لون كافور والسلام ليطامن من كبريائه وإن تظاهر بمدحه أليس فى ذكر اللون حط من نسبه ؟

بل إن المتنبى صرح بذلك فى قصيدته التى مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

فى هذه القصيدة صرح بأن كافوراً لا نسب له ولكن عزاءه أن المكرمات تناهى إليه ! يسمى ويذبح !

ويغنيك عما ينسب الناس أنه إليك تناهى المكرمات وتنسب

ولون آخر لا يخفى فى كافوريته ذلك هو حنينه المتشوف إلى سيف الدولة وإذا علمت أن سيف الدولة وكافوراً كانا متنافسين أحسست وقع مدح المتنبى بما حمله من ذكر حنينه على نفس كافور :

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لهم إلى غيوث يديه والشآبيب

قد تقول أنه يقصد بالغيث ريق الغمام ولكن صدقنى أنه يريد سيف الدولة . إن لفظ « هجرت » لا تقال إلا عن شىء يكون بينك وبينه صلة عزيزة ... أليس لفظ « الهجر » يقابل لفظ « الوصال » فى منطق العاطفة ؟

وقاد إليه كافور فرسا فقال يمدحه !

فراق من فارقت غير مذمم وأم ومن يممت خير ميمم

إن المتنبى فارق محمود الايتطاول الذم إليه . ألم أقص عليك أنه لم يهجره عن قلى ؟ جزى الله ابن خالويه .

رمى واتقى رميى ومن دون ما اتقى

هوى كاسر كفى وقوسى وأسهمى

وأحلم عن خلى وأعلم أنه متى أجزه حلما على الجهل يندم

ها هى ذى قصة فى بيتيه . هو يعترف أن سيف الدولة لم يتعمده بإساءة فكيف يذمه وهو لو أراد لفل هواه كل سلاح فى يده . ليجرب الحلم إذن علـه يندم على ما فرط منه . هو يحلم عنه ويحلم بندحه . إن البيت الثانى هو بعينه ما نسميه فى علم النفس « أحلام اليقظة » .

أرأيت أن المتنبى لم يخلص فى مدحه لكافور بل رنق حنموه بشوائب ذكرتها لك . أو تمده مادحاً ذلك الذى يذكر العيب فى ثنايا المدح وكان أولى به أن يخفيه فى هذا المقام ؟

ولكن العين لا تغض عن العيب إلا وهى راضية والمتنبى لم يكن راضياً عن كافور قط كما قال بنفسه بعد أن تحلل منه وأصبح فى وسعه أن يهجوه . لقد نظر إلى شقوق فى رجليه فقال هاجياً :

أريك الرضى لو أخفت النفس خافيا

وما أنا عن نفسى ولا عنك راضيا

تظن ابتساماتى رجاء وغبطة وما أنا إلا ضاحك من رجائيا

وإذ أتينا إلى ذكر هجره لكافور فاعلم أنه أوسع كافوراً تعييراً بالسواد وضعة الأصل مما ليس عليه مزيد فلنقف اليوم عند هذا الحد على أن تكون لنا رجعة أخرى إلى أبى الطيب إن شاء الله .

نعمت فؤاد
كلية الآداب . جامعة فؤاد الأول

فلسطين :

يا أخت عمورية

للأستاذ محمود غنيم

قلنا وأصغى السامعون طويلا   خلوا المنابر للسيوف قليلا
سقنا الأدلة كالصباح لهم فما   أغنت عن الحق الصراح فتيلا
من يستدل على الحقوق فلن يرى   مثل الحسام على الحقوق دليلا
إن صمت الآذان لم تسمع سوى   قصف المدافع منطقاً معقولا
لغة الخصوم من الرجوم حروفها   فليقرءوا منها الغداة فصولا
لما أبوا أن يفهموا إلا بها   رحنا نرتلها لهم ترتيلا
أدت رسالتها المنابر وانبرى   حد السلاح بدوره ليقولا
ولقد بحثت عن السلام فلم أجد   كإراقة الدم بالسلام كفيلا

***

يا آل إسرائيل أين الملك هل   مضت الرياح بملك إسرائيلا ؟
أتحققت آمالكم فى دولة   تمتد عرضاً فى البلاد وطولا ؟
خدعتكم الأحلام فى سنة الكرى   ما أكذب الأحلام والتأويلا
يا بانياً بالماء حائط ملكه   فوق العباب أرى البناء مهيلا
هى بنية قامت بغير دعائم   هى دولة قد أنشئت لتزولا
لما استهلت راح يطلب أهلها   مهداً فكان النعش منه بديلا
طلبوا القوابل إذ دنا ميلادها   فاستقبلتها كف عزرائيلا
قل للألى نفخوا بها من روحهم   هيهات قد ولد الجنين قتيلا
لو أن عيسى جاء يحييه لما   وجد الجنين إلى الحياة سبيلا
ليس الثرى للشاردين بمسكن   رحب ولا للمتعبين نزيلا
ولقد يصير لناب ليث طعمة   من بات فى غاب الليوث نزيلا

***

« حيفا » فديتك ما لجفنك ساهداً   وللحنك الشاجى استحال عويلا ؟
ما بال أهلك شردوا وشراك قد   أمسى بغير ليوثه مأهولا ؟
أعزز على أبناء يعرب أن يروا   علماً يرف على حماك دخيلا
الجو يرقب خفقه مستنكراً   والطير ينظر نحوه مذهولا
لا جاده الغيث الهتون ولا هفا   ليلا برفقته النسيم عليلا
يا أخت عمورية لبيك قد   دقت حماتك للحروب طبولا
ناديت معتصما فكان غياثه   جيشاً شروباً للدماء أكولا
ما كان بالألفاظ جرس جوابه   بل كان قعقعة وكان صليلا
وأزيز أسراب تصب شواظها   فوق الحصون فتستحيل طلولا
لن يغفر العرب الأباة لغادر   هتك الحرائر والدم المطلولا
غضب الأباة لعرضهم فتخضبى   يا أرض واجرى يا دماء سيولا
إنا لقوم ليس يمحى عارهم   حتى يرى بدمائهم مغسولا
فليشهد التاريخ « لليرموك » أو   « ذى قار » فى العصر الحديث مثيلا
وليعلم الثقلان أنا لم نزل   نحمى كما حمت الأسود الغيلا
الصارم العضب الذى فتح الورى   ما زال فى يد أهله مسلولا
فلتطلب الأوطان ما شاءته من   دمنا تجده مرخصاً مبذولا
إنا جعلنا أرضنا للمعتدى   قبراً وظلا للنزيل ظليلا

***

النيل لا يرضى هوان أخ ولو   أجرى الدماء بكل قطر نيلا
لما رأيت النيل عبأ جيشه   أتبعته التكبير والتهليلا
وذكرت إبراهيم فى حملاته   إذ كان يحدو الجيش والأسطولا
فلطالما دك القلاع بعزمه   ولطالما رد الجيوش فلولا
جيش الصلاحيين سار كأننى   أبصرت بين صفوفه جبريلا
وكأننى « بابن الوليد » و« طارق »   و« أبى عبيدة » يركبون خيولا
قلبت طرفى فى الجنود فلم أجد   إلا فروعاً يتبعون أصولا
يتسابقون إلى اللقاء كأنما   هو نزهة بين الرياض أصيلا
ويسارعون إلى الحمام كأنهم   يجدون مر مذاقه معسولا
الطعنة النجلاء تحكى عندهم   طرفاً غضيضاً جفنه مكحولا
ويكاد يحسبها الجريح بجسمه   ثغراً فيومى نحوها تقبيلا

***

فاروق جيشك جال فى ساح الوغى   لا واهناً عزماً ولا مخذولا
داوى جراح الشرق حد سلاحه   وحمى الذمار وحقق المأمولا
لا زلت حصناً للعروبة شامخاً   يرتد طرف الدهر عنه كليلا
قل للعروبة : لن تراعى إنما   يحمى حماك حفيد إسماعيلا

محمود غنيم

الأدب والفن في أسبوع

قصيدة الجارم في فلسطين :

الحق أن قوى مصر قد بدت في معركة فلسطين بشكل جمع الدهشة إلى الروعة ، فما كنا نحن نظن أنا هكذا ! وليست هذه القوى في الناحية العسكرية فحسب ، بل هي في كل شيء ، حتى الشعر الذي كان قد اتخذ له أخيراً وسادة من ريش النعام ، هب من رقدته ، يشيد بالبطولة ، وينطق بما يجيش في القلوب . ولقد حشد الأستاذ علي الجارم بك كل قواه الشعرية في القصيدة التي ألقاها بالمذياع مساء يوم الخميس الماضي ، وما أظنه قال أحسن منها أو مثلها ، فجاءت آية من الآيات المصرية في معركة فلسطين

قال في مطلعها :

تألق النصر فاهتزت عوالينا
واستقبلت موكب البشرى قوافينا

ثم قال :

أليس من أحجيات الدهر قبرة ... رعناء ، تزحم في الوكر الشواهينا
وتائه ما له دار ولا وطن ... يسطو على دارنا قسراً ويقصينا
فيا جبال اقذفي الأحجار من حمم ... ويا سماء امطري مهلا وغسلينا
ويا كواكب آن الرجم فانطلقي ... ما أنت إن أنت لم ترمي الشياطينا !
ويا بحار اجعلي الماء الأجاج دماً ... إذا علت راية يوماً لصهيونا
المهد عندهم خلف ومجحدة ... فما رأيناهم إلا مرائينا
ما ذلك السم في الآبار ؟ ويلكم! ... ومن نحارب ؟ جنداً أم ثعابينا؟

وقال :

بني العروبة هذا اليوم يومكم ... سيروا إلى الموت إن الموت يحيينا
وخلفوا للعلا والمجد خالدة ... تبقى حديث الليالي في ذرارينا
لقد صدئنا ودون الغمد منفسح ... فجردوا حد ماضينا لآتينا
وقربوهم قرابينا محررة ... للسيف إن رض هاتيك القرابينا
ماذا إذا فقدنا إرث أمتنا ؟ ... وما الذي بعده يبقى بأيدينا ؟

وقال :

يا جيش مصر ولا آلوك تهنئة ... حققت ظن الليالي والمنى فينا
وصلت آخر علياها بأولها ... فما أواخرنا إلا أوالينا
أعدتها وثبة بدرية صرعت ... دهاة جيش يهوذا والدهاقينا
شجاعة مزقت أحلام ساستهم ... وعلمت مترفيهم كيف يصحونا

أنشودة ناعمة :

كان الأستاذ علي محمود طه قد أنشأ قصيدة بعنوان « أخي أيها العربي » دعا فيها إلى القتال من أجل إنقاذ فلسطين العربية ، وقد وقع اختيار الموسيقار محمد عبد الوهاب على هذه القصيدة فلحنها وغناها وسجلتها محطة الإذاعة . وفي مساء يوم الجمعة الماضي أذيع هذا المسجل ، وقدم بأنه « أنشودة فلسطين » وعلى أنه من البرامج الحماسية التي تقدم في هذه الآونة ، ولم يخلف عبد الوهاب ظننا به .. فهو فنان مبرز في أغاني الحب الناعمة ، وقد جاءت « أنشودة فلسطين » على نسق « بلاش تبوسني في عنيه دي البوسة في العين تفرق »

وغني عن البيان أن ما يقال لسرب من الحسان غير ما يقال للأخ العربي في الميدان .

من حق عبد الوهاب أن يأخذ « أجازة » في هذه الظروف العصيبة !

الفن المعاصر :

تحدثت فيما مضى عن معرض الفن المعاصر الذي عرض به جماعة من الشبان المصريين أعمالهم في التصوير ، وقلت إنهم يتجهون في إنتاجهم الفني اتجاها جديداً يقولون عنه إنه يساير التطور الفكري وينتفع بالثقافات الحديثة ويفهم منهم ومن أعمالهم أنهم ثائرون على الأوضاع والقيم الفنية المعروفة ويسمونها « الفن الفوتغرافي » أي الذي يتجه فيه إلى مجرد تسجيل المناظر

وقد قوبل هذا المعرض بحملات من بعض النقاد ، مبنية في جملتها على أنه لا يهدف إلى غاية جمالية من غايات الفنون الجميلة وأنه تكلف مبعثه الشذوذ والرغبة في الشهرة ، والحق أن المرء لا يستطيع أن يفهم من تلك المعروضات أو من أحد أصحابها ما يرى إليه هذا المذهب في وضوح . وإذا طلبت إلى صاحب رسم أن يبين لك مقصده منه فإن كلامه هو والرسم سيان ..

ليس هناك إلا أن هذا شيء غير ما كان يرسم « الفوتوغرافيون » ولكن ما هو هذا الشيء ؟

وقد أبدى رجلان من كبار رجال الفن ، رأيهما في هذا المذهب بجريدة المصرى ، وهما الأستاذ محمد حسن بك مراقب عام الفنون الجميلة بوزارة المعارف ، والأستاذ أحمد احمد يوسف بك مدير مدرسة الفنون التطبيقية العليا .

قال الأول : « والرأى عند أكثر الذين يمارسون أنواع الفنون الجميلة بصفة جدية ، أن أغلب مذاهب الفن المعاصر من وضع جماعات ذات طوابع فردية ، نشاهد الكثير منها بين آونة وأخرى في أعقاب النكبات التي تلم بالأمم .

وقال الثانى بعد أن بين أن أى عمل فنى لم يكن في نتيجته جميلا يسر العين ويرضى النفس ، ويؤدى غاية خيرة طيبة ، إنما هو عمل سقيم ليس من الفن الجميل في شيء ، قال : « ويتضح من هذا أن المسألة ليست إنتاج صور أو تحف يقلد منتجوها عملا سابقاً ، أو هى تنتمى إلى مذهب من المذاهب ، أو تأتى نتيجة لهو وعبث لا خير فيها ، أو استهتار مقصود وشذوذ نفسانى تدفع به عوامل نابية خارجة عن الأوضاع ، ثم حشد هذا الإنتاج في معارض عامة أو خاصة يطنطن لها بالدعاية ويثار حولها بالكتابة والجدال استجداء للاعجاب بها ، إنما الغرض الأساسى هو أن يخرج الفنان في صمت ووقار عملا جميلا نافعاً مفيداً له معانيه السامية وأهدافه النبيلة » .

ترجمة الآثار الأدبية :

ذكرت في عدد مضى من الرسالة أن الهيئة الثقافية التابعة لهيئة الأمم المتحدة دعت الدكتور طه حسين بك لحضور اجتماع لجنة ترجمة الآثار الأدبية ، وأن الدكتور لبى هذه الدعوة وسافر إلى باريس .

وقد عاد الدكتور طه أخيراً بعد أن انتهت اجتماعات اللجنة ، وقد حضرها مندوبون من الخبراء العالميين في الشرق والغرب . ونظرت اقتراحاً قدمه الدكتور شارل مالك ممثل لبنان في شأن نقل الآثار العلمية والأدبية من لغة إلى لغات أخرى . وانتهت اللجنة إلى الموافقة على نقل الآثار العلمية القديمة والحديثة وأن يكتفى بنقل الآثار الأدبية حتى سنة ١٩٠٠ نظراً إلى التأثيرات السياسية والاجتماعية فيما بعد ذلك .

ومما أفضى به الدكتور طه أن مصر منذ عهد محمد على قد اقتفت آثار العباسيين في نقل العلوم والفنون والآداب ، وأن بين الآداب العربية الحديثة كنوزاً ثمينة جديرة بالنقل .

مؤتمر المستشرقين :

ينعقد بباريس في خلال شهر يولية القادم ، المؤتمر الحادى والعشرون للاستشراق ، ويمثل مجمع فؤاد الأول للغة العربية فيه الدكتور طه حسين بك والدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، ويمثل الأول أيضاً المجمع العلمى المصرى ، وستوفد وزارة المعارف وجامعة فؤاد الأول وجامعة فاروق الأول ممثلين لها في هذا المؤتمر

الشيخ أبو العيون وفلم « حياة أو موت » :

اتصل الأستاذ الشيخ محمود أبو العيون بإدارة المطبوعات في وزارة الداخلية في شأن فلم تعرضه سينما ريفولى بالقاهرة هو فلم « حياة أو موت » لأن فيه مساساً ببعض المعانى الدينية ، وقال فضيلته في كتابه إلى مدير المطبوعات ، إن القصة تدور حوادثها على أن للحب قانوناً فوق القانون السماوى ، وفصل ذلك بقوله : « والرواية في جملتها تمثل خليطاً من الأوضاع المادية الرخيصة للمعانى الروحية في الملأ الأعلى ، وترى فيها عزرائيل عليه السلام في صورة رجل فرنسى مخنث — كتعبير الرواية نفسها — ينزل بأمر من السماء إلى الأرض لقبض روح شاب ، فيرفض ذلك ذلك الشاب تلك المهمة لأنه يهوى فتاة ولا يستطيع مفارقتها ويعود عزرائيل فاشلا . ثم يعود مرة أخرى للمهمة عينها ، فتنعقد المحكمة السماوية وينتصر في النهاية قانون الحب على قانون السماء » واقترح في ختام الخطاب أن تندب مراقبة المطبوعات في مثل هذه الروايات رجلا من رجال الدين يشاهدها لضمان البعد عن الوقوع في أخطاء تثير الشعور الدينى في البلاد .

وقد صدر الأمر بمنع عرض هذا الفلم .

مسابقة الثقافة :

ذكرت في العدد الأسبق من (الرسالة) موضوعات المسابقة الثقافية التي قررت وزارة المعارف تنظيمها ، والجوائز التي تمنح للفائزين فيها . وأذكر الآن فيما يلى شروط هذه المسابقة :

١ — التمثيليات القصيرة للمسرح المدرسي ، يشترط فيها أن يكون موضوعها مصرياً أو شرقياً ملائماً للعرض أو التمثيل في محيط الشباب بالمدارس الثانوية ، وأن يكون في فصل واحد يستغرق أداؤه حوالي ٤٠ دقيقة ، أو من فصلين يستغرق أداؤها حوالي ٨٠ دقيقة .

٢ — التمثيليات القصيرة للاذاعة المدرسية ، يشترط فيها أن يكون موضوعها مصرياً أوشرقياً وملائماً للاذاعة على تلاميذ المدارس الثانوية ، وأن تستغرق إذاعتها بين ٢٥و٣٠ دقيقة .

٣ — المسرحيات العامة ، يشترط فيها أن يكون موضوعها قومياً أو إنسانياً ، يعالج مسألة ذات قيمة حيوية أوفكرة سامية في أي نوع من أنواع المسرحيات ، وأن ينحصر في ثلاثة أو أربعة فصول ، يستغرق أداؤها حوالي ثلاث ساعات .

٤ — القصة الطويلة ، يشترط فيها أن يكون موضوعها قومياً أوشرقياً مما يرتبط بحياتنا في الماضي أو الحاضر أوما نتصوره مستقبلا ، أو ما يعبر عن مثلنا العليا تعبيراً أدبياً سامياً ويصور حياتنا وخلجات نفوسنا ، أو يصور النفس الإنسانية عامة .

٥ — القصص القصيرة ، يشترط فيها ، من حيث الوضوع ما يشترط في القصة الطويلة ، على أن تكون في حوالي ١٢ صفحة من القطع الكبير بالآلة الكاتبة ، وللأديب أن يتقدم بأكثر من قصة .

٦ — البحوث الأدبية والفنية ، يشترط فيها أن تتناول موضوعاتها الأدب العربي ، أو سير العظماء الوطنيين أو العالميين ، أو دراسات عامة في مختلف الفنون (الموسيقى أوالتمثيل أوالتصوير أو الحفر أو النحت) كما يشترط أن تكون الموضوعات قومية ، أو يكون لها مساس بحياتنا ، أو أن يكون الوضوع إنسانياً عاماً يشارك في الاستفادة منه غيرنا من الأمم والشعوب .

٧ — بحوث التاريخ والآثار ، يشترط فيهما أن يستلهم الوضوع من تاريخنا القومي ، القديم أو الحديث ، وأن يهدف إلى إثارة الاهتمام بأمجادنا أو بتراثنا القومي وأثره في الحضارة الإنسانية .

٨ — الرحلات ، يشترط فيها أن يعرض الوضوع وصفاً حياً أدبياً لرحلة أو أكثر قام بها المؤلف في أنحاء وادي النيل أو الأقطار الأخرى ، وبذلك يكون تصوير الرحلة ناتجاً عن خبرة شخصية لإقليم أو لعدة أقاليم جال فيها .

٩ — الموضوعات العلمية المبسطة ، يشترط فيها أن تكون سهلة يفهمها القارئ العادي ، وأن تتناول ما تؤديه هذه العلوم من خدمات للحياة الإنسانية العامة في المدن والريف .

ويجب في كل الموضوعات أن تكون مكتوبة بالعربية الفصحى وكل موضوع مقدم المسابقة يجب ألا يكون قد سبق نشره أو تقديمه في مباراة سابقة . وآخر موعد لقبول الموضوعات هو نهاية نوفمبر سنة ١٩٤٨ .

العباس



على هامش كتاب :

سعد زغلول من أقضيته

« إلى القانونى الأديب الأستاذ عبده حسن الزيات تحية شكرى وإعجابى »

للأستاذ عدنان الخطيب

(تتمة ما نشر فى العددين السابقين)

٩ — المعيار الخلقى :

(كان معيار سعد الخلق صارما) فقد كان يصدر أحكاماً تدل على هذا المعيار الصارم ، وتدل على رغبته فى سيادة مكارم الأخلاق على علاقات الناس ببعضهم ، ولم يكن القانون عنده إلا فى المنزلة الثانية بعد الإخلاق ، وهو القائل (إن كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهى شريعة باطلة) .

أسمع قوله فى حكم من أحكامه (... إن هذا يعد من قبيل خيانة الأمانة ، المعقوتة ذمة ، المعاقب عليها قانونا) ولا شك أن (الإحساس الخلق والالتفات الاجتماعى هما اللذان يوجهان سعداً إلى ناحية « الذمة » وقد كان غنياً عن الاجتماع بهما اكتفاء بكون العمل « معاقباً عليه قانونا ») وسعد فى أحكامه جميعها (لا يصور لنا الناحية الخلقية — فحسب — ولكنه يجمع بينها وبين المنفعة الاجتماعية) لا بل هو يريد (أن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون) .

إن سعداً كان الرجل الفذ ، الذى لا يعرف إلا الحق ، والذى لا يخاف فيه لومة لائم ، هو الرجل الذى يقدم الحق ويتبعه بقوله (هذا اعتقادى ، وقد عاهدت الله أن أقول ما فى ضميرى ، وهذه لذتى فى حياتى) .

سعد الأديب :

لقد كان سعد أديباً من الطراز الأول ، أديباً يحمل بين جوانحه نفسية الأديب ، ثم أضاف إليها ثقافة وميزات أدبية عظيمة ، تلمح الإشارة إليها ، وتمداد بعضها فى كتاب الأستاذ الزيات ، منثورة هنا وهناك ، خلال دراسته لأحكام صدرت عن القضاء الأهلى فى مصر ، يوم كان سعد قاضياً من قضاته ؛ إن قرأتها فسوف (تقطع فى غير تردد أو تحفظ بأنها أحكام سعد لحمة وسدى ، ودماً ولحماً ، وفكراً وأداء ، المنطق الجبار الآمر ، والحجة الوثابة تقفز — كجند يلتف — انقطع الطريق على المناظر ؛ واللفظ المشرق فى تركيب مصقول ، والإداء المحكم لا يشتكى قصر منه ولا طول .. وهذه التعبيرات المقبوسة من علم المنطق.. وهذا الجمال البيانى الذى يستقيم على الطبع ، فلا تشعر فيه بالآم النحت والسجع ، وعناء « الفاعل » المتصبب تحت نير الصخور ، يحمل نفسه فوق ما يطيق ، ليزهو بحمله ويسمد أذنيه المفرورتين بكلمة من النظارة قد تكون غباء ، وقد تكون رياء ، أو قد تساق تهكما ، أو قد تساق رثاء) .

أما من يحب سماع صوت سعد فليقرأ أحكامه ليسمع (صوت الكاتب صاحب الأسلوب القوى الآمر) وأنا زعيم أنه ، وإن جهل صاحبها ، سيحكم ، إن كان يعرف سعداً ، إنها من بناته (فإن شمائله ظاهرة فيها ظهوراً قوياً : منطق قوى يعتمد على قياس المشابهة وقياس الأولوية ... وصياغة عربية تضامنت أجزاؤها) ، لينظر فى هذه الأحكام من يجب أن يعرف سعداً ليرى (أسلوبه المتأنق ، وبلاغته المخزونة) بل ليرى (ذوقه السليم) ليرى (وضوح الديباجة ونصاعة الأراء) (الأداء العربى ... والأسلوب المحكم الدقيق) ليقرأ تلك الحيثيات التى خط الأستاذ الزيات تحتها فإنها (تكشف عن قوة العارضة فى الجدال) حيناً ، وتكشف عن (روح سعد المتهكمة وسخريته الحلوة حين تطمئن نفسه) أحياناً أخرى ؛ إنها حيثيات (حكم مسهب ، قوى التسبيب ، محكم التقسيم) .

ليقرأ معى ، من يحب أن يعرف سعداً الأديب ، هذه الفقرة (إنهن وارثات ضعيفات ، وإنها ابنية حقير أشتات ، والدائنون

تجار أخشاب ، يخيل الثراء فى أوصافهم) ولا شك أنك أيها القارئ لما ألممت منها ، ومنها وحدها ، بموضوع الدعوى ، وأهم الدفوع فيها ، وتجلت لك فيها روح الحاكم وقناعته ، بل ما سيحكم به عقبها إنها فقرة كتبها أديب عظيم ، لقد صور لنا فى كلماتها القليلة العدد قضية لا يستهان بعدد صفحاتها وأهميتها ، ألا تعتقد معى ، أيها القارىء الكريم ، إن كاتبها (مخرج بارع دقيق) ؟! عد إلى قراءتها ، واقرأ ما قبلها وما بعدها من فقرات (فسترى فكراً واحداً ينتظمها كلها ، ونظراً واحداً يشيع بينها طمأنينة الانسجام . إنها نغمة تضطر فى غير نشاز ، نغمة بغيضة إلى أولئك الدين يأكلون فى بطونهم ناراً وسعيراً ، حبيبة إلى أولئك الصبية الضعاف وإلى الشادين بالعدل والراعين للحقوق)

إن الأديب عند سعد غير غريب عن معدنه ، إنه ماء عذب يسيل من منبع صاف فياض ، إن سعداً إن كتب أو خطب يكتب ويخطب (وكأنه يتمثل « النهج » الذى طالما نهل من بلاغته) وليس بعد بلاغة « النهج » من بلاغة !!

إعجاب ونقد :

كنت أفكر وأنا أقرأ كتاب « سعد » فى التعليق على بعض ما أعجبنى فيه ، وعلى ما استلفت نظرى من « تعليقات » الأستاذ الزيات الطريفة ، ولكن إعجابى بالكتاب وبجهد مؤلفه الجبار ، جعلنى أترك ما أزمعت عليه ، أتقدم من قراء « الرسالة » بهذه الخلاصة ، فإن وجدوا فيها متعة فهى قبس من بيان صدق الأستاذ الزيات ووشل من فيض أدبه الرفيع ، وإن أنكروا منها شيئاً ، فهى لآلىء حاولت جمعها من كتاب سعد ، وعلى وحدى تبعة سوء صياغتها الصياغة التى تعجب المتفرجين والناقدين .

وإنى لا أود أن أنهى هذه الكلمة قبل إبداء بعض الملاحظات التى مرت بخاطرى وأنا أقرأ الكتاب ؛ فالكتاب ينقصه « فهرس » لا للأعلام ، ولا للأحكام التى فيه لمعرفة دوائرها وتواريخ صدورها ، بل « فهرس » يدلنا ، على الأقل ، على صفحات الفصول التسعة المقسم إليها الكتاب ؛ وفى الكتاب نقص آخر وإنه لنقص فى نظرى عظيم ، فقد خلا من موجز لسيرة سعد ، إذ لو وجدت فيه لكانت عوناً كبيراً يرسم صورة سعد فى مخيلة كل قارىء ، بل لكانت رشداً يعين القارىء على تتبع حياة سعد فى القضاء ، وتواريخ تنقله بين دوائره العديدة ، وعلى معرفة زمن دراسته للقانون ، وتاريخ أجازته ومدة تعاطيه المحاماة ، وتاريخ تركه للقضاء وسببه ، وهذه أمور لها قيمتها فى تاريخ سعد بتتبع أحكامه القضائية ، ورسم مناهج لدراستها دراسة لا تختلط اختلاط بعضها فى بعض فصول الكتاب !

وليست هذه الملاحظات بمؤثرة على إعجابى وتقديرى ، ولا بعيب الحكم — كما يقول سعد — إلا بتضمن الإشارة إلى ما كان يحسن به أن يشير إليه ، والثوب المتقن البديع لا يعيب لابسه ، إن نقصته جيوب ، ولو اتفق على أن الجيوب تزيد فى كماله وجماله على من فيه .

(حمص) عدنان الخطيب



تحقيقات على هامش حملة فلسطين :

١ — جاء فى البلاغ الرسمى العراقى الصادر من بغداد والذى نشرته الإهرام فى صباح اليوم ٧/٦/١٩٤٨ ما يأتى :

« أغارت قواتنا على قرية كاكون فى شمال غربى طولكرم وكبدت العدو المرابط بها خسائر فادحة » .

وصحة الاسم بالعربية قاقون لا كاكون ، هكذا ورد فى المعاجم المعروفة وفى كتب التاريخ العربية ثم فى المؤلفات العسكرية وفى الخرائط التى وضعها الجيش العثمانى بالأحرف العربية — راجع خرائط جيش الصاعقة بلدديم طبعة وزارة الحربية مقياس ٢٥٠٠٠٠

٢ — وجاء هذا الاسم فى معجم البلدان لياقوت : قاقون حصن بفلسطين من عمل قيسارية من ساحل الشام ينسب إليها أبو القاسم عبد السلام بن أحمد حرب القاقونى إمام المسجد الجامع بقيسارية .

٣ — وكان بقاقون قلعة حصينة فأصبحت معقلا من معاقل الإسلام فى الحرب الصليبية إذ ورد اسمها مراراً فى المعارك وفى عقود الهدنة التى كان يعقدها ملوك مصر مع أمراء الصليبيين : راجع كتاب هدنة الملك المنصور قلاوون مع الإفرنج فى ملحق كتاب السلوك وفى كاترمير وفى ابن الفرات .

ومر بهذه القلعة صلاح الدين فى طريق عودته من حصار عكا إلى عسقلان بعد نزوله بحيفا .

٤ — ويقول المؤرخون إن تقدم الإفرنج كان على الساحل وهم يسيرون بالفارس والراجل وعن يمينهم البحر وعن يسارهم الرمل . وكانت المعارك تنشب ليل نهار وصلاح الدين يسير بنفسه بين الصفوف ونشاب العدو يتجاوزه . ولدينا أوصاف رائعة بمواقف القتال ونقل الجرحى والأسرى فى هذه المرحلة .

٥ — وفى عصر الملك الظاهر نازل قاقون جماعة من أمراء مصر منهم الأمير الكبير أقوش الشمسى البطل المشهور صاحب المواقف الخالدة فى عين جالوت .

٦ — وفى يوم الخميس ٢١ رجب سنة ٦٨٠ وقعت بأبراج القلعة بمدينة القاهرة الرسائل الأولى التى نقلها الحمام الزاجل عن انتصار الملك المنصور قلاوون على التتار فى معركة حمص الفاصلة حينما انتصر الجيش المصرى أكثر من مائة ألف من جنودهم أرسلت البطائق الحاملة للبشرى من قاقون وكانت مراكز من مراكز الحمام ويحدثنا التاريخ أن أهل القاهرة والشام أمضوا الليالى فى تلاوة القرآن والبخارى بالمساجد ابتهالا للنصر؛ فلما وصلت البشائر يحملها الحمام إلى القلعة انطلقوا يوجهون الشكر للعلى الأعلى على ما آتاهم من نصر .

٧ — وفى رحلة السلطات قايتباى إلى الديار الشامية ذكر قاقون فى عودته إلى مصر فقد نزلها فى يوم الثلاثاء ١٨ شعبان سـنة ٨٨٢ حيث سلك الطريق من صفد إلى كفر كونا — الناصرة — اللجون — قاقون — الرملة — أسدود .

٨ — وفى رحلة الأمير يشبك أنه نزلها وأقام بها .

من هذا كله يتضح أن صحة الاسم قاقون لا كاكون وأن ذكرياتها قديمة فى التاريخ الإسلامى العربى خصوصاً لأهل مصر .

أحمد رمزى

خليفة المتنبى :

مدح المتنبى كافورا الأخشيدى بقصائد جياد ومن غرر شعره .

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلت بياضا خلفها ومآقيا

ثم هجاه بأهاج مريرة جاء فيها .

من علم الأسود المخصى مكرمة أقومه البيض أم آباؤه السدد
أم أذنه فى يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود
لا تشترى العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس منا كيد

ومضى الزمن على سنته . إخلاص ونفاق ، وتصريح وجمجمة حتى رأينا من شعرائنا من سار على نهج المتنبى وحذا حذوه . فدح وهجاء الممدوح هو المهجر .

هجا بعض الشعراء رئيسا فقال :

شيخ مناه صغير مثل منبته أقصى المنى عنده لوصار مأذونا
لا رأى يعرضــه إلا متابعة فرأيه دائماً من رأى (كرسونا)

ثم سار هذا الشيخ رئيساً له يملك نفعه وضره ، فما أسرع ما تحول الشاعر وجاء يقول لهذا الشيخ .

عرفت أبى النفس لا تعرف الهـوى
ومن آفة الأخلاق أن يعرف النكر



صور من التاريخ الاسلامى

العصر العربى

تأليف الأستاذ عبد الحميد العبادى بك

تقدم الجمعية التاريخية هذا الـكتاب لعبد الحميد العبادى بك عميد كلية الآداب . والـكتاب يقع فى أكثر من مائتى صفحة ويحوى دراسات قيمة مبتكرة فى العصر الأموى : أنشأها صاحبها صوراً ، وارتفع بها عما فى أسلوب الدراسة العلمية من إملال أحياناً ، وأخرجها فى ثوب أدبى ممتاز فذ . والعبادى بك جيد الطريقـة ، جامع فى أسلوبه التاريخى بين بلاغة الروايات القديمة ، وبين الأسلوب العلمى الدقيق فى العصر الحديث .

ولا شك أن الجمعية التاريخية وفقت التوفيق كله فى تقديم هذا الـكتاب إلى العالم العربى ؛ لأنه كتاب المؤرخ المصرى الأول فى العصر الحديث ، ولأنه على الأخص يصور أمجد العصور فى تاريخ المسلمين . ولعل الجمعية حين اختارته أحست بحاجة العالم العربى فى نهضته الحديثة إلى احتذاء ساسته الأقدمين فى سعة آفاقهم ، وشمول نظراتهم ، وجلال فعالهم ، وحرصهم على الإصلاح ، وسعيهم إلى الصدارة بين الأمم .

والواقع أن القارئ يحس توثب المؤرخ العميد فى حماسته للعصر الأموى ، ويحس حرصه على أن ينتفع الجيل الحديث بالتراث العربى القديم . فانظر مثلا مقاله عن بحر الروم ، تر كيف كان البحر جزءاً من نفســه ، ومجالا لمجد العرب ، ومعقد آمال الجيل الحديث . ثم اقرأ : « أيها المصريون ... لقد استرهنـكم المستعمر الأرض ، ووضع فى أعناقـكم أغلالا وفى أقدامكم قيوداً ولا خلاص لكم من ذلك الرق المضروب عليكم إلا بركوب متن البحار ؛ هنالك تنشقون فوق ثبج الماء ريح الحرية الصحيحة ، وتبرأون من علل أورثـكموها لزوم البر أحقاباً طوالا ؛ هنالك

أهنيك يا مولاى والناس كلهم ... يهنئنى حتى سما بك لى قدر

ومثلك لا تزهى بغر قصائدى ... ولـكن به تزهى قصائدى الغر

ومنها :

فقل لسكارى التيه موسى أتاكم ... أفيقوا من الأدهام قد بطل السحر

وقل لبنى المعمور أوسا وخزرجا ... تدار كـكم مأمونه الطاهر البر

وهكذا يصبح الرجل بين عشية وضحاها إنساناً آخر . فبالأمس كان أمعة لا رأى له وقد يتصرف فيه أحد مرءوسيه ، وهو وضيع النشأة والمنى ، واليوم صار أبى النفس يشبه بموسى مرة وبمحمد مرة أخرى .

حدثوا أن الخوارج لما جاءهم موت المصعب . سألوا عسكر المهلب وكانوا لا يعلمون . عن عبد الملك بن مروان فقالوا ضال مضل . ثم سألوهم فى اليوم الثانى . بعد أن علموا باستقرار الأمر لعبد الملك فقالوا : أمام هدى . فقالوا لهم : يا عبيد الدنيا بالأمس ضال مضل واليوم أمام هدى !

وبعد . أليس هـذا الشاعر خليفة المتنبى فى هذا فحسب . ولـكن المتنبى لم يكن عالماً من علماء الأزهر . ولم يكن يدرس التفسير والحديث والأخلاق فى كلية عالية .

محمد سرحان

أستاذ فى البلاغة والأدب
ومدرس بكلية اللغة العربية

بيان بالـكتب التى ستترجم بإشراف جامعة الدول العربية :

Brocleelmann geschichte der arabischen Litteralur

Creswell - Islamic architecture

Diorand - Story of civilisation

Keen - The agricultural develoPment of the Middle East London 1946 , 126 p 8 gr pl

Le Strange - The lands of the Eastern Califate Cambridge 1905 , 536 p 10 pl .

Musil - Norihern hejag

Migeon - histoire des arts Musulmans

Nielsen - Die Aitarabische Kuitur 1927 , 240 P

Palencia (Agonzalez) - historia de la Literatura Arabigo Espanola Barcelona 1928 , 356 p

Sarton . Introduction of the history of science

Worthington . A Middle East Science London 1946 , 239 p pl Oravres

Zanbaur - Manuel de Généalogie Twentieth century Sociology edited by Georges Gurwitch and wilbert Man (the Philosophical Library) . New York

تنبعث مصر الحرة حقاً ، مصر الحديثة حقاً ، مصر العظيمة حقاً » . ثم شيء آخر نحس أن المؤلف يدعو إليه دعوة صادقة : تلك هي الدعوة إلى استلهام الطبيعة لأنها أصفى من يهدى إلى صالح التقاليد . وكأن المؤرخ إنما ردد بعض أفكار روسو حين قال : « الصحراء تبعث في نفوس أهلها وعشاقها الرجولة الكاملة ، والإيمان الصادق ، والعبقرية التامة » . فالكتاب حي الأسلوب صادر عن نفس يهزها الأمل في المستقبل ، فتنقل إلى القارئ ما تحس في صدق وصراحة وتردد أحياناً ، كما ترى في هذه العبارة : ترى هل أمات الله الأمم الإسلامية ، أو ألقى عليها نوماً ثقيلا حقبة من الدهر ، ثم تأذن بحياتها عندما غيرت ما بأنفسها من صفات الشر ، وأنشأت تتحلى بصفات الخير ؟ أكبر ما نأمل أن يكون الأمر كذلك » ...

فإذا أمتعت النفس بهذه الخلجات التاريخية الممتزجة بالوطنية في توثب وحماسة فارجع إلى دراساته التاريخية البحتة التي تزيد على العشرين . وانظر كيف يصور العصر العربي الأول قبيل الدعوة وبعيدها ، فيبرز لك تقاليده في الشورى ، وحرصه على المساواة والبساطة في الدعوة للحق ودين الإسلام ، ثم يعود المؤرخ فيحمل إليك صوت الخلفاء مرتفعاً بالدعوة إلى الإصلاح بعد أن امتد الزمن ، وعدا على كل شيء ، وابتدأ قرن جديد

أما الشورى فقد صورها في دراستين : إحداهما عن دار الندوة ، والأخرى عنوانها « كيف كان النبي يسوس أصحابه » أما المساواة فقد مثل لها بشخصية عمر بن الخطاب ، وهي ناحية أهملها الكتاب على كثرة ما كتبوا عن ابن الخطاب . وقد تمثل المؤرخ الإسلامي الجليل بأسلوبه العلمي الفني المساواة في شخصية أبي ذر الغفاري ، وهو الصحابي الذي أرسل من منفاه بالصحراء صوتاً من الحق لا يزال يدوى في آذان الأجيال جيلا بعد جيل ، ولا يزال المصلحون يرددون أصداءه في بقاع الأرض المتحضرة أما الدعوة أيام النبي فقد صور مؤرخنا المصري مهدها في ورع صادق وخشوع جليل ، فصور لنا كيف بدأت الدعوة إيماناً راسخاً في دار بسيطة ، هي دار الأرقم المخزومي ثم يدور الزمان وتجرى المقادير بما شاء الله ويتم للاسلام السلطان على ملك واسع ويقبل على الإسلام أقوام من كل صنف فتحتاج الأمور إلى دعوة جديدة للاصلاح ، وتتطلع الأبصار إلى مصلح يعيد البساطة الأولى ويرد صالح التقاليد . فكان عمر بن عبد العزيز ذلك المصلح الذي أعاد بساطة دار الأرقم ، وأقام خلافته على أصلح التقاليد القديمة . وكان مبدؤه في ذلك أن سبيل الإصلاح واحدة في أساسها رغم اختلاف الأجيال والعصور والبيئات ، ولله در العرب حين قالوا « إن الأمور إنما تصلح بما صلحت به أوائلها »

ومقال المؤرخ العميد عن عمر بن عبد العزيز نظرية جديدة وكتاب وحده ، لأنه أثبت له شخصية المصلح . وقد يعرف الناس جميعاً وخاصة المسلمين أن عمر كان خامس الراشدين ، وأن المؤرخين القدماء جمعوا مناقبه . فأي جدة فيما يقول الأستاذ العبادي ؟ الجدة في تدعيم ما جاء في كتب المناقب بالأدلة التاريخية المبنية على التحقيق العلمي السليم . وشتان بين أقوال أصحاب المناقب وجماع الروايات وبين تحقيقات المؤرخين المحدثين المؤسسة على المنهج العلمي الحديث . فإذا أردنا تصوير هذا الفارق طالعتنا شخصية الرشيد كما تبدو في القصص التاريخي وشخصيته التاريخية الحقة ؛ وشخصية الحاكم الخليفة الفاطمي بين القصص والتاريخ ، وشخصيات أخرى كثيرة تنازعها الخيال الشعبي وخيال القصاص وتصوير المؤرخين .

ولم يقتصر المؤرخ العميد على تصوير الخلفاء ، وإنما تجاوزهم إلى الولاة والقواد . فكتب مثلا عن زياد صاحب الخطبة البتراء التي تغني عن النسب ، وأخ معاوية بالمؤاخاة ، وعامل الإمام علي من قبل وصاحب ابنه الحسين من بعده . فهو شخصية تحتاج إلى بحث محكم لما تثير في النفس من معان متضادة ، فيتلطف الأستاذ ثم يتلطف ، ويهدأ ثم يهدأ ، فإذا هو يخرج صورة لزياد تاريخية ، فيها ما فيها من شر ، وفيها ما فيها من خير . وكذلك كتب الأستاذ مثلا عن محمد بن القاسم الثقفي فاتح الهند ، فجعله رمزاً للمجاهدين .

وهكذا لا تكاد تقرأ مقالة إلا وجدتها تخطيطاً تاريخياً متيناً ، وبحثاً عميقاً ، ونظراً مبتكراً ، يثير في نفسك خلجات شتى ويترك لك مجال تفكير وتعليق . وذلك أن الصور التي يسوقها العبادي تفيض خصباً وحياة قوية نابضة .

والمؤلف قبل كل شيء أستاذ أجيال من المؤرخين مد الله في عمره

محمد عبد الهادي شعيره
أستاذ مساعد كلية الآداب — اسكندرية

مطبعة الرسالة



العدد ٧٨٢ — الاثنين ٢٨ يونيو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٠٥٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ شعبان سنة ١٣٦٧ — ٢٨ يونيو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

العـــلم والفن ...
هل يلتقيان ؟

للأستاذ محمود تيمور بك

ما أوسع الهوة بين العلم والفن ! العلم حقائق مسلمة ، وتجارب محكمة ، ونظريات تمخض عنها جهد العامل ووسائل الاختبار ، وأوضاع تقوم على أسس هندسية ورياضية رائدها العقل الواعى وحده خالصاً من كل شوب .

أما الفن بمعناه الأدبى فهو التماع الخاطر ، وبثّ النفس ، ووهج المشاعر ، واستجابة النازع لما يصادفها فى الحياة من أحداث ومشاهد ومؤثرات . والكثير من ذلك كله رائده العقل الباطن يستيقظ فيبعث ومضاته فى غفلة من العقل الواعى ، وتسلل من رقابته الصارمة ...

ومما يعين على جلاء هذه الفكرة تصور موقفين للأديب والعالم من التاريخ :

يقف العالم أمام الحادث التاريخى وقفة فاحص ممحص ، يستكشف الأسانيد ويتثبت من السنين ، ويقتنص القرائن ، وينتخل الشواهد والأشهاد ، وما يزال ممانياً ذلك فى يقظة وترصد وتحفظ ، حتى يطمئن إلى تحرير ما وقع على حقيقته جهد إمكانه ...

ويقف الأديب أمام ذلك الحادث التاريخى بعينه ، فلا يعنيه منه إلا روحه وجوهره ؛ يجاهد نفسه ليعيش فيه ، ويترك لأجنحة خيالته أن تحلق به فى سمائه ليستنزل الوحى ويستمطر الإلهام ، فإذا هو يظفر بموضوع إن أنكره التاريخ فى صومعة حقائقه وأعلامه ، وفى متحف أحجاره وآثاره ، لم ينكره الفن حين يطالع فيه صورة إنسانية يحيا داخل إطارها ذلك الحادث التاريخى بشخوصه وما يعتلج فى نفوسهم من مشاعر ورغائب واستجابات

ولذلك كان كثيراً ما تتشابه الأحداث والشخصيات التاريخية أقوى التشابه على اختلاف المؤرخين ، وتقارب درجاتهم فى التأليف ؛ ولكن الأدباء الفنانين إزاء تلك الأحداث والشخصيات يختلفون فى تصويرهم لها اختلافاً يقل أو يكثر ، فلكل منهم جانب استيحاء وقبلة استلهام ، وكل منهم يصبغ بصبغة نفسه عمله الفنى ، ويستمد من ذاته الوقود ، وكل منهم يودع قصته ذخيرة من جوهر الإنسانية والحقائق البشرية ، على قدر ما يستطيع أن ينفذ إلى ما يتدسس فى العقل الباطن ، فيواتيه الوحى والإلهام .

ومثل آخر يساق فى هذا المقام ؛ فقد يقع القارىء فى لبس واسترابة حين يقرأ تراجم الأشخاص ، فيرى بعضها قد اتخذ مسحة دقيقة من النسق التاريخى ، والتحقيق العلمى ، واستنباط النتائج من أسبابها الصحيحة طوعاً لقضايا المنطق ؛ ويرى بعضها الآخر ليس إلا صوراً تستند أكثر ما تستند إلى الاستلهام الفنى فتطالعه بملامح إنسانية ناطقة تحمل طابع عصرها وجوه .

وإنما يتعرض القارىء لذلك اللبس والاسترابة ؛ لأنه لم يفرق بين نوعين متباينين أشد التباين ؛ أحدهما : نوع الترجمة التاريخية التى تحتشد فيها الحقائق والأسناد ، والآخر نوع الصورة الوصفية التى تتضوأ فيها ألوان من شخصية الكاتب ، وقوة تخيله واستلهامه فى الوصف والتصوير .

فالمترجم التاريخي عدته أمانة النقل ، ودقة التمحيص ، والمصور الوصفي عدته إطلاق المخيلة وصدق الإلهام .

فلو تمثلنا أن خمسة من المصورين في مرسم فنان يصورون نموذجاً واحداً من النماذج ، ولكل منهم موضع أمام النموذج خاص ؛ فإننا حين نعرض ما صوره هؤلاء الفنانون الخمسة نجد فروقاً بينها جميعاً ؛ لأن كل مصور رسم صورته على وفق الوضع الذي نظر إليه ، واستمد إلهامه فيه ، فأسبغ على الصورة من ذات نفسه ما سمحت به ، والنموذج واحد ولكن الصور تختلف لأنها صور فنية لا بد أن تظهر على سماتها أثارة من اختلاف المصورين ...

وإذا كنا نشير إلى سمة الهوة بين العلم والفن ، وتباين منبعيهما : العقل الواعي ، والعقل الباطن ، فإننا لا نعني بذلك أن لا تواصل بينهما على نحو من الأنحاء ، فلسنا نغفل أن الحدود القائمة بين الأديب والعالم قد تتداخل فيكون منها مزاج لا هو بالأدب المحض ، ولا هو بالعلم الصراح .

ولقد يتجرد مؤرخ لكتابة التاريخ ، فتراوحه نسمات من فن البيان تجمل صفحات تاريخية موشاة بالأدب ، ولقد يخلص أديب لبعض فصوله في تصوير الحياة ونقد المجتمع فتحضره قواعد مقررة ، وأوضاع سائدة ، تصل فصوله بمناهج البحث العلمي ...

وربما توافرت إجادة المزج لذلك المؤرخ أو هذا الأديب فيما يعالجانه حتى ليتعذر على القارىء أن يرد كلا منهما إلى العلم وحده أو الفن وحده ...

على أن الذي لا نزاع فيه : هو أن الدقة العلمية ، والحقيقة التاريخية ، لا تشغل بال الفنان قدر ما تشغله خصائص النفس الإنسانية ، وتأثرها بما يساورها من ملابسات الحياة .

فالفن لا طاقة له بالاحتباس داخل أسوار معمل تتحدد فيه الأقيسة وتتعين الأرقام ، وإنما يتطلب الفن جواً طليقاً ينتعش فيه ويمرح ، لا سلطان عليه إلا سلطان الإحساس والشعور .

ذلك لأن الفن الإنساني الخالص ليس مجرد تسجيل مرئيات عابرة ، ولا التقاط ظواهر عارضة : وإنما هو انتزاع لأقصى ما في أعماق النفس ، واستشفاف لما ينطوي بين الألفاف ، وتعرف لأشتات المؤثرات ما يدق منها أو يجل ، وما هو قريب أو بعيد .

محمود تيمور

وارسو نقطة ارتباط

بين موسكو وتل أبيب

للأستاذ نقولا الحداد

قلنا غير مرة إن الصهيونية والشيوعية أقنومان لعنصر واحد فما صدقوا ، ونقولها مرة أخرى بالدليل المحسوس .

بين يهود فلسطين القدماء والجدد نحو ٤٥ بالمائة بولونيون ، أي نحو ٣٥٠ ألفاً تسربوا إلى البلاد ، قليلهم قبل الحرب وكثيرهم في أثنائها وبعدها . وفي وارسو عاصمة بولونيا المقام الرئيسي للصهيونية . وما الوكالة الصهيونية في فلسطين إلا فرع لتلك . والأصل البولوني أصبح نقطة ارتباط بين موسكو وتل أبيب . لأن الصهيونيين لما رأوا أن قضية دولتهم المنتظرة أصبحت في الميزان صاروا كالأخطبوط يمدون أيديهم إلى كل مكان لكي يتمسكوا ويتشبثوا

لما رأوا أن بريطانيا لا تستطيع أن تضمن لهم دولة إسرائيل لأنها لا تريد أن تبيع صداقة العرب بخيالات صهيون ، رأوا أن يعتصموا بدولة السوفيات لعلها تشد أزرهم ، أو أنهم بهذا الاعتصام يتهددون بريطانيا وأمريكا عدوتي روسيا .

ولكن السوفيات عدوة الرأسمالية ، واليهود أمراء الرأسمالية ، فليس سهلاً التوفيق بين إسرائيل والسوفيات . ولذلك نشأت نقطة الارتباط بين الجانبين في وارسو عاصمة بولونيا ، وتولت الوكالة الصهيونية هناك مزج الزيت بالماء . فكانت تعاليمها ليهود فلسطين الجدد أن ينظموا أحوالهم طبقاً لاشتراكية كارل ماركس ما استطاعوا إلى هذا سبيلاً . ففعلوا ذلك في معظم مستعمراتهم المستجدة . فإذا زرت أية مستعمرة صهيونية في فلسطين رأيت سكانها مشتركين في الإنتاج والإنفاق ، حتى إنك تراهم في المستعمرات الصغيرة يأكلون على مائدة واحدة على اختلاف أسرهم ، كما فعل الأثينيون القدماء ردحاً من الزمن حين كانوا يجربون الجمهورية . فعل اليهود هذا في فلسطين ، حتى إذا زار مستعمراتهم هذه شيوعيون روسيون أرسلوا تقارير إلى موسكو

عن نظامهم هذا إقناعاً لحكومة ستالين بأن الشعب الصهيونى ليس رأسمالياً .

وكانت الوكالة اليهودية فى وارسو تحاول أن تقنع موسكو بهذا الواقع . وكانت عصابة شترن تقوم بالدعاية لهذا الوضع ، وكانت فظائع العصابات الصهيونية تتطاول على قوات الانتداب البريطانى كما هو معلوم ، فتفظع فى الجنود البريطانيين وغير الجنود لكى يظهر لروسيا أن الصهيونيين هم أعداء أعدائها . ولهذا سهل على الوكالة الصهيونية الرئيسية فى وارسو أن تقنع روسيا بأن دولة إسرائيل إن تكونت ، تكون خير نصرائها ضد إنكلترا وأمريكا ، وأن بترول الشرق الأوسط الذى يقتتل عليه الشرق والغرب يتسرب إلى موسكو فى أنابيب الصهيونية

ولما طرحت المسألة الصهيونية فى هيئة الأمم كان الارتباط بين موسكو وتل أبيب عن يد وارسو قد تمكن بدليل أنه ما اقترح مشروع التقسيم المشئوم فى الهيئة حتى وثب جروميكو مندوب روسيا وثبة الفهد على الفريسة وأعلن موافقة روسيا على التقسيم . والعقل الأنجلوسكسونى فى بريطانيا وأمريكا بطىء الفهم فما حسب حساب هذه الوثبة . لعل كادوجان ممثل إنكلترا حسبه . وأما ترومان فما بالى ولسان حاله يقول: متى ظفرت بكرسى الرئاسة فبعدى الطوفان . ولكنه غير ظافر بالكرسى والطوفان مغرقه على كل حال .

شعر الساسة الإنكليز باللعبة الصهيونية السوفياتية . فبينما كانت الوكالة الصهيونية فى وارسو تعمل عملها كانت بريطانيا قد أوفدت الجنرال كايتن برسالة غير رسمية يطوف بها على العوالم العربية ، وهو يعرف اللغة العربية جيداً ، ويحاول أن يقنع أساطين العرب أنه خير لهم أن يلوذوا بإنكلترا فهى خير نصير لهم . ولكنهم أفهموه أنهم لا يثقون بكلمة إنكلترا بعد أن كذبت مراراً وقالوا : « الصيف ضيعت اللبن »

على أن العرب عملوا بالقول السائر : « ما حك جلدك مثل ظفرك » فاتكلوا على الله وحدوا كلتهم وقابلوا كل قوة ضدهم صهيونية وغير صهيونية بالحزم والعزم ، فإذا لم تتخابث الدول الأجنبية فهم منتصرون بإذن الله .

إن الارتباط بين موسكو وتل أبيب لا يزال على شىء من الوهن لأن موسكو لا تثق كل الثقة باليهود ولو ارتموا فى أحضانها ، لأنها رأت وترى كل يوم أدلة على خيانتهم ، فما يعنونها به من المنافع البترولية والاستراتيجية غير مضمون . ولذلك تعطف عليهم بحساب : حسبهم أنها أول من اعترف بدولة إسرائيل . وكان بعض رجال الدولة المزيفة يزورون وارسو فى الآونة الأخيرة ساعين فى طلب مساعدة روسيا ، ومنهم موسى سنيخ المتطرف فقد قضى أخيراً فى وارسو أسبوعين لهذا الغرض .

وعصابة شترن الإرهابية أشد العصابات الصهيونية اعتداداً بالمونة الروسية واعتزازاً بالشيوعية . ولذلك تستنكر أن يكون الزعيم وزمان على رأس الجمهورية الإسرائيلية الملفقة ، لأنه لا يجحد الرأسمالية بل يؤيد . فيخافون أن رئاسته لجمهورية إسرائيل تنفر روسيا .

وفى أواسط أبريل الماضى احتفل يهود بولندا بذكرى تدمير النازى لحى اليهود فى وارسو سنة ١٩٤٣ وترأس الحفلة أدولف برمان وهو أخو جاكوب برمان أحد وزراء بولونيا . وله وظيفة الرقابة غير الرسمية من قبل المكتب السياسى الروسى .

وقد انتهز المحتفلون الفرصة وعقدوا اجتماعاً سرياً مثل نحو ٣٠ وفداً ، منهم وفد فلسطين برئاسة رومان لامبوسكى ممثل المكتب السياسى فى بولونيا .

وأبلغ رومان الحضور أن روسيا لا تدخر وسعاً فى جعل فلسطين دولة يهودية وأن تكون مرتبطة بها ارتباط الابن بالأب . ثم حرض الحاضرين على مقاومة الاستعمار البريطانى والأمريكى كلما سنحت الفرصة للمقاومة .

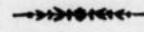
فإلى أى حد تناصر روسيا الصهيونيين ؟

سيظهر هذا فى الليالى الحبالى القادمة .

نقولا الحداد

آثار الملوك والسلاطين المصريين
بمدينتي القدس والخليل

للأستاذ أحمد رمزي بك



روى عن أنس بن مالك أنه قال :
« إن الجنة لتحن شوقاً إلى بيت المقدس ، وبيت المقدس من جنة الفردوس »

مقدمة :

لملوك مصر وسلاطينها اليد الطولى فى إنشاء المبانى العالية بمدينة القدس ، إذ لهم المدارس والمساجد وبيوت العلم والرباطات والحصون التى بنوها وأنفقوا عليها من أموالهم وحبسوا على خدمتها الأوقاف ورصدوا لوجوه الخير الأموال والضياع والعمائر مما لا يصدقه الجيل الحالى .

ذلك لما حباهم المولى تعالى من بسطة فى الملك والعظمة ، ولما رزقهم من نصر يتبع نصراً ، ولما اشتهروا به من أنهم خدام الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، وسدنة الحرمين الشريفين بالقدس والخليل . والمتتبع لهذه الحقبة من الزمن يقف حائراً أمام عظمة تلك العهود وأمام عظمة هؤلاء الملوك ، وتأخذه الحيرة لماذا أخفى الناس تلك الأيادى البيضاء ؟ وما الحكمة فى تناسى ماض لنا هو جزء منا لا أقول يكمل شخصيتنا ، بل أذهب إلى أكثر من ذلك فأقول هو أكبر مظهر لمصر الإسلامية العربية وأثرها فى تاريخ العالم .

عود الى الماضى :

كان ذلك فى نهاية عام ١٩٣٥ ، هو أول عهدى بفلسطين ، حين دعيت إلى العشاء بمنزل المندوب السامى البريطانى ، الجنرال السير آرثر وو كوب ، فجاء مكانى بجوار المستر ريتشموند مدير مصلحة الآثار ، وتناول برفق عدة مسائل تمت بصلة إلى التاريخ والآثار ، وعرض لهبة روكفلر التى رفضتها مصر ، فقبلتها فلسطين ، ورأى فى هدوءاً واستماعاً ورغبة فى الاستزادة من علمه ، فدعانى لزيارته فى متحفه ، وكنت مأخوذاً بالتعرف إلى الآثار المسيحية ، وقد وضع النائب البطريركى للروم الأرثوذكس برنامجاً لى ، فرأيت أن أحدثه فى ذلك وأن أستعرض معه بعض ما لديه من التحف مما يمت إلى العصور المصرية القديمة . وهنا طفق يحدثنى بطلاقة عن دهشته من الثروة الإسلامية التى أنشأها ملوك مصر فى أنحاء فلسطين ، وما خلفوه فيها . وكنت أنصت لحديثه وهو يقول : إن مصير هذه الآثار إلى الزوال إذا لم تتدارکها عناية حكومة إسلامية قوية مثل مصر . وإنى لأدهش من موقفكم ، تقيمون الدنيا لاكتشاف حجر قديم فرعونى ، وتنسون ماضيكم القريب . لكم المدارس والمساجد والقباب مما يشهد لملوككم وأمرائكم بحسن الذوق وعظمة النفس وعلو الهمة فى تذوق الفن ، وتتركون كل هذا وكأن الأمر لا يعنيكم ؟

وكنت أجهل الكثير مما يقول ولا أعرف من أثارنا سوى مدرسة قايتباى ، فأخذت فى أشباع نفسى المتطلعة إلى الاستزادة من المعرفة ، وقلت إذا نظر الناس إلي الماضي نظرة تقديس وإلهام ، فلم لا أنظر إليه نظرة الباحث المتعلم ؟

إن الثمن الذى سأدفعه قد يكون غالياً ، إذ أحدث الناس من قومى بما لم تسمعه آذانهم : وقد يتخذ الذين لا يؤمنون بشىء أقوالى هزواً لهم ، لأنى أحدثهم بما لم يألفوا ، ولأنى أضع للناس قيماً جديدة لبعض الأشياء التى لم يؤمنوا بها ولن يصدقوا بعظمتها وكان أهم ما لدى أن أومن أولا بعظمة ماضينا الإسلامى وأن أعيش فيه ، وقد كان ولا يزال مهما غلا الثمن ومهما كانت التضحية فإنه من أسعد الأوقات أن أشيد بهذا الماضى ، وأن انتهز الفرص للكتابة فيه . وليس أسعد من أن يسمع العالم انتصار جنود العروبة على عصابات الصهيونيون وإخراجهم من داخل مدينة القدس القديمة ، فإن هذا النصر جعلنى أحن إلى القدس ، وهى مدينة من أحب مدن العالم إلى قلبى ، ولذلك يلذ لى أن أكتب شيئاً عنها فى هذه الأيام التاريخية الخالدة التى نحياها : أكتب للحقيقة والتاريخ ، وأعيد قيم الأشياء كما كانت ؛ فأرجو ألا يحمل كلامى على غير ظاهره ، أو أن يؤخذ بأنه يرمى إلى أهداف سياسية . لقد عاشت مصر والشام سوياً أكثر من ثمانية قرون ، وعلى صعيد هذه الأرض كتب أسلافنا بدمائهم قصص الملاحم

الكبرى وذاقوا طعم النصر ، كما أنشأوا أعظم ما يمكن تصوره من المباني ، تقرباً إلى الله ولخدمة هذا الدين الحنيف ، وكان عامل الخير وحب الناس طابعهم ، وكانت تسوقهم عاطفة خالصة نحو هذا ، لذلك نجحوا حيث أخفق الغير : فإذا كتبت أشير إلى هذا الماضي المعظيم فإنما أدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة

سلسلة من أعمال الخير والإنشاء :

كان ولا يزال للمسجد الأقصى ولمسجد الخليل إبراهيم المقام الأسمى في نفوس المسلمين . ولذلك اعتنى بهما ملوك مصر من عهد الملك الناصر صلاح الدين والدنيا يوسف بن أيوب الذي أتم الله فتح القدس على يديه ؛ فإنه اتخذ سنة عمل الخير والعمارة ، واتبع سنته من جاء بعده من ملوك بني أيوب .

وفي عهد الدولة التركية من الأمراء البحرية بعد أن اتسعت الفتوحات وتوالت الانتصارات تردد اسم الملك الظاهر بيبرس كأعظم القواد العالميين وشبه باسكندر الزمان ، وكان من أكبر البناة والمنشئين أفرد له الأستاذ كريسويل العالم المشهور كتابا عن آثاره بمصر . أما في فلسطين فقد ذكر صاحب الأنس الجليل — قاضي القضاة أبو اليمن مجير الدين الحنبلي رحمه الله — أنه اعتنى بعمارة المسجد الأقصى وجدد فصوص الصخرة الشريفة التي على الرخام ، وعمر الخان الكائن بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب إلى الشمال المعروف بخان الظاهر ، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين ، ووقف عليه نصف قرية لفتا وغيرها من القرى .

ولقد كانت أكثر قرى دمشق وأراضي البقاع داخلة في أوقاف الظاهر الذي لم يترك باباً لفعل الخير إلا طرقه وحبس الضياع على أئمة المسجد الأقصى ، وعلى تفرقة الخبز وإصلاح حال النازلين والآتين للزيارة من مختلف الجهات .

وفي أيام الملك المنصور قلاوون تمت عمارة سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة مما يلي الغرب ، وتم إنشاء الرباط المنصوري المشهور بباب الناظر ، وهو رباط كان في منتهى الحسن والبناء المحكم ، هذا غير الإصلاحات التي أتمها المنصور بالحرم الخليلي وغير الرباط والبيمارستان اللذين أنشأهما هناك .

أما ابنه الملك الأشرف المدفون على مقربة من مقام السيدة نفيسة فقد كان من أعظم الملوك حتى إنه على يديه أتم الله فتح البلاد الساحلية وإنهاء الحروب الصليبية ، وفي عهده تم عمل فصوص الصخرة الشريفة التي بدأت منذ أيام الملك الظاهر ، وجدد عمارة السور الشرقي المطل على مقبرة باب الرحمة .

وفي أيام الملك المنصور لاجين جددت عمارة محراب داود الذي بالسور القبلي عند مهد عيسى عليه السلام بالمسجد الأقصى .

ثم جاء العهد الناصري ، أي حكم الناصر محمد بن قلاوون الأخير الذي استمر حتى وفاته ، وكان وزيره بالشام الأمير الكبير تنكز وهو الذي قيل في محاسنه[1] :

ألا هل لليلات تقضت على الحمى ... تعود بوعد للسرور منجز
ليال إذا رام المبالغ وصفها ... لشبهها حسناً بأيام تنكز

وهو الذي له المنشئات العظيمة بمصر ودمشق والقدس وبيروت ، وله الأيادي البيضاء حتى مدينة ملاطية في الشمال حيث أراضي الجمهورية التركية . ففي عهد ولايته عمر السور القبلي بالقدس ورخم صدر المسجد الأقصى ومسجد سيدنا الخليل إبراهيم ، وتم فتح شباكين بالمسجد الأقصى ، وجدد تذهيب القبتين قبة الصخرة وقبة المسجد الأقصى . ويقول صاحب الأنس الجليل : ومن عجب أن تذهيب قبة الصخرة كان قبل العشرين والسبعمائة ، وقد مضى عليه إلى عصرنا هذا أكثر من مائة وثمانين سنة وهو غاية الحسن والنورانية ، ومن رآه قضى أن الصانع قد فرغ منه الآن .

ويطول بنا البحث إذا ذكرنا عمائر تنكز كلها في القدس فهي كثيرة متنوعة فيها بناء الأبواب والقنوات وأهمها إيصال المياه من بركة السلطان بظاهر القدس إلى المدينة وهو عمل هندسي عظيم ، هذا غير أعمال الترميم في الأسوار والقلاع والحصون والأبراج .

وقد نقشت كل هذه الأعمال على الرخام والحجارة وعليها تاريخ عمارتها . لقد كان عصراً فذاً لا يعادله في المعمار عصر من العصور .

(١) من قصيدة لصلاح الدين الصفدي لما تولى الأمير الطنبغا الصالحي نيابة الشام

ولما ولى السلطان برقوق المرش أراد أن يسير على غرار من تقدمه من ملوك بيت قلاوون فأخذ فى عمارة بركة السلطان وأنشأ دكة المؤذنين تحت قبة الصخرة تجاه المحراب للمبلغين، ووقف الضياع التى كان يملكها بناحية نابلس على سماط سيدنا الخليل وشرط ألا يصرف ريعها إلا على السماط الكريم: وأخذ بسنة الملك الظاهر بيبرس فكتب نص الوقفية على باب مسجد الخليل إبراهيم كما كتب الظاهر ومن جاء بعده نصوص الأوقاف على أبواب المساجد فلم يغن ذلك شيئاً بل نزعت الأملاك المرصودة لعمل الخير وتداولتها الأيدى، ولم تحمها القوانين الوضعية كأملاك مرصدة للمنفعة العامة فلا يصح تملكها أو وضع اليد عليها ولله فى خلقه شئون.

مؤلفات العصور الماضية:

ذكر صاحب مسالك الأبصار، أن الصاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك. ألف كتاباً سماه «سلسلة المسجد فى صفة الصخرة والمسجد».

ولا أدرى هل أبقى الدهر على هذا المؤلف أم ذهب مع الزمن. والذى يظهر مما أورده صاحب مسالك الأبصار نقلا عنه أن المؤلف لم يترك شاردة من غير أن يأتى بها. وإنى لدهش من موقفنا إزاء ماضينا؛ فهذا يكتب عن المسجد الأقصى فى حوالى سنة ٧٤٣ هـ، وهذا يقصر عنه الكثيرون، ونعيش نحن فى القرن العشرين وقد ملأ أنصاف الرجال الدنيا بدعايتهم عن أنفسهم، ولا نجد بين أيدينا كتابا يعرفنا بالمسجد الأقصى. فلنسر معه قليلا: نجد فى كلامه عن قبة الملك المعظم (ويقصد بها جزءاً من المدرسة المعظمية) أنه يقرر أن دروس النحو كانت تقام بها، وأن عدد طلبتها كان خمسة وعشرين نفراً من الحنفية؛ وهى من عمل ملوك بنى أيوب العظام. وفى كلامه وصف دقيق للرباط المنصورى والأبواب والشبابيك التى بالحرم. ثم انظر إليه حيث يقول:

«ولقد مضى على فى مجاورة هذا الحرم الشريف الفصول الأربعة، فرأيت له فى كل فصل محاسن فى غيره لم يجمع، وهو أنه من مبدأ فصل الربيع تبدو فيه من الأزاهر المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لب الذكى الأروع، وكل أحد ممن له معرفة بالأعشاب يأتى إليه ويأخذ من تلك الأزاهر ما علم منفعته ومضرته».

ومن حديثه يتبين أن هذا الحرم الشريف والقبة والصخرة، لم تعدم اهتمام أهل الخير من مختلف الناس، فهذا الأمير علم الدين سنجر الجاولى ينشىء مدرسة باسمه، وهذا عالم من العلماء أو تاجر عظيم يتبرع من ماله، وينشىء بئراً أو سبيلا أو باباً، أو يهدى مصحفاً أو قنديلا.

ومن قبيل ذلك ما أورده صاحب الأنس الجليل: من أن سلاطين بنى عثمان وغيرهم من ملوك المسلمين، شاركوا سلاطين مصر قبل الفتح العثمانى فى الاهتمام بالمسجد الأقصى: فقد حصل السلطان مراد بن محمد بن بايزيد على ترخيص ملوك مصر بإقامة قراء يقرأون القرآن فى مصحف مهدى منه إلى الصخرة.

وكان بنو قرمان من ملوك التركمان بأرض الروم لحصل فهم السلطان إبراهيم على إذن بالقراءة فى الصخرة.

هدايا الملوك:

ولو تتبعنا هذه الهدايا لاتسع بنا البحث ولذا نكتفى بما جاء من حسنات الملك الأشرف اينال ملك مصر الذى بعث بالمصحف الكبير الذى وضعه بالمسجد الأقصى تجاه الشباك المطل على عين سلوان، وأوقف له قارئاً ورتب ما مقداره ألف ومائتا أردب ترسل سنوياً قيمتها أربعة آلاف دينار وثمانية دنانير.

ثم توالت الخيرات والهدايا فى أيام السلطان أبى سعيد خشقدم المؤيدى إلى أيام الملك الأشرف قايتباى وفى عهده كان ناظر الحرمين الشريفين الأمير ناصر الدين محمد بن النشاشيبى جد الأستاذ الكبير إسعاف النشاشيبى رحمه الله.

وجاء السلطان إلى القدس مرتين وأقام بها وأنشأ وعمر مما يجعل لرحلتيه إلى الديار الشامية أهمية وروعة تشجعاننى على أفراد كلمة خاصة بهما.

أحمد رمزى

الفتـــــوة

فى التاريخ الاسلامى وكتب اللغة

للأستاذ ضياء الدخيلى

فى العدد (٧٧٨) من مجلة الرسالة الغراء يقول الأستاذ محمود رزق سليم: (وقال ابن الوردى فى لاميته المشهورة.

واهجر الخمرة إن كنت (فتى) كيف يسعى فى جنون من عقل

وشاهدنا فى عبارة (إن كنت فتى) وهى ترادف الاستعمال الشائع الآن وهو (إن كنت جدع) أى إن كنت شهما. وبدهى إن معنى فتى لا يفيد لغة معنى شهم) وقد دفعتنى كلة الكاتب الفاضل إلى تحقيق معنى فتى وفتوة، إذ قد أصبح لكلمة الفتوة فى العراق أهمية خاصة، وقد تردد صداها فى تاريخنا السياسى والحربى القريب بعد أن جعلها مسيرو وزارة المعارف اسماً لنظام تربوى يستهدف بعث جيل قوى فى جسمه ومبادئه يدربونه على الحياة العسكرية ويعلمونه الرماية واستعمال الأسلحة الخفيفة. وعاد إسم الفتوة مرادفاً للفروسية والشهامة والنبل والعزة القومية؛ غير أنى أجد من الغريب إدعاء بعض الأدباء وعلماء اللغة أن استعمال كلة (الفتى) بمعنى الرجل الشهم النبيل المتحلى بفضائل الرجولة — هو استعمال مولد؛ وهذا هو طرفة بن العبد يقول فى معلقته

إذا القوم قالوا من (فتى) خلت أننى
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

قال الزوزنى فى (شرح المعلقات) يقول: إذا القوم قالوا من فتى يكفى مهماً أو يدفع شراً خلت أننى المراد بقولهم فلم أكسل فى كفاية المهم ودفع الشر ولم أتبلد (أى أتردد متحيراً) فيهما. وعنيت من قولهم عنى يعنى عنيا بمعنى أراد وقال طرفة.

على موطن يخشى (الفتى) عنده الردى
متى تعترك فيه الفرائص ترعد

قال الزوزنى يقول حبست نفسى فى موضع من الحرب يخشى الكريم هناك الهلاك، ومتى تعترك الفرائص فيه أرعدت من فرط الفزع وهول المقام. وقال أيضاً فيها.

ولولا ثلاثهن من عيشة (الفتى)
وجدك لم أحفل متى قام عودى

فنهن سبق العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرى إذا نادى المضاف محنباً كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الخباء المعمد

قال الشارح يقول فلولا حبى ثلاث خصال هن من لذة الفتى الكريم لم أبال متى قام عودى من عندى آيسين من حياتى؛ فالأولى مبا كرتى شرب الخمر قبل انتباه العواذل، والثانية عطفى إذا نادانى الملجأ إلى والخائف عدوه مستغيثاً إياى — فرساً فى يده انحناء يسرع فى عدوه إسراع ذئب يسكن فيما بين الغضا إذا نبهته وهو يريد الماء؛ فجمل الخصلة الثانية إغاثته المستغيث وإعانته اللاجئ إليه؛ أما الثالثة أنه يقصر يوم الغيم بالتمتع بامرأة ناعمة حسنة الخلق تحت بيت مرفوع بالعمد — وهذه مثله العليا التى نحتها قصور تفكيره. والغرض أنه ضمن الفتوة إغاثة الملهوف وتلك هى الشهامة، وقد اعتبرها من الخصال الداخلة فى مكونات الفتوة. ولنشرح غريب الأبيات فنقول (الجد الحظ والبخت. خمرة كيت اللون ضاربة إلى السواد والحمرة قال المتنبى.

إذا أردت كيت اللون صافية وجدتها وحبيب النفس مفقود

وكرُّه فرسه عطفه لها، والمضاف الخائف والمذعور. المحنب الفرس فى يده انحناء. السِّيد الذئب. الغضا شجر. المتورد رد الماء. الدجن إلباس الغيم آفاق السماء. البهكنة المرأة الحسنة الخلق السمينة الناعمة، المعمد المرفوع بالعمد).

وقال المتنبى.

فلما أنخنا ركزنا الرماح بين مكارمنا والعلى
وبتنا نقبل أسيافنا ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أنى (الفتى)
وأنى وفيت وأنى أبيت وأنى عتوت على من عتا
وما كل من قال قولا وفى ولا كل من سيم خسفا أبى

قال الشارح لديوانه (أنخنا نزلنا. العواصم اسم بلاد. والفتى الحر الكريم. أبيت أمتنعت، وعتوت تجبرت. سام كاف، والخسف الذل، وأبى امتنع) — وبعد فها إنك ترى المتنبى قد استعمل كلة

الفتى فيما يدل على كمال الرجولة والإنسانية الرفيعة ويتضمن الشهامة والإباء وعزة النفس وإليك أيضاً قول الشاعر .

إن (الفتى) من يقول ها أناذا ليس (الفتى) من يقول كان أبى

ولم يغفل علماء اللغة هذا المعنى وإن لم يوفوه بياناً وإيضاحاً .

قال الجوهرى فى (الصحاح) والفتى السخى الكريم ، يقال هو فتى بين الفتوة . وقد تفتى وتفاتى ، وقد تناقل المؤلفون كلمة الجوهرى من دون تمحيص أو تحقيق وهذا من عيوب كتب اللغة ، فكأنها لتشابهها فيما — كتاب واحد فلم يكلفوا أنفسهم جهد مراجعة الشواهد للتصرف فى التعبير والتبيان ؛ فقال الفيروزابادى فى (القاموس) الفتى الشاب والسخى الكريم ؛ والفتوة الكرم . وقد تفتى وتفاتى، وفتوتهم غلبتهم فيها. وقال البستانى فى (البستان) : الفتى الشاب الحدث والسخى، والفتوة السخاء والكرم والمروءة . وقال فى (أقرب الموارد) الفتى الشاب الحدث والسخى الكريم ، والفتوة السخاء والكرم والمروءة . وقال فى (فرائد اللغة) الفتى الشاب الحدث والسخى الكريم . وقال فى (المنجد) الفتى الشاب الحدث السخى الكريم . (فتايفتو فتواً) الرجل : غلبه فى الفتوة أى السخاء والكرم . وها أنت ترى اللغويين هؤلاء قد تعلقوا بأذيال الكرم والسخاء هذه الفضيلة ذات القيمة الغالية فى حياة الصحراء العربية الجدبة ؛ ولكنك تفهم من سياق أبيات المتنبي وطرفة بن العبد معانى بعيدة عما يحوم حوله علماء اللغة ، فإنك تحس أنهما يريدان بالفتوة الشهامة والفروسية والرجولة وما يقارب ذلك من مظاهر القوة والصبر على المكاره والشدة وصلابة العود والنجدة ؛ وإذن فإننا نكاد نتهم أصحاب المعاجم اللغوية فى شرحهم لمعانى الكلمات . وقال فى (محيط المحيط) الفتى الشاب الحدث والسخى الكريم، والفتوة السخاء والكرم والمروءة وعند أهل الحقيقة هى أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة . وعند السالكين كف الأذى وبذل الندى وترك الشكوى . وإنى أرى أن هذا هو المفهوم لغة من النصوص المتقدمة الذكر . وقال الزمخشرى فى (أساس البلاغة) هذا فتى بين الفتوة وهى الحرية والكرم . قال عبد الرحمن بن حسان .

إن الفتى لفتى المكارم والعلى ليس الفتى بغملج الصبيان

وقال آخر :

يا عزهل لك فى شيخ (فتى) أبداً وقد يكون شباب غير فتيان

(الغملج هو الذى لا يثبت على حالة ، يكون مرة سخيا ومرة بخيلا ومرة شجاعاً وأخرى جباناً ومرة شاطراً وأخرى قارنا أى جامداً ساكتا : كذا فى القاموس) .

ولكن ابن منظور الأفريقى ينقل فى (لسان العرب) عن القتيبى إنه ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال يدلك على ذلك قول الشاعر .

إن (الفتى) حمال كل ملمة ليس الفتى بمنعم الشبان

وقال ابن هرمة :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع

ونقل عن ابن برى أن الفتى هو الكريم .

غير أن شارح (القاموس) يقول فى كتابه (تاج العروس) والفتوة الكرم والسخاء ، هذا لغة ؛ وفى عرف أهل التحقيق أن يؤثر الخلق على نفسه بالدنيا والآخرة . وصاحب الفتوة يقال له الفتى ومنه لا فتى إلا على وقول الشاعر .

فإن (فتى الفتيان) من راح واغتدى

لضر عـدو أو لنفع صـديق

وعبر عنها فى الشريعة بمكارم الأخلاق . قال ولم يجىء لفظ الفتوة فى الكتاب والسنة وإنما جاء فى كلام السلف . وأقدم من تكلم فيها جعفر الصادق ثم الفضيل ثم الإمام أحمد وسهل والجنيد ، ولهم فى التعبير عنها ألفاظ مختلفة والمآل واحد . ويقال هو فتى بين الفتوة وقد تفتى وتفاتى نقله الجوهرى ، وفتوتهم أفتوهم غلبتهم فيها أى (الفتوة) . وبعد فها أنت تجد صاحب تاج العروس يعزو الفتوة إلى الإمام جعفر الصادق وقد كان فى صدر الدولة العباسية وإليه أيضاً ينسب علم الكيمياء . وقد وجدت فى (مجمع البحرين) للطريحى (والفتى أيضاً السخى الكريم وفى الحديث تذاكرنا عند الصادق أمر الفتوة فقال أتظنون أن الفتوة بالفسق والفجور ؟ إنما الفتوة والمروءة طعام موضوع ، ونائل مبذول ، إلى أن قال وأما تلك فشطارة الخ) والشطارة الخبث ، والشاطر هو الذى أعيا أهله خبثا . وقد مدح الغزالى الفتوة فى إحياء العلوم وذكر بعض

المؤرخين أنه كان فى أسيا الصغرى جمعيات أخوية تتبع نظام الفتوة وتكرم الغرباء وتساعد الفقراء ولها زوايا وألبسة وتقاليد خاصة ، وأنها من تقاليد المسلمين القديمة النافعة التى أضعناها ؛ فلو أننا احتفظنا بها مع تحسينها لكانت لنا خيراً من الكشافة

وذكرت الفتوة فى (دائرة معارف الإسلام) وقالوا إن للفتوة مبادىء أخلاقية سامية منها تضحية النزعات الفردية فى سبيل الصالح العام .

وذكر أحد مؤرخى الحضارة الإسلامية أن الفتوة كانت فى العصر العباسى نظاماً له صبغة دينية . ومن صفات الفتيان الشجاعة والكرم ومساعدة الغير وللفتوة نظام خاص وألبسة خاصة ولباس الفتوة الخاص سراويل عليها صورة كأس ؛ فإذا أراد أحد الانخراط فى هذا السلك تقام له حفلة يشهدها إخوانه الفتيان ويلبس سراويل الفتوة ويشرب كأس الفتوة . وكانوا يرمون البندق وهو كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها ؛ وكانوا يرمون البندق عن الأقواس كما يرمون النبال . وكان رماة البندق فى العصر العباسى طائفة كبيرة يخرجون إلى ضواحى المدن ويتسابقون فى رميه على الطير، ويعدون ذلك من الفتوة. وفى خلافة الناصر لدين الله العباسى المتوفى سنة ٦٢٧ هـ أقبل الناس على رمى البندق وتربية الحمام لأن الخليفة نفسه كان كبير فتيان زمانه ، ورغب فى هذين الفنين . وقد بلغ من رغبته فى ذلك أن جعل رمى البندق فناً لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها على أن يكون بينهم روابط وثيقة على نحو ما عند بعض الجمعيات السرية. ثم تفننوا فى رمى البندق بالزراريق أو الأنابيب بضغط الهواء من مؤخر الأنبوب بما يشبه أنابيب البنادق ، فلما اخترعوا البارود صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب وسموا هذه الآلة بندقية نسبة إليه) .

ضياء الدخيلى

خواطر مسجوعة :

تمثال شاعر

[إلى الملهمين الذين اضطربت حياتهم . وتعثرت خطواتهم. إلى المغمورين الذين مسهم الضيم وهم أباة ، وسيموا الهوان وهم كرام] .

كأنى بالشاعر وقد عاش تسعين عاماً ، بين عيون نمامى ... فلم ينقذه من حياة الأموات ، سوى سهم المات !

عاش سطراً فى دفتر العناء ، وسراً فى ضمير الفناء . ومات فلم يخسر شيئاً من الدنيا ، لأنه لم يكن قبل الموت حياً !!

عاش فأنكروه ، ولم يذكروه . ومات فتبا كى الجاحد ، وتحازن الحاسد ... !

عاش يبحث عن الضالة المنشودة ، والرحمة المفقودة ، حتى ذوى يأساً ، وقضى بؤساً ... !

عاش هدفاً لإجحاف مر ، واعتساف مستمر ... ومات فهشوا لوفاته ، وبالغوا فى تكريم رفاته !

فقد الرحمة حياً ثم مات ، فطالبوا له غيثاً من الرحمات ! فهل كانت الرحمة للميت لزاماً ، وعلى الحى حراماً ؟! أم هو الفضل يذكر إن صاحبه ذهب ، والحقد يزول بزوال السبب . فمن لم يستطع التحديق فى الشمس كان للتعامى مؤثراً ، فإذا غربت انقلب مبصراً ، فأكبر الدفين فى الرمس ، وعرف له اليوم مالم يعرفه بالأمس . ورب متجاهل كان يجاهله جهلا ، ومتعام كان للعمى أهلا .

وكأنى بالشاعر وقد شيعوه إلى القبر ، ملتمسين لذويه الصبر ! وبعد تراب عليه انهال ، أقيم له تمثال .

وإذا العيون قفلت ، والقلوب غفلت ، فإن التمثال لا يلفت ذوى عمى ، ولا يوقظ من ينظرون إليه نظر الأطفال إلى الدمى !

وإذا قضى الشاعر نحبه ، وفارق آله وصحبه ، فإن التمثال لا ينفع من ذهب ، وإن كان من ذهب !

فلعمرى إن لم يظفر الحى بأمنيته ، قبل منيته ، فإن الذكر والنسيان ، فى الموت يستويان !

ليتهم صانوا صاحب التمثال حياً ، فمن مات مذكوراً هو من عاش منسياً !!

حامد بدر

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى

سفير إيران بمصر

— ٧ —

٦ — البيمارستانات فى البلاد الإسلامية :

لقد أشرنا فى حديثنا السابق إلى مطالعات الأطباء المسلمين بجانب سرير المريض ، ولتوضيح الناحية العملية من الطب الإسلامى وأعمال الأطباء فى البيمارستانات وطريقة تمريض المرضى وعلاجهم وحالة دور الشفاء عندهم لا بد من أن نلقى كلمة عن هذا الموضوع :

يأمر الدين الإسلامى مثل سائر الأديان السماوية بالرفق والشفقة ويدعو إلى البر بالفقراء والإحسان إليهم ومواساة المرضى والعجزة ؛ وقد كان تمريض المجروحين ومواساتهم والعناية بأمرهم من أهم الأمور التى كان يميرها النبى صلى الله عليه وسلم اهتماماً خاصاً فى غزواته . فقد جاء فى سيرة ابن هشام أن سعد بن معاذ أصيب فى غزوة الخندق فى شوال من العام الخامس الهجرى بسهم فى الأكحل[١] فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يوضع فى خيمة رفيدة الأسلمية ، وكانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين قائلا : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعود من قريب . ويمكن اعتبار خيمة رفيدة هذه أول مستشفى حربى متنقل عند المسلمين .

وبعد ذلك ازداد عدد هذه المستشفيات المتنقلة التى كانت تسمى بالبيمارستانات المحمولة[٢] مقابل البيمارستانات الثابتة .

وهذه البيمارستانات المحمولة زيادة على استعمالها فى الحروب كانت تنقل من مكان إلى آخر، وكانت مجهزة بكل ما يلزم المرضى عادة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة وكل ما يعين على ترفيه المرضى والعجزة والزمنين والمسجونين وكانت تنقل من بلد إلى أخرى من البلدان الخالية من بيمارستانات ثابتة .

يقول ابن أبى أصيبعة نقلا من ثابت بن سنان :

إن الوزير على بن عيسى بن الجراح فى أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير المملكة فى أيام وزارة حامد بن أبى العباس وقع إلى والده سنان بن ثابت فى سنة كثرت فيها الأمراض جداً وكان سنان يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها توقيعا جاء فيه :

« فكرت مد الله فى عمرك فى أمر من فى الحبوس وأنهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض وهم معوقون عن التصرف فى منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فى أمراضهم فينبغى أكرمك الله أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم فى كل يوم ويحملون معهم الأدوية والأشربة وما يحتاجون إليه من المزورات (والمزورات هى حساء من الخضر دون لحم أو دسم أو البهريز فى اللغة الدارجة) وتتقدم إليهم بأن يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ويريحوا عللهم فيما يصنعونه لهم إن شاء الله تعالى » ففعل سنان ذلك[١]

ثم وقع إليه توقيعاً آخر :

« فكرت فى من بالسواد من أهله وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الأطباء ، فتقدم مد الله فى عمرك بإنفاذ متطببين وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون السواد ويقيمون فى كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ويعالجون من فيه ثم ينتقلون إلى غيره » .

فنفذ سنان هذا الأمر وانتهى أصحابه إلى (سورا) من بلاد العراق وكان معظم أهلها من اليهود فكتب سنان إلى الوزير يخبره أن بعض أصحابه كتب إليه من السواد يستأذنه فى المقام هناك لعلاجهم أو الانصراف عنهم إلى غيرهم وأنه لا يعلم بم يجيبهم لأنه لا يعرف رأيه فى أهل الذمة . وقد عرض عليه فى كتابه هذا أن الطريقة المتبعة فى بيمارستان الحضرة هى علاج الملى والذمى ؛ فوقع له الوزير توقيعاً أخبره فيه أن يقدم معالجة المسلمين على أهل الذمة ، فإذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه صرف فى الطبقة التى بعدهم — أى أهل الذمة — وقال « فاعمل أكرمك الله

(١) الأكحل الوريد .

(٢) ويعبر عنها الآن بالفرنسية بكلمة Am bulance

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ٢٢١

على ذلك وا كتب إلى أصحابك به ووص بالتنقل فى القرى والمواضع التى فيها الأوباء الكثيرة والأمراض الفاشية »(١) .

وكانت عادة السلاطين فى دولة المماليك أنهم عند ما كانوا يخرجون إلى القصور التى كانوا قد بنوها خارج المدن للاقامة أياما فيها ، أن يصحبهم فى السفرغالباً حاشية من الأمراء والأعيان ومعهم كل ما تدعو إليه الحاجة حتى يكاد يكون معه بيمارستان كامل لكثرة من معه من الأطباء والكحالين والجراحين والفصادين والأشربة والعقاقير وغيرها .

وكان الأمراء المسلمون أيضاً يستعملون فى حروبهم البيمارستان المحمول وكان يحمله ويحمل الآلات والأدوات والأدوية والعقاقير اللازمة عدد من الجمال خصصت لذلك(٢) .

أما البيمارستانات الثابتة فهى ما كان بناؤها ثابتا فى مكان خاص ؛ وكان هذا النوع موجوداً فى معظم البلاد المهمة ولاسيما فى المواضع الكبرى وكان فى بعضها أكثر من بيمارستان واحد ولا تزال آثار بعضها باقية إلى الآن كالبيمارستان المنصورى أو (قلاوون) والبيمارستان المؤيدى بالقاهرى والبيمارستان النورى بدمشق وغيرها .

وكانت هذه البيمارستانات بوجه عام منقسمة إلى قسمين منفصلين قسم للذكور وآخر للاناث ، وكل قسم مجهز بما يحتاجه من آلات وعدد وخدم من الرجال والنساء(٣) وفى كل قسم منهما قاعات مختلفة فقاعة للامراض الباطنية وأخرى للجراحة وثالثة للكحالة ورابعة للتجبير ، إلى غير ذلك من القاعات .

وكانت هذه الأقسام الخاصة مقسمة بدورها إلى شعب وأقسام فرعية مثل الفرع الخاص بالمحمومين والفرع الخاص بالممرورين أى المجانين ، والفرع الخاص بالمصابين بالأمراض العادية والأسهال وغير ذلك . وكانت البيمارستانات تقام فى أماكن حسنة الموقع طيبة المناخ .

يروى بعض المؤرخين فى ترجمة حياة محمد بن زكريا الرازى أنه عند ما طلب إليه أن يختار محلا مناسباً لبناء بيمارستان فى بغداد أمر أن يعلقوا قطعا من اللحم الغريض فى أماكن مختلفة من المدينة ثم اختار المحل الذى كان تعفن اللحم فيه متأخراً عنه فى سائر الأماكن لبناء المستشفى المطلوب .

وكان من شروط انتخاب المحل المناسب لبناء البيمارستان أن يكون فيه ماء جار .

وكان لكل بيمارستان شرابخاناه أى صيدلية (والكلمة محرفة عن شرابخانة الفارسية ومعناه خزانة الشراب) ولكل شرابخاناه (مهتار) أى رئيس (وهذه الكلمة أيضاً محرفة عن مهتر الفارسية بمعنى الرئيس أو الكبير) وتحت يده غلمان عنده برسم الخدمة يطلق على كل واحد منهم (شراب دار)(١) .

ومما يسترعى النظر كثرة الأسامى والمصطلحات الطبية الفارسية التى كانت شائعة فى اللغة العربية ويدل ذلك على نفوذ الأطباء الايرانيين وأثر مدرسة جند يسابور منذ عهد الساسانيين، حتى أن العرب استعملوا نفس هذه المصطلحات واللغات الفارسية عيناً أو بتحريف بسيط فى كتاباتهم ومحاوراتهم ؛ فكلمة (بيمارستان) أو مخففها (مارستان) شائعة ومتداولة فى اللغة العربية أكثر من كلمتى المستشفى أو دار الشفاء .

وكانت كلمة (بيمارستان) تطلق فى بادىء الأمر على المستشفيات التى تعالج فيها الأمراض بصورة عامة ؛ أما بعد ذلك لما أصابتها الكوارث وحل بها البوار وهجرها المرضى أقفرت إلا من المجانين حيث لا مكان لهم سواها فصارت كلمة (مارستان) وهى تحريف بيمارستان لا تنصرف إلا إلى مستشفى المجاذيب .

وكان لكل بيمارستان ناظر يشرف على إدارته ، وكان النظر عليه يعد من الوظائف الديوانية العظيمة ، وكان تحت إدارته عدد من أرباب الوظائف فى البيمارستان وهم :

١ — رئيس الأطباء وهو الذى يحكم على طائفة الأطباء ويأذن لهم فى التطبيب ونحو ذلك .

٢ — رئيس الكحالين وحكمه فى الكلام على طائفة الكحالة حكم رئيس الأطباء فى طائفة الأطباء : — رئيس الجرائحية(٢) .

---

(١) بتلخيص من طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة
(٢) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ٣١٠
(٣) طبقات الأطباء الجزء الأول

(١) صبح الأعشى للقلقشندى الجزء الرابع صفحة ١٠
(٢) صبح الأعشى للقلقشندى الجزء الثانى صفحة ١٦٨ والجزء ١١ الصفحة ١١٧ وصفحة ٢٦٨

وكان لكل طبيب حسب درجته ومقامه مرتب خاص وله زيادة على المرتب جامكية وصلات وعلوفة لدابته من الخلفاء والملوك والأمراء .

يقول القفطي وابن أبي أصيبعة أن معدل المرتبات الشهرية للأطباء كان كالآتي :

١ — أطباء الخاص (أى المنقطعون للخليفة أو السلطان) وكان عددهم اثنين لكل منهما فى الشهر خمسون ديناراً (وكل دينار حوالى خمسة عشر فرنكا فرنسيا ذهباً (١) أى ستين قرشاً مصرياً تقريباً) .

٢ — أطباء الدرجة الثانية وهم ثلاثة أو أربعة ، وكان بعضهم يقيم بالقصر ولكل منهم عشرة دنانير ؛ وكان بعضهم طبيباً بالبيمارستان أيضاً فكان له رزقان أى ثلاثون ديناراً فى كل شهر مثل رضى الدين الرحبي طبيب صلاح الدين الأيوبى ، فقد أطلق له صلاح الدين ثلاثين ديناراً فى الشهر ويكون ملازما للقلعة والبيمارستان ؛ وكان للبعض الآخر مثل جبرائيل الكحال ألف درهم كل شهر (والدرهم نصف فرنك فرنسى ذهب أو قرشان مصريان) .

يقول المقريزى إن أول من بنى البيمارستان فى الاسلام ودار المرضى هو الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى سنة ٨٨ هجرية وجعل فيها الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الارزاق .

وكان فى البيمارستان طريقان للعلاج . علاج خارجي أى أن المريض يتناول الدواء من البيمارستان ثم ينصرف ليتعاطاه فى منزله ، وعلاج داخلى يقيم المريض فى أثنائه فى البيمارستان فى القسم والقاعة الخاصة بمرضه حتى يشفى (٢) .

فنى الطريقة الأولى كان الطبيب يجلس فى محل خاص ويعاين المرضى ويعطيهم العلاج اللازم ؛ وبما أن هذه المعاينة وهذا العلاج كانا يتمان فى البيمارستان غالباً فقد كان يجتمع التلاميذ بحضرة أستاذهم يعاينون معه المريض ويعرفون كيفية استدلاله على المرض من أعراضه وعلائمه ، وجملة ما يصفه له ، والعلاج الذى يعالجه به ، ومقدار الأدوية والعقاقير التى يوصى بها وطريقة استعمالها .

(١) الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا الجزء الرابع صفحة ٤٦
(٢) تاريخ البيمارستان فى الاسلام للدكتور أحمد عيسى بك صفحة ٣١

روى ابن النديم وكان معاصرا لمحمد بن زكريا الرازى نقلا عن شيخ من أهل الرى (أن الرازى وكان شيخاً كبيراً كان يجلس فى مجلسه ودونه تلاميذه ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ أخر وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من تلقاه فان كان عندهم علم والا تعداهم إلى غيرهم ، فإن أصابوا وإلا تكلم الرازى فى ذلك (١) .

إن هذه الطريقة تشبه إلى حد كبير الطريقة المتبعة الآن أو التى يجب أن تتبع فى حالة مداولة الأطباء عن فحص المريض consultation فإن الأطباء بعد أن يعاينوا المريض يجتمعون للمداولة فى غرفة خاصة ويبدأ الحاضرون بابداء آرائهم فى حالة المريض متدرجين من أصغرهم سناً إلى أكبرهم؛ وذلك لأن الأطباء الكبار والمشهورين إن أبدوا رأيهم فى ذلك ربما خجل الطبيب الأصغر منهم بحكم سنه وإجلاله للطبيب الأكبر منه سناً ومقاماً من إبداء رأي يخالف ذلك ، وقد يكون أحياناً أحسن من رأى غيره وأقرب إلى الصواب .

والخلاصة أن دراسة الأطباء لحالة المريض بجانب سريره ومطالعاتهم فى البيمارستانات وأخذهم دروساً عملية كانت تعد فى تلك العهود — وكانت العلوم فيها على الأغلب الأعم نظرية ذات أهمية خاصة بالنظر لأهمية الطب والتبعة التى تقع على عاتق المشتغل به وللمهارة التى تستلزمها هذه المهنة .

وإن شطراً هاماً من كتاب الحاوى للرازى مخصص لهذه الدروس الطبية (الأكلينيكية) . ومنه فصل بعنوان (أمثلة من قصص المرضى) ، يذكر فيه الحالات النادرة التى ترد فيها فى تشخيص المرضى ، وفى كل حالة يذكر اسم المريض وأعراض المرض وطريقة العلاج ونتيجتها .

ويذكر الأستاذ بروان فى كتابه الطب الإسلامى (Arabian Medicine) حالة من هذه الحالات مع ذكر النص العربى وهو كما يأتى :

(كان يأتى عبد الله بن سوادة حميات مخلطة تنوب مرة فى ستة أيام ، ومرة غب ، ومرة ربع ، ومرة كل يوم ويتقدمها نافض يسير ، وكان يبول مرات كثيرة ، وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعاً ، وإما أن يكون به خراج فى

(١) الفهرست طبعة مصر صفحة ٤١٥ وطبعة ليزيك صفحة ٢٩٩

أساتذة الجيل :

٢ - أحمد تيمور باشا

ندوته فى درب سعادة

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

« إلى الصديق الكريم ، والباحث المحقق ، الدكتور محمد سامى الدهان ، وفاء بما وعدته من الإفاضة فى الحديث عن أولئك الأساتذة الأماثل الذين مهدوا الطريق أمام هذا الجيل ... »

كانت منازل الكبراء والعظماء وأهل البيوتات لعهد أدركناه ، منازل لأهل الفضل من العلماء والأدباء والشعراء ، ومجامع للفحول فى كل علم وفن ، يلتقون فيها كل ليلة أو كل أسبوع ، فيتباحثون ويتجادلون ، ويسمرون ، ويضحكون ، ويذهبون فى فنون القول مذاهب ، فما شئت من حقيقة علمية خافية ، أو طرفة أدبية رائعة ، أو فكاهة حلوة تروى وتحفظ .

وكان الكبراء والعظماء وأهل البيوتات لعهد أدركناه ، يرون تقريب العلماء والأدباء حلية ومظهراً من مظاهر النبالة والعراقة ، فكانوا يفسحون لهم فى جانبهم وفى منازلهم ، ويبذلون لهم من جاههم ومالهم ما وسعتهم القدرة على ذلك ، فكانت هذه المجالس هى مجالى التفكير العلمى والأدبى والتدبير السياسى والاجتماعى وليس من شك فى أن هذه المجالس قد أثرت فى حياتنا الفكرية أكثر مما أثرت « الصالونات الأدبية » فى الأدب الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، ولكنها من الأسف لم نجد المؤرخ الذى يدون أخبارها ، ويذكر آثارها . .

كانت فى دار الأميرة نازلى هانم فاضل ندوة ، وفى دار آل البكرى ندوة ، وفى دار سليمان أباظه باشا ندوة ، وفى دار الإمام محمد عبده بعين شمس ندوة ، وفى دار آل عبد الرازق ندوة ، وفى دار آل القاياتى ندوة ، ولا تزال منها بقية باقية ... وكان من أحفل هذه الندوات وأعمرها ندوة أحمد تيمور فى درب سعادة حيث كانت دار آل تيمور الفسيحة الجنبات المفتحة الأبواب ...

ولقد رأيت فيما قدمنا لك أن والد أحمد تيمور باشا قد عكف فى آخر حياته على جمع الكتب ومجالسة أهل العلم والأدب فى داره ، فلما شب الابن جرى على سنة أبيه فى هذا ، وكانت له به قدوة ، ففتح داره لشيوخ العصر وأعلام اللغة والأدب وكل من يمت إلى هذا بسبب ، فكان يجتمع فى هذه الدار الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والشيخ محمد بن محمود الشنقيطى والشيخ حسن الطويل والشيخ أحمد أبو خطوة والشيخ طاهر الجزائرلى والسيد محمد الببلاوى والشيخ محمد شاكر والشيخ حسن منصور والشيخ أحمد مفتاح ويحيى أفندى الأفغانى ومحمد أفندى أكل والشيخ أحمد أبو الفرج الدمنهورى ، والشيخ عبد الرحمن الكواكبى والسيد عبد المحسن الكاظمى ورفيق بك العظم ، والسيد محمد رشيد رضا ، ثم كان بعد هؤلاء رعيل آخر من أعلام الأدب واللغة ورجال القلم والصحافة والمستشرقين الذين كانو يتوافدون على مصر للدراسة والتحقيق العلمى والبحث عن المخطوطات النادرة ، فكانت ندوة أشبه بجامعة علمية تمت لها كل فروع المعرفة ووسائل الدراسة العلمية والأدبية وامتازت بالتخلص من قيود النظم والقوانين ...

فى كلاه ، فلم يلبث إلا مديدة أعلمته أنه لا يعاود هذه الحميات ، وكان كذلك ، وإنما صدنى فى أول الأمر عن أن أبت القول بأن به خراجاً فى كلاه أنه يحم قبل ذلك حمى غب وحميات أخر فكان للظن بأن تلك الحمى المخلطة من احتراقات تريد أن تصير ربما موضعاً أقوى . ولم يشك إلى أن قطنه شبه ثقل معلق منه إذا قام وأغفلت أنا أيضاً أن أسأله عنه ، وقد كان كثرة البول يقوى ظنى بالخراج فى الكلى ، إلا أنى كنت لا أعلم أن أباه أيضاً ضعيف المثانة يعتريه هذا الداء ، وهو أيضاً قد كان يعتريه فى صحته فينبغى ألا يعمل بعد ذلك غاية التقصى إن شاء الله ، ولما بال المدة أكببت عليه بما يدر البول ، حتى صفا البول من المدة ثم سقيته بعد ذلك الطين المختوم والكندر ودم الأخوين وتخلص من علته وبرأ برءاً تاماً سريعاً فى نحو من شهرين . وكان الخراج صغيراً ودلنى على ذلك أنه لم يشك إلى ابتداء ثقلا فى قطنه ، ولكن بعد أن بال مِدة قلت له هل كنت تجد ذلك ؟ قال نعم ، فلو كان كثيراً لقد كان يشكو ذلك ، وأن المدة تنبث سريعاً تدل على صغر الخراج . فأما غيرى من الأطباء فإنهم كانوا بعد أن بال مِدة أيضاً لا يعلمون حالته البتة » .

(البقية فى العدد القادم)

فى هذه الندوة تخرج أحمد تيمور ، ودرس وحصل وأفاد ، واستطاع أن يقرأ جميع ما جمع من أمهات الكتب ونوادر المخطوطات وأن يملق عليها التمليقات المفيدة ، فبعد أن كان يجلس فى هذه الندوة مجلس التلميذ المستفيد أصبح يجلس مجلس الأستاذ المفيد ، وأصبح أهل العلم يتوافدون عليه للأخذ عنه والإفادة منه ويرجعون إليه فيما يريدون من تحقيق أدبى أو تمليق لغوى .

لم يدون أحد ما كان يجرى فى هذه الندوة من المطارحات والمناقشات ، ولو جمع هذا لتحصل منه علم كثير وأدب كبير ، ولكنا نجد تيمور باشا يشير إلى ذلك إشارات عابرة مقتضبة فيما كتبه فى تراجم أعيان القرن الثالث عشر الهجرى ، فيقول فى ترجمة الشيخ أحمد مفتاح : « ولما انتقل إلى مدارس الأقاليم صار يحضر إلى القاهرة فى فترات فينزل عندنا ، ويجتمع به إخوانه وأصدقاؤه فى ليال كنا نحييها بالمطارحات الأدبية وإنشاد الأشعار » .

ويقول فى ترجمة أستاذه الشيخ حسن الطويل : « ومن غريب المصادفات أنه زارنى قبل وفاته بيومين فى ليلة مقمرة ، فجلسنا فى صحن الدار نلعب الشطرنج ، وكان مولعاً به مع قلة إجادته فيه ، فقال لى عندما أراد الذهاب : نحن الآن فى الامتحان وقد قربت الأجازة ، وصدرى ضيق فى هذه الأيام من الناس ، ونفسى تجنح للعزلة ، فهل تعرف لى مكاناً أقضى فيه بعض أيام بعيداً عنهم ؟ فقلت : يا سيدى . إذا انتهى الامتحان فالأوفق أن نسافر معاً إلى ضيعتنا التى بقويسنا فنخلو فيها بكتاب نقرؤه ، فقال : نعم الرأى هذا ، وسأستصحب معى ولدى حسناً ليشترك معنا فى القراءة . ثم لم يمض يومان حتى نقله الله إلى جواره ، ويسر له العزلة ولكن فى دار قراره » .

ويظهر أن ندوة تيمور لم تكن لها ليلة معينة فى الأسبوع ، بل كانت مفتحة الأبواب دائماً ، وكان إخوانه يجتمعون به كل ليلة وكل وقت يروق لهم ، فهو يحكى عن نفسه أن أستاذه الشنقيطى أشار عليه بقراءة أمالى أبى على القالى قراءة إمعان وتدبر ، فاعتزل الناس ثلاثة أيام لهذا الغرض ، فلم ترق هذه العزلة صديقه محمد أفندى أكل فعاد إليه بعد الأيام الثلاثة ومعه زجل ينحى فيه على الشنقيطى وعلى أبى على القالى اللذين تسببا فى انقطاعه عن الإخوان وفيه يقول :

يا سيد احمد يا تيمور   يالى منعنا من أنسك
هو ودادك من بنور   حتى كسرته من نفسك
أهديك سلام يشحن وابور   يقطع محطات على حسك
هو الكتاب ده م الجنة   ولا كلام الجريطى
أبو على كان لك محنة   الله يجازى الشنقيطى

***

بكره يجينا الشيخ مفتاح   يحلى السهر فى القمارى
نفضل ندردش للأصباح   والشيخ بروحه موش دارى
عبيط خفيف عالم فلاح   بجوز شوارب هوارى
أوقات كده يبقى زنه   وأوقات نشوفه رهريطى
أبو على كان لك محنة   الله يجازى الشنقيطى

وهو زجل طويل ، وكله على هذا النحو من الطرافة والدعابة ، وقد أورده جميعه تيمور باشا فى كتابه أعيان القرن الثالث عشر .

ويحكى تيمور باشا فى ترجمة محمد أفندى أكل أيضاً فيقول : « وأطلعته على رسالة عندى جمعها الشيخ أحمد الفحماوى وذكر بها كنى وألقاباً وضعها لفضلاء أواخر القرن الثالث عشر على سبيل المزاح والدعابة ، فلقب كل واحد بلقب شاعر متقدم أو رجل مشهور يوافق اسمه هيئة الملقب به أو شيئاً يغلب على أخلاقه وأحواله ، فلما اطلع المترجم عليها جن بها جنوناً وشرع فى وضع رسالة تماثلها فى فضلاء عصره ، وسألنى مشاركته فيها فامتنعت خشية اللوم فانفرد هو بتأليفها وأتى فيها بغرائب ، فمن ذلك تلقيبه للعالم الفاضل على رفاعة بابن المقفع لنحافته ودخول شدقيه ، وتلقيبه للعالم الفاضل يحيى افندى الأفغانى بالقدورى لغرابة شكله وقصر ساقيه تشبيهاً له بالقدر من الفخار ، والقدورى اسم عالم مشهور من الحنفية ، ولقب نفسه بابن قتيبة ، ثم تركه وتلقب بالقوقس ، ولما لقب صاحبنا وصاحبه الشيخ أحمد مفتاح لسلامة طويته بالأبله البغدادى غضب منه ، وكاد يتفاقم الشر بينهما ، وغضب منه صاحب آخر وكان قصيراً ممتلئاً يتدحدح فى مشيته كما يتدحدح البط لأنه لقبه بابن بطوطة » .

وهكذا كانت ندوة تيمور باشا مجالا للدعابات الأدبية والفكاهات الطريفة بين الأصدقاء والإخوان كما كانت مجال علم وأدب ، ودراسة وتحقيق .

« له بقية »

محمد فهمى عبد اللطيف

النزاع بين الروحانيين والماديين

للدكتور فضل أبو بكر

أثارت ظاهرات الطبيعة فضول الإنسان الأول وراعته عواديها فأطلق لخياله العنان ومن بعد ثم شرع يشحذ من قريحته البدائية وتفكيره الساذج يحاول تعليلا لتلك الظاهرات والوصول إلى حل بعض طلاسم الوجود.

ينشد حلا يروى عطاش نفسه الظمأى ووجدانه الحائر، ويرضى في الوقت نفسه ولحد ما كبرياءه كحيوان بلغ درجة من التطور العقلي والجسمى ما جعله يلقب بسيد المخلوقات، وهو لقب ناله بجدارة واستحقاق.

غير أن سيد المخلوقات قد عاش فى ظلمات من الجهل، وأسدلت بينه وبين نور المعرفة حجب كثيفة حالكة، ولم يبد أمام ناظره بصيص من نور أو وامض من برق إلا متأخراً جداً بالنسبة لبدأ خلقه كانسان — ولا أقول ككائن حى — كما يحدد ذلك على وجه التقريب علم «الأنتروبولوجيا» وكما تدعم ذلك متحجرات «الجيولوجيا» وحفائر «الأركيولوجيا»

كان لعهد ليس بالبعيد يعتقد فى سطحية الأرض ويظنها بساطاً ممتداً إلى ما لا نهاية له بساطاً لاحراك فيه؛ وكان جهله بالسماء وشمسها وكوكبها أشد من جهله بالأرض التى يعيش فوق أديمها وذلك إلى أوائل القرن السابع عشر، حتى جاء «جاليلى» «ونيوتن» و«لا بلاس» فيما بين منتصف القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر، فأثبتوا كروية الأرض ودورانها حول الشمس وقانون الجاذبية، ونهضوا بعلم الفلك ووضعوا له أسساً وقواعد علمية متينة، كما أسس العالم الفرنسى «لافوازييه» قواعد الكيمياء بعد ما فند آراء القدماء فيما يتعلق بالاحتراق «والتأكسد» خاصة. كما ظهر غيرهم من العلماء، وكان عصرهم هو عصر النهضة العلمية خطا فيه العلم خطوات المارد فى جميع فروعه.

لقى الكثير منهم تعنتاً واضطهاداً بل وتعذيباً من رجال الدين ورؤساء الكنائس، وذلك لجمود أهله فى ذلك الحين وسطحية تفكيرهم وضيق أفقهم؛ كذلك كان العلم والمعرفة فى ذلك الحين موقوفين على أهل الدين فاشتد الخلاف ودب الحقد فى نفس العلماء كما خرج بعضهم على الكنيسة والدين، وأكبر مثل لأولئك الخوارج المرتدين كان العالم الرياضى الفلكى «لابلاس» الذى تشرف بالمثول بين يدى جلالة الأمبراطور نابليون الأول لأبحاثه القيمة في علم الفلك ومؤلفه «الميكانيكا السماوية La Mécanique Celeste» فهنأه الأمبراطور على اجتهاده وقال له مندهشاً مستفسراً «أراك لم تذكر شيئاً عن الخالق ولم تمجده فى جليل صنعه!!» فأجابه لابلاس على الفور «ما كنت يا مولاى فى حاجة إلى مثل هذا الفرض» «Sire, je n, ai jamais eu bésoin de cetfe hypothese

من هنا يتبين لنا الفرق الشاسع بين المسيحية فى ذلك الوقت وبين الإسلام فيما يتعلق بتسامحه وسعة صدره إزاء العلماء والفلاسفة الذين لم يلاقوا من رجال الدين تعنتاً ولا اضطهاداً إلا القليل بل كانوا على العكس محل احترام وإعجاب الكثيرين كما رعاهم الملوك والأمراء ورغماً عما أدعاه كذباً وتمويهاً للحق بعض المؤرخين الغربيين بأن العرب عند ما دخلوا الاسكندرية فى القرن السابع حرقوا كنوز العلم والفلسفة والفنون من مخلفات الأغريق التى كانت تعج بها مكتبتها الفريدة وتكتظ بها فى ذلك الحين؛ غير أن بعض المنصفين من مؤرخيهم نفوا تلك التهمة وبرأوا العرب من جناية لم يرتكبوها، وأثبتوا بأن الرومان وحدهم لما دخلوا الإسكندرية فى القرن الأول قبل الميلاد هم الذين بددوا تلك الكنوز وعبثوا بنفائسها.

ذكرنا فيما تقدم بأن عهد النهضة العلمية كان حقاً العصر الذهبي خطت فيه العلوم والمعارف الإنسانية خطوات واسعة كما تحرر فيه العقل البشرى — لحد كبير — من ربقة القيود التى كبلته حيناً من الدهر.

تقدم علم الكيمياء والطبيعة والرياضيات والفلك منذ ذلك الحين، ومازالت فى تقدم مطرد — تقدماً غير وجه الأرض وما عليها وكانت نتيجة ذلك حضارتنا الراهنة التى هى وليدة تطبيق تلك العلوم.

وقد نهض الإنسان بعلمى الطبيعة والكيمياء إلى درجة مكنته من تحطيم الذرة واستخدام القوة الهائلة الناتجة عن ذلك.

قوة – كما يقول علماؤها – إذا سخرت في الصناعة أغنته عن الفحم والبترول وغير ذلك من المواد الخام اللازمة لتوليد القوة وأعطته من الإنتاج أضعافاً مضاعفة لما تأتي به تلك المواد، كما أنها إذا استخدمت أداة للحرب والشر عصفت بالعالم ومن عليه وما عليه وجعلته قاعاً صفصفاً وعليفاً ما كولا .

غير أن علم الحياة لم يخط كما خطت تلك العلوم وذلك لتعقيده ووعورة مسلكه شأن كل ما يتعلق بالحياة، فهو لغز الوجود وسر الخالق ! فالإنسان المكتشف المخترع لآلات وأجهزة بلغت من الدقة والإتقان شأواً بعيداً، هذا الإنسان عينه نراه في الوقت نفسه عاجزاً تمام العجز عن خلق أدنى المخلوقات الحية ! ! خلق كائن مركب من خلية واحدة مثل «الأميبا» أو «البكتريا» مع أنه يعرف « تحليلا » وبدقة تامة المواد والعناصر التي تتركب منها ولكنه يعجز « تمثيلا » عن أن يهبها الحياة ! !

فلغز الحياة وجهل الإنسان بنفسه ككائن حي حير الفلاسفة من عهد سقراط إلى يومنا هذا، وهو ما حدا بسقراط أن يكثر من القول « اعرف نفسك » وهو بيت القصيدة من فلسفته والمحور الذي تدور حوله رحاها . وهو هو الذي أعيا الخيام وجعله يهرب من ميدان الجدل، ويحتمي بالطاس والكاس يغرق فيهما همومه وحيرته، ويستوحيهما لمعرفة السر الرهيب ! وهو ما أقلق راحة المعري حيرة وشكا كان إزاءهما في كروفر ؛ فانظر إليه حين يقول :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

ومنها أيضاً :

حار أمر الإله واختلف النا س فداع إلى ضلال وهاد

يقول هذا وربما يطمئن إلى ما يقول حيناً فيعاوده الشك وتنتابه الحيرة أحياناً فيناقض نفسه بنفسه كما يذكر ذلك في شعره وتأملاته، ومن هنا كانت بليته وعذاب نفسه .

وقد روى عنه أنه كان « نباتياً » يعف عن اللحوم ويرى في أكلها قسوة من الإنسان على الحيوان ؛ وربما كان سبب ذلك عقدة نفسية ومركب نقص مصدره إكبار الحياة في شخص الأحياء !! الحياة التي هزمته لغزها وأعياه سرها : فالإنسان يُكبر – من حيث لا يشعر ولا يريد – ما يدق عنه وما يجهله والمجهول ما هو إلا خصم عنيد تغلب عليك وهزمك تكبره وإن كنت في الوقت نفسه تشعر نحوه بشيء من العداء ! !

وقف العلم وأسرار الطبيعة في حيرة من أمرهما بسبب الجدل الدائم المحتدم بين الماديين المسمين أنفسهم بالواقعيين، وبين الروحانيين، وذلك من عهد سقراط إلى يومنا هذا .

وقد كان أكبر حجة للروحانيين المثاليين عند الأغريق هو « أفلاطون » بلا شك . وكان يمجد الروح والعقل بقدر ما كان يحتقل المادة ويحط من قيمتها . كان يؤمن بخلود الروح ويعتقد بأن الجسد ما هو إلا سجن وقيود وأصفاد تكبلها . والروح – كما يعتقدها – أزلية لا بداية لها ولا نهاية، وقد عاشت قبل أن تحل بالجسم كما ستبقى وتخلد بعد فنائه، وأن جوهر الأشياء وحقيقتها لا يعرف عن طريق الحس والمشاهدة، وإنما الوصول إلى الحقيقة يأتي عن طريق هبة علوية روحانية يمكن تنميتها وترويضها عن طريق الجدل المنطقي والتأمل العميق، وهو ما يميز الفيلسوف – الذي هو لا غيره – القادر المقتدر على حكم الدولة حسب قوانين مثالية توحي بها العدالة وعليها المنطق السليم .

يشارك أفلاطون في آرائه تلميذه وخليفته من بعده « أرسطو » الذي نجح في تدعيم آراء أستاذه بحجج قوية عن طريق المشاهدة والتجارب، ومن هنا كان أقل مثالية من أفلاطون وأقرب منه إلى الواقعية والمادية، كما امتاز أرسطو بآرائه في مسألة التطور التي أولاها الكبير من عنايته . أما عن كبار الماديين عند الأغريق فنذكر أهمهم وكبيرهم « ديموقريط » الذي كان يعتقد بأن المادة تتكون من ذرات متناهية في الصغر وهي في حركة دائمة سرمدية، وأن تلك الذرّات غير قابلة للتجزئة أو التحطيم، وكان يعتقد في مادية الروح وتركيبها من ذرات مشابهة لذرات المادة، كما أن حقيقة الأشياء لا تعرف إلا عن طريق الحس والمشاهدة .

ولما كان يعتقد في مادية الروح فقد نفى عنها الخلود وهاجم آراء أفلاطون مهاجمة قوية فيما يتعلق بأزلية الروح .

ظلت الحرب سجالاً بين الفريقين إلى أن ظهرت الديانة العبرية بأحبارها، ومن بعد ذلك المسيحية بقسيسها، وشن رجال الدين من الطائفتين حرباً ضد الماديين، يستنكرون فلسفتهم

ويحرمون تعاليمهم ، فأفل نجم الماديين إلى منتصف القرن السابع عشر حيث بدأت النهضة العلمية فعادت المادية إلى الميدان من جديد

وأهم الفلاسفة الماديين فى ذلك المهد هو بلا شك «اسبينوزا» الذى كان من أصل يهودى برتغالى ، ولجأت عائلته إلى هولندا حيث ولد وعاش فيها .

تأثر « اسبينوزا » لحد كبير بفلسفة « ديكادرت » وألف كتاباً شرح فيه آراءه فى الفلسفة « والمتافزيقيا » وقد ثار عليه رهبان اليهود وطردوه من حظيرة دينهم على أثر مؤلفه « الدين والسياسة » .

وفلسفة « اسبينوزا » المادية فيها كثير من الغموض ، بل والتناقض فى بعض الأحيان وهاك ملخصها :

المادة — فى اعتقاده — شىء قائم بنفسه له خصائص ومميزات بواسطتها نصل إلى معرفة المادة . أما المادة ككائن — حى أو غير حى — فهذا ما نجهله وهو سر المادة نفسها ، ويقصد بذلك المادة الكبرى أى الإله .

الإله — هو المادة نفسها والكائن اللانهائى ، ولكنه ليس بخالق الكون ، وما نسميه بالمخلوقات ما هى فى الواقع إلا أنواع مختلفة ومحدودة لمادة لا حد لها ولا نهاية هى مادة الله .

أما الروح فهى فى نظره جزء من الجسم وفى وحدة معه ، وهى الجزء العاقل الحساس ، ورغماً عن هذه الوحدة فالروح لا تؤثر على الجسم تأثيراً مباشراً كما أن الجسم لا يكون له مثل هذا التأثير المباشر على الروح ، وإنما هناك تحدث تغييرات وانفعالات فى الجسم يقابلها ما يشابه ذلك فى الروح فى نظام وتناسق تام .

ومن أكبر الروحانيين المثاليين فى منتصف القرن التاسع عشر ، نذكر الفيلسوف « أوجست كت » مؤسس الفلسفة الإيجابية « Positivisme » وهى خليط من الدين والفلسفة والسياسة والاجتماع .

يرى « كت » أن الثقافة الفكرية يجب أن تكون مؤسسة على دعائم قوية من الدين والمتافزيقيا والفلسفة الإيجابية ، كما أنه يرى من الأجدى لعلماء الطبيعة أن يكتفوا فقط بوضع قوانين لعلومها ويصفوا مايشاهدونه من ظاهراتها وما بين ذلك من تشابه وتنافر بدلا من التعمق فى معرفة الأسباب والقوى الخفية المؤدية لذلك والتى تدق عن إدراكهم فى معظم الأحيان ؛ لأن مثل هذا العمق فضلا عن عقمه — يوقع فى الحيرة والشك — ونهايته ضيان إلى المادية والسلبية .

والخلاصة كما يقول كت هى أن العقل البشرى مهما سما واتسعت مداركه لا يمكنه أن يصل إلى معرفة الكثير من الأسرار والقوى الخفية فى هذا الكون ؛ ولا يقصد بذلك أن هذا العجز يجب أن يشل من تفكيره ويوقعه فى اليأس والاستسلام بل على الإنسان أن يكثر من التأمل ويجد فى التفكير وألا يكون أخفاقه — كما هو الحال مع بعض الفلاسفة والعلماء — سبباً لتبرمه بالخالق ونكرانه له . ولنتأمل فى قول الخالق نفسه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » وكما يقول الفيلسوف الإنجليزى « هربرت اسبنسر » : « من درس الطبيعة دراسة مستعجلة سطحية أغوته وقادته إلى الشيطان ، ومن درسها بتعمق وروية سمت به وأوصلته إلى الخالق » .

فضل أبو بكر

(باريس) بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

٩ — من ذكرياتي في بلاد النوبة:

بين عنيبة والدر

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

يطلق اسم عنيبة الآن على غير مسماه لأنه يطلق على المكان الجديد الذى أنشأته الحكومة المصرية بعد التعلية الثانية لسد أسوان، والذى يضم المدرسة الإبتدائية وثانويتها، والمركز بما فيه مكاتب الصحة والتموين، والمحكمة الشرعية والوطنية والبريد، والتلغراف والتليفون والمستشفى، واستراحة الرى. الخ هذه المرافق العامة التى لابد من وجودها فى كل مركز كبير، يكاد يكون صورة مصغرة من مدينة كبيرة..

والواقع أن المكان الذى يشمل كل أولئك ليس هو عنيبة، بل (مستعمرة عنيبة) ولعل البعيدين عن المحيط الذى نعيش فيه، يهزون أكتافهم، ويزمون شفاههم، فى دهشة وعجب، غير شاعرين بكبير فرق بين التسميتين، ولكنهم لو كانوا بيننا حيث نحيا ونعيش لأدركوا سر هذه التفرقة وقيمتها فى نظر النوبيين، إذ أن عنيبة، عبارة عن بلدة تمتد على شاطىء النيل حوالى ثمانية أميال تقريباً، مكونة من نجوع تكاد تكون متصلة متلاصقة، وبيوت كل نجع عبارة عن أكواخ صغيرة، مبنية من اللبن أو الحجارة أحياناً، ولكنها تحمل آثار الفقر والفاقة.. وبين المستعمرة الحكومية التى تضم الموظفين — دواوينهم ومنازلهم — وبين أقرب نجع من نجوع عنيبة الأصلية ميلان على الأقل!!

فإذا تحدثنا عن عنيبة فلا نعنى البلدة الأصلية الريفية.. التى لا يكاد يقطن بها موظف واحد، وإنما نعنى مستعمرة عنيبة التى قامت مقام الدر، المركز السابق، والتى تضم موظفى المركز بأسره، اللهم إلا رجال البريد، والتعليم الأولى والإلزامى فهؤلاء متفرقون فى مختلف بلاد النوبة على شاطىء النيل، وكذا موظفو المدرستين الجديدتين الإبتدائيتين فى الدكة، وقورته..

وإن شئت فقل إن هذه المستعمرة الجميلة التى تفيض حركة ونشاطاً، والتى تعتبر عروس بلاد النوبة على الإطلاق، كانت تدعى فيما قبل: (مقابر عنيبة)!!

إى والله، لقد كانت موضع القبور، ومكان العظة لمن أرادها، فأصبحت الآن مدينة صغيرة، آهلة بالسكان، تضم عشرات الموظفين المثقفين فى أرق الجامعات المصرية والأجنبية، وبها الماء والنور!!.

ولم يقع اختيار الحكومة على هذه البقعة اعتباطاً، ولكنها اضطرت إلى إنشاء المركز الجديد بها اضطراراً، ولذلك قصة طريفة، نجملها فيما يأتى:

كانت بلدة (الدر) قبل سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وألف مقر المركز، وأهم موضع فى بلاد النوبة على الإطلاق، وكيف لا، وبها دور الحكومة، ودواوينها: مدرسة ابتدائية لها قيمتها فى ذلك الوقت.. ثم أغرقت بلدة الدر ضمن ما أغرق من البلدان النوبية بسبب التعلية الثانية، وغمرت مياه الخزان بناء المركز وبقية دور الحكومة جماء... وأرادت الحكومة أن تنشىء بنايات جديدة لمرافقها المختلفة فى البلدة نفسها ولكن فى مكان مرتفع عن منسوب المياه مهما طغت وكثرت. بيد أنها فوجئت من الأهلين بالمعارضة القوية الصارمة، والرفض الشديد، مما أثار الدهشة والحيرة، والتساؤل والارتباك، ولكن الحكومة إزاء هذا التصميم، لم تجد بداً من الالتجاء إلى بلدة أخرى غير الدر، غير أنها باءت بالفشل، ووجدت الرفض نفسه، والمعارضة التى لم يفلح معها إقناع بحال من الأحوال، وهكذا وقف نحو أربعين بلدة من بلدان النوبة هذا الموقف بعينه، ولم يقبل واحد منهم، ووراءه أهل بلدته بما لهم من سطوة ونفوذ أن يكون مقر المركز من نصيب بلدته، وكأنما هو الخطب الداهم، والشر المستطير!!..

وغفل كثيرون عن سبب هذا، وفهمه العارفون، وأدركوا سره وحمدوا هذا الموقف للنوبيين، لأنه برهن على اعتزازهم بشرفهم، وحرصهم على حماية أعراضهم، من أولئك الذين لا يفهمون واجبهم نحو دينهم، ونحو أنفسهم، فيستجيبون دائماً لداعى

الغريزة ، ويلبون نداء الشهوة ، ويعيثون فى الأرض فساداً ، ولا يبالون بأعراض الناس . إن هؤلاء أساءوا إساءة بالغة إلى أنفسهم أولا ، وإلى مناطقهم وبلدانهم ثانياً ، وكانوا شر قدوة ، وأسوأ أسوة !! ..

يا لله ! لقد شافهت الكثير من أهل هذه البلاد ، وخاطبتهم فى هذا الموضوع ، فأرقت منهم العيون ، وعادت بهم الذكرى تعيد الصور مكرورة ، وتبعث الأشجان محفورة فى الأفئدة والصدور ، وكأنهم يعتقدون أن الله أنقذ بمياه الخزان بلدة الدّر ، وطهرها من الرجس ، حينما خلصها من شر الموظفين ، وإن بعض الأهلين يعتقد أن بلدة الدر خسرت بذلك سوقاً رائجة ، وتجارة نافعة ، وحركة دائبة !! ..

ومهما يكن من شيء فإن هذه الفكرة سائدة الآن بين الموظفين والأهلين على السواء ، وقليل ذلك الذى يرى أن اختيار هذه البقعة الصحراوية ، والتى لا تزال تشتهر بـ (قبر عنيبة) كما تدل على ذلك الخرائط الكبيرة القديمة ، والتى لا يزال المركز يحتفظ بإحداها يزين بها حجرة المأمور — قليل ذلك الذى يرى أن سبب هذا الاختيار مرجعه إلى المقاول الذى رست عليه المزايدة العلنية ، وأنه اختار هذه البقعة الصخرية بالذات ليوفر على نفسه مؤونة نقل الحجارة من مكان بعيد يكلفه كثير المشاق ، وطائل الوقت والمال !! .

وعلى الرغم من أن عنيبة قد سعدت بمقر المركز الجديد ، ونالها بذلك كثير من الرخاء والرواج ، لتعدد دور الحكومة فيها ، واختلاف دواوينها ، فإن (الدر) لا تزال تجاذبها أطراف ذلك الرداء ، وتأبى فى إصرار أن تستقل عنيبة بهذا الفضل ، وتنفرد دونها بذلك المجد الذى كان لها وحدها إلى عهد قريب .

أجل فإن اسم (الدر) لا يزال يحتل أبرز الأماكن فى هذه الدور ، مما يدعو إلى الدهشة والعجب فى نفوس الذين لا يعرفون شيئاً عن ذلك التاريخ القديم .. وأعجب من هذا أن بعض المصالح الحكومية لا تزال تتمسك باسم المركز القديم فتطلق على مركز عنيبة ، مركز الدر ، وكأنها لا تعترف بكل ما مر بهذا الإسم من حوادث ، وناله من كوارث الأيام ، ولا تقيم وزناً لهذا الإسم الجديد ، أو كأن للاسم القديم لذة ومتعة لا ترضى بغيرها بديلا .. أو كأن له رهبة وروعة ، فهى لا تريد أن تذهب بما اكتسبه على مر الأيام ، وكر الأعوام ، من جلال ووقار ، أو بمعنى أدق من تخويف وإرهاب ، ونفى وتشريد !! ..

وإننا لنحسن الظن بالحكومة بهذا التعليل كائناً ما كان ، وهو على أسوأ وجوهه خير ألف مرة ومرة من الوجه الآخر الذى يتبادر إلى الذهن من الإبقاء على تسمية المحكمة الشرعية ، والمحكمة الوطنية باسمهما القديم ، وترد بذلك الإسم المخاطبات والمكاتبات فى كثير من الأحايين ... ولا تزال حركة الإصلاح فى مختلف الوزارات تذكر مركز الدر فى قراراتها ، وتهمل مركز عنيبة !! ..

ولا شك أن بلدة الدر أعرق مجداً ، وأوفر حظاً من عنيبة ، ولا يزال فيها السوق التجارى الأصيل ، وإن زال مجدها الحكومى بزوال دور الحكومة ، ورحيلها عنها ، فلا يزال مجدها الحقيقى قائماً بشخصيات أهلها ، ونفوذ الكثيرين منهم ، وبخاصة الذين طلبوا العلم فيها ، والذين زاولوا فيها كذلك شتى الأعمال الحكومية ، واضطلعوا بمختلف المناصب !! ..

واسم الدر أعلق بأذهان الموظفين من اسم عنيبة الذى لا يعرفه غير المتصلين به من مهندسين ومدرسين وقضاة وأطباء وغير أولئك من طوائف الموظفين ؛ فإذا ذكرت اسم عنيبة أمام أحد لم يفهم منه شيئاً ، وخالنى ألغز عليه ، فإذا رآنى جاداً غير هازل ، وصارماً غير مازح ، استفسر واستفهم ، ولم يذهب فكره إلى أكثر من مديرية الجيزة أو الفيوم ، أو بنى سويف . فإذا قلت له أبعد من هذا صمت ، وشك فيما أقول ، فإذا ذكرت له الموقع بالضبط ، وأنها بعد الشلال ، انقبضت نفسه ، وحال لونه ؛ فإذا قلت له إنها هى الدر ذات التاريخ القديم الذى لا يجهله أى موظف ، زم شفتيه ومطهما ، وعقد ما بين حاجبيه ، وهز رأسه فزعاً وهولا مما سمع ، وكأنما لسعته عقرب شائلة ، أو لدغه أرقم لعين ، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وحوقل مرات ، واسترجع فى لهجة فزعة ، وكأنما ذكرت أمامه اسم واد من أودية العذاب ، أو طبقة من طبقات الجحيم !! ..

مهلا يا سادة .. فما هكذا تكون الوطنية ، ولا هكذا يكون الخوف والرعب فى القلوب لمجرد التمتع واللذة والبقاء فى المدن

العامرة ، والمواسم الآهلة ..

ولحسن الحظ أن الموظف تمتريه حالة نفسية ، ويسرع فى قضاء ما أريده ، وما أتيت من أجله ، قضاء عاجلا ناجزاً ، غير مقيد بقيد ، ولا مشروط بشرط ، على خلاف العادة ، إذ كان يصرفنى كل موظف من أمامه فى لباقة أو غير لياقة . . وكأنه حينما يسرع فى قضاء مصالحى يشفق بى ، ويعطف على ، أو كأنه يريد أن يبعدنى عنه ، ليبعد عنه الشر ! ! . .

ومهما يكن ، فإن اسم عنيبة أفادنى إلى حد كبير فى قضاء كثير من حوائجى حينما كنت أذهب بنفسى لقضائها ، وكان خيراً وبركة على الرغم من كل ما يقال ، وعلى الرغم من ألسنة بعض الإخوان والزملاء الحداد التى لا تنى عن القدح فى عنيبة ، والنيل منها فى كل مناسبة ، وفى كل مكان !

عبد الحفيظ أبو السعود

رقـــص السماح

للأستاذ حسني كنعان

هو نوع خاص من أنواع الرقص العربى القديم المجهول فى أقطار البلدان العربية ، اختصت به مدينة حلب وحدها دون سواها من البلدان . وأول من اخترع هذا النوع من الرقص الفنى الشيخ عقيل النبجى المدفون فى ذروة جبل فى قضاء منبج يسمى باسمه جبل الشيخ عقيل ، ومنبج هـذه مدينة تبعد عن حلب ٦٠ كيلا يرجع تاريخ وفاته إلى ٤٠٠ سـنة على الجملة ، وكان رحمه الله شيخ طريقة من طرق الأحمدية الموهوبين المرموقين ذوى الكرامات والخوارق ، اخترع هذه الطريقة من الأذكار التى يلجأ إليها أصحاب الطرق الصوفية فى خلواتهم عند ما يتحلقون حلقات حلقات فى الزوايا يذكرون الله فى طرائق شتى ، وفى أنغام متنوعة وموقعة على الضروب والأوزان ، يرمز إليها بالأرجل ، أو بالأيدى ، أو بتقديم الصدر أو بتأخيره ، وما هى إلا أن تبدأ حلقات الأذكار بإنشـاد الموشحات حتى ترى أصحابها يتنقلون على حسب التواقيع والأوزان ، ويروحون ويجيئون فى القاعات ويضربون الضروب بالأيدى والأرجل ، وبتقديم الصدر وتأخيره فى انسجام وترتيب وخفة أو تباطؤ فى التنقل يبهج الناظرين ، فما يكاد ينتهى الجمع من إنشاد موشح حتى يبـدأ غيره من نغمة أخرى ، فترى نفسك أمام هذى الموشحات الأندلسية التاريخية الورونة كأنك فى قاعة من قاعات ابن سراج فى الأندلس أو ابن مريح ، فتذهل عن الدنيا لشـدة ما يداخل فؤادك من أنواع الطرب والشجن والتلهى ، فتخالك فى عالم غير عالمنا وفى دنيا غير دنيانا . وفى حلب الشهباء مشيخة فى هذا الفن اختصاصيون ذاع صيتهم لدينا وغدوا مضرب الأمثال فى البراعة ، عرفنا من المتوفين منهم الشيخ صالح الجذبة ، وكان يحفظ عشرة آلاف موشح مع ضروبها وتواقيعها وأوزانها ، وعبده بن عبده ، وأحمد أبو خليل القبانى الدمشقى المعروف ، وغيرهم من الذين لم تحضرنى الآن أسماؤهم …

وعرفنا من الموجودين على قيد الحياة منهم الشيخ عمر البطش ، والشيخ على الدرويش ، ومحمد طيفور . وإنى أسجل هنا للتاريخ والحقيقة أن حلب قد انتهى إليها هذا الفن فى بلادنا ، ولأبنائها ميل خاص فيه طغى على جميع الميول ، يصلون الليـل بالنهار ، والنهار بالليـل دؤوباً عليه . وبين هذى الرقصات نوع خاص يسمى فى عرفهم « إسق العطاش » ، وهى سلسلة موشحات من نغمة الحجاز يستغرق معهم إنشادها من المساء حتى مطلع الفجر . ولأمر ما جاء فى الأمثال القـديمة لدينا إن الدور أو الأغنية تنبع من مصر وتنتشر فى دمشق وتخـلد فى حلب . فأهلها من أكبر المحافظين على القديم ، ومن أكبر المتلذذين والمتكسبين من هذه الصناعة إتقاناً ، وحسبك أن تعلم أن الشيخ على الدرويش كان من كبار الأساتذة الذين احتاجت إليهم مصر فى تعليم هذا الفن فى معاهدها الفنية الكبيرة ، واحتاجت إليه تونس وغيرها من الأقطار العربية ، وأن تعلم أن كبار العازفين على الكمان ، كالأستاذ توفيق الصباح[1] ، وكريم عزة ، ويوسف عزة ، وجميل عويس ، وسامى الشوا ، وفاضل الشوا ، جميعهم من الحلبيين …

(١) وهو الملقب بسلطان الكمنجة ، وله عدة مؤلفات وقطعات موسيقية معروفة .

رأت الحكومة السورية فى عهدها الوطنى الميمون الطلعة أن تنهض بهذا الفن كما نهضت بغيره من بقية الفنون ، وأن تحيى مواته قبل أن تفنى البقية الباقية من أربابه وأساطينه ، فأسست فى دمشق تحت إشراف النائب السيد فخرى البارودى الذى يحدب على هذا الفن وأربابه لميله الخاص إليه مدرسة أطلقت عليها المعهد الموسيقى الفنى للاذاعة السورية الموقتة ، تسلم فرع الموشحات ورقص السماح فيه الشيخ عمر البطش ، ويعاونه فى ذلك سعيد فرحات وصالح المحبك الذى كان من أعضاء المؤتمر الموسيقى هو والصباغ المنعقد فى القاهرة تحت إشراف ساكن الجنان الملك فؤاد . واستقدمت له من تركيا الأستاذ رفيق فرسان لفرع النوتة والسماعيات والبشارف يرافقه زوجته وشوق بك ذلك الموسيقى الذى كتب عنه صديقنا الطنطاوى منذ أمد قصة الموسيقي العاشق فى الرسالة الغراء .

ويعاون هؤلاء فى أعمالهم أساتذة بعضهم من مصر وبعضهم من دمشق وحلب . ثم تألفت فى المعهد فرقة خاصة جمت الأساتذة وبعض النوابغ من التلاميذ يعرضون بضاعتهم ومنتوجاتهم على الملأ فى الحفلات الخاصة والعامة ، ويعرضونها فى محطة الإذاعة الدمشقية ، فيسمع الناس فيها السحر الحلال ، ويشهدون روعة الفن القديم . ولقد شهدت هـذه الحفلات أكثر من مرة ، وكنت كلما شهدتها أزداد بها إعجاباً وفتنة ورغبة فى سماعها ، وقد ينتهى السمر وإعجابى لا ينتهى برقص السماح . وكم كنت أتمنى عند ما أشاهده الفينة بعد الفينة أن لو يتاح لإحدى الشركات السينمائية المصرية أو غيرها أن تأخذ شريطاً عنه فتعرضه على النـاس ليشهدوا روعته وإتقانه ، وهو فن خالد قد أذهب الأقدمون فى إيجاده نور البصـائر ، عسى بمشاهدته يلقى من التشجيع فى الأقطار الشقيقة ما يحفز الهمم على تعميمه وإحيائه بدلا من هذه الرقصات الخليعة الماجنة المخنثة التى سرت إلينا عن طريق الغرب سريان السل أو السرطان وفيها المخاصرة والمعانقة والمعايب ....

تصور معى سـيدى القارئ كوكبة من التلاميذ الأحداث توحدت ملابسهم وهيآتهم ، وانسجمت أصواتهم ، واتسقت نغماتهم وحركاتهم ، ينشـدون كالمنادل الوشحات الموقعة على الرقصات والآلات الوترية ، وقدتخرجوا على أيدى الصناع الفنيين وحذقوا ومهروا فى فنهم ، تعرض صورهم أمامك على الشاشة ، وتصور ما تحدثه هذى المشـاهد وهذه الأصوات فى نفسك من أثر ورغبة فى إحياء موات هـذا الفن . ألا ترى معى وجوب تعميمه والدعاية له ؟ وإنى لأضمن لهذا الفن الرائع الانتشار عن هـذه الطرق ، فهو يرى كأنه جديد لدى أبناء هـذا الجيل ، وكل جديد لا بد له من دهشـة وروعة وفتنة . وإنى لا أزال أذكر ما أحدثته أول حفلة من حفلات هذا المعهد من أثر بالغ فى نفوس الشاهدين فى صالة سينما دمشق ، أخص بالذكر منهم المتشيمين للموسيقى الحديثة الدخيلة التى أفسـدت علينا قديمنا ، وذهبت بأذواقنا ، تلك الموسيقى التى مجتها الأرض والسماء وهى بعيدة عنا ، لا تمت إليها ولا تمت إلينا بصلة أو نسب !

إنها لمأثرة تذكر لمعالى وزير المعارف الشاب الدكتور منير العجلانى بك أن يتم هذا الأمر فى عهده وفى ظل صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية المعظم الزعيم شكرى القوتلى بك الذى له فى كل عمل مأثرة ، وفى كل نهضة مفخرة ، فالنهضة السورية فى كافة نواحيها مدينة إليه وإلى رئيس وزارته السيدجميل مردم بك

سدد الله خطوات الجميع لمـا فيه الخير والفلاح لخدمة هذا الوطن المفدى الذى أخذ بهذه الوثبة يشق طريقه فى الحياة .

(دمشق) حسنى كنعاد

الألغاز عند العرب ...

للأديب عبد الله نيازى

قال صاحبي ، أنا مُحجياك فى هذا اليوم ، قلت : فى أى شىء ؟ قال: فى لغز لا أظنك تستطيع حله . قلت : هات عسى أن أدرك كنهه ، قال : دخل أحد الأفراد إلى محل تجارى كبير آملا أن يجد له فيه مكاناً يكسب منه رزق يومه ، ولما دخل إلى مدير المحل أفضى بما جاء من أجله وأبدى رغبة ملحة فى توظيفه ، فأشار المدير إلى سكرتيره إشارة خاصة ذهب بعدها السكرتير وأتى بقدح مملوء بالماء موضوع فى وسط صينية وقدمه إلى الزائر ، وفكر الزائر هنيهة ثم رفع قشة ووضعها على سطح الماء الذى فى القدح . فعجب المدير لفطنته وذكائه وأوجد له مكاناً ... قال صاحبي ما سر هذا اللغز ، وإلى أى شىء رمز قدح الماء الذى قدم إليه ؟ ثم ما معنى تلك القشة التى وضعها الزائر وكانت سبباً فى توظيفه ؟ . ثم سكت صاحبي وارتسمت على وجهه سمات الارتياح والنصر معاً ، ففكرت برهة ثم قلت ، إنما القدح المملوء بالماء يعنى عدم وجود مكان لكثرة الوظفين الموجودين ولا يوجد أى مكان لطالب جديد . أما القشة التى وضعها الزائر فإنه أفهم المدير بلطف إلى أن القشة لم تزد على الماء شيئاً وكذلك لم تنقصه ، وأنه إذا أضيف إلى عدد الوظفين الموجودين لا يؤثر فيهم شيئاً . فدهش صاحبي وقال : لا بد أنك سمعته من قبل فنفيت زعمه وأبى أن يصدق .

والمطلع على أدبيات العرب يجد الكثير من أمثال هذا اللغز . وتعرف بالألغاز والأحاجى وكانت العرب تزيد فى إبهامها وغموضها لتفحم سائلها فى فهمها وتفاخر بالتفوق عليه ، وكانت هذه الألغاز وسيلة للتندر وتزجية للوقت معاً ، والذى يشبه اللغز الذى رواه صاحبي بل ويفوقه من حيث الوضع والمعنى ما حكاه المدائنى من أن رجلا مر بحى الأحوص ، فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فأتى شجرة فعلق عليها وطبا من لبن ووضع فى بعض أغصانها حنظلة ، ووضع صرة من تراب وصرة من شوك ، ثم أتى راحلته فاستوى عليها وذهب . فنظر الأحوص والقوم فى أمره فلم يدركوا سر ما فعل ، فقال أرسلوا فى قيس بن زهير وكان فارساً شاعراً داهياً يضرب به المثل ، فجاء . فقال له الاحوص : ألم تخبرنى أنه لا يرد عليك أمر ألا عرفت مأتاه ؟ قال : فما الخبر ؟ فاعلموه ، فقال : وضح الصبح لذى عينين ، ثم قال : هذا رجل أسره جيش قاصد لكم ، ثم أطلق بعد أن أخذت عليه العهود والمواثيق أن لا ينذركم ، فعرَّض لكم بما فعل : أما الصرة من التراب فأنه يزعم قد أتاكم عدد كثير ، وأما الحنظلة فأنه يخبر أن بنى حنظلة غزتكم ، وأما الشوك فأنه يخبر أن لهم شوكة ، وأما اللبن فهو دليل على قرب القوم أو بعدهم إن كان حلواً أو حامضاً . فاستعد الأحوص وورد الجيش كما ذكر قيس .

وتفننت العرب فى وضع الألغاز تفنناً مدهشاً وذهبت بها مذهباً بعيداً وأخلتها الشعر وأحكمت وضعها وتركيبها . ونسوق مثالا على ذلك مقدام الخزاعى .

وعجوز أتت تبيع دجاجاً لم يفرخن قد رأيت عضالا
ثم عاد الدجاج من عجب الدهر فراريج صبية أطفالا

وقال : يعنى دجاجة الغزل ، وهو ما يخرج عن المغزل ، ويعنى بالفراريج الأقبية ... ومن الأحاجى هذه ما كان يأتى بأول كلمة من معنى يضمره الحاجى وعلى المجيب أن يأتى به . ومنها ماورووه عن هند بنت الخس وهى قديمة فى الجاهلية قالوا وكانت ساجعة مبتذلة تحاجى الرجال إلى أن مر بها رجل فسألته المحاجاة ، فقال كاد ... فقالت : كاد العروس يكون الأمير ، فقال : كاد ... فقالت : كاد المنتعل يكون راكباً ، فقال : كاد .. قالت : كاد البخيل يكون كلبا وانصرف . فقالت له ، أحاجيك ؟ فقال قولى ، قالت عجبت ... قال : عجبت للسبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها . فقالت عجبت ..قال ، عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها... ثم أفحمها بكلمة بذيئة فخجلت وتركت المحاجاة .

ومن أطرف ما ذكر فى هذا الشأن دخول أبى القاسم القطان على الوزير الزينى يهنئه بالوزارة فوقف بين يديه ودعا له وأظهر الفرح ورقص ، فلما خرج قال الوزير لبعض أهل سره : قبح الله هذا الشيخ ! أنه يشير برقصه إلى قولهم : ارقص للقرد فى دولته .

وبعض الألغاز كانت تجىء عفوا من طريق المصادفة وما كانت تقصدها العرب وهى نوعان : منها ما يقع الإلغاز فيه من حيث المعانى وكانت لا تفهم من أول وهلة ، ومنها ما يقع فيه الإلغاز من حيث اللفظ والتركيب ، ... هذا وللعرب ألغاز وأحاج كثيرة لا يتسع المقام لبسطها هنا فاكتفينا بهذا القدار ليكون على علم من أن للعرب ألغاز وأحاجى تفوق ما يتناقله الناس الآن

بغداد عبد الله نيازى

ليالى الحصاد

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

يا ليالى الحصاد ما أنت إلا   بهجة العمر يا ليالى الحصاد
فيك دنيا من الجمال تجلت   لقلوب إلى الجمال صواد
الضياء الذى يرقرقه البد   ر فيجرى على الربى والوهاد
والحقول التى تهز فؤادى   رقة فى نباتها المياد
ووراءى سنابل القمح فيها   كعذارى يمسن فى الأبراد
كل عذراء فى بهى صباها   تتهادى مع السنا المتهادى
والنسيم الذى يمر على القم   ح رقيقاً كخطرة فى فؤادى
أو كهمس الصباح فى أذن الكو   ن لينجاب عنه طيف الرقاد
أو كشدو الطيور فى رونق الفج   ر ، وفى بهجة الربيع الشادى
أو كصوت الأوتار إذ لمستها   فى حنان أنامل العواد
والحديث الشهى ، والسمر المم   تع بين الأتراب والأنداد
والعذارى التى فقدت صوابى   فى هواها ، وضاع منى رشادى
ألعذارى التى تحوم عليها   أخيلاتى فى صحوتى ورقادى
ألعذارى التى تضم إليها   حزم القمح فى هوى واتئاد
وتغنى بأغنيات شباب   عاش رهن الأغلال والأصفاد
كل أنشودة تصور قلباً   مستهاماً بحاضر أو باد
كل أنشودة تذيع نداء   وهتافاً برغبة وصداد
لفظها هزة الصدور ، ومعنا   ها خفوق القلوب والأكباد
وصداها يرن فى كل قلب   وهو فى الأفق رائح أو غاد
يا عذارى الحقول أسعدن قلبى   برقيق الغناء والإنشاد
علنى أستعيد ذكرى غرام   مر فى العمر كالشعاع الهادى
كان أنسى ، وكان روح شبابى ،   ليته عاد بعد طول البعاد
يا عذارى الحقول يا منية الأر   واح رفقاً بهذه الأعواد
إنها منبع الحياة لشعب   ما تربى إلا على الأمجاد
قد غذاها بروحه نيل مصر   وسقتها روائح وغواد
ورعتها الشمس المنيرة حتى   هيأتها لمنجل الحصاد
حسبها أنها تمد عروقاً   فى ثرى مصر كعبة القصاد
كل نبت وكل شىء عزيز   حين ينميه موطن الأجداد
يا عذارى الحقول أين غذاء الروح بعد الغذاء للاجساد ؟
إن تقدمنه تقدمن مجداً   وسناء وعزة للبلاد
إنما الكون ساحة لسباق   قوة الروح فيه خير الجياد

يا ليالى الحصاد دمت ، ولا طا   فت بمغناك طائفات العوادى
ما أحب السهاد فيك ، وإن كا   ن عجيباً فى الليل حب السهادا
يا ليالى الحصاد قد طلع الفج   ر بشيراً باليمن والإسعاد
فاستفاق الوجود ، وانتبه الكو   ن ، وغنى له الزمان الحادى
يا ليالى الحصاد عودى إلينا   كل عام على مدى الآباد
إنما أنت بهجة ونعيم   لمحبيك يا ليالى الحصاد

١ – إلى الروضة (*)

للأستاذ العوضى الوكيل

(قيلت يوم دخل ممدوح الوكيل روضة أطفال شبرا)

بنى غداً تمضى إلى الروضة التى   تمدك للتثقيف تصفو مناهله
وتعلم منها أننى لك ناظم   قصيداً كأفق الروض غنت بلابله
أسطره فى الطرس حتى إذا استوت   بك السن تدرى ما الذى أنا قائله
نشرت به شعر البنوة رائعاً   فمن لى بشعر مثل شعرى أساجله

٢ – نجاح

(نجح ممدوح الوكيل فى الروضة فهنأناه بهذه القصيدة)

هنيئاً لك الفوز الذى نلت. إننى   ذخرتك للأيام يا أنفس الذخر
ثلاثون عاماً عشتها وثلاثة   وماذا تبقى لى من العمر؟ لا أدرى
ولكننى أدرى بأنك وُصلة   يطول بها عمرى وإن غبت فى القبر
أرى فى أمانىّ الكريمة صورة   لمجدك سماقاً على هامة الدهر
وألمح سباقاً إلى الخير ناهضاً   ولا يبتغى إلا رضائى من الأجر
وألمح مصراً وهى أمك تنحنى   عليك لتلثم الثغر والخد والنحر
ويا ليت شعرى ما تمنيت ضلة   ففشت سمادير الهموم على أمرى

بُنىَّ امض للعلياء وابلغ بروجها   ولو كان مسراها على ملتقى الجمر
وإن نخر الأبناء يوماً بوالد   فبى تستطيع الفخر فى ساحة الفخر
وحسبك من مجدى وفائى وعفتى   وما روت الأيام من ذلك الشعر

(*) من ديوان عالى الصغير « ديوان فى شعر البنوة والبيت » .

الأدب والفن في أسبوع

الصهيونيون ليسوا من بني إسرائيل :

كان حديثاً طريفاً حديث الدكتور محمد عوض محمد بك بالمذياع مساء يوم الجمعة الماضي ، فقد قال في هذا الحديث إن هذه الشراذم الصهيونية التي تأتي بفلسطين أشنع الأعمال وأدلها على الانحطاط النفسي والخلق ، ليست من بني إسرائيل يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم ، فهؤلاء الذين يقتلون الحوامل ويسممون مياه الشرب ويلوحون بالأعلام البيضاء ريثما يتمكنون من الغدر ، لا يمكن أن يكونوا من ذلك العنصر الطيب الذي كان يسكن فلسطين قديماً ، وإنما هم من أمم مختلفة وأ كثرهم من العنصر الجرماني اعتنقوا اليهودية في العصور التي نشط فيها التبشير اليهودي . ومما يدل على ذلك اختلاف سحنهم وألوانهم وتكوين أبدانهم ، فلا يعقل أن يكون كل هؤلاء المتباينين أبناء سلالة واحدة ، واستشهد الدكتور بأقوال بعض علماء اليهود التي تنص على دخول كثير من الأجناس في الديانة اليهودية في عصور مختلفة . وقد كان نصف سكان الاسكندرية في بعض العصور القديمة يهوداً ، كما انتشر الدين اليهودي في بلاد اليمن في عصر سحيق ، فهل صار أولئك القدماء من المصريين واليمنيين بذلك من بني إسرائيل ؟!

وقال الدكتور عوض إن هذا الخلط بين الدين والعنصرية بادعاء اليهود أنهم من بني إسرائيل ، خلط عجيب ، لأنه يحصر الدين في سلالة البيت النبوي ، ولا يقول بذلك عاقل ، فليس معنى الدين الإسلامي مثلا الهاشمية أو القرشية . ومما لا شك فيه أن قبيلة بني إسرائيل قد تفرق دمها ، كأي قبيلة أخرى ، فالقبائل لا تبقى . والخلاصة أن هذه العصابات الصهيونية التي تدعي باطلا أنها من بني إسرائيل ، إنما هي أشتات من الأجناس والأمم ، وهي أشتات منحطة ساقطة الفضائل الإنسانية تنم عليهم أفعالهم التي تباعد بينهم وبين السلالة الإسرائيلية . فليست دولتهم التي أعلنوها بفلسطين هي لحسب المزعومة ، بل هم أنفسهم مزعومون وهم دخلاء في النسب كما أنهم دخلاء في فلسطين .

عملية الأدب من الوجهة النفسية :

ألقى الدكتور ابراهيم ناجي محاضرة برابطة الأدباء يوم الأحد الماضي موضوعها « رسالة الأدب » ، وقد أفاض في بيان معنى الأدب وطبيعته ورسالته ، حتى استغرق في ذلك نحو ساعتين استأثر في خلالها بانتباه الحاضرين من الأدباء والمتأدبين على رغم الإطالة والحر ...

ومما تناوله الدكتور ناجي في هذه المحاضرة شرح العملية الأدبية من الوجهة النفسية ، إذ قال :

« نحن نعيش في ثلاثة عوالم : العالم الخارجي ، والعالم الشعوري ، والعالم اللاشعوري ؛ أو عالم الحقيقة ، وعالم الشعور ، وعالم الخيال . وهذه العوالم في دنيانا العملية تكاد تكون منفصلة تماماً ، أو على الأقل بينها اتصال غير كامل . أما العالم الخارجي ، ففيه المواد التي تستمد منها التجربة ، ولكن وجود التجربة وحدها لا يكفي بغير أن يزول ما بينها وبين العقل الواعي من فواصل ، فيؤدي ذلك إلى اندماجها بالشعور حتى يحدث مايسمى لحظة انفعال . على أن هذه اللحظة تستوعب التجربة صورة موحدة وأنموذجاً كاملا ، فلا يلتقطها الشعور متفرقة مبعثرة ؛ فإذا انزاحت الفواصل بين الشعور واللاشعور ، فإن اللحظة الانفعالية تصير حالة انفعالية ممتدة الزمن ، وزيادة على ذلك يستوعب الانفعال التجربة كخليط معقد متعدد الجوانب ، وهذا ما يجعله مثيراً ومشتملا ، ويجعل الأديب متوثباً لاستيعاب الانفعال والسيطرة عليه ، ومنتهزاً فرصته لكي يتاح له أن يستعيد هذه الصورة الحسية الفنية بالألوان ، ولن يتاح له ذلك إلا في وقت يحس فيه أنه على وشك التعبير ، وقد يسمى هذا وقت الإلهام ، ولكننا سيكولوجياً نعرف أنه وقت اختلاط الشعور باللاشعور ... الشعور يغزو اللاشعور ، واللاشعور يطفو بأحلامه وضبابه في الشعور . هذه لحظة تحرر كاملة تفسر لنا السرور الذي نشعر به إذ ذاك . أما الشعور فهو تحليلي في نزعته ، وأما اللاشعور فهو تركيبي . فالشعور يتسلم التجربة ويحيلها قطعاً ، ثم يسلمها

إلى اللاشمور الذى يعيد تركيبها ، ولكنه يعيدها ومعها فروق وتدرجات وألوان وأصباغ وأضواء وظلال ، كالآفاق التى تبدو فى الحلم تماماً . وذلك لأن اللاشمور طبقات وإمكانيات ، وهو يمطى بالتدريج ، ويغرى باقتحامات جديدة . وقد يسأل السائل : ألم يكن من الجائز انتهاز فرصة التجسد الشموري لخلق عمل فنى ؟ فنجيب بأن التجسد الأول إنما هو تضخم متعب قد يؤدى إلى الانتحار أو الجنون ، أما التجسد الأخير فهو تجسد مخفف تدريجى يطفو فى وسط الألوان والأضواء ، وفيه شمور بالتحرر المنظم ، وفيه كذلك شمور بالتحرر من قيود العرف ، ولذلك يصلح التعبير دائماً فى هدوء الليل وفى الوحدة البعيدة عن العالم .

ويتضح من ذلك أن فى طبيعة العمل الأدبى قسم كبير متعلق بالصنعة ما دام العقل الواعى مشتركا اشتراكا كبيراً فى تنظيم العمل ، ولكن الجزء اللاشمورى له أهميته العظيمة . ومن ثم يتضح أنه لا يوجد عمل عبقرى لا تدخل فيه الصنعة . والذين يقولون بالسليقة إنما يجهلون المعانى السيكولوجية للأعمال الفنية .

ويبدو من هذا التحرر السيكولوجى أن المسألة محاولة إزالة فراصل ، فن الباطن إلى الواعى إلى الخارج ... ومعنى ذلك أنها عملية إفضاء إلى الغير ، أو بعبارة أخرى الخروج عما هو شخصى إلى ما هو إنسانى . وهذا هو غرض الفن وغرض الأديب ورسالته. ويتضح كذلك الفرق بين طبيعة العصبى والعبقرى ، فالأول يهتم بتحقيق رغبة مكبوتة ، أما العبقرى فهمه التعبير عنها ، وشتان ما بين الاثنين !

الكاريكاتور فى شعر ابن الرومى :

كان الأستاذ كامل كيلانى قد ألقى محاضرة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالأسكندرية موضوعها « الكاريكاتور فى شعر ابن الرومى » ، وقد عن له أن يستوفى هذا البحث ليخرجه فى كتاب ، وهو يعمل الآن فى إنجازه .

ويتكون هذا البحث من جولات فى متحف الكاريكاتور الذى يضمه شعر ابن الرومى ، والذى يتألف من أقسام مختلفة؛ فهذا معرض الأنوف ، ومن تحفه صورة لأنف « كنيزة » المغنية ، هى قوله :

« فيه لفرخين عش »

وذاك معرض الدواب الآدمية ، ومن محتوياته وجه « الحربثى » فى صورة ثور :

وله قرنان أيضاً وذنب للحربثى أبى بكر غبب (١)

وتحين منك التفاتة إلى ركن فى أحد الأبهاء ، فإذا صورة كاريكاتورية فذة رسمها الفنان ابن الرومى لنفسه فى براعة عجيبة :

من كان يبكى الشباب من جزع فلست أبكى عليه من جزع
فإن وجهى بقبح صورته ما زال بى كالمشيب والصلع
أشب ما كنت قط أهرم ما كنت فسبحان خالق البدع
إذا أخذت المرآة سلفنى وجهى وما مت هول مطلعى
شغفت بالخرد الحسان وما يصلح وجهى إلا لذى ورع
كى يعبد الله فى الفلاة ولا يشهد فيه مشاهد الجمع

آفة البرامج :

استبشرت مجلة « الإذاعة المصرية » بما تلقته الإذاعة من المقطوعات فى مباراة الأغانى التى نظمتها ، فقالت : يبدو أننا مقبلون على فجر عهد جديد من الغناء الرفيع ، لأن بين هذه المقطوعات من يقول المحكمون إنها من الطراز الأول فى عالم الشعر الغنائى ، وتتوقع أن ترفع مستوى البرامج .

وأعربت المجلة عن اغتباطها بظاهرة تدعو حقاً إلى الاغتباط ، وهى أن كثيراً من الأغانى التى وقع عليها الاختيار من إنتاج بعض العمال والصناع الذين يرسلون المنى على سجيتهم وينظمون الشعر الغنائى بالسليقة فى موضوعات قومية ظاهرة الصدق صادقة الإحساس .

والحمد لله الذى وفق الإذاعة إلى هذه الثغرة التى تخرج بها عن النطاق المضروب حولها من المؤلفين المتصلين بموظفى الإذاعة ، فهؤلاء « المؤلفون » هم آفة البرامج ، ولا شك أن انقشاع لياليهم عن الإذاعة بما فيها من التأوهات ونداء الحبائب ، وما يشيع فيها من السخف والتفاهة — هو المبشر بأننا مقبلون حقاً على فجر جديد .

أدركته الحرفة :

تحدث بعض الصحف عن الوضع الشاذ الغريب لموقف

(١) الغبب : اللحم المتدلى تحت الحنك فى البقر وغيره .

الخبير الاقتصادى المصرى بالسودان ، من حيث اضطراره — إزاء تصرف الحكومة السودانية فيما يختص بأعمال وظيفته — إلى الفراغ التام لعدم وجدان ما يعمله فى مصر أو فى السودان .

والطريف فى الموضوع أن إحدى المجلات قالت إن الخبير لما لم يجد ما يشغله قرر أن يشتغل بالأدب ! .

وأذكر أن موظفاً مصرياً آخر فى السودان هو مراقب التعليم المصرى هناك ، أبت الحكومة السودانية أن تسمح بدخوله السودان ، ولا يزال إلى الآن فى وظيفته رسمياً مع هذا المنع ، فماذا يصنع هذا أيضاً ؟ لقد كان قبل ذلك عميداً للرسم بوزارة المعارف ، فهل يشتغل هو أيضاً بالرسم ؟

مصائب السياسة فى الفنون فوائد ...

مؤتمر اليونسكو :

توالى لجنة (اليونسكو) بوزارة المعارف ، النظر فى موضوع اشتراك مصر فى مؤتمر (اليونسكو) الذى سيعقد ببيروت فى أكتوبر القادم . وقد أرسلت إلى وزارات معارف الدول العربية الشقيقة بالأسس التى ستبنى عليها تقريرها المؤتمر لتضع فى ضوئه تقاريرها توخياً لتوحيد وجهة النظر العربية فى شئون الثقافة العالمية .

ومن المسائل التى يتضمنها تقرير وزارة المعارف المصرية ، مسألة القدر المشترك من التعليم لكل مواطن ، وهى من المسائل التى أوصى بالاهتمام بها مؤتمر الهيئة الذى عقد بالمكسيك فى العام الماضى ، على ألا يقتصر الأمر فيها على تعليم الكتابة والقراءة ، بل يجب العمل على تزويد المواطن بقدر من الثقافة العلمية والاقتصادية ، ومما قالته الوزارات أنها أخذت فى سبيل تحقيق الثقافة الاقتصادية بإنشاء مدارس الصناعات الريفية ، ومدارس المعلمين الريفية ؛ التى يقصد منها تعليم النشء الصناعات الملائمة لبيئاتهم .

ومما يذكر أن هذا المؤتمر الذى سيعقد ببيروت هو المؤتمر الثالث للهيئة ، وكان المؤتمر الأول بباريس سنة ١٩٤٥ ، والمؤتمر الثانى كان فى المكسيك سنة ١٩٤٧ .

الألفاظ والأساليب فى المجمع اللغوى :

ذكرت من قبل أن لجنة الألفاظ والأساليب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أعدت قرارات فى ستة عشر لفظاً وأسلوباً ، رأت صحة استعمالها بدل ما يجرى على الأقلام والألسنة المثقفين مما ليس بصحيح .

والخطة الموضوعة أن يعرض ما تقرره هذه اللجنة على مجلس المجمع للنظر فيه ومناقشته ثم يذاع عقب إقراره على الجمهور فى الصحف .

والستة عشر لفظاً وأسلوباً الآنفة الذكر هى باكورة عمل اللجنة فى هذا الصدد ، وقد عرضت على مجلس المجمع فناقش بعضها ، ثم انفض على أن يستمر فى مناقشتها بالجلسات التالية ، ولكن الذى حدث أن الجلسات التالية لم تنعقد ، لأن عدد الأعضاء الذين كانوا يحضرون لم يبلغوا فى كل مرة النصاب المعين لانعقاد المجلس ، فينعقد الحاضرون لجنة .. واستمرت الاجتماعات « لجنة » نحو أربعة أسابيع ، ثم أعلن انفضاض الدورة . وعلى ذلك اضطرت « الدفعة الأولى » من الألفاظ والأساليب إلى انتظار الدورة القادمة فى أكتوبر القادم .

جناس :

لما كان المغفور له الملك فؤاد بباريس فى أثناء زيارته لأوربا — زار جامع باريس ، فاستقبله الشيخ قدور بن غبريط شيخ الجامع بخطبة قال فى مطلعها :

الله أحد ، وأصلى على نبيه أحمد ، وأحيى ملك مصر أحمد .

العباس



حول «رائد التراث العربي» للأستاذ صلاح الدين المنجد :

ظهر كتاب « رائد التراث العربي » منذ حين ، وهو كتاب بعضه ترجمة وبعضه تأليف ، وعنوانه مخالف لعنوان الأصل المترجم عنه . ولعل الأستاذ المنجد اختار هذا العنوان الطريف اللطيف الجرس ليستر شيئاً . بل لقد أراد أن يشهد قراء العربية على أنه ألبس الكتاب ثوباً جديداً فاحتاج إلى عنوان جديد . وموضوع كتاب « رائد .. » غير موضوع الكتاب الأصلي : لا يحوي من الأصل إلا النصف الأخير ؛ ولم يكن له أن يقيم هذا النصف مشطوراً مظلوماً ، يصرخ حسرة على نصفه الأول .

وقد نشرت مجلة « الرسالة » نقداً للكتاب ، فيه بعض مآخذ على المؤلف وبعض مآخذ على المترجم ، إن كان الأستاذ المنجد يعد مترجماً (أنظر الرسالة عدد ٣١ مايو الماضي) . والرسالة تفسح لنقد الكتب مكاناً تشكر عليه ، وتوليه من الاهتمام ما يؤثل لها الفضل على العلماء والباحثين .

ولكن لهذا الكتاب قصة طريفة نحب إشراك القراء فيها ، ليتفكهوا بسير بعض العلماء ، فلعل في هذه القصة عبرة لمن شاء أن يبلغ الشهرة بأيسر جهد . وقد بلينا في زماننا بجماعة يقمون على كتب أساتذتهم فيأخذون بعضها ويضيفون بعضاً مهلهلا حباً في الصيت ، ومفاخرة بعدد الكتب ، وإدعاء للعلم الرخيص . وإثم هؤلاء كبير لأنهم يسدون الطريق على العاملين المخلصين في العلم .

أخرج الأستاذ المستشرق العالم جان سوفاجيه عام ١٩٤٢ كتاباً بالفرنسية عنوانه « مقدمة في تاريخ الشرق الإسلامي (المراجع الأساسية) » ثم أعاد نشره عام ١٩٤٦ بعد أن أدخل عليه إضافات وتصحيحات استغرقت ست صفحات .

والكتاب نفسه كتاب قيم عظيم الفائدة لطلاب التاريخ جميعاً مبتدئين وعلماء ، وإنه ليذكر الحقائق البسيطة التي يدركها العالم بالمران ثم لا يجد لها ضابطاً حتى ليعجز عن تلقينها جملة واحدة إلى تلاميذه ؛ فالكتاب كله تواضع لأنه يذكر الحقائق المعلومة التي نمر عليها كراماً فلا نعيرها ما تستحق من الالتفات مع عظم أهميتها . ولقد جعل المؤلف من هذه الحقائق مادة خصبة فأرانا كيف يكون جلال البسائط .

قسم المؤلف كتابه قسمين تناول في الأول طبيعة المصادر في التاريخ الإسلامي بالنسبة لمثلها في فروع التاريخ الأخرى ، وعرض للمصادر المختلفة التي يجب الرجوع إليها من الروايات الشفوية والقصص التاريخية والحديث وكتب التاريخ والرحالة والجغرافيين ورجال الفقه ، ومن النقوش والنميات والآثار ، فبين لنا إلى أي حد نستطيع الاعتماد على كل مصدر من هذه المصادر ، وحظ كل منها من الوثوق . فهذا القسم كما ترى خاص ببيان مناهج البحث التاريخي وبنقد المصادر .

وقد أجمع النقاد في أوربا على أن هذا القسم من أهم أقسام الكتاب وأعظمها فائدة وابتكاراً ؛ فإذا قرأته راعك منهج الأستاذ المستشرق العليم بطموحه إلى بناء التاريخ الإسلامي على أساس علمي متين دقيق . لأنه يرسم منهجاً علمياً سليماً ، ويصور لك ما يجب أن يتحلى به العالم من وسائل البحث والدرس والتمحيص والعرض . ولن تجد مؤلفاً قبله تناول جميع المصادر الإسلامية فنقدها هذا النقد العلمي السليم . فجاء كتابه دعوة إلى منهج علمي دقيق جديد يخالف الطرق الارتجالية القديمة ، ويؤذن بابتداء الدراسة العلمية في التاريخ الإسلامي وإتباع أمثل طرائق البحث والنقد والمقابلة . وإنما دعا الأستاذ إلى منهج طبقه بنفسه تطبيقاً أدى إلى أبعد النتائج العلمية أثراً في التاريخ الإسلامي وأحراها بإظهار هذا التاريخ في صورته العلمية الحقيقية . فمن من التماليين في عصرنا قرأها ؟

أما القسم الثاني من الكتاب فيتناول المراجع الأساسية العربية والإفرنجية ويعرضها عرضاً شيقاً حسب العصور التاريخية ؛ فيبين كيفية الاستفادة منها ، ووجوه النقص فيها ، واتجاه الباحثين في درسها ، ويبين ما درس وما لم يدرس ، وقيمة ما ظهر من الدراسات . ولم يترك من المراجع الأساسية شيئاً ، أما المراجع الفرعية فلها مظانها المعروفة الكثيرة . وإنما أراد المؤلف بذكر الأصول تصوير علمنا بتاريخنا وما بلغناه فيه . فأظهر في ذلك براعة تدل على سعة العلم ، وحب للتاريخ الإسلامي ، وازدراء للبحث السطحي .

ثم جاء الأستاذ المنجد ، فحذف القسم الأول الهام كله لم يكد يبق منه شيئاً ، وترجم القسم الثانى ثم أضاف إليه ما شاء من عنده ، وجعل هذا كتاباً !

فالأستاذ المنجد مسئول عن كتابه وحده ، والأستاذ سوفاچيه برىء منه كل البراءة . وقد تبرأ منه بنفسه علناً ، ونشر رأيه فى المجلة الأسيوية هذا العام . وكان يجب على ناقد « الرسالة » أن يطلع على المجلة الأسيوية ليعلم أن أستاذنا سوفاچيه لم يأذن للأستاذ المنجد بترجمة ماترجم . وذنب المترجم أعظم لأنه مسخ الكتاب ، فلم يكن باراً بنفسه ولا بأستاذه .

وكنت عرضت على الأستاذ المنجد أن نشترك فى إخراج الكتاب كاملا ، لأنى ترجمته فعلا ، وراجع المؤلف ترجمتى ولكنى لم أنشرها بعد . غير أن الأستاذ المنجد أبى واستكبر واعتبر ما ترجم ومسخ جزءا من حلقة علمية طويلة ترجو أن تمتد لها أيامه ، وإن كانت طلائعه لا تنذر بخير كثير .

فإن يجد النقاد مآخذ على « رائد التراث الإسلامى » فكتاب سوفاچيه منها برىء .

محمد عبد الهادى شعيرة
أستاذ مساعد بكلية الآداب بالأسكندرية

مباراة فى القصة :

نظمت مجلة « الأديب » البيروتية مباراة فى القصة أعلنت عنها فى عددها الصادر فى مستهل الشهر الحالى (يونيو — حزيران) ويمنح الفائز فيها ١٥٠ ليرة لبنانية تبرع بها الأستاذ أحمد عويدان .

وتتضمن شروط المسابقة ما يلى :

١ — الاشتراك مباح للجميع .

٢ — يجب ألا تزيد القصة عن أربع صفحات من « الأديب » ولا تنقص عن اثنتين على أن لا تكون نشرت أو أذيعت قبل الآن .

٣ — تكتب القصة على الآلة الكاتبة أو تكتب بخط واضح من ثلاث نسخ .

٤ — تنتهى مدة قبول الاشتراك فى أول سبتمبر (أيلول) ١٩٤٨ وتذاع النتيجة فى عدد شهر أكتوبر (تشرين الأول) من مجلة الأديب .

٥ — تحكم بين المتبارين لجنة تختارها « الأديب » وتعلن أسماء أعضائها مع إعلان النتيجة .

٦ — للأديب أن تختار من القصص ما تشاء للنشر على صفحاتها بعد إعلان نتيجة المباراة .

٧ — ترسل القصص إلى « الأديب » ص . ب رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان ويكتب على الغلاف الخارجى « مباراة القصة » وتذيل القصة بإمضاء مستعار ويوضع الإسم المستعار والإسم الحقيق فى غلاف صغير يرفق بها .

والمجلة ترحب باشتراك الأدباء وكتاب القصة المصريين فى هذه المسابقة ويمكن الاطلاع على شروطها الكاملة فى عدد شهر يونيو .

وديع فلسطين
وكيل مجلة الأديب فى مصر

فى قصيدة :

فى عدد الرسالة الغراء (٧٧٩) قصيدة مائمة للأستاذ الشاعر حسين الظريفى بعنوان « فى أخريات الشباب » مطلعها :

أصبحت لاغضاً ولا ذاوياً ... أحيي شباباً لم يعد زاهيــا

ولقد استوقفنى منها قوله :

سقياً لشرخ من شباب مضى ... ما كنت فى يوم (له سالياً)

إذ لا يقال (سلا — أو سلى — له) وإنما يقال (سلا عنه) .

قال المتنبى :

فقلت إذا رأيت أبا شجاع ... (سلوت عن)العباد وذا المكان

وحروف الجر والتعدية وإن كان ينوب بعضها عن بعض ، إلا أن المقام هنا ليس مقام نيابة على كل حال ، والسلام .

(الزيتون) عدنان

تصحيح :

وقع فى قصيدة الأستاذ محمود غنيم «يا أخت عمورية» المنشورة فى العدد الماضى ، هنات مطبعية يدركها القارىء بفطنته ، ولكن قافيتى البيتين الآتيين حرفت تحريفاً بعيداً عن الأصل ، وصحتهما :

ليس الثرى للشاردين بمسكن ... رحب ولا للمتعبين مقيلا

يا أخت عمورية لبيك قــد ... دقت حاتك للحروب طبولا



١ – أذن وعين

تأليف الأستاذ سلمان الصفوانى

مجموعة من المقالات « الخفاف » القصار تقارب الخمسين كل منها فى صفحتين وقلما تزيد أو تنقص عنهما بضعة سطور . بدأ الأديب العراق الأستاذ سلمان الصفوانى صاحب جريدة « اليقظة » العراقية بنشر مقالاته هذه متوالية فى صحف العراق بعد خروجه من المعتقل فى بغداد سنة ١٩٤٤ وكانت الرقابة يومئذ تحد من الحريات بسبب الحرب العالمية الثانية ، قال الأستاذ فى مقدمته : « وكانت معالجة القضايا العامة بصورة جدية وصريحة من أصعب الأمور على كاتب مثلى فى ذلك الحين ، فالحرب ما زالت قائمة ، والأفكار الحرة خاضعة للرقابة السياسية ، وهذه الرقابة لا تتورع عن كيل التهم لمن لا يجارونها فى اتجاهاتها من الوطنيين الأحرار ، وكان مجال « التأويل » واسعاً فى هذا الشأن إلى حد صارت معه الكتابة بمنطق سليم ورأى سديد من الأمور العسيرة » فالمؤلف يكتب هذه المقالات بقلم » الصحافى » الذى عاقته الرقابة عن الصراحة والجرأة ، ولا يكتب بقلم « الكاتب الأديب » الذى يحفل بموضوعه ويصوغه بكل قوته وبكل وسعه فى التفكير والتعبير . وقد كتبت المقالات « عفو الساعة » لا لتنشر فى كتاب بل لتنشر فى « صحيفة » يقرؤها « جهرة » قراء الصحف للمتعة والتسلية والفائدة ، وربما كان ذلك بعض السر فى « خفتها » ويسرها ، وشفيع الأستاذ عند قرائه ما أوجزنا الإشارة إليه من أعذار مقبولة إن شاء الله . وقد اتخذ الأستاذ لمقالاته حين نشرها عنوانها « أذن وعين » لأنه كما قال أراد أن يروى فيها ما تسمعه « الأذن » ويصف فيها ما تراه « العين » وبهذا العنوان نشر مجموعته هذه وهى « المجموعة الأولى » من تلك المقالات .

وليست هناك فكرة « جامعة مشتركة » بين مقالات هذه « المجموعة » وتكاد كل مقالة تستقل بموضوع ، والمؤلف يعالج موضوعه فى حيز ضيق علاجاً هيناً قلما ينفذ إلى الصميم ، وقصاراه لمسة رفيقة هنا ووخزة طائرة هناك بلا تأن ولا استقصاء فى الدرس سواء فى ذلك الموضوعات التى روى فيها ما سمعته أذنه والموضوعات التى رأتها « عينه » بل مثلها أيضاً الموضوعات الفكرية التى لم يتقيد فيها المؤلف بعنوانه « أذن وعين »

وليس من همى هنا أن أعرض على القراء الموضوعات التى تناولها الأستاذ فى مجموعته لا بالتفصيل ولا بالإجمال ، وحسبى الإشارة إلى بعضها . فمنها اتحاد الأمة العربية ، والتنظيم السياسى ، وآثاره ، وسياسة التوجيه فى الأمة ، ومعنى العروبة ومن تشملهم ، والقومية العالمية وأسسها ، والدعوة إلى معرفة حق الأديب ، والقومية والمالية ، وبعض نواحى المشكلة الفلسطينية ، وتدوين الأدب الشعبى فى العراق وحرية الأقلام . ونرجو أن تكون المجموعة الثانية » أنضج وأعمق لتكون جديرة بجمعها فى كتاب .

٢ – كأس ومصباح

تأليف الأستاذ محمد أديب نجوى

هذه مجموعة من عشر أقاصيص نشرت فى صحف حلب ، سماها كاتبها باسم الأقصوصة الأولى منها « كأس ومصباح كما جرت عادة القصصيين أخيراً اقتداء بقصصى فرنسا دون إضافة « وقصص أخرى » ويتراوح طول الأقصوصة منها بين اثنتى عشرة صفحة وأربع صفحات ؛ والمجموعة مصدرة بقصيدة جيدة للأستاذ عمر أبو قوس مدير مطبوعات حلب يقدم بها المجموعة إلى القراء ، ويليها إهداء كتبه صاحب المجموعة على قبر أبيه يهدى إليه مجموعته لأنه هو الذى تقبل أولى قصصه بالرضا والإكبار ثم مات وتركه يناضل الأيام .

وربما كانت محنة النفس الغضة بهذه الفاجعة وما تلاها هى منشأ ما تنبض به أقاصيص المجموعة جميعاً من قلق وكآبة وسخرية عابسة ، وبنية الأقصوصة فى هذه المجموعة سليمة يعوزها الصدق فى الإحساس ، والاستقامة فى التفكير ، والقصد فى الخيال ، وأسلوب التعبير عربى صحيح تغلب عليه الأناقة مع إفراط فى الاستعارة لا يوهن من تماسكه ولا يحجب ما يريد صاحبه التعبير عنه من معان وصور ، ومع ميل إلى الغموض ناشىء عن الاكتفاء باللمسات السريعة الخاطفة المتفرقة عن الاسترسال لملء كل فراغ فى الصورة ، ومن شأن هذا الأسلوب أن يثير الشعر والخيال فينطلقان لملء هذه الفراغات على أى نحو يناسب ما حولها

محمد خليفة التونسى

مطبعة الرسالة